

الكتاب الأول من «أغنية الجليد والنار»

جورج آر. ر. مارتن

1 1. 2016



أغنية العرش

ترجمة هشام فهمي

چورچ ر. ر. مارتن

أغنية الجليد والنار

لعبة العروش I

ترجمة: هشام فهمي



چورچ ر. ر. مارتن

أغنية الجليد والنار

لُعبة العُروش I

الكتاب: لعبة العروش I (الكتاب الأول من أغنية الجليد والنار) / رواية

المؤلف: جورج ر. ر. مارتن

ترجمة: هشام فهمي

عدد الصفحات: 544 صفحة

الترقيم الدولي: 978-977-6483-57-6

رقم الناشر: 2015/22293

الطبعة الأولى: 2016

هذه ترجمة مرخصة لكتاب:

A Game of Thrones by George R. R. Martin

Published by agreement with the author

and the author's agents, The Lotts Agency, Ltd

Copyright © 1996 by George R. R. Martin

Excerpt from A Clash of Kings copyright © 1999 by George R. R. Martin

All Rights Reserved

Cover art: (C) 2011 Home Box Office, Inc.

All rights reserved. HBO(R) is a service mark of Home Box Office, Inc

جميع حقوق النسخة العربية محفوظة لدار التنوير ©



دار التنوير للطباعة والنشر

مصر: القاهرة - وسط البلد - 19 عبد السلام عارف (البستان سابقاً) - الدور 8 - شقة 82

هاتف: 0020223921332

بريد إلكتروني: cairo@dar-altanweer.com

لبنان: بيروت - بئر حسن - سنتر كريستال، الهزيم - الطابق الأول -

هاتف: 009611843340

بريد إلكتروني: darattanweer@gmail.com

تونس: 24، نهج سعيد أبو بكر - 1001 تونس

هاتف وفاكس: 0021670315690

بريد إلكتروني: tunis@dar-altanweer.com

موقع إلكتروني: www.dar-altanweer.com

مقدّمة المُترجم

في عام 1994 تركَ جورج ر. ر. مارتن هوليوود، بعد أن عملَ مدّة عشرة أعوام في كتابة وإنتاج المسلسلات التليفزيونيّة، وقد شعرَ بالسّأم من القيود التي تفرضها التّكاليف على الإنتاج، ومن عدم قُدرة الشّاشة على تقديم ما يرغب فيه حقًا بالمستوى المطلوب، بينما يستطيع على الصّفحة المطبوعة أن يحكي كلّ ما يُريده بكلّ التّفصيل التي تفتّت عنها مخيلته. لم يكن مارتن مجرد مؤلّف هاوٍ، فبعد سنوات من كتابة القصص القصيرة والمقالات في المجلّات والصحف، نشرَ مجموعته القصصيّة الأولى «أغنيّة ليا» في عام 1976، وفي العام التّالي نشرَ روايته الأولى «موت الضّياء»، ومنذ ذلك الحين لم يتوقّف عن الكتابة في أدب الفانتازيا والخيال العلمي، وإن أرادَ دائمًا أن يكتُب ملحمةً فانتازيّة ضخمة. في البداية لم يعرف عمّا ستدور ملحمة بالضّبط، إلى أن أتاه الإلهام في شكل مشهدٍ تخيلَه لعثور مجموعةٍ من الرّجال على الدّثاب الرّهيبية الوليدة بين الثّلوج، المشهد الأول الذي بدأ به كلّ شيءٍ في ما أصبح أشهر وأهمّ أعماله.

بعد عامين من مغادرة هوليوود نشرَ مارتن روايةً في أكثر من ثمانمئة صفحة هي «لُعبة العروش»، الجزء الأول ممّا كان مخطّطًا له وقتها أن يكون ثلاثيّة «أغنيّة الجليد والنّار»، الحكاية الطويلة التي تتناوَل الصّراع على السّلطة بين عددٍ من العائلات الكُبرى في العالم الخيالي الذي صنعه

شبيهاً بعالمنا في القرون الوسطى. كثيراً ما يكون هذا النوع من الأدب مزدحماً بتنويعاتٍ ابتُذلت من فرط استهلاكها على ما أطلقَ جوزف كامبل عليه اسم "رحلة البطل"، مصحوبة بحبكات درامية مستمدة كلها من الأساطير القديمة، بينما ما فعله مارتن هو أنه استمدَّ إلهامه من التاريخ الحقيقي بدلاً من الأساطير، عندما بنى أسس حكايته على الحرب الدامية التي أطلقَ عليها شكسبير لاحقاً اسم "حرب الوردتين"، والتي دارت رحاها على مدار ثلاثة عقودٍ في إنجلترا القرن الخامس عشر، حول الأحق بوراثنة العرش بين عائلتي لانكاستر ويورك.

كان البريطاني ج. ر. ر. تولكين هو صاحب الفضل الأول في تأسيس أدب الفانتازيا الملحمي في نُحفته الخالدة «سيد الخواتم» والحكايات الأخرى التي تدور أحداثها في أرضه الوسطى، ومنذ ذلك الحين والغالبية العظمى من كُتّاب الفانتازيا يحذون حذوه، بينما مارتن هو صاحب الفضل في تناول هذا النوع من الأدب الخيالي بأسلوب أكثر جديةً وحرفيةً ممن كتبوا الكثير جداً من الأعمال التي لم تتعدَّ محاكاةً رديئةً لما قدّمه تولكين، والتي تدور بشكلٍ أو بآخر دائماً حول شخصٍ تقليدي يكتشف قواه الكامنة ويُقذ العالم بتدمير شيءٍ سحريٍّ ما للقضاء على الشرير الرئيس الذي يملك آلاف الأتباع، ثم النهاية السعيدة. وعلى الرغم من إعجابه الشديد بتولكين واعتباره من أهم أساتذته -هو وروبرت چوردان صاحب ملحمة «عجلة الزمن»- إلا أن مارتن أخذ عليه نظراته الطفولية إلى وضوح الخير والشر، حيث كل شيء إما أبيض أو أسود، وغالباً ما تفادى هذا في حكايته مع تقديمه لشخصيات رمادية من الممكن أن نجدها في عالم الواقع، تركيباتها المعقدة ودوافعها وأهدافها وما ترتبته من أفعال لا يمكن الحكم عليه ببساطة.

على الرغم من أن «لعبة العروش» لم تُحقّق بمجرد نشرها النجاح الباهر الذي نعرفه اليوم، إلا أنها وجدت تشجيعاً لا شك فيه من عددٍ كبير من باعة الكتب المستقلين، الذين رشّحوها لزياباتهم، والذين رشّحوها

بالتالي لأصدقائهم، وهكذا بدأ جمهور مارتن يتشكل ببطء في البداية، وأخذ ينمو مع مرور الوقت وخروج الأجزاء التالية من السلسلة التي قرّر مارتن أنها لم تعد تصلح لأن تكون ثلاثية فقط، عندما فرغ من كتابة الجزء الثالث ووجد أنه لم يحك نصف ما يرغب في حكايته بعد، فاستقرّ على أن تكون «أغنية الجليد والنار» سباعية. منذ ذلك الحين باعت الأجزاء الخمسة التي صدرت أكثر من ستين مليون نسخة في أكثر من أربعين لغة وفازت بعدد من الجوائز الأدبية المهمة بخلاف الترشيحات، وبكل تأكيد ساهم إنتاج مسلسل *Game of Thrones* المأخوذ عن السلسلة في مضاعفة جمهور مارتن في جميع أنحاء العالم عدّة مرّات، خصوصاً مع مشاركته في كتابة بعض أهم الحلقات التي ترد فيها أحداث أساسية من رواياته.

لا شك أن الإنتاج الضخم الذي خرج به المسلسل المأخوذ عن روايات مارتن جعله من أفضل وأهم المسلسلات في التاريخ على الإطلاق، ويكفي أن تطلع على أعداد متابعيه لترى أن العالم كله ينتظر كلّ حلقة جديدة بمنتهى الشغف، لكن كلّ من قرأوا الروايات - سواء من الكتاب أو القراء - اتفقوا على أن محتواها أكثر تشويقاً من المسلسل بكثير، لا سيّما أن هناك شخصيات رئيسة وأحداث وخطوط درامية كاملة تم حذفها في المسلسل، بالإضافة إلى المحتوى الأدبي الثري الذي حرص مارتن على تقديمه بلغة ظلّت بمنأى عن التعقيد والتكلف وبأسلوب لا يعرف الملل له طريقاً.

كمترجم، كانت قراءة روايات «أغنية الجليد والنار» والمتعة الشديدة التي وجدتها فيها هي الفيصل في اتخاذ قرار ترجمتها إلى العربية، وهذه الترجمة التي بين يديك الآن هي نتاج عمل شهور طويلة مرهقة، لتقديم عالم جورج مارتن المتشابك للقارئ العربي بأفضل شكل ممكن يليق به.

إلى ميلندا



تمهيد

كانت الغابة قد بدأت تكتسي بالظلام من حولهم، عندما قال چارد بالحاح: «يجدر بنا أن نعود طالما أننا وجدنا الهمج موتى». بادّره السير وايمار رويس قائلاً بابتسامة ساخرة خفيفة جداً: «وهل يُجرّدك الموتى من رجولتك؟».

لم يسمَح چارد لنفسه بابتلاع الطّعم. كان كبيراً في السنّ، تجاوزَ الخمسين من عُمره، وكثيراً ما رأى أمثال هذا اللورد الصّغير يأتون ويذهبون، فقال: «الميت ميت وانتهى أمره، لكن لا شأن لنا بالموتى». سأله رويس بهدوء: «وهل هم موتى حقاً؟ هل لدينا دليل على هذا؟». أجاب چارد: «ويل رأيهم، وإذا قال إنهم موتى، فهذا دليل يكفيني». كان ويل يعرف أنهما سوف يجرّانه إلى يقارهما هذا عاجلاً أم آجلاً، وكان يتمنى أن تتأخّر تلك اللحظة، لكنه قال: «أمّي قالت لي إن الموتى لا يستطيعون الغناء».

قال رويس بصوت عالٍ تردّد صده في الغابة التي اصطبغ أفقها باللون الأحمر مع مغيب الشّمس: «ومرّضعتي قالت لي الشّيء نفسه. لا تُصدّق أيّ شيء تسمعه وفمك حول حلمة امرأة يا ويل، فحتى الموتى يُمكنهم أن يُفيدونا بشكل أو بآخر».

قال چارد: «ما زالت أمامنا رحلة عودة طويلة... ثمانية أيام، وربما تسعة... والليل قادم».

رفع السير وإيمار رويس عينيه إلى السماء، وبلهجة لا مبالية قال: «اللَّيْلُ يَأْتِي كُلَّ يَوْمٍ فِي هَذَا الْمَوْعِدِ تَقْرِيْبًا، أَمْ أَنَّ الظَّلَامَ يُخِيفُكَ؟».

كَانَ جَلِيًّا لَوَيْلَ أَنْ جَارِدَ يَضْغَطُ عَلَى أَسْنَانِهِ، وَقَدْ التَمَعَ الْغَضَبُ الْمَكْبُوتُ فِي عَيْنِيهِ تَحْتَ قَلَنْسُوءَ مَعْطَفِهِ الْأَسْوَدَ الثَّقِيلَ. لَقَدْ قَضَى الشَّيْخُ أَرْبَعِينَ عَامًا كَامِلَةً مَعَ حَرَسِ اللَّيْلِ، مِنْذُ التَّحَقُّقِ بِهِمْ وَهُوَ صَبِيٌّ، وَلَمْ يَكُنْ يَرُوقُ لَهُ أَنْ يَسْتَخْفَ بِهِ الْآخَرُونَ. عَلَى أَنَّ الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ يَقْتَصِرُ عَلَى هَذَا فَحَسَبَ، إِذْ رَاوَدَ وَيْلَ إِحْسَاسَ أَنَّ كِبَرِيَاءَ الْعَجُوزِ الْجَرِيحَةِ تُخْفِي تَحْتَهَا شَيْئًا آخَرَ، شَيْئًا يَشْعُرُ بِمَذَاقِهِ فِي الْهَوَاءِ بِالْفِعْلِ، كَأَنَّهُ نَوْعٌ مِنْ تَوَثُّرِ الْأَعْصَابِ يَقِفُ عَلَى شَفِيرِ الْخَوْفِ؛ وَهَذَا فِي حَدِّ ذَاتِهِ يُثِيرُ التَّوَجُّسَ.

كَانَ وَيْلَ يُشَارِكُهُ شَعُورُهُ الْقَلِقُ، فَقَدْ قَضَى عَنْ نَفْسِهِ أَرْبَعَ سِنَوَاتٍ فِي حَرَسِ اللَّيْلِ، وَيَوْمَ أَرْسَلُوهُ وَرَاءَ "الْجِدَارِ" لِلْمَرَّةِ الْأُولَى وَجَدَ الْحِكَايَاتِ الْقَدِيمَةَ كُلِّهَا تَتَدَفَّقُ مِنْ ذَاكِرَتِهِ، وَشَعَرَ بِأَمْعَائِهِ تَتَقَلَّصُ. بَعْدَ ذَلِكَ ضَحَكَ سَاخِرًا مِنْ خَوْفِهِ، أَمَّا الْآنَ فَقَدْ صَارَ جَوًّا لَا مُخَنِّكَأَمَ بِأَكْثَرِ مِنْ مِئَةِ جَوْلَةٍ تَقْصُ وَرَاءَ "الْجِدَارِ"، وَلَمْ تَعُدْ ظُلُمَاتُ الْبَرَارِيِّ -الَّتِي يُطْلِقُ عَلَيْهَا أَهْلُ الْجَنُوبِ اسْمَ "الْغَابَةِ الْمَسْكُونَةِ" - تَحْمِلُ لَهُ أَيَّ خَوْفٍ.

لَمْ تَعُدْ تَحْمِلُ لَهُ أَيَّ خَوْفٍ حَتَّى اللَّيْلَةُ بِالْآخِرَى، فَاللَّيْلَةُ هُنَاكَ شَيْءٌ مَا يَخْتَلِفُ عَنِ الْمَعْتَادِ. كَانَ الظَّلَامُ أَكْثَرَ مِنْ مَجْرَدِ ظِلَامِ اللَّيْلِ الْعَادِيِّ، وَكَانَ يَمُوجُ بِشَيْءٍ مَا جَعَلَ الشُّعِيرَاتِ تَنْتَضِبُ عَلَى مُؤَخَّرَةِ عُنُقِهِ. أَيَّامٌ تِسْعَةٌ مَرَّتْ عَلَى هَذِهِ الْجَوْلَةِ الَّتِي أَخَذَتْهُمْ شِمَالًا ثُمَّ إِلَى الشَّمَالِ الْغَرْبِيِّ، ثُمَّ شِمَالًا مَرَّةً أُخْرَى وَبَعِيدًا عَنْ "الْجِدَارِ" أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ، قَضَوْهَا فِي اقْتِفَاءِ آثَارِ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُغِيرِينَ الْهَمَجِ، وَكُلَّ يَوْمٍ أَصْعَبُ مِنْ سَابِقِهِ، أَمَّا الْيَوْمُ فَالْأَسْوَأُ عَلَى الْإِطْلَاقِ، فَالرَّيَّاحُ الْبَارِدَةُ تَهْبُطُ مِنَ الشَّمَالِ وَتَجْعَلُ حَفِيفَ الْأَشْجَارِ كَأَنَّهُ حَرَكَةُ عَشْرَاتِ الْكَائِنَاتِ، وَصَاحِبَ وَيْلَ طَوَالَ الْيَوْمِ شَعُورَ أَنَّ ثَمَّةَ شَيْئًا مَا يُرَاقِبُهُ، شَيْئًا بَارِدًا قَاسِيًا لَا يُكِنُّ لَهُ أَيَّ مَوَدَّةٍ.

چارد أيضًا راوَدَه الشُّعور نفسه، بينما لم يرغب ويل في شيء في تلك اللحظة أكثر من أن ينطلق عائداً بأقصى سرعته إلى أمان "الجدار"، لكن لم يكن من الجائز طبعاً أن تُعبّر عن رغبة كهذه لقائلك. خصوصاً إذا كان قائدك هو هذا الرجل.

كان السير وايمار رويس أصغر أبناء عائلة قديمة أنجبت خطأ طويلاً من الورثة، شاباً وسيماً في الثامنة عشر من عمره، رشيماً نحيفاً كسكين، وله عينان رماديتان. ارتقى الفارس على صهوة جواده الأسود الضخم فوق ويل وچارد اللذين امتطيا حصانين أصغر حجماً، وقد ارتدى حذاءً جلدياً أسود طویل العنق، وسروالاً أسود من الصُوف، وقفازين أسودين من فرو الخلد، مع معطفٍ أنيق من الحلقات المعدنية السوداء اللامعة فوق طبقاتٍ وطبقاتٍ من الصُوف والجلد الذي تَمَّت تقويته بالزيت المغلي. كان السير وايمار أخاً تحت القسم في حرس الليل منذ ما لا يزيد على نصف العام، لكن لا أحد يُمكنه أن يزعم لم يكن مستعداً لهذا العمل، من ناحية ملائمة ملابسه له على الأقل. كان معطفه المصنوع من جلد السَّمُور مصدر فخره الأكبر، فهو أسود سميك وشديد النعومة. كان چارد قد قال عنه لرفاقه في حرس الليل ذات مرّة وهم يحسّون النيذ: «أراهن أن مُحاربينا العظيم قتلهم جميعاً بنفسه. أراهن أنه كسر أعناقهم الصغيرة»، وانفجر الجميع ضاحكين.

خطر لويل وهو جالسٌ يرتجف على حصانه أن من الصعب أن تتلقّى الأوامر من رجل ضحكت منه وأنت تَمِل، ولا بُد أن الخطر ذاته كان يُراود چارد الشَّيخ الذي قال: «مورمونت قال أن نقتفي أثرهم، ولقد فعلنا. إنهم موتى ولن يُزعجوننا ثانية أبداً. ما زالت أمامنا رحلة طويلة، وهذا الطقس لا يروق لي. إذا سقط الثلج فلن نستطيع العودة قبل أسبوعين على الأقل، ولتَمَنَّ أن يَقتَصِر الأمر على سقوط الثلج فحسب. هل سبق أن رأيت عاصفة ثلجية يا سيدي؟».

لم يبدُ على الفارس أنه سمعه، بل تفحّص أضواء الشفق بطريقته نصف الملول نصف الحائرة المعتادة، وقد سبق لويل الخروج معه في عددٍ من الجولات كان كافياً لأن يعرف أن من الأفضل ألا يُقاطعه وعلى وجهه هذا التعبير. «ويل، أخبرني بما رأيته مرّة أخرى. جميع التفاصيل. لا تغفل أيّ شيء».

كان ويل صياداً قبل أن يلتحق بحرس الليل، أو أنه كان يسرق الصيد بالأحرى، ثم ألقى خيالة آل ماليستر القبض عليه مُتلبساً ذات يوم وهو يسلّخ وعلاً مملوكاً لآل ماليستر في غابة آل ماليستر نفسها، فصار أمامه خيارٌ من اثنين: إمّا أن يرتدي أسودَ حرس الليل أو تُقطع يده. لا أحد يستطيع الحركة في الغابة بهدوء ويل، ولم يمضِ وقت طويل قبل أن يكتشف الإخوة السود موهبته هذه. أجاب سؤال السير وايمار قائلاً: «المخيّم على بُعد ميلين، وراء سياج الأشجار هذا وعلى ضفة جدول. لقد اقتربتُ قدر المستطاع ورأيتُ ثمانية منهم، رجالاً ونساء، وإن لم أرَ أيّ أطفال. المخيّم منصوب إلى جوار المنحدر الذي كان الثلج قد غطّاه إلى حدٍ كبير، لكنني لاحظته. لا توجد نار مشتعلة، لكن حفرة النار كانت ظاهرة تماماً. لقد راقبتُ المكان لفترة طويلة، لكن لا أحد منهم تحرّك. ليس هناك إنسان حي يُمكنه أن يستلقي بذلك الثبات أبداً».

- «هل رأيت أيّ دماء؟».

- «كلا».

- «هل رأيت أيّ أسلحة؟».

- «بضعة سيوف وأقواس، ورأيتُ بلطة مع واحدٍ منهم، ثقيلة كما أوحى شكلها، ومزدوجة النصل، قطعة قاسية من الحديد في الحقيقة. كانت على الأرض إلى جوار يده مباشرة».

- «وهل لاحظت أوضاع الجثث؟».

هَزَّ وِيلَ كَتْفَيْهِ مَجِيئًا: «اثنان كانا مرتكبين على الصخرة. معظمهم كان على الأرض، فلا بُدَّ أنهم صرعى».

- «أو أنهم كانوا نائمين».

قال وِيلَ بإصرار: «بل صرعى. كانت هناك امرأة نصف متوارية بين الفروع، خفية»، وأضاف بابتسامة صغيرة: «تأكّدتُ من أنها لم تَرْنِي، لكن عندما اقتربتُ منها رأيتُ أنها لا تتحرّك أصلًا». قالها وارتجف جسده رغماً عنه.

سأله رويس: «هل تشعُر بالبرد؟».

غمغم وِيلَ: «بعض الشيء. إنها الرّيح يا سيّدي».

كانت أوراق الأشجار المكسوة بالصقيع تتساقط وتهمس وراءهم، وتُحرّك جواد رويس بتوتّر والفارس يلتفت إلى جُنْدِيّهِ الأشيب ويسأله بلهجة جعلها عادية: «چارّد، ما الذي قتلهم في رأيك؟»، ثم عدّل وضع معطفه الطويل.

أجاب چارّد بثقة من حديد: «إنه البرد. لقد رأيتُ رجالاً يتجمّدون حتى الموت الشّتاء الماضي، والشّتاء الذي قبله، عندما كنتُ نصف غلام. الجميع يتكلّمون عن ثُلُوج عمقها أربعون قدماً، وكيف تأتي الرّيح الجليديّة تعوي من الشّمال، لكن العَدُوّ الحقيقي هو البرد. إنه يتسلّل إليك بهدوء متناهٍ يتفوّق فيه على وِيلَ نفسه، وفي البداية يرتجف جسدك وتصطك أسنانك، وتَدُقُّ بقدميك على الأرض وأنت تحلُم بالنّبيذ المتبلّ ودفع النار. إنه يُحرق... يُحرق... لا شيء يُحرق كالبرد... لكن لقليل من الوقت فقط، لأنه يتسرّب إليك من الدّاخل بعدها ويملأك، وبعد فترة قصيرة لن تجد في نفسك إرادة لمقاومته. من الأسهل عندها أن تجلس في مكانك أو تخذل إلى النّوم. يقولون إنك لا تشعُر بأيّ ألم نحو النّهاية، بل تشعُر بالضعف والدّوار أولاً، ثم يبدأ كلّ شيء في التّلاشي من أمام عينيك. ثم إنك تشعُر كأنك تغوص في بحرٍ من الحليب الدّافئ ويُفعمك الشّعور بالسّلام».

قال السير وايمار: «أحبُّ فصاحتك يا چارد. لم أعرف قطُّ أنك تستطيع الكلام هكذا».

- «أنا أيضًا شعرتُ بالبرد في داخلي أيها اللورد الصغير»، قال چارد وأنزلَ قلنسوته ليُلقي السير وايمار نظرةً طويلةً فاحصةً على أذنيه اللتين لم تعودا هناك. «أذنان وثلاثة أصابع قدم وخنصر يدي اليسرى. كنتُ محظوظًا، لأننا عثرنا على أخي وقد تجمَّد في مكانه أثناء ورديته، وكان مبتسمًا».

هزَّ السير وايمار رأسه قائلاً بتهكُّم: «يجدرُ بك أن ترتدي ملابس أثقل».

حدَّق چارد غاضبًا في الفارس وقد تورَّدت الندوب حول الثقبين اللذين تبقيًا من أذنيه بعد أن قطعهما المايستر إيمون، وقال: «سنرى كيف تمنحك ملابسك الثقيلة الدَّفء عندما يأتي الشتاء»، وعادَ يرفع قلنسوته على رأسه، وانحنى فوق حصانه بصميتٍ عابس.

قال ويل: «طالما قال چارد إن البرد هو الذي...».

قاطعهُ رويس بقوله: «ويل، هل خرجت في أيِّ جولات الأسبوع الماضي؟».

- «نعم يا سيدي».

لم يكن أسبوع واحد يمرُّ دون أن يخرج ويل في عشر جولاتٍ لعينه على الأقل، فما الذي يرمي إليه هذا الرجل بالضبط؟
- «وكيف كان "الجدار"؟».

أجاب ويل عاقداً حاجبيه وقد أدرك ما يعينه الفارس الصغير بسؤاله: «كان يقطر. ليس من الممكن أن الهمج تجمَّدوا إذن، ليس عندما يقطر "الجدار"، فالجوُّ لم يكن باردًا بما فيه الكفاية».

أوما رويس موافقًا، وقال بابتسامةٍ واثقة: «ولدٌ ذكي. نعم، كانت هناك موجات خفيفة من الصقيع الأسبوع الماضي، وتساقط الثلج بين الحين

والآخر، لكن الجوّ لم يكن بالتأكيد بالبرودة الكافية لقتل ثمانية رجال بالغين، ثمانية رجال -دعني أذكرك- متدنّرين بالفرو والجلد، على مقربة من ملجئهم، ولديهم وسيلة لإشعال النار كذلك. ويل، قدنا إلى مكانهم. أريد أن أرى هؤلاء الموتى بنفسي».

وعندها لم يَعدْ هناك مجال للجدل، فقد أعطى الفارس الأمر، وأصول الشرف تُرغم الآخرين على الطاعة.

تقدّم ويل الطريق وحصانه الأشعث الصغير يَشُقُّ طريقه بحذرٍ وسط الأرض المكسوة بطبقةٍ من الأبيض. كان ثلج خفيف قد تساقطَ الليلة السابقة، وهناك حجارة وجذور وحُفر غير مرئية تتوارى منتظرة ابتلاع الطائشين والغافلين. تحرّك السير وإيمار رويس وراء ويل وقد أخذ جواده الأسود الضخم يصهل بتوتّر. كان الجواد الحربي غير صالح بالمرّة لهذه الجولات، لكن حاول أن تقول ذلك للورد الصغير. ثم جاءَ چارد في المؤخرة وقد أخذَ يَدْمِدِم متدّمراً نفسه وهو يتحرّك بحصانه.

صارَ الغسق أثقل، وتلوّنت السماء بلونٍ أرجوانيٍّ عميق، لون الكدمات القديمة، ثم أخذَ الأسود ينتشر فيها. بدأت النجوم تتجلّى وارتفع القمر هلالاً، ما أشعر ويل بالامتنان لوجود ولو بصيص من الضوء. قال رويس عندما استقرَّ القمر في السماء: «يُمكننا التحرك بسرعة أكبر بالتأكيد، أليس كذلك؟».

رَدَّ ويل بحدّة وقد أصابه الخوف باللامبالاة: «ليس بهذا الحصان، لكن هل يرغب سيدي في قيادة الطريق؟».

لم يُعلّق السير وإيمار رويس على إجابة ويل.

وفي مكانٍ ما في الغابة تعالَى عواء ذئب.

توقّف ويل بحصانه تحت شجرةٍ صُلب⁽¹⁾ عتيقة متشابكة الأغصان وترجّل، فسأله رويس: «لماذا توقّفنا؟».

(1) نوع أشجار من ابتكار المؤلف.

- «من الأفضل أن نقطع بقية الطريق سيرًا على الأقدام يا سيدي.
المكان يقع وراء هذه الأشجار مباشرة».

صمتَ رويس للحظة وتطلعَ أمامه وقد بدت على وجهه أمارات
التفكير. كانت الريح الباردة تهمس بين الأشجار، وتُحرِّك معطفه الثقيل
الثمين وراء ظهره كأنه كائن نصف حي.

تمتمَ چارد: «ثمة شيء ما على غير ما يُرام هنا».
رمقه الفارس الشاب باسماً، وقال بازدياء: «حقاً؟».

سأله العجوز: «ألا تشعر به؟ اصغ إلى الظلام».
كان ويل يشعر به فعلاً. أربعة أعوام قضاها في حرس الليل لم يشعر
فيها بخوف كهذا قط. ماذا هناك بالضبط؟

- «لا أسمع إلا الرياح وحفيف الأشجار وعواء ذئب، فأني هذه
الأصوات يُخيفك إلى هذه الدرجة؟».

عندما لم يُجب چارد، ترجّل رويس عن جواده برشاقة، ثم ربطه
بعناية إلى فرع شجرة واطمأ بعداً عن الحصانين الآخرين، وسحب سيفه
الطويل من غمده، فتألفت الجواهر التي رصّعت المقبض، وانعكس
ضوء القمر على الفولاذ اللامع. كان سلاحاً رائعاً بالفعل، مطروحاً في
قلعة^(١)، ويشي شكله بأنه ما زال جديداً، ما جعل ويل يرتاب في أن هذا
السيف قد استخدم في أيّ نزالٍ من قبل.

قال ويل مُحذراً: «الأشجار تشابك بشدة هنا، وسيُعيقك السيف عن
الحركة. يحسن أن تستخدم سكيناً».

ردَّ القائد الشاب: «إذا احتجت تعليماتك سأطلبها منك. چارد،
احرس الخيول».

(١) في عالم الرواية تُعدّ الأسلحة المطروقة في قلعة، وليس في ورشة تقليدية، الأفضل على الإطلاق.

ترجل چارد قائلاً: «يجب أن نُشعل نارًا. سأتولّى هذا».
 - «هل أنت أحمق أيها العجوز؟ إذا كان هناك أعداء ما في الغابة،
 فالنّار هي آخر ما نحتاجه».
 - «ثمّة نوع من الأعداء تُبعده النّار. الذّبية والذّئاب الرّهيبية⁽¹⁾ و...
 وأشياء أخرى».

استحالَ فم السير وايمار إلى خطّ رفيع وهو يقول بقسوة: «لا نار».
 كانت قلنسوة العجوز تُظلل وجهه، لكن ويل استطاع أن يرى اللّمة
 الغاضبة في عينه وهو يرمق الفارس. للحظة خشي ويل أن يستلّ العجوز
 سيفه، وقد كان شيئًا قصيرًا قبيحًا لائح لون مقبضه بفعل العرق، وتشوّهت
 حافّته من الاستخدام العنيف، لكن ويل لم يكن ليرى فرصة لنجاة اللورد
 الصغير لو كان چارد قد سحب سيفه من غمده فعلاً.

ثم إن چارد خفض عينيه أخيرًا، وبصوتٍ خافتٍ غمغم: «لا نار».
 اعتبر رويس هذا إذعانًا من العجوز، فالتفت إلى ويل قائلاً: «قد
 الطريق».

سَقَّ ويل الطريق بحذرٍ عبر دغلٍ كثيف، ثم بدأ يصعد المنحدر نحو
 سياج الأشجار المنخفض، حيث وجد نقطة مراقبة مُناسِية تحت واحدة
 من أشجار الحارس⁽²⁾. كانت الأرض تحت قشرة الجليد الرقيقة مبتلةً
 موحلةً يسهل الانزلاق عليها، وملينة بالصّخور والجذور المتوارية التي
 تنتظر أن تتعرّض فيها. لم يُصدر ويل صوتًا وهو يتسلّق، ومن ورائه كان
 يسمع حفيف أوراق الشجر مُمتزجًا بالصّوت المعدني الخافت الذي
 يصدر عن درع اللورد الصّغير، وسمعه يُطلق سبّةً والأفرع الطويلة تعوق
 حركة سيفه الطويل وتشتبك بمعطفه الأسود الفاخر.

كانت شجرة الحارس الضّخمة هناك عند قَمّة سياج الأشجار، في
 المكان الذي قال ويل إنها ستكون فيه، وأدنى أفرعها يتدلى على بُعد قدمٍ

(1) الذّئب الرّهيب حيوان حقيقي منقرض كان يقطن الأمريكتين قبل عشرة آلاف سنة.

(2) نوع أشجار من ابتكار المؤلف.

واحد لا أكثر من الأرض. انزلق ويل زاحفاً على بطنه في الثلج والرحل تحت الأفرع الواطئة، وتطلع إلى البقعة الخاوية أسفله. وتوقف قلبه عن النبض في صدره، وللحظة لم يجرؤ على التنفس. تألق ضوء القمر على رُقعة الأرض الفضاء، بما فيها من الرماد المتخلف عن حفرة النار والمنحدر المغطي بالجليد والصخرة الضخمة والجدول الصغير نصف المتجمد. كان كل شيء كما تركه بالضبط منذ ساعات قليلة.

فيما عدا أن الجثث كلها اختفت.

سمع صوتاً من ورائه يقول: «بحق الآلهة!»، ورأى سيفاً يقطع غصناً إذ وصل السير وايمار رويس إلى حافة سياج الأشجار. وقف هناك إلى جوار شجرة الحارس وسيفه الطويل في يده ومعطفه يطير متفحاً وراءه يفعل الرياح، وقد حدده ضوء النجوم على نحو مليء بالنبل فبدا مهيباً. همس ويل بلهفة: «انخفض! شيء ما على غير ما يرام هنا». لم يتحرك رويس من مكانه، بل تطلع إلى الأرض الخالية وانفجر ضاحكاً، ثم قال هازئاً: «يبدو أن موتاك قرروا نقل مخيمهم إلى مكان آخر».

تخلّى صوت ويل عنه، وكافح للعثور على كلمات لم تأت. إن ما يحدث غير ممكن بكل المقاييس. أخذت عيناه تمسحان مكان المخيم المهجور من اليمين إلى اليسار، قبل أن تتوقفاً عند البلطة، بلطة الحرب الضخمة مزدوجة النصل التي ما زالت ملقاة هناك حيث رآها من قبل ولم يمسسها أحد... سلاح قيم حقاً.

قال السير وايمار أمراً: «انهض يا ويل. لا يوجد أحد هنا، ولن أتركك تتواري تحت شجرة».

أطاع ويل الأمر على مضض، بينما رمقه السير وايمار بإمعان وعلى وجهه نظرة غير راضية، وقال: «لن أعود إلى القلعة السوداء أجرة أذيال

الفشل في أول جولة لي. سوف نَعَثُرُ على هؤلاء الرجال، مفهوم؟»، ثم تطلّع حوله وأضاف: «تسلّق الشجرة، هيا بسرعة، وابحث عن نار».

ابتعدَ ويل دون أن يُعلّق، فلم تكن هناك فائدة من الجدل. كانت الرّيح تتحرّك وتنفذ من مسامته. اتّجه إلى شجرة الحارس الضّخمة ذات الأفرع المُقنطَرة واللّونين الأخضر والرّمادي وبدأ يتسلّق، ولم يمضِ وقت طويل قبل أن يُغطّي النّسغ اللّزج يديه ويغيب بين الأشواك. ملأ الخوف أحشاه كوجبة لم يستطع أن يهضمها، وهمسَ بصلواتٍ لآلهة الغابة التي لا تُعرَف لها أسماء، وأخرجَ خنجره الطّويل من غمده ووضعَه بين صَفِيّ أسنانه كي تظللَ يدها حُرَتين للتسلّق، فَبَثَّ إحساس الحديد البارد في فمه شعورًا بالاطمئنان.

ثم سمعَ الفارس الشاب يصبح في الأسفل مُناديًا: «من هناك؟». أحسَّ ويل بتردّدٍ في الصّيحة، فتوقّف عن التسلّق وأرهفَ سمعه وبصره. أعطت الغابة الإجابة... حفيف أوراق الشّجر، وتدفّق الجدول الثّلجي، ونعيب بومةٍ من بعيد.

ولم يُصدِر "الأخرون" صوتًا.

برُكنَ عينه رأى ويل حركةً ما، أشياء شاحبة تنسلُّ عبر الغابة. أدار رأسه فلمَحَ ظلًّا أبيض في الظّلام سرعان ما اختفى. تحرّكت الفروع بنعومة مع الرّيح خادشة بعضها بعضًا بأصابع من خشب، وفتحَ ويل فمه ليصبح محدّرًا، لكن الكلمات تجمّدت في حلقه. لعلّه مخطئ، لعلّه مجرد طائر، أو انعكاس على الثّلج، أو خدعة ضوئية ما من القمر، فما الذي رآه أصلًا؟ أناه صوت السير وايمار يُنادي قائلًا: «ويل، أين أنت؟ هل ترى أيّ شيء؟». كان يدور حول نفسه في دائرة بيّطٍ وانتباهٍ مفاجئٍ وسيفه في يده. لا بُدَّ أنه شعرَ بهم كما شعرَ بهم ويل، لكن لم يكن هناك ما يُرى. «أجيني! لماذا اشتدَّ البرد هكذا؟».

كانت البرودة قد صارت أشدَّ بالفعل، وتشبّثَ ويل أكثر بمجشمه وهو

يرتجف، وقد ضغطَ وجهه بقوة في جذع شجرة الحارس، وشعرَ بالنسغ الحلو اللزج على وجنته.

ثم انشَقَّ ظلام الغابة عن ظلٍّ ليقف أمام السير وايمار مباشرةً. طويلًا كان، وهزيلًا وقاسيًا كالعظام القديمة، لحمه شاحب كالحليب. بدا أن لون درعه يتغير مع حركته؛ هنا أبيض كالثلج الطازج وهناك أسود كالظلال، وفي كل بقعة مرقط بأخضر ورمادي الأشجار. كانت النقوش تسري على درعه كنور القمر على سطح الماء مع كل خطوة يخطوها. وسمعَ ويل أنفاس السير وايمار رويس تفرُّ من جسده في هسيس طويل.

- «لا تقترب أكثر»، قال الفارس الشاب مُحذِّرًا بصوت مشروخ كصوت صبيٍّ صغير، وألقى المعطف الأسود الطويل فوق كتفيه ليحرِّر ذراعيه للقتال، وأطبَقَ على سيفه بكلتا يديه. كانت الرِّيح قد سكنت تمامًا وصارت البرودة قاسيةً بحق.

انسَلَّ "الآخر" إلى الأمام بخطواتٍ صامتة، وفي يده سيف طويل ليس كشيءٍ رآه ويل من قبل قط. هذا السِّيف لم يُطرق من أيِّ معدنٍ بشري. كان ينبض بنور القمر، شبه شفاف، كسرة من البلُّور شديدة الرِّقَّة تكاد تتوارى عن الأنظار إذا نظرت إليها رأسًا. كان ثَمَّة وميض أزرقٍ خافت، ضوء شبحي يتراقص حول الحواف، وبشكلٍ ما عرفَ ويل أنه أمضى من أيِّ نصل.

واجهه السير وايمار بشجاعةٍ قائلًا: «لنرقص معًا إذن»، ورفع سيفه عاليًا فوق رأسه بتحدٍّ. ارتجفت يداه من ثقل السِّيف، أو ربما من البرد، وإن خطرَ لويل في تلك اللحظة أنه لم يعدَّ صبيًّا، بل صارَ واحدًا من رجال حرس الليل.

توقَّف "الآخر"، ورأى ويل عينيه. كانتا ذات لونٍ أزرقٍ شديد العمق يحرق كالجليد، أعمق وأكثر زُرقةً من أيِّ عينٍ بشرية، وقد ثبتت نظراتهما

على السيف الطويل الذي يرتفع مرتجفاً في يد صاحبه، وراقبتا نور القمر البارد يجري على المعدن، وللحظة جرؤ ويل على الأمل.

خَرَجُوا بصمتٍ من قلب الظلال... اثنان في البداية... ثلاثة... أربعة... خمسة... قد يكون السير وإيمار قد شعرَ بالبرد الذي جاءَ معهم، لكن المؤكَّد أنه لم يَرَهُم أو يَسْمَعَهُم. كان ينبغي على ويل أن يُطلقَ صيحة تحذير. كان هذا واجبه... وهلاكه إذا فعلها. هكذا ارتجفَ واحتضنَ الشجرة ولاذَّ بالصَّمَتِ.

وشقَّ السيف الشَّاحِبَ الهواءَ.

قابله السير وإيمار بفولاذه، وعندما التقى النَّصْلان لم يتردَّد رنين اصطدام المعدن بالمعدن، بل مجرد صوتٍ مرتفع رفيع عند حافة السَّمْع، كصرخة حيوانٍ يتألَّم. صدَّ رويس ضربةً ثانيةً، ثم الثالثة، ثم تراجعَ خطوة. سلسلة أخرى من الضربات، ثم تراجعَ من جديد. من ورائه، إلى يمينه، إلى يساره، من كلِّ مكانٍ حوله، وقفَ المُراقِبون بصبرٍ صامت، وجوههم بلا معالم، تبدَّلَ النقوش على دروعهم فتجعلهم أبرز شيءٍ في هذه الغابة، لكنهم لم يُحاولوا التدخل.

مرَّةً أخرى وأخرى التقى السيفان، إلى أن أحسَّ ويل بأنه يُريد أن يُغطِّي أذنيه ليقبهما صوت الاصدام الحاد الشَّبيه بالعويل. كان السير وإيمار يلهث من جرَّاء المجهود الآن، وأنفاسه تَخْرُجُ في شكل بُخارٍ ساخنٍ في نور القمر، واكتسى سيفه بالصَّقيع الأبيض بينما رقص ضوء أزرق على سيف "الآخر".

ثم تأخَّرت حركة رويس الدِّفاعيَّة لحظةً واحدةً، فشقَّ السيف الشَّاحِبَ الحلقات المعدنيَّة تحت ذراعه، وأطلقَ اللورد الشَّاب صرخةً مفعمةً بالألم. انبجسَ الدَّم الساخن من بين الحلقات ليَخْرُجَ بخاره في البرد، وبدت القطرات حمراء كاللَّهب وهي تَقَطُّرُ على الثلج. مسح السير وإيمار جانبيه بيده، ورأى القُفَّاز المصنوع من فرو الخُلد غارقاً في الأحمر القاني.

بصوتٍ كتشقق الجليد على سطح بحيرة شتوية قال "الآخر" شيئاً بلغةٍ
يجهلها ويل، وكانت كلماته ساخرة.

وعثر السير وايمار رويس على الغضبة التي كان يحتاجها، فصاح:
«لأجل روبرت!»، واندفع مزمجرًا رافعًا السيف الطويل المكسوء بالصقيع
بيديه، وهوى به بضربة جانبية وضع ثقله كله وراءها، فتراجع "الآخر"
بحركة تكاد تكون كسولاً.

وعندما تلاقى النصلان تحطم الصلب.

ترددت صرخة في ليل الغابة، وتشظى السيف الطويل إلى مئة قطعة
مشوهة، وتناثرت الشظايا كأمطارٍ من الإبر الحادة. هوى رويس على
رُكبتيه متأوِّهاً وغطى عينيه، وانبتق الدَّم من بين أصابعه.

تقدَّم المراقبون إلى الأمام معاً كأنهم تلقوا إشارة ما، وارتفعت
السُّيوف وهوت بصمتٍ مميت. كانت مجزرة باردة اخترقت فيها النصال
دِرع الحلقات المعدنية كأنها من الحرير. أغلق ويل عينيه، ومن بعيد في
الأسفل سمع أصواتهم التي تلفظ بلغة حادة كسكاكينٍ من جليد.

كان وقتاً طويلاً قد انقضى عندما وجدَ شجاعة تكفي لأن ينظر ثانية،
وفي الأسفل كان المكان خاوياً.

ظَلَّ على الشجرة يكاد لا يجرؤ على التقاط أنفاسه، بينما زحفَ
القمر بتؤدة في السماء السوداء، قبل أن يستسلم أخيراً للتشنجات
التي أصابت جسده والخدر الذي سرى في أصابعه، ويبدأ النزول.
كان المعطف الأسود السميك قد شقَّ في غير موضع، والآن وهو يراه
وقد سقط ميتاً هكذا أدرك ويل كم كان السير وايمار صغيراً، أنه كان
مجرد صبي.

عثر على ما تبقى من السيف على بُعد بضعة أقدام، وقد تشقق طرفه
والتوى كشجرة ضربها البرق. انحنى ويل ونظر حوله بحذرٍ والتقطه.
سيكون السيف المكسور دليلاً كافياً. سيستتج چارد شيئاً منه، وإن لم

يكن هو فالدُّب العجوز مورمونت أو المَباستر إيمون لا شكَّ. عليه أن
 يُسرِع. هل ما زال چارد ينتظر مع الخيول؟
 نهَضَ ويل، وأمامه كان السير وإيمار رويس على قدميه.
 ملابسه الثَّمينة كانت خرقَةً باليةً، ووجهه خراباً، وفي بياض بؤبؤ عينه
 اليُسرى الأعمى انغرست شظية من سيفه.
 وكانت العين اليُمْنى مفتوحة... تتقد بالأزرق... وترى.
 سقط السَّيف المكسور من أصابع ما عادت فيها أعصاب، وأغلق ويل
 عينه ليردّد صلواته، بينما مسّت يدان طويلتان ناعمتان وجنته، قبل أن
 تُطبقا على عنقه. كانتا مكسوَّتين بنوعٍ فاخِرٍ من فرو الخلد وملطَّختين
 بالدماء، لكن لمستهما باردة كالثلج.



بران

بزغ النَّهار صافيًا باردًا، مع شيءٍ من الجفاف في الجَوِّ يشي بدُنُوِّ نهاية الصَّيف. كانت المجموعة التي تضمُّ عشرينًا منهم قد تحرَّكت مع مطلع الفجر، ليكونوا شاهدين على إعدام رجلٍ بضرب عنقه، وركبَ بران معهم وكله حماسة جعلته يكاد لا يطيق الثَّبات في مكانه. إنها المرَّة الأولى التي يتمُّ اعتباره فيها كبيرًا بما يكفي لأن يذهب مع السيِّد والده وأخويه ليشهد تنفيذ عدالة المَلِك. كان العام التاسع من الصَّيف، والسَّابع من حياة بران. كان الرَّجل قد سيقَ إلى معقلٍ صغيرٍ في التَّلال. قال روب إنه من الهمج، أحد من أقسموا بسيفهم لمانس رايدر مَلِك ما وراء الجِدار، ما جعل الشُّعيرات تنتصب على ساعد بران، وتذكَّر الحكايات القديمة التي ترويها لهم العجوز نان عندما يجتمعون حول نار المستوفد، وتحكي فتقول إن الهمج قومٌ قساة، نخَّاسون وقتلة ولصوص، يُعاشرون العمالقة والغيلان، ويسرقون الفتيات الصَّغيرات في جوف اللَّيل، ويشربون الدَّم من قرونٍ مصقولة. تقول الحكايات إن نساءهم جامعن "الأخرين" أثناء اللَّيل الطويل ليُنَجِّنَ ذُرِّيَّةً من الأطفال أنصاف البَشَر بشعي الخَلقة.

لكن الرَّجل الذي وجدوه مقيَّدًا من يديه وقدميه إلى سور المعقل الخارجي كان مُسنًّا هزيلًا، لا يزيد طولًا عن روب بكثير. كانت قضة الصَّقيع قد اقتنصت أذنيه وأحد أصابعه، وكان يرتدي الأسود من قَمَّة

رأسه حتى أخمص قدميه ككل الإخوة في حرس الليل، فيما عدا أن فرو ثيابه كان ممزقاً وملطخاً بالشحوم.

خرج البخار كثيفاً مع أنفاس الرجال والخيول على حد سواء في هواء الصباح البارد، وأمر السيد والده بأن تُقَطَّع الحبال التي تُقَيِّد الرجل وأن يُجَرَّ إليه. جلس كل من روب وچون ثابتين بقامتيهما الطويلتين على متن حصانيهما، وبران بينهما على حصانه القزم يُحاول أن يبدو أكبر عُمرًا من السابعة، يُحاول أن يتظاهر بأنه رأى كل هذا من قبل. كانت رياح خفيفة تهبُّ من بوابة المعقل، وفوق رؤوسهم خفقت راية آل ستارك أبناء وينترفيل، التي تُصوِّر ذئبًا رهيبًا رمادي اللون يركض في حقل أبيض كالثلج.

جلس أبو بران بوقاره المعتاد على حصانه وخصلات شعره البني الطويل تتحرك مع الرياح. كان الشيب قد وخط لحيته المشدَّبة بعناية، ليجعله يبدو أكبر من سنوات عُمره الخمس وثلاثين. تصدَّرت نظرة متجهمة عينيه اليوم، ولم يبدُ على الإطلاق كالرجل الذي اعتاد على الجلوس أمام النار في المساء والكلام بهدوء عن عصر الأبطال وأطفال الغابة. رأى بران أنه خلَعَ وجه الأب ووضع وجه اللورد ستارك سيد وينترفيل.

أُسئِلَةُ أُلقيَتْ وإجاباتٌ أُعطيَتْ في برد الصباح، لكن فيما بعد لم يستطع بران أن يتذكَّر الكثير مما قيل. في النهاية أعطى السيد والده أمرًا، فجَرَّ اثنان من حرسه الرجل المهزول إلى جذع شجرة الصُلب المقطوع في منتصف السَّاحة، ودفعوا رأسه إلى أسفل ليستقرَّ على الخشب الأسود القاسي، ثم ترجَّل اللورد إدارد ستارك وجاءه تابعه الشَّخصي ثيون جرايچوي بسيفه. كان السَّيف -الذي أطلقَ عليه أبوه اسم "جليد"- عريضًا كيد رجل وأطول من روب نفسه، النَّصل من الفولاذ القاليري المطروق بالتَّمائم القديمة وداكن اللون كالذُّخَان. لا شيء في العالم أمضى من الفولاذ القاليري.

خلَعَ أبوه قفازيه وناولهما لچوري كاسل قائد حرس أهل بيته، ثم أَطبَقَ

على السيف بكلتا يديه وقال: «باسم روبرت الأول سليل عائلة باراثيون، ملك الأندالين والروينار والبشر الأوائل، سيد الممالك السبع وحامي البلاد، بأمر إدارد سليل عائلة ستارك، سيد ويترفل وحاكم الشمال، أحكم عليك بالموت»، ورفع سيفه العظيم عاليًا فوق رأسه.

اقترَب أخو بران غير الشقيق چون سنو منه أكثر، وهمس: «أبق حصانك تحت السيطرة، ولا تُشع بنظرك. أبونا سيعرف لو فعلت».

أحكم بران سيطرته على حصانه القزم ولم يُبعد ناظره.

بتر أبوه رأس الرجل بضربة واحدة وثيقة، وتناثرت الدماء على الجليد حمراء كالنبذ الصيفي، وتراجع أحد الخيول رافعًا قائمته الأماميتين، واضطرَّ الرجال لتقيده كي لا يفر. لم يستطع بران أن يُبعد بصره عن الدم الذي أخذ الجليد المحيط بجذع الشجرة المقطوع يتشربه بنهم، ليتشر فيه الأحمر بسرعة أمام عيني بران. ارتطم الرأس المبتور بجذر نبات سميك بارز من الأرض وارتدَّ متدحرجًا بالقرب من قدمي جرايچوي. كان ثيون شابًا أسمر نحيلًا في التاسعة عشر من عُمره يجد تسليّة في كل شيء، فضحك ووضع قدمه على الرأس ثم ركله بعيدًا.

- «أحمق!»، تمتم چون بصوت خفيض كي لا يسمعه جرايچوي، ووضع يده على كتف بران الذي التفّت رافعًا أخاه غير الشقيق وهو يقول برزانة: «أحسنّت». كان چون في الرابعة عشر من العمر، وكثيرًا ما شهد تنفيذ العدالة.

بدا الجوّ أكثر برودةً خلال طريق العودة الطويل إلى ويترفل، على الرغم من أن الرّيح كانت قد هدأت وارتفعت الشمس في السماء. ركَب بران مع أخويه ليسبقوا المجموعة بمسافة طويلة، وحصانه القزم يُكافح لمُجاراة سرعة الحصانين الآخرين.

قال روب: «المتهرَّب مات بكرامته». كان طويل القامة ذا منكبين عريضين وينمو يومًا بعد يوم، تتجلى فيه قسمات أمّه، البشرة البيضاء

والشعر الكستنائي والعيانان الزرقاوان، تلك الملامح التي تُميّز آل تلي أبناء ريفرزن. «كان يتحلّى بالشجاعة على الأقل».

قال چون سنو بهدوء: «لا، لم تكن شجاعة. لقد مات من الخوف. كان هذا واضحًا في عينيه يا ستارك». كانت عينا چون رماديتين داكنتين جدًا لدرجة جعلتهما أقرب إلى السواد، ولا يفوتهما الكثير. كان في مثل عُمر روب، لكن لا تشابه كان يجمعهما، فچون نحيل بينما روب مفتول العضلات، كتيب الملامح بينما روب بهيئة الطلعة، رشيق خفيف الحركة بينما أخوه غير الشقيق قويّ سريع.

لم يتأثر روب بكلام چون، وقال ساخرًا: «فليأخذ "الأخرون" عينيه! لقد مات ميتة جيّدة... هل تُسابقني إلى الجسر؟».

- «لك هذا»، قال چون وهو يهمز حصانه ليندفع إلى الأمام، فزَعَّ روب مُطلقًا سُبَّةً وانطلق الاثنان على الطريق، روب يضحك ويصيح وچون صامت ومتبته، ونثرت حوافر حصانتهما وابلاً من الثلج وهما ينطلقان.

لم يُحاول بران أن يتبعهما، فلم يكن حصانه القزم ليستطيع اللحاق بهما. لقد رأى عيني الرجل الأشعث، وكان يُفكّر فيهما الآن. بعد فترة غاب صوت ضحكات روب، وخيم الصمت على الغابة من جديد.

كان مستغرقًا جدًا في أفكاره، لدرجة أنه لم يسمع بقية أفراد المجموعة وهم يقتربون إلا عندما وجد أباه يتحرّك إلى جواره، ويسأله بلهجة لم يغب عنها اللطف: «بران، هل أنت بخير؟».

أجاب بران رافعًا عينيه: «نعم يا أبي». كان السيد والده، وقد تدثّر بالفرو والجلد وامتطى جواده الحربي الضخم، يبدو كعملاق يرمقه من أعلى. «روب يقول إن الرجل مات بشجاعة، بينما يقول چون إنه كان خائفًا».

سأله أبوه: «وما رأيك أنت؟».

فَكَرَّ بران قليلاً، ثم قال: «هل من الممكن أن يكون رجل ما شجاعاً وهو خائف؟».

أجاب أبوه: «ليس من الممكن أن يكون الرَّجُل شجاعاً إلا وهو خائف. هل تفهم لمَ فعلتُ ما فعلتُ؟».

قال بران: «لأنه كان هَمَجِيًّا. إنهم يختطفون النساءَ ويبيعنهنَّ لـ"الآخرين"».

ابتسم أبوه قائلاً: «لا بُدَّ أن العجوز نان كانت تحكي لك قصصها مرَّةً أخرى. الحقيقة أن هذا الرَّجُل كان ناقضاً للعهد، متهرِّباً من حرس اللَّيل، وليس هناك رجل أخطر ممن هُم مثله. المتهرِّب يعلم أنه سيدفع حياته ثَمناً إذا قُبِضَ عليه، ولذا لا يتورَّع عن ارتكاب أيِّ جُرم كان، مهما كان آثماً. لكنك لم تفهمني. السُّؤال لم يكن عن سبب موته، بل لِمَ كان عليَّ أن أفعلها بنفسِي».

لم يكن بران يملك إجابةً للسُّؤال، فقال بتردُّد: «المَلِك لديه جِلَّاد».

قال أبوه: «هذا صحيح، تماماً مثل ملوك آل تارجارين من قبله، لكن طريقتنا هي الطَّريقة الأقدم. إن دماء البَشَر الأوائل ما زالت تجري في عروق آل ستارك، ونحن نُؤمن بأن من يُصدِّر الحُكم ينبغي عليه أن يضرب بالسَّيف. إذا كنت ستأخذ حياة رجلٍ ما، فأنت مدين له بأن تَنظُرَ في عينيه وتسمع كلماته الأخيرة. وإذا كنت لا تطيق أن تفعل هذا، فمن المحتمل أن ذلك الرَّجُل لا يستحقُّ الموت. سيأتي يوم يا بران تكون فيه حامل راية روب، تتولَّى قلعته الخاصَّة من أجل أخيك والمَلِك، وسيقع واجب تنفيذ العدالة على عاتقك. عندما يأتي هذا اليوم، عليك ألا تجد متعةً في الأمر، لكن عليك ألا تعدل عنه كذلك. الحاكم الذي يخشى وراء الجِلَّادين المأجورين سرعان ما ينسى معنى الموت».

كان هذا عندما ظهرَ جون مرَّةً أخرى على قَمَّة المرتفع أماهما يُلَوِّح

بيديه ويُنادي: «أبي، بران، تعال يا بسرعة لتريا ما وجدّه روب!»، ثم اختفى من جديد.

تقدّم چوري ليتحرّك إلى جوارهما سائلًا: «أهنك مشكلة يا سيّدي؟». قال السيّد والده: «بلا شك. هلّم، لنر ما عثر عليه ولداي هذه المرّة»، وهرول بجواده وتبعه بران وچوري والآخرين.

وجدوا روب على ضفّة النهر شمال الجسر، وچون إلى جواره على حصانه. كانت ثلوج أواخر الصّيف قد سقطت ثقيلاً مع دورة القمر هذه، وغاصّ روب حتى رُكبتيه في البياض وقد رفع قلنسوته لتسطع الشّمس على شعره. كان يحضّن شيئاً بذراعه، ويتكلّم مع أخيه بصوتٍ خافتٍ مفعم بالإنارة. تحرّك الرّاكبون بحذرٍ عبر تيّار المياه، يتلمّسون طريقهم للعثور على موطنٍ قدم ثابتٍ على الأرض غير المستوية. وصل چوري كاسل وثيون جرايچوي أولاً إلى الصّبيين، وكان الثاني يضحك ويلقي الدّعابات وهو يتقدّم. ثم إن بران سمعه يشهق ويصيح: «يا للآلهة!» وهو يُكافح للسيطرة على حصانه ويمدّ يده إلى مقبض سيفه.

كان چوري قد استلّ سيفه بالفعل، ويصيح وحصانه يتراجع رافعاً قائمته الأماميتين من تحته: «روب، ابتعد عنه!».

رفع روب عينيه عن الشّيء الذي يحتويه وقال عابساً: «لا تقلق، لن تؤذيك. إنها ميتة يا چوري».

كان بران يشتعل فضولاً ولهفةً الآن، وكان يرغب في الدُّنوّ بحصانه أكثر، لولا أن أباه جعلهم يترجّلون عند الجسر ويقربون على أقدامهم، فوثب بران من على حصانه القزم واندفع إلى حيث أخويه. حينئذ كان چون وچوري وثيون جرايچوي قد ترجّلوا بالفعل، وقال الأخير: «ما هذا بحقّ الجحائم السّبع؟».

قال روب: «إنها ذبّة».

صاح جرايچوي: «مسخ! انظر إلى حجمها!!».

دَقَّ قلب بران بعُثْفٍ في صدره وهو يخوض في التَّيَّار المائي ليقف إلى جوار أخيه.

كان الجسم الدَّاكن الضَّخْم نصف مدفون في الثَّلج الملطَّخ بالدماء، وقد تَكَوَّن جَلِيد خفيف على فروه الرَّمادي الخَشِن، وعلقت به رائحة التعفن كعطر امرأة. لمَحَ بران عينين ميتتين يزحف فيهما الدُّود، وفَما واسعاً مليئاً بالأسنان المصفرَّة، لكن الحجم هو ما جعله يشهق. كان الشيء أكبر من حصانه القزم، يَبْلُغُ ضعف حجم أكبر كلب صيد في وِجار كلاب أبيه.

قال چون بهدوء: «ليس مسخاً، بل ذئب رهيب. هؤلاء أكبر من النوع الآخر حجماً بكثير».

قال ثيون جرايچوي: «لم يحدث أن شوهذ ذئب رهيب جنوب "الجدار" منذ مئتي عام».

أجاب چون: «ها أنا ذا أرى واحداً الآن».

أشاح بران بعينه بصعوبة عن الوحش، وكان هذا عندما لاحظ الشيء الذي يحتويه روب، فأطلق صيحة سرورٍ واقترب. كان الجرو عبارة عن كرة صغيرة من الفرو الأسود والرَّمادي وعيناهما زالتا مغمضتين. دون أن يرى شيئاً كان يُمرِّغ أنفه في صدر روب الذي يحتضنه، يبحث عن اللبن بين طيات ثيابه الجلدية، ويصدر صوت أنينٍ حزين. قال له روب: «هَلُمَّ. يُمكنك أن تلمسه».

بتوترٍ مَدَّ بران يده وملس على الجرو مرَّةً، ثم ابتعدَ بينما قال چون: «هاك»، ووضع أخوه غير الشقيق جرواً آخر بين ذراعيه مضيقاً: «هناك خمسة منها». جلس بران في الثَّلج وضَمَّ الذئب الوليد إلى وجهه، وشعرَ بملس فروه دافئاً ناعماً على وجنته.

غمغم هالِن قِيم الخيول: «الذئاب الرَّهِيبة طليقة بعد كلِّ هذه السَّنين. هذا لا يروق لي على الإطلاق».

قال چوري: «إنها علامة».

قطَّب السيد والده جبينه قائلاً: «ما هو إلا حيوان ميت يا چوري». علي أنه بدا منزعجاً، وتهشَّم الثلج تحت حذائه الثقيل وهو يدور حول الجثة متسائلاً: «هل نعرف ما قتلها؟».

- «ثمة شيء ما في الحلق»، قال روب شاعرًا بالفخر لأنه وجدَ الإجابة قبل أن يُلقِي أبوه السؤال حتى. «هناك، تحت الفك مباشرة».

جثا أبوه على ركبته وتحسَّس أسفل رأس الدَّابة الميتة، ثم انتزع شيئاً ورفعَه ليراه الجميع. كان قرن وعلٍ محطماً يبلغ طوله قدمًا كاملاً، أسلاته المُدبَّبة متكسَّرة والدَّم يُغرقه عن آخره.

رأى صمت مفاجئ على المجموعة، ورمى الرجال القرن بتوترٍ ولم يجروا أحدهم على الكلام. حتى بران أحسَّ بخوفهم، وإن لم يفهم السَّبب. ألقى أبوه القرن جانباً ونظَّف يديه في الثلج، ثم تكلم أخيراً ليكسر صوته تعويذة الصَّمْت: «إنني مندهش لأنها عاشت بما يكفي لأن تضع صغارها».

قال چوري: «لعلها لم تفعل. لقد سمعتُ قصصاً... ربما كانت ميتة بالفعل عندما خرج الصغار منها».

علَّق رجل آخر: «مولودون في قلب الموت. هذا حظُّ أسوأ».

قال هالن: «لا فارق. سرعان ما سيلحقون بها».

أطلق بران صيحة دُعرٍ بلا كلمات، بينما قال ثيون جرايچوي وهو يستلُّ سيفه: «يَحْسُن أن يحدث هذا بسرعةٍ إذن. بران، أعطني إياه».

تلوَّى الشَّيء الصغير بين يديه كأنه سمعَ ما قيل وفهمه، وصاح بران بحدة: «لا! إنه لي!..».

قال روب: «ضع سيفك في غمده يا جرايچوي». للحظةٍ بدت لهجته امرأةً تماماً كلهجة أبيهم، كلهجة الحاكم الذي سيصيره يوماً ما. «سنحتفظ بهذه الجِراء».

قال هاروين ابن هالن: «لا يُمكنكم أن تفعلوا هذا يا فتى». وأضاف هالن: «في قتلها رحمة لها».

نظرَ بران إلى السيّد والده ناشدًا النجدة منه، لكنه لم يتلقَ منه غير تقطيةٍ وحاجبين معقودين. «هالن يقول الحقّ يا بُني. ميتة سريعة خير لها من الاحتضار جوعًا وبردًا».

- «لا!»، صرخَ والدُموغ تحتشد في عينيه، فأشاح بوجهه بعيدًا. لم يكن يريد أن يراه أبوه يبكي.

قال روب بعناد: «كلبة السير رودريك وضعت مرّةً أخرى الأسبوع الماضي. الولدُ قليل هذه المرّة، جروان صغيران فقط. سيكون في ضرعها لبن كافٍ».

- «سوف تُمرّقهم إربًا إذا حاولوا الرّضاعة منها».

قال چون فجأةً: «لورد ستارك». كان من الغريب سماعه يُخاطب أباه بهذه اللّهجة الرّسميّة، لكن بران رمقه بأملٍ يائسٍ وهو يقول: «هناك خمسة جراء، ثلاثة ذكور وأنثيان».

- «وماذا في هذا يا چون؟».

- «إن لديك خمسة أبناء شرعيّين، ثلاثة أولاد وبتان. الذّئب الرّهيب هو رمز عائلتك. من المقدّر أن يحظى أبناؤك بتلك الجِراء يا سيّدي».

رأى بران التّعير على وجه أبيه يتبدّل، ورأى الآخرين يتبادلون النظرات. في هذه اللّحظة أحبّ چون من كلّ قلبه، فحتى في عُمر السّابعة أدرك بران ما فعله أخوه. كان العدد صحيحًا فقط لأن چون استثنى نفسه. لقد أحصى الفتاتين، وحتى يكون الصّغير، لكن ليس النّعل الذي يحمل لقب سنو، اللّقب الذي تُملّي الأعراف إطلاقه على كلّ أبناء الشّمال ممن لم يسمح حظّهم بأن يولّدوا حاملين اسم عائلةٍ ما.

أبوهم أيضًا أدرك ما فعله چون، وبهدوءٍ سأله: «ألا تريد واحدًا لنفسك؟».

- «الذئب الرّهب يُزَيِّن راية آل ستارك، وأنا لستُ منهم يا أبي».
 رمق أبوهم جون يامعان، واندفع روب ليكسر الصّمت قائلاً: «سأرعاه
 بنفسى يا أبي. سأبُلِّل منشفةً بالحليب الدّافئ وأجعله يمتصه منها».
 هتفَ بران: «وأنا أيضًا!».

فكّر اللورد إدارد ملياً وهو يرمق أولاده، قبل أن يقول: «القول أسهل
 من الفعل. لن أسمح لكم بتبديد وقت الخدم في هذا. إذا كنتم تريدون
 هذه الجِراء، فعليكم إطعامها بأنفسكم، مفهوم؟».

هزَّ بران رأسه إيجاباً بلهفة، وتلوى الجرو بين يديه ولعق وجهه بلسانٍ
 دافئ، بينما واصلَ أبوهم: «يجب أن تُدَرِّبونها كذلك. يجب أن تُدَرِّبوها
 لأن قيّم وجار الكلاب لن يدنو خطوةً من هذه الوحوش، أو كُدد لكم هذا.
 ولتكن الآلهة في عونكم إذا أهملتموها أو عاملتموها بقسوة أو أسأتم
 تدرّيبها. هذه ليست كلاباً تتسوّل منكم مكافأةً وتبتعد بمجرد أن يركّلها
 أحد بطرف حذائه. الذئب الرّهب يستطيع انتزاع ذراع رجلٍ من كفه كما
 يقتل الكلب جرّداً. متأكّدون من أنكم تريدون هذا؟».

قال بران: «نعم يا أبي».

وأبده روب: «نعم».

- «قد تموت الجِراء على أيّ حالٍ رغم كلّ ما تفعلونه».

قال روب: «لن تموت. نحن لن نتركها تموت».

- «احتفظوا بها إذن... چوري، دزموند، اجمعا بقيّة الجِراء. حانَ

وقت العودة إلى ويترفل».

لم يسمح بران لنفسه بأن يتنفّس عبير الانتصار حتى امتطوا خيولهم
 وبدأوا يتحرّكون. عندئذٍ كان جروهِ قد دَسَّ نفسه بالفعل بين طيّات ثيابه
 يتدفّأ به وقد صارَ آمناً طوال الرّحلة الطويلة إلى الدّيار. كان بران يتساءل
 عن الاسم الذي سيُطلِّقه عليه.

ثم توقّف جون بغتةً في منتصف الجسر.

سأله أبوهـم: «چون، ماذا هناك؟».
- «ألا تسمعه؟».

كان بران يسمع الرّياح بين الأشجار ووقع حوافر الخيول الثّقيل على ألواح خشب الصّلب المتينة وأنين الجرو الجائع، لكن أخاه كان يُصغي لشيء آخر.

ثم قال چون: «هناك»، واستدار بحصانه واندفع عائداً على الجسر. شاهدوه وهو يترجّل حيث ارتمت الذّئبة الرّهيبة ميتة بين الثّلوج، وشاهدوه يركع، ثم بعد لحظة كان عائداً إليهم وعلى وجهه ابتسامة. «لا بدّ أنه زحف بعيداً عن الآخرين».

قال أبوه وهو يرْمُق الجرو السادس: «أو أن شيئاً أبعد عنهم». كان فروه أبيض بينما فرو إخوته رمادي، وعيناه حمراوين كدم الرّجل الأشعث الذي أعدّم هذا الصّباح. خطر لبران أن من الغريب فعلاً أن هذا الجرو وحده فتح عينيه بالفعل بينما لا يزال إخوته عمياناً.

قال ثيون جرايچوي باستمتاعٍ ساخرٍ كعادته: «أمهق! هذا بالذّات سيموت قبل الباقيين».

رمق چون سنو تابع أبيه الشّخصي بنظرة باردة طويلة، وقال: «لا أظنّ يا جرايچوي. هذا ملكي أنا».



كاتلين

لم تُحب كاتلين أيكة الآلهة هذه قط.

كانت قد وُلدت في عائلة تلي، هناك في ريفرَن التي تقع بعيدًا في الجنوب على الفرع الأحمر لنهر الثالوث، وهناك كانت أيكة الآلهة عبارة عن حديقة بهيجة ناضرة، تُنشر فيها أشجار الخشب الأحمر ظلالها المرقطة فوق الجداول الرقراقة، وتُغني الطيور في أعشاشها المتوارية عن الأعين، ويُفعم الهواء شذى الزهور الجريّف.

أمّا آلهة ويترفل فكانت لها أيكة من نوع آخر، فهذا مكان بدائيّ مظلم أقيم على مساحة ثلاثة أفدنة من الغابة القديمة التي لم تُمس منذ عشرة آلاف عام مع ارتفاع القلعة العابسة من حولها، تفوح فيه رائحة التربة الرطبة والعفن، ولا تنمو فيه أشجار الخشب الأحمر. هذه الأيكة كانت حافلة بأشجار الحارس المزمنة التي تحميها أوراقها المدببة الحادة ذات اللونين الرمادي والأخضر، وأشجار البلوط العملاقة، وأشجار الصُلب القديمة قدّم هذه الأرض ذاتها. هنا كانت الجذوع السوداء الغليظة تتزاحم معًا، بينما تنسج الفروع الملتوية مظلة سميكة فوق الرؤوس، وتتصارع الجذور المشوّهة فيما بينها تحت أديم التربة. كان هذا مكانًا للصمت التام والظلال الكثيفة، والآلهة التي تعيش هناك بلا اسم.

لكنها كانت تعرف أنها ستجده هنا الليلة، فمتى قتل زوجها رجلًا كان دائمًا ما يلوذ بهدوء أيكة الآلهة بعدها.

مُرِخَتْ كاتلين بالزُّيُوت السَّبعة وَسُمِّيت بين الأضواء المفعمة بألوان قوس قزح التي تملأ سِبْت⁽¹⁾ ريفرَرَن، فهي من أتباع "العقيدة"، مثل أبيها وجدَّها وأبي جدَّها من قبله، ألَهِتْها لها أسماء، ووجوهها مألوفة لها تمامًا كوجهي والديها، وتمثلت العبادة بالنسبة لها في سِبْتُون يحمل مبخرة، ورائحة البخور، وبلورة ذات سبعة وجوه ملأى بالنور، وأصوات مرتفعة بالإنشاد. كان آل تلي يحتفظون بأبيكة آلهة كما تفعل جميع العائلات الكبرى، لكنها كانت مكانًا للشمسية أو القراءة أو الاستلقاء في الشَّمْس، أمَّا العبادة فتتمُّ في السِبْت.

من أجلها شَيَّدَ نَد سِبْتًا صغيرًا تستطيع فيه الإنشاد لوجوه الإله السَّبعة، لكن دماء البشر الأوائل لا تزال تجري في عروق آل ستارك، وآلهة زوجها هي الآلهة القديمة التي لا تحمل اسمًا أو وجهًا، الآلهة التي اقتسمت الغابات الخضراء مع أطفال الغابة الذين اختفوا منذ دَهر.

في منتصف الأيكة كانت شجرة الويروود العتيقة ترتفع فوق بركة صغيرة مياهها سوداء باردة، تلك الشَّجرة التي أطلقَ نَد عليها اسم "شجرة القلوب". لحاء شجرة الويروود أبيض كالعظام، وأوراقها ذات لونٍ أحمرٍ داكن كالف يد ملطَّخة بالدماء، وفي جذعها الضَّخْم حُفَر وجه ذو ملامح طولية كثيفة. كان النسغ قد كسا العينين المحفورتين في عمق الجذع باللون الأحمر، فبدتا كأنهما تُراقبان طوال الوقت. قديمتان حقًا هاتان العينان، أقدم من وينترفل نفسها، وشهدتا براندون البناء يضع حجر الأساس (إذا كان ما تقوله الحكايات صحيحًا)، ومنذ ذلك الحين وهما تُشاهدان أسوار وجدران القلعة الجرانيتية ترتفع من حولهما. قيل إن أطفال الغابة هُم من حفروا الوجوه في الأشجار خلال قرون فجر العالم، وقبل مجيء البشر الأوائل عبر البحر الضيق.

كانت أشجار الويروود قد قُطِعَتْ أو أُحْرِقَتْ منذ نحو ألف عامٍ

(1) السِبْت كلمة من ابتكار المؤلف تعني معبدًا لإقامة الشعائر الدنيوية في ديانة الإله ذي الوجوه السَّبعة، والراهب يُقال له سِبْتُون والراهبة سِبْتَة.

في الجَنُوب كله، باستثناء جزيرة الوجوه حيث ما زال الرُّجال الخُضر يَحْرُسُون ما تَبَقَّى من هذه الأشجار بصمت. أمّا هنا فالوضع مختلف، فكلُّ قلعةٍ تحتفظ بأَيكة الآلهة الخاصّة بها، وكلُّ أَيكةٍ فيها شجرة القلوب الخاصّة بها، وكلُّ شجرة قلوبٍ عليها الوجه الخاص بها.

وجدت كاتلين زوجها تحت شجرة الويروود جالسًا على حَجَرٍ مغطّى بالطَّحالب، وقد وضع سيفه العظيم "جلید" في حِجره وأخذ يُنظِّف النِّصل في مياه البركة السوداء كاللَّيل. ابتلع الدُّبال السَّميك الذي تَكُون على مدى ألف عام على أرض أَيكة الآلهة وقع خطواتها، وإن بدا كأن عيني شجرة الويروود الحمراروين تُتابعانها وهي تقترب، وبصوتٍ هامسٍ قالت كاتلين: «ند».

رفع زوجها رأسه ونظرَ إليها قائلاً بأسلوبٍ رسميٍّ شارد: «كاتلين... أين الأطفال؟».

دائمًا ما كان يُلقِي عليها هذا السؤال، فأجابَتْ: «في المطبخ، يتجادلون حول الأسماء التي سيُطلقونها على الدُّثاب الصغيرة»، وفردت معطفها على أرض الغابة وجلست إلى جوار البركة وأسندت ظهرها إلى شجرة الويروود. كانت تَشعرُ بالعينين الحمراروين تُراقبانها، لكنها بذلت قصارى جهدها كي تتجاهلهما. «آريا واقعة في حُبِّ جروتها بالفعل، وسانزا تتعامل بدماثةٍ وأدب، لكن سيكون ما زال غير متأكّد».

سألها ند: «أهو خائف؟».

- «بعض الشَّيء. إنه ما زال طفلًا في الثالثة».

عقدَ ند حاجبيه قائلاً: «عليه أن يتعلَّم أن يُواجه مخاوفه. إنه لن يظَلَّ في الثالثة إلى الأبد، والسَّناء قادم».

غمغمت كاتلين: «نعم». بثَّت الكلمات فيها القشعريرة كما تفعل دائماً، كلمات آل ستارك. كلُّ العائلات النِّيلة لها كلماتها الخاصّة، شعار أو دعاء من نوعٍ ما لكلِّ عائلةٍ يتمثَّل في تباؤٍ بالشَّرَف أو المجد، يَعدُّ

بالإخلاص والحقيقة، يُقسِم بالوفاء والشجاعة. كُلُّ العائلات باستثناء عائلة ستارك. "السَّناء قادمٌ" كانت كلماتهم، ولم تكن هذه المرَّة الأولى التي تُفكَّر فيها كاتلين أن هؤلاء الشَّماليين قومٌ غريبون حقًا.

قال ند: «يجب أن أعترف بأن الرجل ماتَ بشجاعة». كان يمسك خرقَةً من الجِلد المدهون بالزَّيت في يده ويُمَرِّرها على نصل السَّيف العظيم وهو يتكلَّم ليَصقُل المعدن فيكتسب وهجًا داكنًا. «لقد شعرتُ بالسرور من أجل بران. كنتُ لتفخرين به».

أجابَت كاتلين وهي تُراقب احتكاك الجِلد بالفولاذ: «دائمًا ما أشعرُ بالفخر ببران». كان باستطاعتها أن ترى التَّموج العميق في الفولاذ حيث طُوي المعدن على نفسه مئة مرَّة أثناء طَرِّقه. لم تكن كاتلين تُحب السُّيوف، وإن لم يكن بوسعها أن تُنكر أن "جَلِيد" كان يتحلَّى بجمالٍ من نوع خاص. لقد صُنِعَ هذا السَّيف في فاليريا، قبل أن يأتي "الهلاك" إلى المَعقل الحُر القديم، حينما كان الحدَّادون يَدُقُّون المعادن بالتَّمائم والمطارق في آنٍ واحد. كان عُمر السَّيف أربعمئة عام كاملة، ولا يزال حادًّا كما كان يوم صُنِعَ، أمَّا الاسم الذي يحمله فكان أقدم من هذا، وبمثابة ميراثٍ من عصر الأبطال، عندما كان آل ستارك لا يزالون ملوكًا في الشَّمال.

قال ند بعبوس: «إنه رابع رجل هذا العام. المسكين كان نصف مجنون. شيء ما أثارَ خوفًا شديدًا في أعماقه، لدرجة أن كلماتي لم تنجح في أن تَبْلُغه»، وتنهَّد مضيقًا: «بن كَتَبَ قائلًا إن قوَّة حرس اللَّيل صارت أدنى من ألف رجل. المسألة ليست المتهرِّبين فقط، لأنهم يفقدون رجالًا في جولات التَّقصِّي كذلك».

سألته: «أهمُّ الهمج؟».

قال ند: «ومن غيرهم؟»، ورفع سيفه "جَلِيد" وتطلَّع إلى نصله الفولاذي الطَّويل البارد. «وستظلُّ الأمور تزداد سوءًا. قد يأتي يوم لا

يكون أمامي فيه خيار غير استدعاء الرّايات والتّوجّه شمالاً للتّعامل مع ملك ما وراء الجدار بشكل نهائيّ.

- «وراء "الجدار"؟». جعلت الفكرة كاتلين ترتجف.

رأى ند الخوف على ملامحها، فقال: «ليس هناك ما يجعلنا نخشى مانس رايدر».

قالت كاتلين: «ثمة أشياء أخطر وراء "الجدار"»، وألقت نظرة سريعة وراءها على اللّحاء الشّاحب والعينين الحمراوين في شجرة القلوب، التي ظلّت تُراقب وتُصغي وتجتزّ أفكارها الطويلة البطيئة.

قال ند بابتسامة رقيقة: «أنت تُصغين للكثير من حكايات العجوز نان القديمة. "الآخرون" ماتوا مثلهم مثل أطفال الغابة، اختفوا منذ ثمانية آلاف عام. سيقول لك المايستر لوين إنه لم يكن لهم وجود أصلاً، فلم يسبق أن رأهم إنسان حي».

قالت كاتلين مُدكّرة إياه: «حتى هذا الصّباح لم يكن هناك إنسان حي رأى ذئباً رهيباً كذلك».

أجاب بابتسامة عابسة: «يجدر بي أن أتعلّم ألا أجادل أحداً من آل تلي»، ثم دسّ سيفه في غمده واستطرد: «لكنك لم تأتي إلى هنا لتكلمي عن حكايات المهد، فأنا أعرف قدر حُبك الضّئيل لهذا المكان. ماذا هناك يا سيّدتني؟».

أمسكت كاتلين يد زوجها قائلة: «ثمة خبر محزن جاء اليوم يا سيّدي، لكنني لم أشأ أن أزعجك حتى تغتسل». لم يكن هناك سبيل لتخفيف الضّربة القادمة، فقرّرت أن تُخبره بلا مبالغة. «أنا آسفة جدّاً يا حبيبي. لقد ماتّ جون آرن».

تلاقت عيونهما، واستطاعت كاتلين أن ترى وقع الخبر العنيف عليه كما توقّعت تماماً. في شبابه تربّى ند في "العش"، وصار اللورد آرن -الذي لم يُنجب أيّ أبناء- بمثابة أبٍ ثانٍ له، هو وروبرت باراثيون

الذي كان تابعاً شخصياً له بدوره، وعندما طالب الملك المجنون إيرس تارجارين الثاني برأسيهما، استجاب سيّد "العُش" بأن رفع راياته المزيّنة بالقمر والصقّر في تمرّد على الملك بدلاً من أن يُسلّمه الشّايّن اللذين تعهّد بحمايتهما. ثم جاء يوم منذ خمسة عشر عاماً صار فيها هذا الأب الثاني أخاً كذلك، عندما وقف مع ند معاً في سبت ريفررن ليتزوّجا أختين شقيقتين، هما ابنتا اللورد هوسترنلي.

- «چون... أهذا الخبر مؤكّد؟».

- «الرّسالة تحمل ختم الملك، ومكتوبة بخط يد روبرت نفسه. لقد احتفظتُ بها لك. قال إن الموت اختطف اللورد آرَن بسرعة، وإن المايستر بايسل نفسه كان عاجزاً عن فعل أيّ شيء، لكنه سقاه حليب الخشخاش⁽¹⁾، فلم يتألّم چون طويلاً».

- «تلك رحمة صغيرة على ما أعتقّد». كانت ترى الحُزن جليّاً في ملامحه، لكنه مع ذلك فكّر فيها هي أولاً، وقال: «أختك وابن چون، هل من أخبار عنهما؟».

أجابَت كاتلين: «لم تذكُر الرّسالة غير أنهما بخير وأنهما عادا إلى "العُش". أتمنّى لو أنهما ذهبا إلى ريفررن بدلاً من هذا. "العُش" مكان مرتفع وموحش، كما أنه كان مكان زوجها وليس مكانها هي، وستسكُن ذكرى اللورد چون كلّ حَجَر هناك. إنني أعرفُ أختي، وأعرفُ أنها تحتاج مواساة الأهل والأصدقاء من حولها».

- «عمّك ينتظر في "الوادي"، أليس كذلك؟ لقد عيّنه چون فارساً للبوّابة كما سمعتُ».

هزّت كاتلين رأسها إيجاباً وقالت: «برايندن سيفعل ما يستطيع من أجلها هي والصّبي، وفي هذا شيء من الرّاحة، لكن...».

قال ند: «اذهبي إليها. خُذي الأطفال معك واملاؤا أبهاءها بالصّخب

(1) مشروب حقيقي، غُدر ومُسكّن للآلم.

والصَّباح والضُّحك. ابنها هذا في حاجةٍ إلى أطفالٍ آخرين حوله، ولا ينبغي أن تكون لايسا وحدها في حُزنها.

قالت كاتلين: «ليتني أستطيعُ، لكن الرِّسالة تحمل خبرًا آخر: المَلِك في طريقه إلى ويتترفل لزيارتك».

استغرقَ ند لحظاتٍ ليستوعب كلماتها، لكن عندما جاءَ الفهم أخيرًا غادرَ الظَّلام عينيه، وقال: «روبرت قادم إلى هنا؟»، وتسلَّلت بسمه إلى وجهه عندما هزَّت رأسها مؤيَّدةً. تمَنَّت كاتلين لو أنها تستطيع مشاركتَه فرحته، لكنها سمعتَ القيل والقال في ساحات القلعة: أنثى ذئبٍ رهيب مينة في الثَّلوج، وقرنٍ وعلٍ مكسورٍ في حلقها. تلوَّى الخوف في داخلها كنعبان، لكنها أجبرتَ نفسها على الابتسام للرجل الذي أحبَّته، هذا الرجل الذي لا يعتقد في وجود العلامات، واكتفَتْ بأن قالت: «كنتُ أعرفُ أن هذا سيُسعدك. يَجدر بنا أن نُرسل خبرًا لأخيك على "الجدار"».

قال موافقًا: «بالتأكيد. سيرغب بن في أن يكون موجودًا. سأخبرُ المايستر لوين أن يُرسل أسرع طيوره»، ثم نهَضَ ند وساعدها على النهوض بدورها مضيِّفًا: «تَبًا! كم عامًا مرَّ؟ ولا يُعطينا خبرًا أكثر من هذا؟ هل قالت الرِّسالة شيئًا عن عدد الأفراد في موكبه؟».

- «لا بُدَّ أن هناك مئة فارسٍ على الأقل بالإضافة إلى مُرافقيهم، ونصف هذا العدد من المُحاربين غير النُّظاميين. سرسي وأبناؤها قادمون كذلك».

قال: «لن يتحرَّك روبرت بسرعةٍ كبيرةٍ من أجلهم إذن. لا بأس. سيمنحنا هذا بعض الوقت للاستعداد».

- «شقيقا المَلِكة قادمان أيضًا».

اعتَلَّت تكشيرة وجه ند عندما سمعَ هذا. كانت كاتلين تعرف جيّدًا أنه ليس هناك قدر كبير من المودة بينه وبين عائلة المَلِكة. كان آل لانستر أبناء كاسترلي روك قد انضمُّوا متأخرين لقضية روبرت بعد أن باتَ النُّصر

مؤكِّدًا، ولم يُسامِهم ند على هذا قَطُّ. «حسنٌ، إذا كان ثَمَنُ صُحْبَةِ روبرت هو غزو من آل لانستر، فلا بأس. يبدو أن روبرت قادم ومعه نصف بلاطه».

قالت: «أينما ذهبَ المَلِكُ تتبعه البلاد».

- «سيكون من الجيِّد أن أرى أبناءه. أصغرهم كان لا يزال يرضع من ثدي ابنة لانستر عندما رأيته آخر مرَّة. كم عُمره الآن؟ خمسة أعوام؟».

- «الأمير نومن في السَّابعة، مثل بران. ند، صُن لسانك أرجوك. ابنة لانستر هذه مَلَكتنا، ويُقال إن كبرياءها تنمو أكثر فأكثر مع كلِّ عام يمرُّ».

اعتصرَ ند كفَّها قائلاً: «لا بُدَّ من مَأدِيَةِ الطَّبع، ومُغْنِيْن، كما أن روبرت سيرغب في الذَّهاب للصَّيد. سوف أُرسِلُ جُورِي جَنُوبًا مع حَرَسِ شَرَفٍ للقاءه على طريق الملوِك واصطحابه خلال بقيَّة الطَّرِيقِ إلى هنا. كيف سنستطيع إطعامهم جميعًا بحقِّ الآلهة؟ قلتُ إنه في الطَّرِيقِ بالفعل؟ تَبًّا للرَّجل، وتَبًّا لعنجهيَّتِه المَلَكِيَّةِ تلك!».



دنيرس

رفع أخوها الفُستان أمامها كي تفحصه قائلاً: «إنه جميل حقًا. هَلُمِّي، المسيه، تحسّسي النسيج».

مدّت داني يدها ومسّت الفستان، فوجدت قماشه أملس جدًا حتى أنه كان يسري بين أصابعها كالماء، ولم تستطع أن تتذكّر إن كانت قد ارتدت شيئًا بهذه النعومة من قبل. أثارَ الخاطر خوفها، فأزاحت يدها متسائلةً بتردد: «أهو لي حقًا؟».

أجاب فسيرس بابتسامة أفصحت عن مزاجه العالي الليلة: «هدية من الماچستر إليريو. لون الفُستان سيبرز البنفسجي في عينيك. وستزيّنين بالذهب كذلك، وجواهر من جميع الأصناف. إليريو وعدّ بهذا. الليلة يجب أن تبدي كأُميرة».

أُميرة... لقد نسيّت معنى هذه الكلمة، ولعلّها لم تعرفه قطّ. سألت: «لِمَ يمنحنا كلّ هذا؟ ما الذي يُريده منا؟». منذ ما يقرب من نصف عام وهما مقيمان في بيت الماچستر، يأكلان طعامه وينالان كلّ أنواع التّداييل من خدمه. كانت داني في الثالثة عشر من عُمرها، أي كبيرة بما يكفي لأن تعرف أن هدايا كتلك نادرًا ما تأتي بلا ثمن، كديدن الأشياء هنا في مدينة بنتوس الحرّة.

قال فسيرس: «إليريو ليس بأحمق». كان شابًا نحيلاً ذا يدين عصيّتين

ونظرة محمومة في عينيه. «الماجستر يعرف أنني لن أنسى أصدقائي بمجرد أن أجلس على عرشي».

لم تُعلّق داني. كان الماجستر اليريو يُمارس تجارة التوابل والأحجار الكريمة وعظام التنّين، وأشياء أخرى أقل استساغة، ويُقال إنه لديه أصدقاء في جميع المُدن الحرة التّسع، بل وحتى في البلاد التي تقع وراءها، في فايس دوثراك والأراضي الأسطورية على ساحل بحر اليّشب. يُقال أيضًا إنه مستعدّ لبيع أيّ من أصدقائه مقابل الثمن المناسب. كانت داني تُصغي للكلام في الشوارع فتسمع هذه الأشياء، لكنها كانت تعرف أفضل من أن تُبدي ارتيابها في كلام أخيها وهو يَنْسج شباك أحلامه. كانت غضبة فسيرس شنيعة بالفعل، وكان يصفها بأنها كإيقاظ التنّين.

علّق أخوها الفُستان إلى جوار الباب قائلاً: «اليريو سيُرسل العبيد ليُحمّموك. تأكّدي أن تُزيلي عنكِ رائحة الاسطبلات. غال دروجو لديه ألف حصان، لكنه يتطلّع إلى امتطاء شيء آخر اللّيلة»، ثم رمقها بإمعان وأضاف: «ما زلتِ تقفين تلك الوقفة المترهّلة. افردي كتفيكِ»، ودفعَ كتفيها إلى الخلف بيديه مُكملاً: «دعهم يرون أن لديك جسد امرأة الآن»، ومَسَّ أعلى نهديها الصّغيرين بأصابعه برفقٍ قبل أن يقبض بها على واحدة من حلمتيها بقسوة ويقول: «لن تخذليني اللّيلة... لأنكِ ستجدين نفسك في موقفٍ سيئٍ للغاية إذا فعلتِ. أنتِ لا ترغبين في إيقاظ التنّين، أليس كذلك؟». كانت أصابعه تُطَبّق على الحلمة الآن من فوق قُمّاش سُرّتها الخشنة وتلويها بقوةً ألّمتها بشدّة وهو يُكرّر: «أليس كذلك؟». أجابت داني بخنوع: «بلى».

ابتسم أخوها ومَسَّ شعرها بنوعٍ من الحنان وقال: «عظيم. عندما يكتبون تاريخ حُكمي يا شقيقتي العزيزة، سيقولون إنه بدأ اللّيلة».

عمدّت داني إلى نافذتها بعد خروجه، ونطلّعت إلى مياه الخليج بأسى. كانت أبراج بنتوس المربعة المبنية بالقرميد عبارةً عن صُورٍ ظلّية

سوداء حدّدتها الشَّمسُ الغاربة. سمعت داني إنشاد الكهنة الحُمْر وهم يُشعلون نارهم ككلّ ليلة، وصياح الأطفال الفقراء وهم يلعبون وراء أسوار الضّيقة، وللحظةٍ تمتّ لو أنها كانت هناك بينهم، حافية القدمين متقطّعة الأنفاس ترتدي الأسما، بلا ماضي أو مستقبل أو مادية تحضرها في إيوان غال دروجو.

في مكانٍ ما وراء غروب الشَّمس، عبر البحر الضيّق، تقع أرضٌ حافلة بالثّلال الخضراء والشّهول المفروشة بالزّهور والأنهار الواسعة المتدفّقة، حيث ترتفع الأبراج المشيّدة بالحجارة السوداء وسط جبال شاهقة ذات ألوانٍ زرقاء ورمادية، ويركب الفرسان مرتدين دروعهم إلى المعارك تحت رايات سادتهم. كان الدوثرافي يُطلقون على هذه الأرض اسم "رايش أنداهلي"، أي "أرض الأنداليين" في لغتهم. في المُدن الحرّة يتكلّمون عن وستروس وممالك غروب الشَّمس، بينما يُطلق أخوها عليها ببساطة "أرضنا". كانت الكلمة كصلاة بالنّسبة إليه، وإذا ردّدها بما فيه الكفاية فلا بُدّ أن الآلهة تستمعه. «أرضنا بحقّ الدّم، سُلّبت منا بالخيانة، لكنها لا تزال أرضنا، إلى الأبد أرضنا. لا أحد يسرق من التّين. لا، لا... التّين يذكّر كلّ شيء».

ولربما كان التّين يذكّر فعلاً، لكن أنّي لداني أن تذكّر بدورها؟ إنها لم تر تلك الأرض التي يقول أخوها إنها أرضهما قطّ، تلك البلاد الواقعة وراء البحر الضيّق. الأماكن التي كان يتكلّم عنها - كاسترلي روك و"العش"، هايجاردن ووادي آر، دورن وجزيرة الوجوه - لم تكن بالنّسبة إليها أكثر من محض كلمات بلا معنى حقيقي. كان فسيرس صبيّاً في الثامنة عندما قرأ من كينجز لاندنج للإفلات من جيوش روبرت المُغتصب التي ترحف على المدينة، بينما كانت دنيرس مجرّد جنين في رحم أمهما.

على أن داني كانت في بعض الأحيان تتخيّل كيف كانت، فقد كان أخوها كثيراً ما يحكي لها القصة... الهروب في منتصف الليل إلى

دراجونستون والقمر يُنير أشعة السفينة السوداء، وكيف قاتل أخوهما ريجار روبرت المُغتَصَب وسط مياه الثلاث الدّامية قبل أن يُقتل في سبيل المرأة التي أحبّها... نهب كينجز لاندينج على يد من ينعتهم فسيرس بكلاب المُغتَصَب، اللورد لانستر واللورد ستارك وغيرهما... توّسل الأميرة الدورنيّة إليا مارتل طلباً للرّحمة إذ انتزعوا وريث ريجار الرّضيع من بين يديها وقتلوه أمام عينيها... جماجم آخر الثّنانين المصقولة وهي تُحدّق بصمتٍ من مكانها على جدران قاعة العرش بينما سقّ قاتل المَلِك حلق أبيها بسيفٍ ذهبي.

لقد وُلدت في دراجونستون بعد تسعة أعمارٍ من فرارهما، بينما تُهدّد عاصفة صيفٍ عاتية بتمزيق الجزيرة بالقلعة التي عليها تمزيقاً. قالوا إن العاصفة كانت رهيبَةً لحدّ منقطع النّظير، فتحتطّم أسطول تارجارين وهو راسٍ في مرفأه، وانتزعت في غير موضع القوالب الحجريّة الضّخمة من أسوار وجدران القلعة لتُهوي في مياه البحر الضيّق الثّائرة. ماتت أمها وهي تضعها، الشيء الذي لم يُسامحها عليه أخوها فسيرس قطّ.

وهي لا تذكّر دراجونستون كذلك، فقد عادت تفرّ من جديد قبل أن يُبحر أخو المُغتَصَب بأسطوله الجديد مباشرةً، وفي ذلك الحين كانت دراجونستون نفسها فقط - وهي مقرّ عائلتها العتيق - الوحيدة التي تبقت من الممالك السّبع التي كانت خاضعةً لهم من قبل، ثم إنها لم تبقَ كذلك لفترة طويلة. كانت الحامية مستعدّة لأن تبيعهما للمُغتَصَب، لولا أن جاءت ليلة افتتاحٍ فيها السير ويلم داري وأربعة من الرجال المُخلصين غرفة الرّضّع واختطفوهما ومعهما مُرضعتهما، ثم أبخرّوا تحت جُنج الظلام إلى حيث أمان السّاحل البرافوسي.

كانت تذكّر السير ويلم داري، الرجل الأشيب الضّخم كدبّ ونصف الأعمى، الذي كان يهدر ويزعق بالأوامر من فراش المرض. كان الخدم يعيشون في رُعبٍ منه، لكنه دائماً ما كان لطيفاً مع داني، وأحياناً ما كان

يُنَادِيهَا بِالْقَابِ مِثْلَ "الْأَمِيرَةِ الصَّغِيرَةِ" و"سَيِّدَتِي"، وَكَانَتْ يَدَاهُ نَاعِمَتَيْنِ كَالْجِلْدِ الْقَدِيمِ. لَمْ يَكُنِ السَّيْرُ وَيَلْمُ يُغَادِرُ فِرَاشَهُ، وَعَلَقَتْ بِهِ رَائِحَةُ الْمَرَضِ لَيْلِ نَهَارٍ، رَائِحَةُ قَوَامِهَا السُّخُونَةِ وَالرُّطُوبَةِ وَالسَّقَمِ. كَانَ هَذَا أَثْنَاءَ إِقَامَتِهَا وَأَخِيهَا فِي بَرَاقُوسٍ، فِي الْمَنْزِلِ الْكَبِيرِ ذِي الْبَابِ الْأَحْمَرِ. هُنَاكَ كَانَتْ لَدَى دَانِي غُرْفَتُهَا الْخَاصَّةُ، حَيْثُ كَانَتْ نَافِذَتُهَا تَطُلُّ عَلَى شَجَرَةِ لَيْمُونٍ. بَعْدَ وَفَاةِ اللَّوْرِدِ وَيَلْمُ سَرَقَ الْخُدَمِ الْمَالِ الْقَلِيلِ الَّذِي تَبَقَّى مَعَهُمَا، وَلَمْ يَمْضِ وَقْتُ طَوِيلٍ قَبْلَ أَنْ يُطْرَدَا مِنَ الْمَنْزِلِ، وَبَكَتْ دَانِي بِحَرَارَةٍ عِنْدَمَا انْغَلَقَ الْبَابُ الْأَحْمَرُ وَرَاءَهُمَا إِلَى الْأَبَدِ.

مِنذُ ذَلِكَ الْحِينِ وَهُمَا هَائِمَانِ، مِنْ بَرَاقُوسٍ إِلَى مِيرٍ، وَمِنْ مِيرٍ إِلَى تَايْرُوشٍ، وَمِنْهَا إِلَى كُوهُورٍ وَفُولَانْتِيسَ وَلَيْسَ، دُونَ أَنْ يَظْلًا لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، فَلَمْ يَكُنْ أَخُوهُمَا لِيَسْمَحَ بِذَلِكَ، وَيَصْرُ عَلَى أَنْ قَتَلَهُ الْمُغْتَصِبُ الْمَاجُورِينَ لَا يَبْعُدُونَ كَثِيرًا عَنْهُمَا، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ دَانِي لَمْ تَرَ وَاحِدًا مِنْهُمَا قَطُّ.

فِي الْبَدْءِ كَانَ الْمَاجِسْتَرَاتُ وَالْعَوَاهِلُ وَالْأَمْرَاءُ التُّجَّارُ يَسْتَقْبِلُونَ آخِرَ مَنْ تَبَقَّى مِنْ آلِ تَارْجَارَيْنَ فِي بَيْوتِهِمْ وَعَلَى مَوَائِدِهِمْ بِتَرْحَابٍ، لَكِنْ إِذْ مَرَّتِ الْأَعْوَامُ وَظَلَّ الْمُغْتَصِبُ يَجْلِسُ عَلَى الْعَرْشِ الْحَدِيدِيِّ، أُغْلِقَتْ الْأَبْوَابُ فِي وَجْهِهِمَا وَصَارَتْ حَيَاتُهُمَا أَكْثَرَ مَشَقَّةً، وَلَمْ تَمْضِ أَعْوَامٌ قَلِيلَةٌ حَتَّى اضْطُرَّ لِبَيْعِ آخِرِ مَقْتَنِيَاتِهِمَا الثَّمِينَةِ الْقَلِيلَةِ، ثُمَّ أَنْفَقَ الْمَالُ الَّذِي بَاعَا بِهِ تَاجَ أُمَّهُمَا عَنْ آخِرِهِ، وَفِي أَزَقَّةٍ وَحَانَاتٍ يَتَوَسَّسُونَ كَانُوا يُلَقَّبُونَ أَخَاهَا بِـ"الْمَلِكِ الشَّحَّاذِ"، وَلَمْ تَشَأْ دَانِي أَنْ تَعْرِفَ بِمَ كَانُوا يُلَقَّبُونَهَا هِيَ.

كَانَ يَقُولُ لَهَا وَاعِدًا: «سَنَسْتَرُدُّ كُلَّ شَيْءٍ يَا شَقِيقَتِي الْعَزِيزَةُ». أحيانًا كَانَتْ يَدَاهُ تَرْتَعِشَانِ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ عَنِ الْوَطَنِ. «الْجَوَاهِرُ وَالْحَرِيرُ، دِرَاجُونَسْتُونُ وَكِينْجَزْ لَانْدَنْجِ، الْعَرْشُ الْحَدِيدِيُّ وَالْمَمَالِكُ السَّيِّعُ، سَنَسْتَرُدُّ كُلَّ مَا سَلَبُوهُ مِنَّا». كَانَ فُسِيرْسُ يَعِيشُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، لَكِنْ

كَلَّ مَا أَرَادَتْ دَنِيرُسُ اسْتِرْدَادَهُ هُوَ الْمَنْزِلُ الْكَبِيرُ ذَا الْبَابِ الْأَحْمَرِ وَشَجَرَةِ
الْيَمُونِ خَارِجَ نَافِذَتِهَا، الطُّفُولَةُ الَّتِي لَمْ تَعْرِفْهَا.

سَمِعَتْ طَرَفَةً خَفِيفَةً عَلَى الْبَابِ، فَالْتَفَتَتْ بَعِيدًا عَنِ النَّافِذَةِ قَائِلَةً:
«ادْخُلِ»، وَدَخَلَتْ اثْنَتَانِ مِنْ خَدَمِ إِلِيرِيوٍ وَانْحَنَيْتَا لَهَا، ثُمَّ بَدَأَا تُمَارِسَانِ
عَمَلَهُمَا. كَانَتَا أَمَتَيْنِ، هَدِيَّةً مِنْ أَحَدِ أَصْدِقَاءِ الْمَاجِسْتَرِ الدُّوْثَرَاكِيِّ الْكَثُرِ.
لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ رِقٌّ فِي مَدِينَةِ پَنْتُوسِ الْحُرَّةِ، وَإِنْ كَانَ هُنَاكَ رَقِيقٌ عَلَى الرَّغْمِ
مِنْ ذَلِكَ. كَانَتِ الْمَرْأَةُ الْعَمُوزُ شَيْئًا ضَعِيفَةً الْحَجْمِ كَقَارِ صَغِيرٍ، وَلَمْ
تَنْبَسْ بَيْنَتْ شَفَةً، لَكِنْ الْفَتَاةُ عَوَّضَتْ صَمَتَهَا. كَانَتِ الْمَفْضُلةُ لَدَى إِلِيرِيوٍ،
فَتَاةٌ فِي السَّادِسَةِ عَشَرَ مِنْ عُمرِهَا، نَاعِمَةُ الشَّعْرِ زُرْقَاءُ الْعَيْنَيْنِ لَمْ تَكُفْ عَنِ
الثَّرَثَةِ وَهِيَ تَعْمَلُ.

مَلَأَتِ الْخَادِمَتَانِ الْمَغْطَسَ بِالْمَاءِ السَّاخِنِ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ مِنَ الْمَطْبَخِ
وَعَطَّرَتَاهُ بِالزُّبُوتِ الْفَوَّاحَةِ، ثُمَّ خَلَعَتَا سُرْتَنِيهَا الْقُطْنِيَّةَ الْخَشَنَةَ وَسَاعَدَتَاهَا
عَلَى التَّزَوُّلِ إِلَى الْمَغْطَسِ. كَانَ الْمَاءُ سَاخِنًا جَدًّا، لَكِنْ دَانِي لَمْ تُجْفِلْ أَوْ
تُطَلِّقَ صِيحَةً أَلَمٍ. كَانَتْ تَحُبُّ الْحَرَارَةَ، وَالْحَرَارَةُ كَانَتْ تُشْعِرُهَا بِالنَّظَافَةِ،
كَمَا أَنَّ أَخَاهَا كَانَ يَقُولُ لَهَا دَائِمًا إِنْ لَا شَيْءٌ أَكْثَرَ حَرَارَةً مِنْ أَنْ يَحْتَمِلَهُ
أَحَدُ أَبْنَاءِ تَارْجَارَيْنِ. «عَائِلَتُنَا هِيَ عَائِلَةُ النَّبِيِّ، وَالنَّارُ فِي دِمَائِنَا».

غَسَلَتْ الْعَمُوزُ شَعْرَهَا الْفُضِّيَّ الشَّاحِبَ وَمَشَّطَتْ مَا فِيهِ مِنْ عُقَدٍ
بَصْمَةٍ تَامٍ، وَحَكَّتِ الْفَتَاةُ ظَهْرَهَا وَقَدَمَيْهَا وَقَالَتْ لَهَا كَمْ هِيَ مُحْظُوظَةٌ
بِحَقِّ. «دُرُوجُ فَاحِشِ الثَّرَاءِ لِدَرَجَةٍ أَنْ عَبِيدَهُ أَنْفُسَهُمْ يَرْتَدُّونَ أَطْوَاقًا
مِنَ الذَّهَبِ حَوْلَ أَعْنَاقِهِمْ، وَهُنَاكَ مِثْلُ أَلْفِ رَجُلٍ يَرْكَبُونَ فِي الْكَالَاسَارِ
الَّذِي يَقُودُهُ، وَقَصْرُهُ فِي قَايَسِ دُوْثَرَاكِ يَضُمُّ مِثْلِي غُرْفَةٍ وَأَبْوَابًا مِنَ الْفِصَّةِ
الْخَالِصَةِ». وَظَلَّتِ الْفَتَاةُ تَتَكَلَّمُ وَتَتَكَلَّمُ عَنْ أَشْيَاءٍ أُخْرَى كَثِيرَةً جَدًّا، عَنْ
أَنَّ الْكَالَ رَجُلٌ شَدِيدُ الْوَسَامَةِ، قَوِي فَارِعُ الطُّولِ، لَا يَعْرِفُ الْخَوْفَ فِي
الْمَعَارِكِ، أَفْضَلُ مِنْ أَمْتَى حَصَانًا عَلَى الْإِطْلَاقِ، يَرْمِي بِالْقُوسِ وَالسَّهْمِ
كَشَيْطَانٍ. لَمْ تَقُلْ دَنِيرُسُ شَيْئًا. كَانَتْ قَدْ افْتَرَضَتْ دَوْمًا أَنَّهَا سَتَرْوِجُ

فسيرس عندما تَبْلُغ، فطوال قرونٍ وآل تارجارين يُزَوِّجون الإخوة من أخواتهم، منذ جعلَ المَلِكُ إيجون الفاتِح من أخته عروسًا له. قال فسيرس لها ألف مرَّة إن السُّلالة يجب أن تَظَلَّ نَقِيَّةً، فدماؤهم هي دماء الملوك، دماء فاليريا الذَّهبيَّة، دماء التَّين. التَّنانين لا تتزاوَج مع دواب الحقول، وآل تارجارين لا يخلطون دمهم بدم من هُم أدنى منهم شأنًا. لكن ها هو فسيرس يُدَبِّر لبيعها إلى رجل غريب، رجل بربري.

عندما صارت نظيفةً تمامًا ساعدتها الأَمَتان على الخروج من المغطس وأحضرتا المناشف لتجفيف جسدها. مَشَطَت الفتاة شعرها حتى تألَّق كالفضَّة المصهورة، بينما ضَمَخَتْها العجوز بعطر زهرة العَرَار القادمة من سهول الدوثرافي، مسحة على كُلِّ معصم ووراء أذنيها وعلى حافتي نهدِها، ثم مسحة باردة أخيرة على الشَّفرين بين ساقِها. بعدها ألبَسَتْها الاثنتان الثَّياب التَّحتيَّة التي أرسلها الماچستر إليريو، وفوقها الفُستان الحريري ذا اللون الأرجواني المائل إلى الأزرق الذي يُبرز لون عينيها البنفسجيَّتين، ثم وضعت الفتاة قدميها في الصَّنَدل المموَّه بالذهب، بينما ثَبَّت العجوز التَّاج المرصَّع بالجواهر على رأسها، ووضعت الأساور الذَّهبيَّة المزيَّنة بالجمَّشت حول معصمِها، وفي النهاية كان الطَّوق الذَّهبي الذي نُقِشت عليه رموز بالفاليريَّة القديمة.

قالت الفتاة مبهورة: «الآن تبدين كأُميرة حقًّا». رمقت داني انعكاسها في المرآة ذات الإطار الفُضِّي التي تكرَّم إليريو بتزويدها بها. أُميرة... لكنها تذكَّرت ما قالته الفتاة، كيف أن غال دروجو فاحش الثَّراء لدرجة أن عبيده أنفسهم يرتدون أطواقًا من ذهبٍ حول أعناقهم، فشعرت داني ببرودةٍ مباغتة، وسرت رعدة في ذراعِها المكشوفتين.

كان أخوها ينتظر في قاعة الدُّخول ذات النَّسائم الباردة، يجلس على حافة البركة ويُمَرِّر يده على صفحة الماء، ونهَض عندما رآها ورمقها بنظرة فاحصة وقال أمرًا: «ففي مكانك»، ثم «استديري. نعم، عظيم. تبدين...».

- «... بهيئةً كملكة»، قالها الماجستير إليريو وهو يدلف من أحد المداخل المقنطرة. كان يتحرك بخفةٍ مدهشة بالنسبة لرجلٍ ضخيم الجثة مثله. تحت دُثُرٍ فضفاضةٍ من الحرير ذي لون اللهب كانت أكوام من الشحم تترجرج وهو يتحرك، وتألفت الأحجار الكريمة على كلٍّ من أصابعه، ولمعت لحيته الصفراء المتشعبة حتى بدت كأنها من الذهب الحقيقي بعد أن دهنها خادمه بالزيت. قال الماجستير وهو يلتقط يدها: «عسى أن يغمرك رب الضياء بالبركات في هذا اليوم السعيد أيتها الأميرة دنيرس»، وحنى رأسه فبدت لمحة من أسنانه الصفراء المعوجة من بين ذهب لحيته، وقال لأخيها: «إنها تسرُّ الناظرين حقاً يا جلالة الملك. سيَطرب دروجو بلا شك».

قال فسيرس: «إنها نحيفة جداً». كان شعره الأشقر الفضي كشعرها قد ضُمَّ بإحكام وراء أذنيه وثُبَّتَ بدبُّوس زينةٍ مصنوع من عظام التنين. كان مظهرًا صارمًا أبرَزَ ملامح وجهه القاسي المعروف. أراح يده على مقبض السيف الذي أعطاه إياه إليريو، وقال: «هل أنت واثق من أن غال دروجو يحبُّ نساءه صغيرات سنًا هكذا؟».

- «لقد طمئت. إنها كبيرة بما يكفي للغال»، قال إليريو لأخيها كما سبق أن قال له مرارًا. «انظر إليها... هذا الشعر الأشقر الفضي، هاتان العينان الأرجوانيتان... إنها من دم فاليريا القديمة لا شك، لا شك... وكريمة المحتد، ابنة الملك القديم وأخت الملك الجديد. لا يمكنها ألا تفتن عزيزنا دروجو». وجدت دنيرس نفسها ترتجف عندما تخلَّى إليريو عن يدها. قال أخوها بريبة: «أظنُّ هذا. الهمجيون لديهم أذواق شاذة، غلمان وخبول وغنم».

أسرع إليريو يقول: «لكن لا تقل شيئًا من هذا لغال دروجو». التمع الغضب في عيني أخيها الأرجوانيتين وهو يقول: «هل تحسبني أحمق؟».

انحنى الماچستر بعض الشيء وقال: «أحسبك ملكًا، والملوك يفتقرون إلى حذر العامة في كلامهم. أعتذرُ إذا كنتُ قد أسأتُ إليك»، والتفتَ وصفقَ بيديه منادياً الحمّالين.

كانت شوارع بنتوس غارقةً في ظلام دامس عندما خرجوا في هودج إليريو ذي النقوش الأنيقة، فتقدّم اثنان من الخدم يحمل كل منهما مصباح زيت ذال ألواح زجاجية زرقاء مزخرفة، بينما رفعَ دسته من الرجال أعمدة قوائم الهودج على الأكتاف. كان الجو دافئًا مكتومًا في الداخل وراء الستائر. كانت داني تشمُّ الرائحة الكريهة الصادرة من جسم إليريو على الرغم من كلّ العطور الثقيلة التي تضمخ بها.

أمّا أخوها، الذي اضطجعَ على وسادته إلى جوارها فلم يُلاحظ. كان عقله في مكانٍ آخر بعيد عبر البحر الضيق. «لسنا نحتاج غالاساره كله»، قالها فسيرس وهو يُداعِب مقبض سيفه المستعار، وإن كانت داني تدري جيدًا أنه لم يستخدم سيفًا في قتالٍ حقيقي على الإطلاق. «عشرة آلاف يكفونني. يُمكنني اكتساح الممالك السبع بعشرة آلاف من الدوثرافي الصّارخين، وسوف تتفضي البلاد من أجل ملكها الشرعي. تايرل، ردواين، داري، جرايچوي... كل هؤلاء لا يُكُون للمُعْتَصِب حُبًّا أكثر مني. الدورنيون ينحرقون شوقًا للانتقام لإليا وطفليها. عامة الناس سيكونون معنا كذلك. إنهم في أمس الحاجة إلى ملكهم»، ورمقَ إليريو مضيقًا بقلق: «أليس كذلك؟».

قال الماچستر إليريو بكياسة: «إنهم شعبك الذي يُحبُّك. في كلّ معقل في جميع أنحاء البلاد يرفع الرجال الأنخاب في صحتك وتحيك النساء رايات التنين ويُخبّئنها حتى يوم عودتك عبر البحر»، ثم هزَّ كتفيه الصّخمتين وأردف: «أو هكذا يُخبرني عيوني».

لم يكن لدى داني أيُّ عملاء، ولا سبيل لمعرفة ما يفعله أو يُفكر فيه أحد هناك عبر البحر الضيق، لكنها كانت ترتاب في كلمات إليريو

المعسولة، وترتاب في كل ما يخصه، إلا أن أخاها كان يهز رأسه بلهفة. «سأقتل المُغتَصِبَ بنفسِي»، قالها ذلك الذي لم يقتل أحدًا في حياته كمن يَعدُّ بأمرٍ مفروغٍ منه. «تمامًا كما قتل أخِي ريجار، ولانستر قاتِلَ المَلِكِ أيضًا، من أجل ما فعله بأبي».

قال الماچستر إليريو: «سيكون هذا عادلاً تمامًا». رأت داني لمحةً ضئيلةً جدًّا من ابتسامةٍ تتلاعب على شفثيه الممثلتين، لكن قيسرس لم يُلاحظ هذا أيضًا، وهزَّ رأسه وأزاح السَّترَ المجاور له ليَرْمُقَ اللَّيْلَ في الخارج، فأدركت داني أنه يخوض معركةً الثَّالوثَ مرَّةً أخرى.

كان إيوان گال دروجو ذو الأبراج التسعة يطلُّ على مياه الخليج، وقد غطَّى اللَّبْلَابُ باهت اللون جُدُرانه الطُّوبَ العالية. كان إليريو قد أخبرهما أن ماچسترات بنتوس أعطوه للگال، فلطالما أُجزِلَتِ المُدنُ الحُرَّةُ العطاء لسادة الخيول. كان إليريو يقول لهما مفسِّرًا بابتسامة: «المسألة ليست أننا نخشى هؤلاء الهمجيين، فربُّ الضِّياءِ يستطيع أن يحمي أسوار هذه المدينة من مليون دوثرافي دفعةً واحدةً، أو هذا ما يَعدُّ به الكهنة الحُمْر، لكن لِمَ المعجزةُ وصدافتهم رخيصة الثمن جدًّا؟».

توقَّف هودجهم عند البوابة، وأزاح أحد الحرس السَّتائر بخشونة. كان ذا بشرةٍ كالنحاس وعينين لوزيتين داكنتين ككلِّ الدوثرافي، لكن وجهه كان حليقًا، ويرتدي القُبعة البرونزية التي يَبْرُزُ منها رمح صغير كما يفعل الجنود المطهَّرون. حدَّقَ فيهم ببرود، ودمدَمَ الماچستر إليريو له بشيءٍ ما بلُغةٍ الدوثرافي الخشنة، فأجابه الحارس باللُّغة نفسها قبل أن يشير إليهم بالدخول. لاحظت داني أن أخاها كان يُطبِّقُ بإحكام على مقبض سيفه المستعار، وبدا لها أنه يشعُرُ بالخوف نفسه الذي يملأها. غمغم قيسرس والهودج يتحرَّك متمايلًا صوب الإيوان: «خَصِيٌّ وقع!».

قال الماچستر إليريو بعذوبة كالعسل: «رجال مهمُّون كثيرون سيحضرون المأدبة اللَّيلة، ورجال كهؤلاء لديهم أعداء. يجب أن يحمي

الْكَال ضيوفه، خصوصًا أنت يا جلالة الْمَلِك. لا شكَّ أن الْمُغْتَصِب سیدفع كثيرًا مقابل رأسك».

بطأت حركة الهودج ثم توقَّف تمامًا، وأزيحت السَّائِر وساعدَ أحد العبيد دنيرس على النزول، ولاحظتُ هي أن الطُّوق المحيط بعُنقه كان من البرونز العادي. تبعها أخوها ويده لا تزال تُطبق على مقبض السَّيف، أمَّا الماچستر إليريو فاحتاج لرجلين قويَّين كي ينزل.

كان الهواء داخل الإيوان معبِّقًا بروائح التوابل والمُر الحريِّف واللَّيمون الحلو والقرفة، واصطُحِبَ ثلاثتهم عبر قاعة الدُّخول حيث كانت لوحة من الزُّجاج المملؤن مرسومة بالفسيفساء تُصوِّر هلاك فاليريا. احترقَ الزَّيت في فوانيس من الحديد الأسود مثبَّة بطول الجدران، ومن تحت قطرة من أوراق الأشجار الحجرية المتشابكة أعلنَ واحد من الخَصِيان عن وصولهم بصوت عالٍ عذب: «فسيرس الثالث سليل عائلة تارجارين، ملك الأنداليَّين والروينار والبشر الأوائل، سيّد المَمالِك السَّبع وحامي البلاد. شقيقته دنيرس وليدة العاصفة، أميرة دراجونستون. مضيفه المبجَّل إليريو مويانيس، ماچستر مدينة پنتوس الحرَّة».

تجاوزوا الخَصِي ليدخلوا ساحةً محاطةً بالأعمدة المغطَّاة بفروع اللَّبْلاب الشَّاحِب، وظلَّل نور القمر الأوراق بدرجاتٍ من ألوان العظام والفضَّة والضيوف يتشرون بينها. كثيرون منهم كانوا من الدوثرافي سادة الخيول، رجالًا ضخام الجئة ذوي بشرة بُنيَّة مائلة إلى الاحمرار، شواربهم المتدلِّية الطويلة رُبِطت فيها خواتم من المعدن، وشعرهم الأسود مدهون بالزَّيت ومضفَّر ومزَّين بالأجراس. على أن بعض مبارزي البرافو والمُرتزقة من پنتوس ومير وتايروش كانوا يتحرَّكون بينهم، بالإضافة إلى كاهنٍ أحمر أكثر بدانةً من إليريو نفسه، ورجالٍ مُشعريين من ميناء إيبين، وسادة من جُزر الصَّيف ذوي بشرة سوداء كالأنوس. تطلَّعت

دنيرس إليهم جميعاً بدهشة، ثم أدركت والخوف يعتريها فجأة أنها المرأة الوحيدة الموجودة في المكان.

قال إليريو لهما همساً: «هؤلاء الثلاثة هناك هم خيالة دم دروجو، وهذا عند العمود هو غال مورو ومعه ابنه روجورو. الرجل ذو اللحية الخضراء هو أخو حاكم تايروش، والرجل الذي وراءه هو السير چورا مومونت». لفّت الاسم الأخير انتباه دنيرس، فقالت: «فارس؟».

ابتسم إليريو من وراء لحيته مجيباً: «لا أقل. السّبتون الأعلى مرّحه بالزيوت السّبعة بنفسه».

اندفعت قائلة: «ماذا يفعل هنا؟».

قال لهما إليريو: «المُعْتَصِب يريد رأسه. كانت مجرد مخالفة تافهة لا أكثر، لم يفعل شيئاً غير أنه باع بضعة لصوصي لنحاس تايروشي بدلاً من تسليمهم لحرس اللّيل. قانون سخيف. من المفترض أن يكون لكل رجل الحق في أن يفعل كما يشاء بأملاكه».

قال أخوها: «يجب أن أتكلّم مع السير چورا قبل نهاية اللّيلة». وجدت داني نفسها تفحص الفارس بنظراها بفضول. كان متقدماً نوعاً في السن، تجاوز الأربعين وبدأ الصّلح يزحف إلى رأسه، لكنه ما زال يتحلّى بالقوّة واللياقة. كان يرتدي الصّوف والجِلد بدلاً من الحرير والقطن، وكانت سترته ذات لونٍ أخضر داكن ومطرّزة بشكلٍ دُبّ أسود يقف على قائميه الخلفيتين.

كانت لا تزال تتطلّع إلى هذا الرجل الغريب الآتي من بلادها التي لم ترها قطّ، عندما وضع الماچستر إليريو يداً رطبةً على كتفها المكشوفة وهمس: «وهناك يا أمرتنا الجميلة الكال نفسه».

أرادت داني أن تفرّ وتختبئ، لكن أخاها كان ينظر إليها، وكانت تعرف أنها ستوقظ التّين إذا أثارت غضبه. بتوتّر التفتت ونظرت إلى الرجل الذي يأمل فيسرس أنه سيطلب يدها قبل أن تنتهي اللّيلة.

خطرَ لها أن الأمة لم تكن مخطئةً تمامًا. كان غال دروجو أطول برأسٍ كاملٍ من أطول رجلٍ في المكان، لكن بشكلٍ ما خفيف الحركة، رشيق كالنمر الذي في معرض الوحوش الذي يملكه إليريو. كان أصغر سنًا مما توقَّعت، لا يزيد عمره عن الثلاثين، بشرته كالنحاس المصقول، والخواتم الذهبية والبرونزية مربوطة في شاربهِ الكَث.

قال الماچستر إليريو: «يجب أن أذهب وأقدِّم فروض الطَّاعة. انتظروا هنا وسأُتي به إليكما».

أطبَّق أخوها على ذراعها بينما تحرَّك إليريو مترجرجًا نحو الكال، وغاصَّت أصابعه في اللحم لدرجة ألَمَّتها وهو يقول: «هل ترين ضفيرته يا شقيقتي العزيزة؟».

كانت ضفيرة دروجو سوداء كمتصف اللَّيل ومدهونة بزيتٍ عطري ثقيل، علَّقت فيها أجراس صغيرة الحجم يتصاعَد رنينها النَّاعم مع حركته، وكانت الجديدة تصل إلى ما تحت حزامه، بل إلى ما تحت ردفه في الواقع، وطرفها يمسُّ فخذه من الورا.

قال فسيرس: «هل ترين كم هي طويلة؟ عندما يُهَزَم الدوثرافي في معركةٍ ما، يَقْصُونَ صفائِهم من الخزي، كي يعرف العالم كله عارهم. غال دروجو لم يُهَزَم في معركةٍ قطُّ. إنه إجون سيِّد التَّنانين وقد بُعث من جديد، وأنتِ ستكونين ملكته».

نظرت داني إلى غال دروجو. كان وجهه جامد الملامح قاسيًا، وعيناه باردتان داكَّتَان كالجَزَع. كان أخوها يؤذيها أحيانًا عندما توقف التَّنين، لكنه لم يُثر رُعبها كما فعلَ هذا الرجل، وسمعت نفسها تقول بصوتٍ خافتٍ ضعيف: «لا أريدُ أن أكون ملكته. فسيرس، أرجوك، أرجوك، لا أريد. أريدُ أن أعود إلى الدِّيار».

- «الدِّيار؟». كان قد حافظَ على نبرة صوتٍ خفيفة، لكن غضبه كان جليًّا تمامًا. «وكيف نعود إلى الدِّيار يا شقيقتي العزيزة؟ لقد أخذوا ديارنا

منا!»، وسحبها إلى ركنٍ قصيٍّ من القاعة بعيدًا عن الأنظار وأصابه نفوس في لحمها وكرَّر: «كيف نعود إلى الديار؟». كان يقصد كينجز لاندنج ودراجونستون وجميع البلاد التي فقدوها.

أما داني فكانت تقصد في الحقيقة مسكنهما في ضيعة إليريو. هو ليس دارًا بالتأكيد، وإن كان كلُّ ما لديهم، لكن أخاها لم يشأ أن يسمع شيئًا من هذا. هذا المكان ليس بداره، وحتى المنزل الكبير ببابه الأحمر لم يكن داره. غاصت أصابعه في ذراعها أكثر فأكثر منتظرًا إجابتها، فقالت أخيرًا بصوتٍ راجفٍ والدموع تترقق في عينيها: «لا أعرف».

قال بحدة: «أنا أعرف. سنعود إلى الديار بجيشٍ يا شقيقتي العزيزة، جيشٌ غال دروجو. تلك هي وسيلة العودة، وإذا كان المقابل أن تتزوَّجيه وتُعاشرينه، فهذا ما ستفعلين»، وابتسم مضيئًا: «سأتركُ غالاساره كله يُضاحِكُ إذا دَعَتِ الحاجةُ يا شقيقتي العزيزة... الأربعون ألف رجلٍ جميعًا، وخبولهم كذلك إذا كان هذا ما يتطلبه حصولي على جيشي. عليك أن تُشْعري بالامتنان أنه دروجو وحده إذن. قد تتعلمين أن تُجِبيه مع مرور الوقت حتى. والآن جففي عينيك. إليريو قادم ومعه الغال، ولن يراكِ تبكين».

التفت داني ورأت أنهما قادمان بالفعل. كان الماچستر إليريو يتسم وينحني بلا توقُّف وهو يصحب غال دروجو إلى حيث كانا، ومسحت داني دموعها التي لم تسقط بظهر يدها.

قال فسيرس بعصبيةٍ ويده تسقط إلى مقبض سيفه: «ابتسمي، وقفي معتدلة. دعيه يرى أن لديكِ نهدين. تعلم الآلهة أنهما صغيران أصلًا». واعتدلت داني في وقفتهما ورسمت بسمةً على شفتيها.



إدارد

تدفق الزائرون من بوابات القلعة في نهر من الذهب والفضة والفولاذ المصقول، ثلاثمئة منهم، مفخرة من حملة الرايات والفُرسان، من المُحاربين غير النظاميين والسلاحدارية. فوق رؤوسهم رفرت الرايات الذهبية في رياح الشمال وقد زينها وعل عائلة باراثيون المتوج. كان ند ستارك يعرف كثيرين منهم، فها هو السير چايمي لانستر بشعره اللامع كالذهب المطروق، ثم السير ساندور كليجان بوجهه المحروق البشع، والصبي الطويل إلى جواره هو بالتأكيد ولي العهد، والرجل الضئيل وراءهم لا يمكن أن يكون غير العفريت، تيريون لانستر.

لكن الرجل ضخّم الجثة على رأس الركب، وعلى جانبيه فارسان يرتدي كل منهما معطف الحرس الملكي الأبيض كالثلج، كاد يبدو غريباً لند... إلى أن وثب من على صهوة جواده الحربي بجواره المألوف وضّمه في عناق سحق عظامه وصاح: «ند! آه، حقاً من الجميل أن أرى وجهك المتجمّد من جديد»، ورمقه الملك من رأسه إلى قدميه وأضاف ضاحكاً: «لم تتغيّر على الإطلاق».

كان ند يتمنى لو أنه يستطيع أن يرّد العبارة بمثلها. قبل خمسة عشر عاماً، عندما ركباً معاً إلى الحرب ليفوزا بالعرش، كان سيّد ستورمز إند حليق الوجه صافي العينين مفتول العضلات كما في أحلام العذراوات. كان يبلغ ستة أقدام ونصفاً طويلاً، يرتقي فوق من هم أدنى منه شأنًا،

وعندما يرتدي درعه ويضع خوذة عائلته العظيمة ذات القرون البارزة، كان يصير عملاقاً حقيقياً. كما أنه كان يملك قوّة عملاقٍ بالفعل، وسلاحه المختار كان عبارةً عن مطرقةٍ حربيةٍ تبرز منها أشواك من الحديد يكاد لا يستطيع أن يرفعها. في تلك الأيام كانت رائحة الجلد والدم تعلق به كالعطّر.

أمّا الآن فكان العطّر هو ما يعلق به كالعطّر، وصار عرضه بضخامة طوله نفسها. كانت آخر مرّة رأى فيها ند الملك قبل تسعة أعوام أثناء تمردّ بالون جرايچوي، عندما اتّحد الوعل مع الذئب الرّهيب للقضاء على مطامع الرجل الذي نصّب نفسه ملكاً على الجزر الحديدية. منذ تلك الليلة التي وقف فيها جنباً إلى جنبٍ في معقل جرايچوي، حيث قبل روبرت استسلام اللورد المتمرّد وأخذ ند ابنه ثيون كرهينةً وتابع شخصي له، كان وزن الملك قد زاد أكثر من مئة رطل، وغطّت لحية سوداء خشنة كالأسلاك الحديدية فكّه لتُخفي ذقنه المشقوقة ولُغده الملكي المتدلي، لكن لا شيء كان في وسعه إخفاء بطنه العظيم والحلقات السوداء تحت عينيه.

لكن روبرت كان مَلِك ند الآن وليس صديقه فحسب، فاكتفى بأن قال: «جلالة الملك، ويترفل تحت أمرك».

كان الآخرون قد بدأوا يترجّلون، وهُرِعَ السّائسون للعناية بخيولهم. دخلت سوسي لانستر، ملكة روبرت، على قدميها ومعها طفلها الآخران، لأن المركبة المجرورة التي جاءوا فيها -وهي مركبة ضخمة ذات طابقين مشيدة من السّنديان المطلي بألوان الزّيت والمعادن المذهبة، يجرّها أربعون حصان جرّ قويا- كانت أكبر من أن تمرّ من بوابة القلعة. ركع ند في الثّلج ليلثم خاتم الملكة، بينما عانق روبرت كاتلين كأنها أخته التي لم يرها منذ دهر. ثم جاء الطفلان وتمّ تقديمهما واحداً وراء الآخر، وتلقّى كل منهما استحسان الجانبين.

بمجرد انتهاء تلك التحيّات الرسميّة قال المَلِك لمضيفه: «إدارد، خُذني إلى السُّرداب. أريدُ أن أقدم احتراماتي».

أحبّه ند من أجل هذا، من أجل تذكُّره لأخته بعد كلّ تلك السنين. طلبَ ند مشكاةً دون حاجةٍ إلى قول شيءٍ آخر. كانت الملكة قد حاولت الاعتراض، فهُم راكبون منذ الفجر، والجميع يشعرون بالتعب والبرد، ولا بُدَّ من أن يستريحوا أولاً. باستطاعة الموتى أن ينتظروا. لم تقل أكثر من ذلك، ولمّا رمقها روبرت بنظرةٍ سحّبتها أخوها التّوأم جايمي من ذراعها برفق، ولم تقل هي شيئاً آخر.

نزلا إلى السُّرداب معاً، ند ومليكه الذي يكاد لا يتعرّفه. كانت السّلالم الحجريّة المتعرّجة ضيّقة، وتقدّم ند الطريق حاملاً المشكاة، بينما قال روبرت وهو ينزل: «كنتُ قد بدأتُ أحسب أننا لن نبلُغ ويتربّل أبداً. الطّريقة التي يتكلّمون بها في الجنّوب عن ممالك السّبع تجعل أيّ رجل ينسى أن نصيبك منها أكبر من السّت الأخرى مجتمعة».

- «هل استمتعّ جلالتك بالرحلة؟».

قال روبرت بامتعاض: «مستنفعات وغابات وحقول، ولا تكاد تكون هناك حانة مقبولة شمال "العنق". لم أرَ في حياتي مساحاتٍ فارغةً هكذا قطّ. أين ناسك؟».

قال ند ساخراً: «غالبًا كانوا أكثر خجلاً من أن يعرّجوا». كان يشعر بالفشعيّة التي تتسلّل إلى أعلى السّلالم قادمةً من أعماق الأرض. «الملوك مشهد نادر في الشّمال».

أصدرَ روبرت صوتاً مستهجنًا وقال: «كانوا يختبئون بين الثّلوج بالأحرى. الثّلوج يا ندا!». كان المَلِك يسند يده على الحائط ليثبت نفسه وهما ينزلان.

قال ند: «ثّلوج أو آخر الصّيف شيء طبيعي. أتمنّى أنها لم تُزعجكم. إنها خفيفة في المعتاد».

صاح روبرت: «فليأخذ "الآخرون" ثلوجكم الخفيفة! كيف سيكون هذا المكان في الشتاء؟ إنني أرتجف من مجرد الفكرة».

قال ند موافقاً: «الشتاء عصيب بالفعل، لكن آل ستارك سيصمدون أمامه كما فعلوا دائماً».

قال روبرت: «يجب أن تأتي إلى الجنوب. إنك في حاجة لتذوق الصيف قبل أن ينتهي. في هايجاردن ثمة حقول من الزهور الذهبية على مدى البصر، والفواكه طازجة ناضجة جداً لدرجة أنها تنفجر في فمك... شمام وخوخ وبرقوق ناري... إنك لم تذوق حلاوة كهذه في حياتك. ستري، لقد أحضرت لك بعضها. حتى في ستورمز إند والرياح العليلّة تهبّ من الخليج يكون النهار شديد الحرارة حتى أنك لا تستطيع الحركة. ويجب أن ترى البلدات يا ند، البلدات! زهور في كل مكان، والأسواق تعجّ بالأطعمة، والنبذ الصّيفي زهيد الثمن وشديد الجودة لدرجة أنك قد تشمل من مجرد تنفس الهواء هناك. الكل سمان ثملون وأغنياء»، وضحك ورَبّت على بطنه الضخمة بصوت مرتفع، واستطردّ بعينين لامعتين: «والفتيات يا ند! أقسم لك أن النساء هناك يفقدن كلّ ما لديهنّ من حشمة في الحر. يسبحن عاريات في النهر أسفل القلعة مباشرة. حتى في الشوارع الجوّ أكثر حرارة من أن يرتدي أحد الجلد أو الصوف، فيتنقلن في ثيابهنّ القصيرة، من الحرير إن كنّ يملكن قطعاً فضيّة تكفي، أو من القطن إن كنّ فقيرات، لكن لا فارق بين هذه وتلك عندما يبدأن في التصبّب عرقاً ويلتصق القماش بأجسامهنّ فتبدو الواحدة منهنّ كأنها عارية بالفعل»، وأطلق الملك ضحكة مرحة.

لطالما كان روبرت باراثيون رجلاً ذا شهية واسعة، رجلاً يعرف كيف يستمتع بملذّات الحياة، لكن لا أحد كان بإمكانه أن يتهم إدارد ستارك بأنه مثل روبرت. على أن ند لم يسعه إلّا أن يلاحظ الأثر الذي أحدثته تلك الملذّات في الملك. كان روبرت يلهث

عندما بلغا نهاية السَّلام، وجهه أحمر في ضوء المشكاة وظلمة السُّرداب تحتويهما.

قال ند باحترام: «جلالة الملك»، وحرك المشكاة في نصف دائرة واسعة، فتحركت الظلال وتمايلت، ومسَّ الضوء المتذبذب الأحجار تحت أقدامهما، وانسابَ على طاوور طويل من الأعمدة الجرانيتية التي امتدَّت أمامهما أزواجًا في الظلام. بين الأعمدة جلسَ الموتى على عروشهم الحجرية الموضوعة أمام الجدران، تستند ظهورهم إلى الأرضة التي تضمُّ رفاتهم. «إنها في نهاية السُّرداب، مع أبي وبراندون». قاذَ الطريق بين الأعمدة وتبعه روبرت صامتًا، يرتجف في البرد القادم من تحت الأرض. كانت البرودة تسود المكان ها هنا دائمًا. تردَّد صدى وقع أقدامهما على الأرض الحجرية في السُّرداب أمامهما وهما يسيران بين أموات عائلة ستارك. راقبهما سادة ويترفل وهما يَمُرَّان بملامحهم المحفورة في الأحجار التي تُغلق كلَّ قَبْر. في صفين طويلين جلسوا وعيونهم العمياء تُحدِّق في ظلام أبدي، بينما استقرَّ ذنب رهيب ضخَم الجثة عند قدمي كلِّ منهم. جعلتِ الظلال المتقلبة التماثيل الحجرية تبدو وكأنها تتحرك مع مرور الرجلين الحيين.

كانت الأعراف القديمة تنصُّ على أن يوضع سيف طويل من الحديد على حِجر كلِّ من كان سيِّدًا لويترفل، من أجل أن تظلَّ الأرواح المتقدمة في قبورها. كان أقدم السيوف قد تحوَّل بفعل الصدأ إلى شبه تراب منذ زمنٍ طويل، فلم يترك غير بضع بُقع حمراء حيث كان المعدن يستقرُّ على الحجر. تساءل ند إن كان ذلك يعني أن تلك الأشباح صارت تجوب القلعة حُرَّة الآن، وتمنَّى أن يكون ذلك غير صحيح. كان سادة ويترفل الأوائل قساة كالأرض التي حكموها، وفي القرون التي سبقت مجيء سادة التَّنانين عبر البحْر لم يكونوا يدينون بالولاء لأيِّ أحد، إذ نصبوا أنفسهم ملوكًا في الشَّمال.

توقّف ند أخيراً ورفع المشكاة. امتدَّ السرداب أمامهما في الظلام، لكن بعد تلك النقطة كانت القبور مفتوحة فارغة، حُفراً سوداء تنتظر موتاهما، تنتظره وتنتظر أبناءه. لم يكن ند يُحبُّ التفكير في هذا. قال للملك: «هنا»، فهزَّ روبرت رأسه بصمتٍ وركعَ وحنى رأسه.

كانت هناك ثلاثة قبور مرتّصة جنباً إلى جنب. كان اللورد ريكارد ستارك -أبو ند- ذا وجهٍ صارمٍ طويل. كان الحجار الذي بنى القبر يعرفه جيّداً، فجلسَ بوقارٍ هادئٍ وأصابه الحجرية تقبّض بقوة على السيف الموضوع على حجره، وإن كانت السيوف كلها قد خذلت في حياته. في ضريحين أصغر حجماً على جانبيه كان ابنه وابنته.

كان براندون في العشرين من عُمره عندما مات... شينق بأوامر الملك المجنون إيرس تارجارين قبل أيام قليلة من زفافه المزمع من كاتلين تلي ابنة ريفرن. يومها أجبروا أباه على مُشاهدته وهو يموت. كان الوريث الشرعي، الأخ الأكبر الذي وُلد ليحكم.

ليانا كانت في السادسة عشر فقط، امرأة طفلة ذات جمالٍ وعذوبة بلا نظير. كان ند يُحبُّها من كلّ قلبه، وروبرت أحبّها أكثر وأكثر، تلك التي كانت ستصير عروسه.

قال الملك بعد صمتٍ طال: «كانت أجمل من هذا». ظلّت عيناه مثبتتين على وجه لiana، كأنه يستطيع إعادتها للحياة، ثم نهضَ بثاقُلٍ أخيراً بفعل وزنه. «آه، تبّاً يا ندا! أكان يجب أن تدفنها في هذا المكان؟». كان صوته مبحوحاً مغلفاً بالحزن الذي جاء مع اجترار الذكريات. «كانت تستحقُّ أفضل من الظلام».

قال ند بهدوء: «لقد كانت من آل ستارك وابنة ويتترف. إن مكانها هنا». - «حريّ بها أن تكون على قمة تلٍّ في مكانٍ ما، أو تحت شجرة فاكهة، والشمس والسحاب فوقها والمطر يغسلها».

قال ند مذكراً الملك: «لا تنسَ أنني كنتُ معها عندما ماتت. لقد أرادت

أن تعود إلى ديارها لتستريح إلى جوار براندون وأبي». كان لا يزال يسمعها أحياناً. عِديني... قالتها في عُرفَةٍ مَعْبَقَةٍ برائحة الدَّم والزُّهور... عِديني يا ند. كانت الحُمَّى قد سَلَبَتْ قُوَّتَهَا وصَارَ صوتها خافتاً كهَمسة، لكن الخوف اختفى من عيني أخته عندما أعطهاها كلمته. تذكَّر ند كيف ابْتَسَمَتْ لحظتها، كيف أَطْبَقَتْ أَصَابِعَهَا بِقُوَّةٍ على أَصَابِعِهِ والحياة تنساب منها، وبتلات الزُّهور تَسْقُطُ من راحة يدها وقد ماتت واسودَّت. بعد ذلك كان لا يَذْكُرُ شيئاً. وجدوه مَتَمَسِّكًا بجثمانها والصَّمَتِ الحزين يُغَلِّفُهُ، وفصلَ رجل المستنقعات الصَّغير هولاند ريد يدها عن يده. لا يَذْكُرُ ند شيئاً من هذا. «أحضِرُ لها الزُّهور كلما استطعتُ. ليانا كانت... مولعةً بالزُّهور».

مَسَّ المَلِك وجنتها وتحسَّست أَصَابِعِهِ الحجر الخَشن بَرَقَةٍ كأنه لحم حي، وقال: «أقسمتُ أن أقتل ريجار لما فعله بها».

- «ولقد قتلته».

قال روبرت بمرارة: «مرَّةً واحدةً فقط».

كانا قد تقابلا وجهًا لوجه في مخاضة نهر الثالوث والمعركة مشتعلة من حولهما، روبرت بمطرقته الحربيَّة وخودته العظيمة ذات القرون، والأمير التارجارين في درعه السَّوداء تمامًا، وعلى صدر الدَّرع شعار عائلته الممتلئ في تَينين ذي ثلاثة رؤوس مشغول بأكمله بالياقوت، يتألَّق كالنَّار في نور الشَّمس. جَرَّت مياه مخاضة⁽¹⁾ الثالوث حمراء حول حوافر جواديهما وهما يدوران ويتصادمان مرَّةً تلو الأخرى، إلى أن هوى روبرت في النهاية بضربةٍ ساحقةٍ بمطرقته هَشَمَت التَّينين وصدر الأمير من تحته. عندما بلغ ند بُقعة قتالهما أخيرًا كان ريجار ميتًا في المياه، بينما أخذَ رجال من كلا الجيشين يُنْقَبُونَ في الماء عن الياقوت الذي سَقَطَ من درعه.

(1) المخاضة هي الجزء الصَّحلي من الأنهار والجداول الذي يُمكن الخوض فيه مشيًا أو على ظَهر الحصان.

قال روبرت: «في أحلامي أقتله كلَّ ليلة، لكن حتى ألف مِيتة ستظلُّ أقلَّ مما يستحقُّ».

لم يكن ند يملك شيئاً يرُدُّ به على هذا، وبعد فترة صمتٍ قال: «يجب أن نعود يا جلالة المَلِك. زوجتك في انتظارك».

تمتَم روبرت بحدَّة: «فليأخذ "الأخرون" زوجتي!»، لكنه بدأ يتحرَّك في الاتجاه الذي جاء منه بخطواتٍ ثقيلة. «وإذا سمعتك تُخاطبني بـ"يا جلالة المَلِك" مرَّةً أخرى، سأعلِّقُ رأسك على خازوق! إن ما بيننا أكبر من هذا».

أجاب ند بهدوء: «لم أنس هذا»، وعندما لم يرُد المَلِك سؤاله: «حدّثني عن جون».

هَزَّ روبرت رأسه قائلاً: «لم أر رجلاً يمرض بهذه السُرعة من قبل. لقد أقمنا سلسلة مباريات احتفالاً بيوم ميلاد ابني. لو كنت قد رأيت جون وقتها، لكنت أقسمت إنه سيعيش إلى الأبد. ثم إنه ماتَ بعد أسبوعين. كان الممرض كالنَّار في أحشائه وأحرقه عن آخره»، ثم توقَّف إلى جوار عمود، أمام واحد من آل ستارك ماتَ منذ زمن، وأضاف: «لقد أحببْتُ ذلك الرجل».

قال ند: «كلانا كان يُحبُّه»، وصمتَ لحظةً قبل أن يُردف: «كاتلين تشعرُ بالخوف على أختها. كيف تتعاملُ لايسا مع حُزنها؟».

لوى روبرت فمه وقال بضيق: «إنها ليست بخير في الحقيقة. أعتقدُ أن فقدان جون أفقَدَ المرأة صوابها يا ند. لقد أخذت الصَّبي وعادت به إلى "العُش" رغم أنني لم أوافق على ذلك. كنتُ أتمنى أن ينشأ عند تايوين لانستر في كاسترلي روك. جون كان بلا إخوة أو أبناء آخرين، فهل كان ينبغي عليَّ أن أترك النِّساء تُربِّي الصَّبي؟».

كان ند ليأتمن أفعىً على الصَّبي أكثر من اللورد تايوين، لكنه لم يتلفَّظ بشكوكه هذه، فبعض الجروح القديمة لا يندمل تمامًا حقًا، ويبدأ في

التَّزْيِف من جديد مع أَقْل كلمة. هكذا قال بحذر: «لعلَّ الأم خافت من أن تفقد ابنها، فهو لا يزال صغيراً جداً».

قال روبرت: «في السادسة، وسقيم، وسيد "العُش"، لترحمننا الآلهة. حريُّ بلايسا أن تَشْعُر بما في هذا من شرف، فاللورد تاويين لم يَتَّخِذ تابعاً شخصياً له من قبل، ولانستر عائلة عظيمة ونبيلة. لكن لايسا رفضت مجرد الفكرة، ثم إنها غادرت في جوف الليل دون أن تستأذن حتى. سرسي كانت غاضبة للغاية»، وتنهد بعمق وأضاف: «الصَّبي مسمَّى على اسمي، هل كنت تعرف هذا؟ روبرت آر.ن. لقد أقسمتُ أن أحميهِ، فكيف أفعلُ هذا وقد فرَّت به أمه؟».

قال ند: «سأخذه تابعاً شخصياً لي إذا شئت. لا بُدَّ أن لايسا ستوافق على هذا. هي وكاتلين كانتا قريبتين في صباهما، كما أن لها مكاناً هنا كذلك».

رَدَّ المَلِك: «عرض كريم يا صديقي، لكن فات الأوان. اللورد تاويين أعطى موافقته فعلاً، وتنشئة الصَّبي في مكان آخر ستكون بمثابة إهانة له».

- «سلامة ابن أختي تَهْمُنِي أكثر من كبرياء آل لانستر».

- «لأنك لا تنام مع واحدة منهم»، قال روبرت وقهقهة لتدوِّي قهقهته بين القبور وترتدُّ عن السَّقْف المقنطر، وابتسامته الواسعة تُضيء من بين أدغال لحيته السوداء الكثيفة. «آه يا ند، ما زلت شديد الجدِّيَّة»، ووضع ذراعه حول كتف ند وقال: «لا بُدَّ أنك تساءلت لِمَ جئتُ أخيراً إلى وينترفل بعد كل تلك السنين».

كانت الشُّكوك تُخالج ند، وإن لم يُصرِّح بها واكتفى بأن قال بكياسة: «من أجل مُتعة صُحبتي بالتأكيد. كما أن هناك "الجدار". يجب أن تراه يا جلالة المَلِك، أن تمشي بين شُرفاته المحصَّنة وتتكلَّم مع الرجال الذين يحمونهُ. إن حرس الليل الآن مجرد ظِلُّ لما كانوه من قبل. بنجن يقول إن...».

قاطعه روبرت قائلاً: «لا شك أني سأسمع ما لدى أخيك قريباً. الجدار» قائم منذ متى؟ ثمانية آلاف عام؟ سوف ينتظر بضعة أيام أخرى. إن لدي اهتمامات أكثر إلحاحاً الآن. نحن في أوقات عصيبة، وأنا أحتاج رجالاً صالحين حولي، رجالاً مثل جون آرن. لقد خدم كسيّد "العش" وحاكم الشرق ويد الملك، ولن يكون من السهل أن يحلّ أحد محله». - «ابنه...».

قال روبرت بفظاظة: «ابنه سيرث "العش" وكلّ دخوله وإيراداته، لا أكثر».

فاجأ الرّد ند، فتوقّف مندهشاً والتفتَ ينظر إلى مَلِيكه قائلاً: «لطالما كان أبناء آرن حكام الشرق. اللَّقب يُرافق المقاطعة».

قال روبرت: «ربما يستردّ هذا الشرف عندما يبلغ، لكنني أفكر في العام الحالي، والعام القادم. ولد في السادسة من عمره ليس بقائِد يا ند».

- «في زمن السّلام يكون اللَّقب مجرد شرف. دعه يحتفظ به، إن لم يكن من أجله فلاجل خاطر أبيه. لا شك أنك مدين لجون بهذا على الأقل لقاء خدمته».

لم بيدّ الملك مسروراً بهذا، ورفع ذراعه عن كتف ند قائلاً: «خدمة جون كانت واجبه الذي يدين به لمليكه. أنا لستُ ناكراً للجميل يا ند، وأنت من بين الجميع من المفترض أن تعرف هذا، لكن الابن ليس أباه، ومجرد صبي لا يستطيع السّيطرة على الشرق بأكمله»، ثم لانت لهجته وقال: «لكن دعنا من هذا، فثمة منصب أكثر أهمية تنبغي مُناقشته»، وأمسك ند من مرفقه وقال له: «أنا في حاجة إليك يا ند».

- «أنا رهن إشارتك يا جلالة الملك». كانت كلمات من المحتم أن يقولها، وهكذا قالها وقد انتابه القلق مما سيتبعها.

لم بيدّ أن روبرت قد سمعه أصلاً، واندفع يقول: «تلك الأعوام التي قضيناها في "العش"... بحقّ الآلهة كانت أعواماً رائعة. أريدك إلى جانبي

مرّة أخرى ياند، أريدك هناك في كينجز لاندنج، وليس هنا عند نهاية العالم حيث لا تفيد أحداً بشيء»، وتطلّع روبرت إلى الظلام، فبدأ للحظة كتيب الملامح كأحد آل ستارك. «أقسم لك، الجلوس على العرش أصعب ألف مرّة من الفوز به. القوانين عمل مُرهق، وعدّ القروش النحاسيّة أسوأ. والنّاس... إنهم لا ينتهون أبداً. أجلسُ هناك على الكرسي الحديدي الملعون وأسمع شكواهم إلى أن يُصاب ذهني بالخدر ومؤخّرتي بالتقرّحات. كلُّهم يريد شيئاً، المال أو الأرض أو العدالة. الأكاذيب التي يروونها... وكلّ لورد وليدي في بلاطي ليسوا أفضل منهم بحال. إنني محاط بالمرائين والحمقى. من شأن هذا أن يصيب أيّ رجل بالجنون يا ند. نصفهم لا يجرؤ على إخباري بالحقيقة، والنّصف الآخر لا يستطيع العثور عليها. تأتي عليّ ليالٍ أتمنّى فيها لو أننا خسرنا معركة الثالوث... آه، لا، ليس حقاً، لكن...».

قال ند بخفوت: «أفهمك».

رمقه روبرت قائلاً: «أعتقد أنك تفعل، وإذا كانت هذه هي الحقيقة، فأنت الوحيد يا صديقي القديم»، وابتسم وقال: «لورد إدارد ستارك، إنني أرغبُ في توليتك منصب يد المَلِك».

هوى ند على رُكبة واحدة. لم يكن العرض مفاجئاً له، فلأبى سبب آخر كان روبرت ليقطع كلّ تلك المسافة؟ يد المَلِك كان ثاني أقوى رجل في الممالك السّبع، يتكلّم بصوت المَلِك، يقود جيوش المَلِك، ويصوغ قوانين المَلِك، وفي أوقات يجلس حتى على العرش الحديدي ليقيم عدالة المَلِك، عندما يكون المَلِك غائباً أو مريضاً أو غير متواجدٍ لسبب أو لآخر. كان روبرت يعرض عليه مسؤوليّة بضخامة البلاد ذاتها. وكان هذا آخر شيء يريده في الدُّنيا.

قال: «جلالة المَلِك، أنا لستُ جديرًا بهذا الشّرف».

دمدم روبرت بنفاد صبرٍ لا تعوزه الدُّعابة: «لو أردتُ أن أشرفك

لتركتك تتقاعد. إنني أريدك أن تدير المملكة وتقود الحروب بينما أقطعُ طريقِي إلى قبرٍ مبكرٍ أكلاً وشرباً ونكاحاً»، وربّت على بطنه قائلاً بابتسامةٍ عريضة: «أتعرف ما يقولونه عن المَلِك ويده؟».

كان ند يعرف القول: «ما يحلُم به المَلِك بينه اليَد».

- «صاجعتُ ذات مرّةٍ صيَّادة سمك قالت لي إن الدَّهْماء لديهم طريقةٍ أخرى يُردّدونه بها: المَلِك يأكل واليَد يمسح الخراء»، وألقى روبرت رأسه إلى الوراء وأطلق ضحكته المجلجلة، فتردّد صداها في الظلام، ومن كلِّ مكانٍ حولهما بدا أن أمواتٍ ويتنرفل يُراقبون بعيونٍ باردةٍ مُستنكرةٍ. أخيراً خفت صوت الضَّحك ثم توقّف، وكان ند لا يزال على رُكبته ولم يرفع عينيه، فقال المَلِك: «تبّاً يا ند! يُمكنك أن تُجاريني بابتسامةٍ على الأقل».

قال ند بلهجةٍ محايدة: «يقولون إن البرد يشتدُّ هنا في السَّتاء لدرجة أن ضحكة الرجل تتجمّد في حلقه وتُخنّقه حتى الموت، ولربما هذا هو السَّبب الذي يجعل لدى عائلة ستارك حِسّ دعايةٍ قليلاً للغاية».

- «تعال معي إلى الجَنوب وسأعلّمك كيف تضحك من جديد. لقد ساعدتني على الفوز بهذا العرش اللّعين، فساعدني الآن على الاحتفاظ به. كان من المفترض دومًا أن نَحْكُم معًا. لو كانت ليانا قد عاشت لكننا قد صرنا أخوين يربطهما الدَّم بالإضافة إلى الحُب. حسنٌ، لم يَفُت أوان هذا. أنا لديّ ابن، وأنت لديك ابنة. ابني چوف وابنتك سانزا سِيرِبطان بين عائلتي كما كنتُ وليانا سنفعل من قبل».

أمّا هذا العرض فقد فاجأه بالفعل. «سانزا في الحادية عشرة لا أكثر». لَوْح روبرت بيده بصبرٍ نافذ وقال: «كبيرة بما يكفي للخطبة، أمّا الزَّواج فيُمكنه أن ينتظر بضعة أعوام»، ثم ابتسم المَلِك وقال: «والآن انهض عليك اللّعة وقُل نعم!».

أجاب ند: «لا شيء يُمكنه أن يُسعدني أكثر من هذا يا جلالة المَلِك».

ثم قال متردداً: «كُلُّ هذا التَّكْرِيم غير متوقَّع على الإطلاق. هل لي في بعض الوقت للتَّفكير؟ ويجب أن أخبر زوجتي كذلك».

- «نعم، نعم. أخبر كاتلين. لا تتَّخذ قرارك الآن»، ومدَّ المَلِك يده وقبَضَ على يد ند وسحبَه لينهض مضيقاً: «لكن لا تتركني منتظراً طويلاً. أنا لستُ بالرجل الصَّبور».

لوهلةٍ أفعَمَ إدارد ستارك وسواس مُقلِق. إن هذا مكانه، هنا في الشَّمال. تطلَّع إلى التَّمائيل الحجريَّة في كُلِّ مكانٍ حوله وهو يتنَفَّس بعُمقٍ في صمت السُّرداب البارد. كان باستطاعته أن يَشعُر بأعين الموتى المسلَّطة عليه، ويعرف أنهم كانوا يُصغون لما قيل... والشتاء قادم.



چون

كانت هناك مرّات - قليلة وليست كثيرة - يَشْعُرُ فيها چون بالسُّرور لأنه نغل، وخطر له وهو يملأ كوب النبيذ من إبريق يَمُرُّ به أحد الخدم أن هذه اللَّيلة قد تكون واحدة من تلك المرّات. هكذا استرخى في مكانه على الدُّكَّة بين مُرافقي الفُرسان الأقرب إليه سِنًا ورشف من كوبه باستمتاع، فملأ مذاق النبيذ الصَّيفي الحلو المليء بنكهة الفاكهة فمه ورسم ابتسامة على شفّتيه.

كانت قاعة ويتترفل الكُبرى غائمة من فرط الدُّخان وتفوح فيها رائحة اللَّحم المشوي والخُبز الطَّازج، والجدران الحجريّة ذات اللّون الرَّمادي أسدلت عليها الرّايات البيضاء والذهبيّة والقرمزيّة: ذئب ستارك الرّهب، وعل باراثيون المتوجّ، وأسد لانستر. كان هناك مُغنّ يعزف على القيثارة السّامية⁽¹⁾ ويُرَدّد أغنيّة شعبيّة، لكن هنا في هذا الرُّكن من القاعة كان صوته يكاد لا يسمَع فوق طقطقة النّار وجلبة الأطباق والأكواب المصنوعة من القصدير، والمهمة الخفيضة الصّادرة عن مئة محادثة بين السّكاري.

كانت ساعات أربع قد مرّت منذ بدأت المأدبة التي أقيمت ترحيبًا بالملك. جلس إخوة چون وأختاه مع الأطفال الملكيين أدنى المنصّة المرفوعة التي استضاف عليها اللورد والليدي ستارك الملك والملكة.

(1) آلة موسيقيّة من ابتكار المؤلّف.

لا شك أن أباه سيسمح لكل من أطفاله بأن يحتسي كأساً من النبيذ بهذه المناسبة، لكن لا أكثر من هذا، لكن هنا بين الدُّكِّ لم يكن هناك ما يمنع جون من أن يروي ظمأه كما يشاء.

ولقد وجد أنه يملك ظمأ رجل بالغ، ما أثار سرور الشباب الخشنيين من حوله، الذين حثوه على شرب كوب جديد كلما فرغ من واحد. كانوا رفقة لا بأس بها، وشعر جون بالاستمتاع بالحكايات التي يتبادلونها، حكايات عن الغزوات الحربية والغرامية، وحكايات عن الصيد. كان على ثقة بأن صُحبة رفاقه أمتع كثيراً من صُحبة أبناء الملك، ولقد أشبع فضوله نحو الزائرين بالفعل أثناء دخولهم، فالموكب كان يمرُّ على بُعد خطواتٍ معدودةٍ من مكانه على الدُّكة، وفحصهم جون جميعاً بنظراته. دخل السيد والدّه أولاً مصاحباً الملكة. كانت جميلة حقاً كما قال الرجال، يتألّق تاج مرصّع بالجواهر بين خصلات شعرها الذهبي الطويل، وما فيه من زمرّد نظير مثالي لأخضر عينيها. ساعدها أبوه على الصعود إلى المنصة وقادها إلى مقعدها، لكن الملكة لم تُكَلِّف نفسها أن تنظر له مرّة واحدة، وحتى في سنّ الرابعة عشر كان باستطاعة جون أن يرى ما وراء ابتسامتها المصطنعة.

ثم جاء الملك روبرت نفسه والليدي كاتلين تتأبط ذراعه. كان الملك بمثابة خيبة أمل عظيمة لجون، خصوصاً بعد كلام أبيه الكثير عنه... روبرت باراثيون الرجل مُنْقَطِع النَّظِير، شيطان الثالوث، أقوى مُحَارِب في البلاد، العملاق بين الأمراء. غير أن جون لم يرَ إلا رجلاً بدينًا محمرّ الوجه تحت لحيته، تشرب ثيابه الحريّة العرق الذي يتصبّب من مسامته. بعدهم جاء الأطفال، سيكون الصّغير أولاً في مشيته الطويلة بكلّ ما يستطيع طفل في الثالثة من عمره تدبيره من وقار، وحثّه جون على التقدّم عندما توقّف عنده ليُلقي التحية. بعده مباشرة جاء روب وقد ارتدى الصّوف الرّمادي الموشى بالأبيض كالوان آل ستارك، والأميرة مارسلا تتأبط ذراعه.

كانت فتاة نحيلة، لم تَبْلُغ الثامنة من العُمر بعد، شَعْرها شَلال من الجدائل الذَّهِيَّة تحت شبكةٍ محلَّاةٍ بالجواهر. لاحظَ جون النُّظرات الخجول التي كانت تَرْمُقُ رُوب بها وهما يَمْرَآن بين الموائد، والابتسامات المستحبة التي كانت تمنحه إياها، وقرَّر أنها فتاة حمقاء تافهة. رُوب لم يتحلَّ بالإدراك الكافي ليرى كم هي بَلْهَاء، وكان يتسم كالحمقى بدوره.

اصطحبت أختاه غير الشَّقِيقَتَيْن الأميرين، آريا مع تومن الصَّغير ذي الجِسم الممتلئ الذي كان شَعْره الأشقر أطول من شَعْرها، وسانزا - الأكبر منها بعامين - مع ولي العهد، الأمير جوفري باراثيون. كان في الثانية عشرة من عُمره، أصغر من جون وروب، لكن أطول من الاثنين قامةً، الأمر الذي أثار ضيق جون إلى أقصى حد. كان الأمير جوفري يملك شَعْر أخته وعيني أمه الخضراوين العميقتين، وتدلَّى شَعْره الأشقر الكثيف بعد القلادة الذَّهِيَّة التي تُطَوِّق عنقه ويافقه المخملية العالية. بدت سانزا بهيئةً حقاً وهي تمشي إلى جواره، لكن لم تَرُقْ لجون على الإطلاق الطريقة التي يَزُمُّ بها جوفري شفثيه الممثلتين، ولا النُّظرات الهازئة الملول التي أخذَ يَرْمُقُ بها قاعة ويتترفل الكُبرى.

كان مهتماً أكثر بالاثنتين اللذين جاءا بعدهم. إنهما شقيقا المَلَكَة، الأخوان لانستر ابنا كاسترلي روك، الأسد والعِفريت. لم يكن هناك مجال للخلط بينهما. كان السير جايمي لانستر شقيق المَلَكَة سرسي التَّوأم، طويل القامة ذهبي الشَّعر، عيناه الخضراوان تتألَّقان وابتسامته تقطع كالسَّكِّين. كان يرتدي ثوباً من الحرير القُرْمِزي وحذاءً أسودَّ طويل العُنق ومعطفاً من السَّاتان الأسود، وعلى صدر سُترته طُرُز الأسد - شعار عائلته - بخيوطٍ ذهبيَّة ليدو كأنه يزأر بتحدٍّ.

كانوا يُخاطبونه بلقب "أسد لانستر" في وجهه، ومن وراء ظهره ينعنون به "قاتل المَلَك".

وجدَ چون أن من الصَّعب حقًّا أن يُبعد عينيهِ عنه، وفي قرارة نفسه فكَّر
والسير چايمي يمرُّ به: هكذا من المفترض أن يبدو المَلِك.

ثم إنه رأى الآخر، يمشي متميلاً نصف متوارٍ إلى جوار أخيه. تيريون
لانستر، أصغر أبناء اللورد تاوين وأقبحهم على الإطلاق. كلُّ ما أعطته
الآلهة لسرسي وچايمي حرمت تيريون منه. كان قزما، يبلِّغ نصف طول
أخيه تقريباً، يُكافح لِيُجاري مشية أخيه بقدميه ناقصتي النُمو. كان رأسه
كبير الحجم جدًّا مقارنةً بجسده، وله وجه غليظ مسحوب إلى الدَّاخل
تحت جبهته المنتفخة. عين خضراء وعين سوداء كانتا تُحدِّقان من تحت
شعره الخفيف الأشقر جدًّا حتى كاد يكون أبيض. بدهشة شديدة راقبه
چون وهو يمرُّ.

آخر من دخلَ من كبار السَّادة كان عمه بنجن ستارك رجل حرس
الليل، وتابع أبيه الشَّخصي ثيون جرايچوي. منحَ بنجن چون ابتسامةً
دافئةً أثناء مروره به، بينما تجاهله ثيون تماماً، وهو شيء ليس بالجديد
على كلِّ حال. بعد أن جلسَ الجميع ورُفِعت الأنخاب وتم توجيه الشُّكر
وتلقَّيه، بدأت المأدبة.

بدأ چون يشرب من جديد ولم يتوقَّف.

احتكَّ شيء بساقه تحت المائدة، ورأى چون عيني حراوين تُحدِّقان
فيه، فسأل: «جُعت ثانية؟». كان هناك نصف دجاجة مشوية بالعسل لا
يزال موضوعاً في منتصف المائدة، فمدَّ چون يده ليقطع منه ساقاً، ثم
خطرت له فكرة أفضل. هكذا دَسَّ سكيناً في الطائر المطهي وتركه يسقط
على الأرض تحت قدميه، وبدأ جوست يُمزِّقه بأسنانه بضراوة صامتة. لم
يكن مسموحاً لإخوته وأخته أن يجلبوا ذنابهم إلى المأدبة، لكن في هذا
الرُّكن من القاعة كانت هناك كلاب أكثر مما يستطيع چون أن يُحصي،
ولم يُعلِّق أحد بكلمةٍ على وجود ذئبه الصَّغير. قال لنفسه إنه محظوظ
لهذا السَّبب كذلك.

شعرَ بلسمةٍ في عينيه، فحكَّهما بقوةٍ لاعتنا الدُّخان، وابتلعَ جرعةَ أخرى من النِّبذ وراقبَ ذئبه وهو يلتهم لحم الدَّجاجة.

تحرَّكت الكلاب بين الموائد في أثر الخادِمات. واحدة منها، هجينة سوداء ذات عينين صفراوين واسعتين، التقطت رائحة الدَّجاجة، فتوقفت ودست نفسها تحت الدُّكَّة لتتال نصيباً من اللحم. راقبَ چون المواجهة... أطلقت الكلبة زمجرة خفيفة ودنت أكثر، ورفعَ جوست عينيه بصمت تام وركَّز نظرات هاتين العينين الحمرائين النَّاريتين على الكلبة، فأطلقت هي نباحاً غاضباً مليئاً بالتحدي. كانت أكبر حجماً من الذئب الصَّغير بثلاث مرَّات كاملة، لكن جوست لم يتحرَّك من مكانه، بل وقفَ فوق غنيمته وفغرَ فاهه ليكشف عن أنيابه. عندها توترت الكلبة وأطلقت نباحاً آخر، ثم قرَّرت ألا تخوض ذلك الشَّجار، واستدارت وانسلت مبتعدة بعد أن نبحت مرَّة أخيرة لحفظ ماء وجهها، بينما عادَ جوست إلى وجبته.

ابتسمَ چون ومدَّ يده وداعبَ الفرو الأبيض المبعثر، ورفعَ الذئب الرَّهيب عينيه إليه، وعضَّضَ يده برفق، ثم واصلَ الأكل.

- «أهذا أحد الذئاب الرَّهيبية التي سمعتُ الكثير عنها؟»، قال صوت مألوف على مقربة منه، ورفعَ چون عينيه بسعادة وعمَّة بن يضع يده على رأسه ويُنفس شعره تماماً كما فعلَ چون مع ذئبه.

أجابَ مبتسماً: «نعم، اسمه جوست».

قاطعَ أحد مُرافقي الفرسان القصَّة البذيئة التي كان چون يحكيها، ليُفصح مكاناً على المائدة لأخي سيِّده، وجلسَ بنجن ستارك على الدُّكَّة مباعداً بين قدميه الطويلتين، وأخذَ كوب النِّبذ من يد چون، ثم تذوَّقه وقال: «نبيذ صيفي... لا شيء يُضاهي حلاوته. كم كوباً شربت يا چون؟».

ردَّ چون بابتسامة، فأطلقَ بن ستارك ضحكة وقال: «آه، كما خشيتُ. حسن، حسن. اعتقدُ أنني كنتُ أصغر منك عندما ثملتُ أول مرَّة كما ينبغي

أن يكون الثَّمَل»، واختطفَ بصلَةً مشويَّةً يسيل منها المَرَق البني من على صفحةٍ قرييةٍ وقضمَ منها لتُصدِر صوتَ قرمشةٍ.

كان عمُّه نحيلًا حادَّ الملامح، لكن في عينيه الزَّرَقاوين المائلتين إلى الرَّمادي كانت هناك دائمًا لمحة من الضَّحك. كان مُتَشَحِّحًا بالأسود كما يفعل جميع رجال حرس اللَّيل، وإن كان يرتدي اللَّبلة معطفًا مخمليًا ثمينًا، مع حذاءٍ جِلديٍّ عالٍ وحزام ذي إبريم فضِّي، بينما طَوَّقت سلسلة فضيَّة ثقيلة عنقه. راقبَ بنجن الذُّئبَ جوست باستمتاع وهو يلتهم بصلته، وقال معلقًا: «ذئب هادئ للغاية».

قال چون: «إنه ليس مثل الآخرين، لا يُصدِر صوتًا أبدًا. لهذا سمَّيته جوست، ولأنه أبيض كذلك. الآخرون كلهم داكنو اللَّون، إمَّا أسود أو رمادي».

قال بنجن ستارك: «ما زالت هناك ذئاب رهيبة وراء "الجدار". إننا نسمعها في جولتنا»، ثم رمقَ چون بنظرةٍ طويلةٍ وسأله: «ألا تأكل مع إخوتك على المائدة عادةً؟».

أجاب چون بلهجةٍ محايدة: «في معظم الأوقات، لكن اللَّيلة كان رأيي الليدي ستارك أن جلوس نغل بين أفراد العائلة الملكية قد يكون إهانةً لهم».

- «هكذا إذن». ألقى عمُّه نظرةً من وراء كتفه على المنصَّة المرفوعة في نهاية القاعة البعيدة، ثم قال: «أخي لا يبدو في مزاج احتفالي اللَّيلة». كان چون قد لاحظَ هذا بالفعل. على النُّغل أن يتعلَّم كيف يُلاحظ الأشياء، أن يقرأ الحقائق التي يُخفيها النَّاس وراء نظراتهم. كان أبوه يُشرف بنفسه على كلِّ المجاملات الضروريَّة، وإن كان يبدو أنه يعاني من ضيقٍ لم يره چون فيه من قبل إلا نادرًا. كان قليل الكلام، يتطلَّع إلى أنحاء القاعة بعينين تشوَّشت فيهما الرُّؤية فلا تريان. على بُعد مقعدين كان المَلِك يشرب بنهمٍ منذ بداية اللَّيلة، وتورَّد وجهه العريض بشدَّةٍ من

وراء لحيته السوداء الضخمة. رفع أنخاباً كثيرة، وضحك بصوتٍ مدوّ على كلّ دعاة، وانقضّ على كلّ طبقٍ وُضِعَ أمامه كرجلٍ يتصوّر جوّاً، بينما إلى جواره جلست الملكة صامتةً باردةً كتمثالٍ من ثلج. قال چون لعمّه بصوتٍ هادئٍ خفيضٍ: «الملكة غاضبة أيضاً. أبي اصطحب الملك إلى السرايب اليوم بعد الظهر، لكن الملكة لم تُرده أن يذهب».

رمق بنجن ابن أخيه بنظرةً فاحصةً طويلة، ثم قال: «أشياء قليلة تفوتك، أليس كذلك؟ إننا في حاجةٍ إلى رجالٍ مثلك على "الجدار"».

شعر چون بأنه ينتفخ من فرط الفخر، وقال: «روب أقوى مني في استخدام الحربة، لكنني أفضل منه في القتال بالسيف، وهالن يقول إنني أستطيع قيادة الخيول كأبي رجلٍ في هذه القلعة».

- «إنجازات بارزة».

قال چون باندفاعٍ مفاجئٍ: «خُذني معك عندما تعود إلى "الجدار". سيسمح أبي بأن أذهب إذا سألته أنت، أنا واثقٌ من هذا».

تطلع عمّه بنجن إلى وجهه بامعان، وقال: «"الجدار" مكان قاسٍ عليك يا بُني».

قال چون معترضاً: «إنني أكادُ أصبح رجلاً بالغاً. سوف أبلغ الخامسة عشر يوم ميلادي القادم، كما أن المايستر لوين يقول إن النغل ينضج قبل الأطفال الآخرين».

مطّ بنجن شفتيه وقال: «هذا صحيح»، ورفع كوب چون وملاه من إبريقٍ قريب، وأخذَ منه جرعةً طويلة.

قال چون: «دارن تارجارين كان في الرابعة عشرة فقط عندما غزا دورن». كان الملك الملقّب بالتّنين الصّغير واحداً من أبطاله المفضّلين. أشارَ عمّه بإصبعه قائلاً: «الغزوة التي دامت صيفاً كاملاً. ملكك الصّبي خسرَ عشرة آلاف رجلٍ لمجرّد أن يستولي على المكان، ثم خمسين ألفاً في المحاولة للسيطرة عليه. كان يجدرُ بأحدهم أن يقول له إن الحرب ليست

لعبة»، وأخذ رشفة أخرى من النِّبذ وأضاف وهو يمسح فمه: «كما أن دارن تارجارين كان في الثامنة عشر فقط عندما مات، أم أنك نسيت هذا الجزء؟». قال چون بثقة: «أنا لا أنسى شيئاً». كان النِّبذ قد مدّه بالجرأة، وحاول أن يجلس مستقيماً تماماً كي يجعل نفسه يبدو أطول. «أريد أن أخدم في حرس اللّيل يا عمّاه».

لقد فكّر في الأمر طويلاً وكثيراً وهو مستلق في الفراش ليلاً وقد غاب إخوته في النّوم حوله. روب سوف يرث ويتربّل ذات يوم ويقود جيوشاً جرّارة بصفته حاكم الشمال... بران وريكون سيكونان من حاملي راية روب، ويحكم كل منهما قلعةً باسمه... أخته آريا وسانزا تتزوّجان من وريثين من كبرى العائلات الأخرى وترحّلان إلى الجنّوب حيث نصير كل منهما سيّدة لقلعتها الخاصّة... أيّ مكانة إذن يتطلّع النّغل إليها؟ - «أنت لا تعي ما تطلّبه يا چون. حرس اللّيل إخوان تحت القسم، ليست لدينا عائلات، ولا أحد منا سيُنجب أبناء أبداً. زوجتنا هي الواجب، وعشيقتنا هي الشّرف».

قال چون: «حتى النّغل يستطيع أن ينال الشّرف في مكان ما. أنا مستعدّ لأن أقسم قسمكم».

قال بنجن: «أنت صبي في الرابعة عشر، ولست رجلاً، ليس بعد. لن تستوعب أبداً ما ستتخلّى عنه حتى تعرف امرأة ما». صاح چون بحرارة: «لا أبالي بهذا!».

غمغم بنجن برفق: «قد تُبالي إذا عرفت معناه. لو علمت ما سيُكلّفك إياه هذا القسم، فقد تخبو حماسك لدفع الثّمن يا بُني». شعر چون بالغضب يتمكّن منه، وهتف: «أنا لستُ ابنك!».

نهض بنجن ستارك قائلاً: «وهذا ما يُرثى له أكثر»، ووضع يده على كف چون مُردِّفاً: «كلّمني عندما تُنجب بضعة أبناء غير شرعيّين بنفسك، وسرى كيف تُشعر حينها».

ارتجفَ چون وقال ببطء: «لن أنجب أبناء غير شرعيين أبداً»، ورمقَ عمه مكرراً الكلمة كأنه ييضق سماً من فمه: «أبداً».

لاحظَ فجأةً أن جميع الجالسين إلى المائدة قد لاذوا بالصمت ويحدّقون فيه، وشعرَ بالدموع تتجمّع في عينيه، فدفَعَ نفسه ناهضاً من مكانه.

- «أستاذكم»، قال بما تبقى لديه من كرامة، ودارَ على عقبيه واندفعَ مغادراً قبل أن يروه يبكي. لكن يبدو أنه شربَ نبيذاً أكثر مما حسبَ، فقد اشتبكت قدماء تحته وهو يُحاول الانصراف، وترنّج جانباً ليرتطم بواحدة من الخدمات ليسقط إبريق النبيذ المتبل الذي تحمله ويتحطّم على الأرض. دوّت الضحكات من حوله، وشعرَ چون بالدموع الساخنة تسيل على وجنتيه. حاولَ أحدهم مساعدته على الوقوف، لكنه تملّص منه بعنفٍ وركضَ دون أن يرى تقريباً نحو الباب، وتحركَ جوست في أعقابهِ ليخرُج معه إلى ظلام الليل.

كانت السّاحة خالية هادئة، ووقفَ حارس وحيد عالياً في شُرقة حصن الجدار الداخلي، وقد صَمَّ معطفه حول جسده بإحكام ليتقي البرد. بدا ضجيراً بائساً وهو رابض هناك وحده، لكن چون كان ليتبادل الأماكن معه في غمضة عين. فيما عدا ذلك كانت القلعة مظلمة مهجورة. كان چون قد رأى قلعة مهجورة ذات مرّة، مكاناً كثيباً موحشاً لا يتحرّك شيء فيه غير الرّياح ولا تُفصح فيه الحجارة عن شيءٍ عن كلّ من عاشوا هناك. اللّيلة ذكّرتَه ويتترفل بتلك القلعة.

جاءت أصوات الموسيقى والأغاني من النّافذة من ورائه، وكانت آخر ما يرغب چون في سماعه. مسحَ دموعه بكُمّ قميصه شاعراً بالغضب الشّديد لأنه تركها تسقط، واستدارَ ليُغادر المكان.

- «أيها الصّبي»، ناداه الصّوت فالتفتَ چون. كان نيريون لانستر جالساً

على الإفريز فوق باب القاعة الكبرى، ليدو كالكراجل⁽¹⁾ من مكانه هذا. ابتسم القزم وهو يرفقه من أعلى قائلاً: «هذا الحيوان، أهو ذئب؟». قال جون: «ذئب رهيب. اسمه جوست»، ونظر إلى الرجل الصغير وقد نسي خيبة أمله فجأة، وسأله: «ماذا تفعل عندك؟ لماذا لست مع الآخرين في المأدبة؟».

أجاب القزم: «الكثير من الحر والكثير من الضوضاء، كما أنني شربت الكثير جداً من النبيذ. لقد تعلمت منذ زمن طويل أن من الحماقة أن تتقياً على أخيك. هل تسمح أن ألقى نظرة أقرب على ذئبك؟».

تردد جون، ثم هز رأسه ببطء وقال: «هل تستطيع النزول أم أحضر لك سلماً؟».

قال الرجل الصغير: «لا عليك بهذا السُخف»، ودفع نفسه من مكانه على الإفريز في الهواء المفتوح، فشقق جون وشاهد بانبيهار إذ دار تيريون لانستر كالكرة ثم هبط بخفة على يديه، قبل أن يثب إلى الخلف ليستقر على قدميه.

وتراجع جوست مبتعداً عنه بتوتر. نفص القزم الغبار عن نفسه وضحك قائلاً: «أعتقد أنني أخفت ذئبك. تقبل اعتذارى».

قال جون: «إنه ليس خائفاً»، وركع ونادى: «جوست، تعال، تعال هنا، هلم».

اقترب الذئب الصغير منه وحك أنفه بوجه جون، لكنه ظل يُراقب تيريون لانستر بعينين حذرتين، وعندما مدَّ القزم يده ليداعبه، تراجع وكشف عن أنيابه مُطلقاً زمجرة صامتة، فقال لانستر: «يبدو أنه خجول، أليس كذلك؟».

(1) الكرجل حيوان أسطوري تم تصويره في منحوتات عدّة، وبالأخص على الجدران الخارجية لعدد من كنائس المصور الوسطى على شكل ميزاب ناتئ.

قال چون آمرا: «جوست، اجلس. نعم، هكذا، اثبت في مكانك»، ثم رفع عينيه إلى القزم وقال: «يُمكنك أن تلمسه الآن. لن يتحرك حتى أمره. إنني أدركه منذ فترة».

غمغم لانستر: «مفهوم»، وداعب الفرو الأبيض كالثلج بين أذني جوست، وقال: «ذئب لطيف».

قال چون: «لو لم أكن هنا لمزق عُنُقك». لم يكن هذا صحيحًا بعد في الحقيقة، لكنه سيكون كذلك.

قال القزم: «من الأفضل أن تبقى قريبًا إذن في هذه الحالة»، وحنى رأسه الكبير إلى الجانب ورمق چون بعينه غير المتماثلتين وقال: «أنا تيريون لانستر».

- «أعرف»، قالها چون ونهض. كان أطول قامَةً من القزم وهو واقفٌ على قدميه، ما جعله يشعُر بشعورٍ غريب.

- «أنت نغل ند ستارك، أليس كذلك؟».

شعرَ چون ببرودةٍ تسري في جسده، فضغطَ شفثيه معًا ولم يقل شيئًا.

قال لانستر: «هل ضايقتك؟ معذرة، لكن ليس من الضروري أن يكون الأقزام لبقين. أجيال من المهرّجين المتواثيين في ثيابهم متنافرة الألوان منحَتي الحقَّ في أن أرتدي ملابس غير لائقة وأقول أيَّ شيءٍ يخطر على بالي»، وابتسم مُردِّفًا: «لكنك النغل رغم كلِّ شيء».

قال چون بجمود: «اللورد إدوارد ستارك أبي».

تطلَّع القزم لانستر إلى ملامحه وقال: «نعم، أستطيعُ أن أرى هذا. إن فيك من الشَّمال أكثر من إخوتك».

- «إخوتي غير الأشقاء». كان مسرورًا من تعليق القزم الأخير، لكنه أخفى شعوره هذا.

قال لانستر: «دعني أعطيك نصيحةً صغيرةً أيها النغل. إياك أن تنسى

ماذا تكون أبداً، لأن العالم بكل تأكيد لن ينسى. اجعل من هذا قوتك، فلا يكون نقطة ضعف لك أبداً. درّع نفسك بهذه الحقيقة ولن تُستخدم لأذيتك أبداً».

لم يكن جون في مزاج لأي نصائح من أحد، وقال بحدة: «ما الذي تعرفه عن كون أحدهم نغلاً؟».

- «كل قزم في العالم نغل في عيني أبيه».

- «لقد ولدتك أمك ابناً شرعياً لعائلة لانستر».

قال القزم بتهكم: «أنا كذلك حقاً؟ قل هذا لأبي إذن من فضلك. لقد ماتت أمي وهي تلدني، وهو لم يثق قط بكوني ابنه».

قال جون: «أنا لا أعرف من كانت أمي أصلاً».

- «كانت امرأة ما لا شك. معظمهن كذلك»، ورمق جون بابتسامة حزينة وقال: «تذكر هذا أيها الصبي. قد يكون كل قزم نغلاً، لكن ليس من المحتم أن يكون كل نغل قزماً». قالها واستدار واتجه متهادياً صوب المأذبة وهو يُصفرُ لحناً ما. عندما فتح الباب، ألقى الضوء القادم من الداخل ظله عبر الساحة، وللحظة عابرة وقف تيريون لانستر مديد القامة كملك.



كاتلين

من بين جميع الغرف في حصن ويتترفل الكبير كان مخدع كاتلين الأعلى حرارة، فنادرًا ما احتاجت لأن تُشعل ناراَ تندفأ بها. كانت القلعة مشيدةً فوق ينابيع ساخنة طبيعية، فتدفق مياهٌ تغلي بين جدرانها وغُرفها كالدماء في عروق إنسان، لتطرُد البرد من الحجارة وتملأ الدفينة الزجاجية بحرارة معتدلة رطبة وتحول دون تجمُّد التربة. كان البخار يتصاعد ليلاً نهارًا من البرك المفتوحة في دسنة من السّاحات الصّغيرة المنتشرة في أنحاء القلعة. لم يكن هذا يُمثّل الكثير في الصّيف، لكن في الشّتاء كان يعني الفارق بين الحياة والموت.

كان حمّام كاتلين ساخناً دائماً، لا يكفُّ البخار عن التصاعد من مائه، والجدران المحيطة بها دافئة الملمس. ذكرها الدّفء بريفررن، في الأيام التي قضتها تحت الشّمس مع لايسا وإدميور، بينما لا يطيق ند الحرّ أبداً. كان يقول لها إن أبناء ستارك مخلوقون للبرد، فكانت تضحك وتقول له إن ذلك لو كان صحيحاً، فقد اختاروا بناء قلعتهم في المكان الخطأ.

عندما فرغا، انزاح ند من فوقها ونهض من الفراش كما فعل ألف مرّة من قبل، وعبر الغرفة ليزيح الستائر الثقيلة المزدانة بالرّسوم، وبدأ يفتح النّوافذ الضيّقة العالية واحدة تلو الأخرى، ليُدخل هواء اللّيل إلى الغرفة. دارت الرّيح حوله وهو واقف يواجه الظّلام عارياً خاوي اليدين، بينما سحبّت كاتلين الأغطية المصنوعة من الفرو إلى ذقنها وراقبته بصمت.

بشكل ما كان يبدو أصغرَ وأكثر هشاشةً، أقرب إلى الشاب الذي عُقِدَ قرانها عليه في السَّيِّءِ في ريفرَرَن منذ خمس عشرة سنة طويلة. كانت لا تزال تَشْعُرُ وجعًا بين ساقِها من جرَّاء خشونة وقاعة لها. كان وجعًا من النوع الجيِّد، وكانت تَشْعُرُ بِبِذْرَتِهِ في أحشائها، فتمنَّتْ بأن تستحيل إلى جنين يَرْتَكِضُ في بطنها. لقد مضت ثلاثة أعوام منذ ولادة ريكُون، وهي ليست مُسِنَّةً بعد، وتستطيع أن تُعْطِيَهُ ابناً آخر.

- «سأرفضُ»، قال ند وهو يلتفت إليها بعينين مُثْقَلَتَيْنِ بالهموم وصميت مفعم بالشك.

اعتدلت كاتلين جالسةً في الفراش وقالت: «لا يُمكنك أن تفعل هذا، ولا ينبغي أن تفعله».

- «واجباتي هنا في الشَّمال، وليست لديَّ رغبة في أن أصير يدَ روبرت».

- «روبرت لن يفهم هذا. إنه مَلِكُ الآن، والملوك ليسوا كغيرهم. إذا رفضت أن تخدمه، سيتساءل عن السَّبَب، وعاجلاً أو آجلاً ستتأبه الشُّكوك في أنك تُعَارِضُه. ألا ترى الخطر الذي ستضعنا فيه؟».

هَزَّ نَدَ رأسه برفض من لا يُصَدِّق، وقال: «روبرت لا يُمكنه أن يمَسَّنِي أو يمَسَّ أحداً من أهلي بسوء. لقد كنا أقرب من أخوين، وهو يُجْبِنِي. إذا رفضتُ، سيرغي ويزيد، ثم بعد أسبوعٍ واحد سنضحك من الأمر كله معاً. إنني أعرفُ هذا الرجل!».

- «كنت تعرف الرجل، لكن المَلِكُ شخص غريب عليك». تذكَّرت كاتلين أنثى الذئب الرَّهيب الميته بين الثُلُوج، والقرن المكسور المغروس في عُمق حلقها. عليها أن تجعله يري ما لا يراه. «الكبرياء تعني كلَّ شيءٍ للملوك يا سيِّدي، وروبرت قطعَ كلَّ تلك المسافة ليراك، ليخلع عليك تكريمه لك بشتَّى الأساليب، ولا يُمكنك أن تُلقِي بهذا في وجهه ثانية».

قال ند بمرارة: «تكريمه؟».

- «في رأيه هو، نعم».

- «وفي رأيك؟».

قالت محتدة وقد بدأت تغضب: «وفي رأيي». لماذا لا يرى؟ «إنه يعرض زواج ابنه نفسه بابتنا، فماذا يكون هذا غير تكريم؟ سانزا قد تصير ملكة ذات يوم، أبنائها قد يحكمون من "الجدار" وحتى جبال دورن. ما السي في كل هذا؟».

قال ند: «بحق الآلهة يا كاتلين، سانزا ما زالت في الحادية عشرة، وچوفري... چوفري...».

أكملت هي عبارته قائلة: «... ولي العهد، ووريث العرش الحديدي، ولا تنس أنني كنت في الثانية عشرة لا أكثر عندما وعدني أبي لأخيك براندون».

لوى ند فمه بضيق وقال: «براندون، نعم... براندون كان سيعرف ماذا يفعل كما كانت عاداته دائماً. كان من المفترض أن يؤول كل شيء لبراندون، أنت، وبتترفل، كل شيء. لقد ولد ليكون يداً لملك وأباً لملكات. أنا لم أطلب قط أن أشرب من هذه الكأس».

قالت كاتلين: «ربما لا، لكن براندون مات والكأس في يدك بالفعل، ويجب أن تشرب منها راق لك هذا أم لم يرق».

أشاح ند بوجهه عنها عائداً إلى الليل، ووقف يحدق في الظلام ويراقب القمر والنجوم ربما، أو ربما الحرس على الأسوار.

رقت حدة كاتلين عندها وقد رأت ألمه. كان إدارد ستارك قد تزوجها بدلاً من براندون كما تنص الأعراف، لكن ظل أخيه الميت كان لا يزال يحول بينهما كظل تلك الأخرى، المرأة التي يرفض أن يقول اسمها، المرأة التي أنجبت له ابنه غير الشرعي.

كانت على وشك النهوض والذهاب إليه عندما جاءت من الباب دقة مرتفعة غير متوقعة، فالتفت ند مُقَطَّباً جبينه وقال: «ماذا هناك؟».

جاء صوت دزموند من وراء الباب يقول: «سيدي، المايستر لوين في الخارج ويرغب في المثل أمامك في الحال».

- «هل أخبرته بأنني تركتُ أوامر بالأيّز عجنّي أحد؟».

- «نعم يا سيدي، لكنه مُصر».

- «ليكن، دعه يَدْخُل».

قطع ند الغرفة إلى صوان الملابس ووضع معطفًا ثقيلاً، ولاحظت كاتلين فجأة أن البرد قد صارَ قويًا فعلاً. عادت تعتدل جالسةً في الفراش وسحبت الأغطية إلى ذقنها، وقالت: «لعلّ من الأفضل أن نُغلق النوافذ».

هزّ ند رأسه بشرود، بينما دلف المايستر لوين إلى الغرفة. كان رجلاً أشيب صغير الحجم، عيناه رماديتان سريعتان الملاحظة، ورأيتا الكثير.

القليل الذي تركه الزمن من شعره كان أبيض، وكان يرتدي معطفًا من الصوف الرمادي المبطن بالفرو الأبيض كألوان عائلة ستارك. كان

للمعطف كُمان فضفاضان يَصُمّان جيوبًا خفيفة داخلهما، فكان لوين دائماً ما يَدسُّ في الكُمّين أشياء ويُخرج أشياء... كتب، رسائل، أدوات غريبة،

لُعب للأطفال. مع كلّ هذه الأشياء التي يُخفيها المايستر لوين في كُمّيه كانت كاتلين تشعر بالذهشة من أنه يستطيع أن يرفع ذراعيه أصلاً.

انتظر المايستر حتى انغلق الباب وراءه قبل أن يتكلّم موجّهاً كلامه لند: «أعتذرُ على إزعاجك وقت راحتك يا سيدي، لكن هناك رسالة

تُركت لي».

بدا ند متكدّراً وهو يقول: «تُركت؟ ومن تركها؟ هل جاء مرسال؟ لم يُبلغني أحد بهذا».

- «لم يأت أيّ مرسال يا سيدي، فقط صندوق خشبي منقوش تركه أحدهم على منضدة في مرصدي وأنا غاف. لم يرَ خدمي أحداً، لكن لا

بُدّ أن من جاء به موجود في موكب الملك، لأننا لم نستقبل أيّ زائرين آخرين من الجنوب».

قالت كاتلين: «صندوق خشبي تقول؟».

- «في داخله كانت عدسة جديدة ممتازة للمرصاد، من مير كما يبدو من شكلها. صنَّاع العدسات في مير لا نظير لهم».

عقدَ ند حاجبيه. كانت كاتلين تعرف أنه لا يملك الكثير من الصَّبر على تلك الأشياء. «عدسة؟ وما شأن هذا بي؟».

قال المايستر لوين: «لقد سألتُ السؤال نفسه. كان من الواضح أن المسألة تنطوي على ما هو أكثر».

ارتجفت كاتلين تحت الأغطية الثقيلة وقالت: «العدسة أداة تُساعدنا على الرؤية».

- «بالفعل»، قال المايستر وهو يُداعِب طوق جماعته، السُّلسلة الثقيلة المثبَّتة تحت المعطف، وكل حلقة فيها مصنوعة من معدنٍ مختلف.

شعرت كاتلين بالخوف يتحرَّك في داخلها من جديد وهي تقول: «وما الذي يريدوننا أن نراه بوضوح أكثر؟».

- «هذا أيضًا سألتُه»، وسحب المايستر لوين ورقة ملفوفةً بإحكام من كُمِّه وأردف: «وجدتُ الرِّسالة الحقيقيَّة مخفيَّةً داخل قاع زائف عندما فككتُ الصندوق الذي جاءت فيه العدسة، لكن الرِّسالة ليست لي لأقرأها».

مدَّ نده قائلًا: «ناولني إياها إذن».

لم يتحرَّك لوين من مكانه، وقال: «معذرةً يا سيِّدي، لكن الرِّسالة ليست لك كذلك. إنها لعيني الليدي كاتلين وحدها. هل تسمحين أن أقترِب يا سيِّدي؟».

هزَّت كاتلين رأسها غير واثقةً ماذا تقول، ووضع المايستر الورقة على الطاولة المجاورة للفراش. كانت مختومةً بشمع أزرق.

انحنى لوين وبدأ يتراجع، لكن ند قال أمرًا بصوتٍ عابس: «لا تُغادر»، ثم التفتَ إلى كاتلين وسألها: «ماذا هناك يا سيِّدتي؟ إنك ترتجفين».

قالت معترفة: «لأنني خائفة»، ومدّت يدها المرتجفة لتلتقط الرسالة، فسقطت الأغطية الفرو لتكشف عن عُريها دون أن تُلاحظ. في السَّمْع الأزرق كان ختم عائلة آرن الذي يُصوّر القمر والصَّقر، فقالت كاتلين: «إنها من لايسا»، ثم رفعت عينيها إلى زوجها وأضافت: «هذه الرسالة لا تحمل لنا أخبارًا سارة. ثمة حُزن في هذه الرسالة يا ند، يُمكنني أن أشعر به».

قال زوجها والعبوس لم يُفارق صوته أو ملامحه: «افتحيها». وكسرت كاتلين الختم.

جرت عيناها على الكلمات. في البداية لم تكن تحمل أي معنى لها، ثم إنها تذكّرت شيئًا وقالت: «لايسا لم تُجازف بافتضاح فحوى الرسالة. لايسا وأنا كانت لدينا لغة سرّية نستخدمها معًا عندما كنا صغيرتين».

- «هل تستطيعين قراءتها؟».

- «نعم».

- «أخبرينا إذن».

قال المايستر لوين: «ربما يجدر بي أن أغادر».

قالت كاتلين: «كلا، سنحتاج إلى مشورتك»، وأزاحت الأغطية ونهضت من الفراش. كان هواء الليل باردًا كالقبر على بشرتها العارية وهي تقطع الغرفة. غَضَّ المايستر لوين بصره، وحتى ند بدا مصدومًا وهو يسألها: «ماذا تفعلين؟».

قالت: «سأشعل نارًا»، والنقطة معطفاً دسّت نفسها فيه، ثم مالت على المدفأة الباردة.

قال ند للرجل المُسن: «مايستر لوين...»، لكنها قاطعته بقولها: «المايستر لوين ولّد جميع أبنائي. الوقت ليس مناسبًا للخجل الزائف»، ودسّت الورقة بين الحطب ووضعت القطع الثقيلة فوقها.

عبر ند الغرفة وأمسكها من ذراعها وسحبها لتقف، ثم قال بإلحاح

ووجهه قريب جداً من وجهها: «أخبريني يا سيّدي، ماذا كان في الرّسالة؟».

تجمّدت كاتلين في مكانها وقالت بصوت خفيض: «تحذير، إذا كنا نملك ما يكفي من حصافة لنسمع».

أمعن النّظر إلى وجهها قائلاً: «أكملي».

- «لايسا تقول إن جون آرن مات قتيلاً».

ضاقت أصابعه حول ذراعها وهو يقول: «ومن قتله؟».

- «آل لانستر، المَلِكة».

أطلق ند سراح ذراعها لتترك أصابعه علاماتٍ حمراء عميقة في جلدها، وهمس: «أختك سقيمة من فرط الحُزن بحق الآلهة. إنها لا تدري ماذا تقول».

قالت كاتلين: «بل تدري. لايسا مندفعة، نعم، لكن هذه الرّسالة كانت مرتبةً ومخفيةً بعناية شديدة. لا بُدَّ أنها كانت تعرف أن الرّسالة تعني موتها إذا وقعت في اليد الخطأ. هذه المجازفة الكبيرة منها تعني أنها تملك أكثر من مجرد شكوك»، ثم رمقت زوجها وقال: «الآن ليس لدينا خيار فعلاً. لا بُدَّ أن تُصبح يد روبرت. لا بُدَّ أن تذهب جنوباً معه وتعرف الحقيقة».

رأت على الفور أن ند قد بلغَ نتيجةً مختلفةً تمامًا. «الحقائق الوحيدة التي أعرفها موجودة هنا. الجنوب وكر أفاع حريّ بي أن أتحاشاه».

شدّ لوين طوقه المسلسل حيث حكّ جلد عنقه الرقيق، وقال: «يُدّ المَلِك يحوز سُلطاتٍ ضخمةً يا سيّدي، سُلطاتٍ تتيح له العثور على حقيقة موت اللورد آرن ووضع قتلته أمام عدالة المَلِك، سُلطاتٍ تكفي لحماية الليدي آرن وابنها إذا وقع الأسوأ».

دار ند بعينه ببؤسٍ في الغرفة، وشعرت كاتلين بقلبيها يتوجّع من أجله، لكنها لم تكن تستطيع الدّهاب إليه واحتواءه بذراعيها الآن. لا بُدَّ

من الحصول على هذا الانتصار أولاً من أجل أطفالها. «نقول إنك تُحب روبرت كأخ، فهل تترك أخاك محاطاً بال لانستر؟».

غمغم ند متجهماً: «فليأخذكما "الآخرون" معاً»، وأدارَ وجهه عن الاثنين إلى النَّافذة. لم تنطق كاتلين أو المايستر، وانتظرا صامتَيْن بينما ردَّد إدارد ستارك وداعاً صامتاً للبيت الذي أحبه، وعندما عادَ يلتفت إليهما من جديد أخيراً، كان صوته متعباً ومفعماً بالكآبة، والتمع البلب بخفوتٍ في رُكني عينيه. «لقد ذهبَ أبي جنوباً ذات مرَّة ليُلَبِّي نداء ملك، ولم يعد بعدها قطُّ».

قال المايستر لوين: «في زمنٍ مختلف مع ملكٍ مختلف».

- «أجل»، قال ند بفتور وهو يجلس في كرسيٍّ إلى جوار المدفأة، ثم خاطبَ زوجته قائلاً: «كاتلين، ستبقين هنا في وينترفل».

كانت كلماته كتيارٍ هواءٍ مثلجٍ اخترقَ قلبها، وقالت: «لا» وقد انتابها الخوف فجأةً. أهذا عقابها؟ ألا ترى وجهه مرَّةً أخرى أو تشعرُ بذراعيه حولها؟

قال ند بلهجةٍ لا تحتمل نقاشاً: «نعم. يجب أن تحكُمي الشمال في مكاني بينما أديرُ شؤون روبرت. ينبغي أن يكون هناك ستارك دائماً في وينترفل. روب في الرابعة عشرة، وسيصير رجلاً بالغاً عما قريب. يجب أن يتعلَّم كيف يحكُم، وأنا لن أكون موجوداً لأعلمه. أشركه في مجالسك، فيجب أن يكون مستعداً عندما يحين وقته».

غمغم المايستر: «بعدُ عمرٍ طويل بمشيئة الآلهة».

- «مايستر لوين، إنني أثقُ بك كما أثقُ بمن هُم من دمي. أعطِ زوجتي صوتك في كلِّ الشُّؤون، كبيرها وصغيرها، وعلم ابني ما يحتاج أن يتعلَّمه. إن الشتاء قادمٌ».

هَزَّ الرجل رأسه برزانة، ثم رانَ الصَّمت على الغرفة، إلى أن عثرت

كاتلين على شجاعتها وألقت السؤال الذي كانت تخشى إجابته أكثر من أي شيء آخر: «وماذا عن بقية الأطفال؟».

نهض ند واحتواها بين ذراعيه، ورفع وجهها بالقرب من وجهه وقال برفق: «ريكون صغير جدًا، ويجب أن يبقى هنا مع روب. الآخرون سأأخذهم معي».

قالت كاتلين مرتجفة: «لن أحتمل هذا».

- «يجب أن تفعلي. سانزا ستزوّج جوفري. هذا واضح الآن، فلا يجب أن نُعطِيهم سببًا للشك في إخلاصنا. كما أن آريا كان من المفترض أن تتعلم أساليب الحياة في بلاط جنوبي منذ زمن. سوف تبلغ سن الزواج خلال سنوات قليلة هي الأخرى».

قالت كاتلين لنفسها إن سانزا ستألق حقًا في الجنوب، لكن تعلم الآلهة أن آريا في حاجة إلى تهذيب حقيقي. على مضض تخلّت عن وجودهما بالقرب منها في قلبها، لكن ليس بران، إلا بران. هكذا قالت: «أنت على حق، لكن أرجوك ياند، أستحلفك بحبك لي أن تدع بران يبقى هنا في وينترفل. إنه في السابعة فحسب».

أجاب ند: «لقد كنت في الثامنة عندما أرسلني أبي لأنشأ في "العش". السير رودريك يقول لي إن هناك مشاعر سيئة بين روب والأمير جوفري، وهذا ليس صحيحًا. بران يستطيع اختصار تلك المسافة بينهما. إنه ولد جميل، سريع الضحك وسهل على أي أحد أن يُحبّه. دعيه ينشأ مع الأميرين الصغيرين، دعيه يكون صديقًا لهما كما كان روبرت صديقي. ستكون عائلتنا أكثر أمنًا هكذا».

كانت كاتلين تعرف أنه مُحقّق، لكن هذا لم يُخفّف وطأة الألم. سوف تفقد أربعتهم إذن... ند والفتاتين وبران المُحب الجميل، ولن يتبقى لها غير روب وريكون الصغير. كانت تشعر بالوحدة الآن بالفعل. وينترفل

مكان شاسع حقًا. أخيرًا قالت رابطة جاشها: «أبقه بعيدًا عن الجدران إذن. أنت تعلم كم يُحبُّ بران التسلق».

لثم ند العبرات في عينيها قبل أن تسيل على وجهها، وهمس: «أشكرك يا سيّدي. أعرفُ أن هذا عسير عليك».

سأل المايستر لوين: «وماذا عن چون سنو يا سيّدي؟».

توتّرت كاتلين مع ذكر الاسم، وشعرَ ند بالغضب في داخلها وأبعدَها عنه.

رجالٌ كثيرون كانوا يُنجبون أبناءً غير شرعيّين، وكاتلين نشأت مدركةً تلك الحقيقة، ولذا لم تندهش لمّا عرفت أن ند في عام زواجهما الأول قد أنجبَ طفلًا غير شرعي من فتاةٍ عابرةِ النقى بها في حملةٍ عسكريّة. كان يملك احتياجات رجلٍ رغم كلِّ شيء، وقد قضيا ذلك العام بعيدين عن بعضهما البعض مع ذهاب ند إلى الحرب في الجنوب وبقائها آمنةً في قلعة أبيها في ريفررن. كانت أفكارها مرَكّزةً على روب الرضيع الذي يلتقم ثديها أكثر من الزوج الذي تكاد لا تعرفه. هنيئًا له بأيّ سلوى يجدها بين المعارك، وكانت تتوقّع منه أن يعنى باحتياجات الطفل إذا أنجبت له أخرى طفلًا بالفعل. ولقد فعل أكثر من ذلك، فرجال ستارك ليسوا كأيّ رجالٍ آخرين. أحضرَ ند ابنه غير الشرعي معه إلى ويترفل، وكان يُخاطبه دائمًا بـ«يا بني» كي يشهد الشمال كله. عندما انتهت الحروب أخيرًا وذهبت كاتلين إلى ويترفل، كان چون ومُرُضعته قد أصبحا من ساكني المكان بالفعل.

كان الجرح عميقًا. لم يكن ند يتكلّم عن الأم أبدًا، ولا ينس بكلمةٍ واحدةٍ عنها حتى، لكن ليست هناك أسرار في القلعة، وكاتلين سمعت خادوماتها يُردّدن الحكايات التي سمعتها من أزواجهن الجنود. كن يتهامسن عن السير آرثر داين الملقّب بـ«سيف الصّباح»، أضرى فُرسان حرس إيرس تارجارين المَلَكِي السّبعة، وكيف قتله في نزالٍ فردي، ويقلن

كيف حملَ ند بعدها سيف السير آرثر إلى أخته الجميلة التي كانت تنتظره في قلعة اسمها ستارفول على ساحل بحر الصَّيف... الليدي أشارا داين الحسنة الطويلة ذات العينين البنفسجيتين الأسرتين. استغرقت كاتلين ما يقرب من أسبوعين كي تستجمع شجاعتهما، وأخيرًا كانت في الفراش إلى جوار زوجها ذات ليلة عندما سأله ووجهها في وجهه عن الحقيقة.

كانت تلك هي المرة الوحيدة في سنينهما معًا التي شعرت فيها بالخوف من ند. ليلتها قال بصوت يُحاكي برودته الثلج: «إياك أن تسأليني عن جون. إنه من دمي، وهذا هو كل ما تحتاجين معرفته. والآن سأعرف منك أين سمعت ذلك الاسم يا سيّدتني». كانت قد تعهّدت بطاعته، ومنذ ذلك الحين توقّف الهمس تمامًا، ولم يُسمع اسم الليدي أشارا داين في ويترفل بعدها أبدًا.

أيّا كانت أم جون، فلا ريب أن ند قد أحبّها بشدّة، لأن لا شيء قالته كاتلين نجح في إقناعه بأن يصرف الصّبي من المكان. كان هذا هو الشيء الوحيد الذي لا تستطيع أن تغفّره له. إنها تُحبّ زوجها من كلّ قلبها، لكنها لم تستطع أن تجد في قلبها أيّ محبةً لجون. كان بوسعها أن تنجاهل وجود دسّته من الأبناء غير الشرعيّين من أجل خاطر ند، فقط إذا كانوا بعيدين عن نظرها. لكن جون لم يكن بعيدًا عن الأنظار قطّ، ومع نموّه صار أشبه بند أكثر من أيّ من أبنائه الشرعيّين الذين حملتهم له، وبشكل ما جعل هذا الأمر أسوأ. هكذا قالت: «جون يجب أن يغادر». قال ند: «هو وروب قريان، وكنتُ أملُ أن...».

قاطعت كاتلين بعصيّة: «لا يُمكنه أن يبقى هنا. إنه ابنك أنت وليس ابني، ولن أسمح بأن يظلّ هنا». كانت تعرف أن ما تقوله صعب، لكنها الحقيقة في الآن نفسه. ند لن يُسدي للصّبي أيّ معروفٍ بجعله يبقى هنا في ويترفل.

كانت النظرة التي رمقها ند بها شديدة الألم وهو يقول: «أنت تعرفين

أني لا أستطيع أن آخذه معي جنوباً، فلن يكون هناك مكان له في البلاط. صبيٌّ يحمل لقب نغل... تعرفين ما سيقولونه عنه. سيكون منبوذاً هناك». صفحت كاتلين قلبها ضد التوسُّل الصَّامت في نظرات زوجها، وقالت: «يقولون إن صديقك روبرت أنجبَ دسَّةً من الأبناء غير الشرعيَّين عن نفسه».

قال ند غاضباً: «ولم يحدث أن شوهد واحد منهم في البلاط من قبل! لقد تأكَّدت ابنة لانستر من عدم حدوث ذلك. كيف يُمكنك أن تكوني بتلك القسوة يا كاتلين؟ إنه مجرد صبي، مجرد...».

كان من الواضح أنه يشعُر بغضب شديد، وكان ليقول المزيد لولا أن المايستر لوين قاطعه قائلاً بهدوء: «ثُمَّ حُلَّ آخر يُقدِّم نفسه. أخوك بنجن جاءني بخصوص چون منذ أيام قليلة، ويبدو أن الصَّبي يتطلَّع إلى ارتداء الأسود».

بدا ند مصدوماً وهو يسأله: «چون قال إنه يرغب في الانضمام إلى حرس اللَّيل؟».

لم تُعلّق كاتلين. فلتدع ند يتدبَّر الأمر في عقله، فهو لن يُرحَّب بصوتها الآن. لكنها كانت لتقبَّل المايستر بكلِّ سرور الآن، فما قاله كان الحُلَّ المثالي بالفعل. بنجن ستارك كان أخاً تحت القسَم، وچون سيكون بمثابة ابن له، الابن الذي لن يُنجه أبداً. ومع مرور الوقت سيُرَدِّد الصَّبي القسَم كذلك، ولن يُنجب أبناء قد يتنافسون ذات يوم مع أحفاد كاتلين على ويترفل. قال المايستر لوين: «ثُمَّ شرف عظيم في الخدمة على "الجدار" يا سيدي».

- «وحتى النُّغل يستطيع الارتقاء إلى مكانة عالية في حرس اللَّيل»، قال ند مفكراً وإن لم يُفارق القلق صوته. «چون لا يزال صغيراً. لو كان قد طلبَ هذا وهو رجل بالغ لاختلَفت المسألة، لكن وهو صبي في الرابعة عشر...».

قال المايستر لوين: «إنها تضحية صعبة، لكننا في أوقات صعبة يا سيدي، وطريقه ليس أفسى من طريقك أو طريق الليدي». فكرت كاتلين في الأبناء الثلاثة الذين ستفقدهم، ولم يكن من السهل أن تظل صامتة.

عادَ ندَ ينظرُ من النَّافذة ووجهه الطَّويل صامت غارق في التَّفكير، وأخيرًا تنهَّدَ والتفتَ قائلاً للمايستر لوين: «ليكن. أعتقدُ أن هذا أفضل حل. سأتكلمُ مع بن».

سأله المايستر: «متى سنُخبرُ جون؟».

- «عندما ينبغي أن أفعل. هناك تجهيزات يجب القيام بها أولاً، ولن نكون مستعدين للتحرك قبل أسبوعين من الآن. أفضلُ أن أترك جون يستمتع بتلك الأيام القليلة المتبقية. سيتهي الصيف قريباً، ومعه ستهي الطفولة. سوف أخبره بنفسه عندما يحين الوقت».



آريا

كانت الغُرُزُ معوجَّةً هذه المرَّةُ أيضًا.

حدَّقت فيها عابسةٌ، والتفتَّت ثُلقي نظرةً على أختها سانزا حيث جلست بين الفتيات الأخريات. كانت سانزا تُنتِج شُغل إبرة شديد الإتقان والجمال، وكان الجميع يُردِّدون هذا، حتى أن السَّيِّئة مورِدَن قد قالت للسَّيِّدة أمها ذات مرَّة: «شُغل سانزا جميل مثلها. إن لديها يدين رقيقتين حسَّاستين حقًّا»، وعندما سألت الليدي كاتلين عن آريا، أجابت السَّيِّئة بامتعاض: «آريا تملك يدي حدَّاد».

اختلست آريا النَّظر عبر الغُرَّة، قلقَةً من أن تكون السَّيِّئة قد قرأت أفكارها، لكنها لم تكن تُعيرها أيَّ اهتمام اليوم، بل كانت جالسةً بالقرب من الأميرة مارسلا وابتساماتها الواسعة تنضح بالإعجاب. لم تكن السَّيِّئة تنال شرف تعليم أميرة من العائلة المَلَكِيَّة الفنون النَّسائيَّة كلَّ يوم، كما قالت عندما جاءت المَلِكَةُ بمارسلا لتنضمَّ إليهنَّ. خطرَ لآريا أن غُرُز الأميرة تبدو معوجَّةً بعض الشيء أيضًا، لكنك لم تكن لتُحزَّر هذا من طريقة السَّيِّئة المتودِّدة في الكلام.

تفحَّصت آريا نتاج عملها مرَّةً أخرى في محاولةٍ للعثور على طريقةٍ لإنقاذه، ثم تنهَّدت ووضعت الإبرة، ورمقت أختها بكآبة. كانت سانزا تُثرثر بسعادةٍ وهي تعمل، بينما جلست بِث كاسل -ابنة السير رودريك-

عند قدميها تُصغي لكل كلمة تقولها، بينما مالت جين پولو لثمسي بشيء في أذنها.

سألت آريا فجأة: «عم تتكلمين؟».

رمقتها جين بنظرة مندهشة ثم ضحكت، بينما بدت سانزا مرتبكة، وتورد وجه بث خجلاً، ولم تُجيبها إحداهن بشيء.

قالت آريا بإصرار: «أخبريني!».

اختلفت جين نظرة لتأكد من أن السبته موردن لا تسمعهن، لكن مارسلا كانت تقول شيئاً جعل السبته تضحك مع بقية السيدات.

أجابت سانزا بصوت ناعم كقُبلة: «كنا نتكلم عن الأمير».

كانت آريا تعرف أيَّ أميرٍ تقصد... جوفري بالطبع، الصبي الطويل الوسيم. كانت سانزا قد جلست معه أثناء المأدبة، بينما جلست آريا طبعاً مع أخيه الصغير السمين.

همست جين بفخر كأن لها أيَّ علاقة بالأمر: «جوفري معجب بأختك». كانت ابنة وكيل ويتدفل وأقرب صديقات سانزا. «قال لها إنها جميلة جداً».

وقالت بث بلهجة حالمية وهي تحتضن نفسها: «سوف يتزوجها، وستصبح سانزا ملكة البلاد كلها».

كانت سانزا تملك ما يكفي من حياء لأن يتضرع وجهها، ولقد بدت جميلة حقاً وهي خجول. فكرت آريا بشيء من الاستياء الفاتر أن سانزا تفعل كل شيء بشكل جميل. قالت سانزا وهي تُربت برفق على شعر الفتاة الأصغر منها لتخفف وقع كلماتها: «بث، لا يجدر بك أن تختلقي الحكايات»، ثم التفتت إلى آريا قائلة: «ما رأيك في الأمير جوف يا أختاه؟ إنه نبيل جداً، أليس كذلك؟».

قالت آريا: «چون يقول إنه يبدو كالفتيات».

تَنَهَّدَتْ سَانِزَا وَهِيَ تُوَاصِلُ التَّطْرِيزَ: «مَسْكِينِ جُون. إِنَّهُ يَشْعُرُ بِالْغِيْرَةِ لِأَنَّهُ نَغْلٌ».

- «إِنَّهُ أَخُونَا!»، صَاحَتْ آرِيَا بِصَوْتٍ أَعْلَى مِنَ اللَّازِمِ، فَمَزَّقَ صَوْتُهَا هَدْوً غُرْفَةَ الْبُرْجِ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ مِنْ بَعْدِ الظُّهْرِ.

رَفَعَتْ السَّيِّئَةُ مَوْرَدْنَ عَيْنَيْهَا إِلَيْهِن. كَانَتْ تَمْلِكُ وَجْهَهَا نَحِيْلًا بَارِزَ الْعِظَامِ وَعَيْنَيْنِ حَادَّتَيْنِ وَفَمَا رَفِيْعًا لِلْغَايَةِ مَخْلُوقًا لِلْعَبُوسِ، وَقَدْ كَانَ عَابَسًا الْآنَ وَهِيَ تَقُولُ: «عَمَّ تَتَكَلَّمْنَ؟».

قَالَتْ سَانِزَا بِحُزْمٍ نَاعِمٍ: «أَخُونَا نِصْفُ الشَّقِيْقِ»، ثُمَّ التَفَتَتْ إِلَى السَّيِّئَةِ لِتَقُولَ بِاسْمَةٍ: «آرِيَا وَأَنَا كُنَّا نَتَكَلَّمُ عَنْ سِرُّوْرِنَا الشَّدِيدِ بِوُجُودِ الْأَمِيرَةِ مَعَنَا الْيَوْمَ».

هَزَّتِ السَّيِّئَةُ مَوْرَدْنَ رَأْسَهَا قَائِلَةً: «شَرَفٌ عَظِيمٌ بِالطَّبْعِ». ابْتَسَمَتِ الْأَمِيرَةُ مَارِسْلَا لِلْمَجَامَلَةِ بِحَيْرَةٍ، بَيْنَمَا وَجَّهَتِ السَّيِّئَةَ كَلَامُهَا إِلَى آرِيَا وَسَأَلَتْ: «آرِيَا، لِمَ لَا تَعْمَلِينَ؟»، ثُمَّ نَهَضَتْ مِنْ مَكَانِهَا لِتُصْدِرَ تَتَوْرَتَهَا الْمُنْشَأَةَ حَفِيْفًا وَهِيَ تَقْطَعُ الْغُرْفَةَ وَتُضِيفُ: «دَعِينِي أَرَى تَطْرِيزِيكِ».

أَرَادَتْ آرِيَا أَنْ تَصْرُخَ. دَائِمًا مَا تَلَفَتْ سَانِزَا الْحَمَقَاءَ انْتِبَاهَ السَّيِّئَةِ. هَكَذَا مَدَّتْ يَدَيْهَا بِعَمَلِهَا إِلَى الْعَجُوزِ قَائِلَةً: «هَالِكِ».

فَحَصَّتِ السَّيِّئَةُ النَّسِيْجَ، ثُمَّ قَالَتْ: «آرِيَا، آرِيَا، آرِيَا، هَذَا لَنْ يَصْلُحَ، لَنْ يَصْلُحَ عَلَى الْإِطْلَاقِ».

كَانَ يَرْمِقُهَا جَمِيْعًا الْآنَ، وَكَانَ هَذَا أَكْثَرَ مَا تَحْتَمِلُ. كَانَتْ تَرْبِيَةِ سَانِزَا لَا تَسْمَحُ لَهَا بِأَنْ تَبْتَسِمَ شِمَاتَةً فِي خِزْيِ أُخْتِهَا، لَكِنْ جِئِنْ رَسَمَتْ عَلَى شَفَتَيْهَا ابْتِسَامَةً مُتَكَلِّفَةً نِيَابَةً عَنْهَا، وَحَتَّى الْأَمِيرَةُ مَارِسْلَا بَدَتْ أَسْفَةً لَهَا. اغْرُورِقَتْ عَيْنَا آرِيَا بِالْأُذْمُوعِ، وَانْتَفَضَّتْ نَاهِضَةً مِنْ مَقْعِدِهَا وَانْدَفَعَتْ نَحْوَ الْبَابِ.

صَاحَتْ السَّيِّئَةُ مَوْرَدْنَ مَنَادِيَةً عَلَيْهَا: «آرِيَا، عَوْدِي إِلَى هُنَا! وَلَا خُطْوَةَ أُخْرَى! سَأُخْبِرُ السَّيِّدَةَ وَالدَّكْتُ بِمَا فَعَلْتِ! وَأَمَامَ أَمِيرَتِنَا كَذَلِكَ! سَتُكَلِّمُنَا جَمِيْعًا بِالْعَارِ!».

توقفت آريا عند الباب واستدارت وهي تعض شفتيها. كانت الدُموع تجري على شفتيها الآن، لكنها تدبرت انحناءة متصلة للأميرة وقالت: «أستاذك بالانصراف يا سيديتي».

رمقتها مارسلا بنظرة حائرة، ثم تطلعت إلى سيّداتها المُرافقات ناشدة العون. لكن لئن كانت الأميرة غير واثقة مما تفعله الآن، فقد كانت السّبتة موردن على عكسها تمامًا، فقالت بصرامة: «إلى أين تحسبين نفسك ذاهبة يا آريا؟».

حدّقت آريا فيها وقالت بعذوبة: «يجب أن أذهب لأركب حذوة حصان». شعرت بشيء من الرّضا من جرّاء التعبير المصدوم على وجه السّبتة، ثم اندفعت مغادرة لتجري نازلة السّلالم بكلّ ما لديها من سرعة. لم يكن هذا عادلاً. إن سانزا تملك كلّ شيء. كانت أختها تكبرها عُمرًا بعامين، فلعلّ شيئًا لم يتبقّ لآريا عندما وُلدت. غالبًا ما كان هذا هو أمرها الواقع، سانزا تجيد التّطريز والغناء والرّقص، وتكتب الشعر، وتجيد انتقاء الثّياب المناسبة لكلّ مناسبة، كما تستطيع العزف على القيثارة الباسقة والأجراس كذلك. الأسوأ من هذا أنها كانت جميلة حقًا. كانت تملك عظام وجنة أهمهما الرّقيقة العالية، وشعر آل تلي الكستنائي. أما آريا فكانت تُشبه أباهما في الملامح، شعرها ذو لونٍ بَنِي مُطفأ، ووجهها طويل كثيب الملامح. كانت حين تُلقّبها بـ"آريا وجه الحصان"، وتسهل كلما اقتربت منها. كان من المؤلم أن الشيء الوحيد الذي تستطيع أن تفعله أفضل من أختها هو ركوب الخيول... ولربما إدارة شؤون المنزل كذلك. لم تُجد سانزا التعامل مع الأرقام قطّ، وتمنّت آريا لأجل خاطرها أن يكون لدى الأمير خوف وكيل بارع إذا ما تزوّجته.

كانت نايميريا تنتظرها في غرفة الحرس عند أسفل السّلالم، ونهضت على قوائمها بمجرد أن اشتمّت رائحة آريا، فابتسمت. كانت الذّئبة الصّغيرة تُحبّها حتى إذا لم يكن هناك من يُحبّها غيرها. كانتا تذهبان إلى

كُلِّ مكانٍ معًا، وكانت نايميريا تنام في عُرفتها عند قدم الفِراش. كانت آريا لتضطجِعها معها بكلِّ سرورٍ إلى شُغل الإبرة لولا أن السيِّدة والدتها قد منَعَت ذلك. دَع السِّبْةُ مورِدَن تشكِّي من تطرِيزِها الرَّدِيءِ حينئِذٍ!

عَضَعَصَت نايميريا يدها بلهفَةٍ وآريا تحل وثاقها. كانت عيناها صفراوين، وفي نور الشَّمْسِ تتألَّفان كعُملَينِ ذهبيَّين. أَطْلَقَت عليها آريا اسم نايميريا، مَلَكَةُ الروين المُحارِبَةِ التي قَادَت شُعْبَها عبر البَحْرِ الضيِّقِ، وكان اختيارها للاسم بمثابة خزيٍّ كبيرٍ لها كذلك. طَبَعًا اختارت سانزا ليدي اسمًا لِذِئْبَتِها. رَسَمَت آريا على وجهها تعبيرَ ازدراءٍ ساخرٍ، واحتضَنَت الذِّئْبَةَ الصَّغِيرَةَ بِقوَّةٍ، ولَعَنَت نايميريا أُذُنَها، وقَهَقَهَت آريا فَرِحَةً.

لا شكَّ أن السِّبْةُ مورِدَن ستكون قد أرسَلَت خَبْرًا بما حَدَثَ لِلسيِّدَةِ أمِها. إذا عَادَت إلى عُرفِها فسيجدونها، وآريا لم تكن لديها رغبة الآن في أن يجدها أحد. ثم خَطَرَت لها فكرة أفضل. الأولاد في السَّاحَةِ الآن، وهي ترغب في أن تُشَاهِد رُوب وهو يُسْقِط الأمير جوفري الشُّجاع على ظَهره. هكذا همَسَت لِنَيمِريَا: «تعالِي»، ونَهَضَت وانطَلَقَت تعدو، والذِّئْبَةُ الصَّغِيرَةُ في أعقابها مباشرةً.

كانت هناك نافذة في الجسر المغطَّى الذي يصلُ بين مستودع السِّلَاح والحِصْنِ الكبير، تكشف السَّاحَةِ بِأكْمَلِها.

وصلَت الفتاة والذِّئْبَةُ متقطَّعتي الأنفاس لتجدَا جُون جالسًا على عتبة النَّافِذَةِ، وقد رَفَعَ ساقًا متراحيةً حَتَّى ذَقَنه. كان يُشَاهِد النُّزَال باستغراقٍ تام جعله لا يَشْعُرُ بمَجِئِهما حَتَّى تحرَّكَ ذِئْبُه الأبيض من مكانه ليستقبلهما. اقترَبَت نايميريا ببطءٍ حَذِرٍ، بينما تشمَّمُها جوست -الأكبر حجمًا من إخوته- ثم عَضَّ على أُذُنِها برفقٍ شديدٍ، ثم عادَ يَسْتَقِرُّ في مكانه.

رمَقَها جُون بفضولٍ وقال: «أليس من المفترض أنكِ تتمرَّنين على التَّطْرِيزِ الآن؟».

لَوَحَتْ آريَا باستهزاء، ثم قالت: «أردتُ مُشاهدتهم يتنازلون». ابتسمَ قائلاً: «تعالِي إِذْن».

تسلَّقت آريَا عتبة النَّافذة وجلست إلى جواره، لتستقبلها جوفة من الضَّربات المكثومة والتَّخير من السَّاحة في الأسفل.

لكن لخبية أملها كان الولدان الصَّغيران هما اللذان يُمارسان تمارين النَّزال الآن. كان بران يرتدي طبقاتٍ وطبقاتٍ من الملابس المبطَّنة حتى أنه كان يبدو كمن طوَّق نفسه بحشِيَّة فراشٍ وربطها بالأحزمة، أما الأمير تومن -السَّمين أصلاً- فقد بدا كالْكُرَّة. كانا يلهثان في وجه أحدهما الآخر وهما يتبادلان الضَّربات بسيفين خشبيين تحت إشراف قيِّم السَّلاح السير رودريك كاسل ذي العين اليقظة. كان رجلاً ضخماً مستديراً كالبرميل، لديه شوارب بيضاء كبيرة مشدَّبة بعناية على جانبي وجهه. كانت دسته من المتفرَّجين من الرِّجال والفتيان تُطلق هتافات التَّشجيع، وصوت روب الأعلى بينهم. لمحت ثيون جرايجوي إلى جواره وعلى وجهه نظرة استهزاء ساخر، وقد طُرَّرَ على سُترته السَّوداء الضَّيقة الكراكن الدَّهبي⁽¹⁾، رمز عائلته. كان كلا المتقاتلين يلهث بشدَّة ويترنَّح، وخمَّنت آريَا أنهما يتنازلان منذ فترة.

قال چون «نشاط أكثر إرهاقاً بعض الشَّيء من شُغل الإبرة». ردَّت آريَا: «نشاط أكثر متعةً من شُغل الإبرة». ابتسمَ چون ومدَّ يده ونفَّسَ شعرها، وتورَّد وجه آريَا. لطالما كان الاثنان قريبين... چون كان يملك ملامح أبيهما، وكذلك هي، وكانا الوحيدَيْن بين إخوتهما، لأن روب وسانزا وبران وحتى ريكُون الصَّغير كانت لهم ملامح آل تلي، بابتسامتهم التَّلقيائية وشعرهم النَّاري. كانت آريَا تخشي وهي صغيرة أن هذا يعني أنها نغلة بدورها، وكان چون هو من ذهبت إليه لتُفصح عن مخاوفها، وچون هو من طمأنها.

(1) وحش بحري أسطوري عملاق يظهر على سطح البحر كجزيرة وله أذرع أخطبوطية طويلة تلتف حول السفن وتغرقها.

سألت: «لِمَ لست معهم في السّاحة؟».

منحها ابتسامة باهتة وقال: «غير مسموح للتغول بالحق الأذى بالأمراء الصّغار. أيّ إصابات تقع لهم في ساحة التّدريب يجب أن تأتي من سيف أحد الأبناء الشّرعيين».

- «أوه!»، قالت آريا بحرج شديد. كان يجدر بها أن تُدرك ذلك، وللمرّة الثانية اليوم فكّرت آريا أن الحياة ليست عادلة.

شاهدت أختها الصّغير يُسدّد ضرباته لتومن، وقالت: «يُمكّني أن أبارز بيراعة بران نفسها. إنه في السّابعة فقط، وأنا في التاسعة».

تطلّع إليها جون بحكمة سنواته الأربع عشرة وقال: «أنت نحيفة جدًّا»، ثم أمسك ذراعها ليتحصّس عضلاتها، ثم تنهّد وهزّ رأسه قائلاً: «أشكّ أنك تستطيعين رفع سيف طويل حتى يا أختاه، ناهيك عن التّلويع به».

انتزعت آريا ذراعها من قبضته وحدّقت فيه بغیظ، فنفّس شعرها ثانية، ثم شاهدها معاً بران وتومن يدوران في السّاحة.

سألها جون: «هل ترين الأمير جوفري؟».

لم تكن قد رآته من النّظرة الأولى، لكن عندما نظرت مرّة أخرى رآته في المؤخّرة، تحت ظلّ الجدار الحجري العالي. كان محاطاً برجالٍ لم ترهم من قبل، مُرافقي فرسان شباب في الزّيّ المميّز لكلّ من لانستر وباراثيون، كلهم غرباء. كان هناك بضعة رجالٍ أكبر سنّاً بينهم، خمّنت آريا أنهم فرسان.

قال جون: «انظري إلى شعار النّباله على معطفه».

ونظرت آريا. كان هناك درع منمّقة مطرّزة على صدر معطف الأمير المبطّن، ولا شكّ أن شغل الإبرة فيها كان رائعاً بحق. كان الشّعار ينقسم عند المتّصف، وعل العائلة المملكيّة المتوّج على جانب، وعلى الجانب الآخر أسد لانستر.

قال جون: «مغوروون آل لانستر حقّاً. قد يحسب المرء أن الرّمز

المَلَكِي يكفي، لكن لا، إنه يُساوي في التَّشْرِيف بين عائلة أمه وعائلة المَلِك».

صاحت آريا معترضةً: «المرأة مهمّة كذلك!».

ضحك قائلاً: «ربما يَجْدُرُ بِكَ أن تفعلِي الشيء نفسه يا أختاه، تُزَاجِي بين تلي وستارك في شعار النبالة الخاص بِكَ».

أضحكتها الفكرة بدورها، وقالت: «ذِنْب وفي فمه سمكة؟ سيكون شكله سخيفاً، ثم إنه إذا كانت الفتيات لا يستطعن القتال، فما ضرورة شعار النبالة؟».

هَزَّ چون كتفيه وقال: «الفتيات يَحْصُلُن على الشُّعار وليس السَّيف، والنُّعول على السَّيف وليس الشُّعار. ليس أنا من وضعَ القواعد يا أختاه».

سمعا صيحةً من السَّاحة في الأسفل. كان الأمير تومن يتدحرج في التُّراب، يُحاوِلُ النُّهوض ويفشل، وقد جعلته ملابسه الثَّقِيلَة المبطَّنة بكثافة يبدو كسلحفاةٍ مقلوبةٍ على ظَهرها، وبران يقف فوقه بسيفٍ مرفوع، مستعدّاً لأن يضربه مرّةً أخرى بمجرد أن ينهض على قدميه، والرَّجال يضحكون.

صاح السير رودريك: «كفى!»، ومدَّ يده للأمير وجذبه إلى قدميه قائلاً: «أحسنتما القتال... ليو، دونس، اخلعا درعِيهما»، ثم تطلَّع حوله وقال: «هل سيخوض الأمير جوفري وروب جولةً ثانية؟».

كان روب لا يزال مبتللاً بعرق التَّزال السَّابق، لكنه تقدَّم قائلاً بحماسة: «بكلِّ سرور».

تقدَّم جوفري من موضعه الظِّلِيل إلى نور الشَّمس مع نداء رودريك، فتألَّق شعره كالذهب المغزول، وبدا عليه الملل وهو يقول: «هذه لعبة أطفال يا سير رودريك».

أطلق ثيون جرايچوي ضحكةً مباغتةً وقال بتهكُّم: «أنتم أطفال!».

قال چوفري: «روب قد يكون طفلاً، لكني أمير، وأنا أصابني الضُّجر من ضرب أطفال ستارك بسيفٍ لُعبة».

قال روب: «أنت تلقَّيت ضرباتٍ أكثر مما سدَّدت. چوف، هل أنت خائف؟».

رمقه الأمير چوفري قائلاً: «أوه، إنني أرتجف رُعباً! أنت أكبر مني بكثير!».

أطلقَ بعض رجال لانستر ضحكاتهم، بينما راقبَ چون المشهد من أعلى بعبوس، وقال لآريا: «چوفري هذا قطعة خراء صغيرة حقاً».

شدَّ السير رودريك شواربه البيضاءً مفكراً، وسأل الأمير: «ماذا تقترح إذن؟».

- «الفولاذ الحقيقي».

صاحَ روب: «اتفقنا... سوف تأسف!».

وضعَ قيِّم السِّلَاح يده على كتف روب ليُهدئ حماسه، وقال: «الفولاذ الحقيقي خطِرٌ جداً. سأسمحُ لكم باثنين من سيوف المباريات بحوافٍ غير حادَّة».

لم يقل چوفري شيئاً، لكن رجلاً غريباً على آريا، فارساً طويلاً ذا شعرٍ أسودٍ وآثار حرقٍ على وجهه، اندفعَ ليقف أمام الأمير قائلاً: «هذا أميرك من أنت لتقول له إنه غير مسموح له بسيفٍ حاد يا سيدي؟».

- «أنا قيِّم السِّلَاح في ويترفل يا كليجايين، وخيرٌ لك ألا تنسى هذا».

قال الرجل المحروق: «هل من تُدرِّبهم هنا نساء إذن؟». كان مفتول العضلات كتور.

قال السير رودريك بصرامة: «من أدربهم فُرسان. يُمكنهما التَّزال بفولاذٍ حقيقي عندما يكونان جاهِزَين، عندما يبلغان».

نظرَ الرجل المحروق إلى روب وقال: «كم عمرك يا فتى؟».

أجابَ روب: «أربعة عشر عاماً».

- «لقد قتلْتُ رجلاً وأنا في الثَّانية عشرة، ولك أن تثق بآني لم أفعلها بسيفٍ غير حاد».

رأت آريا أخاها يتَّخذ وقفَةً عدوانيةً. كانت كبرياؤه على المحك، والتفتَ إلى السير رودريك قائلاً: «دعني أفعلها، يُمكنني أن أتغلب عليه». قال السير رودريك: «تغلب عليه بسيفٍ من سيوف المباريات إذن». هزَّ جوفري كتفيه قائلاً: «تعالَ وزُرني عندما تكبرُ يا ستارك، إذا لم تكن أكبر من اللازم». مرَّةً أخرى تردَّد ضحك رجال لانستر.

دَوَّت شتائم روب في السَّاحة، فغطَّت آريا فمها بيدها مذهولةً، بينما أطبقَ ثيون جراحجوي على ساعد روب كي يُبقيه بعيداً عن الأمير، وسدَّ السير رودريك شواربه بارتباك.

تظاهرَ جوفري بالتَّأوُّب، والتفتَ إلى أخيه الصَّغير قائلاً: «هَلُمَّ يا تومن، انتهى وقت اللَّعب. لتتركَ الأطفال لألعابهم».

جلبَ هذا المزيد من الضَّحك من رجال لانستر والمزيد من الشَّتائم من روب، واحمرَّ وجه السير رودريك كثمرة البنجر من فرط الغضب تحت بياض شواربه. ظلَّ ثيون يُطَوِّق ساعد روب بقبضةٍ من حديد حتى ابتعدَ الأميران ومجموعتهما تماماً.

راقبهم چون يُغادرُون، وراقبته آريا. كان وجهه ساكناً تماماً كالبركة التي في قلب أيكة الآلهة. أخيراً نزلَ من فوق عتبة النَّافذة قائلاً: «انتهى العرض»، ومالَ ليحكَّ جوست وراء أذنيه، فنهَضَ الذُّبب الصَّغير وحكَّ نفسه به. «يَحْسُن أن تعودِي إلى عُرفتِك يا أختاه. لا بُدَّ أن السَّبتة موردن تترقَّب عودتِك، وكلما اختبأتِ أكثر كان العقاب أشدَّ. ستجدين نفسك تُمارسين الخياطة طوال الشَّتاء، وعندما تذوب الثَّلوج في الرَّبيع سيجدون جثَّتِك والإبرة ما زالت متجمَّدة بين أصابعك».

لم تحسب آريا ما قاله طريفاً، وقالت بحرارة: «إنني أكرهُ شغل الإبرة حقاً! هذا ليس عدلاً!».

قال چون: «لا شيء عادلاً»، ونفّس شعرها من جديد، ثم ابتعدَ عنها وجوست يتحرّك بصميتٍ إلى جواره. بدأت نايميريا تتبعهما، لكنها توقّفت وعادتَ لمّا رأت أن آريا لن تلحق بهما. وعلى مضضٍ تحرّكت آريا في الاتجاه الآخر. كان الأمر أسوأ مما توقّع چون، فلم تكن السيّنة موردن فقط تنتظرها في غُرفتها، بل السيّنة والسيدة والدتها معاً.



بران

غادرت مجموعة الصَّيْد مع مطلع الفجر، فقد كان المَلِك يرغب في أن يتناول خنزيرًا بريًا في مأدبة اللَّيلة. خرج الأمير جوفري مع أبيه، فسُوح لروب بالانضمام إلى الصيَّادين بدوره، ومعهم خرج العم بنجن وجوري وثيون جرابجوي والسير رودريك، وحتى شقيق المَلِكة الصَّغير الغريب. كان هذا صيدهم الأخير على كلِّ حال، وفي الغد يبدأون التحرك جنوبًا. تُرك بران في ويترفل مع چون والفتاتين وريكون، لكن ريكون كان مجرد طفل صغير، والفتاتان مجرد فتاتين، بينما لا أثر لچون وذئبه. لم يُحاول بران أن يبحث عنه كثيرًا، وخطر له أنه غاضبٌ منه. في الحقيقة كان چون يبدو حائقًا على الجميع هذه الأيام، وبران يجهل السَّبب. إنه ذاهب مع العم بن إلى "الجدار" لينضمَّ إلى حرس اللَّيل، وهذا في حدِّ ذاته يكاد يدعو للابتهاج كالذهاب إلى الجنوب. كان روب هو الوحيد الذي سيظلُّ في مكانه بلا حراك، وليس چون.

منذ أيام وبران يكاد لا يطيق صبرًا حتى تبدأ رحلتهم جنوبًا. سيقطع طريق الملوك على متن حصانٍ خاص به، ليس حصانًا قزمًا بل حصانًا حقيقيًا، وسيُصبح أبوه يد المَلِك وقيمون جميعًا في القلعة الحمراء في كينجز لاندنچ، القلعة التي سيُدها سادة التَّنانين. كانت العجوز نان قد قالت له إن ثمةً أشباحًا تعيش هناك، وزنازين جرَّت فيها أشياء مريعة حقًا، ورؤوس تنانين معلَّقة على الجدران. كان بران يرتجف لمجرد التفكير

في هذا، لكنه لم يكن يَشْعُرُ بالخوف... وأتَى له أن يخاف؟ سيكون أبوه معه، والمَلِكُ بكلِّ ما لديه من فُرسان ومُقاتِلين.

سوف يصير بران نفسه واحدًا من فُرسان الحرس المَلِكِي ذات يوم. إنهم أروع مبارزين في البلاد كلها كما قالت العجوز نان. لم يكن هناك غير سبعة منهم، يرتدون الدُرُوع البيضاء وليس لهم زوجات أو أبناء، وإنما يعيشون لخدمة المَلِكِ فحسب. كان بران يعرف كلَّ القصص التي تُروى عنهم، وأسماءهم كان لها وقع الموسيقى على أُذنيه... سروين ذو الثُرس المرأة... السير ريام ردواين... الأمير إيمون الفارس الثَّنين... التَّوأمين السير إريك والسير أريك، اللذان مات كلُّ منهما بسيف الآخر منذ مئات السنين، عندما قاتل الأخ أخته خلال الحرب التي أُطلقَ عليها المغنُون اسم "رقصة الثَّنين"... الثَّور الأبيض چيرو ولد هايتاور... السير آرثر داين سيف الصَّباح... بارستان الباسل.

اثنان من الحرس المَلِكِي جاءا مع المَلِكِ روبرت إلى الشَّمال، وقد راقبهما بران بافتانٍ دون أن يجرؤ مرَّةً على التحدُّث إليهما. كان السير بوروس رجلًا أصلع ذا لُغد كبير، والسير مرين ذا عَينين كَثِبتين ولحية بلون الصَّدأ. أمَّا السير چايمي لانستر فبدأ كالفُرسان الذين تحكي عنهم القصص. هو أيضًا كان من فُرسان الحرس المَلِكِي، لكن رُوب قال إنه قتلَ المَلِكِ المَجنون بيده، ولذا لا ينبغي أن يُحسب كواحدٍ منهم. كان أعظم فارس موجود على قيد الحياة الآن هو السير بارستان سلمي، بارستان الباسل، قائد الحرس المَلِكِي. كان أبوه قد وعدَ بأنهم سيلتقون بالسير بارستان لدى بلوغهم كينجز لاندنج، وهكذا ظلَّ بران يُحصى الأيام على جدار غرفته وكله لهفة على أن يُغادر ويرى العالم الذي يَسْكُن أحلامه ويبدأ حياةً يكاد لا يتخيَّلها.

على أن شعورًا بالضَّياع انتابه فجأةً مع حلول اليوم الأخير، فويتربل كانت الوطن الوحيد الذي يعرفه. كان أبوه قد قال له إن عليه أن يُودَّع

من يرغب في توديعهم اليوم، ولقد حاول بالفعل . بعد خروج مجموعة الصَّيْد تجوّل بران في أرجاء القلعة وذئبه إلى جانبه، وفي نيّته أن يزور كلّ من سيظلّ هنا... العجوز نان... جايج الطّاهي... ميكن الحدّاد في ورشته... هودور صبي الاسطبل دائم الابتسام الذي يعتني بحصانه القزم، ولا يقول شيئاً أبداً غير كلمة "هودور"... عامل الدّفينة الرّجائيّة الذي كان يعطيه حبة من التوت الأسود كلما ذهب لزيارته.

لكن شيئاً آخر حدث بدلاً من ذلك. ذهب بران إلى الاسطبل أولاً، ورأى حصانه القزم في مربطه كما اعتاد أن يفعل، مع الفارق هذه المرّة أنه لم يعد حصانه القزم، لأنه سيحصل على حصان حقيقي ويترك الحصان القزم هنا. على حين غرّة انتابت بران الرّغبة في الجلوس في مكانه والانفجار في البكاء، فدار وهُرِعَ مبتعداً من أمام هودور وبقية صبيان الاسطبل قبل أن يرى أيهم دموعه. كانت هذه نهاية جولة الوداع، وبدلاً من القيام بها قضى بران الظّهيرة وحده في أيكّة الآلهة محاولاً -بلا طائل- أن يدرّب ذئبه على أن يأتي له بالعِصيّ التي يُلقيها. كان الذئب الصّغير أذكى من كلّ الكلاب في وِجار كلاب أبيه، وكان بران ليُقسم أنه يستوعب كلّ كلمة يقولها له، لكنه أبدى القليل جدّاً من الاهتمام بمطاردة العِصيّ.

كان لا يزال يُحاول الاستقرار على اسم للذئب. روب أطلق على ذئبه اسم جراي ويند لسرعته الكبيرة في العدوّ، وأطلقت سانزا على ذئبتها اسم ليدي، بينما سمّت آريا ذئبتها على اسم المَلَكَة السّاحرة القديمة التي تذكّرها الأغاني، وسمّى ريكون ذئبه شاجيدوج، وهو الاسم الذي اعتبره بران شديد السّخف بالنّسبة للذئب رهيب. ذئب جون ذو اللون الأبيض كان اسمه جوست، ولقد تمنّى بران لو أنه فكّر في هذا الاسم أولاً، على الرغم من أن ذئبه لم يكن أبيض. منذ أسبوعين كاملين وهو يُفكّر في مئة اسم، ولا اسم منها بدا صالحاً على الإطلاق.

في النهاية شعرَ بالسَّأم من لعبة العِصِيّ وقَرَّرَ أن يذهب للتسلُّق. إنه لم يتسلَّق البُرْج المكسور منذ أسابيع مع كل ما يدور هنا، وقد تكون هذه فُرْصته الأخيرة.

انطلقَ يقطع أَيْكة الآلهة، مختارًا أن يَسْلُطَ الطَّرِيقَ الأطول ليتلافى البركة التي تَنَبَّتْ منها شجرة القلوب. لطالما أخافته تلك الشَّجرة. ليس من المفترَض أن تكون للأشجار عيون، أو أوراق تبدو كالأيدي. انطلقَ ذُبُه في أعقابه، وعند بلوغهما قاعدة شجرة الحارس الواقعة بالقرب من جدار مستودع السَّلاح قال له بران أمرًا: «ابقَ هنا... نعم، هكذا... اجلس». أطاع الذُّب الأمر، وحكَّه بران وراء أُذنيه، ثم دارَ ووثبَ ليتعلَّق بفرع منخفض من شجرة الحارس، ثم دفعَ نفسه إلى أعلى. كان قد تسلَّق الشَّجرة حتى منتصفها تقريبًا وأخذَ يتحرَّك بسهولة من فرعٍ إلى آخر، عندما نهَضَ ذُبُه على قوائمه وبدأ يعوي.

نظرَ بران إلى أسفل، فصمتَ ذُبُه وحدَّقَ فيه بعينه الصفراوين المشقوقتين، وشعرَ بران بقشعريرة تسري في جسده. ثم إنه بدأ يتسلَّق من جديد، ومن جديد بدأ الذُّب يعوي، فصاحَ فيه: «اصمت! اجلس في مكانك! أنت أسوأ من أمي!». طارده العواء وهو يتسلَّق الشَّجرة حتى قَمَّتْها، إلى أن وثبَ منها أخيرًا على سَطْحِ مستودع السَّلاح وغابَ عن الأنظار.

كانت أسطُح الأبنية في وِنترفل بيت بران الثاني. كثيرًا ما كانت أمه تقول إنه تعلَّم التسلُّق قبل أن يتعلَّم المشي، وبران لم يكن يذكُر متى بدأ يمشي، لكنه لم يكن يذكُر متى بدأ يتسلَّق كذلك، فافترَضَ أن ما تقوله صحيح. بالنسبة لوليد في سنِّه كانت وِنترفل متاهةً من الأحجار الرمادية، من أسوارٍ وأبراجٍ وساحاتٍ وأنفاقٍ تمتدُّ في جميع الاتجاهات. في الأجزاء الأقدم من القلعة كانت القاعات والغُرف مائلةً إلى أعلى وأسفل بحدِّة تجعلك لا تعرف في أيِّ طابِقٍ تقف بالضبط. أخبره المايستر لوين

ذات مرّة أن المكان قد نما على مرّ القرون كشجرة عملاقة من حجر، فروعها كثيفة متشابكة وجذورها تَبْلُغُ أعماق الأرض.

عندما يَخْرُجُ من المتاهة ويصعد إلى أعلى ليصير قاب قوسين أو أدنى من السّماء، كان بران يرى ويتربّل كلها بنظرة واحدة. كان يُحِبُّ كيف تبدو منبسطة من تحته، ولا شيء غير الطّيور يدور فوق رأسه، بينما تمضي الحياة بوتيرتها المعتادة في القلعة في الأسفل، فيقضي ساعات جاثماً بين الكراجل عديمة الشّكل التي أبلتها الأمطار وهي تُطَلُّ عليّ هذه المنطقة من ويتربّل المعروفة باسم "القلعة الأولى"، تُراقب كل شيء: الرّجال يتمرّنون بالفولاذ والخشب في السّاحة، الطّهاة يعتنون بالخضروات في الصُّوب الزّجاجيّة، الكلاب الضّجيرة تجري هنا وهناك في أوجرتها، صمت أيكّة الآلهة، الفتيات يتهاوسن ويتبادلن النّميّة عند بئر الغسيل. كان المشهد يُشعره بأنّه سيّد هذه القلعة على نحوٍ لا يستطيع روبر نفسه تصوّره أبداً.

هكذا تعلّم بران أسرار القلعة. لم يُمهّد البناءون التّربة حتى، فبدا كأن ويتربّل تحوي تلالاً وودياناً كاملة وراء أسوارها. كان هناك جسر مغطّى يمتدّ من الطّابق الرّابع في بُرج الجرس عبر الطّابق الثّاني في المِغْدَفَة^(١). كان بران يعرف هذا، ويعرف أيضاً أنك تستطيع أن تدخّل السّور الدّاخلي من البوّابة الجنوبيّة، ثم تصعد ثلاثة طوابق وتجري حول ويتربّل كلها في نفق ضيّق محفور داخل أحجار السّور، ثم تَخْرُجُ منه في الطّابق الأرضي عند البوّابة الشّماليّة وفوقك سور يرتفع مئة قدم. كان بران مقتنعا بأن المايستر لوين نفسه لا يعرف ذلك.

كانت أمه دائمة الخوف من فكرة مجيء يوم يَسْقُطُ فيه بران من فوق أحد الأسوار ويقتل نفسه. أكّد لها أن ذلك لن يحدث لكنها لم تُصدّق، وفي مرّة جعلته يعدها بأن يظلّ على الأرض ولا يتسلّق أبداً، وطوال

(١) المِغْدَفَة عبارة عن قصص كبير بمثابة عُش لطيور الغداف، والغدافان نوع من الغريبان أقوى وأكبر حجماً من الغراب العادي.

أسبوعين تقريبًا استطاع الحفاظ على وعده وهو يشعُر بالبؤس مع كلِّ يوم يمضي، إلى أن خرجَ من نافذة عُرفته ذات ليلة وإخوته نيام. في اليوم التالي تغلب عليه الشعور بالذنب واعترفَ بجريمته، فأمره اللورد إدارد بالذهاب إلى أيكة الآلهة لتطهير نفسه، ووقفَ الحُراس ليتأكّدوا من أنه قضى ليلته في التّفكير في عصيانه. في الصّباح التالي كان بران قد اختفى، وبعد بحثٍ طويل عثروا عليه أخيرًا وقد غابَ في نومٍ عميق فوق أعلى أفرع أعلى شجرة حارس في الأيكة.

على الرغم من غضبه لم يسع أباه إلا أن يضحك، وقال لبران عندما أنزلوه: «أنت لست ابني، أنت سنجاب. ليكن، إذا كان عليك أن تتسلّق فتسلّق، لكن حاول ألا تدع أمك تراك». وبذلَ بران قصارى جهده كي يُخفي عنها حقيقة أنه لا يزال يتسلّق، لكنه لم يحسب قطُّ أنها انخدعت حقًا. هكذا، وبما أن أباه لم يمنعه من التسلّق، سعت أمه لطلب المساعدة من الآخرين. حكّت له العجوز نان عن وليد صغير سيئ الخلق تسلّق عاليًا جدًّا فصعقه البرق، وكيف جاءت الغربان بعدها لتفقد عينيه. لم تؤثر الحكاية فيه على الإطلاق. أعشاش الغربان كانت كثيرةً فوق البرج المكسور، حيث لم يكن أحد سواه يذهب، وأحيانًا كان يملأ جيوبه بالذرة قبل أن يتسلّق، وكانت الغربان تأكلها من يده مباشرةً، ولم يُد أحدًا أدنى رغبة في فقء عينيه.

بعدها صنع المايستر لوين ولدًا صغيرًا من الفخّار ووضعَ عليه ملابس بران، ثم ألقى به من فوق السُّور إلى السّاحة في الأسفل، ليشرح له ماذا سيحدث إذا سقطَ هو. كانت التّجربة مسلية حقًا، لكن بران اكتفى بأن رمقَ المايستر قائلاً باستهانة: «إنني لستُ مصنوعًا من الطّمي، وعلى كلِّ حال أنا لا أسقطُ أبدًا».

ثم لفترةٍ كان الحُراس يُطارِدونه إذا رأوه فوق الأسطح ويحاولون إنزاله، وكان هذا أمتع الأوقات على الإطلاق. كان كأنه يلعب لعبةً مع

إخوته، مع فارق أنه كان الفائز الدائم. لم يكن أيٌّ من الحُراس يتمنّع بنصف براءة بران في التسلُّق، ولا حتى چوري. لم يكن أحدهم يلّمحه أغلب الوقت على كلِّ حال، فالناس لا ينظرون إلى أعلى أبدًا، وكان هذا من الأشياء التي يُحبُّها في التسلُّق، أنه يكاد يجعله خفيًّا.

كان يُحبُّ شعور التسلُّق نفسه كذلك، كيف يرفع نفسه أعلى جدارٍ ما حَجَرًا حَجَرًا، وأصابع يديه وقدميه غائصة في الصدوع الصَّغيرة بين الأحجار. كان يخلع حذاءه دائميًا ويتسلَّق حافي القدمين، وكان هذا يُشعره كأنه يملك أربع أيِّد بدلًا من اثنتين. كان يُحبُّ الوجع العميق العذب الذي يظلُّ في عضلاته بعدها، ويُحبُّ أن على هذا الارتفاع للهواء مذاق بارد حُلُو كالخوخ الشتوي. أحبَّ الطيور كذلك، الغربان في البُرج المكسور، والعصافير الصَّغيرة التي اتَّخذت من الشقوق بين الأحجار أعشاشًا لها، والبومة العجوز التي تنام في الشُرْفة المغبرَّة فوق مستودع السِّلاح القديم. كان بران يعرف كلَّ تلك الطيور.

لكن أكثر من أيِّ شيءٍ آخر، كان بران يُحبُّ الذَّهاب إلى الأماكن التي لا يستطيع غيره الذَّهاب إليها، ومشاهدة ويتدنَّى الممتدَّة من تحته كما لا يراها أحد آخر، ولهذا كانت القلعة كلها بمثابة مخبأ بران السري.

وجهته المفضَّلة كانت البُرج المكسور، الذي كان ذات يوم أطول بُرج حراسة في ويتترفل كلها. منذ زمنٍ طويل، قبل مئة عامٍ أو أكثر من مولد أبيه نفسه، هَوَّت صاعقة على البُرج وأشعلت فيه النَّيران، وانهار ثلثه العلوي إلى الدَّاخِل، ولم يُعد بناؤه بعدها. أحيانًا كان أبوه يُرسل صيَّادي الجرذان إلى قاعدة البُرج، لتنظيفه من الأوكار التي كانوا يجدونها دومًا بين غابة الأحجار السَّاقطة والدَّعائم المحترقة، لكن بخلاف بران والغربان لم يكن هناك من يصعد إلى القمَّة الخربة الآن.

كان يعرف سبيلين إلى هناك. يُمكنك أن تتسلَّق جانب البُرج نفسه إلى أعلى، لكن الأحجار كانت مخلخلة أكثر من اللازم وقد استحالَّ

المِلاط الذي ثَبَّتْهَا مَعًا إِلَى تَرَابٍ مِنْذُ زَمَنِ طَوِيلٍ، وَبِرَانٍ لَمْ يَكُنْ يُحِبُّ أَنْ يَضَعَ كَامِلَ ثِقْلِهِ عَلَيْهَا. السَّبِيلُ الْأَفْضَلُ يَبْدَأُ مِنْ أَيْكَةِ الْآلِهَةِ، حَيْثُ تَسْلُقُ شَجَرَةَ الْحَارِسِ الطَّوِيلَةِ هُنَاكَ، ثُمَّ تَعْبُرُ مِنْ سَطْحٍ إِلَى سَطْحٍ فَوْقَ مَسْتَوْدَعِ السِّلَاحِ وَقَاعَةِ الْحَرَسِ وَأَنْتِ حَافِي الْقَدَمَيْنِ كَيْ لَا يَسْمَعُونَكَ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ. يُفْضِي بِكَ هَذَا إِلَى الْبُقْعَةِ الْعَمِيَاءِ مِنَ الْقَلْعَةِ الْأُولَى، الْجُزْءِ الْأَقْدَمِ مِنْ وَيَنْتَرَفِلُ الَّذِي يَضُمُّ حِصْنًا صَغِيرًا أَكْثَرَ ارْتِفَاعًا مِمَّا يَبْدُو. لَا يَعِيشُ هُنَاكَ الْآنَ غَيْرُ الْجُرْذَانِ وَالْعَنَاكِبِ، لَكِنْ الْأَحْجَارُ لَا تَزَالُ صَالِحَةً لِلتَّسْلُقِ، وَيُمْكِنُكَ أَنْ تَصْعَدَ مَبَاشَرَةً إِلَى حَيْثُ تُظِلُّ الْكَرَاجِلُ الْعَمِيَاءَ عَلَى الْمَسَاحَةِ الْفَارِغَةِ فِي الْأَسْفَلِ، ثُمَّ تَتَأَرَّجُ مِنْ كَرْجَلٍ إِلَى آخَرٍ حَوْلَ الْحِصْنِ حَتَّى تَبْلُغَ جَانِبَهُ الشَّمَالِي، وَمِنْ هُنَاكَ تَمْدُ يَدُكَ تَمَامًا وَتَسْحَبُ نَفْسَكَ إِلَى الْبُرْجِ الْمَكْسُورِ الَّذِي يَمِيلُ فِي هَذِهِ الْبُقْعَةِ. الْخُطْوَةُ الْأَخِيرَةُ تَتَلَخَّصُ فِي تَسْلُقِ أَحْجَارِ الْعُشِّ الْمَسْوَدَةِ الَّتِي تَرْتَفِعُ عَشْرَةَ أَقْدَامٍ لَا أَكْثَرَ، ثُمَّ سَتَجِدُ الْغُرْبَانَ فِي اسْتِقْبَالِكَ تَتَسَاءَلُ إِنْ كُنْتَ قَدْ أَحْضَرْتَ مَعَكَ بَعْضَ الذَّرَّةِ.

كَانَ بِرَانٌ يَنْتَقِلُ مِنْ كَرْجَلٍ إِلَى آخَرٍ بِالسَّلَاسَةِ الَّتِي عَلَّمَتْهَا إِيَّاهُ الْمَمَارَسَةُ الطَّوِيلَةُ، عِنْدَمَا سَمِعَ الْأَصْوَاتَ.

كَانَتْ الْمَفَاجَأَةُ قَوِيَّةً لِدَرَجَةٍ أَنَّهُ كَادَ يَسْقُطُ فَعَلًا، فَطَوَالَ حَيَاتِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ جَيِّدًا أَنَّ الْقَلْعَةَ الْأُولَى خَاوِيَةٌ دَائِمًا.

كَانَ هُنَاكَ صَفٌّ مِنَ النَّوَافِذِ تَحْتَهُ، وَالصَّوْتُ يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ نَافِذَةٍ عَلَى هَذَا الْجَانِبِ، وَكَانَتْ ثَمَّةُ امْرَأَةٍ تَقُولُ: «كُلُّ هَذَا لَا يَرُوقُ لِي عَلَى الْإِطْلَاقِ. مِنَ الْمَفْتَرَضِ أَنْ تَكُونِ أَنْتِ الْيَدَ».

أَجَابَ صَوْتُ رَجُلٍ بَنِيَّةٍ كَسُولٍ: «حَاشَا لِلْآلِهَةِ! إِنَّهُ شَرَفٌ لَا رَغْبَةَ لَدَيَّ فِيهِ، وَعَمَلٌ أَكْثَرَ مِمَّا أَحِبُّ أَنْ أُمَارِسَ».

تَعَلَّقَ بِرَانٌ فِي مَكَانِهِ مَصْغِيًا وَقَدْ اعْتَرَاهُ الْخَوْفُ فَجَاءَتْهُ مِنَ الْاسْتِمْرَارِ، فَمِنْ الْوَارِدِ أَنْ يَلْمَحَ أَحَدَهُمَا قَدَمِيهِ وَهُوَ يَمُرُّ بِالنَّافِذَةِ.

قالت المرأة: «ألا ترى الخطر الذي يضرنا هذا فيه؟ روبرت يُحبُّ هذا الرجل كأخ».

- «روبرت يكاد لا يهضم أخويه الحقيقيين، ولا ألومه في الحقيقة. ستانيس وحده كفيل بإصابة أيِّ أحدٍ بعُسر الهضم».

- «لا تتظاهر بالحماسة. ستانيس ورنلي شيء، وإدارد ستارك شيء آخر تمامًا. روبرت سوف يُصني لأيِّ شيءٍ يقوله له ستارك... عليهما اللعنة معًا! كان ينبغي أن أصرَّ على أن يُنصَّب أنت، لكنني كنتُ متأكدةً من أن ستارك سَيرُفض».

- «ينبغي أن نَعُدَّ أنفسنا محظوظين. كان من الجائز أن يُنصَّب الملك أيًا من أخويه بسهولة، أو حتى ذلك المأفون الإصبع الصَّغير. أعطيني أعداءً شُرفاء بدلًا من الطَّموحين، وسيكون نومي ليلاً أكثر راحة».

أدرك بران أنهما يتكلَّمان عن أبيه، وأرادَ أن يسمع المزيد. بضعة أقدام أخرى... لكنهما سيربانه إذا وثبَ من أمام النَّافذة لا شكَّ.

قالت المرأة: «علينا أن نراقبه بحذر».

أجابها الرجل بصوتٍ ملول: «أفضِّل أن أراقبك أنتِ. عودي إلى هنا».

- «لم يحدث أبدًا أن اهتمَّ اللورد إدارد بأيِّ شيءٍ يجري جَنوب «العُنق»، أبدًا أو كُذِّ لك. إنه ينوي التحرك ضدنا، ولَّا فلم يترك معقل قوَّته؟».

- «لمتة سبب... الواجب، الشَّرَف، ولربما يتوق لأن يكتب اسمه بحروفٍ بارزةٍ في كُتب التَّاريخ، أو أنه يريد الفرار من زوجته، أو للسَّبين معًا. لعلَّه يرغب في أن يشعُر بالدَّفء لمرَّةٍ في حياته».

- «زوجته أخت الليدي آر. من العجيب أن لايسا لم تكن موجودة هنا لتُحيِّنا بأنَّها ماتها».

نظر بران إلى أسفل. كان هناك إفريز ضيق أسفل النَّافذة، لا يتسع لأكثر من بوصاتٍ معدودة. حاول أن يُدَلِّي نفسه نحوه، لكن لا، إنه بعيد جدًا ولن يستطيع بلوغه أبدًا.

- «إنك تقلقين أكثر من اللازم. لا يسا آرَن ليست إلَّا بقرة خائفة».

- «تلك البقرة الخائفة كانت تُشاركِ جون آرَن مضجعه».

- «لو كانت تعرف أيَّ شيء، لكانت قد ذهبت إلى روبرت قبل فرارها من كينجز لاندنج».

- «بعد أن وافقت بالفعل على أن ينشأ صبيُّها السَّقِيم هذا في كاسترلي روك؟ لا أظنُّ، فهي تعرف أن حياة الصَّبي كانت لتُصبح رهينة صحتها، لكنها قد نصير أكثر جرأة الآن وهي آمنة على قَمَّة "العُش"».

- «يا للأُمّهات!»، قال الرجل بلهجة جعلت الكلمة تبدو كشيمة. «أعتقد أن الولادة تفعل شيئًا ما بعقولكنَّ. لكنَّ مجنونات حقًّا»، وأطلق ضحكة لاذعة ثم قال: «دعي الليدي آرَن تتجرَّأ قدر ما تريد. أيَّا كان ما تعرفه، أيَّا كان ما تحسب أنها تعرفه، فليس لديها دليل»، وصمت لحظة قبل أن يضيف: «أم أن لديها دليلًا؟».

- «هل تحسب أن المَلِك سيحتاج دليلًا؟ أقول لك إنه لا يُحِبُّني».

- «وخطأ من هذا يا أختي العزيزة؟».

تطلَّع بران إلى الإفريز... من الممكن أن يشب إليه... كان أضيّق من أن ينزل عليه، لكن إذا أمكنه أن يقبض عليه وهو يَمُرُّ به، ثم يدفع نفسه إلى أعلى... مع أن هذا سيُصدر ضجَّة تجذبهما إلى النافذة. لم يكن متأكدًا من معنى ما يُقال، لكنه كان يعرف أنه ليس من المفترض أن يسمعه.

- «أنت أعمى كروبرت».

- «إذا كنتِ تقصدين أنني أرى الأشياء نفسها، فما أراه هو رجل يُفَضِّل الموت على خيانة ملكه».

- «لقد خانَ ملكًا بالفعل، أم أنك نسيت؟ نعم، لا أنكرُ أنه مُخلص لروبرت، هذا واضح... لكن ماذا سيحدث بعد أن يموت روبرت ويجلس خوف على العرش؟ ومن الأفضل أن يحدث هذا عمَّا قريب كي نكون جميعًا في أمان. زوجي يزداد ضجرًا مع كلِّ يومٍ يَمُرُّ، ووجود

ستارك إلى جانبه سيجعل الأمور أسوأ. إنه ما زال واقعا في غرام الأخت، تلك الصغيرة عديمة اللون والطعم التي ماتت منذ ستة عشر عاما. كم من الوقت إذن قبل أن يُقرّر أن يطرحني جانبا من أجل ليانا جديدة؟».

كان الخوف قد تملّك بران تماما الآن، ولم يرغب في شيء لحظتها غير العودة من حيث جاء والعثور على أخويه الكبارين. لكن ماذا عساه يقول لهما؟ عليه أن يقترب أكثر، عليه أن يرى المتكلمين.

تنهّد الرجل وقال: «يجدر بك أن تُفكّرِي أقلّ في المستقبل وأكثر في مُتَع اللحظة».

- «كفى!»، صاحت المرأة، وسمع بران صوت لحم يَلطِم لحمًا، ثم ضحكة الرجل تتردّد.

سحب بران نفسه إلى أعلى، وصعدَ فوق الكرّجل ثم زحفَ منه إلى السطح. كانت هذه هي الطريقة الأسهل. تحرّك فوق السطح إلى الكرّجل التّالي الذي يقع فوق نافذة العُرفة التي يتكلّمان فيها مباشرة. قال الرجل: «كلّ هذا الكلام أصبح مُتعبًا جدًّا يا اختاه. تعالي هنا واهدني».

جلس بران منفرج السّاقين فوق الكرّجل، وضغطَ ساقيه حوله قدر الإمكان، ثم دلى نفسه إلى أسفل بالعكس، فصارَ معلقًا من ساقيه حول الكرّجل، ثم مدّ رأسه إلى أسفل نحو النّافذة. كان العالم يبدو غريبًا بالمقلوب، وامتدّت السّاحة من تحته بشكلٍ يصيب بالدوار، والثّلوج الذّائبة لا تزال تُبلّل حجارنها. ثم نظرَ بران من النّافذة.

في داخل العُرفة كان هناك رجل وامرأة يتصارعان. كان كلاهما عاريًا، ولم يتبيّن بران من هما. كان ظهر الرجل إليه، وحجبَ جسده المرأة عن الأنظار وهو يدفعها إلى أعلى قُبالة الحائط. سمعَ بران أصواتًا ناعمةً تصدرُ منهما، وأدركَ أنهما يتبادلان القُبلات. راقبهما بعينين مُسعتين

من الدُّعْر غير قادرٍ على التقاط أنفاسه. كان الرجل يضع يداً بين ساقيهما، ولا بُدَّ أنه كان يؤلمها في تلك البُقعة، لأنها بدأت تتأوّه بصوتٍ خفيض وقالت: «توقّف... توقّف... آه، أرجوك، توقّف». لكن صوتها كان ضعيفاً مستسلماً، ولم تُحاول أن تدفعه بعيداً عنها. دفنت يديها في شعره، شعره الذهبي الكثيف، وجذبت وجهه إلى نهدها.

رأى بران وجهها. كانت عيناها مغلفتين وفمها مفتوح تخرج منه آهة طويلة، وتأرجح شعرها الذهبي من جانبٍ إلى جانبٍ ورأسها يتحرك إلى الأمام والخلف، لكن بران تعرّف على الملكة.

لا بُدَّ أنه أصدر صوتاً ما، لأن عينيها انفتحتا عن آخرهما فجأةً وحدّدت فيه مباشرةً، ثم صرخت.

وحدث كل شيء في لحظاتٍ معدودة. دفعت المرأة الرجل بعيداً بعنفٍ وهي تصيح وتشير، وحاول بران أن يدفع نفسه إلى أعلى وهو ينحني بشدةٍ ليبلغ الكرجل. كان يتحرك بعجلةٍ شديدة، وحكّت يده الحَجَر الأملس بلا طائل، وانزلت ساقاه من فرط دُعره، ووجد نفسه يسقط فجأةً. للحظةٍ شعر بالدُّوار يكتنفه والرؤية تشوش في عينيه وهو يهوي ماراً بالنّافذة. ألقى يداً تمسّك بالإفريز لكنه أخطأه، ثم تمسّك به باليد الأخرى وتأرجح بقوةٍ على جانب المبنى. طردت صدمة التوقّف أنفاسه كلها من صدره، وتدلى بران بيدٍ واحدةٍ يلهث.

ثم برزَ الوجهان من النّافذة من فوقه.

الملكة... والآن تعرّف بران على الرجل الواقف إلى جوارها. كانا متشابهين كأنعكاس في المرأة.

قالت المرأة بحدة: «لقد رأنا».

- «هذا صحيح».

بدأت أصابع بران تنزلق، فتمسّك بالإفريز بيده الأخرى، وانغرست

أظفاره في الحجر الذي لا يلين. مَدَّ الرجل يده إليه قائلاً: «أمسك يدي قبل أن تَسْقُطَ».

أطبَّقَ بران على ذراع الرجل وتمسَّك به بكلِّ ما لديه من قوَّة، فرفعه الرجل إلى الإفريز، بينما قالت هي: «ماذا تفعل؟». تجاهلها الرجل. كان قويًّا جدًّا، وبساطةٍ أجلسَ بران على عتبة النَّافذة وقال: «كم عُمرُك يا فتى؟».

أجابَ بران وهو يرتجف راحةً: «سبعة أعوام». كانت أصابعه قد حَفَرَت أخاديد عميقة في ذراع الرجل، فتخلَّى عنها بخوفٍ مرتبك. رمقَ الرجل المرأة للحظاتٍ ثم قال بمقت: «يا للأشياء التي أفعلها من أجل الحب!»، ثم دفعَ بران من النَّافذة.

صارخًا، هوى بران من النَّافذة على ظهره في الهواء المفتوح. لم يكن هناك أيُّ شيءٍ يتمسَّك به، واندفعت السَّاحة إلى أعلى لتلتقي به. وفي مكانٍ ما على مسافةٍ بعيدةٍ تردَّد عواءٌ ذئب، بينما حلقت الغربان حول البُرج المكسور في انتظار الذُّرة.



تيريون

في مكانٍ ما في متاهة ويتربل الحَجَرِيَّة الضَّخمة أطلقَ ذئبٌ عواءً، وظلَّ الصَّوت معلقًا فوق القلعة كراية جِداد.

رفعَ تيريون لانستر عينيه عن كُتبه وارتجفَ، على الرغم من أن المكتبة كانت محجوبةً عن الهواء ودافئةً. ثمَّة شيء ما في عواء الذئاب يتزعك من حاضرك ويُلقِي بك في غايَةِ مظلمةٍ في أعماق عقلك، فتجد نفسك تُحاول الفرار من قطيع كامل بلا شيء يَسُرك.

عندما عوى الذئبُ الرَّهيب مرَّةً أخرى، أغلقَ تيريون الغلاف الجِلدي الثَّقِيل على الكتاب الذي كان يقرأه، مقالة عمرها مئة عام عن تغيُّر الفصول كتبها مايستر ما مات من زمنٍ طويل. حجبَ تناوُّبه بظَهْر يده ورمقَ قِنديل القراءة الذي يرتعش نوره وقد كاد الزَّيت ينفد منه تمامًا، بينما تسرَّب نور الفجر من النَّوافذ العالية. كان قد قضى اللَّيل كله في القراءة، لكن هذا لم يكن بالشَّيء الجديد، فتيريون لانستر لم يكن أبدًا من هواة النَّوم.

شعرَ بساقيه متصلِّبتين على نحوٍ مؤلم وهو ينزل ببطءٍ عن الدَّكَّة، ودلَّكهما ليعثَ فيهما شيئًا من الحياة، ثم عرجَ بتأقُّلٍ إلى الطَّاولَة الأخرى التي غَطَّ السِّتُون عليها في نوم عميق، وقد توسَّد كتابًا مفتوحًا أمامه. ألقيَ تيريون نظرةً على العنوان، "حياة المايستر الأكبر إيثلميور..." طبعًا. قال بهدوء: «كايل»، فهبَّ الشاب معتدلًا وهو يطرف بعينه بقوةً ويشعر بالارتباك، وبلَّورة جماعته تتأرجح في حلقتها الفضيَّة. «سأذهبُ

لأتناول إفطاري. ضَعِ الكُتَبَ في أماكنها على الرُّفوف، وتعامل برفق مع اللُّفافة الغاليريَّة، فالرَّق جافٌ وهشٌّ للغاية. مخطوطة "محرَّكات الحرب" لإيرميدون نادرة جدًّا، ونسختكم هي أكمل نسخة رأيَتها منها على الإطلاق». حملَقَ كايِل فيه وهو لا يزال نصف نائم، فكَّرَ تيريون تعليماته بصبر، ثم ربَّت على كتف السِّتون الشاب وتركه لواجباته.

ملأ تيريون في الخارج رثتيه بهواء الصُّباح البارد، وبدأ نزوله المُجهَد على السُّلالم الحَجَريَّة شديدة الانحدار التي تلوَّبت حول بُرج المكتبة من الخارج. تحرَّك ببطء شديد، فالدرجات كانت مقطَّعة بحيث تكون مرتفعة وضيقَّة، بينما كانت ساقاه قصيرتين مقوَّستين. لم تكن الشَّمس المشرقة قد بلغت أسوار ويترفل بعد، لكن الرجال كانوا قد بدأوا ممارسة عملهم بهمة في السَّاحة في الأسفل بالفعل، وتناهى إلى مسامع تيريون صوت ساندور كليجايِن الحَشيَن الآتي من أسفل يقول: «الصَّبِي يُحتضر منذ مدَّة طويلة. لينه يموت بسرعة أكبر».

ألقي تيريون نظرةً إلى أسفل، ورأى الرجل الملقَّب بـ"كلب الصَّيد" يقف مع الأمير جوفري، بينما تحرَّك مُرافقو الفُرسان في كلِّ مكانٍ حولهما. قال الأمير: «إنه يُحتضر بصمتٍ على الأقل، بينما الذئب لا ينفك يعوي بلا توقُّف. لقد نمْتُ بالكاد ليلة أمس».

كان كليجايِن يُلقِي ظِلًّا طويلًا على الأرض الصُّلبة، ومُرافقه يُبَتُّ خوذته السُّوداء فوق رأسه. قال عبر مقدَّمة الخوذة المفتوحة: «يُمكنني أن أخرس الحيوان إذا شاء الأمير». وضع مُرافقه سيفًا طويلًا في يده، فشَقَّ هواء الصُّباح به مخترِبًا ثقله، ومن ورائه دَوَى قَرعُ الفولاذ بالفولاذ في أنحاء السَّاحة.

بدأت الفكرة طريفةً للأمير، فصاح: «أرسلُ كلبًا ليقُتِل كلبًا! لا بأس، ويترفل تُعاني من وِباءٍ من الذَّئاب بالفعل، ولن يفتقد آل ستارك واحدًا منها».

وثبَ تيريون من على الدَّرَجَة الأخيرة إلى السَّاحَة قائلاً: «أختلفُ معك يا ابن أختي، فأل ستارك يستطيعون العدُّ بعد رقم ستة، على عكس بضعة أمراء أعرفهم».

تورَّد وجه چوفري خجلاً، بينما قال ساندور: «الصَّوت يأتي من اللامكان!»، وتطلَّع عبر مقدَّمة خوذته المفتوحة حوله متظاهراً بأنه لا يرى تيريون، وأضاف: «ثمَّة أرواح في الهواء!».

ضحك الأمير كما يفعل دائماً كلما أدَّى حارسه الشَّخصي تلك التمثيلية. كان تيريون معتاداً عليها، فقال: «أنا هنا».

خفَّض الرجل الطَّويل عينيه أرضاً وتظاهر بأنه لاحظته أخيراً، وقال: «سيدي الصَّغير تيريون، معذرة، لم أرك».

- «لستُ في مزاج لإهاناتك اليوم»، قال تيريون ثم التفتَ مخاطباً ابن أخته: «چوفري، لقد تأخَّرت في زيارتك للورد إدارد والسيِّدة زوجته لتُقَدِّم لهما مواساتك».

بدا چوفري شكِّساً كأَيَّ أمير في سنِّه وهو يقول: «وبِمَ ستفنعهما مواساتي؟».

قال تيريون: «لن تنفعهما بشيء، لكنها متوقَّعة منك، ولقد لوحظ تغيبك بالفعل».

قال چوفري: «ابن ستارك لا يعني لي شيئاً، كما أنني لا أطيقُ نحيب النساء».

مدَّ تيريون لانسَتر يده وهوى بصفعةٍ عنيفةٍ مباغته على وجه ابن أخته، فاكستت وجهته بحُمْرةٍ عميقةٍ بينما قال تيريون بصرامة: «كلمة واحدة وسأصفعك مرَّةً أخرى».

هتفَ چوفري: «سأخبر أُمِّي!».

وهوى تيريون على وجهه بصفعةٍ ثانية، واحتقنت وجنتا الصَّبِي عن آخرهما.

قال تيريون بلهجة أمرة: «أخبر أمك، لكن أولاً ستذهب إلى اللورد والليدي ستارك، وستسقط على رُكبتك أمامهما وتُعبر لهما عن أسفك الشديد، وتقول إنك في خدمتهما إذا كان هناك أدنى شيء يُمكنك تقديمه لهما ولأهلهما في هذه المحنة، وإنك تُصلي من أجلهم جميعاً. مفهوم؟ مفهوم؟».

بدا الصبي كأنه على وشك البكاء، لكنه هزَّ رأسه بفتورٍ بدلاً من هذا، ثم استدارَ واندفعَ مغادراً السَّاحة وقد وضعَ يده على وجنته، وتابعه تيريون بنظرٍاته.

سقطَ ظلٌّ على وجهه، فالتفتَ ليجد كليجاين يرتفع فوقه كالجُرف. كانت درعه السوداء كالسَّناج تبدو كأنها لُطخة على فُرص الشَّمس، وكان قد خفَضَ مقدِّمة الخوذة. كانت مدقوقةً لتبدو ككلب صيِّدٍ أسودٍ فغرَّ فاهه في زمجرة صامتة. كانت مخيفة الشَّكل حقاً، إلّا أن تيريون لطالما حسبها تحسناً على وجه كليجاين المحترق البشع.

قال كلب الصَّيد محدِّراً: «الأمير لن ينسى هذا يا سيِّدي الصَّغير»، وضحك لتحوُّل الخوذة ضحكته إلى دمدمية فارغة.

أجاب تيريون لانستر: «أتمنى ألا يفعل. كُن كلباً مطيعاً وذكِّره إذا نسي»، ثم تطلَّع عبر السَّاحة وسأل: «هل تعرف أين يُمكنني أن أجد أخي؟». - «إنه يتناول إفطاره مع المَلِكة».

قال تيريون: «آه!»، وهزَّ رأسه لساندور كليجاين بلا اكتراث، ثم ابتعدَ بأنشط خطوةٍ تُقَدِّر ساقاه ناقصتا النُّمو عليها، وبدأ يُطلق صفيراً من بين شفتيه. كان يشعُر بالشفقة على أول فارسٍ يستثير أعصاب كلب الصَّيد اليوم، فمن المعروف عن الرجل أنه سريع الغضب حقاً.

كانت وجبة باردة كثيفة قد رُصَّت في القاعة الصَّباحية في البيت الكبير، وجلسَ جايمي إلى المائدة مع سرسي والطفلين، يتكلَّمون بأصواتٍ خفيفة.

قال تيريون وهو يجلس إلى المائدة بلا دعوة: «أما زال روبرت نائمًا؟».

رمقته أخته بتعبير الثُغور الخافت المعتاد الذي اكتسب به وجهها منذ مولده، وقالت: «الملك لم يَنم على الإطلاق. إنه مع اللورد إدارد. لقد تأثر بمصيبتهم كثيرًا».

قال چايمي بابتسامة كسول: «عزيزنا روبرت كبير القلب». أشياء قليلة جدًا كان چايمي يتعامل معها بجديّة، وكان تيريون يعرف هذا عنه ويغفّره له. طوال سنوات طفولته الطويلة البغيضة كان چايمي الوحيد الذي أبدى نحوه النّزّ اليسير من العطف والاحترام، ولهذا كان تيريون على استعداد لأن يغفّر له أيّ شيء تقريبًا.

اقترب أحد الخدم، فقال له تيريون: «خُبز، وواحدتان من السمك الصّغير، وكوز من تلك البيرة الدّاكنة الممتازة تُساعدني على البلع. آه، وبعض اللّحم المقدّد. احرقه حتى يصير أسود». انحنى الرجل وابتعد، وعادَ تيريون يلتفت إلى أخيه وأخته... توأمان، ذكر وأنثى... وهذا الصّباح كانا يلعبان دور التّوأمين ببراعة تامة. كلاهما اختار ارتداء لونٍ أخضر عميق كلون أعينهما، وصُفّفت خصلانتهما الشّقرَاء بعناية شديدة، بينما لمعت الحُلِي الذهبية على المعاصم والأصابع وحول الرّقبتين.

تساءلَ تيريون في قرارة نفسه عن حياته لو كان له توأم بدوره، ثم قرّر أنه لا يُحبّد أن يعرف الإجابة. من السيّء بما فيه الكفاية أن يُواجه نفسه في مرآة حيّة كلّ يوم. فكرة أن يكون هناك آخر منه كانت أكثر تغيّرًا من أن يُفكّر فيها.

تكلم الأمير تومن قائلًا: «هل لديك أنباء عن بران يا خالي؟». أجابَ تيريون: «لقد مررتُ بحُجرة المرضى ليلة أمس، لكن لم يكن هناك تغيير. المايستر قال إنها علامة تدعو للتفاؤل».

قال تومن بجُبن: «لا أريدُ أن يموت براندون». كان ولدًا طيّب القلب على عكس أخيه، وإن كان چايمي وتيريون نفساهما شديدي الاختلاف كذلك.

قال چايمي متأملًا: «اللورد إدارد كان له أخ اسمه براندون كذلك، كان أحد الرّهائن الذين قتلهم تارجارين. يبدو أن الاسم يجلب الحظّ السيئ».

ردّ تيريون: «ليس مثل هذا السوء بالتأكيد».

جاء الخادم بالطبق، ومزّق تيريون قطعة من الخُبز الأسمر، بينما تطلّعت إليه سرسي بحذر وقالت: «ماذا تعني؟».

منحها تيريون ابتسامةً معوجةً وقال: «أعني أن أمنية تومن قد تتحقّق. المايستر يحسب أن الصّبي قد يعيش رغم كلّ شيء»، ورشف من البيرة. أطلقت مارسلا شهقةً فرحةً، وارتسمت ابتسامة متوتّرة على وجه تومن، لكن عيني تيريون لم تكونا على الطفلين. النظرة الخاطفة التي تبادلها كل من چايمي وسرسي لم تدُم لأكثر من لحظة واحدة، لكنها لم تَفُته. ثم إن أخته قد خفضت عينيها إلى المائدة وقالت: «هذه ليست رحمة. آلهة الشّمال تلك قاسية حقًا إذ تُترك طفلًا في ألمٍ شديد كهذا».

سأله چايمي: «ما الذي قاله المايستر بالضّبط؟».

قرمش تيريون اللحم المقدّد ومضغّ مفكّرًا لحظات، ثم قال: «إنه يحسب أنه لو كان الصّبي سيموت، لكان قد مات بالفعل، لكن أربعة أيامٍ كاملة مرّت بلا تغيير في الحالة».

سألته مارسلا: «هل سيُصبح بران أفضل؟». كانت تملك جمال أمها كله، لكن لا شيء من طبيعتها على الإطلاق.

قال تيريون: «إن ظهره مكسور يا صغيرتي، والسّقطة حطّمت ساقيه أيضًا. إنهم يُقونه حيًّا بالماء والعسل، وإلا مات جوعًا. من المحتمل إذا أفاق أن يأكل طعامًا حقيقيًا، لكنه لن يمشي ثانية أبدًا».

رددت سرسي: «إذا أفاق... أهدأ محتمل؟».

قال تيريون: «الآلهة وحدها تعلم. المايستر لا يملك غير الأمل»، ومضغ المزيّد من الخُبز قبل أن يضيف: «يُمكّني أن أقسم أن ذلك الذئب هو ما يُبقي الصّبي حيًّا. إنه يقف خارج نافذته ليل نهار ويعوي، وكلما طردوه عاد. قال المايستر إنهم أغلقوا النافذة مرّة لحجب الصّوضاء، وبدا أن بران يَضَعُف، وعندما فتحوها مرّة أخرى صارت نبضات قلبه أقوى». قالت المَلَكَة مرتجفة: «ثمّة شيء غير طبيعي في تلك الحيوانات. إنها خَطِرة، ولن أسمع بأن يجيء أيها إلى الجَنُوب معنا».

قال چايمي: «سيكون هذا صعبًا يا أختاه. الذئبتان الصّغيرتان تتبعان الفئتين في كل مكان».

بدأ تيريون يلتهم السّمك وقال: «هل ستُغادرون قريبًا إذن؟».

أجابَت سرسي: «ليس بما فيه الكفاية». ثم إنها قطّبت جبينها ورددت: «ستُغادِر؟ وماذا عنك؟ بحق الآلهة، لا تقل لي إنك ستبقى هنا!».

هَزَّ تيريون كتفيه قائلاً: «بنچن ستارك عائد إلى حرس اللّيل مع نغل أخيه، وأفكّر في أن أذهب معهما لرؤية ذلك الجدار الذي يتحاكى الجميع عنه».

ابتسم چايمي وقال: «أتمنّى أنك لا تُفكّر في تركنا وارتداء الأسود يا أخي العزيز».

ضحك تيريون مجيبًا: «أنا أقضي بقيّة حياتي متبتّلًا؟ لو حدث ذلك لاعتزلت العاهرات أعمالهنّ وشحذن في الشوارع من دورن إلى كاسترلي روك! كلا، إنني أريد فقط أن أقف على قمّة "الجدار" وأتبول من فوق حافة العالم».

هَبَّت سرسي واقفة وقالت بحدّة: «ليس من الصّوروي أن يسمع طفلاي قذاراتك. توّمن، مارسلا، هيا بنا من هنا»، واندفعت مغادرة القاعة بخطوات واسعة وذيل فُستانها وطفلاها في أعقابها.

تطلّع چایمی لانستر إلى أخیه بعینیه الخضراوین الباردتین وقال: «ستارك لن یوافق على ترك ویتترفل أبداً وابنه معلّق على حافة الموت». قال تیریون: «سیفعل إذا أمره روبرت، وروبرت سیأمره. لیس هناك شيء یتستطیع اللورد إدارد أن یفعله للصّبی فی جمیع الأحوال». قال چایمی: «یمكنه أن یضع نهايةً لعذابه. كنتُ لأفعل هذا لو كان ابني. إنها رحمة».

- «لا أنصحك بأن تقترح ذلك على اللورد إدارد یا أخي العزیز، فلن یتقبّله ببساطة».

- «حتى لو عاش الصّبی فسیعیش قعیذاً، بل أسوأ من قعید... سیکون مسخاً. لا، أعطني میةً نظیفةً».

أجاب تیریون بهزةً من کتفيه أبرزت التواءهما، وقال: «أختلفُ معك فی مسألة المسوخ تلك. الموت نهائي تماماً ولا رجعة منه، بینما الحياة ملأى بالاحتمالات».

ابتسم چایمی قائلاً: «عفريت صغیر منحرف أنت، ألیس كذلك؟». قال تیریون: «بلی، بكلّ تأکید. أتمنّى أن یتتقظ الصّبی. إنني مهتمٌ حقاً بمعرفة ما سيقوله».

تخثرت ابتسامة أخیه كالحلبب الثّالف، وقال بلهجة قاتمة: «تیریون یا شقیقی العزیز، أحياناً تجعلني أتساءل فی صفٍّ من أنت».

كان فم تیریون ملیئاً بالخبز والسّمك، فأخذ جرعةً كبيرةً من البيرة لیبلع کلّ هذا، ومنح چایمی ابتسامةً ذبیبةً وهو یجیب: «چایمی یا شقیقی العزیز، إنك تجرحني حقاً. أنت تعلم جيّداً كم أحبُّ عائلتي».



چون

صعدَ چون السَّلام ببطءٍ مُحاولاً ألاَّ يُفَكِّرَ أن هذه قد تكون المرَّة الأخيرة على الإطلاق، وتحركَ جوست إلى جواره بصمت. في الخارج كان الثلج يدور في الهواء بين بوابات القلعة، وضجَّت السَّاحة بالفوضى، لكن الهدوء والدَّفء كانا يسودان على الجانب الآخر من الجدران الحجرية السَّميكة، لدرجة أن چون كان يجد الهدوء أثقل وطأة مما يُفضَّل أصلاً. بلغ البسطة ووقفَ في مكانه لفترة طويلة شاعراً بالخوف. حَكَّ جوست خطمه بيده، فاستمدَّ شيئاً من الشَّجاعة من هذا، ومدَّ قامته ودخلَ الحُجرة.

كانت الليدي ستارك هناك إلى جوار فراشه. إنها لم تتحرك خطوة من المكان، ليلاً أو نهاراً، منذ ما يقرب من أسبوعين، ولم تُبارح بران لحظةً. كانت قد أمرت الخدم بأن يأتوا لها بوجباتها ووعاء الفضلات هنا، بالإضافة إلى سريرٍ صغيرٍ غير مريح تنام عليه، وإن كان الجميع قد قالوا إنها تكاد لا تنام البتَّة. كانت تُطعمه بنفسها خليط العسل والماء والأعشاب الذي يُحافظ على حياته. إنها لم تُغادر مكانها مرَّةً، وهكذا بقيَ چون بعيداً عن المكان.

لكن الآن لم يُعدَّ هناك وقت.

وقفَ عند الباب للحظةٍ خائفاً من أن يتكلَّم، خائفاً من أن يدنو. كانت النَّافذة مفتوحة، وفي الأسفل تردَّد عواءٌ ذئب جعلَ جوست يرفعُ أذنيه بانتباهٍ لَمَّا سمعه.

نظرت الليدي ستارك من فوق كتفها، وللحظة بدت كأنها لم تتعرف عليه، ثم إنها طرفت بعينيها أخيراً وقالت: «ماذا تفعل هنا؟». كان صوتها محايداً خالياً من أيّ مشاعر على نحوٍ غريب.

أجاب جون: «جئت لأرى بران، لأودّعه».

لم تبدل ملامحها. كان شعرها الكستنائي الطويل باهتاً متشابك الخصلات، وبدت كأن السنّ قد تقدّمت بها عشرين عاماً دفعةً واحدة. «وها قد فعلت. والآن اذهب».

أراد جزء منه أن يفرّ من المكان فعلاً، لكنه كان يعرف أنه قد لا يرى بران ثانية أبداً إذا فعل ذلك، فتقدّم إلى الأمام بخطوة متوتّرة وقال: «أرجوك».

تحرك شيء بارد في عينيها وهي تقول: «قلت لك أن تذهب. نحن لا نريدك هنا».

كان هذا كفيلاً بأن يجعله يُسلم ساقه للريح من قبل، بل وكان كفيلاً بأن يجعله ينفجر باكياً كذلك، لكن ما شعر به الآن كان الغضب ولا شيء غيره. سوف يصير أخاً تحت القسم في حرس الليل قبل مضيّ وقتٍ طويل، وسيواجه مخاطر أسوأ كثيراً من كاتلين نلي ستارك. هكذا قال: «إنه أخي».

- «هل تريد أن استدعي الحراس؟».

قال جون بتحدّ: «استدعيهم، لكنك لا تستطيعين منعي من رؤيته»، وقطع الحُجرة بحيث ظلّ الفراش بينهما، وتطلّع إلى بران حيث تمدّد.

كانت تحضن يده، وبدت اليد كمخلف من فرط نحولها. لم يكن هذا بران الذي يعرفه... كان لحمه قد صار غثاً للغاية، ولم يعدّ جلده يُغطّي شيئاً غير عظام كالعصي، والتوت ساقاه من تحت الدثار بطريقة أصابت جون بالغثيان. كانت عيناه غائبتين في حُفرتين سوداوين عميقتين،

مفتوحتين لكن لا تريان شيئاً. بشكل ما جعلته السَّقطة يتقلّص. بدا كورقة شجرٍ شديدة الهشاشة ستطير إلى القبر مع هبوب أول ريح قويّة. لكن، تحت قفص تلك الأضلاع المحطّمة الهزيل، كان صدره يعلو ويهبط مع كلّ نفسٍ ضحلٍ يلتقطه.

قال چون بخفوت: «بران، سامحني لأنني لم آت من قبل. كنتُ خائفاً». كان يَشْعُرُ بالدموع الساخنة تجري على وجنتيه، لكنه لم يَعْذُ يُبالي. «لا تَمُتْ يا بران، أرجوك. كلنا ننتظر أن تستيقظ، أنا وروب والفاتان، كلنا». كانت الليدي ستارك تُراقبه، ولمّا لم تُصدر اعتراضاً افترض چون قبولها لكلامه. عوى الذئب الرّهيب خارج النّافذة مجدّداً، الذئب الذي لم ينل بران فرصة تسميته.

قال چون: «يجب أن أغادر الآن. العم بنجن ينتظرنني. سأذهبُ سَمالاً إلى "الجدار"، ويجب أن نتحرّك اليوم قبل نزول الثلج». تذكّر كم كان بران مفعماً بالحماسة لفكرة الرّحلة، لكن فكرة أن يتركه هنا ويرحل كانت أصعب ممّا يحتمل. مسح چون دموعه، ومال ليطلع قُبلة خفيفة على شفطي أخيه.

قالت الليدي ستارك بهدوء: «كنتُ أريده أن يبقى هنا معي». رمقها چون بنظرة حَذَرَة، بينما لم تكن هي تَنْظُرُ إليه وهي تتكلّم. كانت تُخاطبه، ومع ذلك بدا أن جزءاً منها كان لا يعي أنه موجود في الحُجرة أصلاً، وقالت بلهجة فاترة: «صليتُ كي يبقى، فهو أقرب أولادي إليّ. ذهبْتُ إلى السّبت وتوجّهْتُ بالدُّعاء سبع مرّاتٍ لوجوه الإله السّبعة كي يجعل ند يُغيّر رأيه ويتركه هنا معي. أحياناً ما يُستجاب للدُّعاء». لم يعرف چون بما يجيب، وبعد صمتٍ غير مريح قال بتردّد: «لم تكن غلطتك».

وجدته عيناها، وكانت النّظرة فيهما مليئة بالسّم وهي تقول: «لستُ في حاجةٍ إلى مغفرتك أيها النّغل».

خَفَضَ چون بصره. كانت تحتضن يد بران، فالتقط الأخرى واعتصر أصابعها التي ذكرته بعظام الطيور وقال: «الوداع».

كان عند الباب عندما سمعها تُناديه بالاسم. كان حريًا به أن يواصل الابتعاد، لكنها لم تُنادِه باسمه من قبل قط. التفت ليجدها ترمق وجهه كأنها تراه للمرة الأولى، وغمغم: «ماذا؟».

قالت: «كان ينبغي أن يكون أنت»، وعادت تلتفت إلى بران وبدأت تتحب وجسدها كله يرتجف بنشيج قوي. لم يكن چون قد رآها تبكي من قبل.

وكانت مسيرته إلى الساحة في الأسفل طويلة.

في الخارج سادت الفوضى والضجيج، العربات تُحمّل، والرجال يزعمون، والخيول تُجهّز وتُشدُّ عليها السروج وتُقاد إلى خارج الاسطبلات. كان ثلج خفيف قد بدأ في السقوط، والجميع يتحرّكون بهرج ومرج مع تلهّفهم للمغادرة.

كان روب في قلب كل هذا، يصيح بالأوامر مع أعلاهم مكانة. كان يبدو أكثر نضجًا مؤخرًا، كأن سقطة بران وانهيأ أمره قد جعله أقوى بشكل ما. كان جراي ويند إلى جانبه كالمعتاد.

قال روب: «العم بنجن يبحث عنك. إنه يريد التحرك منذ ساعة».

قال چون: «أعرف. سأذهب إليه بعد قليل»، وتطلّع حوله إلى صخب الساحة وقال: «الرحيل أصعب مما توقّعت».

قال روب: «هو صعب عليّ أيضًا». كان الثلج في شعره قد بدأ يذوب بفعل حرارة جسده. «هل رأيته؟».

أوما چون برأسه إيجابًا دون أن يأمن نفسه على الكلام، فقال روب: «إنه لن يموت. أنا واثق من هذا».

قال چون موافقًا: «من الصعب قتلكم حقًا يا آل ستارك». كان صوته خفيصًا مُتعبًا بعد أن سلبته الزيارة آخر قواه.

أدرك روب أن ثمة شيئاً ما على غير ما يُرام، فقال: «أمي...». قاطعه چون قائلاً: «كانت... شديدة اللطف معي». بدا أن الرَّد قد أراح روب، فقال: «عظيم»، وابتسم مُردِّفاً: «ستكون مدثراً بالأسود عندما أراك المرَّة القادمة». أجبر چون نفسه على الابتسام بدوره وقال: «لطالما كان الأسود لوني. متى تعتقد أننا سنلتقي مجدداً؟». قال روب: «قريباً»، وجذب چون إليه وعانقه بقوة وهو يقول: «وداعاً يا سنو».

ضمه چون بقوة بدوره وقال: «وداعاً يا ستارك. اعتن بيران». - «سأفعل»، قال روب وابتعدا ليتبادلا نظرة صامتة مرتبكة، قبل أن يتكلَّم روب أخيراً ويقول: «العم بنجن قال أن أرسلك إلى الاسطبلات إذا رأيتك».

قال چون: «ما زال أمامي وداع أخير». قال روب: «لم أرك إذن». تركه چون واقفاً هناك في الثلج محاطاً بالعربات والذئاب والخيول. مشى مسافة قصيرة إلى مستودع السلاح، حيث التقط حزمة متروكة في انتظاره، ثم قطع الجسر المغطى إلى داخل الحصن.

كانت آريا في عُرفتها، تملأ صندوقاً مصقولاً من خشب الصُلب أكبر منها حجمًا بحاجياتها. كانت نايميريا تُساعدُها... ما على آريا إلا أن تُشير بإصبعها، فتندفع الذئبة عبر الغُرفة لتلتقط لفافة من الحرير في فكِّها وتأتي بها، وإن كانت قد تراجعت وجلست على قوائمها ونبحت فيهم عندما شمَّت رائحة جوست.

نظرت آريا وراءها، ووثبت إلى قدميها عندما رأت چون، وألقت ذراعيها النَّحيلتين حول عنقه قائلةً بأنفاس متقطعة: «كنتُ أخشى أنك رحلت. لقد رفضوا السَّماح لي بالخروج لأودِّعك».

قال چون باسمًا: «ماذا فعلتِ؟».

حلَّت آريا يديها من حول عنقه، ولاخ الضيق في ملامحها وهي تجيب: «لا شيء. كنتُ قد حزمتُ حاجياتي وكلَّ شيء»، وأشارت إلى الصندوق الضخم الذي امتلأ حتى ثلثه فقط، وإلى الملابس المبعثرة في كلِّ أنحاء الغرفة وأضافت: «السبَّطة موردن أمرتني بأن أعيد حزم كلَّ شيء. تقول إن ملابسي لم تكن مطويةً بعناية، تقول إن الليدي الجنويَّة الحقيقيَّة لا تُلقي ملابسها داخل الصندوق كما لو أنها أسمال بالية».

- «أهذا ما فعلتِ يا أختي الصَّغيرة؟».

- «سوف تبعثر الملابس على كلِّ حال، فمن يُبالي بطيَّها؟».

- «السبَّطة موردن تُبالي، ولا أحسبُ أنه سيروق لها أن نايميريا تُساعدك كذلك». رمقته الذُّبَّة الصَّغيرة بصمتٍ بعينها الدَّهْيَتَيْن الدَّاكَتَيْن، بينما تابع چون: «لا بأس. لديَّ شيء تأخذه معك، ويجب أن تحزميه بعناية شديدة».

أشرفت ملامحها وصاحت: «هدية؟».

- «يُمكنك اعتبارها كذلك. أغلِقي الباب».

تطلَّعت آريا إلى الرُّواق في الخارج بحماسةٍ حَذِرة، وقالت: «نايميريا، هنا، احرسي». تركت الذُّبَّة في الخارج لشحذَّرها من مجيء أيِّ متطفِّل وأغلقت الباب. كان چون قد فكَّ الخرقَة التي لفَّ فيها الشيء ورفعها إليها.

اتَّسعت عينا آريا الدَّاكَتَيْن كعينيه وقالت بصوتٍ خفيض: «سيف!». كان الغمد مصنوعًا من الجِلْد الرَّمادي، ناعمًا كالخطيئة، وسحبَ چون النِّصْل ببطءٍ كي تُلاحِظ اللُّمعة الزُّرقاء العميقة في الفولاذ، وقال لها: «هذا ليس لعبة. احذري أن تجرحي نفسك. الحوافُ حادَّة بما فيه الكفاية لأن أحلق بها».

قالت آريا: «البنات لا يحلِقن».

- «ربما يجدرُ بهنَّ أن يفعلنَ. هل رأيتِ ساقِي السَّيِّئةِ من قبل؟!».

ضحكت آريا قائلةً: «لكن هذا السَّيفُ رفيعٌ جدًّا».

- «وأنتِ نحيلةٌ جدًّا. لقد طلبتُ من ميكن أن يصنعه خصيصًا. مبارزو

البرافو يستخدمون سيوفًا مثله في بنتوس ومير وبقية المُدن الحُرَّة. إنه لن يطيح برأس رجل من فوق كتفيه، لكن بإمكانه أن يصنع في جسده ثقبًا عديدةً إذا ضربت بالسرعة الكافية».

قالت آريا: «يُمكنني أن أكون سريعةً».

- «سيكون عليك أن تمرَّني على استخدامه يوميًّا». وضع السَّيفُ في

يديها وأراها كيف تحمله، ثم تراجع قائلاً: «ما إحساسك به؟ هل يروق لك التَّوازن؟».

- «أظنُّ هذا».

قال جون: «الدَّرس الأول: اطعنيهم بالطَّرف المدبَّب».

هوت آريا على ذراعه بالجانب المسطَّح من النِّصل، وعلى الرغم من أن الضَّربة قد ألمت، إلَّا أن جون وجدَّ نفسه يبتسم كالأبله وآريا تقول: «أعرفُ أيَّ طرفٍ أستخدم!». ثم إن نظرة شكٍّ اعتلت ملامحها وهي تُردِّف: «السَّيِّئةُ مורِدُن ستأخذه مني».

- «فقط إذا عرفت أنه معك».

- «لكن مع من سأندرب؟».

قال جون مُطمئنًا: «ستجدين أحدًا. كينجز لاندنج مدينة حقيقيَّة، أكبر من وينترفِل ألف مرَّة. راقبي كيف يتدربون في السَّاحة إلى أن تُعثرِي على شريك. اركضي واركبي الخيل واجعلي نفسك قويَّة. ومهما فعلت...».

كانت تعرف ماذا سيقول، وفي آنٍ واحد ردَّدًا: «... لا... تقولي...

لسانز!!».

بعثر جون شعرها وقال: «سأشتاقُ إليك يا أختي الصَّغيرة».

بَدَتْ فجأةً كأنها على وشك البكاء وهي تقول: «ليتك كنت قادمًا معنا».

- «أحيانًا ما تقود الطُّرُق المختلفة إلى القلعة ذاتها. من يدري؟». كان يَشْعُرُ بتَحسُّنٍ الآن، وقرَّرَ ألاَّ يسمح لنفسه بالاستسلام للحُزن. «يجب أن أذهب. سأقضي عامي الأول على "الجدار" في إفراغ أوعية الفضلات إذا تركتُ العم بنجن ينتظر أكثر».

اندفعت آريا لتلقي نفسها بين ذراعيه مرَّةً أخيرةً، فقال جون محدِّثًا وهو يضحك: «ضعي سيفك أولًا». نَحَّتِ السَّيفَ جانبًا بخجلٍ، ثم أمطرتَه بالقبلات.

وعندما التفتَ إليها وهو عند الباب، وجدها تحمل السَّيفَ مرَّةً أخرى وتُجَرَّبُ توازنه، فقال: «كدتُ أنسي. كل السُّيُوفِ العظيمة لها أسماء».

قالت: «مثل "جليد"»، ثم تطلَّعت إلى السَّيفِ في يدها ونساءلت: «ألهذا اسم أيضًا؟ أوه، قُلْ لي!».

قال جون مُدَاعِبًا: «ألا يُمكنك التَّخمين؟ إنه نشاطك المفضَّل على الإطلاق».

بَدَتْ آريا حائرةً في البداية، ثم استوعبت ما يعنيه. كانت سريعة البديهة حقًا، ومعارِذا الكلمة:

- «الإبرة!».

وعلى الطَّرِيق الطَّويل شَمَالًا بَثَّتْ ذكرى ضحكاتها الصَّافية فيه الدَّفء.



دنيرس

رُفَّت دنيرس تارجارين إلى گال دروجو في خليطٍ من الخوف والابْهة الهمجية في حقلٍ واسع يقع وراء أسوار پنتوس، فالدوثرافي يؤمنون بأن كلَّ حدثٍ جَلَلٍ في حياة الرجل يجب أن يقع تحت السماء المفتوحة. كان دروجو قد دعا الغالاسار التابع له كله لحضور زفافه وجاءوا جميعاً، أربعون ألفاً من مُحاربي الدوثرافي وأعداد لا تُحصى من النساء والأطفال والعبيد. خيّموا خارج أسوار المدينة ومعهم قُطعانهم الضخمة، مشيدين قصوراً من العُشب المجدول وآتين على الأخضر واليابس، ليُثيروا المزيد من التوتر في نفوس أهالي پنتوس الطيبين مع كلِّ يوم يمرُّ.

- «لقد ضاعفَ زملائي الماچسترات عدد حرس المدينة»، قال لهما إيريو ذات ليلة من وراء أطباقٍ من البطّ المشوي بالعلل والفلفل البرتقالي الحريّف في الإيوان الذي كان ملكاً لدروجو. كان الغال قد انضمَّ إلى غالاساره وترك إيوانه لدنيرس وأخيها حتى الرّفاف.

قال السير چورا مورمونت ساخراً: «يَحْسُن أن يُعَقَّد قران الأميرة دنيرس سريعا، قبل أن يُسَلِّموا نصف ثروات پنتوس للمُرتزقة ومُبارزي البراثو». كان الفارس المنفي قد قدّم سيفه لأخيها في الليلة التي بيعت فيها داني إلى گال دروجو، وقد قبل فسيرس بترحاب، ومنذ ذلك الحين ومورمونت يُرافقهما طوال الوقت تقريباً.

ضحك الماچستر إلبريو بخفّة من وراء لحيته المتشعبة، لكن فسيرس لم يُكلّف نفسه حتى عناء الابتسام، وقال: «يُمكنه أن يأخذها غداً إذا أراد»، ثم رمق داني التي خفّضت بصرها وهو يُردف: «طالما أنه سيدفع الثمن».

لوح إلبريو بيده بحركة فاترة وتألّقت الخواتم على أصابعه السّميّة، وقال: «أؤكد لك أن المسألة متّهيّة، ثق بي. لقد وعدك الكال بالتّاج، وسوف تناله».

- «نعم، لكن متى؟».

- «عندما يُقرّر الكال. سوف يحظى بالفتاة أولاً، وبعد زفافهما عليه أن يقود موكبه عبر السّهول ليقدّمها إلى الدوش غالين في فايس دوثراك. بعد ذلك ربما، إذا كان الطّالع يؤيّد الحرب».

كان فسيرس يتميّز غيظاً وأعماقه كلها تموج بفراغ الصّبر، فقال: «أبول على طالع الدوثرافي. المُغتصب يجلس على عرش أبي، فكم ينبغي أن أنتظر؟».

هزّ إلبريو كتفيه العظيمين قائلاً: «لقد انتظرت معظم حياتك أيها المَلِك العظيم، فما الفارق إذا مرّت بضعة شهورٍ أخرى، أو بضعة أعوامٍ أخرى؟».

أوما السير چورا، الذي كان قد سبق له السّفر شرقاً حتى فايس دوثراك، برأسه موافقاً وقال: «أنصحك بالصّبر يا جلالة المَلِك. الدوثرافي لا يرجعون في كلمتهم، لكنهم يفعلون الأشياء حسب وقتهم هم. من الممكن أن يتوسّل رجل أدنى شأنًا معروفاً من الكال، لكن لا ينبغي أبداً أن يتجرأ على توبيخه».

قال فسيرس بعدوانيّة: «صن لسانك يا مورمونت وإلا أمرت بقطعه. إنني لست رجلاً أدنى شأنًا، إنني سيّد الممالك السّبع. التّبن لا يتوسّل».

خَفَضَ السيرُ جوراً بصره باحترام، بينما ابتسمَ إليّيو بغموضٍ ومزقٍ جناحاً من البطّة، وسال العسل والدّهْن على أصابعه وغاصا في لحيته وهو يَقْضِم من اللَّحْم الطَّرِي. لم تُعَدْ هناك تنانين، فكُرت داني وهي تَرْمُق أخاها، وإن لم تجرؤ على أن تقولها بصوتٍ أعلى من صوت أفكارها. على أنها رأت تنيناً في منامها في تلك اللَّيلة. كان فُيسرس يضربها، يؤلمها، وكانت عاريةً والخوف يجعلها تتصرّف بخرق. جرّت منه، لكن جسدها كان ثقيلاً بطيئاً، وهوى فُيسرس عليها بضربةٍ أخرى، فتعثّرت وسقطت. كان يركّلها ويصرخ: «لقد أيقظتِ التنين!»... يركّل ويصرخ: «أيقظتِ التنين! أيقظتِ التنين!». أغرقت الدّماء فخذيتها، وأغلقت عينيها وانتحبت... ثم، وكأنها استجابة لها، دوى فجأةً صوت تمزيقٍ مربع وقمقعة نارٍ عظيمة، وعندما فتحت عينيها مرّةً أخرى كان فُيسرس قد اختفى وارتفعت أعمدة هائلة من اللّهب في كلّ مكان، وفي وسطها كان التنين. دار برأسه الصّخم ببطء، وعندما وقعت عيناه المتقدتان عليها استيقظت ترتجف وتتصبّب عرقاً. إنها لم تُشعر قطّ بمثل هذا الخوف... إلى أن جاء يوم زفافها أخيراً.

بدأت المراسم عند الفجر واستمرّت حتى الغسق... يوم بلا نهاية من الشرب والعريضة والعراك. أقيمت منصّة قويّة من الخزف بين قصور العُشب المجدول، وعليها جلست ديزرس إلى جوار غال دروجو ليُطِلا من علّ على بحر الدوثرافي الثّائر. لم تكن قد رأت كلّ هذه الأعداد من النّاس في مكانٍ واحدٍ من قبل، ولا أناساً مخيفين شديدي الغرابة كهؤلاء. قد يتسرّب سادة الخيول بالأقمشة الثّمينة ويتضمّخون بالعطور الفوّاحة عندما يزورون المُدن الحرّة، لكنهم يعودون إلى عاداتهم القديمة كلما كانوا في الخلاء تحت السّماء المفتوحة. الرّجال والنّساء على حدّ سواء كانوا يرتدون صُدراً من الجِلد الملوّن فوق الصّدور العارية، وأغطيةً للسّيقان من شعر الخيل موثقةً بأحزمةٍ من الحلقات

البرونزية، ودهنَ المُحاربون جدائلهم الطويلة بالشحم من حُفر الشَّواء. كانوا يلتهمون لحم الخيل المشوي بالعمل والفلفل بشراهة شديدة، ويشربون حتى الثمالة من حليب الفرس المخمر، ويُلقون دعاياتهم الخشنة على بعضهم بعضًا من بين المشاعل بأصواتهم الخشنة الغريبة على سمع داني.

أجلسوا فسيرس أسفلها مباشرة، وقد بدا متألِّقًا في معطفه الجديد المصنوع من الصُّوف الأسود ذي التَّين القرمزي على صدره، وجلسَ إليريو والسير جورا إلى جواره. كان مجلسهم مجلس احترام كبير، أسفل خيالة دم الغال مباشرة، لكن داني ميَّزَ الغضب في عيني أخيها الأرجوانيين. لم يكن يروق له أن يجلس أدنى منها، وبدا أنه يستشيط غضبًا كلما قدَّم العبيد كلَّ طبق طعام إلى الغال وعروسه أولًا، ثم يُقدِّمون له ما يَرُفُضانه. هكذا لم يكن أمامه غير أن يترك سُخطه يشتعل في أعماقه، وهكذا فعلَ ومزاجه يُصبح أكثر سوادًا مع كلِّ ساعة تمرُّ يتلقَّى فيها إهانةً لشخصه.

على الرغم من جلوسها وسط هذا الحشد الهائل من البشر، شعرت داني بوحدة لم تختبر مثلها قط. كان أخوها قد قال لها أن تبتسم، فابتسمت حتى أوجعها وجهها وتجمَّعت الدُموع رغما عنها في عينيها، وبذلت داني قصارى جهدها كي تُخفيها، لأنها تعلم جيِّدًا كم سيغضب فسيرس إذا رآها تبكي، وتَشعرُ بالرُّعب من ردَّة فعل غال دروجو. جيء إليها بأصناف وأصناف من الطَّعام، قطع من اللحم المشوي والسجق الأسود الثخين وفطائر الدَّم التي يصنعها الدوثرافي، ولاحقًا قدَّمت لها الفاكهة ويخنة العُشب السُّكري ومعجنات لذیذة من مطابخ بنتوس، لكنها رفضت تناول أيِّ شيء. كانت معدتها مضطربة تمامًا، وكانت تعرف أنها لا تستطيع الاحتفاظ بأيِّ من هذا الطَّعام في أحشائها.

لم يكن هناك من تُحدِّثه. كان غال دروجو يصبح بالأوامر والدُّعايات

لخيالة دمه ويضحك على ردودهم، لكنه نادراً ما التفت إلى داني الجالسة إلى جواره. لم تكن هناك لغة مشتركة بينهما، فهي لم تكن تفهم كلمة من الدوثراكي، والگال لم يكن يعرف إلا بضع كلمات من الفاليريّة الهجينة التي يتكلّمونها في المُدن الحرّة، ولا كلمة واحدة من عاميّة الممالك السبع. كانت لترحب بالكلام مع إيريو وأخيها حتى، لكنهما كانا جالسين أدنى منها بمسافة طويلة.

هكذا جلست بثوب زفافها الحريري ترشف ببطء من كأس نبيذ محليّ بالعسل، خائفة من الأكل وتكلّم نفسها.. أنا دم التّنين. أنا دنيرس وليدة العاصفة، أميرة دراجونستون، من دم ونسل إجون الفاتح.

كانت الشّمس قد شقّت رُبع طريقها في السّماء لا أكثر عندما رأت الرجل الأول يموت. كانت الطّبول تدقّ وبضع نساء يرقصن للگال، وتفرّج دروجو عليهنّ بلا تعبير على وجهه، وإن تتبعت عيناه حركتهنّ، وبين الحين والآخر كان يُلقي حليّة برونزيّة لهنّ كي يتشاجرن عليها. كان المُحاربون يتفرّجون كذلك، وأخيراً خطا أحدهم إلى داخل الدّائرة وجذب واحدة من الرّاقصات من ذراعها، ثم دفعها أرضاً واعتلاها في مكانها كما يعتلي الفحل الفرس. كان إيريو قد أخبرها بأن شيئاً كهذا قد يحدث، وقال لها: «الدوثراكي يتزاوجون كالحيوانات التي في قطعانهم. ليس هناك شيء اسمه الخصوصيّة في الگالاسار، وهم لا يفهمون الخطيئة والخجل كما نفعل نحن».

أبعدت داني عينيها عن الجِماع الجاري أمامها وقد شعرت بالرّعب لمّا أدركت ما يحدث، لكن مُحارباً آخر تقدّم إلى داخل الدّائرة، ثم الثالث، وسرعان ما لم يعد هناك سبيل للإشاحة ببصرها. ثم أمسك رجلان بالمرأة نفسها... سمعت داني صيحة، ورأت أحدهما يدفع الآخر، وفي غمضة عينٍ كان كلّ منهما قد أخرج الأراخ الذي يحمله، النّصل الطّويل الحاد كالموسى الذي يجمع بين السّيف والمنجل. بدأت رقصة الموت

والمُحَارِبَانِ يَدُورَانِ وَيَشْقَانِ الهَوَاءَ بِسَلَاحِيهِمَا، يَثْبَانِ عَلَى بَعْضِهِمَا بَعْضًا وَيَلْوَحَانِ بِالْأَرَاخِينِ فَوْقَ رَأْسَيْهِمَا وَيَتَبَادَلَانِ الشَّتَاتِمَ، بَيْنَمَا لَمْ يَتَدَخَّلْ أَيُّ مِنَ الْحَاضِرِينَ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

انتهى القتال بسرعة كما بدأ. ارتجف الأراخان معًا أسرع من قدرة داني على المتابعة، وأخطأ أحد الرجلين خطوته، وصنع الآخر قوسًا في الهواء بأراخه وهو يهوي عليه. انغرس الفولاذ في اللحم فوق خاصرة الدوثرافي مباشرة، وشقه من عموده الفقري إلى شترته لتسكب أمعاؤه على التراب. سقط الخاسر ميتًا، والتقط الرابع أقرب امرأة - ليست من كانا يتشاجران عليها أصلًا - واعتلاها في مكانها، بينما جاء العبيد وحملوا الجثة بعيدًا واستأنف الباقون الرقص.

كان الماچستر إلبريو قد حذر داني من هذا أيضًا، وقال لها: «زفاف الدوثرافي الذي يمرُّ من دون ثلاثة قتلى على الأقل يُعدُّ حدثًا مهملاً». لا بُدَّ إذن أن بركة خاصة قد حلت على زفافها، فقبل نهاية اليوم كان دسته من الرجال قد سقطوا قتلى.

مرت الساعات واستفحل خوف داني، إلى أن صارت تُقاتل رغبتها في الصُراخ بكيانها كله. كانت خائفة من الدوثرافي الذين بدت عاداتهم غريبة وحشية جدًا، كأنهم دوابُّ يرتدون جلد البشر دون أن يكونوا بشرا على الإطلاق.. وكانت خائفة من أخيها، مما قد يفعله بها إذا خذلت.. أمَّا أكثر ما كان يخيفها هو ما سيحدث الليلة تحت النجوم، عندما يُسلمها أخوها للعملاق الذي جلس يشرب إلى جوارها بوجه قاسٍ ثابت كقناع من البرونز.

أنا دم التنين...

عندما انخفضت الشمس في السماء أخيرًا، صفق غال دروجو بيديه، فصمت الطبول واللُفط والاحتفال تمامًا. نهض دروجو وجذبها لتقف إلى جواره، فقد حان وقت تقديم هدايا العروس. بعد الهدايا، كانت

تعلم، بعد أن تغيب الشَّمس، سيحين وقت الرُّكوب الأول ثم دُخلتها. حاولت داني تحية خاطر جانباً، لكنه أبى أن يُفارقها، واحتضنت نفسها محاولةً أن تكفَّ عن الارتجاف.

أهداها أخوها فسيرس ثلاث وصيفات، وكانت داني تعرف أنهنَّ لم يُكَلِّفنه شيئاً، ولا بُدَّ أن إليريو هو من جاءَ بهنَّ. إيري وچيكيوي كانتا فتاتين من الدوثرافي لهما بشرة بلون النحاس وشعر أسودَّ وعيون بشكل حَبَّات اللُّوز، ودوريا كانت فتاةً لايسيئة ذات شعرٍ أشقر ناعم وعينين زرقاوين. قال لها أخوها وهنَّ يُقدِّمن إليها واحدةً تلو الأخرى: «هؤلاء لسنَ خادِمات تقليديَّات يا شقيقتي العزيزة. إليريو وأنا اخترناهنَّ خصيصاً لك. إيري ستُعَلِّمك ركوب الخيل، وچيكيوي ستُعَلِّمك لغة الدوثرافي، وستُرشِّدك دوريا إلى ممارسة فنون الحبِّ الأنثويَّة»، ولاحت على شفثيه ابتسامة رفيعة وهو يضيف: «إنها شديدة البراعة. إليريو وأنا يُمكننا أن نُقسِم على ذلك».

قدَّم السير جورا مورمونت هديته لها قائلاً بلهجةٍ معذِّرة: «إنها هديَّة صغيرة يا أميرتي، لكنها كل ما يستطيع منفيٌّ فقير تدبيره»، ووضع أمامها كومةً صغيرةً من الكُتب القديمة، فرأت أنها قصص وأغانٍ من الممالك السَّبع مكتوبة باللغة العاميَّة، وشكرته من أعماق قلبها.

غمغم الماچستر إليريو بشيء ما، فتقدَّم أربعة عبيد ضخام الجئة إلى الأمام حاملين صندوقاً ضخماً من خشب الأرز مزيناً بالبرونز. فتحته داني، فوجدت أكواماً من أفخم أنواع المخمل والإستبرق التي تُنتجها المُدن الحرَّة... وعلى الوجه، بين ثنايا النسيج، استقرَّت ثلاث بيضات ضخمة. أطلَّقت داني شهقةً. كانت البيضات أجمل شيءٍ رآته في حياتها بلا نظير، كلُّ واحدةٍ منها تختلف عن الأخرى وقد زُخِرَتْ بألوانٍ غنيَّة للغاية، حتى أنها حسبتها قشوراً من الجواهر للوهلة الأولى، وكانت كبيرة الحجم للغاية لدرجة أنها استخدمت يديها معاً كي تحمل واحدةً

منها. رفعتها داني برقة متوقّعة أنها ستجدها مصنوعة من نوع خاص من الپورسلين أو المينا، أو حتى من الرُجاج المنفوخ، لكنها كانت أثقل من كلّ هذه الأشياء، كما لو أنها مصنوعة بالكامل من الحجر الصّلب. كان سطح القشرة مغطى بحراشف صغيرة للغاية تألّقت في نور الشّمس الغاربة كمعدن مصقول وهي تُقلّب البيضة بين أصابعها. واحدة منها كانت ذات لونٍ أخضر داكن به بُقع برونزية صغيرة برّاقة تظهر وتختفي حسبما كانت داني تُديرها، والأخرى ذات لونٍ أصفر شاحب به خيوط ذهبية، والأخيرة سوداء قاتمة كبّحر متّصف اللّيل، وإن كانت حيّة بتموجاتٍ ودواماتٍ قرمزية. سألت بصوتٍ خافتٍ امتلاّ بالدهشة: «ماذا تكون؟».

أجاب الماچستر إليريو: «إنها بيضات تُبين من بلاد الظّل وراء آشاي. لقد حوّلها الزّمن إلى أحجار، لكنها لا تزال تتقدّ جمالاً».

- «سأصونها دائماً». كانت داني قد سمعت حكاياتٍ عن بيض التّنانين، لكنها لم ترَ واحدة قطّ، ولا كانت تحسب أنها ستري. كانت هديّة ثمينّة للغاية، لكنها كانت تعرف أن إليريو قادر على الحصول عليها ببساطة، فقد حصّل ثروة من الخيول والعبيد لقاء دوره في بيعها إلى گال دروجو.

قدّم خيالة دم الغال لها الأسلحة التقليديّة الثلاثة، ولقد كانت أسلحة رائعة حقاً. أهداها هاجو سوطاً جلدنياً طويلاً ذا مقبضٍ من الفضة، وكهولو أراخاً فاخراً مرصّعاً بالذهب، وكوثو قوساً ثنائي المنحنى مصنوعاً من عظام التّنين يفرقها طولاً. كان الماچستر إليريو والسير چورا قد علّماها الرّد التقليدي لرفض هذه العطايا: «هذه هديّة تليق بمُحاربٍ يا دم دمي، وأنا مجرد امرأة، فدع السيّد زوجي يحملها نيابةً عني»، وهكذا تلقّى گال دروجو نصيبه من هدايا العروس بدوره!

تلقت هدايا أخرى كثيرة من الدوثرافي الآخرين، من أخفاف وجواهر

وخواتم فضيَّة لشعرها، وأحزمة من الحلقات وصُدُر ملوَّنة وصُوفٍ ناعم،
وحرائرٍ ملساءٍ وقُدُورٍ من العِطر وریشٍ وإبرٍ وقواريرٍ صغيرةٍ من الزُّجاج
الأرجواني، وفُستان مصنوعٍ من جلد ألف فأر. قال الماچستر إلیریو معلِّقًا
على الهدیَّة الأخيرة بعد أن شرحَ لها كنهها: «هدیَّة ممتازة يا گالیسی،
تجلب الحظَّ السَّعيد». تضخَّمت كومة الهدايا أمامها كثيرًا، هدايا أكثر
مما كانت تتخیل، هدايا أكثر مما یمكنها أن تريد أو تستخدم.

وأخیرًا جاءَ گال دروجو بهدیَّته لها. رانَ الصَّمت المتوقَّع شيئًا فشيئًا
بدايَّةً من مركز المخیم حتى ابتلعه كله ودروجو يتحرَّك من جوارها،
وعندما عادَ تفرَّق حشد مقدَّمي الهدايا من أمامه وهو يقود الفرس إليها.

كانت مُهرةً شابَّةً بهيَّة المنظر خفيفة الحركة. كانت داني تعرف عن
الخيول ما يكفيها لأن تُدرِّك أنها ليست دابَّةً تقليديَّة، وثمَّة شيء ما فيها
جعلَ أنفاسها تحتسّس فعلاً. كانت ذات لونٍ رماديٍّ كبَحَر الشَّتاء، وعلى
عُنقها شعر بلون الدُّخان الفُضي.

مدَّت يدها بتردُّدٍ وربَّت على عُنق الفرس ومرَّرت أصابعها في فُصَّة
شعر عُنقها. قال گال دروجو شيئًا بالدوثرافي ترجمه لها الماچستر إلیریو
قائلًا: «يقول الغال: فُصَّة كفُصَّة شعرك».

تمتَّت: «إنها جميلة».

قال إلیریو: «إنها فخر الغالاسار. الأعراف تقضي بأن تمتطي الغالیسی
فرسًا تليق بمكانتها إلى جوار الغال».

تقدَّم دروجو ووضعَ يديه حول خصرها، ورفعها بسهولة تامَّة كأنها
طفلة ووضعها فوق سرج الدوثرافي التقليدي النَّحيل، الأصغر حجمًا
بكثير من كلِّ سرجٍ رأته من قبل. جلست داني في مكانها مرتبكةً للمحطات،
فلم يُخبرها أحدُ بشيءٍ عن هذا الجزء. سألت إلیریو: «ماذا أفعلُ؟».

كان السير جورا مُورمونت هو من أجابها: «أمسكي العِنان وتحركي
بالمُهرة. ليس من الضَّروري أن تتعدي».

متوترة أمسكت داني بالعنان ووضعت قديمها في الركابين الصغارين. لم تكن تجيد قيادة الخيل لتلك الدرجة، فقد قضت فترات أطول بكثير تُسافر على متن السفن والعربات والهواذج من تلك التي قضتها على ظهر حصان. دعت ألا تقع وتُهين نفسها، ومنحت المهرة أخف وأرق لمسة لديها برُكبتها.

وللمرة الأولى منذ ساعات نسيّت خوفها، ولربما للمرة الأولى على الإطلاق.

تحركت المهرة ذات اللونين الرمادي والفضي بمشية ملساء كالحرير، وأفسحت الجموع الطريق أمامها وقد تركزت العيون كلها عليهما. وجدت داني نفسها تتحرك بسرعة أكبر مما أرادت، وإن ملأها هذا بالإثارة بدلاً من الخوف. ثم إن المهرة بدأت تُهرول، وارتسمت ابتسامة واسعة على ثغر داني، بينما تفرق الدوثرافي من أمامهما. أضعف ضغطة بقدميها، أخف شدة للعنان، وتستجيب المهرة في الحال. حثتها على الركض، وبدأ الدوثرافي يصيحون ويضحكون وهم يقفزون بعيداً عن طريقها. عندما دارت بالمهرة لنعوذ، رأت حفرة نار أمامها في طريقها مباشرة. كانت والمهرة مطوّقتين من الجانبين، ولا مكان يصلح للتوقف، وفي هذه اللحظة ملأت ديفرس شجاعة لم تعرفها من قبل قط، وتركت للمهرة العنان.

ووثبت المهرة الفضية من فوق اللهب كأن لها جناحين. وعندما توقفت داني أمام الماچستر إلبريو قالت: «قل لغال دروجو إنه أهداني الريح». ملس البتوشي السمين على لحيته الصفراء وهو يُكرّر كلماتها بالدوثرافي، وللمرة الأولى رأت داني زوجها الجديد يتسم.

غاب آخر شعاع للشمس وراء أسوار بنتوس العالية إلى الغرب في تلك اللحظة، وكانت داني قد فقدت إحساسها بالزمن. أمر غال

دروجو خيالة الدَّم بأن يأتوا بجواده، الذي كان فحلًا أحمر شديد الرِّشاقة، وبينما كان الغال يضع السَّرج عليه انسلَّ فسيرس مقتربًا من داني على متن مُهرتها الفضيَّة، وغرس أصابعه في ساقها قائلاً: «أسعديه يا شقيقتي العزيزة، وإلا أقسم أنك سترين التَّين مستيقظًا كما لم تربه من قبل».

عادَّ الخوف إليها عندئذٍ مع كلمات أخيها، وعادَّت تشعُر أنها مجرد طفلة في الثالثة عشر من عُمرها لا أكثر، وليست مستعدَّة على الإطلاق لما يوشك أن يحدث لها.

ركبا معًا والنُّجوم تنتشر في السَّماء، ناركين الغالاسار وقصور العُشب وراءهما. لم يوجَّه غال دروجو لها كلمة واحدة وهو ينطلق بفحله في الغسق المحتشد، ورَّت الأجراس الفضيَّة الصَّغيرة في جديته. «أنا دم التَّين»، همست لنفسها وهي تتبعه محاولةً استجماع شجاعتها. «أنا دم التَّين. أنا دم التَّين». التَّين لا يخاف أبدًا.

بعدها لم تستطع التكهُّن بالمسافة التي قطعها، لكن الظَّلام كان كاملاً عندما توقَّفا عند منطقة معشوشبة على حافة جدولٍ صغير. وثبَّ دروجو من فوق حصانه، وحملها عن مُهرتها فشعرت بأنها هشة كالزُّجاج بين يديه وأطرافها واهية كالماء. وقفت هناك ترتجف عاجزة في ثوب زفافها الحريري بينما ربطَ هو الحصانين، وعندما التفتَ لينظرَ إليها بدأت تبكي. حدَّق غال دروجو في وجهها وملامحه خالية من أيِّ تعبير، وبلَّغ داني قال: «لا»، ومدَّ يده ليمسح دموعها بخشونةٍ بإبهامه ذي الجِلد الغليظ. قالت داني بدهشة: «هل تتكلَّم اللُّغة العاميَّة؟».

كرَّر: «لا».

خطرَ لها أنه ربما يعرف تلك الكلمة فحسب، لكنها كانت أكثر مما حسبته يعرف، وبشكل ما جعلها هذا تظمنن بعض الشيء. مَسَّ دروجو شعرها بخفةٍ ومرَّر أصابعه بين خصلاته الفضيَّة الشَّقراء وهو يُتمِّم بشيء

ما بالدوثر اكي. لم تفهم داني الكلمات، لكن كان ثمة دِفء في نبرته، رقة لم تتوقعها من هذا الرجل.

وضع أصابعه تحت ذقنها ورفع رأسها إليه كي تنظر في عينيه مباشرة. كان يقف شاهقاً فوقها كما يشهق فوق الجميع. دس يديه تحت إبطيها ورفعها وأجلسها على صخرة مستديرة إلى جوار الجدول، ثم جلس على الأرض مواجهاً إياها وقد رُبع ساقيه من تحته، ليتلاقى وجهاهما على ارتفاع واحد أخيراً، ومرة أخرى كرر «لا».

سألته: «أهذه هي الكلمة الوحيدة التي تعرفها؟».

لم يُجبها دروجو. كانت جديله الطويلة الثقيلة ملتفة في التراب إلى جواره، وجذبها من فوق كتفه اليسرى وبدأ يخلع الأجراس من شعره واحداً واحداً، وبعد لحظة مالت داني إلى الأمام لتساعده. ثم أشار لها دروجو بعد أن انتهيا ففهمت إشارته، وبيطء وحذر بدأت تحل جديله.

استغرق الأمر وقتاً طويلاً ظل يرمقها خلاله بصمت، وعندما انتهت هز رأسه لينساب شعره على ظهره كنهر من الظلام يلمع. لم تر شعراً طويلاً كهذا من قبل، أو أسود غزيراً هكذا.

ثم حان دوره وبدأ يُجردها من ملابسها.

كانت أصابعه رشيقة الحركة ورقيقة على نحو أدهشها. خلع قطع الثوب الحريري قطعة قطعة، بينما جلست داني في مكانها صامتة بلا حراك تنظر في عينيه. لم تستطع منع نفسها عندما كشف نهدبيها الصغيرين، فأشاحت ببصرها وغطت نفسها بيديها، فقال دروجو: «لا»، ودفع يديها بعيداً عن نهدبيها برقة لكن بحزم، ثم رفع رأسها مرة أخرى لتنظر إليه، وكرّر: «لا»، فردّتها وراءه كالصدي.

ثم إنه أوقفها وجذبها قريباً إليه ليخلع قطعة الحرير الأخيرة. كان هواء الليل بارداً على بشرتها العارية، وارتجفت شاعرة بالخدر في ذراعيها وساقيها. كانت خائفة مما سيحدث الآن، لكن للحظات لم يحدث

شيء. جلسَ غال دروجو مربَّعاً ساقيه، يتأَمَّلها وينهل من جسدها بعينه. بعد قليل بدأ يلمسها، بنعومةٍ أولاً ثم بخشونة. كانت تَشعُرُ بقوة العاتية في يديه، لكنه لم يؤلمها ولو مرَّة. وضعَ يدها في يده ومَسَّ أصابعها واحداً تلو الآخر، ومرَّ أصابعه على ساقها، ومَسَّ وجهها متتبَّعاً انحناات أذنيها ودائرًا حول شفيتها بإصبع رقيق. وضعَ كلتا يديه في شعرها ومَشَّطه بأصابعه، ثم أدارها وذلك كتنفيسها، ومرَّ بمفصل إصبعه على عمودها الفقري.

بدا كأن ساعاتٍ قد مرَّت عندما بلغت يدها نهديها أخيراً، فمسَّدَ الجِلد النَّاعم تحتها إلى أن دغدغها، وداعبَ حلمتيها بإبهاميه وقرصَ كلاً منهما بين الإبهام والسَّبَّابة، ثم بدأ يجذبهما بخفَّةٍ شديدةٍ في البداية، ثم بقوةٍ بعد ذلك إلى أن انتصبتا وبدأتا تؤلمانها.

توقَّفَ حينئذٍ وجذبها لتجلس في حجره. كانت داني متقطَّعة الأنفاس الآن ووجهها متورِّداً عن آخره. طوَّقَ دروجو وجهها بيديه الضَّخمتين ونظرَ في عينيها وقال: «لا؟»، وكانت تعرف أنه سؤال. أخذت يده وقادتُها إلى البُقعة المبتلَّة بين فخذيهما، وإذ وضعَ إصبعه في داخلها همست: «نعم».



إدارد

جاء الاستدعاء قبل ساعة من الفجر، والعالم لا يزال ساكنًا غائمًا. هزه آلين بخشونة ليوقفه من أحلامه، وخرج مترنحًا في السحر البارد والنوم لا يزال يشوش الموجودات أمام عينيه، ليجد حصانه جاهزًا والمملك على ظهر حصانه بالفعل. كان روبرت يرتدي زوجًا بنيًا سميكًا من القفازات ومعطفًا ثقيلًا من القرو ذا قلنسوة غطت أذنيه، وبدا للعالم كله كأنه دُبٌّ على صهوة حصان. صاح بأسلوبه الصّاحب: «هَلُمَّ يا ستارك، انهض! هيا، انهض، انهض! ثمة شؤون دولة يجب أن نناقشها». قال ند: «بكل تأكيد. تفضل بالدخول يا جلالة الملك»، ورفع باب خيمته المُسدّل.

قال روبرت والبُخار يخرج مع أنفاسه مع كل كلمة: «لا، لا، لا. المخيم مليء بالأذان، كما أنني أريد أن أركب الحصان وأتذوق بلدك هذا». رأى ند أن السير بوروس والسير مرين كانا ينتظران وراءه مع دمتيه من الحُرّاس، ولم يجد ما يفعله غير أن يفرك النوم من عينيه ويرتدي ثيابه ويعتلي حصانه بدوره.

حدد روبرت سرعة حركتهما وهو ينطلق بجواده الحربي الأسود الضخم، وند يعدو بحصانه إلى جواره محاولًا مجاراته. صاح بسؤال ما وهما ينطلقان، لكن الرّيح بعثرت كلماته ولم يسمعه الملك، فلاذّ ند بالصمت. سرعان ما كانا قد حادا عن طريق الملوك ودخلا سهولًا

متموجة كثيفة الضباب، وكان الحرس قد تراجعوا وراءهما بعض الشيء ولا يمكن لهم أن يسمعنهما، لكن روبرت لم يُبطئ حركته رغم ذلك.

طلع الفجر وهما يرتحيان برؤيا جليلاً واطناً، وأخيراً جذب الملك عنان جواده وتوقف. حينئذ كانا قد ابتعدا أميالاً كاملة عن المخيم. كان روبرت متورّد الوجه منتعشاً وند يتوقّف إلى جواره، وصاح ضاحكاً: «بحقّ الآلهة، من الرائع أن ينطلق الرجل بحصانه كما ينبغي له! أقسم لك يا ند أن طيلة التلکؤ تلك تصيب بالجنون». لم يكن روبرت باراثيون رجلاً صبوراً قط. «تلك المركبة المجرورة اللعينة وكل أصوات الصرير والطققة، وصعود كل نتوء في الطريق كأنه جبل! أقسم أنني سأحرقها إذا انكسر محور آخر في تلك المركبة البائسة، ولتمشي سرسي على قدميها!».

قال ند ضاحكاً: «سأوقد لك المشعل بكل سرور».

رَبَّت روبرت على كتفه بقوة قائلاً: «أنت رجل صالح! جزء مني يرغب في أن أتركهم جميعاً ولا أتوقّف».

مَسَّت ابتسامة شفّتي ند وهو يقول: «أنا واثق من أنك تعني هذا حقاً». قال الملك: «أعنيه بالفعل. ما رأيك يا ند؟ أنا وأنت فقط، فارسان شريدان على طريق الملوك، سيفانا إلى جانبينا والآلهة وحدها تعلم ما يقع أمامنا، ولربما تُدفع ابنة مُزارع ما أو خادمة في حانة فراشين الليلة». قال ند: «لينا نستطيع، لكن لدينا واجبات الآن يا جلالة الملك، واجبات نحو البلاد ونحو أبنائنا، واجبي نحو السيّد زوجتي وواجبك نحو ملكتك. إننا لم نَعُد الصّبيّين اللذين كناهما من قبل».

قال روبرت متدّمراً: «أنت لم تكن الصبي الذي كنته قط للأسف. لكن كانت هناك تلك المرأة الوحيدة... فتاتك هذه، ماذا كان اسمها؟ بكاء؟ لا، تلك كانت من فتياتي أنا. بحقّ الآلهة كم كانت جميلة! شعر أسود وعينان

واسعتان يُمكنك أن تغرق فيهما. فتاتك كانت.. ألينا؟ لا، لقد أخبرتني باسمها مرةً. أهي ميرل؟ تعرف من أقصد، أم نغلك».

أجاب ند بكياسة باردة: «كان اسمها ويلا، وأفضلُ ألا نتكلَّم عنها». ابتسم المَلِك ابتسامةً عريضةً وقال: «ويلا، نعم. لا بُدَّ أنها كانت فتاةً نادرةً من نوعها طالما أنها جعلت اللورد إدارد ستارك شخصيًا ينسى شرفه ولو لساعةٍ واحدة. إنك لم تُخبرني قطُّ كيف كان شكلها».

تقلَّص فم ند غضبًا وقال: «ولن أفعل. كفى كلامًا في هذا الأمر يا روبرت بحقَّ المحبة التي تقول إنك تُكنُّها لي. لقد لوَّثُ شرفي وشرف كاتلين على مرأى من الآلهة والبشر».

- «لترحمنا الآلهة! إنك كنت تعرف كاتلين بالكاد حينئذ».

- «لقد تزوّجتها، وكانت تحمل ابني».

قال روبرت: «إنك تقسو على نفسك كثيرًا يا ند. إنها عادتك. تَبَّ، ليست هناك امرأة تريد بيلور المبارك في فراشها!»، ثم ربَّت على رُكبة ند وأضاف: «حسن، لن أضغط عليك طالما أنك ترفض الكلام في الأمر، وإن كنتُ أقسمُ أن أحيانًا ما يكون كلامك شائكًا لدرجة أن القُفْذ سيكون رمزًا ملائمًا لك».

غرست الشمس المشرقة أصابعها في ضباب الفجر الأبيض، وامتدَّ سهل واسع أسفلهما أجرد عاريًا، تتخلَّل وجهه المسطح في غير موضع روابٍ طويلة واطئة، أشار إليها ند قائلاً للمَلِك: «روابي البشر الأوائل». عقدَ روبرت حاجبيه قائلاً: «هل كنا نتحرَّك فوق قبور كلِّ هذا الوقت؟».

قال ند: «ثمَّة قبور في كلِّ مكانٍ في الشَّمال يا جلالة المَلِك. هذه الأرض عتيقة».

- «وباردة»، قال روبرت متأفِّقًا وهو يضمُّ معطفه على جسده بإحكام. كان الحرس قد توقَّفوا على مسافةٍ لا بأس بها منهما عند قمة البروز

الجبلي. «على كُلِّ حال أنا لم آتِ بكِ إلى هنا كي نتكلَّم عن القبور أو نتساجَر بخصوص نغلك. ثمة رسول جاء ليلاً من اللورد فارس في كينجز لاندنج. هاك». وسحبَ المَلِك ورقةً من حزامه وناولها لند.

كان فارس الخَصِيُّ يشغل منصب ولي الهامسين، وكان يخدم روبرت الآن كما خدم إيرس تارجارين من قبله. فردَّ ند الورقة بتوتُّر وهو يُفكِّر في لايسا وأنَّهامها الرَّهيب، لكن الرِّسالة لم تكن تتعلَّق بالليدي آرَن.

- «ما مصدر هذه المعلومة؟».

- «هل تذكُر السير چورا مورمونت؟».

أجاب ند بفتور: «ليتني أستطيعُ نسيانه». كان آل مورمونت أبناء جزيرة الدَّيَّة عائلة قديمة تتمتع بالكبرياء والشرف، لكن أراضيهم كانت باردة وبعيدة وفقرية. حاولَ السير چورا أن يملأ خزائن العائلة ببيع بعض اللُّصوص إلى نخَّاس تايروشي، وبما أن آل مورمونت حملة راية لآل ستارك، فقد كلَّلت جريمة چورا هذه الشَّمال كله بالعار. قطع ند بنفسه الرِّحلة الطَّويلة إلى جزيرة الدَّيَّة في الغرب، فقط ليكتشف لدى وصوله أن چورا قد استقلَّ سفينة حملة بعيداً عن متناول السَّيف "جلید" وعدالة المَلِك. خمسة أعوام كانت قد مرَّت منذ ذلك الحين.

قال روبرت مفسِّراً: «السير چورا موجود في پنتوس الآن، يتلهَّف على الفوز بعفوٍ ملكي يتيح له العودة من المنفى، واللورد فارس يستغله على أكمل وجه».

قال ند باحتقار: «إذن فقد تحوَّل النخَّاس إلى جاسوس»، وأعاد الرِّسالة إلى المَلِك مُردِّفاً: «أفضَّل أن يتحوَّل إلى جثة».

- «فارس يقول لي إن الجواسيس ينفعون أكثر من الجُثث، لكن دعك من چورا وقُل لي ما رأيك في تقريره».

- «دنيرس تارجارين تزوجت واحداً من الدوثرافي سادة الخيول، وماذا في هذا؟ هل تُرسل لها هدية زفاف؟».

عبسَ المَلِكُ وقال: «بل خنجر ربما، خنجر حاد ورجل بارع يحمله». لم يتظاهَر ند بالدهشة، فكراهية روبرت لعائلة تارجارين كلها كانت جنونًا لا يَحْمَدُ في داخله. تذكَّر الكلمات الغاضبة التي تبادلها عندما قدَّم تايوين لانستر لروبرت جُثث زوجة ريجار وطفليه كأمانة على ولائه. وقتها قال ند إنها جريمة قتل، ورَدَّ عليه روبرت بأنها الحرب، وعندما قال ند معترضًا إن الأمير والأَميرة الصَّغيرين كانا مجردَ طفلين، أجابَ صديقه الذي صارَ ملكًا: «لا أرى أطفالًا هنا، بل نسل التَّين». لم يستطع جون آرَن نفسه تهدئة تلك العاصفة، وخرجَ إدارد ستارك يومها في غضبة باردة ليخوض بقيَّة معارك الحرب وحده في الجَنوب. تطلَّب الأمر موتًا آخر كي يتصالح الاثنان، موت ليانا والحُزن العميق الذي تشاركاه.

هذه المرَّة عزمَ ند على الاحتفاظ بهدونه، وقال: «جلالة المَلِك، الفتاة ليست أكثر من مجردَ طفلة، وأنت لست تايوين لانستر كي تقتل الأبرياء». كان قد قيل إن بنت ريجار الصَّغيرة بكت وصرخت وهُم يَجْرُونها من تحت الفِراش لتواجه سيفوهم. الولد لم يكن أكثر من رضيع، لكن جنود اللورد تايوين انتزعوه من على صدر أمه وهشَّموا رأسه على الحائط.

رَمَ روبرت فمه بقسوة وقال: «وكم من الوقت ستظلُّ بريئة؟ هذه الطفلة التي تتكلَّم عنها سرعان ما ستفتح ساقِها وتبدأ في إنجاب المزيد من نسل التَّين ليُكذِّروا عليَّ حياتي».

قال ند: «نعم، لكن قتل الأطفال... هذا إثم عظيم... لا يوصَف...». زأَرَ المَلِك: «لا يوصَف؟ ما فعله إيرس بأخيك براندون كان لا يوصَف. الطريقة التي مات بها أبوك كانت لا توصَف. وريجار... كم مرَّة تحسبه اغتصبَ أختك؟ كم مئة مرَّة؟». كان صوته قد ارتفع كثيرًا لدرجة أن حصانه قد بدأ يصهل من تحته، فشَدَّ المَلِك العنان بقوة أجبرت الحصان على الصَّمَت، وأشارَ بإصبعٍ غاضبٍ إلى ند قائلاً: «سأقتل كلَّ

تارجارين أستطيع الوصول إليه إلى أن يصيروا موتى جميعاً كثنائينهم، ثم سأبول على قبورهم».

كان ند أكثر فطنة من أن يتحدّاه وهو ناثر هكذا. إذا كانت السنين لم تُطْفئ ظمأ روبرت للانتقام، فكلماته لن تُصلح بحال. قال بهدوء: «لكنك لا تستطيع الوصول إلى هذه، أليس كذلك؟».

التوى فم الملك في تكشيرة مريّة وقال: «نعم، فلتحلّ اللّعة بالآلهة. ثمة تاجر أجبان پتوشي سقيم بالجُدري كان يستضيفها مع أخيها في داخل ضيعته، والجنود المخصّيون ذوو الخوذات المدبّية يحيطون بهما من كلّ جانب، والآن ها هو يُسلّمهما إلى الدوثرافي. كان يجب أن أقتلها منذ سنوات عندما كان الوصول إليهما سهلاً، لكن چون كان يُعادلُك سوءاً، وأنا أصغيتُ إليه كالأحمق».

- «چون آرَن كان رجلاً حكيماً ويداً كُفّناً».

أطلق روبرت نخيّراً، وبدأ أن الغضب قد غادره سريعاً كما أدركه، وقال: «يُقال إن غال دروجو هذا يملك مئة ألف رجلٍ في قطيعه. ماذا كان چون ليقول عن هذا؟».

أجاب ند بهدوء: «كان ليقول إن حتى مليون دوثرافي لا يُشكّلون تهديداً للبلاد طالما ظلُّوا على الجانب الآخر من البحر الضيق. هؤلاء البرابرة لا يملكون سُفنّاً، ويكرهون البحر المفتوح ويرهبونه».

تململ الملك بغير راحة على سرجه، وقال: «ربما، لكن من الممكن أن يحصلوا على السفن من المُدن الحرّة. أقول لك يا ند إن هذه الزبيجة لا تروق لي. هناك من لا يزالون ينعنونني بالمُغتصب في الممالك السبع. هل نسيت كم عائلة حاربت في صفّ آل تارجارين في الحرب؟ إنهم يتحيّنون الوقت المناسب الآن، لكن أعطهم نصف فرصة وسيغتالوني في سريري ومعَي ابنيّ. إذا عبر الملك الشحاذ ومعه جيش من الدوثرافي، سينضمُّ إليه الخونة بلا شك».

قال ند: «لن يَعْبُرَ، وإذا حدثَ وفعلها بمعجزة ما سُنْلقيه في البحر. بمجرد أن تختار حاكمًا جديدًا للشرق...».

قاطعته روبرت بتذمّر: «للمرة الأخيرة أقول لك إنني لن أنصّب ابن آرَن حاكمًا. أعرفُ أن الولد بمثابة ابن أختك، لكن الآن وقد صار آل تارجارين والدوثرافي يتقاسمون الفراش، سيكون من الجنون أن أضع رُبع البلاد دفعةً واحدةً على عاتق طفل مريض».

كان ند مستعدًا لهذه الإجابة، فقال: «ومع ذلك ما زلنا في حاجةٍ إلى حاكمٍ جديدٍ للشرق. إذا كان روبرت آرَن لا يصلح، فنصّب أحد أخويك. ستانيس أثبتَ نفسه أثناء حصار ستورمز إند».

ترك الاسم معلقًا في الهواء بعض الوقت، وقطّب الملك جبينه ولم يقل شيئًا وبدأ عليه عدم الراحة.

ثم استطرَد ند وهو يرمقه بإمعان: «ما لم تكن قد وعدت شخصًا آخر بهذا الشرف».

للحظة بدا روبرت متفاجئًا، وبالسُرعة نفسها استحال تعبيره إلى الضيق وقال: «وماذا لو فعلتُ؟».

- «إنه چايمي لانستر، أليس كذلك؟».

وكزَ روبرت حصانه ليتحرّك من جديد وبدأ ينزل البروز الجبلي في اتجاه الرّوايبي، وحافظَ ند على سرعةٍ مماثلة والمَلِك يُحدّق أمامه مباشرةً.

- «بلى»، قال المَلِك أخيرًا، كلمة واحدة صعبة تضع نهايةً للنقاش.

غمغمَ ند: «قاتِل المَلِك». كانت الشائعات صحيحةً إذن، وأدرك أنه يطأ منطقةً خطيرةً الآن، وتابع بحذر: «رجل بارع وشجاع لا شك، لكن أباه حاكم الغرب يا روبرت، وبعد فترةٍ سيرث السير چايمي هذا اللقب. لا ينبغي أبدًا أن يحكّم رجل واحد الغرب والشرق معًا». أمّا ما يُقلقه حقًا فلم يُفصّح عنه لفظًا: أن هذا المنصب سيضع نصف جيوش البلاد بين يدي آل لانستر وحدهم.

قال المَلِكُ بعناد: «سوف أخوضُ المعركة عندما يظهر العدو في الميدان، أما حاليًّا فاللورد تاكوين يبدو قويًّا صامدًا مثل كاسترلي روك نفسها، فأشكُّ أن چايمي سيرث أيَّ شيء قريبًا. لا تُناقِشني يا ند، فقد اتَّخذتُ قراري وانتهى الأمر».

- «جلالة المَلِك، هل لي أن أتكلَّم بصراحة؟».

دمدم روبرت وهما يتحرَّكان وسط عُشب بُني طويل: «يبدو أنني عاجز عن منعك عن هذا».

- «هل يُمكنك أن تثق بچايمي لانستر؟».

- «إنه توأم زوجتي، أخ تحت القسم في الحرس المَلِكِي، حياته وثروته وكرامته... كل هذه الأشياء مرهونة بي».

- «كما كانت مرهونة بإيرس تارجارين؟».

- «ما الذي يجعلني أرتابُ فيه؟ لقد فعلَ كلَّ شيءٍ أمرته به، وسيفه ساعدني على الفوز بالعرش الذي أجلسُ عليه الآن».

سيفه ساعدَ على تلويث العرش الذي تجلس عليه الآن، فكَّر ند وإن لم يسمح للكلمات بأن تَبْلُغ شفثيه، ثم إنه قال: «لقد أخذَ على نفسه عهدًا أن يُدافع عن حياة مَلِكِه بحياته، ثم شقَّ خلق ذلك المَلِك بسيفه».

- «كان يجب أن يَفْتُل أحدهم إيرس بحقِّ الجحائم السَّع!»، صاح روبرت وهو يجذب عِنان حصانه ليتوقَّف به فجأةً إلى جوار رابية دفنٍ قديمة. «وفي النهاية كنتُ لأقتله أو تَقْتُلُه أنت لو لم يكن چايمي قد فعلها».

قال ند: «نحن لم نكن أخوين تحت القسم في الحرس المَلِكِي». قرَّر لحظتها أن الوقت قد حانَ لكي يسمع روبرت الحقيقة كاملةً. «هل تذكُر يوم الثالث يا جلالة المَلِك؟».

- «لقد فزْتُ بتاجي هناك، فكيف أنساه؟».

قال ند مذكِّرًا إياه: «كان ريجار قد أصابك بجرح، وهكذا عندما تفرَّق جيش تارجارين تركت المطاردة لي. انسحبتَ فلول جيش ريجار إلى

كينجز لاندنج وتبعناها، بينما كان إيرس في القلعة الحمراء مع عدّة آلاف من المُخْلِصين له، وكنتُ أتوقّع أن أجد البوّابات مغلقة في وجوهنا». هَزَّ روبرت رأسه بصبرٍ نافذ وقال: «لكنك وجدت أن رجالنا قد استولوا على المدينة بالفعل. ماذا في هذا؟».

على عكسه أجابَ ند بصبرٍ قائلاً: «ليس رجالنا، بل رجال لانستر. كان أسد لانستر هو الذي يُرْفَرُ فوق الأسوار وليس الوعل المتوجّج، كما أنهم أخذوا المدينة بالخيانة».

كانت الحرب قد احتدمت لما يَقْرُب من عام كامل، ورفع السّادة كباراً وصغاراً رايات روبرت، بينما ظلّ آخرون منهم مُخْلِصين لتارجارين، أمّا آل لانستر أبناء كاسترلي روك الأقوياء وحُكّام الغرب فقد ظلّوا بمنأى عن التّراع، متجاهلين دعوات حمل السّلاح من الثّوار وأنصار المَلِك في آنٍ واحد. لا بُدّ أن إيرس تارجارين قد حسبَ أن آلهته قد استجابت له أخيراً، عندما ظهر اللورد تاوين أمام بوّابات كينجز لاندنج مع جيشٍ من اثني عشر ألف رجل مُعَلِّناً ولاءه للمَلِك. وهكذا أصدرَ المَلِك المجنون آخر أوامره المجنونة، وفتحَ مدينته للأسود التي تنتظر على الأبواب.

قال روبرت والغضب يتصاعد في داخله من جديد: «الخيانة عملة كان آل تارجارين يتداولونها جيّداً، وآل لانستر دفعوا لهم بعمليتهم نفسها، ولم يكن هذا أقلّ مما يستحقّون. ما حدث لا يُفْلِق منامي على الإطلاق». قال ند بمرارة: «أنت لم تكن هناك». لم يكن النوم القَلِق بالشّيء الجديد عليه. لقد عاش أكاذيبه طوال أربعة عشر عاماً، ومع ذلك كانت تَسْكُن لِياليه. «لم يكن هناك شرف في ذلك الفتح».

هتَفَ روبرت غاضباً: «فليأخذ "الآخرون" شرفك! ما الذي كان أيُّ تارجارين يعرفه عن الشّرف؟ انزل إلى سردابك وسلّ ليانا عن شرف التّنين!».

توقّف ند إلى جوار المَلِك وقال: «لقد انتقمتم لبياننا في الثالوث». تذكّر همستها له.. عِديني يا ند.

أشاح روبرت ببصره وحدّق في المساحات الخالية أمامه: «لكن ذلك لم يُعدها. على الآلهة اللّعة، لقد أعطَني نصرًا فارغًا... أعطَني تاجًا بينما صليتُ كي أحصل على الفتاة، أن تكون أختك آمنّة وأن تكون لي من جديد كما كان ينبغي أن يحدث. قل لي يا ند، ما الفائدة من ارتداء التّاج؟ الآلهة تسخر من صلوات الملوك ورعاة الأبقار على حدّ سواء».

قال ند: «لا يُمكنني الكلام نيابةً عن الآلهة يا جلالة المَلِك، لكن فقط عمّا وجدته عندما دخلتُ قاعة العرش في ذلك اليوم. كان إيرس على الأرض غارقًا في دمه وجماجم التّنانين تنظر من مكانها على الجدران. كان رجال لانستر في كلّ مكان، وچايمي يرتدي معطف الحرس المَلِكِي الأبيض فوق درعه الذّهبيّة. ما زلتُ أرى المشهد. حتى سيفه كان مذهّبًا. كان جالسًا على العرش الحديدي فوق فرسانه يرتدي خوذةً على شكل رأس أسد. كان يتألّق!».

قال المَلِك بفضاضة: «هذا معروف».

- «كنتُ لا أزالُ على ظَهر حصاني، وقطعتُ طول القاعة صامتًا بين الصّفين الطّويلين من جماجم التّنانين. شعرتُ كأنها كانت تُراقِبي بشكل ما. توقّفتُ أمام العرش ورفعتُ عينيّ إليه، ورأيتُ سيفه الذّهبي موضوعًا على ساقيه ونصله لا يزال أحمر من دم المَلِك. ملأ رجالي القاعة من خلفي بينما تراجع رجال لانستر، ولم أنطق كلمة واحدة. حدّقتُ فيه وهو جالس في مكانه على العرش وانتظرتُ، وأخيرًا ضحك جاييمي ونهَض، وخلعَ خوذه وقال لي: "لا تقلق يا ستارك، كنتُ أحافظُ عليه دافعًا لا أكثر من أجل صديقنا روبرت، لكنني أخشى أنه ليس بالمقعد المريح".

ألقي المَلِك رأسه إلى الوراء وأطلق ضحكة مدويّة أجفَلت سربًا من الغُربان كان قد حطّ بين أعواد العُشب البنيّة الطّويلة، وحلّقت الغُربان

في الهواء ضاربةً بأجنحتها بعنف. «تقول إن عليَّ أن أرتاب في جايمي لانستر لأنه جلسَ على عرشي لبضع دقائق؟». اهتزَّ جسده كله ضحكًا مرَّةً أخرى، قبل أن يقول: «جايمي كان في السابعة عشر من عُمره وقتها يا ند، ليس أكثر من صبي».

- «صبيًّا أو رجلًا، لم يكن لديه الحق في الجلوس على ذلك العرش». قال روبرت: «ربما كان متعبًا. قتل الملوك عمل مُتعب كما تعلم، والآلهة تعلم أنه لا يوجد مكان آخر يُمكنك أن تريح مؤخرتك عليه في تلك القاعة اللعينة. كما أنه كان على حق، فذلك الوحش الذي يُسمُّونه كرسبًا غير مريح على الإطلاق بالفعل، على أكثر من وجه». وهزَّ الملك رأسه وأضاف: «حسن، الآن أعرفُ خطيئة جايمي السوداء ويُمكننا أن ننسى المسألة كلها. إنني أشعرُ بالتعب حتى النخاع من الأسرار والصراعات وشؤون الدولة يا ند، حقًا. ليس هناك غير عمل مُضجر كعدِّ العملات النحاسية. هلُمَّ، دعنا نركُض بحصانينا. أذكرُ أنك كنت تعرف كيف. أريدُ أن أشعر بالريح في شعري من جديد»، ووكزَ حصانه وانطلقَ به صاعدًا الرابية لتتطاير التربة في كلِّ اتجاه.

للحظة لم يتبعه ند. كانت الكلمات قد نفذت منه، وملاه شعور قوي بالعجز. نساءل - وليس للمرَّة الأولى - عمَّا يفعله هنا ولمَّ جاء. إنه ليس جون آر ن كي يكبح جموح ملكه ويُعلِّمه الحكمة. سوف يفعل روبرت ما يشاء كعادته، ولا شيء يستطيع ند أن يقوله أو يفعله كي يُغيِّر هذا. إنه ينتمي إلى ويتترفل، ومكانه مع كاتلين في حُزنها، ومع بران.

لكن الرجل لا يستطيع أن يكون في المكان الذي ينتمي إليه طوال الوقت، وهكذا وكزَ إدارد ستارك حصانه بقدميه وانطلقَ به وراء الملك.



تيريون

امتدَّ الشَّمال بلا نهاية.

تيريون لانستر كان على دراية بالخرائط كأَيِّ أحدٍ آخر، لكن الأسبوعين اللذين قضاهما على الدَّرب الوعر الذي يمتدُّ من طريق الملوك في هذه المنطقة، لَقَّناه درس أن الخريطة شيء والأرض الفعلية شيء آخر تمامًا. كانوا قد غادروا ويترفل في اليوم نفسه كالمَلِك وسط جلبة رحيل العائلة الملكية، وخرجوا على خلفيَّة من زعيق الرِّجال وصهيل الخيل وقعقة العربات وصرير مركبة المَلِكة المجرورة، بينما تطايرت نُدْف ثلج خفيف من حولهم. كان طريق الملوك يقع وراء امتداد القلعة والبلدة مباشرة، وهناك انعطفت الرَّايات والعربات وصفوف الفُرسان والمُحاربين غير النُّظاميين جَنُوبًا آخذة الصَّخب معها، بينما انعطفت تيريون شَمالًا مع بنجن ستارك وابن أخيه.

ومنذ ذلك الحين والجوُّ يزداد برودة، والصَّمت يُطَبِّق أكثر فأكثر. إلى غَرب الطَّرِيق كانت تقع تلال صَوَّان رمادية وعرة، وعلى قممها الحجريَّة ترتفع أبراج حراسةٍ عالية. إلى الشَّرق كانت الأرض أكثر انخفاضًا، تتسطَّح في سهلٍ مائج يمتدُّ على مدى البصر. ارتفعت الجسور الحجريَّة فوق أنهارٍ صغيرةٍ سريعة، بينما انتشرت مزارع صغيرة في حلقاتٍ حول معاقل ذات أسوارٍ من الخشب والحجر. كان الطريق مأهولًا إلى حدٍّ كبير، وفي اللَّيل كانوا يجدون نُرْلاً هنا أو هناك يستريحون فيه.

لكن بعد مرور ثلاثة أيام على مغادرة وينترفل بدأت الأراضي الزراعية تتراجع أمام غابة كثيفة، وصار طريق الملوك مقفراً. ارتفعت تلال الصوّان أكثر وأصبحت أكثر وعورةً مع كلّ ميل يمرُّ، إلى أن تحوّلت مع حلول اليوم الخامس إلى جبال، كلّ منها كعملاقٍ باردٍ تلوّن بالأزرق والرّمادي، له نتوءات حادّة والثّلج يكسو كتفيه. عندما كانت الرّياح تهبُّ من الشّمال، كانت خيوط طويلة من الجليد البلّوريّ تطير من القمم العالية كأنها رايات.

شكّلت الجبال جدارًا إلى الغرب، وانعطف الطّريق شمالًا ثم إلى الشّمال الشرقي عبر الغابة، التي احتشدت فيها أشجار السّنديان والعروة وأشجار الورد البرّي السّوداء، فبدت أقدم وأظلم من أيّ غابةٍ رآها تيريون في حياته. كان بنجن ستارك يُسمّيها "غابة الدّئاب"، وبالفعل كانت الحياة تدبُّ في ليلهم هناك مع عوّاء القطعان البعيدة، وبعضها لم يكن بعيدًا لهذه الدرجة. كان ذئب جون سنو الأمهق يصيح السّمع إلى العوّاء الليلي، لكنه لم يرفع صوته بإجابةٍ قطّ. فكّر تيريون أن ثمة شيئًا في ذلك الحيوان يشير الرّهبة إلى أقصى حد.

ضمتّ المجموعة ثمانية منهم بخلاف الدّئب. كان تيريون يرتحل مع اثنين من رجاله كما يليق بلانستر، بينما لم يكن مع بنجن ستارك في البداية غير ابن أخيه غير الشرعي وبضعة خيولٍ جديدةٍ لحرس اللّيل، لكنهم قضوا ليلةً على حافة غابة الدّئاب وراء الأسوار الخشبيّة التي تحيط بمعقلٍ قديم، وهناك انضمّ إليهم واحد آخر من الإخوة السّود يُدعى يورن. كان محنّي الطّهر قاسي النظرات، تختفي ملامحه وراء لحية سوداء كملابسه، لكنه بدا قويًا كجذيرٍ قديم وصلبًا كحجرٍ وكان معه ولدان فلاحان من جُزر "الأصابع" يرتديان ثيابًا مهترئة. «مُعْتَصَبان»، قال يورن وهو يرْمُق عُهديته بنظرة باردة، وفهم تيريون. الحياة على "الجدار" قد تكون صعبةً فعلاً كما يُقال، لكنها بالتأكيد خيار أفضل بكثير من الخِصاء.

خمسة رجال، ثلاثة أولاد، ذئب رهيب، عشرون حصانًا، وقفص من الغدافان أعطاه المايستر لوين إلى بنجن ستارك. لا شك أنهم شكّلوا مجموعةٌ تثير الفضول على طريق الملوك، أو على أيّ طريقٍ في المُطلَق. لاحظَ تيريون أن جون سنو كان يُراقب يورن ورفيقه الواجمين، وعلى وجهه تعبيرٌ بدا لتيريون أقرب إلى الارتياح. كان يورن ذا كتفٍ ملتويةٍ ورائحةٍ خبيثة، شعره ولحيته أشعثان. ملطَّخان بالدهون ويَعُجَّان بالقمل، ملابسه قديمة مرقّعة ونادرًا ما عرفت الغسيل. أمّا مجنّده الجديدان فكانت رائحتهما أسوأ، وبدا بليدين بقدر ما هما متوحّشان.

لا شك أن الصّبي قد أخطأ في اعتقاده أن حرس اللّيل مكوّنون من رجالٍ مثل عمّه فحسب. إن كان هذا ما حدثَ فعلاً، فيورن ورفيقاه كانا بمثابة صفعَةٍ إيقاظٍ قويّة. شعرَ تيريون بالأسف من أجل الصّبي. لقد اختارَ حياةً صعبةً... أو اختيرت له حياةٌ صعبةٌ بالأحرى.

أمّا العم فلم يتلّ مثل هذا التّعاطف. كان من الجلي أن بنجن ستارك يُشارك أخاه في نفوره من آل لانستر، ولم يكن مسرورًا عندما أخبره تيريون ببيّته، وعقبَ بصرامةٍ وهو يرمّقه من أعلى: «أحدّرك أنك لن تجد حاناتٍ على "الجدار" يا ابن لانستر».

أجابَ تيريون: «من المؤكّد أنكم ستجدون مكانًا ما لي. لعلّك لاحظت أنني صغير الحجم».

لا أحد يرفض طلبًا لشقيق المَلَكَة بالطّبع، فسوّى هذا المسألة في الحال، وإن لم يكن ستارك راضيًا على الإطلاق، واكتفى بأن قال بلهجةٍ جافّة: «لن تروق لك الرّحلة على الإطلاق، أعدك بهذا»، ومنذ لحظة التحرك وهو يفعل كلّ ما في استطاعته للوفاء بهذا الوعد. هكذا، مع نهاية الأسبوع الأول، كانت فخذُ تيريون قد امتلأتا بالسّحجات من طول الرّكوب الشّاق، وشعرَ بتشنّجاتٍ قويّةٍ في ساقيه وبالبرد يتخلّل عظامه. لكنه لم يشك مرّة. فلتحل به اللّعة إذا أرضى رغبة بنجن ستارك. ثم إنه

وجد انتقامًا صغيرًا في مسألة معطفه الذي كان مصنوعًا من الفرو المبطن بجِلْد الدَّبَّة، وإن كان رثًا زَنِخ الرَّائِثَةِ. كان ستارك قد قدَّمه له بقدرٍ مفرطٍ من كياسة حرس اللَّيْلِ، متوقِّعًا بالتَّأكيد أنه سيرفضه بتهذيب، لكن تيريون قبله مبتسمًا. كان قد أحضرَ أدفًا ملابسه معه عندما غادروا ويتترفل، وسرعان ما اكتشف أنها ليست دافئةً كافيةً على الإطلاق. الطَّقْس كان باردًا هنا حقًّا ويزداد برودةً بلا انقطاع، والبرودة ليلاً تفوق درجة التجمُّد كثيرًا بالفعل، والريِّح تهبُّ لتخترق أثقل الملابس كالسَّكاكين. لا بُدَّ أن ستارك يشعُر بالنَّدَم الآن لشهامته المندفعة، ولعلَّه تعلم درسًا... بتهذيبٍ أو غيره، آل لانستر لا يَرْفُضون أبدًا، ويأخذون ما يُقدِّم لهم.

صارت المزارع والمعاقل أندرَ مع توغُّلهم شمالًا في أعماق غابة الذَّناب المظلمة، حتى لم تُعدْ هناك أسقف يحتمون أسفلها، وعادوا يعتمدون على مواردهم الخاصَّة بالكامل.

لم يكن تيريون ذا فائدةٍ عندما يتعلَّق الأمر بإقامة المخيمات أو تفكيكها. إنه صغير الحجم جدًّا، مرتبك الحركة جدًّا، ويعوق طريق الجميع. هكذا، وبينما كان ستارك ويورن وبقية الرِّجال يَنْصِبون سقائف بسيطةً تقيهم، ويُعنون بالخيول ويُشعلون نارا، صارَ من عادته أن يأخذ معطفه الثَّقيل وقربة نبيذ ويتنحي بنفسه جانبًا ليقرا. في الليلة الثامنة عشرة من رحلتهم انتقى نبيذًا من النوع الكهرباني الحلو النَّادر من جُزر الصَّيف الذي كان قد جاء به شمالًا من كاسترلي روك، وكتابًا بتأمُّل تاريخ التَّنانين وصفاتها المميَّزة. كان تيريون -بإذنٍ من اللورد إدارد ستارك- قد استعار بضعة مجلِّداتٍ نادرةٍ من مكتبة ويتترفل وحزمها معه للرحلة شمالًا.

وجد بُقعةً مريحةً بعيدًا عن جلبة المخيم، إلى جوار غديرٍ سريع مياهه صافية وباردة كالثلج، بينما زوَّدته شجرة سنديان مشوَّهة عتيقة للغاية بماوى من الرِّياح القارسة. لفَّ تيريون نفسه في معطفه وأراح ظَهره على جذع الشَّجرة، وأخذ رشفةً من النَّبيذ وبدأ يقرأ عن خواص

عظام التَّين. إنها قويّة كالفلّاذ، وإن كانت أخفّ وأكثر مرونة بكثير، ومنيعّة تمامًا من النَّيران بالطَّبع. للأقواس المصنوعة من عظام التَّين قيمة عظيمة لدى الدوثرافي، ولا عجب في هذا، فالترامي المسلّح بقوسٍ منها يُمكنه إصابة أهدافٍ أبعد بكثيرٍ ممّن يحمل قوسًا من الخشب.

كان افتتان تيريون بالتَّانين يكاد يكون مريضًا. عندما ذهبَ إلى كينجز لاندينج للمرّة الأولى لحضور زفاف أخته إلى روبرت باراثيون، أصرَّ على أن يرى جماجم التَّانين المعلّقة على جدران قاعة عرش تارجارين. كان المَلِك روبرت قد رفعها وعلّق مكانها رايات ولوحاتٍ قماشية مزدانة بالألوان، إلّا أن تيريون ثابَر حتى عثرَ على الجماجم في القبو شديد الرُّطوبة الذي خزَّنوها فيه. كان يتوقَّع أن يجدها مثيرةً للانبهار، أو حتى للخوف، لكنه لم يتوقَّع قطُّ أن يجدها جميلة... لكنها كانت جميلة حقًّا. كانت ذات لونٍ أدهمّ كالعقيق الأسود، وملساء تمامًا حتى أن العظام بدت كأنها تتوهّج لمعانًا في ضوءٍ مشعله، وراوده إحساس بأنها تحبُّ النَّار. ثبتَّ المشعل في فم واحدةٍ من الجماجم الكبيرة وترك الظلال تتواثب وتراقص على الجدار من ورائه. كانت الأنياب خناجر طويلةٌ مقوّسةٌ من الماس الأسود، لهب المشعل لا شيء بالنِّسبة لها، فقد اغتسلت في أوار نيران أعظم منه بكثير. كادَ تيريون يُقسِم أن محجري عين الوحش الخاويين كانا يُراقبانه وهو يتحرّك مبتعدًا.

كانت هناك تسع عشرة جمجمة، أقدمها عُمرها يربو على الثلاثة آلاف عام، بينما لم تتجاوز أصغر جمجمتين القرن ونصف عُمرًا. كانتا الأصغر في الحجم كذلك، زوجًا لا يزيد على حجم جمجمة كلب حراسةٍ كبير، ومشوّهتين على نحوٍ غريب. هذا هو كلُّ ما تبقى من آخر فرخين وُلدا في دراجونستون، آخر تانين آل تارجارين، وربما آخر التَّانين في العالم كله، وهما لم يعيشا طويلًا على كلِّ حال.

من هناك بدأ صَفُّ الجماجم يزداد حجماً بالتدريج، وصولاً إلى الوحوش العملاقة الثلاثة التي حَكَت عنها القِصص والأغاني، التَّانين التي أطلقها إجون تارجارين وشقيقته على الممالك السَّبع القديمة، وأطلقَ عليها المغنُّون أسماء آلهة فاليريا العتيقة: بالريون وميراكسس وفاجهار. وقفَ تيريون بين فكوكها المفغورة عاجزاً عن النُّطق وقد تملَّكته الرُّهبة حتى النُّخاع. كان بإمكانك أن تَدْخُلَ حَلقَ فاجهار على متن حصان، وإن كان من غير المحتمل أنك كنت لتُخْرُجَ مرَّةً أخرى. ميراكسس كان أكبر منه حجماً، أمَّا أضخم الثلاثة، بالريون الملقَّب بـ"الرُّعب الأسود"، فكان بإمكانه أن يبتلع ثوراً برياً كاملاً، أو حتى واحداً من الماموث المُشعِّرة التي يُقال إنها تجوب الأراضي اليباب الباردة وراء ميناء إيبين.

وقفَ تيريون في القبو المظلم لوقتٍ طويل، يُحدِّقُ في جمجمة بالريون العملاقة وتُحدِّقُ فيه بعينين خاويتين إلى أن أوشكَ لهبٌ مشعله على الخمود، ويُحاول أن يستوعب حجم هذا التَّنين لَمَّا كان حيّاً، ويتخيَّل كيف كان يبدو عندما يفرد جناحيه الأسودين العظيمين ويكنُس السَّماءَ نافثاً نيرانه.

يعرف تيريون كيف أن سلفه البعيد، لورن ملك "الصَّخرة"، حاولَ أن يتصدَّى للنَّيران عندما انضمَّ إلى مِرِن ملك "المَرعى" لمواجهة غزوة تارجارين. كان هذا منذ ما يَقرُبُ من ثلاثمئة عام، عندما كانت الممالك السَّبع ممالك فعلاً، وليست مجرد مقاطعات تنتمي لمملكةٍ واحدةٍ أكبر. ستمئة راية مختلفة كانت تَحْفِقُ مع المَلَكين، وفيما بينهما كانا قد حشدا خمسة آلاف فارس بخيولهم، وعشرة أضعاف هذا العدد من المُحاربين غير النُّظاميين والرُّجال المسلَّحين. كان إجون سيِّد التَّانين يملك نحو خُمس هذا العدد كما قال المؤرِّخون، ومعظمهم من المجنَّدين إجبارياً من فلول جيش آخر ملكٍ قضى عليه، وولاؤهم مشكوك فيه.

التقى الجيشان في سهول "المَرعى" الواسعة، بين حقولٍ ذهبيةٍ من القمح الينع الجاهز للقطاف. عندما هجمَ المَلكان، تفرَّق جيش تارجارين وتشتت جنوده، وكتبَ المؤرِّخون أن للحظاتٍ قليلةٍ بدا كأن الغزوة قد انتهت... لكن لتلك اللّحظات القليلة لا أكثر، قبل انضمام إجون تارجارين وأختيه إلى المعركة.

كانت المرّة الوحيدة التي أُطلقَ فيها فاجهار وميراكسس وبالريون معًا في معركةٍ واحدة، المعركة التي أُطلقَ عليها المغنُّون لاحقًا اسم "حقل النيران".

احترقَ ما يقرب من أربعة آلاف رجل في ذلك اليوم، من بينهم مرن ملك "المَرعى"، أمّا الملك لورن فقد عاش حتى استسلم وأقسمَ بالولاء لعائلة تارجارين وأنجبَ ولدًا، وهو ما كان تيريون ممتنًا له للغاية.

- «لماذا نقرأ بهذه الكثرة؟».

رفعَ تيريون عينيه إلى مصدر الصّوت. كان چون سنو يقف على بُعد أقدام قليلة يرمقه بفضول، فأغلقَ الكتاب تاركًا إصبعه على الصّفحة التي يقرأها، وقال: «انظر إليّ وأخبرني ماذا ترى».

نظر إليه الصّبي بشكٍّ وقال: «أهذه حيلة ما؟ أراك أنت، تيريون لانستر».

تنهّد تيريون قائلاً: «أنت مهذّب للغاية بالنسبة لنغل يا سنو. ما تراه أمامك هو قزم. قل لي، كم عُمرُك؟ اثنا عشر عامًا؟».

قال الصّبي: «أربعة عشر».

- «أربعة عشر عامًا، وأطول قامَةً مما سأكونُ في حياتي كلها. ساقاي قصيرتان ومقوّستان وأجدُ صعوبةً في المشي، وأتطلّبُ سرجًا خاصًا كي لا أقع عن حصاني، سرجًا من تصميمي الخاص بالمناسبة، إذا كان يَهْمُك أن تعرف. إمّا هذا أو أركبُ حصانًا قزمًا. ذراعاي قويتان لكنهما قصيرتان، ولن أصير مُبارزًا أبدًا. لو كنتُ قد وُلِدْتُ فلاحًا، لكانوا تركوني

في العراء لأموت، أو باعوني لنحاسٍ يُتاجر في المسوخ، لكنني للأسف وُلِدْتُ لانسَتر من كاسترلي روك حيث المسوخ نُدره، ثم صارت هناك أشياء متوقّعة مني. كان أبي يَدَ المَلِك لعشرين عامًا، ثم إن أخي قتلَ هذا المَلِك نفسه لاحقًا، لكن الحياة ملأى بنلك القدريّات السّاخرة الصّغيرة على كُلِّ حال. ثم تزوّجت أختي من المَلِك الجديد، وابنها الكريه سيُصبح مَلِكًا من بعده. يجب أن أقوم بواجبي نحو شرف عائلتي، ألا تتفق معي؟ لكن كيف؟ لئن كانت قدماي قصيرتين جدًّا على جسدي، فرأسي أكبر من الطّبيعي، وأحبُّ أن أعتقد أنه كبير بما فيه الكفاية ليحتوي عقلي. إن إدراكي لنقاط قوّتي وضعفي واقعي للغاية، وعقلي هو سلاحِي. أخي لديه سيفه، المَلِك روبرت لديه مطرقته الحربيّة، وأنا لديّ عقلي... والعقول تحتاج الكُتب كما تحتاج السّيوف المُشحذ كي تُحافظ على حدّتها، ونقرَ تيريون على غلاف كتابه مُردفًا: «لهذا أقرأ كثيرًا يا جون سنو».

استوعب الصّبي كُلَّ هذا بصمت. كان يملك وجه آل ستارك مع أنه لم يكن يحمل اسمهم: طويل، رزين، حَذِر... الوجه الذي لا تشي ملامحه بما تُخفيه الأنفُس. أيّا كانت أمه، فقد تركت القليل للغاية من نفسها في ابنها. سأله: «عمّ تقرأ؟».

أجاب تيريون: «التّنانين».

قال جون بثقة الصّبيّة الغريرة: «وما الفائدة من هذا ولم تُعدّ هناك تنانين؟».

قال تيريون: «هكذا يقولون. شيءٌ مُحزّن، أليس كذلك؟ عندما كنتُ في عُمرِكَ كنتُ أحلمُ بأن يكون لي تينّيني الخاص».

- «حقًّا؟»، سأل الصّبي بشكٍّ وقد حسب أن تيريون يسخر منه.

- «أوه، نعم. حتى الولد الصّغير القبيح الذي يُنقَر الجميع يُمكنه أن يتطلّع إلى العالم من علٍ وهو على ظَهر تينّين»، وأزاح تيريون فرو الدُّب جانبًا ونهَضَ مستطردًا: «كنتُ أشعل النّار في غياهب كاسترلي روك

وأجلس مُحدِّقًا فيها لساعاتٍ متظاهراً أنها نار تَنِين. أحياناً كنتُ أُنخِِّلُ أبي يحترق، وفي أحيانٍ أخرى أختي». كان جون سنو يرمقه بنظرةٍ نصفها فرح ونصفها انبهار، فأطلقَ تيريون ضحكةً ساخرةً وقال: «لا تَنْظُرْ إليَّ هكذا أيها النُّغل. إنني أعرفُ سرَّكَ. لقد راودتكَ الأحلام نفسها».

قال جون سنو مرتاعاً: «لا، من المستحيل أن...». قاطعه تيريون وقد رفعَ حاجبه: «لا؟ إطلاقاً؟ لا شكَّ أن آل ستارك كانوا يُعاملونك بحفاوةٍ بالغةٍ إذن. أنا واثقٌ من أن الليدي ستارك تُعاملُك كأحد أبنائها بالضبط. ولطالما كان أخوك روب طيباً معك، أليس كذلك؟ ولمَ لا؟ إنه سيَحْضُلُ على ويترفل وأنت ستَحْضُلُ على "الجدار". وأبوك... لا بُدَّ أن لديه أسباباً قويّةً لشحنِكَ إلى حرس اللَّيل و...». - «كفى!»، صاحَ جون وقد اربدَّ وجهه غضباً. «حرس اللَّيل واجب نبيل!».

قال تيريون ضاحكاً: «أنت أذكى من أن تعتقد ذلك. حرس اللَّيل كومة قمامة لكلِّ المنبوذين في البلاد. لقد رأيتك تَنْظُرُ ليورن ورفيقه. هؤلاء هم إخوتك الجدد يا جون سنو، فما رأيك فيهم؟ الفلاحون كالحو الوجوه، المديونون، قاطعو الطُّريق، المُغتصبون، اللُّصوص، والنُّغول مثلك... كلهم ينتهي به المطاف على "الجدار"، يَحْرُسُه من الجرامكنات والسناركات⁽¹⁾ وكلُّ الوحوش الأخرى التي حذّرتك مُرضعتك منها. الخبر الطيّب أنه ليست هناك جرامكنات أو سناركات، أي أن العمل ليس خطيراً لثلك الدَّرَجَة. الخبر السيِّئ أن خصيتيك ستجمدان، لكن بما أنك غير مسموح لك بالإنجاب على كلِّ حال، فلا اعتقد أنها مشكلة».

صرخ الصَّبِي: «كفى!»، وتقدَّم خطوةً إلى الأمام وقد كَوَّر قبضتيه وبدأ على وشك الانفجار في البكاء.

(1) الجرامكن والسنارك كائنان خياليان من ابتكار المؤلف يأتي ذكرهما في الحكايات الشعبيّة القديمة في قلّة وستروس.

راودَ تيريون شعور مفاجئ سخيّف بالذّنب، فتقدّم خطوةً بدوره وهو يقصد أن يُربّت على كتف الصّبي أو يُغمغم باعتذارٍ ما.

لم يرَ تيريون الذّنب قطّ، أين كان أو كيف وثبّ عليه. في لحظةٍ كان يتحرّك في اتجاه سنو، وفي اللّحظة التّالية كان على ظهره على الأرض الصّخريّة الصّلبة، والكتاب يطير من يده من جرّاء السّقطة، وصدره يُطلق كلّ ما به من هواءٍ مع عنف الصّدمة، ثم يمتلئ فمه بالتراب والدمّ وأوراق الشّجر العفنة. تشجّ ظهره على نحوٍ مؤلم عندما حاول النّهوض، فضغطَ على أسنانه غيظًا وأمسك بجذرٍ بارزٍ من الأرض وسحب نفسه حتى صار جالسًا، وقال للصّبي وهو يمدّ يده: «ساعديني».

وفجأةً كان الذّنب بينهما. لم يُزْمَجِر... الشيء الملعون لم يُصدِر صوتًا واحدًا. فقط رفقَه بهاتين العينين الحمرّاوين اللّامعتين وأراه أسنانه، وكان ذلك يكفي ويزيد. تراجعَ تيريون وعاد يجلس على الأرض مُطلقًا أنّه قال: «لا تُساعديني. سأجلسُ هنا حتى تُغادر».

ملّسَ جون سنو على فرو جوست الأبيض السّميك، وقال مبتسمًا: «اطلب بلطف».

شعرَ تيريون لانستر بالغضب يتلوّى في داخله، لكنه سحقه بإرادةٍ قويّة. لم تكن المرّة الأولى في حياته التي يتعرّض فيها للإذلال، ولن تكون الأخيرة، ولعلّه استحقّق هذا. هكذا قال بكياسة: «سأكون ممتنًا للغاية لمساعدتك اللّطيفة يا جون».

قال الصّبي: «جوست، اجلس»، فجلسَ الذّنب الرّهيب على قائمته الخلفيّتين دون أن تُبارح العينان الحمرّاوان تيريون. دارَ جون حوله وتوقّف خلفه ووضعَ يديه تحت إبطيه ورفعَه بسهولةٍ إلى قدميه، ثم التقطَ الكتاب من على الأرض وناولَه إياه.

مسحَ تيريون التّراب والدمّ عن فمه بظهر يده، وقال ناظرًا إلى الذّنب الرّهيب بنظرةٍ جانبيّة: «لماذا هاجمني؟».

- «لعله ظنَّ أنك جرامكن».

رمقه تيريون بنظرة حادة، ثم انفجر ضاحكًا ليخرج نخيرًا لاهيًا متفجّرًا من أنفه دون أيِّ إرادة منه، وقال وهو يرتجُّ ضحكًا ويهزُّ رأسه: «يا للآلهة! أعتقدُ أنني أبدو كالجرامكن بالفعل. ثرى ماذا يفعل بالسناركات؟».

التقطَ چون قربة النّبذ وناولها له قائلاً: «لست تريد أن تعرف».

خلعَ تيريون السّداة ومالَ برأسه واعتصرَ جرعةً طويلةً في فمه، وكان النّبذ كنارٍ باردةٍ وهو يجري في حلقه ويُدفئُ معدته. ثم إنه رفعَ القربة لچون سنو قائلاً: «هل ترغب في القليل من النّبذ؟».

التقطَ الصّبي القربة وأخذَ رشفةً حَذرةً، ثم قال: «ما قلته عن حرس اللّيل صحيح، أليس كذلك؟».

هزَّ تيريون رأسه إيجابًا، فقال سنو وقد تجهمَّ وجهه: «إن كان هذا هو الأمر الواقع، فهو الأمر الواقع».

ابتسمَ تيريون قائلاً: «هذا جيّد أيها النّغل. معظم الرّجال يُفضّلون إنكار الحقائق القاسية بدلاً من مواجهتها».

- «معظم الرّجال، لكن ليس أنت».

- «نعم، ليس أنا. إنني نادرًا ما عدتُ أحلمُ بالتّنانين الآن. ليست هناك تنانين»، والتقطَ فرو الدّب من على الأرض وقال: «هَلَمْ، يَحْسُن أن نعود إلى المخيم قبل أن يعلن عمُك الحرب».

كانت المسيرة قصيرةً، لكن الأرض كانت صُلبةً قاسيةً تحت قدميه، ولدى عودتهما كان يشعُر بتشنّجاتٍ حادةٍ في ساقيه. عرضَ چون سنو مساعدته على اجتياز بُقعةٍ مملّأى بالجذور المتشابكة، لكن تيريون نحى يده رافضًا. سوف يشقُّ طريقه بنفسه كما فعلَ طوال حياته. كان المخيم منظرًا مرحّبًا به على الرغم من ذلك، وقد نُصبت السّقائف قبالة سورٍ متهاكٍ لمعقلٍ مهجورٍ منذ زمن بعيد، ليكون بمثابة واقٍ من الرّيح. كانت الخيول قد أطعمت والنّار قد أشعلت، وجلسَ يورن على صخرةٍ يسْلخُ

سَنَجَابًا. ملأت رائحة اليخنة الشهية منخري تيريون، وجَرَّ نفسه إلى حيث كان رجله موريك يعمل على القدر. بلا كلام ناوله موريك المغرفة، فتذوَّق محتوياتها ثم أعادها إليه قائلاً: «المزيد من الفلفل».

خرج بنجن ستارك من السَّقيفة التي كان يتقاسمها مع ابن أخيه، وقال: «چون، ها أنت ذا. تَبًّا، لا تبتعد هكذا وحدك أبدًا. لقد حسبْتُ أن "الأخرين" نالوا منك».

قال تيريون ضاحكًا: «كانت الجرامكنات»، فابتسم چون سنو، بينما نظرَ ستارك إلى يورن نظرة مندهشة، فأطلقَ هذا صوتًا بلا معنى وهَزَّ كتفيه وعاد إلى عمله الدَّموي.

أعطى السَّنَجاب كثافةً لليخنة، وأكلوها مع الخُبز الأسمر والجُبْن الجامد وقد تحلَّقوا حول النَّار. ناولَ تيريون قِربة النِّبَذ للجميع إلى أن لَأَتْ عريكة يورن نفسه، ثم بدأ أفراد المجموعة ينهضون من حول النَّار للنوم في سقائفهم، الجميع باستثناء چون سنو. وقفَ الصَّبي إلى جوار النَّار بوجهٍ ثابت الملامح، يُحدِّق بصمتٍ عميقٍ في ألسنة اللهب. وابتسم تيريون لانستر لنفسه بحُزنٍ وبدوره خلدَ إلى النوم.



كاتلين

كان ند والفتاتان قد رحلوا منذ ثمانية أيام، عندما جاءها المايستر لوين ذات ليلة في حُجرة بران حاملاً دفاتر الحسابات ومشكاة، وقال: «من الضروري أن تُراجع الأرقام يا سيّدتني. لا بُدَّ أنكِ ترغبين في معرفة كم كلّفنا هذه الزّيارة الملكيّة».

نظرت كاتلين إلى بران في فراش المرض وأزاحت شعره عن جبهته. انتبهت إلى أنه صارَ طويلًا جدًّا، وعليها أن تقصّه قريبًا. قالت للمايستر لوين دون أن ترفع عينيها عن بران: «ليست لديّ حاجة للاطلاع على الأرقام. إنني أعرفُ كم كلّفنا الزّيارة بالضبط. خُذ هذه الدفاتر من هنا».

- «سيّدتني، رجال الملك كانوا شرهين حقًّا، وينبغي أن نعيد ملء مخازننا بالمؤن قبل أن...».

قاطعته قائلة: «قلتُ لك أن تأخذ الدفاتر من هنا. الوكيل سيُعنى باحتياجاتنا».

- «لكننا بلا وكيل»، قال المايستر لوين مذكرًا إياها، وفكرت أنه سيتصرّف كفأرٍ رماديّ صغير ولن يدع الموضوع وشأنه. «هول ذهاب جنوبيًا مع اللورد إدارد ليدير شؤونه هناك في كينجز لاندينج».

هزت كاتلين رأسها بشروء وقالت: «آه، نعم، نذكرتُ». بدا بران شاحبًا جدًّا، وتساءلت إن كان يجدرُ بهم أن ينقلوا فراشه إلى تحت النافذة كي تسقط عليه شمس الصّباح.

وضع المايستر لوين المشكاة في كوة في الحائط إلى جوار الباب، وداعب الفئيل قائلاً: «ثمة مسألة التعيينات الجديدة التي تتطلب انتباهك الفوري يا سيدي. بالإضافة إلى الوكيل، نحتاج قائدًا للحرس ليحل محلّ جوري، وقيمّ خيول جديدًا، و...».

التفت ترمقه بنظرة قاسية وقالت بلهجة حادة كالسّياط: «قيمّ خيول؟». قال المايستر مرتبكا: «نعم يا سيدي. هالن أيضًا ذهب جنوبًا مع اللورد إدارد، لذا...».

- «ابني طريح هنا مكسور ويحتضر يا لوين، وأنت تريد أن تناقشني في قيمّ الخيول الجديد؟ هل تحسبني أبا لي بما يحدث في الاسطبلات؟ هل تحسب أن هذا يهمني مقدار ذرة؟ يُمكنني أن أذبح كلّ حصانٍ في ويترفل بيديّ بكلّ سرورٍ لو كان ذلك سيُعيد بران إلى وعيه من جديد. هل تفهم هذا؟ هل تستوعبه؟».

حنى رأسه قائلاً: «نعم يا سيدي، لكن التعيينات...». قال روب: «سأتولّى أنا أمرها».

لم تسمعه كاتلين عندما دخل، لكن ها هو ذا يقف في مدخل الحجرة وينظر إليها. أدركت فجأة أنها كانت تزعق بصوت عالٍ فعلًا وملاًها الخجل. ما الذي يحدث لها؟ إنها متعبة للغاية ورأسها يؤلمها طوال الوقت. نقل المايستر لوين نظراته من كاتلين إلى ابنها، وقال مُناولاً روب ورقة أخرجها من كُمّه: «لقد وضعتُ قائمةً بمن يُمكن أن نضعهم في الاعتبار لشغل الوظائف الخالية».

ألقي روب نظرة على الأسماء. خمنت كاتلين أن ابنها قد جاء لتوّه من الخارج لما رأت وجنتيه المحمرّتين من البرد وشعره الذي بعثرته الرياح. قال وهو يُعيد قائمة الأسماء إلى المايستر: «كلهم رجال صالحون. سستكلم عنهم غدًا».

اختفت الورقة في داخل كُم المايستر وهو يقول: «ممتاز يا سيدي». قال روب: «اتركنا الآن»، فانحنى الرجل المُسنّ وغادر الحجرة،

وأغلق روب الباب وراءه والتفت إليها، ولاحظت هي أن سيفًا يتدلَّى من حزامه. «ماذا تفعلين يا أمي؟».

لطالما حسبتَ كاتلين أن روب يُشبهها، فمثل بران وريكون وسانزا كان يملك قسَمات عاتلة تلي المميْزة، الشَّعر الكستنائي والعينين الزُّرقاوين، لكنها للمرَّة الأولى الآن ترى لمحةً من إدارد ستارك في وجهه، ترى شيئًا قاسيًا صُلْبًا كالشَّمال. بدْهشة رَدَدَتْ: «ماذا أفعلُ؟ كيف تسأل مثل هذا السُّؤال؟ ماذا تحسبني أفعلُ؟ إنني أعتني بأخيك، بران».

- «أهذا ما تُطْلِقين على ما تفعلينه؟ إنك لم تُغادِري العُرفة منذ أُصيبَ بران، ولم تأتي حتى إلى البوَّابة عندما غادرَ أبي والفتاتان إلى الجَنوب».

- «لقد ودَّعْتهم هنا، وشاهدتهم من النَّافذة وهم يُغادِرون». كانت قد نوَّسَلت إلى ند كي لا يرحل، ليس الآن، ليس بعد ما حدث. لقد تغيَّر كل شيء، أفلا يرى هذا؟ لكن لم يكن هناك مناص. قال لها إنه لا يملك الخيار الآن، ثم اختارَ أن يرحل. «لا أستطيعُ أن أتركه ولو لحظة، ليس عندما قد تكون أيُّ لحظةٍ هي الأخيرة. يجب أن أكون معه إذا... إذا...». التفتت يد ابنها وشبكت بين أصابعه وأصابعها. كان هشًّا نحيلًا جدًّا ولم تنبَقْ أيُّ قوَّة في يده، لكن لا يزال بإمكانها أن تُشعرَ يدفء الحياة في جلده. قال روب بلهجة أكثر رقة: «إنه لن يموت يا أمي. المايستر لوين قال إن المرحلة الحرجة قد انتهت».

- «وماذا لو كان المايستر لوين مخطئًا؟ ماذا لو احتاجني بران وأنا لستُ هنا؟».

قال روب بحزم: «ريكون يحتاج إليك. إنه طفل في الثالثة ولا يفهم ما يجري، يتصوَّر أن الجميع هجروه ويتبعني كظلي طوال الوقت، يتعلَّق بساقي ويبيكي. لا أدري ماذا أفعلُ معه»، وتوقَّف لحظةً ومضغ شفته السفلى كما كان يفعل في طفولته، ثم أردف: «وأنا أيضًا أحتاجُ إليك يا أمي. إنني أحاولُ، لكنني... لكنني لا أقوى على فعل كلِّ شيءٍ وحدي». انكسر صوته فجأةً وقد تغلَّبت مشاعره عليه، وتذكَّرت كاتلين أنه مجرد

صبيّ في الرابعة عشرة. أرادت أن تنهض وتذهب إليه، لكن بران كان لا يزال مُسكِماً بيدها ولا تستطيع تركه.

بدأ ذئب يعوي خارج البُرج، ولوهلة ارتجفت كاتلين.

- «ذئب بران»، قال روب وفتح النَّافذة ليسمح لهواء اللَّيل بالدُّخول إلى حُجرة البُرج الضيقة. ارتفع صوت العواء... كان صوتاً بارداً «وحشاً مليئاً بالغم والقنوط.

قالت: «لا تفتحها. بران يجب أن يظل دافئاً».

قال روب: «إنه في حاجةٍ إلى سماع غنائهم». في مكانٍ ما في ويتترفل بدأ ذئب ثانٍ يعوي في جوقه مع الأول، ثم الثالث الذي كان أقرب. «شاجيدوج وجراي ويند»، قال روب والأصوات ترتفع وتنخفض معاً. «يُمكنك التَّفَرُّق بين صوت كلٍّ منهم إذا أصغيت جيداً».

كانت كاتلين ترتجف من الحزن والبرد وعواء الذئاب الرهيبة. ليلة بعد ليلة امتدَّ العواء بلا نهاية وبلا كلل، وولدها ممدّد هنا مكسور، الأعذب بين أطفالها والأرق، بران الذي أحبَّ الضحك والتسلُّق وحلَم بالفروسية لم يعد له وجود، ولن تسمعه يضحك ثانية. باكيةً سحبت يدها من يده وغطت أذنيها لتحجب عنهما العواء وصرخت: «أخسرهم! لم أعد أحتمل! أخسرهم ولو كان عليك أن تقتلهم جميعاً، فقط أخسرهم!».

لم تتذكّر أنها سقطت، لكن ها هو روب يرفعها بذراعيه القويّتين قائلاً: «لا تخافي يا أمي، لن يؤذونه أبداً»، وساعدها على التمدد على سريرها الضيق في رُكن الحُجرة وقال بحنان: «أغلق عينيكَ، استريحِي. المايستر لوين يقول لي إنك تكادين لا تنامين منذ سقطَ بران».

قالت باكيةً: «لا أستطيع. لنُسامحني الآلهة، لكني لا أستطيع. ماذا لو ماتَ وأنا نائمة؟ ماذا لو ماتَ؟ ماذا لو...». كانت الذئاب تعوي بلا توقّف، فغطت أذنيها مرّةً أخرى وصرخت: «أغلق النَّافذة أرجوك!».

- «إذا أقسمت لي إنك ستنامين»، قال روب وهو يمشي إلى النَّافذة، لكن وهو يمدُّ يده إلى الستار انضمَّ صوت آخر إلى عواء الذئاب الرهيبة

الحزين. قال مُصغياً: «إنها الكلاب...كلها تنبح. هذا غير معتاد». سمعت كاتلين أنفاسه تتسارع في صدره، ثم سمعته يهمس: «حريق». حريق، فكّرت... ثم بران! قالت بلهفة وهي تتنفض معتدلة: «ساعديني، ساعديني على حمل بران».

لم يبد أن روب قد سمعها، وغمغم: «بُرج المكتبة يحترق». كانت كاتلين ترى الآن الضوء المحمّر المرتعش عبر النافذة المفتوحة وتنفس الصعداء. إن بران آمن، فالمكتبة تقع على الجانب الآخر من الفناء، ولا يمكن أن يبلغهم الحريق هنا. هكذا همست: «الشكر للآلهة».

رمقها روب كأنها أصيبت بلوثة، ثم قال: «ابقي هنا يا أمي. سأعود»، ثم اندفع مغادراً الحُجرة، وسمعته يصيح في الحُرّاس، الذين راحوا ينزلون معاً بسرعة صاخبة. في الخارج تصاعدت أصوات تهتف: «حريق! حريق» في الساحة، ع الصُراخ ووقع الأقدام وصهيل الخيول الخائفة ونباح كلاب القلعة المهتاج، وتنبهت كاتلين وهي تُصغي للأصوات المتنافرة إلى أن الذئب الرهيبة قد كفت عن العواء تماماً.

رددت كاتلين صلاة صامتة لوجوه الإله السبعة وهي تتجه إلى النافذة. عبر الفناء تصاعدت ألسنة اللهب الطويلة من نوافذ المكتبة، وراقبت مفكّرة بحسرة في الكتب التي جمعها آل ستارك على مرّ القرون. وعندما أدارت ظهرها للنافذة رأت الرّجل معها في الحُجرة.

- «لم يكن من المفترض أن تكوني هنا»، قال الرّجل بفضاظة. «لم يكن من المفترض أن يكون أحد هنا».

كان رجلاً صغير الحجم متسخ الوجه يرتدي ثياباً قذرة، وتفوح منه رائحة كريهة تشي بأنه قضى وقتاً طويلاً بين الخيول. كانت كاتلين تعرف كلّ رجل يعمل في الإسطبلات، ولم يكن هذا منهم. كان هزيل الجسد ذا شعرٍ أشقرٍ أشعث وعينين شاحبتين غائصتين في وجهه الضّاوي، ويحمل خنجرًا في يده.

نظرت كاتلين إلى الخنجر ثم إلى بران، وبصوت لا يتجاوز متحرج صرخت: «لا».

«هذه رحمة. إنه ميت بالفعل».

- «لا، لا يُمكنك أن تفعل هذا»، وهُرعت إلى النَّافذة لتصرُخ طالبة النجدة، لكن الرجل تحرَّك بسرعة. حطَّت يده على فمها وشدَّ رأسها إلى الوراء، بينما وضع باليد الأخرى الخنجر على قصبتها الهوائية، وأفعمت أنفها رائحته النتنة.

رفعت كاتلين يديها معًا وجذبت النِّصل بكلِّ قوتها مُبعدة إياه عن حلقها، وسمعت الرجل يُطلق سبَّةً في أذنها. كانت بداها زلّقتين تمامًا الآن من الدَّم، لكنها لم تُفِلت الخنجر، وثبتَّ الرجل يده أكثر على فمها حاجبًا عنها الهواء. لوَت كاتلين رأسها جانبًا واستطاعت أن تُطبق على قطعة من لحمه بين أسنانها التي انغرست بقوة في راحة يده، وأطلق الرجل أنينًا متألِّمًا، وغرست هي أسنانها أكثر في لحمه وبدأت تُمزِّقه، فلم يستطيع إلَّا التخلّي عنها وهو يشتم. ملأ مذاق دمائه فمها، وعبت الهواء بشراهة وصرخت، لكنه أطبق على شِعْرها وجذبها بعيدًا عنه، فتعثرت وسقطت أرضًا، وإذا به يقف فوقها يتنفس بسرعة ويرتجف. كان لا يزال قابضًا بيمنه بإحكام على الخنجر المصقول بالدَّم، وبلادة ردَّد: «لم يكن من المفترض أن تكوني هنا».

رأت كاتلين الظلَّ ينسل من الباب المفتوح من ورائه، والتقطت أذناها الدَّمدمة الخفيفة للغاية الأدنى من زمجرة، التهديد الهامس الذي يكاد لا يُسمع، وسمع الرجل شيئًا، لأنه بدأ يلتفت في اللحظة نفسها التي وثب فيها الذئب. سقط الاثنان معًا من فوق كاتلين في مكانها على الأرض. كان الذئب الرهيب يُطبق بفكيه على عنقه، ودامت صرخة الرجل لأقل من ثانية واحدة قبل أن يتراجع الحيوان الضاري برأسه مقتلعًا ينصف حلق الرجل. وتناثرت دماؤه على وجهها كالمطر الدافئ.

كان الذئب ينظر إليها، فكأه أحمران مبتلان وعينه تالقان بلونٍ ذهبي

في الحُجرة ضعيفة الإضاءة. تبيّنت أنه ذئب بران... هو ذئب بران بالطبع. بصوتٍ ضعيفٍ همست: «شكراً لك»، ثم رفعت يديها تنظر إليهما مرتجفةً، فدنا الذئب منها وتشمّ أصابعها ثم أخذ يلعق الدّم بلسانه المبتل الخشن، وعندما نظّف يديها من الدّم تماماً استدار بصمتٍ ووثب على فراش بران وتمدّد إلى جواره؛ وبدأت كاتلين تضحك بشكلٍ هستيري.

هكذا وجدوها حينما اندفع روب والمياستر لوين والسير رودريك إلى الحُجرة مع نصف حُرّاس وينترفل، وعندما ماتت الضّحكات في حلّقها أخيراً أدّروها بأغطيةٍ دافئةٍ وقادوها إلى مخدعها في الحصن الكبير، حيث خلعت العجوز نان ملابسها وأعدّت لها حمّاماً ساخناً ومسحت الدّماء عنها بقماشٍ ناعم. بعدها جاء المياستر لوين ليضمّد جروحها. كانت الجروح في أصابعها عميقةً تكاد تَبْلُغ العظام، وفروة رأسها مسحوبةٌ وتنزف حيث انتزع الرّجل خصلةً من شعرها. قال لها المياستر إن الألم لا يزال في بدايته، وسقاها حليب الخشخاش ليُساعدها على النّوم.

وأخيراً أغلقت كاتلين عينيها.

وعندما فتحتهما مرّةً أخرى أخبروها أنها نائمة منذ أربعة أيامٍ كاملة، فاكثفت بأن هزّت رأسها وجلست معتدلةً في الفراش. كان كلّ شيء يبدو لها الآن كأنه كابوس، كلّ شيءٍ منذ سقطة بران كان كحلمٍ مليءٍ بالدّم والأسى، لكن الألم في يديها ذكّرهما بأن كلّ هذا كان حقيقةً. كانت تشعر بالضعف والدّوخة، وإن ملأها تصميم غريب كأن عبثاً ثقيلاً قد أزيح عنها. قالت لخدمها: «أحضروا لي بعض الخُبز والعسل، وليخبر أحدكم المياستر لوين أن ضمّاداتي تحتاج إلى تغيير»، ونظر الخدم إليها بدهشةٍ ثم هُرّعوا للتلبية أوامرهما.

تذكرت كاتلين الطريقة التي كانت تتصرّف بها من قبل وشعرت بالخجل من نفسها. لقد خدلتهم جميعاً، أبناءها وزوجها وعائلتها كلها، لكن هذا لن يحدث ثانيةً. سوف تُري أولئك السّماليين كم تستطيع سليلة عائلة تلي وابنة ريفررن أن تكون قويّةً.

وصلَ روب قبل الطَّعام، ومعه رودريك كاسل وثيون جرايچوي تابع زوجها الشَّخصي، بالإضافة إلى هالس مولين الحارس مفتول العضلات ذي اللَّحية البنيَّة المربَّعة، الذي أصبح قائد الحرس الجديد كما أخبرها روب. رأت أن ابنها يرتدي الجِلد المقوَّى بالزَّيت المغلي وقميصًا من الحلقات المعدنيَّة، وكان سيفه يتدلَّى من حزامه. سألتهم كاتلين: «من كان؟».

أجابها هالس مولين: «لا أحد يعرف اسمه. إنه لم يكن من رجال ويترفل يا سيِّدتي، لكن البعض يقولون إنهم رأوه هنا وهناك في القلعة خلال الأسابيع الماضية».

قالت: «كان أحد رجال المَلِك إذن، أو أحد رجال لانستر. من المحتمل أنه تخلَّف عن الرحيل مع الآخرين».

قال هال: «ربما. مع كلِّ الغُرباء الذين ملأوا ويترفل مؤخرًا، لا أحد يستطيع الجزم بانتمائه».

قال جرايچوي: «كان يختبئ في الإسطبلات. هذا واضح من رائحته».

قالت بحدَّة: «كيف ظلَّ مخبئًا دون أن يلحظه أحد؟».

بدا هالس مولين مرتبكًا وهو يجيب: «بين الخيول التي أخذها اللورد إدارد جَنوبًا وتلك التي أرسلناها شَمالًا إلى حرس اللَّيل، أصبحت الإسطبلات نصف خالية. إنه لم يكن يحتاج لتنفيذ حيلة كبيرة كي يظلَّ متواربًا عن أنظار صبيان الإسطبلات. من المحتمل أن هودور قد رآه، فهناك من يقولون إنه يتصرَّف بغرابة منذ فترة، لكن مع بساطته تلك...». لم يُكمل هال عبارته، فتدخَّل روب في الكلام قائلاً: «لقد وجدنا المكان الذي كان ينام فيه. كان معه تسعون أيلًا فضيًّا في حقيبة جلدية وجدناها مدفونة تحت التُّن».

قالت كاتلين بمرارة: «من الجيِّد أن نعرف أن حياة ابني لم تُبْع بَشْمِن بخس».

رمقها هال بحيرة وسألها: «أستميحك عُذْرًا يا سيّدتِي، لكن هل تقولين إنه كان هنا ليقتل ولدك؟».

غمغم جرابجوي بشك: «هذا جنون».

قالت كاتلين بإصرار: «لقد جاء من أجل بران. أعرفُ هذا لأنه ظلَّ يردّد أنه لم يكن ينبغي أن أكون هنا. لقد أشعل حريق المكتبة معتقدًا أنني سأهرعُ لإطفائه أخذًا الحرس معي، وكانت خطّته لتنجح لولا أن الحزن جعلني نصف مجنونة بالفعل».

قال روب: «ولمَ قد يريد أحدهم أن يقتل بران؟ بحقّ الآلهة، إنه ليس أكثر من طفل عاجز غائب عن الوعي!».

تطلّعت كاتلين إلى ابنها البكر بنظرة احتجاج وقالت: «إذا كنت ستحكم الشمال ذات يوم فلا بدّ أن تُفكّر في تلك الأشياء جيّدًا يا روب. أجب عن سؤالك بنفسك. لمَ قد يريد أيّ أحد أن يقتل طفلًا في غيبوبة؟».

قبل أن يُجيب، عادَ الخدم بصحفةٍ من الطّعام الطّازج من المطبخ. كانت هناك أصناف أكثر بكثير مما طلبت: خُبز ساخن وعسل ومرّبي الثّوت الأسود، شريحة من اللّحم المقدّد وبيضّة مسلوقة وقطعة من الجُبْن، بالإضافة إلى إبريق من الشّاي بالنّعناع؛ ومع الطّعام جاء المايستر لوين.

نظرت كاتلين إلى كلّ هذا الطّعام ووجدت أن لا شهيةً لديها، ثم سألت المايستر: «كيف حال ابني؟».

خفّض المايستر لوين عينيه وأجاب: «لا تغيير هناك يا سيّدتِي». الجواب الذي توقّعت، لا أكثر ولا أقل. كانت يداها تنضّان ألما كأن نصل الخنجر لا يزال مغروسًا فيهما يشقهما حتى الأعماق. صرفت الخدم والتفتت إلى روب قائلة: «هل وجدت الإجابة؟».

قال روب: «أحدهم يخشى أن يُفريق بران، يخشى ما قد يقوله أو يفعله، يخشى شيئًا يعرفه».

قالت كاتلين شاعرةً بالفخر به: «أحسنت»، ثم التفتت إلى قائد الحرس الجديد قائلة: «يجب أن يظلّ بران آمنًا. إذا كان هناك قاتِل واحد، فمن الممكن أن يتبعه آخرون».

سألها هال: «كم حارسًا تريدان يا سيّدتى؟».

قالت: «سَل ابني. إنه سيّد ويترفل في غياب اللورد إدارد».

اعتدل روب في وقفته فبدأ أطول قليلاً وهو يقول: «ضع رجلاً في حُجرة المرضى ليلاً نهاراً، وواحدًا خارج الباب، واثنين عند قاعدة السّلام. لا أحد يرى بران دون إذني أو إذن السيّدة والدتي».

- «كما تأمر يا سيّدي».

قالت كاتلين: «نفّذ هذا الآن».

وأضاف روب: «ودّع ذئبه يبقى في الحُجرة معه».

- «نعم»، قالت كاتلين مؤيِّدةً، ثم كرّرتها: «نعم».

انحنى هالس مولين وغادر الحُجرة، ثم قال السير رودريك: «ليدي ستارك، هل لاحظتِ الخنجر الذي استخدمه القاتِل؟».

أجابَت بِسمةٍ جافّة: «لم تسمح لي الطُّروف بأن أفحصه عن كثب، لكنني أستطيع أن أشهد بحدّته. لماذا تسأل؟».

- «لقد وجدناه في قبضة ذلك الآثم، وبدأ لي أنه سلاح أرفى كثيرًا من أن يحمله رجل مثله، ففحصته جيّدًا ووجدتُ أن النّصل مصنوع من الفولاذ القاليري والمقبض من عظام التّنين. سلاح كهذا لا يُمكن أن يوضع اعتبارًا في يد أمثاله. أحدهم أعطاه إياه».

أومأت كاتلين برأسها مفكّرةً، ثم قالت: «روب، أغلق الباب».

رمقها بنظرة دهشة لكنه فعل كما طلبت، ثم إنها قالت لهم: «ما سأخبركم به لا ينبغي أن يخرج من تلك الحُجرة. أريدكم أن تُقسِموا لي بهذا. إذا كان مجرد جزء مما أرتاب فيه حقيقياً، فقد ذهبَ ند وابتاي إلى خطرٍ مميت، وكلمة واحدة في الأذن الخطأ قد تعني حياتهم».

قال ثيون جرابجوي: «اللورد إدارد بمثابة أبٍ ثاني لي. أقسمُ لك».

- «لَكَ قَسَمِي»، قَالَ الْمَاسْتَرُ لَوِين.

- «وَقَسَمِي يَا سَيِّدَتِي»، رَدَّدَ السَّيْرُ رُودْرِيكَ.

نَظَرَتْ إِلَى ابْنِهَا وَسَأَلَتْهُ: «وَأَنْتَ يَا رُوبُ؟».

هَزَّ رُوبُ رَأْسَهُ مُوَافَقًا بِصَمْتٍ، فَقَالَتْ لَهُمْ: «أَخْتِي لَا يَسَا تَعْتَقِدُ أَنَّ آلَ لَانْسْتَرِ قَتَلُوا زَوْجَهَا اللَّوْرْدَ آرْنَ يَدَ الْمَلِكِ، وَتَذَكَّرْتُ الْآنَ أَنَّ جَائِمِي لَانْسْتَرِ لَمْ يَذْهَبْ مَعَ الْآخَرِينَ لِلصَّيْدِ يَوْمَ سَقَطَ بَرَانُ، بَلْ ظَلَّ هُنَا فِي الْقَلْعَةِ». خَيَّمَ الصَّمْتُ النَّامَ عَلَى الْحُجْرَةِ، وَتَابَعَتْ هِيَ: «لَا أَعْتَقِدُ أَنَّ بَرَانَ قَدْ سَقَطَ مِنَ الْبُرْجِ، بَلْ أَلْقَى مِنْهُ».

كَانَتْ الصَّدْمَةُ جَلِيَّةً عَلَى وَجُوهِهِمْ، وَبَعْدَ صَمْتٍ قَالَ رُودْرِيكَ كَاسِلًا: «سَيِّدَتِي، هَذَا اتِّهَامٌ شَنِيعٌ، وَحَتَّى قَائِلُ الْمَلِكِ سَيَجِدُ غَضَاضَةً فِي قَتْلِ طِفْلِ بَرِيِّ».

قَالَ ثِيُونُ جَرَايْجُوي: «حَقًّا؟ أَشْكُ فِي هَذَا».

قَالَتْ كَاتَلِينُ: «لَيْسَتْ هُنَاكَ حُدُودٌ لَغُرُورٍ أَوْ طُمُوحٍ آلَ لَانْسْتَرِ».

قَالَ الْمَاسْتَرُ لَوِينُ مَفْكَّرًا: «لَطَالَمَا كَانَ الصَّبِيُّ وَاثِقَ الْخَطَى وَيَعْرِفُ كُلَّ حَجَرٍ فِي وَيْتَرَفِلْ».

- «يَا لِلْأَلْهَةِ!»، صَاحَ رُوبُ وَقَدْ أَرْبَدَ وَجْهُهُ غَضَبًا. «إِذَا كَانَ هَذَا صَحِيحًا فَسَيُدْفَعُ الثَّمَنُ»، وَاسْتَلَّ سَيْفَهُ وَلَوَّحَ بِهِ فِي الْهَوَاءِ مُضِيفًا: «سَأَقْتُلُهُ بِنَفْسِي!». صَاحَ السَّيْرُ رُودْرِيكَ فِيهِ بِخَشُونَةٍ: «ضَعْ هَذَا الشَّيْءَ فِي غِمْدِهِ. آلَ لَانْسْتَرِ كُلُّهُمْ عَلَى بُعْدِ مِثْلَةِ فَرَسَخٍ مِنْ هُنَا. إِيَّاكَ أَنْ تَسْتَلَّ سَيْفَكَ دُونَ أَنْ تَتَوَيَّأَ اسْتِخْدَامَهُ. كَمْ مَرَّةً يَجِبُ يَنْبَغِي أَنْ أَقُولَ لَكَ هَذَا أَيُّهَا الصَّبِيُّ الطَّائِشُ؟».

دَسَّ رُوبُ سَيْفَهُ فِي غِمْدِهِ مَرْتَبَكًا وَقَدْ عَادَ يَبْدُو طِفْلًا مِنْ جَدِيدٍ، بَيْنَمَا قَالَتْ كَاتَلِينُ لِلْسَّيْرِ رُودْرِيكَ: «أَرَى أَنَّ ابْنِي قَدْ بَدَأَ يَحْمِلُ سَيْفًا مِنَ الْفُولَادِ».

قَالَ قَيْمُ السَّلَاحِ الشَّيْخُ: «خَطَرَ لِي أَنَّ الْوَقْتَ قَدْ حَانَ».

كَانَ رُوبُ يَرْمُقُهَا بِتَوَثُّرٍ، فَقَالَتْ: «حَانَ وَأَزَفَ. قَدْ تَحْتَاجُ وَيْتَرَفِلْ إِلَى كُلِّ سَيْفٍ فِيهَا عَمَّا قَرِيبٍ، وَمَنْ الْأَفْضَلُ أَلَّا تَكُونَ سَيُوفًا مِنْ خَشَبٍ».

وضع ثيون جرايچوي يده على مقبض سيفه وقال: «إذا وصلت الأمور إلى ذلك يا سيّدي، فدين عائلتك في رقبة عائلتي عظيم». جذب المايستر لوين سلسلة الحلقات المحيطة بعنقه حيث أشعرته بالحكة وقال: «كلّ ما لدينا مجرد تخمين. إننا ننوي اتّهام شقيق الملكة الحبيب، ولن تتلقّى هي الاتّهام ببساطة. ينبغي أن نحصل على دليل أو نصنّت إلى الأبد».

قال السير رودريك: «الخنجر هو الدليل. سلاح ثمين كهذا لا يختفي دون أن يلاحظه أحد».

أدركت كاتلين أن ثمة مكانًا واحدًا يُمكن العثور على الحقيقة فيه، وقالت: «يجب أن يذهب أحدهم إلى كينجز لاندنج». سارع روب يقول: «أنا سأذهب».

قالت له بحزم: «كلا، إن مكانك هنا، ويجب أن يظلّ أحد أبناء ستارك في ويترفل دائمًا»، ودارت بعينها بين السير رودريك بشواربه البيضاء الطويلة والمايستر لوين بمعطفه الرمادي وجرايچوي الشاب الأسمر النحيل المتهوّر. من تُرسل؟ من سيلقى التصديق؟ ثم إنها عرفت الإجابة. هكذا أزاخت كاتلين الأغطية بصعوبة وأصابعها المضمّدة متبيسة كالحجارة، ونزلت من الفراش قائلة: «يجب أن أذهب بنفسي». قال المايستر لوين: «أهذا قرار حكيم يا سيّدي؟ من المؤكّد أن آل لانستر سيستقبلونك بشكوكهم».

قال روب المسكين وقد بدا حائرًا تمامًا الآن: «وماذا عن بران؟ لا يُمكن أن تُتركه».

أجابت واضعة يداً جريحةً على ذراعه: «لقد فعلتُ كلّ ما في إمكاني من أجل بران، وحياته الآن بين أيدي الآلهة والمايستر لوين. لقد ذكّرني بنفسك يا روب أن لديّ أبناء آخرين يجب أن أقلق عليهم».

قال ثيون: «ستحتاجين حراسةً قويّةً معك يا سيّدي».

قال روب: «سأرسل هال مع فرقة من الحرس معك».

هَزَّتْ كَاتِلِينَ رَأْسَهَا نَفِيًّا وَقَالَتْ: «كَلَّا، الْعَدَدُ الْكَبِيرُ سَيَجْذِبُ إِلَيْنَا
اِتِّبَاهًا غَيْرَ مَرْغُوبٍ فِيهِ، وَلَا أُرِيدُ أَنْ يَعْرِفَ آلُ لَانْسْتِرَ أَنَّنِي قَادِمَةٌ إِلَى
كَيْنَجَزْ لَانْدَنْجِ».

قَالَ السَّيْرُ رُودْرِيكَ مُعْتَرِضًا: «سَيُّدَنِي، دَعِينِي أَصْحَبُكَ عَلَى الْأَقْلَى.
طَرِيقُ الْمُلُوكِ خَطَرٌ عَلَى امْرَأَةٍ وَحِيدَةٍ».

رَدَّتْ كَاتِلِينَ: «لَنْ أَخَذَ طَرِيقَ الْمُلُوكِ»، ثُمَّ فَكَّرَتْ لِلْحِظَاتِ قَبْلَ أَنْ
تَهْزُ رَأْسَهَا مُوَافِقَةً وَقَالَتْ: «مَنْ الْمُمْكِنُ أَنْ يَتَحَرَّكَ رَاكِبَانِ بِسُرْعَةِ رَاكِبٍ
وَاحِدٍ، وَأَسْرَعُ كَثِيرًا مِنْ طَابُورٍ طَوِيلٍ مِنَ الْحَرَسِ الَّذِينَ تُثْقِلُهُمُ الْعَرَبَاتُ
وَمَرْكَبَةٌ مَجْرُورَةٌ. أَرْحُبُ بِصُحْبَتِكَ يَا سَيْرُ رُودْرِيكَ. سَتَتَّبِعُ مَجْرَى السَّكِينِ
الْأَبْيَضِ إِلَى الْبَحْرِ، ثُمَّ نَسْتَأْجِرُ سَفِينَةً مِنَ الْمِينَاءِ الْأَبْيَضِ. مَعَ الْخِيُولِ
السَّرِيعَةِ وَالرِّيَّاحِ الْقَوِيَّةِ مِنَ الْمَفْتَرَضِ أَنْ نَصِلَ إِلَى كَيْنَجَزْ لَانْدَنْجِ قَبْلَ نَدَى
وَالْآخَرِينَ»، وَفِي قَرَارَةٍ نَفْسَهَا أَضَافَتْ: وَبَعْدَهَا سَنَرَى مَا سَيَحْدُثُ.



سانزا

أخبرتْها السَّيِّئةُ مورِدَنَ على مائدة الإفطار أن اللورد إدارد ستارك قد غادرَ قبلَ الفَجْرِ. «المَلِكُ طَلَبَ حضوره. صيْدٌ آخَرُ على ما أعتقدُ، فهناك من قالوا لي إنه لا تزال هناك ثيران بريَّة في هذه الأنحاء».

قالت سانزا وهي تُطْعِمُ قطعةَ لحمٍ مقدَّدٍ لذِئبتها ليدي تحت المائدة: «لم أرَ ثيرانًا بريَّةً من قبل». التقطتِ الذَّئْبَةُ الرَّهِيبةُ قطعةَ اللَّحْمِ من يدها برقَّةً وتهذيبٍ يليقان بملَكة.

تنشَّفتِ السَّيِّئةُ مورِدَنَ كعادتها حين تُبدي استنكارها، وقالت وهي تكسر قطعةً أخرى من قُرص العسل ليسيل العسل على الخُبْز: «السَّيِّدةُ النَّيِّلةُ لا تُطْعِمُ الكلاب تحت المائدة».

علَّقت سانزا وليدي تعلق أصابعها بلسانها الخَسِن: «إنها ذئبة رهيبة وليست كلبَّة، ثم إن أبي قال إننا نستطيع الاحتفاظ بهم في صُحْبَتنا إذا أردنا». لم تكن إجابة مُرضيَّةً للسَّيِّئة التي قالت: «أنتِ فتاة مهذَّبة يا سانزا، لكنني أقسمُ أنكِ تملكين عناد أختكِ نفسه عندما يتعلَّق الأمر بتلك المخلوقات»، ثم تطلَّعت حولها عابسةً وقالت: «وأين أرى هذا الصَّبَاح أصلاً؟».

- «لم تكن جائعةً»، قالت سانزا وهي تعلم جيِّدًا جدًّا أن أختها تسَلَّلت غالبًا إلى المطبخ منذ ساعات، وتملَّقت أحد صبيان الطَّاهي ليأتي لها بإفطارها.

- «ذَكِّرْهَا أَنْ تَرْتَدِّي مَلَابِسَ لَائِقَةً الْيَوْمِ، الْفُسْتَانَ الْمَخْمَلِي الرَّمَادِي رُبَّمَا. إِنَّا مَدْعَوَاتٌ لِلرُّكُوبِ مَعَ الْمَلَكَةِ وَالْأَمِيرَةِ مَارِسِلَا فِي الْمَرْكَبَةِ الْمَلَكِيَّةِ، وَيَجِبُ أَنْ نَبْدُو بِأَبْهَى صُورِنَا».

كَانَتْ سَانْزَا تَبْدُو بِأَبْهَى صُورِهَا بِالْفِعْلِ. كَانَتْ قَدْ مَشَّطَتْ شَعْرَهَا الْكَسْتَانِي الطَّوِيلَ إِلَى أَنْ صَارَ يَلْمَعُ، وَارْتَدَّتْ أَفْضَلَ فُسْتَانِ حَرِيرِيٍّ أَزْرَقَ لَدَيْهَا. إِنِّهَا تَتَطَلَّعُ إِلَى الْيَوْمِ مِنْذُ أَكْثَرِ مِنْ أَسْبُوعٍ كَامِلٍ، فَهُوَ شَرَفٌ عَظِيمٌ أَنْ تَرْكَبَ مَعَ الْمَلَكَةِ نَفْسَهَا، كَمَا أَنَّ الْأَمِيرَ چَوْفَرِي قَدْ يَكُونُ هُنَاكَ.. خَطِيبُهَا.. مَجْرَّدُ التَّفَكِيرِ فِي هَذَا كَانَ يَجْعَلُ نَبْضَاتِ قَلْبِهَا تَتَسَارَعُ عَلَى نَحْوِ غَرِيبٍ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ زَوَاجَهُمَا الْمُزْمَعُ لَا تَزَالُ أَمَامَهُ سِنُوتٌ وَسِنُوتٌ. لَمْ تَكُنْ سَانْزَا تَعْرِفُ چَوْفَرِي حَقًّا بَعْدَ، لَكِنِّهَا كَانَتْ وَاقِعَةً فِي حُبِّهِ بِالْفِعْلِ. إِنَّهُ كُلُّ مَا كَانَتْ تَرْغَبُ فِيهِ دَوْمًا فِي أَمِيرِهَا، طَوِيلٌ وَوَسِيمٌ وَقَوِيٌّ وَلَدِيهِ شَعْرٌ بِلَوْنِ الذَّهَبِ. كَانَتْ تَغْتَنِمُ كُلَّ فُرْصَةٍ لِقَضَاءِ وَقْتٍ مَعَهُ، وَإِنْ قَلَّتِ الْفُرُصُ. الشَّيْءُ الْوَحِيدُ الَّذِي كَانَ يُخَيِّفُهَا الْيَوْمَ هُوَ آرِيَا.. إِنْ دِيدَنَ آرِيَا أَنَّ تَفْسِدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يُمَكِّنُكَ أَبَدًا أَنْ تَتَوَقَّعَ مَا سَتَفْعَلُهُ. قَالَتْ سَانْزَا بَتَوَجُّسٍ: «سَأُخْبِرُهَا، لَكِنِّهَا سَتَرْتَدِّي ثِيَابَهَا الْمَعْتَادَةَ». كَانَتْ تَأْمَلُ أَلَّا تَكُونَ ثِيَابَ آرِيَا مُحَرِّجَةً لَهَا كَثِيرًا. «هَلْ يُمَكِّنُنِي الْإِنْصِرَافُ؟».

قَالَتْ السُّبَيْتَةُ: «يُمَكِّنُكَ»، وَانْصَرَفَتْ إِلَى الْمَزِيدِ مِنَ الْخُبْزِ وَالْعَسَلِ، بَيْنَمَا نَهَضَتْ سَانْزَا مِنْ عَلَى الدُّكَّةِ، وَمَشَتْ لِيَدِي فِي أَعْقَابِهَا وَهِيَ تَخْرُجُ مِنْ قَاعَةِ الْخَانِ.

وَقَفَّتْ فِي الْخَارِجِ وَسَطَ الصُّبْحِ وَالسَّابَابِ وَصَرِيرِ الْعَجَلَاتِ الْخَشَبِيَّةِ، وَالرِّجَالِ يَفْكُونَ الْخِيَامَ وَالسُّرَادِقَاتِ وَيُحْمَلُونَ الْعَرَبَاتِ مِنْ أَجْلِ مَسِيرَةِ يَوْمٍ آخَرَ. كَانَ الْخَانُ بِنَاءً وَاسِعًا مِنَ الْأَحْجَارِ ذَاتِ اللَّوْنِ الْبَاهِتِ يَرْتَفِعُ ثَلَاثَةَ طَوَابِقٍ، أَكْبَرُ خَانٍ رَأَتْهُ سَانْزَا فِي حَيَاتِهَا، لَكِن تَجْهِيْزَاتِهِ كَانَتْ كَافِيَةً لِأَقْلٍ مِنْ ثُلُثِ رَكَبِ الْمَلِكِ الَّذِي تَضَخَّمُ الْآنَ إِلَى أَرْبَعِمِئَةِ نَفَرٍ مَعَ إِضَافَةِ رِجَالِ أَبِيهَا، بِخِلَافِ الْمُحَارِبِينَ غَيْرِ النِّظَامِيِّينَ الَّذِينَ انْضَمُّوا إِلَيْهِمْ عَلَى الطَّرِيقِ.

وجدت آريا على ضفة الثالث، تُحاول أن تثبت نايميريا في مكانها وهي تُنظف فروها من الوحل الجاف، ولم تكن الذئبة الرهيبة مستمتعة بهذه العملية على ما يبدو. كانت آريا لا تزال ترتدي ملابس ركوب الخيل الجلدية التي ارتدتها الأمس وأول أمس، فقالت لها: «يَحْسُن أن ترتدي شيئاً لائقاً. السبّعة موردن قالت هذا. سوف نركب في مركبة الملكة والأميرة مارسلا اليوم».

قالت آريا وهي تُحاول تمشيط كتلة متشابكة من فرو نايميريا الرّمادي: «لن أذهب. أنا ومايكا سنركب عكس تيار النهر ونبحث عن الياقوت في المخاضة».

تساءلت سانزا حائرة: «ياقوت؟ عمّ تتكلمين؟».

رمقتها آريا بنظرة كأنها حمقاء وقالت: «ياقوت ريجار، إنه المكان الذي صرعه فيه الملك روبرت وفاز بالعرش».

نظرت سانزا إلى أختها الصغيرة النحيلة بغير تصديق وقالت: «لا يمكنك أن تبحنّي عن الياقوت. الملكة دعتنا والأميرة تنتظرنا معاً».

قالت آريا: «لا أهتم. تلك المركبة بلا نوافذ حتى، ولا يمكنك أن تري شيئاً منها».

قالت سانزا مغتاظة: «وما الذي تريدن رؤيته؟». كانت تتحرّق شوقاً لتلبية الدعوة، والآن ستُفسد أختها الحمقاء كلّ شيء، تماماً كما توقّعت.

«لا شيء هنالك غير المزارع والحقول والمعازل».

بغنادٍ ردّت آريا: «ليس هذا كلّ شيء. سترين إذا جئت معنا ذات مرّة».

قالت سانزا بعصبية: «تعلمين أنني أكره الركوب. كلّ ما ينالك منه هو انساخ وجهك وثيابك وإصابتك بالآلم».

هزّت آريا كتفها بلا مبالاة، ثم صاحت في نايميريا: «اثبتني! إنني لا أؤذيك!»، وعادت تُكلّم سانزا قائلة: «أثناء عبورنا "العنق" عددت ستاً

وثلاثين نوعاً من الزُّهور لم أره من قبل قط، ومايكا أراني أسداً زاحفاً⁽¹⁾ كذلك».

ارتجفت سانزا. لقد استغرق عبورهم "العُنق" اثني عشر يوماً، حيث قطعوا ممراً معوجاً يعلو مستنقعاً أسود بلا نهاية، وكرهت سانزا كل لحظة من تلك المرحلة. كان الهواء رطباً دبقاً، والممرُّ شديد الضيق لدرجة أنهم لم يستطيعوا نصب مخيمٍ لائق ليلاً، وتوقفوا على قارعة طريق الملوك ذاته. أدغال كثيفة من الأشجار الغارقة احتشدت على مقربة منهم، أغصانها مغطاة بالفطر الباهت. نبتت زهور ضخمة في الوحل وطفئت على سطح برك من المياه الراكدة، لكن لو كنت أحمق بما فيه الكفاية لأن تترك الممر لتقطف إحداها، ستجد رمالاً متحركة تنتظر ابتلاعك وثمانين كامنَةً في الأشجار وأسوداً زاحفاً تطفو نصف مغمورة في الماء كجذوع أشجار سوداء لها عيون وأنياب.

لكن شيئاً من هذا لم يوقف آريا طبعاً. في يوم عادت مبتسمة ابتسامة الحصان المعهودة، شعرها متشابك وثيابها ملطخة بالوحل وتقبض على حزمة غير منتظمة من الزهور الأرجوانية والخضراء لأبيهما. ظلت سانزا تتمنى أن يقول لآريا أن تهذب سلوكها وتتصرف كالسيدة ابنة العائلة العريقة التي ينبغي أن تكونها، لكنه لم يفعل واحتضن آريا وشكرها على الزهور، وهو ما جعلها تتمادى أكثر. ثم اتضح أن الزهور الأرجوانية كان اسمها "القبلات السامة"، وأصيبت آريا بطفح جلدي في ذراعيها. اعتقدت سانزا أن هذا كان كفيلاً بأن يُعلّمها درساً، لكن آريا ضحكت وفي اليوم التالي فركت ذراعيها بالوحل كواحدة من نساء المستنقعات الجاهلات، لمجرد أن صديقها مايكا أخبرها أن هذا من شأنه أن يوقف الحُكاك. كانت هناك كدمات على ذراعيها وكتفيها كذلك، رضوض أرجوانية داكنة وبقع ذات لونٍ أخضر وأصفر باهت، وكانت سانزا تراها

(1) الاسم الذي يُطلق على الزواحف التي تعيش في مستنقعات وستروس.

عندما تخلع أختها ملابسها للنوم. وحدها الآلهة السبعة تعلم كيف أصيبت بها.

كانت آريا لا تزال مستمرة في تمشيط شعر نايميريا والثروة عن الأشياء التي رأتها خلال الرحلة جنوبًا: «الأسبوع الماضي وجدنا بُرج حراسة مهجورًا، وفي اليوم السابق لهذا طاردنا قطيعًا من الخيول البرية. كان يجب أن تربها وهي تفرُّ عندما اشتَمَّت رائحة نايميريا». حاولت الذئبة التملُّص منها، فصاحت آريا موبِّخة: «كُفِّي عن هذا. يجب أن أنظف الجانب الآخر كذلك. أنت ملوثة تمامًا بالوحل». قالت سانزا مذكرة: «ليس من المفترض أن تتركى الموكب. أبي قال هذا».

هزَّت آريا كتفها مجيبة: «لم أبتعد، ثم إن نايميريا كانت معي طوال الوقت. كما أنني لا أترك الموكب كلِّ مرَّة كذلك. من الممتع أحيانًا التحرك مع العربات والكلام مع النَّاس».

كانت تعرف أصناف النَّاس الذين تُحبُّ آريا الكلام معهم: مُرافقو الفُرسان وسائسو الخيل والخدمات، كبار السِّن والأطفال العُراة، المُحاربون غير النظاميين خشنو الألسنة المشكوك في أنسابهم. بمنتهى البساطة تُصبح آريا صديقة أيِّ أحدٍ على الإطلاق. مايكَا هذا كان الأسوأ، صبي الجزَّار المشاغِب الذي يبلُغ من العُمُر ثلاثة عشر عامًا وينام في عربة اللُّحوم وتفوح منه رائحة الحيوانات المذبوحة. كان مجرد منظره يُثير في سانزا الغثيان، لكن آريا كانت تُفضِّل صُحبته على صُحبتهَا.

كان صبر سانزا قد بدأ ينفد بالفعل، وقالت لأختها بحزم: «يجب أن تأتي معي. لا يُمكنك أن ترفض دعوة المَلِكة، والسَّيِّئة مَورِدَن تنتظر حضورك». تجاهلَتْها آريا كأنها لم تسمعها، ومرَّرت الفرشاة في فرو نايميريا المتشابك بقوة، فزمجرت الذئبة وتملَّصت مبتعدة متحدية أوامر صاحبتهَا التي صاحت: «عودي إلى هنا!!».

استطردت سانزا بتعقل البالغين: «سَيَقْدُمُونَ لَنَا الشَّاي وَكعَكَات اللَّيْمُونِ». احتكَّت ليدي بساقها، فملَّست على رأسها بين أذنيها كما تُحِبُّ، وجلست ليدي إلى جوارها على قائمتيها الخلفيتين تُرَاقِب آريا وهي تُطارِد نايميريا. «ما الذي يجعلك ترغبين في ركوب حصان كرية الرَّائحة يجعلك تتصبَّين عرقًا ويوجعك، بينما بوسعك الاسترخاء على وسائد محشوة بالرَّيش وتناول الكعك مع المَلَكَة؟».

- «أنا لا أحبُّ المَلَكَة»، قالت آريا ببساطة شديدة، فاحتبست أنفاس سانزا في صدرها من جرَّاء الصَّدْمة التي أصابها بها قول أختها، لكن آريا واصلت دون أن تنتبه: «إنها لن تسمح لي باصطحاب نايميريا»، وثبتت الفرشاة في حزامها واقتربت بتؤدة من ذُبَّتْها، بينما راقبتها نايميريا بنظرات حَذرة.

قالت سانزا: «المركبة الملكية ليست مكانًا للذُّئاب، كما أن الأميرة مارسلا تخافها وأنتِ تعرفين ذلك».

- «مارسلا طفلة صغيرة»، قالت آريا وأحاطت بعنق نايميريا، لكن بمجرد أن أخرجت الفرشاة من جديد تملَّصت الذُّبَّة الرَّهيبة منها ثانية وجرت مبتعدة، ويحني ألقت آريا الفرشاة أرضًا وصاحت: «ذُبَّة سيئة!». وجدت سانزا نفسها تبسم رغمًا عنها. ذات مرَّة قال لها قيِّم وِجار الكلاب إن الحيوان يتطَّيع بطباع صاحبه. ضمت ليدي إليها سريعًا، فلعلقت الذُّبَّة وجنتها وقهقهت سانزا. سمعت آريا والتفتت قائلة: «لا أبالي بما تقولين. سأركبُ إلى المخاضة اليوم»، واكتسى وجهها الحصاني بتعبير العناد الذي يعني أنها ستصرِّف وفق هواها.

قالت سانزا: «بحقُّ الآلهة يا آريا، إنكِ تتصرِّفين كالأطفال أحيانًا. سأذهبُ وحدي إذن. هذا أفضل كثيرًا على كلِّ حال. أنا وليدي سنأكل كعَكَات اللَّيْمُون كلها ونقضي وقتًا رائعًا من دونكِ».

استدارت لتُغادر، لكن آريا صاحت من ورائها: «لن يسمحوا لك أيضًا

باصطحاب ليدي»، وانطلقت مبتعدةً لئُطارِدَ نايميريا على ضفّة النّهر قبل أن تستطيع سائِزا التّفكير في رد. وحيدةٌ شاعرةٌ بالإهانة سلكت الطريق الطّويل إلى الخان، حيث كانت السّبتة مورِدَن تتظرها لا ريب، ومثّت ليدي بهدوءٍ إلى جانبها. كانت على وشك البكاء. كلُّ ما تريده هو أن تكون الأشياء لطيفةً جميلةً كما في الأغاني، فلم لا تستطيع أريّا أن تكون رفيقةً مهذّبةً كالأميرة مارسلا؟ كانت تتمنّى أن تكون لها أختٌ مثلها.

لم تكن سائِزا تستوعب أبدًا كيف يُمكن لشقيقتين يَفصِلُ بينهما عامان لا أكثر أن تكونا شديديتي التّنافُر هكذا. كان من الأسهل أن تكون أريّا نغلةً كأخيها غير الشّقيق جون. إنها تُشبه جون حتى، ملامحها هي ملامح آل ستارك التي يُميّزها الوجه الطّويل والشّعر البني، بينما لا تشترك مع السيّد والدتهما في شيءٍ من شكل الملامح أو لون الشّعر.. كما أن أم جون كانت من العامّة. في مرّةٍ وهي صغيرة سألت سائِزا أمها إن كان هناك خطأ ما.. لعلّ الجرامكنات سرقت أختها الحقيقيّة، لكن أمها ضحكت وقالت لا، أريّا ابنتها وأخت سائِزا الشّقيقة، من لحمها ودمها. لم تستطع سائِزا التّفكير في سببٍ يجعل أمها تكذب عليها، فسَلّمت بالأمر الواقع.

تضاءلَ توتُّرها سريعًا مع اقترابها من متصّف المخيّم. كان هناك جَمعٌ متحلّقٌ حول مركبة المَلَكَة المجرورة، وسمعت سائِزا أصواتهم تَطِنُ كخليّة نحل. رأت أن باب المركبة كان مفتوحًا، ووقفت المَلَكَة على قَمّة السّلالم الخشبيّة تنظر لأحدهم وتبتسم، وسمعتها تقول: «نحن شديِدو الامتنان لهذا التّكريم الذي يمنحنا إياه المجلس أيها السّادة الأعزّاء».

سألت سائِزا مُرافق فارس تعرفه: «ماذا هناك؟».

أجابها: «المجلس أرسلَ خيالةً من كينجز لاندنج ليرافقونا بقيّة الطريق، حرس شرف للملِك».

كانت متلهفةً على المُشاهدة، فجعلت ليدي تُفسيح الطريق أمامها بين المتجمهرين الذين انزاحوا جانبًا بسرعةٍ من أمام الدّثبة الرّهيبية. لمّا

اقتربت رأت فارسين راكعين أمام المَلَكَة، كلاهما يرتدي درعًا شديدة الفخامة والبهاء حتى أن سائزًا نسَّرت في مكانها مأخوذة. أحد الفارسين كان يرتدي درعًا من الفولاذ المطروق المطلي بالميّنا، لونها أبيض زاهٍ كحقل مغطى بالثلوج الطازجة، وعليها نقوش فضيَّة تلمع في الشَّمْس. عندما خلعَ خوذة، رأت سائزًا أنه رجل مُسِنٌّ ذو شَعْرٍ أبيض كدرعه، لكنه بدا شديد القوَّة والرَّشاقة على الرغم من ذلك. كان معطف الحرس المَلَكِي ذو اللَّون الأبيض النَّاصع ينسدل من على كتفيه. رفيقه كان رجلًا يقترب من العشرين من العُمَر، يرتدي درعًا من الصفائح الفولاذيَّة ذات اللَّون الأخضر العميق. كان أوسم رجل وقَّعت عينا سائزًا عليه في حياتها، طويلًا مفتول العضلات ذا شَعْرٍ فاحم السَّواد يبلُغ كتفيه ويحدِّد وجهه الحليق، وعينين ضاحكتين خضراوين تتناسق معهما درعه. تحت ذراعه كانت خوذة ذات قرون تتألَّق باللَّون الذهبي.

لم تلاحظ سائزًا الغريب الثالث في البداية، فهو لم يركع مع الآخرين. كان رجلًا نحيلًا متجهِّم الملامح يقف على الجانب إلى جوار الخيول ويُراقب بصمت. كان وجهه المجذور حليقًا تغور فيه عيناه ووجتاه في آنٍ واحد. على الرغم من أنه لم يكن رجلًا متقدمًا في السَّن، إلَّا أن خُصلاتٍ خفيفة من الشَّعر كانت قد تَبَقَّت لديه، تنبت من فوق أذنيه فيتْرُكها تطول جدًّا كالنَّساء. كانت درعه من حلقات الحديد ذات اللَّون الرَّمادي فوق طبقاتٍ من الجِلْد المقوَّى بالزَّيت المغلي، بسيطةٌ للغاية ولا يُزَيِّنُها شيءٌ، وتشي بالقِدَم والاستخدام القاسي. من فوق كتفه اليُمْنَى كان يبرُز الغمد الجِلْدِي المتسخ الذي يضع فيه سيفه المعلق على ظَهره. كان سيفًا عظيمًا يُحمَل باليدين معًا وأطول من أن يُعلِّقه في حزامه.

- «لقد ذهبَ المَلِك للصَّيد، لكنني أعرفُ أنه سيُسَرُّ لرؤيتكم لدى عودته»، قالت المَلَكَة للفارسين الرَّاكعين أمامها، لكن عيني سائزًا لم تستطعا مباحرة الرَّجل الثالث. ثم بدا كأنه شعرَ بِثَقَلِ نظراتها، وببطءٍ أدارَ

رأسه.. وزمجرَت ليدي. خوف لم تَشْعُر سانزا ستارك بِمثله قَطُّ أفعَمَها فجأةً، وتراجعت إلى الوراء متعثرةً لتصطدم بأحدهم.

أمسكتها اليدان القويَّتان من كتفها، وللحظةٍ حسبت سانزا أنه أبوها، لكن عندما التفتت وجدت وجه ساندور كليجاين المحروق يَنْظُر إليها وعلى شفثيه ابتسامة ساخرة بشعة، وقال بصوته الأجش: «إنك ترجفين يا فتاة. هل أخيفك لهذه الدرْجة؟».

كان يُخيفها كثيرًا حقًا منذ وقعت عيناها للمرَّة الأولى على الخراب الذي صنَّعته النَّار في وجهه، وإن بدا لها الآن أنه يكاد لا يثير فيها نصف الخوف الذي يُصيبها به ذلك الآخر. تملَّصت سانزا منه وضحك كلب الصَّيد فتقدَّمت ليدي لتقف بينهما مُطلقةً زمجرة إنذار، وركعت سانزا على رُكبتيها لتطوِّق الذُّبَّة بذراعيها. كانوا يحيطون بها جميعًا، وشعرت بأعينهم المثبِّتة عليها وهم يتفرَّجون على المشهد، وهنا أو هناك كان أحدهم يُطلق تعليقًا أو ضحكةً مكتومةً.

- «ذئب»، قال رجل، وقال آخر: «إنه ذئب رهيب بحق الجحائم السَّبع»، فقال الأول: «ماذا يفعل هنا في المخيم؟»، وأجاب كلب الصَّيد بصوته الأجش: «آل ستارك يستخدمونها كمُرْضعات». أدركت سانزا أن الفارسين الغريبين كانا يَنْظُران إليها وليدي وسيفاهما في يديهما، وملاها الخوف مرَّةً أخرى ومعه الخزي، واغرورت عيناها بالدموع.

سمعت المَلَكَة تقول: «جوفري، اذهب إليها».

وبعد لحظةٍ كان أميرها أمامها.

قال جوفري: «ابتعدوا عنها». كان يقف فوقها، يبدو جميلًا في الصُّوف الأزرق والجلد الأسود، وخُصلاته الذهبية تلمع في الشَّمس كتاج على رأسه. مدَّ لها يده وجذبها لتنهض قائلاً: «ماذا هناك يا سيِّدتي الجميلة؟ لماذا أنت خائفة؟ لا أحد سيؤذيكَ»، ورفع صوته إلى المحيطين قائلاً: «اغمدوا سيوفكم جميعًا. الذُّبَّة حيوانها الأليف لا أكثر»، ثم نظر إلى

ساندور كلجايين وأضاف: «وأنت أيها الكلب، ابتعد من هنا، إنك تُخيف خطيبتِي».

انحنى كلب الصَّيد المُخلص دائماً وانسلَّ مبتعداً بين المتجمهرين، بينما كافحت سانزا لتقف ثابتة وهي تشعر أنها حمقاء حقاً. إنها من آل ستارك أبناء ويتترفل، سيّدة نبيلة، وذات يوم ستُصبح ملكة. قالت مُحاولَةً أن تشرح: «ليس هو يا أميري الجميل، إنه الآخر». تبادلَ الفارسان الغريبان نظرة، ثم قال ذو الدُّرع الخضراء ضاحكاً: «باين؟».

خاطَبَ الرَّجل المُسنُّ ذو الدُّرع البيضاء سانزا قائلاً برِّفق: «غالبًا ما يُخيفني السير إلين أيضًا يا سيّدتِي. إن لديه سيّما مخيفة حقاً».

- «وهو ما ينبغي أن يكون»، قالت الملكة وكانت قد نزلت من مركبتها، فأفسحَ المجتمعون لها الطريق. «إذا لم يخف الأشرار من عدالة المَلِك، فالرَّجل الخطأ يشغل هذا المنصب لا رب».

استطاعت سانزا الكلام أخيرًا، وقالت: «لقد اخترتم الرَّجل المناسب بكل تأكيد يا جلالة الملكة»، وهبَّت عاصفة من الضَّحك من حولها.

قال الفارس الأبيض: «أحسنيت التَّعبير يا بُنيتي، كما يليق بابنة اللورد إدارد ستارك. شرف لي أن أتعرف إليك مهما كانت ظروف اللِّقاء غريبة. أنا السير بارستان سلمِي، من الحرس المَلِكِي»، وانحنى.

كانت سانزا تعرف الاسم، والآن تذكَّرت المجاملات التي علَّمتها السَّيِّئة موردن إياها على مَرِّ السَّنين، وقالت: «حضرة قائد الحرس المَلِكِي، ومستشار مَلِكنا روبرت ومن قبله إيرس تارجارين. الشُّرف لي أيها الفارس. حتى في الشَّمال ما زالت الأغاني تُردَّد أمجاد بارستان الباسِل».

ضحك الفارس الأخضر مرَّةً أخرى وقال: «تَقصِّدين بارستان الهَرِم. لا تُطري عليه كثيرًا أيتها الطفلة، فهو معتدُّ بنفسه أكثر من اللازم بالفعل»،

ثم ابتسم مضيقاً: «والآن يا صاحبة الذئبة، إذا كنتِ تعرفين اسمي أيضاً، سأسألكم بأنكِ ابنة يدِ الملك حقاً».

شدَّ جوفري قامته إلى جوارها وقال بصرامة: «احترس لأسلوبك مع خطييتي».

قالت سانزا بسرعة لتهدئة غضب أميرها: «أستطيعُ الإجابة»، ثم ابتسمت للفارس الأخضر وقالت: «خوذتك عليها قرون ذهبية يا سيدي، والوعَل رمز العائلة الملكية. الملك روبرت لديه أخوان، لكن بيسنك الصَّغيره هذه لا يُمكن أن تكون غير رنلي باراثيون، حاكم ستورمز إند ومستشار الملك».

قال السير بارستان ضاحكاً: «بيسن الصَّغيرة هذه لا يُمكن أن يكون غير قرْد متبختر!».

انتشرت الضَّحكات بين الموجودين، يقودها اللورد رنلي نفسه. تبدَّد توتر اللحظات القليلة الماضية وبدأت سانزا تَشعر بالارتياح... إلى أن مرَّ السير إلين باين بين رجلين مزيحاً إياهما بكتفيه، ووقفَ أمامها دون أن يتنسم أو يقول شيئاً. كَثُرَت ليدي عن أنيابها وبدأت تُزمر بصوتٍ خفيض مغمم بالتهديد، لكن سانزا هذه المرَّة أسكتت الذئبة بلمسة خفيفة على رأسها، وقالت: «آسفةٌ إذا كنتُ ضايقتك يا سير إلين». انتظرت منه إجابةً لم تأت. كانت نظرات عينيه الشَّاحبتين كأنها تُجرِّدها من ثيابها قطعةً قطعةً، ثم من جلدها، فلا يتبقَّى غير روحها عاريةً أمامه. ثم إنه استدارَ وابتعدَ دون أن ينبس بحرفٍ واحد. لم تفهم سانزا، ونظرت إلى أميرها قائلةً: «هل قلتُ شيئاً خطأ يا سمو الأمير؟ لماذا لا يُكلِّمني؟».

كان اللورد رنلي هو من أجابها قائلاً بابتسامةٍ مأكرة: «السير إلين منقطع عن الكلام منذ أربعة عشر عاماً».

شدَّ جوفري نظره احتقارٍ خالص نحو عمِّه، ثم التقطَ يدها في يده وقال: «إيرس تارجارين أمرٌ بانزع لسانه من جذوره بكلايةٍ ساخنة».

وأضافت الملكة: «لكنه يتكلّم بفصاحة أكبر بسيفه، وإخلاصه للبلاد لا شك فيه»، ثم ابتسمت برقّة وقالت: «سانزا، يجب أن أتحدّث مع حضرة المستشارين إلى أن يعود الملك مع أبيك، وأخشى أن علينا تأجيل يومك مع مارسلا. أرجو أن تُبلّغي أختك اللّطيفة اعتذاري. جوفري، ربما عليك أن تُرافق ضيفتنا اليوم».

قال جوفري بلهجة رسميّة جدّا: «من دواعي سروري أن أفعل يا أماء»، وتأنّب ذراعها وقادها بعيدًا عن المركبة، وارتفعت معنويّات سانزا إلى عنان السّماء. يومٌ كامل مع أميرها! حملت في جوفري بافتتان. إنه شديد الشّهامة والتّبل، والطّريقة التي أنقذها بها من كلب الصّيد والسير إلين كادت تكون كما القصص البطوليّة في الأغاني، تمامًا كما أنقذ السير سروين ذو التّرس المرأة الأميرة دايريسا من العماقة، أو عندما دافع إيمون الفارس الثّنين عن شرف الملكة نيرس ضد افتراءات السير مورجيل الشرّير.

كانت لمسة يد جوفري على كُمّ فستانها تجعل قلبها يخفق بسرعة. سألتها: «ماذا تريدان أن تفعلني؟».

أريد أن أكون معك، فكّرت، لكنها قالت: «أيا كان ما تريده يا أميرى». فكّر قليلًا، ثم قال: «يُمكننا أن نركب الخيل».

- «إنني أعشق ركوب الخيل!».

اختلس جوفري نظرة وراءه إلى ليدى التي تتبعهما، وقال: «ذئبتك ستُخيف حصانينا وكلبي يُخيفك، فدعينا نتركهما هنا وننطلق وحدنا. ما رأيك؟».

تردّدت سانزا قليلًا، ثم قالت: «يُمكنني أن أقيّد ليدى على ما أعتقد». لكنها لم تكن تفهم بالضّبط، فأضافت: «لم أكن أعلم أن لديك كلبًا». ضحك جوفري وقال: «إنه كلب أمي في الواقع. لقد أمرته بحراستي، وهذا ما يفعله».

- «تَقْصِدُ كَلْبَ الصَّيْدِ»، قالت شاعرة بالرَّغبة في صفع نفسها لُبَّاء تفكيرها. إن أميرها لن يُجِيبَهَا أَبَدًا إذا رآها غَبِيَّةً: «هل ستكون آمِنٌ إذا لم يكن معنا؟».

بدا الأمير جوفري مستاءً من مجرد السؤال، وقال: «لا تخافي يا سيِّدتي. إنني أكادُ أصبح رجلاً بالغاً، ولا أقاتل بالخشب كماخوتك. كل ما أحتاجه هو هذا»، وسحب سيفه ليربِّها إياه. كان سيفاً طويلاً ثمَّ تقصيره ببراعة لِيُنَاسِبَ صَبِيًّا في الثانية عشرة، مصنوعاً في قلعة بنصليين من الفولاذ الأزرق اللامع، له مقبض من الجلد وقبضة على شكل رأس أسد ذهبي. أطلقت سائرا صبيحة إعجاب وبدا جوفري مسروراً وهو يقول: «أطلقتُ عليه اسم "ناب الأسد"».

وهكذا تركا ذُبَّتْها الرَّهبة وحارسه الشَّخصي وانطلقا شرقاً على ضفَّة النَّالوث الشَّمالِيَّة دون ضُحبة بخلاف سيف الأمير جوفري.

كان نهاراً جميلاً، نهاراً ساحراً.. الهواء دافئ عبق بعير الزُّهور، وللغابة هنا طابع من الجمال الرقيق الذي لم تعرفه سائرا في الشَّمال. كان جوفري يمتطي حصان سباق ذا لون بُني داكن سريعاً كالريِّح، وقد ركضَ به بحماسة متهوِّرة حتى أن سائرا بذلَّت كلَّ ما لديها كي تستطيع فرسها معجاراته. كان يوماً من المغامرات استكشفاً في الكهوف التي تطل على ضفَّة النَّهر واقتنيا أثر أحد قِطَط الظِّل⁽¹⁾ إلى عرينه، وعندما شعرا بالجوع عثر جوفري على معقل صغير عن طريق الدُّخان الذي يَخْرُج منه، وأمرهم بإحضار الطَّعام والنَّبيذ لأمرهم وسيِّدته. هكذا تناولا سمك الترويت الطَّازج من النَّهر، وشربت سائرا نبيذاً أكثر مما فعلت من قبل على الإطلاق. قالت لأمرها معترفةً: «أبي يسمح لنا باحتساء كأسٍ واحدة فقط، وفي المآدب فقط».

قال وهو يعيد ملء كأسها: «خطيبي يُمكنها أن تشرب كما تشاء».

(1) نوع من الأسود الجليَّة من ابتكار المؤلِّف.

بطأت حركتهما بعد الأكل، وغنى جوفري لها وهما على صهوتي الحصانين بصوت عالٍ عذب، وقالت سانزا وهي تشعر بشيء من الدوار من جرّاء النّيبذ: «ألا يجدر بنا أن نعود؟».

قال جوفري: «بعد قليل. أرض المعركة تقع أمامنا مباشرة، حيث ينحني مجرى النّهر. هذا هو المكان الذي قتل فيه أبي ريجار تارجارين. لقد حطّم صدره من تحت درعه، كراش!»، ولوّح بمطرقة حربية خيالية ليُرِيها طريقة تسديد الضربة، قبل أن يُردف: «ثم قتل خالي جايمي الملك إيرس وأصبح أبي ملكًا و... ما هذا الصّوت؟».

سانزا أيضًا سمعت الصّوت قادمًا عبر الغابة. كان أقرب إلى فقعة معدنية... سنالك، سنالك، سنالك! قالت: «لا أدري»، لكن الصّوت كان يشير نوثرها بما يكفي، فأضافت: «جوفري، لنذهب من هنا».

قال: «أريد أن أرى»، وأدار حصانه في اتجاه الصّوت، فلم يكن أمام سانزا سوى أن تتبعه. صار الصّوت أعلى وأوضح، صوت اصطدام الخشب بالخشب، ومع اقترابهما سمعا أنفاسًا ثقيلة كذلك، ونخيرًا بين الحين والآخر.

قالت سانزا بقلق: «أحدهم هناك»، ووجدت نفسها تُفكّر في ليدي، وتمنّت لو كانت الذئبة الرّهية معها الآن.

سحب جوفري سيفه من غمده وقال: «أنت آمنة معي». جعلها صوت سحب الفولاذ على الجلد ترتجف، وقال جوفري عابراً صفًا من الأشجار: «من هنا».

وراء الأشجار، في بُقعة خالية من الأرض تطلّ على النّهر، وجدا ولدًا وبتًا يلعبان كالفُرسان. كان سيفهما عبارة عن عصاتي مكنسة خشبيتين كما يبدو من شكلهما، وكان الاثنان يتحرّكان بسرعة على العُشب ويهويان بالعصاتين بحماسة ونشاط. كان الولد أكبر منها بأعوام، وأطول منها بمقدار رأسٍ كامل، وهجمته ضاغطة. كانت البنت النّحيلة التي ترتدي

الجلد المتسخ تُراوغه وتصدُّ أغلب ضرباته بالعصا، لكن ليس جميعها. عندما حاولت الانقضاض عليه، صدَّ عصاها بعصاه وأزاحها جانباً ثم هوت العصا على أصابعها، فصرخت متألِّمة وتركت سلاحها يسقط. ضحك الأمير جوفري، ورفع الولد عينين متسعيتين دُعرًا نحوه وسقطت عصاه وسط العُشب، وحدقت فيهما البنت وهي تمصُّ مفاصل أصابعها لتخفيف الألم، وحدقت فيها سائزاً بارتياح وصاحت مشدوهة: «آريا؟!». صاحت آريا بدورها ودموع الغضب في عينيها: «ابتعدا. ماذا تفعلان هنا؟ دعانا وشأننا».

نقل جوفري بصره من آريا إلى سائزاً تارةً وأخرى، ثم قال: «أختك؟»، فهزت رأسها إيجاباً وقد تضرَّج وجهها بحمرة الخجل. تفحص جوفري الولد غليظ الملامح ذا الوجه المليء بالنمش والشعر الأحمر الكثيف. «من تكون يا ولد؟»، سأل بنبرة امرأة تجاهلت تمامًا حقيقة أن الآخر يُكبره بعام كامل.

تمتم الولد وقد تعرَّف على الأمير وخفض بصره: «مايكا يا سيدي». قالت سائزاً: «صبي الجزار».

وصاحت آريا بحدَّة: «دعه وشأنه. إنه صديقي».

قال جوفري: «صبي الجزار يريد أن يُصبح فارساً، أليس كذلك؟»، ووثب من فوق حصانه وسيفه في يده وقال والاستمتاع يلمع في عينيه: «التقط سيفك يا صبي الجزار، لنرَ براعتك».

وقف مايكا في مكانه متجمِّداً من الخوف، بينما مشى جوفري نحوه قائلاً: «هَلَمْ، التقطه، أم أنك تُبارز الفتيات الصغيرات فحسب؟».

قال مايكا: «هي التي طلبت مني يا سيدي، هي التي طلبت مني».

لم يكن على سائزاً إلا أن تُلقي نظرة واحدة على آريا وترى احمرار وجهها لتعرف أن الولد كان يقول الحقيقة، لكن جوفري لم يكن في مزاج للإصغاء، والنبيذ جعله يتصرف باندفاع. هكذا قال: «ألن تلتقط السيف؟».

هَزَّ مَايكَا رَاسَهُ رَفَضًا وَقَالَ: «إِنهَا مَجْرَدُ عَصَا يَا سَيِّدِي، لَيْسَتْ سِيفًا
بَلْ مَجْرَدُ عَصَا».

- «وَأَنْتَ مَجْرَدُ صَبِي جَزَّارٍ وَلَسْتَ فَارِسًا»، وَرَفَعَ جَوْفَرِي "نَابِ
الْأَسَدِ" وَوَضَعَ رَاسَهُ عَلَى وَجْهَةِ مَايكَا تَحْتَ عَيْنِهِ مَبَاشَرَةً وَالْوَلَدُ يَقِفُ فِي
مَكَانِهِ يَرْتَعَشُ. «هَذِهِ الَّتِي تَضْرِبُهَا هِيَ أُخْتُ سَيِّدَتِي، هَلْ تَعْرِفُ هَذَا؟».
بَزَخَتْ قَطْرَةٌ قَانِيَةً مِنَ الدَّمِ حَيْثُ ضَغَطَ سَيْفُهُ فِي لَحْمِ الْوَلَدِ، وَسَالَ خِيْطُ
أَحْمَرٍ رَفِيعٍ عَلَى وَجْهِهِ.

صَرَخَتْ آرِيَا: «كُفَّ عَنْ هَذَا!»، وَالتَقَطَتْ عَصَاهَا مِنْ عَلَى الْأَرْضِ.
قَالَتْ سَانْزَا خَائِفَةً: «آرِيَا، لَا تَتَدَخَّلِي».

قَالَ الْأَمِيرُ جَوْفَرِي لِآرِيَا دُونَ أَنْ يُبْعِدَ عَيْنَيْهِ عَنْ صَبِيِّ الْجَزَّارِ «لَنْ
أُؤْذِيهِ... كَثِيرًا».
وَانْقَضَتْ آرِيَا عَلَيْهِ.

تَرَجَّلَتْ سَانْزَا عَنْ فَرَسِهَا، لَكِنِّهَا كَانَتْ أَبْطَأَ مِنَ اللَّازِمِ. هَوَتْ آرِيَا
بِعَصَاهَا، وَارْتَفَعَ صَوْتُ طَقْطَقَةِ عَالٍ مَعَ تَشَقُّقِ الْخَشَبِ عَلَى مُؤَخَّرَةِ رَأْسِ
الْأَمِيرِ، ثُمَّ حَدَثَ كُلُّ شَيْءٍ فِي آنٍ وَاحِدٍ أَمَامَ عَيْنَيْ سَانْزَا الْمَذْعُورَتَيْنِ. دَارَ
جَوْفَرِي حَوْلَ نَفْسِهِ مَتَرْنَحًا وَالشَّتَائِمُ تَنْهَالُ مِنْهُ، بَيْنَمَا رَكَضَ مَايكَا إِلَى
الْأَشْجَارِ بِأَسْرَعِ مَا اسْتَطَاعَتْ قَدَمَاهُ، ثُمَّ هَوَتْ آرِيَا بِالسَّيْفِ عَلَى الْأَمِيرِ
مِنْ جَدِيدٍ، لَكِنِ جَوْفَرِي صَدَّ الضَّرْبَةَ هَذِهِ الْمَرَّةَ بِسَيْفِهِ وَانْتَزَعَ بِهِ عَصَاتِهَا
الْمَكْسُورَةَ مِنْ يَدِهَا. كَانَتْ الدِّمَاءُ تُغْرِقُ مُؤَخَّرَةَ رَأْسِهِ وَنَارُ الْغَضَبِ مُشْتَعِلَةٌ
فِي عَيْنَيْهِ. صَرَخَتْ سَانْزَا: «لَا، لَا، كَفَى، تَوَقَّفَا كَلَاكُمَا، إِنَّكُمَا تُفْسِدَانِ كُلَّ
شَيْءٍ!»، لَكِنِ لَا أَحَدَ مِنْهُمَا كَانَ يُصْغِي إِلَيْهَا. التَقَطَتْ آرِيَا صَخْرَةً صَغِيرَةً
مِنْ عَلَى الْأَرْضِ وَرَمَتْهَا نَحْوَ رَأْسِ جَوْفَرِي، لَكِنِّهَا أَصَابَتْ حِصَانَهُ الَّذِي
رَفَعَ قَائِمَتَيْهِ الْأَمَامِيَّيْنِ ثُمَّ انْطَلَقَ يَعْذُو وَرَاءَ مَايكَا. ظَلَّتْ سَانْزَا تَصْرُخُ
فِيهِمَا مَنَاشِدَةً أَنْ يَتَوَقَّفَا، لَكِنِ جَوْفَرِي شَقَّ الْهَوَاءَ بِسَيْفِهِ نَحْوَ آرِيَا مُغْرِقًا
إِيَّاهَا بِأَقْدَعِ وَأَحْطَّ الشَّتَائِمِ. تَرَاجَعَتْ مِنْ أَمَامِهِ وَقَدْ أَصَابَهَا الْخَوْفُ، لَكِنِ

تبعها دافعاً إياها نحو الغابة وحاصرها وظهرها إلى شجرة. لم تعرف سانزا ماذا تفعل، وشاهدت ما يحدث بعجز ودموعها تكاد تُعميها.

ثم مرق الجسم الرمادي إلى جوارها، وفجأة كانت نايميريا هناك، تثب لتقبض بفكيها على يد الأمير التي تحمل السيف. أفلتت أصابعه السلاح إذ أسقطته الذئبة على ظهره، وتدحرج الاثنان وسط العشب.. الذئبة تُزمرجر وتُمزق ذراعه والأمير يعوي ألماً ويصرخ: «أبعدني عني! أبعدني عني!».

قالت آريا بصوت قاطع كالسوط: «نايميريا!»، فتخلت الذئبة الرهيبة عن جوفري ووقفت إلى جوار صاحبتها، بينما تمدد الأمير وسط العشب ينتحب ويسند ذراعه المشوهة بيده الأخرى، وأغرقت الدماء قميصه. قالت آريا: «إنها لم تؤذك... كثيراً»، ثم التقطت "ناب الأسد" من حيث سقط، ووقفت فوق جوفري حاملة السيف بيديها معاً.

أصدر جوفري صوتاً باكية خائفاً ونظر إليها قائلاً: «لا، لا تؤذي، سأخبر أمي».

وصرخت سانزا في أختها: «دعيه وشأنه!».

دارت آريا وألقت السيف في الهواء واضعة ثقلها كله وراء الرمية، وتألقت الفولاذ الأزرق والسيف يدور في الهواء قبل أن يسقط في النهر ويختفي نائراً المياه. أطلق جوفري أنبناً، وركضت آريا إلى حصانها ونايميريا وراءها مباشرة.

ذهبت سانزا إلى الأمير جوفري بعد رحيلهما. كانت عيناه مغلقتين ألماً وأنفاسه ثقيلة، وركعت سانزا إلى جواره وقالت باكية: «جوفري، أوه، انظر ماذا فعلوا، انظر ماذا فعلوا بك. لا تخف، سأذهب إلى المعقل وأعود بالنجدة»، ومدت يدها وتحسست شعره الأشقر برقة.

انفتحت عيناه وحدقتا فيها، ولم يكن فيهما شيء سوى المقت، لا شيء سوى الاحتقار الخالص، وقال كأنه ييئس: «اذهبي إذن... ولا تلمسيني!».



إدارد

- «لقد عشروا عليها يا سيدي».

نهض ند بسرعة قائلاً: «رجالنا أم رجال لانستر؟».

أجابه وكيله فايون پول: «چوري هو من عثر عليها. إنها سليمة تمامًا».

غمغم ند: «الشكر للآلهة». كان رجاله يبحثون عن آريا منذ أربعة أيام كاملة، لكن رجال الملكة خرجوا للتفتيش عنها كذلك. «وأين هي؟ قل لچوري أن يأتي بها فوراً».

أجابه پول: «أسف يا سيدي، لكن الحُرَّاس على البوابة كانوا من رجال لانستر، وأخبروا الملكة لدى عودة چوري بها. لقد أخذوها لتمثل أمام الملك مباشرة».

- «تبا لتلك المرأة!»، صاح ند وهو يقطع المسافة إلى الباب بخطوات واسعة. «اعثر على سائز واثب بها إلى قاعة المقابلات، فقد نحتاج إلى شهادتها». نزل درجات البرج بثورة عارمة. كان قد قاد البحث بنفسه طوال الأيام الثلاثة الأولى، ومنذ اختفت آريا لم ينم لأكثر من ساعة. هذا الصباح كان يشعر بكميد وإعياء شديدين حتى أنه استطاع الوقوف بصعوبة، لكن قواه تجددت الآن وقد استشاط غضبًا.

نادى الرجال عليه وهو يقطع ساحة القلعة، لكن ند تجاهلهم وهو يتحرك بسرعة. كان يود أن يجري إليها، لكنه ما زال يد الملك ولا بد أن يحافظ على وقاره. كان مدركا العيون التي تتبعه والأصوات المكتومة

التي تتسائل عما سيفعله. كانت القلعة عبارة عن ملك متواضع على بُعد نصف يوم جنوب الثالث، وقد نزل الموكب الملكي غير مدعو على سيد القلعة السير رايمون داري بينما دار البحث عن آريا وصبي الجزار على جانبي النهر. لم يكونوا زوّاراً مرحّباً بهم، فصحيح أن السير رايمون كان يعيش تحت سلام الملك، لكن عائلته كانت قد حاربت تحت راية تين ريجار تارجارين في معركة الثالث وسقط إخوته الثلاثة الكبار هناك، وهي الحقيقة التي لم ينسها روبرت أو السير رايمون. مع احتشاد رجال الملك ورجال داري ورجال لانستر ورجال ستارك في قلعة واحدة أصغر من أن تضمّهم جميعاً، كان التوتر على أشده.

كان الملك قد استأثر بقاعة المقابلات في قلعة السير رايمون، وهناك وجدّهم ند. كانت القاعة مزدحمة عندما دلف ند إليها مندفعاً.. مزدحمة أكثر من اللازم في رأيه. باستطاعته أن يحلّ المسألة ودّيّاً مع روبرت لو تُركا وحدهما، أو هكذا كان يأمل. كان روبرت يجلس مسترخياً على مقعد داري العالي في أقصى القاعة وقد بدا عليه الوجوم، وإلى جواره تقف سرسي لانستر وابنها. كانت الملكة تضع يدها على كتف چوفري الذي أحاطت بذراعه ضمادات حريّة سميكة.

آريا كانت تقف في منتصف القاعة، لا أحد معها على الإطلاق باستثناء چوفري كاسل، والعيون كلها مسلّطة عليها. صاح ند باسمها واندفع نحوها وحذاؤه يدقّ على الأرضية الحجرية، وأطلقت بدورها صيحة لماً رآته وبدأت تنشج. ركع ند على ركبته واحتوى جسدها المرتجف بين ذراعيه، وأخذت هي تُردّد باكية: «أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة».

قال: «أعرف». كانت ضئيلة الحجم للغاية بين ذراعيه، مجرد فتاة صغيرة شديدة النحول، يصعب أن تتخيّل أنها تسببت في كل هذه المتاعب. «هل تأذيت؟».

- «لا». كان وجهها متسخاً وتركت دموعها أثراً وردّياً على وجنتيها.

«جائعة بعض الشيء. أكلتُ بعض الثَّوت، لكن لم يكن هناك غيره». قال ند: «سُطِّعِمَكَ قَرِيبًا جَدًّا»، ثم نهَضَ لِيُواجِهَ الْمَلِكَ قائلاً: «ما معنى هذا؟». مسَّحتْ عيناه المكان بحثاً عن وجوه صديقه، لكن بخلاف رجاله كان هناك القليل منها. حافظَ السير رايمون داري على ملامحه خاليةً من التَّعبير، ورسمَ اللورد رنلي على شفثيه ابتسامةً خفيفةً قد تعني أيَّ شيء، بينما كان السير باريستان متجهِّم الملامح، أمَّا البقية فكانوا من رجال لانستر ذوي الطَّابع العدواني. لحُسْنِ الحظِّ أن چايمي لانستر وساندور كليجاين كانا غائِبَين، يقودان فِرَقَ البحثِ شمالَ الثَّالوث. كان صوت ند رنَّاناً وهو يقول بنبرة غاضبة: «لِمَ لم يُخبرني أحد أن ابنتي قد عُثِرَ عليها؟ ولمَ لم يأتِ أحدهم بها لي في الحال؟». كان يُخاطب روبرت، لكن سرسي لانستر هي من أجابت قائلة: «كيف نجرؤ على مُخاطبة ملكك بهذا الأسلوب؟».

عندئذٍ تحرَّكَ الْمَلِكُ وقال بحدَّة: «صمتاً يا امرأة»، ثم اعتدلَ في مقعده وقال: «أسفٌ يا ند، لم أقصد أن أخيف الفتاة، لكن بدا من الأفضل أن نأني بها إلى هنا وننتهي من هذه المسألة سريعاً».

قال ند بنبرة باردة كالجليد: «أيُّ مسألة هذه؟».

خطَّتِ الْمَلَكَةُ إلى الأمام قائلة: «تعرف جيِّداً أيُّ مسألة يا ستارك. ابنتك هذه تهجَّمت على ابني، هي وصديقها صبي الجزار، وذِبتَها حاولتَ انتزاع ذراعاه».

صاحت آريا: «غير صحيح! لقد عضَّته قليلاً فقط لأنه كان يؤذي مايكاً».

قالت الْمَلَكَةُ: «چوف أخبرنا بما حدث. أنتِ وصبي الجزار ضربتماه بالهراوات بينما أطلقتِ ذِبتك عليه».

ردَّت آريا والدُّمُوع تتجمَّع في مقلتيها مرَّةً أخرى: «هذا ليس ما حدث».

وضَعَ نديده على كتفها، بينما صاحَ الأمير: «هذا هو ما حدث بالضبط! لقد هاجموني كلهم، ثم أَلَقَتْ هي "ناب الأسد" في النهر!». لاحظَ ند أنه لم يَنْظُر ولو مرةً نحو آريا وهو يتكلم، أمّا هي فصرخت: «كاذب!».

وصرخَ فيها الأمير: «اخرسي!».

هدَرَ المَلِك وهو ينهض من مقعده وقد أفعَمَ الحنقَ صوته: «كفى!». رَانَ الصَّمْتُ، ورمقَ روبرت آريا من وراء لحيته الكثَّة قائلًا: «والآن يا بُنَيَّ سوف تُخبريني بما حدث، ستُخبريني بكلِّ شيءٍ وستقولين الحقيقةَ كاملةً. الكذب على مَلِك جريمةٌ كُبرى»، ثم نظرَ إلى ابنه وقال: «سيحين دورك بعدها، فالزم الصَّمْتُ حتى ذلك الحين».

بدأت آريا تروي قصَّتها، وبعد قليل سمعَ ند الباب يُفَتَح من ورائه، فألقى نظرةً ورأى فايون بول يَدْخُل مع سائزاً، ووفقاً صامتتين في مؤخِّرة القاعة وآريا تتكلم. عندما وصلت إلى الجزء الذي أَلَقَتْ فيه سيفَ جوفري في مياهِ الثالوث، بدأ رنلي باراثيون يضحك، فقال المَلِك بخشونة: «سير بارستان، اصحب أخِي إلى خارج القاعة قبل أن يختنق».

كتمَ اللورد رنلي ضحكته وقال: «أخي شديد الكرم، لكنني أستطيعُ العثور على الباب بنفسِي»، ثم انحنى لجوفري وقال له: «ربما يُمكنك أن تحكي لي لاحقاً كيف استطاعت فتاة في التاسعة من عُمرها في حجمِ فأرٍ مبتل أن تُجَرِّدَكَ من سيفك بعضاً مكنسة وتُلقي به النهر»، وقبل أن يغلق باب القاعة ورائه سمعه ند يُقهقه ساخراً ويقول: «"ناب الأسد"!».

كان الأمير جوفري ممتقع الوجه وهو يحكي نُسخته من القصة، وعندما فرغَ من الكلام نهضَ المَلِك متثاقلاً من مقعده بادياً كرجل يرغب أن يكون في أيِّ مكانٍ آخر غير هنا، وقال: «ما الذي يَجْدُرُ بي أن أفهمه من هذا بحقِّ الجحائم السَّبع؟ هي تقول شيئاً وهو يقول شيئاً آخر».

قال ند: «إنهما لم يكونا الوحيدَيْن هناك. سائزاً، تغالي هنا». كان قد

سمع نُسختها من القصة ليلة اختفاء آريا، ويعرف الحقيقة. «أحكي لنا ما حدث».

تقدّمت ابنته الكبيرة بتردّد. كانت ترتدي ثوبًا من المخمل الأزرق الموشى بالأبيض، وتضع سلسلة من الفضة حول عنقها، ومُشّط شعرها الكستنائي الثقيل حتى صار يلمع. اختلست النظر إلى أختها ثم إلى الأمير الصغير، ثم قالت دامعة والرغبة في الفرار بادية تمامًا عليها: «لا أدري، لا أذكر... كل شيء حدث بسرعة شديدة ولم أر...».

صرخت آريا: «أيتها العفنة!»، واندفعت نحو أختها كالسهم لتطرح سائرًا أرضًا على ظهرها وتوسعها لكما وهي تردّد صارخة: «كاذبة! كاذبة! كاذبة! كاذبة!».

صاح ند: «آريا، توقفي عن هذا!»، وجذبها چوري من فوق أختها وهي تركل الهواء بقدميها. كانت سائرًا شاحبة ترتجف وند يُساعدها على الوقوف. سألها إن كانت بخير، لكنها كانت تُحمِل في آريا ولم يبدُ أنها سمعته.

قالت سرسي لانستر: «الفتاة متوحشة كحيوانها القدر. روبرت، أريدها أن تُعاقب».

قال روبرت ساخطًا: «بحقّ الجحائم السبع! سرسي، انظري إليها، إنها مجرد طفلة. ماذا تريدني أن أفعل؟ أجلبها بالسّياط في الشوارع؟ الأطفال يتشاجرون وهذا كل ما هنالك. لم يقع لأحدهما ضرر دائم وانتهى الأمر».

قالت الملكة غاضبة: «جوف سيحمل هذه الندوب طوال حياته».

رمق روبرت باراثيون ابنه الأكبر قائلًا: «حقًا، ولربما علّمته درسًا. ند،

اعمل على تأديب ابنتك وسأفعل المثل مع ابني».

قال ند بارتياح: «بكل سرور يا جلالة الملك».

بدأ روبرت يتعدّد، لكن الملكة لم تكن قد انتهت بعد، ونادت عليه قائلة: «وماذا عن الذئبة الرهيبة؟ ماذا عن الوحش الذي هاجم ابنك؟».

توقَّف المَلِك والتفتَ قائلاً بعبوس: «نسيْتُ أمر الذُّبَّة اللِّعينة». رأى ند آريا تتوتَّر بين ذراعي چوري الذي رفعَ صوته قائلاً: «لم نجد أثراً للذُّبَّة الرَّهيبة يا جلالة المَلِك».

لم يبدُ روبرت مستاءً لهذا، وقال: «حقًّا؟ ليكن إذن». قالت المَلِكة بصوت عالٍ: «مئة تئبن ذهبي لمن يأتي لي بفرونها». دمدم روبرت: «فروة مكلفَةٌ حقًّا، لكني لا أريدُ أن يكون لي دور في هذا يا امرأة. اشترى فروتك بذهب لانستر».

رمقته المَلِكة بنظرة باردة وقالت: «لم أحسبك بخيلاً هكذا. المَلِك الذي تزوَّجته كان ليضع فروة الذُّبَّة على فراشي قبل طلوع الفجر». اربدَّ وجه روبرت غضباً وأجابها: «من شأنها أن تكون حيلةً ممتازةً حقًّا في عدم وجود الذُّبَّة».

- «ثمَّة ذبَّة هنا»، قالت سرسي لانستر بصوتٍ شديد الهدوء، وإن التمعَّ الظفر في عينيها الخضراوين.

استغرقوا جميعاً لحظةً لاستيعاب كلماتها، وعندما فعلوا هزَّ روبرت كتفيه بضيق وقال: «كما تشائين. اجعلي السير إلين يتولَّى أمرها». قال ند معترضاً: «روبرت، لا يُمكنك أن تَقصِد هذا».

لم يكن المَلِك في مزاجٍ للمزيد من الجدل، وقال: «كُفِّي يا ند، لن أسمع المزيد. الذُّناب الرَّهيبة وحوش مفترسة، وعاجلاً أو آجلاً كانت هذه لتتقلب على ابنتك كما فعلت الأخرى مع ابني. أحضر لها كلباً وسيُسعدها أكثر».

كان هذا عندما استوعبت سانزا أخيراً، وقالت لأبيها بعينين متسعيتين خوفاً: «إنه لا يعني ليدي، أليس كذلك؟». رأت الحقيقة على وجهه، فقالت: «لا، لا، ليس ليدي. إنها لم تؤذِ أحداً، إنها مطيعة».

وصاحت آريا بغضب: «ليدي لم تكن هناك! دعوها وشأنها!». قالت سانزا متوسِّلةً: «أوقفهم، لا تتركهم يفعلوا هذا، أرجوك،

أرجوك... ليدي لم تفعل شيئاً، بل نايميريا... آريا هي المخطئة... ليدي لم تفعل شيئاً... لا تتركهم يؤذوا ليدي، سأجعلها مطيعة، أعدك، أعدك!». انفجرت باكياً، ولم يستطع ند إلا أن يحتويها بين ذراعيه، ودار بعينه في القاعة بحثاً عن روبرت صديقه القديم الأقرب إليه من أخ، وقال: «روبرت، أرجوك، بحق الحب الذي نُكِّثُ لي والحب الذي كنته لأختي، أرجوك».

تطلّع الملك إليهم لمدة طويلة، ثم التفت إلى زوجته قائلاً بمقت: «سُحَقاً لك يا سرسي».

نهض ند دافعاً سانزا عنه برفق وقد شعر بإرهاق الأيام الأربعة الماضية يعود إليه كاملاً، وبصوت باردٍ وحادٍ كالقولاذ قال: «افعلها بنفسك إذن يا روبرت. على الأقل تحلى بشجاعة أن تفعلها بنفسك».

رمق روبرت ند بعينين ميّتين خاليتين من أيّ تعبير، ثم غادر بخطواتٍ ثقيلة دون أن ينبس بكلمة، وخيم الصمت على القاعة. قالت سرسي لانستر بعد أن غادر زوجها: «أين الذئبة؟». كان الأمير جوفري يقف مبتسماً إلى جوارها.

أجاب السير بارستان سلمى على مضض: «إنها مقيّدة خارج حُجرة حراسة البوابة يا جلالة الملكة».

- «أرسل إلى إلين باين إذن».

- «لا»، قال ند. «جوري، خذ الفتاتين إلى عُرفتهما واثّ لي بـ "جليد". كان للكلمات مذاق المرّ في حلقه. «سأفعلها بنفسي إن كان ولا بُد».

رمقته سرسي لانستر بشكٍ قائلة: «أنت يا ستارك؟ أهذه حيلة ما؟ لماذا تفعلها أنت؟».

كان الجميع ينظرون إليه، لكن نظرة سانزا وحدها كانت المؤلمة حقاً وهو يجيب: «إنها من الشمال وتستحق ما هو أفضل من جرّار».

ترك ند القاعة بعينين متقدتين وبكاء ابتيه يتردّد في أذنيه. وجد الذئبة

الرَّهْبِيَّة الصَّغِيرَةَ حَيْث قَيَّدُوهَا، وَجَلَسَ إِلَى جَوَارِهَا قَلِيلًا وَقَالَ مَتَذَوِّقًا
الاسْمَ: «لَيْدِي». لَمْ يَكُنْ قَدْ أَعَارَ اهْتِمَامًا كَبِيرًا لِلْأَسْمَاءِ الَّتِي اخْتَارَهَا أَبْنَاؤُهُ،
لَكِنْ مَعَ تَطَلُّعِهِ إِلَيْهَا الْآنَ عَرَفَ أَنَّ سَانِزَا قَدْ انْتَقَتِ الْاسْمَ الْأَمْثَلَ لِذَيْبَتِهَا.
كَانَتْ أَصْغَرُ إِخْوَتِهَا حَجْمًا وَأَجْمَلُهُمْ شَكْلًا وَأَكْثَرُهُمْ رَقَّةً وَسُكُونًا. نَظَرَتْ
إِلَيْهِ بَعَيْنَيْهَا الذَّهَبِيَّتَيْنِ اللَّامِعَتَيْنِ وَفَرَكَ هُوَ فَرَوْهَا الرَّمَادِي الْكَثِيفَ.
وَبَعْدَ قَلِيلٍ جَاءَهُ جُورِي بِسَيْفِهِ.

وَعِنْدَمَا انْتَهَى الْأَمْرُ قَالَ أَمْرًا: «اخْتَرِ أَرْبَعَةَ رِجَالٍ وَاجْعَلْهُمْ يَأْخُذُونَ
الْجَنَّةَ سَمَالًا. يَجِبُ أَنْ تُدْفَنَ فِي وَيَتَرَفَّلَ».
قَالَ جُورِي بَدَهْشَةٍ: «سَيَقْطَعُونَ كُلَّ هَذَا الطَّرِيقِ؟».
- «سَيَقْطَعُونَ كُلَّ هَذَا الطَّرِيقِ. هَذِهِ الْفُرُوعُ بِالْتَّحْدِيدِ لَنْ تَرَاهَا ابْنَةً
لَا نَسْتَرُ أَبَدًا».

كَانَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْبُرْجِ لَيْسَلِمَ نَفْسَهُ لِلنُّومِ أَخِيرًا، عِنْدَمَا انْدَفَعَ سَانْدُور
كَلِيجَايْنِ وَرِجَالَهُ دَاخِلِينَ مِنْ بَوَابَةِ الْقَلْعَةِ وَقَدْ عَادُوا مِنَ الصَّيْدِ. كَانَ ثَمَّةُ
شَيْءٍ مَلْفَى عَلَى ظَهَرِ حِصَانِهِ، شَيْءٌ ثَقِيلٌ مَلْفُوفٌ بِمِعْطَفٍ دَامٍ، وَقَالَ كَلْبُ
الصَّيْدِ بِصَوْتٍ مَبْحُوحٍ: «لَا أَثَرُ لَابْتِكَ أَيُّهَا الْبَيْدُ، لَكِنِّهَا لَمْ تُكُنْ مُضِيعَةً
كَامِلَةً لِلْوَقْتِ، فَقَدْ عَثَرْنَا عَلَى حَيَوَانِهَا الْأَلِيفِ»، وَمَدَّ يَدَهُ وَدَفَعَ حَمُولَتَهُ
مِنْ فَوْقِ ظَهَرِ الْحِصَانِ لَتَسْقُطَ أَمَامَ نَدِ بِصَوْتٍ مَكْتُومٍ.

انْحَنَى نَدٌ مَزِيحًا الْمِعْطَفَ وَهُوَ يَشْعُرُ بِالرَّهْبَةِ مِمَّا يَجِبُ أَنْ يَقُولَهُ لَأَرِيَا،
لَكِنِّهَا لَمْ تُكُنْ نَايْمِيرِيَا، بَلْ مَايْكََا صَبِي الْجَزَّارِ الْمَغْطَى بِالْذَّمَاءِ الْجَافَّةِ.
كَانَتْ الْجَنَّةُ شَبَهَ مَشْقُوقَةٍ إِلَى نِصْفَيْنِ مِنَ الْكَتِفِ إِلَى الْخَاصِرَةِ مِنْ جَرَاءِ
ضَرْبَةٍ شَدِيدَةٍ الْعُنْفِ جَاءَتْ مِنْ أَعْلَى.
غَمَغَمَ نَدٌ: «لَقَدْ دَهَسْتَهُ بِحِصَانِكَ».

تَأَلَّقَتْ عَيْنَا كَلْبِ الصَّيْدِ مِنْ وَرَاءِ خُوذَتِهِ الْقَيْحِيَّةِ ذَاتِ شَكْلِ رَأْسِ
الْكَلْبِ وَقَالَ: «لَقَدْ جَرَى مِنِّي»، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى وَجْهِ نَدٍ وَأَضَافَ ضَاحِكًا:
«لَكِنْ لَيْسَ بِالسَّرْعَةِ الْكَافِيَةِ».



بران

كأنه يهوي منذ أعوام.

- طير... همس الصوت من قلب الظلام، لكن بران لا يعرف الطيران، وكل ما يستطيعه هو السقوط.

صنع المايستر لوين ولدًا صغيرًا من الفخار وخبزه حتى أصبح صلبًا وقابلًا للكسر، ووضع عليه ملابس بران، ثم ألقي به من فوق السطح. يتذكر بران الطريقة التي تهشم بها على الأرض، ويقول وهو يسقط: «لكنني لا أسقط أبدًا».

الأرض بعيدة جدًا في الأسفل حتى أنه يتبينها بصعوبة وسط سحب الضباب الرمادي الكثيف التي أخذت تدور من حوله، لكنه يدرك السرعة التي يسقط بها، ويعرف ما ينتظره هناك على الأرض. حتى في الأحلام لا يمكنك أن تظل تسقط إلى الأبد. يعرف أنه سيستيقظ قبل أن يصدم الأرض بلحظة واحدة. إنك تستيقظ قبل لحظة واحدة دائمًا من اصطدامك بالأرض.

يسأله الصوت: وإذا لم تستيقظ؟

الأرض أقرب الآن، لا تزال بعيدة بعيدة، تبعد ألف ميل وأكثر، لكن أقرب مما كانت... والبرد شديد هنا وسط الظلام، ليست هناك شمس أو نجوم، فقط الأرض في الأسفل ترتفع لتهشمه، والضباب، والصوت الهامس.

يريد أن يبكي.

- لا تبك... طير.

- «لا أستطيع الطيران، لا أستطيع، لا أستطيع».

- وكيف تعرف هذا؟ هل جربت من قبل؟

الصوت رفيع النبرة مرتفع. ينظر بران حوله ليرى من أين يأتي، ليُدرك أن غراباً يدور معه في الهواء مُخلِّقاً نحو الأرض بعيداً عن متناول يده، فيقول له: «ساعِدني».

- إنني أحاول. قل لي، هل معك ذرة؟

يمدُّ بران يده في جيبه والظلمة تدور على نحوٍ مدوّخ من حوله، وعندما يُخرِجها تنسكب بضعة حبوبٍ من الذرة الذهبية من بين أصابعه في الهواء وتُسْقَط معه، ثم يحطُّ الغراب على كَفِّهِ ويبدأ في التقاط الحبوب.

يسأله بران: «هل أنت غراب حقاً؟».

ويسأله الغراب: وهل أنت تسقط حقاً؟

يقول بران: «إنه مجرد حلم».

- أهو كذلك؟

- «سأستيقظ عندما أصل إلى الأرض».

- ستموت عندما تصل إلى الأرض، يقولها الغراب ويواصل التهام الذرة.

يَنظُرُ بران إلى أسفل. إنه يرى جبالاً الآن، قممها مكسوة بالثلج الأبيض، ويرى خيوط النُهيرات البَضِيَّة التي تشقُّ غابةً مظلمةً، ثم يُغْلِقُ عينيه ويبكي.

- لن ينفعك هذا. قلتُ لك إن الحلَّ في الطيران وليس البكاء. إنه ليس

بتلك الصَّعوبة. ها أنا ذا أطيّر.

يثب الغراب في الهواء ويخفق بجناحيه حول رأس بران.

يقول بران: «إن لديك جناحين».

- وربما لديك أيضًا.

يتحسّس بران كنفه بحثًا عن ريش ولا يجد.

- ثمة أنواع مختلفة من الأجنحة.

يُحدّق بران في ذراعيه وساقيه. إنه نحيل جدًّا، مجرد جلد مشدود على عظم. هل كان بهذا التحول دائمًا؟ يُحاول أن يتذكّر، فيخرج وجهه سابعًا من بين حُجب الضباب، يتألّق بلونٍ ذهبيٍّ باهر ويقول: «يا للأشياء التي أفعّلها من أجل الحب».

ويصرخ بران.

يُخلّق الغراب في الهواء ناعبًا ويصرخ فيه: ليس هذا، دعك من هذا، إنك لا تحتاجه الآن، نحّه جانبًا، اخفه من ذاكرتك. ثم يحطّ على كتف بران وينقره، فيختفي الوجه الذهبي.

إنه يسقط بسرعةٍ أشد الآن، والضباب يعصف من حوله وهو يندفع نحو الأرض. يسأل الغراب داعمًا: «ماذا تفعل بي؟».

- أعلمك كيف تطير.

- «لكني لا أستطيع أن أطير!».

- إنك تطير الآن.

- «إنني أسقط!».

- كلُّ طيرانٍ يبدأ بسقطة. انظر إلى أسفل.

- «إنني خائف».

- انظر إلى أسفل!

يَنظُر بران إلى أسفل ويشعر بمعدته تنقلب. إن الأرض تندفع إلى أعلى نحوه الآن. العالم كله منبسط من تحته، نسيج مزدان بالأبيض والأخضر والبني، ويرى بران كلَّ شيءٍ بوضوح تام حتى أنه نسي خوفه، يرى البلاد كلها وجميع من فيها.

يرى ويترفل كما تراها النُسور، البروج الشاهقة تبدو صغيرةً قصيرةً

من أعلى، وأسوار القلعة مجرّد خطوط على الأرض. يرى المايستر لوين في شرفته يُراقب السّماء عبر أنبوب برونزيّ مصقول ويعقد حاجبيه وهو يُدوّن ملاحظاته في دفتر. يرى أخاه روب أطول وأقوى مما يتذكّره، يتمرّن على المبارزة في السّاحة حاملاً سيفاً من الفولاذ الحقيقي. يرى هودور صبيّ الاسطبل العملاق الأبله يحمل سنداناً إلى ورشة ميكن، يرفعه على كتفه ببساطة كأنه مجرّد كومة من القش. في قلب أيكة الآلهة ترتفع شجرة الويروود البيضاء الضّخمة فوق انعكاسها في البركة السّوداء، وتحفّ أوراقها مع الرّياح الباردة. عندما شعرت الشّجرة ببران يُراقبها، رفعت عينيها من المياه الرّاكدة ونظرت إليه بدورها نظرة العليم.

يُنظر شرقاً، فيرى سفينة شراعية تشقّ مياه الخليج. يرى أمه تجلس وحدها في قمرة وتطلّع إلى خنجر ملوّث بالدم على المائدة أمامها، بينما يُحرّك البحّارة مجاديفهم ويميل السير رودريك على حاجز السفينة يرتجف ويلهث. ثمّة عاصفة تحتشد أمامهم، السّماء مظلمة هادرة تشقّها خيوط البرق، لكنهم بشكل ما لا يرونها.

يُنظر جنوباً، فيرى مياه الثّالوث المتدفّقة وقد اصطبغ فيها أزرق السّماء بأخضر الأشجار. يرى أباه يستعطف المَلِك والحُزن يكسو وجهه، ويرى سانزا تبكي حتى تنام ليلاً، بينما تُراقب آريا صامتةً وتحفظ بأسرارها في صدرها. ثمّة ظلال في كلّ مكانٍ حولهم، أحدها داكن كالرّماد له وجه كلب صيد مشوّه، وآخر ذهبيّ جميل كأنه مدرّع بنور الشّمس، وفوق الاثنين يرتفع عملاق في درع من الحجر، لكن عندما يفتح مقدّمة خوذته فليس هناك ما يرى غير الظّلام والدم الأسود الثّخين.

يرفع عينيه أكثر ويرى بانجلاء عبر البحر الضيّق، المُدن الحرّة وبحر الدوثرافي الأخضر وما بعده، فايس دوثراف في ظلّ جبلها وأراضي بحر اليشب الأسطوريّة، ثم أراضي آشاي الواقعة عند الظّل حيث دبّت الحياة في الثّنانين للمرّة الأولى تحت الشّمس السّاطعة.

ثم يَنْظُرُ شَمَالًا أخيرًا، ويرى "الجدار" يَبْرُقُ كالبَلُورِ الأزرق، وأخاه النُّغْلَ جَوْنِ نائِمًا في فِرَاشٍ بارد، يكتسب جِلْدَهُ شحوبًا وصلابةً وذكُرى الدَّفءِ تتسرَّب منه. ثم يَنْظُرُ وراء "الجدار"، وراء غاباتٍ بلا نهايةٍ مغلَّمةٍ بالثلج، وراء السَّاحِلَ المتجمَّد والأَنْهَارَ الجَلِيدِيَّةَ الزَّرْقَاءَ والبيضاء العظيمة والسُّهول الميتة التي لا ينمو فيها شيءٌ أو يعيش. شَمَالًا وشَمَالًا وشَمَالًا يَنْظُرُ حتَّى سِنَارِ الضُّوءِ عند حافَّةِ العالم، ثم يَنْظُرُ وراء ذلك السُّنَّارِ، يَنْظُرُ في قلب الشَّتَاءِ مباشرةً، ثم يَصْرُخُ برُعبٍ وتحرق دموعه السَّاخنة وجنتيه. يهمس الغُرابُ من فوق كتفه: الآن تعرف... الآن تعرف لِمَ يجب أن تعيش.

يَسْقُطُ بران وَيَسْقُطُ، وبلا فهمٍ يسأل: «لماذا؟».

- لأن الشَّتَاءَ قادم.

يَنْظُرُ بران إلى الغُرابِ على كتفه ويَنْظُرُ الغُرابِ إليه. إن لديه ثلاث أعين، والعين الثالثة ملأى بمعرفةٍ رهيبية. يَنْظُرُ بران إلى أسفل فلا يجد تحته الآن غير الثلج والبرد والموت، يرى أرضًا بيضاء قاحلةً يَبْرُزُ منها الجَلِيدُ كالجِرابِ، ويرى عظام ألف حالمٍ آخر مات مخورًا. يرى كُلَّ هذا ويشعرُ بخوفٍ يائس.

يسمع صوته هو خافتًا بعيدًا يقول: «هل من الممكن أن يكون رجل ما شجاعًا وهو خائف؟».

ويُجيبه صوت أبيه: «ليس من الممكن أن يكون الرجل شجاعًا إلا وهو خائف».

- الآن يا بران، يجب أن تختار... طير أو مُت.

يمدُّ الموت يده نحوه صارخًا...

... ويَبْسُطُ بران ذراعيه ويطير.

جناحان خفيَّان يتشرَّبَان الرِّيحَ ويملأانه ويدفعانه إلى أعلى لتراجع حِرابِ الجَلِيدِ الرَّهيبِ من تحته وتفتح السَّمَاءُ من فوقه. يُحَلِّقُ بران إلى

عنان السماء مفكراً أن هذا أفضل من التسلُّق، أفضل من أي شيء على الإطلاق، والعالم يصغر من تحته، ويهتف بران بسعادة: «إنني أطيّر!».

- لاحظتُ هذا، يقول الغراب ذو العيون الثلاث ثم يشب في الهواء خافقاً بجناحيه في وجهه ليُبطئ حركته ويحجب عنه الرؤية، فيتعثر بران في الهواء والجناحان يضربان وجتيه، ثم يطعنه الغراب بمنقارة بعنف ويشعر بران فجأةً بألم مُمضٍ في منتصف جبهته بين عينيه. يصرخ في الغراب: «ماذا تفعل؟!».

ويفتح الغراب مناقزه وينعب في وجهه بصوتٍ مخيفٍ يصمُّ الأذان، ثم يرتعد الضباب من حوله ويدور حوله قبل أن يتمزق كستار، فيرى بران أن الغراب في الحقيقة امرأة، خادمة ذات شعر أسود طويل يعرفها من مكانٍ ما في ويترفل. نعم، هذا صحيح، إنه يتذكرها الآن.

ثم أدرك بران أنه في ويترفل فعلاً، في فراشٍ في حُجرة باردةٍ في أحد الأبراج، وأسقطت ذات الشعر الأسود طستاً من الماء ليتحطَّم على الأرض، ثم جرت على السلالم هاتفةً: «لقد استيقظ! لقد استيقظ! لقد استيقظ!».

مسَّ بران جبهته بين عينيه. كانت البقعة التي نقره الغراب فيها لا تزال تؤلمه، لكن لا شيء هناك، لا دم أو جرح. كان يشعر بالضعف والدوار، وحاول النهوض من الفراش لكنه لم يستطع الحركة. ثم أحسَّ بحركةٍ إلى جوار الفراش، وحطَّ شيء ما بخفةٍ على قدميه فلم يشعر بشيء، ونظرَ زوج من العيون الصفراء الوضأة كالشمس في عينيه. كانت النافذة مفتوحة والغرفة باردة، لكن الدفء الذي انبعث من جسم الذئب احتواه كحمّام ساخن. إنه ذئبه، أليس كذلك؟ لكنه صار كبير الحجم جداً. مدَّ بران يداً مرتجفةً كورقة شجر ليداعبه.

وعندما اندفع أخوه روب إلى الحُجرة متقطع الأنفاس بعد أن صعد السلالم قفزاً، كان الذئب الرهيب يلحق وجه بران الذي رفع عينيه إلى أخيه وقال بهدوء: «سأسميه سمر».



كاتلين

- «سنرسو في كينجز لاندنج خلال ساعة».

التفتت كاتلين المرتكبة إلى حاجز السفينة وأجبرت نفسها على الابتسام قائلة: «رجالك على المجاديف أبلوا بلاءً حسناً وأوصلونا بسرعة أيها الربان. سيحصل كلٌ منهم على أيل فضي مني عرفاناً بالجميل». حيّاهم الربان موريو تورنيتيس بانحناءة صغيرة وقال: «هذا كرم كبير منك أيتها الليدي ستارك، لكن شرف وجود سيّدة عظيمة مثلك على متن السفينة هو كل ما يحتاجونه».

- «لكني سأعطيهم الفضة على كل حال».

ابتسم موريو قائلاً: «كما تأمرين». كان يتكلّم اللّغة العاميّة بطلاقة مع لكتة تايروشيّة خفيفة للغاية. كان قد حكى لها كيف أنه يُبحر في مياه البحر الضيق منذ ثلاثين عاماً كاملة، كمجدّف أولاً ثم قائد دفة، قبل أن يصير رباناً لسفنه التجاريّة الخاصّة. كانت "راقصة العواصف" - السفينة الشراعية ذات السّاريتين والسّتين مجدافاً - رابع سفنه وأسرعها. كانت أسرع سفينة متاحة في الميناء الأبيض بالتّأكيد عندما وصلت كاتلين والسير رودريك بعد رحلتهم النّهريّة السّريعة. على أن التايروشي سيّئي السّمعة ومعروفين بجشعهم، ما جعل السير رودريك يُحاول إقناعها باستئجار مركبٍ شراعي من "الأخوات الثلاث"، لكن كاتلين أصرت على هذه السفينة، ومن الجيّد أنها فعلت ذلك، لأن الرّياح كانت تهبُّ

معاكسةً لهم معظم الرحلة، ومن دون مجاديف السفينة كنت لتجدهم ما زالوا يتجاوزون جُزر "الأصابع" بالكاد بدلاً من أن يدنوا من كينجز لاندننج ونهاية الرحلة.

اقتربنا جدًّا، قالت لنفسها. كانت أصابعها لا تزال تنبض ألما من تحت الضمادات الكتانية حيث غاصَّ فيها الخنجر، لكن كاتلين اتَّخذت من الألم أداة تذكير خشية أن تنسى. لم تكن تستطيع لِيَّ آخر إصبعين في يُسراها، وبقية الأصابع لن تستردَّ مهاراتها القديمة كاملةً، لكنه ثمن زهيد رغم كلِّ شيءٍ لحياة بران.

اختار السير رودريك تلك اللحظة ليظهر على ظهر السفينة، فقال موريو من وراء لحيته الخضراء المتشعبة: «صديقي العزيز، من الجميل أن نراك أفضل أخيراً». كان التايروشي يُحبُّون الألوان الزاهية في كلِّ شيءٍ، حتى شعر الوجه.

أمن السير رودريك على كلامه قائلاً: «إنني أفضل فعلاً، فلم أتمنَّ الموت منذ يومين كاملين»، ثم انحنى لكاتلين وقال: «سيدتي».

كان يبدو أفضل بالفعل، صار أنحل بعض الشيء مما كان عندما غادروا الميناء الأبيض، لكن يكاد يعود إلى طبيعته من جديد. لم تكن رياح "الخليج الطويل" القويّة وقسوة البحر الضيق تُناسبه على الإطلاق، وكاد يسقط من على حاجز السفينة عندما أحاطت بهم العاصفة بغتةً على مسافةٍ من ساحل دراجونستون، لكنه تعلّق بشكلٍ ما بحبلٍ ما إلى أن استطاع ثلاثة من رجال موريو إنقاذه واصطحبته سالمًا إلى داخل السفينة. قالت كاتلين: «كان الرَبان يقول لي الآن إن رحلتنا على وشك الانتهاء».

قال السير رودريك بابتسامةٍ ساخرة: «بهذه السرعة؟». كان يبدو غريبًا من دون شواربه البيضاء الكبيرة، أضال بشكلٍ ما وأقلَّ عنفوانًا وأكبر سنًا بعشر سنوات. لكن وهم في "الخليج الطويل" كان من

الصَّوَابُ بالتَّأَكِيدُ أَنْ يَسْتَسْلِمَ لِمُوسَى أَحَدَ رِجَالِ الطَّاغُمِ، بَعْدَ أَنْ تَلَوَّثَتْ شَوَارِبُهُ بِلَا أَمَلٍ فِي تَنْظِيفِهَا لِلْمَرَّةِ الثَّلَاثَةِ وَهُوَ يَمِيلُ عَلَى حَاجِزِ السَّفِينَةِ وَيُفْرِغُ مَعْدَنَهُ فِي الْمَاءِ.

قَالَ الرِّبَّانُ مَورِيو: «سَأَتْرَكُكُمْ لِمُنَاقَشَةِ شُؤُونِكُمْ»، ثُمَّ انْحَنَى وَانصَرَفَ.

شَقَّتْ السَّفِينَةُ سَطْحَ الْمِيَاهِ الْمُزِيدَةَ كَأَنَّهُا يَعُصُوبُ، وَمَجَادِيفُهَا تَرْتَفِعُ وَتَتَخَفَضُ بِنَتَاسُقٍ تَامٍ. وَضَعَ السَّيْرُ رُودْرِيكَ يَدَهُ عَلَى الْحَاجِزِ وَرَمَقَ السَّاحِلَ الْبَادِي لِلْعِيَانِ وَقَالَ: «يَبْدُو أَنِّي لَمْ أَلْعَبْ دُورَ الْحَارِسِ الشُّجَاعِ كَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ أَفْعَلَ».

مَسَّتْ كَاتِلِينَ ذِرَاعَهُ قَائِلَةً: «لَقَدْ وَصَلْنَا بِأَمَانٍ يَا سَيْرُ رُودْرِيكَ، وَهَذَا هُوَ مَا يَهْمُ حَقًّا». تَلَمَّسَتْ يَدَهَا الْأُخْرَى الطَّرِيقَ تَحْتَ مِعْطَفِهَا بِأَصَابِعِ مَتَبَيِّسَةٍ مَرْتَبَكَةٍ، وَوَجَدَتْ الْخَنْجَرَ مَثْبُتًا إِلَى جَانِبِهَا. لَقَدْ وَجَدَتْ أَنَّ عَلَيْهَا أَنْ تَلْمَسَهُ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْآخِرِ لَتُطَمِّئَنَّ نَفْسَهَا. «وَالْآنَ عَلَيْنَا أَنْ نَصِلَ إِلَى قِيَمِ سِلَاحِ الْمَلِكِ، وَنَأْمَلَ أَنْ نَسْتَطِيعَ الثَّقَةَ بِهِ».

- «السَّيْرُ أَرُونِ سَانِتَاجَارَ رَجُلٍ مَغْرُورٍ، لَكِنَّهُ شَرِيفٌ». رَفَعَ السَّيْرُ رُودْرِيكَ يَدَهُ إِلَى وَجْهِهِ لِيُدَاعِبَ شَوَارِبَهُ وَاکْتَشَفَ مَرَّةً أُخْرَى أَنَّهَا لَمْ تَعُدْ مَوْجُودَةً فَبَدَأَ عَلَيْهِ الْاِسْتِيَاءُ. «مَنْ الْمَحْتَمَلُ أَنَّهُ يَعْرِفُ الْخَنْجَرَ، نَعَمْ... لَكِنَّا سَنُصَيِّحُ مَعْرَضَيْنِ لِلْخَطَرِ بِمَجَرَّدِ نَزُولِنَا مِنَ السَّفِينَةِ يَا سَيِّدَتِي، وَهَنَكَ أَشْخَاصٌ فِي الْبَلَاطِ سَيَتَعَرَّفُونَكَ فُورَ رُؤْيَاكَ».

زَمَّتْ شَفَتَيْهَا وَغَمَغَمَتْ: «الْإِصْبَعُ الصَّغِيرُ». سَبَحَ وَجْهُهُ أَمَامَهَا فِي الْهَوَاءِ، وَجْهُ الصَّبِيِّ وَإِنْ لَمْ يَعُدْ صَبِيًّا. كَانَ أَبُوهُ قَدْ مَاتَ مِنْذُ سِنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ، فَاصْبَحَ هُوَ اللَّوْرَدُ بَابِلِشَ، لَكِنَّهُمْ ظَلُّوا يَدْعُونَهُ بِلَقَبِ الْإِصْبَعِ الصَّغِيرِ. كَانَ أَخُوهَا إِدْمِيُورٌ قَدْ أَطْلَقَ عَلَيْهِ هَذَا الْإِسْمَ مِنْذُ سِنَوَاتٍ فِي رِيثَرَرْنِ. كَانَتْ أَمْلَاكُ عَائِلَتِهِ الْمُتَوَاضِعَةِ تَقَعُ عَلَى أَصْغَرِ جُزُرِ "الْأَصَابِعِ"، وَلِهَذَا كَانَ بِيْتَرُ نَحِيلًا قَصِيرَ الْقَامَةِ بِالنِّسْبَةِ لِعُمُرِهِ.

تنحنح السير رودريك وقال: «اللورد بايلش كان، آه...»، ثم شرده الكلام منه وهو يُحاول العثور على كلمة مهذبة.

لكن كاتلين قالت بلا كياسة: «كان مُرافق أبي الشخصِ. لقد نشأنا معاً في ريفررَن واعتبرته أخاً لي، لكن مشاعره نحوي كانت... أكثر من أخوية. عندما أعلن أنني سأتزوّج من براندون ستارك، دعاه بيتر إلى مبارزة على الحق في طلب يدي. كان تصرفاً مجنوناً. براندون كان في العشرين من عمره، بينما لم يبلغ بيتر الخامسة عشرة بعد. توسّلتُ لبراندون كي يُقي على حياته، فامتلأ وتركه بُدبة فقط، وبعدها صرفه أبي من خدمته ولم أره منذ ذلك الحين». رفعت وجهها إلى رذاذ الماء كأن باستطاعة الريح القويّة أن تحمل ذكرياتها بعيداً، وأضافت: «ثم إنه كتب لي في ريفررَن بعد مصرع براندون، لكنني أحرقتُ الرّسالة دون أن أفتحها، وفي ذلك الحين كنتُ عرفتُ أن ند سيتزوّج مني بدلاً من أخيه».

بحثت أصابع السير رودريك مرّة أخرى عن شواربه غير الموجودة، وقال: «الإصبع الصّغير عضو في المجلس الآن».

قالت كاتلين: «كنتُ أعرفُ أنه سيترقى في المناصب. لطالما كان بيتر ذكيّاً، حتى وهو صبيّ صغير، لكن الذكاء شيء والحكمة شيء آخر. أنساءلُ ترى ماذا فعلت به السنين؟».

نادى المُراقبون من أعلى الصّواري وبدأوا يشدون حبال الأشرعة، فخرج الرّبّان موريو إلى ظهر السفينة وبدأ يلقي أوامره هنا وهناك، ودبّ نشاط محموم في كلّ مكانٍ على متن "راقصة العواصف"، بينما لاخت كينجز لاندنج للأعين فوق تلالها الثلاثة العالية.

قبل ثلاثمئة عام كانت هذه المرتفعات مغطاة بالغابات، ولم يكن هناك غير حفنة من صيّادي الأسماك الذين يعيشون على الشّط الشمالي من النّهر الأسود، حيث يصبّ المجرى العميق السّريع مياهه في البحر. ثم أبحر إجون الفاتح من دراجونستون، وفي هذه البقعة هبط جيشه

على السَّاحِل، وهناك على أعلى التَّلَال شَيْدٌ أولِ حِصْنٍ بدائيٍّ بسيطٍ من الخشب والطَّمي. الآن كانت المدينة تُغَطِّي السَّاحِلَ على مدى البصر... منازل وبساتين صغيرة وصوامع غلال، مخازن من القرميد وبيوت من الخشب وأكشاك تُجَار، حانات ومقابر ومواخير، كلها مكوَّمة فوق بعضها بعضًا. كانت تسمع صخب سوق السمك حتى من على تلك المسافة. بين المباني كانت طُرُق واسعة اصطَفَّت فيها الأشجار وشوارع ملتوية متشعَّبة وأزقة شديدة الضيق حتى أن رجلين لا يستطيعان المشي جنبًا إلى جنب فيها. كان ثَلٌ فيزينا متوجًّا بسِيت بيلور الكبير بأبراجه البلورية السَّبعة، وعبر المدينة فوق ثَل رينس كان جُبُّ التَّانين بأسواره المسوَّدة وقُبَّتِه الضَّخمة المتداعية وأبوابه البرونزية المغلقة منذ قرنٍ كامل. كان شارع الأخوات يمتدُّ بين التَّلِين مستقيمًا كالسَّهم، بينما ارتفعت أسوار المدينة من بعيدٍ عاليةً قويَّة.

اصطفَ مئة مرسى على شَطِّ النَّهر وازدحمَ المرفأ بالسُّفن. جاءت قوارب الصَّيد والزوارق النَّهرية وذهبت، وشقَّ المراكبية مياه النَّهر الأسود بمجاديفهم، وأنزلت السُّفن التُّجارية حمولاتها القادمة من برافوس وليس وبتوس. لمحت كاتلين بارجة المَلَكَة ذات النَّقوش الممنَّقة راسيةً إلى جوار سفينة ضخمَةٍ لصيد الحيتان من ميناء إيبين بَدَنها مطلي بالقطران الأسود، بينما في اتِّجاء منبع النَّهر استقرَّت دسنة من السُّفن الحربية الرَّشيقة ذات اللَّون الذَّهبي في أحواضها، أشرعتها مفرودة والماء يلعق مدكَّاتها الحديدية القاسية.

وفوق كلِّ شيء، على قَمَّة ثَلِ إجون العالي، كانت القلعة الحمراء تطلُّ عابسة... سبعة أبراج اسطوانية هائلة متوجَّجة بالمتاريس الحديدية، حِصْن أمامي ضخم، أروقة مقنطرة وجسور مغطَّاة، ثكنات وزنازين وصوامع غلال، أسوار واقية عملاقة مزوَّدة بفتحات الرِّماية، كلها مشيَّد بالحجارة الحمراء الباهتة. كان إجون الفاتح قد أمرَ ببنائها وأتمَّ ابنه ميحور

المتوحّش البناء، وبعدها قطع رأس كل حجارٍ وحطّابٍ وبنّاءٍ اشترك في البناء، مُقسِّمًا أن يكون مَنْ هُم من ذوي التّنين فقط عالمين بخبايا وأسرار القلعة التي شيّدها سادة التّنانين.

لكن الرّايات التي كانت تُرفرف من الشّرفات والأسوار الآن كانت ذهبيةً وليست سوداء، وحيث كان التّنين ثلّاثي الرّؤوس ينفث النّار من قبل كان وعل باراثيون المتوّج يتوائب.

كانت سفينة عالية الصّاري من جُزر الصّيف تحمل في مقدّمها تمثال بجعةٍ تُغادر الميناء وقد نفخت الرّيح أشرعتها الضّخمة، وتجاوزتها "راقصة العواصف" وهي تتّجه بثباتٍ إلى المرسى.

قال السير رودريك: «سيدتي، لقد فكّرتُ في أفضل تصرّفٍ وأنا طريح الفراش. لا ينبغي أن تدخلي القلعة، لكنني سأذهبُ بدلًا منكٍ وأتي بالسير أرون إليك في مكانٍ آمن».

رمقت الفارس المُسنّ والسّفينة تدنو من الرّصيف، بينما يزعم موريو بالأوامر لرجاله بالفاليريّة العاميّة المستخدمة في المُدن الحرّة، وقالت: «المخاطرة واحدة بالنسبة لأيّ منا».

ابتسم السير رودريك وقال: «لا أظنُّ هذا. لقد نظرتُ لانعكاسي في الماء اليوم وتعرّفتُ على نفسي بصعوبة. آخر إنسانٍ رأيته بلا شوارب كان أُمي التي ماتت منذ أربعين عامًا. أعتقدُ أنني سأكون في أمانٍ يا سيدتي».

صاح موريو بأمرٍ ما، ودُفّعةً واحدةً ارتفع ستون مجدفًا من مياه النّهر ثم عكّس اتجاههم وبدأت السّفينة تراجع بمؤخّرتها ببطء، ثم صيحة أخرى وسُحبت المجاديف إلى داخل بدن السّفينة، قبل أن يشب البحّارة التابروشي لتقيدها إلى الرّصيف. ثم جاء موريو مسرعًا وعلى وجهه ابتسامة عريضة وقال: «كينجز لاندنج يا سيدتي كما أمرت. لم يحدث قطُّ أن فُطعت سفينة رحلةٍ سريعة كهذه. هل ستحتاجين مساعدةً في نقل حاجياتكِ إلى القلعة؟».

- «لن نذهب إلى القلعة. ربما يُمكنك أن تقترح علينا خانًا جيّدًا، بشرط أن يكون نظيفًا ومريحًا وعلى مقربةٍ من النهر».

داعبَ التايروشي لحيته الخضراء وقال: «بالتأكيد. أعرفُ عدّةَ أماكن تُناسبُك، لكن أولًا - إذا سمحتَ لي - ثَمّةُ مسألةِ النّصفِ الثّاني من الأجر الذي اتّفَقنا عليه، وطبعًا الأياثل الفضيّة التي تكرّمتَ ووعدتَ بها. ستُؤنّ أيلًا كانوا على ما اعتقدُ».

قالت كاتلين بلهجةٍ ذات مغزى: «للبحّارة».

قال موريو: «أوه، بكلّ تأكيد، وإن كان من الأفضل أن أحتفظَ لهم بالنّقود معي حتى نعود إلى تايروش، من أجل زوجاتهم وأطفالهم كما تعلمين يا سيّدتِي. إذا أعطيتهم النّقود الآن، سيُبدّدونها في القمار أو متعة ليلةٍ واحدة».

قال السير رودريك: «من الممكن إنفاق النّقود على أشياء أسوأ. الشّئ قادم».

قالت كاتلين: «على كلّ رجل أن يختار بنفسه. لقد استحقّوا الفضة، وكيفيّة إنفاقهم لها تخصّصهم وحدهم».

أجاب موريو بانحناءٍ وابتسامة: «كما تأمر سيّدتِي».

على سبيل الاحتياط دفعت كاتلين لهم النّقود بنفسها، أيلًا فضيًّا لكلِّ بحّارٍ وعملةٍ نحاسيّةٍ لكلِّ من الرّجلين اللّذين حملا صندوقي حاجياتهما حتى منتصف تُلّ فيزينا، حيث الخان الذي اقترحه موريو. كان مكانًا قديمًا مبنيًا بغير نظام في زقاق الحنشان، تملكه شمطاء فظّة ذات نظراتٍ فضوليّةٍ نفحصتَهما برؤيةٍ وعصّت العملة التي أعطتها كاتلين إياها لتتأكّد من أنها حقيقيّة. على أن عُرفها كانت واسعة جيّدة التهوية، كما أن موريو أقسم أن يخنة السمك التي تطهوها هي الأشهى في الممالك السّبع كلها. الأهم من كلّ هذا أنها لم تهتم بمعرفة اسميهما.

- «اعتقدُ أن من الأفضل أن تظلّي بعيدةً عن القاعة العامّة»، قال السير

رودريك بعد أن استقرَّ. «حتى في مكانٍ كهذا لا أحد يدري من عساه يُراقِب». كان يرتدي قميصًا من الحلقات المعدنيَّة ويضع خنجرًا وسيفًا طويلاً تحت معطفٍ داكنٍ به قلنسوةٌ يُمكنه أن يضعها على رأسه. «سأعودُ قبل الغروب مع السير أرون. استريحِ الآن يا سيِّدتي».

كانت كاتلين متعبَةً حقًّا بعد الرِّحلة الطَّويلة المُرهِّقة، وهي لم تُعدْ شابَّةً كما كانت من قبل. كانت نافذتها تُفَتِّح على الزُّقاق وأسطح البيوت التي يلوح النُّهر الأسود من ورائها. راقبت السير رودريك وهو يشقُّ الشَّوارع المكتظَّة بالنَّاس على صهوة حصانه إلى أن غابَ في الزُّحام، ثم قرَّرت أن تعمل بنصيحته. كانت حشبيَّة الفِراش محشوءةً بالقشِّ بدلًا من الرِّيش، لكنها لم تجد مشكلةً في الغياب في النُّوم.

ثم استيقظت على صوت دقَّاتٍ على الباب.

اعتدلت كاتلين جالسةً بحركةٍ حادَّة. خارج النَّافذة كانت أسطح مباني ويسترفل مصطبغةً بأحمر الشَّمس الغاربة. لقد نامت مدَّةً أطول مما كانت تنوي. طرقت قبضة الباب مرَّةً أخرى ونادى صوت: «افتحي باسم المَلِك». صاحت: «لحظة»، ولقَّت نفسها بمعطفها. كان الخنجر على الطَّاولَة المجاورة للفِراش، فاخطفته قبل أن تفتح مزلاج الباب الخشبي الثَّقيل. كان الرُّجال الذين اندفعوا إلى العُرفة يرتدون قمصانًا من الحلقات المعدنيَّة ومعاطف ذهبيَّة، الزِّي الرِّسمي المميِّز لحرَس المدينة. ابتسم قائدهم لمرأى الخنجر في يدها وقال: «لا حاجة لهذا يا سيِّدتي. نحن هنا لاصطحابك إلى القلعة».

- «بأمرٍ من؟».

رفع يده وأراها شريطًا مختومًا، وشعرت كاتلين بأنفاسها تحتبس في صدرها. كان الختم في الشَّمع الرُّمادي على شكل طائر المُحاكي. قالت: «بيتر»، وفكَّرت أن ظهوره بهذه السُّرعة يعني أن شيئًا قد حدث للسير رودريك. نظَّرت إلى قائد الحرَس قائلة: «هل تعرف من أكون؟».

- «لا يا سيّدي. سيّدي اللورد الإصبع الصّغير قال فقط أن نصحبك إليه وأن نُعاملك باحترام».

أومات كاتلين برأسها وقالت: «يُمْكِنُكم الانتظار في الخارج حتى أبْدِل ثيابي».

غسّلت يديها في الحوض ولقّتهما بضمّادات نظيفة، وشعرت بأصابعها بطيئة مرتبكة وهي تُجاهد لإحكام أربطة صدرتها وعقد رباط عباءة بُنيّة فاتحة حول عنقها. كيف عرف الإصبع الصّغير أنها هنا؟ من غير المحتمل إطلاقاً أن السير رودريك قد أخبره. صحيح أنه متقدّم في السّن، لكنه شديد العناد والإخلاص. هل تأخّرا وسبقهما أبناء لانستر إلى كينجز لاندنج؟ كلا، لو كان هذا صحيحاً لكان ند هنا أيضاً، ولجاء إليها بكل تأكيد، فكيف...؟

ثم إنها فكّرت: موريو. التايروشي عليه اللّعة يعرف من هما وأين سينزلان. تمنّت أنه تلقى ثمنًا جيّدًا مقابل المعلومة على الأقل.

كانوا قد أحضروا لها حصانًا معهم، وتحركوا وقد بدأت مصابيح الشوارع تُضاء وكاتلين تشعر بالعيون مسلّطة عليها وهي محاطة بالحرس في معاطفهم الدّهية. عندما بلغوا القلعة الحمراء كانت الشبكات الحديدية مسدلة أمام البوابات التي أغلقت بالفعل، لكن الأضواء الموقدة في نوافذ القلعة كانت تبث فيها الحياة. ترك الحرس خيولهم خارج الأسوار واصطحبوها عبر باب جانبي ضيق، ثم ارتقوا بها درجات بُرج لانهاية.

كان وحده في الغرفة، جالسًا إلى منضدة خشبية ثقيلة يكتُب عليها وثمة مصباح زيت إلى جانبه. عندما دلفت كاتلين إلى الغرفة وضع قلمه ورفع نظره إليها قائلاً بهدوء: «كات».

قالت بلا إبطاء: «لماذا جئت بي إلى هنا بهذا الأسلوب؟».

نهض وأشار بحركة فظة للحرس قائلاً: «اتركونا»، ثم قال لها بعد أن

غَادَرُوا: «أَمَلُ أَنَّهُمْ لَمْ يُسَيِّثُوا مَعَامِلَتِكَ. لَقَدْ كَانَتْ أَوْامِرِي صَرِيحَةً»، ثُمَّ إِنَّهُ لَاحِظٌ ضَمَادَاتِهَا وَقَالَ: «يَدَاكِ...».

تَجَاهَلْتُ كَاتِلِينَ السُّؤَالَ الَّذِي تَضَمَّنَتْهُ الْكَلِمَةُ وَقَالَتْ بِيْرُودُ: «إِنِّي لَسْتُ مَعْتَادَةً عَلَى اسْتِدْعَائِي كَالْخَادِمَاتِ. كُنْتُ لَا تَزَالُ تَعْرِفُ مَعْنَى الْكِيَاسَةِ وَأَنْتِ صَبِيٌّ».

بَدَأَ عَلَيْهِ الْأَسْفُ الشَّدِيدُ وَقَالَ: «لَقَدْ أَغْضَبْتُكَ يَا سَيِّدَتِي، لَكِنْ تِلْكَ لَمْ تَكُنْ نِيَّتِي إِطْلَاقًا». أَعَادَتْ النَّظْرَةَ ذِكْرِيَّاتٍ قَدِيمَةٍ إِلَى عَقْلِ كَاتِلِينَ بِوَضُوحٍ تَامٍ. لَطَالَمَا كَانَ طِفْلًا مَآكِرًا، لَكِنْ بَعْدَ كُلِّ ضَرْرٍ أَوْ إِزْعَاجٍ يَنْسَبِّبُ فِيهِ كَانَ يَبْدُو عَلَيْهِ الْأَسْفُ الشَّدِيدُ دَائِمًا، وَكَانَتْ هَذِهِ وَاحِدَةً مِنْ مَوَاقِبِهِ. لَكِنْ السُّنِينَ لَمْ تُغَيِّرْهُ كَثِيرًا.. كَانَ بِيْرُ صَبِيًّا صَغِيرَ الْحَجْمِ كَبَرٌ لِيُصْبِحَ رَجُلًا صَغِيرَ الْحَجْمِ، أَقْصَرَ مِنْ كَاتِلِينَ بِنَحْوِ بَوْصَةٍ أَوْ اثْنَتَيْنِ، رَشِيقًا سَرِيعَ الْحَرَكَةِ، لَدَيْهِ الْمَلَامَحُ الْحَادَّةُ الَّتِي تَتَذَكَّرُهَا وَالْعَيْنَانِ الضَّاحِكَتَانِ ذَاتَا اللَّوْنِ الْأَخْضَرَ الدَّاكِنِ. كَانَتْ لَدَيْهِ لَحْيَةٌ صَغِيرَةٌ مَدْبِيَّةٌ عَلَى ذَقْنِهِ الْآنَ وَخِيُوطٌ مِنَ الْفُضْيِ فِي شَعْرِهِ الْأَسْوَدِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَبْلُغِ الثَّلَاثِينَ بَعْدَ، وَتَمَاشَى اللَّوْنُ الْأَشْيَبُ فِي شَعْرِهِ مَعَ طَائِرِ الْمُحَاكِي الْفُضْيِ الَّذِي ثَبَّتَ بِهِ مَعْطَفَهُ. لَطَالَمَا كَانَ يُجِبُّ الْفُضَّةَ مِنْذُ كَانَ صَبِيًّا.

سَأَلَتْهُ: «كَيْفَ عَرَفْتُ أَنْتَنِي فِي الْمَدِينَةِ؟».

أَجَابَ بِابْتِسَامَةٍ مَآكِرَةٍ: «الْلُورْدُ فَارَسُ يَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ.. سَيَنْضُمُ إِلَيْنَا بَعْدَ قَلِيلٍ، لَكِنِّي أَرَدْتُ رُؤْيَاكَ عَلَى انْفِرَادٍ أَوَّلًا. زَمَنٌ طَوِيلٌ لِلْغَايَةِ مُضَى يَا كَاتِ، كَمْ عَامًا؟».

كَانَتْ هُنَاكَ أَسْئَلَةٌ أَهَمُّ مِنْ هَذَا الْآنَ، فَتَجَاهَلْتُ كَاتِلِينَ تَوَدُّدَهُ وَقَالَتْ: «عَنْكَبُوتُ الْمَلِكِ هُوَ مِنْ وَجَدَنِي إِذْنٌ».

أَجْفَلَ الْإصْبَعُ الصَّغِيرَ وَقَالَ بِسُرْعَةٍ: «لَسْتُ نَرْغِبِينَ فِي مَنَادَاتِهِ بِهَذَا الْاسْمِ. إِنَّهُ حَسَّاسٌ جَدًّا، رَيْبًا لِأَنَّهُ خَصِيٌّ. لَا شَيْءَ يَحْدُثُ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ دُونَ أَنْ يَعْلَمَ بِهِ فَارَسُ، وَفِي أَحْيَانٍ كَثِيرَةٍ يَعْرِفُ بِالْحَدَثِ قَبْلَ وَقُوعِهِ. إِنْ

لديه مُخبرين في كُلِّ مكان، طيوره الصَّغيرة كما يُطلق عليهم. أحد هذه الطُّيور الصَّغيرة علِمَ بزيارتك، ولحَسَن الحَظَّ جاءَ فارس إليَّ أولاً». - «ولِمَ أنت؟».

هَزَّ كَتْفِيهِ قَائِلًا: «ولِمَ غيري؟ إنني أُمِين النِّقْدِ ومُسْتَشَار المَلِك. سلمي واللورد رنلي انطلقا سَمالاً للقاء روبرت في الطَّرِيق، وستانيس ذهبَ إلى دراجونستون تاركًا إياي والمَيايستر بايسل فقط، فكُنْتُ أنا الخيار الواضح، كما أن فارس يعرف أنني لطالما كُنْتُ صديقًا لأختك لايسا». - «هل يعرف فارس بأمر...».

- «اللورد فارس يعرف كُلَّ شيء... باستثناء سبب وجودكِ هنا»، ورفعَ الإصبع الصَّغير حاجبًا وأضافَ متسائلًا: «لماذا أنتِ هنا؟». - «من المسموح للزَّوجة أن تَحَنَّ إلى زوجها على ما أعتقُد، وإذا أرادتِ الأم أن تكون قَريبةً من ابنتيها، فمن يُمكنه أن يقول لها لا؟». ضحكَ الإصبع الصَّغير وقال: «أوه، رَدُّ ممتاز يا سَيِّدتي، لكن أرجوكِ لا تتوقَّعي مني أن أَصَدِّقَه. إنني أعرفكِ جيِّدًا. ذكَّرني، ماذا كانت كلمات آل نلي؟».

قالت بجمودٍ شاعرةً بالجفاف في حَلَقِها: «العائلة، الواجب، الشَّرَف». كان يعرفها جيِّدًا فعلاً.

رَدَّد: «العائلة، الواجب، الشَّرَف... كلها أشياء كانت تتطلَّب منك البقاء في وِيترفل حيث ترككِ يَدُ المَلِك. لا يا سَيِّدتي، شيء ما حدث، ورحلتكِ المفاجئة هذه تشي بأنها مسألة ملَحة. دعيني أساعدكِ أرجوكِ، فلا ينبغي أن يتردَّد أصدقاء الصُّبا في الاعتماد على بعضهم بعضًا. دَقَّ الباب في هذه اللَّحظة، فقال الإصبع الصَّغير: «ادخل».

كان الرَّجل الذي دخلَ من الباب ممتلئ الجسم، تفوح منه رائحة عطرٍ قويٍّ وتكسو وجهه المساحيق، وبلا شعرةٍ واحدةٍ كأنه بيضة. كان يرتدي صُدْرَةً من الخيوط الذَّهَبية المنسوجة فوق ثوبٍ فضفاضٍ من

الحرير الأرجواني، وأحاط بقدميه خُفَّان مديَّبان من المخمل النَّاعم. قال وهو يحتوي يدها بيديه معاً: «ليدي ستارك، إنها لهجة عظيمة أن أراك من جديد بعد كلِّ تلك السَّنين». كانت بشرته رطبةً ناعمةً، ومن أنفاسه فاحٍ عبير زهور اللِّيلك. «أوه، يدك المسكيتان! هل أحرقتِ نفسك يا سيِّدتي؟ إن أصابعك ضعيفة للغاية. المايستر پايسل يصنع مرهماً ممتازاً. هل أرسلُ في طلب برطمانٍ منه؟».

سحبتَ يدها من بين يديه قائلةً: «أشكرك يا سيِّدي، لكن مَايسترا لوين اعتنى بجروحي بالفعل».

أوما فارس برأسه وقال: «لقد حزنْتُ للغاية لسماعي بما حدث لابنك. صغير للغاية هو. الآلهة قاسية حقاً».

قالت: «أَتَفَقُّ معك على هذا أيها اللورد فارس». كان لقب اللورد مجاملةً لا أكثر لكونه عضواً في مجلس المَلِك، لكن في الحقيقة لم يكن فارس سيِّداً لغير شبكةٍ من العناكب، ولا يَأتمر بأمره غير جواسيسه.

فردَّ الخَصِي يديه وقال: «أتمنى أنَّا نَتَّفَق على أكثر من هذا يا سيِّدتي. إنني أحملُ تقديراً بالغاً لزوجك يَدَ مَلِكنا الجديد، وأعرفُ أن كلينا يُحِبُّ روبرت».

قالت مرَّعةً على الجواب: «نعم، بكلِّ تأكيد».

قال الإصبع الصَّغير بنبرةٍ ساخرة والابتسامة الماكرة المعهودة على شفثيه: «لم يَحْدُث قطُّ أن نال مَلِك حُبَّ الرُّعايا كعزيزنا روبرت، على الأقل حسب ما سمعَ اللورد فارس».

قال فارس باهتمام شديد: «سيِّدتي، ثَمَّة رجال في المُدن الحُرَّة يتمتَّعون بقوىٍ علاجيَّةٍ رائعة. كلمة واحدة منك وسأُرسل لأحدهم من أجل صغيركِ بران».

- «المَايستر لوين يفعل كلَّ ما يُمكن فِعله من أجل بران». لم تكن ترغب في الكلام عن بران، ليس هنا وليس مع هذين. كانت تثق بالإصبع

الصَّغِير قليلاً، بينما لا تثق بفارس على الإطلاق، ولا تريد أن يريا حُزنهما العميق. «أخبرني اللورد بايلش أن عليّ أن أشكرك على الإتيان بي إلى هنا».

قهقهة فارس كفتاة صغيرة وقال: «نعم، اعتقد أن هذا ذنبي. أتمنى أن تُسامحيني يا سيّدي العزيزة»، واستراح على مقعد وشبك يديه معاً وأضاف: «هل من الممكن أن تُرينا الخنجر الآن؟».

حدّثت كاتلين في الحُصّي مذهولة، وقالت لنفسها بحني إن هذا الرّجل عنكبوت حقاً، أو ساحر، أو أسوأ. إنه يعرف أشياء ليس من الممكن أن يعرفها غيره، ما لم... قالت امرأة: «ماذا فعلت بالسير رودريك؟».

قال الإصبع الصَّغِير حائراً: «أشعرُ كأنني فارس وصل إلى ميدان المعركة دون رُمح. عن أيّ خنجر نتكلّم؟ ومن يكون السير رودريك؟». أجاب فارس: «السير رودريك كاسل هو قيّم السّلاح في ويتترفل. أوكدُ لك أيتها الليدي ستارك أن شيئاً لم يحدث على الإطلاق للفارس الطيّب. لقد كان هنا اليوم بعد الظّهر، وزار السير أرون سانتاجار في مستودع السّلاح وتكلّم عن خنجر معيّن، وبعد الغروب غادرا القلعة معاً واتّجها إلى المكان الشّنيع الذي نزلت فيه. إنهما ما زالا هناك، يتناولان الشّراب في القاعة العامّة ويتنظران عودتك. لقد استاء السير رودريك بشدّة عندما وجد أنك غادرت».

- «أتى لك بمعرفة كلّ ذلك؟».

قال فارس باسمًا: «من همسات الطّيور الصّغيرة. إن طبيعة خدمتي أن أعرف الأشياء يا سيّدي العزيزة»، ثم هزّ كتفيه وأردف: «الخنجر معك، أليس كذلك؟».

أخرجت كاتلين الخنجر من تحت معطفها وألقته على المنضدة أمامه، وقالت: «هاك. لعلّ طيورك الصّغيرة يُمكنها أن تهمس باسم صاحبه». رفع فارس الخنجر برهافة مبالغ فيها ومرّر إبهامه على حافته، ولمّا

انْبَثَقَ مِنْهُ الدَّمُ أَطْلَقَ صرْخَةً مَكْنُومَةً وَتَرَكَ الْخَنْجَرَ يَسْقُطُ عَلَى الْمُنْضِدةِ.
قَالَتْ كَاتِلِينَ: «احْتَرَسْ، إِنَّهُ حَادٌ».

- «لَا شَيْءَ أَمْضَى مِنَ الْفُولَاذِ الْغَالِيَرِيِّ»، قَالَ الْإِصْبَعُ الصَّغِيرُ وَفَارَسُ يَمِصُّ إِبْهَامَهُ النَّازِفَ وَيَرْمُقُ كَاتِلِينَ بَعْتَابٍ وَاجِمًا. التَّقَطَّ الْإِصْبَعُ الصَّغِيرُ الْخَنْجَرَ بِخَفَّةٍ مُخْتَبِرًا الْمَقْبِضَ، ثُمَّ شَقَلَبَهُ فِي الْهَوَاءِ وَالتَّقَطَّ مِنْ جَدِيدٍ بِيَدِهِ الْآخَرَى. «تَوَازُنَ مِمْتَاز. إِنَّكَ تَرْغِبِينَ فِي مَعْرِفَةِ صَاحِبِهِ، أَهَذَا سَبَبُ زِيَارَتِكَ؟ لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ حَاجَةً لِلذَّهَابِ إِلَى السَّيْرِ أَرُونِ إِذْنِ يَا سَيِّدَتِي، وَكَانَ يَجْدُرُ بِكَ أَنْ تَأْتِيَ إِلَيَّ».

- «وَبِمَ كُنْتَ لِتُخْبِرَنِي لَوْ جِئْتُ إِلَيْكَ؟».

- «كُنْتُ لِأُخْبِرَكَ إِنْ هَذَا الْخَنْجَرُ هُوَ الْوَحِيدُ مِنْ نَوْعِهِ فِي كِينَجَزْ لَانْدَنْجْ كُلِّهَا»، وَأَمْسَكَ النَّصْلَ بَيْنَ سَبَّابَتِهِ وَإِبْهَامِهِ وَسَحَبَهُ فَوْقَ كَتِفِهِ، ثُمَّ قَذَفَهُ عَبْرَ الْغُرْفَةِ بِحَرَكَةٍ خَبِيرَةٍ مِنْ مَعْصَمِهِ، فَانْغَرَسَ الْخَنْجَرُ فِي عُمُقِ الْبَابِ الثَّقِيلِ الْمَصْنُوعِ مِنَ السَّنْدِيَانِ، وَأَرْدَفَ الْإِصْبَعُ الصَّغِيرُ: «إِنَّهُ خَنْجَرِي».

- «خَنْجَرِكَ؟». لَمْ يَكُنْ هَذَا مَنْطَقِيًّا، فَيَبْتَغِي لَمْ يَكُنْ فِيهِ وَيَتَرَفَّلُ.

قَالَ وَهُوَ يَقْطَعُ الْغُرْفَةَ لِیُحَرِّرَ فُولَاذَ الْخَنْجَرِ مِنْ خَشْبِ الْبَابِ: «كَانَ كَذَلِكَ حَتَّى دَوْرَةُ الْمُبَارَاةِ الَّتِي أُقِيمَتْ يَوْمَ مِيلَادِ الْأَمِيرِ جُوفَرِي. يَوْمَهَا شَجَعْتُ السَّيْرَ چَايَمِي لِأَنْسُرَ فِي مَبَارَاةِ الرِّمَاحِ وَمَعِيَ نِصْفُ الْبِلَاطِ». كَانَتْ ابْتِسَامَةُ پيْتَرِ الْمَرْتَبَكَةِ تَجْعَلُهُ يَبْدُو صَبِيًّا مِنْ جَدِيدٍ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ. «وَعِنْدَمَا أَسْقَطَهُ السَّيْرُ لُورَاسَ تَايِرْلَ عَنْ ظَهْرِ حِصَانِهِ صَارَ كَثِيرُونَ مِنْهُ أَفْقَرُ بَعْضُ الشَّيْءِ، إِذْ خَسِرَ السَّيْرَ چَايَمِي مِثْلَ ثَنَيْنِ ذَهَبِي، وَخَسِرَتِ الْمَلِكَةُ قِلَادَةً مِنَ الزَّمْرَدِ، وَخَسِرْتُ أَنَا خَنْجَرِي. اسْتَعَادَتِ جَلَالَتُهَا الْقِلَادَةَ، لَكِنْ الْفَائِزُ احْتَفَظَ بِالْبَقِيَّةِ».

بِلَهْفَةٍ قَالَتْ كَاتِلِينَ وَفَمَهَا جَافٌ مِنَ الْخَوْفِ وَأَصَابِعُهَا تَوْلُمُهَا بِشِدَّةٍ:
«مَنْ؟».

أَجَابَ الْإِصْبَعُ الصَّغِيرُ وَاللُّورْدُ يُرَاقِبُ مَلَامَحَهَا: «الْعِفْرِيَّةُ، تِيرِيُونُ لَانْسْتَر».



چون

دَوَى غناء السُّيُوفِ فِي السَّاحَةِ.

تحت طبقاتٍ من الصُّوفِ الأسود والجِلْدِ المقوَّى بالزَّيْتِ المغلي والحلقات المعدنيَّة، سأل عرق چون باردًا وهو يشنُّ هجمته الضَّاغطة، وتراجعَ جرنٌ إلى الوراء متعثِّرًا وهو يُدافع عن نفسه بلا براعةٍ أو مرونة. عندما رفعَ سيفه، انحنى چون من تحته وسدَّ ضربةً عنيفةً هَوَتْ على مؤخَّرة ساق الصَّبي الآخر وجعلته يترنَّح. ثم إن ضربة جرنِ المائلة أجيبت بضربةٍ عاليةٍ من چون وأحدثت انبعاجًا في خوذته، وعندما حاولَ تسديد ضربةٍ جانبيَّةٍ أزاح چون سيفه إلى الجانب ودفعَ ساعده المحمي بالحلقات المعدنيَّة في صدره، فاختلَّ توازنُ جرنٍ وسقطَ على مؤخَّرتِه بعُنفٍ في الثلج، وأخيرًا طيرَ چون سيفه من يده بضربةٍ هوى بها على معصم جرنٍ جعلته يجأر من الألم.

- «كفى!». كان السير أليسر ثورن ذو صوتٍ قاطعٍ كالغولاذ القاليري.

وضعَ جرنٌ يده في حِجره وقال: «النَّغْلُ كسرَ معصمي».

- «النَّغْلُ قطعَ أوتارَ رُكبتك وفتحَ رأسك الفارغَ وبتَرَ يدك، أو كان ليفعل لو كانت هذه السُّيُوفُ حادَّةً. من حُسن حظِّك أن حرس اللَّيل يحتاجون صبيان اسطبلات بالإضافة إلى الجِوالة»، ثم أشار السير أليسر إلى جيرن والصَّبي الملقَّب بالضَّفدع وقال: «ساعدنا الثور على النهوض كي يقوم بترتيبات الجنازة».

خلعَ چون خوذته بينما جذبَ الصَّيَّانَ الآخران جِرْنَ حتى قدميه. كان يحبُّ الشُّعور بهواء الصُّباح البارد على وجهه. استندَ إلى سيفه والتقطَ نفسًا عميقًا، وسمحَ لنفسه بلحظةٍ يستمتع فيها بمذاق الظَّفَر. قال السير أليسر بحدَّة: «هذا سيف طويل وليس عُكَّازًا. هل تؤلمك ساقاك أيها اللورد سنو؟».

كان چون يكره هذا اللقب السَّاخر الذي علَّقه السير أليسر عليه منذ اليوم الأول في التَّدريب، ثم بدأ الصُّبية يَرُدُّونه بدورهم وصارَ يسمعه في كلِّ مكانٍ الآن. دَسَّ السَّيف الطَّويل في غِمدِه وأجاب: «كلا».

تقدَّم ثورن نحوه بخطواتٍ واسعةٍ وثيابه الجِلْدِيَّة المرنَّة تُصدِر حفيفًا خافتًا وهو يتحرَّك. كان رجلًا مكتنزًا في الخمسين من العُمُر، نحيلًا قاسيًا وخطَّ الشَّيب شعره الأسود الفاحم. قال أمرًا: «قُل الحقيقة الآن».

أقرَّ چون قائلًا: «إنني مُتعب». كانت ذراعه تتمزَّق من وزن السَّيف، والآن وقد انتهى القتال بدأ يشعُر بكدماته.

- «إنما أنت ضعيف».

- «لقد فزْتُ».

- «لا، لكن الثَّور خسر».

أطلقَ أحد الصُّبية الآخرين ضحكةً نصف مكتومة، لكن چون كان أذكى من أن يردَّ. لقد تغلَّب على كلِّ من وضعهم السير أليسر ضده، لكنه لم ينتفع بشيءٍ من هذا. كان لا يتلقَّى شيئًا من قِيَم السُّلاح غير التهكُّم، وقرَّر چون أن ثورن يكرهه، على أنه كان يكره بقيَّتْهم أكثر طبعًا.

قال لهم ثورن: «هذا كلُّ شيء. هناك حدود لما أستطيعُ أن أهضمه من رُعونَةٍ في اليوم الواحد. إذا جاءَ "الآخرون"، أتمنَّى أن يكون لديهم رُماة لأنكم لا تصلُّحون لأن تكونوا غير أهدافٍ لسهامهم».

تبعَ چون بقيَّتْهم إلى مستودع السُّلاح وحده. كان غالبًا ما يتحرَّك وحده ها هنا. ثَمَّة حوالي عشرين في المجموعة التي يتدرب معها، وإن

لم يكن أحدهم صديقاً له بأيّ شكل. كان معظمهم يكبره بعامين أو ثلاثة، لكن لا أحد منهم كان يتمتّع بِنَصَفِ براعة روب وهو في الرَّابِعة عشر لا أكثر. داريون كان سريع الحركة لكن يخاف الإصابة، ويبس يستخدم سيفه كأنه خنجر، وچيرن ضعيف كفتاة صغيرة، وجِرِن بطيء وأخرق. ضربات هالدر شديدة العُنف، لكنه يُسَدِّدها وأنت تضغط عليه بالهجوم. كان چون يُشعرُ بمزيد من الازدراء نحوهم كلما قضى معهم وقتاً أطول.

في الدّاخل علّق چون السّيف والغمَد على خُطَافٍ مُثَبَّتٍ في الحائط الحجري متجاهلاً الآخرين حوله، ثم بدأ بنظامٍ يخلع قميص الحلقات المعدنية وطبقات الجِلْد والصُّوف الغارق في العرق. كانت قِطْع من الفحم تحترق في مُستوقدين موضوعين عند طرفي الحُجرة الطويلة، لكن چون وجد نفسه يرتجف رغم ذلك. دائماً ما كان البرد رفيقه، وخلال سنواتٍ قليلةٍ سيكون قد نسي معنى الدّفء. حلّ به الإنهاك فجأةً وهو يرتدي الأسود الخشن الذي تتألّف منه ثيابهم التقليديّة هنا، ثم إنه جلس على دَكَّةٍ وثبّت أبازيم معطفه. البرد لا يُطاق، فكّر متذكّراً دِفء ويتترفل، حيث تجري المياه الساخنة في داخل الجدران كما يسري الدّم في جسد الإنسان. لكن في القلعة السوداء كان الدّفء عُملَةً نادرةً.. الجدران باردة هنا، والنّاس أكثر برودةً.

لم يخبره أحد أن حرس اللَّيل سيكونون هكذا، لا أحد باستثناء تيريون لانستر. لقد أهداه القزم الحقيقة على الطّريق شمالاً، لكن الأوان كان قد فات تماماً وقتها. تساءلّ چون إن كان أبوه يدري حقيقة الحياة على "الجدار" فعلاً، وفكّر أنه لا بُدَّ أنه كان يعرف، وهذا ما ألمّه أكثر.

حتى عمه هجره في هذا المكان البارد في أقصى العالم. هنا استحال بنجن ستارك اللطيف الذي يعرفه إلى شخصٍ آخر. كان جواً أولاً، يقضي أغلب وقته مع حضرة القائد مورمونت والمياستر إيمون وبقية

كبار القِيمين، بينما عَهَدَ بچون إلى قيادة السير أليسر ثورن الذي لا يُمكن اتِّهامه باللِّين.

بعد ثلاثة أيام من وصولهم، سمعَ چون أن بنجن ستارك سيقود نصف دسْتة من الرُّجَال في جولة تقصُّ في الغابة المسكونة، وفي تلك اللَّيلة ذهبَ إلى عمِّه في القاعة الكبيرة المشيَّدة بالأخشاب وتوسَّل إليه أن يذهب معه، لكن رفض بنجن كان قاطعًا. «هذه ليست وينترفِل»، قال له وهو يُقَطِّع لحمه بالخنجر والسُّوكة. «على "الجِدَار" لا يَحْصُلُ الرُّجُل إلَّا على ما يستحقُّه. أنت لست جَوًّا لآ يا چون، بل مجرد صبيٍّ أخضر ما زالت رائحة الصَّيف عالقةً به».

أصرَّ چون بحماسةٍ على الجدَل، وقال: «سأصيرُ في الخامسة عشرة يوم ميلادي القادم، أي أنني أكادُ أكونُ رجلًا بالغًا».

عقدَ بنجن ستارك حاجبيه قائلاً: «أنت صبي، وستبقى صبيًّا حتى يقول السير أليسر إنك تَصْلُحُ لأن تكون من رجال حرس اللَّيل. إذا كنت تحسب أن دماء ستارك التي تجري في عروقنا معًا ستجعل لك امتيازاتٍ خاصَّة، فأنت مخطئ. إننا نُنَحِّي عائلتنا جانبًا عندما نحلف اليمين. لأبيك مكان دائم في قلبي، لكن هؤلاء هُم إخوتي الآن»، وأشارَ بخنجره إلى الرُّجال حولهما، كلهم قاسٍ بارد يرتدي الأسود ولا غيره.

استيقظَ چون فجراً في اليوم التَّالي لِشَاهد عمِّه وهو يُغادر. كان أحد جوائته رجلاً قبيحاً ضخماً أخذَ يَرْدُد أغنيةً بذِيئةً وهو يضع السَّرج على حصانه، والبخار يَخْرُج بارداً مع أنفاسه في هواء الصُّبح الباكر. ابتسمَ بن ستارك للأغنية، لكنه لم يبتسم لابن أخيه، وقال: «كم مرَّة يجب أن أقول لك لا؟ ستكلَّم عندما أعود». تذكَّر چون الأشياء التي قالها له تيريون لانستر وهُم على طريق الملوك بينما يُراقب عمِّه يقود حصانه إلى داخل النَّفق، وبعين الخيال رأى بن ستارك وقد سقطَ صريعاً والثَّلج الأبيض يتشرَّب دمائه الحمراء. أشعرته الفكرة بالتقرُّز. إلَام صار؟

بعدها ذهبَ إلى جوست الذي ينتظر في وحشة حُجيرته ودفنَ وجهه في فروه الأبيض الكثيف.

إذا كان من المحتم أن يكون وحيدًا، سيَتخذ من الوحدةِ درعًا إذن.

لم تكن هناك أيكة آلهة في القلعة السوداء، بل مجرد سِبت صغير فيه سِبتون سَكِير، لكن چون لم يجد في نفسه رغبةً للصلاة لأي آلهة، قديمة كانت أو جديدة. لو كان لها وجود حقيقي، فهي آلهة قاسية عنيدة كالشَّاء. كان يفترق إخوته الحقيقيين.. ريكون بعينه اللامعتين وهو يَطْلُب منه قطعةً من الحلوى.. روب، نِدُهُ وأفضل أصدقائه ونصيره الدائم.. بران الفضولي العنيد الذي يتبعه وروب دائمًا ويريد الانضمام إليهما في أيِّ شيء يفعلانه. كان يفترق الفتاتين كذلك، حتى سانزا التي لم تصفه قطُّ بغير "أخيها غير الشَّقِيق" منذ صارت كبيرة بما يكفي لأن تعرف معنى كلمة "نَغْل". لكن آريا... كان يفترقها أكثر من روب نفسه، تلك الصَّغيرة النَّحيلة ذات الرُّكبتين المخدوشتين والشَّعر المتشابك والثَّياب الممزَّقة، قوَّة تسوقها أهواؤها دائمًا. مثله تمامًا لم تحظَ آريا قطُّ بالانسجام والتَّوافق مع من حولها، لكنها كانت تنجح دائمًا في دفع چون إلى الابتسام. كان ليدفع أيَّ ثَمَنٍ ليكون معها الآن، ينفش شعرها مرَّة أخرى ويراهها ترسم تعبيرًا متهكِّمًا على وجهها، يسمعها تتَمَّ عبارة ما معه في نفس واحد.

- «لقد كسرت معصمي أيها النَّغل».

رفع چون عينيه على إثر الصَّوت المتجهَّم ليجد جِرَن واقفًا أمامه بعُنقه الثَّخين ووجهه المحمَّر، وثلاثة من أصدقائه يقفون وراءه. كان يعرف تودر، الصَّبِي القصير القبيح ذا الصَّوت المزعج، الذي يُطلق عليه المجنَّدون الجُدَّد جميعًا اسم الضَّفدع. الآخران كانا الاثنين اللذين جاءَ بهما يورن معهم من الشَّمال، المُغتَصِبِين اللذين قُبِضَ عليهما في جُزير "الأصابع". تذكَّرهما چون وإن غابَ اسماهما عن باله. لم يكن يتحدَّث

إليهما قدر المستطاع، فهما مجرد حيوانين بلطجيين لا ذرة من الشرف فيهما.

نهض قائلاً: «سأكسر الآخر إذا طلبت بأدب». كان جرن في السادسة عشر من عمره وأطول قامته من جون برأس كامل، وأربعتهم أكبر حجمًا منه، لكنه لم يشعر بالخوف منهم. لقد تغلب على كل واحد منهم بلا استثناء في ساحة التدريب.

قال واحد من المُغتصبيين: «ولربما نكسرك نحن».

- «حاولوا»، قال جون ومدّ يده وراءه إلى سيفه، لكن أحدهم أمسك ذراعه ولواها وراء ظهره.

قال تودر: «إنك تسوّئ صورتنا».

ردّ جون: «صورتكم كانت سيئة من قبل أن أرى أيكم»، فدفع الذي يقف وراءه ذراعه إلى أعلى بحركة عنيفة، وشعر جون بالألم يمزّق ذراعه لكنه ظلّ مُطبقًا فمه.

اقترّب تودر منه قائلاً: «اللورد الصغير لديه لسان سليط». كانت لديه عينان كعيني خنزير، صغيرتان تبرقان وهو يتكلّم. «هل ورثته عن أمك أيها النغل؟ من كانت؟ عاهرة ما، أليس كذلك؟ هلّم، قل لنا اسمها، فلعلّي ضاجعتها مرة أو مرتين».

ضحك تودر، وتلوّى جون كثعبان بحري وهوى بكعب حذائه على مُشط قدم الصبي الذي يُقيّده من الخلف، فصرخ ألماً وتحرّر جون لينقضّ على تودر ويسقطه من فوق دكة على ظهره، قبل أن يحطّ على صدره ويطوّق عنقه بيديه ويضرب الأرض القاسية برأسه. ثم إن الاثنين من جزر "الأصابع" سحباه ودفعاه بخشونة إلى الأرض، وبدأ جرن يركّله. كان جون يتدحرج بعيدًا عن الركلات عندما عندما دوى الصّوت الهادر في ظلام مستودع السلاح: «أوقفوا هذا العبث الآن!».

نهضَ چون، بينما وقفَ دونال نوي يُحدِّقُ فيهم غاضبًا. قال صانع السلاح: «القتال مكانه السَّاحة، فخذوا خلافانكم إلى خارج مستودعي وإلا ستكون الخلافات معي أنا، ولن يروق لكم ذلك البتَّة».

اعتدلَ تودر جالسًا على الأرض وتحسَّس مؤخِّرة رأسه بحذرٍ شديد فعادت أصابعه داميةً، وقال: «كان يُحاول أن يقتلني».

قال واحد من المُغتَصِبِينَ: «هذا صحيح، لقد رأيته بنفسِي».

رفعَ جرن معصمه ليراه نوي مكرِّرًا: «لقد كسرَ معصمي».

منحَ صانع السلاح المعصم نظرةً خاطفةً، ثم قال: «كدمة، أو ربما التواء في المفصل. سيُعطيك المايستر إيمون مرهمًا. تودر، اذهب معه لتداوي رأسك. الباقيون يعودون إلى حُجيراتهم. ليس أنت يا سنو، ابقَ هنا».

جلسَ چون متثاقلاً على الدُّكَّة الخشبيَّة الثَّقيلة بينما غادرَ الآخرون وتجاهلَ النظرات التي رمقوه بها، نظرات الوعيد الصَّامته بأن هناك جولةً أخرى. كانت ذراعه تؤلمه حقًا.

قال دونال نوي عندما أصبحها وحدهما: «الحرس يحتاج كلَّ رجلٍ يُمكنه الحصول عليه، حتى أمثال الضُّفدع. إنك لن تنال أيَّ تكريمٍ إذا قتلت».

صاحَ چون ساخطًا: «لقد قال إن أُمي...».

- «... عاهرة. لقد سمعته. وماذا في هذا؟».

قال چون معترضًا: «اللورد إدارد ستارك ليس رجلًا ينام مع العاهرات. إن شرفه...».

- «... لم يمنعه من إنجاب ابنٍ غير شرعي، أليس كذلك؟».

كان چون يتميزُّ من الغيظ، فقال: «هل يُمكنني الدُّهاب؟».

- «يُمكنك الدُّهاب عندما أقولُ لك أن تذهب».

أشاحَ چون ببصره وحدَّقَ بجهامةٍ في الدُّخَان المتصاعد من المُستوقد،

إلى أن أطبق نوري على ذقنه بأصابعه الثخينة وأدارَ رأسه قائلاً: «انظر إليَّ عندما أكلّمك يا فتى».

ونظرَ جون. كان لصانع السّلاح صدر كالبرميل وبطنٌ بالحجم نفسه، أنفه عريض مسطّح وفي حاجةٍ دائمةٍ لأن يحلق ذقنه. كان كُمُ سُترته الصّوفيّة السوداء مثبتًا عند الكتف بدبّوسٍ فضّي على شكل سيفٍ طويل. «الكلام لن يجعل من أمك عاهرة». لقد كانت من كانت ولا شيء يقوله توردر بإمكانه تبديل ذلك. هل تعلم أن لدينا رجالًا على "الجدار" أمهاتهم عاهرات حقًا؟».

ليس أمي. كان لا يعرف شيئًا عن أمه لأن اللورد إدارد ستارك كان يرفض الكلام عنها، لكنه كان يحلم بها كثيرًا لدرجة أنه يكاد يرى وجهها. في أحلامه كانت أمه جميلةً كريمة الأصل ولها عيناان حانيتان.

استطردَ صانع السّلاح: «هل تحسب أن حياتك كانت صعبةً لمجرد أنك نغل واحد من السّادة؟ ذلك الصّبي جيرن أنجبهُ سيّتون، وكوتر هايك ابن غير شرعي لخادمةٍ في حانة، والآن يقود القلعة الشّرقية على البحر». - «لا أبالي»، قال جون. «لا أبالي بهما أو بك أو بشورن أو بينجن ستارك أو أيّ من هذا. إنني أكرهُ كلَّ شيءٍ هنا، كما أن... كما أن البرد شديد هنا».

- «نعم، البرد والقسوة طابع الحياة على "الجدار" والرجال الذين يحمونه. ليس كالقصص التي حكتها لك مُرضعتك، أليس كذلك؟ إذن فلنذهب القصص ومُرضعتك معًا إلى الجحيم. هكذا الحياة هنا، وكبقيتنا ستظل هنا مدى الحياة».

- «مدى الحياة»، ردّد جون. فليتكلم صانع السّلاح عن الحياة كما يشاء، فقد عاش حياته بالفعل. إنه لم يرتدِ الأسود إلّا بعد أن فقد ذراعًا أثناء حصار ستورمزاند، وقبل ذلك كان يعمل حدّادًا لدى ستانس باراثيون شقيق المَلِك. لقد رأى المَمالِك السّبع من أقصاها إلى أقصاها، أكل ما

شاء وضاجع من شاء وقَاتَلَ في مئة معركة. قالوا إن دونال نوي هو من صنع مطرقة روبرت الحربية، تلك التي سلبَ بها حياة ريجار تارجارين في معركة الثالوث. نوي فعلَ كلَّ شيءٍ لن يفعله جون أبدًا، ثم بعد أن تقدّم به العُمر وتجاوزَ الثلاثين بسنوات، تلقى ضربةً غير مقصودةٍ ببلطةٍ وتعفن الجرح حتى أنه كان من المحتم أن تُقَطَّع الذراع كلها، وبعدها فقط عندما صارَ معاقًا أتى دونال نوي إلى "الحِدار" ليعخدم في حرس اللَّيل لَمَّا أوشكت حياته على نهايتها.

قال نوي: «نعم، مدى الحياة، وكونها حياةً قصيرةً أو طويلةً يعود إليك أنت يا سنو. الطَّرِيق الذي اخترته سيجعل أحد إخوتك يفتح حَلَقَكَ بسكِّين ذات ليلة».

صاح جون مُغَضَّبًا: «إنهم ليسوا إخوتي. إنهم يكرهونني لأنني أفضل منهم».

- «كلا، إنهم يكرهونك لأنك تتصرّف كأنك أفضل منهم. يَنظُرُونَ إليك فلا يرون غير نغلٍ تربى في قلعةٍ ويحسب نفسه سيّدًا صغيرًا، ودنا صانع السّلاح منه أكثر وتابع: «لكنك لست كذلك، تذكّر هذا. إن اسمك سنو وليس ستارك، وأنت نغل وبلطجي».

- «بلطجي؟!». كادَ جون يَخْتَنق وهو يلفظ الكلمة، فالأتهام كان ظالمًا للغاية حتى أن أنفاسه احتبست. «إنهم هم من حاولوا التعديّ عليّ، أربعة منهم!».

- «أربعة أتهتهم في السّاحة، أربعة يخشونك في الغالب. لقد شاهدتك وأنت تُقاتِل، ورأيتُ أن المسألة ليست مجرد تدريبٍ بالنسبة لك. ضع نصلاً حاداً لسيفك وسيتحوّلون إلى لحم ميت. أنت تعرف هذا وأنا أعرفه وهم يعرفونه. إنك لا تترك لهم شيئاً وتُكَلِّلهم بالخزي في كلِّ مرّة، فهل يجعلك هذا فخوراً بنفسك؟».

تردّد جون. كان يَشْعُر بالفخر بالفعل عندما يربح... ولمَ لا؟ لكن

صانع السِّلَاح كان يسلبه هذا الإحساس الآن ويجعله يبدو كأنه ارتكب خطأ ما. هكذا قال بلهجة دفاعية: «جميعهم أكبر مني سنًا».

- «أكبر وأضخم وأقوى، هذا صحيح، لكنني أراهن أن قِيم السِّلَاح في ويترفل علّمك كيف تُقاتل رجالًا أكبر منك حجمًا. لا بُدُّ أنه كان فارسًا مسنًا، أليس كذلك؟».

أجاب چون بحذر: «السير رودريك كاسل». ثمّة فتحٌ هنا يشعُر به ينغلق عليه.

مال دونال نوي إلى الأمام ليواجه چون مباشرة وقال بوجه متجهّم: «فكّر في هذا إذن يا فتى. لا أحد من الآخرين حظي بتدريبٍ من قِيم سلاح قبل السير ألبس. أبائهم كانوا مُزارعين وسائقي عرباتٍ وصيادين وحدّادين ومُعَدّنين وبحّارة على السُّفن التُّجاريّة، كل ما تعلّموه عن القتال كان على ظَهَر مركبٍ أو في أزقة البلدة القديمة أو لانسپورت، في المواخير والحانات على جانب طريق الملوك. ربما سبقت لهم المُبارزة بعضا مرّة أو اثنتين قبل أن يأتوا إلى هنا، لكنني أوكد لك أن أحدًا منهم لم يكن يملك ثمن سيفٍ حقيقي. قل لي إذن، هل يروق لك مذاق الانتصار الآن أيها اللورد سنو؟».

- «لا تُنادني بهذا الاسم!»، صاحَ چون محتدًا، لكن غضبته كانت خاليةً من عنفوانها الآن، وفجأة وجد نفسه يشعُر بالذنب والخجل، فقال مرتبكًا: «لم يخطر لي قطُّ... لم أحسب أن...».

قال نوي: «من الأفضل لك أن تبدأ التفكير إذن. إمّا هذا أو نَم ومَعك خنجر في فراشك. اذهب الآن».

كان النهار قد انتصفَ تقريبًا عندما خرجَ چون من مستودع السِّلَاح، وتسلّلت أشعة الشَّمس من بين السُّحب. أدارَ ظَهَره لها ورفعَ عينيه إلى "الجدار" الذي يلتصق كالبُور الأزرق في نور الشَّمس. حتى بعد مرور كلِّ تلك الأسابيع كان منظر "الجدار" لا يزال يُثير فيه القشعريرة. قرون من

الرَّيَّاحِ الْمُحَمَّلَةِ بِالْأَثَرِ كَانَتْ قَدْ كَسَتْهُ كَغُلَافٍ رَقِيقٍ، وَغَالِبًا مَا كَانَ لَوْنُهُ يَبْدُو رَمَادِيًّا بَاهِتًا كَالسَّمَاءِ الْمُعْتَمَةِ... لَكِنْ عِنْدَمَا يَسْقُطُ عَلَيْهِ نَوْرُ الشَّمْسِ فِي يَوْمٍ صَافٍ وَيُبْرِزُ جَمَالَهُ الْحَقِيقِيَّ، كَانَ "الْجِدَارُ" يَتَأَلَّقُ كَجَوْهَرَةٍ بَثَّ فِيهَا النُّورُ الْحَيَاةَ، فَتَرَاهُ كَجُفْرِ هَائِلٍ الْحُجْمُ يَبْرُقُ بِالْأَبْيَضِ وَالْأَزْرَقِ وَقَدْ حَجَبَ نِصْفَ السَّمَاءِ عَنِ الْأَعْيُنِ.

أكبر بناءٍ شَيَّدَتْهُ أَيَادِي الْبَشَرِ كَمَا قَالَ لَهُ عُمُّهُ بِنَجْنِ سِتَارِكَ عَلَى طَرِيقِ الْمُلُوكِ عِنْدَمَا لَمَحَا "الْجِدَارُ" مِنْ بَعِيدٍ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى. «وَأَكْثَرُ بِنَاءٍ عَدِيمِ الْجَدْوَى بِلَا شَكٍّ»، أَضَافَ نِيرِيونَ لَانِسْتَرِ مَبْتَسِمًا بِسُخْرِيَةٍ يَوْمَهَا، لَكِنْ حَتَّى الْغَفْرِيتِ لَازِدًا بِالصَّمْتِ التَّامِ مَعَ دَنُوهُمْ. بِإِمْكَانِكَ رُؤْيَتَهُ مِنْ عَلَى بُعْدِ أَمْيَالٍ عَدِيدَةٍ، خَطَأً أَزْرَقَ شَاحِبًا بِحَتْلُ الْأَفْقِ الشَّمَالِيِّ، يَمْتَدُّ شَرْقًا وَغَرْبًا فَتَغِيبُ حُدُودُهُ عَنِ الْبَصَرِ، ضَخْمًا مَهِيًّا لَا يُفْهَرُ، كَأَنَّهُ يَقُولُ لَكَ: هُنَا يَنْتَهِي الْعَالَمُ.

عِنْدَمَا لَمَحُوا الْقَلْعَةَ السُّودَاءَ مِنْ بَعِيدٍ، لَمْ تَبْدِ حَصُونُهَا الْخَشَبِيَّةُ وَأَبْرَاجُهَا الْحَجَرِيَّةُ أَكْثَرَ مِنْ بَضْعِ قَوَالِبِ لُعْبَةٍ مَبْعَثَرَةٍ بَيْنَ الثَّلُوجِ نَحْتَ الْجِدَارِ الْجَلِيدِي الْعِمْلَاقِ. مَعْقِلُ الْإِخْوَةِ السُّودِ الْعَتِيقِ لَمْ يَكُنْ يُشْبِهُ وَيَتَرَفَّلُ بِحَالٍ، بَلْ لَمْ يَكُنْ قَلْعَةً عَلَى الْإِطْلَاقِ. كَانَتْ الْقَلْعَةُ السُّودَاءَ بِلَا أَسْوَارٍ، وَلَا يُمَكِّنُ الدَّفَاعَ عَنْهَا مِنَ الْجَنُوبِ أَوْ الشَّرْقِ أَوْ الْغَرْبِ، لَكِنْ كُلُّ مَا يَكْتَرِثُ لَهُ حَرَسُ اللَّيْلِ هُوَ الشَّمَالُ، وَإِلَى الشَّمَالِ يَرْتَفِعُ "الْجِدَارُ" شَاهِقًا. كَانَ ارْتِفَاعُهُ يَبْلُغُ نَحْوَ سَبْعِمِئَةِ قَدَمٍ، أَعْلَى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ أَعْلَى بُرْجٍ فِي الْمَعْقِلِ الَّذِي يَحْمِيهِ. قَالَ عُمُّهُ إِنَّ الْقِمَّةَ وَاسِعَةٌ بِمَا يَكْفِي لِأَنْ يَتَحَرَّكَ عَلَيْهَا سَبْعَةُ فُرْسَانٍ مَدْرَعِينَ عَلَى مَتْنِ خَيْولِهِمْ جَنِبًا إِلَى جَنْبٍ. كَانَتْ الْمَجَانِيْقُ الضَّخْمَةُ الْمَهِيَّةُ وَالرَّافِعَاتُ الْخَشَبِيَّةُ الْعِمْلَاقَةُ الَّتِي تُدَافِعُ عَنِ الْمَكَانِ تَلُوحُ مِنْ أَعْلَى كَهَيَاكِلٍ عَظِيمَةٍ لَطِيفَةٍ عِمْلَاقَةٍ، وَبَيْنَهَا كَانَ يَتَحَرَّكُ رِجَالُ يَرْتَدُّونَ الْأَسْوَدَ يَبْدُونَ كَالنَّمْلِ مِنْ عَلَى هَذِهِ الْمَسَافَةِ.

وَاقِفًا فِي مَكَانِهِ خَارِجَ مُسْتَوْدَعِ السِّلَاحِ رَافِعًا عَيْنَيْهِ إِلَى أَعْلَى، شَعَرَ

چون بالانهار يَغْمُرُه، تمامًا كما حدثَ في ذلك اليوم على طريق الملوك عندما رآه للمرة الأولى. كان هذا ديدن "الجدار"... أحيانًا يكاد المرء ينسى أنه موجود، تمامًا كما تنسى وجود السماء فوق رأسك أو الأرض تحت قدميك، لكن في أحيانٍ أخرى كان يبدو كأن لا شيء آخر موجودًا في العالم. إنه أقدم من الممالك السبع نفسها، وعندما كان يقف تحته ويرفع عينيه إليه كان المنظر يُصيب چون بالدوار. كان يشعر بثقل كل هذا الجليد يضغط عليه كأنه على وشك الانهيار، وبشكلٍ ما شعرَ چون أن سقوط "الجدار" يعني سقوط العالم كله معه.

قال الصّوت المألوف: «بجعلك تتساءل عمّا يقع وراءه، أليس كذلك؟».

نظرَ چون حوله وقال: «لانتستر، لم أرك... أعني أني حسبتُ أنني وحدي».

كان تيريون لانتستر متدثرًا بطبقاتٍ سميكةٍ من الصّوف جعلته يبدو كدُبٍّ صغير جدًا. «ثمة الكثير مما يُمكن قوله عن أخذِ الناس على حين غرة، فلا أحد يدري ما قد يتعلّمه».

قال چون: «لن تتعلّم شيئًا مني». لم يكن قد رأى القزم كثيرًا منذ انتهت رحلتهم. بصفته شقيق الملكة، نزلَ تيريون لانتستر كضيفٍ كريم على حرس الليل، فخصّص له حضرة القائد مكانًا في بُرج الملك -الذي ما زال يحتفظ بهذا الاسم على الرغم من أن ملكًا لم يزره منذ مئة عام- وتناولَ لانتستر طعامه كلَّ يوم على مائدة مورمونت. نهارًا كان يصعد إلى قمة "الجدار"، وليلاً كان يشرب ويُقاير مع السير أليسر وباون مارش وبقية كبار القيّمين.

- «أوه، إنني أتعلّم دائمًا أشياء من كلِّ مكانٍ أزوره»، وأشار الرّجل الصّغير إلى "الجدار" بعُكازٍ أسودٍ وأضاف: «كما كنتُ أقول... لماذا كلما بنى رجل ما جدارًا تجد رجلًا آخر يرغب في معرفة ما يقع وراءه في

الحال؟»، ورفع رأسه لينظر إلى جون بعينه غير المتماثلتين وقال: «مؤكد أنك ترغب في معرفة ما يقع على الجانب الآخر، أليس كذلك؟».

- «لا أعتقد أن ثمة شيئاً يشير الاهتمام على الجانب الآخر». كان يرغب في الخروج مع عمه بنجن ستارك في جولاته، ويدخل معه إلى أغوار الغابة المسكونة بكل ما يُكلِّلها من وحشة وغموض، يرغب في قتال هَمَج مانس رايدر ويحرُس البلاد من "الآخرين"، لكن من الأفضل ألا تتكلَّم عن الأشياء التي ترغب فيها. «الجوالة يقولون إن لا شيء هنالك سوى الغابات والجبال والبحيرات المتجمَّدة، مع الكثير من الجليد والثلج».

قال تيريون: «وماذا عن الجرامكنات والسناركات؟ دعنا لا ننساها أيها اللورد سنو، وإلا ما فائدة هذا الشيء الكبير أصلاً؟».

- «لا تُخاطِبنِي بهذا الاسم».

رفع القزم حاجباً وقال: «هل تُفضِّل أن يدعونك العِفريت؟ دعهم يرون أن كلماتهم تجرحك ولن تتحرَّر من سخريتهم أبداً. إذا أرادوا أن يُطلقوا عليك لقباً ما، فتقبَّله واجعله ملكك، وعندها لن يقوى أحد على أن يجرحك»، ثم أشار بعُكَّازِه وقال: «هَلَمْ، امشي معي. سيقدِّمون يخنة رديئة في القاعة العامة الآن، وأنا أحتاج وعاء من أيِّ طعام ساخن».

كان جون يشعُر بالجوع أيضاً، فانضمَّ إلى لانستر في مشيته بخطوات بطيئة ليُجاري خطوات القزم المتهداية. كانت الرِّيح تشتدُّ، وأصدرت المبانِي الخشبيَّة القديمة صريرها من حولهما، وعلى مسافة بعيدة سمعا صوت مصراع ثقيل يضرب نافذة ما بلا توقُّف وقد نسيه الجميع، وأثناء مرورهما تناهى إلى مسامعهما صوت ارتطام مكتوم وقد انزلت طبقة رقيقة من الثلج من فوق أحد الأسطح وهوت بالقرب منهما.

قال لانستر وهما ماشيان: «لا أرى ذئبك».

- «إنني أقيده في الاسطبلات القديمة أثناء التَّدريب. إنهم يضعون

الخيول كلها في الاسطبلات الشرقية الآن، ولا يوجد ما يُزعجه. بقية اليوم يقضيه معي في حُجيرة نومي في بُرج هاردين».

- «إنه البرج ذو الشُرْفَةِ المتهدِّمة، أليس كذلك؟ أحجاره محطَّمة في الفناء في الأسفل، ومائلٌ نوعًا كَمَلَكنا النَّيْل روبرت بعد ليلةٍ طويلةٍ من الشُّراب؟ حسبْتُ أن تلك المباني القديمة مهجورة».

هَزَّ جون كتفيه وقال: «لا أحد يبالي بالمكان الذي تنام فيه. معظم الحصون القديمة خاوية، ويُمكنك اختيار أيِّ حُجيرة تروق لك». ذات يوم كانت القلعة السوداء تضمُّ خمسة آلاف رجلٍ مُحاربٍ بأحصيتهم وخدمهم وأسلحتهم وعنادهم، والآن تضمُّ عَشْرَ هذا العدد، وأجزاء منها كانت قد صارت خرابًا بالفعل.

خرجت ضحكة تيريون لانستر مليئةً بالبخار وهو يقول: «سأقولُ لأبيك أن يقبض على المزيد من البنَّائين قبل أن ينهار بُرجك».

كانت السُّخْرية واضحةً تمامًا في كلامه، لكن جون لم يستطع إنكار الحقيقة. لقد شيدَّ حرس الليل تسع عشرة قلعةً على امتداد "الجدار"، لكن ثلاثًا منها فقط كانت مشغولة الآن: قلعة الحرس الشرقيَّة على السَّاحل المكشوف للريِّح، وبُرج الظُّلال المقامة عند الجبال حيث ينتهي "الجدار"، وبينهما القلعة السوداء عند نهاية طريق الملوك. القلاع الأخرى المهجورة منذ زمنٍ بعيد كانت الآن أماكن موحشةً مسكونةً تُصرِّص فيها الرِّيح عبر النَّوافذ السوداء وتَحْرُسها أرواح الموتى.

قال جون بعناد: «من الأفضل أن أكون وحدي. بقيَّتْهم خائفون من جوست».

- «صبيَّة حُكماء»، قال تيريون ثم غيَّر الموضوع بقوله: «يقولون إن عمَّك تغيَّب لفترةٍ طويلة».

تذكَّر جون الأمانة التي تمنَّاها في نوبة غضبه ومشهد بنجن ستارك وقد سقطَ صريعًا وسط الثلوج، وأشاح ببصره بعيدًا. كان القزم موهوبًا

في الإحساس بالأشياء، ولم يُرْذِ چون أن يرى الشعور بالذنب في عينيه. قال: «كان قد أخبرني أنه سيعود نحو يوم ميلادي». كان يوم ميلاده قد جاء وراح منذ أسبوعين كاملين. «كانوا يبحثون عن السير وإيمار رويس. أبوه من حاملي راية اللورد آر. عمي بنجن قال إن البحث قد يمتد حتى بُرج الظلال التي تقع بعيدًا في الجبال».

- «سمعتُ أن جِوَالَةَ كثيرين اختفوا مؤخرًا»، قال تيريون لانستر وهما يصعدان السَّلام إلى القاعة العامة، وابتسمَ قائلاً وهو يفتح الباب: «لعلَّ الجرامكنات جائعة هذا العام!».

في الدَّاخل كانت القاعة الواسعة باردةً على الرغم من النار المتَّقدة في المُستوقْد الضَّخْم. أقامت الغربان أعشاشًا لها وسط دعائم السَّقْف العالي، وسمعَ چون نعيها وهو يتناول وعاءً من اليخنة ورغيفًا من الخُبز الأسمر من طهارة اليوم. كان جِرِن وتودر ومجموعة من الآخرين جالسين على دَكَّةٍ بالقرب من المُستوقْد، يتبادلون الضَّحكات والسَّتائم بأصواتٍ خشنة. رفقهم چون مفكرًا للحظة، ثم انتقى مكانًا بعيدًا في نهاية القاعة بمنأى عنهم.

جلسَ تيريون لانستر قُبالة وتشمَّم اليخنة بشك، ثم غمغم: «شعير وبصل وجزر... ثم إن على أحدهم أن يقول للطَّهارة إن اللَّفت ليس لحماً!».

- «إنها يخنة ضأن»، قال چون وخلعَ قُفَّازيه ثم بدأ يُدْفئ يديه بالبخار المتصاعد من الوعاء وقد أسالت الرَّائحة لعابه.

- «سنو».

كان چون يعرف صوت السير أليسر ثورن، لكن كانت هناك نبرة غريبة في صوته لم يسمعها چون من قبل، فالتفتَ إلى قِيم السَّلاح الذي قال: «حضرة القائد يريد أن يراك حاليًا».

للحظةٍ تجمَّد چون في مكانه من الخوف. لماذا يريد أن يراه حضرة

القائد الآن؟ تسارعت الأفكار المحمومة في باله... لا بُدَّ أنهم سمعوا شيئاً عن بنجن... لقد ماتَ وتحققت الرؤيا. قال باندفاع: «أهو عمِّي؟ هل عادَ بأمان؟».

أجاب السير أليسر: «حضرة القائد ليس معتاداً على الانتظار، وأنا لستُ معتاداً على أن يستجوبني نغلٌ بعد أن يتلقَّى مني أمراً». نهضَ تيريون لانستر من على الدُّكَّة وقال: «كفى يا ثورن، إنك تُخيف الصَّبي».

- «لا تدس أنفك في الأمور التي لا تعنيك يا لانستر، فليس لك مكان هنا».

قال القزم مبتسماً: «لكن لديَّ مكاناً في البلاط الملكي. كلمة واحدة مني في الأذن الصَّحيحة وستموت رجلاً هَرِمًا بائساً قبل أن تجد صبيّاً آخر تُدرِّبه. والآن أخبر سنو لِمَ يريد الدُّب العجوز رؤيته. هل هناك أخبار عن عمِّه؟».

قال السير أليسر: «كلا. إنها مسألة مختلفة تماماً. لقد جاء طائر هذا الصَّباح من وينترفل برسالةٍ تخصُّ أخاه»، ثم قال مُصحِّحاً: «أخاه غير الشَّقِيْق».

قال چون لاهناً وهو ينهض بسرعة: «بران... شيء ما حدث لبران». وضعَ تيريون لانستر يده على ذراعه وقال: «چون، أنا آسفٌ جداً». لم يسمعه چون، وأزاح يده وقطعَ القاعة بخطواتٍ واسعة، وعندما بلغَ الباب كان يركض حقاً. انطلقَ إلى حصن القائد وسط الثُلوج القديمة المتراكمة، وعندما سمحَ له الحُرَّاس بالمرور ارتقى درجات البُرج اثنتين في المرَّة، ولَمَّا اندفعَ إلى غُرَّة القائد كان حذاؤه قد غرقَ تماماً وچون نفسه متَّسع العينين متقطعَ الأنفاس. لم ينتظر لحظةً وقال فور دخوله: «بران... ماذا تقول الرِّسالة عن بران؟».

كان حضرة قائد حُرس اللَّيل چيور مورمونت رجلاً مُسنّاً غليظ

الملامح ذا رأسٍ أصلع كبير ولحية شبياء خشنة، وعلى ذراعه استقرَّ غُذاف يتناوَل منه حبوب الذُّرة. «بلغني أنك تجيد القراءة»، قال مورمونت ونفَضَ الطَّائر عن ذراعه، فحَفَق بجناحيه وطارَ إلى النَّافذة واستقرَّ هناك مُراقِبًا مورمونت وهو يسحب ورقةً مطويَّةً من حزامه ويُناولها لِحَون. «ذُرة»، همهمَّ الطَّائر بصوتٍ أجش. «ذُرة، ذُرة».

تحسَّست أصابعُ چون شكل الذُّب الرَّهيب في شمع الختم الأبيض المكسور، وتعرَّف على خَطِّ يد روب، لكن الكلمات بدت غائمةً وهو يُحاول أن يقرأها. أدرك فجأةً أنه يبكي، ثم إنه وجدَ معنى الكلمات من بين عبراته أخيرًا، ورفع رأسه قائلاً: «لقد أفاق. الآلهة أعادته».

قال مورمونت: «أعادته كسيحًا. آسف يا فتى، لكن اقرأ بقِيَّة الرِّسالة». نظرَ إلى الكلمات، لكنها كانت بلا أهمية. لا شيء له أهمية الآن لأن بران سيعيش. قال لمورمونت: «أخي سيعيش»، فهزَّ حضرة القائد رأسه والتقطَ حفنةً من حبوب الذُّرة وأطلقَ صفيراً، فطارَ الغُذاف ليحُطَّ على كتفه صائحًا: «سيعيش! سيعيش!».

نزَلَ چون السَّلام جريًا وعلى وجهه ابتسامة ورسالة روب في يده، وقال للحُرَّاس بسعادة: «أخي سيعيش»، فتبادلوا نظرةً حائرة. اندفعَ چون عائداً إلى القاعة العامَّة حيث وجدَ تيريون لانستر يفرُّغ من وجبته. أمسك الرَّجل الصَّغير من تحت إبطيه ورفعَه في الهواء ودارَ به دورةً كاملةً هاتفاً: «بران سيعيش!». بدا لانستر مأخوذاً تماماً، ثم إن چون أنزله ودَسَّ الورقة في يده قائلاً: «هاك، اقرأ».

كان الآخرون قد تجمَّعوا وينظرون إليه بفضول، ولاحظَ چون أن جِرِن كان يقف على بُعدٍ أقدامٍ قليلةٍ وضُمادة صوفيَّة سميكة تحيط بيده. بدا متوتِّراً وغير مستريح على الإطلاق، ولا لمحةً للتهديد في وجهه. اتَّجه چون إليه، فراجعَ جِرِن إلى الوراء رافعاً يده وقال: «ابتعد عني الآن أيها النُّعل».

قال جون مبتسمًا: «آسفٌ لما حدثَ لمعصمك. روب استخدمَ معي هذه الحركة مرَّةً إنَّما بسيفٍ خشبي، وآلمتني كأنِّي أتعدَّبُ في الجحائم السَّبع، لكن لا بُدَّ أن أملك أقوى. اسمع، يُمكنني أن أريك كيف تُدافع عن نفسك عندما تتعرَّض لهذه الحركة إذا أردت».

تَناهَى كلامهم إلى مسامع أليسر ثورن، فقال متَهَكِّمًا: «اللورد سنو يريد أن يأخذ مكاني الآن. سيكون من الأسهل أن أعلِّم ذُبُّكَ ألعاب الحِوَاة بدلًا من تدريبك لهذا الثور».

قال جون: «سأقبلُ رهانك يا سير أليسر، فأحبُّ أن أرى جوست يُمارِس ألعاب الحِوَاة».

سمعَ جون جرنٍ يحبس أنافسه مصدومًا، وخيَّم الصَّمت التَّام على المكان.

ثم أطلقَ تيريون لانستر ضحكةً مدويةً، ثم انضمَّ إليه ثلاثة من الإخوة السُّود الجالسين إلى طاولةٍ قريبة، وسرعان ما انتشر الضُّحك بين الحضور حتى انضمَّ إليهم الطُّهَّاء كذلك. تحرَّكت الطُّيور في أعشاشها بين دعائم السَّقْف، وأخيرًا أطلقَ جرنٍ نفسه ضحكةً خفيفة.

لم يرفع السير أليسر عينيه عن جون، واسودَّ وجهه والضُّحكات السَّاخرة تتردَّد من حوله وكوَّر يده التي يحمل بها سيفه، وقال بنبرةٍ لاذعةٍ لا تأتي إلَّا من عدُو: «ارتكبتَ خطأ كبيرًا أيها اللورد سنو».



إدارد

عبرَ إدارد ستارك البوابة البرونزية الشاهقة داخلًا القلعة الحمراء وهو يشعر بالإرهاق والألم والجوع والضيق الشديد. كان لا يزال على متن حصانه، يحلُم بحمَّام ساخن طويل وديك مشويّ وفراشٍ وثير، عندما أخبره وكيل الملك أن المايستر الأكبر بايسل قد عقد اجتماعًا عاجلاً للمجلس الصغير، وعلى يد الملك أن يُشرّفهم بالحضور بمجرد أن يكون الوقت ملائمًا. هكذا قال ند مُحتمدًا وهو يترجّل عن الحصان: «سيكون الوقت مناسبًا غدًا».

انحنى الوكيل حتى كاد يكنس الأرض برأسه وقال: «سأبلغ المستشارين اعتذارك يا سيدي».

قال ند: «لا، لا تفعل عليك اللعنة». كان يفكر أنه ليس من المفيد أن يوجّه إهانة للمجلس قبل أن يبدأ حتى. «سأذهب إليهم. فقط امنحني بضع دقائق لأبدّل ثيابي بشيء لائق».

أجاب الوكيل: «كما تأمر يا سيدي. لقد خصصنا لك سكن اللورد آرन السابق في برج اليد إذا كان هذا يرضيك. سأجعلهم يأخذون أغراضك إلى هناك».

قال ند: «أشكرك»، وخلع قفازي الركوب ودسهما في حزامه. كان بقية أهل بيته ومتاعهم يدخلون من البوابة من ورائه. لمح ند وكيله فايون ببول، فنادى عليه وقال: «يبدو أن هناك حاجة مُلحة لوجودي في

المجلس. اعمل على توصيل ابنتي إلى عُرفتي نومهما وقل لجوري أن يُقيهما هناك. غير مسموح لآريا بالخروج للاستكشاف». انحنى بول، بينما التفت ند إلى الوكيل الملكي قائلاً: «عرباتي ما زالت تشق طريقها عبر المدينة. سأحتاج ثوباً مناسباً».

ردّ الوكيل: «بكل سرور».

وهكذا، مُنْهَكًا حتى النُخاع ويرتدي ثياباً مستعارة، دلف ند إلى قاعة المجلس بخطوات واسعة، ليجد أربعة من أعضاء المجلس الصَّغير في انتظاره.

كانت القاعة مؤنَّثة بترف وسخاء... السجَّاد المايري يُعْطِي الأرضية بدلاً من الحصى، وفي أحد الأركان توابت مئة حيوان خُرافي بألوانٍ بَرَّاقَةٍ على جدارية خشبية منقوشة من جُزر الصَّيف، وعُلِّقت على الجدران ستائر مزدانة بالرُّسوم من نورفوس وكُوهور وليس، بينما وقف زوج من تماثيل أبي الهول الفاليريَّة على جانبي الباب، عيونهما المصنوعة من العقيق الأحمر متَّقدة في الوجهين الرُّخاميين الأسودين.

بادرَه أقلُّ مستشارٍ يروق له فيهم -فارس الخَصِي- بالكلام لحظة دخوله قائلاً: «لورد ستارك، لقد حزنْتُ للغاية لَمَّا سمعتُ بمتاعبك على طريق الملوك. كلنا يزور السَّيْت الآن لإشعال الشُّموع للأمير جوفري. إنني أصَلِّي لشفاؤه السَّريع». تركت يده بُقْعاً من مساحيق التَّجميل على كُمِّ ند، ومنه فاحت رائحة كريهة عذبة في آنٍ واحدٍ كأنها رائحة زهورٍ موضوعة على قبر.

أجاب ند بكياسة باردة: «لقد استجابت آلهتك لصلواتك. الأمير يتعافى أكثر مع كلِّ يوم يمرُّ»، ثم حرَّر نفسه من قبضة الخَصِي وعبر القاعة إلى حيث يقف اللورد رنلي عند الجدارية المزخرفة ويتكلَّم مع رجلٍ قصير القامة لا يُمكن أن يكون غير الإصبع الصَّغير. كان رنلي ولدًا في الثامنة من عُمره عندما فاز روبرت بالعرش، لكنه كبر وصار رجلاً يُشبه

أخاه كثيرًا لدرجةٍ وجدها ند مثيرةً للقلق. كلما رأى رنلي تبدَّى له أن الزمن قد عادَ به إلى الوراء ليرى روبرت واقفًا أمامه وقد عادَ لتوّه من انتصاره في معركة الثالوث.

قال رنلي: «لورد ستارك، أرى أنك وصلت بأمان». أجابه ند: «وأنت كذلك. سامحني، لكنك تبدو أحيانًا كنُسخةٍ من أخيك روبرت».

هزَّ رنلي كتفيه وقال بلا مبالاة: «نُسخة باهتة». قال الإصبع الصغير مازحًا: «وإن كانت ملابسه أفضل كثيرًا. اللورد رنلي يُنفق على الملابس أكثر من نصف سيّدات البلاط معًا».

كان هذا حقيقياً فعلاً، فاللورد رنلي كان يرتدي سُترَةً من المخمل الأخضر الداكن طُرِّزَت على صدرها دسنة من الأياثل الذهبية، بينما تدلّت حرملة قصيرة من قُماش الذهب من على كتفه وقد نُبتّها دبّوس زينة من الزمرد. قال رنلي ضاحكًا: «ثمّة جرائم أسوأ من هذا... ملابسك أنت على سبيل المثال!».

تجاهلَ الإصبع الصغير الدُعابة، ورمقَ ند بابتسامةٍ على شفثيه بها لمحة من الاستهانة والغطرسة، وقال: «إنني أتمنّى لقاءك منذ سنين طويلة أيها اللورد ستارك. لا شك أن الليدي كاتلين قد ذكّرتني لك».

رَدَّ ند وبرودة الثلج في صوته وقد جعلَ التعليقَ المتعجرف الغضبَ يعتمل في داخله: «هذا صحيح. اعتقدُ أنك كنت تعرف أخي براندون كذلك».

ضحك رنلي، بينما التفتَ فارس إليهم لسمع، وقال الإصبع الصغير: «عرفته جيّدًا جدًّا، وما زلتُ أحملُ علامةً على تقديره لي. هل تكلمَ براندون عني كذلك؟».

- «كثيرًا، ولم يفتقر كلامه إلى الانفعال الحار»، قال ند أملًا أن يضع

قوله هذا نهاية لهذا السُخف. لم يكن يملك الصبر الكافي للعبة الكلمات هذه.

قال الإصبع الصغير: «حسبتُ أن الحرارة لا تُناسِبكم إطلاقاً يا آل ستارك. يقولون هنا في الجنوب إنكم مخلوقون جميعاً من الجليد، وتذوبون عندما تتجاوزون "العُنق"».

- «لستُ أنوي أن أذوب قريباً أيها اللورد بايلش، ولك أن تُراهِن على ذلك»، ثم تحرَّك ند إلى مائدة المجلس وقال: «مايستر بايسل، أتمنى أن تكون بخير».

ابتسم المايستر الأكبر ابتسامة خفيفة من مكانه على المقعد الطويل عند نهاية المائدة، وأجاب: «بخير قدر ما تسمح سِنِّي يا سيدي، لكن أخشى أنني أتعبُ بسهولة للأسف». خصلات مبعثرة من الشعر الأبيض كانت تهطل من رأسه الأصلع الكبير الشبيه بالقبة على جبهته التي تعلو وجهه دمث الملامح. لم يكن سلسلة المايستر التي يُحيط بها بايسل عنقه عبارة عن خنَاق معدنية كالتي يرتديها لوين، بل تكوَّنت من دسيتين من السلاسل الثقيلة المربوطة معاً لتتحول إلى قلادة ثقيلة جداً تُغطيه من حلقه إلى صدره. كانت الحلقات مصنوعة من كل معدن يعرفه الإنسان: حديد أسود وذهب أحمر، نحاس لامع ورصاص شاحب، فولاذ وصفيح وفضة باهتة، نحاس أصفر وبرونز وبلاتين. كانت هذه الأشغال المعدنية مزينة بالجمشت والبجادي واللؤلؤ الأسود، وهنا وهناك ثمة قطعة من الزمرد أو الياقوت. قال المايستر الأكبر وهو يفرك يديه معاً على بطنه الكبير: «لعل من الأفضل أن نبدأ قريباً، لأنني سأغيبُ في النوم إذا انتظرنا أكثر».

- «كما تشاء».

كان مقعد الملك على رأس المائدة خالياً وقد طُرزَ وعل باراثيون المتوج بخيوط ذهبية على الوسائد. جلس ند على المقعد المجاور له

باعتباره يَدَ الْمَلِكِ وقال بلهجة رسمية: «أعتذرُ لأنني تركتكم منتظرين أيها السادة».

قال فارس: «أنت يَدَ الْمَلِكِ، ونحن رهن إشارتك يا لورد ستارك». ريشما اتَّخذَ كُلَّ من الآخرين مجلسه المعتاد، دَوَّتْ في وجدان إدوارد ستارك فكرة أن مكانه ليس هنا، ليس في هذه القاعة وليس مع هؤلاء الرجال. تذكَّرَ ما قاله له روبرت في السُّرداب تحت ويتترفل: «إنني محاطٌ بالمُرائين والحمقى. تطلَّعْ ند إلى مائدة المجلس وتساءل في قرارة نفسه مَنْ المُرائي منهم وَمَنْ الأحمق، ثم فكَّرَ أنه يعرف الإجابة بالفعل. قال لهم: «إننا خمسة فقط».

قال فارس: «اللورد ستانيس أخذَ نفسه إلى دراجونستون بعد فترة قصيرة من رحيل الْمَلِكِ إلى الشَّمال، ولا شكَّ أن فارسنا الشُّجاع السير باريستون يُرافق الْمَلِكِ وهو يشقُّ طريقه عبر طُرقات المدينة، كما هو واجبه بصفته حضرة قائد الحرس الْمَلِكِي». - «ربما من الأفضل أن نتظر انضمام السير باريستان والمَلِكِ إلينا إذن».

أطلقَ رنلي باراثيون ضحكةً صاخبةً وقال: «سنظلُّ هنا دهرًا لو انتظرنا أن يُشرَّفنا أخي بحضوره الكريم».

قال فارس: «ملكنا العزيز لديه هموم كثيرة، لذلك يعتمد علينا في بعض الأمور الصَّغيرة لتخفيف العبء عنه».

عقبَ اللورد رنلي: «ما يعنيه اللورد فارس أن كُلَّ الأمور المتعلقة بالنَّقد أو المحاصيل أو العدالة تُثير ملل أخي الْمَلِكِ حتى النُّخاع، وهنا يأتي دورنا في حُكم البلاد»، ثم سحبَ ورقةً مطويةً بإحكام من كُمِّه ووضعها على المائدة قائلاً: «أمرني الْمَلِكُ هذا الصُّباح بأن أسبقَ بأقصى سرعةٍ وأطلبَ من مايسترن الأكبر پايسل أن ينعقد هذا المجلس على الفور، لأن لديه تكليفًا مهمًّا لنا».

ابتسم الإصبع الصغير وناول الورقة لند. كانت تحمل الختم الملكي، فكسر ند الشمع بإبهامه وفرد الورقة ليطلع على تكليف الملك المهم، وأخذ يقرأ ودهشته تتصاعد في أعماقه. أما من حدّ لطيش روبرت؟ وأن يفعل هذا باسم ند... كأنه يضع الملح على الجرح. قال مبهورًا: «الرحمة أيتها الآلهة!».

قال اللورد رنلي: «ما يقصد اللورد إدوارد أن يقوله إن جلالته يأمرنا بإقامة دورة مباريات كبرى تكريمًا لتنصيبه يدًا للملك».

سأل الإصبع الصغير بفتور: «كم؟».

قرأ ند الإجابة من الورقة: «أربعون ألف تئين ذهبي للبطل، وعشرون ألفًا لصاحب المركز الثاني، وعشرون أخرى للفائز بالالتحام الجماعي، وعشرة آلاف أخرى للفائز بمسابقة الرماية».

تنهّد الإصبع الصغير وقال: «تسعون ألف قطعة ذهبية، ولا ينبغي أن نتجاهل التكاليف الأخرى. لا بُدّ أن روبرت سيرغب في إقامة مأدبة ضخمة، ما يعني أنه سيكون هناك طُهاة ونجّارون وخادّعات ومُغنّون وحواة ومُهرّجون، إلخ...».

قال اللورد رنلي: «لدينا وفرة من المُهرّجين».

نظر المايستر الأكبر پايسل إلى الإصبع الصغير وسأله: «هل ستحمّل الخزانة التكاليف؟».

أجاب الإصبع الصغير وقد لوى فمه: «عن أيّ خزانة تتحدّث؟ اعفني من الحماقة أيها المايستر. أنت تعرف مثلي تمامًا أن الخزانة خاوية منذ سنوات. سأضطرّ لاقتراض النقود، ولا شك أن آل لانستر سيمدّون لنا يد العون. إننا مدينون للورد تاويون بنحو ثلاثة ملايين تئين حاليًا، فما الفارق إذا اقترضنا مئة ألفٍ أخرى؟».

قال ند مذهولًا: «هل تدّعي أن التّاج مدين بثلاثة ملايين قطعة ذهبية؟».

- «التّاج مدين بأكثر من ستّة ملايين قطعة ذهبية أيها اللورد ستارك.

الجزء الأكبر يخص آل لانستر، لكننا اقترضنا أيضًا من اللورد تايرل وبنك برافوس الحديدي، بالإضافة إلى عدد كبير من الاتحادات التجارية في تايروش. مؤخرًا اضطررتُ للجوء إلى "العقيدة"، ودعني أؤكد لك أن السبتون الأعلى يساوم كتاجر أسماكٍ دورني».

كان ند مشدوهاً حقاً وهو يقول: «إيرس تارجارين ترك خزانة تكاد لا تتسع لما فيها من ذهب، فكيف سمحتم لهذا بالحدوث؟». هزَّ الإصبع الصغير كتفيه قائلاً: «أمين النقد يعثر على النقود ليُنْفِقها المَلِك ويُدَّه».

قال ند منفعلًا: «لن أصدِّق أن جون آرن سمحَ لروبرت بأن يُفلس البلاد!».

هزَّ الوايستر الأكبر پايسل رأسه الأصلع الكبير وحلقات سلسلته تُصلِّص بصوتٍ خاف، وقال: «اللورد آرن كان رجلًا حكيمًا متدبِّرًا، لكنني أخشى أن جلالة لا يُعير اهتمامًا دائمًا للنصائح الحكيمة». قال رنلي باراثيون: «أخي المَلِك يُحبُّ المباريات والمآدب، ويمقت ما يُطلق عليه "عدَّ العملات النحاسية"».

قال ند: «سوف أتحدَّث مع جلالة. هذه الدَّورة تبذير صارخ لا تتحمَّله البلاد».

ردَّ اللورد رنلي: «تحدَّث معه كما تشاء، لكن من الأفضل أن نمضي في خُططنا».

- «في يوم آخر إذن»، قال ند. لعلَّه تكلم بحدَّة أكثر من اللازم كما وشت النظرات التي رمقوه بها. عليه أن يتذكَّر أنه لم يعد في ويترفل حيث لا يعلوه منصبًا غير المَلِك، أما هنا فهو الرَّجل الأول بين أنداده لا أكثر. هكذا قال بنبرة ألطف: «سامحوني أيها السَّادة. إنني مُرهق حقًا. دعونا نكتفي بهذا القدر اليوم ونواصل بعد أن نستريح». ثم إنه لم ينتظر موافقتهم، ونهضَ بسرعة وهزَّ لهم رأسه تحيةً، ثم سارَ إلى الباب.

في الخارج كانت العربات لا تزال تتدفق براكيها عبر بوابة القلعة، والفوضى ضاربة أطنابها في السّاحة التي امتلأت بالخيّل والوَحْل والرّجال الرّاعقين. أخبروه أن المَلِك لم يَصِل بعد. منذ الحادث القبيح على ضفاف الثّالوث سبق ستارك وأهل بيته الموكب الرّئيس بمسافة كبيرة، في محاولة لفصل أنفسهم عن أبناء لانستر والتوتّر المتصاعد. اختفى روبرت نفسه تقريباً منذ ذلك الحين، وقالوا إنه استقرّ في المركبة المجرورة الصّخمة وثمل أغلب الوقت. إذا كان هذا صحيحاً، فلا بُدّ أن ساعات ما زالت تفصله عن الوصول، لكنه سيصل أسرع مما يروق لند على الرغم من ذلك.

لم يكن عليه غير التطلّع إلى وجه سانزا ليشعر بالغضب يعتمل في أعماقه من جديد. كان الأسبوعان الأخيران من رحلتهم بؤساً حقيقياً، فسانزا تلوم آريا وتقول لها إنه كان من المفترض أن تموت نايميريا بدلاً من ليدي، وكانت آريا ضائعة تماماً منذ سمعت بما حدث لصبيّ الجزّار صديقها. سانزا تبكي حتى تنام، وآريا تجلس صامتة شاردة طوال اليوم، وإدارد ستارك يحلم بجحيم من الجليد مخصّص لآل ستارك أبناء ويترفل.

قطع السّاحة الخارجيّة ومرّ من تحت شبكة حديدية إلى الفناء الدّاخي، ثم إنه كان يتّجه نحو البقعة التي يحسب أن بُرج اليد مُقام فيها، عندما برز الإصبع الصّغير أمامه فجأة قائلاً: «إنك تسير في الاتجاه الخطأ يا ستارك. تعال معي».

متردّداً تبعه ند، وقاده الإصبع الصّغير إلى داخل بُرج، ثم نزلاً بضع درجات، ثم عبراً فناء غائر في الأرض، ثم رواقاً مهجوراً وقفت فيه الحُلل المدرّعة تحرّس الجُدران. كانت من آثار آل تارجارين، مصنوعة من الفولاذ الأسود والخوذات مزينة بشكل حراشف الثّنين، والآن صارت منسيّة مكسوة بطبقاتٍ من التّراب. قال ند: «هذا ليس الطّريق إلى سكني».

أجاب الإصبع الصغير والسُّخريه تَقَطَّر من كلماته: «وهل قلتُ إنه كذلك؟ إنني أقودك إلى الزَّنازين لأذبحك ثم أدفن جثَّتكَ وراء حائط. ليس لدينا وقت لهذا يا ستارك، فزوجتك تنتظرك».

- «أيُّ لعبةٍ هذه أيها الإصبع الصغير. كاتلين في ويترفل على بُعد مئات الفراسخ من هنا».

- «حقاً؟». كانت عيناه ذاتا اللَّون الأخضر والرَّمادي تلمعان بالعبث. «لا بُدَّ أن أحدهم تَقَمَّص شخصيتها بمتهى البراعة إذن. للمرَّة الأخيرة أقول لك أن تأتي، أو لا تأتي وسأحتفظُ بها لنفسي»، وبدأ ينزل السَّلام التي أمامهما بسرعة.

تبعه ند بحذرٍ وهو يتساءل إن كان لهذا اليوم من نهاية. لم تكن هذه الحِيل تروق له على الإطلاق، لكنه كان قد بدأ يُدرك أنها كالطَّعام والشَّراب بالنسبة لرجل كالإصبع الصغير. عند أسفل السَّلام كان باب ثقيل مصنوع من السَّنديان والحديد، ورفعَ بيتر بايلش العارضة وأشارَ لند بالمرور. ثم إنهما خرجا إلى جُرفٍ صخريٍّ فوق النَّهر يُضيئه وهج الغسق الأحمر. قال ند: «نحن خارج القلعة».

قال الإصبع الصغير بابتسامةٍ مصطنعة: «أنت رجل يصعبُ خداعه يا ستارك. هل أدركت هذا من الشَّمس أم السَّماء؟ اتبعني... ثَمَّة كُؤات محفورة في الصَّخر. حاول ألاَّ تسقطَ إلى حتفك وإلاَّ لن تُسامحني كاتلين أبداً». قالها وبدأ ينزل على جانب الجُرف بسرعة الفرد.

تطلَّع ند إلى وجه الجُرف الصَّخري للحظة ثم تبعه بسرعةٍ أقل. كانت الكُؤات موجودةً بالفعل كما قال الإصبع الصغير، عبارةً عن شقوقٍ غير عميقةٍ غير مرئيةٍ من أسفل ما لم تكن تعرف أين تبحث عنها بالضبط. أبقى ند وجهه على مقربةٍ شديدةٍ من الصَّخر وحاولَ ألاَّ ينظرَ إلى أسفل ما لم يتطلَّب الأمر هذا.

عندما بلغَ القاع أخيراً -الدَّرب الضيق الموحل على حافة الماء- كان

الإصبع الصَّغير يستند بترأخ إلى صخرة ويكاد يَفْرُغ من تَفَاحَةٍ يلتهمها. قال وهو يُلقِي اللَّب في المِياه المتدفِّقة: «لقد صرت مُسِنًّا بطيء الحركة يا ستارك. لا يهم، فسنقطع بَقِيَّة الطَّرِيق ركوبًا». كان هناك حصانان ينتظرانهما، وامتنطى ند أحدهما وبدأ يتحرَّك وراءه على الدَّرب الضيق إلى داخل المدينة.

أخيرًا توقَّف بايلش أمام مبنى خشبيٍّ متداعٍ يرتفع ثلاثة طوابق، نوافذه منيرة بضوء المصابيح في الغسق المحتشد. تسَلَّلت أصوات الموسيقى والضَّحكات الخشنة من الدَّاخِل وطفَّت فوق سَطَح الماء، وإلى جوار الباب تَارجح مصباح زيتي مزخرف من سلسلته الحديدية الثَّقيلة وقد ضُمَّته كرة من الزُّجاج الأحمر المعالج بالرَّصاص.

نزل ند ستارك من على ظَهَر الحصان، وقال غاضبًا وهو يُطبق على كف الإصبع الصَّغير ويُدِيره نحوه: «ماخور؟ هل جئت بي كلَّ تلك المسافة إلى ماخور؟».

قال الإصبع الصَّغير: «زوجتك في الدَّاخِل».

كانت هذه القِصَّة التي قصَّمت ظَهَر البعير. «براندون كان متهاونًا جدًّا معك»، قال ند وهو يدفع الرَّجل الصَّغير ليرتطم ظَهَره بعُنْفٍ بجدار، ثم يضع خنجره تحت اللَّحِيَّة المدبَّبة الصَّغيرة مباشرةً.

في هذه اللَّحظة صاح صوت ما بلهفة: «سَيِّدي، لا إنه يقول الحقيقة!». سمع ند خطوات أقدام وراءه، فالتفتَ شاهراً خنجره، ورأى رجلًا أمشيب الشَّعر يهرع نحوه. كان يرتدي ثيابًا بُنِيَّة خشنة وتَارجح اللَّحْم اللَّيِّن تحت ذقنه وهو يجري. قال ند: «ليس هذا من شأنك»، ثم تبيَّن ملامح الرَّجل فجأةً، وخفَّض الخنجر قائلاً بدهشة: «سير رودريك؟».

هَزَّ رودريك كاسل رأسه إيجابًا وقال: «سَيِّدتك تنتظرك في الدَّاخِل». دَسَّ ند خنجره في غِمدته وقال بحيرةٍ شديدة: «كاتلين هنا حقًّا؟ وهذه ليست حيلة غريبة من الإصبع الصَّغير؟».

قال الإصبع الصَّغير: «لبيتها كانت كذلك. اتبعني، وحاول أن تبدو أكثر كأحد مرتادي هذه الأماكن وأن تبدو أقلَّ كيدِ المَلِك. لن يكون من المفيد أن يتعرَّف عليك أحد. ربما يُمكنك أن تُداعِبَ ثديًا أو اثنين أثناء مرورك». دخلوا إلى قاعةٍ عامَّةٍ مزدحمةٍ حيث كانت امرأةٌ بادية تُغني أغنيَّةً خليعةً، بينما كانت فتيات شابَّات في غلالاتٍ ناعمةٍ من الكتَّان والحرير الملون يضغطن أنفسهنَّ إلى عُشَّاقهنَّ ويتراقصن في أحضانهم. لم يُعر أحد أدنى اهتمام لند، وانتظرَ السير رودريك في الطابق السُّفلي بينما قاد الإصبع الصَّغير ند إلى الطابق الثالث، حيث عبرَ به رواقًا ثم توقَّف أمام بابٍ وفتحه.

كانت كاتلين تنتظر في الدَّاخل، وقد صاحت عندما رآته واندفعت إليه وألقت نفسها بين ذراعيه.

همسَ ند بعجب: «سيِّدتي!».

قال الإصبع الصَّغير وهو يُغلق الباب: «أوه، عظيم، لقد تعرَّفت إليها». همست كاتلين ورأسها على صدره: «كنتُ أخشى أنك لن تأتي يا سيِّدي. يتر حكي لي عن مشكلتك مع آريا والأمير الصَّغير. كيف حال ابنتي؟».

أجابها: «كلتاها حزينةٌ غاضبةٌ بطبيعة الحال. كات، إنني لا أفهمُ ما يحدث. ماذا تفعلين في كينجز لاندنج؟ ماذا هناك بالضُّبط؟ أهو بران؟ هل...». "مات" هي الكلمة التي وثبتَ إلى شفتيه، لكنه لم يستطع أن ينطقها.

قالت كاتلين: «إنه بران، لكن ليس ما تعتقده».

سألها بحيرةٍ متزايدة: «ماذا إذن؟ لماذا أنتِ هنا يا حبيبتني؟ وما هذا المكان؟».

كان الإصبع الصَّغير هو من أجابه وهو يستريح على مقعدٍ مجاورٍ للنَّافذة: «تمامًا كما يبدو، إنه ماخور. هل يُمكنك التَّكبير في مكانٍ آخر

لا يتصور أحد وجود كاتلين تلي فيه؟»، وأضاف مبتسمًا: «يتصادف أنني أملك هذه المنشأة، وهكذا كان إجراء الترتيبات سهلاً. إنني حريص للغاية على ألا يسمع آل لانستر بوجود كات هنا في كينجز لاندنج».

سأله ند: «لماذا؟». ثم إنه رأى يديها والطريقة المرتبكة التي تحركتهما بها والندوب الحمراء الحديثة وتصلب آخر إصبعين في يسراها، فوضع يديها في يديه قائلاً: «لقد جرحت... يا آلهتي! هذه الجروح عميقة حقاً... أهو سيف؟ سيديتي، كيف حدث هذا بالضبط؟».

أخرجت كاتلين خنجرًا من تحت معطفها ووضعت في يده قائلة: «هناك من أرسل هذا الخنجر لفتح عنق بران وإراقة دم الحياة منه».

تراجع ند كمن أصابته صاعقة وقال: «لكن... من... لماذا قد...». وضعت إصبعًا على شفتيه وقالت: «دعني أخبرك بكل شيء يا حبيبي. سيكون هذا أسرع. أصغ إليّ إذن».

هكذا أصغى إليها وهي تحكي كل شيء له، من حريق برج المكتبة وحتى فارس والحرس والإصبع الصغير، وعندما انتهت جلس إدوارد ستارك شاعرًا بالدوار إلى جوار المائدة والخنجر في يده. ففكر بفتور أن ذنب بران قد أنقذ حياته. ما الذي قاله چون عندما عثروا على الذئب الصغيرة بين الثلوج؟ من المقدّر أن يحظى أبناؤك بتلك الجراء يا سيدي. وها هو قد قتل ذئبة سانزا بنفسه، ومن أجل ماذا؟ أذلك الشعور الذي يُراوده ذنب أم خوف؟ إذا كانت الآلهة هي من أرسلت تلك الذئاب، فأبى حماقة ارتكبتها؟

متألمًا أجبر ند أفكاره على العودة إلى الخنجر وما يعنيه، وردّد: «خنجر العفريت». لم يكن هذا معقولاً. أطبقت يده على المقبض الأملس المصنوع من عظام التنين، ثم غرس النصل في أعماق خشب المائدة، ليقف منتصبًا هناك ويسخر منه. «ما الذي يجعل نيريون لانستر يرغب في موت بران؟ إنه لم يُصِبه بأيّ أذى قط».

قال الإصبع الصَّغير: «ألا يوجد شيء بين أذنيَّ كلِّ منكم غير الثَّلج يا آل ستارك؟ من المستحيل أن العِفريت كان يتصرَّف وحده». نهَض ند وأخذَ يذرع العُرفة. «إذا كان للملَكة دور في هذا أو -حاشا للآلهة- الملَكة نفسه... كلا، لن أَصدِّق هذا». لكن وهو ينطق هذه الكلمات كان يتذكَّر ذلك الصُّبح البارد في منطقة الرُّوابي وكلام روبرت عن إرسال قاتل مَاجورٍ وراء الأميرة ابنة تارجارين، وتذكَّر ابن ريجار الرُّضيع والخراب الأحمر الذي صارتَه جمجمته والطريقة التي أدارَ الملَكة بها ظَهْرَه، تمامًا كما فعلَ في قاعة دارِي منذ فترة ليست بالبعيدة. كانت توَسُّلات سانزا ما زالت تتردَّد في أذنيه، تمامًا كتوَسُّلات ليانا من قبل.

قال الإصبع الصَّغير: «غالبًا لا يعرف الملَكة شيئًا عن الأمر. هذه ليست المرَّة الأولى على أيِّ حال، فعزينا روبرت خبير في إغلاق عينيهِ أمام الأشياء التي لا يرغب في رؤيتها». لم يملك ند ردًّا لهذا، وسبَّحت صورة صبيِّ الجَزَّار أمام عينيهِ وقد سُقِّيَ إلى نصفين تقريبًا، وبعدها لم يقل الملَكة كلمةً واحدةً. كان رأسه يدقُّ بعُنف.

مضى الإصبع الصَّغير متهاديًا إلى المائدة وانتزع الخنجر من خشبها، ثم قال: «الأنَّهام خيانة في جميع الأحوال. أنَّهم الملَكة وستجد نفسك تَرَقُّص مع إلين باين قبل أن تَخْرُج الكلمات من فمك. أمَّا الملَكة... لو عثرت على دليل، ولو استطعت أن تجعل روبرت يُصغِي لك، فربما...». قال ند: «لدينا الدَّلِيل، الخنجر هو الدَّلِيل».

قلَّب الإصبع الصَّغير الخنجر بين يديه قائلاً: «هذا؟ إنه قطعة ممتازة من الفولاذ، لكنه يقطع في اتِّجاهين يا سيِّدي. سوف يُقسِم العِفريت بلا شك أن الخنجر قد ضاع أو سُرِقَ منه وهو في ويترفل، ثم إن قاتله المَاجور قد مات ولا يوجد من ينفي هذا»، ثم ألقي الخنجر بخفة إلى ند

وأردف: «نصباحتي أن تُلقني بهذا الشيء في النهار وتنسى أنه صُنِعَ على الإطلاق».

رمقه ند بنظرة باردة وقال: «لورد بايلش، إنني ستارك من وينترفيل، وابني مشلول في فراشه وربما يُحتضر كذلك، ولكان ميتًا الآن بالفعل وكاتلين معه لولا الذئب الصغير الذي وجدناه بين الثلوج. إذا كنت تعتقد حقًا أنني سأتناسي أمرًا كهذا، فأنت أحمق الآن تمامًا كما كنت عندما قرّرت مُبارزة أخي».

- «لعلّي أحمق يا ستارك، لكني ما زلتُ هنا بينما يتحلّل أخوك في قبره المتجمّد منذ أربعة عشر عامًا. إذا كنت ترغب في التحلّل إلى جواره، فأخبر شيء سافعله هو محاولة إثباتك عن هذا، لكني أفضل ألاّ يتضمّنني هذا، شكرًا لك».

- «أنت آخر رجل أنضمّنه بإرادتي في أيّ شيء أيها اللورد بايلش». وضع الإصبع الصغير يداً على قلبه وقال: «إنك تجرحني يا سيّدي. الحقُّ أنني من ناحيتي وجدتكم دائماً قومًا مُتعبين يا آل ستارك، لكن يبدو أن كات صارت وثيقة الصّلة بكم للغاية لسبب ما لا أقوى على استيعابه. سوف أحوّل الحفاظ على حياتك من أجل خاطرها. إنها مهمة عقيمة بالطبع، لكني لا أستطيع أن أرفض طلبًا من زوجتك».

قالت كاتلين: «لقد أفصحتُ لبيتر عن شكوكنا حول موت جون آر، ولقد وعدَ بمساعدتك على الوصول إلى الحقيقة».

لم يلقَ هذا الخبر ترحيبًا من إدوارد ستارك، لكن كان من البين تمامًا أنهما يحتاجان مساعدته، والإصبع الصغير كان بمثابة الأخ لكاتلين ذات يوم، ولن تكون هذه هي المرأة الأولى التي يتحالّف فيها ند مع رجل لا يستسيغ وجوده. قال وهو يدسُّ الخنجر في حزامه: «ليكن. لقد ذكرت فارس، فهل يعرف الخَصى بكلّ شيء أيضًا؟».

أجابَت كاتلين: «ليس مني. إنك لم تتزوَّج من حمقاء يا إدوارد ستارك،

لكن فارس لديه أساليبه التي يعرف بها ما لا يستطيع غيره معرفته. إنه يُمارس فنًا أسودًا ما ياند، أقسم لك».

ردّد رافضًا عبارتها الأخيرة: «إن لديه جواسيس كثر في كلّ مكان. هذا معروف».

قالت كاتلين مُصِرّةً: «المسألة أكبر من هذا. لقد تكلم السير رودريك مع السير أرون سانتاجار بكلّ سرّيّة، لكن العنكبوت علم بحوارهما على الرغم من ذلك. إنني أخشى ذلك الرّجل».

ابتسم الإصبع الصّغير وقال: «اتركي اللورد فارس لي يا سيّدي الجميلة. إذا سمحت لي بقولٍ بذيء - لأنه الوصف الأدق - فإنني أطبق على خصيتي الرّجل بيدي»، وضمّ أصابعه دون أن تُفارق الابتسامة وجهه وأردف: «أو كنتُ لأفعل لو كان رجلاً، أو لو كانت لديه خصيتان. كما تعرفين، إذا ثرثر أحدهم بشيء، فستبدأ الطّيور في الغناء، ولن يروق هذا لفارس. لو كنتُ مكانك لقلقتُ أكثر من آل لانستر وأقلّ من الخَصِي».

لم يكن ند في حاجةٍ لأن يُخبره الإصبع الصّغير بهذا. عادَ بذاكرته إلى يوم عثروا على آريا، إلى النّظرة في عيني المَلِكة عندما قالت: ثَمّة ذئب هنا بمنتهى النّعمة والهدوء. كان يُفكّر في الصّبي مايكا، في وفاة چون آرَن المِباغتة، في سقطة بران، في المجنون إيرس تارجارين واحتضاره على أرض قاعة عرّشه ودمه يجفّ على النّصل الذّهبي. قال ملتفتًا إلى كاتلين: «سيّدي، لم يَعدْ هناك ما يُمكنك فعله هنا. أريدك أن تعودِي إلى ويترفل في الحال. طالما أنه كان هناك قاتِل فمن الوارد أن هناك غيره. سرعان ما سيُعلم أيّا كان من أمرَ بقتل بران بأنه ما زال حيًّا».

قالت كاتلين: «كنتُ أملُ أن أرى الفتاتين».

تدخّل الإصبع الصّغير في الحوار قائلاً: «خطوة غير حكيمة على الإطلاق. القلعة الحمراء ملأى بالعيون الفضوليّة، كما أن الأطفال يتكلّمون كثيرًا».

قال لها ند: «إنه على حق يا حبيبتى»، ثم ضمَّها إليه وأضاف: «خُذي السير رودريك وعودي إلى ويتترفل، وسأعتني أنا بالفاتنتين. ارجعي إلى أبنائنا وحافظي على سلامتهم».

قالت كاتلين: «كما تقول يا سيدي»، ثم رفعت وجهها إليه ولشمت شفتيها. تشبَّت أصابعها المشوَّهة بظهره بقوة يائسة، كأنها ترغب في احتوائه في أمان ذراعها إلى الأبد.

- «هل يرغب اللورد والليدي في استخدام الغرفة؟»، سأل الإصبع الصَّغير بخُبث. «يجب أن أحوِّرك يا ستارك، إننا نفرض سعرًا على هذا النوع من الأنشطة ها هنا».

أجابته كاتلين: «قليل من الوقت وحدنا فقط، هذا كلُّ ما أطلبه». قال وهو يمشي إلى الباب: «ليكن، لكن لا تتأخَّرا، فقد تأخَّر الوقت وينبغي أن أعود مع اليَد إلى القلعة قبل أن يلاحظ أحدهم نغيَّنا».

ذهبت كاتلين إليه وأخذت يده في يدها وقالت: «لن أنسى مساعدتك لي يا پيتر. عندما جاءني رجالك، لم أكن أعرف إن كانوا سيأخذونني إلى عدوِّ أم صديق، لكنني وجدتُ فيك أكثر من صديق، وجدتُ الأخ الذي حسبْتُ أنني فقدته».

ابتسم پيتر بايلش قائلاً: «إنني عاطفيٌّ لأقصى حدٍّ يا سيديتي الجميلة، لكن لا تُخبري أحدًا بهذا، فقد قضيتُ سنواتٍ بأكملها في محاولة إقناع البلاط بأنني خبيث قاسي القلب، وأكره أن أرى كلَّ هذا المجهود يضيع». لم يُصدِّق ند كلمةً واحدةً من هذا، لكنه حافظَ على نبرة مهذَّبة في صوته وهو يقول: «لك شكري كذلك أيها اللورد بايلش».

قال الإصبع الصَّغير وهو يخرج: «أوه، يا له من كثيرٍ حقيقي!». عندما أغلق الباب وراءه، التفت ند إلى زوجته وقال بلهجة شديدة الجدَّة: «عندما تعودين إلى الدِّيار، أريدك أن تُرسلي رسالةً تحمل ختمي إلى هِلمان تولهارت وجالبارت جلوفر. على كلِّ منهما أن يُرسل مئة رام

لنحصين خندق كايلىن. باستطاعة مئتي رام قوي أن يُدافعوا عن "العُتق" ضدَّ أيِّ جيش. أرسلني تعليماتٍ أيضًا إلى اللورد ماندريلي بأن يُصلح ويُقوِّي دفاعاته كلها في الميناء الأبيض وأن يتأكَّد من أنها محصَّنة جيِّدًا. ومن الآن فصاعدًا أريدُ أن يظلَّ ثيون جرابجوي تحت المراقبة. إذا قامت الحرب، فستكون حاجتنا إلى أسطول أبيه مأسَّةً.

كان الخوف جليًّا على وجه كاتلين وهي تُردِّد: «الحرب؟».

- «لن يصل الأمر لذلك الحد»، وعدَّها ند وهو يتمنَّى أن يكون هذا صحيحًا. احتواها بين ذراعيه مرَّةً أخرى وقال: «آل لانستر لا يتمتَّعون بأيِّ رحمةٍ في وجه الضُّعفاء كما تعلَّم إيرس تارجارين متأخرًا جدًّا، لكنهم لن يجرؤوا على مهاجمة الشَّمال دون قوَّة البلاد كلها معهم، وذلك لن يكون. عليَّ أن ألعب دوري في هذه التمثيلية كأن شيئًا لم يكن. تذكَّري سبب مجيئي إلى هنا يا حبيبتى. إذا وجدتُ دليلًا على أن آل لانستر هم من قتلوا جون آر...».

شعرَ بكاتلين ترتجف بين ذراعيه، وتشبَّثت يداها الجريحتان به وهي تقول: «إدَّا... وماذا بعدها يا حبيبي؟».

كان ند يعرف أن هذا أخطر جزءٍ من المسألة كلها. قال لها: «العدالة كلها تأتي من المَلِك. يجب أن أذهب إلى روبرت عندما أعرفُ الحقيقة». وأتمنَّى أن يكون الرَّجل الذي أحسبه، وليس الرَّجل الذي أخشى أنه صارَه.



تيريون

سأله حضرة القائد: «متأكد من أنك تريد المغادرة بهذه السرعة؟». أجاب تيريون: «متأكد تمامًا يا لورد مورمونت. لا بُدَّ أن أخفي چايمي يتساءل عما حلَّ بي، وقد يحسب أنك أقنعتني بأن أرتدي الأسود».

- «ليتني أستطيع». التقط مورمونت مخلب سرطان بحري وهشمة في قبضته. على الرغم من سنّه المتقدّمة كان اللورد مورمونت لا يزال يملك قوّة دُب. «أنت داهية يا تيريون، ونحن نحتاج رجالًا من نوعك هنا على الجدار».

قال تيريون مبتسمًا: «سوف أجوب الممالك السبع إذن بحثًا عن الأقزام وأشحنهم إليك جميعًا أيها اللورد مورمونت». ضحك الجميع، بينما امتصّ تيريون اللحم من ساق سرطان بحري ومدّ يده إلى أخرى. كانت السرطانات البحريّة قد وصلت من القلعة الشرقيّة هذا الصّباح معبّاة في برميل من الثلج، وكانت ربّانة شهيةً فعلاً.

كان السير أليس ثورن الوحيد على المائدة الذي لم يُكلّف نفسه عناء الابتسام حتى، وقال: «لأنستري سخر منا».

- «منك أنت فقط يا سير أليس»، قال تيريون، وهذه المرّة كانت الضّحكات التي تردّدت حول المائدة متوتّرةً عصبيّةً بعض الشيء. ركّز ثورن نظرات عينيه السوداءين على تيريون بازدياء، وقال: «لديك

لسان جريء بالنسبة لمخلوقٍ هو أقلُّ من نصف رجل. ربما يجدر بنا أن نزور السّاحة معاً».

قال تيريون: «لماذا؟ الطّعام موجود هنا!».

دفع التّعليق الآخرين للضحك أكثر، ووقف السير أليسر وقد تحوّل فمه إلى خطّ رفيع، وقال: «تعال وجرب إلقاء دُعاباتك وأنت تحمل فولاذاً في يدك».

أشار تيريون برأسه إلى يده اليمنى وأجاب: «لكني أحمل فولاذاً في يدي بالفعل يا سير أليسر، رغم أنه مجرد شوكة على ما يبدو. هل نبدأ المُبارزة الآن إذن؟»، ووثب واقفاً على مقعده وبدأ يركز صدر ثورن بالشوكة الصّغيرة، وتردّدت الضّحكات المدوية في المكان، وتطايرت قطع من سرطان البحر من فم حضرة القائد وهو ينهج ويختنق، وحتى غدافه انضمّ إليهم وأخذ ينبع بصوت عالٍ من فوق النّافذة مردّداً: «مُبارزة! مُبارزة!».

خرج السير أليسر ثورن من المكان متخسّباً حتى أنه بدا كأن هناك سكبناً مغروساً في مؤخرته، بينما كان مورمونت لا يزال يُحاول التقاط أنفاسه، فدقّ تيريون على ظهره ثم صاح: «الغنائم للمتصر! حصّة طعام السير أليسر من نصيبي الآن!».

أخيراً استعاد حضرة القائد مورمونت أنفاسه، وقال موبّخاً: «شرّ منك أن تستفزّ سير أليسر يا رجل».

عاد تيريون يجلس وأخذ رشفة من التّبيذ وقال: «إذا رسم رجل ما علامة التّيشان على صدره، فعليه أن يتوقّع أن أحدهم سيرميه بسهم عاجلاً أو آجلاً. لقد رأيتُ موتى يتحلّون بحسّ الفكاهة أكثر من السير أليسر».

قال حضرة الوكيل باون مارش -الرجل المتورّد المستدير كحبة الرّمّان- معترضاً: «هذا ليس صحيحاً. يجدر بك أن تسمع الأسماء الهزليّة التي أطلقها على الأولاد الذين يدرّبهم».

كان تيريون قد سمع بعضاً من تلك الأسماء الهزليّة، فقال: «أراهن أن

الأولاد لديهم بعض الأسماء التي يُطلقونها عليه بدورهم. أزيلوا تلك النظرات الباردة من أعينكم أيها السادة. الأجدد بالسير أليس ثورن هذا أن يعمل في تنظيف اسطبلات الخيول من الروث، لا أن يُدرب جنودكم الصغار».

دمدم اللورد مورمونت: «الحرس ليس في حاجةٍ إلى المزيد من صبيان الاسطبلات، لكن يبدو أن هؤلاء هم كل من يُرسلون إلينا هذه الأيام، صبيان الاسطبلات واللصوص والمُغتصبين. السير أليس فارس مُنصَّب، وأحد الفرسان القلائل الذين ارتدوا الأسود منذ أصبحت قائداً، ولقد قاتل بشجاعةٍ في كينجز لاندنج».

قال السير چارمي ريكز بلهجة جافة: «على الجانب الخطأ. سَلني أنا، فقد كنتُ هناك معه. يومها أعطانا تابوين لانستر خياراً رائعاً: إمّا أن نرتدي الأسود أو يُعلّق رأس كل منا على خازوقٍ قبل حلول المغرب. لا أقصدُ إساءةً طبعاً يا تيريون».

- «لا إساءة على الإطلاق يا سير چارمي، فأبي مولع بالرؤوس المخورقة، بالذات تلك التي تنتمي لمن أثاروا ضيقه بشكل أو بآخر، وبوجه نبيل كوجهك لا شك أنه تصوّره وهو يُزيّن سور المدينة فوق بوابة الملك. اعتقد أنك كنت لتبدو أخذاً هناك!».

أجاب السير چارمي بابتسامةٍ متعكّمة: «أشكرك». تنحنحَ حضرة القائد مورمونت وقال: «أحياناً أخشى أن السير أليس يقول الحقّ عنك يا تيريون، فأنت تسخر منا ومن هدفنا النبيل فعلاً».

هزّ تيريون كتفيه مجيباً: «كلنا يحتاج إلى من يسخر منه بين الحين والآخر أيها اللورد مورمونت، خشية أن نأخذ أنفسنا على محمل الجدّ أكثر من اللازم»، ثم رفع كأسه وقال: «المزيد من النبيذ من فضلكم». ريشما ملأ ريكز كأسه له قال باون مارش: «تعاني من ظمأٍ شديدٍ بالنسبة لرجل صغير مثلك».

- «أظنّ أن اللورد تيريون رجل كبير جدّاً»، قال المايستر إيمون من

مكانه عند نهاية المائدة. كان يتكلم بصوت خفيض، وإن لاذ جميع كبار قِيَمِي حرس الليل بالصمت التام كي يسمعو ما يقوله الرجل الطاعن في السن. «أظن أنه عملاق جاء ليكون بيننا هنا عند نهاية العالم».

أجاب تيريون بلطف: «لقد أطلق علي أسماء عديدة يا سيدي، لكن نادرًا ما كان "العملاق" منها».

قال المايستر إيمون وقد دار بعينه الغائمتين ذاتا اللون الأبيض كالحليب نحو تيريون: «ما زلت أعتقد أن هذا صحيح رغم كل شيء». كانت هذه من المرات النادرة التي وجد تيريون نفسها فيها عاجزًا عن الرد، فلم يملك إلا أن يحني رأسه ويقول: «أنت شديد السماحة أيها المايستر إيمون».

ابتسم الرجل الضئير. كان ضئيلاً، امتلاً وجهه بالتجاعيد وزال شعره تمامًا، وتقلص حجمه مع المئة عام التي قضاها حيًا، وأحاطت سلسلة المايستر ذات الحلقات التي تتكوّن من شتى المعادن برقبته المهزولة. قال المايستر: «لقد وصفتُ بأشياء عديدة يا سيدي، لكن نادرًا ما كانت السماحة منها»، وهذه المرة كان تيريون هو من قاد الضحك الذي تفجّر بينهم.

بعد فترة طويلة من هذا، عندما فرغوا من الأكل وغادر الآخرون، أشار مورمونت لتيريون بالجلوس على مقعد بالقرب من النار وقدم له كأسًا من الخمر المتبل في غاية القوة حتى أن عينيه دمعتا. قال له حضرة القائد وهما يحتسيان شرابهما: «طريق الملوك قد يكون خطرًا على هذه المسافة شاملاً».

قال تيريون: «چيك وموريك سيكونان معي، كما أن يورن في طريقه إلى الجنوب مرة أخرى».

رد مورمونت بلهجة لا تحتمل النقاش: «يورن مجرد رجل واحد. سيصحبك رجال من حرس الليل حتى ويترفل، ثلاثة منهم كافية».

قال تيريون: «إذا كنت مُصرًا يا سيدي. ربما يمكنك أن تُرسل سنو الصغير، فسيُساعد لفرصة رؤية إخوته».

تجهّمت ملامح مورمونت من وراء لحيته الشَّيباء الكثيفة وقال: «سنو؟ آه، تقصّد نغل ستارك. لا أظنُّ، فالصُّغار في حاجةٍ لأن ينسوا الحياة التي تركوها وراءهم، إخوتهم وأمهاتهم وما إلى ذلك. زيارتهم لديارهم لن تفعل شيئاً غير تحريك مشاعر من الأفضل أن تُترك خامدة. صدّقني، إنني أعرفُ تلك الأشياء... ميج مورمونت، أختي التي من لحمي ودمي، تحكّم جزيرة الدّيبية الآن بعد العار الذي كلّل ابني نفسه به، ولديّ ابنة أختٍ لم أرها قط»، وأخذ رشفةً من الخمر وأضاف: «كما أن جون سنو مجرد صبي، بينما سيصحبك ثلاثة من الرُّجال الأقوياء للحفاظ على سلامتك».

- «إنني متأثّر من اهتمامك أيها اللورد مورمونت». كان الشُّراب قوياً لدرجة أنه أدار رأس تيريون، لكنه لم يكن ثملاً لدرجة أنه لم يلاحظ أن الدُّب العجوز يريد شيئاً منه، فقال: «أتمنّى أن أستطيع ردّ الجميل».

قال مورمونت بصراحة تامّة: «تستطيع هذا. إن أختك تجلس إلى جوار المَلِك، وأخوك فارس عظيم، وأبوك أقوى لورد في الممالك السَّبع على الإطلاق. كلّمهم بالنِّبابة عنا، أخبرهم عن حاجتنا هنا. لقد رأيت بنفسك يا سيّدي... الحرس الليلي يحضر. قوتنا أقلّ من ألف رجل الآن، ستمئة هنا ومئتان في بُرج الظلال وأقلّ من هذا في قلعة البحر، والمُحاربون يقلّون عن ثلث هذا العدد. "الجدار" طوله مئة فرسخ... فكّر في هذا، لو حدثتُ وشنّ أحدهم علينا هجوماً، فلديّ ثلاثة رجالٍ يُدافعون عن كلّ ميلٍ منه».

قال تيريون متائباً: «ثلاثة وثلث».

لم يبدُ أن مورمونت سمعه أصلاً. أدفأ الرجل المُسنُّ يديه أمام النّار وقال: «لقد أرسلتُ بنجن ستارك للبحث عن ابن يون رويس الذي فُقد في جولته الأولى. ابن رويس هذا كان أخضر كالعُشب في الصَّيف، لكنه أصرَّ على أن يحظى بشرف القيادة قائلاً إن هذا من حقه كفارس. لم أرغب في الإساءة لوالده، فأذعنتُ وأرسلته مع رجلين اعتبرتهما بكفاءة أيّ من رجال حرس اللّيل أنفسهم... كنتُ أحمق».

- «أحمق!»، ردّد الغداف ورفع تيريون عينه إليه، وحدّق الطائر بهاتين

العينين المرزئتين السوداوين نافسًا ريشه. «أحمق!»، ردَّد الغُدا ف ثانيةً. لا ريب أن مورمونت سيَشعرُ بشيءٍ من الاستياء إذا خنقَ تيريون هذا الطائر... للأسف.

لم يُعرِ حضرة القائد اهتمامًا للطائر المزعج واستطرد: «چارد كان في سني نفسها تقريبًا، وقضى وقتًا أطول مني على "الجدار"، لكن يبدو أنه حنثَ بقسمه وفرَّ. لم أكن لأصدِّق هذا عنه أبدًا، لكن اللورد إدارد ستارك أرسلَ لي رأسه من وينترفيل. أمَّا رويس فلا أثر له على الإطلاق. متهرَّب واحد واثنان مفقودان، والآن اختفى بنجن ستارك أيضًا، وأطلقَ زفرةَ حارَّةٍ وتابع: «من أرسلَ بحثًا عنه إذن؟ سأبلغُ السَّبعين عامًا بعد عامين فقط، هَرِمًا ومُتعبًا جدًّا ولا أقدر على حمل هذا العبء، لكن لو قرَّرتُ التَّقاعد فمن سيحمل الرِّاية من بعدي؟ أليس ثورن؟ باون مارش؟ سأكون أعمى تمامًا كالمايستر إيمون لو لم أرهما على حقيقتهما. لقد تحوَّل حرس اللَّيل إلى شُرذمةٍ من الصَّبية المشاكسين والمُسنِّين المُتعبين. بخلاف الرِّجال الذين يجلسون إلى مائدتي، فليس لديَّ غيرَ عشرين رجلًا تقريبًا ممن يُجيدون القراءة، وأقل منهم ممن يُفكِّرون أو يُخطِّطون أو يقدِّرون. في قديم الزَّمن كان حرس اللَّيل يقضون الصَّيف في البناء، وكلُّ قائد كان يُعلِّي "الجدار" عن سابقه، أمَّا الآن فإننا نبذل كلَّ ما في طاقتنا كي نبقي أحياء لا أكثر».

كان جليًا لتيريون أنه جادُّ تمامًا في كلامه، وشعرَ بشيءٍ من الحرج للرجل. لقد قضى مورمونت فترةً طويلةً من حياته على "الجدار"، وكان في حاجةٍ لأن يصدِّق أن كلَّ تلك السَّنوات لها معنى ولم تذهب سُدى. هكذا قال بجديَّة: «أعدك أن المَلِك سيعلِّمُ بحاجتكم، وسأتكلَّم مع أبي وأخي كذلك». وسيفعل حقًّا... تيريون لانستر لا يخلف الوعد، لكنه لم يُفصِّح عن باقي كلامه: سوف يتجاهله المَلِك روبرت، وسيسأله اللورد تاويين إن كان قد فقدَ عقله، وچايمي سيكتفي بالضَّحك.

قال مورمونت: «أنت شابٌّ يا تيريون. كم شتاءَ شهدت؟».

هَزَّ تِيرِيونَ كَتْفِيهِ مَجِيئًا: «ثَمَانِيَةُ أَوْ تِسْعَةٌ، لَا أَذْكَرُ بِالضَّبْطِ».

- «وَكُلُّهَا كَانَ قَصِيرًا».

- «كَمَا تَقُولُ يَا سَيِّدِي». لَقَدْ وُلِدَ تِيرِيونَ فِي قَلْبِ الشِّتَاءِ، ذَلِكَ الشِّتَاءُ الْقَاسِي الشَّنِيعَ الَّذِي قَالَ الْمَاسِئِرَاتُ إِنَّهُ دَامَ ثَلَاثَةَ أَعْوَامٍ، لَكِنْ أَقْدَمَ ذِكْرِيَاتِ تِيرِيونَ كَانَتْ عَنِ الرَّبِّيعِ.

- «عِنْدَمَا كُنْتُ صَغِيرًا كَانُوا يَقُولُونَ إِنَّ الصَّيْفَ الطَّوِيلَ يَعْنِي مَجِيءَ شِتَاءٍ طَوِيلٍ أَيْضًا. هَذَا الصَّيْفُ اسْتَمَرَّ تِسْعَةَ أَعْوَامٍ بِأَكْمَلِهَا يَا تِيرِيونَ، وَالْعَامَ الْعَاشَرَ يَدْنُو بِسُرْعَةٍ، فَفَكَّرَ فِي هَذَا».

أَجَابَ تِيرِيونَ: «عِنْدَمَا كُنْتُ أَنَا صَغِيرًا قَالَتْ لِي مُرَضِّعَتِي إِنَّهُ لَوْ تَحَلَّيْنَا بِالصَّلَاحِ، فَسَيَأْتِي يَوْمٌ تُنْعِمُ فِيهِ الْآلِهَةُ عَلَى الْعَالَمِ بِصَيْفٍ بِلَا نِهَآيَةٍ. مِنْ الْمُحْتَمَلِ إِذْنُ أَنَّنَا أَصْلَحَ مِمَّا حَسَبْنَا، وَالصَّيْفُ الْعَظِيمُ حَلَّ أَخِيرًا». قَالَهَا وَابْتَسَمَ سَاحِرًا.

لَمْ يَبْدُ حُضْرَةُ الْقَائِدِ رَاضِيًا، وَقَالَ: «أَنْتَ لَسْتَ بِالْحُمُقِ الَّذِي يَجْعَلُكَ تُصَدِّقُ ذَلِكَ يَا سَيِّدِي. لَقَدْ صَارَ النَّهَارُ أَقْصَرَ بِالْفِعْلِ، وَلَا مَجَالَ لِلخَطَا هُنَا، فَقَدْ تَلَقَّى إِيْمُونُ رِسَالَتَ مِنْ «الْقَلْعَةِ» بِهَا نَتَائِجُ أبحاثٍ تَتَّفَقُ مَعَ نَتَائِجِهِ. إِنْ نِهَآيَةُ الصَّيْفِ تُحْمِلُ فِي وَجْهِهَا»، وَمَدَّ مَورْمُونَتُ يَدَهُ وَأَطْبَقَ عَلَى يَدِ تِيرِيونَ بِقُوَّةٍ قَائِلًا: «لَا بُدَّ أَنْ تَجْعَلَهُمْ يَسْتَوْعِبُوا هَذَا، لَا بُدَّ. أَوْ كَذَلِكَ يَا سَيِّدِي أَنْ الظَّلَامُ قَادِمٌ. ثَمَّةُ أَشْيَاءَ ضَارِيَةٍ فِي الْغَابَاتِ، ذِئَابُ رَهِيْبَةٍ وَمَا مَوْنَاتُ وَدِيْبَةٍ جَلِيدٌ تُنَآهِزُ الشِّرَانَ الْبَرِّيَّةَ حُجْمًا، وَلَقَدْ رَأَيْتُ أَشْيَاءَ أَشْنَعُ فِي أَحْلَامِي».

- «فِي أَحْلَامِكَ»، رَدَّدَ تِيرِيونَ مَفْكَرًا أَنَّهُ يَحْتَاجُ بِشَدَّةٍ إِلَى شَرَابٍ قَوِيٍّ آخَرَ.

لَمْ يَتَبَّهَ مَورْمُونَتُ لِلْمِخَّةِ السَّخَرِيَّةِ فِي صَوْتِهِ، وَقَالَ: «الصَّيَّادُونَ بِالْقُرْبِ مِنْ قَلْعَةِ الْبَحْرِ رَأَوْا الْمُشَاةَ الشَّاحِبِينَ عَلَى السَّاحِلِ».

هَذِهِ الْمَرَّةَ لَمْ يَسْتَطِعْ تِيرِيونَ أَنْ يَمْسِكَ لِسَانَهُ، وَقَالَ: «وَالصَّيَّادُونَ فِي لَانَسِپُورْتِ كَثِيرًا مَا يَرَوْنَ عِرْسَانَ الْبَحْرِ».

- «دَانِسُ مَالِيسْتَرُ كَتَبَ لَنَا قَائِلًا إِنْ سُكَّانُ الْجِبَالِ بَدَأُوا الْهَجْرَةَ جَنُوبًا،

ينتقلون إلى ما وراء بُرج الظلال بأعدادٍ أكبر مما سُوهِد من قبل على الإطلاق. إنهم يهربون يا سيدي... لكن يهربون من ماذا بالضبط؟». نهَض اللورد مورمونت ووقفَ عند النَّافذة يُحدِّق في ظلام اللَّيل. «إن عظامي عجوز يا لانستر، لكنها لم تُشعر ببرِد كهذا من قبل قط. أستحلفك أن تُخبر المَلِك بما قلته لك. الشَّتاء قادم لا محالة، وعندما يحلُّ اللَّيل الطَّويل لن يكون هناك سوى حرس اللَّيل لِيُصدُّوا الظُّلُمات الآتية من الشَّمال مكتسحة كلِّ شيء في طريقها. فلنُساعدنا الآلهة لو لم نكن مستعدين لهذا».

- «فلنُساعدني أنا الآلهة لو لم أنل قسطاً من النُّوم اللَّيلة. يورن مصمَّم على التحرك مع أول نورٍ للفجر». نهَض تيريون شاعراً بالنُّعاس من الخمر والتعب من الكلام عن الموت والهلاك، وقال: «أشكرك على استضافتك الكريمة وكلِّ ما قدَّمته لي أيها اللورد مورمونت».

- «أخبرهم يا تيريون، أخبرهم واجعلهم يُصدِّقون. هذا هو كلُّ الشُّكر الذي أحتاجه»، ثم أطلقَ صفيراً وحثَّتْ غُدافه إليه وخطَّ على كتفه، فابتسم مورمونت وأطعمَ الطَّائر بعض حبوب الدُّرة من جيبه، وهكذا فارَّقه تيريون. كان البرد قارساً في الخارج حقاً، وأحكمَ تيريون لانستر ثيابه الثقيلة عليه وارتنى قُفَّازيه وهزَّ رأسه للباشيسين المتجمِّدين اللذين وقفا حراسةً خارج حصن القائد، قبل أن يقطع السَّاحة متَّجهاً إلى سكته في بُرج المَلِك بأكبر قَدَرٍ من الخَفَّة تستطيعه ساقاه. تهشَّمت طبقة الثلج الرَّقيقة التي تكوَّنت على الأرض مع حلول اللَّيل تحت قدميه، وخرجت أنفاسه محمَّلةً بالبخار من أنفه كأنها عَلم يُرفرف. دَسَّ يديه تحت إبطيه ومشى بسرعة أكبر آملاً أن موريك تذكَّر أن يُدْفئ فراشه بقوالب الطُّوب السَّاخنة من المُستوفد.

وراء بُرج المَلِك كان "الجدار" يتلألأ في نور القمر بغموضٍ وتَجَبُّر. توقَّف تيريون للحظةٍ ورفعَ عينيه إليه وساقاه تؤلِّمانه من البرد والمشي السَّريع.

وفجأة تملَّكه جنونٌ غريب تماماً عليه، توقَّ لأن يُلقِي نظرةً أخرى على المكان الذي ينتهي فيه العالم. فكَّر أن هذه فُرصته الأخيرة، لأنه سيبدأ

رحلته جَنُوبًا غَدًا، كما أنه لا يتصوّر سببًا يجعله يعود مرّةً أخرى إلى هذا القُفر الجَلِيدِي. كان بُرج المَلِك أمامه، يعده بالدّف وفراشٍ وثير، لكن تيريون وجدّ نفسه يمرُّ به دون أن يتوقّف، ويتّجه نحو "الجِدَار" الشّاحِب السّاهِق برهبة التي لا تخلو من جمال.

كانت هناك سلاّم خشبيّة ترتفع على وجه "الجِدَار" الجَنُوبي وقد ثبّتتها دعامات خشبيّة ضخمة غائصة في عُمق الجَلِيد ومتجمّدة في مكانها. كانت الدّرجات مصمّمة بحيث تتبادّل إلى الأمام والخلف لتُحفّر طريقها في الجَلِيد صعودًا إلى أعلى فتبدو متمعّجة كصاعقة من البرق. كان الإخوة السّود قد أكّدوا له أن الدّرجات أقوى بكثير مما تبدو، لكن ساقِي تيريون كانتا متشنّجتين بشدّة تجعل من الصّعب أن يُفكّر مجرد التفكير في الصّعود. بدلًا من هذا اتّجه إلى القفص الحديدي المُجاور للبئر وصعد الدّرجات القليلة التي تقود إليه، ثم شدّ الحبل الموصول بالجرس بقوة ثلاث مرّاتٍ سريعة.

طفقَ ينتظر هناك بين القضبان و"الجِدَار" إلى ظُهره لما يقرّب من دهر، حتى أنه بدأ يتساءل عن السّبب الذي يجعله يفعل ما يفعله الآن. كان على وشك أن يتناسى نزوته المفاجئة ويخلد إلى النّوم، عندما اهتزّ القفص ثم بدأ يصعد. تحرّك القفص ببطء، بخشونة في البداية ثم بسلاسة أكبر، وابتعدت الأرض من أسفل تيريون الذي أطبقَ يديه على قضيبين حديديّين مع تارّجُح القفص. كان يشعُر ببرودة المعدّن تتسلّل إلى يديه عبر القفّازين، وإن لاحظَ راضياً أثناء ارتفاعه أن موريك قد أشعل نارًا في عُرفته، بينما كان بُرج القائد مظلمًا، وفكّر أن الدّب العجوز يتحلّى بتعقّل أكثر منه.

ثم إنه تجاوزَ الأبراج والقفص لا يزال يرتفع به، واستقرّت القلعة السّوداء من تحته وقد رسمَ نور القمر حدودها. كان بإمكانك أن ترى كم هي مكان خالٍ مقفر من على هذا الارتفاع، بحصونها الخالية من النّوافذ وجدرانها المتداعية والسّاحات المكتظة بالأحجار المحطّمة. على مسافةٍ أبعد رأى تيريون أضواء بلدة المَناجذ، القرية الصّغيرة التي

تقع على بُعد نصف فرسخ جنوبًا على طريق الملوك، وهنا وهناك لمعة نور القمر المنعكس على سطح الماء حيث تجري الجداول الجليدية من أعالي الجبال لتشق مجاريها بين الشُّهول، بينما كانت بقية العالم فراغًا موحشًا من التلال والحقول الصخرية والثلوج.

أخيرًا سمع صوتًا خشناً من ورائه يقول: «بحق الجحائم السبع، إنه القزم!»، قبل أن يتوقف القفص بحركة مفاجئة ويتأرجح في مكانه ببطء إلى الأمام والخلف وأحباله تُصدر صريرًا.

- «تبًا! دعه يدخل!». أصدر الخشب طقطقة مرتفعة والقفص يتزلق إلى الجانب، ثم أصبح "الجدار" تحته مباشرة. انتظر تيريون إلى أن كفَّ القفص عن الأرجحة، قبل أن يدفع الباب ويشب إلى السطح الجليدي. كان هناك شبح ثقيل يرتدي الأسود مائلًا على الرافعة، بينما أمسك آخر القفص بيد مغطاة بقفاز سميك. كان وجهاهما مستترين وراء وشاحين من الصوف فلم يظهر منهما غير الأعين، وتكومت عليهما طبقات الجلد والفرو السوداء تمامًا. سأله الواقف على الرافعة: «ما الذي أتى بك إلى هنا في هذه الساعة من الليل؟».

أجاب تيريون: «أردتُ إلقاء نظرة أخيرة».

تبادل الرجلان نظرة، ثم قال الآخر: «انظر كما تشاء، لكن احترس لئلا تسقط أيها الرجل الصغير، وإلا سلخ الشيخ العجوز جلودنا». كان ثمة كوخ خشبي صغير يقع أسفل القفص الضخم مباشرة، ولمح تيريون الوهج الخافت الآتي من المستوقد في الداخل، وشعر بلمحة عابرة من الدَّفء عندما فتح عامل الرافعة الباب وعاد يدخل، وهكذا صار تيريون وحده تمامًا.

كان الجوُّ زمهريًا حقيقياً هنا، وشعر بالريح تجذب ثيابه كعشيقة لحوح. كانت قمة "الجدار" أكثر اتساعًا من طريق الملوك نفسه في غير موضع، فلم يخش تيريون السقوط، وإن كان موطن قدمه زلًا أكثر مما يروق له. كان الإخوة السود يفرشون مساراتهم بالحجارة المسحوقة، لكن

نقل العدد الذي لا يُحصى من خطوات الأقدام التي تطأه طوال الوقت كان يُذيب "الجدار" من تحتها، فكان الجليد يبدو كأنه ينمو حول الحصى ويتلعه حتى يصير الممر أجرد من جديد، فيقوم الإخوة السود بسحق المزيد من الحجارة، وهكذا دواليك. لكن شيئاً من هذا لم يكن بمثابة عائق أمام تيريون. تطلع إلى امتداد "الجدار" شرقاً وغرباً، الطريق الأبيض الهائل الذي يبدو بلا بداية أو نهاية، والهاوية المظلمة على الجانبين. ثم إنه لسبب ما قرّر التوجّه غرباً، وبدأ يمشي في ذلك الاتجاه تابعاً المسار الأقرب إلى الحافة الشماليّة حيث يبدو الحصى مفروشا حديثاً.

كانت وجتاه المكشوفتان متورّدتين تماماً من فرط البرد، وتألّمت ساقاه أكثر مع كلّ خطوة، لكن تيريون تجاهلهما ومضى قدماً. دارت الرياح في دوّاماتٍ من حوله، وانسحق الحصى أكثر تحت حذائه، بينما من أمامه تتبّع الشريط الأبيض خطوط التلال وارتفع أكثر فأكثر إلى أن غاب وراء الأفق الغربي. مرّ بمنجنيق عملاق يرتفع سور مدينةٍ بينما غاصت قاعدته عميقاً في جليد "الجدار". كانت ذراع القذف قد خلّعت للصيانة ثم أهملت، ورآها تيريون ملقاةً هناك كلّعبية مكسورة نصف مدفونة في الجليد.

جاء صوت مكتوم من على الجانب الآخر من المنجنيق يُنادي: «من هناك؟ توقّف!».

- «سأتجمّد في مكاني إذا ظللتُ واقفاً طويلاً يا جون»، قال تيريون وهو يتوقّف بينما انسلّ الشبح الأبيض بصمتٍ نحوه وتشمّم ثيابه. «أهلاً جوست».

اقترب منه جون سنو وقد بدا أكبر وأثقل تحت طبقاتٍ من الجلد والفرو والقلنسوة التي غطّت رأسه. «لانستر»، قال جون وهو يُزيح الوشاح الذي غطّى فمه. «هذا آخر مكانٍ كنتُ أتوقّع رؤيتك فيه». كان يحمل رمحاً ثقيلاً ذا رأسٍ من الحديد يفوقه طولاً، بينما تدلّى سيف من جانبه في غمده الجليدي، وعلى صدره علّق بوق إنذار أسود لامع ذو رباطٍ فضّي.

قال تيريون: «هذا آخر مكانٍ كنتُ أتوقّع أن يراني فيه أحد في الواقع،

لكن نزوة ما تملكتني بلا سبيلٍ لتنجيتها جانبًا. هل سيلتهم جوست يدي إذا لمستهُ؟».

أجابَ چون مؤكِّدًا: «ليس وأنا هنا».

حكَّ تيريون الذئب الأبيض وراء أذنيه وراقبته العينان الحمراوان بلا اكتراث. كان ارتفاعه يبلغ صدر تيريون الآن، وراوده إحساسٌ كثيبٌ بأن بعد عامٍ واحدٍ آخر سيضطرُّ لأن يرفع عينيه إلى أعلى كي ينظرَ إلى الذئب. سأل: «ماذا تفعل هنا اللَّيلة؟ أعني بالإضافة إلى تجميد قضيبك...».

قال چون: «وقعَ عليَّ الاقتراح لمناوبة الحراسة اللَّيلية. مرَّةً أخرى عملَ السير أليس على أن يمنحني مسؤول الحراسة اهتمامًا خاصًا. يبدو أنه يحسب أنهم لو جعلوني أبقي ساهرًا نصف اللَّيل، فسأسقطُ نائمًا أثناء التَّدريبات الصُّباحية، لكنني خيبتُ أمله حتى الآن».

ابتسمَ تيريون قائلاً: «وهل تعلمُ جوست ألعاب الحواة بعد؟».

أجابه چون مبتسمًا بدوره: «لا، لكن جرن كان ثابت القدمين أمام هالدر هذا الصُّباح، ولم يُعْذِيبْ يُسْقِطْ سيفه كثيرًا كالسابق».

- «بيب؟».

- «اسمه الحقيقي بيار، الصُّبِّي صغير الحجم ذو الأذنين الكبيرتين. لقد رأيته أعملُ مع جرن وطلبَ عوني. ثورن لم يُره حتى الطَّريقة السَّليمة للإمساك بالسَّيف»، ثم التفتَ لينظرَ شمالًا وقال: «عليَّ حراسة ميلٍ كاملٍ من "الجدار"، فهل تمشي معي؟».

قال تيريون: «إذا مشيت بيطة».

- «قال لي مسؤول الحراسة إن عليَّ أن أمشي لأمنع دمي من التجمُّد، لكنه لم يُحدِّد سرعةً معيَّنة».

مشيا معًا وجوست يتحرَّك إلى جوار چون كظلٍّ أبيض، وقال تيريون: «سأغادرُ غدًا».

كانت هناك لمحة غريبة من الحُزن في صوت چون وهو يقول: «أعرف».

- «أنوي التوقف في ويتترفل في طريقي جنوبًا، فهل لديك رسالة تُريد مني أن...».

- «قُلْ لروبو إنني سأقودُ حرس الليل وأحافظُ على أمنهم، فربما يجدرُ به إذن أن يحترف أشغال الإبرة ويجعل ميكن يُذيب سيفه ليصنع منه حدواتٍ للأحصنة».

قال تيريون ضاحكًا: «أخوك أكبر مني حجمًا، لذا أرفض توصيل أيِّ رسائل تُفضي إلى مقتلي».

- «لا بُدَّ أن يكون سيتساءل مني سأعودُ، فحاول أن تشرح له أين ذهبتُ إذا استطعت. قُلْ له إنه يستطيع أن يحظى بأشيائي وأنا غائبٌ، سيروق له هذا».

فكّر تيريون لانستر أن الناس يطلبون منه الكثير اليوم، وقال: «يُمكنك أن تكتب كلَّ هذا في رسالة كما تعلم».

توقّف چون فجأةً وقال: «يكون لا يستطيع القراءة بعد، أمّا بران... لا أدري أيّ رسالة أرسل إلى بران. ساعده يا تيريون».

- «وأتّى لي أن أساعده. إنني لستُ مايستر كي أخفّف عنه الألم، ولا أملك تعويذة تُعيد إليه ساقه».

قال چون سنو: «لكنك ساعدتني عندما احتجتُ مساعدتك».

- «لم أعطك شيئًا... مجرد كلمات».

- «إذن أعطِ كلماتك لبران كما فعلت معي».

قال تيريون: «إنك تطلبُ من رجل أخرج أن يُعلّم طفلاً كسيحًا الرقص، لكن مهما كان الدّرس صادقًا فستكون النتيجة غير مرضية في الغالب. لكنني أعرفُ معنى أن يُحبَّ المرء أخاه أيها اللورد سنو، لذلك سأقدّم لبران كلَّ مساعدةٍ صغيرةٍ في جُعبتي».

قال چون: «شكرًا لك أيها اللورد لانستر»، وخلع قفّازه ومدّ يده عاريةً مضيفًا: «يا صديقي».

وجدَ تيريون نفسه متأثرًا على نحوٍ غريب، وقال بابتسامةٍ خفيفة:

«معظم أهلي نغول بشكل أو بآخر، لكنك أول من اعتبرته صديقاً لي»، وخلق قفازه عن يده بأسنانه، ثم شدَّ على يد سنو بقوة. ثم إنه عادَ يرتدي القفاز، بينما عمدَ جون إلى المتراس الجليدي الشمالي الواطئ. من أمامه كان "الجدار" ينحدر بحدة نحو الظلام والبراري، وتحركَ تيريون ليقف جنباً إلى جنب مع جون سنو على حافة العالم.

لم يكن حرس الليل يسمحون للغابة بالاقتراب لأكثر من نصف ميل من جانب "الجدار" الشمالي، وهكذا حُصِّدت أدغال أشجار الصُّلب والحارس والبلوط التي نمت هنا ذات يوم منذ قرون، لعمل مساحة كبيرة مفتوحة لا يمكن أن يمرَّ عدوُّ منها دون أن يراه أحد. سمعَ تيريون أن في أماكن أخرى بطول "الجدار"، فيما بين القلاع الثلاث، عادت الغابة البرية تنمو وتزحف من جديد على مرِّ العقود، حتى أنه أصبحت هناك بقاع بعينها غرست فيها أشجار الحارس ذات اللونين الأخضر والرمادي وأشجار الويروود البيضاء الشاحبة جذورها في الأرض في ظلِّ "الجدار" نفسه، لكن شهية القلعة السوداء للحطب كانت مفتوحة دائماً، وهنا حافظت فؤوس الإخوة السود على بُعد مناسب للغابة طوال الوقت.

على أنها لم تكن بذلك البُعد. من على هذا الارتفاع كان باستطاعة تيريون أن يراها، أشجارها الداكنة تلوح وراء مساحة الفضاء كجدارٍ ثانٍ شيدَّ موازياً للأول، جدارٍ من الليل. فؤوس قليلة ضربت في عمق تلك الأشجار السوداء، حيث لا يستطيع نور القمر نفسه اختراق الأعماق المتشابكة من الجذور والأشواك والفروع الطويلة. هناك كانت الأشجار تنمو ضخمة، وقال الجوّالة إنها تبدو كأنها تتوالد ولا تعرف البشر. لا عجب إذن أن حرس الليل أطلقوا عليها اسم الغابة المسكونة.

وقفَ هناك يتطلع إلى كلِّ هذا الظلام الذي لا يتخلَّله أيُّ ضوءٍ في أيِّ مكان، والرياح تهبُّ عاصفةً والبرد يخترق أحشائه كالرماح، وشعرَ تيريون لانستر بأنه يكاد يُصدِّق ما يُقال عن «الآخرين»، العدو الذي يأتي

ومعه اللّيل، ولم تُعذّ دُعاباته عن الجرامكنات والسناركات تبدو طريقةً لهذه الدّرجة.

- «عمّي في مكانٍ ما هناك»، قال چون سنو بتؤدّة وهو يتكئ على رُمحه ويرمق الظلمات السّرمديّة. «يوم مناوِتي اللّيلة الأولى هنا كنتُ أفكّر أن عمّي بنجن سيعود اللّيلة، وأني سأكون أول من يراه وأطلق النّفير. لكنه لم يأت، لا ليلتها ولا اللّيلي التي تلتها».

قال تيريون: «امنحه بعض الوقت».

في مكانٍ ما بعيداً في الشّمال أطلقَ ذئب عواءه، وانضمَّ إليه آخر، ثم آخر. رفع جوست رأسه وأصغى، بينما قال چون بتصميم وهو يضع يده على رأس الذّئب الرّهيب: «إذا لم يُعذّ، سأعثرُ عليه أنا وجوست».

- «أصدّقك»، قال تيريون... ثم إنه فكّر مرتجفاً: لكن من سيُعثر عليك أنت؟



أريا

كان أبوها يتشاجر مع المجلس مرةً أخرى. قرأت آريا هذا في ملامحه عندما جاء إلى المائدة متأخراً مرةً أخرى كعادته في الآونة الأخيرة. كان الطبق الأول -الحساء الحلو الثخين المصنوع من البقطين- قد رُفِعَ عن المائدة بالفعل عندما دلفَ نَد ستارك بخطواتٍ واسعةٍ إلى القاعة الصغيرة. كانوا يُطلقون عليها هذا الاسم لتمييزها عن القاعة الكبيرة، حيث يستطيع الملك أن يولِم لألف فردٍ، لكنها كانت عبارةً عن عُرفةٍ طويلةٍ ذاتِ سقفٍ عالٍ مقنطرٍ رُصَّت فيها دُكَّكٌ يُمكنها استيعابِ مئتي فردٍ يجلسون إلى الموائد المرتفعة. قال چوري: «سيدي» عندما دخل أبوها، ونهَضَ ومعه بقيةُ الحرس. كان كلٌّ منهم يرتدي معطفاً جديداً من الصُوف الرَّمادي الثَّقِيل مع حاشيةٍ من الساتان الأبيض، بينما بُنِت يدٌ مصنوعة من الفضة المدقوقة طَيَّات كلَّ عباءةٍ لُتمِيزَ مرتديها باعتباره من حرس أهل بيت يد الملك. كان هناك خمسون منهم لا أكثر، فظلَّ معظم الدُكَّك خالياً.

- «اجلسوا»، قال إدوارد ستارك. «أرى أنكم بدأتُم من دوني. يُسعدني أن أرى أنه ما زال هناك رجال يتمتَّعون بعقولهم في هذه المدينة». أشار لهم باستكمال وجبتهم، وبدأ الخدم يجلبون أطباقاً من الأضلاع المشوية بالثوم والأعشاب.

قال چوري وهو يُعاود الجلوس: «يتكلَّمون في السَّاحة عن دورة

مبارياتٍ ستقام يا سيدي، يقولون إن الفرسان سيأتون من جميع أنحاء البلاد للتلبارز والاحتفال بتنصيبك يداً للملك.

كان جليلاً لآريا أن أباه لم يكن راضياً عن هذا وهو يقول: «هل يقولون أيضاً إن هذا آخر شيء أرغب فيه في العالم؟».

اتسعت عينا سانزا عن آخرهما وقالت مبهورة: «دورة مباريات؟». كانت جالسة بين السبنة موردن وچين بول، على أبعد مسافة تستطيعها من آريا دون أن تتلقى لوماً من أبيها. «هل سيسمح لنا بالحضور يا أبي؟». - «أنت تعرفين مشاعري الحقيقية نحو الأمر يا سانزا. يبدو أن عليّ القيام بالتجهيزات لألعاب روبرت وأنظاهاً بأنني أستمع بهذا التكرير من أجل خاطره، لكن هذا لا يعني أن عليّ تعريض ابنتي لتلك الحماقة». قالت سانزا: «أوه، أرجوك، أريد أن أنفّج».

قالت السبنة موردن: «ستكون الأميرة مارسلا حاضرةً يا سيدي، وهي أصغر سناً من سانزا، كما أنه سيكون من المتوقع حضور جميع سيدات البلاط لمناسبة كبرى كهذه. ثم إن الدورة مقامة على شرفك، وسيبدو من الغريب ألا تحضر عائلتك».

بدا أبوها منزعجاً، وإن قال: «أعتقد هذا. ليكن، سأرتب لك مكاناً يا سانزا»، ثم لمح آريا فأضاف: «لكما معاً».

- «لا أبالي بدورتهم الحمقاء»، قالت آريا. كانت تعرف أن الأمير چوفري سيكون هناك، وهي تكره الأمير چوفري حقاً.

رفعت سانزا رأسها قائلة: «سيكون حدثاً عظيماً لا مكان لك فيه». تجلّى الغضب على وجه أبيها وهو يقول: «كفى يا سانزا وإلا غيّرت رأيي. إنني مُتعب حتى الموت من تلك الحرب المشتعلة بينكما بلا نهاية. إنكما أختان، وأتوقع منكما أن تتصرفا كأختين، مفهوم؟».

عصّت سانزا شفرتها السفلى وأومات برأسها إيجاباً، بينما خفّضت آريا رأسها وحدثت واجمةً في طبقها. كانت تشعر بالدُموع تلذع عينيها،

فمَسَحَتْهَا غَاضِبَةً وَقَدْ عَزَمَتْ عَلَى عَدَمِ الْبُكَاءِ. لِفَتْرَةٍ كَانَ الصَّوْتُ الْوَحِيدَ فِي الْمَكَانِ هُوَ صَوْتُ السَّكَاكِينِ وَالشُّوْكَ، ثُمَّ نَهَضَ أَبُوْهَا قَائِلًا: «أَسْتَأْذِنُكُمْ، لَا أَعْتَقِدُ أَنَّ لَدَيَّ شَهِيَّةَ اللَّيْلَةِ»، ثُمَّ غَادَرَ الْقَاعَةَ.

بَعْدَ انْصِرَافِهِ تَبَادَلَتْ سَانِزَا هِمَسَاتٍ حِمَاسِيَّةٍ مَعَ جِينِ بُولٍ، وَعَلَى الْجَانِبِ الْآخَرَ مِنَ الْمَائِدَةِ ضَحَكَ جُورِي عَلَى دُعَايَةِ مَا، بَيْنَمَا بَدَأَ هَالِنُ يَتَكَلَّمُ عَنِ الْخِيُولِ قَائِلًا: «الْحِصَانُ الْحَرْبِيُّ قَدْ لَا يَكُونُ صَالِحًا لِلْمُبَارَزَةِ، لَا، فَهَذَا شَيْءٌ مُخْتَلَفٌ، مُخْتَلَفٌ تَمَامًا». كَانَ الرُّجَالُ قَدْ سَمِعُوا هَذَا وَأَكْثَرَ مِنْهُ مِنْ قَبْلِ، وَصَاحَ فِيهِ دِزْمُونْدُ وَجَاكْسُ وَهَارُوَيْنُ ابْنُ هَالِنِ أَنَّ يَصُصْتُ، بَيْنَمَا طَلَبَ پُورْتِرُ الْمَزِيدَ مِنَ النَّيِّدِ مِنَ الْخَدَمِ.

لَمْ يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ مَعَ آرِيَا لَكِنِهَا لَمْ تُبَالِ، بَلْ إِنِهَا كَانَتْ تُفَضِّلُ هَذَا، بَلْ وَكَانَتْ لَتَتَنَاوَلَ كُلَّ وَجِبَاتِهَا وَحَدَهَا فِي غُرْفَةٍ نَوْمِهَا لَوْ سَمَحُوا لَهَا. أَحْيَانًا كَانُوا يَسْمَحُونَ لَهَا بِهَذَا فَعَلًا، حِينَمَا كَانَ أَبُوْهَا يَتَنَاوَلُ عِشَاءَهُ مَعَ الْمَلِكِ أَوْ مَعَ لُورْدٍ أَوْ مَبْعُوثٍ مَا مِنْ هُنَا أَوْ هُنَاكَ. بَقِيَّةُ الْوَقْتِ كَانُوا يَأْكُلُونَ فِي غُرْفَتِهِ السُّمِّيَّةِ، هُوَ وَهِيَ وَسَانِزَا فَحَسِبَ، وَكَانَتْ هَذِهِ هِيَ الْأَوْقَاتُ الَّتِي تَفْتَقِدُ فِيهَا آرِيَا إِخْوَتَهَا أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ آخَرَ. كَانَتْ كُلُّهَا رَغْبَةً فِي أَنْ تُدَاعِبَ بَرَانُ وَتَلْعَبَ مَعَ رِيكُونِ الصَّغِيرِ وَتَجْعَلَ رُوبَ يَنْتَسِمَ لَهَا، فِي أَنْ يُبْعِثَ جُونُ شَعْرَهَا وَيُخَاطِبَهَا بِ"أَخْتِي الصَّغِيرَةِ" كَعَادَتِهِ وَيَتَمَّ عِبَارَاتِهِ مَعَهَا فِي أَنْ وَاحِدٍ. لَكِنْ لَا أَحَدٌ مِنْهُمْ كَانَ هُنَا، وَهِيَ وَحِيدَةٌ تَمَامًا بَلَا أَحَدٍ مَعَهَا بِاسْتِثْنَاءِ سَانِزَا، وَسَانِزَا لَنْ تَتَكَلَّمُ مَعَهَا مَا لَمْ يُجْبِرْهَا أَبُوْهَا عَلَى ذَلِكَ. فِي وَيَتَرَفَّلُ كَانُوا يَأْكُلُونَ فِي الْقَاعَةِ الْكُبْرَى نِصْفَ الْوَقْتِ تَقْرِيْبًا. كَانَ أَبُوْهَا يَقُولُ إِنْ عَلَى اللُّورْدِ أَنْ يَأْكُلَ مَعَ رَجَالِهِ إِنْ كَانَ يَرْغَبُ فِي الْإِحْتِفَازِ بِهِمْ. ذَاتَ مَرَّةٍ سَمِعَتْهُ يَقُولُ لِرُوبٍ: «اعْرِفِ الرُّجَالَ الَّذِينَ يَتَبَعُونَكَ وَدَعِهِمْ يَعْرِفُونَكَ. لَا تَطْلُبْ مِنْ رَجَالِكَ أَنْ يَبْذِلُوا حَيَاتِهِمْ مِنْ أَجْلِ غَرِيبٍ». فِي وَيَتَرَفَّلُ كَانَ يَحْتَفِظُ دَائِمًا بِمَقْعِدٍ إِضَافِيٍّ عَلَى مَائِدَتِهِ، وَفِي كُلِّ يَوْمٍ كَانَ يَدْعُو رَجُلًا مُخْتَلَفًا لِلانْضِمَامِ إِلَيْهِ عَلَى الطَّعَامِ. فِي

ليلة يكون فايون پول، فيدور الكلام حول النّقد والغلال والخدم، وفي اللّيلة الثّالية يكون ميكن، فيصغي أبوها له إذ يتكلّم ويتكلّم عن الدّروع والسّيوف ودرجة الحرارة المناسبة لطرق وتشكيل معدن ما. في يوم آخر يكون هالن بكلامه اللانهائي عن الخيول، أو السّبتون كايل من المكتبة، أو چوري، أو السير رودريك، أو حتى العجوز نان بحكاياتها.

لم تكن تُحبّذ شيئاً أكثر من الجلوس إلى مائدة أبيها وسماعه يتكلّم. كانت تُحبّ الإصغاء لكلام الرّجال الجالسين على الدّكك كذلك، بمن فيهم المُحاربون غير النّظاميين والفُرسان الكيّسون ومُرافقوهم الشّجعان والمُقاتلون القدامى. كانت ترميهم بكُرات الثّليج وتُساعدهم على سرقة الفطائر من المطبخ، وكانت زوجاتهم يُطعمنها الكعك بينما تبتكر هي أسماءً لصغارهم وتلعب "الوحوش والعداري" و"الكرز المخبأ" و"تعال إلى قلعتي" مع بقيّة أطفالهم. كان نوم السّمين يُلقّبها بـ"آريا المُداسة" لأنها كانت دائماً بين الأقدام، وقد راق لها هذا اللّقب كثيراً عن "آريا وجه الحصان".

لكن هذا كان في ويترفل التي تقع على بُعد عالم كامل من هنا حيث تغيّر كل شيء. كانت هذه هي المرّة الأولى التي يتناولون فيها العشاء مع الرّجال منذ وصولهم إلى كينجز لاندنج، وكانت آريا تكره هذا... كانت تكره وقع أصواتهم الآن والطّريقة التي يضحكون بها والقصص التي يحكونها. لقد كانوا أصدقاءها وكانت تُشعر بالأمان بينهم، لكنها أدركت الآن أن كلّ هذا لم يكن إلّا كذبة كبيرة. لقد سمحوا للملكة بأن تقتل لبيد وكان هذا شنيعاً بما يكفي، لكن كلب الصّيد عثر بعدها على ما يكا. كانت چين پول قد قالت لآريا إنه قطعهُ إلى قطع كثيرة جداً حتى أنهم أعادوه إلى الجزّار في جوال، وظنّ المسكين في البداية أنه خنزير ذبحوه. لم يفتح أحدهم فاه بكلمة أو شهر سيفه أو أي شيء، لا هاروين الذي كان

يتكلّم بجرأة دائماً، ولا آلين الذي يرغب في أن يصير فارساً ذات يوم، ولا
چوري قائد الحرس... ولا حتى أبوها.

- «كان صديقي»، همست آريا للطبقها بصوتٍ خفيضٍ جداً كي لا يسمعها
أحد. ظلّت الأضلاع المشوية في مكانها دون أن تمسّها وقد صارت باردة
الآن وتكوّنت طبقة رقيقة من الدهن المتخثر تحتها على الطبق. رمقت آريا
الطعام وشعرت بالغثيان، ثم دفعت مقعدها إلى الخلف ونهضت.

سألتهما السّنة موردين: «إلى أين تحسبين نفسك ذاهبةً أيتها الصّغيرة؟».
جاهدت آريا لتذكّر الأسلوب المناسب للرد، ورددت بلهجة فاترة:
«لستُ جائعة. هل تسمحين لي بالانصراف؟».

أجابَت السّنة: «كلا. إنك لم تمسي طعامك. ستجلسين وتُنظّفي
الطبق».

- «نظّفيه أنب!»، وقبل أن يستطيع أحدهم إيقافها اندفعت آريا
كالسهم خارجة من الباب، بينما ضحك الرجال وناذت السّنة موردين
عليها بصوتٍ يتعالى ويتعالى.

كان توم السّمين في موقعه، يحرس مدخل بُرج اليد، وقد اندهش
لمّا رأى آريا تندفع نحوه وسمع صباح السّنة العالي. قال وهو يمدّ يده
نحوها: «مهلاً أيتها الصّغيرة، تعالي»، لكن آريا انزلقت من بين ساقيه،
ثم انطلقت ترتقي سلالم البُرج الملولة وقدامها تضربان الدّرجات
الحجريّة كالمنطرة، بينما يرغي توم السّمين ويزبد من ورائها.

غُرّة نومها كانت المكان الوحيد الذي أحبته آريا في كينجز لاندينج
كلها، وأكثر شيء راق لها فيها هو الباب، ذلك اللّوح العملاق المصنوع
من خشب السّنديان الداكن ذو الدّعامات الحديدية السوداء. لا أحد كان
يستطيع دخول الغُرّة عندما تُغلق الباب وتُنزل العارضة الثّقيلة؛ لا السّنة
موردين ولا توم السّمين ولا سائرا ولا چوري ولا كلب الصّيد... لا أحد!
وهكذا صفقت الباب وراءها الآن.

وعندما أنزلت العارضة، شعرت آريا بالأمان الكافي لأن تبكي.
ذهبت إلى المقعد المجاور للتأفذة وجلست هناك تنسج شاعرةً
بالكراهية نحوهم جميعاً، ونحو نفسها أكثر منهم. كانت غلظتها، كل
شيء سيئ حدث كان غلظتها. سانرا قالت هذا، وحين كذلك.
كان توم السمين يطرق الباب وينادي: «آريا، يا فتاة، ماذا هناك؟ هل
أنت في الداخل؟».

صرخت: «لا!»، وتوقفت الطرق، وبعد لحظة سمعت خطوات أقدامه
تبتعد. كان من السهل خداع توم السمين دائماً.
ذهبت آريا إلى الصندوق الموضوع عند قدم الفراش ومالت عليه
ورفعت الغطاء، ثم بدأت تخرج ملابسها بكلتا يديها، أكواماً من الحرير
والساتان والمخمل والصوف ألقت بها أرضاً بلا نظام. كان هناك في
قاع الصندوق حيث أخفته، وأخرجته آريا بحركة أقرب إلى الحنان، ثم
سحبت السيف النحيل من غمده.
إبرتها.

فكرت في مايكاً مرة أخرى واغرورقت عيناها بالدموع من جديد...
إنها غلظتها، غلظتها، غلظتها... لو لم تطلب منه أن يلعب معها...
دق الباب مرة أخرى أعنف من سابقتها. «آريا ستارك، افتحي هذا
الباب حالاً، هل تسمعينني؟».
دارت آريا على عقبيها وإبرتها في يدها وصاحت: «إياك أن تدخلني!»،
وشقت الهواء بالسيف بحركات ضارية.
جاءها صوت السبته موردين محملاً بالغضب من وراء الباب: «سوف
يعرف حضرة اليد بهذا!».

صرخت آريا: «لا أبالي! اذهبي!».
- «سوف تندمين على هذا السلوك المشين أيتها الصغيرة، أعدك
بهذا».

وقفت آريا وراء الباب تُصغي إلى أن سمعت خطوات السَّيِّئة تبتعد، ثم عادت إلى النَّافذة وإبرتها في يدها وتطلَّعت إلى السَّاحة في الأسفل لينها تستطيع التسلُّق مثل بران... لخرجت من النَّافذة ونزلت من البُرج وفرت من هذا المكان البغيض، بعيدًا عن سائزوا والسَّيِّئة موردن والأمير جوفري، بعيدًا عنهم جميعًا... لسرقت بعض الطَّعام من المطابخ وأخذت إبرتها وحذاءها الثَّقيل ومعطفًا دافئًا... لعثرت على نايميريا في مكانٍ ما في البراري تحت الثَّالوث وعادتا معًا إلى وينترفل أو ذهبتا إلى جون على "الجدار". وجدت نفسها تتمنَّى لو أن جون كان معها هنا والآن، فلربما لم تكن لتشعر بتلك الوحدة الجاثمة على صدرها.

طَّرقة خفيفة على الباب من ورائها جعلت آريا تلتفت بعيدًا عن النَّافذة وأحلام الفرار، وسمعت صوت أبيها يقول: «آريا، افتحي الباب، يجب أن نتكلَّم».

قطعت آريا الغُرْفة ورفعت العارضة لتجد أباه واقفًا وراء الباب وحده. كان يبدو حزينًا أكثر منه غاضبًا، ما جعل مشاعرها تسوء أكثر. سألتها بهدوء: «هل تسمحين لي بالدُّخول؟»، فأومأت برأسها وخفصت ناظريها إلى الأرض شاعرةً بالخجل الشَّدِيد. أغلق أبوها الباب وسألها: «سيف مَن هذا؟».

- «سيفي». كانت آريا قد نسبت وجود إبرتها في يدها.

- «أعطيني إياه».

بتردُّدٍ سلَّمته آريا سيفها وهي تتساءل في قرارة نفسها إن كانت ستحملة ثانية، وأداره أبوها في الضُّوء فاحصًا المقبض والنَّصل واختبر رأسه بإبهامه، ثم قال: «هذا سيف مُبارزٍ برافو. لكنني أعرفُ علامة صانعه. هذا عمل ميكن لا شك».

لم يكن باستطاعة آريا أن تكذب عليه، فاكتمت بأن خفصت عينيها. تنهَّد اللورد إدارد ستارك وقال: «ابتي ذات الأعوام الثَّسعة تُسلِّح

نفسها من ورشة سلاحي وأنا لا أدري شيئاً عن الأمر. من المفترض أن يحكم يد الملك الممالك السبع، لكن يبدو أنني لا أستطيع أن أحكم أهل بيتي حتى. كيف تحصلت على هذا السيف يا آريا؟ من أين أتيت به؟»

مضغت آريا شفرتها ولم تقل شيئاً. إنها لن تشي بچون، ولا حتى لأبيها. بعد قليل قال اللورد إدارد: «لا أعتقد أن هذا يهّم حقاً»، ورمق السيف في يده بتجهّم مضيئاً: «إنه ليس لعبة أطفال، خصوصاً بالنسبة لفتاة. ماذا ستقول السّپتة موردن لو عرفت أنك تلعبين بالسيف؟»

قالت آريا بإصرار: «لم أكن أعب، ثم إنني أكره السّپتة موردن».

- «كفى!»، قال أبوها بصوت صارم جاف. «السّپتة لا تفعل شيئاً أكثر من واجبها، والآلهة تعلم أنك جعلته بمثابة كفاح حقيقي للمرأة المسكينة. لقد كلّفته أنا وأمك بمهمة مستحيلة هي تحويلك إلى ليدي».

صاحت آريا ساخطة: «لكني لا أريد أن أكون ليدي!».

- «يجدر بي أن أكسر هذه اللعبة إلى نصفين على رُكبتَي هنا والآن وأضع نهاية لهذا الهراء».

- «لن تنكسر "الإبرة"»، قالت آريا بتحدٍّ وإن خانها صوتها على الرغم من ذلك.

تهدأ أبوها ثانية وقال: «ولديه اسم كذلك؟ أه يا آريا، ثمّة جموح منقطع النظير فيك يا بُنيّتي، كان أبي يُسمّيه "دم الذئب". ليانا كانت تملك لمحة منه، وبراندون أكثر من لمحة، ولم يتسبّب إلّا في إرسالهما إلى حتفهما المبكر». كانت نبرة الحُزن جليّة في صوته. لم يكن أبوها يتكلّم كثيراً عن أبيه، أو عن الأخ والأخت اللذين ماتا قبل أن تولد. «كانت ليانا لتحمل سيفاً لو سمح لها أبي. إنك تُذكّرني بها أحياناً، بل إنك تُشبهينها كذلك».

قالت آريا مندهشة: «ليانا كانت جميلة». كان الجميع يقولون هذا عن ليانا، لكن أحداً لم يقله قط عن آريا.

قال إدارد ستارك: «أجل، كانت جميلةً، وعنيدةً، وماتت قبل الأوان»، ورفع السيف بينهما قائلاً: «قولي لي يا آريا، ماذا كنتِ تتوينِ فعله بهذا الـ... الإبرة؟ مَنْ كنتِ تريدينِ طعنه؟ أختك؟ السبّنة موردن؟ هل تعرفين أيَّ شيءٍ عن القتال بالسيف أصلاً؟».

كان كلُّ ما استطاعتِ التّفكير فيه هو الدّرس الذي لَقَّنها جون إياه، فقالت باندفاع: «أطعنهم بالطّرف المدبّب».

لم يملك أبوها إلّا أن يضحك، وقال: «هذا هو المبدأ الأساسي على ما أعتقد».

أرادتِ آريا بشدّة أن تشرح له، أن تجعله يرى، فقالت: «كنتُ أحاول أن أتعلّم، لكن...»، وامتلات عيناها بالدموع الحارّة وهي تُكمِل: «طلبتُ من مايكا أن يتمرّن معي». تملّكها حُزنها كله في لحظة، والتفتت بعيداً وهي ترتجف باكية. «أنا التي طلبتُ منه. كانت غلطتي، أنا التي...».

وجدت ذراعي أبيها تحتويانها فجأةً، واحتضنها برفق وهو يُديرها نحوه لتبكي على صدره، وغمغم: «لا يا حُلوتي. احزني على صديقكِ لكن لا تلومي نفسك أبداً. إنكِ لم تَقْتُلِي صبيّ الجزّار. هذه الجريمة ذنب كلب الصّيد، هو والمرأة المتوحّشة التي يخدمها».

قالت آريا وقد احمرّت وجهها وسأل أنفها: «إنني أكرههم، كلب الصّيد والمَلِكَة والمَلِك والأمير جوفري، أكرههم كلهم. جوفري كاذب، وما قاله لم يَحْدُث. وأكره سائزاً أيضاً، لأنها كانت تذكّر ما حدث، لكن البلهاء كذبت كي تروق لجوفري».

قال أبوها: «كلنا نكذب، أم أنكِ حسبتي حقاً أنني أصدّق أن نايميريا قد هربت؟».

احمرّت وجه آريا أكثر وقالت كالمُذنبين: «جوري وعدَ بالآ يقول». قال أبوها مبتسماً: «ولقد حافظَ جوري على وعده. ثَمّة أشياء لا

أحتاجُ لأن يُخبرني أحدهم بها. حتى الأعمى كان باستطاعته أن يرى أن تلك الذئبة لم تكن لتتركك يارادتها».

قالت بتعاسة: «اضطّررنا لأن نقذفها بالحجارة. قلتُ لها أن تهرب، أن تجري وتصير حُرّة، قلتُ لها إنني لم أعد أريدها. كانت هناك ذئاب أخرى تلعب معها. لقد سمعنا عُواءها، كما أن چوري قال إن الغابة مليئة بالطرائد وستجد غزلاً ناصيدها، لكنها ظَلَّتْ تتبعنا، وفي النهاية اضطّررنا لأن نقذفها بالحجارة. أصبّتها مرّتين، فأطلقتُ أنينا ونظرت لي وشعرتُ بالخزي. لكنه كان التصرف السليم، أليس كذلك؟ كانت الملكة ستقتلها».

قال أبوها: «كان التصرف السليم حقاً، وحتى الكذبة كانت... كان لا يعوزها الشرف». كان قد وضع "الإبرة" جانباً عندما ذهب ليحتضن آريا، والآن التقط السيف مرّة أخرى ووقف عند النافذة يتطلّع إلى السّاحة. بدا غائباً في تفكير عميق عندما التفت إليها، ثم جلس على المقعد المجاور للنافذة ووضع السيف في حجره، وقال: «اجلسي يا آريا. أريدُ أن أحاول أن أشرح لك بضعة أشياء».

جلست متوتّرة على حافة الفراش، وقال لها: «أنتِ أصغر كثيراً من أن أحملك همومي، لكنك في الوقت عينه من آل ستارك أبناء ويترفل، وتعرفين كلمائنا».

همست آريا: «الشّئاء قادم».

- «نحن في أوقات عصيبة يا صغيرتي، ولقد تذوّقنا شيئاً منها بالفعل على ضفاف الثّالوث وعندما سقط بران. أنتِ وُلِدتِ في الصّيف الطّويل يا حلوتي ولا تعرفين غيره، لكن الشّئاء قادم الآن حقاً. تذكري رمز عائلتنا يا آريا».

- «الذّئب الرّيب»، قالت مفكّرة في نايميريا، وضمت رُكبتها إلى صدرها محتضنة إياهما وقد انتابها خوف مفاجئ.

- «دعيني أخبركِ بشيء عن الذّئاب يا صغيرتي. عندما تسقط الثّلوج

وتهبُّ الرِّيحُ البيضاءُ يَنفُقُ الذُّبُّ الوحيدُ بينما ينجو القطيعُ. الصَّيْفُ هو وقتُ المشاجراتِ والمشاحناتِ، أمَّا في السَّتاءِ فينبغي أن نحتمي بعضنا بعضًا ونُحافظُ على دِفءِ بعضنا بعضًا ونشارك قوَّتنا. لذا إذا كان ينبغي أن تكرهني أحدًا يا آريا، فاكرهني أولئك الذين يرغبون في أدبَتنا حقًّا. السَّيئةُ موردن امرأة صالحة، وسانزا... سانزا أختكِ. قد يكون الاختلاف بينكما كالاختلاف بين الشَّمسِ والقمرِ، لكن الدِّماءَ نفسها تجري في عروقكما. إنكِ تحتاجينها كما تحتاجكِ بالضَّبْطِ، وأنا أحتاجُ إليكما معًا، ولترحميني الآلهةُ.

كان مُتَعَبًا لدرجةِ إثارتِ في آريا الحُزنَ من أجله، فقالت له: «إنني لا أكرهُ سانزا حقًّا».

كان ما قالته نصف كذبة.

- «لا أقصدُ أن أخيفكِ، لكنني لن أكذبَ عليكِ كذلك. لقد جئنا إلى مكانٍ مظلمٍ محفوفٍ بالمخاطرِ يا صغيرتي. نحن لسنا في ويترفل، ولدينا هنا أعداءُ يرغبون في إنزالِ البلاءِ بنا، فلا يُمكننا إذن أن نُشعلَ حربًا بيننا كذلك. عنادكِ هذا وفراركِ والكلماتِ الغاضبةِ والعصيان... في الدِّيارِ لم يكن كلُّ هذا سوى ألعابٍ صيفيَّةٍ تُمارسها طفلةٌ صغيرة، لكن هنا والآن والسَّتاءُ على الأبوابِ يختلف الأمرُ. لقد حانَ الوقتُ لتكبري».

قالت آريا واعدةً إياه: «سأفعلُ». لم تُشعرْ نحوه في حياتها بحُبِّ كالذي غمرَها في تلك اللَّحظة. «يُمكنني أن أكون قويَّةً كذلك، قويَّةٌ كروب».

رفعَ "الإبرة" وناولها إياه من المقبضِ قائلاً: «هاكِ».

نظرت إلى السَّيفِ بعينين مليئتين بالدَّهشة، وللحظةٍ كانت تخشى أن تلمسه، تخشى أن يُتزعَّ منها مرَّةٌ أخرى إذا مدَّت يدها إليه، لكن أباهَا قال: «خُذِيه، إنه لكِ»، فالتقطت السَّيفَ في يدها.

- «يُمكنني الاحتفاظُ به حقًّا؟».

ابتسمَ مجيبًا: «حقًّا. إذا أخذه فلا شكَّ أنني سأجدُ كَرَّةَ شائكةٍ تحت وسادتكِ خلالَ أسبوعين. حاولي ألا تطعني أختكِ مهما استفزتكِ».

- «أعدك أني لن أفعل»، وضمت «الإبرة» إلى صدرها بقوة بينما غادر أبوها.

وفي الصباح التالي على مائدة الإفطار اعتذرت آريا للسبّعة موردين وطلبت منها الصّفح، ورمقتها السبّعة بشكّ لكن أباهاً هزّ رأسه موافقاً. وبعد ثلاثة أيام أرسل فايون بوول وكيل أبيها آريا إلى القاعة الصّغيرة. كان الوقت ظهراً، وتمّ تفكيك الموائد العالية ودُفعت الذّكك عند الجدران. بدت القاعة خالية تماماً، إلى أن سمعت صوتاً غير مألوف لها يقول: «تأخّرت يا ولد». خرج رجل نحيف ذو رأسٍ أصلع وأنفٍ كبيرٍ معقوف من بين الظلال حاملاً معه سيفين خشبيين نحيلين، وأضاف: «غداً ستكون موجوداً هنا مع حلول الظّهر بالضبط». كان يتكلّم بلكنة أجنبيّة بها ذلك الإيقاع الغنائي الخفيف الذي يُميّز المُدن الحرّة... برفاوس ربما، أو مير. سألتها آريا: «من أنت؟».

- «أنا معلّم الرّقص». ألقى لها واحداً من السيفين الخشبيين، فمدّت يدها إليه وأخطأته وسمعت صوت ارتطامه بالأرض. «سوف تُمسكه غداً، والآن التقطه من على الأرض».

لم يكن مجرد عصا، بل سيفاً خشبياً كاملاً له مقبض وواقٍ وقيعة. التقطته آريا وأطبقت عليه بكلتا يديها بتوتّر ورفعته أمامها. كان أثقل مما يبدو، وأثقل كثيراً من إبرتها.

قطعني الرّجل الأصلع بأسنانه وقال: «هذه ليست الطّريقة الصّحيحة يا ولد. إنه ليس سيفاً عظيماً يحتاج اليدين معاً للتّلويع به. سوف تحمل السيف بيد واحدة».

قالت آريا: «لكنه ثقيل جداً».

- «إنه ثقيل بما فيه الكفاية لأن يجعلك قويّاً، ومن أجل التّوازن السّليم، والفراغ في داخله مملوء بالرّصاص. إنه لا يحتاج غير يدٍ واحدة». رفعت آريا يدها اليمنى عن المقبض ومسحت راحتها المبلّلة بالعرق

على سروالها، ورفعت السيف بيسراها، وبدأ الرجل الأصلع راضياً. قال: «لا بأس باليد اليسرى. عندما ينعكس كل شيء سيرتبك أعداءك أكثر. لكنك تقف بوضع خطأ. دُر بجسدك إلى الجانب، نعم، هكذا. إنك نحيل كعمود الرُمح، هل تعرف هذا؟ لا بأس بهذا أيضاً لأنه يجعل الهدف أصغر. والآن طريقة الإمساك بالمقبض، دعني أرى». اقترب منها وحدّق في يدها، ثم فصل بين أصابعها وأعاد ترتيب وضعها. «هكذا بالضبط، نعم. لا تعترض المقبض بهذه القوة. يجب أن تكون مسكتك خفيفة رشيقة».

قالت آريا: «ماذا لو سقطت مني؟».

- «يجب أن يكون السيف جزءاً من ذراعك. هل يُمكنك أن تُسقط جزءاً من ذراعك؟ كلا. لتسعة أعوام كاملة كان سيريو فورل مُبارز لدى أمير البحر في برافوس. إنه يعرف هذه الأشياء جيّداً، فأصغ إليه يا ولد». كانت هذه المرّة الثالثة التي يُخاطبها فيها بـ«يا ولد»، فقالت معترضة: «أنا فتاة!».

قال سيريو فورل: «ولد، فتاة... أنت سيف وهذا كل ما هنالك»، وطقّق بأسنانه وأردف: «هكذا، نعم، هذه هي المسكة. إنك لا تحمل بلطة حريّة، بل تحمل...».

- «... إبرة»، قالت آريا مُنهيّة عبارته بحسم عنيد.

- «ليكن... والآن سنبدأ رقصتنا. تذكّر يا ولد أننا لا نتعلّم رقصة وستروس الحديدية هنا، رقصة الفُرسان والدُّك والتّمزيق، لا. هذه رقصة مُبارز البرافو، رقصة الماء، سريعة ومباغتة. كل البشر مخلوقون من الماء، هل كنت تعرف هذا؟ وعندما تطعنهم يتسرّب الماء منهم ويموتون»، وأخذ خطوة إلى الوراء ورفع سيفه الخشبي وقال: «والآن ستُحاول أن تضربني». وحاولت آريا أن تضربه، حاولت لأربع ساعاتٍ كاملة بلا طائل، إلى أن أضحت كل عضلة في جسدها تؤلمها، بينما ططق سيريو فورل بأسنانه وقال لها ما ينبغي أن تفعله.

وفي اليوم التّالي بدأ العمل الحقيقي.



دنیس

- «بحر الدوثر اكي»، قال السير چورا مورمونت وهو يتوقّف إلى جوارها على قمّة الأخدود، ومن تحتها امتدّ السّهل شاسعاً خاوياً لمدى يبلّغ الأفق البعيد ويتجاوزّه. فكّرت داني أنه بحر حقاً، فبعد هذه النقطة لم تكن هناك تلال أو جبال أو أشجار أو مدُن أو طرق؛ لا شيء غير أعشاب بلا نهاية تتمايل أوراقه الطويلة كالأمواج عندما تهبّ الرّيح. قالت مبهورة: «كلّ هذا الأخضر!».

قال السير چورا: «هو كذلك هنا والآن، لكن يجدر بك أن تراه عندما يزهر، فيمتلئ المكان بزهور ذات لونٍ أحمرٍ قانٍ من الأفق إلى الأفق كبحرٍ من الدّم، وبعدها يأتي موسم الجفاف ويكتسي العالم بلون البرونز القديم. ثم إننا نتكلّم عن عُشب الهرانا فقط يا صغيرتي، بينما هناك مئات من أنواع الأعشاب الأخرى في بحر الدوثر اكي، أعشاب صفراء كالليّمون وأعشاب بلون النّيلج القاتم، أعشاب زرقاء وأخرى برتقاليّة وأعشاب ملوّنة كقوس قزح. يقولون إن في بلاد الظّل الواقعة وراء آشاي هناك محيطات من العُشب الشّبحي أطول من رجل على متن حصان، وأوراقها بيضاء كالليب. ذلك العُشب يقتل بقيّة الأعشاب ويتوهّج في الظلام بأرواح الملعونين، ويؤمن الدوثر اكي بأن العُشب الشّبحي سوف ينتشر ليكسو العالم بأسره ذات يوم وعندها ستنتهي الحياة كلها».

جعل هذا الخاطر داني ترتجف خوفاً، وقالت: «لا أريدُ أن أتكلّم

عن هذا الآن. المكان جميل جدًا هنا، ولا أرغب في التفكير في فناء كل شيء».

قال السير چورا باحترام: «كما تأمرين يا غاليسي».

سمعت الأصوات والتفتت لتتَظر وراءها. كانت هي ومورمونت قد سبقا الركب بمسافة لا بأس بها، والآن كان بقيتهم يصعدون الأخدود أسفلهم. كانت وصيفتها إيربي ورؤماة الغاز الشبان مرينين سريعي الحركة كالقنطور الخرافي، بينما ظل فسيرس يُعاني مع ركاب حصانه القصير وسرجه المسطح. أخوها بائس حقًا في هذا المكان، ولم يكن يجدر به أن يأتي. كان الماچستر إليريو قد ألح عليه أن يبقى في پتوس وعرض عليه ضيافته في إيوانه، لكن رفض فسيرس كان قاطعًا. سوف يبقى مع دروجو إلى أن يُردَّ الدين، إلى أن يحصل على التاج الذي وُعدَّ به. «وإذا حاولَ خداعي، فسوف يعرف ما يعنيه إيقاظ الثنين، وسيأسف كثيرًا»، قالها فسيرس متوعدًا وهو يضع يده على سيفه المستعار، فاكتمى إليريو بأن رمقه بنظرة العليم ببواطن الأمور كردًّا، وتمنى له حظًا سعيدًا. وجدت داني أنها لا ترغب في سماع أي من شكاوى أخيها الآن. كان اليوم جميلًا بالفعل، السماء ذات لونٍ أزرق عميق، وفي الأعالي فوقهم أخذ صقر صيدٍ يدور ويدور. تمايل بحر الأعشاب وتهد مع كل هبة ريح خفيفة، وكان الهواء دافئًا على وجهها وشعرت داني بالسكينة، وقررت ألا تسمح لفسيرس بأن يُفسد هذا.

قالت داني للسير چورا: «انتظر هنا، وقُلْ لهم أن يبقوا. قُلْ لهم إنني أمرتُ بهذا».

ابتسم الفارس. لم يكن السير چورا بالرجل الوسيم، إذ كان يملك عنقًا ثخينًا وكفين مفتولتين كالثور، بينما غطى شعر أسود خشن ذراعيه وصدره بكثافةٍ شديدةٍ لم تترك شيئًا لرأسه. لكن على الرغم من كل هذا كانت ابتسامته تبث الراحة في داني. «بدأت تتعلمين كيف تتكلمين كملكة يا دنيرس».

قالت داني: «أنا لست مملكة، بل غاليسي»، ودارت بفرسها وانطلقت نازلةً الأخدود وحدها.

كان طريق النزول شديد الانحدار كثير الصُخور، لكن داني ظلت تتحرك بلا خوف، وامتزج الشعور بالفرحة والخطر معاً كأغنية ترددت في قلبها. طوال حياتها وفسيرس يقول لها إنها أميرة، لكن دنيرس تارجارين لم تشعر قط بأنها كذلك إلى أن امتطت فرسها الفضية.

لم يكن الأمر سهلاً في البداية، فقد فكك الكالاسار المخيم في الصباح التالي لزفافها وبدأ يتحرك شرقاً في اتجاه فايس دوثراك، ومع حلول اليوم الثالث كانت داني تحسب أنها ستموت. تفتحت القرح الدامية القبيحة التي أصابها بها السرج في إستها، وامتلات فخذها بالسحجات، وامتلات يداها بالبثور في غير موضع من فرط الإمساك بالعنان، وانتشر الألم في عضلات ساقها وظهرها حتى أصبحت تجلس بصعوبة شديدة؛ ومع حلول الغسق كانت تحتاج لمساعدة وصيفاتها كي تستطيع النزول عن الفرس.

حتى الليل لم يجلب لها أي راحة. تجاهلها غال دروجو تماماً وهم راكبون مثلما تجاهلها يوم زفافهما، وكان يقضي المساء في الشرب مع محاربيه وخبالة دمه، ينساق بجياده الثمينة ويتفرج على النساء يرقصن والرجال يموتون. لم يكن هناك لداني مكان في هذا الجزء من حياته، فكانت تُترك لتناول عشاءها وحدها أو مع السير چورا وأخيها، وبعدها كانت تبكي حتى تنام. لكن في كل ليلة، في وقت ما قبل الفجر، كان دروجو يأتي إلى خيمتها ويوقظها في الظلام ويمتطيها بقسوة كما يفعل مع فحلّه. كان يأتيها من الخلف دائماً على طريقة الدوثرافي، الشيء الذي كانت داني ممتنة له، فهذه الطريقة لا يرى زوجها الدموع التي تبلل وجهها، وتستعين هي بوسادتها كي تكتم صرخات الألم. عندما يفرغ، كان يغلق عينيه ويبدأ في الغطيط بصوت خفيض، وتمدد داني إلى جواره وجسدها يؤلمها لدرجة تجعلها عاجزة عن العودة إلى النوم.

مرَّ يومٌ وراء يومٍ وليلةٌ بعد ليلة، إلى أن أدركت داني أنها لن تقوى على

احتمال المزيد، ثم جاءت ليلة أخيراً قرّرت فيها أنها تُفَضِّل الانتحار على الاستمرار.

على أن حُلِمَ التَّئِينُ زارها من جديد عندما نامَت تلك اللَّيلة. لم يكن فسيّرس موجوداً هذه المرّة، فقط هي والتَّئِين. كانت حراشفه سوداء كالليل، مبتلةٌ لزجةً من الدَّم... دمها هي كما تراءى لداني. كانت عيناه بُحيرتين من الحُمَم البركانيّة، وعندما فغرَ فاه خرجَت منه النيران زائرةً في فيضانٍ ملتهب. كانت تسمعه يُغَنِّي لها، وفتحت ذراعها للنار مُعَانِقَةً إياها، لتغمُرَها تماماً وتُطَهِّرَها وتُقَوِّيها. شعرت بلحمها يسود ويحترق وينسلخ، وبدمها يغلي ويتحوّل إلى أبخرة، لكنها لم تحس بأيّ ألم، بل شعرت بأنها قويّة راسخة منيعة.

وفي اليوم التّالي -وهو ما كان غريباً- لم تُشعرُ بأنها تتألم لتلك الدّرجة كما من قبل، كأن الآلهة قد سمعتها وأشفقت عليها. حتى وصيقاتها لاحظنَ التغيّر فيها، وسألتهن جيكوي: «غاليسي، ماذا هناك؟ هل أنت مريضة؟».

- «كنت»، أجابت داني وهي واقفة عند بيضات التَّئِين التي أهداها إليريو إياها يوم زفافها. مسّت واحدةً منها، أكبر الثلاثة، ومرّرت يدها بخفّة على السّطح الحجري. أسود وقرمزي... كالتَّئِين في حلمي. كان الحجر دافئاً على نحوٍ غريب تحت أصابعها... أم أنها كانت لا تزال تُحلم؟ رفعت يدها عن البيضة بحركةٍ عصبيّة.

منذ تلك السّاعة فصاعداً أصبحَ كلُّ يومٍ أسهل من سابقه. صارت ساقاها أقوى وانفقات بشورها والتّامت جروحها واخشوشنت فخذاها وصارنا لئتين كالجلد.

كان الغال قد أمرَ وصيفتها إيري بأن تُعلّم داني الرُّكوب على طريقة الدوثرافي، لكن المهرة كانت معلّمتها الحقيقيّة. كانت الفرس تبدو كأنها تُدرك مزاجها كأن الاثنتين تنقاسمان عقلاً واحداً، ومع كلِّ يومٍ يمرُّ كانت داني تُشعرُ بنفّةٍ أكبر وهي فوق صهوة الفرس. الدوثرافي قومٌ قساة لا يتمتّعون بأيّ عاطفة، ولم يكن من عادتهم أن يُطلقوا أسماء على

حيواناتهم، فلم تُفكّر داني في فرسها إلا كالفرس الفضّيّة، وفي حياتها كلها لم تُشعر بحُبّ كهذا نحو أيّ شيء في الدّنيا.

كلما أصبح الرّكوب أسهل، بدأت داني تُلاحظ جمال الأرض من حولها. كانت تركب في مقدّمة الكالاسار مع دروجو وخيّالة دمه، فكانت تُبلّغ كلّ إقليم لتراه بكراً دون أن يُفسده شيء. من ورائهما كان القطيع الضّخم يُمزّق العُشب ويُلوث الأنهار بالوحل ويشير سُحباً من الغبار الخانق، بينما كانت الحقول أمامها خضراء نضرة دائماً.

عبروا تلال نورفوس المتموجة مروراً بمزارع مدرّجة وقرى صغيرة راقب سكّانها يتوتّر من فوق الأسوار البيضاء المشيّدة بالجص، وخاضوا في ثلاثة أنهار واسعة هادئة، بالإضافة إلى رابع كان سريعاً ضيقاً خدّاعاً، وخيموا إلى جوار شلالٍ أزرقٍ عالٍ، بينما تجنبوا أطلال مدينة كبيرة ميتة يُقال إن الأشباح تنوح فيها بين الأعمدة الرّخاميّة المسوّدة. انطلقوا في الطّرق القاليريّة التي يبلّغ عمرها ألف عام وإن ظلّت مستقيمة كسهام الدوثرافي. لنصف قمر تحرّكوا خلال غابة كوهور التي كوّنت فيها أوراق الشّجر مظلةً ذهبيّةً عاليةً فوق رؤوسهم، بينما كانت جذوع الأشجار بعرض بوّابة مدينة. كانت هناك ظباء ضخمة في الغابة، ونمور مرّقة وقرود ليمور ذات فرو فضّيّ وعيون أرجوانيّة كبيرة، لكن جميعها قرّ مع دنوّ الكالاسار ولم تلمح داني واحداً منها.

حيثُ قد كان ألمها قد صار ذكرى بعيدة. كانت لا تزال تُشعر بالوجع بعد يومٍ طويلٍ من الرّكوب بطبيعة الحال، لكن كان الوجع لا يخلو من شيء من العذوبة الآن، وفي كلّ صباح كانت تمتطي فرسها شاعرةً بالرّضا والحماسة لرؤية العجائب التي تقبع في انتظارها في الأراضي الواقعة أمامهم. بدأت تجد بعض اللّذة في ليايلها، وإذا صرخت عندما يأخذها دروجو، لم يكن الألم وحده هو السّبب دائماً.

ارتفعت الأعشاب من حولها عند قاع الأخدود طويلةً غضةً، وأبطأت داني حركة فرسها وخرّجت إلى السّهل فاقدةً نفسها في الأخضر شاعرةً

بالسَّلام والسَّكينة في وحدتها. إنها لم تتمتع بالوحدة أبدًا وهي مع الكالاسار، ولم يكن غال دروجو يأتي إليها إلا بعد مغيب الشَّمس، وكانت وصيفاتها يُطعمنها ويُحمِّمنها وينمنَ على باب خيمتها، بينما لم يتعد خيالة دم دروجو أو رجال غاسها عنها أبدًا، بالإضافة إلى أخيها الذي كان بمثابة ظلٍّ ثقيلٍ طوال الليل والنَّهار. سمعته داني على قَمَّة الأخدود يصيح في السير جورًا بصوت يتقدَّ غضبًا، فابتعدت أكثر غامرة نفسها في أغوار بحر الدوثرافي.

ابتلعها الأخضر. كان الهواء مفعماً برائحة التُّربة والعُشب التي امتزجت برائحة الخيل وعرق داني والزَّيت في شعرها... رائحة الدوثرافي التي تليق فعلاً بهذا المكان. استنشقت داني كلَّ هذا وملأت به صدرها، ثم انتابتها رغبة مباغته في أن تشعُر بالأرض تحت قدميها، أن تدفن أصابعها في التُّربة السوداء السَّميكة. هكذا ترجَّلت عن فرسها الفضيَّة وتركتها ترعى بينما خلعت حذاءها ذا العنق الطَّويل.

وجاءها فسيرس على حين غرَّة كعاصفة صيفيَّة وحصانه يرفع قائمته الأماميَّين من تحته مع توقفه المفاجئ. صرخَ فيها: «كيف تجرؤين؟ تُملين الأوامر عليَّ أنا؟ عليَّ أنا؟»، وثبَّ من فوق الحصان وهبط متعثرًا، ورأت وجهه محمَّرًا تمامًا وهو يُحاول النهوض بصعوبة. ثم إنه أمسكها وهزَّها زاعقًا: «هل نسيت من تكونين؟ انظري إلى نفسك! انظري إلى نفسك! لكن داني لم تكن في حاجة إلى النُّظر. كانت حافية القدمين، شعرها مدهون بالزَّيت وترتدي ثياب ركوب الدوثرافي الجليديَّة وصُدرة ملوَّنة جاءتها كهديَّة زفاف. كانت تبدو كأنها تنتمي لهذا المكان، بينما كان فسيرس متسخًا ملوَّنًا في ثيابه الحريريَّة وقميص الحلقات المعدنيَّة. كان لا يزال يصرُخ: «أنتِ لا تأمرين التَّنين! هل تفهمين؟ أنا سيِّد الممالك السَّبع ولن أنلقي الأوامر من عاهرة واحدٍ من سادة الخيول، هل تسمعينني؟»، ودسَّ يده تحت صُدرتها لتغرس أصابعه على نحوٍ مؤلم في ثدييها وهو يُكرِّر: «هل تسمعينني؟».

ودفعته داني بعيداً عنها بحركةٍ عنيفة.

حدّق فسيرس فيها وعيناه البنفسجيتان تنضحان دهشةً، فلم يسبق لها أن تحدّثه قطّ أو قاومتَه. انقلبت سحنته ثورةً، وكانت تعرف أنه سيضربها الآن.
كراك!

أصدر السّوط صوتاً كالرّعد وهو يلتفّ حول عنق فسيرس ويسحبه بعُنفٍ إلى الخلف، فسقط متعثراً وسط العُشب وقد جمّدتَه الصّدمة. أطلق خيالة الدوثرافي صيحاتٍ هازئةً وهو يُكافح لتحرير نفسه من السّوط الذي يخنقه، وألقى جوجو -الشّاب الذي يحمل السّوط- سؤالاً بصوتٍ خشن لكن داني لم تفهمه، إلّا أن إيرى كانت قد وصلت في هذه اللّحظة ومعها السير جورا وبقية الكاس. قالت إيرى: «جوجو يسأل إن كنت تريدني ميتاً يا غاليسي».
- «لا، لا».

فهم جوجو إجابتها، وأطلق واحد من الآخرين تعليقاً جعل الباقيين يضحكون، فترجمت لها إيرى: «كوارو يقول إنه يجدر بك أن تقطعي له أذنًا كي يتعلّم الاحترام».
كان أخوها على رُكبتيه وأصابعه مغروسة تحت السّوط الجلدي، يصبح بكلام غير مفهوم ويُناضل لالتقاط أنفاسه مع إحاطة السّوط بقصبة الهوائية بإحكام.
قالت داني: «قولي لهم ألا يؤذونه».

كرّرت إيرى الكلمات بلغة الدوثرافي، فسحب جوجو السّوط جاذباً فسيرس معه كدمية ذات خيوط، وانطرح أخوها أرضاً مرةً أخرى وقد تحرّر من ضغطة الجلد القويّة على عنقه، وسأل خيط رفيع من الدّم تحت ذقنه حيث غاصّ السّوط بعمق.

قال السير جورا مورمونت: «لقد حدّرتَه من أن هذا سيحدّث يا سيّدتي، طلبتُ منه أن يبقى على قَمّة الأخدود كما أمرت».
- «أعرفُ هذا»، أجابت داني وهي ترمق فسيرس. كان ممدّداً على

الأرض يعبُّ الهواء بصوتٍ مرتفع وقد احمرَّ وجهه وسالت الدُمُوع من عينيه. كان شيئًا مثيرًا للشفقة، ولطالما كان فسيرس شيئًا مثيرًا للشفقة. لماذا لم تر هذا من قبل؟ الآن كان هناك مكان فارغ في داخلها كان خوفها يحتله من قبل.

قالت داني للسير چورا: «خُذ حصانه»، فحملق فسيرس فيها مشدوها. لم يكن يُصدِّق ما يسمعه، ولم تكن داني نفسها تُصدِّق ما تقوله فعلاً، لكن الكلمات وثبتت إلى شفيتها على الرغم من ذلك. «دعوا أخي يمشي وراءنا إلى الغالاسار». يؤمن الدوثرافي بأن الرجل الذي لا يركب حصاناً لا يُعدُّ رجلاً على الإطلاق، يصير أسفل السَّافلين، بلا شرفٍ أو جاه. «دعوا الجميع يرونه كما هو الآن».

- «لا!»، صرخ فسيرس والتفت إلى السير چورا متوسلاً إليه باللغة العامية بكلمات لا يستطيع الخيالة فهمها. «اضربها يا مورمونت، اضربها. هذا أمر من ملكك. اقتل كلاب الدوثرافي ولقنها درساً».

جالَّ الفارس المنفي ببصره بين داني وأخيها، هي حافية القدمين والتراب بين قدميها والزيت في شعرها، وهو بحريه وفولاذه. كان قراره بيتاً لداني على ملامحه قبل أن يقول: «سوف يمشي يا غاليسي»، وسحب حصان أخيها بينما عادت داني تمتطي فرسها الفضيّة.

حملق فسيرس فيه وجلس على الأرض. لاذَّ بالصمت لكنه لم يتحرَّك، وكانت عيناه مليتان بالسُّم والآخرين يتعدون. سرعان ما اختفى بين أعواد العُشب الطويلة، وشعرت داني بشيء من الخوف عندما لم تُعدِّ تراه، فسألت السير چورا: «هل يستطيع العودة وحده؟». أجابها: «حتى رجل أعمى كأخيك يستطيع اقتفاء أثرنا».

- «إنه شديد الاعتداد بنفسه، وقد يكون أكثر خجلاً من أن يعود».

ضحك مورمونت وقال: «والى أين سيذهب؟ إذا لم يستطيع العثور على الغالاسار، فمن المؤكَّد أن الغالاسار سيَعثرُ عليه. الفرق في بحر الدوثرافي صعب يا صغيرتي».

كانت داني تُدرك حقيقة ما يقوله. إن الغالاسار كمدينة كاملة تزحف، لكنها لا تزحف على غير هدى. كان الكشف يسبقون الركب الأساسي دائماً وينطلقون بعيداً وكلهم انتباه لوجود أي طرائد أو فرائس أو أعداء، بينما كان الخفر يحرسون الغالاسار من الجانبين. لا شيء يفوتهم، ليس هنا في هذه الأرض، المكان الذي أتوا منه. كانت هذه السهول جزءاً منهم... ومنها كذلك الآن.

قالت داني والدّهشة تُفعم صوتها: «لقد ضربته». الآن وقد انتهى الأمر كانت تشعر أن ما حدث كان مجرد حلم راودها. «سير جورا، هل تعتقد... هل تعتقد أنه سيكون غاضباً جداً عندما يعود؟»، وارتجفت مضيفة: «لقد أيقظت الثنين، أليس كذلك؟».

أطلق السير جورا صوتاً مستهجنًا وقال: «هل يُمكنك إيقاظ الموني من رقادهم يا فتاة؟ أخوك ريجار كان آخر الثنين ولقد مات في معركة الثالث، أمّا فسيرس فأقل من ظلّ ثعبان». أدهشتها كلماته الفظة، وبدأ لها أن الشكوك تحيط الآن بكل شيء كانت تعتقد فيه من قبل. «لقد... لقد أقسمت له بسيفك...».

- «هذا صحيح يا فتاة. وإذا كان أخوك ظلّ ثعبان، فماذا يكون خادمه إذن؟». كانت كلماته مفعمة بالمرارة.

- «لكنه ما زال الملك الشرعي. إنه...».

أوقف جورا حصانه ونظر إليها قائلاً بحزم: «أريد الحقيقة. هل تريد رؤية فسيرس جالساً على العرش حقاً؟».

فكرت داني للحظات ثم قالت: «لن يكون ملكاً صالحاً، أليس كذلك؟».

- «كان هناك ملوك أسوأ منه، لكنهم لم يكونوا كثيرين»، ثم وكّر الفارس حصانه بكعبيه وبدأ يتحرك من جديد.

تحركت داني على فرسها بالقرب منه وقالت: «لكن الشعب ينتظره».

إليريو يقول إنهم يحيكون رايات التَّين ويُصلُّون لعودة فسيرس عبر البحر الضيِّق لتحريرهم».

قال السير چورا: «الشَّعب يُصَلِّي لنزول المطر والأطفال الأصحاء وصيف لا ينتهي أبدًا، ولا أحد منهم يهتمُّ بلُعبة العروش الدَّائرة بين السَّادة طالما تركوهم في سلام»، وهزَّ كتفيه مضيِّفًا: «لكنهم يجدون أنفسهم جزءًا من الصُّراع دائمًا».

ركبت داني إلى جواره صامتةً لفترة من الوقت وهي تُحاول استيعاب كلماته كأنها لغز. كان ما قاله يتعارض مع كلِّ شيء قاله لها فسيرس... النَّاس لا يُبالون حقًّا بمن يحكُّمهم، سواء كان ملكًا شرعيًّا أو آخر اغتصبَّ العرش اغتصابًا، لكن كلما فُكِّرت أكثر في كلمات چورا وجدت أن لها رنينًا لا شك فيه من الحقيقة.

سألته: «لأيِّ شيء تُصَلِّي أنت يا سير چورا؟».

أجاب بصوت يمزج بالاشتياق: «الوطن».

قالت وهي مؤمنة بما تقول: «أنا أيضًا أُصَلِّي للعودة إلى الوطن».

ضحك السير چورا وقال: «انظري حولك إذن يا غاليسي».

لكن داني لم تر الشُّهول، بل كينجز لاندنج والقلعة الحمراء العظيمة التي شَيَّدها إجون الفاتح ودراجونستون التي وُلِدَتْ فيها، وبعين الخيال رأت ألف ضوءٍ ساطع يتقد في كلِّ نافذة، وبعين خيالها رأت الأبواب كلها حمراء.

قالت: «أخي لن يسترده الممالك السَّبع أبدًا». أدركت في تلك اللَّحظة أنها تعرف هذا منذ وقتٍ طويل، تعرفه طوال حياتها في الحقيقة، وإن لم تسمح لنفسها قطُّ بأن تبوح بتلك الكلمات ولو همسًا، لكنها لفظتها الآن ليسمعها السير چورا مورمونت والعالم كله.

رمقها الفارس بنظرة فاحصة وقال: «ألا تعتقدين أنها سيفعل؟».

أجابته داني: «أخي لا يستطيع أن يقود جيشًا حتى لو أعطاه زوجي واحدًا. إنه لا يملك أيَّ مال، والفارس الوحيد الذي يتبعه يقول إنه أقل من ثعبان، والدوثرافي يسخرون من صَغفه. إنه لن يعود بنا إلى الوطن أبدًا».

ابتسم وقال: «طفلة حكيمة أنت».

- «أنا لستُ طفلة»، قالت داني بحزم ووكزت جانبي فرسها بقوة لتعدو مسرعة. انطلقت بسرعة أكبر وأكبر تاركةً جورا وإيري والآخرين وراءها، والرياح الدافئة تُطير شعرها والشمس الحمراء الغاربة تنعكس على وجهها. كان الغسق قد حلَّ بالفعل عندما بلغت الكالاسار.

كان العبيد قد نصبوا خيمتها على ضفة بركة يصب فيها ينبوع، وسمعت داني أصواتًا خشنة تتردد من القصر المصنوع من العُشب المجدول على التل. قريبًا ستردد الضحك أيضًا عندما يحكي رجال الكاس ما حدث اليوم، وعندما يصل فسيرس أخيرًا سيكون كل رجل وامرأة وطفل في المخيم قد رأوه كماش، فليست هناك أسرار في الكالاسار. سلمت داني فرسها إلى العبيد ليسوسوها ودخلت خيمتها. كانت الخيمة الحريرية معتدلة الحرارة خافتة الإضاءة، وإذا تركت سديلة الباب تنغلق وراءها، رأت داني إصبعا من النور الأحمر المغبر يمتد ليمس بيضات التين في أقصى الخيمة، ولوهلة سبحت ألف قطيرة من اللهب أمام عينيها، ولم يكد طرفها يرتد إليها حتى كان النور قد اختفى. أحجار، قالت لنفسها، إنها مجرد أحجار. حتى إيريونفسه قال هذا. التنانين كلها ماتت. وضعت راحة يدها على البيضة السوداء وقد فردت أصابعها برقعة على الطبقة الحجرية الرقيقة، فوجدت الحجر دافئًا أقرب إلى السخونة. همست داني: «إنها الشمس. لا بد أن الشمس قد سخنتها ونحن راكبون».

أمرت وصيغاتها بإعداد حمام لها، فأشعلت دوريا نارا خارج الخيمة، بينما حلت إيري وچيكوي الحوض النحاسي الكبير (الذي كان هدية زفاف أيضًا) من حصان الجرّ وجلبته، ثم جاءتا بالماء من البركة. عندما صار الماء ساخنًا، ساعدتها إيري على النزول إلى الحوض، ثم تبعها.

- «هل رأت إحداكن تينًا من قبل؟»، سألت وإيري تفرك ظهرها وچيكوي تُنظف شعرها من الرمل. كانت قد سمعت أن التنانين الأولى قد جاءت من الشرق، من بلاد الظل الواقعة وراء آشاي وجُزر بحر

اليشب. لعل بعضها لا يزال يعيش هناك في تلك الأراضي المحفوفة بكل ما هو ضارٍ غريب.

قالت إيرى: «لم تُعدْ هناك تنانين يا غاليسي».

وأمنت جيكوني على تعليقها قائلة: «كلها مات منذ زمنٍ طويل».

كان فسيرس قد قال لها إن آخر تنانين آل تارجارين قد ماتت منذ قرنٍ ونصفٍ لا أكثر إبان حُكم إجون الثالث، ولم تبدُ هذه الفترة بذلك الطول لداني. سألت شاعرةً بالإحباط: «في كل مكان؟ حتى في الشرق؟». كان السحر قد مات في الغرب عندما حلَّ "الهلاك" بغاليريا وأراضي الصيف الطويل، ولم يستطع الفولاذ المطروق بالتَّمَائم ولا السحرة ولا التَّنانين صدّه، لكن داني سمعت كثيرًا أن الشرق مختلف. يُقال إن المانتيكورات^(١) تجوب جُزر بحر اليشب، وإن العظايا تعيش في غابات يي تي، ومُرثمي التَّعاويد والمشعوذين ومنجمي الهواء يُمارسون فنونهم بحرِّيَّة تامَّة في آشاي، بينما يُزاول آيسرو الظلال وسحرة الدَّم أعمالهم السَّوداء في جوف اللَّيل، فلم لا تكون هناك تنانين أيضًا؟

قالت إيرى: «لا تنانين. قتلها الرُّجال الشُّجعان، لأن التَّنانين وحوش شريرة رهيبة. هذا معلوم».

وردَّدت جيكوني: «هذا معلوم».

- «تاجرٌ من كَارث قال لي ذات مرَّة إن التَّنانين جاءت من القمر»، قالت الشَّعراء دوريا وهي تُدْفِئ منشقةً فوق النَّار. كانت جيكوني وإيرى في مثل عُمر داني، فتاتين من الدوثرافي أخِدتَا كأمتين عندما دُمِّر دروجو غالاسار أبيهما، بينما كانت دوريا أكبر سنًّا، في العشرين من العُمر تقريبًا، وكان الماچستر إلبريو قد وجدَّها في أحد بيوت الهوى في ليس.

انساب الشَّعر الفُضِّي المبتل على عينيها وهي تدير رأسها قائلةً بفضول: «القمر؟».

(١) المانتيكور حيوان خرافي من التُّراث الفارسي، له رأس إنسان وجسم أسد وجناحان كالوطواط وثلاثة صفوف من الأسنان الحادة كالقُرَش.

قالت الفتاة اللآيسينية: «قال لي إن القمر نفسه بيضة يا غاليسي، وذات يوم كان هناك قمران في السماء، لكن أحدهما اقترب كثيراً من الشمس فشقق من جرّاء الحرارة، وتدفّق منه ألف ألف تيّن وشربوا نيران الشمس، ولهذا تنفث التّنانين اللّهب. سيأتي يوم يُقبّل فيه القمر الآخر الشمس أيضاً وينشقق، وحينها ستعود التّنانين».

ضحكت الفتاتان الدوثرாகي، وقالت إيري: «أنت أمة حمقاء ذات شعرٍ من القش. القمر ليست بيضة، إنها إلهة، امرأة، زوجة الشمس. هذا معلوم». ردّدت چيكوي: «هذا معلوم».

كانت بشرة داني متورّدة عندما خرجت من الحوض النّحاسي، ومدّنتها چيكوي لتدهن جسدها بالزّيت وتكشط التّراب من مسامّها، وبعدها رشّتها إيري بعطر زهرة العرّار والقرفة. وبينما كانت دوريا تُمسّط شعرها حتى لمع كالفضّة المغزولة، كانت داني تُفكّر في القمر، والبيضات، والتّنانين.

كان عشاؤها وجبةً بسيطةً من الفاكهة والجُبْن والخُبْز المحمّر، مع إبريق من النّبذ المحلّى بالعسل. «دوريا، ابقِ هنا وكُلّي معي»، قالت داني بعدما صرفت الوصيفتين الأخريين. كانت الفتاة اللآيسينية تملك شعراً بلون العسل وعينين كسمااء يوم صيفي.

خفّضت هاتين العينين عندما صارتا وحدهما وقالت: «هذا شرف كبير يا غاليسي»... لكن لم يكن هناك شرف في الأمر، بل الخدمة لا أكثر. ظلّت الاثنتان جالستين معاً تتكلّمان لفترةٍ طويلةٍ بعد أن احتلّ القمر مكانه في السماء.

في تلك اللّيلة، عندما جاء غال دروجو، كانت داني تنتظره. وقفَ عند باب خيمتها ورمقها مندهشاً، بينما نهضت هي ببطءٍ وفتحت ثياب نومها الحريرية وتركتها تسقط أرضاً. «يجب أن نخرج اللّيلة يا سيّدي»، قالت بنعومة، فالدوثرாகي يؤمنون بأن كلّ شيءٍ ذي أهميّةٍ في حياة الرّجل يجب أن يتمّ تحت السماء المفتوحة.

تبعها غال دروجو إلى الخارج تحت ضوء القمر والأجراس في شعره
ترن بصوت خافت. على بُعد خطوات قليلة من خيمتها كان ثمة فراش
من العشب الناعم، وهناك سحبت داني إلى أسفل، وعندما حاول أن
يقلبها على وجهها وضعت داني يدها على صدره قائلة: «لا، هذه الليلة
أريد أن أتطلع إلى وجهك».

ليس للخصوصية وجود في قلب الكالاسار، وشعرت داني بالأعين
تراقبها وهي تُجرده من ثيابه، وسمعت الأصوات الهامسة وهي تفعل
الأمور التي قالت لها دوريا أن تفعلها، لكنها لم تُبال... أوليست هي
الجاليسي؟ عيناه كانتا العينين الوحيدتين التي تكثر لهما، وعندما اعتلتته
رأت فيهما شيئاً لم تراه من قبل قط. ركبت بقوة كما ركبت فرسها الفضية،
وعندما جاءت لحظة ذروته صاح غال دروجو باسمها.

كانوا قد بلغوا الجانب البعيد من بحر الدوثرافي عندما تحسست
جيكوي بأصابعها بطن داني المتنفخة بعض الشيء، وقالت: «جاليسي،
أنتِ تحملين طفلاً».

كان هذا يوم ميلادها الرابع عشر.



بران

كان ريكون يجري مع الذئب في السَّاحة في الأسفل.
راقبَ بران من على مقعده المجاور للنَّافذة. أينما ذهبَ الولد الصَّغير
كان جراي ويند يسبقه إلى هناك أولاً، يشب بسرعةٍ ليقطع عليه الطَّريق،
إلى أن يراه ريكون ويصرُخ فرحاً ثم ينطلق في اتِّجاءٍ آخر. كان شاجيدوج
يجري في أعقابهِ، يدور ويكُشِّر عن أنيابه إذا اقتربَ الذَّبان الآخران أكثر
من اللازم. كان فروه قد صارَ داكناً أكثر وأكثر مع مرور الوقت إلى أن
استحال إلى الأسود بالكامل، بينما قُدَّت عيناه من نيرانِ خضراء. كان
آخرهم سمر ذئب بران بفروه ذي لون الفضة والدُّخان وعينه الذهبيتين
اللتين تريان كلَّ ما تُمكن رؤيته. كان أصغر حجماً من جراي ويند لكن
أكثر يقظةً، وقرَّر بران أنه الأذكى بين إخوته. كان يسمع ضحكات أخيه
متقطعة الأنفاس وريكون ينطلق هنا وهناك على ساقيه الصَّغيرتين.

كانت الدُّموع تلسع عينيه والرَّغبة الحارقة تملُّكه في أن يكون
معهم في السَّاحة، يركُض ويضحك. شاعراً بالغضب من هذا
الخاطر، مسحَ بران دموعه بقبضة يده قبل أن تسقط. كان يوم ميلاده
الثَّامن قد جاء وراح. إنه يكاد يكون رجلاً بالغاً الآن، أكبر من أن يبكي
كالأطفال.

بمرارة قال متذكراً الغراب في حلمه: «كانت كذبة. إنني لا أستطيعُ
الطَّيران، بل لا أستطيعُ المشي حتى».

- «كُلُّ الْغُرَبَانِ كَذَّابُونَ»، قالت العجوز نان من مكانها على المقعد الذي جلست عليه تُمارِس شُغل الإبرة. «أعرفُ قِصَّةً عن غُرَابٍ». قال بران محتدًا: «لا أريدُ سماعَ المزيد من القصص». كان يُحبُّ العجوز نان وقصصها في الماضي، قبل أن يحدث ما حدث، لكن كلَّ شيءٍ اختلف الآن. كانوا يتركونها معه طوال اليوم حاليًا، لتعتني به وتطعمه وتُنظِّفه وتكون رفيقَةً له في وحدته، لكنها كانت تزيد الطين بلةً لا أكثر. «إنني أكرهُ قصصك السَّخيفة».

منحتَه العجوز ابتسامةً بلا أسنانٍ وقالت: «قصصي؟ لا يا سيدي الصَّغير، هي ليست قصصي. القصص موجودة فحسب، من قبلي ومن بعدي، ومن قبلك أنت أيضًا».

فكَّر بران مغتاظًا أنها عجوز قبيحة حقًا، مهزولة الجسد متغضَّنة الملامح تكاد تكون عمياء، أضعف من أن تصعد السَّلام وحدها، ولم يَعدُ يَغطِّي فروة رأسها المبرقشة غير بضع خصلاتٍ خفيفةٍ من الشَّعر. لا أحد يعرف عُمرها الحقيقي، لكن أباه قال له في مرَّةٍ إن اسمها كان العجوز نان منذ كان هو نفسه صبيًّا صغيرًا. لا شكَّ أنها أكبر شخصٍ سنًّا في ويتترفل على الإطلاق، ولعلَّها الأكبر سنًّا في الممالك السَّبع كلها. كانت نان قد أتت إلى ويتترفل كمرْضِعةٍ لواحدٍ ممن كان اسمهم براندون ستارك، والذي ماتت أمه وهي تلده. كان الأخ الأكبر للورد ريكارد جَدُّ بران، أو ربما كان الأخ الأصغر، أو أخًا لأبي اللورد ريكارد. كانت العجوز نان تحكي القِصَّة بشكلٍ مختلفٍ كلَّ مرَّةٍ، لكن في جميع القصص مات الولد الصَّغير في عُمر الثالثة مصابًا بنوبةٍ برِّدٍ صيفي، وبعدها بقيت العجوز نان في ويتترفل مع أطفالها. ثم إنها فقدت ابنيها في الحرب التي فازَ فيها المَلِك روبرت بالعرش، وقُتِلَ حفيدها على أسوار هايبك أثناء تمرُّد بالون جرايچوي، بينما تزوَّجت بناتها منذ زمنٍ طويلٍ وانتقلن للمعيشة في بقاع أخرى ومتن. كلُّ من تبقى من أقاربها كان هودور، العملاق الأبله الذي

يعمل في الاسطبلات، بينما ظَلَّت العجوز نان على قيد الحياة، تُمارس شغل الإبرة وتحكي قصصها بلا نهاية.

قال بران: «لا أهتمُ بصاحب القصص، إنني أكرهها». لم يكن يريد القصص ولم يكن يريد العجوز نان. كان يريد أمه وأباه، يريد أن يجري وسمر يتوَّأب إلى جواره، أن يتسلَّق البرج المكسور ويُطعم الغربان حبوب الذرة، أن يركب حصانه القزم مرَّة أخرى مع إخوته، أن يعود كلُّ شيء كما كان من قبل.

- «أعرفُ قصَّةَ عن ولدٍ يكره القصص»، قالت العجوز نان بابتسامتها السَّخيفة دون أن تتوقَّف إبرتها عن الحركة -كليك، كليك، كليك- إلى أن أصبحَ بران على وشك الصُّراخ في وجهها من فرط الغيظ. كان يعرف أن الأشياء لن تعود كما كانت من قبل أبدًا. لقد خدعه الغراب وجعله يطير، لكن عندما استيقظَ وجد جسده مكسورًا والعالم مختلفًا تمامًا. جميعهم تركوه، أبوه وأمه وأخته، وحتى أخوه النُّغل چون. لقد وعدَه أبوه بأنه سيركَب حصانًا حقيقيًا في الطريق إلى كينجز لاندنج، لكنهم غادروا من دونه. كان المايستر لوين قد أرسل طائرًا برسالةٍ إلى أبيه، وأخرى لأمه وثالثة إلى چون على "الجدار"، لكن ردًّا لم يأت. «كثيرًا ما لا تَبْلُغ الطُّيور وجهتها يا بُني»، قال له المايستر. «ثمَّة أميال كثيرة وصقور كثيرة بين وينترفِل وكينجز لاندنج، ولعلَّ الرِّسالة لم تصل أصلًا». وعلى الرغم من ذلك كان الإحساس المُصاحب لبران أنهم ماتوا جميعًا وهو نائم... أو ربما ماتَ هو ونسيه الجميع. چوري والسير رودريك وفايون پوول رَحَلوا أيضًا، وهالن وهاروين وتوم السَّمين ورُبُع الحرس.

لم يبقَ هنا غير روب وريكون الصَّغير، وروب تبدَّل كثيرًا. إنه روب اللورد الآن، أو أنه يُحاول أن يكون كذلك. كان يتمنطق بسيفٍ حقيقيٍّ الآن ولا يبتسم أبدًا، يقضي النَّهار في تمرين الحرس والتدرب على القتال

بالسيف، جاعلاً رنين الفولاذ يتردد في الساحة بلا كلل بينما يتفرّج بران بيّوس من نافذته. ليلًا كان يتتحي جانبًا بالميسنر لوين ليتحدّثا أو يُراجعا دفاتر الحسابات. أحيانًا كان يخرج مع هالس مولين ليزور المعازل البعيدة ويغيب لأيام في المرّة، وكلما غاب روب لأكثر من يوم كان يكون يكي ويسأل بران إن كان سيعود. حتى أثناء وجوده في ويترفل، كان روب اللورد يملك وقتًا أكثر لهالس مولين وثيون جرايچوي من الوقت الذي يقضيه مع أخويه.

قالت العجوز نان: «يُمكّني أن أحكي لك قصّة براندون البناء. إنها قصّتك المفضّلة».

منذ آلاف وآلاف السنين شيّد براندون البناء ويترفل، وقال البعض إنه شيّد "الجدار" كذلك. كان بران يعرف القصّة، لكنها لم تكن قصّة المفضّلة قطّ، ولعلّ واحدًا آخر ممن كان اسمهم براندون كان يُحبّها. أحيانًا كانت العجوز نان تُخاطبه باعتباره براندون الذي أرضعته منذ سنواتٍ طويلةٍ للغاية، وفي أحيانٍ أخرى كانت تخلط بينه وبين عمّه براندون الذي قتله الملك المجنون قبل مولد بران. قالت له أمه في مرّةٍ إنها عاشت سنينًا طويلةً جدًّا، حتى أن كلّ من اسمهم براندون ستارك قد صاروا واحدًا في عقلها.

قال لها: «هذه ليست قصّتي المفضّلة. القصص المخيفة تروق لي أكثر من غيرها». سمعَ جلبةً في الخارج فأدارَ رأسه إلى النافذة، ليرى ريكون يعبرُ الساحة راكضًا إلى حُجرة الحراسة عند البوّابة والذئاب في أعقابها، لكنّ البرج كان يُواجه جهةً أخرى ويحبّب ما يحدث عنه. هوى بقبضته على فخذه غاضبًا، ولم يحس شيئًا.

قالت العجوز نان: «آه يا ابن الصّيف العزيز، ماذا تعرف أنت عن الخوف؟ الخوف أوانه الشّتاء يا سيّدي الصّغير، عندما تسقط الثلوج ويبلغ عمقها مئة قدم، وتأتي الرّياح الجليديّة تعوي من الشّمال. الخوف

أوانه الليل الطويل، عندما تَحْتَجِبُ الشَّمْسُ لأعوامٍ كاملةٍ في المرّة، ويولد الصُّغار ويعيشون ويموتون في الظَّلام، بينما تُصِيرُ الذُّئْبُ الرّهية نفسها مهزولةً وتتصوّرُ جوعاً، ويجوب المُشاةُ الشّاحبون الغابات». قال بران متذمّراً: «تَقْصِدِينَ "الآخرين"».

- «"الآخرين"، نعم. منذ آلافِ مؤلّفةٍ من السنين حَلَّ شتاء بارد قاسٍ أطول من أيّ شتاءٍ غيره في ذاكرة البشر، وجاءَ ليلٌ دامَ جيلاً كاملاً، وارتجفَ الملوكُ برّداً وماتوا في قلاعهم تماماً كقطعان الخنازير في زرائبها. خنقتِ النّساءُ أطفالهنَّ كي لا يُشاهدنهم يموتون جوعاً، وبكين، وشعرنَ بدموعهنَّ تتجمّد على الخدود»، ثم سكّت صوتها وإبرتها ورمقت بران يعينين باهتتين مغشّيتين وتابعت: «أهذا هو نوع القصص الذي يروق لك إذن يا بُني؟».

قال بران بتردّد: «نعم، لكن...».

عادَتِ الإبرة تعمل -كليك، كليك، كليك- وهزّت العجوز نان رأسها وقالت: «جاءَ "الآخرون" للمرّة الأولى في الظّلام. كانوا أشياء باردة، أشياء ميتة تمقت الحديد والنّار ولمسة الشَّمْسِ وكلُّ مخلوقٍ تجري الدّماءُ الحارّة في عروقه. اكتسحوا المعاقل والمُدُن والممالك، وأسقطوا الأبطال والجيوش بالآلاف وهم يمتطون خيولهم الميتة الشّاحبة ويقودون حشوداً من الموتى الذين أسقطوهم. لم تستطع كلُّ سيوف البشر إيقاف تقدّمهم، ولم تُثِرِ العذارى والرُّضع حتى ذرّة شفقةٍ فيهم. طاردوا الفتيات في الغابات المتجمّدة، وأطعموا لحم أطفال البشر لخدمهم الأموات». انخفضَ صوتها كثيراً حتى أضحى همساً، ووجدَ بران نفسه يميل إلى الأمام كي يسمعها.

- «كان هذا في الأيام التي سبقت مجيء الأنداليّون، وقبل زمنٍ طويلٍ من هروب النّساء عبر البَحْر الضيّق من مُدُن الروين، والمئة مملكةٍ التي كانت موجودة حينها كانت ممالك البشر الأوائل الذين استولوا على تلك

الأراضي من أطفال الغابة. على أنه هنا وهناك في البقاع المنعزلة من الغابات، ظلّ أطفال الغابة يعيشون في مُدنهم الخشبيّة وتلالهم المجرّفة، وظلّت الوجوه في الأشجار تنوّل الحراسة. هكذا، وقد ملأ البرد والموت العالم، قرّر آخر الأبطال الاستعانة بأطفال الغابة آملاً أن يُفلح سحرهم القديم في استعادة ما فقدته كلّ جيوش البشر، وخرج إلى أراضي الموت ومعه سيف وحصان وكلب ودسته من المُقاتلين. لسنوات ظلّ يبحث إلى أن يأسَ تماماً من العثور على أطفال الغابة في مُدنهم الخفيّة، وواحدًا تلو الآخر ماتَ أصدقاؤه، ثم حصانه، وأخيراً كلبه، وتجمّد سيفه عن آخره لدرجة أن النّصل انكسرَ عندما حاولَ استخدامه، واشتمّ "الآخرون" رائحة دمائه الحارّة، واقتفوا أثره بصمت تام ومعهم جموع من العناكب البيضاء الشّاحبة التي تُناهز كلاب الصّيد حجمًا، ثم...».

انفتح الباب بصوتٍ عنيف، وشعرَ بران بقلبه يثب في صدره خوفاً، لكن القادم لم يكن غير المايستر لوين وهودور على السّلام من ورائه. «هودور!»، قال صبيّ الاسطبل العملاق كعادته وعلى وجهه ابتسامة عريضة.

لكن المايستر لوين لم يكن مبتسمًا، وقال بجديّة: «لدينا زائرون، وحضورك مطلوب يا بران».

قال بران معترضًا: «إنني أسمعُ قصّة الآن». قالت العجوز نان: «القصص يُمكنها الانتظار يا سيّدي الصّغير، وعندما تعود إليها ستجدها كما هي لم تبدّل، بينما الزّوار لا يتحلّون بالصّبر، كما أنهم يأتون ومعهم قصصهم الخاصّة غالبًا». سأل بران المايستر: «مَن هُم؟».

- «تيريون لانستر وبعض رجال خرس اللّيل مع رسالةٍ من أخيك جون. روب معهم الآن. هودور، هلّا ساعدت بران على التّزول إلى القاعة؟».

- «هودورا»، قال هودور مسرورًا، ثم انحنى ليدخل برأسه الضخم ذي الشعر الخشن من الباب. كان هودور يبلغ نحو سبعة أقدام طولًا، وكان من الصعب أن تُصدّق أنه من أقرباء العجوز نان. تساءل بران إن كان حجمه سينكمش مثل جدّته الكبيرة عندما يبلغ عُمرها، لكن لم يبدُ هذا محتملًا حتى لو عاش هودور ألف عام.

رفع هودور بران بسهولة تامّة كأنه مجرد كومة من القش وضّمّه إلى صدره الضخم لتُفعم رائحة الخيل العالقة به دومًا أنف بران، لكنها لم تكن بالرائحة السيئة. كانت ذراعاها مفتولتي العضلات وتختفيان تحت طبقة من الشعر البني الكثيف. قال مرّة أخرى: «هودور». كان ثيون جراجيوي قد قال ذات مرّة إن هودور لا يعرف الكثير، لكن من المؤكّد أنه يعرف اسمه. أطلقت العجوز نان ضحكة كتفيق الدجاج عندما أخبرها بران بهذا، وأخبرته بأن اسم هودور الحقيقي هو والدر. قالت إن لا أحد يدري من أين جاءت كلمة «هودور» تلك، لكن عندما بدأ يُردّها طوال الوقت اعتبروها اسمه وبدأوا يُنادونه بها بدورهم؛ وهي الكلمة الوحيدة التي كان يقولها على كلّ حال.

تركوا العجوز نان في غرفة البرج لإبرها وذكرياتها، ودندن هودور بغير نغمة وهو يحمل بران نازلًا السلالم ثم عبر الرّواق، يتبعه المايستر لوين مسرعًا ليُجاري خطوات صبيّ الاسطبل الواسعة.

كان روب جالسًا على مقعد أبيهم العالي، يرتدي الحلقات المعدنية والجلد المقوّى بالزيت المغلي، وعلى وجهه سيماء روب اللورد، بينما وقف ثيون جراجيوي وهالس مولين وراءه. اصطفت دسنة من الحُرّاس عند الجدران الحجريّة الرماديّة تحت النوافذ الطويلة الضيقة، وفي منتصف القاعة وقف القزم مع خادمية وأربعة غرباء يرتدون أسود حرس الليل. أحس بران بالغضب المشتعل في القاعة لحظة دخول هودور به من الباب.

- «أَيُّ رَجُلٍ مِنْ حَرَسِ اللَّيْلِ مَرْحَبٌ بِهِ أَنْ يَبْقَى هُنَا فِي وَبْتَرَفَلْ كَمَا يَشَاءُ»، كَانَ رُوبٌ يَقُولُ بِلَهْجَةِ رُوبِ اللُّوردِ. كَانَ سَيْفُهُ مَوْضُوعًا عَلَى رُكْبَتَيْهِ خَارِجَ غِمْدِهِ لِيَرَاهُ الْعَالَمُ كُلُّهُ، وَحَتَّى بَرَانُ كَانَ يَعْرِفُ مَعْنَى أَنْ تُحَيِّيَ ضَيْفًا بِسَيْفٍ مَشْهُورٍ.

رَدَّدَ الْقَزَمُ: «أَيُّ رَجُلٍ مِنْ حَرَسِ اللَّيْلِ، لَكِنْ لَيْسَ أَنَا. أَهَذَا مَا تَعْنِيهِ أَيُّهَا الصَّبِيُّ؟».

نَهَضَ رُوبٌ وَأَشَارَ إِلَى الرَّجُلِ الصَّغِيرِ بِسَيْفِهِ قَائِلًا: «أَنَا اللُّوردُ هُنَا فِي غِيَابِ أَبِي وَأُمِّي يَا لَانْسْتِرْ، وَأَنَا لَسْتُ صَبِيًّا».

- «إِذَا كُنْتَ اللُّوردُ، فَحَرِيٌّ بِكَ أَنْ تَتَعَلَّمَ كِيَاةَ اللُّوردَاتِ»، قَالَ الرَّجُلُ الصَّغِيرُ مُتَجَاهِلًا السَّيْفَ الْمَصُوبَ إِلَى وَجْهِهِ. «يَبْدُو أَنْ أَخَاكَ النَّغْلُ هُوَ مَنْ يَتِمَنَّى بِأَخْلَاقِ أَبِيكُمْ».

قَالَ بَرَانُ لَاهْتًا مِنْ بَيْنِ ذِرَاعِي هُودُورٍ: «چُونَا!».

التَفَتَ الْقَزَمُ وَنَظَرَ إِلَيْهِ قَائِلًا: «مَا قِيلَ صَحِيحَ إِذْنِ، الصَّبِيُّ حَيٌّ. لَمْ أَكُنْ أَصْدُقُ هَذَا حَقًّا، لَكِنْ مِنَ الصَّعْبِ قَتْلُكُمْ فَعَلًا يَا آلَ سِتَارِكْ».

- «حَرِيٌّ بِآلِ لَانْسْتِرْ أَنْ يَتَذَكَّرُوا هَذَا»، قَالَ رُوبٌ خَافِضًا سَيْفَهُ. «هُودُورُ، تَعَالَ بِأَخِي إِلَى هُنَا».

- «هُودُورُ»، قَالَ هُودُورُ وَتَقَدَّمَ مُبْتَسِمًا وَوَضَعَ بَرَانُ عَلَى مَقْعَدِ آلِ سِتَارِكِ الْعَالِيِّ الَّذِي جَلَسَ عَلَيْهِ سَادَةً وَيَتَرَفَّلُ مِنْذُ الْأَيَّامِ الَّتِي كَانُوا يُطْلِقُونَ فِيهَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لِقَبَّ «الْمُلُوكِ فِي الشَّمَالِ». كَانَ الْمَقْعَدُ حَجَرِيًّا بَارِدًا، وَصَارَ أَمْلَسَ مِنْ كَثْرَةِ الْمُؤَخَّرَاتِ الَّتِي جَلَسَتْ عَلَيْهِ، وَزَمْجَرَتْ رُؤُوسُ الذُّنَابِ الرَّهِيَةِ الْمُحْفُورَةِ عَلَى ذِرَاعِيهِ الضَّخْمَتَيْنِ. وَضَعَ بَرَانُ يَدَيْهِ عَلَى ذِرَاعِي الْمَقْعَدِ بَعْدَمَا جَلَسَ، تَارِكًا سَاقِيهِ الْعَاجِزَتَيْنِ تَتَدَلَّيَانِ، وَقَدْ جَعَلَهُ الْمَقْعَدُ الْعَمَلِاقُ يَشْعُرُ بِأَنَّهُ طِفْلٌ رَضِيعٌ.

وَضَعَ رُوبٌ يَدَهُ عَلَى كَتِفِهِ وَقَالَ لِلْقَزَمِ: «قُلْتَ إِنْ لَدَيْكَ شَأْنًا مَعَ بَرَانِ. حَسَنٌ، هَا هُوَ ذَا يَا لَانْسْتِرْ».

كان بران مُدْرِكًا لنظرات تيريون لانستر المسلَّطة عليه وأشعره هذا بعدم الراحة. واحدة منهما كانت سوداء والأخرى خضراء، وكلتاها تُحْمِلِقَان فيه، تدرسانه، تَسْبِرَان أغواره. ثم قال الرَّجُل الصَّغِير أخيرًا: «بران، لقد قيل لي إنك متسلِّق في غاية البراعة، فكيف سقطت في ذلك اليوم إذن؟» قال بران بإصرار: «أنا لا أسقط أبدًا». نعم، إنه لا يسقط أبدًا... أبدًا أبدًا أبدًا.

قال الوايستر لوين بهدوء: «الصَّبِي لا يَذْكُر شيئًا عن السَّقطة أو تسلُّقه البرج قبلها».

قال تيريون لانستر: «غريب!».

قال روب بحدَّة: «أخي ليس هنا ليُجيب على أسئلتك يا لانستر. قل ما تريد ثم ارحل».

خاطب تيريون بران قائلاً: «لديَّ هديَّة لك. هل تُحبُّ ركوب الخيل؟». تقدَّم الوايستر منه وقال: «سيدي، لقد فقدَ الصَّبِي القُدرة على استخدام قدميه، ولا يُمكنه الجلوس على ظَهْر حصان».

قال لانستر: «هراء. مع الحصان السَّليم والسَّرج السَّليم يستطيع أيُّ أحدٍ الرُّكوب، حتى المعاقون».

كانت الكلمة كسْكِينٍ اخترقَ قلب بران، وشعرَ بالدموع تتجمَّع في عينيه رغماً عنه، وصاح: «أنا لستُ معاقاً!».

قال القزم وقد لوى فمه: «إذن فأنا لستُ قزماً. سيسعد أبي عندما يسمع هذا الخبر».

ضحك جراجيوي، بينما قال الوايستر: «ما نوع الحصان والسَّرج اللذين تقترحهما؟».

أجاب لانستر: «أقترحُ حصاناً ذكيًّا. الصَّبِي لا يستطيع استخدام ساقيه لقيادته، لذا عليك إعداد الحصان ليُناسب الرَّاكب، أن تُعلِّمه كيف يستجيب لحركات العِنان المختلفة وصوت راكبه. نصيحتي أن يكون

حصانًا غير مروّضٍ لم يبلِّغَ عامًا بعد، بلا تدريبٍ قديمٍ عليه أن ينسأه ويتعلَّم غيره»، ثم أخرجَ ورقةً مطويَّةً من حزامه وأضاف: «أعطِ هذه لصانع السُّروج وسيقوم هو بالباقي».

التقطَ المايستر لوين الورقة من يد القزم بفضولٍ سنجابٍ رماديٍّ صغير، ثم بسطها ودرسَ محتوياتها بإمعان، قبل أن يقول: «فهمتُ. إنك تجيد الرِّسم يا سيِّدي. نعم، من شأن هذه الطَّريقة أن تصلُح. كان من المفترَض أن أفكِّر في هذا بنفسِي».

- «كان الأمر سهلًا بالنِّسبة لي أيُّها المايستر، فهذا لا يختلف كثيرًا عن سِرْجي الخاص».

سألَ بران: «هل سأتمكِّن من ركوب حصانٍ حقًّا؟». كان كله رغبة في تصديقهم، لكنه كان خائفًا. لعلَّها مجردُ كذبةٍ أخرى، فقد وعدَه الغراب بأنه سيطيِّر.

قال له القزم: «نعم، وأقسمُ لك أيُّها الصِّبي أنك ستكون طويلاً كأبيِّ واحدٍ منهم وأنت على متن الحصان».

بدأ روب ستارك حائرًا وهو يقول: «أهذا فحٌّ ما يا لانستر؟ ما الذي يُمثِّله بران لك؟ ولمَ ترغب في مساعدته؟».

- «أخوك چون طلبَ مني أن أساعده، كما أن لديَّ في قلبي شفقةً لا تُقاوم نحو المعاقين والنُّغول والأشياء المكسورة»، ووضعَ تيريون لانستر يده على قلبه وابتسمَ.

انفتحَ الباب المظلل على السَّاحة بعُنف، وتدفَّقَ نور الشَّمس إلى القاعة مع اندفاع ريكون إلى الدَّاخِل متقطِّع الأنفاس ومعه الذُّئاب. توقَّف الصَّغير عند الباب متَّسع العينين، لكن الذُّئاب واصلت طريقها إلى الدَّاخِل، وحطَّت نظراتها على لانستر، أو لعلَّها اشتمَّت رائحته. بدأ سمر يُزْمِجُ أولًا، ثم تبعه جِراي ويند، واقترب الاثنان ببطءٍ من الرَّجل الصَّغير، واحد من اليمين والثاني من اليسار.

قال ثيون جرايچوي: «الذئب لا تُحِبُّ رائحتك يا لانستر».
 قال تيريون: «لعلَّ الوقت قد حان لأستاذن بالانصراف»، وأخذ خطوة
 إلى الخلف... وخرج شاجيدوج من بين الظلال من ورائه مُزْمَجِرًا.
 تراجع لانستر، وانقَضَ سَمَر عليه من الجانب الآخر، فحاول الابتعاد
 على قدمين غير ثابتتين، لكنه وجد ذراعه فجأة بين فكي جراي ويند الذي
 مَزَّق كُمَّهُ بأنيابه واقتطع منه قطعة كبيرة من القماش.

- «لا!»، هتَفَ بران من مقعده العالي بينما مَدَّ رجال لانستر أيديهم
 إلى سيوفهم. «سَمَر، لا سَمَر، تعال هنا!».

سمع الذئب الرَّهيب الصَّوت، ونظَرَ إلى بران ثم إلى تيريون، ثم
 تراجع زاحفًا بعيدًا عن القزم واستقرَّ عند ساقَي بران المتدليتين.
 كان روب حابسًا أنفاسه، ثم إنه أطلقها متنهِّدًا ونادى: «جراي ويند!»،
 فذهبَ ذُئبه إليه بسرعة صامتة. لم يَعْذُ هناك الآن غير شاجيدوج الذي
 يُزْمَجِر في وجه الرَّجل الصَّغير وعيناه تشتعلان بلهبٍ أخضر.

صاحَ بران في أخيه الصَّغير: «ريكون، نادِ عليه»، فتذكَّر ريكون نفسه
 وصرخ: «تعال هنا يا شاجيدوج، تعال، الآن!»، فزمرَ الذئب الأسود
 في وجه القزم مرَّةً أخيرةً واندفعَ إلى ريكون الذي عانقه بقوةٍ حول عُنقه.
 خلعَ تيريون لانستر وشاحه وجفَّفَ به العرق السَّائل على جبهته،
 وقال بصوتٍ محايد: «كم هذا مشير للاهتمام!».

- «هل أنت بخير يا سيدي؟»، سأله أحد رجاله حاملًا سيفه في يده
 وهو يرمُقُ الذئب الرَّهيب بعصبيَّة.

- «كُمِّي ممزَّق وثمة بلل لا شكَّ فيه في ثيابي الدَّاخليَّة، لكن شيئًا لم
 يتأذَّ في غير كرامتي».

حتى روب بدا مهزوزًا وهو يقول: «الذئب... لا أدري لماذا فعلتَ
 هذا...».

- «لا شكَّ أنها حسبتني عشاءها»، ثم انحنى تيريون لبران انحناءً

خفيفةً وقال: «أشكرك لأنك أوقفته يا سيدي الصغير. أوكد لك أنها كانت ستجدي عسير الهضم. والآن سأنصرف حقاً».

قال المايستر لوين: «لحظة يا سيدي»، ثم أتجه إلى روب ومال عليه. نهامس الاثنان وحاولَ بران أن يسمع ما يقولانه، لكن صوتهما كان خفيضاً للغاية.

ثم دَسَ روب ستارك سيفه في غمده وقال: «يبدو... يبدو أنني تسرعتُ. لقد قدّمت لبران جميلاً حقيقياً... أعني...»، وتمالّك نفسه بصعوبة وقال: «ضيافة وينترفل تحت أمرك إذا أردت يا لانستر».

- «اعفني من ضيافتك الزائفة أيها الصّبي. أنت لا تُجِبنِي ولا ترغب في وجودي هنا. لقد رأيتُ خاناً خارج أسواركم، في البلدة السّويّة. سأجدُ سريرًا هناك وسينام كلانا مرتاحًا أكثر. بل وقد أجدُ فتاةً مناسبةً مقابل بضعة عُملاتٍ نحاسيّة تُدْفئ لي الفراش»، ثم خاطبَ أحد الإخوة السّود له ظهر محني ولحية شعناء قائلاً: «يورن، ستتحركُ جنوباً عند الفجر. لا شك أنك ستجديني على الطريق». وهكذا غادرَ تيريون لانستر قاطعاً القاعة بصعوبة بساقيه القصيرتين مارّاً بـريكون، وتبعه رجاله.

بقي رجال حرس اللّيل الأربعة، ورمقهم روب بحيرة قائلاً: «لقد أمرتُ بإعداد عُرفٍ لكم، وستجدون مياهًا ساخنةً لتغسلون عن أنفسكم غبار الطريق. أتمنى أن تُشرّفونا بالانضمام إلينا على مائدة العشاء اللّيلة». كان يتكلّم بأسلوبٍ مرتبكٍ للغاية حتى أن بران نفسه لاحظَ هذا. كانت الكلمات قد لُقِنت إليه تلقيناً وليست آتيةً من القلب، لكن الإخوة السّود شكروه على كلّ حال.

هكذا عادَ بران إلى البرج محمولاً بين ذراعي هودور الذي وضعه في فراشه، وسمر ورائء مباشرةً. كانت العجوز نان نائمةً في مقعدها. قال هودور: «هودور»، ورفعَ جذّته الكبيرة وحملها خارجاً وهي تغطُّ بصوتٍ خفيض، بينما استلقى بران في فراشه مفكّراً. كان روب قد وعدَه بأنّه

يستطيع حضور المأدبة المقامة على شرف رجال حرس الليل في القاعة الكبرى. نادى على سمر، فوثب الذئب إلى الفراش، واحتضنه بران بقوة شديدة حتى أنه أحسّ بالأنفاس الساخنة على وجته. همس لصديقه: «يُمكّني أن أركب حصانًا الآن، وسنذهب للصّيد في الغابة قريبًا».

ثم إنه غاب في النوم بعد قليل.

وفي حلمه كان يتسلّق من جديد، يدفع نفسه صاعدًا بُرجًا عتيقًا بلا نوافذ، وأصابعه تغرس نفسها بين أحجار سوداء وقدماه تُحاولان العثور على موطنٍ لهما. إلى أعلى وأعلى تسلّق حتى اخترق السحاب وخرج من بينه إلى سماء الليل، ومع ذلك ارتفع البرج من فوقه. عندما توقّف لبُلقي نظرةً إلى أسفل، انتابه الدُّوار وسبّحت الموجودات أمام عينيه وشعر بأصابعه تنزلق، فصرخ بران وتشبّث مرعوبًا من فقدان حياته الثمينة. كانت الأرض عليّ بُعد ألف ميلٍ من تحته، وهو لا يستطيع الطيران، لا يستطيع الطيران حقًا. انتظر حتى انتظمت ضربات قلبه وحتى استطاع النقاط أنفاسه من جديد، ثم عادَ يتسلّق. لم يكن هناك اتّجاه يتحرّك فيه سوى إلى أعلى، وبعيدًا بعيدًا من فوقه خُيِّل إليه أنه يرى أشكال الكراجل التي حدّدها نور القمر الكبير السّاحب. كانت ذراعاه تؤلمانه، لكنه لم يجرؤ على أن يستريح، وأجبر نفسه على أن يتسلّق أسرع. راقبته الكراجل وهو يصعد بأعينٍ تتوهّج بالأحمر كجمراتٍ في مُستوقد. لربما كانت أسودًا ذات يوم، لكنها الآن مجرد كائناتٍ مشوّهة. كان بران يسمعا تهامس بأصواتٍ حَجَرِيَّة خفيفة تؤلم الأذان. قال لنفسه إنه لا يجب أن يُصغي إليها، لا يجب أن يسمعا، إنه سيكون بخير طالما تجاهل الأصوات... لكن عندما انتزعت الكراجل نفسها من الحجر وبدأت تنزل على جانب البرج حيث يصعد بران، أدرك أنه لن يكون بخير على الإطلاق. قال باكيًا وهي تدنو منه أكثر فأكثر: «لم أسمع، لم أسمع، لم أسمع».

واستيقظ لاهثًا شاعرًا بالضّياح في الظلام، ورأى ظلًا ضخماً يميل

عليه، فهمس مرتجفاً رُعباً: «لم أسمع»، لكن الظِّل قال: «هودور»، وأشعل الشَّمعة المجاورة للفراش، وتنفس بران الصُّعداء.

جَفَّ هودور عرقه بقُمَاشة دافئة مبلَّلة، وألَبَسه ثيابه بيدين رشيقتين حانيتين. عندما حانَ الوقت، حمّله هودور إلى القاعة الكبرى حيث أقيمت مأدبة طويلة عالية بالقرب من النَّار. كان مقعد اللورد على رأس المائدة خالياً، لكن روب جلس إلى يمينه وبران على الجانب الآخر منه. تناولوا لحم الخنازير الصَّغيرة هذه اللَّيلة مع فطائر الحمام واللُّفْت الغارق في الزُّبد، وبعدها وعدَّهم الطَّاهي بتقديم أقراص العسل على سبيل التَّحلية. التقطَ سمر فُتات المائدة من يد بران، بينما تشاجر جراي ويند وشاجيدوج على عظمة في أحد الأركان. من المستحيل أن تقترب كلاب ويترفل من القاعة حالياً، وكان بران قد وجدَ هذا غريباً في البداية، وإن أصبحَ معتاداً عليه الآن.

كان يورن الأعلى مقاماً بين الإخوة السُّود، ومن ثمَّ أجلسه الوكيل بين روب والمياستر لوين. كانت رائحة منفرة تنبعث منه كأنه لم يستحم منذ زمنٍ طويل، وأخذ يمزق اللحم بأسنانه ويُهشَّم الأضلاع ليمتصَّ النُّخاع من العظام، وعند ذكر جون سنو هزَّ كتفيه وقال: «إنه لعنة السير أليس»، وأطلق نحيراً بينما اشترك اثنان من رفاقه في ضحكة لم يستوعب بران معناها. لكن عندما سأل روب عن أخبار عمَّهما بنجن، لاذَّ الإخوة السُّود بصمتٍ مريب. سأل بران: «ما الأمر؟».

مسحَ يورن أصابعه على صدرته وقال: «ثمة أخبار سيئة أيها السَّادة، وهي طريقة شديدة القسوة لشُكركم على استضافتكم لنا، لكن على الرَّجل الذي يُلقِي السُّؤال أن يتحمَّل الإجابة. لقد اختفى ستارك».

قال أحد رفاقه: «أرسله الذُّب العجوز للبحث عن وإيمار رويس، ولقد تأخَّر في العودة كثيراً يا سيدي».

عقبَ يورن: «كثيراً جداً. لا بُدَّ أنه مات».

- «عَمِّي لَمْ يَمُتْ»، قال روب بصوتٍ غاضبٍ عالٍ، ونهَضَ واضعاً يده على مقبض سيفه مضيفاً: «هل تسمعني؟ عَمِّي لَمْ يَمُتْ!»، وتردَّدَ صدى صوته على الجدران الحجريَّة، وشعرَ بران بخوفٍ مبالغتٍ يعثره. رفعَ يورن ذو الرَّائحة المنفَّرة عينيه إلى روب وقال بلا تأثُّر: «كما تقول يا سيِّدي»، وأخذَ يَمصُّ قطعة لحم عالقَةٍ بين أسنانه.

اعتدلَّ أصغر الإخوة السُّود بتوتُّرٍ في مقعده وقال: «ليس هناك رجل على "الجدار" يعرف الغابة المسكونة أكثر من بنجن ستارك. سوف يجد طريقاً للعودة».

قال يورن: «ربما. قد يفعل أو لا يفعل. ثمة رجال صالحون دخلوا هذه الغابة من قبل ولم يعودوا بعدها قطُّ».

كلُّ ما استطاعَ بران التَّفكير فيه هو قصَّة العجوز نان عن "الآخرين" وآخر الأبطال الطَّريد في الغابات البيضاء وفي أعقابه الموتى والعناكب التي تُناهز كلاب الصَّيد حجماً. للحظةٍ تملَّكه الخوف، لكنه تذكَّر كيف انتهت القصَّة، واندفع يقول: «سُيساعده الأطفال، أطفال الغابة!».

أطلقَ ثيون جرابجوي ضحكةً مكتومةً، وقال المايستر لوين: «بران، لقد ماتَ أطفال الغابة منذ آلاف السنين، وكلُّ ما تبقى منهم هو الوجوه المحفورة في الأشجار».

قال يورن: «قد يكون هذا صحيحاً أيها المايستر، لكن وراء "الجدار" من يدري؟ هناك لا يستطيع المرء التَّفرقه دائماً بين الحيِّ والميت».

ليلتها، بعد رفع الأطباق من على المائدة، حملَ روب بران إلى عُرفته بنفسه، وقادَ جراي ويند الطَّريق بينما تبعهم سمر. كان أخوه قوياً بالنسبة لعمره، بينما كان بران خفيفاً كحزمةٍ من الخرق، لكن الدَّرجات كانت مرتفعةً مظلمةً، ولدى وصولهم إلى عُرفة بران كان روب متقطع الأنفاس.

وضعَ بران في فراشه ودثَّره بالأغطية وأطفأ الشَّمع، ولفترةٍ جلسَ

روب إلى جواره في الظلام. أراد بران أن يتكلم معه، لكنه لم يعرف ماذا يقول، وأخيرًا همس روب: «سنعثرُ لك على حصان، أعدك بهذا». سأله بران: «هل سيعودون؟».

- «نعم»، قال روب والتمني في صوته، فأدرك بران أنه يسمع أخاه الآن وليس روب اللورد. «ستعود أُمي قريبًا، وربما نخرجُ لنلتقي بها عندما تأتي. ألا تعتقد أنها ستكون مفاجأة كبيرة لها عندما تراك راكبًا حصانًا؟». حتى في ظلام الغرفة كان بران يشعر بابتسامة أخيه. «وبعدها ستتجه شمالًا لنرى "الجدار". لن نخبر جون بمجيئنا، وسنذهب إليه معًا. ستكون مغامرة».

- «مغامرة»، ردَّ بران بتوقٍ حزين. سمعَ نحيب أخيه، لكن ظلام الغرفة لم يسمح له برؤية دموع روب، فمدَّ يده وعثرَ على يده، وتعانقت أصابعهما معًا.



إدارد

- «كلنا حزناً كثيراً لوفاة اللورد آرَن يا سيدي»، قال المايستر الأكبر بايسل. «سيُسعدني للغاية أن أقصَّ عليك كلَّ ما أستطيعُ عن كيفية وفاته. تفضَّل بالجلوس. هل ترغب في بعض المِربُطات؟ بعض التَّمَر ربما؟ لديّ تين كاكي ممتاز كذلك. أخشى أن النِّبِذ لم يَعدْ يُناسبُ قُدَرتي على الهضم، لكن يُمكنني أن أقدم لك كوباً من الحليب المثلَّج المحلَّى بالعسل. إنه منعش للغاية في هذا القِيط».

كان الجَوُّ شديد الحرارة بلا شك، وشعرَ ند بُسُرتِه تلتصقُ بصدْرِه. كان الهواء الرُّطب المشغل بالأتربة قد غطَّى المدينة كدثارٍ صوفيٍّ مبتل، وسادتِ الجلبة ضفَّة النَّهر مع هروب الفقراء من بيوتهم الضيقة الحارَّة وشجارهم على مكانٍ للنَّوم بالقرب من الماء، المكان الوحيد الذي وجدوا فيه نسمةً من الرِّيح. قال ند وهو يجلس: «لا بأس على الإطلاق». رفعَ بايسل جرساً دقيق الحجم بسبَّابته وإبهامه ورثَّه بخفَّة، وهُرِعتْ خادمة شابَّة نحيفة إلى غُرْفَتِه السُّمسيَّة، فقال لها: «حليب مثلَّج ليَد المَلِك ولي إذا سمحتِ يا صغيرتي، محلَّى جيِّداً».

ريشما ذهبتِ الخادمة لإحضار المشروب، شبك المايستر الأكبر أصابعه معاً وأراحَ يديه على بطنه قائلاً: «العامة يقولون إن آخر أعوام الصَّيف هو الأكثر حرارةً دائماً. ليس هذا صحيحاً بالطَّبع، وإن بدا هكذا أحياناً، أليس كذلك؟ في أيام كهذه أحسدكم أيها السُّماليين على ثلوجكم

الصَّيْفِيَّةُ. صلصلت السُّلْسَلَةُ الثَّقِيلَةُ ذات الجواهر المتعدِّدة حول عُقَّتِ الرَّجُلِ الْهَرِمِ بخفوتٍ وهو يعتدل في مقعده مستطردًا: «من المؤكَّد أن الصَّيْفَ الذي حَلَّ في عهد مايكار كان أعلى حرارةً من الحالي، وكان هناك بعض الحمقى -حتى في "القلعة"- ممن اعتقدوا أن الصَّيْفَ الأعظم قد جاء أخيرًا، الصَّيْفَ الذي لا ينتهي أبدًا، لكنه انتهى بغتةً في عامه السَّابع، ثم جاء خريف قصير تلاه شتاء قاسٍ طويل. لا أحد يُمكنه إنكار أن الحرارة كانت مرتفعةً للغاية في ذلك الصَّيْفَ على الرغم من ذلك. في البلدة القديمة كان الجَوُّ كأتونٍ حقيقي بالنَّهار، ولم تكن الحياة تدبُّ فيها إلَّا ليلاً. كنا نتمشَّى في الحدائق المطلة على النَّهر ونناقش حول الآلهة. ما زلتُ أذكرُ روائح تلك اللَّيالي يا سيَّدي، روائح العِطَر والعَرَق، الشَّمَام الموشك على الانفجار من فرط النَّضج، الخوخ والرُّمَّان، البَنَاج وزهر القَمَر. كنتُ شابًا وقتها وسلسلتي لا تزال قيد التَّكوين، ولم تكن الحرارة تُرهقني كما تفعل الآن». كانت عينا بايسل ذاتا جفنين ثقيلين جدًّا حتى أنه بدا نصف نائم. «اعذُرني أيها اللورد إدارد، أعلمُ أنكَ لم تأتِ كي تُصغي لذكرياتٍ حمقاء عن صيفٍ نسيه الجميع قبل أن يولَد أبوك حتى. سامحني باعتباري رجلًا طاعنًا في السَّنِّ على شرودي إذا تكرَّمت. أخشى أن العقول كالسُّيوف، القديم منها يكسوه الصَّدَأ ولو بعد حين. آه، وها هو الحليب». وضعت الخادمة الشَّابَّة صحفةً بينهما، وابتسم لها بايسل قائلاً: «صغيرةٌ حلوةٌ أنتِ»، ثم رفع كوبه وتذوَّقَه، قبل أن يومئ برأسه استحسانًا ويقول: «شكرًا، يُمكنك الانصراف».

عندما انصرفت الفتاة، رمقَ المايستر ند بعينين باهتتين دامتتين وقال: «والآن أين كنا؟ آه، كنت تبسألني عن اللورد آرَن». قال ند: «هذا صحيح»، وأخذ رشقةً من الحليب المثلَّج. كان باردًا على نحوٍ منعشٍ فعلاً، وإنما أكثر حلاوةً مما يروق له.

قال پايسل: «الحق يُقال إن حضرة اليَد لم يبدُ على طبيعته لفترة من الزمن قبل وفاته. لقد كنا زميلين في المجلس لسنواتٍ طويلة، وأمّارات التغيُّر كانت واضحةً عليه، لكنني اعتقدتُ أنها بسبب الأعباء الكبيرة التي تحملها بإخلاصٍ كلَّ تلك الفترة. كانت كتفاه العريضتان مثقلتين بهموم البلاد، علاوة على أن ابنه كان سقيمًا طوال الوقت، والسيدة زوجته كانت شديدة القلق عليه دائمًا ولا تسمح له بالغياب عن نظرها. كان هذا كافيًا لإرهاق أقوى الرجال، واللورد آرَن لم يكن شابًا. لا عجب أنه بدا مكتئبًا متعبًا، أو هكذا حسبتُ وقتها، لكنني أقلُّ ثقةً من هذا الآن». ختمَ عبارته وهزَّ رأسه بتناقُل.

- «بِمَ تستطيع أن تُخبرني عن مرضه الأخير؟».

فردَّ المايستر الأكبر يديه بإشارةٍ تدلُّ على الأسى العاجز، وقال: «جاءَ إليَّ ذات يومٍ يسألني عن كتابٍ معيَّن وكله صحَّةً وعنفوان، وإن بدا لي أنه يعاني من ضيقٍ شديدٍ من شيءٍ ما، وفي اليوم التالي كان يتلوَّى ألمًا، مريضًا للغاية لا يقوى حتى على مغادرة الفراش. حسبَ المايستر كولمون أنه برَد في المعدة. كان الطَّقس حارًّا وقتها، وغالبًا ما كان اليَد يضيف الثلج إلى نبيذه، وهو ما من شأنه أن يُحدِث عُسرًا في الهضم. ثم إنني ذهبتُ إلى اللورد جون بنفسِي عندما ظلَّ يَصْغَف، لكن الآلهة لم تمنحني القُدرة على إنقاذه».

- «سمعتُ أنك صرفت المايستر كولمون».

كانت إيماءة المايستر الأكبر شديدة البطء والتأني كحركة نهرٍ جليدي وهو يُجيب: «صحيح، وأخشى أن الليدي لايسا لن تُسامحني على هذا أبدًا. لعلِّي كنتُ مخطئًا، لكنني حسبتُ أن هذا هو التصرُّف الأسلم وقتها. المايستر كولمون بمثابة ابنٍ لي ولا يُمكنني إطلاقًا إنكار قُدراته، لكنه شاب، وكثيرًا ما لا يستوعب الشباب هشاشة أجساد الأكبر منهم عُمرًا. كان يُطَهِّر أمعاء اللورد آرَن مستخدمًا شرباتٍ متعبة والفلفل المعصور، وخشيتُ أن يقتله هذا».

- «هل قال لك اللورد آرن أي شيء خلال ساعاته الأخيرة؟».

عقدَ بايسل حاجبيه وقال: «في المرحلة الأخيرة من الحُمى ظلَّ اليَدُّ يُنادي على اسم روبرت مرَّاتٍ عديدة، لكنني لا أدري إن كان يُنادي على ابنه أم المَلِك حَقًّا. لم تسمح الليدي لايسا للصَّبِي بدخول حُجرة المرضى خشية أن تُصيبه العدوى، لكن المَلِك جاءَ وجلسَ إلى جوار الفراش لساعات يتكلَّم ويمزح عن الماضي القديم آملاً أن يرفع هذا من روح اللورد جون المعنوية. كان من الجليُّ أن حُبَّه له كان عظيمًا».

- «ألم يكن هناك شيء آخر؟ لا كلمات أخيرة؟».

- «لَمَّا رأيتُ أن لا أمل هنالك، سقيتُ اليَدَّ حليب الخشخاش كي لا يُعاني أكثر. قبل أن يُغلِق عينيه للمرَّة الأخيرة، همسَ بشيء للمَلِك والسيدة زوجته، بركة لابنه على ما اعتقدُ. "البذرة قوية"، قال. في النهاية كان كلامه أكثر ارتباكًا من أن يُفهم. لم تُوافِه المنيَّة حتى الصَّبَاح التالي، لكن اللورد جون كان نائمًا في سلام حينها، ولم يتكلَّم ثانية».

أخذَ ند رشفةً أخرى من الحليبَ محاولاً ألا تدفعه حلاوته المفرطة إلى القيء، وقال: «هل بدا لك أن ثَمَّة شيئًا غير طبيعي يحيط بوفاة اللورد آرن؟».

- «غير طبيعي؟»، قال المايستر الأكبر بصوتٍ خفيض. «كلا، لا يُمكنني أن أزعم هذا. مُحزنٌ لا ريب، لكن على طريقته الخاصة الموت هو أكثر شيء طبيعي في الدُّنيا يا لورد إدارد. چون آرن يَرُقْد في سلام الآن وقد رُفِعَت الأعباء عن كاهله أخيرًا».

- «ذلك المرض الذي سلبه حياته، هل سبقَت لك رؤيته في أحدٍ آخر من قبل؟».

أجاب بايسل: «إنني مَايستر المَمالِك السَّبع الأكبر منذ ما يَقرُب من أربعين عامًا، تحت حُكم مَلِكنا المحبوب روبرت، إيرس تارجارين من قبله، وأبيه جايهيرس الثاني من قبله، ولبضعة شهورٍ حتى تحت حُكم

أبي چايهیرس، إجون الخامس الملقب بالميمون. لقد رأيتُ أمراضاً أكثر مما أحبُّ أن أتذكر يا سيدي، فدعني أقول لك هذا: كلُّ حالةٍ تختلف عن غيرها، وكلُّ حالةٍ تشابه مع غيرها، ووفاة اللورد آرن لم تكن أغرب من غيرها.

- «زوجته تعتقد غير ذلك».

هزَّ المايستر الأكبر رأسه موافقاً وقال: «تذكرتُ الآن أن أرملة شقيقة للسيدة زوجتك. إذا كان يُمكنك أن تُسامح رجلاً مُسنّاً على فظاظة كلامه، فدعني أقول لك إن الحزن يستطيع تضليل حتى أقوى العقول وأكثرها تنظيماً، والليدي لا يسا لم تتمتع بعقل كهذا قطُّ. منذ ولادة جنيها الأخير ميتاً وهي ترى أعداء متوارين في كلِّ ركن، ووفاة زوجها تركتها محطمة ضائعة».

- «إذن فأنت واثق تماماً من وفاة جون آرن بمرض مفاجئ؟».

أجاب پايسل عابساً: «أجل. إن لم يكن هذا مرضاً يا سيدي، فماذا إذن؟».

قال ند بهدوءٍ شديد: «سُماً».

اتَّسعت عينا المايستر النَّاعستان واعتدل متوتراً في مقعده وقال: «هذه فكرة مزعجة حقاً، لكننا لسنا في المُدن الحرة التي تشيع فيها أشياء كذلك. المايستر الأكبر إيثلميور كتب أن القتل يسكن قلوب كل البشر، لكن حتى مع ذلك ما زال القتل بالسُّم عازاً لا يُمحى»، وصمت للحظاتٍ وقد بدا مستغرقاً في التفكير، ثم أضاف: «ما تقترحه ممكن يا سيدي، لكني لا اعتقد أنه محتمل. كلُّ مايستر مبتدئ على علم بالسُّموم الدَّارجة، بينما لم تبدُ دلالة واحدة على التسمُّم على اللورد آرن. كما أن الجميع كانوا يُحبُّون اليك، فأنت وحش يرندي لحم إنسان قد يجرؤ على اغتيال رجلٍ نبيلٍ مثله؟».

- «سمعتُ أن السُّم سلاح النساء».

ملَّس پايسل على لحيته مفكراً وقال: «يُقال إنه سلاح النساء والجبنة...»

والمخصَّصين»، ثم تنحنح وبصقَ كتلةً سميكةً من البلغم في أصيص زرع، ومن فوقهما أطلقَ غُدافَ نعيًا عاليًا في المغدفة. «هل تعلم أن اللورد فارس وُلِدَ عبدًا في ليس؟ إياك أن تضع ثقتك في العناكب يا سيدي».

لم يكن ند في حاجة حقًا لتحذير كهذا، فثمة شيء ما في فارس يجعل بدنه يقشعرُ دائمًا. قال وهو ينهض: «سأذكّر هذا أيها المايستر، وأشكرك على مساعدتك. لقد أخذتُ ما يكفي من وقتك».

نهض المايستر الأكبر بايسل من مقعده بيّطٍ وقادَ ند إلى الباب قائلاً: «أتمنى أني ساعدتُ ولو على نحوٍ صغير على إراحتك. إذا كانت هناك أي خدمةٍ أخرى يُمكنني تقديمها لك، فما عليك إلا أن تطلب».

قال ند: «ثمة شيء واحد. أحبُّ أن أُطلع على الكتاب الذي أعرته لچون في اليوم السابق لسقوطه مريضًا».

قال بايسل: «أخشى أنك لن تجده ذا أهميةٍ كبيرة. إنه مجلّد ثقيل من تأليف المايستر الأكبر ماليون عن أنساب العائلات الكبيرة».

- «ولو، أحبُّ أن أُطلع عليه رغم ذلك».

فتحَ الشَّيخُ البابَ قائلاً: «كما تشاء. إنه هنا في مكانٍ ما. عندما أعره عليه سأرسله إلى سكنك علي الفور».

قال ند: «لقد كنت شديد اللطف معي أيها المايستر»، ثم راوده خاطر في تلك اللحظة فقال: «سؤال أخير إذا سمحت. لقد قلت إن المَلِك كان إلى جوار فراش اللورد آرَن لَدَى وفاته، فهل كانت المَلِكة حاضرةً كذلك؟».

- «كلا، المَلِكة وأبناؤها كانوا في طريقهم إلى كاسترلي روك في ضُحبة أبيها. كان اللورد نايوين قد جلبَ حاشيته معه إلى المدينة من أجل دورة المباريات التي أقيمت يوم ميلاد الأمير جوفري، أملًا أن يرى ابنه چايمي يفوز بتاج البطولة لا ريب، لكن أمله في ذلك خاب للأسف. خطرَ لي أن أُرسل خبر وفاة اللورد آرَن المفاجئة للمَلِكة، ولم يحدث قطُّ أن أرسلت طائرًا بقلبٍ حزينٍ كيومها».

تمتمَ ند: «أجنحة سوداء، أخبار سوداء». كان هذا مثلاً علّمته العجوز .
نان إيّاه وهو صبي.

قال پايسل موافقاً: «هكذا تقول بائعات السمك في الأسواق، لكننا
نعرف أن هذا ليس صحيحاً دائماً. عندما أرسل المايستر لوين خبر ابنك
بران، أسعدت الرسالة كلّ ذي قلب صادق في القلعة، أليس كذلك؟» .
- «كما تقول أيها المايستر» .

حنى پايسل رأسه قائلاً: «الآلهة رحيمة. تعالَ إليّ كلما شئت أيها
اللورد إدارد. أنا هنا لأخدم» .

لنفسه قال ند والباب ينغلق: نعم، لكن من؟

في طريق عودته إلى سكّنه وجدَ ابنته آريا على سلالم بُرج اليدِ
الملتفة، تُدَوّر ذراعيها كطاحونة الهواء وهي تُكافح لتقف متوازنة على
ساقٍ واحدة، وقد أبلت الحجارة الخشنة قديمها الحافيتين. توقّف ند
ورمّقها قائلاً: «آريا، ماذا تفعلين؟» .

- «سيريو يقول إن راقص المياہ يستطيع الوقوف على إصبع قدم واحدٍ
لساعات»، ولوحت بيديها في الهواء وهي تُحاول الحفاظ على ثباتها.
ابتسم ند رغماً عنه وقال مُشاكساً: «أيّ إصبع؟» .

- «أيّ إصبع منها!»، أجابت آريا غاضبةً من السؤال، ثم وثبتت من
على ساقها اليمنى إلى اليسرى متمائلةً على نحوٍ خطِر قبل أن تستعيد
توازنها.

سألها: «أجب أن تقفي هنا؟ هذه السلالم مرتفعة جداً والسقوط
عليها قاتل» .

- «سيريو يقول إن راقص المياہ لا يسقط أبداً»، وخفضت ساقها
لتقف على قدميها معاً وسألت: «أبي، هل سيأتي بران ليقيم معنا الآن؟» .
أجابها: «ليس قبل فترة طويلة. يجب أن يستعيد قواه أولاً» .
عصّت آريا شفّتها وقالت: «ماذا سيفعل بران عندما يبلغ؟» .

ركعَ على رُكبته إلى جوارها قائلاً: «ما زالت أمامه سنوات حتى يجد
 إجابةً لهذا السؤال يا آريا، أمّا حاليًا فيكفي أنه حي». ليلة جاء الطائر
 بالرسالة من ويتترفل أخذَ إدارد ستارك ابنته إلى أيبكة الآلهة في القلعة،
 التي كانت عبارةً عن فدانٍ من أشجار جار الماء والدردار وأشجار
 الحور القطني السوداء التي تطلُّ على النهر. كانت شجرة القلوب هناك
 شجرة سنديان ضخمة اكتست غصونها العتيقة بفروع الثوت الدُّخاني.
 ركعَ ثلاثتهم أمام الشجرة وقدّموا شكرهم كأنها شجرة ويروود. غابت
 سائرا في النوم مع ارتفاع القمر في السماء، وآريا بعدها بساعاتٍ وقد
 نمت جسدها على العُشب تحت عباءة ندى، وظلُّ هو ساهراً وحده طوال
 ساعات الليل المظلمة، وعندما طلع الفجر على المدينة كانت زهور
 أنفاس التين ذات اللون الأحمر الداكن تُحيطان بالفتاتين وهما ممددتان
 على الأرض، وقالت له سائرا: «لقد حلمتُ بيران، رأيته يتسم».

كانت آريا تقول الآن: «كان سيُصبح فارسًا، فارسًا في الحرس
 الملكي. أما زال يستطيع هذا؟».

- «كلا»، أجب ند وقد رأى عدم جدوى الكذب عليها. «لكنه قد
 بصير سيّدًا لمعقلٍ عظيم ذات يوم ويُصبح عضوًا في مجلس الملك.
 قد يُشيد قلاعًا مثل براندون البناء، أو يَمخر عباب بحر الغروب بسفينة،
 أو يعتنق ديانة أملك ويُصبح السّبتون الأعلى». لكنه لن يجري وفِئبه إلى
 جانبه ثانية أبدًا، فكَرَّ بحُزنٍ أعمق من أن يوصف بالكلمات، أو ينام مع
 امرأة، أو يحمل ابنه بين ذراعيه.

حنت آريا رأسها إلى الجانب وقالت: «هل يُمكنني أن أكون مستشارةً
 للملك وأشيّد القلاع وأصبح السّبتون الأعلى؟».

لثم ند جبهتها وقال: «أنتِ ستزوّجين ملكًا وتُحكّمين قلعته، وسيكون
 أبناؤك فُرسانًا وأمراء وكوردات، وربما يصير أحدهم السّبتون الأعلى
 كذلك، نعم».

قالت آريا وعلى وجهها تعبير مشمئز: «لا، هذه سائزا»، وطوّت ساقها اليمنى واستأنفت تدريب التوازن، فتهدّدت وتركها هناك. في غرفته خلّع ملابسه المبلّلة بالعرق وغسل رأسه بالماء البارد من الطّست المجاور للفرّاش، ودلف آلين إلى الغرفة وهو يُجفّف وجهه قائلاً: «سيدى، اللورد بايلش في الخارج ويطلب لقاءك».

- «أصحه إلى الغرفة الشمسية»، قال ند وهو يمدّ يده إلى سترّة نظيفة من أخفّ كتانٍ لديه. «سألتقي به في الحال».

كان الإصبع الصّغير جالساً على المقعد المجاور للنّافذة عندما دخل ند، يتفرّج على فرسان الحرس المملكي يُمارسون تدريبات المُبارزة في السّاحة في الأسفل، وقال بأسى: «ليت عقل سلمي كان رشيقاً كسيفه؛ لكانت اجتماعات المجلس أكثر مرحاً بكثير».

قال ند: «السير بارستان سلمي شجاع شريف كأى رجل في كينجز لاندنج». كان ند قد وجدّ في نفسه احتراماً عميقاً لحضرة قائد الحرس المملكي المُسنّ أبيض الشعر.

أضاف الإصبع الصّغير: «ومتعب مثل أيّهم كذلك، وإن كنتُ أجروُ على القول إنه سيُلبى بلاءً حسناً في دورة المباريات. العام الماضي أسقط كلب الصّيد عن حصانه، كما أنه كان بطل الدّورة منذ سنواتٍ أربع لا أكثر».

لم يكن إدارد ستارك يملك أدنى اهتمام بمسألة الفائز بالدّورة، وهكذا قال: «هل هناك سبب لهذه الزّيارة يا لورد پيتر، أم أنك هنا لتستمتع بالمنظر من نافذتي؟».

ابتسم الإصبع الصّغير قائلاً: «لقد وعدتُ كات بأنى سأساعدك في تحقيقك، وهذا ما فعلته».

اندهش ند لهذا. وعد أو لا وعد، هو لم يجد في نفسه استطاعةً للثّقة باللورد پيتر بايلش، الذي أعطاه دائماً انطباعاً بأنه مغرور جداً بذكائه إلى درجةٍ تُثير الضّيق. «ألديك شيءٌ مالى؟».

قال الإصبع الصغير: «شخصٌ ما بالأحرى، أربعة على سبيل الدقة. هل فكّرت في استجواب خدم اليد؟».

عقدَ ند حاجبيه وقال: «ليتني أستطيع، لكن الليدي آرن أخذت جميع أهل بيتها معها إلى "العش". لم تكن لايسا قد أسدت له أيّ خدمات في هذا الصدد، فكل من كانوا قريبين من زوجها غادروا معها عندما قرّت: مايستر چون، وكيله، قائد حرسه، فرسانه وخدمه.

قال الإصبع الصغير: «معظم أهل بيته وليس جميعهم. هناك قِلة ممن بقوا: خادمة مطبخ حامل زُفت على عجل إلى أحد سائسي خيل اللورد رنلي، وصبي اسطبل انضمَّ إلى حرس المدينة، وساق طُردَ من الخدمة بعد اتّهامه بالسَّرقة، ومُرافق اللورد آرن الخاص».

- «مُرافقه الخاص؟». كانت مفاجأة سارّة لند، فالمُرافق الشخصي يعرف الكثير جدًّا عن ذهاب وإياب الرَّجل الذي يخدمه.

- «السير هيو فارس "الوادي". لقد رفع المَلِك الصبيّ إلى رتبة فارس بعد وفاة اللورد آرن».

قال ند: «سأستدعيه، والآخرين كذلك».

رمقه الإصبع الصغير بعدم تصديق، ثم أشار إليه وقال: «هلاً جئت عند النافذة من فضلك يا سيّدي؟».

- «لماذا؟».

- «تعال وسأريك».

عاقداً الحاجبين ذهبَ ند إلى النافذة، فلوّح بيتر بايلش بيده قائلاً: «هناك، عبر السّاحة، عند باب مستودع السّلاح، هل ترى الصّبي الجالس القرفصاء عند السّلم يشحذ سيفه؟».

- «ماذا عنه؟».

- «إنه يرفع تقاريره إلى فارس. العنكبوت شديد الاهتمام بكلّ ما تفعله»، ثم اعتدل في مقعده وقال: «والآن انظر إلى السّور، إلى الغرب أكثر، فوق الاسطبل، الحارس المائل على المتراس».

رأى ند الرجل فقال: «واحد آخر من هامسي الخُصِي؟».

- «لا، هذا ينتمي إلى المَلَكَة. لاحظ أنه يستمتع بمنظر بابه البديع، كي يرى من يزورك بشكل أفضل. هناك آخرون، كثيرون منهم أجهلهم. القلعة الحمراء مليئة بالأعين، فلم تحسب أنني خبأتُ كات في ماخور؟». لم يكن إدارد ستارك يطبق تلك الدسائس، وغمغم: «بحق الجحائم السَّبع!». لقد بدا أن الرجل الواقف على السُّور يُراقبه بالفعل. انتابه شعور مفاجئ بعدم الرَّاحة، وابتعدَ عن النَّافذة قائلاً: «أيتجسَّس كلُّ أحدٍ لحساب أحدٍ ما في هذه المدينة الملعونة؟».

- «قِلَّة»، قال بايلش ثم بدأ يعدُّ على أصابعه قائلاً: «هناك أنا، وأنت، والمَلِك... لكن إذا فكَّرت قليلاً ستجدُ ثم إن المَلِك يُخبر المَلَكَة بالكثير جدًّا، كما أنني صرْتُ غير متأكَّد منك تمامًا الآن»، ونهض قائلاً: «هل هناك رجل في خدمتك تثق به تمام الثقة؟».

- «نعم».

قال الإصبع الصَّغير بابتسامةٍ ساخرة: «في هذه الحالة لديَّ قصر منيف في فاليريا أحبُّ أن أبيعك إياه. "لا" كانت الإجابة الأكثر حكمةً يا سيدي، لكن على كلِّ أرسل هذا الرَّجل الفلته إلى السير هيو والآخرين. سوف يخضع ذهابك وإيابك للمراقبة دائماً، لكن حتى فارس العنكبوت لا يستطيع مراقبة كلِّ رجلٍ في خدمتك طوال ساعات اليوم كلِّ يوم»، ثم إنه نهض واتَّجه إلى الباب.

نادى ند عليه قائلاً: «لورد بايلش، إنني... ممتنٌّ لمساعدتك. لعلِّي أخطأتُ حين لم أثق بك».

داعبَ الإصبع الصَّغير لحيته القصيرة المدبَّبة وقال: «أنت بطيء التعلُّم حقًّا أيها اللورد إدارد. إن عدم ثقتك بي هو أحكم شيءٍ فعلته منذ ترجَّلت عن حصانك في هذا المكان».



چون

كان چون يشرح لداريون الطريقة الأمثل لتسديد ضربة جانبية، عندما دخل المجنّد الجديد إلى ساحة التّدريب. كان يقول مُستَحِثًّا: «يجب أن تكون قدماك متباعدتين أكثر كي لا تفقد توازنك، نعم، هكذا، جيّد، والآن دُر علي محورك وأنت تهوي بالسّيف، ضع ثقلك كله وراءه». توقّف دايريون وفنّح مقدّمة خوذته مغمغمًا: «بحقّ الآلهة السّبعة! چون، هلّا نظرت إلى هذا؟».

التفتَ چون، وعبر فتحة العين في خوذته أبصرَ أ بدن ولدٍ رآه في حياته على الإطلاق يقف عند باب مستودع السّلاح، مجرّد النّظر إليه يجعلك ترى أنه يزن متي رطل على أقلّ تقدير. كانت ياقة صُدرته الفرو المطرّزة متوارية تحت لُغده، وتحرّكت عيناه الباهتتان بعصبية في وجهه المستدير الضّخم، بينما جفّفت أصابعه السّمينّة المبلّلة بالعرق نفسها على سُترته المخملية. كان يقول متلعثمًا دون أن يُوجّه كلامه لأحدٍ معيّن: «قالوا... قالوا لي أن آتيَ إلى هنا... للتّدريب».

- «لورد صغير»، قال پيپ لچون. «جنوبي، من مكانٍ من بالقرب من هايجاردن غالبًا». كان پيپ قد زارَ بلدان الممالك السّبع كلها مع فرقة من الممثّلين المتجوّلين، ويتباهى بأنه يستطيع أن يحزّر أصلك والمكان الذي وُلدت فيه من مجرّد اللّكنة التي تتكلّم بها. على صدر سُتره الولد البدين المبطّنة بالفرو طُرزَ صياد طويل السّاقين

بخيط قرمزي اللون، لكن چون لم يتعرف على هذا الرمز. رمى السير أليس ثورن تكليفه الجديد وقال: «يبدو أن لديهم شُحًا في اللُصوص ومتهكي الحُرَمَات في الجَنُوب، والآن يُرسلون لنا الخنازير لحماية "الجدار". هل يتخذ فخذ الخنزير من الفرو والمخمل درعًا له؟».

سرعان ما تبين أن المجند الجديد جلب معه درعه الخاصة كاملة، من السترة المبطنّة إلى الجلد المقوّى بالزيت المغلي وقميص الحلقات المعدنية والخوذة، وحتى الثرس الكبير المصنوع من الخشب والجلد المزيّن برمز الصياد نفسه على سترته. لكن لأن شيئًا من هذا لم يكن أسود اللون، أصر السير أليس أن يقوم الولد البدين بإعادة تجهيز نفسه من مستودع السلاح. استغرق هذا نصف النهار تقريبًا، إذ أجبر حجمه دونال نوي على أن يُفكّك قميص حلقات معدنيّة ويُرَوِّده بلوحين من الجلد من الجانبين كي يُناسب مقاسه، واضطرّ صانع السلاح إلى خلع مقدّمة الخوذة الجديدة تمامًا كي تُصبح قابلة للوضع على رأسه. في النهاية بدا الجلد مربوطًا بإحكام شديد حول ساقيه وتحت ذراعيه حتى أنه كان يتحرّك بصعوبة؛ والآن وقد صار جاهزًا للمعركة كان الولد الجديد يبدو كقطعة مفرطة الطهي من الشُّجق على وشك الانفجار. «لتمنّ أنك لست بالحماقة التي تبدو بها»، قال السير أليس: «هالدر، أرنا ما يستطيع الفارس الخنزير فعله».

ارتاع چون سنو. لقد وُلِدَ هالدر في محجرٍ وتدرّب على أن يكون حجّارًا منذ نعومة أظفاره. كان في السادسة عشر من عمره، طويلًا مفتول العضلات وضرباته من أقوى ما تعرّض له چون. غمغم ييب: «سيكون هذا أقبح من دُبر مومس»... وقد كان. دام القتال لأقلّ من دقيقة، قبل أن ينطح الولد البدين أرضًا وجسده كله يرتجف والدّماء تسيل عبر خوذته المحطّمة وبين أصابعه المتنفخة، ويصرخ: «أستسلم! كفى، إنني أستسلم، لا تضربني!».

كان راسه وعقد من الصبيّة الآخرين يضحكون على المنظر المثير للشفقة، إلا أن السير أليس رفض أن يضع نهايةً للأمر على الرغم من ذلك، وقال: «على قدميك أيها الفارس الخنزير، هلمّ، التقط سيفك». ظلّ الولد متشبّثًا بالأرض، فأشار ثورن إلى هالدن قائلاً: «اضربه بالجانب المسطح من سيفك حتى ينهض»، وعلى مضضٍ سدّد هالدن ضربةً متوسطة القوة إلى وجنة خصمه المرفوعة، فقال ثورن باستهزاء: «يُمكنك أن تضرب بقوة أكبر، أليس كذلك؟». هكذا أطبق هالدن على مقبض سيفه الطويل بكلتا يديه، وهوى به بقوة شديدة حتى أن ضربة السيف - رغم أنها كانت بجانبه المسطح - قد شقّت جلد الولد البدين، فأطلق صرخة ألم عنيفة. في هذه اللحظة تقدّم جون سنو خطوةً إلى الأمام، فوضع يده على كتفه وقال هامساً وهو يرمق السير أليس ثورن بتوتر: «جون، لا». كرّر ثورن: «على قدميك»، وكافح الولد البدين كي ينهض، ثم انزلق وسقط مرةً أخرى. «الفارس الخنزير بدأ يستوعب الأمر. هلمّ، على قدميك».

رفع هالدن السيف استعداداً لضربة أخرى، بينما قال راسه ضاحكاً: «اقطع لنا قطعة من الفخذ!».

أزاح جون يد ييب وصاح: «هالدن، كفى!».

ونظر هالدن إلى السير أليس منتظراً أمره، فقال قيم السلاح بنبرته الباردة الحادة المعتادة: «يتكلّم النغل فيرتجف الفلاحون. دعني أذكرك أنني قيم السلاح هنا أيها اللورد سنو».

قال جون مخاطباً هالدن ومتجاهلاً السير أليس قدر المستطاع: «انظر إليه يا هالدن. ليس هناك شرف في ضرب الخصم المهزوم. لقد استسلم»، وركع إلى جوار الولد البدين.

خفض هالدن سيفه وردّد: «لقد استسلم».

نبت السير أليس عينيّه السوداوين على جون سنو الذي يُساعد الولد

البدین علی النُّهوض، وقال: «یدو أن نغلنا وقع فی الحُب. أرني سيفك أيها اللورد سنو».

شهرٌ چون سيفه الطَّويل. كان يعلم أن هناك حدودًا لتحديه لسير أليس، وكان يخشى أنه تجاوزها الآن.

ابتسم ثورن وقال: «النَّغل يرغب في الدِّفاع عن حبيبته. لیکن، سنجعل من هذا تدريبًا إذن. الجرد وذو البثور، ساعدًا ذا الرَّأس الحجري»، فتحرك راسًا وألَّبت وانضمًّا إلى هالدر: «من شأن ثلاثة منكم أن يجعلوا خنزيرتنا تصرخ. ما عليكم إلا التغلُّب على النَّغل أولًا».

- «ابقَ ورائي»، قال چون للولد البدین. كان السير أليس كثيرًا ما يجعله يُواجه خصمين في آن واحد، لكن ليس ثلاثة أبدًا. كان يُدرك أنه غالبًا ما سيخُلد إلى النوم بجسدٍ مشخٍ بالجراح اللَّيلة، واستجمع قواه استعدادًا للهجوم.

فجأة وجد يبيب إلى جواره يقول بمرح: «ثلاثة في مواجهة اثنين أفضل»، وأنزلَ مقدِّمة خوذته ورفع سيفه، وقبل أن يُفكر چون حتى في الاعتراض تقدَّم جرن ليكون ثالثهم.

خيَّم صمتٌ ثقیل على السَّاحة، وشعرَ چون بنظرات السير أليس المسمومة مسلَّطة عليه. قال موجَّهاً كلامه لراست وألَّبت وهالدر بصوتٍ حملَ لمحةً خادعةً من اللَّبن: «ماذا تنتظرون؟»، لكن چون تحرَّك أولًا، وبالكاد رفع هالدر سيفه في الوقت المناسب.

دفعه چون إلى الوراها مهاجمًا مع كلِّ ضربة ومُجبرًا الصَّبي الأكبر منه على الدِّفاع عن نفسه طوال الوقت. اعرف خصمك... هذا ما علَّمه السير رودريك إياه، وكان چون يعرف هالدر، يعرف أنه قويٌّ حقًّا لكن يعوزه الصَّبر ويمقت أن يكون في وضع الدِّفاع. أثر غضبه وسيترك بقعة مفتوحة يُمكنك مهاجمته منها. هذا مؤكَّد كغروب الشَّمس يومًا.

تردَّد صليل السُّيوف في السَّاحة مع اشتراك الآخرين في المعركة من

حوله. صَدَّ چون ضربة ضاربةً موجَّهةً إلى رأسه، فزلزلت الصدمة ذراعه مع النقاء السَّيفين العنيف، ثم وجَّه ضربةً جانبيةً إلى ضلوع هالدر أطلق الصَّبي الطَّويل على إثرها أنين ألم مكتوم. لكن الضَّربة المضادة أصابت كتفه فتحطَّمت الحلقات المعدنية التي تحميها واشتعلَّ عُنق چون الماء، إلَّا أن هالدر في تلك اللَّحظة لم يكن في وضع متوازن، وضربَ چون ساقه اليسرى من تحته، لَيْسَقُط مطلقاً سُبَّةً ويحدث ارتطامه بالأرض صوتاً عنيفاً. كان جرن ثابتاً في مكانه كما علَّمه چون بالضَّبط ويُرَكِّز هجماته على ألبِت، بينما كان پِپ مضغوطاً أمام راسْت الذي يفوقه عُمرًا بعامين ووزناً بأربعين رطلاً كاملةً. وثبَّ چون وراء المُغتَصِب ودقَّ خوذته كأنها جرس، فترنَّج للحظة كانت كافيةً لأن ينزلق پِپ من تحته ويُسْقِطه على ظهره ثم يضع الجانب المسطَّح من سيفه على حلقه. الآن اعتدلَ چون مواجهًا ألبِت الذي وجدَّ نفسه وحيداً في مواجهة سيفين، فتراجع صائحاً: «أستسلم!».

تابع السير أليسر ثورن المشهد بنظراتٍ مليئةٍ بالاشمئزاز، ثم قال: «هذه التَّمثيلية الهزلية استمرَّت أكثر من اللازم»، ثم سارَ مبتعداً ليضع نهايةً للقتال.

ساعدَ داريون هالدر على النهوض، وخلعَ ابن الحجَّار خوذته وطوَّحَ بها قائلاً: «لِللَّحظة حسبْتُ أنني نلتُ منك أخيراً يا سنو».

أجابَ چون: «لِللَّحظة نلتُ مني فعلاً». كانت كتفه تنبضُ الماء تحت الحديد والجِلد. دَسَّ سيفه في غِمدته وحاولَ أن يخلع خذوته، لكن عندما رفعَ ذراعه جعله الألم يضغط على أسنانه بقوة.

- «دعني أساعدك»، قال الصَّوت ثم فكَّت اليَدان ذاتا الأصابع السَّميكة الخوذة عن وافي العنق ورفعتها برفق. «هل تأذيت كثيراً؟».

قال چون: «ليست هذه أولى إصاباتي»، ومسَّ كتفه فلاح الألم على وجهه.

كانت السَّاحة تَفْرُغ من شاغليها، وتحسَّس الولد البدين شعره الملطَّخ بالدم حيث شقَّ هالدر خوذته، وقال: «اسمي سامويل تارلي، من هورن...»، ثم صمَّت ولعق شفته قبل أن يُردِّف: «أعني أنني كنتُ من هورن هيل قبل أن... قبل أن أغادر. لقد جئتُ لأرتدي الأسود. أبي هو اللورد راندل، أحد حملة راية آل تايرل أبناء هايجاردن. كنتُ وريثه من قبل، لكن...».

- «أنا چون سنو، نغل ند ستارك سيّد ويتترفل».

هزَّ سامويل تارلي رأسه قائلاً: «أنا... يُمكنك أن تدعوني سام إذا أردت. أمي تدعوني بسام».

قال پيپ الذي انضمَّ إليهم: «يُمكنك أن تدعوه اللورد سنو، لكنك لا تريد أن تعرف بِمَ تدعوه أمه».

قال چون: «هذان هما جِرِن وبيپار».

قال پيپ: «القبيح هو جِرِن».

صاحَّ جِرِن ساخرًا: «أنت أقبح مني. على الأقل ليست لديَّ أذنان كأذني خفَّاش».

قال الولد البدين متجهِّمًا: «أشكركم جميعًا».

سأله جِرِن: «لِمَ لم تنهض وتُقاتِل؟».

- «أردتُ أن أفعل، حقًا، لكني... لكني لم أستطع. لم أرده أن يضربني أكثر»، ثم خفض عينيه إلى الأرض مضيقًا: «إنني... أخشى أنني جبان. دائمًا ما قال أبي هذا».

بدا جِرِن مصعوقًا، وحتى پيپ لم يجد كلماتٍ يردُّ بها على هذا، وبيپ كان يملك شيئًا يقوله حيال كلِّ شيءٍ أيًّا كان. أيُّ رجلٍ هذا الذي يُعلن على الملأ أنه جبان؟

لا بُدَّ أن سامويل تارلي قد قرأ ما يدور في رؤوسهم على ملامحهم، والتفت عيناه بعيني چون للحظة قبل أن تبتعدا بسرعة كحيوانٍ خائف،

وقال: «أنا آسف حقًا. إنني لا أقصد أن... أن أكون هكذا»، وابتعدَ ماشيًا
بتثاقلٍ إلى مستودع السلاح.

نادى جون عليه قائلاً: «كنت جريحًا، لكنك ستبلي بلاءً أحسن غدًا». رَمَقَه سام بنظرة حزينَةٍ من فوق كتفه وقال مُحاولًا كبت دموعه: «لا، إنني لا أبلي بلاءً أحسن أبدًا».

عندما ذهبَ قال جون بتوترٍ وقد عقدَ حاجبيه: «لا أحد يُحبُّ الجبناء. ليتني لم أساعده. ماذا لو حسبونا جناء بدورنا؟». قال له پيپ: «أنت أغبي من أن تكون جبانًا».

- «هذا غير صحيح».

- «صدّقني. إذا هاجمَكَ دُبٌّ في الغابة، فأنت أغبي من أن تُفكّر في أن تجري منه».

- «لن يحدث، بل سأجري منه أسرع منك»، قال جون بإصرار ثم توقّف وقد رأى ابتسامة پيپ الخبيثة وأدركَ معنى ما قاله، فتورّدَ عنقه الثخين بالأحمر حنقًا، وتركّهما جون يتجادلان وعادَ إلى مستودع السلاح وعلّق سيفه وخلعَ درعه الثّالفة.

الحياة في القلعة السوداء تتبع أنماطًا معيَّنة: الصّباح للتدريب على المُبارزة، وبعْد الظّهر للعمل، فالإخوة السّود يُكلّفون المجنّدين الجُدد بمختلف المهام كي يكتشفوا مهارات كلّ واحدٍ منهم. كان جون يغتنم المرّات النّادرة التي أرسل فيها إلى الخارج وجوست إلى جانبه لصيد لحم طازج لمائدة حضرة القائد، لكن كلّ يوم قضاه في الصّيد كان يُقابل بعشرة مع دونالد نوي في مستودع السلاح، يُدَوّر المشحذ بينما يقوم صانع السلاح بشحذ الفؤوس التي صارت ثلثة من فرط الاستعمال، أو ينفخ الكبر بينما يطرُق نوي سيفًا جديدًا. في أيام أخرى كان يُوصّل الرّسائل أو يقف حراسةً أو يُنظّف الاسطبلات من روث الخيول أو يُزوّد السّهام بالرّيش أو يُساعد المايستر إيمون في إطعام طيورهِ أو باون مارش في الحسابات والجرد.

ظهيرة اليوم أرسله مسؤول الحراسة إلى القفص المتحرك بأربعة براميل من الحجارة المسحوقة لنثرها على الممرات الجليدية أعلى "الجدار". كان عملاً يثير الوحشة والضجر في آن واحد، حتى مع وجود جوست في صحبته، لكن چون وجد أنه لا يُمانع. في الأيام التي يصفو فيها الجو يُمكنك أن ترى نصف العالم من فوق قمة "الجدار"، ودائماً ما يكون الهواء بارداً مُنعشاً. باستطاعته أن يُفكر على راحته هنا، ولقد وجد نفسه يُفكر في سامويل تارلي، ثم جنحت أفكاره إلى تيريون لانستر. تساءل عما كان تيريون ليقوله عن الولد البدين. الرجال يُفصلون إنكار الحقائق القاسية بدلاً من مواجهتها، قال له القزم مبتسماً. العالم مليء بالجبنة الذين يتظاهرون بأنهم أبطال، وقد تطلب الأمر نوعاً خاصاً جداً من الشجاعة كي يعترف سامويل تارلي بجبنه.

جعلته إصابة كتفه يعمل ببطء، وكانت الظهيرة في أواخرها بالفعل عندما فرغ چون من فرش الممرات بالحصى، لكنه انتظر ليُشاهد الشمس وهي تغيب محيلةً سماء الغرب إلى لوحة دامية. وأخيراً، والغسق ينتشر فوق الشمال، دحرج چون البراميل الفارغة إلى القفص وأشار للعاملين على الرافعة بإنزاله.

كانت وجبة المساء قد انتهت تقريباً عندما عاد إلى القاعة العامة ومعه جوست. كانت مجموعة من الإخوة السود تلعب النرد وتحسب النييز المتبلى بالقرب من النار، بينما احتل أصدقاؤه الذكة الأقرب إلى الحائط الغربي، يضحكون على القصة التي كان بيب في منتصفها الآن. كان صبي الممثل ذو الأذنين الكبيرتين كذاباً بالفطرة وله مئة صوتٍ مختلف، لا يحكي قصصه بقدر ما يعيشها لاعباً كل الأدوار حسب الحاجة، فيكون ملكاً في لحظة وقطيع خنازير في اللحظة التي تليها. عندما يتحول إلى فتاة في حانة أو أميرة عذراء، كان يستخدم صوتاً رفيعاً حاداً يجعلهم ينفجرون ضحكاً حتى تسيل منهم الدموع، بينما كان المخصيون الذين

يؤدّي أدوارهم عبارة عن محاكاة هزليّة لا تعوزها الدقّة للسير أليسر ثورن. كان چون يستمتع بطرائف پيپ كأبي من رفاقه، لكنه لم ينضم إليهم هذه الليلة، واتّجه بدلاً من هذا إلى نهاية الدقّة حيث جلس سامويل تارلي بمفرده بعيداً عن الآخرين قدر الإمكان.

كان يلتهم اللقيمات الأخيرة من فطيرة لحم الخنزير التي قدّمها الطهاة على العشاء عندما جلس چون قبّالته، واتّسعت عينا الولد البدين لمرأى جوست وقال: «أهذا ذئب؟».

أجاب چون: «ذئب رهيب، اسمه جوست. الذئب الرهيب رمز عائلة أبي».

قال سامويل تارلي: «رمزنا الصياد طويل القدمين».

- «هل تُحبّ الصيد؟».

ارتجف الولد البدين وقال: «بل أكرهه جدّاً». كان يبدو كأنه على وشك البكاء من جديد.

قال چون: «ما الأمر؟ لماذا تشعر بالخوف طوال الوقت هكذا؟».

حدّق سام في بقايا فطيرته وهزّ رأسه بحركة ضعيفة وقد بدا خائفاً حتى من الكلام. دوّت ضحكات عالية في القاعة في هذه اللحظة، وسمع چون پيپ يُصدّر صريراً حادّاً، فنهض قائلاً: «لنخرج من هنا».

رمقه الوجه السمين المستدير بشكّ وصاحبه يقول: «لماذا؟ ماذا سنفعل في الخارج؟».

- «نتكلّم. هل رأيت "الجدار"؟».

قال سامويل تارلي: «أنا بدين ولست أعمى. بالطبع رأيته، إنه يرتفع سبعة أقدام». على أنه نهض على الرغم من هذا وقد وضع معطفاً مبطناً بالفرو على كتفيه، وتبع چون خارجاً من القاعة وإن ظلّ يرمقه بالشكّ نفسه، كأنه يتوقّع وجود حيلة قاسية في انتظاره في ظلام الليل، وتحرك جوست إلى جوارهما. «لم أحسب قطّ أن الأمر سيكون هكذا»، قال سام

وهو يمشي وكلماته تخرجُ بخارًا في الهواء البارد. كان يلهث بالفعل وهو يُحاول مجاراة سنو في مشيته واسعة الخطوات. «المباني كلها متداعية، كما أن... كما أن...».

- «تكلّم عن البرد؟». كان صقيع جامد يستقرُّ على القلعة الآن، وسمعَ چون الحشائش الرّماديّة تنسحق بصوتٍ خافتٍ تحت حذائه وهو يتحرّك.

أوما سام برأسه إيجابًا ببؤسٍ وهو يجيب: «أكرهُ البرد حقًا. ليلة أمسٍ استيقظتُ في الظلام لأجد النّار وقد خمدت، وكنتُ متأكّدًا أنني سأموتُ متجمّدًا بحلول الصّبح».

- «لا بدّ أن الطّقس أدفأ في موطنك».

- «إنني لم أرَ ثلجًا في حياتي حتى الشّهر الماضي. كنا نعبُر منطقة الرّوايي، أنا والرّجال الذين أرسلهم أبي لاصطحابي شمالًا، ثم بدأت تلك الأشياء البيضاء في السّقوط كمطرٍ خفيف. في البداية خطرَ لي أنه جميل حقًا كريسٍ ينزل بنعومةٍ من السّماء، لكن الثّلوج ظلّت تسقط وتسقط إلى أن تجمّدتُ حتى النّخاع. اكتسبت لحي الرّجال بقشرةٍ من الثّلج، وأكتافهم كذلك، ومع ذلك ظلّت الثّلوج تسقط حتى حسبتُ أنها لن تتوقّف أبدًا».

اكتفى چون بابتسامة.

ارتفع "الجدار" أمامهما يلتصق بشحوبٍ في نور الهلال في السّماء التي امتلأت نجومًا لامعة. سأله سام: «هل سيجعلونني أصعد؟»، وانقلبت سحته رُعبًا وهو يرمق السّلالم الخشبيّة مضيقًا: «سأمتُ إذا أجبروني على الصّعود».

قال چون مشيرًا: «ثمّة رافعة. يُمكنهم أن يسحبوك إلى أعلى في القفص».

تنشّق سامويل تارلي وقال: «لا أحبُّ الأماكن العالية».

كان هذا أكثر من المحتمل، ورمقه چون بعدم تصديق قائلاً: «هل تخاف كل شيء؟ لا أفهم حقاً. إذا كنت جباناً لهذه الدرجة، فماذا تفعل هنا؟ لماذا يرغب جبان في الانضمام إلى حرس الليل بالضبط؟».

نظرَ إليه سامويل تارلي صامتاً لمدة طويلة وبدأ كأن وجهه المستدير يتهاوى على نفسه. جلسَ على الأرض المغطاة بالصقيع وبدأ يبكي بعنف جعل جسده الضخم كله يهتز. لم يكن بوسع چون سنو إلا أن يقف في مكانه ويُراقبه، وكالثلج الساقط على الرّوايي بدا كأن الدُموع لن تنتهي أبداً. كان جوست هو من عرفَ ماذا يفعل، وبصمت الظلال اقترب الذئب الأبيض من سام وبدأ يلحق الدُموع الدافئة من على وجهه. صاح الولد البدين مجفلاً، ثم بشكلٍ ما، في غمضة عين، استحالت الدُموع إلى ضحك.

ضحكٌ چون سنو معه، وبعدها جلسا على الأرض المتجمدة متدثرين بشياهما الثقيلة وجوست بينهما، وحكى چون قصّة عثوره وروب على الجراء المولودة بين ثلوج أواخر الصيف. كان هذا حدث منذ ألف عام، وقبل أن يمضي وقت طويل وجدَ چون نفسه يتكلّم عن ويترفل.

- «أحياناً أحلمُ بها... أمشي في الرّواق الطّويل الخالي، يتردّد صدى صوتي في كل مكان وما من مجيب، فأمشي أسرع وأفتح الأبواب وأنادي على أسمائهم دون أن أدري عمّن أبحث حتى. في معظم الليالي يكون أبي، لكن أحياناً يكون روب، أو أختي الصّغيرة آريا، أو عمّي». غمره ذكر بنجن ستارك بالحُزن. لا يزال عمّه مفقوداً، على الرغم من أن الذئب العجوز أرسلَ جِوالة شمال "الجدار" بحثاً عنه. كان السير چارمي ريكز قد قادَ جولتي بحث، وكورين ذو النّصف يد قد خرجَ بدوره من قلعة بُرج الظلال، لكن أحداً لم يعثرَ على شيءٍ بخلاف الآثار القليلة التي تركها عمّه في الأشجار ليُعلّم طريقه، ثم توقفت العلامات على نحو مفاجئ عند الهضاب الحجريّة الواقعة إلى الشمال الغربي، وتلاشى كل أثر لبن ستارك تماماً.

سأله سام: «وهل تجد أحداً في النهاية في أحلامك؟».

هَزَّ جُونُ رَأْسَهُ نَفِيًّا وَقَالَ: «كَلَّا، دَائِمًا مَا تَكُونُ الْقَلْعَةُ خَالِيَةً تَمَامًا». لَمْ يَكُنْ قَدْ حَكَى هَذَا الْحُلْمَ لِأَحَدٍ قَطُّ، وَلَمْ يَكُنْ يَفْهَمُ حَتَّى لِمَ يَحْكِي عَنْهُ لِسَامُ الْآنَ، وَإِنْ شَعَرَ بِشَيْءٍ مِنَ الرَّاحَةِ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ عَنْهُ. «حَتَّى الطُّيُورُ اخْتَفَتْ مِنَ الْمِعْدَفَةِ، وَالْأَسْطِجَلَاتُ مَلَأَيَ بِالْعِظَامِ. دَائِمًا مَا يُخَيِّفُنِي هَذَا الْمَنْظَرُ. ثُمَّ إِنِّي أَبْدَأُ فِي الْعَذْوِ وَأَفْتَحُ الْأَبْوَابَ عَلَى مَصَارِعِهَا وَأَصْعَدُ سُلَالِمَ الْبُرْجِ ثَلَاثًا فِي الْمَرَّةِ صَارِخًا كَيْ يُجِيبَنِي أَحَدٌ، أَيْ أَحَدٌ، ثُمَّ أَجِدُ نَفْسِي أَمَامَ بَابِ السُّرْدَابِ. الظَّلَامُ أَسْوَدَ دَامَسَ فِي الدَّخْلِ، وَلَا أَلْمَحُ غَيْرَ الدَّرَجَاتِ الْمَفْضِيَةِ إِلَى أَسْفَلٍ، وَبِشْكَالٍ مَا أَعْرِفُ أَنِّي يَجِبُ أَنْ أَنْزِلَ، لَكِنِّي خَائِفٌ، خَائِفٌ مِمَّا قَدْ أَجَدَّهُ فِي انْتِظَارِي. إِنْ مَلُوكَ الشَّتَاءِ الْقُدَامَى هُنَاكَ فِي الْأَسْفَلِ، جَالِسُونَ عَلَى عُرُوشِهِمْ وَالذَّنَابُ الْحَجَرِيَّةُ عِنْدَ أَقْدَامِهِمْ وَكُلُّ مِنْهُمْ يَضَعُ سَيْفَهُ الْحَدِيدِي فِي حِجْرِهِ، لَكِنِ الْغَرِيبُ أَنِّي لَا أَشْعُرُ بِالْخَوْفِ مِنْهُمْ. أَصْرُخُ أَنِّي لَسْتُ مِنْ آلِ سِتَارِكْ، أَنْ هَذَا لَيْسَ مَكَانِي، لَكِنِ بَلَا فَائِدَةٍ، وَهَكَذَا أَنْزَلَ مُتَحَسِّسًا الْجِدْرَانِ بِلَا مَشْعَلٍ يُنِيرُ طَرِيقِي، وَيزداد الظَّلَامُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ إِلَى أَنْ تُسَيِّطِرَ عَلَيَّ الرَّغْبَةُ فِي الصُّرَاخِ». تَوَقَّفَ عَنِ الْكَلَامِ وَقَدْ عَبَسَ وَجْهَهُ وَتَجَلَّى عَلَيْهِ الْحَرَجُ، ثُمَّ أَضَافَ: «وَعِنْدَهَا أَسْتَيْقِظُ». كَانَ يَسْتَيْقِظُ كُلَّ مَرَّةٍ شَاعِرًا بِبِشْرَتِهِ بَارِدَةً رَطْبَةً، يَرْتَجِفُ فِي ظِلَامِ حُجِيرَتِهِ، فَيَثْبُجُ جَوْسَتْ لِيَلْتَصِقَ بِهِ وَيَبِثُّ فِيهِ الدَّفْءَ الْجَمِيلَ كَأَنْوَارِ الْفَجْرِ، فَيَعُودُ إِلَى النَّوْمِ وَقَدْ دَسَّ وَجْهَهُ فِي فُرُو الذَّنَبِ الرَّهِيْبِ الْأَبْيَضِ. سَأَلَ جُونُ: «هَلْ تَحْلُمُ بِهَوْرَنِ هِيلِ؟».

أَرِيدُ وَجْهَ سَامٍ وَهُوَ يُجِيبُ: «لَا، كُنْتُ أَكْرَهُ ذَلِكَ الْمَكَانَ»، وَحَكَ جَوْسَتْ وَرَاءَ أُذُنِهِ وَلَاذَ بِصَمْتٍ طَوِيلٍ لَمْ يُحَاوِلْ جُونُ أَنْ يَقْطَعَهُ. ثُمَّ بَدَأَ سَامُ تَارِلِي يَتَكَلَّمُ وَأَصْغَى جُونُ سَنُو صَامِتًا وَالْوَلَدُ الْبَدِينُ الَّذِي أَعْلَنَ بِشَجَاعَةٍ أَنَّهُ جَبَانٌ يَحْكِي كَيْفَ وَجَدَ نَفْسَهُ عَلَى «الْجِدَارِ».

كَانَتْ عَائِلَةُ تَارِلِي عَرِيقَةً حَقًّا، يَدِينُ أَبْنَاؤُهَا بِالْوَلَاءِ لِمَايسَ تَايرِلَ سَيِّدَ

هايجاردن وحاكم الجنوب. وُلِدَ سامويل، أكبر أبناء اللورد راندل، وريثاً لأراضٍ خصبةٍ واسعةٍ وقلعةٍ قويّةٍ، بالإضافة إلى سيفٍ عظيمٍ يُحمَلُ باليدين ومحلّى بالجواهر اسمه «آفة القلوب»، مصنوع من الفولاذ الفاليري وتوارثه أبناء العائلة عن آبائهم طوال خمسمئة عام.

أيّا كان الفخر الذي شعرَ به أبوه لدى مولد سامويل فقد تلاشى عندما كبر الصّبي ممثليّ الجسم خُرْعاً غريب الأطوار. كان سام يُحبُّ سماع الموسيقى وتأليف أغانيه الخاصّة، يُحبُّ ارتداء المخمل الناعم واللّعب في مطبخ القلعة إلى جوار الطّهارة، ينهل الرّوائح الثّريّة بينما يختطف كعكات اللّيمون والثّوت الأزرق. كان يهوى الكُتب والقِطط الصّغيرة والرّقص على الرغم من حرّكانه الخرقاء، بينما يثير منظر الدّم فيه الغثيان ويكيّ لمنجرّد مرأى دجاجة تُذبح. جاء دسنة من قيّم السّلاح إلى هورن هيل وذهبوا في محاولةٍ لتحويل سامويل إلى الفارس الذي أراده أبوه، وتعرّض الصّبي للشتيمة والضّرب بالعصا والصّفغ والتّجويع، بل وجعله واحد منهم ينام وهو يرتدي قميص الحلقات المعدنيّة كي يجعله أقوى، وألبسه آخر ثياب أمه وأخرجه بهذه الهيئة إلى الفناء ليراه الجميع فيكتسب الشّجاعة المطلوبة من فرط خزيه. لكن شيئاً من هذا لم يُفلح، وظلّ سام يكتسب المزيد من الوزن والخوف، إلى أن استحالَت خيبة أمل اللورد راندل إلى الغضب ثم إلى الاحتقار. قال سام بصوتٍ خفيضٍ للغاية: «ذات مرّة أتى رجلان إلى القلعة، مشعوذان من كارث يبشرتهما البيضاء وشفاهما الزّرقاء، وذبحا ثوراً بريّاً وجعلاني أستحمّ في دمه الساخن، لكن هذا لم يُكسبني الشّجاعة كما وعدا، بل أُصِبتُ بالغثيان وأفرغت معدتي. أمر أبي بجلدتهما بالسيّاط». أخيراً، بعد ثلاث فتياتٍ جئن في ثلاث أعوام متتالية، أنجبت الليدي تارلي لزوجها ابناً ثانياً، ومنذ ذلك اليوم تجاهل اللورد راندل سام تماماً وكّرّس وقته كله للأخ الصّغير كي ينشأ قويّاً صلباً على النّحو الذي يروق له، وهكذا عاش سام سنيّاً طويلةً في سلامٍ مع موسيقاه وكتبه.

حتى فجر يوم ميلاده الخامس عشر، عندما أيقظوه من النوم ليجد حصانه مزودًا بالسرج وجاهزًا. قاده ثلاثة رجال مسلحون إلى الغابة القريبة من هورن هيل، حيث كان أبوه يسلخ ظبيًا. «أنت ورثتي، وتكاد تكون رجلًا بالغًا الآن»، قال اللورد راندل تارلي لابنه البكر وسكينة الطويل ينزع الجلد عن جثة الحيوان وهو يتكلم. «أنت لم تُعطني سببًا لأتبرأ منك، لكنني لن أسمع لك كذلك بأن ترث الأرض واللقب اللذين يجدر بهما أن يكونا من نصيب ديكون. يجب أن تذهب "آفة القلوب" إلى رجل يستطيع استخدامها كما ينبغي، وأنت لست جديرًا حتى بأن تمسّ مقبضها. لهذا قرّرتُ أنك ستُعَلِّم اليوم أنك ترغب في ارتداء الأسود، وستتنازل عن حقّ لك في إرث أخيك وتبدأ رحلتك شمالًا قبل المغرب. إذا لم تفعل فسَنُخْرِجُ للصَّيْدَ غدًا، وفي مكانٍ ما في هذه الغابة سيتعثر حصانك وستسقط عنه وتموت... أو أن هذا ما سأقوله لأمك. إن لديها قلب امرأة يجعلها تُدَلِّلُ أيّ أحدٍ حتى أنت، وأنا لا أرغبُ في أن أسبّب لها الألم. أرجوك لا تصوّر أن الأمر سيكون بتلك السهولة حقًا إذا فكّرت في أن تتحدّاني، فلا شيء سيُسعِدُنِي كمطارَدَتِكَ في الغابة كخنزير لا تختلف كثيرًا عنه». كانت ذراعاه حمراوين حتى المرفق وهو يُنَحِّي سكين السِّلخ جانبًا ويُردف: «أمامك خياران إذن. إمّا حرس اللَّيْلِ (ومدّ يده داخل الطَّيْبِي وانتزع قلبه ورفعَه في قبضته أحمر يقطر دمًا) أو هذا».

حكى سام القصة بصوتٍ هاديٍّ جامدٍ كأن تلك الأحداث مرّت بشخصٍ غيره وليس هو نفسه، وفكّر جون أن من الغريب أنه لم يبكِ مرّةً واحدةً وهو يتكلم. عندما فرغ سام، جلس الاثنان معًا صامتين يُصغيان للريح التي لم يَعدْ هناك غير صوتها في العالم كله. ثم إن جون قال أخيرًا: «لنَعدْ إلى القاعة».

سأله سام: «لماذا؟».

هزّ جون كتفيه وقال: «ثمة شراب تُفّاح ساخن، أو نبيذ متبلّ إذا أردت.

في بعض الليالي يُعَنِّي داريون لنا إذا كان في مزاج طيّب. لقد كان مغنياً من قبل. أعني... ليس بالضبط، لكنه كان يتمرّن على الغناء». - «وكيف جاء إلى هنا؟».

- «ضبطه اللورد روان سيّد البستان الذهبي في الفراش مع ابنته. كانت الفتاة أكبر منه بعامين، وداريون يُقسِم أنها ساعدته على الدُخول من نافذتها، لكنها قالت لأبيها إنه حاول اغتصابها، وهكذا جاء إلى هنا. عندما سمعه المايستر إيمون يُعَنِّي قال إن صوته شهد مصبوبٌ على رعد»، وابتسم جون وتابع: «تودر يُعَنِّي أحياناً أيضاً، إذا اعتبرت نقيقه غناءً بالطبع. إنها أغاني شراب تعلّمها في حانة أبيه المتواضعة. ييب يقول إن صوته بولٌ مصبوبٌ على خراء!».

انفجر الاثنان ضاحكين، ثم قال سام: «أحبّ أن أسمع الاثنين، لكنهما لن يرغبيا في وجودي»، واكتست ملامحه بالتوتر وهو يقول: «سوف يجعلني أقاتل ثانيةً غداً، أليس كذلك؟». أجاب جون مُجبراً: «بلى».

نهض سام متثاقلاً وقال: «يَحْسُن أن أنام قليلاً»، وشدّ معطفه عليه أكثر وابتعد متباطئاً.

كان الآخرون ما زالوا في القاعة العامة عندما رجع جون وحيداً ومعه جوست فقط، وسأله ييب: «أين كنت؟».

أجاب ببساطة: «أتكلّم مع سام».

قال جرين: «إنه جبان حقاً. على العشاء كانت هناك أماكن على الدّكة يستطيع الجلوس عليها عندما قدّموا له فطيرته، لكنه كان خائفاً جداً من الجلوس معنا».

قال جرين: «فخذ الخنزير يحسب أنه أفضل من الجلوس مع أمثالنا». وقال تودر مبتسماً بسخرية: «لقد رأيته يلتهم فطيرة الخنزير. هل تحسبون أن أخاه كان ضمن مكوّناتها؟»، ثم بدأ يقبّع كالخنازير.

صَاحَ جُونُ غَاضِبًا: «كُفَى!».

لَاذَ بَقِيَّةِ الصَّبِيَّةِ بِالصَّمْتِ وَقَدْ فَاجَأَتْهُمْ غَضَبَتُهُ، فَقَالَ جُونُ: «اسْمَعُونِي جَيِّدًا»، وَبَهْدَوِّ أَخْبَرَهُمْ بِمَا سَيَحْدُثُ. دَعَمَهُ پِيبَ كَمَا كَانَ مُتَوَقِّعًا، لَكِنْ دَعَمَ هَالِدَرُ لَهُ كَانَ مَفَاجَأَةً سَارَّةً. كَانَ جَرِنٌ مُتَرَدِّدًا فِي الْبَدَايَةِ، لَكِنْ جُونُ كَانَ يَعْرِفُ أَنَّ الْكَلِمَاتِ سَوْفَ تُؤَثِّرُ فِيهِ. وَاحِدًا تَلَوْ الْآخَرَ انْضَمُّوا إِلَى صَفِّهِ. أَقْنَعَ جُونُ بَعْضَهُمْ وَتَمَلَّقَ الْبَعْضَ وَهَزَأَ بِالْبَعْضِ، وَوَجَّهَ تَهْدِيدَاتِهِ كَذَلِكَ لِبَعْضِهِمْ، وَفِي النِّهَايَةِ اتَّفَقُوا جَمِيعًا... بِاسْتِثْنَاءِ رَاسَتِ الَّذِي قَالَ: «افْعَلْنَ مَا يَرُوقُ لَكُنَّ، لَكِنْ إِذَا وَضَعْنِي ثُورُنَ فِي مُوَاجِهَةِ الْخَزِيرَةِ، سَأَقْطَعُ لِنَفْسِي بَضْعَ شَرَائِحٍ مِنَ اللَّحْمِ الْمُقَدَّدِ»، وَضَحَكَ فِي وَجْهِ جُونُ وَتَرَكَهُمْ هُنَاكَ.

وَبَعْدَ سَاعَاتٍ، بَعْدَ أَنْ نَامَتِ الْقَلْعَةُ، تَسَلَّلَ ثَلَاثَةٌ مِنْهُمْ إِلَى حُجِيرَتِهِ. كَبَّلَ جَرِنٌ ذِرَاعِيهِ بَيْنَمَا جَلَسَ پِيبَ عَلَى سَاقِيهِ، وَسَمِعَ جُونُ أَنْفَاسَ رَاسَتِ الْمَتَسَارِعَةِ عِنْدَمَا وَثَبَ جُوسَتُ عَلَى صَدْرِهِ. كَانَتْ عَيْنَا الذُّئْبِ الرَّهِيْبِ تَتَوَهَّجَانِ كَجَمْرَتَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ بَيْنَمَا أَطْبَقَتِ أَسْنَانُهُ بِخَفَّةٍ عَلَى جِلْدِ رَقَبَتِهِ اللَّيْنِ الَّذِي سَأَلَ مِنْهُ خِيْطَ رَفِيعٍ مِنَ الدَّمِ، وَقَالَ جُونُ بِمُتَهَيِّ الْهَدْوِ: «تَذَكَّرْ أَنَّا نَعْرِفُ أَيْنَ تَنَامُ».

وَفِي الصَّبَاحِ التَّالِيِ سَمِعَ جُونُ رَاسَتَ يُخْبِرُ أَلِيَّتَ وَتُودِرُ كَيْفَ انْزَلَقَتْ الْمَوْسَى مِنْهُ وَهُوَ يَحْلِقُ فَجْرَ حَتِّهِ.

وَمِنْذَ ذَلِكَ الْيَوْمِ لَمْ يَجْرَوْا رَاسَتَ أَوْ أَيٍّ مِنَ الْآخَرِينَ عَلَى إِيْذَاءِ سَامُوِيلَ تَارِلِي، وَعِنْدَمَا يَضَعُ السَّيْرَ أَلْيَسَرُ أَيْهِمْ أَمَامَهُ كَانُوا يَقْفُونَ ثَابِتِينَ وَيَتَفَادُونَ ضَرِبَاتِ سَامِ الْخِرْقَاءِ، وَإِذَا زَعَقَ قِيَمَ السَّلَاحِ فِيهِمْ أَنْ يُهَاجِمُوا بِقُوَّةٍ كَانُوا يُوجِّهُونَ ضَرِبَاتٍ خَفِيفَةً عَلَى وَاقِي الصَّدْرِ أَوْ الْخُوْذَةِ أَوْ السَّاقِ. اسْتَشَاطَ السَّيْرَ أَلْيَسَرُ غَضَبًا وَصَرَخَ فِيهِمْ وَهَدَّدَهُمْ وَنَعَتَهُمْ بِالْجِنَاءِ وَالنِّسَاءِ وَوَجَّهَ لَهُمْ أَقْدَعَ الْأَلْفَازِ، لَكِنْ سَامُ ظَلَّ سَلِيمًا. ثُمَّ بَعْدَ بَضْعِ لَيَالٍ، بَعْدَ إِلْحَاحٍ مِنْ جُونُ، انْضَمَّ سَامُ إِلَيْهِمْ أَثْنَاءَ وَجْبَةِ الْمَسَاءِ وَجَلَسَ عَلَى الدُّكَّةِ إِلَى جَوَارِ

هالدر، وإن كان أسبوعان كاملان قد مضيا قبل أن يجروا على الاشتراك في حديثهم، لكنه مع الوقت بدأ يضحك على حكايات پيپ وئشاكس جرن.

بدين غريب الأطوار خائف دائماً نعم، لكن سامويل تارلي لم يكن بالأحمق. في ليلة زار جون في حُجيرة وقال له: «لا أدري ماذا فعلت، لكنني أعرف أنك فعلته»، رأساً ببصره قائلاً بخجل: «لم يسبق أن كان لي صديق من قبل».

- «نحن لسنا صديقين»، قال جون ووضع يده على كتف سام. «إننا أخوان».

وهكذا فكر جون بعد انصراف سام. روب وبران وريكون أبناء أبيه وما زال يُحبُّهم من كلِّ قلبه، لكن جون كان يعرف أنه لم يكن واحداً منهم حقاً قط. لقد تأكَّدت كاتلين ستارك من هذا. قد تظَّل جدران ويتترفل الحجريَّة ذات اللون الرمادي الحزين تَسْكُن أحلامه، لكن القلعة السوداء هي حياته الآن، وإخوانه هم سام وجرن وهالدر وپيپ وبقية المنبوذين الذين يرتدون أسود حرس الليل.

- «كان عمِّي يقول الحق»، همس لجوست. ثم إنه تساءل إن كان سيرى بنجن ستارك ثانية ليقول له هذا.



إدارة

قال قائد حرس المدينة شاكيًا لأعضاء مجلس المَلِك: «دورة المباريات المقامة على شرف اليَد هي السَّبب في كلِّ هذه المشاكل أيها السَّادة».

رَدَّ ند مُصَحِّحًا باستياء: «إنها دورة المَلِك. أوْكد لك أن اليَد لا يرغب في شيءٍ منها».

- «سَمَّها كما تشاء يا سيدي، لكن الفُرسان يتوافدون على المدينة من جميع أنحاء البلاد، ومقابل كلِّ فارسٍ هناك مُحاربان غير نظاميين وثلاثة من الحَرْفِيِّين وستَّة من المسلَّحين ودسته من التُّجَّار ودستان من العاهرات، وطبعًا عدد من اللُّصوص يفوق قُدرتي على التَّخمين. هذا الحَرُّ اللَّعين قلبَ الأمور رأسًا على عقب في نصف المدينة تقريبًا، والآن مع كلِّ هؤلاء الزُّوَّار... ليلة أمسٍ كان هناك حادث غرق وشغب في إحدى الحانات وثلاثة شجارات بالأسلحة البيضاء واغتصاب وحريقان وحالات سرقة لا تُحصى، بالإضافة إلى سباقٍ للخيل الثَّملة في شارع الأخوات، وليلة أول أمسٍ عُثِرَ على رأس امرأةٍ في السَّيْت الكبير طافيًا في بركة قوس قزح، ولا أحد يدري كيف جاء إلى هناك أو مَنْ صاحِبته».

قال فارس مرتجفًا: «هذا شنيع!».

كان اللورد رنلي باراثيون أقلَّ تعاطفًا، وقال بلهجةٍ عمليَّة: «إذا كنت لا

تستطيع الحفاظ على سلام المَلِك يا چانوس، فربما يَجْدُرُ بِأَحَدٍ آخَرَ قَادِرٍ أَنْ يَقُودَ حَرَسَ الْمَدِينَةِ».

نَفَخَ چانوس سَلِينَتِ ذُو الْجَسَدِ السَّمِينِ وَاللُّغْدِ الثَّقِيلِ نَفْسَهُ كَضَفْدَعَةٍ غَاضِبَةٍ، وَاحْمَرَّتْ رَأْسُهُ الْأَصْلَعُ وَهُوَ يُجِيبُ: «إِجُونِ التَّنِينِ نَفْسَهُ لَا يَسْتَطِيعُ الْحِفَافُ عَلَى السَّلَامِ فِي الْوَقْتِ الْحَالِي يَا لُورْدِ رَنْلِي. إِنْنِي أَحْتَاجُ مَزِيدًا مِنَ الرُّجَالِ».

مَالَ نَدَ إِلَى الْأَمَامِ سَائِلًا: «كَمْ؟». كَالْعَادَةِ لَمْ يُزِجِجِ رُوبِرتُ نَفْسَهُ بِحَضُورِ جُلُوسَةِ الْمَجْلِسِ، فَوَقَعَ عَلَى عَائِقِ الْيَدِ أَنْ يَتَكَلَّمَ نِيَابَةً عَنْهُ.

- «أَكْبَرُ عَدَدٍ مُمْكِنٍ يَا سَيِّدِي».

قَالَ نَدُ: «عَيْنِ خَمْسِينَ رَجُلًا جَدِيدًا. سَيَتَوَلَّى اللُّورْدُ بَايْلَشُ أَمْرَ أَجُورْهَم».

قَالَ الْإِصْبَعُ الصَّغِيرُ: «حَقًّا؟».

- «نَعَمْ، سَتَفْعَلُ. لَقَدْ دَبَّرْتُ أَرْبَعِينَ أَلْفَ تَنِينٍ ذَهَبِي لِلْبَطْلِ، فَلَا شَكَّ أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ تَدْبِيرَ بَضْعِ عُمَلَاتٍ نَحَاسِيَّةٍ لِلْحِفَافِ عَلَى سَلَامِ الْمَلِكِ»، ثُمَّ التَفَتَ نَدُ إِلَى چَانُوسِ سَلِينَتِ وَقَالَ: «سَأَعْطِيكَ عَشْرِينَ رَجُلًا قَوِيًّا مِنْ حَرَسِ أَهْلِ بَيْتِي لِيَخْدُمُوا مَعَ حَرَسِ الْمَدِينَةِ إِلَى أَنْ تُغَادِرَ الْحَشُودَ».

انْحَنَى سَلِينَتِ وَقَالَ: «جَزِيلُ الشُّكْرِ يَا حَضْرَةَ الْيَدِ. أَعِدْكَ أَنَّنَا سَنَسْتَغْلُ وَجُودَهُمْ اسْتَغْلَالًا جَيِّدًا».

عِنْدَمَا غَادَرَ قَائِدُ حَرَسِ الْمَدِينَةِ، التَفَتَ إِدَارْدُ سَتَارِكُ إِلَى بَقِيَّةِ أَعْضَاءِ الْمَجْلِسِ وَقَالَ: «سَيَرُوقُ مَزَاجِي جَدًّا عِنْدَمَا تَنْتَهِي هَذِهِ الْمَهْزَلَةُ». وَكَأَنَّ التَّكَلُّفَ الْبَاهِظَةَ وَالْمَتَاعِبَ الَّتِي جَلَبَتْهَا دَوْرَةُ الْمُبَارَاةِ الْمَزْمَعَةُ لَمْ تَكُنْ مُزْعِجَةً بِمَا يَكْفِي، كَانَ كُلُّ مَنْ هَبَّ وَدَبَّ يُصِرُّ عَلَى إِضَافَةِ الْمَلَحِ إِلَى جَرَحِ نَدٍ بِتَسْمِيَّتِهَا "دَوْرَةُ مِبَارَاةِ الْيَدِ"، كَأَنَّهُ هُوَ مِنْ أَمْرِ بِاقَامَتِهَا... كَمَا أَنَّ رُوبِرتَ كَانَ يَعْتَقِدُ بِشِدَّةٍ أَنَّهُ حَرِيٌّ بِنَدٍ أَنْ يَشْعُرَ بِأَنَّهُ يَتَلَقَّى تَكْرِيمًا عَظِيمًا!

قَالَ الْوَيْاسْتَرُ الْأَكْبَرُ بَايسِلُ: «اِقْتِصَادُ الْبِلَادِ يَزْدَهَرُ مَعَ تِلْكَ الْمُنَاسَبَاتِ يَا

سيدي. إنها تمنح العظماء فرصة للمجد، والبسطاء راحة من مشاكلهم». أضاف الإصبع الصغير: «ونضع نقودًا في جيوب كثيرة. كل خان في المدينة كامل العدد، والعاهرات بسيقان متقوسة وجيوب تُجلجل مع كل خطوة».

ضحك اللورد رنلي قائلاً: «من حُسن الحظ أن أخي ستانيس ليس معنا الآن. هل تذكرون المرّة التي اقترح فيها تجريم المواخير؟ يومها سأله الملك إن كان يرغب في تجريم الأكل والتنفس وقضاء الحاجة كذلك. في الحقيقة، أتساءل كثيرًا كيف أنجب ستانيس ابنته القبيحة تلك. إنه يتعامل مع فراش الزوجة كأنه ميدان معركة، يدخله بنظرة عابسة في عينيه وتصميم على القيام بواجبه».

لم يشترك ند معهم في الضحك، وقال: «إنني أتساءل عن أخيك ستانيس بدوري، أتساءل متى ينوي إنهاء زيارته لدراجونستون واستئناف عمله في المجلس».

- «لا شك أنه سيفعل عندما نُظهر المدينة من العاهرات ونُلقي بهنّ في البحر»، قال الإصبع الصغير مثيرًا المزيد من الضحك. نهض ند قائلاً: «لقد سمعتُ ما يكفي عن العاهرات ليوم واحد. أراكم غدًا».

كان هاروين يحرس الباب عندما عادَ ند إلى بُرج اليد، وقال له بلهجة فظة أكثر من اللازم: «استدع چوري إلى مسكني، وقل لأبيك أن يضع السرج على حصاني».

- «كما تأمر يا سيدي».

صعد ند السلالم مفكرًا أن القلعة الحمراء و"دورة اليد" تلتهمان أعصابه التهامًا بحق. كان يتوق للسكينة التي يجدها بين ذراعي كاتلين، لصوت روب وجون وهما يتبارزان بالسُيوف في ساحة التدريب، لنهارات الشمال القارّة ولياليه الباردة.

في عُرفته خلَعَ ثياب المجلس الحريرِيَّة وجلسَ قليلاً مع الكتاب ريشما يأتي چوري. "أنساب وتواريخ كُبرى عائلات الممالك السَّبع، مع أوصافٍ لكثيرين من كبار السَّادة والسَّيِّدات وأبنائهم"، من تأليف المايستر الأكبر ماليون. كان بايسل مُحِقّاً، فقد كان الكتاب مملاً حقّاً. لكن چون آرَن طلبَ رؤيته على الرغم من ذلك، وكان ند واثقاً من أن لهذا أهميَّة ما. ثَمَّة شيء ما هنا، حقيقة ما مدفونة في هذه الصَّفحات الصَّفراء الهشَّة، فقط لو يستطيع تبيُّنها. لكن ماذا تكون هذه الحقيقة؟ المجلَّد عُمره أكثر من قرنٍ كاملٍ من الزَّمن، وتقريباً لا إنسان حيّاً الآن كان قد وُلِدَ عندما جمع ماليون قوائمه المعبَّرة بالأعراس والمواليد والوفيات.

فتحَ القسم الخاص بعائلة لانستر مرَّةً أخرى وأخذَ يقلب الصَّفحات يبطء راجياً مما لا رجاء فيه أن يتعثَّر في شيءٍ ما مصادفةً. كانت عائلة لانستر قديمةً حقّاً، ينحدر أصلها من لان الأريب، المُحتال الذي عاش في عصر الأبطال وكان بلا شكَّ أسطورياً مثل براندون البناء بالضبط، وإن كان محبوباً أكثر بكثيرٍ من المُعنَّين والحكَّائين. في الأغاني كان لان هو من أخرجَ عائلة كاسترلي من كاسترلي روك بلا سلاح غير ذكائه، وهو من سرقَ الذهب من الشَّمس ليُلَمِّع به شعره المجعَّد. تَمَنَّى ند لو أنه كان موجوداً هنا الآن ليستخرج الحقيقة من الكتاب الملعون. ثم أعلنت دَقَّة قويَّة على الباب وصول چوري كاسل، فأغلقَ ند مجلَّد ماليون وأمره بالدُخول. «لقد وعدتُ حرس المدينة بعشرين من حُرَّاسي حتى نهاية دورة المباريات»، قال له. «سأعتمدُ عليك في انتقايمهم. أعطِ آلين القيادة، وتأكد من أن يفهم الرُّجال أن عملهم هو منع الشُّجارات وليس إشعالها». ثم نهَض ند وفتحَ صندوقاً من خشب الأرز والتقطَ منه سُترَةً تحيَّة وقال: «هل عثرتم على صبيِّ الاسطبل؟».

أجاب چوري: «إنه حارس الآن يا سيدي. لقد أقسم أنه لن يلمس حصاناً آخر في حياته».

- «ماذا قال؟».

- «يدّعي أنه عرف اللورد آرن جيّدًا، كانا صديقين حميمين على حدّ تعبيره»، وأطلق نخيرًا هازنًا ثم تابع: «كان اليَدُّ يُعطي كلًّا منهم قطعة نُحاسيّة في يوم ميلاده، يقول، ويُحبُّ الخيول حبًّا جمًّا، فلم يكن يُرهقها عندما يركب، ويُطعمها الجَزَر والتُّفّاح فكانت تسعد لرؤيته».

- «جَزَر وتُفّاح»، ردّد ند. بدا أن هذا الصّبي سيكون أقلّ فائدة من الآخرين، وهو آخر الأربعة الذين توصّل إليهم الإصبع الصّغير، وقد تكلم جوري مع كلّ منهم تباعًا. كان السير هيو جلفًا وغير مفيد على الإطلاق، يتكلّم بالغلطسة المعتادة التي تتاب أيّ فارس جديد... إذا شاء يدّ المَلِك أن يتكلّم معه فسوف يسعد باستقباله، لكنه لن يقبل أن يستجوبه مجرد قائد حرس، حتى لو كان هذا القائد أكبر منه بعشرة أعوام وأفضل منه في المُبارزة مئة مرّة. أمّا الخادمة فكانت لطيفة على الأقل، وقالت إن اللورد چون كان يقرأ بنهم شديد أثر على صحّته، وإنه كان حزينًا مكتئبًا بسبب هشاشة ابنه السّقيم، ويتعامل بفظاظة مع السيّدّة زوجته. بالنّسبة للسّاقى -الذي أصبح إسكافيًا الآن- فهو لم يتبادل كلمة واحدة مع اللورد چون طوال خدمته أصلًا، لكنه كان يذكّر الكثير من النّميمة الدّائرة في المطبخ: اللورد يتشاجر مع المَلِك، اللورد يتنفّد جودة طعامه، اللورد سيُرسل ابنه ليتربّي في دراجونستون، اهتمام اللورد بتربية كلاب الصّيد صار عظيمًا، اللورد زار واحدًا من كبار صنّاع السّلاح وأمره بصناعة درع جديدة من الفضة الباهتة، على صدرها صقر من اليشب وقمر من عرق اللؤلؤ. أخو المَلِك ذهب بنفسه معه لاختيار التّصميم، قال السّاقى السّابق، لا، ليس اللورد رنلي، بل الأخ الآخر، ستانيس.

- «هل تذكّر الحارس أيّ شيء آخر له أهميّة؟».

- «الصّبي يُقسّم أن اللورد چون كان قويًّا كشابّ في نصف عمره، وقال إنه كثيرًا ما كان يخرج لركوب الخيل مع اللورد ستانيس».

ستانيس مرّة أخرى، فكّر ند وقد وجدَ هذا مثيرًا للفضول والتساؤل. صحيح أنه كان هناك نوع من الودّ بين جون آرن وستانيس باراثيون، لكنهما لم يكونا صديقين مقربين قط. وبينما كان روبرت في طريقه شمالًا إلى وينترفل نأى ستانيس بنفسه إلى دراجونستون، الجزيرة القلعة التي كانت تنتمي لعائلة تارجارين وفتحها باسم أخيه، ولم يقل متى سيعود. سأل ند: «إلى أين كانا يذهبان عندما يخرُجان للركوب؟».

- «قال الصّبي إنهما زارا ماخورًا».

قال ند: «ماخورًا؟ سيّد "العُش" ويُدّ المَلِك زارًا ماخورًا مع ستانيس باراثيون؟»، وهزّ رأسه غير مصدّق وهو يتساءل عن تعليق اللورد رنلي على هذا التّبأ. كانت شهوات روبرت موضوع أغاني الحانات البذيئة في جميع أنحاء البلاد، بينما ستانيس رجل من نوع آخر، يصغرُ المَلِك بأقل من عام لكنه يختلف عنه تمام الاختلاف: صارم، لا يملك حسّ دعابة، فاسي القلب، مُخلص جدًّا في أداء واجبه.

- «الصّبي يُصرُّ على صحّة ما يقول، وأكّد أن اليَدَ أخذَ ثلاثة من الحرس معه، وقال إنهم كانوا يمتازحون بشأن هذه الزّيارة عندما أخذَ خيولهم بعدها».

سأله ند: «أيّ ماخور؟».

- «لا يدري، لكن الحرس يعرفون بالتأكيد».

قال ند بلهجة جافّة: «من المؤسف أن لايسا أخذتهم معها إلى "الوادي". أخشى أن الآلهة تَبْدُل قصاري جهدها لإرباكنا. الليدي لايسا، المايستر كولمون، اللورد ستانيس... كل من قد يعرف حقيقة ما حدث لجون آرن يبعد ألف فرسخ عن هنا».

- «هل ستستدعي اللورد ستانيس من دراجونستون؟».

- «ليس بعد، ليس حتى تتكوّن لديّ فكرة كافية عن ما حدث وموقفه منه». كانت المسألة تُزعجه حقًا. لماذا غادرَ ستانيس؟ هل لعبَ دورًا

ما في اغتيال چون آر؟ أم أنه خائف؟ وجدّ ند أن من العسير فعلاً أن يتخيّل شيئاً يُثير خوف ستانس باراثيون الذي ظلّ محافظاً على ستورمز إند ذات مرّة طوال عام كامل من الحصار، يقتات على لحم الجرذان وجلد الأحذية، بينما جلس اللوردان تايرل ورداين خارج الأسوار مع خشودهم يقيمون المآذب على مرأى منه. في النهاية قال: «أحضّر لي صُدرتي إذا سمحت، الصُدر الرّماديّة ذات رمز الذئب الرّهيب. أريدُ أن يعرف صانع السّلاح من أكون، فقد يجعله هذا يُفصح عن أيّ شيء آخر لديه».

قال چوري وهو يتّجه إلى خزانة الثّياب: «اللورد رنلي أخو اللورد ستانيس كذلك، وليس المَلِك فقط».

- «ومع ذلك يبدو أنه لم يُدعَ مرّةً للرّكوب معهم». لم يكن ند وانقاً بعد في رنلي بأسلوبه الودود في الكلام وابتسامته الدّائمة. منذ أيام قليلة انتحى بند جانباً ليُريه دليلاً رائعة الجمال من الذهب المصبوغ باللّون الوردی، وفي داخلها كانت لوحة منمنمة مرسومة على الطّراز المایري المبهرج لفتاة شابة بارعة الحُسن ذات عینین کعیون المّهارة وشلّال من الشّعَر البُنّي النّاعم. بدا رنلي مهتماً للغاية بأن يعرف إن كانت الفتاة تُدّكره بأيّ أحد، وعندما أجاب ند بهزّة من كتفيه بدت خيبة الأمل على ملامح رنلي. قال له إن الفتاة هي مارچري أخت لوراس تايرل، لكن هناك من يقولون إنها تُشبه ليانا. «كلا»، أجابه ند مندهشاً. هل من الممكن أن اللورد رنلي -الذي يُشبه روبرت في شبابه بشدّة- وجدّ في نفسه افتتاناً بفتاة يتصوّر أنها نُسخة أخرى من ليانا؟ خطر له أن هذا شديد الغرابة حقّاً. رفع له چوري الصّدره مفرودة، فدسّ ند يديه في فتحتي الدّراعین، ثم قال وچوري يُغلّقها من الخلف: «قد يعود اللورد ستانيس لحضور دورة روبرت».

- «سيكون هذا من حُسن طالعنا يا سيّدي».

ثَبَّتَ نَد سَيْفًا طَوِيلًا فِي حِزَامِهِ وَقَالَ بَابِتْسَامَةِ عَبَّاسَةٍ: «أَيُّ أَنَّهُ غَيْرَ مُحْتَمَلٍ بِمَعْنَى آخَرٍ».

وَضَعَ جُورِي مَعْطَفَ نَد عَلَى كَتْفَيْهِ وَثَبَّتَهَا عِنْدَ الرِّقْبَةِ بِشَارَةِ يَدِ الْمَلِكِ قَائِلًا: «صَانِعُ السِّلَاحِ يَسْكُنُ فَوْقَ وَرْشَتِهِ فِي مَنْزِلٍ وَاسِعٍ فِي أَعْلَى شَارِعِ الْحَدِيدِ. أَلَيْنَ يَعْرِفُ الطَّرِيقَ يَا سَيِّدِي».

أَوَّمَا نَد بِرَأْسِهِ وَقَالَ: «فَلْتَرْحَمْ الْآلِهَةُ ذَلِكَ السَّاقِي إِذَا أُرْسَلَنِي سَعِيًّا وَرَاءَ وَهْمٍ لَا أَكْثَرَ». كَانَ الْأَمَلُ ضَعِيفًا فِي اسْتِخْلَاصِ أَيِّ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الزِّيَارَةِ، لَكِنْ جُونِ آرِنَ الَّذِي عَرَفَهُ نَد سِتَارَكَ لَمْ يَكُنْ بِالرَّجُلِ الَّذِي يَرْتَدِي دِرْعًا مِنَ الْفِضَّةِ مَزِينَةً بِالْجَوَاهِرِ. الْفُولَازْهُوَ الْفُولَازْ، الْغَرَضُ مِنْهُ الْحِمَايَةُ وَلَيْسَ الزِّيْنَةُ. لَكِنْ مِنَ الْجَائِزِ أَنَّهُ غَيَّرَ نَظَرَتَهُ إِلَى الْعَالَمِ، فَلَيْسَ هُوَ أَوَّلُ رَجُلٍ تَبَدَّلَ آرَاؤُهُ فِي الْأَشْيَاءِ بَعْدَ بَضْعَةِ أَعْوَامٍ فِي الْبِلَاطِ الْمَلِكِيِّ... لَكِنْ التَّغْيِيرُ كَانَ جَلِيًّا بِمَا فِيهِ الْكَفَايَةُ لِيَجْعَلَ نَد يَتَسَاءَلَ وَيَتَسَاءَلَ.

- «هَلْ مِنْ خِدْمَاتٍ أُخْرَى؟».

- «أَعْتَقِدُ أَنَّ عَلَيْكَ الْبَدْءَ فِي زِيَارَةِ بِيُوتِ الدَّعَارَةِ».

قَالَ جُورِي بَابِتْسَامَةِ سَاخِرَةً: «وَاجِبٌ صَعْبٌ يَا سَيِّدِي، لَكِنْ سَيَسِرُّ الرُّجَالُ أَنْ يُسَاعِدُونِي. پُورْتِرْ سَبَقْنَا إِلَى هُنَاكَ بِالْفِعْلِ».

كَانَ حِصَانُهُ الْمَفْضَّلُ مُسَرَّجًا وَيَنْتَظِرُهُ فِي السَّاحَةِ. رَكِبَ فَارْلِي وَجَاكْسَ إِلَى جَوَارِهِ عَلَى حِصَانَيْهِمَا وَهُوَ يَقْطَعُ السَّاحَةَ. لَا بُدَّ أَنَّهُمَا كَانَا يَنْصَبِّيَانِ عِرْقًا تَحْتَ قَبْعَتَيْهِمَا الْفُولَازِيَّتَيْنِ وَقَمِيصِي الْحَلَقَاتِ الْمَعْدِنِيَّةِ، لَكِنْ لَا أَحَدَ مِنْهُمَا لَفْظَ كَلِمَةٍ شَكْوَى عَلَى الْإِطْلَاقِ. هَكَذَا عَبَرَ الْلُورْدَ إِدَارْدَ سِتَارَكَ تَحْتَ بَوَابَةِ الْمَلِكِ إِلَى الْمَدِينَةِ ذَاتِ الرَّائِحَةِ الْخَانَقَةِ، وَمَعْطَفُهُ ذُو اللَّوْنَيْنِ الْأَبْيَضِ وَالرَّمَادِيِّ يَتَدَلَّى عَلَى ظَهْرِهِ، وَرَأَى الْعَيُونَ تُحَدِّقُ فِيهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، ثُمَّ إِنَّهُ وَكَزَ حِصَانَهُ لِيَعْدُو بِسُرْعَةٍ أَكْبَرَ وَتَبِعَهُ رَجُلَاهُ. ظَلَّ نَد يَنْظُرُ وَرَاءَهُ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْآخَرِ وَهُمْ يَقْطَعُونَ شَوَارِعَ الْمَدِينَةِ الْمَزْدَحْمَةِ. كَانَ تُوْمَارْدُ وَدِزْمُونْدُ قَدْ غَادَرَا الْقَلْعَةَ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ لِيَتَّخِذَا مَوْقِعَهُمَا عَلَى

المسار الذي يجب أن يسلكه ند والتأكد من أن لا أحد يُراقبه، لكن على الرغم من هذا لم يكن ند واثقًا تمام الثقة، وجعله ظلُّ عنكبوت المَلِك وطُيوره الصَّغيرة شديد القلق والترقُّب كعذراءٍ في ليلة زفافها.

كان شارع الحديد يبدأ من الميدان الذي تقع فيه الشُّوق إلى جوار البوابة المعروفة في الخرائط ببوابة النهر، أما العامة فكانوا يُطلقون عليها اسم بوابة الطمي. كان مهرِّج على ساقين خشبيتين يتحرَّك بخطواتٍ واسعة في الزحام كحشرة ضخمة، بينمي يجري وراءه حشد من الأطفال الخُفاة مهلِّلين. في جانب آخر كان طفلان لا يزيد عُمرهما على عُمر بران يرتديان الأسمال ويتبارزان بعصاتين، بينما يُشجَّعهما بعض الأطفال الآخرون ويصبُّ البعض الآخر عليهما اللَّعنات، ثم وضعت امرأة عجوز حدًا للمُبَارَزة عندما خرجت من نافذتها وأفرغت دلوًا من الغائط على رأسيهما. في ظلِّ السُّور كان المزارعون يقفون عند عرباتهم مُنادين على بضاعتهم: «تَفَاح! أفضل وأرخص تَفَاح في المدينة!»، و«بطيخ حُلُو كالعسل!» و«لِفَت، بصل، جذور، تعال وتفرِّج! لِفَت، بصل، جذور، تعال وتفرِّج! تعال وتفرِّج! تعال وتفرِّج!».

كانت بوابة الطمي مفتوحةً، وتحت الشَّبكة الحديدية وقفت فرقة من رجال حرس المدينة بمعاطفهم الذهبية يستندون إلى رماحهم. عندما لاحَ صَفٌّ من الرَّاكبين قادم من الغرب، انتفض الحرس في الحال وبدأوا يصيحون بالأوامر ويُزيحون العربات والمشاة جانبًا كي يدخل الفارس مع مُرافقِيه. كان أول راكب يدخل من البوابة يحمل رايةً سوداء طويلةً تموج حُريرها في الهواء كأنه كائن حي، وعلى النسيج طُرزٌ شكل سماء ليلية يشقها لسان أرجواني من البرق. صاحَ الرَّاكب: «أفسحوا الطَّرِيق للورد بريك! أفسحوا الطَّرِيق للورد بريك!»، ووراءه على مقربة منه جاء اللورد الشَّاب نفسه. كان ممشوق القوام يمتطي حصانًا أسودًا، شعره خليط من الأحمر والذهبي ومعطفه من السَّاتان الأسود الذي نُثِرَت عليه

النُّجُوم. صَاحَ اللورد بريك وسط تهليل الحشود: «جئتُ لأفوز بدورة اليَد!».

انعطفَ ند من الميدان إلى حيث يبدأ شارع الحديد وتبعَ طُرقاته الملتفة صاعدًا تَلًا طويلًا، مرورًا بالحدّادين الذين يعملون في دكاكينهم، والمُحاربين غير النظاميين الذين يُساومون على أسعار قمصان الحلقات المعدنية، وتُجار الحديد الذين يبيعون السُيوف والسكاكين القديمة على عرباتهم. مع توغّلهم أكثر صارت المباني أكبر حجمًا. كان الرَّجل المنشود يَسْكُن على قَمَّةِ التَّلِّ في منزلٍ ضخَمٍ مشيّد بالخشب والجِص، وتطلُّ أدواره العلوية على الشَّارع الضيق. كان الباب ذو الصِّلفتين يعرض مشهدًا باهرًا محفورًا في خشب الأبنوس واليورود، بينما وقف زوج من الفُرسان الحجريَّين حراسةً على جانبي المدخل وقد ارتدى كل منهما دِرْعًا أنيقة من الفولاذ الأحمر المصقول جعلت أحدهما يبدو كالجريفين والآخر كاليونيكورن⁽¹⁾. تركَ ند حصانه مع جاكس وشقَّ طريقه إلى الدَّاخل.

تعرّفت الخادمة الصَّغيرة على شارة ند والرَّمز على صدرته في الحال، وجاءَ سيِّدها مسرعًا وكله ابتسامات وانحناءات. «نبیذ لیّد المَلِك»، قال وهو يُشير لند بالجلوس على أريكة. «أنا توبهو موت با سيِّدي. أرجوك، أرجوك، اعتبر المكان مكانك». كان يرتدي معطفًا أسودَ من المخمل طُرُزَت على كُمِّه أشكال مطارق بخيطة فضي، بينما أحاطت بعُنقه سلسلة فضيَّة ثقيلة تدلّت منها جوهرة من الياقوت الأزرق بحجم بيضة حمامة. «إذا كنت تحتاج أسلحةً جديدةً من أجل دورة اليَد، فقد جئتُ إلى المكان المناسب». كان ند الآن أكثر ضجرًا من محاولة تصحيح كلام الرَّجل، فتركه يُواصل وهو يملأ كأسين فضيَّتين متمائلتين بالنَّبیذ: «عملي مُكلَّف، لكنني لا أشعرُ بأسفٍ لهذا يا سيِّدي، لأنك لن تجد حِرْفِيَّةً تُضاهي حِرْفَتِي

(1) الجريفين حيوان أسطوري له جسم أسد ورأس وجناحا عقاب، واليونيكورن حيوان أسطوري آخر عبارة عن حصان له قرن واحد وقدرات سحرية؛ وفي عالم الرواية يُعتبر كلاهما كائنات خياليًا.

ففي أيِّ مكانٍ في الممالك السَّبع كلها، أوكدُ لك. زُر كلَّ ورشة حدادةٍ في كينجز لاندنج إذا شئتَ وقارن بنفسك. أيُّ حدَّادٍ في أيِّ قريةٍ يستطيع دقَّ قميصٍ من الحلقات المعدنيَّة، لكن عملي أنا فنٌّ.

ارتشفَ ند شرابه وتركَ الرَّجل يُثرثر. فارس الزُّهور ابتاع دروعه كلها من هنا، قال توبهو متفاخرًا، بالإضافة إلى كثيرين من كبار اللوردات الذين يعرفون الفولاذ الممتاز، وحتى رنلي شقيق المَلِك نفسه. لعلَّ حضرة اليَد رأى درع اللورد رنلي الجديدة المصنوعة من الصَّفائح المعدنيَّة الخضراء والمزوَّدة بالقرون الذهبيَّة؟ لا صانع سلاح آخر في المدينة يستطيع إخراج لونٍ أخضر بهذا العمق، فهو يعرف سرَّ إضافة اللَّون إلى تكوين الفولاذ نفسه، فاللُّون والزَّخرفة سرُّ صنْعته. أم أن حضرة اليَد يرغب في سيفٍ جديد؟ لقد تعلَّم توبهو دقَّ الفولاذ الفاليري في كوهور وهو صبيٌّ صغير. فقط الرَّجل الذي يعرف التَّمائم المطلوبة يُمكنه أن يأخذ الأسلحة القديمة ويُعيد تشكيلها من جديد. «الذُّب الرَّهيب رمز عائلة ستارك، أليس كذلك؟ يُمكنني أن أصنع خوذةً على شكل ذئبٍ رهيبٍ تبدو حقيقيَّة لدرجة أن الأطفال سيهربون منك في الشُّوارع لمرآها».

ابتسمَ ند وقال: «هل صنعت خوذةً على شكل صقْرِ للورد آرن؟». صمَّت توبهو موت لمدَّةٍ طويلةٍ ووضعَ نيَّذه جانبًا، ثم قال: «لقد زارني اليَدُ بالفعل مع اللورد ستانيس شقيق المَلِك، لكن يُؤسفني أن أقول إنهما لم يُشرَّفاني بزيارتهما».

رمقَ ند الرَّجلَ بنظرةٍ محايدةٍ دون أن يقول شيئًا وانتظر. لقد علَّمتُه السَّنون أن الصَّمْتُ أحيانًا ما يُفضي إلى إجاباتٍ أكثر مما تفعل الأسئلة، وهكذا كان الأمر هذه المرَّة.

قال صانع السِّلَاح: «طلبنا أن يريا الصَّبي، فأخذتهما إلي دُكاني».

- «الصَّبي»، ردَّد ند دون أن يملك أدنى فكرة عمَّن يتكلَّم الرَّجل. «أنا أيضًا أرغبُ في رؤية الصَّبي».

تطلّع توبهو موت إليه بنظرة هادئة حذرة، ثم قال بلهجة لم تُعدّ تحمل أدنى أثر لودّه السابق: «كما تشاء يا سيّدي». ثم إنه قاذ ند عبر باب خلفي ثم زقاق ضيق إلى الورشة الغائرة المشيدة بالحجارة التي يتم فيها العمل. عندما فتح صانع السلاح الباب، جعل تيار الهواء الساخن الذي هبّ في وجهيهما ند يشعر كأنه يمشي داخل قمّ تنين. في الداخل كان هناك كير يتأجج نارا في كلّ ركن، وأفعمت الهواء رائحة الدخان والكبريت. رفع عمال الورشة أعينهم عن المطارق وملاقط اللحام واختلسوا النظر بينما يمسحون العرق السائل على جباههم، بينما كان الصبية غراة الصدور يعملون على المنافخ.

نادى توبهو موت على صبي في عمر روب تقريباً، طويل القامة مفتول عضلات الصدر والذراعين. «هذا هو اللورد ستارك، يد المملك الجديد»، قال له بينما يرمق الصبي ند بعينين زرقاوين مكفهرتين ويزيح الشعر الغارق في العرق عن جبهته بأصابعه. كان شعره كثيفاً غير ممشط وأسود كالجبر، بينما لاح ظلّ لحية نامية حول فكّيه. «هذا هو جندري، قويّ بالنسبة لسنّه ويعمل باجتهاد. أين الخوذة التي صنعتها؟ أرها لحضرة اليد». قادهما الصبي بشيء من الخجل إلى دكته حيث كانت خوذة من الفولاذ مشكّلة كراس ثور ولها قرنان مقوّسان.

قلّب ند الخوذة في يده. كانت مصنوعة من الفولاذ الخام، غير مصقولة لكن مشكّلة بحرفيّة شديدة. «عمل ممتاز. سيُسعدني أن تسمح لي بابتاعها منك».

انتزع الصبي الخوذة من يده قائلاً: «إنها ليست للبيع». بدا توبهو موت كمن أصابته صاعقة واندفع يقول: «هذا يد المملك يا فتى. إذا كان حضرته يرغب في هذه الخوذة، فاجعل منها هديّة له. إن مجرد طلبه إياها منك تكريم لك».

قال الصبي بعناد: «لقد صنعتها لنفسي».

سارعَ سيِّده يقول لند: «ألفُ اعتذارٍ يا سيِّدي. الصَّبِي لا يزالَ خامًا كالفلولاذ الجديد، وكالفلولاذ الجديد يحتاج بعض الضرب لتهديبه. الخوذة مجرَّد عمل هارٍ في أفضل الأحوال. سامِحنِي وأعدك بأنِّي سأصنعُ لك خوذةً لم ترَ لها مثيلًا من قبل».

- «إنه لم يفعل شيئًا يستحقُّ الصَّفح. جندري، عندما جاء اللورد آرن لزيارتك، عمَّا تكلمتما؟».

- «ألقي عليَّ بضعة أسئلة. هذا كلُّ ما هنالك يا سيِّدي».

- «أيُّ أسئلة؟».

هَزَّ الصَّبِي كتفيه وقال: «سأل عن حالي، وإن كنتُ أتلقَّى معاملةً جيِّدةً، وإن كنتُ أحبُّ عملي، وأشياءَ عن أمي، من هي وكيف كان شكلها وما إلى ذلك».

- «وبِمَ أخبرتَه؟».

أزاح الصَّبِي شعره الأسود الذي عادَ يَسْقُط على جبهته وأجاب: «لقد مائت وأنا صغير. كان شعرها أصفرَ وأذكرُ أنها أحيانًا ما كانت تُغني لي. كانت تعمل في حانة».

- «هل ألقى اللورد ستانيس عليك أسئلةً أيضًا؟».

- «الأصلع؟ كلا، إنه لم ينطق كلمةً واحدةً لكنه ظلَّ يُحَمِّلق فيَّ كأنِّي اغتصبتُ ابنته».

قال توبهو موت بحدَّة: «احفظ لسانك. إنك تتكلَّم مع يَد المَلِك». خفض الصَّبِي عينيه، بينما تابعَ سيِّده: «إنه صبيٌّ ذكي لكن عنيد. تلك الخوذة... لقد لُقِّبهُ الآخرون برأس الثور، فحطَّم بها أسنانهم».

مسَّ نَد رأس الصَّبِي مداعبًا شعره الأسود وقال: «انظر إليَّ يا جندري»، فرفع الصَّبِي رأسه. تفحصَ نَد شكل الفكَّين والعينين العميقتين كالجليد الأزرق. نعم، الأمر واضح تمامًا، قال لنفسه، ثم للصَّبِي قال: «عُد إلى عملك يا جندري. آسفٌ لأنِّي أزعجتك». ثم إنه سارَ عائداً إلى المنزل

مع صانع السَّلاح، وسأله بلهجة محايدة: «من الذي دفع أجر تدريب الصَّبي؟».

بدا موت مضطرباً وهو يقول: «لقد رأيت الصَّبي بنفسك. إنه قوي حقاً. يدها هاتان، يدها هاتان مخلوقتان للعمل بالمطارق. كان واعدًا جدًّا فأخذته دون أجر».

قال ند بصرامة: «أريد الحقيقة الآن. الشَّوارع ملأى بالصَّبية الأقوياء، لكن يوم تأخذ عاملاً تحت التَّمرين بلا أجر هو اليوم الذي يَسْقُط فيه "الجدار". من دفع أجره؟».

بتردُّد أجاب موت: «إنه لورد. لم يقل اسمه ولم يكن يضع أيَّ رمز على معطفه. دفع لي بالذهب ضعف المبلغ المعتاد وقال إنه يدفع مرَّة للصَّبي ومرَّة مقابل صمتي».

- «صفه لي».

- «كان ممتلئ الجسم، مستدير الكتفين، ليس طويلاً مثلك، له لحية بُنية لكن أقسم أن هناك أثراً من الأحمر فيها. كان يرتدي معطفًا فاخرًا أذكرُ شكله جيِّدًا، مصنوعًا من المخمل الأرجواني الثَّقيل ومزبَّنًا بخيوط فضيَّة، لكن القلنسوة كانت تُخفي وجهه فلم أرَ ملامحه بوضوح»، ثم تردَّد للحظة قبل أن يقول: «سيدي، أنا لا أريد أيَّ مشاكل».

قال ند: «لا أحد منا يريد مشاكل، لكنني أخشى أننا في وقتٍ مليء بها يا سيِّد توبهو. أنت تعرف من يكون الصَّبي».

- «أنا مجرد صانع سلاح يا سيدي، ولا أعرف سوى ما يُقال لي».

كرَّر ند بصبر: «أنت تعرف من يكون الصَّبي. هذا ليس سؤالاً».

- «الصَّبي عامل تحت التَّمرين في ورشتي»، ونظرَ إلى ند في عينه بعنادٍ وصلابة كالحديد القديم. «ليس من شأنِي مَنْ كان قبل أن يأتي إليَّ».

هزَّ ند رأسه وقرَّر أن السيِّد توبهو موت صانع السَّلاح يروق له حقًا، وقال: «إذا جاء يوم وأرادَ جندي أن يحمل سيفًا بدلًا من أن يدقَّه، أريدك

أن تُرسله لي. إنه يملك سيماء مُحارب. حتى ذلك الحين لك سُكري يا سيّد موت، ووعدي. إذا حدث وأردتُ خوّدةً أخيف بها الأطفال، سيكون هذا أول مكانٍ آتي إليه».

كان حارسه ينتظره في الخارج مع الخيول، وسأله جاكس وهو يمتطي حصانه: «هل وجدت أي شيء يا سيّدي؟».

- «أجل»، أجاب ند وكله تساؤلات وحيرة. ما الذي كان جون آرِن يُريده من ابن المَلِك غير الشرعي، ولمَ كلّفه هذا حياته؟



كاتلين

قال لها السير رودريك وهما ينطلقان شمالاً على متن حصانين:
«ينبغي أن تُغطّي رأسكِ يا سيّدتي وإلا أُصِبتِ بالبرد».

- «إنه مجرد ماء يا سير رودريك»، ردّت كاتلين ببساطة. كان شعرها مبتلاً تماماً والتصقّت خُصلة منه بجبهتها، وكان باستطاعتها أن تتخيّل كم يبدو شكلها مزرياً، لكنها - لمرّة في حياتها - لم تُبال بهذا إطلاقاً. كانت أمطار الجنّوب خفيفة دافئة، وأحبّت كاتلين إحساسها بها على وجهها إذ قبلته برقّة كأمّ رؤوم. أعادها هذا إلى طفولتها، إلى أيامها الخوالي في ريفررن. تذكّرت أيكة الآلهة التي هدّبت أغصان أشجارها واكتست بالندى، وصوت ضحكات أخيها وهو يُطاردها وسط أكوام وأكوام من الأوراق الرّطبة. تذكّرت فطائر الطّمي التي صنعتها مع لايسا، تذكّرت ثقلها وكيف كان الطّمي أملس بين أصابعها. قدّمتا الفطائر للإصبع الصّغير وهما تضحكان، وأكل هو طمياً كثيراً جداً لدرجة أنه ظلّ طريح الفراش لأسبوع كامل. كم كانوا صغاراً جميعاً...

كانت كاتلين قد نسيّت أو كادّت. في الشّمال كانت الأمطار تهطل قاسية باردة، وأحياناً كانت تتحوّل إلى ثلج عندما يأتي المساء، فكانت تقتل المحاصيل تماماً كما تُغذيها وتجعل الرّجال الأقوياء يهرعون إلى أقرب ملجأ منها. ليست هذه بالأمطار الصّالحة لأن تلعب الفتيات الصّغيرات فيها.

قال السير رودريك متذمراً: «إنني غارقٌ تماماً، حتى عظامي مبتلة». كانت الغابة متشابكةً من حولهما، وصوت الطُّقطة الثَّابت الذي يُصدره المطر لدى سقوطه على أوراق الشَّجر كان تُصاحبه أصوات تخويض خفيضةٍ والحصانان يرفعان حوافرهما من الوحل. «كلانا يحتاج ناراً ووجبةً ساخنةً اللَّيلة يا سيديتي».

قالت كاتلين: «ثمة خان على مفترق الطُّرق أمامنا». في شبابهما تَصَبَّت ليالٍ عديدةً هناك في أسفارها مع أبيها. كان اللورد هوستر تلي رجلاً سريع الملل في شبابه، يكاد لا يستقرُّ في مكانٍ واحدٍ أبداً ودائماً ما يذهب إلى بُقعةٍ ما هنا أو هناك. كانت لا تزال تَذْكُرُ صاحبة الخان، امرأةً بادنة اسمها ماشا هِدِل تَمْضِعُ التَّبَغَ المُرَّ ليل نهار ويبدو أن لديها مخزوناً لا نهائياً من الابتسامات والكعكات الحُلوة للأطفال. كانت تلك الكعكات الحُلوة غارقةً في العسل، لها مذاق غنيٌّ قويٌّ على الألسنة، لكن كاتلين كانت تهاب تلك الابتسامات حقاً، فقد صبغَ التَّبَغُ أسنان ماشا بلونٍ أحمرٍ داكن وجعلَ ابتسامتها رُعباً دائماً.

ردَّد بيؤس: «خان... يا ليت، لكننا لا نستطيع المجازفة. إذا أردنا أن نبقى مجهولين فاعتقدُ أن علينا أن نسعى إلى معقلٍ صغيرٍ في مكانٍ ما حيث...». بترَ عبارته عندما تناهت إلى مسامعهما أصوات قادمة من على الطُّريق أمامهما: مياه تتناثر ورنين معدن وصهيل حصان. قال ويده تقبض تلقائياً على سيفه: «راكبون». حتى على طريق الملوك ليس من السيِّئ أبداً أن تتوخَّى الحذر.

تبعاً الأصوات حول منعطفٍ في الطُّريق ورأيا أصحابها الذين كانوا صفّاً من الرِّجال المسلَّحين يَعبُرُون بجلبيةٍ مخاضة نُهَيْرٍ واسع. أوقفت كاتلين حصانها لتسمح لهم بالمرور، ولمحت الرّاية التي يحملها الرّجل في طليعتهم مرتخيةً مشبَّعةً بالماء، لكن الحرس كانوا يرتدون معاطف ذات لونٍ أزرقٍ غامق على أكتافهم وقد زَيَّنَها نَسْر سيجارد الفضِّي. «رجال

مالیستر»، همسَ السیر رودریک لها كأنها لم تُدرك هذا. «يُسْتَحْسَن أن تضعي قلنسوتكِ على رأسكِ يا سيّدتِي».

لكن كاتلين ظَلَّت في مكانها بلا حراك. كان اللورد جيسون مالیستر بنفسه معهم وقد أحاطَ به فُرسانه، وابنه باتريك إلى جانبه ومُرافقوهم وراءهم مباشرة. خَمَنْت أنهم في طريقهم إلى دورة مباريات المَلِك في كينجز لاندينج، فطوال الأسبوع الفائت ازدحمَ طريق الملوك بالراكبين كأنه عَشُّ دبابير؛ فُرسان ومُحاربون غير نظاميين، مُطربون بقياراتهم وطبولهم، عربات ثقيلة محمّلة بالراكبين بلا أجرّة أو الذرة أو براميل العسل، تُجَار وَحَرَفِيّون وعاهرات، وكلهم يتجهون جَنوبًا.

رَمَقَت اللورد جيسون يامعان. آخر مرّة رَأَتْه فيها كان يتبادل المزاح مع عمّها في مأدبة زفافها. آل مالیستر من حملة راية آل تلي، فكانت هداياه لها ليلتها باذخة حقًا. كان شعره البُنِّي مملّحًا بالأبيض الآن وصارَ وجهه ضاويًا مع مرور الزمن، لكن السنين لم تؤثر في كبريائه. كان يتحرّك على متن حصانه كرجل لا يخاف شيئًا، وحسدته كاتلين على هذا مع إدراكها أن ثمة أشياء كثيرة تخافها. مع مرور الراكبين حيّاهما اللورد جيسون بهزّة رأسٍ مقتضية، لكنها كانت مجرد تحيّة من أحد كبار اللوردات لغريبن مرّ بهما على الطريق. لم يكن هناك إدراك لهويّتها في هاتين العينين القويّتين، أمّا ابنه فلم يُكلّف نفسه حتى عناء إلقاء نظرة.

قال السیر رودریک بعدها متعجبًا: «لم يتعرّف عليك».

- «لقد رأى مُسافرین ملطّخين بالوحل على جانب الطريق، مبتلّان ومُتعبان، ولن يخطر على باله أبدًا أن إحداهما هي ابنة وليّه. اعتقد أننا سنكون آمِنين كفاية في الخان يا سیر رودریک».

كان الظلام قد حَلَّ تقريبًا عندما بلغا الخان الواقع على تقاطع الطرق شمال ملتقى فروع الثالوث. كانت ماشا هِدِل أسمن وأكثر شيّا مما تذكّرت كاتلين، لا تزال تَمُصُّ تبغها المرّ، وإن لم تمنحهما سوى نظرة

عابرةً جدًا بلا أثر فيها لابتسامتها الحمراء الشَّيْعة. قالت دون أن تتوقَّف عن المضغ لحظةً: «عُرفتَان عند قَمَّة السَّلام، هذا هو كُلُّ الموجود. إنهما تحت بُرج الجرس، فلن تفوتكما وجبات الطَّعام على الأقل، وإن كان البعض يقولون إنهما في موقع مزعج للغاية. لا يوجد ما يُمكن عمله، فكلُّ عُرفنا مشغولة أو تكاد. إمَّا هاتَان العُرفتَان أو الطَّرِيق».

العُرفتَان طبعًا، اللتان كانتا عِلْيَتَيْن واطتِي السَّقْف مغْبِرَتَيْن عند قَمَّة سلاسل ضيقة متداعية. قالت لهما ماشا بعد أن أخذت منهما النقود: «اتركا حذائكما هنا وسيُنظَّفهما الصَّبِي. لا أريدكما أن تُلَوِّثَا سلالتي بالوحل. انتبها للجرس كذلك، فالتأخرون على الوجبات لا يجدون طعامًا يأكلونه». لم تكن هناك ابتسامات على الإطلاق، ولا ذِكر للكعكات الخُلوة.

كان الصَّوت بصمُّ الأذان عندما دَقَّ جرس العشاء. كانت كاتلين قد بدَّلت ثيابها بثياب جافَّة وجلست وراء النَّافذة تتفرَّج على مياه المطر تجري على الرُّجاج الذي استحال لونه إلى البُني وامتلأ بالفقايع، بينما كان الغسق المبتل ينتشر فوق العالم في الخارج. من مكانها هذا تعرَّفت كاتلين بصعوبة على التَّقاطع الموحد الذي يلتقي عنده الطَّرِيقان العظيمان.

جعلها مفترق الطُّرق تُفكِّر مليًا. إذا انعطفا غربيًا من هنا فسيَسْلُكَان طريقًا سهلًا إلى ريفرزن. دائمًا ما كان أبوها يمنحها نصائحه الحكيمة عندما تكون في أمسِّ الحاجة إليها، وهي تشتاق للكلام معه حقًا وترغب في تحذيره من العاصفة القادمة. إذا استعدَّت وبترفل للحرب، فالأجدر بريفِرزن أن تستعدَّ أكثر فهي أقرب كثيرًا من كينجز لاندنج، وقوَّة كاسترلي روك تلوح من الغرب كظلِّ ثقيل. لو كان أبوها أقوى لكانت غامرت بهذا، لكن هوستر تلي طريح الفراش منذ عامين كاملين، وفكرة تحميله هذا العبء كانت تُنفر كاتلين بشدَّة.

الطريق الشرقي أكثر ضراوةً وخطورةً، مع مروره بين التلال الصخرية والغابات الكثيفة التي تُفضي إلى جبال القمر، مرورًا بممراتٍ عاليةٍ وهَوَاتٍ سحيقةٍ تقود إلى وادي آرن ثم إلى جُزر "الأصابع" الحجرية ورائه. فوق الوادي كان "العُش" يرتفع شاهقًا منيعًا وتَبْلُغُ بروجُه عنان السماء. هناك ستجد أختها، ولربما بعض الإجابات التي يسعى إليها ند كذلك. لا ريب أن لايسا تعرف أكثر مما كتبه في رسالتها، ولعلها تملك الدليل الذي يحتاجه ند للإطاحة بعائلة لانستر. ثم إنه إذا بلغت الأمور حَدَّ الحرب، فسوف يحتاجون إلى آل آرن ولوردات الشرق الذين يدينون لهم بالولاء. على أن طريق الجبال محفوف بالمخاطر، فَيَقْطَطُ الظِّلُّ تجوِب تلك الأنحاء، والانهيارات الصخرية كثيرة، وقبائل الجبال ليست إلا مجموعاتٍ من اللصوص وقُطَاعِ الطرق، ينزلون من المرتفعات ليسرقوا ويَقْتُلُوا ثم يختفون كالثلج الذائب كلما خرجَ فُرسان "الوادي" بحثًا عنهم. حتى جون آرن، وقد كان سيّدًا عظيمًا ككُلِّ من عرفهم "العُش"، كان يتحرّكٌ ومعه قوّة كبيرة من الرّجال كلما عبَرَ الجبال، بينما كانت قوّة كاتلين الوحيدة تتمثّل في فارس مُسَيَّنٌ واحدٍ يرتدي الولاء دِرْعًا.

لا، على ريفرَرَن و"العُش" أن ينتظرا. إن طريقها يمضي شمالًا إلى وينترفِل حيث ينتظرها أبناؤها وواجبها. بمجرد أن تَعْبُرَ "العُنق" مع السير رودريك، بإمكانها أن تُفَصِّحَ عن هويّتها لأحد حاملي راية ند وتُرْسِلَ خيالةً يسبقونها مع أوامرٍ بوضع مراقبةٍ على طريق الملوك.

كانت الأمطار تَحْجُبُ الحقول الواقعة وراء مفترق الطرق تمامًا، لكن كاتلين كانت ترى تلك الأراضي بوضوح كافٍ في ذاكرتها. الشوق على الجانب الآخر من الطريق، وبعد ميلٍ آخر القرية التي تتكوّن من نحو نصفمئة كوخ أبيضٍ وسيّطٍ حجريٍّ صغيرٍ في منتصفها. لا بُدَّ أن عددها أصبح أكبر الآن، فهذا الصّيف كان طويلًا هادئًا. إلى الشمال من هنا كان طريق الملوك يمضي بمحاذاة الفرع الأخضر لنهر الثالوث، قاطعًا

وديانًا خصبةً وغاباتٍ خضراء، ومازًا ببلداتٍ مزدهرةٍ ومعاقِلٍ قويّةٍ وقلاعٍ لوردات النّهر.

كانت كاتلين تعرفهم جميعًا: عائلة بلاكوود وعائلة براكن دائمتا العداوة اللتان كان أبوها مُلزَمًا بتسوية خلافتهما دومًا... الليدي وِنت آخر أبناء عائلتها، التي تعيش وحيدةً مع أشباحها في سراديب هارنغال الشّبيهة بالكهوف... اللورد فراي ذو الطّباع الحادّة الذي ظلّ معمرًا بعد وفاة سبع زوجاتٍ وملأ قلعتيه التّوأمتين بالأبناء والأحفاد وأبناء الأحفاد، بالإضافة إلى النُّغول وأبناء النُّغول كذلك. جميعهم كانوا من حملة راية آل تلي، وكلهم أقسموا بسيفهم لخدمة ريفررّن. تساءلت كاتلين إن كان هذا سيكفي إذا اندلعت الحرب فعلاً. إن أباهَا أمتن وأشجع رجلٍ عرفه العالم، وليس لديها شكٌّ في أنه سوف يستدعي راياته... لكن هل سيأتي حاملو الرّايات؟ كان آل داريس ورايجر وموتون قد أقسموا بالولاء لريفررّن بدورهم، لكنهم قاتلوا في صفّ ريجار تارجارين في معركة الثّالث، بينما وصل اللورد فراي مع جنوده بعد أن انتهت المعركة بفترةٍ لا بأس بها، تاركًا بعض الشّكّ في النّفوس في نيّته للانضمام لأيّ جيشٍ من الاثنين، (جيشهم هم بالطّبع كما أكّد للمتصرّين بوقارٍ بعد نهاية المعركة، لكن منذ ذلك الحين وأبوها يُطلق عليه لقب "اللورد فراي المتلكئ"). فكّرت كاتلين بانفعالٍ أن المسألة لا ينبغي أن تَبْلُغ حَدَّ الحرب. يجب ألا يسمحوا بذلك.

جاء السير رودريك إليها بمجرّد أن توقّفت دقّات الجرس الفظيعة، وقال: «فلنسرع إذا كنا نأمل أن نأكل اللّيلة يا سيّديتي».

قالت له: «من الأفضل ألا نكون فارسًا وليدي إلى أن نعبُر "العُتق". المُسافرون العاديّون يجذبون انتباهًا أقلّ. لكنك أبًا وابنته خرجا على الطّريق لشأنٍ عائليٍّ مثلاً».

قال السير رودريك: «كما تأمرين يا سيّديتي»، غير أنه لم يُدرك ما فعله

إِلَّا بَعْدَ أَنْ ضَحَكْتَ، فَقَالَ: «المجاملات القديمة تموت بصعوبة يا... يا ابنتي»، وحاول أن يجذب شواربه التي لم تُعَدْ هناك قبل أن يَزِفِرَ ساخطًا. تَأَبَّطَت كاتلين ذراعه وقالت: «هَلُمَّ يَا أَبِي. سَتَرَى أَنْ مَاشَا هِدِلْ تُقَدِّمَ طَعَامًا لَذِيذًا حَقًّا، لَكِنْ حَاوِلْ أَلَّا تُثْنِي عَلَيْهَا، فَأَنْتِ لَا تَرْغَبُ حَقًّا فِي رُؤْيَا ابْتِسَامَتِهَا، صَدَّقْنِي».

كَانَتِ الْقَاعَةُ الْعَامَّةُ طَوِيلَةً كَثِيرَةً التِّيَّارَاتِ الْهَوَائِيَّةِ، مَعَ صَفٍّ مِنَ الْبِرَامِيلِ الْخَشَبِيَّةِ الضَّخْمَةِ فِي نَاحِيَةٍ وَمُسْتَوْدَقٌ فِي النَّاحِيَةِ الْآخَرَى، وَثَمَّةُ خَادِمٍ يَجْرِي ذَهَابًا وَإِيَابًا حَامِلًا أَسِيَاخَ اللَّحْمِ، بَيْنَمَا تَصُبُّ مَاشَا الْبِيرَةَ مِنَ الْبِرَامِيلِ دُونَ أَنْ تَكْفَ عَنْ مَضْغِ تَبْغِهَا لِحِظَةً. كَانَتِ الدُّكَّكَ مَزْدَحْمَةً، يَخْتَلِطُ عَلَيْهَا أَهْلُ الْبَلَدَةِ وَالْمُزَارِعُونَ بِحُرِّيَّةٍ مَعَ الْمُسَافِرِينَ. كَانَ مُفْتَرَقُ الطَّرِيقِ يَجْذِبُ أَغْرَبَ رِفَاقِ السَّفَرِ طَرًّا، فَيَجْلِسُ الصَّبَاغُونَ ذُوو الْأَيْدِي الْأَرْجَوَانِيَّةِ وَالسُّودَاءُ مَعَ صَيَّادِينَ تَنْبَعِثُ مِنْهُمْ رَائِحَةُ الْأَسْمَاكِ الْكَرِيهَةِ، وَيَنْدَسُّ حِدَادُ مَفْتُولِ الْعَضَلَاتِ إِلَى جَوَارِ سِبْطُونَ هَرَمٍ، وَيَتَبَادَلُ الْمُتَرْتِّقَةُ الْمُتَمَرِّسُونَ الْأَخْبَارَ مَعَ التُّجَّارِ الْأَثْرِيَاءِ كَأَنَّهُمْ نُدْمَاءُ قَدَامَى.

كَانَ الْمَوْجُودُونَ يَضُمُّونَ مِنْ حَامِلِي السُّيُوفِ عَدَدًا أَكْبَرَ مِمَّا يَرُوقُ لِكَاتِلِينَ. ثَلَاثَةٌ مِنْهُمْ عِنْدَ الْمُسْتَوْدَقِ كَانُوا يَرْتَدُونَ شَارَةَ الْفَحْلِ الْأَحْمَرِ الْخَاصَّةَ بِعَائِلَةِ بَرَائِكِ، وَكَانَتْ هُنَاكَ مَجْمُوعَةٌ كَبِيرَةٌ مِمَّنْ يَرْتَدُونَ قِمَصَانَ الْحَلَقَاتِ الْمَعْدِنِيَّةِ الزَّرْقَاءَ وَالْمَعَاظِفَ الرَّمَادِيَّةَ الْمَائِلَ لَوْنِهَا إِلَى الْفَضِّيِّ، وَعَلَى أَكْتَافِهِمْ رَمَزٌ مَأْلُوفٌ آخَرٌ هُوَ الْبُرْجَانُ التَّوَامَانُ الْمُمَيِّزَانِ لِعَائِلَةِ فَرَاي. تَمَعَّنَتْ فِي مَلَامَحِهِمْ، لَكِنَّهُمْ كَانُوا أَصْغَرَ سِنًا مِنْ أَنْ يَعْرِفُوهَا، وَأَكْبَرَهُمْ لَمْ يَكُنْ عُمُرُهُ لِيَزِيدَ عَلَى عُمُرِ بَرَانٍ عِنْدَمَا ذَهَبَتْ شِمَالًا لِلْمَرَّةِ الْأُولَى.

وَجَدَ السَّيْرُ رُودْرِيكَ لِهَمًّا مَكَانًا شَاغِرًا عَلَى الدُّكَّةِ الْقَرِيبَةِ مِنَ الْمَطْبِخِ، وَعَلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ مِنَ الْمَائِدَةِ كَانَ شَابٌّ وَسِيمٌ يُدَاعِبُ قِيَارَةَ خَشَبِيَّةً بِأَصَابِعِهِ. «سَبِّحْ بَرَكَاتِ غَلِيكَمَا»، قَالَ عِنْدَمَا جَلَسَا، وَأَمَامَهُ عَلَى الْمَائِدَةِ كَانَتْ كَأْسُ نَبِيذٍ فَارِغَةٍ.

- «وعليك أيها المغني»، ردّت كاتلين. طلبَ السير رودريك لحمًا وخُبْزًا وبيرةً بأسلوبٍ يعني أن يأتي الطَّلبُ حالًا. ثم إن المغني -وهو شابٌّ في الثامنة عشر من العمر تقريبًا- رمقَهما بجرأةٍ وسألَهما من أين أتيا وإلى أين هما ذاهبان وعن الأخبار التي يحملانها، تاركًا الأسئلة تتطاير كالسَّهام دون أن يتوقَّف ليسمع منهما ردًّا، فقالت كاتلين مجيبةً أأمن أسئلته: «لقد غادرنا كينجز لاندنج منذ نحو أسبوعين».

- «أنا في طريقي إلى هناك»، أجاب الشاب. كما توقَّعت، كان مهتمًّا بأن يحكي قصَّته أكثر من أن يسمع قصَّتهما، فالمغنون لا يُحبُّون شيئًا أكثر من سماع أصوات أنفسهم. «دورة اليد تعني لوردات أثرياء ذوي أكياس نقودٍ ممتلئة. آخر مرَّة خرجتُ ومعِي فضَّة أكثر مما أستطيع أن أحمل... إلى أن خسرتها كلها عندما راهنتُ على فوز قاتِل الملك».

قال السير رودريك بصرامة: «الآلهة تعبس في وجه المُقامرين». كان من السَّماَل ويشترك مع آل ستارك في نظرتهُم إلى دورات المباريات من هذا النوع.

أجاب المغني: «لا شكَّ أنها عبست في وجهي. قهرتني الآلهة القاسية ومعها فارس الزهور».

قال السير رودريك: «لعلَّ هذا كان درسًا لك».

- «بالتأكيد. هذه المرَّة سأراهن على السير لوراس».

حاولَ السير رودريك أن يشدَّ شواربه التي لم تكن هناك، لكن قبل أن يُفكِّر في توبيخ يُلقيه على الشاب، جاءَ الخادم مسرعًا بطعامهما. وضعَ أمامهما صحفَتين من الخُبْز وملاهما بقطع من اللَّحم المحمَّر على سيخٍ تُقَطَّر منه العُصارة السَّاخنة، ثم أضافَ من سيخٍ آخر قطعًا من البصل الصَّغير والفلفل الحَرِيف والفِطْر؛ وانقَضَ السير رودريك على الطَّعام بنهمٍ بينما هُرِعَ الخادم عائداً إلى المطبخ كي يجلب البيرة.

قال المغني وهو ينقر وترًا في قيثارته: «اسمي ماريليون. لا شك أنكما سمعتما غنائي في مكان ما».

جعل أسلوبه كاتلين تبسم. قلّة من المغنين الجائلين كانت ترحل شمالًا حتى ويتفرّفل، لكنها كانت تعرف من هم على شاكلته منذ أيام صباها في ريفررن. أجابت: «أخشى أننا لم نفعل».

داعب أوتار القيثارة لتصدر نغمة حزينة، وقال: «أنتما الخاسران. من أفضل مغنٍ سمعتماه على الإطلاق؟».

أجاب السير رودريك على الفور: «آليا البرافوسية».

قال ماريليون: «أوه، إنني أفضل كثيرًا من تلك العصا العجوز. إذا كانت معك قطعة فضية لأغنية، سأثبت لك».

- «قد أحمل معي قطعة نحاسية أو اثنتين، لكنني أفضل أن ألقى بها في بئر على أن أدفعها لأسمع عواءك»، قال السير رودريك متذمّرًا. كان رأيه في المغنين معروفًا: الموسيقى شيء شديد الجمال والعدوبة بالنسبة للفتيات، لكنه لم يستوعب قطّ لِم يختار شابّ سليم البدن أن يُسلّح نفسه بقيثارة بدلًا من السيف.

وجّه ماريليون كلامه لكاتلين قائلاً: «جذك حادّ الطّباع حقًا. كنتُ أقصدُ أن أكرّمك وأثني على جمالك. الحقيقة أنني مخلوق كي أغني للملوك وكبار السادة».

قالت كاتلين: «أرى هذا. اللورد تلي مغرم بالأغاني كما سمعت. لا شك أنك زرت ريفررن».

بتكبير قال المغني: «أوه، مئة مرّة. إنهم يحتفظون بغرفة خاصّة لي هناك، واللورد الصّغير بمثابة أخي».

ابتسمت كاتلين متسائلة عمّا كان إدميور ليقوله. كان مغنٍ آخر قد ضاجع فتاة يهيم بها أخوها، ومنذ ذلك الحين وهو يمقت صنفهم كله. سألته: «وويتفرّفل؟ هل ذهبت شمالًا من قبل؟».

- «ولِمَ أفعل؟ ليس هناك غير العواصف الثلجية وجلود الدُّببة في الشمال، وآل ستارك لا يعرفون موسيقى غير عِواء الذئاب».

كان يتكلَّم بينما تنهَى إلى مِسامع كاتلين من بعيد صوت باب القاعة وهو يُفَتِّح، ثم سمعت صوت خادم يقول من ورائها: «أين صاحبة الخان؟ أنتِ؟ حسنٌ، لدينا خيول نريدها أن توضع في الاسطبل، وسيُدي لانستر يرغب في غرفةٍ وحمامٍ ساخن».

- «يا للآلهة!»، قال السير رودريك مبهوتين قبل أن تمدَّ كاتلين يدها لتُسكِته وقد أظبقت أصابعها بقوة على ساعده.

كانت ماشا هِدِل تنحني وتبتسم ابتسامتها القبيحة وهي تقول: «آسفة يا سيدي، حقًا، لكن الغرف كلها كاملة العدد بالفعل».

رأت كاتلين أن هناك أربعة منهم، رجل متقدِّم في السنَّ يرتدي أسودَ حرس الليل وخادمين... وهو، يقف هناك صغير الحجم جريئًا كالحياة. «سينام رجالي في الاسطبل، أمّا أنا فلا أتطلَّبُ غرفةً كبيرةً كما ترين بوضوح»، وأضاف بابتسامةٍ ساخرة: «طالما أن النار تُدْفِئ والقش لا يحوي عددًا كبيرًا من البراغيث، سأكون راضيًا».

قالت ماشا وقد أسقطَ في يدها تمامًا: «لكن ليست هناك أيُّ غرفٍ حقًا يا سيدي. إنها دورة المباريات ولا أستطيع أن...».

أخرج تيريون لانستر عملةً من كيس نقوده وضربها بإبهامه لترتفع فوق رأسه ثم تسقط فيلتقطها ويرميها مرَّةً أخرى، وحتى من طرف القاعة الآخر حيث جلست كاتلين كان يريق الذهب جليًا.

نهض مُحارب غير نظامي يرتدي معطفًا أزرقٍ لآح لونه وقال بسرعة: «يُمكنك أن تأخذُ غرفتي يا سيدي».

- «رجلٌ ذكي»، قال لانستر وهو يقذف العملة الدَّهِيَّة عبر القاعة، والتقطها المُحارب غير النظامي في الهواء، فأضاف القزم: «ورشيقي

كذلك»، ثم التفت إلى ماشا هديل وقال: «سيمكنك تدبير طعام لنا، أليس كذلك؟».

- «أي شيء تُحبُّه يا سيدي، أي شيء على الإطلاق»، قالت صاحبة الخان بحرارة، بينما فكَّرت كاتلين: وعسى أن تختنق به، لكنه كان بران الذي رآته يختنق ويغرق في دماثة.

نظر لانستر إلى أقرب موائد منهم وقال: «رجالي سيتناولون أي شيء تُقدِّمونه الليلة، حصصاً مضاعفة لأننا سافرنا لمسافة طويلة. وأنا سأناول طائرًا مشويًا، دجاجة أو بطَّة أو حمامة، لا فارق. وأريد إبريقًا من أفضل نبيذ لديكم. يورن، هل ستتناول عشاءك معي؟».

أجاب الأخ الأسود: «نعم يا سيدي».

لم يُلْقِ القزم نظرة واحدة على الطرف الآخر من القاعة، وكانت كاتلين تُفكِّر في أنها ممتنة حقًا لوجود الذكك المزدحمة بينها وبينه، عندما وثب ماريليون المغني ناهضًا فجأة وصاح: «سيدي لانستر! سيسعدني أن أسليك بينما تتناول طعامك. دعني أُغني لك أنشودة انتصار أبيك العظيم في كينجز لاندنج!».

- «لا أظن أن هناك شيئًا يمكنه أن يُفسد شهيتي أكثر من هذا»، قال القزم بلهجة جافة وعينه غير المتماثلتين ترمقان المغني على نحو عابر قبل أن تبدأ في الابتعاد عنه... وتقعًا على كاتلين. تطلع إليها للحظة مندهشًا، بينما أشاحت هي بوجهها بعيدًا لكن بعد فوات الأوان. كان القزم يتسم وهو يقول: «ليدي ستارك، يا لها من مفاجأة سارة! لقد أسفتُ لَمَّا لم أجدك في وسترفل».

حملت ماريليون فيها والارتباك يُفسيح الطريق للانزعاج وكاتلين تنهض ببطء. سمعت السير رودريك يُطلق سبَّة. لو كان الرجل الصغير قد ظلَّ على "الجدار"، لو أنه...

قالت ماشا هديل بلهجة ثقيلة: «ليدي... ستارك؟».

- «كُنْتُ لَا أَزَالُ كَاتِلِينَ تَلِي عِنْدَمَا جِئْتُ إِلَى هُنَا آخِرَ مَرَّةٍ»، قَالَتْ لِسَابِحَةِ الْخَانِ وَهِيَ تَسْمَعُ الْغَمْغَمَاتِ تَعَالَى مِنْ حَوْلِهَا وَتَشْعُرُ بِالْعَيُونَ تُسَلِّطُ عَلَيْهَا. دَارَتْ كَاتِلِينَ بَعَيْنِهَا فِي الْمَكَانِ مُتَطَلِّعَةً إِلَى الْفَرَسَانِ وَالسَّلَاحِدَارِيَّةِ، ثُمَّ التَّقَطَّتْ شَهِيقًا عَمِيقًا كَيْ تُنْهَدِيَ ضَرْبَاتِ قَلْبِهَا الْعَنِيفَةَ. هَلْ تَجْرُؤُ عَلَى الْمَخَاطَرَةِ؟ لَكِنْ لَيْسَ هُنَاكَ وَقْتُ لِلتَّفَكِيرِ، فَقَطُّ اللَّحْظَةُ الْحَالِيَّةُ وَوَقْعُ صَوْنِهَا يَرِنُ فِي أُذُنِهَا. «أَنْتَ هُنَاكَ فِي الرُّكْنِ»، قَالَتْ مَخَاطِبَةً رَجُلًا أَكْبَرَ سِنًا لَاحِظَتْ وَجُودَهُ الْآنَ فَقَطُّ. «أَهَذَا وَطَوَاطُ هَارِنْهَالِ الْأَسْوَدِ الَّذِي أَرَاهُ مَطْرُزًا عَلَى صُدْرَتِكَ يَا سَيِّدِي؟».

نَهَضَ الرَّجُلُ مَجِيبًا: «هُوَ كَذَلِكَ يَا سَيِّدَتِي».

- «وَهَلِ الْيَدِي وَنْتَ صَدِيقَةٌ حَقِيقِيَّةٌ مُخْلِصَةٌ لِأَبِي الْلُورْدِ هُوسْتِرِ تَلِي سَيِّدِ رِيْفِرَرَنْ؟».

أَجَابَ الرَّجُلُ بِحَزْمٍ: «هِيَ كَذَلِكَ».

نَهَضَ السَّيْرُ رُودْرِيكَ بِدَوْرِهِ وَشَدَّ سَيْفَهُ مِنْ عِمْدِهِ بَعْضَ الشَّيْءِ، بَيْنَمَا كَانَ الْقَزْمُ يَرْمُقُهُمَا بِتَعْبِيرٍ أَجُوفٍ عَلَى وَجْهِهِ، وَإِنْ امْتَلَأَتْ عَيْنَاهُ غَيْرِ الْمَتَمَاتِلَتَيْنِ دَهْشَةً.

- «الْفَحْلُ الْأَحْمَرُ مَنْظَرٌ مَرْحَبٌ بِهِ دَائِمًا فِي رِيْفِرَرَنْ»، قَالَتْ لِلثَّلَاثَةِ الْجَالِسِينَ عِنْدَ النَّارِ. «أَبِي يَعِذُّ چُونُوسَ بَرَاكِنَ مِنْ أَقْدَمِ حَمَلَةٍ رَايْتَهُ وَأَكْثَرَهُمْ إِخْلَاصًا».

تَبَادَلُ الْمُسَلَّحُونَ الثَّلَاثَةُ نَظَرَاتٍ حَائِرَةٍ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمْ بَتَرْدُودٍ: «إِنْ ثَقَتَهُ شَرَفَ لِسَيِّدِنَا».

قَالَ لَانَسْتِرَ مَا زَحَا: «إِنِّي أَحْسَدُ أَبَاكَ عَلَى كُلِّ هَؤُلَاءِ الْأَصْدِقَاءِ، لَكِنِّي لَا أَفْهَمُ الْغَرَضَ مِنْ هَذَا أَيْتَهَا الْيَدِي سِتَارَكَ».

تَجَاهَلَتَهُ مَلْتَفَنَةً إِلَى الْمَجْمُوعَةِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي ارْتَدَّتِ الْمَعَاطِفُ ذَاتِ الْأَزْرَقِ وَالرَّمَادِيِّ مَفْكُورَةً أَنَّ هَؤُلَاءِ هُمْ قَلْبُ الْمَسْأَلَةِ كُلِّهَا فَهُنَاكَ عَشْرُونَ

منهم، وقالت: «أعرفُ رمزكم كذلك، البرجين التوأمين رمز عائلة فراي. كيف حال سيّدكم الكريم أيها السّادة؟».

نهض قائدهم وأجاب: «اللورد والدربخير يا سيّدي. إنه ينوي الزّواج مجدّدًا في يوم ميلاده الثّسين، وأرسلَ للسّيّد أليك طالبًا أن يُشرّفه بحضوره».

أطلقَ تيريون لانستر ضحكةً مكبوتةً، وعندها عرفتَ كاتلين ستارك أنه لها. «هذا الرّجل جاءَ ضيفًا إلى بيتي، وهناك تأمّرَ على اغتيال ابني الذي يبلّغ سبعة أعوام لا أكثر»، قالت مخاطبةً القاعة كلها وهي تشير إلى تيريون، ووقفَ ألسير رودريك إلى جانبها مستلًا سيفه. «باسم المَلِك روبرت والسّادة الذين تخدمونهم، أطلبُ منكم أن تقبضوا عليه وتُساعدوني على إعادته إلى ويترفل لينتظر عدالة المَلِك».

لم تعرف بالضّبط أيهما كان مُرضيًا أكثر لها، صوت السّيف وهي تُسحب من أغمادها في آنٍ واحد، أم النّظرة على وجه تيريون لانستر.



سانزا

ذهبت سانزا إلى دورة اليد في ضُحبة السَّهْبة موردن وچين پوول في هودج ذي ستائر من الحرير الأصفر شديد النُومة لدرجة أنها كانت تستطيع الرؤية من خلالها وقد صبغت العالم كله باللون الذهبي. خارج أسوار المدينة كان مئة سرادق قد أُقيمت على ضفة النهر، وجاء العامة بالآلاف ليتفرَّجوا على المباريات. خلَّبت الفخامة التي اكتنفت كلَّ شيء لبَّ سانزا تمامًا؛ الدُّروع اللَّامعة، الجياد المكسوَّة بالفضي والذهبي، هتافات الجماهير، الرَّيات الخفَّافة في الرِّيح... والفرسان أنفسهم، الفرسان أكثر من أيِّ شيءٍ آخر.

- «الواقع أفضل من الأغاني»، همست عندما وجدن أماكن الجلوس التي وعدَها بها أبوها بين كبار السَّادة والسَّيِّدات. كانت سانزا تبدو بهيَّة الطلعة يومها في فُستانها الأخضر الذي أبرَّ لون شَعرها الكستنائي، وكانت تعرف أن المُحيطين بها يتطلَّعون إليها ويتبسَّمون.

شاهدن أبطالاً من مئة أغنيَّة يتقدَّمون على صهوة خيولهم وكلُّ منهم أروع من سابقه. احتلَّ فرسان الحرس المَلَكِي السَّبعة المضمَّار، كلهم باستثناء چايمي لانستر في دروع من صفائح معدنيَّة بلون الحليب الصَّافي ومعاطف بيضاء كالثلج السَّاقط لتوه. كان السير چايمي يرتدي المعطف الأبيض كذلك، وإن كان يتألَّق ذهباً من قمَّة رأسه حتى أخمص قدميه، وقد ارتدى خوذة على شكل رأس أسد وتمنطق بسيف ذهبي.

اندفع السير جريجور كليجاين، الجبل راكب الخيول، متجاوزاً إياهم بسرعة انهيارٍ جليدي. تذكّرت سانزا اللورد رون رويس الذي نزلَ ضيفاً في وينترفيل قبل عامين. «دَرَعه مصنوعة من البرونز، عُمرها آلاف وآلاف من السنين، منقوشة بأبجديةٍ سحريةٍ تقيه من الأذى»، همست لچين پوول. أشارت السّپتة موردن إلى اللورد چيسون ماليستر، الذي ارتدى درعاً ذات لونٍ أزرقٍ داكنٍ مرصّعةً بالفضّة وعلى خوذته جناحاً نسر. كان اللورد ماليستر قد صرّع نفسه ثلاثة من حملة راية الأمير ريجار في معركة الثالوث. ضحكت الفتاتان لمراى الرّاهب المُحارب ثوروس المايري بمعطفه الأحمر الخافق ورأسه الحليق، إلى أن أخبرتهما السّپتة أنه تسلّق أسوار پايك ذات مرّة حاملاً سيفاً نارياً في يده.

ثمّة آخرون لم تتعرّف عليهم سانزا، فرسان جوالّة من "الأصابع" وهايجاردن وجبال دورن، مُحاربون غير نظاميين لم ينالوا أيّ شهرةٍ ومُرافقو فرسان حديثو التّعيين، الأبناء الأصغر للوردات كبار وورثة عائلاتٍ أقلّ شأنًا من غيرها. كانوا شباباً ليس للسّواد الأعظم منهم مآثر تُذكر بعد، وإن اتّفقت سانزا وچين على أن يوماً سيأتي تُدوِّي فيه أسماؤهم في الممالك السّبع كلها... السير بالون سوان، اللورد برايس كارون سيّد تُخوم دورن، السير أندار رويس وريث يون البرونزي وأخوه الأصغر السير روبار في درعين من الفولاذ المفضّض الذي نُقِشت عليه بالبرونز الأبجدية العتيقة نفسها التي تقي أباهما، الثّوأمان السير هوراس والسير هوبر اللذان حملت درعاهما الزّرقاوان عنقود العنب رمز عائلة ردواين بلونه الخُمري، باتريك ماليستر ابن اللورد چيسون، سِتّة من عائلة فراي أبناء "المعبر": السير چارد، السير هوستين، السير دانويل، السير إمون، السير ثيو، والسير پروين، كلهم أبناء وأحفاد اللورد والدر فراي، بالإضافة إلى ابنه غير الشرعي مارتن ريفرز.

اعترفت چين پوول بخوفها من شكل چالابار شو، الأمير المنفي من

جُزِرَ الصَّيْفُ الَّذِي ارْتَدَى حَرْمَلَةً مِنَ الرِّيشِ الْأَخْضَرِ وَالْقَرْمِزِيِّ فَوْقَ بَشْرَةٍ سَوْدَاءَ كَاللَّيْلِ، لَكِنْ عِنْدَمَا رَأَتْ اللُّورْدَ الشَّابَّ بِرِيكِ دُونْدَارِيُونِ بِشَعْرِهِ اللَّامِعِ كَالذَّهَبِ الْأَحْمَرِ وَثُرْسَهُ الْأَسْوَدَ الَّذِي يَشْقُهُ الْبَرْقُ، أَعْلَنْتْ أَنَّهَا مُسْتَعِدَّةٌ لِلزَّوْاجِ مِنْهُ فِي التَّوَّ وَاللَّحْظَةِ.

انضمَّ كَلْبُ الصَّيْدِ إِلَى الْمَضْمَارِ بِدَوْرِهِ، وَكَذَلِكَ اللُّورْدُ رَنَلِي الْوَسِيمِ أَخُو الْمَلِكِ وَسَيِّدُ سَتُورْمَزْ إِنْد، بَيْنَمَا مَثَلَ جُورِي وَآلَيْنَ وَهَارُويْنَ وَيَنْتَرْفِلَ وَالشَّمَالَ. «جُورِي يَبْدُو كَشَحَّاذٍ وَسَطَ الْآخَرِينَ»، قَالَتِ السَّيِّئَةُ مُورْدَنُ بِضَيْقٍ لَمَّا رَأَتْهُ، وَلَمْ يَكُنْ بَوْسَعٍ سَانَزَا غَيْرَ أَنْ تَتَّفَقَ مَعَهَا. كَانَ دِرْعُ جُورِي مِنَ الصَّفَانِحِ الْمَعْدِنِيَّةِ ذَاتِ اللَّوْنَيْنِ الْأَزْرَقِ وَالرَّمَادِيِّ بَلَا زَخَارِفَ أَوْ زِينَةٍ، وَتَدَلَّى مَعْطَفٌ رِمَادِيٌّ خَفِيفٌ مِنْ عَلَى كَتْفَيْهِ بِأَدْيَا كَأَسْمَالٍ مَتَّسَخَةٍ. غَيْرَ أَنَّهُ أَبْلَى بِلَاءً حَسَنًا فَعَلًا وَقَدْ أَسْقَطَ هُورَاسُ رَدَوَائِنَ عَنْ حِصَانِهِ فِي النَّزَالِ الْأَوَّلِ وَأَحَدَ أَبْنَاءِ فَرَايَ فِي الثَّانِي، وَفِي النَّزَالِ الثَّلَاثِ قَامَ ثَلَاثُ مُحَاوَلَاتٍ لِإِسْقَاطِ مَعَ مُحَارِبٍ غَيْرِ نِظَامِيٍّ اسْمُهُ لُوْثُورُ بَرُونِ يَرْتَدِي دِرْعًا تَقْلِيدِيَّةً كِدِرْعِهِ. لَمْ يَسْقُطْ أَيُّهُمَا عَنْ حِصَانِهِ، لَكِنْ رُمِحَ بَرُونُ كَانَ أَكْثَرَ ثَبَاتًا وَضَرْبَاتَهُ مَوْجَّهَةً بِأَحْكَامٍ أَكْثَرَ، فَمَنْحَهُ الْمَلِكُ الْإِنْتِصَارَ. أَمَّا آلَيْنُ وَهَارُويْنَ فَلَمْ يُحَالِفْهُمَا التَّوْفِيقُ، وَسَقَطَ هَارُويْنَ عَنْ حِصَانِهِ فِي نَزَالِهِ الْأَوَّلِ عَلَى يَدِ السَّيْرِ مَرَيْنَ فَارَسِ الْحَرَسِ الْمَلَكِيِّ، بَيْنَمَا سَقَطَ آلَيْنُ أَمَامَ السَّيْرِ بِالْوَنِ سَوَانِ.

اسْتَمَرَّتِ النَّزَالَاتُ طَوَالَ الْيَوْمِ وَحَتَّى الْعَسَقِ، وَدَقَّتْ حَوَافِرُ الْجِيَادِ الْحَرْبِيَّةِ الْمُمْتَازَةِ أَرْضَ الْمَضْمَارِ إِلَى أَنْ اسْتَحَالَتْ إِلَى قَفْرِ مِنَ التُّرْبَةِ الْمَقْلُوعَةِ. مَرَّاتٍ عَدِيدَةٍ صَاحَتْ فِيهَا جِينُ وَسَانَزَا فِي آنٍ وَاحِدٍ عِنْدَمَا ارْتَطَمَ الْمُقَاتِلُونَ بَعْضُهُمْ لَتَفَجَّرَ رِمَاحُهُمْ إِلَى شَطَائِبِ وَالْعَامَّةِ يَصْرُخُونَ مَهْلَلِينَ لِمَنْ يُشَجَّعُونَ. غَطَّتْ جِينُ عَيْنَيْهَا كُلَّمَا سَقَطَ رَجُلٌ كَبْنَتٍ صَغِيرَةٍ خَائِفَةٍ، بَيْنَمَا كَانَتْ سَانَزَا مَصْنُوعَةً مِنْ خَامَةٍ أَكْثَرَ صَلَادَةً. عَلَى الْيَدِيِّ رَفِيعَةِ الْمَقَامِ أَنْ تَعْرِفَ كَيْفَ تَسْلُكُ السُّلُوكَ الْمَلَاتِمَ فِي

دورات المباريات، وحتى السَّيِّئة موردن لاحظت هدوءها وأومات برأسها استحسنًا.

كان قَاتِلُ الْمَلِكِ رائعًا بحق، وأسقطَ السير أندار رويس واللورد برايس كارون سيّدُ نخوم دورن بمتهى اليُسْر، ثم تلقى بصلاية الهجمات العنيفة التي شتَّها عليه السير باريستان سلمى ذو الشَّعر الأشيب، الذي فاز بأول نزالين له أمام رجلين يصغرانه بثلاثين وأربعين عامًا.

بدا أن ساندور كليجاين وأخاه العملاق جريجور الجبل لا يُفْهَرَان بدورهما وهما يُسْقِطَان خصمًا وراء الآخر بضراوة شديدة. جاءت أكثر لحظةٍ مرعبةٍ في اليوم كله خلال نزال السير جريجور الثاني، عندما رفع رُمحه إلى أعلى وضربَ فارسًا شابًا من "الوادي" تحت وافي العُنُق بعُنْفٍ شديد جعله يخترقَ خَلقه لِيَقْتُلَهُ على الفور. سقطَ الشَّاب على مسافةٍ أَقْلٍ من عشرة أقدام من حيث جلست سائز، فرأت أن طرف رُمح السير جريجور قد انكسرَ في عُنقه، وسالت دماء الحياة منه بنبضاتٍ بطيئة ظَلَّت تَضَعُف وتَضَعُف. كانت دِرْعُه جديدةً بَرَّاقَةً، وسرى خيطٌ من اللَّهب على ذراعه المفرودة وقد انعكسَ نور الشَّمْس على الفولاذ. ثم تَوَارَتْ الشَّمْس خلف سحابةٍ واختفت. كان معطفه أزرقٌ بلون السَّماء في نهار صيفٍ صافٍ وزِيَّتْهَا أَشْكَالُ أَهْلَةٍ، لكن إذ نَضَحَ عليه الدَّم اكتسبَ النَّسِيج لونًا داكنًا واصطبغَ كُلُّ هَلَالٍ بِالْأَحْمَرِ وَاحِدًا تَلُو الْآخَرَ.

بَكَتْ جِينُ بُولُ بِلُوعَةٍ شديدةٍ حتى أن السَّيِّئة موردن اضطَرَّت في النِّهَايَةِ لَأَخْذِهَا بَعِيدًا حتى تستعيد هدوءها، بينما جلست سائز بيدين مشبوكتين في حِجْرِهَا تُشَاهِدُ بَافْتَتَانِ عَجِيب. إنها لم تَرَ رجلًا يموت من قبل، ومن المفترَض أن تكون منفجرةٌ في البكاء بدورها الآن، لكن الدُّمُوع لم تأت. فَكَّرَتْ أنها ربما ذرَفَتْ دموعها كلها على ليدي وبران، وقالت لنفسها إن الأمر كان سيختلف لو كان هذا چوري أو السير رودريك أو أباهَا، بينما الفارس الشَّاب ذو المعطف الأزرق لم يكن يُمَثِّلُ شَيْئًا لَهَا، بل

مجرّد غريبٍ ما من وادي آرن نسيّت اسمه بمجرّد أن سمعته. ثم أدركت
سانزا أن باقي العالم سوف ينسى اسمه الآن بدوره ولن يُغني أحدٌ أغنيّة
عنه؛ وكان هذا مُحزناً.

بعد أن رفعوا الجثّة وحملوها بعيداً، جاء صبيٌّ يحمل مجرّةً مسرعاً
إلى المضمار وأهال التراب فوق البُقعة التي سقطَ فيها الفارس ليُعطي
الدّماء، ثم استؤنفت المباريات.

سقطَ السير بالون سوان أيضاً أمام جريجور، وكذلك اللورد رنلي أمام
كلب الصّيد. كانت سقطة رنلي بالغة العُنف لدرجة أنه طارَ إلى الورا من
على حصانه وساقاه في الهواء، وصدّم رأسه الأرض بقطعةٍ مسموعةٍ
لدرجة أن الجماهير شهقت، لكن اتّضح أنه القرن الذّهبي في خوذته الذي
انكسرت واحدة من شوكتيه أسفلهُ. هللت الجموع بسعادةٍ مدوّية عندما
نهض اللورد رنلي، فأخو المَلِك روبرت الوسيم كان من أكثر المفضّلين
لديهم. ناول رنلي الشّوكة المكسورة لغالبه بانحناءةٍ مهذّبة، فأطلقَ كلب
الصّيد شخراً وألقاها بين الجموع، حيث أخذَ العامّة يلكُمون ويخدشون
بعضهم بعضاً من أجل القطعة الذّهبيّة الصّغيرة، إلى أن ذهبَ اللورد رنلي
واستعادها منهم. في ذلك الحين كانت السّبتة موردن قد عادت وحدها
وقالت إن چين تشعّر بوعكةٍ وإنها ساعدتها على العودة إلى القلعة. كانت
سانزا قد نسيّت أمر چين تقريباً.

فيما بعد كلّ فارس جوّال يرتدي معطفاً ذا مربّعاتٍ مختلفة الألوان
نفسه عندما قتلَ حصان بريك دونداريون وأعلنَ انسحابه. ثم إن اللورد
بريك نقلَ سرّجه إلى حصانٍ جديد، فقط ليُسقطه عنه ثوروس المايري.
تنازَل السير أرون سانتاجار ولوثور برون ثلاث مرّاتٍ بلا فائز، وبعدّها
سقطَ السير أرون أمام اللورد چيسون ماليستر، وبرون أمام روبار ابن رون
رويس الأصغر.

في النهاية تبقى أربعة منهم: كلب الصّيد وأخوه الرّهيب جريجور،

وجايمي لانستر قاتل المَلِك، والسير لوراس تايرل، الشاب الذي يُلقَّبونه بفارس الزُّهور.

كان السير لوراس أصغر أبناء مائس تايرل سيّد هايجاردن وحاكِم الجنوب. في سنِّ السادسة عشر كان أصغر الفرسان في المضمار، وإن كان قد أسقط ثلاثة من فرسان الحرس المَلِكِي ذلك الصُّباح في أول ثلاثة نزالاتٍ له. لم ترَ سانزا في حياتها أحدًا بهذا الجمال. كانت دِرعه مصمَّمة ومزخرفة بصورةٍ شديدة التعقيد لتينع عليها ألف زهرة مختلفة، بينما كان حصانه الفحل الأبيض كالثلج مكسواً بغطاءٍ من الورود الحمراء والبيضاء. بعد كُلِّ انتصارٍ كان السير لوراس يرفع خوذته ويدور بيّطٍ حول السَّياج، ثم يقتطف وردةً بيضاء واحدةً من غطاء حصانه ويلقيها إلى حسناء ما من الحاضرات.

كانت مباراته الأخيرة اليوم أمام رويس الصَّغير، وقد أثبتت أجدية أسلاف السير روبر أنهما لا تُمثِّل حمايةً كافيةً، إذ قسم السير لوراس ثُرسه إلى نصفين وأطاح به من فوق سرجه ليسقط بعُنْفٍ بالغ على الأرض. ظلَّ روبر طريح الأرض يتأوّه، بينما دارَ المنتصر حول المضمار ليُناول وردةً أخرى لحسناء أخرى. أخيراً طلبوا محفَّةً وحملوا روبر من المضمار إلى خيمته وهو مصاب بدُّوارٍ عنيفٍ جعله عاجزاً عن الحركة. لم ترَ سانزا هذا وقد ثبتت عينيها على السير لوراس وحده، وعندما توقَّف الحصان الأبيض أمامها ظنَّت أن قلبها سينفجر من عُنف خفقانه.

لكلِّ من الحسناوات الأخريات كان قد أعطى وردةً بيضاء، لكن التي اقتطفها لها كانت حمراء. «سيّدتِي الفاتنة»، قال لها. «ليس هناك انتصار في العالم يُضاهي جمالك». التقطت سانزا منه الوردة بتردُّدٍ وقد أعجزتها شهامته عن النطق. كان شعره كتلةً من الخصلات البنية النَّاعمة وعيناه كالذهب السائل. تنشَّقت غبير الوردة وجلست قابضةً عليها لفترةٍ طويلةٍ بعد ابتعاد السير لوراس.

عندما رفعت سائزا عينيها أخيراً، وجدت رجلاً يقف أمامها. كان قصير القامة ذا لحية مدببة وقد وخط الشيب شعره، وبدأ في عمر أبيها تقريباً. «لا بُدَّ أنك واحدة من ابنتيها»، قال لها. كانت عيناه ذواتي لونٍ أخضر يميل إلى الرمادي لا تبسمان عندما يتسمم فمه. «سبماء عاتلة تلي واضحة عليك».

قالت بحرج: «أنا سائزا ستارك». كان يرتدي معطفاً ثقيلاً ذا ياقة من الفرو بُتَّها دبوس على شكل طائر المحاكي، ويتصرّف بأسلوب كبار السادة العفوي، لكنها لم تتعرّف عليه وقالت: «لم أنل شرف معرفتك يا سيدي».

تدخلت السبئة موردين سريعاً قائلة: «صغيرتي، هذا هو اللورد پيتر بايلش، عضو مجلس الملك الصغير».

- «كانت أمك ملكة جمال العالم بالنسبة لي ذات يوم»، قال بهدوء ورائحة النعناع تفوح من أنفاسه. «إن لديك شعرها». مسّت أصابعه وجنتها وهو يُداعِب واحدة من خصلاتها الكستنائية، ثم على نحو أبتَر دارَ على عقبيه وابتعدَ بلا كلمةٍ إضافية.

وقتها كان القمر قد ارتفع في السماء وشعر الحاضرون بالتعب، فأعلن الملك أن المباريات الثلاث الأخيرة ستقام في الصباح التالي قبل الالتحام الجماعي. وبينما بدأ العامة رحلة العودة إلى ديارهم متكلمين عن مباريات اليوم وتلك المنتظرة غداً، انتقل أعضاء البلاط الملكي إلى ضفة النهر حيث بدأت المأدبة. سة ثيران بريّة ضخمة كانت تدور بيّظ فوق النار على أسياخ خشبيّة منذ ساعات، بينما كان صبية المطبخ يسقونها بالزبد والأعشاب إلى أن تجزّع اللحم. كانت الموائد والدكك قد نُصبت خارج السرادقات وتكدّست عليها أصناف من العشب السُكري والفراولة والخُبز الطّازج.

أجلست سائزا والسبئة موردين في مكان تكريم عال، على يسار

المنصة المرتفعة التي جلس عليها الملك نفسه مع ملكته، وعندما جلس الأمير جوفري إلى يمينها شعرت بغصة في حلقها. لم يكن قد وجه لها كلمة واحدة منذ الموقف الشنيع إياه، ولم تجرؤ هي على أن تُكلمه. في البدء حسبت أنها تكرهه لما فعلوه بليدي، لكن بعد أن استنزفت سائرا دموعها تمامًا قالت لنفسها إن ما حدث لم يكن ذنب جوفري حقًا. الملكة هي المسؤولة، وهي من ينبغي أن تكره، هي وآريا. لم يكن شيء ليحدث لولا آريا. والليلة لم يكن بإمكانها أن تكره جوفري، فقد كان أجمل من أن تستطيع كراهيته. كان يرتدي سترة ذات لون أزرق عميق مرصعة بصف مزدوج من رؤوس الأسود الذهبية، وأحاط بجبينه إكليل رفيع من الذهب والياقوت الأزرق. كان شعره لامعًا كالمعدن الذي يُكَلَّل، ورمقته ساسا مرتجفة خائفة من أن يتجاهلها أو أسوأ، أن يستحيل كriebها مرة أخرى ويجعلها تقوم من على المائدة باكية. بدلًا من هذا ابتسم جوفري ولثم يدها وقد بدا وسيمًا بأسلاً ككل أمير في الأغاني، وقال: «السير لوراس يُقدّر الحُسن حقًا يا سيدي الجميلة».

- «كان لطيفًا للغاية»، غمغمت بترددٍ محاولة أن تبقى هادئة متواضعة، وإن كان قلبها يُغني فعلًا. «السير لوراس فارس حقيقي. هل تعتقد أنه سيفوز غداً يا سيدي؟».

قال جوفري: «كلا، سوف يهزمه كربي، أو خالي چايمي ربما. وخلال سنوات قليلة، عندما أكون كبيرًا بما يكفي للاشتراك في التزل، سأهزمهم جميعًا». رفع يده ليستدعي خادمًا يحمل إبريقًا من النبيذ الصّيفي المثّلج وصبّ لها كأسًا، فنظرت بقلبي إلى السّبتة موردن، إلى أن مال جوفري وملا كأس السّبتة كذلك، فأومات رأسها وشكرته بكياسة ثم لم تقل كلمة أخرى.

أبقى الخدم الكؤوس ممتلئة طوال الأمسية، وإن لم تتذكر سائرا بعدها أنها تذوّقت النبيذ أصلًا. كانت ثملةً بسحر اللّيلة، تُدير رأسها كل

هذه الأبهة والفخامة، يفتتها الجمال الذي حلمت به طوال حياتها دون أن تجرؤ على الأمل في اختباره بنفسها يوماً. جلس المغنون أمام سُرادق المَلِك يملأون العُسق بأنغام الموسيقى، وكان هناك حاوٍ علق شلّالاً من الهَرَّاءات المحترقة في الهواء ببراعةٍ لافتة، بينما رقص مهرّج المَلِك -الغلام الأبله ذو الوجه المستدير الذي يُسمّونه فتى القمر- على ساقين خشبيتين طويلتين وقد ارتدى ثياباً مبهرجةً متعددة الألوان، وأخذ يُقلّد الجميع تقليداً هزلياً بقسوة جعلت سائراً تتساءل إن كان أبله حقاً. حتى السّبتة موردن كانت عاجزةً عن كتمان ضحكاتها أمامه، وعندما ردّد أغنيةً قصيرةً عن السّبتون الأعلى انفجرت ضاحكةً بقوةٍ اهتز لها جسدها حتى أنها سكبت نبيذها على ملابسها.

وكان جوفري تجسيدا للطف والرّقة. تكلم مع سائرا طوال الأمسية غامراً إياها بالمجاملات، يُضحكها ويتشارك معها قليلاً من نعيمة البلاط ويشرح لها نكات فتى القمر. كانت سائرا مأخوذةً تماماً حتى أنها نسيت كلّ ما تعلّمته عن تصرّفات كبار السيّدات، وتجاهلت السّبتة موردن الجالسة إلى يسارها تماماً.

حُطّت الأطباق ورُفِعت طوال الوقت... حساء ثخين من لحم الغزلان والشّعير، سلطات من العُشب السُّكري والسّبانخ والبرقوق رُشّت عليها المكسّرات المسحوقة، حلزونات بالثوم والعسل. لم تكن سائرا قد جرّبت أكل الحلزونات من قبل، فأراها جوفري كيف تُخرجها من القواقع وأطعمها أول لُقمةٍ منها بنفسه. ثم أتى سمك الترويت الطّازج من النّهر وقد طهي في أغلفةٍ من الصّلصال، وساعدها أميرها على كسر الغلاف الصّلب ليكشف عن لحم السّمك الأبيض شديد الطّراوة. وعندما قدّم طبق اللّحم، قدّمه لها بنفسه مقطعاً شريحةً من المفصل تليق بملكيّةه وابتسم وهو يضعها على طبقها. لاحظت من الطّريقة التي يتحرّك بها أن ذراعه لا تزال تؤلمه، لكنه لم يَنس بكلمة شكوى واحدة.

بعد ذلك جاء الخُبز الحُلُو وفطائر الحمام والتُّفَّاح المخبوز المعطر بالقرفة وكعكات اللَّيمون المغطاة بالسُّكَّر، لكن سانزا حينها كانت مُتخمةً تمامًا ولم تقوَ على أكل أكثر من كعكتي ليمون صغيرتين على الرغم من أن هذه كانت المفضلة لديها على الإطلاق. كانت تتساءل إن كانت تستطيع التهام كعكةٍ ثالثة عندما بدأ الملك يزعم.

مع كلِّ طبقي كان روبرت بصير أكثر صخبًا، ومن حينٍ إلى آخر كانت سانزا تسمعه يضحك أو يُلقِي أمرًا ما فوق الموسيقى وقعقة الأطباق وأدوات المائدة، لكن صوته كان بعيدًا عنها فلم تستطع أن تسمع ما يقوله. الآن كان الجميع يسمعون وهو يهدر بصوتٍ أغرق كلَّ الأصوات الأخرى: «لا!». صُدِمَت سانزا لمرأى الملك واقفًا على قدميه أحمر الوجه يترنح. كانت هناك كأس نبيذ في يده وثملاً لأقصى حد. صرَّخ في الملكة سرسي: «ليس من حقِّك أن تقولي لي ما أفعله أو لا أفعله يا امرأة. أنا الملك هنا، مفهوم؟ أنا الحاكم هنا، ولمَّا أقولُ إنني سأقاتل غداً، فسأقاتل غداً!».

كان الجميع يُحدِّثون، ورأت سانزا السير باريستان ورنلي شقيق الملك والرَّجل القصير الذي كلَّمها بالأسلوب العجيب إياه ومَسَّ شعرها، لكن لا أحد حاولَ التَّدخُّل. كان وجه الملكة قناعاً أبيض خالياً تمامًا من الدَّماء كما لو أنه منحوت من الجليد. نهَضت من مكانها ولملمت ثُورتها واندفعت مغادرةً بصمتٍ والخدم في أعقابها.

وضعَ چايمي لانستر يَدًا على كتف روبرت، لكن الملك أزاها بعُنف فتعثرَ لانستر وسقط. أطلقَ الملك ضحكةً ساخرةً وقال: «الفارس العظيم! ما زال بإمكانني إسقاطك في التُّراب، فتذكَّر هذا يا قاتِل الملك»، ثم قرعَ صدره بالكأس المحللةً بالجواهر ليتناثر النبيذ على سُترته. «أعطوني مطرقتي ولن يستطيع رجل في البلاد كلها الوقوف أمامي!».

نهَضَ چايمي لانستر ونفَضَ التُّراب عن نفسه وقال بصوتٍ جامد: «كما تقول يا جلالة الملك».

تقدّم اللورد رنلي مبتسمًا وقال: «لقد سكبت نبيذك يا روبرت. دعني آتي إليك بكأسٍ أخرى».

حدّثت سانزا فيهم بينما وضعَ جوفري يده على ذراعها وقال: «تأخّر الوقت». كانت هناك نظرة غريبة على وجهه كأنه لا يراها البتّة. «هل نحتاجين من يصحبكِ إلى القلعة؟».

- «لا»، قالت سانزا وهي تبحث بعينها عن السبّنة موردن، وأدهشها أن وجدتها وقد استقرّ رأسها على المائدة وأخذت تُطلق غطيظًا خفيضًا يليق بسيّدة رفيعة الشّأن! ثمّ إنها قالت: «أعني أن أقول نعم، شكرًا لك، سيكون هذا لطفًا بالغًا منك. إنني مُتعبّة والطّريق مظلم. سيسرّني أن تكون معي حماية».

صاحَ جوفري: «أيها الكلب!».

كان ساندور كليجاين تجسّد من قلب اللَّيل بسرعةٍ أدهشتها. كان قد خلَعَ درعه وارتدى مكانها سُترَةً من الصّوف طرَّرَ على صدرها رأس كلبٍ من الجِلد، وجعلَ ضوءَ المشاعل وجهه المحترق يلمع بلونٍ أحمر باهت. قال: «أمرك يا سمو الأمير».

قال جوفري بلهجةٍ فظة: «اصحب خطيتي إلى القلعة واعمل على ألاّ يُصيبها سوء»، ودون أن يُودّعها اندفعَ مغادرًا وتاركًا إياها هناك.

كانت سانزا تشعُر بعيني كلب الصّيد المسلّطين عليها، وقال لها ضاحكًا: «هل كنتِ تحسبين أن جوف سيصحبكِ بنفسه؟». كانت ضحكته كزمجرة كلبٍ في حلبة قتال. «مُستبعد تمامًا»، ثمّ سحبها إلى قدميها دون أن تُقاومه قائلاً: «هَلُمّي، فلسيّ الوحيدة التي تريد أن تنام. لقد شربتُ كثيرًا اللَّيلة، وقد أضطرُّ لأن أقتل أخي غدًا»، وضحك مجدّدًا. وجدت سانزا نفسها تشعُر بالرُّعب فجأةً، وهزّت كتف السبّنة موردن آملّة أن توقظها، لكنها غطّت بصوتٍ أعلى لا أكثر. وقتها كان المَلِك روبرت

قد غادرَ مترنِّحًا وخليَ يَصِفُ الذِّكْكَ بالفعل من الجالسين. لقد انتهت المأدبة ومعها انتهى الحُلم الجميل.

التقطَ كلب الصَّيْد مشعلًا لِيُنِيرَ طريقهما، وتبعته سائرا سائرة على مقربة منه. كانت الأرض صخرية غير مستوية، وجعلها الضَّوء المتذبذب تبدو كأنها تتحرك وتُبدِّل معالمها تحت أقدامهما. ظلَّت خافضةً عينيها متنبهةً لموطئ قدميها، وسارَ الاثنان بين السُّرَادِقَات التي غُلِّقَتْ راياتها ودروعها خارجها والصَّمْت يزداد ثقلًا مع كُلِّ خطوة. لم تكن سائرا تحتل منظره الذي كان يُخيفها كثيرًا، ولكنها تربَّت على أصول الأدب والكياسة، وقالت لنفسها إن الليدي الحقيقية لن تُلاحظ وجهه، ثم جعلت نفسها تقول: «لقد قاتلت ببسالة اليوم يا سير ساندور».

زمرَّ ساندور كليجايين قائلاً لها: «اعفني من مجاملاتك الفارغة يا فتاة... ومن لقب "سير" هذا. إني لستُ فارسًا، وأبصقُ عليهم وعلى نذورهم. أخي هو الفارس. هل رأيته اليوم؟»
همست مرتجفةً: «أجل، لقد كان...»
- «... بأسلاً؟»

أدركت أنه يتهمك عليها، وأخيرًا استطاعت أن تقول شاعرةً بالفخر بنفسها: «لا أحد استطاع الوقوف أمامه... ولم تكن تكذب»
توقَّف ساندور كليجايين فجأةً في منتصف حقلٍ خاوٍ مظلم، فلم يكن لديها خيار سوى التوقُّف بدورها، وقال: «سِبتُهُ ما دربتك جيِّدًا. إنك كواحدٍ من تلك الطُّيور من جُزر الصَّيْف، أليس كذلك؟ طائر صغير جميل متكلم، يُرَدِّد كُلَّ الكلمات الصغيرة الجميلة التي درَّبوه عليها».
قالت سائرا شاعرةً بقلبها يخفق بعُنفٍ في صدرها: «هذه فظاظة منك. إنك تُخيفني، وأريد أن أذهب الآن».

- «لا أحد استطاع الوقوف أمامه!»، ردَّد ساندور بصوته المبحوح.
«هذا صحيح فعلاً. لا أحد يستطيع الوقوف أمام جريجور. ذلك الصَّبي

اليوم في نزاله الثاني، آه، شيء جدير بالإعجاب. لقد رأيت، أليس كذلك؟ صبيٍّ أحمر، لم يكن من شأنه أن ينضمَّ إلى صُحبة كنتلك. لا مال، لا مُرافق، لا أحد يُساعده على وضع وخلع درعه. وافي العنق لم يكن مشدودًا على النُحو الصَّحيح. هل تحسبن أن جريجور لم يلاحظ هذا؟ تحسبن أن رُمح السير جريجور اخترقَ عُنق الصَّبي مصادفةً، أليس كذلك؟ فتاة صغيرة جميلة تتكلَّم وتكلَّم... لو كنتِ تُصدِّقين هذا فأنتِ فارغة الرأس كطائرٍ فعلاً. رُمح جريجور يخترق ما يرغب جريجور في اختراقه. انظري إليَّ... انظري إليَّ!»، ووضع ساندور كليجاين يده تحت ذقنها وأجبرها على رفع وجهها إليه، ثم إنه جثمَ أمامها وقرب المشعل وقال: «ها هو شيء جميل تتطلَّعين إليه. انظري كما شئتِ، أنا وأنتِ نعرف أنكِ تريدين هذا. لقد رأيتكِ تشيحين ببصركِ بعيدًا طوال رحلتنا على طريق الملوك. سُحقًا لهذا. انظري».

كانت أصابعه مُطبَّقةً على فكِّها السُّفلي كإبريم حديدي، وراقبتها عيناه... عينان ثملتان مفعمتان بالغضب. ونظرت سائرا.

كان الجانب الأيمن من وجهه ضاويًا معروفًا ذا عظم وجنَّة حادَّة وعين رماديَّة تحت حاجبٍ كثيف، أنفه كبير معقوف وشعره أسودَّ خفيف، وإن كان قد تركه يطول وصفَّفه إلى جانب واحد، لأن لا شعر كان ينمو على الجانب الآخر. أمَّا جانب وجهه الأيسر فكان خرابًا. كانت أذنه قد احترقت تمامًا فلم يبقَ منها إلَّا نُقب، وعينه لم تزل سليمةً، وإن كان كلُّ شيء من حولها كتلة خربة من النُدوب واللَّحم الأسود القاسي كالجلد، شاعت فيه الحُفر والشُّقوق التي كانت تتوهَّج باللُّون الأحمر وتبدو مبتلةً عندما يتحرَّك. عند فكِّه كان بإمكانك أن ترى شيئًا من العظم حيث احترق اللَّحم بالكامل.

بدأت سائرا تبكي فتخلَّى عنها وغرس المشعل في التُّراب قائلاً:

«لا كلمات جميلة؟ لا مجاملات صغيرة علّمتك السّبتة إياها؟». عندما لم تأتِ إجابة منها تابع: «يعتقد معظمهم أنها كانت معركة ما، حصار، بُرج محترق، خصم ما يحمل مشعلًا. ثمّة أحرق سألني إن كانت أنفاس التّنين هي السّبب». كانت ضحكته أرقّ هذه المرّة وإن امتلأت بمرارة لا ريب فيها. «سأحكي لك ما حدث يا فتاة». الصّوت يأتي من جوف اللّيل، والظّل يميل عليها على مقربة شديدة حتى أنها شمّت رائحة النّبذ التي أفعمت أنفاسه. «كنتُ أصغر من ستّة أعوام أو ربما سبعة. كان هناك حفار خشب قد أقام دكانه في القرية التّابعة لقلعة أبي، وكى ينال الرّضا كان يُرسل لنا هدايا. كان يصنع لعبًا رائعة بحق. لا أذكرُ ماذا تلقّيتُ لكني أذكرُ أنني أردتُ هديّة جريجور. كانت فارسًا خشبيًا مطلقًا، وكل مفصل محفور على حِدّة ومثبت بخيوط كي يُمكنك تحريكه كأنه يُحارب. جريجور يكبرني بخمسة أعوام، واللّعبة لا تعني شيئًا له، فقد كان مُرافق فارس بالفعل، يبلّغ نحو ستّة أقدام طولًا وبارز العضلات كالثور. هكذا أخذتُ فارسه، لكن دعيني أوكدُ لك أنني لم أشعر بأيّ بهجة. كنتُ خائفًا طوال الوقت، وبالفعل عثر عليّ جريجور ومعى لعبته. كان هناك مُستوقّد في الغُرفة. لم يقل جريجور شيئًا، ولا كلمة واحدة، بل حملني تحت ذراعه ودفع جانب وجهي في الجمار المحترقة وثبّني في مكاني وأنا أصرخ وأصرخ. لقد رأيت كم هو قوي. حتى وقتها تطلّب الأمر ثلاثة رجال كبار لجرّه بعيدًا عني. السّبتونات يعظوننا عن الجحائم السّبع، لكن ما أدرهم حقًا؟ فقط الرّجل الذي تعرّض للحرق يعرف معنى الجحيم الحقيقي. قال أبي للجميع إن النّار أمسكت بفراشي، وأعطاني ما يسترنا زيوتًا... زيوتًا! جريجور أيضًا حصل على زيوته. بعد أربع سنواتٍ مرّخوه بالزيوت السّبعة وردّد هو نذور الفرسان ونقر ريجار تارجارين على كتفه بسيفه وقال: "انهض يا سير جريجور"».

صمّت صوته الأجلّس وجثمّ بلا كلام أمامها كشبح أسود ضخم يكتفه

اللَّيْلَ فَيَتَوَارَى عَنْ عَيْنَيْهَا. كَانَتْ سَانِزَا تَسْمَعُ أَنْفَاسَهُ الْخَشْنَةَ، وَأَدْرَكَتْ أَنَّهَا تَشْعُرُ بِالْحُزْنِ مِنْ أَجْلِهِ، وَيَشْكَلُ مَا غَابَ خَوْفُهَا.

اسْتَمَرَّ الصَّمْتُ وَاسْتَمَرَّ لَفْتَرَةٌ طَوِيلَةٌ حَتَّى أَنَّهَا بَدَأَتْ تَشْعُرُ بِالْخَوْفِ يَنْتَابُهَا مِنْ جَدِيدٍ، لَكِنِّهَا كَانَتْ خَائِفَةً عَلَيْهِ الْآنَ وَلَيْسَ عَلَى نَفْسِهَا. وَضَعَتْ يَدَهَا عَلَى كَتِفِ الضَّخْمَةِ وَهَمَسَتْ لَهُ: «لَمْ يَكُنْ فَارِسًا حَقِيقِيًّا».

أَلْقَى كَلْبُ الصَّيْدِ رَأْسَهُ إِلَى الْوَرَاءِ وَأَطْلَقَ ضَحْكَةً مَدَوِيَّةً، فَتَرَاوَعَتْ سَانِزَا إِلَى الْخَلْفِ مَتَعَثِّرَةً لَكِنِّهَ أَمْسَكَ ذَارِعَهَا وَدَمَدَمَ: «نَعَمْ، نَعَمْ أَيْتُهَا الْعَصْفُورَةُ الصَّغِيرَةُ، لَمْ يَكُنْ فَارِسًا حَقِيقِيًّا».

لَمْ يَقُلْ سَانِدُورُ كَلِيجَايْنِ شَيْئًا آخَرَ طَوَالَ الطَّرِيقِ إِلَى الْمَدِينَةِ. قَادَهَا إِلَى حَيْثُ كَانَتْ الْعَرَبَاتُ تَنْتَظِرُ، وَقَالَ لِلْحُودِي أَنْ يَأْخُذَهُمَا إِلَى الْقَلْعَةِ الْحُمْرَاءِ، ثُمَّ صَعَدَ وَرَاءَهَا. تَحَرَّكَتِ الْعَرَبَةُ بِهِمْ بِصَمْتٍ عَبْرَ بَوَابَةِ الْمَلِكِ وَخِلَالَ شَوَارِعِ مَضَاعٍ بِالْمَشَاعِلِ، ثُمَّ فَتَحَ سَانِدُورُ الْبَابَ الْجَانِبِيَّ وَقَادَهَا إِلَى دَاخِلِ الْقَلْعَةِ وَوَجْهَهُ الْمَحْتَرِقُ يَرْتَعَشُ وَالْكَأَبَةُ فِي عَيْنَيْهِ، وَكَانَ وَرَاءَهَا بِخَطْوَةٍ وَهْمَا يَصْعَدَانِ دَرَجَاتِ الْبُرْجِ، ثُمَّ قَادَهَا إِلَى الرَّوَّاقِ الَّذِي تَقَعُ فِيهِ غُرْفَةُ نَوْمِهَا.

قَالَتْ سَانِزَا ابْوَ دَاعَةَ: «أَشْكُرُكَ يَا سَيِّدِي».

أَطْبَقَ كَلْبُ الصَّيْدِ عَلَى ذِرَاعِهَا وَمَالَ عَلَيْهَا فَائِلًا بِصَوْتٍ أَكْثَرَ خَشُونَةً مِنَ الْمَعْتَادِ: «مَا حَكِيَّتُهُ لَكَ اللَّيْلَةَ، إِذَا أَخْبَرْتِ چُوفَرِي، أَوْ أَخْتَكِ، أَوْ أَبَاكَ... أَيِّ أَحَدٍ...».

هَمَسَتْ: «لَنْ أَفْعَلَ، هَذَا وَعْدٌ».

لَمْ يَكُنْ هَذَا كَافِيًا، فَاتَمَّتْ عِبَارَتُهُ قَائِلًا: «إِذَا أَخْبَرْتِ أَحَدًا، أَيِّ أَحَدٍ، سَأَقْتُلُكَ».



إدارد

- «لقد سهرتُ إلى جواره بنفسي ليلة أمس»، قال السير بارستان سلمى وهما يقفان عند الجثة المسجاة في مؤخرة العربة. «لم يكن لديه أحد آخر. لديه أم في "الوادي" كما قيل لي».

في نور الفجر الشاحب بدا الفارس الشاب كما لو أنه نائم. لم يكن وسيماً، لكن الموت بشكل ما جعل ملامحه أقل حدة، بينما كانت الأخوات الصّامات قد ألبسنه أفضل سُرّة مخملية لديه، مع ياقة عالية تُغطّي الدّمار الذي أحدثه الرّمح في رقبته. تطلّع إدارد ستارك إلى وجهه، وتساءل إن كان لموت الصّبي علاقة به. لقد قُتل على يد أحد حملة راية لانستر قبل أن ينال ند فرصة الكلام معه، فهل من الممكن أن تكون هذه أكثر من مجرد مصادفة؟ فكّر أنه لن يعرف الإجابة أبداً.

واصل سلمى: «هيو كان مُرافق جون آرّن لأربعة أعوام، ونصّبهُ المَلِك فارساً قبل رحيله إلى الشّمال تكريماً لجون. كان الغلام يرغب في هذا بشدّة، لكنني أخشى أنه لم يكن مستعداً».

كان نوم ند مضطرباً اللَّيلة السّابقة، وكان يشعُر بالتعب كأن سنوات عُمره تضاعفت مراراً. قال: «لا أحد منا يكون مستعداً أبداً».

- «للفروسية؟»

- «للموت»، قال ند وغطّى جُثمان الصّبي بمعطفه الأزرق ذي الأهْلّة الذي لطّخته الدّماء، مفكّراً بمرارة أنهم سيُجيبونها بأنه كان يُقاتل على

شرف إدارد ستارك يَدَ المَلِك عندما تسأل أمه لماذا مات ابنها. «لم يكن هناك داع لهذا. الحرب ليست لعبة». التفت إلى المرأة الواقعة إلى جوار العربية، التي كانت تكتسي بالرّمادي وتُخفي وجهها فلا يتبدّى منه غير عينيها. الأخوات الصّامتات يُجهّزن الموتى للقبر، ومن سوء الطّالع أن تنظر إلى وجه الموت. «أرسلوا درعه إلى "الوادي"، فلا شك أن أمه سترغب في الاحتفاظ بها».

قال السير بارستان: «إنها تستحقّ قدرًا لا بأس به من الفضة. لقد طلب الصّبي دفعًا خصبًا من أجل الدّورة. عمل بسيط لكن جيّد. لا أدري إن كان قد دفع ثمنها كاملاً للحدّاد بعد».

أجاب ند: «لقد دفع بالأمس يا سيّدي، ودفع ثمنًا باهظًا، ثم قال للأخت الصّامته: «أرسلوا الدّرع لأمه وساتولّى أنا أمر الحدّاد»، فحنت رأسها.

بعدها سار السير بارستان مع ند إلى سُرادق المَلِك، وكانت الحركة قد بدأت تدبّ في المخيم. تصاعد أزيز الدّهن من قطع السّجق السّمينه التي تُشوى فوق حُفر النّار لتُبلّ الهواء بروائح الثّوم والفلفل، وهُرع مُرافقو الفرسان هنا وهناك ليقوموا بأعمالهم المختلفة وقد استيقظ سادتهم متائبين متمطّئين في مستهلّ اليوم الجديد، وانحنى خادم ما يحمل إوزة تحت ذراعه حين رآهما مغمغمًا: «سيّداي»، بينما أخذت الإوزة ترتبط وتنفّر أصابعه. كانت الدّروع المعروضة خارج كلّ خيمة تُعلِن عن هويّة شاغلها: نسر سيجارد الفضيّ، حقل برايس كارون المليء بالبلابل، عنقود عنب ردواين، الخنزير البرّي المخطّط بالرّمادي، الثور الأحمر، الشّجرة المضطّرمه، الحَمَل الأبيض، اللّولب الثلاثي، وحيد القرن الأرجواني، العذراء الرّاقصة، الأفعوان الأسود، البرّجان الثّوم، البومة ذات القرنين، وأخيرًا أوسمة الحرس المَلكي ناصعة البياض التي تتألّق كالفجر.

- «الملك بنوي الاشتراك في الالتحام الجماعي اليوم»، قال السير بارستان وهما يُمْران بترس السير مرين الذي شوّه طلاءه شقٌّ عميق من جرّاء رُمح السير لوراس تايرل الذي حطّم الخشب وهو يُسقطه عن سرجه البارحة.

قال ند عابسًا: «نعم». كان چوري قد أيقظه ليلة أمس ليُبلغه الخبر، فلا عجب هنالك إذن أن نومه كان قلقًا لهذه الدرّجة.

كانت ملامح السير بارستان متوتّرة وهو يقول: «يقولون إن كلام اللّيل يمحوه النّهار، وأبناء الخمر يُنكّروهم ذوهم في نور الصّبح».

- «هذا ما يقولونه، لكنه لا ينطبق على روبرت». قد يُعيد رجل آخر النّظر إلى ما قاله متباهيًا وهو ثمل، لكن روبرت باراثيون سيتذكّر، وعندما يتذكّر فلا سبيل لردّه.

كان سُرادق الملك منصوبًا بالقرب من الماء، وغلّفه سديم الصّباح القادم من النّهر بطبقة رقيقة من الرّمادي. كان مصنوعًا كله من الحرير الذهبي، أكبر وأفخم بناءً في المخيم كله. خارج المدخل كانت مطرقة روبرت الحربيّة معروضة إلى جوار ترس حديديّ ضخّم مزين بوعل باراثيون المتوّج. كان ند يأمل أن يجد الملك ما زال نائمًا وقد اكتنفته غيبوبة الخمر، لكن الحظّ لم يكن حليفه، فقد وجد روبرت يشرب البيرة من قرني مصقول ويهدر مستاءً في وجه مُرافقين شابين يُحاولان تثبيت أبايزم دِرعه حول جسده. كان أحدهما يقول وهو على وشك الانفجار باكياً: «يا جلالة الملك، إنها صغيرة جدًّا، لن تنغلق»، وحاول مرّة أخيرة بارتباك، لكن واقى العنق الذي كان يُحاول تثبيته حول رقبة روبرت الثّخينة سقط أرضًا.

هدر روبرت: «بحقّ الجحائم السّبع! هل يجب أن أفعلها بنفسِي؟ نَبًا لكما معًا! ارفعها من على الأرض، لا تقف مُحدّقًا هكذا كالأبله يا لانسِل، ارفعها!». وثب الصّبي من مكانه، ولاحظ الملك وجود ند

وسلمي، فقال: «انظر إلى هذين المغفلين يا ند. زوجتي أصرت على أن يكونا مُرافقين لي، وها هما أقل فائدة من حَجَر، لا يستطيعان تثبيت درع رجل حول جسده كما ينبغي. يقولان إنهما مُرافقان، وأقول إنهما مربيا خنازير يرتديان الحرير».

كان ند يحتاج نظرة واحدة فقط ليدرك ما هنالك، وقال: «لا لوم على الصَّيَّين. أنت بدين جدًّا بالنسبة لدرعك يا روبرت».

أخذ روبرت باراثيون جرعة طويلة من البيرة، ثم ألقى القرن الفارغ على غطاء فراشه المصنوع من الفرو ومسح فمه بظهر يده، وقال عابسًا: «بدين؟ بدين؟ حقًا؟ أهكذا تُخاطب ملكك؟»، ثم أطلق ضحكة مفاجئة كالعاصفة واستطرد: «آه، عليك اللعنة يا ند، لماذا تكون على حق دائمًا؟». ابتسم المُرافقان بعصبية حتى التفت إليهما المَلِك وقال: «أنتما، نعم، أنتما الاثنان، لقد سمعتما ما قاله اليَد، المَلِك أبدن من أن يرتدي درعه. اذهبا وجدا السير أرون سانتاجار وقولا له إنني أريدُ مشدًّا واقِي الصَّدر. الآن! ماذا تنتظران؟!». تعثر الصَّيَّان في بعضهما البعض في خضم هروعهما مرتبكَيْن من الخيمة، وحافظ روبرت على صرامة ملامحه إلى أن خرجا، ثم ارتمى في مقعده وجسده كله يهتز ضحكًا، واشترك السير باريستان سلمي معه في الضحك، وحتى إدارد ستارك رسم ابتسامة على وجهه، وإن لم تُفارقهُ الأفكار القاتمة لحظة. لقد لاحظ المُرافقين الشَّابين؛ صيَّان وسيمان هما، قوبًا البنية ورشيqa الحركة، أحدهما في عُمر سائزا له شعر ذهبيٌّ طويل، والآخر في نحو الخامسة عشر تقريبًا، شعره بلون الرَّمال وله شارب خفيف جدًّا وعينان بلون عيني المَلِكة الأخضر الزُّمردي.

قال روبرت: «آه، ليتني كنتُ هناك لأرى وجه سانتاجار. أتمنى أن يملك ما يكفي من حسِّ دُعابة ويُرسَلهما إلى أحدٍ آخر. يجب أن نجعلهما يجريان من مكانٍ إلى مكانٍ طوال اليوم!».

سأله ند: «هذان الصَّيَّان، أهما من عائلة لانستر؟».

أوما روبرت برأسه إيجاباً وهو يُجَفِّف دموعه، وقال: «من أبناء العمومة، ابنا أحد إخوة اللورد تاويين اللذين ماتا، أو ربما الأخ الحي على ما أعتقد. لا أدري بالضبط. زوجتي آتية من عائلة كبيرة للغاية يا ند كما تعلم».

وعائلة طموح للغاية. لم يكن يملك شيئاً ضدَّ المُرافقين الشَّابين، وإنَّ أزعجه أن يرى روبرت مُحاطاً بأقرباء المُلَكة في صحوه ونومه. يبدو أن شهرته للمناصب والجاه لا تعرف حدوداً. «يقولون إنك تبادلت بضع كلماتٍ غاضبةٍ مع المُلَكة ليلة أمس».

انقلبَ المرح إلى امتعاضٍ على وجه روبرت وهو يقول: «المرأة حاولت منعي من القتال في الالتحام الجماعي. إنها تتميزُّ غيظاً في القلعة الآن، عليها اللعنة. لم تكن أختك لتُحرِّجني على الملأ هكذا أبداً».

قال ند: «أنت لم تعرف ليانا كما عرفتُها أنها يا روبرت. لقد رأيت جمالها وليس الحديد الذي تحته. هي أيضاً كانت لتقول إن لا مكان لك في الالتحام الجماعي».

عقدَ المَلِكُ حاجبيه قائلاً: «أنت أيضاً؟ إنك رجل نكد يا ستارك، والزَّمن الطَّويل الذي قضيته في الشَّمال جَمَدٌ عَصَاة الحياة في داخلِك، أما أنا فُعصارتني لا تزال تجري!»، وقرع صدره كدليلٍ على ما يقول.

- «أنت المَلِك».

- «إنني أجلسُ على الكرسي الحديدي اللَّعين عندما أضطُرُّ، فهل يعني هذا أنني لا أشتهي ما يشتهيهِ بَقِيَّة الرِّجال؟ بعضاً من النَّيذ من الحين للآخر، فتاةٌ تتلوَّى في فراشي، الإحساس بحصانٍ بين ساقَيَّ؟ بحقَّ الجحائم السَّبع يا ند، أريدُ أن أضرب أحدهم!».

تدخَّل السير بارستان سلمي قائلاً: «جلالة المَلِك، ليس من اللَّائق أن

يشترك المَلِك في الالتحام الجماعي، لأنها لن تكون منافسةً عادلةً حينئذٍ، فمن سيجرؤ على ضربك؟».

بدا روبرت مندھشاً حقاً وهو يقول: «أيهم... كلهم... إذا استطاعوا، وآخر رجلٍ يظلُّ على قدميه...».

- «... سيكون أنت»، أتمَّ ند العبارة وقد رأى في الحال أن المَنَاسِ المُسِنَّ قد أصابَ الهدف. مخاطر الالتحام الجماعي كانت شيئاً يستمتع به روبرت حقاً، لكن التعلُّيق الأخير مَسَّ كبرياءه. «السير باريستان على حق، فليس هناك رجل في المَمالِك السَّبع بأسرها سيُخاطِرُ بإثارة غضبك عليه بأن يضربك».

نهَضَ المَلِك وقد احمرَّ وجهه وقال: «هل تقول لي إن هؤلاء القُرود الجبناء سيتركونني أفوز؟».

- «بكلِّ تأكيد»، أجابَ ند بينما حنى السير باريستان رأسه موافقاً بصمت.

للحظّاتِ كان روبرت أكثر غضباً من أن يتكلَّم، وذرعَ الخيمة بخطواتٍ واسعةٍ ثم دارَ على عقبيه وذرعها مرّةً أخرى ووجهه مسوّدٌ من فرط الغضب. ثم إنه التقطَ واقي الصّدر من على الأرض وقذفه على باريستان سلمى بثورة صامتة، فتفاداه ببساطة، ثم قال المَلِك ببرود: «اخرج، اخرج قبل أن أقتلك».

غادرَ السير باريستان مسرعاً، وكان ند على وشك أن يتبعه، إلّا أن روبرت قال: «ليس أنت يا ند».

التفتَ ند إليه، بينما التقطَ روبرت القرن وملاه بالبيرة من البرميل الموضوع في رُكن الخيمة، ثم ألغاه إلى ند وقال بلهجةٍ جافّة: «اشرب».

- «لا أشعرُ بالظَّم...».

- «قلتُ اشرب. هذا أمر من مَلِكك».

التقطَ ند القرن وارتشفَ منه. كانت البيرة سوداء ثخينّة وقويّة اللغاية

لدرجة أن عيناه دمعتا. عادَ روبرت يجلس وقال: «تَبَّ لك يا ند ستارك. لقد أحببتك حقاً أنت وچون آرن، فماذا فعلتما بي؟ كان يَجْدُر بك أن تكون أنت المَلِك، أنت أو هو».

- «أحقيتك كانت أقوى يا جلالة المَلِك».

- «قلتُ لك أن تشرب لا أن تُجَادِلني. لقد جعلتني مَلِكًا، فعلى الأقل تحلّ بالكياسة وأصغ لي عندما أتكلّم، عليك اللّعة. انظر إليّ يا ند، انظر إلى ما فعلته المَلِكِيَّة بي. أبدين من أن أرندي دِرعي بحقّ الآلهة، كيف وصلت الأمور لهذا الحد؟».

- «روبرت...».

- «اشرب واخرس، فالَمَلِك يتكلّم. أقسمُ لك أنني لم أكن حيّاً مثلما كنتُ وأنا أربحُ العرش، أو ميتاً كما أنا الآن وقد ربحتَه بالفعل. وسرسي... الفضل في هذا يعود إلى چون آرن. لم تكن لديّ رغبة في الزّواج بعد أن سُلِبَت ليانا مني، لكن چون قال إن البلاد في حاجة إلى وريث، قال لي إن سرسي لانستر ستكون مناسبةً لي جدّاً، إنها سترُبُط اللورد تاويين بي إذا حاولَ فسيرس تارجارين أن يستعيد عرش أبيه في يوم ما»، وهَزَّ المَلِك رأسه ثم تابع: «لقد أحببتُ هذا الرّجل، أقسمُ لك، لكنّي أعتقدُ الآن أنه كان أكثر بلاهةً من فتى القَمَر. صحيحُ أن سرسي فاتنة حقّاً والتطلعُ إلى مُحَيّاها يسرُّ الأبصار، لكنها باردة... الطّريقة التي تحمي بها فرجها توحى لك بأنها تدّخر ذهب كاسترلي روك كله بين ساقِها. أعطني هذه البيرة طالما أنك لن تشربها»، والتقطَ القرن من ند وأفرغَه في معدته، ثم تجسّأ ومسحَ فمه. «أنا آسفٌ حقّاً لما حدثَ لابتك يا ند، أعني ما حدثَ مع الذّئبة. ابني كان يكذب وأراهنُ بروحي على هذا. ابني... أنت تُحبُّ أبناءك، أليس كذلك؟».

قال ند: «من كلّ قلبي».

- «دعني أخبرك بسرّاً يا ند. لقد حلمتُ أكثر من مرّةٍ بالتخلّي عن

العرش، بأن أستقلَّ سفينةً إلى المُدن الحرَّة ومعي حصاني ومطرقتي، أقضي وقتي في القتال ومُضاجعة النساء لا أكثر، فهذا ما خُلِقْتُ لأفعله. المَلِك المُرْتَرَق... سيحبُّ المغنُّون هذا كثيرًا. أوتدري ما يمني؟ فكرة جلوس جوفري على العرش وسرسي واقفة وراءه تهمس في أذنه. ابني... كيف أنجبْتُ ابنًا كهذا يا ند؟».

قال ند بارتباك: «إنه مجرَّد صبي». لم يكن يحمل وُدًا كثيرًا للأمير جوفري، لكن الألم كان جليًّا له في نبذة روبرت. «هل نسيت كم كنت جامحًا وأنت في سنِّه؟».

- «لم يكن ليُلقيني أن يكون الصَّبي جامحًا يا ند، لكنك لا تعرفه مثلي»، وتنهَّد وهزَّ رأسه من جديد مضيئًا: «آه، لكنك قد تكون محقًا. لقد يشَّ جون من ترويسي، لكنني كبرتُ وصرتُ ملكًا صالحًا»، ثم رمق ند وقال ساخرًا من صمته: «يُمكنك أن تتكلَّم وتوافقني الآن كما تعلم». غمغم ند بحذر: «جلالة المَلِك...».

صفَّه روبرت على ظهره وقال: «آه، قلْ إنني مَلِك أفضل من إيرس وافرُغ من الأمر. إنك لا تكذب أبدًا يا ند ستارك، لا من أجل الحبِّ ولا الشرف. إنني ما زلتُ صغيرًا، والآن وقد صرت معي هنا ستختلف الأوضاع. معًا سوف نجعل هذا حُكمًا يليق بالأغاني، وليذهب آل لانستر إلى الجحائم السَّبع. أشمُّ رائحة اللَّحم المقدَّد. من تحسبه سيكون بطلنا اليوم؟ هل رأيت ابن مايس تايرل؟ يُسمُّونه فارس الزُّهور. هذا ابن يفخر المرء به حقًا. في الدَّورة السَّابقة أسقطَ قاتِل المَلِك على مؤخرته الدَّهبيَّة. ليتك رأيت النُّظرة على وجه سرسي يومها. لقد ضحكْتُ حتى آلَمَني ضلوعي. رنلي يقول إن له أختًا، فتاة في الرَّابعة عشر، جميلة كالْفَجَر».

أفطرا معًا على العُزْب الأسمر وبيض الإوز المسلوق والسَّمَك المحمَّر بالبصل واللَّحم المقدَّد وقد جلسا إلى مائدةٍ عاليَّة على حافة النَّهر مباشرة. تبدَّدت كآبة المَلِك مع ضباب الصُّباح، وسرعان ما كان

روبرت يلتهم برتقالةً ويتكلّم بحنينٍ عن نهارٍ في "العُش" عندما كانا صبيّين. «... وأعطى جون برميلاً من البرتقال، هل تذكُر؟ لكنه كان قد تعفّن، فالقيتُ برتقالي عبر المائدة وأصبتُ داكس في أنفه. هل تذكُر مُرافق ردفورت ذا الوجه المجذور؟ ثم إنه ألقى برتقالةً عليّ بدوره، وقبل أن يستطيع جون أن يُخرج فساءً حتى كان البرتقال يتطاير في كلّ أنحاء القاعة العالية»، وضحك بصخبٍ شديد، وحتى ند نفسه ابتسم وهو يتذكّر.

هذا هو الصّبي الذي ترعرع معه، هذا هو روبرت الذي يعرفه ويُحبّه. إذا استطاع أن يُثبت أن آل لانستر كانوا وراء الهجوم على بران، إذا استطاع أن يُثبت أنهم قتلوا جون آرن، فسوف يُصغي هذا الرّجل إليه. عندئذٍ ستسقط سرسي ومعها قاتل المَلِك، وإذا جرّو اللورد تاويين على استنفار الغرب للحرب، سيسحقه روبرت كما سحق ريجار تارجارين في معركة الثالوث. كان يرى كلّ هذا بجلاء تامّ أمامه.

كان مذاق الإفطار أفضل من أيّ شيء تناوله إدارد ستارك منذ فترة طويلة، وبعده تسلّلت السمات إلى شفّته بيسرٍ أكبر، إلى أن حان الوقت لاستئناف الدّورة.

مشى ند مع المَلِك إلى المضمار، فقد وعد سائزاً بأن يُشاهد المباريات الأخيرة معها. كانت السّبتة موزّدة متوعّكة اليوم، وابته مُصرّةً على ألا تفوتها نهاية المباريات. لاحظَ عندما اصطحبَ روبرت إلى مجلسه أن سرسي لانستر قد اختارت عدم الظّهور اليوم. كان المقعد المجاور للمَلِك خالياً، ما أعطاه المزيد من الأمل.

شقّ طريقه إلى حيث كانت ابته جالسةً، ووجدّها بينما كانت الأبواق تُعلن عن النّزال الأول لليوم. كانت سائزاً مستغرقةً تماماً في المشاهدة حتى أنها لاحظت مجيئه بالكاد.

كان ساندور كليجاين أول من ظهر، وقد ارتدى معطفاً باللون الأخضر

الزيتوني فوق درعه السوداء كالسناج. كان هذا، بالإضافة إلى خوذته ذات شكل رأس كلب الصيد، ما يعتبره زينة.

- «مئة تين ذهبي على قاتل الملك»، قال الإصبع الصغير بصوت مسموع بينما دلف چايبي لانستر إلى المضمار راكباً حصاناً قوياً أنيقاً ذا لون أحمر كالنحاس يرتدي غطاءً من الحلقات المعدنية المذهبة، بينما تألق چايبي كالعادة من رأسه إلى كعبه. حتى رُمحه كان مصنوعاً من خشب جُزر الصيف الذهبي.

أجابته اللورد رنلي صائحاً: «اتفقنا. كلب الصيد يبدو شيقاً للقتال هذا الصباح».

قال الإصبع الصغير بجفاف: «حتى الكلاب الجائعة تعرف أنه لا ينبغي أن تُعض اليد التي تُطعمها».

أسقط ساندور كليجاين مقدّمة خوذته على وجهه برنين مسموع وأتخذ موضعه، بينما ألقى السير چايبي قبلةً في الهواء لامرأة ما بين الجماهير، ثم خفض مقدّمة خوذته برفق وتحرك بحصانه إلى طرف المضمار الآخر؛ وسدّ كلا الرجلين رُمحه.

لم يكن ند ستارك يحب شيئاً أكثر من أن يرى كلاهما يخسر، لكن سانزا كانت تُشاهد بانهماكٍ وشغفٍ كاملين، واهتزّت المنصة التي كانوا قد نصبوها سريعاً عندما انطلق الحصانان يعدوان. مأل كلب الصيد إلى الأمام على متن حصانه ورُمحه ثابت كصخرة، إلّا أن چايبي غير موضعه برشاقة يُحسد عليها في اللحظة السابقة للارتطام مباشرة، واحتك سن رُمح كليجاين بالترس الذهبي ذي رمز الأسد دون أن يمسه بسوء، بينما ضرب رُمح لانستر ترسه مباشرة فتحطّم الخشب وتراجع حصان كلب الصيد رافعاً قائمته الأماميتين وراكبه يُكافح للسيطرة عليه والبقاء على متنه. أطلقت سانزا شهقة ودوّت هتافات الجمهور، وصاح الإصبع الصغير مخاطباً رنلي: «تُرى فيم سأنفق نقودك؟». بالكاد استطاع كلب

الصَّيْد البقاء فوق سَرَجِه، وركز حصانه بقوةً دائِراً به إلى طرف المضمار من أجل الجولة الثانية، بينما ألقى چایمی لانستر رُمحه المكسور بعيداً والتقطَ واحداً جديداً وهو يُلقي دعابةً على مُرافقه. ثم انطلقَ كلب الصَّيْد بحصانه مسرعاً من جديد وكذا فعلَ چایمی ليلقاه، وهذه المرة عندما غيّر چایمی موضعه في اللَّحظة الأخيرة تحرَّك ساندور كليجاين معه، وتفجَّر الرُّمُحان في آنٍ واحد، ولما انزاح الغُبار والسُّطَايا كان ثَمَّةُ حصان بلون النُّحاس الأحمر بلا راكبٍ يتعدّ بحثاً عن عُشبٍ يأكله، بينما تدحرج السير چایمی لانستر على الأرض.

قالت سانزا: «كنتُ أعرفُ أن كلب الصَّيْد سيربح».

سمِعها الإصبع الصَّغير فصاح لها: «إذا كنتِ تعرفين من سيربح في المباراة الثانية، فقولِي الآن قبل أن يأتي اللورد رنلي على مالي كله»، وابتسمَ ند.

قال اللورد رنلي: «من المؤسف أن العِفريت ليس معنا الآن. كنتُ لأربح المبلغ مضاعفاً».

كان چایمی لانستر قد نهَض من جديد، إلّا أن خوذته الذَّهبيَّة المزخرفة ذات شكل رأس الأسد كانت انبعجت بشدَّة مع سقوطه، والآن كان لا يستطيع خلعها عن رأسه. كان العائمة يصيحون ساخرين ويُشيرون، بينما حاولَ اللوردات والليديها كَتَمَ ضحكاتهم بلا طائل؛ وفوق كُلِّ الأصوات الأخرى سمعَ ند ضحكات المَلِك روبرت المتفجِّرة. في النِّهاية اضطرُّوا لقيادة أسد لانستر معيماً متعثراً إلى الحداد كي يخلع الخوذة.

الآن كان السير جريجور كليجاين قد اتَّخذ مكانه في المضمار. كان ضخَم الجثَّة حقاً، أكبر رجلٍ رآه إدارد ستارك في حياته. كان روبرت باراثيون وأخواه رجالاً كبار الحجم، وكذلك كلب الصَّيْد، وفي ويتترفل كان هناك صبيُّ الاسطبل بسيط العقل هودور الذي كان يجعلهم جميعاً

يبدون كالأقزام أمامه، لكن الرجل الذي يُسمُّونه الجبل راكب الخيول كان ليجعل هودور نفسه يبدو قزماً أمامه. كان يبلغ أكثر من سبعة أقدام طولاً، بل وأقرب إلى ثمانية أقدام كذلك، له كتفان عملاقان وذراعان كجذوع الأشجار، وبدا حصانه كمْهَرٍ صغير بين ساقيه المدرَّعتين، والرَّمح الذي يحمله كعصا المقشَّة.

على عكس أخيه، لم يكن السير جريجور يعيش في البلاط. كان رجلاً يُحبُّ العزلة ونادراً ما يُأْرِح أراضيه إلَّا من أجل الحروب ودورات المباريات المشابهة. كان موجوداً مع اللورد تاوين عندما سقطت كينجز لاندنج، فارساً حديث التَّنصيب في عُمر السَّابعة عشر، وحتى وقتها كان مميّزاً عن كلِّ مَنْ سواه بحجمه الضَّخم ووحشيَّته البالغة. قال البعض إن جريجور هو من هَشَّم جمجمة الأمير الرُّضيع إجون تارجارين على جدار، ونهاَمسوا مُردِّدين أنه اغتصبَ أمَّهُ بعدها، الأميرة الدورنَّة إليا مارتل، قبل أن يذبحها بسيفه. طبعاً لم تكن هذه الأشياء تُقال في حضور جريجور.

لا يذكُر ند ستارك أنه تكلم مع الرَّجل من قبل قطُّ، على الرغم من أن جريجور كان معهم إبَّان تمرد بالون جرايجوي كواحدٍ من آلاف الفُرسان الذين خرَّجوا لإخماد التمرد. راقبه ند متوتراً. كان نادراً ما يعير انتباهها للنَّميمة، لكن الأشياء التي تُقال عن السير جريجور كانت أكثر من مجرد نميمة مُزعجة. كان في سبيله للزَّواج قريباً للمرَّة الثالثة، وكان الجميع قد سمعوا همساتٍ مبهمة عن وفاة زوجته السَّابقتين. كان يُقال إن قلعتة مكان كتيب مُنذر بالشُّوم يختفي فيه الخدم بلا حساب، وحتى الكلاب كانت تخشى دخول قاعته. ثم إنه كانت له أختٌ ماتت في ظروف غامضة، بالإضافة إلى الحريق الذي شوَّه أخاه، وحادث الصَّيد الذي قُتل فيه أبوهم. ورث جريجور القلعة والثروة وأملاك العائلة، وفي اليوم نفسه غادرَ أخوه ساندور لينضمَّ إلى خدمة عائلة لانستر كسلاحدار، وقيل إنه لم يعد إلى دياره بعدها قطُّ، ولا حتى للزيارة.

عندما دخل فارس الزهور شاعت غمغمة بين الحضور، وسمع ند تهمس بحرارة: «أوه، كم هو جميل!». كان السير لوراس تايرل نحيلًا كقصب، يرتدي درعًا فضيًّا باهرة مصقولة حتى بات يريقها يعمي العيون، مزركشة بفروع الكروم السوداء وزهور أذن الفأر الزرقاء الجميلة. أدرك المشاهدون وند في اللحظة ذاتها أن الزهور كانت عبارة عن قطع صغيرة من الياقوت الأزرق، وخرجت شهقة انبهار من ألف حنجرة في آن واحد. تدلَّى معطف الصَّبي الثَّقل من على كتفيه، وكان مكسوفًا بمئات من زهور أذن الفأر الحقيقية الطَّازجة التي خُيِّطت بالفرو. كان يمتطي فرسًا رماديَّة جميلة نحيلة كراكبها خلقت للركض السريع. صهل فحل السير جريجور الضخم بصوت عالٍ لَمَّا اشتَم رائحتها، ثم إن الصَّبي القادم من هايجاردن فعل شيئًا بساقيه، ووثبت فرسه بحركة جانبية برشاقة راقصة محترفة. أطبقت سنانزا على ذراع ند وقالت: «أبي، لا تدع السير جريجور يؤذيه»، ورأى ند أنها كانت لا تزال محتفظة بالوردة الحمراء التي أهداها لوراس تايرل إياها البارحة. كان چوري قد أخبره بهذا أيضًا.

قال لابنته: «هذه رماح مباريات، يصنعوها كي تنكسر عند الاصطدام كي لا يتأذى أحد». على أنه تذكَّر الصَّبي الميت المسجَّى في العربة ومعطفه ذا الأهلة الغارقة في الدَّم، وشعر بالكلمات تعلق في حلقه.

كان السير جريجور يُحاول السيطرة على فحله الذي أخذ يصرخ ويدقُّ الأرض ويهزُّ رأسه بعنف. ركل الجبل الحيوان بقسوة بفردتي خذاته المدرعتين، فتراجع الحصان رافعًا قائمته الأماميتين وكاد يُسقطه عن ظهره. كان هذا بينما حيَّا فارس الزهور المَلِك ثم تحرك إلى طرف المضمار وسدَّ رُمحه، فتحرَّك السير جريجور إلى الطرف الآخر مُكافئًا للسيطرة على عنانه... ثم بدأ التَّزال فجأة. انطلق فحل الجبل يعدو بضراوة، بينما اندفعت الفرس بدورها بنعومة الحرير. رفع السير جريجور ثُرسه في وضع الحماية وعدَّل وضع رُمحه مُحاولًا طوال

الوقت أن يُسَبِّطِرَ على حصانه الجامح ويُبَيِّتَ حركته في خَطٍّ مستقيم... ثم على حين غَرَّةٍ وجدَّ السير لوراس تايرل ينقضُّ عليه ويضربه برُمحه، وفي غمضةٍ عينٍ كان الجبل قد تهاوى على الأرض. كان ضخمًا جدًّا لدرجة أنه أخذ حصانه معه في سقطته في فوضى من الفولاذ واللحم.

سمعَ ند تصفيقًا وتهليلًا وصفيحًا وشهقاتٍ مصدومة وغمغماتٍ حماسيةٍ، وفوق كلِّ هذا صوت ضحكات كلب الصَّيد الخشنة المبحوحة. أوقفَ فارس الزُّهور فرسه عند نهاية المضمار، ولم يكن رُمحه قد انكسرَ حتى. ومضَّ الباقوت في دِرعه في نور الشَّمس وهو يرفع مقدِّمة خوذته مبتسمًا، وبلغَ تهليل العامة له حدَّ الهياج. في منتصف المضمار نهَضَ السير جريجور بدماءٍ تغلي غضبًا، وانتزعَ خوذته من على رأسه ورمأها على الأرض بحركةٍ عنيفة. كان وجهه مريدًا من شدَّة الغضب وسقطَ شعره على عينيه. «سيفي»، قال زاعقًا لمُرافقه وهُرِعَ الصَّبي ليأتي به إليه. حينئذٍ كان حصانه قد عادَ يقف بدوره.

وقتلَ السير جريجور حصانه بضربةٍ واحدةٍ بالغة العنف لدرجة أنها كادت تَبترُّ عنقه، وتحوَّلَ التَّهليل إلى صراخٍ خلال نبضةٍ قلبٍ واحدة، وتهاوى الفحل على رُكبتيه صارخًا وهو يحترض. ثم إن جريجور قطعَ المضمار بخطواتٍ واسعةٍ ترجُّ الأرض نحو السير لوراس تايرل وسيفه الدَّامي في قبضته. «أوقفوه! أوقفوه!»، صاحَ ند لكن كلماته ضاعت وسط الهياج، بينما كان كلُّ واحدٍ آخر يصيح بدوره وسانزا تبكي ملتناعةً. حدثَ كلُّ شيءٍ بسرعةٍ لا تُصدَّق.

كان فارس الزُّهور يصيح طالبًا سيفه بينما طرحَ السير جريجور مُرافقه أرضًا بحركةٍ عنيفةٍ ومدَّ يده إلى عنان فرسه، التي اشتَمَّت رائحة الدَّم وتراجعت رافعةً القائمتين الأماميتين. حافظَ السير لوراس على مكانه على متنها لكن بالكاد، ثم هوى السير جريجور بسيفه ذي المقبضين بضربةٍ شديدة الشَّراسة أصابت صدر الصَّبي وأطاحت به من على سرجه.

اندفعت الفرس تجري بعيداً مذعورةً بينما تمدد السير لوراس مصعوقاً من الضربة بلا حراك. لكن بينما رفع جريجور سيفه ليهوي بضربته القاضية، قال صوت أجش: «دعه وشأنه»، وجذبت يد مدرعة بالفلولاذ بعيداً عن الصبي. دار الجبل على محوره بثورة صامتة وهوى بسيفه الطويل بحركة قاتلة واضعاً كل قوته وراء الضربة، لكن كلب الصيد صدها وردّها، ولوقت بدا كأبدية كاملة تبادل الأخوان الضربات الشرسة بينما اصطحب آخرون السير لوراس تايرل الدائح إلى خارج المضمار. ثلاث مرّات رأى ند السير جريجور يُسدّد ضرباته إلى الخوذة ذات شكل رأس الكلب، وإن لم يُسدّد ساندور ولا ضربة واحدة إلى وجه أخيه المكشوف.

كان صوت الملك هو ما وضع نهايةً لهذا... صوت الملك وعشرون سيفاً. كان جون آر ن قد علّمه أن القائد الحقّ يجب أن يتحلّى بصوت هادئ لإلقاء الأوامر أثناء احتدام المعركة، وقد أثبت روبرت هذا فعلاً في معركة الثالوث، واستعان بهذا الصوت الآن، وبصوت مدوّ صاح: «توقفاً عن هذا الجنون الآن باسم الملك!».

ركع كلب الصيد على ركبته، بينما شقّت ضربة السير جريجور الهواء قبل أن يرتدّ إليه صوابه ويسقط السيف محدّقاً في روبرت المُحاط بحرسه الملكي ودسته من الفرسان والحرس الآخرين، ثم بلا كلمات دار على عقبه واندفع مغادراً المضمار ماراً بباريستان سلمي. «دعوه يذهب»، قال روبرت... وبهذه السرعة انتهى كل شيء.

سألت سانزا أباه: «هل كلب الصيد هو البطل الآن؟».

قال لها: «كلا، ستكون هناك مباراة أخيرة بين كلب الصيد وفارس الزهور».

على أن سانزا كانت محققةً في النهاية، فبعد فترة قصيرة عاد السير لوراس تايرل إلى المضمار مرتدياً سترّة بسيطة من الكتّان، وقال لساندور كليجايين: «إنني مدين لك بحياتي. اليوم لك أبها الفارس».

- «أنا لستُ فارسًا»، أجابَ كلب الصَّيد، لكنه قبل النَّصر على كلِّ حال، بالإضافة إلى ذهب البطل، وربما للمرة الأولى في حياته نالَ حُبَّ العامة الذين هلَّلوا له وهو يُغادر المضمار عائداً إلى سُراده.

كان ند يمشي مع سائرا إلى حلبة الرِّماية عندما انضمَّ إليهما اللورد رنلي والإصبع الصَّغير وعدد من الآخرين. كان الإصبع الصَّغير يقول: «لا بُدَّ أن تايرل كان يعرف أن الفرس كانت هائجة. أقسمُ أن الصَّبي خطَّط للأمر كله. لطالما كان جريجور يُفضِّل الخيول سيئة المزاج التي تملك من الحيويَّة أكثر من التعقُّل». بدا أن الفكرة تثير روح الفكاهة لديه.

لكن يبدو أنها لم تُثر الرُّوح نفسها لدى السير بارستان سلمي الذي قال بنجمود: «ليس هناك شرف في الخداع».

قال الإصبع الصَّغير مبتسماً: «قليلٌ من الشَّرَف وعشرون ألف قطعة ذهبيَّة».

في اليوم نفسه بعد الظُّهر فازَ شابٌّ غير معروفٍ من العامة يُدعى أنجوي جاءَ من تُخوم دورن بمسابقة الرِّماية، متفوقاً على السير بالون سوان وچالابار شو بمئة خطوة، بعد خروج جميع الرِّماة الآخرين من المسابقة وقد أصابوا أهدافهم على مسافاتٍ أقصر. أرسلَ ند رجله ألين إليه ليعرض عليه مكاناً بين حرس اليد، لكن الصَّبي كان ثملاً بالنَّيذ والنَّصر والثروة التي لم يكن ليحلم بها من قبل، ورفض العرض.

أمَّا الالتحام الجماعي فقد استمرَّ لثلاث ساعاتٍ كاملة، واشترك فيه نحو أربعين رجلاً من المُحاربين غير النِّظاميين والفرسان الجوّالة ومُرافقو الفرسان الجُدد، كلهم يسعى إلى الشُّهرة. تقاتلوا بأسلحة غير حادَّة في معمرةٍ من الوحل والدَّم، جماعات صغيرة تُقاتل معاً ثم تنقلب على بعضها بعضاً مع تكوين التَّحالفات وفُضُّها، حتى لم يتبقَّ غير رجلٍ واحدٍ فقط منهم. كان المنتصر هو الرَّاهب الأحمر ثوروس المايري، الرَّجل المجنون الذي يحلق شَعْرهُ تاماً ويُقاتل بسيفٍ ناري. لم تكن

هذه هي المرة الأولى التي يفوز فيها في الالتحام الجماعي، حيث كان سيفه المشتعل يُخيف خيول مُنافسيه بينما لا يُخيف ثوروس شيء على الإطلاق. احتوى كشف الحساب الأخير على ثلاثة أطراف مكسورة، عظمة ترقوة مهشمة، دسنة من الأصابع المحطمة، حصانين قُتلا قتلاً رحيمًا، والمزيد من الجروح والمفاصل الملتوية والكدمات التي لم يُيال أحد بعدها. كان ند مسرورًا لأقصى حد أن روبرت لم يُشارك في هذا. خلال مأدبة تلك الليلة كان الأمل يُفعم إدارد ستارك لدرجة لم يشعر بها منذ وقتٍ طويل. كان روبرت في مزاجٍ مَرِحٍ للغاية، بينما غاب آل لانستر عن الأعين، وحتى ابتناه كانتا حسنتي السلوك. جاء جوري بآريا لتنضم لهم، وتكلّمت سانزا معها بأسلوبٍ ودود. «كانت دورة رائعة»، قالت متنهدة. «كان يجدر بك أن تحضريها. ما أخبار دروس الرقص؟» - «جسدي كله يوجعني»، قالت آريا مسرورة وهي تعرض كدمة زرقاء ضخمة في ساقها بكل فخر.

قالت سانزا بشك: «لا بد أنك راقصة شنيعة!».

لاحقًا، بينما كانت سانزا تُصغي لفرقة من المُطربين تؤدّي مجموعة الأغاني المتشابكة المسماة "رقصة التنانين"، فحصى ند الكدمة في ساقها بنفسه وقال لها: «أتمنى أن فورل لا يقسو عليك كثيرًا»، فوقفت آريا على ساقٍ واحدة (وكانت قد تحسّنت في هذا كثيرًا مؤخرًا)، وقالت: «سيريو يقول إن في كل جرح درسًا، وإن كل درس يجعلك أفضل».

قطب ند جبينه. كان هذا الرجل سيريو فورل قد أتى وقد سبقته شُعبته الممتازة، ومنهجه البرافوسي المبهرج هذا كان مناسبًا تمامًا لسيف آريا الرفيع، ومع ذلك... منذ بضعة أيام كانت تتجول وقد أحاطت بعينها قطعة من الحرير الأسود. كان سيريو يُعلمها أن ترى بأذنيها وأنفها وجِلدها كما فسّرت له عندما سألها. وقبل هذا جعلها تُمارس الدوران والوثب إلى الخلف. «آريا، هل أنت واثقة من أنك ترغبين مواصلة هذا؟».

أومات برأسها إيجاباً وقالت: «غداً سنُمسِكُ القِطْطَ».

- «القِطْطُ؟»، قال ند وتنهَّد. «لعلِّي أخطأتُ عندما استأجرتُ هذا البرافوسي. إذا أردتُ، سأطلبُ من چوري أن يتولَّى دروسك، أو ربما أطلبُ من السير باريستان أن يُدَرِّبك. لقد كان أفضل مُبارِز في الممالك السَّبع كلها في شبابه».

قالت آريا: «لا أريدهما، بل أريدُ سيريو».

مرَّر ند أصابعه في شعرها. أيُّ قِيَمٍ سلاح محترم يُمكنه أن يُعلِّم آريا مبادئ الهجوم والدِّفاع دون هراء عُصابات الأعين والتَّوائب على عجلات العربات والوقوف على ساقٍ واحدة، لكنه كان يعرف ابنته الصَّغرى بما فيه الكفاية لأن يُدرك أن لا سبيل للجدل مع صاحبة الفِكَ البارز العنيدة هذه، ومؤكد أنها ستسأم من هذه اللَّعبة قريباً، فقال: «كما ترغيبين، لكن حاولي أن تكوني حذرة».

- «سأفعل»، قالت بجِدِّيَّة وهي تثبُّ من ساقها اليُمْنى إلى اليسرى بسلاسة تامَّة.

بعد ذلك بفترةٍ طويلة، لما اصطحبَ الفتاتين عبر المدينة وتأكَّد من خلود كلِّ منهما بأمانٍ إلى فراشها - سانزا بأحلامها وآريا بكدماتها - صعدَ ند إلى سكنه في قَمَّة بُرج اليد. كان اليوم حارًّا وجعلَ الغُرْفَة دافئةً مكتومةً، فذهبَ ند إلى النَّافذة وفتحَ السَّائِر الثقيلةَ ليمسحَ بهواء اللَّيْلِ البارد بالدُّخول. لاحظَ عبر السَّاحة الكبيرة الوهج المتذبذب الصَّادر عن ضوء الشُّموع وراء نوافذ الإصبع الصَّغير. كانت السَّاعة قد تجاوزت منتصف اللَّيْلِ، وهناك عند النَّهر كان المرح والصَّخب قد بدأ يهدآن بالفعل. أخرجَ الخنجر إياه وتطلَّع إليه، خنجر الإصبع الصَّغير الذي فازَ به تيريون لانستر في رهانٍ وأرسلَ لذَّبْح بران وهو نائم. لماذا؟ لماذا يرغب القزم في موت بران؟ لماذا يرغب أيُّ أحدٍ أصلاً في موته؟

الخنجر، سقطة بران، كُلُّ هذا مرتبطٌ بشكلٍ ما باغتيال جون آرن. كان يَشْعُرُ بهذا في خلاياه، لكن حقيقة موت جون ظَلَّتْ خَفِيَّةً عنه كما كانت منذ بدأ البحث عنها. لم يرجع اللورد ستانيس إلى كينجز لاندينج من أجل دورة الألعاب، ولايسا آرن لا تزال لائذةً بصمتها وراء جدران "العُش" العالية، والآن ماتَ مُرافقُ جون ولم يزل جوري يبحث عن الماخور. ماذا لديه إذن بخلاف ابن روبرت غير الشرعي؟

ذلك المتدرب كتيب المُحَيَّا لدى صانع السِّلَاح توبهو موت هو ابن المَلِك ولا ريب في هذا. كانت سيماء عائلة باراثيون مطبوعةً على وجهه، في فكِّه، في عينيه، في ذلك الشَّعر الأسود. رنلي أصغرُ عُمرًا من أن يُنَجِّبَ صبيًّا في هذه السَّن، وستانيس لا يُمكنه أن يُلَوِّثَ شرفه، فلا بُدَّ أن جندري هو ابن روبرت فعلاً. لكن هل من شيءٍ مفيدٍ حقًّا خرجَ به بعد معرفة كُلِّ ذلك؟ المَلِك لديه أبناء غير شرعيِّين آخرون متناثرون في جميع أنحاء وستروس، ثم إنه اعترفَ علنًا بواحدٍ منهم، ولد في عُمر بران كانت أمه كريمة الأصل، والولد يرعاه الآن أمين قلعة رنلي في ستورمز إند.

تذكَّر روبرت أول أطفال روبرت كذلك، الابنة التي وُلِدَتْ في "الوادي" عندما كان روبرت نفسه أكبر من صبيٍّ بقليل. كانت فتاةً صغيرةً عذبة شغفَ بها سيِّد ستورمز إند الشَّاب. اعتادَ روبرت أن يزورها يوميًّا ليلعب معها حتى بعد أن فقدَ اهتمامه بالأم بفترةٍ طويلة، وغالبًا ما كان يجرُّ ند معه سواء شاء أم لا. لا بُدَّ أن الفتاة في السابعة أو الثامنة عشر الآن، أكبر من روبرت عندما أنجبها... فكرةٌ غريبةٌ تلك.

من غير الممكن أن سرسي مسرورة بمغامرات زوجها، لكن في النهاية لا يهمُ حقًّا إن كان روبرت قد أنجبَ ابنًا واحدًا غير شرعيٍّ أم مئة. لا يمنح القانون والأعراف الكثير من الحقوق للأبناء غير الشرعيِّين. جندري، الفتاة في "الوادي"، الولد في ستورمز إند... لا أحد منهم يستطيع تهديد أبناء روبرت الشرعيِّين.

قَطَعَتْ تَأْمُلَاتِهِ دَقَّةً عَلَى الْبَابِ، وَسَمِعَ هَارُوِينَ يُنَادِي: «ثُمَّ زَائِرُكَ يَا سَيِّدِي، لَكِنَّهُ يَرْفُضُ أَنْ يَقُولَ اسْمَهُ».

قَالَ نَدُّ مُتَعَجِّبًا: «دَعِهِ يَدْخُلْ».

كَانَ الزَّائِرُ رَجُلًا مَمْتَلًى الْجِسْمِ يَرْتَدِي حِذَاءً طَوِيلَ الْعُنُقِ تَشَقُّقُ جِلْدِهِ وَلَطَّخَهُ الْوَحْلُ وَمَعْطَفًا مِنْ نَسِيجٍ شَدِيدِ الْخَشُونَةِ، اخْتَفَتْ مَلَامِحُهُ تَحْتَ قَلَنْسُوَةٍ ثَقِيلَةٍ وَتَوَارَتْ بِدَاخِلِ كُمَيْنِ ضَخْمَيْنِ. سَأَلَهُ نَدُّ: «مَنْ أَنْتَ؟».

قَالَ الرَّجُلُ بِصَوْتٍ خَفِيفٍ غَرِيبٍ: «صَدِيقٌ. يَجِبُ أَنْ نَتَكَلَّمَ عَلَى انْفِرَادٍ يَا لورد ستارك».

غَلَبَ الْفُضُولُ الْحَذَرَ، فَقَالَ نَدُّ أَمْرًا: «اتْرُكْنَا يَا هَارُوِينَ». وَلَمْ يَخْلَعْ الزَّائِرُ الْغَامِضُ قَلَنْسُوَتَهُ حَتَّى صَارَا وَحِيدَيْنِ وَرَاءَ الْأَبْوَابِ الْمَغْلُقَةِ، وَصَاحَ نَدُّ بِدَهْشَةٍ: «لورد فارس؟».

قَالَ فَارِسٌ بِتَهْذِيبٍ وَهُوَ يَجْلِسُ: «لورد ستارك، أَتَمَنَّى أَلَّا أَزْعِجَكَ بِأَنْ أَطْلُبَ مِنْكَ شَرَابًا».

مَلَأَ نَدُّ كَأْسَيْنِ بِالنَّبِيذِ الصَّيْفِيِّ نَاوَلَ أَحَدَهُمَا لِفَارِسٍ قَائِلًا وَالِدَهْشَةِ لَمْ تُفَارِقْ صَوْتَهُ: «لَمْ أَكُنْ لَأَتَعَرَّفَ عَلَيْكَ حَتَّى لَوْ مَرَرْتُ عَلَى بُعْدِ قَدَمٍ وَاحِدٍ مِنِّي». لَمْ يَكُنْ قَدْ رَأَى الْخَصِيَّ يَرْتَدِي شَيْئًا آخَرَ مِنْ قَبْلِ غَيْرِ الْحَرِيرِ وَالْمَخْمَلِ وَالْإِسْتَبْرَقِ الثَّمِينِ، بَيْنَمَا تَفُوحُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ رَائِحَةُ الْعَرَقِ بَدَلًا مِنَ الْعِطْرِ.

قَالَ فَارِسٌ: «هَذَا مَا كُنْتُ أَمْلُهُ، فَلَنْ يَكُونَ مَفِيدًا لَنَا أَنْ يَعْرِفَ أَشْخَاصُ بِأَعْيُنِهِمْ أَنَّنَا تَكَلَّمْنَا سِرًّا، وَالْمَلَكَةُ تُرَاقِبُكَ عَنْ كَثَبٍ. هَذَا النَّبِيذُ مِمْتَازٌ، شُكْرًا لَكَ».

- «كَيْفَ تَجَاوَزْتَ حُرَّاسِي الْآخَرِينَ؟»، سَأَلَهُ نَدُّ. كَانَ هُورْثُ وَكَائِنْ يَقِفَانِ حِرَاسَةً فِي خَارِجِ الْبُرْجِ، بَيْنَمَا وَكَلَيْنِ عَلَى السَّلَالِمِ. ابْتَسَمَ فَارِسٌ وَقَالَ مُعْتَذِرًا: «الْقَلْعَةُ الْحَمْرَاءُ مَلَأَتْ بِالْمَسَالِكِ الْمَعْرُوفَةِ

للأشباح والعناكب فقط. لن أعطّلك كثيرًا يا سيّدي. ثمّة أشياء ينبغي أن تعرفها. أنت يدُ المَلِك، والمَلِك أحمق». كانت نبرة الخَصِيّ النّاعمة قد غابَت من صوته الآن واحتلّت مكانها نبرة أخرى لاذعة كالسّياط. «أعرفُ أنه صديقك، نعم، لكنه أحمق رغم ذلك... ومحكوم عليه بالهلاك ما لم تُنقّذه. كان الخطر وشيكًا اليوم، وكانوا يأملون أن يقتلونه خلال الالتحام الجماعي».

للحظة أعجزت الصّدمة ند عن الكلام، قبل أن يقول بحدة: «من؟». رشف فارس من نيّذه وقال: «لو كنت تحتاجني أن أقول لك من حقًا، فأنت أحمق أكبر من روبرت نفسه، وأنا في الصّفّ الخطأ».

- «آل لانستر»، قال ند. «المَلِكة... لا، لن أصدّق هذا الكلام، ولا حتى عن سرسي. لقد طلبت منه ألا يُقاتل!».

- «بل منعته من القتال، منعته أمام أخيه وفُرسانه ونصف البلاط. قل لي حقًا، هل تعرف وسيلةً أضمن لإجبار روبرت على الاشتراك في الالتحام الجماعي؟ أخبرني».

شعر ند بالغثيان. لقد أصاب الخَصِيّ كبد الحقيقة. قل لروبرت باراثيون إنه لا يستطيع أو لا ينبغي أن يفعل شيئًا وثق تمامًا بأنه سيفعله.

«حتى لو قاتل، فمن كان ليجرؤ على ضرب المَلِك؟».

هزّ فارس كتفيه وقال: «كان هناك أربعون مُقاتل في الحلبة، وآل لانستر لهم أصدقاء كثيرون. في خضمّ كلّ هذه الفوضى والخيول تصرّخ والعظام تنكسر وثوروس المايري يُلوّح بسيفه النَّاري السّخيف هذا، من يُمكنه أن يعتبر الأمر اغتيالًا إذا أسقطت ضربة غير مقصودة جلالته؟»، ثم نهض والتقط إبريق النّبيذ وأعاد ملء كأسه، وتابع: «وبعد أن ينتهي الأمر سينهار القاتل حزنًا. أكاد أسمعه يكي بالفعل. يا للأسى! لكن لا شك أن الأرملة العطوف الرّحيمة ستأخذها به الشّفقة وترفع المسكين إلى قدميه وتُباركه بقبلة مغفرة رقيقة، ولن يكون أمام المَلِك المحبوب جوفري غير

أن يعفو عنه»، وربّت الخَصِيّ على وجته مُردِّفًا: «أو ربما تأمر سرسي السير إلين بأن يطيح برأسه. هكذا تكون المخاطرة أقلّ بالنسبة لآل لانستر، وإن كانت مفاجأة غير سارّة لصديقهم الصّغير».

شعرَ ند بالغضب يتصاعد في داخله، وقال: «وأنت كنت تعلم بهذه المؤامرة لكنك لم تفعل شيئًا».

- «إنني أقودُ الهامسين وليس المُحاربين».

- «كان بوسعك أن تأتي لي قبلها».

- «نعم، أعترفُ بهذا، وعندها كنت ستذهب إلى المَلِك مباشرة، أليس كذلك؟ وعندما يسمع روبرت بالخطر المحيِّق به، ماذا كان ليفعل؟ إنني أتساءل».

فكّر ند لحظة ثم قال: «كان سيلعنهم جميعًا ويُقاتِل على أيّ حالٍ ليربهم أنه لا يخشاهم».

فردّ فارس يديه وقال: «دعني أعترف لك بشيءٍ آخر يا لورد إدارد. لقد كنتُ أرغبُ في أن أرى ما ستفعله أنت. تسألني لِمَ لم آتِ إليك؟ إجابتي أنني لم أكن أثقُ بك يا سيّدي».

قال ند مندهشًا حقًا: «لم تكن تثق بي؟».

- «القلعة الحمراء تحوي نوعين من النَّاس أيها اللورد إدارد»، قال فارس. «هؤلاء المُخلِصون للبلاد، وأولئك المُخلِصون لأنفسهم فقط. حتى هذا الصّباح لم أستطع أن أقرّر أيهما تكون، وهكذا انتظرتُ لأرى، وما قد عرفتُ بما لا يدع مجالًا للشك»، وابتسم ابتسامة خفيفة، وللحظة صابَر وجهه الحقيقي والقناع الذي يضعه أمام النَّاس واحدًا. «بدأتُ أستوعب لِمَ تخشاك المَلِكة كثيرًا هكذا. نعم، الأمر واضح تمامًا الآن».

- «حريّ بها أن تخشاك أنت».

- «كلا، فأنا هو أنا. المَلِك يستفيد مني، لكنه يشعُر بالخجل مني في الآن ذاته. مُحاربٌ جبّارٌ هو عزيزنا روبرت، والرَّجل المُتخَم بالرُّجولة

مثله لا يحمل حُبًّا كبيرًا للمتسلِّلين والجواسيس والمخصَّصين. لو جاء يوم وهمست فيه سرسي له: "أقتل هذا الرَّجل"، سيقطع إلين باين رأسه في طرفة عين، ومن سيَندُب فارس البائس حينها؟ في الشَّمال أو الجنُوب لا أحد يُردِّد أغاني عن العناكب، ثم مدَّ يده النَّاعمة ومَسَّ ذراع ند بها قائلاً: «لكن أنت أيها اللورد ستارك... أعتقد أنه... كلا، إنني موقنٌ من أنه لن يَقتلك، ولا حتى من أجل مَلَكته؛ وفي هذا قد يكمنُ خلاصنا».

كان كلُّ هذا أكثر من اللازم فعلاً، وللحظة لم يرغب إدارد ستارك في شيء أكثر من أن يعود إلى ويتترفل وبساطة الشَّمال الهادئة، حيث الأعداء هم الشَّناء والهَمْج وراء "الجدار". قال معترضاً: «مؤكَّد أن روبرت لديه أصدقاء آخرون، أخواه أو...».

- «... زوجته؟»، أتمَّ فارس العبارة بابتسامة قاطعة. «نعم، صحيح أن أخويه يكرهان آل لانستر، لكن كراهية المَلِكة وحُبَّ المَلِك ليسا الشيء ذاته، أليس كذلك؟ السير بارستان يُحِبُّ شرفه، والبايستر الأكبر يَسلُّ يُحِبُّ منصبه، والإصبع الصَّغير يُحِبُّ الإصبع الصَّغير».

- «الحرس المَلِكِي...».

- «درعٌ من ورق. حاول ألاَّ تبدوا مصدوماً هكذا يا لورد ستارك. چايمي لانستر نفسه أخٌ تحت القَسم من السُّيوف البيضاء، والجميع يعرفون قيمة قَسمه. راحت إلى التراب والأغاني الأيام التي كان فيها رجال على شاكلة ريام ردواين والأمير إيمون الفارس التَّين يرتدون المعاطف البيضاء. من بين هؤلاء السَّبعة ليس هناك غير السير بارستان سلمِي المصنوع من الفولاذ الحقيقي، وسلمِي مُسِن. أمَّا السير مرين والسير بوروس فصنيعة المَلِكة حتى النُّخاع، ولديَّ شكوكٌ قويَّة في الآخرين. لا يا سيِّدي، عندما تَخْرُج من أغمادها وقت الجَدِّ ستكون أنت صديق روبرت باراثيون الحقيقي الأوحَد».

قال ند: «يجب أن يعلم روبرت بهذا. إذا كان ما تقوله صحيحًا، إذا كان مجرد جزء منه صحيحًا، فيجب أن يعرف المَلِكُ به بنفسه».

- «وأيُّ دليلٍ سنُقدِّمه له؟ كلمتي ضد كلمتهم؟ طيورِي الصَّغيرة ضد المَلِكَة وقَاتِلِ المَلِك، ضد أخويه ومجلسه، ضد حاكمِي الشَّرْق والغَرْب، ضد كاسترلي روك بجلالة قَدَرها؟ أرجوك أن تُرسل في طلب السير إلين حالًا كي تُوفِّر الوقت. إنني أعرفُ أين ينتهي هذا الطَّرِيق».

- «لكن إذا كان ما نقوله حقيقيًا، فسوف يتحيَّنون الفرصة ويقومون بمحاولةٍ أخرى».

قال فارس: «طبعًا سيفعلون، وأخشى أنهم سيفعلونها عاجلاً وليس آجلاً. إنك تثير قلقهم الشَّدِيد أيها اللورد إدارد. لكن طيورِي الصَّغيرة ستُصنفي لما يُقال، ومعًا قد نتمكَّن من إحباط مكائدهم، أنت وأنا»، ثم نهَض وأسدَل قَلنسونه على وجهه ليُخفيه من جديد وقال: «أشكرك على النِّيِّذ. سوف نتكلَّم مرَّةً أخرى. تذكَّر عندما تراني المرَّة القادمة في المجلس أن تُعامِلني باحتقاركَ المعتاد. لا أعتقدُ أنك ستجد عُسرًا في ذلك».

كان قد بلغَ الباب عندما نادى عليه ند قائلاً: «فارس، من قتلَ جون آرَن؟».

- «كنتُ أتساءلُ متى ستُلقِي هذا السُّؤال».

- «أخبرني».

- «اسمه دموع ليس، شيء نادر باهظ الثَّمَن، صافٍ عذبٌ كالماء ولا يتركُ أيَّ أثر. لقد توسَّلتُ إلى اللورد آرَن أن يستعين بذَوَّاق، في هذه العُرَّة بالتَّحديد توسَّلتُ إليه، لكنه رفض تمامًا وقال لي إن من قد يُفكِّر في تسميمه ليس رجلًا أبدًا».

كان يجب أن يعرف ند الباقي، فقال: «ومن دَسَّه له؟».

- «صديقُ غالٍ طيبٌ غالبًا ما يُشاركه طعامه وشرابه طبعًا، لكن من؟ إنهم كثيرون. اللورد آرن كان رجلًا كريمًا وثوقًا»، ثم زفرَ الخَصِيُّ وأضافَ: «كان هناك صبيٌّ واحد، كلُّ ما يملكه يدين به لـجون آرن، لكن عندما فرَّت الأرملة إلى "العُش" مع أهل بيتها، بقي هو في العاصمة وانتعشت أحواله. دائمًا يُثلج صدري أن أرى الشَّباب يترقُّون في العالم». كان السَّوط قد عادَ إلى صوته من جديد وكلُّ كلمةٍ جَلْدَة. «لا بُدَّ أنه بدا بهيًّا في دورة المباريات في درعه الجديدة البرَّاقة وتلك الأهلَّة على معطفه. من المؤسف أنه ماتَ قبل أوَّانه، قبل أن تستطيع الكلام معه».

شعرَ ند بأنه هو نفسه مسمومٌ وغمغمَ: «تابع جون، السير هيو». دوائر داخل دوائر داخل دوائر، ورأس نديقٌ ويدور. «لماذا؟ لماذا الآن؟ جون آرن كان يَدَ المَلِكَ لمدَّة أربع عشرة سنةً، فما الذي كان يفعله بالتَّحديد ودفعهم إلى اغتياله؟».

- «أنه كان يُلقِي الأسئلة»، أجابَ فارس وهو ينسَلُ خارجًا من الباب.



تيريون

وقفَ تيريون لانستر في بَرَدِ الفَجَرِ يُشَاهِدُ تشيِجَنَ وهو يذبح حصانه، وفي رأسه سَجَلٌ دَبِنًا آخَرَ عليه تسديده لآل ستارك. تصاعدَ البُخارُ من أحشاء الجثَّةِ عندما بَقَرَ المُرْتَزِقُ بطنها بسكِّين السِّلْخِ، وتحَرَّكَتْ يداه برشاقةٍ دون أن يُبَدِّدَ قطعةً واحدةً من اللَّحْمِ. كان يعمل بسرعةٍ قبل أن تلتقطَ قِطْعُ الظِّلِّ رائحةَ الدَّمِ فتنزِلَ من المرتفعات.

قال برون: «لن ينام أحدنا جائعًا اللَّيْلَةَ». كان هو نفسه أقرب إلى شبح، شديد النُّحول وشديد الصَّلابة، أسودَ الشَّعرِ وأسودَ العينين وذا لحيةٍ قصيرةٍ خشنة.

علقَ تيريون: «أُخَالِفُكَ الرَّأْيَ. إنني لستُ مغرمًا بأكل لحم الحصان، بالذَّاتِ حصاني أنا!».

هَزَّ برون كتفيه قائلاً: «اللَّحْمُ هو اللَّحْمُ. الدوثرافي يُجِبُّونَ لحم الحصان أكثر من لحم البقرة أو الخنزير».

- «هل تراني من الدوثرافي؟»، سأله تيريون ببرود. الدوثرافي يأكلون لحم الحصان بالفعل، لكنهم كذلك يَتَرَكُونَ الأَطْفَالَ المشوَّهين للكلاب البريَّة التي تجري وراء غالاساراتهم. لم يكن يستسيغ عادات وتقاليد الدوثرافي حقًا.

قطعَ تشيِجَنَ شريحةً رقيقةً من اللَّحْمِ الدَّامي من الجثَّةِ ورفعها ليفحصها، ثم قال: «هل ترغب في تذوقها أيها القزم؟».

بلهجة جافة قال تيريون: «أخي چايمي أهداني هذه الفرس في يوم ميلادي الثالث والعشرين».

- «اشكره لنا إذن لو رأيته مرة أخرى»، وابتسم تشيجن كاشفاً عن أسنانه المصفرة، ثم ابتلع شريحة اللحم النيئة على قضمتين وقال: «مذاقها يدل على حُسن تربيتها».

قال برون: «سيكون مذاقها أفضل إذا حمّرتها مع بعض البصل».

ابتعد تيريون بخطواتٍ عرجاء دون أن يُعلّق. كان البرد قد نخر عظامه حتى النُخاع واستقرّ فيها، وآلمته ساقاه بشدّة جعلته يستطيع المشي بالكاد. لعلّ فرسه الميتة هي المحظوظة حقاً. كانت أمامه ساعات أخرى من الرُكوب، تتبعها بضع لُقَم من الطّعام، ثم نومة باردة قصيرة على الأرض الصّلبة، ثم ليلة أخرى لا تختلف عن سابقتها، وأخرى، وأخرى، والآلهة وحدها تعلم كيف سينتهي كلُّ هذا. «عليها اللّعة»، تمتّم وهو يُكافح ليسير نحو آسريه وهو يُقسم لنفسه أنهم سيدفعون الثمن. «عليها اللّعة هي وكل أبناء ستارك». كانت الذّكري لا تزال طازجةً مريرةً. في لحظةٍ كان يطلب وجبة العشاء، ثم في غمضة عينٍ كان يُواجه قاعةً كاملةً من المسلّحين، وچيك يمدّ يده إلى سيفه، بينما تصرّخ صاحبة الخان: «لا سيوف، ليس هنا، أرجوكم!».

أطبق تيريون لحظتها على ذراع چيك بسرعةٍ قبل أن يتسبّب في تحويلهما إلى بضع قطعٍ من اللحم، وقال: «أين أدبك يا چيك؟ مضيفتنا الكريمة تقول لا سيوف، فافعل كما تقول»، ورسم على شفّته ابتسامةً لا بدّ أنها أفشت بشعوره بالغثيان. «أنتِ تركّبين خطأ كبيراً أيها الليدي ستارك. إنني لم ألعب أيّ دورٍ في الهجوم على ابنك. أقسمُ بشرفي أن...».

كان كلُّ ما قاله مُقاطعةً إياه هو: «شرف لانسترا!»، ثم رفعت يديها كي تراها القاعة كلها وقالت: «خنجره خلّف هذه النّدوب، الخنجر الذي أرسله لذبح ابني».

شعرَ تيريون بالغضب يتصاعد من كلِّ مكانٍ حوله ثقيلًا ملتهبًا تُغذِّيه الجروح العميقة في يدي امرأة ستارك. «اقتلوه»، قالت امرأة قدرة ثملة ما في مؤخِّرة القاعة بصوتٍ كالفتح، والتقطت أصوات أخرى الكلمة وبدأت تُردِّدها بسرعةٍ عصيَّةٍ على التصديق. أغرابٌ كلهم، كانوا في غاية الودِّ منذ لحظاتٍ معدودة، والآن يصيحون طالبين دمه ككلاب الصَّيد وهي تُطارِدُ فرائسها.

تكلَّم تيريون بصوتٍ عالٍ مُحاولًا إخفاء الرَّعشة في صوته: «إذا كانت الليدي ستارك تعتقد أن ثمة جرائم ما عليَّ أن أدفع ثمنها، فسأذهبُ معها وأدفع الثمن».

كان هذا هو السَّبل الوحيد، فمحاولة الخروج من هذا الموقف بالقتال لن تكون غير دعوةٍ مبكِّرةٍ إلى القبر. نحو دسنة من المسلَّحين استجابوا النداء امرأة ستارك: رجل هارنهال، رجال براكن الثلاثة، مُرتزقان بغیضا الطَّلعة تشي نظراتهما بأنهما مستعدَّان لقتله إذا تجرَّأ على البصق حتى، بالإضافة إلى عددٍ من الفلاحين الذين لم تكن لديهم أدنى فكرة عما يفعلونه. ما الذي كان تيريون يملكه ضدَّ كلِّ هؤلاء؟ خنجر في حزامه ورجلين. كان چيك مُبارزًا لا بأس به لكن موريك يكاد لا يُحسب، فهو مزيج من سائس الخيل والطَّاهي والخادم وليس جنديًا على الإطلاق. أمَّا بالنسبة ليورن، وأيا كان شعوره نحو الأمر، فالإخوة السُّود كلهم يُقسِّمون ألا يكون لهم دور في صراعات البلاد، ومن ثمَّ لن يُحرَّك يورن ساكنًا من أجله.

وبالفعل انتحى الأخ الأسود جانبًا بصمتٍ عندما قال الفارس المُسنُّ الواقف إلى جوار كاتلين: «خذوا أسلحتهم»، وتقدَّم المُرتزق الذي يدعى برون ليسحب السَّيف من بين أصابع چيك ويُجرِّد ثلاثتهم من خناجرهم. «عظيم، عظيم»، قال الفارس المُسنُّ وقد بدأ التوتُّر ينحسر على نحوٍ ملموس من قاعة الخان العامة. تعرَّف تيريون على الصَّوت الغليظ، صوت قيِّم سلاح ويترفل الذي اختفت شواربه البيضاء الكبيرة لسبب ما.

تطايّر اللّهاب الملوّث بالأحمر من فم صاحبة الخان وهي تتوسّل
لكاتلين ستارك قائلة: «أرجوك لا تقتليه هنا!».
وصاح تيريون: «لا تقتليه في أيّ مكان!».
- «خُذيه إلى مكانٍ آخر، لا دم هنا يا سيّدي، لا أريدُ صراعات كبار
السّادة».

- «سأخذه إلى ويترفل»، قالت كاتلين ففكّر تيريون: حسن، ربما
إذن... كان قد ألقى نظرة جيّدة على المكان وقتها واستوعب الموقف
بشكل أفضل، وما رآه لم يُثر استيائه لتلك الدّرجة. أوه، امرأة ستارك بارعةٌ
بحقٍّ ولا شكٍّ في هذا؛ تدفعهم لتوكيدٍ عليّ على الأيمان التي حلفها
أولياء أمورهم لأبيها ثم تطلب منهم العون، وهي امرأة، نعم، جميلٌ حقًا.
غير أن نجاحها لم يكن كاملاً كما تحسب. كان هناك نحو خمسين رجلاً
في المكان حسبما قدّر بنظرة سريعة، بينما لم يُثر نداء كاتلين ستارك أكثر
من دسّةٍ منهم فحسب، وبدا الآخرون مرتبكين أو خائفين أو لا مباليين
بالأمر كله. لم يتحرّك غير اثنين من رجال فراي كما لاحظَ تيريون، ثم
إنهما عاودا الجلوس سريعاً لَمَّا رأيا أن قادتهما لم ينهضوا من أماكنهم.
كان لبيتسم وقتها لو كان يجرو.

بدلاً من هذا قال: «إلى ويترفل إذن». كان طريقاً طويلاً كما يُمكنه أن
يشهد وقد جاء منه للتو، وأشياء كثيرة جدّاً من الممكن أن تحدّث على
الطريق. «سوف يتساءل أبي عمّا حلّ بي»، أضاف وهو ينظر في عين
المسلّح الذي كان قد عرض عليه عُرفته. «سيدفع مكافأة سخيةً لأيّ رجل
يذهب إليه بخبر ما حدث هنا اليوم». لن يفعل اللورد تاوين شيئاً كهذا
بالطبع، لكن تيريون يستطيع تعويضه عن هذا عندما يتحرّر.

نظر السير رودريك إلى كاتلين بتوتّرٍ كما ينبغي له أن يشعر الآن، ثم
قال: «سيأتي رجلاه معه، ونشكّر بقيتكم إذا لُذتم بالصّمت حيال ما رأيتم
هنا».

بذلَّ تيريون كلَّ ما لديه كي لا ينفجر ضاحكًا. إذا لاذوا بالصَّمت؟ ياله من شيخٍ أحمق! ما لم يأتِ الخان كله معهم، فسوف ينتشر الخبر بمجرَّد رحيلهم. سيطير المُحارب غير النُّظامي ذو العُملة الذَّهبيَّة في جيبه إلى كاسترلي روك كالسَّهم، وإن لم يكن هو فأحدٌ غيره. سيحمل يورن القِصَّة معه إلى الجَنُوب، وقد يؤلَّف هذا المغنِّي المغفَّل أغنيَّةً تحكي الواقعة. سيُخبر رجال فراي سيِّدهم، والآلهة وحدها تعلم ما قد يفعله. قد يكون اللورد والدر فراي حليفًا لريقرن، لكنه رجل حَذِر عاش أمدًا طويلًا لأنه تأكَّد دومًا من انضمامه إلى الجانب الرَّايح، وعلى أقلِّ تقدير سيُرسل طيوره جَنُوبًا إلى كينجز لاندنج، بل ولربما يجرؤ على أن يفعل أكثر من ذلك.

لم تُضَيِّع كاتلين ستارك وقتًا، وقالت: «يجب أن نتحرَّك في الحال. سنحتاج خيولًا قويَّة ومزوَّنة للطريق. وأنتم أيُّها الرُّجال، اعلَمُوا أنكم ستحظون بامتنان عائلة ستارك الدَّائم، وإذا اختارَ أيُّكم أن يُساعدنا على حراسة أسرارنا وإيصالهم إلى ويترفل بأمان، فأعدكم بأنه سينال مكافأةً تليق بخدمته». كان هذا كلُّ ما تطلَّبه الأمر، وتقدَّم الحمقى مندفعين. تطلَّع تيريون إلى وجوههم بإمعان، وأقسمَ لنفسه أنهم سينالون مكافأةً تليق بخدمتهم فعلًا، لكن ربما ليس كما توقعوا.

لكن حتى وُهم يدفعونه إلى الخارج كأنه جوال من القَشِّ ويُسرِّجون الخيول في المطر ويُقيِّدون يديه بحبلٍ خشن، لم يَشعُر تيريون لانستر بالخوف حقًّا. كان يُراهن على أنهم لن يبلُغوا ويترفل به أبدًا، فالخيَّالة سيكونون في أعقابهم خلال أقلِّ من يوم، وستُحلَّق الطُّيور حاملةً الخبر إلى كلِّ مكان، ولا شكَّ أن أحد لوردات النُّهر سيرغب في التزلُّف إلى أبيه فيفعل شيئًا حيال إنقاذه. كان تيريون يَهْنئ نفسه على مكره عندما وضع أحدهم عصا بةً على وجهه ورفعَه على ظَهر حصان.

تحرَّكوا تحت المطر وخيولهم تعدو بسرعةٍ بالغة، ولم يمضِ وقت طويل حتى سرَّت التشنُّجات في ساقي تيريون والوجع في إسته. حتى

عندما باتوا على مسافة آمنة من الخان وأمرت كاتلين ستارك بأن يُعطِنوا سرعتهم، ظَلَّت الرحلة على الأرض الصُّلبة مؤلمة مزعجة له لأقصى حد، وزادها سوءاً عدم قُدرته على الرؤية. كُل انحراف أو انعطاف كان يضعه في خطر السُّقوط من على ظَهر الحصان، بينما كَتَمَت العصابة على رأسه الأصوات فلم يتبيَّن ما يُقال من حوله، كما أن المطر بلَّل النَّسيج تماماً فالتصَّق بوجهه حتى أصبحَ التنفُّس ذاته مشقَّة، وسحجَ الحبل الخشن معصميه وبدا كأنه يصير أكثر ضيقاً حولهما مع مضيِّ الوقت ورَّخَف اللَّيل عليهم. فكَرَّ بأسى: كُنْتُ على وشك الاستقرار أمام نارٍ دافئةٍ والتهام طائرٍ مشوي، لولا أن فَتَحَ المغنيُّ التَّعس فمه. كان المغنيُّ التَّعس قد انضمَّ إليهم. «نُمة أغنية عظيمة يُمكن تأليفها عن هذا، وأنا من سيؤلفها»، قال لكاتلين ستارك عندما أعلنَ عن نيَّته الدُّهاب معهم كي يشهد أحداث تلك المغامرة الرَّائعة كما أطلقَ عليها. تساءلَ نيريون إن كان الصَّبي سيظلُّ محتفظاً برأيه عن روعة المغامرة لَمَّا يلحق بهم خيالة لانستر.

كان المطر قد توقَّف عن الهطول أخيراً وتسرَّب نور الفجر عبر النَّسيج المبتلَّ على عينيه، عندما أمرتهم كاتلين ستارك بالتوقُّف. أنزلته يدان غليظتان عن حصانه وحلَّتا قيود معصميه ورفعتا العصابة عن رأسه بحركة سريعة. ثم إنه رأى الطَّريق الحجري الضيق والتلال الوعرة ترتفع عاليًا من حولهم والقمم المكلَّلة بالثلوج في الأفق، وشعرَ بأماله كلها تتحطَّم في أقلَّ من لحظة. قال لاهثاً وهو يَنظُر إلى الليدي ستارك بعينين مليبتين بالانتهام: «إننا على الطَّريق العالي، الطَّريق الشَّرقي. قُلْتُ إننا ذاهبون إلى ويسترفل!». منحتَه كاتلين ستارك ابتسامةً باهتةً للغاية قائلةً: «وردَدتها مرَّاتٍ عدَّة وبصوتٍ عالٍ. لا شكَّ أن أصدقاءك سيَسْلُكون ذلك الطَّريق عندما يأتون لمُطارَدتنا. أتمنَّى لهم حظاً سعيداً!«.

حتى الآن، بعد مرور أيامٍ طويلة، كانت الذِّكري لا تزال تُغصمه بغضبٍ

مرير. طوال حياته وتبريون يفتخر بدهائه، الموهبة الوحيدة التي ارتأت الآلهة أن تُنعم عليه بها، لكن تلك الذئبة الملعونة سبعا كاتلين ستارك تفوقت عليه في الدهاء في كل خطوة. كان مجرد معرفته بهذا يملأه سُخْطًا أكثر من اختطافه ذاته.

كانوا يتوقفون للمدة التي تكفي لأن تأكل الخيول وترتوي لا أكثر ثم يتحركوا من جديد. هذه المرة لم يضعوا العصا على رأس تبريون، وبعد الليلة الثانية لم يعودوا يُقيّدون يديه، وبمجرد أن توغلوا بعض الشيء في المرتفعات كفوا عن شغل أنفسهم بحراسته حتى. بدا أنهم لا يخشون أن يهرب، ولم يفعلون؟ كانت الأرض هنا قاسية ضارية والطريق العالي ليس أكثر من ممرٍ حجريّ ضيق. وإذا هرب، فإلى أين يأمل أن يذهب وهو وحيد بلا مؤن؟ ستصنع منه قِطَط الظلّ وجبة شهية، والقبائل التي تسكن المرتفعات تتكوّن من لصوصٍ وقتلة لا يعترفون بأيّ قانونٍ غير السيف. ومع ذلك ظلت امرأة ستارك تتقدّم بهم بلا كلل، وكان يعرف إلى أين يتجهون، بل وعرف منذ اللحظة التي رفعوا فيها العصا عن عينيه. هذه الجبال تقع تحت ولاية عائلة آرن، وأرملة البِدِّ الرَّاحل من عائلة تلي، شقيقة كاتلين ستارك... وليست صديقة لأيّ لانستر بحال. كان تبريون يعرف الليدي لايسا بشكلٍ سطحيّ خلال سنواتها في كينجز لاندنج، ولم يكن يتطلّع لأن يُجدّد هذه المعرفة.

كان آسرون متجمّعين حول غديرٍ قصيرٍ على مسافةٍ محدودةٍ من الطريق العالي، وقد شربت الخيول حتى ارتوت من المياه الباردة كالثلج وترعى الآن بين العشب البنيّ النامي في صُدوع الصُخور. كان چيك وموريك جالسَيْن متجاوزَيْن وقد بدا عليهما البؤس، بينما وقف موهور أمامهما متكئا على رُمحه وقد ارتدى قُبعةً حديديةً مستديرة جعلته يبدو كأنه يضع وعاء طعام على رأسه، وعلى مقربةٍ منهم جلس ماريليون المغني يُزيّت فيثارتة الخشبية ويشكو مما تفعله الرطوبة بالأوتار.

- «يجب أن نستريح قليلاً يا سيّدي»، كان الفارس الجوّال السير
ويليس وود يقول لكاتلين ستارك وتيريون يدنو من المجموعة. كان رجل
الليدي وِنت، عنيذاً متبلّد الحِشّ وأول من نهَض وانضمَّ لامرأة ستارك
في الخان.

قال السير رودريك: «السير ويليس مُحِقُّ يا سيّدي. هذا ثالث حصان
نفقده».

قالت بحزم: «سنفقد المزيد إذا لحقّ بنا رجال لانستر». كان وجهها
مُتعباً محمراً من جرّاء التعرّض المستمرّ للرّيح، لكن ملامحها لم تفقد
شيئاً من تصميمها.

علّق تيريون: «فرصة حدوث هذا هنا ضئيلة».

قال كوركوت -الأحمق البدين ذو الشّعر القصير ووجه الخنزير-
بخشونة: «الليدي لم تطلّب رأيك أيها القزم». كان أحد رجال براكن،
سلاحدار في خدمة اللورد چونوس. كان تيريون قد بذل مجهوداً خاصّاً
لتذكّر أسمائهم جميعاً، كي يُعبّر لهم لاحقاً عن خالص امتنانه لمعاملتهم
الرّقيقة له. اللانستر يُسدّد ديونه دائماً، وسوف يختبر كوركوت هذا بنفسه
ذات يوم، هو وصديقه لاهارس وموهور، والسير ويليس، والمُرتزقان
برون وتشيجن. أمّا ماريلبون فقد جهّز له درساً من نوع خاص، ذلك
الأحمق ذو القيثارة الخشبيّة والصّوت الصّادح، الذي كان يُكافح بتصميم
لأن يَنْظِم قصيدة تحتوي على كلمات "عِفريت" و"أعرج" و"رخو".
قالت الليدي ستارك امرأة: «دعه يتكلّم».

جلس تيريون لانستر على صخرة وقال: «لا بُدَّ أن مُطارِدنا يهرعون
قاطعين "العنق" الآن سعيّاً وراء كذبتك على طريق الملوك... بافتراض
أن هناك مطاردة طبعاً، وهذا غير مؤكّد بالمرّة. أوه، لا شكّ أن الخبر
قد بلغ أبي... لكن أبي ليس مولعاً بي لتلك الدّرجة، ولست متأكّداً من
أنه سيُرْعج نفسه بتحريك أيّ ساكن». كانت هذه نصف كذبة، فاللورد

تايوين لم يكن يُبالي بمقدار خردلةٍ بحياة ابنه المشوّه، لكنه لم يكن يتسامح مع أيّ إهانةٍ لشرف العائلة. «إننا في أنحاءٍ قاسيةٍ أيتها الليدي ستارك، ولن تجدي ملجأً حتى تَبْلُغي "الوادي"، وكلُّ حصانٍ تفقدينه يُزيد العيب على الآخرين أكثر وأكثر. الأسوأ من هذا أنك تُخاطرين بفقداني أنا! أنا صغير الحجم، ولستُ قويًا، فما الغاية إذن إذا مِتُّ؟». لم تكن هذه كذبة على الإطلاق، فتيريون لم يكن يعرف كم يستطيع الاحتمال أكثر من هذا.

قالت كاتلين ستارك: «من المحتمل أن الغاية هي موتك يا لانستر». - «لا اظنُّ»، أجاب تيريون. «إذا أردتِ موتي، فما كان عليكِ إلّا أن تقولي الكلمة فيرسم أحد أصدقائك الصناديد هؤلاء بسمّةٍ حمراء على وجهي»، ورمقَ كوركلت بنظرةٍ ذات معنى، لكنه كان أغبى من أن يشتُم السخرية في كلام تيريون.

- «آل ستارك لا يغتالون النَّاس في نومهم». - «ولا أنا. مرّةً أخرى أقول لكِ إنه لم يكن لي أيُّ يدٍ في محاولة اغتيال ابنك».

- «القاتل كان مسلّحًا بخنجرِكَ». شعر تيريون بحرارة الحقن اللاّفة تتصاعد في أعماقه، وقال بإصرار: «لم يكن خنجري. كم مرّةٍ ينبغي عليّ أن أقسم على ذلك؟ ليدي ستارك، أيّا كان ما تعتقدينه عني، فأنا لستُ غيبًا. فقط الأحمق يُسلّح المجرم الذي استأجره بخنجره الخاص».

للمحظةِ خاطفةٍ حسبَ أنه لمحَ الشكَّ في عينيها، لكنها قالت: «لماذا يكذب بيتر عليّ؟».

- «ولماذا يبرّز الدُّبُّ في الغابة؟ لأن هذه هي طبيعته. رجلٌ مثل الإصبع الصّغير يكذب كما يتنفّس. من المفترض أنك تعرفين هذا من بين النَّاس أجمعين».

تقدّمت خطوة نحوه بلامحٍ مشدودةٍ وسألته: «وما معنى هذا يا لانستر؟».

مالَ تيريون برأسه إلى الجانب وقال: «كلُّ رجلٍ في البلاط سمعه يحكي كيف أنه فضَّ بكارنك يا سيّدتي».

هدرت كاتلين ستارك: «هذا كذب!».

وقال ماريليون مصدومًا: «يا لك من غريبتٍ عديم الحياء!».

سحبَ كوركلت خنجره القبيح المصنوع من الحديد الأسود، وقال: «كلمة واحدة منك يا سيّدتي وسألقي لسانه الكذوب عند قدميك». كانت عينا الخنزير في وجهه دامعتان من فرط الإثارة والترقب.

رمقت كاتلين ستارك تيريون ببرودٍ لم يرَ مثيلاً له من قبل، وقالت: «بيتر بايلش كان يُحبّني ذات يوم. كان مجرد صبيٍّ وتسبّبت عاطفته في مأساةٍ لنا جميعًا، لكنها كانت حقيقةً طاهرةً وليست شيئًا تسخر منه. لقد طلبَ يدي وهذه حقيقة الأمر. أنت رجل شرير حقًا يا لانستر».

- «وأنت حمقاء حقًا يا ليدي ستارك. الإصبع الصّغير لم يُجب أحدًا في حياته غير الإصبع الصّغير، وأؤكدُ لك أنها ليست يدك التي يحكي ويتحاكى عنها، بل هذان الثديان العامران، وهذا الفم الجميل، والحرارة بين ساقيك».

قبضَ كوركلت على شعره وسدّ رأسه إلى الخلف بعنفٍ ليكشف عنقه، وشعرَ تيريون بقبلة الحديد الباردة تحت ذقنه. «هل أذبحه يا سيّدتي؟».

قال تيريون لاهنًا: «اقْتلني وستموت الحقيقة معي».

أشارت كاتلين لكوركلت قائلةً بلهجةٍ أمرّة: «دعه يتكلّم».

تخلّى كوركلت عن شعر تيريون على مضضٍ، والتقطَ القزم شهيقةً عميقًا وقال: «ما الذي قاله الإصبع الصّغير عن وسيلة حصولي على خنجره؟ أجيبي عن هذا السؤال».

- «قال إنك ربحت في رهان خلال دورة المباريات التي أقيمت يوم ميلاد الأمير جوفري».

- «عندما أسقط فارس الزهور أخي جابمي عن حصانه. هذا ما قاله، أليس كذلك؟».

أجابت مقطبة جبينها: «هذا صحيح».

- «خيالة!».

جاءت الصخرة من فوق الأخدود الذي حفرته الرياح من فوقهم، حيث كان السير رودريك قد أرسل لاهارس ليُرَاقِب الطريق بينما يستريح بقيتهم.

للحظة دامت أطول من اللازم لم يتحرك أحدهم من مكانه، ثم إن كاتلين ستارك صاحت: «سير رودريك، سير ويليس، إلى الخيول، ضعاً بقيتها وراءنا. موهور، احرس الأسرى».

انتفض تيريون واقفاً وأطبق على ذراعها قائلاً: «سلحونا. ستحتاجون كل رجل».

كانت تُدرك أنه على حق ورأى هو هذا في عينيها. قبائل الجبال لا تُبالي مقدار ذرة بالعداوات بين العائلات الكبرى، ولا فرق لديهم إن كان من يذبحونه ستارك أم لانستر، تماماً كما يذبحون بعضهم بعضاً، وثمة احتمال ألا يذبحوا كاتلين، فهي ما زالت صغيرة بما يكفي لأن تحمل بالمزيد من الأبناء. لكنها ظلت مترددة رغم ذلك.

- «إنني أسمعهم!»، صاح السير رودريك، وأدار تيريون رأسه ليُصغي، وكانت الأصوات مسموعة بالفعل: حوافر، دسة من الخيول أو أكثر تدنو منهم. وفجأة كان الجميع يهرعون إلى خيولهم وأسلحتهم.

تساقط الحصى حولهم ولاهارس يهبط من أعلى الأخدود منزلقاً بسرعة، ثم يخطئ لاهناً أمام كاتلين ستارك. كان رجلاً غليظ الملامح ذا شعرٍ مبعثرٍ خشن بلون الصُّدأ يبرز من تحت قبعته الحديدية ذات الشكل

المخروطي. «عشرون رجلاً، وربما خمسة وعشرون»، قال بلهفة. «إمّا من قبيلة ثعابين الحليب أو إخوة القمر. لا بُدَّ أن لديهم مُراقِبين متوارين في هذه الأنحاء يا سيّدي. إنهم يعرفون أننا هنا».

كان السير رودريك قد امتطى حصانه بالفعل وسيفه الطويل في يده، بينما جثم موهور وراء جُلُمودٍ ويداه تُحيطان برُمحه ذي الرأس الحديدي وخنجره بين أسنانه، وصاح السير ويليس في ماريليون: «ساعِدني على تثبيت واقِي الصُّدر»، إلّا أن المغنّي جلس متجمّداً في مكانه وقد قبض على قيثارته وامتقع وجهه تماقاً، لكن موريك رجل تيريون نهض مسرعاً واندفع ليُساعد الفارس على تثبيت درعه.

ظَلَّ تيريون مُطيقاً على يد كاتلين، وقال: «ليس لديك خيار. هناك ثلاثة منا ورجل رابع يَحْرُسنا، أربعة رجال يعنون الفارق بين الحياة والموت هنا».

- «أعطني كلمتك أنكم ستضعون سيوفكم بمجرد انتهاء القتال».

باتت أصوات حوافر الخيول أعلى كثيراً الآن، وابتسم تيريون بسخرية وقال: «كلمتي؟ أوه، لك هذا يا سيّدي، أعدك بشرفي كلانستر».

للحظة حسب أنها ستبصق عليه، لكنها صاحت مبتعدة بخطوات سريعة: «سلّحوهم». ألقي السير رودريك سيف چيك إليه ثم دار ليلاقي العدو، والتقط موريك قوساً وجعبة سهام وركع على رُكبة واحدة على جانب الطريق، فهو أبرع في الرماية من المِبارزة، ودنا برون على حصانه من تيريون وناولَه بلطة مزدوجة.

قال تيريون: «لم أقاتل ببلطة من قبل». كان لها إحساس غير مألوف وغير مريح بين يديه، بمقبضها القصير ورأسها الثقيل ذي التواء القبيح.

- «تظاهر بأنك تضرب جذع شجرة»، قال برون وهو يسحب سيفه الطويل من الغمد المثبت على ظهره، ثم بصق وتحرك ليتخذ مكانه إلى جوار تشيجن والسير رودريك، ووثب السير ويليس على حصانه واندفع

إلى جوارهم وهو يُبَيِّت خوذته ذات فتحة العينين الرّفِيعَة والذَّيْل الأسود
الحريري الطويل على رأسه.

غمغمَ تيريون لنفسه: «جدوع الأشجار لا تنزف». شعرَ بأنه عارٍ بلا
درع، وتلفت حوله باحثًا عن صخرة ثم هُرِعَ إلى تلك التي اختبأ ماريليون
وراءها قائلاً: «أفسح لي مكانًا».

صرخَ الصَّبي في وجهه: «ابتعد عني! أنا مغرٌّ ولا مكان لي هنا!».
قال تيريون ساخرًا: «هل فقدت حُبَّكَ للمغامرة؟»، وركلَه بطرف
حذائه حتى أفسحَ له مكانًا إلى جواره، وفي اللَّحظة المناسبة تمامًا، ففي
اللَّحظة التَّالية مباشرة انقضَّ عليهم مُهاجِمُوهم.

لم يكن هناك نداء أو رايات أو نفير أو طبول، فقط رنين الأسهم التي
انهمرت من قوسي موريك ولا هارس، ثم انشقَّ الفجر عن رجال القبائل.
جاءوا هادين بهيئتهم الكثيرة وقد ارتدوا الجلود المقوَّاة بالزَّيت المغلي
ودروعًا غير متناسقة مع بعضها بعضًا، وتوازَت وجوههم وراء خوذاتٍ
قصيرة، بينما قبضت أيديهم على مختلف أنواع الأسلحة: سيوف طويلة
ورماح ومناجل مشحوذة، هراوات شائكة وخناجر ومطارق حديدية
ثقيلة. على رأسهم كان رجل كبير الحجم في معطفٍ مخطَّط من جلد
قِطَط الظِّلّ تسلَّحَ بسيفٍ عظيم ذي مقبضٍ مزدوج. هتفَ السير رودريك:
«ويترفل!» واندفعَ ليلقاه وبيرون وتشيجن إلى جواره مُطلقين نداء حربٍ
ما، وتبعهم السير ويليس وود ملوِّحًا بسلسلةٍ تنتهي بكرةٍ شائكة فوق
رأسه هاتفًا: «هارنهال! هارنهال!». شعرَ تيريون برغبةٍ مفاجئةٍ بأن يتنفّض
ناهضًا ويُلَوِّح بيلطته هاتفًا بدوره: «كاسترلي روك!»، لكن اللُّوثة مرَّت
بسرعةٍ وانخفضَ بجسده أكثر.

سمعَ صراخ الخيول المفزوع وارتطام الحديد بالحديد. شطرَ سيف
تشيجن وجه خيَالٍ درَّع جسده بالحلقات المعدنية وتركَ وجهه عاريًا،
واندفعَ برون بين رجال القبائل كزوبعةٍ مُسقِطًا إياهم يمينًا ويسارًا، وهوى

السير رودريك بسيفه بأعنف ما لديه على الرَّجل ذي المعطف الجِلدي وتبادلا الضربات وحصاناهما يرقضان حول أحدهما الآخر. وثبَّ جيك على ظهر حصانٍ وانطلقَ إلى حومة القتال بلا دِرْع، ثم رأى تيريون رأس سهم ينبثق من حلق الرجل ذي المعطف الجِلدي، وعندما فتحَ فمه ليصرخ تدفق منه الدَّم، ولمَّا سقطَ كان السير رودريك قد التفتَ لقتال رجلٍ جديدٍ بالفعل.

ولولَ ماريليون فجأةً وغطَّى رأسه بالقيثارة عندما وثبَّ حصان من فوق الصَّخرة التي اختبأ خلفها، ونهضَ تيريون مذعورًا والخيال يلتفت ليهاجمهما حاملًا مطرقةً شائكة. لَوَّحَ تيريون ببلطته بكلتا يديه، وأصابَت البلطة الحصان المُهاجم في حلقه وانغرست في اللَّحم، وكادت تُنتزع من يد تيريون والحصان يتهاوى صارخًا، لكنه استطاعَ انتزاعها في اللحظة الأخيرة ويقفز مبتعدًا عن الطَّريق كيفما اتَّفَق، بينما لم يُحالف الحظُّ نفسه ماريليون الذي انهارَ الحصان وراكبه فوقه بمنتهى العُنف. ثم إن تيريون هوى بالبلطة على قاطع الطَّريق الذي علقت ساقه تحت الحصان، ودفنها في عنقه فوق لوحِي الكتف مباشرةً. سمعَ ماريليون يثن من تحت جَنَّة الحصان ويقول باكيًا: «ساعدوني، بحقِّ الآلهة، إنني أنزف!».

قال تيريون: «أعتقدُ أنها دماء الحصان»، وخرجت يد المغني زاحفةً من تحت الحيوان الميت لتحسَّس الأرض كعنكبوتٍ بخمس سيقان، ووضعَ تيريون كعبِ حدائه على الأصابع الملهوفة وضغطَ به حتى سمعَ صوت كسر العظام المُرضي، ثم قال للمغني: «أغمض عينيك وتظاهر بأنك ميت»، ثم التقطَ البلطة وابتعدَ مسرعًا.

بعدها اختلطَ كلُّ شيءٍ بكلِّ شيءٍ. أفعَمَ الفجر الصَّباح والصَّراخ ورائحة الدِّماء، واستحالَ العالم كله من حولهم إلى فوضى. سمعَ تيريون السَّهام تُهسَّس وترتطم بالصُّخور، ورأى برون يسقط عن حصانه ثم يواصل القتال بسيفين في يديه. رأى كلَّ ما يحدث، أبقى نفسه على حافة

القتال، ينزلق من صخرة إلى أخرى ثم يندفع من بين الظلال ليهوي على قوائم الخيول العابرة ببلطته، ثم إنه وجدَّ أحد رجال القبائل وقد سقط جريحاً، وتركه ميتاً قبل أن يأخذ خوذته القصيرة ويثبتها على رأسه. وجدَّها ضيقة أكثر من اللازم، لكنه سعد لوجود أيِّ حماية على الإطلاق. تلقَّى جيك ضربة من الخلف وهو يضرب رجلاً أمامه في الآن نفسه، ولاحقاً تعثر تيريون في جثة كوركلت. كان وجه الخنزير تهشم بفعل عصا شائكة، لكنه تعرَّف على الخنجر القبيح وانتزعه من بين أصابع الرجل الميت، وكان يدسُّه في حزامه عندما سمع صرخة امرأة.

كانت كاتلين ستارك عالقَةً بين وجه الجبل الحجري والرجال الثلاثة الذين أحاطوا بها، أحدهم على متن حصانه والآخَران على أقدامهما، وقد قبضت يديها المشوَّهتين على خنجرٍ لوَّحت به في وجوههم بحركات خرقاء، لكن ظهرها كان إلى الصُّخور الآن وثلاثتهم يُحاصِّرونها من الاتجاهات الأخرى. فكَّر تيريون: فليأخذوا الحقيبة ويهناؤا بها، لكنه ظلَّ يتحرَّك نحوهم على الرغم من ذلك. هَوَّت ضربته على باطن رُكبة الرجل الأول قبل أن يلاحظوا وجوده حتى، وشقَّ رأس البلطة الثَّقيل اللحم والعظام كالخشب العَين. جذوع أشجارٍ تنزف، قال لنفسه والثاني يُهاجمه، وانحنى ليتفادى ضربة السِّيف ثم طوَّح البلطة في وجهه، فراجعَ الرجل خطوةً إلى الوراء... فقط ليفتح خنجر كاتلين ستارك عنقه. عندها تذكَّر نالْتهم راكب الحصان موعداً مهماً في مكانٍ آخر واندفع هارباً.

تطلَّع تيريون حوله ليجد جميع الأعداء سقطوا أو فروا. بشكلٍ ما انتهى القتال دون أن يُدرك، وانطرح الرجال الجرحى والخيول المحتضرة أرضاً في كلِّ مكانٍ بين صراخ وأنين، ولدهشته الشديدة لم يكن واحداً منهم. فتحَ أصابعه وترك البلطة تسقط على الأرض بصوتٍ مكتوم، ورمقَ أصابعه التي أغرقتها الدماء والتصقَّت بها على نحوٍ لزج. كان ليُقسم أن القتال استمرَّ لنِصف يومٍ كامل، لكن الشَّمس كانت لا تزال في موضعها نفسه تقريباً.

- «معركتك الأولى؟»، سأله برون لاحقًا وهو يميل على جثّة جيّك ويخلع حذاءه الثقيل. كان حذاءً ممتازًا كما يليق بأحد رجال اللورد تاوين، متينًا وليّنًا وأفضل بكثير من الذي يرتديه برون.

أومأ تيريون برأسه إيجابًا وقال: «سيفخر بي أبي كثيرًا». كانت التشنّجات في ساقه قاسيةً للغاية لدرجة أنه استطاع الوقوف بالكاد، ومن الغريب أنه لم يشعر بشيء من هذا الألم خلال المعركة.

قال برون بلمعة في عينيه السوداوين: «أنت في حاجة إلى امرأة الآن»، وألقى حذاء جيّك في العدل المثبت بسرج حصانه مضيئًا: «لا شيء يضاهي امرأة بعد القتال، ثِق بي».

سمعه تشيجن وتوقّف لحظةً عن نهْـبِ جثث قُطَاع الطريق ليلهث ويلعق شفّته، بينما ألقى تيريون نظرةً على الليدي ستارك التي كانت تُضَمّد جروح السير رودريك، وقال: «أنا مستعدٌّ إذا كانت مستعدة»، فانفجر المحاربون غير النظاميين ضاحكين وابْتَسَم تيريون قائلاً لنفسه: هذه بداية.

بعد ذلك ذهبَ إلى الغدير وركعَ على حافّته ليغسل وجهه من الدّماء بالمياه الباردة كالثلج، ثم عادَ يَعْرِجُ إلى الآخرين ملقيًا نظرةً على القتلى. كان رجال القبائل الموتى نحيلين ذوي ثيابٍ بالية، خيولهم هزيلة صغيرة الحجم تُبرّز ضلوعها من تحت الجلد، وما تبقى من الأسلحة التي تركّها لهم برون وتشيجن بلا قيمة تقريبًا، سواء المطارق أو الهراوات أو المنجل... تذكر الرجل الكبير الذي ارتدى المعطف جلد قط الظل، الذي بارزَ السير رودريك بالسيف العظيم ذي المقبض المزدوج، لكن لدى عثوره على جثته الملقاة الأرض الحجريّة رأى أنه لم يكن كبيرًا لثك الدرجة حقًا. لم يعدْ معطفه هناك، ولاحظَ تيريون أن نصل السيف كان مفلولًا للغاية وشاعَ فيه الصّدأ. لا عجب إذن أن تسعة من رجال القبائل سقطوا صرعى.

من مجموعتهم سقط ثلاثة: كوركلت وموهور رجلا اللورد براكن، بالإضافة إلى رجله چيك الذي أثبت شجاعته عندما انضم إلى القتال بلا درع. أحرق حتى النهاية، فكّر تيريون.

- «ليدي ستارك، أناشدك أن نواصل التحرك بكل ما لدينا من سرعة»، قال السير ويليس وعيناه تمسحان المكان من حولهم بحذر عبر الشق الضيق في خوذته. «لقد أبعدناهم في الوقت الحالي، لكنهم لن يتعدوا كثيرًا».

قالت: «يجب أن ندفن موتانا يا سير ويليس. لقد كانوا رجالًا شجعانًا، ولن أتركهم للغربان وقطط الظل».

- «الأرض حجريّة ولن تصلح للحفر».

- «سنجمع الحجارة وندفنهم تحتها إذن».

قال برون: «اجمعي كل ما تشائين من حجارة، لكن من دوني أنا وتشيجن. إن لدي أشياء أفضل أفعلها من رصّ الحجارة فوق الموتى... منها أن أظل أنفُس»، ثم نظر إلي بقية الناجين قائلاً: «فليأت معنا من يرغب في أن يكون حيًا عندما يحل المساء».

قال السير رودريك يانهاك: «أخشى أنه على حق يا سيدي». كان الفارس المُسن قد أصيب في القتال بجرح عميق في ذراعه اليسرى ورُمح أصاب جانب عنقه، والآن كانت نبرته تشي بعمره الحقيقي. «سوف يُهاجمونا من جديد بلا شك إذا بقينا هنا، وقد لا ننجو من هجمتهم الثانية».

رأى تيريون الغضب جليًا على وجه كاتلين ستارك، لكنها لم تكن تملك الخيار، فقالت: «لنُسامحنا الآلهة إذن. ستتحرك في الحال».

لم يكن هناك نقص في الخيول الآن. نقل تيريون سرجه إلى حصان چيك الأرقط، الذي بدا قويًا بما يكفي لأن يحتمل مشقة الرحلة لثلاثة أو أربعة أيام أخرى على الأقل، وكان على وشك امتطائه عندما توقّف لاهارس أمامه قائلاً بخشونة: «سأخذ هذا الخنجر الآن أيها القزم».

- «دعه يحتفظ به»، قالت كاتلين ستارك من فوق حصانها. «واجعله يأخذ بِلَطْنَه كذلك، فقد نحتاجها إذا هَاجَمُونَا مرَّةً أخرى».

قال تيريون وهو يركب الحصان الأرقط: «لَكَ شُكْرِي يَا سَيِّدَتِي». رَدَّتْ بِيْرود: «وَفَرُّ شُكْرِكَ. إِنَّنِي لَا أَتُثِّبُكَ أَكْثَرَ مِمَّا كُنْتُ أَفْعَلُ مِنْ قَبْلُ»، وتحرَّكت من أمامه قبل أن يُفَكِّرَ في أيِّ إجابة.

عَدَّلَ تيريون خوذته المسروقة على رأسه وأخذَ البِلْطَةَ من برون. تذكَّرَ كيف بدأ هذه الرِّحْلَةَ بمعصمين مقبدين وعصايةٍ حول رأسه، وقرَّرَ أن هناك تحسُّناً لَا شَكَّ فِيهِ فِي الْوَضْعِ. فلتحتفظ الليدي ستارك بثفتها، وطالما يستطيع الاحتفاظ بالبِلْطَةَ فسيُعتبر نفسه متقدِّماً عليها في هذه اللَّعْبَةِ.

تقدَّمهم السير ويليس بينما أخذَ برون المؤخِّرة والليدي ستارك في المنتصف والسير رودريك كالظِّلِّ إلى جوارها، فيما ظلَّ ماريليون يرمي تيريون بنظراتٍ واجمةٍ بَقِيَّةَ الطَّرِيقِ. كان المغنِّي قد كسَّرَ عِدَّةَ أَضْلاعَ، بالإضافة إلى قيثارته الخشبيَّة وأربعةً من أصابع اليد التي يعزف بها، وإن لم يُشْكَلِ اليَوْمُ خَسَارَةً كَامِلَةً لَهُ، فقد عَثَرَ عَلَى مَعْطَفٍ ثَقِيلٍ مَصْنُوعٍ مِنْ جِلْدِ قِطَطِ الظِّلِّ الْمَخْطُوطِ بِالْأَبْيَضِ وَمِبْطُنٍّ بِالْفُروِ الْأَسْوَدِ السَّمِيكِ، وأحاطَ بِهِ جَسَدُهُ بِأَحْكَامٍ، وَلِمَرْءَةٍ لَأَذَّ بِالصَّمْتِ التَّامِ دُونَ أَنْ يُلْقِيَ تَعْلِيْقَاتِهِ السَّخِيفَةَ.

لم يكونوا قد قطعوا نِصْفَ مِيلٍ حَتَّى سَمِعُوا دَمْدَمَةَ قِطَطِ الظِّلِّ الْعَمِيقَةِ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَبَعْدَهَا زَمْجَرَةٌ تِلْكَ الْوَحُوشِ الضَّارِيَةِ وَهِيَ تَتَصَارَعُ عَلَى لَحْمِ الْجِثَّتِ الَّتِي تَرَكَوْهَا. امْتَنَعَ وَجْهُ مَارِيلْيُونٍ لِدَرَجَةٍ مَلْحُوظَةٍ، وَدَنَا تيريون منه قائلاً: «جَرَّبْ أَغْنِيَّةَ تَجْمَعُ بَيْنَ "جَبَانٍ" وَ"غَرَابٍ"، ثُمَّ تَجَاوَزَهُ إِلَى حَيْثُ السَّيْرِ رُودْرِيكِ وَكَاتَلِينَ سِتَارْكِ، الَّتِي رَمَقَتْهُ بِنَظَرَةٍ صَامِتَةٍ حَادَّةٍ، فَقَالَ: «كَمَا كُنْتُ أَقُولُ قَبْلُ أَنْ يُقَاطِعُونَنَا عَلَى هَذَا النِّحْوِ الْوَقْعِ، ثَمَّةُ ثَغْرَةٍ كَبِيرَةٍ فِي أَكْذُوبَةِ الْإِصْبَعِ الصَّغِيرِ. أَيُّهَا كَانَ مَا تَعْتَقِدُنِي عَنْهُ أَيَّتُهَا اللَّيْدِي سِتَارْكِ، دَعِينِي أَوْكُذُ لَكَ أَنِّي لَا أَرَاهُنِ ضِدَّ عَائِلَتِي... أَبَدًا».



آريا

قَوَسَ القِطُّ الأسود ذو الأذن الواحدة ظهره وهسهسَ في وجهها.
تقدّمت آريا بخفّة في الزُّقاق وقد وازنت نفسها جيّدًا على المفصلين
الكرويين في قدميها الحافيتين، وأصغّت إلى خفقات قلبها وأخذت تلتقط
أنفاسًا بطيئة عميقة. بهدوء الظلال... بخفّة الرّيش، قالت لنفسها، وراقبها
القِطُّ بعينين حذرتين إذ دنت منه. الإمساك بالقِطط صعبٌ حقًّا. كانت
يذاها مغطّاتين بالخدوش نصف الملتئمة، بينما اكتست جروح رُكبتها
بالقشور حيث كانت قد جرحتهما مرارًا في سقطاتها المتعدّدة. في البدء
استطاعَ حتى القِطُّ السمين الذي يُربّيهِ الطّاهي في المطبخ التملّص منها،
لكن سيربو أمرها بمواصلة المحاولة ليلاً نهارًا، وعندما عادت إليه يبيدين
داميتين قال لها: «بطيئة جدًّا. يجب أن تكوني أسرع يا فتاة، وإلا أصابك
أعداؤك بما هو أكثر من الخدوش»، ثم دهنَ الجروح بالصّبغة المايرية
التي كوّنوها على نحوٍ شديد الإيلام جعلها تعضُّ شفّتها كي تمنع نفسها
من الصّراخ، قبل أن يُرسلها لمطاردة المزيد من القِطط.

القلعة الحمراء مليئة بالقِطط... قِطط عجوز كسول تغفو في الشّمس،
قِطط تخصّصت في صيد الفئران ذات عيونٍ باردة وذبولٍ لا تعرف
الثّبات، قِطط صغيرة سريعة الحركة لها مخالب كالإبر، قِطط السيّدات
المرفّهة ذات الشّعر الممشّط والطّبيعة الودود، قِطط بائسة مشعّنة تبحث
عن رزقها في أكوام القمامة. واحدة تلو الأخرى طاردتها آريا وأمسكت

بها وأخذتها إلى سيريو فورل شاعرةً بالفخر بنفسها... كلها باستثناء هذا القط الأسود الشيطان ذي الأذن الواحدة. في مرّة قال لها أحد حرس المدينة ذوو المعاطف الذهبية: «هذا القط هو الملك الحقيقي في هذه القلعة. إنه عجوز جدًّا وشديد الشراسة. ذات يوم أقام الملك مأدبةً على شرف أبي الملكة، ويومها وثب هذا الوغد الأسود على المائدة واختطف طائر سمّان مشويًّا من يد اللورد تايبين، وضحك روبرت بقوة حتى كاد ينفجر. أنصحك بالابتعاد عنه أيتها الصغيرة». لكنها كانت قد قطعت نصف القلعة في مطارَدته بالفعل، مرّتين حول بُرج اليد، وعبر الفناء الداخلي وبعده الاسطبلات، ثم على السلالم الملتفة ومرورًا بالمطبخ الصغير وحظيرة الخنازير وثكنة المعاطف الذهبية، وبطول السور المطل على النهر، ثم صعودًا على سلالم البرج المعروف في القلعة باسم "مشية الخونة" ويضمّ المدخل إلى الزنازين، ثم نزولًا من جديد وخلال بوابة وحول بئرٍ ودخولًا إلى مباني غربية وخروجًا منها، إلى أن لم تعدّ آريا تدري أين هي.

والآن ها هي تُحاصره أخيرًا. على جانبي الزقاق كان جداران عاليان، ومن أمامها كتلة حجريّة مصمتة بلا نوافذ. بهدوء الظلال، ردّدت لنفسها وهي تتقدّم بتأنٍّ، بخفّة الرّيش.

عندما باتت على بُعد خطواتٍ ثلاث منه لا أكثر، انطلق القط الأسود بسرعة السهم، يسارًا ثم يمينًا، وتحركت آريا معه لتقطع عليه طريق الهرب. هسهس مرّة أخرى وحاول الاندفاع من بين ساقها، لكنها ردّدت لنفسها: بسرعة الثعبان، وألمّقت يداها عليه وضمتته إلى صدرها. أخذت آريا تدور حول نفسها وتضحك بصريّة عالٍ والقط يُمرّق وجهه سُترتها الجلدية بمخالبه الطويلة الحادة دون أن تتوقّف لحظة عن المواء الغاضب، ثم بسرعة شديدة طبعّت قُبلةً على جبهته بين العينين وارتدّت برأسها إلى الوراء قبل أن تصل مخالبه إلى وجهها.

- «ما الذي تفعله بهذا القِط؟».

مفزوعةٌ تخَلَّتْ آريا عن صيدها الثَّمين ودَارَتْ على عقبها في اتِّجاه الصَّوت، بينما اندفع القِطُّ نفسه فارًّا في غمضة عين. في نهاية الرُّفاق وقَفَتْ فتاةٌ يُكَلِّلُ رأسها شَعر بلون الدَّهَب، ترتدي ثيابًا جميلةً من الحرير الأزرق جعلتها تبدو كدُميَّة، وإلى جوارها ولدٌ صغير أشقر ممتلئ الجسم، طُرُزٌ وغلٌّ واثبٌ باللُّؤلؤ على صدر سُترته، وتدلَّى سيفٌ صغير الحجم من حزامه. فكَرَّتْ آريا: الأميرة مارسلا والأمير تومن. كانت هناك سِبتة ضخمة الحجم كحصان جَرٌّ تقف وراءهما، ومن ورائها رجلان كبيران يرتديان المعاطف القرمزيَّة، فعرفت آريا أنهما من حرس لانستر.

- «ما الذي كنت تفعله بهذا القِطُّ يا ولد؟»، سألت مارسلا مرَّةً أخرى بلهجة صارمة، ثم التفتت إلى أخيها وقالت ضاحكة: «انظرُ إليه. هل ترى ثيابه الرثة؟».

إنهما لا يعرفان من أكون، لا يُدركان أنني فتاة حتى. لا داعي للعجب، فقد كانت آريا متسخة حافية القدمين، تشابك شَعرها وتجعَّد بعد الجري الطويل في أنحاء القلعة المختلفة، وترتدي سُترَةً مرقَّتها مخالب القِطِّ وسروالًا خشنًا مقطوعًا عند الرُّكبتين. لا أحد يرتدي ثُورةً وملابسٍ حريريَّةً عندما يُطارِدُ القِطط. بسرعة خفَضَتْ رأسها وركعت على ساقٍ واحدة. ربما لن يتعرَّفَا عليها، وإذا فعلا فلن تكون النتيجة خيرًا أبدًا. ستُصاب السِبتة بالرُّعب ولن تتكلَّم سائرًا معها ثانيةً أبدًا من فرط الخزي. تقدَّمت السِبتة العجوز البادنة وقالت: «كيف جئت إلى هنا يا ولد؟ لا يحقُّ لك أن تتواجد في هذا الجزء من القلعة».

علَّقَ أحد المعطفين القرمزيَّين: «لا يُمكنك منع أمثاله من الدُّخول، كأنك تُحاولين منع الجرذان».

قالت السِبتة بلهجة أمرة: «إلى من تنتمي يا ولد؟ أجِبي... ماذا بك؟ هل أنت أبكم؟».

علق صوت آريا في حلقها ولم تقوَ على الكلام. إذا أجابت فسيعرف
تومن ومارسلا من تكون بالتأكيد.

قالت السبّنة لأحد الحارسين: «جودوين، انتِ به إليّ»، فتحرّك
الحارس الأطول قامّة عبر الرُّقاق متقدّماً نحوها، وأطبّق الهلع على
خلق آريا بيد من حديد، فلم تكن تستطيع الكلام الآن حتى لو
اعتمدت حياتها على هذا، ولنفسها ردّدت: بهدوء المياه التراكدة. وإذا
مدّ جودوين يده نحوها تحرّكت آريا... بسرعة الثعبان... مالت إلى
اليسار تاركة أطراف أصابعه تمسّ ذراعها وهي تدور من حوله...
بنعومة الحرير الصّيفي... ولمّا التفت إليها كانت تندفع إلى الطّرف
الآخر من الرُّقاق... برشاقة الغزال... كانت السبّنة تصرّخ فيها،
وانزلقت آريا بين ساقين سميكتين يضاوين كالأعمدة الرُّخامية، ثم
هبت ناهضة لترتطم بالأمير تومن ووثبت من فوقه وهو يسقط على
مؤخرته الصّغيرة صائحا: «أوف!»، قبل أن تتفادى الحارس الثّاني
وتندفع مغادرة الرُّقاق كله.

سمعت صياحا وخطوات أقدام قويّة تدقّ الأرض وراءها، فسقطت
بنفسها أرضا وتدرجحت ليتجاوزها المعطف الأحمر منعثرا، ثم عادت
تنهض بسرعة ورأت نافذة فوقها، عالية ضيقة لا يزيد عرضها على
فتحة رمي السّهام، لكن آريا وثبت إليها وتعلّقت بعنبتها ودفعت نفسها
إلى أعلى، وحسّت أنفاسها وهي تحسّر نفسها وتمرّ بصعوبة مردّدة
في أعماقها: بانسيائية ثعبان الماء. هبطت على الأرض فجأة لتثير فزع
عاملة نظافة ما، ثم اعتدلت ونفضت ملابسها المهترئة وانطلقت تركض
من جديد خارجة من الباب لتقطع رواقا طويلا، ثم بضع درجات نزولا،
ومنها إلى فناء خفي، قبل أن تدور حول منعطف ما ينتهي بسور تسلّفته
لتعبّر بعدها من نافذة واطئة ضيقة إلى قبو دامس الظلام؛ وصارت
الأصوات أبعد وأبعد وخلفها.

كانت متقطعة الأنفاس وضائعة تمامًا، ولا شك أنها تورطت أكثر من اللازم في هذا المأزق إذا تعرّف الأمير والأميرة عليها، لكنها لا تعتقد أنهما فعلاً، فقد تحركت بسرعة شديدة... برشاقة الغزال.

جلست آريا القرفصاء في الظلمة وأسندت ظهرها إلى جدار حجري رطب وأصغت، لكن الصوت الوحيد الذي تنهى إلى مسامعها كان صوت دقات قلبها وخريف ماء بعيد. بهدوء الظلال، ردّدت لنفسها.

تساءلت أين هي الآن. في بداية مجيئهم إلى كينجز لاندينج كانت تُراودها أحلام سيئة ترى فيها نفسها وقد ضلّت سبيلها في طُرقات القلعة. أبوها قال إن القلعة الحمراء أصغر من ويترفل، لكنها كانت ضخمة حقاً في أحلامها، متاهة حجريّة بلا نهاية ذات أسوار تتغيّر وتبدّل طوال الوقت من حولها. كانت تجد نفسها تجوب أروقة كثيفة علقت فيها ستائر بهتت رسومها الملونة، تنزل سلالم ملولبة لا تنتهي، تندفع قاطعة ساحة أو جسراً، تصيح وما من مجيب. في بعض الغرف كانت الجدران الحجريّة الحمراء تنزف دماً وقد اختفت نوافذها كلها، وفي أحيان كانت آريا تسمع صوت أبيها وإن كان يأتي خافتاً دوماً ومن على مسافة كبيرة، ومهما ركضت نحوه بمنتهى سرعتها كان الصوت يخفت ويخفت إلى أن يتلاشى تمامًا وتبقى آريا وحدها في الظلمات.

وكان الظلام مُطبقاً بحق الآن، وضمت آريا رُكبتها المكشوفتين إلى صدرها بقوة وارتجفت. سوف تنتظر بهدوء وتعدّ حتى عشرة آلاف، وبعدها ستستطيع الخروج من النافذة والعودة.

لما بلغت رقم 87 كان المكان قد بدأ ينير بعض الشيء مع اعتياد عينها على الظلام، ويبطئ أخذت الأشياء المحيطة بها شكلها الحقيقي. حدّقت فيها عيون خاوية ضخمة بجوع عبر حُجب الظلام، ولمحت آريا ظلال الأنياب الطويلة. توقفت عن العدّ وأغلقت عينها وعضّت شفتيها طاردة الخوف من نفسها. عندما تنظر مجدداً ستكون الوحوش قد

اختفت كأنها لم تكن. تظاهرت بأن سيريو جالس إلى جوارها في الظلام،
ولنفسها رددت: بهدوء المياه الراكدة، بقوة الدب، بشراسة الوولفرين...
ثم فتحت عينيها.

كانت الوحوش لا تزال هناك، لكن الخوف تلاشى تمامًا.

نهضت آريا وتحركت بحذر بين الرؤوس المحيطة بها. تحسست
واحدًا بفضولٍ متسائلةٍ إن كان حقيقيًا، ومست أطراف أصابعها فكًا
ضخمًا. لا ريب أنه حقيقي، فالعظام ملساء لها ملمس بارد صلب. مررت
أصابعها على نابٍ أسودٍ حادٍّ كأنه خنجر مقدود من الظلام... وارتجفت.
بصوتٍ عالٍ قالت: «إنه ميت، مجرد جمجمة لا يمكنها أن تؤذيني»،
لكن بشكلٍ ما بدا كأن الوحش يعرف بوجودها هناك. شعرت بمحجري
العينين الخاويين يُراقبانها من خلال الظلام، وكان ثمة شيء ما في هذا
المكان المعتم الأشبه بكهفٍ لا يُكنُّ لها حُبًا. تراجعت بظهرها عن
الجمجمة والتصقت دون أن تدري بواحدةٍ أكبر منها حجمًا، وللحظةٍ
أحست بأنيابها تنغرس في كتفها كأنها تريد أن تقضم لحمها، وانتفضت
آريا مبتعدة وشعرت بالجلد يعلق ويتمزق وقد اشتبك الناب الضخم
بسترتها، قبل أن تندفع راکضة... وأمامها كانت جمجمة أخرى، جمجمة
الوحش الأكبر بين الآخرين جميعًا، لكن آريا لم تُبطئ حركتها ووثبت
فوق صفٍّ من الأسنان السوداء الحادة كالسيوف، وعبرت من خلال
فكينٍ جائعين وألقت نفسها على الباب.

وجدت بداها حلقة معدنية ثقيلة مثبتة في الخشب فجذبتها، وقاومها
الباب لوهلة قبل أن يفتح ببطءٍ إلى الداخل بصريٍّ عالٍ للغاية حتى أن
آريا قالت لنفسها إن المدينة كلها سمعته بكل تأكيد، ثم وارتب الباب بما
يكفي لأن تعبر منه إلى البهو الواقع ورائه.

إذا كانت القاعة التي تحوي الوحوش مظلمة، فالبهو كان أسود خُفرة
في الجحائم السبع كلها. بهدوء المياه الراكدة، تمتعت آريا لنفسها، لكن

حتى بعد أن منحَت عينيها فُرصةً للتعود على الظلام، لم يكن هناك ما تراه بخلاف الخطَّ الرمادي المبهم الذي يُحدِّد الباب الذي أتت منه. حرَّكت أصابعها أمام وجهها وشعرت بالهواء يتحرَّك، لكنها لم تر شيئاً. كانت عمياء تماماً الآن. راقصة المياه ترى بجميع حواسِّها، قالت لنفسها مذكرةً وأغلقت عينيها وتركت أنفاسها تنتظم، واحد اثنان ثلاثة، ثم مدَّت يديها أمامها. مسَّت أطراف أصابعها حجراً خشناً غير مكتمل إلى يسارها، وتبعَت الجدار ويدها تنزلق بخفَّةٍ على السطح مُحاولَةً الحفاظ على خطواتها المتأنية في الظلام. كلُّ الطُّرقات تقود إلى مكانٍ ما... إذا كان هناك سبيل للدُّخول، فهناك آخر للخروج... ضربة الخوف أمضى من السَّيف. قرَّرت أرى أنها لن تسمح لنفسها بأن تخاف. كانت تُشعرُ أنها مشت طويلاً عندما انتهى الجدار بغتةً وأحسَّت بتيارٍ من الهواء البارد على وجنتها، وتحركت بضع شُعيراتٍ حرَّةٍ على رأسها.

من مكانٍ ما بعيد أسفلها سمعت أرىا جلبةً، احتكاك أحذية ثقيلة بالأرض وأصواتاً تتكلَّم، ثم لاح انعكاس ضوءٍ خافتٍ متذبذب على الجدار، فرأت أنها تقف عند فتحة بئرٍ سوداء ضخمة، يبلُغ اتساعها عشرين قدماً دفعةً واحدةً، وتغوص في أعماق الأرض. ثُبَّت أحجار ضخمة في جدران البئر المنحنية على سبيل السَّلام، تدور وتدور إلى أسفل والظلام يكتنفها كأنها الدَّرجات التي تقود إلى الدُّرك الأسفل من الجحيم كما كانت العجوز نان تحكي لهم في ويترفل... وكان ثمة شيء ما قادم من أغوار الأرض في سبيله للخروج من الظلام. مالت أرىا لتلقِّي نظرةً من فوق الحافة وشعرت بالأنفاس السوداء الباردة على وجهها، ثم إنها رأت بعيداً في الأسفل ضوء مشعلٍ واحدٍ صغيراً كلهب شمعة، وميزت رجلين تلَوَّت ظلالهما على جدران البئر وقد بدت طويلةً كالعمالقة، وسمعت صدى أصواتهما الآتي من بعيد.

- «... عشرَ على واحدٍ من الثُّغول، وسيتبعه الباقون قريبًا، سواء بعد يومين أو اثنين أو أسبوعين».

- «وعندما يعرف الحقيقة، ماذا سيفعل؟»، سأل صاحب الصَّوت الثاني بلكنة المُدن الحرَّة الرَّخيمة.

قال الصَّوت الأول: «الآلهة وحدها تعلم». رأت آريا خيطًا من الدُّخان الأسود يتصاعد من المشعل ويتلوى كالثُّعبان وهو يتبدّد في الهواء. «الحمقى حاولوا أن يقتلوا ابنه، والأسوأ أنهم جعلوا من الأمر كله تمثيلية. إنه ليس بالرجل الذي ينسى أو يتناسى شيئًا كهذا. أوكدُ لك أن الذئب والأسد سيشتبكان قريبًا، شئنا أم أينا».

- «قريبًا أكثر من اللازم. ما فائدة الحرب الآن؟ نحن لسنا مستعدين بعد. يجب أن تؤجل الأمر».

- «كأنني بك تُريدني أن أوقف الزَّمن. هل تراني ساحرًا؟».

قهقهة الآخر وقال: «على الأقل!». لعق اللُّهب الهواء البارد وأحرّقه، وصارت الظلال أدنى منها بكثير حتى كادت ترتفع فوقها، وبعد لحظةٍ دخل حامل المشعل مجال بصرها ورفيقه إلى جواره. زحفت آريا بعيدًا عن البشر وانبطحت على بطنها وكتمت أنفاسها مع بلوغ الرجلين قمة السَّلام.

سأل حامل المشعل: «وماذا تُريدني أن أفعل؟». كان رجلًا ممتلئ الجسد يضع على كتفيه حرملةً جلديةً قصيرة، وحتى مع ارتدائه حذاءً ثقيلًا كانت خطواته تبدو كأنها تنزلق بلا صوتٍ على الأرض. تبدّى وجهه مستدير مليءً بالثَّدوب ولحية سوداء خشنة من تحت قُبْعته الحديدية، وكان يرتدي الجِلد المقوَّى بالزَّيت المغلي والحلقات المعدنية، بينما تدلَّى خنجر وسيف قصير من حزامه. بدا لآريا أن هناك شيئًا مألوفًا للغاية فيه على نحوٍ غريب.

- «إذا ماتَ يدٌ، فما المشكلة في موت آخر؟»، قال ذو اللِّكنة

الأجنبيَّة واللَّحِيَّة الصَّفراء المتشعَّبة. «لقد رقصت هذه الرَّقصة من قبل يا صديقي». لم يكن أحدًا رآه آريا من قبل، وهي واثقة من هذا. كان بدينا لدرجةٍ مقزَّزة، لكن يمشي بخفَّةٍ وقد وضعَ وزنه كله على مفصلي قدميه الكرويين كما يفعل راقص المياه، والتمعت في ضوء المشعل خواتمه التي تنوعت بين الذهب الأحمر والفضَّة الباهتة وزُيِّنت بالياقوت الأحمر والأزرق وجواهر كعيون النُّمور الصَّفراء المشقوقة طولياً. كلُّ إصبع كان عليه خاتم، وبعضها اثنان.

- «الماضي ليس كالحاضر، وهذا اليَدُّ ليس كالآخر»، قال ذو النُّدوب وهما يخرُجان إلى البهو، فيما قالت آريا لنفسها: بثبات الحجارة، بهدوء الظُّلال. كان لهب مشعلهما نفسه هو ما أعماهما عن رؤيتهما وقد تمددت على بطنها وبسطت جسدها عن آخره على بُعد أقدام قليلةٍ منهما.

- «ربما»، قال ذو اللَّحِيَّة المتشعَّبة وقد توقَّفَ لالتقاط أنفاسه بعد الصُّعود الطَّويل. «لكن يجب أن يكون أماننا بعض الوقت. الأميرة حامل، والغال لن يتحرَّك قيد أنملةٍ حتى مولد ابنه. أنت تعي ديدن هؤلاء البرابرة».

ضغطَ ذو المشعل شيئاً ما، وسمعت آريا هديرًا عميقًا، ثم انخفض لوح ضخم من الصَّخر من السَّقف بصوتٍ مدوّ جعلها توشك على الصُّراخ، والآن حيث كانت فتحة البئر لم يَعدْ هناك غير الحجر المصمت.

قال الرَّجل الممتلئ ذو القُبعة الحديدية: «قد يفوت الأوان إذا لم يتحرَّك قريبًا. لم تُعدْ هذه لعبةً بين اثنين، لو كانت كذلك أصلاً. ستانيس باراثيون ولايسا آرَن فرًا بعيدًا عن متناول يدي، والهمسات تقول إنهما يجمعان المُحاربين حولهما من كلِّ مكان. وفارس الزُّهور كتبَ إلى أبيه يلحُّ عليه أن يُرسل أخته إلى البلاط. الفتاة عذراء في الرَّابعة عشر، جميلة مهذَّبة وسهلة الانقياد، واللورد رنلي والسير لوراس يزعمان أن يُضاجعها روبرت ويتزوَّجها ويتخذ لنفسه مَلِكَةً جديدةً. والإصبع الصَّغير... الآلهة

وحدها تعلم أيُّ لُعبةٍ يلعبها الإصبع الصَّغير. لكن اللورد ستارك هو الوحيد الذي يقضُّ عليّ مضجعي. إن لديه النُّغل ولديه الكتاب، وعمّا قريب سيعرف الحقيقة، والآن اختطفت زوجته تيريون لانستر كذلك بسبب تدخُّل الإصبع الصَّغير. سيُعتبرها اللورد تايوين إهانةً، كما أن چايمي يَكُنُّ حُبًّا غريبًا لأخيه العِفريت. إذا تحرَّك آل لانستر شَمالًا، سيعني هذا تدخُّل آل تلي كذلك. تقول لي أن أوجِّل الأمر؟ أقول لك إن علينا الإسراع، فحتى أبرع الحواة لا يُمكنه أن يُحافظ على مئة كرة في الهواء إلى الأبد».

- «أنت أكثر من مجرد حاوٍ يا صديقي القديم، بل مشعوذ حقيقي. كلُّ ما أطلبه منك أن تُمارِس سِحرك لفترة أطول فحسب».

كانا يمشيان الآن في البهو في الاتجاه الذي أتت منه آريا، عند القاعة التي تحوي الوحوش، وقال حامل المشعل بهدوء: «سأفعل ما أقدِرُ عليه. أحتاجُ ذهبًا كما تعلم، وخمسين طائراً آخر».

تركتهما يتجاوزانهما بمسافة طويلة، ثم تحرَّكت على أطراف أصابعها وراءهما... بهدوء الظلال.

- «كلُّ هذا العدد؟». كان الصَّوتان قد بدا يَخفُفُتا ومعهما ضوء المشعل من أمامها. «النَّوع الذي تريده من الصَّعب العثور عليه... صغيرة جدًا على إدراك الحروف... ربما أكبر... لا يموت بسهولة».

- «كلا، الأصفر أكثر أمانًا... عاملتها برفقة...».

- «... لو صانوا ألسنتهم...».

- «... المخاطرة...».

حتى بعد غياب الصَّوتين بمُدَّةٍ طويلة ظَلَّتْ آريا ترى ضوء المشعل الذي بدا لها كنجم داخِلٍ يُناشِدُها بأن تتبعه. اختفى عن عينيها مرَّتين، لكنها واصلت التحرك وراءه، وفي المرَّتين وجدت نفسها على قَمَّةٍ سالِم ضيِّقة شديدة الانحدار، وضوء المشعل يتوهَّج بخفوت بعيدًا في

الأسفل. هُرِعت وراءه إلى أسفل وأسفل، وفي مرّة تعرّثت في صخرة وسقطت مرتطمّة بالجدار، ثم تحسّست حولها بيديها فوجدت نفسها تلمس تُربة رطبة مدعّمة بالخشب، بينما كان التّفق كله مصنوعًا من الحجارة من قبل. لا بُدَّ أنها تبعتهما لمسافة ميلين على الأقل، وعندما غابا تمامًا عن ناظرهما لم يكن أمامها غير مواصلة التقدّم إلى الأمام. وجدت الجدار من جديد وتحركت بحذائه وهي عمياء ضائعة، تتظاهر بأن نايميريا تسير إلى جوارها في الظلام. في النهاية وجدت نفسها غائصة حتى الرُكبتين في مياه كريهة الرائحة، وتمنّت لو أنها تستطيع الرّقص على سطحها كما قد يفعل سيريو، وتساءلت إن كانت ستري النور من جديد. كان الظلام قد حلّ بالكامل عندما خرجت آريا أخيرًا إلى هواء الليل. وجدت نفسها واقفة في فم البالوعة التي تصبّ في النّهر، ولما اشتّمت الرائحة الكريهة العالقة بها تجرّدت من ثيابها وألقّتها على ضفّة النّهر، ثم غاصت في المياه السوداء العميقة. سبّحت حتى شعرت بأنها عادت نظيفة، ثم خرجت مرتعشة. مرّ بعض الخيّالة بها وهي تغسل ثيابها، لكن إذا كانوا قد رأوا الفتاة النّحيلة العارية تفرك أسماها في نور القمر، فإنهم لم يُعيروها اهتمامًا.

كانت تَبْعُد أُميالًا عن القلعة، لكن من أيّ مكانٍ في كينجز لاندينج ليس عليك إلّا أن ترفع عينيك لترى القلعة الحمراء شاهقة على قمّة تلّ إجون، فلم تكن في خطر ضلال الطّريق إذن. كانت ثيابها قد جفّت تقريبًا عندما بلغت البوّابة، لكنها وجدت أن الشّبكة الحديدية قد أُسدّلت بالفعل وأُغلِقت الأبواب بالمزليج، وعليه اتّجهت إلى الباب الجانبي. ضحك ذوا المعطفين الذّهبيين اللذين يحرسان الباب هازئين عندما طلبت منهما السّماح لها بالدّخول، وقال لها أحدهما: «ارحل. فضالة المطبخ نفدت، ونحن لا نسمح بدخول الشّحاذين بعد حلول الظّلام». قالت: «لستُ شحّاذة. إنني أسكنُ هنا».

- «قلتُ ارحل من هنا. هل أضربك على أذنك كي تسمع أفضل؟»
- «أريدُ أن أرى أبي».

نبادلُ الحُرَّاسَ نظرةً، ثم قال الأصغر سناً: «وأنا أريدُ أن أنكح المَلَكَة».
- «ومن يكون أبوك يا ولد؟ صيَّاد الفئران؟»
قالت آريا بحزم: «إنه يَدُ المَلِك».

ضحكُ الاثنان، ثم سدَّد الأكبر سناً قبضته إليها كأنه يُعاقِب كلباً مشاغِباً، لكن آريا رأت الضربة قادمةً قبل أن تبدأ حتى، ووثبت إلى الخلف دون أن يمَسَّها أذى، ثم قالت كأنها تَبْصُق في وجهيهما: «أنا آريا ستارك ابنة ويترفل، وإذا مَسَّ أحدكما شَعْرَةً مني سيعَلِّقُ السيِّدُ والدي رأسيكما على خازوقين. إذا كنتما لا تُصَدِّقاني، أرسلنا إلى چوري كاسل أو فايون پوول في بُرج اليَد، ثم وضعت يديها على وَركيها وأضافت: «والآن هل ستفتح البوابة أم أضربكما على الأذن كي تسمعا أفضل؟».

كان أبوها وحده في غُرفته الشَّمْسيَّة جالساً إلى منضدته ومصباح زيت موضوع عند مِرْفقه يُرْسِل ضوئاً خفيفاً عندما دخلَ بها هاروين وتوم السَّمين. كان مائلاً على أكبر كتابٍ رآه في حياتها، مجلَّد ضخَم سميكَ اصْفَرَّت صفحاته ذات الكتابة المعقَّدة، وقد أحاطَ به غُلافان باهتان من الجِلد. أغلَقَ أبوها الكتاب وهو يُصْغِي إلى تقرير هاروين، ثم صرفَ الرَّجلين شاكرًا وقد اكتسبت ملامحه بالصَّرامة.

قال إدارد ستارك عندما صارا وحدهما: «هل تُدرِكين أنني أرسلتُ نِصف الحرس لِيبحثوا عنكِ؟ السَّيِّئة مَورِدَن تكاد تفقد عقلها خوفاً، ومنذ ساعاتٍ وهي في السَّيِّئة تُصَلِّي لرجوعكِ أَمَنَةً. آريا، أنتِ تعرفين جيِّداً أنه من غير المسموح لكِ بالخروج من القلعة دون إذنٍ مني».

اندفعت قائلة: «لكني لم أخرج من القلعة... أعني أنني لم أقصد أن أفعل. كنتُ في الزَّنازين في الأسفل، لكنها تحوَّلت إلى نفق. كان المكان

مظلمًا تمامًا، ولم يكن معي مشعل أو شمعة كي أرى، فكان يجب أن أتبعه، ولم أستطيع العودة من الطريق الذي جئتُ منه بسبب الوحوش. أبي، لقد كانا يتكلمان عن قتلِكَ! أعني الرّجلين وليس الوحوش. لكنهما لم يرياني لأنني كنتُ ثابتةً كالْحَجَرِ وهادئةً كالظُّلال، لكنني سمعتهما. قالا إن لديك كتابًا ونغلاً وإذا ماتَ يَدُفُّ فما المشكلة في موت الآخر؟ أهذا هو الكتاب؟ أراهِنُ أن النغل هو جون».

- «جون؟ عمّ تتكلّمين يا آريا؟ من قال هذا الكلام؟».

- «هما! أحدهما كان بديناً له لحية صفراء متشعّبة ويرتدي الخواتم، والآخر يرتدي الحلقات المعدنية وقبّعة من الحديد، وقال البدين إن عليهما تأجيل الأمر، فأجاب الآخر بأنه لا يستطيع الاستمرار في إلقاء الكُرّات في الهواء وأن الذئب والأسد سيلتھمان بعضهما بعضاً وإن هناك تمثيلية». حاولتُ أن تتذكّر باقي الكلام، لكنها لم تكن قد استوعبت ما سمعته تمامًا والآن اختلطَ كل شيء في ذهنها. «قال البدين إن الأميرة حامل، وذو القبّعة الحديدية الذي كان يحمل المشعل قال إن عليهما الإسراع. اعتقدُ أنه ساحر».

- «ساحر»، ردّد ند بملامح جامدة. «هل كانت لديه لحية طويلة بيضاء وقبّعة مدبّبة مزينة بالنجوم؟».

- «كلا! لم يكن يُشبه السّحرة في قصص العجوز نان. إنه لم يبدو كساحر، لكن البدين قال إنه كذلك».

- «إنني أحذرك يا آريا، لو كنتِ تختلقين هذا الكلام الذي...».

- «لا، لقد قلتُ لك، كنتُ في الرّنازين عند المكان ذي الجدار السّري. كنتُ أطارِدُ القِطط عندما...»، وبتّرت عبارتها وقد تقلّصت ملامحها. إذا اعترفت بأنها أسقطت الأمير تو من فستكون غضبته عاتية. «... ثم إنني دخلتُ من النّافذة، وهناك وجدتُ الوحوش».

قال أبوها: «وحوش وسّحرة! يبدو أنكِ قُمتِ بمغامرة حقيقية. هذان

الرَّجُلَانِ اللَّذَانِ سَمِعْتَهُمَا كَانَا يَتَكَلَّمَانِ عَنْ إِقَاءِ الْكُرَاتِ فِي الْهَوَاءِ وَالتَّمْثِيلِ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟».

أَجَابَتْ آريَا: «نعم، لكن...».

- «آريَا، إِنَهُمَا مِمَثِّلَانِ. لَا بُدَّ أَنْ هُنَاكَ دَسْتَةٌ مِنْ فِرْقِ الْمِمَثِّلِينَ فِي كِينَجَزْ لَانْدِنَجِ الْآنَ، جَاءُوا لِتَرْبِّحُوا مِنْ جُمْهُورِ دَوْرَةِ الْمُبَارِيَّاتِ. لَا أَدْرِي مَاذَا كَانَ هَذَانِ الْاِثْنَانِ يَفْعَلَانِ فِي الْقَلْعَةِ، لَكِنْ لَعَلَّ الْمَلِكَ أَمَرَ بِإِقَامَةِ عَرْضِي تَمَثِيلِي».

هَزَّتْ رَأْسَهَا بَعْنَادٍ وَقَالَتْ: «كَلَّا، إِنَهُمَا لَمْ يَكُونَا...».

- «لَا يَجْدُرُ بِكَ أَنْ تَتَّبِعِي النَّاسَ وَتَتَجَسَّسِي عَلَيْهِمْ عَلَى آيَةٍ حَالٍ، كَمَا أَنْ فِكْرَةَ تَسْلُقِ ابْنَتِي لِنَوَافِذِ الْغُرَبَاءِ وَرَاءِ الْقِطْطِ الضَّالَّةِ لَا تَرُوقُ لِي أَبَدًا. انْظُرِي إِلَى نَفْسِكَ يَا صَغِيرَتِي، إِنْ ذِرَاعَيْكَ مَغْطَاَتَانِ بِالْجُرُوحِ. لَقَدْ اسْتَمَرَّ هَذَا الْهَرَاءُ أَكْثَرَ مِنَ اللَّازِمِ. قُولِي لِسِيرِيو فُورْلِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَتَكَلَّمَ مَعَهُ كَيْ...».

قَاطَعَتْهُ دَقَّةٌ قَصِيرَةٌ مَفَاجِئَةً عَلَى الْبَابِ، ثُمَّ فَتَحَ دِزْمُونْدُ الْبَابَ قَائِلًا: «أَسْتَمِيحُكَ عِذْرًا أَبِهَا اللَّوْرْدُ إِدَارْدَ، لَكِنْ هُنَاكَ أَخَا أَسْوَدَ هُنَا يَرْغَبُ فِي مُقَابَلَتِكَ. يَقُولُ إِنَّ الْأَمْرَ مُلَحٌّ، وَخَطَرٌ لِي أَنْكَ سَتَرْغَبُ فِي أَنْ تَعْرِفَ هَذَا».

قَالَ أَبُوهَا: «بَابِي مَفْتُوحٌ دَائِمًا لِرَجَالِ حَرَسِ اللَّيْلِ».

أَشَارَ دِزْمُونْدُ لِلرَّجُلِ بِالْدُّخُولِ. كَانَ قَبِيحًا مَحْنِي الظَّهْرِ، أَشْعَثَ اللَّحْيَةِ مَسْنُخَ الْمَلَابِسِ، لَكِنْ أَبَاهَا حَيَّاهُ بُوْدُ وَسَأَلَهُ عَنْ اسْمِهِ.

- «يُورْنِ يَا سَيِّدِي. أَعْتَذِرُ عَنِ الْمَجِيءِ فِي وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ»، ثُمَّ انْحَنَى لِآرِيَا قَائِلًا: «لَا بُدَّ أَنْ هَذَا ابْنُكَ. إِنَّهُ يُشَبِّهُكَ».

صَاحَتْ آريَا حَافِقَةً: «أَنَا فِتْنَةٌ!»، ثُمَّ إِنِهَا فَكَّرَتْ أَنَّهُ إِذَا كَانَ الرَّجُلُ قَدْ جَاءَ مِنَ "الْجِدَارِ"، فَلَا شَكَّ أَنَّهُ مَرَّ فِي طَرِيقِهِ جَنْوَبًا بِوَيْتِرْفَلِ، فَانْدَفَعَتْ تَقُولُ بِحِمَاسَةٍ مُشْبُوبَةٍ: «هَلْ تَعْرِفُ إِخْوَتِي؟ رُوبِ وَبِرَانِ فِي وَبَيْتِرْفَلِ وَچُونِ عَلَى "الْجِدَارِ". چُونِ سَنُو، إِنَّهُ فِي حَرَسِ اللَّيْلِ أَيْضًا وَلَا بُدَّ أَنَّكَ

تعرفه، لديه ذنب رهيب أبيض ذو عيين حمراوين. هل صارَ چون جَوَّالاً بعد؟ أنا آريا ستارك». كان الرَّجل المُسِنَّ ذُو الثَّيَاب السَّوداء كَريهة الرَّائحة يَرْمُقُها بنظرة مندهشة، لكن آريا لم تستطع التوقُّف عن الكلام، وواصلت: «عندما تعود إلى "الجدار"، هل يُمكنك أن تأخذ رسالةً مني إلى چون إذا كتبتُ واحدة؟». نمتُ لو أن چون كان موجوداً هنا الآن. كان ليُصدِّق ما حكته عن الزَّنازين والرَّجل البدين ذي اللَّحية المتشعِّبة والسَّاحر ذي القُبعة الحديدية.

- «أحياناً ما تنسى ابنتي المجاملات»، قال إدارد ستارك ببسمة خفيفة لطفت من كلماته. «تقبَّل أسفي يا يورن. هل أرسلك أخي بنجن؟».

- «لا أحد أرسلني يا سيدي بخلاف اللورد مورمونت. إنني هنا لأجد رجالاً آخذهم معي إلى "الجدار"، وعندما يعقد روبرت جلسته القادمة سأُنحني أمامه وأصيحُ بحاجتنا الماسَّة، وأرى إن كان المَلِك ويَدُه لديهما بعض الحثالة في الزَّنازين ويرغبان في الخلاص منهم. لكن لك أن تقول إن بنجن ستارك هو السَّبب في كلامنا رغم ذلك. كان دمه يجري أسود في عروقه، ما جعله أخاً لي بقدر ما هو أخ لك، ومن أجله جئتُ إليك. لقد كدتُ أقتل فرسي من فرط القسوة والسَّريعة التي قُدتها بها، لكنني سبقتُ الآخرين بكثير».

- «الآخرين؟».

أجاب يورن بامتعاض: «مُرتزقة ومُحاربون غير نظاميين ورعاع على هذه الشَّاكلة. كان الخان مليئاً بهم ورأيتُ أنهم اشتَمُوا الرَّائحة، رائحة الدَّم أو رائحة الدَّهَب، لا فارق بينهما في النِّهاية. لم يتَّجهوا جميعاً إلى كينجز لاندينج كذلك، فبعضهم انطلقَ إلى كاسترلي روك، و"الصَّخرة" كانت أقرب إليهم من العاصمة. لا بُدَّ أن الخبر قد بلغ اللورد تايرين الآن، ولك أن تُراهن على هذا».

عقدَ أبوها حاجبيه وقال: «أيُّ خبر هذا؟».

رمقَ يورن آريا قائلاً: «من الأفضل أن نتكلّم على انفرادٍ يا سيّدي إذا سمحت لي».

- «كما ترغب. دزموند، اصحب ابنتي إلى غُرفتها»، وقبّل ابنته على جبينها وقال لها: «سنستكمل كلامنا غداً».

لكن آريا ظلّت متجمّدة في مكانها وخاطبت يورن قائلةً: «لم يحدث شيء سيّئ لأخي جون، أليس كذلك؟ أو عمّي بنجن؟».

- «لا أخبار لديّ عن ستارك، لكن الصّبي سنو كان بخير عندما غادرت الجدار». ليس هما من يعيناني الآن أيتها الصّغيرة».

أمسك دزموند يدها وقال: «هلمّي يا سيّدي، لقد سمعت كلام السيّد والدك».

لم يكن أمام آريا خيار سوى الذهاب معه وهي تتمنّى لو كان توم السّمين مكانه، فمع توم كان بإمكانها التحدّج بشيء ما والبقاء عند الباب لسماع ما يقوله يورن، لكن دزموند كان أذكى من أن تحتال عليه. سأله وهما يتزلان السّلالم إلى غُرفة نومها: «كم حارساً لدى أبي؟».

- «هنا في كينجز لاندنج؟ خمسون».

- «أنت لن تسمح لأحد بأن يقتله، أليس كذلك؟».

ضحك دزموند وقال: «دعي عنك القلق من هذه المسألة تماماً يا سيّدي الصّغيرة، فاللورد إدوارد محروس ليلاً نهاراً ولن يمسه ضرر».

قالت آريا: «آل لانستر لديهم أكثر من خمسين رجلاً».

- «هذا صحيح، لكن كلّ شماليّ يساوي عشرة من مُقاتلي الجنوب هؤلاء، فنامي مطمّنة».

- «ماذا لو أرسلوا ساحراً ليقتله؟».

سحب دزموند سيفه الطويل وقال: «السّحرة يموتون كأبي رجلٍ آخر بمجرد أن تُقطع رؤوسهم».



إدارد

قال ند مُنَاشِدًا: «روبرت، أرجوك، اسمع ما تقوله. إنك تتكلّم عن اغتيال طفلة!».

- «العاهرة حامل!»، هذرَ المَلِك وهوى بقبضته على مائدة المجلس بصوتٍ كهزيم الرّعد. «لقد حذّرتك من أن هذا سيحدّث يا ند، حذّرتك يوم كنا في الرّوايبي ولم تُبالِ بالإصغاء. حسنٌ، سوف تُصغي الآن. أريدُهما ميتين، الأم والطفل، وذلك الأحمق فسيرس كذلك. أهدا واضح بما يكفي؟ أريدُهم موتى!».

كان باقي المستشارين كلهم يبدّلون قصارى جهدهم كي يتظاهروا بأنهم في مكانٍ آخر. لا شكّ أنهم أكثر حكمةً منه، ونادرًا ما شعرَ إدارد ستارك بأنه وحيد تمامًا كما هو الآن. «ستلوثُ شرفك إلى الأبد إذا فعلت ذلك».

- «فلتكن مسؤوليتي وحدي إذن طالما تمّ الأمر. إنني لستُ بأعمى كي لا أرى ظلّ الفأس وهي معلقة فوق عنقي».

قال ند للملِك: «ليست هناك فأس، بل مجرد ظلّ لظلّ غاب منذ عشرين عامًا كاملة، لو كان لو وجود أصلًا».

- «لو؟»، سأل فارس بهدوءٍ وقد ضمّ يديه المدهونتين بالمساحيق معًا. «إنك تُسيء إليّ هكذا يا سيدي، فهل تحسب أنني آتي بالأكاذيب للملِك ومجلسه؟».

رمقَ ند الخَصِيَّ بنظرة باردة وقال: «إنك تأتي إلينا بهمسات رجل خائن في الجانب الآخر من العالم يا سيدي. لعل مورمونت مخطئ، أو لعله يكذب».

قال فارس بابتسامة خبيثة: «السير جورا لا يجرو على خداعي. لك أن تثق بهذا يا سيدي، الأميرة تحمل جنينًا».

- «هذا ما تقوله. إذا كنت مخطئًا، فليس هناك ما نخشاه. إذا أجهضت الفتاة، فليس هناك ما نخشاه. إذا أنجبت بنتًا بدلًا من ولد، فليس هناك ما نخشاه. إذا مات الرضيع لأي سبب، فليس هناك ما نخشاه».

قال روبرت بإصرار: «وماذا لو أنه ولد؟ وماذا لو عاش؟».

- «سيظل البحر الضيق بيننا وبينهم، ولن أبدأ في الخوف من الدوثرافي حتى يُعلّموا خيولهم الرّكض على الماء».

أخذ الملك رشقة من النبيذ ورمقَ ند بنظرة نارية عبر مائدة المجلس، وقال: «تنصحنني إذن بأن لا أفعل شيئًا حتى يرسو وريث الثنين بجيشه على سواحلي، أليس كذلك؟».

قال ند: «وريث الثنين الذي تتكلم عنه ما زال في بطن أمه، وحتى إجون نفسه لم يقم بأيّ غزواتٍ قبل فطامه».

- «يا للآلهة! إنك عنيد كثور برّي يا ستارك»، ثم تطلّع الملك إلى بقيّتهم وقال: «وأنتم، هل فقدتم ألسنتكم؟ ألن يُحاول أحدكم إقناع هذا الأحمق ذي الوجه الجليدي بالإصغاء لصوت العقل؟».

منع فارس الملك ابتسامة متملّقة ووضع يده على كُمّ ند قائلاً: «إنني أنفهمُ هواجسك أيها اللورد إدارد، حقًا، ولم يُسعدني أن أتّي بهذا الخبر الحزين للمجلس. مجرد التفكير في شيء كهذا شنيع حقًا، بل وأنتم، لكن من يتولون الحكم مثلنا عليهم أن يفعلوا أشياء آثمة بين الحين والآخر من أجل صالح البلاد، ومنهما أصابنا هذا من الم».

هزّ اللورد رنلي كتفيه وقال: «المسألة تبدو بسيطة تمامًا في رأيي».

كان يَجْدُرُ بنا أن نُقتلَ فُسَيرس هذا وأخته منذ سنوات، لكن جلالته أخي ارتكبَ خطأ الإصغاء لـجون آرن».

أجابَه ند: «الرَّحمة ليست خطأ أبدًا. يوم الثالث صرَعَ السير بارستان الجالس معنا هنا دسَّة من الرُّجال الصَّالحين، أصدقاء روبرت وأصدقائي. وعندما جلبوا إلينا رووس بولتون مشخَّنًا بالجراح وعلى شفا الموت، توَسَّل الرَّجل إلينا أن نُقتله، لكن أخاك قال: "لن أقتل رجلًا لإخلاصه ولا لأنه أحسنَ القتال"، ثم أرسلَ مايستره الخاص ليُعالج جروح السير بارستان»، ثم رمى المَلِك بنظرة طويلة باردة وأضاف: «ليت هذا الرَّجل كان هنا اليوم». تضرَّج وجه روبرت وقال متذمِّرًا: «هذه نقرة وتلك نقرة. السير بارستان كان من فُرسان الحرس المَلِكِي».

- «ودنيرس فتاة في الرَّابعة عشر». كان ند يعي أنه يتجاوز حدود الحكمة بالفعل، لكنه لم يستطع البقاء ساكنًا. «روبرت، دعني أسألك، لماذا تُرنا على إيرس تارجارين إن لم يكن السَّبب هو وضع نهاية لقتل الأبطال؟».

زعقَ المَلِك: «لوضع نهاية لعائلة تارجارين!». كافَحَ ند كي لا يتسلَّل التهكُّم إلى صوته وفشلَ وهو يقول: «جلالة المَلِك، إنني لم أرَكَ تخشى ريجار من قبل قطُّ، فهل سلبك الزَّمن شجاعتك لدرجة أن ترتجف أمام ظلِّ طفل لم يولد حتى؟». احتقنَ وجه روبرت وقال مشيرًا إليه: «كفى يا ند، ولا كلمة أخرى. هل نسيت من المَلِك هنا؟».

أجابَ ند: «كلا يا جلالة المَلِك، لكن هل نسيت أنت؟». هذرَ المَلِك: «كفى! لقد سئمتُ من الكلام. سوف أفعَلها وإلا فلتحلَّ بي اللَّعنة. ما قولكم؟».

قال رنلي: «الفتاة يجب أن تُقتل». وغمغمَ فارس: «ليس لدينا الخيار، للأسف، للأسف».

ورفع السير بارستان سلمى عينيه الزرقاوين الباهتتين، وقال: «جلالة الملك، الشرف هو مواجهة العدو في ميدان المعركة، وليس قتله في رَحِمِ أمه. سامحني، لكنني أؤيِّد اللورد إدارد».

تنحنح المايستر الأكبر بايسل طويلاً، ثم قال: «جماعتي تخدم البلاد وليس الحاكم، ومن قبل كنتُ أنصح الملك إيرس بإخلاصٍ كما أفعلُ مع الملك روبرت الآن بالضبط، ومن ثمَّ فأنا لا أحملُ أيَّ ضغائن نحو تلك الفتاة. لكن دعوني أسألكم، إذا اندلعت الحرب من جديد، كم جندياً سيموت؟ كم بلدة ستحترق؟ كم طفلاً سيُسلبون من أمهاتهم ليموتوا بضربة سيفٍ أو رُمحٍ؟»، ثم ملَّس على لحيته البيضاء الأنيقة بأسلوبه المُرهِق الحزين المعتاد وأضاف: «أليس من الأحكم، بل والأرحم، أن تموت دنيرس تارجارين الآن كي يحيا عشرات الآلاف؟».

قال فارس: «أرحم... أحسنت القول أيها المايستر الأكبر. هذا صحيح، فإذا أصابت الآلهة نزوة ما وشاءت أن تمنح دنيرس تارجارين ابناً، ستزف البلاد كلها».

كان الإصبع الصغير آخر من تكلم، ورمقه ند ليجد اللورد پيتر يكتفم تناوياً، ثم قال: «عندما تجد نفسك في السرير مع امرأة قبيحة، فأفضل شيء تفعله هو أن تُغلق عينيك وتفرَّغ من الأمر. الانتظار لن يجعلها أجمل بحال، فقبِّلها وانته».

ردَّد السير بارستان بانزعاج: «قبِّلها؟».

قال الإصبع الصغير: «قبِّل من حديد».

التفت روبرت إلى يده وقال: «هكذا إذن ياند، أنت وسلمي وحدكما أمام بقيتنا. السؤال الوحيد المتبقي هو مَنْ يُمكننا أن نُرسله لقتلها؟».

قال رنلي: «مورمونت يشتهي نيل عفوي ملكي».

- «إلى أقصى حد»، علَّق فارس. «لكنه يشتهي الحياة أكثر. الآن تقترب الأميرة من فايس دوثراك، حيث مجرد إشهار السلاح يعني

الموت. إذا أخبرتكم بما سيفعله الدوثرافي بالمسكين إذا حاول استخدام سلاح لقتل الغاليسي، فلن يُراود النوم أحدكم الليلة»، ثم تحسّس وجنته المدهونة بالمساحيق وأضاف: «بينما السُّم... دموع ليس مثلاً. لن يعرف غال دروجو أنها لم تكن ميتة طبعية أبداً».

اتسعت عينا المايستر الأكبر پايسل الناعستان ورمق الخَصِيَّ بنظرة ملأى بالرّيبة، بينما قال المَلِك معترضاً: «السُّم سلاح الجبناء».

لم يحتمل ند سماع المزيد، وقال محتدّاً: «أُترِسل قتلّة مأجورين لاغتيال فتاة في الرّابعة عشر وما زلت تتكلّم عن الشّرف؟»، ودفع مقعده ونهض مضيقاً: «افعلها بنفسك إذن يا روبرت. الرّجل الذي يُصدر الحُكم ينبغي أن يضرب بالسّيف نفسه. انظر في عينيها قبل أن تقتلها، فلتَر دموعها ولتسمع كلماتها الأخيرة. أنت مدين لها بهذا القدر على الأقل».

- «بحقّ الآلهة!»، زعق المَلِك والكلمة تتفجّر من فمه إذ لم يعُد

قادراً على احتواء ثورته. «إنك تعني ما نقول، عليك اللّعة»، ومدّ يده إلى إبريق النّبيذ الموضوع عند مرفقه، ولمّا وجده خالياً قذف به ليتهشم على الجدار إلى ألف قطعة. «لقد نفد النّبيذ ونفد صبري معه. انتهينا، سيتمّ الأمر وهذا كلّ ما هنالك».

- «لن أشارك في اغتيال يا روبرت. افعل ما تشاء، لكن لا تطلّب مني أن أضع خنمي عليه».

للحظة بدا أن روبرت لم يستوعب ما يقوله ند، فالتحدّى لم يكن صنفاً يتذوّقه إلاّ لماماً، وببطءٍ تغيّرت ملامحه وقد فهم. ضاقت عيناه وانتشر الاحتقان من عنقه الثّخين فوق الباقة المخملية إلى وجهه، وأشار بإصبع غاضبٍ إلى ند قائلاً: «أنت يد المَلِك أيها اللورد ستارك، وستفعل ما أمرك به وإلاّ وجدتُ يداً آخر يفعله».

- «أتمنّى له النّجاح إذن»، وخلع ند المشبك الثّقيل الذي يضمّ طيّات معطفه، اليد الفضّية المزخرفة التي يرتديها بمثابة شارة منصبه، ووضعها

على المائدة أمام المَلِك وقد غمره حُزن ولَدته ذكرى الرَّجل الذي ثَبِتَ هذا المشبك على صدره من قبل، الصَّدِيق الذي أَحَبَّهُ. «حسبتك رجلاً أفضل من هذا يا روبرت. حسبتُ أننا نصَّبنَا مَلَكًا نبيلاً».

كان وجه روبرت محتقناً لدرجة أنه بدا كأن الدَّماء ستفجَّر منه في أي لحظة، وصاح بصوتٍ مختنقٍ من فرط الغضب: «اخرج! اخرج عليك اللعنة! لقد انتهيتُ منك. ماذا تنتظر؟ اذهب، عُد إلى ويترفل، واعمل على ألا أرى وجهك ثانية، وإلا أقسمُ أنني سأضعُ رأسك على خازوق!». انحنى ند ثم دارَ على عقبيه بلا كلمةٍ أخرى شاعراً بنظرات روبرت على ظَهْره، ومع خروجه بخطواتٍ واسعةٍ من قاعة المجلس استمرَّ الحوار بلا توقُّف كأن شيئاً لم يكن، وقال المايستر الأكبر پايسل: «في برافوس ثمة جماعة اسمها الرُّجال عديمو الوجوه».

قال الإصبع الصَّغير: «ألديك فكرة كم هم مُكَلَّفون؟ يُمكنك استئجار جيشٍ كاملٍ من المُرتزقة يَنصف الثَّمَن، هذا لو أنك ترغب في قتل تاجرٍ أو ثريٍّ ما، فما بالك بأَميرة؟».

أخمدَ إغلاق الباب وراء الأصوات. كان السير بوروس بلاونت يقف حراسةً خارج الباب، يرتدي المعطف الأبيض الطويل ودرع الحرس المَلِكِي، ورمقَ ند بنظرةٍ متسائلةٍ سريعةٍ بجانب عينه، لكنه لم يقل شيئاً. شعرَ باليوم مُتعباً ثَقيل الوطأة وهو يَعبرُ الفناء إلى بُرج اليَد، وأحسَّ باقتراب نزول المطر في الهواء، وفي الواقع كان ند يُرْحَب بالمطر، فعندما يغسله قد يُشعره بأنه أَقلُّ وساخةً ولو مقدار ذرَّة. استدعى فايون بوبل عندما بلغَ عُرفته الشَّمسية، فجاء الوكيل في الحال قائلاً: «هل أرسلت في طلبِي يا حضرة اليَد؟».

قال ند: «لم أعد يَدًا. لقد تشاجرتُ مع المَلِك. سنعود إلى ويترفل».

- «سأبدأ في إجراء الترتيبات فوراً يا سيدي. سنستغرق نحو أسبوعين لتجهيز كلِّ شيءٍ للرحلة».

قال ند عاقداً حاجبيه: «قد لا نملك أسبوعين، بل قد لا نملك يوماً واحداً حتى. لقد قال المَلِكُ شيئاً عن رؤية رأسي على خازوق». لم يكن يعتقد حقاً أن المَلِكُ سيؤذيه، ليس روبرت. إنه غاضب الآن، لكن بمجرد أن يغيب ند عن ناظريه سيهدأ غضبه كما يحدث دائماً.

دائماً؟ فجأةً وبغير راحةٍ وجدَّ نفسه يتذكَّر ريجار تارجارين، الذي مات منذ خمسة عشر عاماً لكن كراهية روبرت له لم تخفت على الإطلاق. كانت الفكرة مزعجة... بالإضافة إلى المسألة الأخرى، مسألة كاتلين والقزم التي ذكرها يورن له ليلة أمس. قريباً سيبلغ الخبر روبرت بكل تأكيد، ومع غضبه المَلِكُ السوداء هذه... قد لا يُبالي روبرت البتَّة بتيريون لانستر، لكن ما حدث سيمسُّ كرامته، ولا أحد يدري ما ستفعله المَلِكَةُ كذلك.

قال لهول: «الأسلم أن أغادر أنا أولاً. سأخذ ابنتي وبضعة حُرَّاس، ويتبعنا بقيتكم عندما تُجهِّزون كلَّ شيء. أخبر جوري، لكن لا تقل شيئاً لأحدٍ آخر، ولا تفعل شيئاً حتى أرحل مع الفتاتين. القلعة مليئة بالعيون والأذان، وأفضل أن تبقى خُططي مجهولة».

- «كما تأمر يا سيدي».

عندما غادر الوكيل، ذهب ند إلى النَّافذة وجلس هناك شاعراً بالنكد. روبرت لم يترك له أيَّ خيارٍ على الإطلاق. عليه أن يشكره في الحقيقة، فمن الجميل أن يعود إلى ويترفل. لم يكن يجدر به أن يُغادر أصلاً. أولاده ينتظرون هناك، ولربما يُنجِب ولداً آخر من كاتلين عندما يعود، فهما ليسا متقدِّمين في السنِّ لهذه الدَّرَجَة بعد، كما أنه وجدَّ نفسه مؤخراً يحلُم بالثلج كثيراً، بهدوء غابة الذئاب العميق في الليل.

على أن فكرة الرَّحيل أثارت غضبه كذلك، فهناك أشياء كثيرة جداً لم تتم بعد. سوف تُفلس البلاد على يد روبرت ومجلسه من الجبناء والمُداهنين إذا ظلُّوا يُنفِقون بلا حساب... أو أسوأ من هذا، تُباع البلاد إلى آل لانستر على سبيل سداد الدَّين الضَّخم. ثم إن حقيقة موت چون

آرن لا تزال غائبة عنه. صحيح أنه توصّل إلى بعض المعلومات التي تكفي لإقناعه بأن جون مات مقتولاً بالفعل، لكنها معلومات لا تتجاوز أثر قدم حيوانٍ على أرض الغابة. إنه لم يلمح الحيوان نفسه بعينه بعد، على الرغم من أنه يحسّ بأنه موجود حقاً، يكمن في الخفاء بخيائته وألعيه. خطر له فجأة أنه يستطيع العودة إلى ويترفل عن طريق البحر. لم يكن ند يَحَارًا، وفي المعتاد كان يُفَضَّل أن يسلك طريق الملوك، لكن إذا استقل سفينَةً فيامكانه أن يتوقّف في دراجونستون ويتكلّم مع ستانيس باراثيون. بايسل أرسلَ غُداً عبر المياه حاملاً رسالةً مهذّبةً من ند يطلب فيها من اللورد ستانيس أن يعود إلى مقعده في المجلس الصّغير. حتى الآن لم يأتِ أيُّ جواب، لكن الصّمت كان يُعمّق شكوكه أكثر فأكثر. لقد اشترك اللورد ستانيس في السّرّ الذي مات جون آرن من أجله وهو واثق من هذا، فربما تنتظره الحقيقة التي يسعى إليها في قلعة عائلة تارجارين القديمة. وعندما تصل إلى الحقيقة، فماذا إذن؟ ثمة أسرار من الأسلم أن تبقى خفيّة، ثمة أسرار أخطر من مشاركتها مع أحدٍ آخر، حتى من تُحبّهم وتثق بهم. أخرج ند الخنجر الذي جاءت به كاتلين إليه من غمده في حزامه، خنجر العفريت. لماذا يرغب القزم في موت بران؟ ليُخرسه بالطبع. أهذا سرٌّ آخر أم مجرد خبطٍ مختلف يتفرّع من الشّبكة نفسها؟ هل من الممكن أن تكون لروبرت يد في هذا؟ لم يكن ليسمح لنفسه بمجرد التفكير في هذا من قبل، لكن من قبل لم يكن ليحسب أن روبرت يستطيع أن يأمر بقتل النّساء والأطفال كذلك. كنت تعرف الرّجل، لكن المَلِك شخص غريب عليك، قالت كاتلين. كلما عبّجَل ند بمغادرته كينجز لاندنج كان هذا أحسن، وإذا كانت هناك سفينة ستبحر شمالاً غداً فمن الأفضل أن يكون على متنها.

استدعى فايون پوول ثانيةً وأمره بالذهاب إلى المرفأ ليستعلم بهدوء لكن بسرعة. «اعثر لي على سفينة سريعة ذات ربّانٍ بارع»، قال للوكيل.

«لا أبالي على الإطلاق بحجم القمرات وجودة تجهيزاتها طالما أنها سريعة وآمنة. أريد أن أرحل في الحال».

لم يكذب بول يُغادر حتى أعلنَ تومارد عن وجود زائر: «اللورد بايلش يرغب في رؤيتك يا سيدي».

كان ند على وشك أن يصرفه ثم عدلَ عن هذا. إنه ليس حُرّاً بعد، وإلى أن يصير كذلك فعليه أن يلعب ألعابهم. هكذا قال: «دعه يدخل يا توم».

دخل اللورد بيتر ماشياً الهويني وابتسامته السّاخرة المعتادة على وجهه كأن شيئاً لم يحدث هذا الصّباح. كان يرتدي سُترَةً من المخمل مخطّطةً بالفُضي والأصفر الشّاحب، مع معطفٍ رماديٍّ من الحرير عليه رسم لشعلٍ أسودَ، وحيّاه ند بيروود قائلاً: «هل تسمح لي بالسؤال عن سبب هذه الزّيارة أيها اللورد بايلش؟».

- «لن أعطّلك كثيراً، فأنا في طريقني لتناول العشاء مع الليدي تاندا. ستقدّم خنزيراً مشوياً مع فطائر السمك. إنها تُفكّر في تزويجي من ابنتها الصّغرى، لذا تجد مائدتها تضمُّ أشهى الأصناف دائماً. الحقّ أقول لك إنني أفضلُ أن أتزوَّج من الخنزير، لكن لا تُخبرها بهذا، فأنا أحبُّ فطائر السمك حقّاً».

قال ند بازدراءٍ ثلجي: «لا تجعليني أعطّلك عن أسماكك إذن يا سيدي. في اللّحظة الحاليّة لا أستطيعُ التّفكير في صُحبةٍ غير مرغوبٍ فيها كصُحبتك».

- «أوه، إنني واثق من أنك ستجد بضعة أسماءٍ أخرى لا ترغب في صُحبتها إذا فكّرت للّحظة، فارس على سبيل المثال، أو سرسي... أو روبرت. جلالته غاضب جدّاً منك، وظلّ يرغب ويذبذ عنك لبعض الوقت بعد أن غادرت هذا الصّباح، وأذكرُ أن كلماتٍ على غرار "إهانة" و"تكرار الجميل" قد ذُكرت عدّة مرّات». لم يُحاول ند أن يردّ على هذا، ولا عرضَ على ضيفه الجلوس، لكن الإصبع الصّغير جلسَ على كلّ حال واستطرّدَ بمرح: «بعد مغادرتك وقّع على عاتقي إقناعهم بعدم استئجار الرّجال

عديمي الوجوه، وبدلاً من هذا سيُنشر فارس بهدوء أنا سترفع من يقتل ابنة تارجارين إلى منصب لورد».

قال ند مشمئزاً: «إذن فقد أصبحنا نمنح المناصب للقتلة».

هَزَّ الإصبع الصَّغير كتفيه بلا مبالاة وقال: «المناصب رخيصة، أمَّا الرِّجال عديمو الوجوه فمُكَلَّفون. إذا كنت تريد الحقيقة، فقد قدِّمتُ لابنة تارجارين خدمةً أكبر مما فعلت أنت بكلِّ كلامك عن الشَّرَف. دَعِ مُرْتزِقاً ما يحلُم باللوردية يُحاول اغتيالها. سوف يُخفِّق غالباً، وبعدها سيظلُّ الدوثراكي حذرين لأقصى حد. لكن إذا أرسلنا رجلاً عديم الوجه وراءها فهي في عداد الموتي لا محالة».

قطَّب ند جبينه وقال: «تجلس في المجلس وتكلِّم عن النِّساء القبيحات والقُبلات الحديدية، والآن تتوقَّع مني أنك تُحاول حماية الفتاة؟ أتُحسبني بتلك الحمافة؟».

أجاب الإصبع الصَّغير ضاحكاً: «نعم، أحسبك بتلك الحمافة وأكثر بكثير في الحقيقة».

- «هل تجد القتل شيئاً طريفاً دائماً أيها اللورد بايلش؟».

- «ليس القتل ما أجده طريفاً أيها اللورد ستارك، بل أنت. إنك تَحكُم كرجل يَرُقُص على جليد عَفِن، وأعتقدُ أنني سمعتُ صوت الصَّدع الأول هذا الصَّبَاح».

- «الأول والآخر. لقد اكتفيتُ».

- «متى تنوي العودة إلى ويترفل يا سيدي؟».

- «في أقرب وقتٍ ممكن. لِمَ تهتم؟».

- «لا أهتم حقاً، لكن إذا كنت لا تزال هنا عند حلول المساء، سيُسعدني أن آخذك إلى ذلك الماخور الذي كان رجلك چوري يبحث عنه بلا نتيجة»، وابتنَمَ الإصبع الصَّغير مضيقاً: «ولا تقلق، فلن أخبر الليدي كاتلين».



كاتلين

- «كان يجدر بك أن تعلمينا بقدمك يا سيدي»، قال لها السير دونل واينود وخيولهما تصعد الممر. «الطريق العالي لم يعد آمنًا كما كان من قبل بالنسبة لمجموعة صغيرة كمجموعتكم».

أجابَت كاتلين: «لقد اخترنا هذا بأنفسنا للأسف يا سير دونل». أحيانًا كانت تشعر بأن قلبها قد تحول إلى حجر. ستّة رجالٍ شجعان ماتوا كي تصل إلى هنا، ولا تجد في نفسها القدرة على البكاء من أجلهم حتى، وحتى أسماؤهم كانت تخبو في ذاكرتها. «رجال القبائل لم يكفوا عن الإغارة علينا ليلاً نهارًا. فقدنا ثلاثة رجالٍ في الهجوم الأول واثنين في الثاني، ثم مات خادم لانستر بالحمى عندما تقيّحت جروحهم، وعندما سمعنا رجالك يقتربون حسبتنا في عداد الأموات لا محالة». كانوا قد استعدّوا لقتال يائسٍ أخير، أسلحتهم في أيديهم وظهورهم إلى الصُخور، وكان القزم يشحذ بطلته ويُلقِي دعايةً لاذعةً ما عندما لمح برون الرّاية التي يحملها القادمون أمامهم - قمر وصقر عائلة آرن - ذات اللونين الأزرق السماوي والأبيض؛ ولم تُرحّب كاتلين في حياتها بمنظرٍ كما حدث لحظتها.

قال السير دونل: «القبائل أصبحت أكثر جرأة منذ وفاة اللورد چون». كان شابًا في العشرين، قصير القامة نوعًا لكن قويّ الجسد ممتلئ، جادًا لكن بسيطًا، كبير الأنف ولديه شعرٌ بُني كثيف. «لو كان الأمر بيدي لقدتُ

مئة رجل إلى الجبال واستأصلتهم من معاقلمهم ولقّتهم درسًا قاسيًا، لكن أختك منعت هذا تمامًا. إنها لم تسمح لفرسانها حتى بالقتال في دورة مباريات اليد، وتقول إنها تريد أن يبقى جميع رجالنا بالقرب من هنا للدفاع عن "الوادي"... وإن كان لا أحد يدري ضد ماذا بالتّحديد. الظلال على حدّ تعبير البعض»، ثم رمقتها بتوتر كأنه تذكّر فجأة من تكون وقال: «أمل أني لم أتكلّم دون وجه حق يا سيّدي، فلم أقصد إساءة».

- «الكلام الصّريح لا يُسيء إليّ يا سير دونل». كانت كاتلين تعرف ما تخشاه أختها. آل لانستر وليس الظلال، فكّرت وهي تُلقي نظرة إلى الوراء إلى حيث ركب القزم مع برون، وكان الاثنان قد صارا شديدي القرب منذ مقتل تشيجن. الرّجل الصّغير أكثر مكرًا مما حسبت، فلدى دخولهم الجبال كان أسيرها المكبلّ العاجز، فماذا يكون الآن؟ أسيرها لم يزل، لكنه يركب وقد دَسَّ خنجرًا في حزامه وعلّق بلطة في سرجه، وارتدى المعطف المصنوع من جلد قط الظلّ الذي فاز به من لعب التّرد مع المغني، إضافة إلى قميص الحلقات المعدنية الذي خلعه عن جثة تشيجن. كان أربعون من الرّجال يتحرّكون على جانبي القزم وبقية مجموعتها الصّغيرة المتعبّة، فرسان ومسلّحون في خدمة أختها لايسا وابن چون آرن الصّغير، ومع ذلك لم يُبد تيرون لانستر أمارّة واحدة على الخوف، وليس للمرأة الأولى تساءلت كاتلين: هل من الممكن أن أكون مخطّئة؟ هل من الممكن أن يكون بريئًا رغم كلّ شيء، من ما حدث لبران ومقتل چون آرن وكلّ شيء آخر؟ وإذا كان كذلك، فماذا يجعلها هذا؟ لقد مات ستة رجال كي يأتوا به إلى هنا.

عادت تسلّح بالتّصميم ونحّت شوكها جانبًا، وقالت للسير دونل: «أرجو عندما نبلّغ قلعتمكم أن تُرسل لاستدعاء المايستر كولمون في الحال. السير رودريك مُصاب بحمّى من جرّاء جروحه». لأكثر من مرّة خافت ألا يبلّغ الفارس المُسنّ الباسل نهاية الرّحلة، ونحو النّهاية كان

يجلس على متن حصانه بصعوبة، حتى أن برون ألحَّ عليها أن تتركه لمصيره، لكن كاتلين رفضت تمامًا، وبدلاً من هذا ربطوه بسرجه وأمرت ماريليون المغني أن يُبقي عينيه عليه.

تردّد دونل قبل أن يجيب: «الليدي لايسا أمرت المايستر بأن يبقى في "العش" طوال الوقت ليعتني باللورد روبرت، لكن ثمة سيّتون عند البوابة يُعنى بالجرحي، ويُمكّنه علاج جروح رجلك».

كانت كاتلين تملك إيماناً أكبر بمهارات المايستر من صلوات السيّتون، وهمت بأن تقول هذا عندما لاحت الشرفات من أمامهم، المناريس الطويلة المشيدة حفراً في صخور الجبال نفسها على الجانبين. من هنا تحوّل الممرّ تدريجياً إلى درب ضيّق يكفي بالكاد أن يقطعه أربعة رجال جنباً إلى جنبٍ على خيولهم، وارتفع بُرجا حراسةٍ متماثلان من المنحدرات الصخرية، يربطهما جسر مغطى من الحجارة الرّمادية التي لوحتها عوامل التعرية يرتفع مقوَّساً فوق الطريق. راقبتهم الوجوه الصامتة عبر فتحات ضيقة في البُرجين والشرفات والجسر، وعندما كادوا يبلُغون القمّة وجدوا فارساً يتقدّم للقائهم. كان حصانه ودرعه رماديّ اللون، لكن معطفه كان من أحمر وأزرقٍ ريفرزن المتموجّين، وثبتت طيّاته إلى كتفه سمكة سوداء من الذهب والأوبسيديان. صاح منادياً: «من يأتي لعبور البوابة الدّامية؟».

أجاب الفارس الشاب: «السير دونل واينوود مع الليدي ستارك ورفاقها».

رفع فارس البوابة مقدّمة خوذته وقال: «الليدي بدت مألوفةً بالفعل. إنكِ بعيدة جدّاً عن الديار أيتها القطّة الصغيرة».

- «وأنت كذلك يا عمّاه»، قالت كاتلين مبتسمةً على الرغم من كلّ ما مرّت به، فسماع هذا الصّوت الأَجش القوي أعادها عشرين عامّاً إلى الوراء، إلى أيام طفولتها.

- «دياري تقع ورائي».

قالت كاتلين: «ديارك في قلبي. اخلع خوذتك، فأنا أرغبُ في رؤية وجهك ثانية».

- «أخشى أن الزَّمن لم يجعله أجمل»، قال برايندن تلي لكن كاتلين رأت عندما خلع الخوذة أن ما قاله ليس صحيحًا، فصحيحٌ أن ملامحه تغضنت وذبلت وسرق الزَّمن اللون الكستنائي من شعره تاركًا الرمادي فقط، لكن البسمة كما هي، والحاجبين كثيفان، والضَّحك في العينين الزُّرقاوين العميقتين. «هل تعلم لايسا بقدموك؟».

أجابت كاتلين والآخرين قادمون من ورائها: «أخشى أنه لم يكن هناك وقت لإبلاغها مسبقًا. أخشى أننا نتحرَّك وفي أعقابنا عاصفة يا عمَّاه». سأله السير دونل: «هل تسمح لنا بدخول "الوادي"؟». كانت عائلة واينود شديدة الالتزام بالرسميات دائمًا وأبدًا.

أجاب السير برايندن: «باسم روبرت آرن، سيّد "العُش" وحافظ "الوادي" وحاكم الشرق الشرعي، أسمح لكم بالدخول بأمان وأناشدكم بالحفاظ على سلامه. تفضّلوا».

وهكذا تحرَّكت وراءه عابرة البوابة الدَّامية التي تحطَّمت عليها دسته من الجيوش في عصر الأبطال، وعلى الطَّرف البعيد من البناء المحفور في الصَّخر كانت الجبال تنفتح فجأة على مشهدٍ بديع من الحقول الخضراء والسَّماء الزُّرقاء والجبال التي اكتست قممها بالثلوج، وشعرت كاتلين بأنفاسها تحبس انبهارًا ووادي آرن يغتسل بنور النَّهار.

امتدَّ "الوادي" أمامهم بأرضه الهادئة ذات التُّربة السوداء الخصبة، والأنهار الواسعة بطيئة المجرى، ومئات من البحيرات الصَّغيرة التي تألَّقت كالمرايا في نور الشَّمس؛ وكلُّ هذا محميٌّ من جميع الجهات بالجبال المحيطة. نبت القمح والشَّعير والذُّرة طوالاً في الحقول، وحتى في هايجاردن لم يكن اليقطين أكبر حجمًا ولا الفاكهة أحلى من هنا.

كانوا في طرف الوادي الغربي، حيث كان الطريق العالي يَبْلُغُ أقصى ارتفاع له ثم يبدأ الانحدار الملتفُّ إلى الأراضي السَّفْحِيَّةَ على بُعد ميلين في الأسفل. كان "الوادي" ضيقًا هنا، لا تتجاوز الرحلة عبره نصف اليوم، وبدأت الجبال الشَّمالِيَّةُ دائنةً للغاية حتى أنه بدا لكاتلين أنها تستطيع أن تَمُدَّ يدها وتمسَّها. فوق كُلِّ شيءٍ كانت القمَّةُ المتعرَّجة التي يُطْلِقُونَ عليها اسم "رُمح العملاق"، الجبل الذي تتضاءل الجبال نفسها أمامه، والذي توارى رأسه بين الضُّباب الثلجي على ارتفاع ثلاثة أقدام ونصف من أرض الوادي، ومن منكبه الغربي العملاق يتدفَّق الشَّلَالُ الشَّبَحِي الذي يُدعى "دموع أليسا"، وحتى من على تلك المسافة البعيدة أبصرت كاتلين خيط المياه الفُضِّي اللَّامع وهو يسري على الصُّخور السوداء عندما رأى عمُّها أنها توقَّفت، اقتربَ بحصانه منها وأشار قائلاً: «إنه هناك، إلى جوار دموع أليسا. كُلُّ ما تستطيعين رؤيته من هنا هو وميض أبيض بين الحين والآخر، وهذا إذا أَمَعَنْتِ النَّظَرَ وكانت الشَّمْسُ تَسْقُطُ على الجدران من الزَّاوية الصَّحيحة».

سبعة أبراج كخناجر بيضاء مغروسة في بطن السَّماء، قال لها ند ذات مرَّة، شديدة الارتفاع حتى أنكِ تستطيعين الوقوف في الشُّرفات والنَّظَرُ إلى السَّحاب من فوق. سألت: «كم سيستغرق الصُّعود؟».

أجابها العم برايندن: «سنبُلُغُ الجبل مع حلول المساء، لكن رحلة الصُّعود ستستغرق يومًا آخر».

قال السير رودريك كاسل من ورائهما: «سيَدَتِي، أخشى أنني لا أستطيعُ قطع مسافةٍ أطول من هذا اليوم». كان وجهه ممتقعًا تحت شواربه التي بدأت تنمو من جديد، وبدأ مُنْهَكًَ للغاية حتى أن كاتلين خَشِيتُ أنه سَيَسْقُطُ من على حصانه.

قالت: «ولا يَجْدُرُ بك أن تفعل. لقد فعلت كُلَّ ما طلبته منك وأكثر منه مرَّة. سيصبحني عَمِّي خلال باقي الطريق إلى "العُش". يجب أن يأتي

لانستر معي، لكن ليس هناك ما يستدعي ألا يبقى بقيتكم هنا ويستعيدون قواهم».

قال السير دونل بكياسة الشَّباب الرّزينة: «سَيُسْرَفُنَا أَنْ يَنْزِلُوا ضِيقًا عَلَيْنَا». بالإضافة إلى السير رودريك لم يتبقَّ غير السير ويليس وبرون وماريليون المغنّي من المجموعة التي خرجت معها من الخان على تقاطع الطُّرق.

- «سيّدني»، قال ماريليون متقدّمًا بحصانه. «التمسُ منك أن تسمح لي بالمجيء معك إلى "العش"، لأشهد خاتمة الحكاية كما شهدتُ مستهلّها». بدا الصّبي مضنيّ لكن عازمًا على نحوٍ غريب، وفي عينيه لاحت نظرة حماسيّة محمومة.

لم تكن كاتلين قد طلبت من المغنّي أن يأتي معهم من البداية ومجيؤه كان خياره وحده، وإن كانت لا تدري حقا كيف نجا هو من كلّ أخطار الرّحلة بينما كان رجال أشجع منه بمراحل موتى بلا دفنٍ وراءهم. لكن ها هو ذا بلحيته النّابتة التي جعلته يبدو أقرب لرجل بالغ، ولربما تدين له هي بشيءٍ مقابل مجيئه كلّ تلك المسافة، وهكذا قالت له: «ليكن إذن».

قال برون: «أنا أيضًا قادم معك».

لم يرق لها هذا كثيرًا. هي تعرف أنها لم تكن لتبلّغ "الوادي" من دون برون، فالمرزوق مُقَاتِل لا يشقُّ له غبار كما رأت بنفسها، وبسيفه أسقط أعداءهم على الطّريق واحدًا تلو الآخر حتى بلغوا ملاذهم الآمن، ومع كلّ ذلك كانت كاتلين تشعُر بالامتناع من الرّجل. شجاعٌ هو وقويّ، لكنه لا يتمتّع بأيّ شفقةٍ وبقليل جدًّا من الإخلاص، ثم إنها رأته راكبًا إلى جوار لانستر أغلب الوقت، يتكلّمان بصوتٍ خفيضٍ للغاية ويضحكان على دعاياتٍ ما، وكانت تُفضّل أن تفصله عن القزم هنا والآن، ولكن بعد موافقتها على مجيء ماريليون معها إلى "العش" لم تجد طريقة مقبولة

لأن ترفض أن يفعل برون الشيء نفسه، وعليه قالت: «كما تشاء»، على الرغم من أنها لاحظت أنه لم يطلب الإذن منها فعلياً.

ظل السير ولبس وود مع السير رودريك ليطلب السبوتون ذو الصوت الناعم جراحهما، كما تركت خيولهم المسكينة عند البوابة كذلك. وعد السير دونل بإرسال طيور إلى "العش" وبوابات القمر تحمل خبر مجيئهم، ثم أمر بإحضار خيول جديدة لهم من الاسطبلات، وكانت خيولاً جبلية ثابتة الخطى ذات شعر أشعث، وهكذا خلال أقل من ساعة بدأوا التحرك من جديد. ركبت كاتلين إلى جوار عمها وهم يبدأون النزول إلى قاع الوادي، ومن خلفهما برون وتيريون لانستر وماريليون وستة من رجال برايندن.

انتظر برايندن تلي حتى قطعوا نحو ثلث الطريق الجبلي بعيداً عن مسامع الآخرين، قبل أن يلتفت إليها قائلاً: «والآن حدثيني عن عاصفتك هذه يا صغيرتي».

- «لم أعد صغيرة منذ زمن طويل يا عمها»، قالت كاتلين لكنها حكّت له بالرغم من ذلك، واستغرق الحكى وقتاً أطول مما توقعت حقاً، من رسالة لايسا وسقوط بران وخنجر القاتل والإصبع الصغير وحتى مصادفة لقائها بتيريون لانستر في الخان على مفترق الطرق.

أصغى عمها بصمت وحاجباه الكثان يظلان عينيهِ مع انعقادهما أكثر فأكثر. دائماً ما يعرف برايندن تلي كيف يُصغي... يُصغي لأيّ أحد سوى أبيها بالأحرى. كان شقيق اللورد هوستر ويصغره بخمسة أعوام، لكن الاثنين كانت في حالة حرب دائماً منذ تفتحت عينا كاتلين على الدنيا، وفي واحدة من مشاحناتهما الكبيرة، عندما كانت كاتلين في الثامنة، نعت اللورد هوستر برايندن بأنه "الكبش الأسود في قطع تلي"، فردّ برايندن ضاحكاً أن رمز العائلة عبارة عن سمكة ترويت واثبة، والأحرى إذن أن يكون سمكة سوداء وليس كبشاً، ومنذ ذلك الحين اتخذ السمكة

السَّوداء شعاعًا خاصًا به. لم تنتهِ الحرب بين الأخوين حتى اليوم الذي تزوّجت فيه كاتلين ولايسا، فخلال مأدبة الزّفاف أخبَرَ برايندن أخاه بأنّه سيُغادر ريفرّون ليعمل لدى لايسا وزوجها الجديد سيّد "العُش"، ومنذ يومها لم ينطق اللورد هوستر باسم أخيه ثانية كما كتَبَ لها أخوها إدميور في رسائله القليلة. وعلى الرغم من كلّ ذلك، طوال سنين طفولة كاتلين وصُبوّتها كان برايندن السّمكة السّوداء هو من يهرع له أبناء اللورد هوستر بحكاياتهم أو دموعهم، عندما يكون أبوهم مشغولاً وأمهم مريضة. كاتلين، لايسا، إدميور، وحتى بيتر تابع أبيهم الشّخصي، كان يُصغي إليهم جميعًا بصبر كما أصغى الآن، يضحك مع انتصاراتهم ويتعاطف مع مشكلاتهم الطّفوليّة.

ظَلَّ عمّها صامتًا لمُدّة طويلة بعد فروغها وحصانه يقطع الدّرب الصّخري المنحدر، وأخيرًا قال: «لا مناص من إخبار أبيك. إذا تحرّك آل لانستر، فويترفل بعيدة عنهم، و"الوادي" محصّن وراء جباله، بينما ريفرّون قريبة وتقع في طريقهم مباشرة».

قالت كاتلين: «الشيء نفسه أخشاه. سأطلبُ من الويايستر كولمون أن يرسل طائرًا عندما نصل إلى "العُش"». كانت ثَمّة رسائل أخرى عليها إرسالها كذلك، الأوامر التي كلّفها ند بإبلاغها إلى حملة رايته لتجهيز الدّفاعات في الشّمال. ثمّ إنها سألت: «كيف المزاج العام في "الوادي"؟». أجابَ برايندن تلي: «غاضب. اللورد جون كان محبوبًا للغاية، والإهانة كانت شديدة عندما وضعَ المَلِك روبرت جايمي لانستر في منصبٍ يحثُّه آل آرَن منذ ما يقرب من ثلاثمئة عام. أمرتنا لايسا بأن نلقب ابنها بالحاكم الشرعي للشرق، لكن هذا لم يخدع أحدًا طبعًا، كما أن أختك ليست الوحيدة التي تتساءل عن الطّريقة التي ماتَ بها اليّد. لا أحد يقول إن جون قد قُتِلَ، ليس على الملأ، لكن الشكّ يلقي ظلًا طويلًا»، ثم رمقَ كاتلين قائلاً بغمٍّ مزمزم: «ثم إن هناك الصّبي نفسه».

- «الصَّبي؟ ماذا عنه؟»، سألت وهي تخفض رأسها أثناء مرورهما أسفل صخرة بارزة واطئة، ثم حول منعطفٍ حاد.

تنهَّد عُمُّها وأجاب بصوتٍ ملاء الضيق: «اللورد روبرت، طفل في السادسة، سقيم، وينفجر باكياً إذا أخذت منه هذه الدُّمية أو تلك. وريث جون آرن في شرع الآلهة كلها، لكن البعض يقولون إنه أضعف من أن يجلس في مقعد أبيه. نستور رويس كان كبير الوكلاء طوال أربعة عشر عاماً أثناء خدمة اللورد جون في كينجز لاندنج، وبنهاًس كثيرون أنه من الحريّ به أن يحكّم حتى بلوغ الصَّبي، ويؤكّد آخرون أن لايسا ينبغي أن تتزوَّج ثانيةً وقريباً. الخطّاب محتشدون كالغربان فوق ميدان المعركة بالفعل، و"العُش" يعجُّ بهم».

قالت كاتلين: «كنتُ أتوقَّع هذا». ولا عجب في ذلك حقّاً، فلايسا لا تزال شابةً، ومملكة الجبال والوادي بمثابة هديّة زفافٍ منقطعة النظير. «وهل ستُخذ لايسا لنفسها زوجاً جديداً؟».

- «هذا ما تقوله، بفرض عثورها على رجلٍ يُناسبها، لكنها رفضت اللورد نستور بالفعل ودستته من الرّجال المُناسِيبين، وإن كانت تُقسِم أن من ستتزوَّج منه سيكون من اختيارها هذه المرّة».

- «أنت من بين الجميع لا يُمكنك أن تلومها على هذا».

قال بامتعاض: «ولستُ ألومها، وإنما... يبدو لي أن لايسا تلعب لعبة المغازلة لا أكثر، أنها تستمتع بالرّفقة المحيطة بها لكن تنوي أن تحكّم بنفسها إلى أن يصير ابنها كبيراً بما يكفي لأن يكون سيّد "العُش" فعلاً وليس اسمًا».

- «النِّساء قادرات على القيادة بالحكمة ذاتها كالرّجال».

قال عُمُّها وهو يرمّقها بنظرةٍ جانبية: «النِّساء المُناسِبات. إياكِ أن تعتقدي أن لايسا مثلكِ يا كات»، ثم تردّد للحظةٍ قبل أن يُردف: «الحقيقة أنني أخشى أنكِ لن تجدي أختكِ ذات عونٍ كما تأملين».

سألته مندهشة: «ماذا تعني؟».

- «لايسا التي عادت من كينجز لاندينج ليست الفتاة نفسها التي رحلت جنوباً لدى تنصيب زوجها يدًا للملك. تلك السنين كانت صعبةً عليها حقًا، ولا بُدَّ أنك تعين هذا. اللورد آرَن كان زوجًا مُخلصًا، لكن زواجهما كان مبنياً على السياسة وليس الحب».

- «تمامًا كزواجي».

- «الزيجتان بدأتا كشيءٍ واحد، لكن نهايتك كانت أسعد من نهاية أختك: طفلان ولدا جهيزين، وضعف هذا العدد أجهدَّ، و وفاة اللورد آرَن... كاتلين، الآلهة لم تُنعم على أختك إلَّا بطفل واحد فقط، وهو كل ما تحيا من أجله، المسكين. لا عجب هنالك أنها فضّلت الفرار على رؤيته يُسلَّم إلى أيدي آل لانستر أمام عينيها. أختك خائفة يا صغيرتي، وأكثر ما يُخيفها هو آل لانستر. لقد هربت إلى "الوادي" متسلّلةً من القلعة الحمراء كلصّ في جوف الليل، وكل هذا كي تتزع ابنها من بين فكّتي الأسد... والآن جئتِ أنتِ بالأسد إلى بابها».

- «مكبّلاً بالأغلال»، قالت كاتلين وأبطأت سرعة حصانها لمّا رأت الصّدع الكبير الذي يفغراه إلى يمينها، وبدأت تتحرّك بحذرٍ شديد.

- «حقًا؟»، قال عمُّها وهو يُلقِي نظرةً وراءه إلى حيث ينزل تيريون لانستر المنحدر ببطء. «إنني أرى بلطفًا في سرجه وخنجرًا في حزامه ومُرتزقًا يتبعه كظلّ جائع، فأين الأغلال يا حلوتي؟».

اعتدلت كاتلين بغير راحةٍ فوق سرجها، وقالت: «القرم هنا، وليس بإرادته. بأغلالٍ أم لا هو سجين، ولا ريب أن لايسا ترغب في أن يدفع ثمن جرائمه مثلي تمامًا، فزوجها هو من اغتاله آل لانستر، ورسالتها كانت أول تحذيرٍ تلقيناه منهم».

منحها برايندن السمكة السوداء ابتسامةً مُتعبَةً وقال: «أتمنّى أن تكوني مصيبةً يا صغيرتي»، ثم تنهَّد بأسلوبٍ يشي باعتقاده أنها مخطئة.

كانت الشمس قد بدأت رحلة المغيب فعلاً عندما أخذ المنحدر يتسطح تدريجياً تحت حوافر خيولهم واتسع الطريق وأصبح مستقيماً، وللمرة الأولى لاحظت كاتلين الزهور البرية والأعشاب النامية. بمجرد بلوغهم قاع الوادي أصبحت حركتهم أسرع وهم ينطلقون عبر غابات خضراء نضرة وقرى صغيرة ناعسة، مروراً ببساتين وحقول قمح ذهبية، وخلال عشاتٍ من الجداول الضيقة التي تُثير مياهها الشمس. أرسلَ عمُّها حامل راية يسبقهم حاملاً علماً مزدوجاً يُرفرف من ساريته: قمر وصقر عائلة آرن في الأعلى، وأسفله سمكة سوداء؛ وطوال رحلتهم أفسح لهم سائقو العربات والتجار والمزارعون وأبناء العائلات الأقل شأناً طريق المرور. ومع ذلك كان الظلام قد حلَّ بالكامل قبل وصولهم إلى القلعة الضخمة التي ترتفع عند سفح رُمح العملاق. لاحظت أضواء المشاعل المتذبذبة فوق أسوارها ومتاريسها، ورقص انعكاس المُحاق على مياه خندقها الدّاكنة. كان الجسر المتحرك مرفوعاً والشبكة الحديدية مسدلة، لكن كاتلين رأت أضواءً في غرفة الحراسة عند البوابة وفي الأبراج المربعة من ورائها. قال عمُّها والمجموعة تتوقف أخيراً: «بوابات القمر»، بينما تحرك حامل الراية إلى حافة الخندق لينادي الرّجال في غرفة الحراسة. «هذا هو مكان اللورد نستور. من المفترض أنه ينتظرنا... انظري إلى أعلى».

ورفعت كاتلين عينيها، إلى أعلى وأعلى وأعلى. في البدء لم ترَ غير الصُّخور والأشجار وكتلة الجبل العظيم يتغلّفها الليل فصارت سوداء كسماء بلا نجوم، ثم لاحظت وهج نارٍ بعيدة فوقها. إنه البرج المحصّن المشيد على جانب الجبل المنحدر، نوافذه المضاءة كأعينٍ برتقالية تُحدّق فيها من فوق، وأعلاه كان برج آخر أطول وأبعد، ثم ثالث أطول يبدو كمجرد شرارة في السماء من موقعها هذا. وأخيراً، هناك في الأعالي حيث تُخلَق الصُّقور، كان الوميض الأبيض في نور القمر، وانتابها الدُّوار وهي ترفع عينيها ناظرة إلى الأبراج الشاهقة البعيدة.

سمعت ماريليون يُغمِغِم مشدوهاً: «العُش».

ثم سمعت صوت تيريون لانستر الحاد يقول: «لا بُدَّ أن آل آرن غير مولعين بالصُّحبة. إذا كنتِ تنتوين أن نصعد هذا الجبل في الظَّلام، فخير لي أن تقتُليني هنا».

أجابَه السير برايندن: «سنقضي اللَّيلة هنا ثم نبدأ الصُّعود في الغد».

- «أوه، إنني لا أطيقُ الانتظار. وكيف سنصعد؟ أنا ما عندي تجربة في ركوب الجديان».

قال برايندن مبسماً: «بالبغال».

وعقبت كاتلين: «ثُمَّ درجات محفورة في الجبل». كان ند قد حكي لها عنها وهو يتكلَّم عن شبابه هنا مع روبرت باراثيون وچون آرن.

أوما عمُّها برأسه وقال: «لا يُمكنك رؤيتها في الظَّلام لكنها موجودة. إنها ضيِّقة منحدره للغاية بالنسبة للخيل، لكن البغال تستطيع صعودها أغلب الطَّرِيق الذي تحرُّسه ثلاث قلاع فرعيَّة، "صخر" و"ثلج" و"سما».

سوف تأخذنا البغال حتى "سما».

نظرَ تيريون لانستر إلى أعلى بشكٍّ وقال: «وبعد ذلك؟».

ابتسم برايندن وقال: «بعد ذلك يُصبح الجبل منحدرًا للغاية حتى بالنسبة للبغال، لذا سنصعد على الأقدام بقيَّة الطَّرِيق، أو لعلَّكَ تُفضِّل الصُّعود في القفص». «العُش» مشيِّد في قلب الجبل فوق "سما" مباشرة، وفي أقيته ثَمَّة ستُّ رافعات ضخمة بسلاسل حديدية طويلة لرفع المؤن من الأسفل. إذا كنت تُفضِّل هذا يا سيِّد لانستر، فيمكنني أن أرُتِّب صعودك مع الخُبز والبيرة والتفاح».

أطلقَ القزم ضحكة كالنباح وقال: «ليتني كنتُ بقطينة! لكن للأسف سيتكدر السيِّد والذي كثيرًا إذا ذهبَ ابنه سليل عاتلة لانستر إلى مصيره كشحنةٍ من اللَّفت. طالما أنكم ستصعدون على الأقدام، فأخشى أن عليَّ أن أحذو حذوكم. نحن أبناء لانستر لنا كرامتنا كما تعلم».

- «كرامة؟»، قالت كاتلين محتدة وقد أغضبته نبرته السّاخرة وأسلوبه اللامبالي. «هي غطرسة بالأحرى، غطرسة وجشع وشهوة للسلطة».

أجاب تيريون: «أخي متغطرس بلا شك، وأبي هو المادّة الخام للجشع، وأختي العزيزة سرسي تشتهي السلطة مع كلّ نفس يدخل صدرها، أمّا أنا فبريء كالحمل الصّغير. هل ترغيبين أن أنغو لك؟». قالها وابتسم بالشّخيرة المقيّنة نفسها.

نزل الجسر المتحرّك مُصدِّراً صريراً حادّاً قبل أن تُجيبه، وسمعوا صوت السّلاسل المزيّنة والشّبكة الحديدية تُرْفَع إلى أعلى، ثم خرج رجال مسلّحون حاملين المشاعل كي تُضيء طريقهم، وقادهم عمّها عبر الخندق. كان اللورد نستور رويس، كبير وكلاء "الوادي" وحافظ بوابات القمر، في انتظارهم في السّاحة ليُحييهم وقد أحاط به فُرسانه، وقال منحنيّاً: «ليدي ستارك». كان رجلاً ضخّم الجثّة ذا صدرٍ كالبرميل وانحناءته خرقاء نوعاً.

ترجّلت كاتلين ووقفت أمامه قائلة: «لورد نستور». كانت تعرف الرّجل اسمًا فقط، فهو ابن عمّ يون البرونزي القادم من فرع أدنى من عائلة رويس، وإن كان الرّجل لوردًا مهيبًا قائمًا بذاته. «لقد قطعنا رحلة طويلة شاقّة، وأطلبُ منك استضافتنا تحت سقّك اللّيلة إذا سمحت لنا».

أجاب اللورد نستور بلهجته الخشنة: «سقّفي تحت أمرك يا سيّدي، لكن شقيقتك الليدي لايسا بعثت رسالةً من "العش" تطلبُ فيها أن تراك على الفور. سنستضيف بقيّة صُحبك هنا ونجعلهم يصعدون مع أول ضوءٍ للصّبح».

وثبَ عمّها من فوق حصانه وقال بحدّة: «أيّ جنونٍ هذا؟». لم يكن برايندن تلي بالرّجل الذي يُزوّق كلامه أبدًا. «صعود ليلي دون أن يكون القمر مكتملاً؟ حتى لايسا تعرف أن هذه دعوة لأن يكسر المرء عنقه».

- «البغال تحفظ الطّريق عن ظَهر قلبٍ يا سير برايندن»، قالت فتاة

نحيلة قويّة البنيان في السابعة أو الثامنة عشر من العمر وهي تتقدّم لتقف إلى جوار اللورد نستور رويس. كان شعرها القصير مقصودًا باستقامة حول رأسها، وترندي ثياب الرُكوب الجِلْدِيَّة وقميصًا خفيفًا من الحلقات المعدنيَّة. انحنت لكاتلين برشاقة أكثر من سيّدها وقالت: «أعدك يا سيّدتني أن لا أذّي سيّصيك، وسيكون من دواعي شرفي أن أصحبك إلى أعلى. لقد صعدتُ الجبل في الظلام مئة مرّة. مايكل يقول إن أبي كان جدّيًا لا بُدّ».

كان أسلوبها مختلًا واثقًا لدرجة أن كاتلين ابتسمت، ثم سألتها: «ما اسمك يا بُنيتي؟».

أجابَت الفتاة: «ميا ستون يا سيّدتني».

كانت كاتلين تُحافظ على ابتسامتها بصعوبة. "ستون" هو اسم الأبناء غير الشرعيّين في "الوادي"، تمامًا كـ "سنو" في الشّمال، و"فلاورز" في هايجاردن. في كلِّ من الممالك السّبع خصّصت الأعراف اسمًا لكلِّ من وُلِدَ من غير زواج شرعيٍّ للأبوين. لم تكن كاتلين تحمل شيئًا ضدَّ الفتاة، لكنها لم تستطع منع نفسها من التّفكير في نغل ند على "الجدار"، وأشعرها الخاطر بالغضب والذّنب في آنٍ واحد، وكافحت كي تَعُثر على كلمات تردُّ بها.

قال اللورد نستور كاسرًا الصّمت: «ميا فتاة بارعة، وإذا أكّدت أنها تستطيع اصطحابك بأمانٍ إلى الليدي لايسا، فأنا أصدّقها. إنها لم تخذلني من قبل».

قالت كاتلين: «سأضع نفسي بين يديك إذن يا ميا ستون. لورد نستور، أوصيك بأن تضع السّجين تحت حراسةٍ مشدّدة».

- «وأوصيك أنا أن تُحضِر للسّجين كأسًا من النّبيذ وديكًا مشويًا قبل أن يموت جوعًا»، قال لانستر. «لا بأس بفتاةٍ كذلك، وإن كنتُ أعتقدُ أن هذا طلبٌ مبالغ فيه بالنّسبة إليكم».

انفجرَ برون ضاحكًا، بينما تجاهلَ اللورد نستور المزاح وقال: «كما تأمرين يا سيّدي»، وبعدها فقط التفتَ إلى تيريون قائلاً: «خذوا اللورد لانستر إلى زنزانة في البُرج، وأحضروا له الطّعام والشّراب».

استأذنتَ كاتلين بالانصراف من عمّها والآخرين بينما اقتيد تيريون لانستر إلى زنزانه، ثم تبعت الفتاة النّغلة عبر القلعة إلى الفناء العلوي، حيث كان بغلان جاهزين في انتظارهما، وساعدتها ميا على الرّكوب بينما اتّجه حارس في معطفٍ بلونٍ أزرقٍ سماويٍّ إلى البوّابة الخلفيّة الضيّقة ليفتحها. وراء القلعة كانت تقبع غابة كثيفة من أشجار الصّنوبر والثّنوب، والجبل بمثابة جدارٍ أسود، لكن الدّرجات كانت هناك، محفورة في عمق الصّخر وترتفع إلى السّماء. «البعض يُفضّلون إغلاق أعينهم»، قالت ميا وهي تقود البغلين عبر البوّابة إلى الغابة المظلمة. «عندما يشعرون بالخوف أو الدّوار، يتمسّكون بالبغال بقوةٍ شديدة، لكن هذا لا يروق لها».

قالت كاتلين: «لقد وُلدتُ في عائلة تلي وتزوّجتُ من عائلة ستارك ولا أخافُ بسهولة»، ولمّا لاحظتُ أن الدّرجات سوداء كالفار قالت: «هل تنوين إشعال مشعل؟».

أجابَت الفتاة باستهانة: «المشاعل تُعميك لا أكثر، وفي ليلةٍ صافيةٍ كهذه يكفي نور القمر والنّجوم. مايكل يقول إن لديّ عيني بومة»، ثم امتطتُ بغلها وصعدتُ به الدّرجة الأولى، وتبعها بغل كاتلين من تلقاء نفسه.

قالت كاتلين: «لقد ذكرتُ مايكل هذا من قبل». كان البغلان هما من قرّرا سرعة التحرك البطيئة الثّابتة، ووجدتُ كاتلين نفسها قانعةً بهذا. - «مايكل هو حبيبي، مايكل ردفورت. إنه مُرافق للسّير لين كوربراي. سوف نتزوّج بمجرد أن يصير فارسًا، العام القادم أو الذي يليه».

كان سانزا هي من تتكلّم، سعيدة وبرينة جدًّا في أحلامها. ابتسمتَ نَتلين، لكن البسمة كانت مشوّبة بالحُزن، فهي تعرف أن ردفورت اسم

قديم في "الوادي"، وفي عروق هذه العائلة تجري دماء البشر الأوائل. قد تكون حبيبته، لكن من المستحيل أن يتزوج أحد أبناء ردفورت من نغلة أبداً، وستجد عائلته عروساً أنسب له، واحدة من آل كوربراي أو واينود أو رويس، أو ربما ابنة عائلة أكبر من خارج "الوادي". إذا طارح مايكل ردفورت هذه الفتاة الغرام، فلن يكون هذا بغرض الزواج على الإطلاق. كان الصعود أسهل كثيراً مما توقعت كاتلين أو حتى أملت. دنت فروع الأشجار من بعضها بعضاً بشدة فوق الممر لتصنع سقفاً أخضر سميكاً حجب القمر نفسه وأخذ يُصدر حفيفاً واطثاً، فبدا كأنهما تصعدان إلى أعلى في نفق أسود طويل. لكن البغلين كانا ثابتي الخطى حقاً ولا يتعبان، كما بدا كأن الآلهة قد أنعمت على ميا ستون بعينين تريان في الظلام فعلاً. هكذا ظلنا تصعدان إلى أعلى دائرتين مع دوران الدرجات حول وجه الجبل. كانت طبقة كثيفة من أوراق الشجر الساقطة تكسو الطريق، فلم تُصدر حدوات البغلين إلا أصواتاً خفيفة للغاية وهي تدق الصخور. هدأت أعصابها مع السكون المحيط بها، وتمايلت كاتلين على سرجها مع حركة البغل، ولم يمض وقت طويل حتى كانت تُكافح النعاس الذي تسلل إلى جفניה. ولعلها غابت في النوم حقاً، ففجأة لاح أمامهما بوابة حديدية عملاقة، وقالت ميا بمرح وهي تترجل: «صخر». كانت هناك حراب من الحديد مثبتة على الأسوار الحجرية المهيبة، بينما ارتفع بُرجان مستديران كبيران فوق القلعة. فُتحت البوابة إثر صيحة من ميا، وفي الداخل حياً الفارس البدين الذي يقود القلعة الفرعية ميا بالاسم وقدم لهما أسياخاً ساخنة من اللحم المشوي والبصل. لم تكن كاتلين قد أدركت كم هي جائعة حتى رأت الطعام، والتهمته بشراهة وهي واقفة في الساحة بينما نقل صبيان الاسطبل سرجيهما إلى بغلين جديدين، وسالت العُصارة الساخنة على ذقتها ومنها إلى معطفها، لكنها كانت أكثر جوعاً من أن تُبالي.

ثم حَانَ الوقت لامتطاء البغل من جديد والتحرُّك إلى أعلى في نور النُّجوم. غير أن المرحلة الثانية من الصُّعود بدت خداعةً أكثر لكاتلين، فالطَّرِيق كان أكثر انحدارًا والدَّرَجَات باليةً أكثر، وهنا وهناك تناثر الحصى والحجارة المكسرة، حتى أن ميا اضطَرَّت للترجُّل عدَّة مرَّات لإزاحة الأحجار الصَّغيرة السَّاقطة من الجبل نفسه من طريقهما. قالت: «لا أحد يرغب في أن يكسر بغله ساقه هنا»، ووجدت كاتلين نفسها تتفق معها على الفور وهي تَشعرُ بالارتفاع أكثر بالفعل. كانت الأشجار متناثرة على مساحاتٍ أوسع هنا والريِّح تهبُّ بقوةٍ أكبر شدَّت ثيابها ودفعَت شَعرها في عينيها. بين الحين والآخر كانت الدَّرَجَات تنطوي على نفسها في الجهة المعاكسة، فكانت ترى "صخر" أسفلهما وبوابات القمر بعيدةً في القاع ومشاعلها تبدو كالشُّموع.

كانت "ثلج" أصغر من "صخر"، تضمُّ بُرجًا مدعَّمًا وحدًا وحصنًا من الخشب واسطبلًا توارى وراء جدارٍ واطئٍ من الصُّخور غير المملَّطة، وإن كانت مشيدةً في قلب رُمح العملاق بطريقةٍ تجعلها تُسيطر على كامل الدَّرَجَات الحجريَّة التي تعلو القلعة الفرعية الأولى. العدوُّ الذي يرغب في غزو "العش" عليه أن يُقاتِل ليشقَّ طريقه من "صخر" درجةً درجةً، بينما تنهمر عليه الصُّخور والسَّهام من "ثلج" في الأعلى. عرضَ عليهما قائد القلعة، الفارس الشاب العصبي ذو الوجه المليء بالبثور، الخبز والجُبْن وأن تُدَفِّئا نفسيهما أمام النَّار، لكن ميا رفضت قائلة: «يجب أن نواصل التحرُّك يا سيِّدتي إذا كان هذا يُناسِبك»، فهزَّت كاتلين رأسها موافقةً.

مرَّةً أخرى جاء وهما ببغليْن جديدين، وابتسمت ميا لمرأى بغلها الأبيض وقالت: «وايتي بغل ممتاز حقًا يا سيِّدتي، واثق الحركة حتى على الجَلِيد، لكن يجب أن تتوخَّي الحذر، فسِرُّكُك إذا لم تروقي له». لكن يبدو أنها راقَت للبغل الأبيض والشُّكر للآلهة، ولم يكن هناك جَلِيد أيضًا

وهي ممتنة لذلك. «أمي تقول إن الثلج وُلِدَ هنا منذ مئات السنين. دائماً ما كان اللون الأبيض يسود الأعالي هنا، ولم يَذُبْ الجليد قط»، ثم هزّت كتفها وأضافت: «لا أذكرُ أنني رأيتُ ثلجاً على هذا البُعد في الجبل، لكن لعله كان موجوداً هنا بالفعل في قديم الزمن».

صغيرةٌ للغاية، فكّرت كاتلين وهي تُحاول أن تتذكّر إن كانت مثلها ذات يوم. لقد عاشت الفتاة نصف حياتها في الصيف ولا تعرف غيره. أرادت أن تقول لها: الشتاء قادم يا صغيرتي، وكانت الكلمات على شفتيها بالفعل وكادت أن تلتفّظ بها. لا بُدَّ أنها بدأت تُصيح ستارك أخيراً. فوق "ثلج" كانت الرّيح كائناتاً حيّاً، تعوي من حولهما كذئبٍ في البرية ثم تصمّت تماماً كأنها تُحاول إغواءهما بالهدوء. بدت النجوم أسطع هنا وقريةٌ للغاية حتى أنها تكاد تستطيع أن تلمسها، والمُحاق ضخمًا للغاية في السماء السوداء الصّافية. مع صعودهما وجدّت كاتلين أن من الأفضل أن تنظر إلى أعلى بدلاً من أسفل. كانت الدّرجات هنا مشقوقةً مكسورةً من جرّاء قرونٍ من التجمّد والذوبان ومرور بغالٍ بلا عددٍ عليها، وحتى في الظلام جعل الارتفاع قلبها يهوي بين ساقبها. ثم ترجّلت ميا عندما وصلت إلى سنادٍ عالٍ بين قمّتين مستدقيّتين من الصُّخور، وقالت: «من الأفضل أن نقود البغلين إلى الجانب الآخر يا سيّدتني، فالرياح مخيفة هنا بعض الشيء».

متصلبةً نزلت كاتلين وتطلّعت إلى الممرّ أمامهما. عشرون قدماً طويلاً ونحو ثلاثة أقدام عرضاً، وهاوية على الجانبين. كانت الرّيح تصرّخ، لكن ميا تحرّكت بخفةٍ وتبعها بغلها بهدوءٍ شديدٍ كأنهما يعبران فناءً واسعاً. ثم حان دورها، لكن بمجرد أن خطت خطوةً واحدةً أطبق الخوف على كاتلين بفكيه. كانت تُشعر بالفراغ المحيط بها، ودوّامات الهواء السوداء التي تدور حولها، وتوقّفت مرتجفةً لا تجسّر على التحرك. صرخت الرّيح فيها وشدّت معطفها بعنفٍ محاولةً إلقاءها من فوق الحافة،

وتراجعت كاتلين إلى الورا ببطء بالغ، لكن البغل كان وراءها يسد عليها طريق العودة، وفكرت: سوف ألقى حتفي هنا، وهي تشعر بقطرات العرق البارد تسيل على ظهرها.

نادتها ميا عبر الهاوية بصوت جاء كأنه على بُعد آلاف الأميال منها: «ليدي ستارك، هل أنت بخير؟».

ابتلعت كاتلين تلي ستارك ما تبقى من كبرياتها وصاحت: «لا... لا أستطيع أن أفعل هذا يا صغيرتي».

قالت الفتاة النغلة: «بل تستطيعين، أعرف أنك تستطيعين. انظري إلى اتساع الممر».

- «لا أريد أن أنظر». كانت الدنيا تدور من حولها، الجبل والسماء والبغلان، وأغلقت كاتلين عينيها في محاولة لأن تنتظم أنفاسها اللاهثة. قالت ميا: «سأعود إليك، لا تتحركي يا سيديتي».

كانت الحركة آخر شيء تفكر كاتلين في فعله، واكتفت بأن أصغت إلى عواء الرّيح وصوت احتكاك الجلد بالحجر، ثم وجدت ميا أمامها تمسكها من ذراعها قائلة: «لا تفتح عينيّك إذا أردت، واتركي الجبل. وابتني يعرف كيف يعتني بنفسه. أحسنت يا سيديتي، سأقودك أنا، الأمر سهل، سترين. أعطيني خطوة الآن، عظيم، هكذا، حركي قدمك إلى الأمام فقط. أرايت؟ والآن خطوة أخرى. منتهى السهولة، يمكنك أن تقطعي الممر عدواً. خطوة أخرى، نعم، عظيم». وهكذا، قدماً قدماً، خطوة خطوة، قادت النغلة كاتلين عبر الممر وهي عمياء ترتجف، بينما تبعهما البغل الأبيض بهدوء تام.

لم تكن القلعة الفرعية الأخيرة "سما" أكثر من جدار عالٍ على شكل هلالٍ من الحجارة غير المملطة يرتفع على جانب الجبل، لكن حتى أبراج فاليريا العارية من القمم لم تكن لتبدو بهذا الجمال في عيني كاتلين ستارك ساعتها. أخيراً كان تاج الثلج يبدأ هنا وقد اكتست

أحجار "سما" البالية بالصَّقيع، بينما تَدَلَّت حراب طويلة من الجَلِيد من المنحدرات في الأعلى.

كان الفَجْر قد بدأ يطلع من الشَّرْق عندما نَادَتْ ميا ستون على الحُرَّاس وانفتحت البوابة أمامهما. في الدَّاخل كانت الجدران مجرد سلسلة من المنحدرات والجلاميد والأحجار من جميع الأحجام، ولا شكَّ أن بدء انهيار صخريٍّ من هنا سيكون أسهل شيءٍ في العالم. كانت هناك فتحة ضخمة في وجه الجبل أمامهما، وقالت ميا مشيرةً إليها: «الاسطبلات والثكنات في الدَّاخل. آخر جزءٍ من الرِّحلة داخل الجبل نفسه. المكان مظلم إلى حدٍّ ما، لكنك ستكونين بعيدةً عن الرِّيح على الأقل. البغال لا تستطيع المضيَّ أكثر من هذا، فَبَعْدَ هَنا لن تجدي درجاتٍ حَجَرِيَّةٍ بالمعنى المعروف، بل هي أقرب إلى سلالم، لكن الأمر ليس بهذا السَّوء. سنصل بَعْدَ ساعةٍ واحدة.»

نظرت كاتلين إلى أعلى، وفوقها مباشرةً أبصرت دعائم قلعة "العُش" الباهتة في نور الفَجْر، بَعْدَ ستمئة قدم لا أكثر عنهما. من الأسفل كانت تبدو كقُرص عسل أبيض صغير، وتذكرت كاتلين ما قاله عمُّها عن الأقفاص والرافعات، وقالت لميا: «فليحتفظ آل لانستر بما يُسمُّونه كرامتهم، لكن أبناء تلي يولدون أكثر تعقُّلاً. إنني على ظهور الخيول والبغال طوال النَّهار السَّابق وأغلب اللَّيل. قلبي لهم أن يخفضوا القفص. سأصعدُ مع اللَّفْت!»

كانت الشَّمْس قد ارتفعت فوق الجبال عندما وصلت كاتلين أخيراً إلى "العُش"، وكان الرَّجل الذي ساعدها على الخروج من القفص قصير القامة ممتلئ الجسد ذا شعرٍ أشيب، يرتدي معطفاً من الرَّمادي والأزرق فوق دِرْع دُقٍّ على صدرها رمز القمر والصَّقر، السير فارديس إيجن قائد حرس أهل بيت جون آرن، وإلى جواره وقف المايستر كولمون العصبيُّ النَّحيل ذو الشعر الخفيف جداً والعنق الثَّخين. قال السير فارديس: «ليدي

ستارك، سعادتنا عظيمة بمجيئك وإن كان غير متوقع»، وهَزَّ المايستر كولمون رأسه مؤثماً وقال: «بالطَّبع يا سيِّدتي، بالطبع. لقد أرسلتُ إلى السيِّدة أختكِ، وأمرتُ بإيقاظها بمجرد وصولكِ».

- «أملُ أنها قصَّت ليلةً مريحة»، قالت كاتلين برنةً لاذعةً في صوتها بدا أن أحداً لم يلاحظها.

اصطحبها الرُّجال من غُرْفَةِ الرَّافعة وصعدا بها سلالم حلزونيَّة. كانت "العُش" قلعةً صغيرةً بمقاييس العائلات الكُبرى، تتكوَّن من سبعة أبراج رفيعة احتشدت معاً كالأسهُم في الكنانة فوق منكب الجبل، ولم تكن في حاجةٍ إلى اسطبلاتٍ أو ورش حدادةٍ أو أوجرة كلاب، لكن ند أخبرها ذات مرَّة أن صومعة الغلال هناك تُناهز تلك التي في ويترفل حجماً، وتُتسع أبراجها لخمسمئة رجل، لكن القلعة بدت لكاتلين مهجورةً على نحوٍ غريب وهي تقطعها، ووقع أقدامهم يتردَّد في القاعات الحجريَّة الخاوية.

كانت لايسا تنتظرها وحدها في غُرْفَتها وهي لا تزال ترتدي ثياب النَّوم، شَعَرها الكستنائي الطَّويل ينساب بنعومةٍ على كتفيها البضاوين العاريَّتين وظَّهرها، بينما تقف خادمة وراءها تُمسِّط ما تشابك منه أثناء النَّوم بعناية. نهَضت لايسا مبتسمةً لدى دخول أختها وقالت: «كات، أوه، كات، أختي الحبيبة، كم هو جميل أن أراكِ»، واندفعت تجري قاطعةً الغُرْفَةَ الواسعة واحتوت أختها بين ذراعيها وغمغمت بحرارة: «كم مضى من الوقت؟ أوه، زمن طويل جداً جداً».

خمس سنواتٍ كانت قد مرَّت في الحقيقة، خمس سنواتٍ في غاية القسوة على لايسا بدا أثرها عليها جلياً. كانت تصغُرُها بعامين، لكنها بدت أكبر الآن. كانت لايسا أقصر قامَةً من كاتلين، والآن صارَ جسدها ممثلاً وشحبَ وجهها وانتفخَ، أمَّا العينان الزَّرَقاوان كعيون أبناء عائلة تلي فأصبحتا باهتي اللَّون دامتَين ولا تثبتان أبداً، واستحالَ فمها الصَّغير إلى

خَطُّ قَاسِي رَفِيع. بَيْنَمَا عَانَقَتْهَا كَاتِلِينَ تَذَكَّرَتِ الْفَتَاةَ النَّحِيلَةَ بَارِزَةَ النَّهْدَيْنِ الَّتِي وَقَفَتْ إِلَى جَوَارِهَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي السُّبُتِ فِي رِيْشِرُون، تَذَكَّرَتِ كَمْ كَانَتْ بَارِعَةً الْحُسْنَ مَفْعَمَةً بِالْأَمَلِ، بَيْنَمَا كُلُّ مَا تَبَقِيَ مِنْ جَمَالِ أُخْتِهَا السَّابِقِ الْآنَ هُوَ الشَّعْرُ الْكَسْتَنَائِي الْكَثِيفُ الَّذِي يَصِلُ إِلَى خَصْرِهَا.

قَالَتْ كَاتِلِينَ كَاذِبَةٌ: «تَبْدِينَ بِخَيْرٍ، لَكِنْ... مُرْهَقَةٌ».

ابْتَعَدَتْ أُخْتُهَا عَنْهَا قَائِلَةً: «مُرْهَقَةٌ، نَعَمْ، نَعَمْ»، ثُمَّ بَدَأَ أَنَّهَا لَاحِظَتْ وَجُودَ الْآخَرِينَ، الْخَادِمَةَ وَالْمَایِستِر كُولْمُونِ وَالسَّيْر فَارْدِيسَ، فَقَالَتْ: «اتْرَكُونَا. أُرِيدُ أَنْ أَتَكَلَّمَ مَعَ أُخْتِي وَحَدَنَّا»، وَأَمْسَكَتْ يَدَ كَاتِلِينَ وَهُمْ يَخْرُجُونَ...

... ثُمَّ تَرَكْتَهَا لِحِظَةِ انْغِلَاقِ الْبَابِ، وَرَأَتْ كَاتِلِينَ مَلَامَحَهَا تَتَغَيَّرُ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَوَارَتْ وَرَاءَ سَحَابَةٍ. «هَلْ فَقَدْتِ عَقْلِي؟»، قَالَتْ لَا يَسَا بِحِدَّةٍ غَاضِبَةٍ. «تَأْتِينَ بِهِ إِلَى هُنَا دُونَ إِذْنِي وَبِلَا سَابِقِ إِذْنَارٍ، تَجْرِيْنَنَا إِلَى خِلَافَاتِكِ مَعَ آلٍ لَانَسْتَرِ...».

- «خِلَافَاتِي؟»، قَاطَعَتْهَا كَاتِلِينَ وَهِيَ تَكَادُ لَا تُصَدِّقُ مَا تَسْمَعُهُ. كَانَتْ النَّارُ مَوْقَدَةً فِي الْمُسْتَوَقَدِ، لَكِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَثَرٌ لِلدُّفءِ فِي صَوْتِ لَا يَسَا. «لَقَدْ كَانَتْ خِلَافَاتِكِ أَنْتِ أَوْ لَا يَا أُخْتَاهُ، فَأَنْتِ مَنْ أُرْسَلْتِ لِي تِلْكَ الرُّسَالَةُ الْمَلْعُونَةُ، أَنْتِ مِنْ قَلْبِ إِنْ آلٍ لَانَسْتَرِ اغْتَالُوا زَوْجِي».

- «لَا أَحْذَرُكِ كَيْ تَبْقَى بَعِيدًا عَنْهُمْ! إِنِّي لَمْ أَنْتَوِ أَنْ أَقَاتِلَهُمْ قَطُّ! بِحَقِّ الْآلِهَةِ يَا كَاتِ، هَلْ تُدْرِكِينَ مَاذَا فَعَلْتِ؟».

- «أُمِّي»، قَالَ صَوْتُ صَغِيرٍ مِنْ وَرَائِهَا، فَالْتَفَتَتْ لَا يَسَا بِسُرْعَةٍ وَمَعِظْفُهَا الثَّقِيلِ يَدُورُ مَعَهَا. كَانَ رُوبَرْتِ آرِن، سَيِّدُ "الْعُشِّ"، يَقِفُ فِي مَدْخَلِ الْعُرْفَةِ قَابِضًا عَلَى دُمِيَّةٍ قُمَاشِيَّةٍ بَالِيَةٍ وَيَرْمُقُهُمَا بَعَيْنَيْنِ مَتَّسَعَتَيْنِ. كَانَ نَحِيلًا لِلْغَايَةِ، جِلْدًا عَلَى عَظْمٍ، صَغِيرِ الْحِجْمِ بِالنِّسْبَةِ لِعُمُرِهِ وَسَقِيمًا طَوَالَ هَذَا الْعُمُرِ، وَمِنْ الْحِينِ إِلَى الْآخِرِ كَانَتْ يَرْتَجِفُ، مَا أَطْلَقَ الْمَایِستِرَاتِ اسْمَ "دَاءِ الْقَشْعِيرَةِ". قَالَ الصَّغِيرُ: «سَمِعْتُ أَصْوَاتًا».

بالطَّبع سَمِعَ أصواتًا، فَكَّرتِ كاتلين، فلايسا كانت تتكلَّم بصوتٍ أقرب إلى الزَّعيق. سَدَّدت إلى أختها نظرةً ناريَّةً وهي تقول: «هذه هي خالتك كاتلين يا صغيري، أختي، الليدي ستارك. هل تذكُّرها؟».

رمَقَها بنظرةٍ خاويةٍ وقال: «أعتقدُ هذا»، على الرغم من أن عُمره كان أقلَّ من عام عندما رآته كاتلين آخر مرَّة.

جلَسَتْ لايسا بالقرب من النَّار وقالت: «تعال إلى أمك يا حبيبي»، وهندَمَت ثيابه وداعَبَت شَعْرهُ البُنِّي النَّاعم. «أليس جميلًا؟ وهو قويٌّ كذلك، فلا تُصدِّقي ما تسمعين. چون كان يعرف. قال لي: "البذرة قويَّة"، كلماته الأخيرة. ظلَّ يُردِّد اسم روبرت وأطبَّقَ على ذراعي بقوةٍ شديدةٍ تركَّت علاماتٍ عليها، وقال: "قولي لهم إن البذرة قويَّة"، بذرتِه. أراد أن يعلم الجميع أن صغيري ولد جميل قوي».

قالت كاتلين: «لايسا، إذا كنتِ محقِّقةً بشأن آل لانستر، فالأحرى بنا أن نتحرَّك بسرعة. إننا...».

- «ليس أمام صغيري! إنه رقيق المزاج، أليس كذلك يا صغيري؟».
- «ولذلك هو سيِّد "العُش" وحافظ "الوادي"، وهذا ليس وقت الرقَّة. ند يعتقد أن الحرب قد تنشب».

- «صمًا! إنكِ تُخيفين صغيري!»، صاحَت لايسا فيها محتدَّةً، وألقى روبرت الصَّغير نظرةً سريعةً من فوق كتفه على كاتلين ثم بدأ يرتجف، وسقطَت دُميته على الأرض ودَسَّ نفسه في حُضن أمه أكثر. «لا تخف يا صغيري الجميل»، همَسَتْ لايسا. «أمك هنا ولن يُؤذيك شيء»، ثم فتَحَت معطفها وأخرجَت ثديًا ثَقيلًا شاحبًا ذا حلمةٍ حمراء، وأمسَكه الولد بلهفَةٍ ودفَنَ وجهه في صدر أمه وبدأ يرضع بينما ملَّست لايسا على شَعْرهِ.

لم تدرِ كاتلين ماذا تقول. هذا هو ابن چون آرن، فَكَّرتِ بانزعاج وهي تتذكَّر صغيرها هي، سيكون ذا الأعوام الثلاثة، في نصف عُمر هذا الولد

وخمس مرّات أقوى منه، وللمرّة الأولى فهمت لماذا كان المَلِك روبرت يرغب في أخذ الولد من أمه لينشأ لدى عائلة لانستر.

كانت لايسا تقول: «نحن آمنون هنا»، وإن لم تدرك كاتلين إن كانت تقولها لابنها أم لها.

قالت كاتلين والغضب يتصاعد في داخلها: «لا تكوني حمقاء. لا أحد آمنًا. إذا كنتِ تحسبين أن الاختباء هنا سيجعل آل لانستر ينسون أمركِ، فأنت مخطئة لأقصى حد».

غطّت لايسا أذن الولد بيدها وقالت: «حتى إذا استطاعوا المرور بجيوشهم عبر الجبال ومن خلال البوابة الدّامية، فـ"العُش" منيعة تمامًا. لقد رأيتِ بنفسكِ أن لا عدوّ يستطيع بلوغنا هنا».

أرادت كاتلين أن تصفعها وتذكّرت تحذير العم برايندن، وقالت: «ليست هناك قلعة غير قابلة للاختراق».

قالت لايسا بإصرار: «هذه القلعة كذلك، والجميع يقولون هذا. المشكلة الآن هي ما سنفعله بالعِفرات الذي جئتِ به إلَيَّ».

- «أهو رجل شرّير؟»، سأَل سيّد "العُش" وهو يزيح ثدي أمه عن فمه بحلمته الحمراء المبتلّة.

- «رجل شرّير جدًّا»، قالت لايسا وهي تُغطّي نفسها. «لكن أملك لن تسمح له بأن يؤذي صغيرها الجميل».

قال روبرت بلهفة: «اجعليه يطير».

ملّست لايسا على شَعر ابنها وغمغمت: «قد نفعل، قد يكون هذا هو الحلُّ بالضبط».



إدارد

وجدَ الإصبع الصَّغير في قاعة الماخور العامَّة، يُثرثر بوُدٍّ مع امرأةٍ حسناء طويلة ترتدي ثوبًا من الرِّيش فوق بشرَّة سوداء كالحرير، وعند المُستوقَد كان هيوارد وفتاة كبيرة التَّهدين يلعبان لعبة الغرامة، وعلى ما يبدو أنه خسِرَ حزامه ومعطفه وقميصه المعدني وفردة حذائه اليُمْنى حتى الآن، بينما كانت غرامة الفتاة هي فَكُّ أزرار قميصها الخفيف حتى الخاصرة، فيما وقفَ چوري كاسل عند نافذةٍ بَلَّتْها قطرات المطر، يُراقب هيوارد يقلب البلاطات ويستمتع بالمنظر وعلى شفثيه ابتسامة خبيثة. توقَّف ند عند قاعدة السَّلام وارتدي قُفَّازيه فائلاً: «حانَ الوقت لنُغادر. عملي هنا انتهى».

نهَضَ هيوارد مسرعًا وبدأ يجمع أغراضه، بينما قال چوري: «كما تأمر يا سيِّدي. سأساعد ويل على إحضار الخيول»، ثم اتَّجه إلى الباب بخطواتٍ سريعة.

استغرقَ الإصبع الصَّغير وقته في توديع المرأة السوداء، وطبعَ قُبلةً على يدها وهمسَ في أذنها بدعاية جعلتها تُطلق ضحكةً عاليةً، ثم سارَ متبخرًا نحو ند وقال بهتِكُم: «عملك أم عمل روبرت؟ يقولون إن اليَدَ يحلُم أحلام المَلِك، يتكلَّم بصوت المَلِك، ويحكُم بسيف المَلِك، فهل يعني هذا أيضًا أنك ينكح ب...».

قاطعه ند: «لورد بايلش، إنك تُغالي في افتراضاتك. أنا لستُ ناكِرًا

لجميلك ومساعدتك لي، فلربما كنتُ لأستغرق سنواتٍ كاملة حتى أعرثر على هذا الماخور، لكن ذلك لا يعني أنني مضطرٌ لاحتمال سخريتك. كما أنني لم أعد يَدَ المَلِكِ».

قال الإصبع الصَّغير لاويًا فمه: «الذُّب الرَّهيب حيوان سريع الغضب حقًا».

كان مطر دافئ ينهمر من السَّماء السَّوداء الخالية من النُّجوم وهُم يسرون إلى الاسطبلات، فرغَ ند قلنسوة معطفه على رأسه. جاءَ چوري بحصانه، ووراءه مباشرةً ويل الشَّاب يقود فرس الإصبع الصَّغير بيدٍ واحدةٍ بينما يُحاول تثبيت حزامه وأربطة سرواله بالأخرى، بينما أطلَّت عاهرة حافية القدمين من الاسطبل تضحك بمرح.

سأله چوري: «هل سنعود إلى القلعة الآن يا سيدي؟»، فأوماً ند برأسه إيجابًا ووثبَ على متن حصانه وحذا الإصبع الصَّغير حذوه وبدأ يتحرَّك، وتبعهما چوري والآخرين.

قال الإصبع الصَّغير: «شائنا ندير منشأةً ممتازةً. إنني أفكرُ في شرائها في الحقيقة، فقد وجدتُ أن الاستثمار في المواخير أحكم كثيرًا من الاستثمار في السُّفن. نادرًا ما تفرق العاهرات، وعندما يركبهنَّ القراصنة... القراصنة يدفعون جيّدًا كأني أحد آخر».

ضحك اللورد پيتر على دعابته الطريفة، وتركه ند يُثَرِّث حتى لا ذ بالصَّمت بعد فترة. كانت شوارع كينجز لاندنج هادئةً مهجورةً وقد دفعَ المطر الجميع للفرار إلى بيوتهم، وقد كان ينزل مدرارًا فعلاً، يضرب رأس ند دافئًا كالدماء قاسيًا كالذنوب القديمة، وسالت على وجهه قطرات كبيرة من الماء.

- «روبرت لن يقنع بفراشٍ واحدٍ أبدًا»، قالت له ليانا في تلك اللَّيلة البعيدة في ويترفل، عندما وعدَ أبوهما سيّد ستورمز إند الشَّاب بيدها. «سمعتُ أنه أنجبَ طفلةً من فتاةٍ ما في "الوادي"». كان ند قد حملَ

الرَّضِيعَةَ بِيَدَيْهِ وَلَمْ يُمَكِّنْهُ إِنْكَارَ وَجُودِهَا أَوْ أَنْ يَكْذِبَ عَلَى أُخْتِهِ، لَكِنَّهُ أَكَّدَ لَهَا أَنْ مَا فَعَلَهُ روبرت قَبْلَ خُطْبَتِهِمَا لَا يَهْمُ، أَنَّهُ رَجُلٌ صَالِحٌ مُخْلِصٌ سَيُحِبُّهَا مِنْ صَمِيمٍ قَلْبِهِ، فَابْتَسَمَتْ لِبَانَا وَأَجَابَتْ: «الْحُبُّ جَمِيلٌ أَيُّهَا الْأَعَزُّ نَد، لَكِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ تَغْيِيرَ طَبِيعَةِ الْبَشَرِ».

كَانَتْ الْفَتَاةُ الَّتِي اتَّقَاهَا الْآنَ صَغِيرَةً السِّنُّ جَدًّا لِدَرَجَةِ أَنْ نَد لَمْ يَقَوَّ عَلَى أَنْ يَسْأَلَهَا عَنْ عُمْرِهَا. لَا شَكَّ أَنَّهَا كَانَتْ عِزْرَاءً، فَالْمَوَاقِفُ الْأَفْضَلُ يُمَكِّنُهَا دَائِمًا أَنْ تَجِدَ لَكَ عِزْرَاءً إِذَا كَانَ كَيْسُ نَقُودِكَ مَمْتَلَأًا كِفَايَةً. كَانَ شَعْرُهَا ذَا لَوْنٍ أَحْمَرَ بَاهِتٍ، وَتَنَازَرَتْ بَعْضُ النَّمَشِ عَلَى رَأْسِ أَنْفِهَا، وَعِنْدَمَا أَخْرَجَتْ ثَدْيَيْهَا لَتَلَقَّمَهُ الرَّضِيعَةُ رَأَى أَنَّهُ مَكْتَسِبٌ بِالنَّمَشِ كَذَلِكَ. «سَمَّيْتُهَا بَارَا»، قَالَتْ وَالْفَتَاةُ تَرْضِعُ لِبْنِهَا. «إِنَّمَا تُشَبِّهُهُ كَثِيرًا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ يَا سَيِّدِي؟ لَدَيْهَا أَنْفُهُ وَشَعْرُهُ».

- «صَحِيحٌ». تَحَسَّسَ إِدَارْدُ سِتَارِكُ شَعْرَ الرَّضِيعَةِ الدَّاكِنِ النَّاعِمِ، فَانْسَابَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ كَالْحَرِيرِ الْأَسْوَدِ، وَتَذَكَّرَ أَنَّ ابْنَةَ روبرت الْأُولَى كَانَتْ تَمْلِكُ الشَّعْرَ الْأَسْوَدَ النَّاعِمَ ذَاتَهُ.

- «أَخْبِرْهُ بِهِذَا عِنْدَمَا تَرَاهُ يَا سَيِّدِي إِذَا... إِذَا تَكَرَّمْتَ. قُلْ لَهُ كَمْ هِيَ جَمِيلَةٌ».

وَعَدَهَا نَد بِأَنَّهُ سَيَفْعَلُ، وَكَانَتْ هَذِهِ لَعْنَتُهُ... روبرت بَارَاثِيونُ يُقْسِمُ لَهُنَّ بِحُبِّهِ الْأَبَدِيِّ ثُمَّ يَنْسَاهُنَّ قَبْلَ حُلُولِ الْمَسَاءِ، لَكِنْ نَدُ سِتَارِكُ يَفِي بِوَعْدِهِ. فَكَّرَ فِي وَعْدِهِ لِلْبَانَا وَهِيَ تَحْتَضِرُ وَالثَّمَنُ الَّذِي دَفَعَهُ لِلْحِفَافِ عَلَيْهَا.

- «وَقُلْ لَهُ إِنِّي لَمْ أَشَارِكْ رَجُلًا آخَرَ الْفِرَاشَ، أَقْسَمُ عَلَى هَذَا يَا سَيِّدِي بِالْأَلْهَةِ الْقَدِيمَةِ وَالْجَدِيدَةِ. شَاتَايَا مِنْحَتْنِي نِصْفَ عَامٍ لِأَعْنِي بِطِفْلَتِي، عَلَى أَمَلٍ أَنْ يَعُودَ. سَتُخْبِرُهُ أَنِّي أَنْتَظِرُهُ إِذْنِ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ لَا أُرِيدُ جَوَاهِرَ أَوْ أَيَّ شَيْءٍ، بَلْ هُوَ فَحَسْبُ. لَقَدْ كَانَ طَيِّبًا مَعِيَ دَائِمًا، حَقًّا».

خَيْرٌ لَّكَ، فَكَّرَ نَد بفتور، وقال لها: «سأخبره يا صغيرتي، وأعدك أن بارالن يعوزها شيء أبداً».

ابتسمت عندئذ ابتسامة تحمل قدراً من الخوف والعدوية في آن واحد مزّق قلبه تمزيقاً، والآن في الليل المطير رأى ند وجه جون سنو أمامه كنسخة أصغر سناً من وجهه هو. فكّر بحيرة أنه طالما تعبس الآلهة في وجه النُغول، فلم تملأ قلوب البشر بكل هذه الشهوات؟

التفت إلى الإصبع الصغير قائلاً: «لورد بايلش، ما الذي تعرفه عن أبناء روبرت غير الشرعيين؟».

- «أن لديه منهم أكثر منك كبدية».

- «كم؟».

هزّ الإصبع الصغير كتفيه ونهيرات صغيرة من المطر تسيل على ظهر معطفه وهو يُجيب: «وهل يهمُّ هذا حقاً؟ إذا ضاجعت ما يكفي من النساء، فلا ريب أن بعضهنّ سيُعطيك هدايا، وجلالته محترف في هذا المضمار. أعرف أنه اعترف بذلك الصّبي في ستورمز إند، الذي زرّع بذرته في بطن أمّه ليلة زفاف اللورد ستانيس، ولم يكن ليقدّر على تصرّف آخر على كلّ حال، فالأم من عائلة فلورنت ولها صلة قرابة بالليدي سيليس، بخلاف كونها واحدة من وصيفاتها. يقول رنلي إن روبرت حمل الفتاة إلى الطّابق العلوي أثناء المأدبة ودنّس خدر الزّفاف بينما كان ستانيس وعروسه لا يزالان يرقصان. اعتبرها اللورد ستانيس إهانة لشرف عائلة زوجته، فلمّا وُلد الصّبي شحنه إلى رنلي»، ثم رمق ند بنظرة جانبية وتابع: «سمعتُ كذلك همساتٍ عن إنجاب روبرت توأمين من خادمة ما في كاسترلي روك قبل ثلاثة أعوام، عندما ذهب غرباً لحضور دورة مباريات اللورد تاويين. أمرت سرسي بقتل الطفلين وباعت الأم لنخّاسٍ عابر. كانت إهانة كبيرة لكرامة آل لانستر في عُقر دارهم».

بدا الامتماض على وجه ند ستارك. تلكم الحكايات القبيحة كانت

تُحكى عن كل كبار السادة في طول البلاد وعرضها، ويُمكنه بسهولة شديدة أن يُصدّق شيئاً كهذا عن سرسي لانستر... لكن هل من الممكن حقاً أن يسمح المَلِك لشيء كهذا بأن يَمُرَّ مرور الكرام؟ لم يكن روبرت الذي عرفه قديماً ليسمح بهذا أبداً، لكن روبرت الذي عرفه قديماً لم يكن متمرّساً في التعامي عن الأشياء التي لا يرغب في رؤيتها كذلك. «ما سبب اهتمام جون آرن المفاجئ بأبناء المَلِك غير الشرعيين؟»

هَزَّ الرَّجُل القصير كتفيه بلا مبالاة وأجاب: «لقد كان يد المَلِك، فلا بد أن جلالته طلب منه أن يتأكّد من أنهم يتلقّون الرّعاية الواجبة». كان ند مبلّلاً حتى العظام، وأحسّ أن حتى روحه نفسها أصيبت بالبرد. «مؤكّد أن المسألة كانت تنطوي على ما هو أكثر من ذلك، وإلاّ فلم يَقتُلونه؟»

نفض الإصبع الصّغير الماء عن رأسه وضحك قائلاً: «الآن فهمت. اللورد آرن علم أن جلالته قد وضع نُظفته في أرحام بعض العاهرات والخادِمات، فكان من الضّروري إسكاته. لا يوجد ما يدعو للدهشة. اسمح لرجل كهذا بأن يظّل على قيد الحياة، وسيبدأ في الثّروة عن شروق الشّمس من الشّرق كذلك».

لم يملك ند ردّاً على هذا غير نظرة عابسة، وللمرّة الأولى منذ سنوات طويلة وجدّ نفسه يتذكّر ريجار تارجارين، وتساءل إن كان يتردّد على المواخير، لكنه بشكل ما عرف أن الإجابة هي لا.

كان المطر يهطل بكثافة وقوّة أكبر الآن، يلسع العيون وينزل على الأرض كدقّ الطُّبول. أنهار من المياه السّوداء كانت تسيل على التّل، عندما صاح جوري فجأة بصوتٍ مزعج مبجوح: «لورد ستارك!»، وفي اللّحظة التّالية مباشرة امتلأ الشّارع بالجنود. أبصر ند الحلقات المعدنيّة فوق الجِلد، ودروع الأذرع والسّيّقان والخوذات الفولاذيّة المتوّجة بالأسود الذّهبيّة، بينما التّصقّت معاطف الجنود بظهورهم وقد بلّلتها المطر عن آخرها. لم

يملك الوقت الكافي لُبُحْصِيهِمْ، لكن كان هناك عشرة منهم على الأقل وقفوا متجاورين على الأقدام يُغْلِقُونَ الشَّارِعَ، وفي أيديهم سيوفهم الطويلة ورماحهم الحديدية. سمعَ ويل يصيح: «وراءنا!»، فالتفت بحصانه ليجد المزيد منهم وراءهم قاطعين عليهم طريق التراجع، وشهرَ جوري سيفه بصوتٍ مسموع وصاح: «أفسيحوا الطريق أو موتوا!».

قال قائدهم وقطرات المطر تجري على وجهه: «الذئاب تعوي، لكنه مجرد قطيع صغير».

تقدّم الإصبع الصَّغير بحصانه بخطواتٍ حذرة وقال: «ما معنى هذا يا رجل؟ هذا يدُ الملك».

- «بل كان يدُ الملك». كتمَ الوحل صوت حوافر الفحل الأحمر الضخم وصاحبه يتقدّم به وقد أفسحَ له جنوده الطريق، وعلى وافي الصدر الذهبي زار أسد لانستر بتحدٍّ. «والآن، إذا أردت رأيي، لا أدري ماذا يكون حقاً».

قال الإصبع الصَّغير: «لانستر، هذا جنون. دعنا نمرُّ، فهناك من ينتظرنا في القلعة. ماذا تحسب نفسك فاعلاً؟».

ردَّ ند بصوتٍ هادئ: «إنه يعرف ماذا يفعل».

ابتسمَ چايمي لانستر وقال: «بالضبط. إنني أبحثُ عن أخي. تذكّر أخي، أليس كذلك أيها اللورد ستارك؟ لقد كان معنا في ويتترفِل، شعر ناعم، عيان غير متمائلتين، لسان لاذع. رجل قصير هو».

أجابَه ند: «أذكره جيّدًا».

- «يبدو أنه واجهَ بعض المتاعب على الطريق، والسيد والدي مستاء حقًا. لا أعتقدُ أن لديك فكرةً عن سبب تلك المتاعب لأخي، أم أنك تعرف؟».

قال ند ستارك: «أخوك قُبِضَ عليه بناءً على أمرِي، كي يدفع ثمن جرائمه».

أطلق الإصبع الصغير صيحة استنكار متوترة وقال: «أيها السادة...». قاطعه السير چایمی باستلال سيفه الطويل من غمده وركز حصانه ليتقدم به قائلاً: «أرني سيفك يا لورد إدارد. سأذبحك كما فعلتُ بإيرس تارجارين إذا تطلب الأمر، لكنني أفضل أن تموت وسيفك في يدك»، ورمق الإصبع الصغير بنظرة احتقار باردة وقال له: «لورد بايلش، لو كنتُ مكانك لرحلتُ من هنا بسرعة كي لا تتلوث ثيابك الثمينة بالدم».

لم يكن الإصبع الصغير في حاجة لهذا التحذير، والتفت إلى ند قائلاً: «سأتي بحرس المدينة»، وأفسح له رجال لانستر الطريق ليمرّ قبل أن يغلقوه ثانية، وانطلق پيتر بفرسه بأقصى سرعة وغاب عن الأعين.

كان رجال ند قد استلوا سيوفهم لكنهم كانوا ثلاثة ضدّ عشرين، وراقبت العيون الفضولية ما يحدث من وراء النوافذ والأبواب القريبة، وإن لم يُحاول أحدهم التدخل. كانت مجموعة ند كلها تمتطي الخيول، بينما كان رجال لانستر على أقدامهم باستثناء چایمی نفسه. قد يكون الاندفاع من بينهم كفيلاً بخروجهم من الحصار، وإن بدا لإدارد ستارك أن اصطفا فهم وتنظيمهم وتسليحهم كان أفضل بكثير من رجاله. قال لقاتل الملك محدّراً: «أقتلني وستفعل كاتلين المثل بتيريون».

وكرر چایمی لانستر صدر ند بطرف السيف المذهب الذي ارتوى بدماء آخر ملوك التنانين وقال: «أعتقد هذا حقاً؟ كاتلين تلي النبيلة ابنة ريفرن تقتل رهينة؟ لا أظنّ»، ثم تنهّد وأردف: «لكنني لستُ مستعداً لأن أعلّق حياة أخي بشرف امرأة»، ودسّ السيف الذهبي في غمده قائلاً: «أعتقدُ إذن أنني سأتركك تهرع عائداً إلى روبرت وتحكي له كيف أخفكتك. لنز إن كان سيّالي»، ثم أراح شعره المبتل عن عينيه ودار بحصانه، وعندما تجاوز صفّ رجاله رمق قائدهم من وراء كتفه وقال: «تريجار، اعمل على عدم إصابة اللورد ستارك بأيّ أذى».

- «أمرک يا سيّدي».

- «ومع ذلك... إننا لا نرغب في أن يُغادر دون أيّ توبيخ على الإطلاق، لذا... (ومن بين الليل والمطر لمحّ ند ابتسامة جايمي لانستر البيضاء المتسعة)... اقتل رجاله».

- «لا!»، صرخَ ند ستارك وهو يمدُّ يده إلى سيفه، وكان جايمي يُغادر الشارع على متن فحلّه الأحمر بالفعل عندما تردّدت صيحة ويل. أطبقَ الرجال عليهم من كلّ جانب، ودهسَ ند أحدهم بحصانه وأخذ يضرب الأشباح ذات المعاطف الحمراء يمينًا وشمالًا، بينما انطلقَ چوري كاسل بحصانه بينهم، وهشَّم حافر مدرّج بالفولاذ وجه أحد رجال لانستر بصوت مسموع، وتراجعَ رجل ثانٍ بسرعة، وللحظة تحرّر چوري من الحصار. كان ويل يسبُّ وهم يُسقطونه عن ظهر حصانه المحتضر والشيوف تهوي في الظلام تحت المطر، واندفعَ ند إليه مسدّدًا بسيفه الطويل إلى خوزة تريجار ضربةً عنيفةً للغاية جعلته صدمتها التي سرّت في ذراعه يصرُّ بأسنانه، بينما تهاوى تريجار على رُكبتيه وقد سُقت خوذته المزيّنة بالأسد الدّمهي إلى نصفين وسالت الدّماء على وجهه. في تلك الأثناء كان هيوارد يضرب الأيدي التي أطبقت على لجامه عندما انغرس رُمح في بطنه، وفجأةً كان چوري بينهم من جديد والقطرات الحمراء تتناثر من سيفه. «لا چوري، ابتعد!»، صرخَ ند، ثم انزلقَ حصانه من تحته وهوى في الوحل، وللحظة أحسَّ بالم رهيب وبمذاق الدّم في فمه.

رآهم يضربون قوائم حصان چوري ويجرّونه في الوحل والشيوف ترتفع وتهوي وهم يحشدون حوله، وعندما نهضَ حصان ند حاول النهوض بدوره لیسقط من جديد مُطلقًا صرخة ألم مكتومة، ورأى العظمة المهشّمة تبرز من ريلة ساقه، وكان هذا آخر شيء رآه والمطر ينهمر وينهمر وينهمر...

... وعندما فتحَ عينيه من جديد كان اللورد إدارد ستارك وحده مع الموتى. اقتربَ حصانه للحظة قبل أن يشتّم رائحة الدّم الزّنخة، ثم انطلقَ

يعدو بعيداً عن المكان، وبدأ ند يجرُّ نفسه في الوحل ضاغطاً على أسنانه بشدّة من فرط الألم الذي يسري في ساقه كالنّار الحارقة، وبدأ له أنه يزحف لسنوات وسنوات. راقبت الوجوه من النوافذ المضاءة بالشّموع، وبدأ الناس يَخْرُجون من الأزقة والأبواب، لكن لا أحد منهم تحرّك لمساعدته.

ووجدّه الإصبع الصّغير ورجال حرس المدينة هناك في الشّارع يحتضن جثةً چوري كاسل بذراعيه.

عثر ذوو المعاطف الذهبية على محفّة في مكانٍ ما، لكن رحلة العودة إلى القلعة كانت عذاباً مقيماً، وفقد ند الوعي أكثر من مرّة. يتذكّر القلعة الحمراء تلوح أمامه في أول خيوط نور الفجر وقد استحالت الأحجار ذات اللون الوردي الباهت التي شيدت منها الجدران العملاقة إلى لون الدّم القاني بفعل المطر.

كان المايستر الأكبر پايسل يقف أمامه حاملاً كوباً ويهمس: «اشرب يا سيّدي، إنه حليب الخشخاش، من أجل الألم». يتذكّر ابتلاع الشّراب والمايستر يقول لأحدهم أن يُسخّن النّبذ حتى الغليان ويحضّر له أقمشة نظيفة، وكان هذا آخر ما أحسّ به قبل أن يغوص في غياهب الظلام.



دنيرس

بَوَّابة الجياد في فايس دوثراك عبارةٌ عن فحلين عملاقين من البرونز يرفعان قوائمهما الأمامية، فتلتقي الحوافر على ارتفاع مئة قدم فوق الطريق لتصنع قنطرة مدببة.

لم تدري داني لِمَ تحتاج المدينة بَوَّابةً أصلاً وهي بلا أسوار أو حتى مبانٍ، لكن ها هي ترتفع أمامها جميلةٌ ضخمةٌ، والحصانان العملاقان بمثابة إطارٍ للجبل الأرجواني البعيد، بينما يُلقيان ظِلَّين طويلين على أعواد العُشب المتمايلة وگال دروجو يقود گالاساره تحت حوافرهما على طريق الآلهة وخيَّالة دمه إلى جواره.

تبعثهم داني على فَرَسها الفضيَّة، يصحبها السير چورا مورمونت وأخوها فسيرس الذي عادَ يمتطي حصانًا. بعد ما حدثَ في ذلك اليوم وسط أعواد العُشب، عندما تركته يعود إلى الغالاسار سيرًا على الأقدام، أطلقَ عليه الدوثرافي ساخرين لقب "گال رهاي مهار"، أي "المَلِك ذو القدمين المتقرَّحتين"، وفي اليوم التالي عرضَ عليه گال دروجو أن يركب عربةً مقطورةً، وقبلَ فسيرس الذي لم يع -بعجرفته وجهله العنيد- أنه ما زال محطًّا للشُخْرية، فتلك العربات مخصَّصة للمعاقين والمخصَّصين والنساء الحوامل وصغار السنِّ جدًّا أو كبارها جدًّا. هكذا نالَ لقبًا آخر هو "گال رهاجات"، أي "مَلِك العربات"، بينما حسبَ أخوها أن هذه هي وسيلة الغال للاعتذار عن الإساءة الجسيمة التي وجَّهتها داني له.

توسّلت هي للسير جوراً ألا يقول له الحقيقة كي لا يُكَلَّل بالخزي، فأجابها الفارس بأن المَلِك في حاجةٍ إلى شيءٍ من الخزي، وإن لَبِى رغبتها. استغرق الأمر الكثير من المناشدة وكلّ حيل الفِراش التي علّمتها دورياً إياها، قبل أن تتمكّن داني من إقناع دروجو بالسّماح لفيسرس بالانضمام إليهم من جديد على رأس الرّكب.

- «أين المدينة؟»، سألت وهم يَمُرُّون أسفل القنطرة البرونزية، فعلى مدى البصر لم تكن هناك مبانٍ أو ناس، فقط العُشب والطّريق المحاط بالجانبين بالآثار العتيقة، الغنائم الآتية من كلّ البلاد التي غزاها الدوثرافي على مرّ قرونٍ وقرون.

أجابها السير جوراً: «أمامنا، تحت الجبل».

بعد البوابة كان الأرباب المنهوبون والأبطال المسروقون يَحْدُثون الطّريق على جانبيهم، ولوّحت آلهة منسيّة من مُدُنٍ ميتةٍ بصولجاناتها المكسورة في السّماء بينما تمرّ داني على فرسها الفضيّة عند أقدامها، ورمقها الملوك الحجريّون من أعلى من فوق عروشهم وقد تكسّرت وجوههم وتلطّخت وضاعت أسماؤهم في ضباب الزّمن، ورقصت العذارى اللذّنات على قواعدٍ من رخامٍ وقد اكتسبن بغلالاتٍ من الزّهور، أو صبين الهواء في الهواء من جرّاء مهشّمة. وفقت الوحوش وسط العُشب على جانبي الطّريق، تنانين حديدية سوداء صُنِعت أعينها من الجواهر، جريفين يزأر هنا ومانتيكور يرفع ذيله الشّائك جاهراً للضّرب به هناك، ووحوش أخرى لا تعرف لها اسمًا. بعض التّماثيل كان جميلاً جداً خلّب لبّها، والبعض الآخر قبيح مشوّه تماماً لدرجة أنها لم تُطَقِ النّظر إليه. قال السير جوراً إنها جاءت غالباً من بلاد الظّل الواقعة وراء آشاي.

- «إنها كثيرة جداً»، قالت وفرسها الفضيّة تتقدّم ببطء. «ومن بلاد كثيرة جداً».

لم يكن فيسرس منبهراً مثلها بطبيعة الحال، وقال هازئاً: «محض

نفاياتٍ من مُدُنٍ ميتة». كان يلتزم بالكلام باللغة العامية التي يفهما قليل من الدوثرأكي، ومع ذلَم وجدت داني نفسها تنظُر وراءها إلى رجال الكاس لتتأكّد من أنهم لم يسمعوا ما يُقال، بينما واصل أخوها: «كل ما يعرفه هؤلاء الهمجيّون هو سرقة الأشياء التي بناها رجال أفضل منهم... إضافةً إلى القتل بالطّبع»، وضحك وأردف: «إنهم بارعون في القتل حقاً، وإلاّ لما كان لهم نفعٌ لديّ».

قالت داني: «إنهم قومي الآن يا أخي، فلا يجدر بك أن تدعوهم بالهمجيّين».

- «التّين يتكلّم كما يشاء»، قال فسيرس... باللغة العامية. ثم إنه ألقي نظرةً من فوق كتفه على راگارو وآجو الرّاكبيّين ورائهم ورمقهما بنظرةٍ ساخرةٍ قائلاً: «أرأيت؟ الهمجيّون يفتقرون للدّكاء حتّى كي يتكلّموا بلسان المتحضّرين». لاح أمامهم منليث⁽¹⁾ حجري غطّته الطّحالب يرتفع خمسين قدماً، وألقى عليه فسيرس نظرةً ضجّرةً وهو يقول: «كم من الوقت ينبغي أن نبقى بين تلك الأطلال قبل أن يُعطيني دروجو جيشي؟ لقد سئمْتُ الانتظار».

قال السير چورا: «يجب أن تُقدّم الأميرة إلى الدوش گالين و...». قاطعه فسيرس: «الحيزونات، نعم... ثم تمثيليةٌ هزليّةٌ ما ونبوءةٌ عن الجنين في بطنها كما قلت لي، لكن فيم يعنيني هذا؟ لقد سئمْتُ أكل لحم الخيل وضقتُ ذرعاً برائحة هؤلاء الهمجيّين الكريهة»، وتشمّم كمّ سترته الواسع الذي اعتاد أن يحتفظ فيه بكيس ذرور معطر، لكنه لم يكن ليُساعد كثيراً وقد اتّسخت السّترّة تماماً، مثلها كمثّل جميع الثّياب الحريريّة وتلك المصنوعة من الصّوف الثّقيل التي ارتداها عندما غادرَ پنتوس، التي تلطّخت تماماً وأفعمتها رائحة العرق.

قال السير چورا: «السّوق الشرقيّة فيها أطعمةٌ مما يروق لك يا جلالة

(1) التّليث هو حجر ضخم من كتلةٍ واحدة ويكون عادةً على شكل عمود أو مسلة.

الملك، فُتَجَّار المَدَن الحُرَّة يذهبون إلى هناك لبيع سِلْعهم، والگال سيفي بوعده في الوقت المناسب».

عابسًا قال فسيرس: «خيرٌ له أن يفعل. لقد وُعِدْتُ بالتَّاج وأنوي الحصول عليه. لا أحد يسخر من التَّين»، ثم لمَحَ تماثلاً قبيحًا لامرأة بستة نهودٍ ورأس حيوان ابن مفرض، فتحرَّك دانيًا منه ليفحصه عن كُثب. شعرت داني بالراحة لابتعاده وإن لم يهدأ توترها، وقالت للسير جورا عندما صار أخوها بعيدًا عن مدى السَّمْع: «أتمنَّى ألا يُبقيه شمسي ونجمي منتظرًا طويلًا».

رمقَ الفارس فسيرس بشكٍّ وقال: «كان الأحرى بأخيك أن ينتظر في بنتوس، فلا مكان له في الگالاسار. إلبريو حاول تحذيره».

- «سيفادير بمجرد حصوله على مُحاربيه العشرة آلاف. لقد وعده السيد زوجي بتاج من ذهب».

أطلقَ السير جورا ضحكة خفيفة خفيضة وقال: «نعم يا گاليسي، لكن الدوثرافي يأخذون تلك الأشياء في الاعتبار بشكل مختلف عمَّا نفعل نحن في الغرب. لقد أخبرته بهذا، وكذا فعلَ إلبريو، لكنه يرفض الإصغاء. سادة الخيول ليسوا نُجَّارًا، وأخوك يحسب أنه باعك والآن يريد الثمن، بينما قد يقول گال دروجو أنك كنتِ بمثابة هدية له، وسوف يردُّ الهدية لفسيرس، لكن في الوقت الذي يُناسبه. لا أحد يُطالب بهدية من رجل كالگال، بل لا أحد يُطالب الگال بأي شيء أساسي».

- «ليس من المُلائم أن يجعله ينتظر». لم تكن داني تدري سبب دفاعها عن أخيها، وإن دافعت عنه على كلِّ حال. «فسيرس يقول إنه يستطيع اجتياح الممالك السَّبع بعشرة آلاف من مُحاربي الدوثرافي».

أطلقَ السير جورا ضحكة عالية هذه المرة وقال: «فسيرس لا يستطيع اجتياح اسطبلِ خاو بعشرة آلاف مقشَّة!».

لم تتظاهر داني بالدهشة من نغمة الاحتقار في صوته، وسألته:

«وماذا... ماذا لو لم يكن فسيرس؟ ماذا لو قادهم أحد آخر، أحد أقوى؟ هل يستطيع الدوثراكي غزو الممالك السبع حقاً؟»
 أطرق السير جورا مفكراً وحصاناهما يقطعان طريق الآلهة ببطء، قبل أن يجيب: «في أوائل مجيئي إلى المنفى نظرتُ إلى الدوثراكي فلم أرَ غير شعبٍ من البرابرة نصف العُراة الضَّارين كجيادهم. لو كنتِ قد وجَّهتِ لي هذا السُّؤال وقتها يا سمو الأميرة، لقلتُ لكِ إن ألفاً من الفُرسان المحنَّكين لن يجدوا أيَّ مشكلةٍ في هزيمة مئة ضِعف هذا العدد من الدوثراكي».

- «وإذا سألتك الآن؟»

- «الآن لستُ متأكِّداً من ذلك لهذه الدَّرَجَة. إنهم يركبون الخيول أفضل من أيِّ فارس، لا يعرفون الخوف، وسهامهم أوسع مدىً من سهامنا. في وستروس يُقاتِل معظم الرُّماة على الأقدام، من وراء ساترٍ أو متراسٍ من الأوتاد حادَّة الرؤوس، بينما يُطلق الدوثراكي سهامهم من فوق متن خيولهم سواء كانوا يَكْرُون أم يَفْرُون، لا فارِق، فسهامهم مميتة في الحاليتين، كما أن هناك الكثير جدًّا منهم يا سيِّدتي، فزوجكِ وحده يقود أربعين ألفاً من الخيالة المُحاربين في غالاساره».

- «أهذا العدد كبير حقاً؟»

- «أخوكِ ريجار دخلَ معركة الثالوث بِمثل هذا العدد، لكن عُسْرهم فقط كانوا من الفُرسان، أمَّا البقية فتألَّفت من الرُّماة والمُحاربين غير النِّظاميين والمُشاة المسلَّحين بالرُّماح والحراب. عندما سقطَ ريجار ألقى كثيرون منهم أسلحتهم وفرُّوا من ميدان المعركة، فكم من الوقت إذن تعتقدين أن مجموعةً كذلك من الغوغاء ستَصُمِّد أمام أربعين ألفاً من الصَّارخين المتعطِّشين للدماء؟ وهل ستحميهم الشُّترات المصنوعة من الجلد المقوَّى بالزَّيت المغلي وقمصان الحلقات المعدنية عندما تنهمر السَّهام عليهم كالْمَطَر؟»

غمغمت: «لن يصمدوا طويلاً بالتأكيد، ولن تحميهم هذه الثياب». أوما برأسه مؤيداً وقال: «حريّ بك أن تعرفي يا سمو الأميرة أنه لو كان سادة الممالك السبع يملكون نصف الذكاء الذي منحتة الآلهة للإوز، فلن يصل الأمر لهذا الحد أبداً. الخيالة لا يبرعون في الحصار، وأشكّ أنهم يستطيعون الاستيلاء على أضعف قلعة في الممالك السبع حتى، لكن لو كان روبرت باراثيون أحمق بما يكفي لأن يواجههم في معركة مفتوحة...».

سأله داني: «أهو كذلك؟ أحمق؟».

فكّر السير جورا فترة طالت ثم أجاب أخيراً: «كان يجدر بروبرت أن يولد بين الدوثراكي. سيقول لك غالبك إن الجبان وحده يخنّب وراء الأسوار الحجرية بدلاً من مواجهة عدوّه في الميدان وسلاحه في يده، وسيثّق المُغتَصِب معه. إنه رجل قوي، وشجاع، ومتهور بما فيه الكفاية لأن يواجه جيشاً من الدوثراكي في معركة مفتوحة، وإن كان المحيطون به... لنقل إن مزاميرهم تعزف نغمة أخرى؛ أخوه ستانيس، تايوين لانستر، إدارد ستارك».

بصق بعد أن نطق الاسم الأخير، فقالت داني: «إنك تكره هذا اللورد ستارك».

قال السير جورا بمرارة: «لقد نفاني بعيداً عن كلّ ما ومن أحبّ من أجل بضعة لصوصٍ قذرين وشرفه الغالي». كان جلياً لها من نبرة صوته أن الخسارة لا تزال تؤلمه، لكنه غيّر الموضوع بسرعة قائلاً وهو يُشير: «ها هي هناك، فايس دوثراك، مدينة سادة الخيول».

قادهم غال دروجو وخيالة دمه عبر البازار الكبير في السوق الغربية ثم على الطرق الواسعة ورائه، وتبعته داني عن كثب على فرسها الفضبة وهي تُحدّق في الغرابية المحيطة بها. كانت فايس دوثراك أكبر وأصغر مدينة رأتها في حياتها في آن واحد، وخطر لها أنها أكبر مساحة من بنتوس

عشر مرّات، وقد امتدّت على مدى البصر بلا أسوارٍ أو حدود، شوارعها المكشوفة للريّح ممّهدة بالعُشب والوحل ومفروشة بالأزهار البريّة. في المُدن الحرّة في الغرب تتزاحم الأبراج والإيوانات والزرائب والأكواخ والجسور والمحال والقاعات وتتراكم فوق بعضها بعضًا، بينما تنبسط فايس دوثراك بخمول، تستحمُّ بنور الشّمس الدّافئ، عتيقة متكبّرة فارغة. حتى المباني بدت عجيبةً للغاية في عينيها، ورأت سُرادقاتٍ من الحجر المنقوش، وإيواناتٍ من العُشب المجدول ضخمة كالقلاع، وقصورًا من الخشب الثّقل مفتوحةً على السّماء، وبدلاً من الأسوار كان بعض القصور محاطاً بسياجٍ من الشّجيرات السّائكة. قالت: «ولا واحد منها يُشبه الآخر».

قال السير چورا: «أخوك قال الحقّ إلى حدّ ما، فالدوثرافي لا يبنون، وقبل ألف عام كانت بيوتهم عبارةً عن حُفرةٍ في الأرض مغطّاة بسقفٍ من العُشب. المباني التي تربتها الآن شيدّها العبيد الذين جاءوا بهم إلى هنا من البلاد التي غزوها، وكلّ منهم شيدّها على طراز شعبه».

معظم القصور، حتى الأكبر حجماً منها، بدا مهجوراً، فاستفسرت داني: «أين النّاس الذين يقطنون هنا؟». كان البازار يعجُّ بأطفالٍ يلعبون ورجالٍ يُنادون على بضائعهم، لكن في كلّ مكانٍ آخر لم ترَ غير بعض المخصّيين هنا وهناك يقومون بأعمالٍ ما.

أجاب السير چورا: «فقط حيزبونات الدوش گالين يقطنُ في المدينة المقدّسة بشكلٍ دائم، هنَّ وعبيدهنَّ وخدمهنَّ، لكن فايس دوثراك كبيرة بما يكفي لأن تحتوي كلّ رجلٍ في كلّ گالاسار في حال عودة جميع الغالات إلى الجبل الأم في وقتٍ واحد. لقد تنبّأت الحيزبونات بأن هذا سوف يحدث ذات يوم، ومن ثمّ ينبغي أن تكون فايس دوثراك جاهزةً لسكنى جميع أبنائها».

أخيراً أمرَ گال دروجو بالتوقّف بالقرب من السّوق الشرقيّة، حيث

تأتي القوافل من بي تي وآشاي وبلاد الظِّل للتجارة، والجبل الأم يرتفع شاهقاً فوقهم جميعاً. ابتسمت داني وهي تتذكر كلام أمة الماچستر إليريو عن القصر الذي يتألف من مئتي عُرفة وأبوابه المصنوعة من الفضة الخالصة. كان "القصر" عبارةً عن قاعة مآدب خشبيّة شبيهة بالكهف، ترتفع جدرانها المصنوعة من الخشب القوي أربعين قدماً، وسقفها من الحرير المدروز الذي يعمل كخيمة ضخمة يُمكن رفعها لحجب الأمطار النادرة في هذه الأنحاء، أو خفضها لتكشف عن السماء. حول القاعة كانت حُفر النَّار وحظائر الخيول المعشوشبة التي تحيط بها الشجيرات الشائكة على سبيل الأسوار، ومئات من البيوت المستديرة المشيدة من الفخار التي تنبثق من الأرض كتلالٍ ضئيلة الحجم وقد غطاها العُشب.

كان جيش صغير من العبيد قد سبقهم للإعداد لوصول غال دروجو، ورأت داني كلَّ خيالٍ يترجّل ويُناول أراخه لأحد العبيد في الحال، بالإضافة إلى أيّ سلاح آخر يحمله، وحتى غال دروجو نفسه لم يكن باستثناء. شرح السير جورا لها أنه من المحرّم حمل السلاح أو إراقة دماء رجل حُرّ في فايس دوثراك، وحتى الكالاسارات المتحاربة تُنحّي خلافاتها جانباً وتتقاسم الطعام والشراب في ظلّ الجبل الأم؛ فحيزونات الدوش غالين قضين منذ زمن بعيد أن جميع الدوثرافي في هذا المكان دمٌ واحد، كالاسار واحد، قطع واحد.

أتى كهولوا إلى داني بينما كانت إيربي وچيكوي تُساعدانها على النزول عن فرسها. كان أكبر خيالة دم دروجو الثلاثة سنّاً، رجلاً أصلع قصيراً ممتلئاً ذا أنفٍ معقوفٍ وفمٍ مليءٍ بالأسنان المكسورة، وقد حطمتها ضربة من صولجانٍ قبل عشرين عاماً، عندما أنقذ الكالالا الصّغير من المُرتزقة الذين كانوا يتنون بيعه لعدوّ أبيه، وقد ارتبطت حياته بحياة دروجو يوم وُلد. كلُّ غال لديه خيالة الدّم الذين يتبعونه، وفي البدء حسبت داني أنهم نوع من الحرس المَلكي الدوثرافي الذين أقسموا على حماية سيّدهم،

لكن الأمر كان أكبر من هذا، فقد شرحت لها جيڪوي أن خيال الدّم أكثر من مجرد حارس... إنهم إخوة الكال وظلّه وأقوى أصدقائه، "دّم دمي" كما يُطلق عليهم دروجو، وهكذا كانوا بالفعل. تنصّ تقاليد سادة الخيول العتيقة على أنه عندما يموت الكال، فيجب أن يموت خيالة دمه معه، كي يركبوا إلى جانبه في أراضي اللّيل، وإذا مات الكال على يد عدوٍّ ما، فإنهم يعيشون بعده كي يتقموا له فقط، ثم يتبعونه بكلّ سرور إلى القبر. قالت جيڪوي إن في بعض الكالاسارات يتقاسم خيالة الدّم مع الكال نبينه وخيمته وحتى زوجاته، لكن ليس خيوله أبداً، فحضان الرّجل له وحده ولا شريك له فيه.

سُرت داني لعدم التزام كال دروجو بتلك العادات القديمة، فمن المستحيل أن يروق لها أن يتشاركها عدد من الرّجال. وبينما يُعاملها كهولو الأكبر سنّاً بوّد كافٍ، كان الآخران يُخيفانها حقّاً؛ هاجو الضّخم الصّامت الذي يُحَمِّلق فيها أحياناً كأنه نسي من تكون، وكوثو ذو العينين القاسيتين والبدن السّريعتين اللّتين تُحبّان الإيذاء. كان يترك كدماتٍ على بشرة دوريا البيضاء النّاعمة كلما لمسها، ويجعل إيرى تتحب في ظلام اللّيل، وحتى خيوله كانت تخافه. لكن ثلاثتهم مرتبط بدروجو في حياته وموته، ومن ثمّ لم يكن أمام دنيرس خيار غير تقبّلهم. في أحيانٍ كانت تمنّي لو أن أباهما كان محاطاً برجال كهؤلاء. دائماً ما تحكي الأغاني عن نُبل فرسان الحرس المَلكي البيض وِسالتهم وإخلاصهم، ومع ذلك سقطَ المَلِك إيرس صريعاً على يد أحدهم، الصّبي الوسيم الذي يُلقّبونه بقاتِل المَلِك، كما أن الآخر، السير بارستان الباسل، انضمّ إلى المُغتصب. تساءلت إن كان جميع الرّجال في الممالك السّبع زائفين غادرين مثلهما. عندما يجلس ابنها على العرش الحديدي، ستعمل على أن يحيط به خيالة دّم خاصّين به ليحموه من غدر الحرس المَلكي.

قال لها كهولو بالدوثراكي: «غاليسي، دروجو دّم دمي يأمرني بإبلاغك

بأنه سيتسلق الجبل الأم اللَّيْلَةَ لِيُقَدِّمَ قرايينه للآلهة شُكْرًا على عودته آمناً. كانت داني تعرف أنه مسموح للرجال فقط بصعود الجبل الأم، وأن خيالة دم الكال سيصعدون معه ويعودون فجراً. هكذا أجابت شاكراً: «قُلْ لشمسي ونجمي أنني أحلمُ به وأنتظرُ عودته على أحرَّ من الجمر». مع نمو الجنين في أحشائها صارت داني تتعب بسهولة، وفي الحقيقة هي تُرَحِّبُ بقضاء ليلةٍ من الرَّاحة. كان يبدو أن حَمَلها أشعل اشتهاً دروجو لها أكثر، ومؤخراً كان جماعه بها يتركها مُنْهَكَةً تماماً. ثم قادتها دوريا إلى التَّلِّ الأجوف الذي أُعِدَّ لها ولزوجها. كان لطيف الحرارة مظلمًا من الدَّاخل كخيمة مصنوعة من التُّربة، وأمرت داني جيڪوي بأن تُعِدَّ لها حَمَّامًا كي تغسل ما تركته وعشاء السَّفر عليها من تراب وكي تنقع عظامها المُتَعَبَة في الماء. سُرَّت داني لَمَّا علمت أنهم سيقون هنا فترةً وأنها لن تضطرَّ لامتناء فرسها الفُضِيَّة ثَانِيَةً غداً.

كان الماء ساخناً جداً كما يروق لها. «سأُقَدِّمُ لأخي هداياه اللَّيْلَةَ. ينبغي أن يبدو مَلَكًا في هذه المدينة المقدَّسة»، قالت وجيڪوي تغسل سَعْرها. «دوريا، اذهبي واعشري عليه وادعيه لتناول العشاء معي». كان فسيرس يتعامل بلُطْفٍ أكبر مع الفتاة اللَّائِسِيَّة من وصفتيها الدوثرافي، ربما لأن الماچستر إليريو تركه يُضاجِعها عندما كانوا في پنتوس. «إيري، اذهبي إلى البازار واشتري الفاكهة واللَّحْم، أي نوع غير لحم الخيول». قالت إيري: «لحم الخيول أفضل، لحم الخيول يجعل الرَّجل قويًا».

- «فسيرس يكره لحم الخيول».

- «كما تأمرين يا گاليسي».

عادَت إيري بفخذ جدي وسلَّة من الفاكهة والخضروات، وشَوَّت جيڪوي اللَّحْم مع العُشب السُّكري والفلفل الحَرِيف وسقته بالعسل أثناء الشَّواء، وكان هناك شَمَام ورَمَان وبرقوق وفاكهة شَرْقِيَّة أخرى غريبة لا تعرفها داني. بينما كانت وصيفاتها يُجَهِّزْنَ الوجبة، رصَّت داني الثَّياب

التي أمرت بتفصيلها على مفاص أخوها: السُترة وقمّاط السّاقين من الكتّان الأبيض النَّاعم، والصَّنْدل الجِلْدِي الذي يصل إلى الرُّكبة، والحزام البرونزي، والصُّدرة الجِلْدِيَّة التي رُسِمَت عليها تنانين تنفث نارًا. أملت أن يحترمه الدوثراكي أكثر إذا لم يبدُ كَشْحًا، ولربما يغفر لها إهانتها له في ذلك اليوم بين أعواد العُشب. إنه ما زال المَلِك رغم كلِّ شيء، وأخاها كذلك، وكلاهما من دم التَّين.

كانت تفرد آخر هداياها - معطفاً مصنوعاً من الحرير الرَّملي^(١) أخضر كالعُشب، ذا حافة من الرَّمادي الباهت لإبراز اللُّون الفُضِّي في شعره - عندما دخلَ فسيرس جازاً دوريا من ذراعها، وقال حانقاً: «كيف تجرّوين على إرسال هذه العاهرة لي لإعطائي الأوامر؟»، ودفع الوصيعة بعُنف لتسقط على البساط.

أدهشت غضبته داني لأقصى حد، وقالت: «أردتُ فقط أن... دوريا، ماذا قلتَ له؟».

- «غاليسي، سامحيني، لقد ذهبتُ إليه كما طلبتِ وقلتُ له إنكِ تأمرينه بالانضمام إليك على العشاء».

قال فسيرس مزمجرًا: «لا أحد يأمر التَّين. إنني مَلِككِ! كان يجدر بي أن أُرسل إليك رأسها!».

أجفلت الفتاة اللَّائِسيَّة، لكن داني هدأتها بلمسة من يدها قائلة: «لا تخافي، إنه لن يؤذيك. أخي العزيز، أرجو أن تغفر لها، فالفتاة أساءت التعبير لا أكثر. لقد قلتُ لها أن تَطْلُب منك تناول العشاء معي، إذا كان هذا يُرضي جلالتك»، ثم سحبته من يده عبر الغُرْفَة وقالت مشيرة: «انظُر، هذه الثَّياب لك».

عقد حاجبيه قائلاً بشك: «ما كلُّ هذا؟».

أجابته داني مبتسمةً بخجل: «ثياب جديدة أمرتُ بتفصيلها لك».

(١) نوع من الحرير الحسن يتمّ تنعيمه بفرّكه بالرَّمَل.

رمقها هازئًا وقال: «أسمال الدوثرافي؟ هل صرتِ تنتقين ملابسي كذلك الآن؟».

- «أرجوك... ستشعرُ براحةٍ أكبر في هذه الثياب ولن تُزعجك الحرارة... فكّرتُ أنك إذا ارتديت ثيابهم، ثياب الدوثرافي...». لم تدرِ داني كيف تقولها دون أن توظف التّنين.
- «وبعدها تريدني أن تُضفّر شعري؟».

- «لا، أبدًا...». لماذا يتصرّف بهذه القسوة دائمًا؟ إنها لا تريد غير مساعدته. «ليس لديك حقٌّ في الضّفائر، فأنت لم تُحقّق أيّ انتصاراتٍ حتى الآن».

لا ريب أنه كان القول الخطأ، واشتعلّ الغضب في عينيه البنفسجيتين، لكنه لم يجرؤ على ضربها في وجود وصيفاتها ها هنا ورجال غاسها في الخارج. التقطَ فسيرس المعطف وتشمّمه قائلاً: «رائحة الرّوث عالقة به. قد أستخدمه كغطاءٍ لحصاني».
قالت له وقد ألمّها قوله: «لقد طلبتُ من دوريا أن تحيكه لك خصيصًا. هذه ثياب تليق بگال».

أجاب بنبرة كالبصاق: «أنا سيّد الممالك السّبع، ولستُ همجيًا ملطّخًا بالوحل ذا أجراسٍ في شعره»، ثم أمسك ذراعها مضيفًا: «لقد نسيتَ نفسك أيتها العاهرة. هل تحسبين أن بطنك المتنفخة هذه ستحميك إذا أبقظتِ التّنين؟». انغرست أصابعه في لحمها على نحو مؤلم، وللحظةٍ شعرت داني بأنها عادت طفلةً من جديد، يتتابها الجُن في وجه غضبته. ثم إنها مدّت يدها الأخرى وأمسكت أول شيء وجدته، الحزام البرونزي المنمّق الثّقيل الذي كانت ترغب في إهدائه إياه، وهوت به بكل ما لديها من قوّة.

وتلقّى وجهه الضّربة كاملةً فتراجعَ فسيرس متخليًا عن ذراعها وسقط أرضًا والدّم يجري على وجنته وقد شقّتها واحدة من القطع البرونزية،

وقالت داني: «أنت الذي نسيت نفسك. هل تعلمت أي شيء في ذلك اليوم وسط أعواد العُشب؟ اتركني الآن قبل أن أستدعي رجال غاسي ليَجْرؤوك إلى الخارج، وادعُ ألا يعرف غال دروجو بما حدث هنا ولا بقر بطنك وأطعمك أحشاءك».

نهض فسيرس بصعوبة وقال لاهثاً: «ستدمن على هذا عندما أجلس على عرشي أبتها الحقيرة»، وغادر واضعاً يده على وجهه الجريح وترك هداياها له كما كانت.

كانت قطرات من دمه قد تناثرت على المعطف الحريري الأنيق، وأسندت داني رأسها على يدها القابضة على المعطف وجلست متقاطعة الساقين على حشية النوم، وبعد قليل قالت جيكيوي: «عشاؤك جاهز يا غاليسي».

قالت داني بحزن وقد اكتنفها التعب فجأة: «لست جائعة. تقاسمن الطعام فيما بينكن وأرسلن بعضه إلى السير جورا»، ثم أضافت بعد هنيهة: «أحضرن لي واحدة من بيضات التنين».

جاءت لها إيربي بالبيضة ذات القشرة الخضراء الداكنة، والرفقات البرونزية تتألق وهي تدبرها بين يديها الصغيرتين. تكوّرت داني على جانبها وسحبت المعطف الحريري على ساقها، وضمت البيضة إليها في الفراغ بين بطنها المتنفخة ونهديها الصغيرين. كانت تحب حمل تلك البيضات، فهي جميلة حقاً، وفي أحيان كان مجرد قربها منها يجعلها تشعر بأنها أشد وأشجع، كأنها بوسيلة ما تستمد قوتها من التنانين المتحجرة في داخلها.

نائمة هناك كانت عندما شعرت بالجنين يتحرك في بطنها... كأنه يحاول أن يمد يده إلى الخارج، أخاً لأخ، دماً لدم. «أنت التنين»، همست دنيرس له. «أنت التنين الحقيقي. أعرف هذا وأثق به»، وابتسمت وغابت في النوم لتحلم بالوطن.



بران

جالسًا على ظهر المُهرة يُراقب الشبكة الحديدية وهي تُرْفَع، شعر بران بُنْدَفِ الثَّلْج الخفيف الذي ينزل على وجهه تذوب إذ تمسُّ بشرته كأرق قطرات مطرٍ في الدُّنيا، وبقلبه يخفق في صدره بمتهى القوَّة على الرغم من محاولته البقاء هادئًا.

سأله روب: «مستعد؟».

أوما بران برأسه إيجابًا محاولًا ألا يظهر خوفه على ملامحه. لم يكن قد خرج من ويترفل منذ سقوطه، لكنه كان عازمًا على الخروج وكله فخر الآن كأبي فارس.

- «هيا بنا إذن»، قال روب ووكز حصانه ذا اللّونين الرّمادي والأبيض، وتحرك الحصان تحت الشبكة الحديدية.

همس بران لمُهرته: «تحركي»، ومسَّ عنقها بخفّة فبدأت المُهرة الصّغيرة ذات اللّون الكستنائي الحركة وراء حصان روب. كان الاسم الذي أطلقه بران عليها هو دانسر، وكان عُمرها عامين، وقد قال جوزث عنها إنها أذكى من أيّ حصانٍ رآه في حياته على الإطلاق. كانوا قد درَّبوها تدريبيًا خاصًا، كي تستجيب لحركة العنان والصّوت واللمس، وحتى الآن كان بران يمتطيها حول السّاحة فقط، وفي البداية كان جوزث أو هودور يقودها بينما يجلس هو مثبتًا على السّرج الكبير الذي رسمه العفريت

له، وإن بدأ يركبها وحده خلال الأسبوعين الماضيين، يدور ويدور بها ويزداد جرأة مع كلِّ دورة.

عبروا تحت البوابة وفوق الجسر المتحرك ومن خلال الأسوار الخارجية، وجاء سمر وجراي ويند يتواثبان إلى جوارهما ويتشعَّمان الهواء، بينما تحرك ثيون جرايچوي وراءهم على مقربة منهم ومعه قوس طويل وكنانة من الأسهم ذات الرؤوس العريضة، حيث كان قد قال إنه في مزاج لصيد غزال. تبعهم أربعة من الخُراس الذين يرتدون قمصان وقلنسوات الحلقات المعدنية، وجوزث صبيُّ الاسطبل الرفيع كالعصا الذي عينه روب قيماً للخيول في غياب هالن، وأخيراً المايستر لوين في المؤخرة على ظهر حمار. كان بران يُفضِّل لو خرج مع روب وحدهما، لكن هال مولين رفض هذا تماماً وأيّده المايستر لوين وقد قرَّر أن يكون معه ليُسعِفَه إذا سقطَ عن المَهْرَة أو جرح نفسه.

وراء الأسوار كان ميدان السُّوق الذي كانت أكشاكه الخشبية مهجورة الآن. قطعوا شوارع القرية الملوثة بالأوحال مروراً بصفوفٍ من البيوت الصغيرة الأنيقة المبنية من الأخشاب القويَّة والأحجار غير المطليَّة. أقلَّ من واحدٍ من كلِّ خمسةٍ كان مشغولاً الآن، ما كان واضحاً من خيوط دُخان الحطب التي تخرج من المداخن، لكن سرعان ما سيمتلئ بقيتها من جديد مع ازدياد برودة الجو. تقول العجوز نان إنه عندما يسقط الثلج وتجيء الرياح الجليدية تعوي من الشمال، يترك المزارعون حقولهم المتجمدة ومعاقلهم البعيدة ويكثِّمون أغراضهم على العربات، ومن ثمَّ تدبُّ الحياة في البلدة الشتوية. لم يرَ بران ذلك من قبل، وإن أكَّد له المايستر لوين أن هذا اليوم صار دانياً جداً، فنهاية الصيف الطويل باتت قاب قوسين أو أدنى... والشتاء قادم.

رمى بعض القرويين الذئبين الرهبين بنظراتٍ متوتِّرة وهم يمرون، وأسقط أحدهم الأخشاب التي يحملها وهُرَع مبتعداً برُعب، لكن معظم

ساكني القرية كانوا معتادين الآن على المشهد. هكذا انحنوا لَمَّا رأوا الصَّيَّينَ، وحيًا روب كلاً منهم بإيماءة تليق بلورد.

مع عدم قُدرة ساقيه على توجيه المُهَرَّة، كانت حركتها المتمايلة تُشعره بعدم الثَّبات في البداية، لكن السَّرج الضَّخَم ذا القرن السَّميك والظَّهر العالي كان يحتويه على نحوٍ مريح، كما أن الأحزمة المحيطة بصدرة وفخذه كانت تمنع سقوطه تمامًا، وبعد فترة بدأ يَشعرُ بأن إيقاع الحركة أصبحَ شبيه طبعي، وخبا قلقه وزحفت ابتسامة خفيفة على قسماته.

وقفتَ خادمتان أسفل لافتة الحانة المحليَّة التي يُطلقون عليها اسم "الجذع الدَّاخِن"، وعندما نادى عليهما ثيون جرايجوي تورَّد وجهه صُغريهما وغطَّته يديه، فوكَّز ثيون حصانه ليتحرَّك إلى جوار روب وقال ضاحكًا: «كايرا الجميلة، تتلوَّى كابن عُرْس في الفِراش، لكن وجَّه لها كلمةً واحدةً في السَّارع وستجد وجهها يحمَرُّ كالعذراء في خدرها. هل حكيتُ لك عن ليلتي معها هي وبسا عندما...».

قاطه روب رامقًا بران: «لا تتكلَّم عن هذه الأشياء في وجود أخِي يا ثيون».

أشاح بران ببصره وتظاهر بأنه لم يسمع، وإن شعرَ بنظرات جرايجوي على ظهره. لا ريب أنه يتسم، فهو يتسم كثيرًا جدًّا كأن العالم عبارة عن دُعابة سرِّيَّة لا يتحلَّى أحد بالدَّكاء الكافي ليفهمها. كان روب معجبًا بثيون ويستمتع بصُحبته، لكن بران لم يستطع قطَّ أن يَشعرُ بالودِّ نحو تابع أبيه الشَّخصي.

اقتربَ روب منه قائلاً: «تُبلي بلاءَ حسنًا يا بران».

قال له: «أريدُ أن أتحركَ أسرع».

ابتسمَ روب وقال: «كما ترغب»، ووكَّز حصانه كي يعدو بسرعة أكبر وانطلقَ الدُّثبان وراءه، بينما شدَّ بران العِنان بحركةٍ حادَّة فزادت دانسر من سرعتها في الحال. سمعَ صيحةً من ثيون جرايجوي وأصوات حوافر الخيول الأخرى وراءه.

رفرف معطف بران وراء ظهره وتموّج في الرّيح، وبدأ كأنّ الثلج يندفع ليضرب وجهه. كان روب متقدّماً عنه بمسافة لا بأس بها، ينظر وراءه بين الفينة والفينة ليتأكّد من أن بران والآخرين يتبعونه. شدّ بران العنان مرّة أخرى، وبنعومة الحرير زادت دانسر من سرعتها أكثر لتركّض حتى تقلّصت المسافة بينه وبين أخيه، وحينما أدرك روب أخيراً عند حدود غابة الذئاب، على بُعد ميلين من البلدة الشّتويّة، كانا قد سبقا الآخرين بمسافة كبيرة. صاحّ بران وعلى وجهه ابتسامة كبيرة: «أستطيعُ الرُّكوب!»، وفي قرارته كان يشعُر كأنه يطير حقّاً.

- «كنتُ لأسبقك، لكنني أخشى أنك ستفوز»، قال روب مداعباً لكن بران أحسّ بشيءٍ يزعج أخيه تحت الابتسامة التي ارتسمت على وجهه.
- «لا أريدُ أن أسابق أصلاً»، ونظرَ بران حوله باحثاً عن الدّئبين الرّهيبين، لكن الاثنين كانا قد اختفيا في الغابة. «هل سمعت عواء سمر ليلة أمس؟».

قال روب: «جراي ويند كان متوتّراً أيضاً». كان شعره الكستنائي قد أضحى خشناً غير ممسّط، وغطّت لحية قصيرة محمّرة ذقنه لتجعله أكبر من أعوام عمره الخمسة عشر. «أحياناً اعتقدُ أن تلك الذئاب تعرف أشياء ما... تحسّ بها...»، ثم تنهّد وقال: «لا أدري بِمَ أخبرك يا بران. ليتك كنت أكبر». قال بران: «أنا في الثامنة الآن! الثامنة ليست أصغر كثيراً من الخامسة عشر، ثم إنني وريث ويتدفل من بعدك».

- «هذا صحيح»، قال روب بصوتٍ حزينٍ بدا فيه شيء من الخوف كذلك. «يجب أن أخبرك بشيءٍ يا بران. لقد جاء طائر ليلة أمس من كينجز لاندنيج. المايستر لوين أيقظني فور وصوله».

شعرَ بران بفزع مفاجئٍ يكتنفه. أجنحة سوداء، أخبار سوداء كما تُردّد العجوز نان دائماً، ومؤخراً كانت الغدفاً الزّاجلة تُثبت صحّة هذا المثل أكثر وأكثر.

عندما كتبَ روب لحضرة قائد الحس الليلي، عاد الطائر برسالة تقول إن العم بنجن لا يزال مفقوداً. ثم وصلت رسالة من "العُش"، من أمهم، لكنها لم تحمل أخباراً طيبةً كذلك، فلم تقل متى تنوي العودة، بل ذكرت فقط أنها قبضت على العفريت. كان بران يُحبُّ الرجل الصغير نوعاً، لكن كلمة "لانستر" كانت بمثابة أصابع باردة كالثلج ترحف على عموده الفقري. ثمّة شيء ما يخصُّ آل لانستر، شيء عليه أن يتذكّره، لكن كلما حاول التفكير في هذا أصابه الدوار وانقلبت معدته. أمضى روب معظم ذلك اليوم وراء باب مغلق مع المايستر لوين وثيون جرايجوي وهالس مولين، وبعدها خرج الخيالة من القلعة على متن أحصنة سريعة حاملين أوامر روب إلى أنحاء الشمال، وسمع بران كلاماً عن خندق كايلن، حصن البشر الأوائل العتيق المشيد أعلى "العُتق". لا أحد قال له شيئاً عمّا ينبغي، لكنه كان يعرف أنه ليس خيراً أبداً.

والآن ها هو غُداً آخر ورسالة أخرى، لكن بران تمسك بالأمل وقال: «أهي رسالة من أمي؟ أهي عائدة؟».

- «الرسالة من آكين في كينجز لاندنج. لقد ماتَ چوري كاسل، وكذلك ويل وهيوارد. قتلهم قاتِل الملك»، ورفع روب وجهه إلى الثلج الساقط من السماء لتذوب الندف على وجهه وقال: «لترحمهم الآلهة».

لم يعرف بران ماذا يقول، وشعر كأن أحدهم لكمه في وجهه بمنتهى العنف. كان چوري قائد الحرس في وينترفل منذ مولد بران. «قتلوا چوري؟». تذكر المرات العديدة التي طارده چوري فيها على الأسطح، وتصوّره في عقله يقطع الساحة بخطواته الواسعة وقد ارتدى درعه، أو يجلس في مكانه المعتاد في القاعة الكبرى يُلقي الدُعابات وهو يأكل. «لماذا يقتل أيّ أحد چوري؟».

هزّ روب رأسه كالمخدّر والألم جليّ في عينيه، وقال: «لا أدري، و... بران، هذا ليس أسوأ ما في الأمر. لقد سقط أبونا تحت حصانٍ أثناء

القتال، وآلين يقول إن ساقه انكسرت، لكن المايستر پايسل سقاه حليب الخشخاش، وإن كانوا لا يدرون متى... متى...». جعله صوت حوافر الخيول يرفع رأسه إلى الطريق إلى حيث كان ثيون والآخرون آتين. «... متى سيفيق»، أتم روب عبارته ووضع يده على مقبض سيفه وواصل بصوت وأسلوب روب اللورد: «بران، أعدك أنه مهما حدث فإنني لن أنسى هذا أبداً».

شيء ما في نبرته جعل بران يشعر بخوف أكبر، وسأل وثيون جرايچوي يتوقف إلى جوارهما: «ماذا ستفعل؟».

قال روب: «ثيون يعتقد أن عليّ استدعاء الرّايات».

- «الدم بالدم». تلك كانت من المرات النادرة التي لم يتسم ثيون فيها، ولاحت نظرة جائعة على وجهه الأسمر النحيل وقد سقط شعره الأسود على عينيه.

قال بران والثلج يسقط في كل مكان حولهم: «سيد ويتترفل وحده يستطيع استدعاء الرّايات».

قال ثيون: «إذا مات أبوك، سيصبح روب سيد ويتترفل».

صرخ بران فيه: «لن يموت!».

أمسك روب يده وقال بهدوء: «لا، لن يموت، ليس أبي... لكن شرف الشمال كله في يدي الآن. عندما غادر أبونا قال لي أن أنحلي بالقوة من أجلك أنت وريكون، وأنا أكاد أصير رجلاً بالغاً يا بران».

ارتجف بران وقال بتعاسة: «ليت أُمي كانت هنا»، ونظرَ حوله بحثاً عن المايستر لوين وراه قادماً على حماره من بعيد. «هل يقول المايستر لوين أن نستدعي الرّايات كذلك؟».

قال ثيون: «المايستر جبان كامراً عجزوز».

قال بران لأخيه: «أبونا كان يُصغي لنصائحه دائماً، وأمنا كذلك».

أجاب روب بإصرار: «إنني أصغي إليه، أصغي إلى الجميع».

تَبَخَّرَ الابتهاج الذي شعرَ به بران في بداية الرُّكوب تمامًا، ذابَ كُندف الثلج على وجهه. من فترة ليست بالطويلة كانت فكرة استدعاء روب للزيارات والخروج إلى الحرب لتملاؤه بالحماسة، أمّا الآن فلم يكن يشعر إلا بالوجل. هكذا قال: «هل يُمكننا أن نعود الآن؟ إنني أشعرُ بالبرد». نظرَ روب حوله قائلاً: «يجب أن نجد الدُّثيين أولاً. هل نستطيع الاستمرار قليلاً؟».

- «أستطيعُ الاستمرارِ مثلك تمامًا». كان المايستر لوين قد حدّره من قضاء وقتٍ طويل على ظهر الحصان خشية الإصابة بالقروح، لكن بران رفض الإقرار بالضعف أمام أخيه وقد سئمَ تمامًا من الاهتمام المبالغ فيه من الجميع به وسؤالهم الدائم عن حاله.

قال روب: «لنصيد الصيادين إذن»، وتحرك الاثنان جنبًا إلى جنبٍ تاركين طريق الملوك إلى داخل غابة الدُّثاب، وتبعهما ثيون من على مسافة بعيدة متبادلًا الكلام والدُّعابات مع الحرس.

أحسَّ بشيءٍ من الراحة تحت الأشجار وقد أمرَ دانسر بالتحركَ ببطءٍ وأمسكَ عِنانها بخفةٍ وهو يتطلّع إلى كلِّ شيءٍ حوله. إنه يعرف هذه الغابة، لكنه ظلَّ حبيسًا داخل أسوار ويتترفل لفترة طويلةٍ لدرجة أنه كان يشعر الآن كأنه يراها للمرة الأولى في حياته. أفعمت أنفه روائح غصون الصنوبر اللاذعة، وأوراق الشجر الساقطة الممتزجة بالتربة وقد بدأت تتعفن، ولمحة هنا وهناك من روائح الحيوانات ويران الطُّهور البعيدة، وأبصرَ سنجابًا أسودَ يتحرك بين فروع شجرة سنديان مغطاة بالثلج، وتوقّف ليُمعِن النظر إلى الشباك الفضّية التي نسجتُها واحدة من عناكب الإمبراطورة السوداء⁽¹⁾. في الآن ذاته كان ثيون والآخرون قد تفهقروا أكثر وراءهما حتى لم يعد بران يسمع أصواتهم، وعلى مسافةٍ ما أمامهما جاء صوت خافت لمياهٍ تتدفق أخذَ يعلو رويدًا حتى بلغا النُهير، وهناك أغشت العبرات عينيه.

(1) نوع عناكب من ابتكار المؤلف أقرب إلى عناكب الأرملة السوداء في عالم الواقع.

سأله روب: «بران، ماذا بك؟».

هَزَّ رأسه قائلاً: «أَتَذْكُرُ فقط. چوري اصطحبنا إلى هنا مرّة لصيد الأسماك، أنا وأنت وچون، هل تَذْكُرُ؟».

أجاب روب بصوتٍ هاديٍّ حزين: «أجل».

- «لم أفلح في صيد شيءٍ يومها، لكن چون أعطاني سمكته ونحن عائدون إلى وينترفل. هل سترى چون ثانية؟».

- «لقد رأينا العم بنجن عندما جاء المَلَك، ومؤكد أن چون سيأتي لزيارتنا، سترى».

كانت مياه النّهر تجري بسرعة. ترَجَّل روب وقادَ حصانه عبر المخاضة العميقة وقد بلغت المياه فخذه، ثم ربطَ الحصان بشجرةٍ على الجانب الآخر وعادَ يخوض في الماء من جديد ليقود بران ومُهرته دانسر. جعلَ النّيار القوي الزّبد يشور حول الصُّخور والجذور، وشعرَ بران بالمياه تتناثر على وجهه وروب يقوده، وجعله هذا يبتسم. للحظةٍ أحسَّ بأنه قويٌّ من جديد، ومكتمل، ورفعَ عينيه إلى الأشجار العالية وحلَمَ بتسلُّقها حتى القمّة لتمتدّ الغابة كلها من تحته. كانا قد عبَرا إلى الجانب الآخر عندما سمعا العواء المتصاعد الطويل الذي سرى بين الأشجار كالرّيح، وأرهفَ بران سمعه قائلاً: «سمر»، وبمجرّد أن خرجَ آخر حروف الكلمة من فمه حتى انضمَّ عواء ثانٍ إلى الأول.

قال روب وهو يمتطي حصانه من جديد: «لقد اقتنصا فريسةً. سأذهبُ وأعودُ بهما. انتظر هنا حتى يلحق بنا ثيون والآخرين».

قال بران: «أريدُ أن آتي معك».

- «سأجدهما أسرع إذا كنتُ وحدي»، قالها روب ووكزَ حصانه واختفى بين الأشجار.

بدّت الغابة كأنها تنطبق عليه بمجرّد أن غابَ روب عن بصره. كانت الثُّلوج تسقط بكثافةٍ أكبر الآن، تذوب بمجرّد أن تلمس الأرض، لكن في

كُلِّ مكانٍ من حوله اكتست الصُّخور والأغصان والجذور برداءٍ رقيقٍ من الأبيض. في الصَّمْت والوحدة بدأ بران يعي أنه يشعُر بعدم راحةٍ بالغ، فهو لا يحسُّ بساقيه المتدلّيتين بلا قيمةٍ في الرُّكابين على جانبي المَهْرة، وإن كان الحزام المحيط بصدره محكمًا تمامًا، وتخلَّل الثلج الذائب قُفَّازيه ليتسلَّل البرد معه إلى يديه. تساءلَ عمَّا يُعطلُّ تخلفَ ثيونه والمَياستر لويين وجوزث والبقية عن اللِّحاق بهما حتى الآن، ثم إنه سمعَ حفيف أوراق الشَّجر، فاستخدمَ العِنانَ ليدبِّرَ دانسر في اتِّجاه الصَّوت متوقِّعًا أن يرى أصدقاءه، لكن الرُّجال المشعثين الذين خرجوا إلى ضفَّة النُّهير كانوا غُرباء.

بنبرة متوتِّرة قال: «طابَ يومكم»، لكن نظرةً واحدةً ألغاهما عليهم أخبرتُه أنهم ليسوا من ساكني الغابة أو المُزارعين، وفجأة أدركَ كم تبدو ثيابه ثمينَةً. كانت سُترته جديدةً، من الصُّوف الرَّمادي الغامق وذات أزرارٍ فضيَّة، بينما ثبَّت دُبُوس فضي ثَقيل معطفه المبطَّن بالفرو بكتفيه، بالإضافة إلى الحذاء طويل العُنق والقُفَّازين المبطَّنين بالفرو بدورهما.

- «أأنت وحدك هنا؟»، قال الأصلع ذو الوجه المحمَّر من جرَّاء تعرُّضه للريِّح والذي كان أكبرهم حجمًا. «الصَّبي المسكين ضائع في غابة الذُّباب».

- «لستُ ضائعًا». لم تَرُقْ له الطَّريقة التي ينظُّرون إليه بها. أحصى أربعةً منهم، لكنه لمَحْ اثنين آخرين وراءه عندما التفت. «لقد غادرَ أخي منذ دقائق، وحُرَّاسي سيصلون بعد قليل».

- «حُرَّاسك تقول؟»، قال رجل آخر ذو لحيةٍ شبياء تُغطِّي وجهه الهزيل. «وماذا يحُرِّسون بالضُّبط أيها السيِّد الصَّغير؟ أهذا دُبُوس فضي الذي أراه على معطفك؟».

- «جميل»، قال صوت امرأة وإن بدَّت صاحِبته أنثى بالكاد. كانت طويلة القامة نحيلةً ولها القسَمات القاسية نفسها كبقيَّتهم، وقد توارى

شعرها تحت خوذة قصيرة على شكل وعاء، والرَّمح الذي تحمله عبارة عن ثمانية أقدام من السَّنديان الأسود له رأس من الفولاذ الصَّدئ. قال الأصلع كبير الحجم: «دعونا نلقي نظرة».

راقبهم بران بتوتر شديد. كانت ثيابه قذرة، تكاد تتمزق تمامًا ولا يجعلها تماسك غير رُقعة من القماش البني هنا أو الأزرق هناك أو الأخضر الدّاكن هناك، وقد بهت لون معطفه الذي كان أسودَ يومًا فصارَ رماديًا. كان الرَّجل الآخر ذو اللحية الشَّيْء يتردي معطفًا أسودَ كذلك، وتذكّر بران فجأة الرَّجل الحاث بالقسم الذي أعدمه أبوه بقطع رأسه يوم عثروا على الجِراء وسط الثَّلوج؛ هذا الرَّجل كان يتردي الأسود كذلك، وقال أبوه إنه متهرّب من الخدمة في حرس اللَّيل. تذكّر كلمات اللورد إدارد يومها: ليس هناك رجل أخطر ممن هم مثله. المتهرّب يعلم أنه سيدفع حياته ثمنا إذا قُبِضَ عليه، ولذا لا يتورّع عن ارتكاب أيِّ جُرم، مهما كان أثمًا. مدَّ الرَّجل الكبير يده قائلاً: «الدُّبوس يا ولد».

- «وسنأخذ الحصان أيضًا»، قالت امرأة أخرى أقصر قامَةً من روب ذات وجهٍ عريض وشعرٍ أصفرٍ مسترسل. «ترجّل، هيا، بسرعة». في يدها كان سكين ذو حافةٍ مسنّنة كالمنشار.

غمغم بران: «لا، إنني لا أستطيع أن...».

أطبق الرَّجل الكبير على العنان قبل أن يدور بران بدانسر وينطلق بها بعيدًا، وقال: «بل تستطيع أيها اللورد الصَّغير، وستفعل إذا كنت تعرف ما في صالحك».

أشارت المرأة الطويلة برُمحها قائلة: «ستيف، انظر إلى الأحزمة التي تُربطه. لعلّه يقول الحقيقة».

قال المدعو ستيف وهو يسحب خنجرًا من الغمد المثبت في حزامه: «أحزمة؟ ثمة وسائل للتعامل مع الأحزمة».

سألته المرأة القصيرة: «هل أنت كسيح أو ما شابه؟».

صاح بران غاضبًا: «أنا براندون ستارك ابن وينترفيل، وخير لكم أن تبتعدوا عني وإلا دفعتكم حياتكم ثمنا».

ضحك ذو اللحية قائلا: «إنه ستارك ولا شك، فال ستارك هم الحمقى الوحيدون الذين يلقون التهديدات بينما يجدر بهم التوسل».

قالت القصيرة: «اقطع حمامته الصغيرة واحشرها في فمه. سوف يُخرسه هذا».

- «غبيّة كما أنت قبيحة يا هالي»، قالت الطويلة. «الصبي لا قيمة له ميتا، لكن حيا... فكّري في المكافأة التي سيدفعها مانس مقابل حصوله على قريب بنجن ستارك رهينة».

قال الكبير: «فليذهب مانس إلى الجحيم! هل تريدون العودة إلى هناك يا أوشا؟ إنك أكثر غباء إذن. هل تعتقدون أن المشاة الشاحبين سيألون إذا كانت معك رهينة؟»، ثم التفت إلى بران وقطع الحزام المحيط بفخذه وانشق الجلد بصوت كالزفير.

كانت ضربة الخنجر سريعة خرقاء... وعميقة. نظر بران إلى اللحم الشاحب الذي برز حيث تمزق قِماط ساقه، ثم بدأ الدم يجري، ورأى البقعة الحمراء تنتشر واكتنف رأسه دُوار خفيف، وإن شعر كأن الضربة أصابت شخصا آخر. لم يكن هناك أدنى ألم أو إحساس في ساقه، وأطلق الرجل الكبير صيحة دهشة.

- «ضعوا أسلحتكم الآن وأعدكم بميتة سريعة بلا ألم»، صاح روب ورفع بران عينيه بأمل يائس ليرى أخاه هناك. قوة كلماته أو هتاف التوتر في صوته، وكان على صهوة حصانه ووراءه جثة ظبي دامية وسيفه مسلول في يده.

قال ذو اللحية: «الأخ».

قالت المرأة القصيرة التي تُدعى هالي ساخرة: «يبدو قويا. هل تنوي قتالنا يا ولد؟».

وقالت الطويلة التي تُدعى أوشا رافعة رُمحها: «لا تكن أحمق. إنك واحد ضد ستة. ترجل وألق سيفك، وسنشكرك على الحصان والطَّيِّب، ثم يُمكنك الانصراف مع أخيك».

أطلق روب صغيراً، وسمعوا وقع الأقدام الخفيف على أوراق الشجر المبتلة على الأرض، ثم اهتزت الفروع الواطئة لتساقط عنها الثلج المتراكم عليها، وانشقت الشجيرات الخضراء فجأة عن سمر وجراي ويند، وتشمَّ الأول الهواء وردَّد غُواءه. قالت هالي مبهوثة: «ذئاب».

- «ذئاب رهيبة»، قال بران. لئن كانت ذئاب الإخوة لا تزال لم تنم بالكامل بعد، فإنها كانت بحجم أيِّ ذئبٍ عاديٍّ آخر رآه في حياته، وإن كان من السَّهل تمييز الفوارق بين النوعين إذا كنت تعرف ما تبحث عنه. علَّمه المايستر لوين وفارلن قيم وجار الكلاب أن الذئب الرَّهيب رأسه أكبر وقوائمه أطول بما يتناسب مع جسده، وأن خَطمه وفكَّه أكثر نحولاً وبروزاً. كان ثمة شيء مريع في منظرهما وهما واقفان هناك بين الثلوج المتساقطة، خصوصاً مع الدِّماء التي لم تجف بعد على خَطم جراي ويند. قال الأصلع بازدراء: «مجرَّد كليين، وإن كنتُ سمعتُ أن لا شيء يُدْفَنك ليلاً كفروة الذئب»، ثم أشارَ بحركة حادَّة قائلاً: «خذوهما».

صاح روب: «ويترفل!»، ووكَّز حصانه فاندفع على ضفَّة النهر والرَّجال المشعثون ينقضُّون. كَرَّ عليه واحد منهم يحمل بلطة صارخاً وإن كان غافلاً، وضربه سيف روب في وجهه ليُهشِّمه بصوتٍ مغثٍ وتتناثر دماؤه، ثم حاول ذو اللِّحية الشَّيْء الإمساك بعنانه، ولينصف ثانية نجح في الإمساك به بالفعل... قبل أن ينقضَّ جراي ويند عليه مُسقطاً إياه في الماء بمنتهى العُنف، وللحظَّاتِ أخذَ يضرب الهواء بسكِّينه وقد غاصَّ رأسه تحت الماء، ثم وثبَ جراي ويند وراءه واصطبغت المياه البيضاء بالأحمر في البُقعة التي غابَ فيها الاثنان.

تبادلُ روب وأوشا الضربات في منتصف المخاضة، يهوي رُمحها الطويل ذو الرأس الفولاذي على صدره مرّة، مرّتين، ثلاثًا، فيصدُّ روب كلَّ ضربة بسيفه الطويل مزيجًا رأس الرُمح جانبًا. في الضربة الرابعة أو الخامسة مدّت أوشا جسدها أكثر من اللازم وفقدت توازنها للحظة استغلّها روب وانقضَّ بحصانه ليدهسها.

على بُعد خطواتٍ قليلةٍ اندفعَ سمرُّها جِماً هالي، لكن السكين جرحَ خاصرته فابتعدَ مزجراً قبل أن ينقضَّ عليها من جديد، وهذه المرّة أطبقَ فكّاه على رِيلة ساقها، وسدّت المرأة القصيرة سكينها بكلتا يديها، لكن يبدو أن الذئب الرّهيب أحسَّ بالطعنة قادمةً، فراجعَ للحظةٍ وفمه مليء بالجلد والنسيج واللحم الدّامي، وعندما سقطت هالي أرضاً من جديد عاودَ الانقضاض وانغرست أنيابه في لحم بطنها لتُمزّقه تمزيقاً.

بدأ الرّجل السادس يجري فارّاً من المذبحة، لكنه لم يتباعد كثيراً، إذ وهو يركُض متعثراً على الجانب الآخر من النّهر، انبثقَ جراي ويند بغتةً من الماء. كان مبتلاً عن آخره، فنفضَّ المياه عن نفسه ثم انطلقَ وراء الرّجل ليُسقطه وقد أحاطَ فكّاه بأونار الرّكبة ومزّقاها، وفي اللحظة التالية كان الفكّان حول الحلق والرّجل يُطلق صرخاتٍ شنيعة ويتهاوي في الماء.

ثم لم يَعدْ هناك غير الرّجل الكبير ستيف، الذي قطعَ الحزام المحيط بصدر بران بضربةٍ من خنجره وأطبقَ على ذراعه وجذبه، فوجدَ بران نفسه يَسْقُط بلا سابق إنذار، لتلتوي ساقاه تحته وتغوص واحدة من قدميه في الماء. لم يَشعُر ببرودة النّهر لكنه شعَرَ ببرودة الفولاذ وستيف يضع الخنجر على حلقه قائلاً لروب: «ابتعد وإلا فأقسم أن أشقّ حلق الصّبي». أوقفَ روب حصانه وقد اختفى الغضب من عينيه وهوت ذراعه حاملة السيف إلى جانبه، وفي هذه اللّحظة رأى بران كلَّ شيء. كان سمر يفترس هالي، يسحب ثعابين زرقاء لامعةً من بطنها بينما كانت عيناها متسعيتين

تَحَدَّقَانِ فِي الْفَرَاغِ، وَلَمْ يَدْرِ بَرَانُ إِنْ كَانَتْ حَيَّةٌ أَمْ مَيْتَةٌ. ذُو اللَّحْيَةِ وَذُو الْبَلْطَةِ كَانَا عَلَى الْأَرْضِ بِلَا حَرَكَ، لَكِنْ أَوْشَا كَانَتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا تَرْحَفُ نَحْوَ رُمَحِهَا، فَدَنَا جَرَايَ وَيَنْدُ مِنْهَا مُطْلِقًا زَمْجَرَةً إِنْذَارٍ وَالْمَاءُ يَقْطُرُ مِنْ فَرْوِهِ.

صَاحَ الرَّجُلُ الْكَبِيرُ: «أَوْفَقْهُمَا! أَوْفَقْهُمَا وَإِلَّا مَاتَ الصَّبِيُّ الْكَسِيحُ!». قَالَ رُوبٌ بِهَدْوٍ: «جَرَايَ وَيَنْدُ، سَمَرُ، إِلَيَّ».

تَوَقَّفَ الذُّبَّانُ الرَّهْيَانُ وَأَدَارَا رَأْسَيْهِمَا، ثُمَّ تَحَرَّكَ جَرَايَ وَيَنْدُ نَحْوَ رُوبٍ، بَيْنَمَا ظَلَّ سَمَرُ فِي مَكَانِهِ وَعَيْنَاهُ مُسَلَّطَتَيْنِ عَلَى بَرَانِ وَالرَّجُلِ الْمُمْسِكِ بِهِ، وَجَعَلَ يُزَمْجِرُ وَخَطْمُهُ مَبْتَلٌ بِالْذَّمَاءِ الْقَانِيَةِ وَعَيْنَاهُ تَشْتَعْلَانِ نَارًا.

اسْتَنْدَتِ أَوْشَا عَلَى قَاعِدَةِ رُمَحِهَا كَيْ تَسْتَطِيعَ الْوُقُوفَ وَالذَّمَّ يَسِيلُ مِنْ أَعْلَى ذِرَاعِهَا حَيْثُ أَصَابَهَا رُوبٌ، أَمَّا مَا سَأَلَ عَلَى وَجْهِهِ سَتِيفُ فَهُوَ الْعَرَقُ، وَأَدْرَكَ بَرَانُ أَنَّهُ خَائِفٌ مِثْلَهُ تَمَامًا. «آلُ سِتَارِكُ، آلُ سِتَارِكُ عَلَيْهِمُ اللَّعْنَةُ، غَمَغَمَ الرَّجُلُ ثُمَّ رَفَعَ صَوْتَهُ قَائِلًا: «أَوْشَا، اقْتُلِي الذُّبَّانَ وَخُذِي سَيْفَهُ».

أَجَابَتْ: «اقْتُلِيهِمَا بِنَفْسِكَ، فَأَنَا لَنْ أَقْتَرِبَ مِنْ هَذَيْنِ الْوَحْشَيْنِ». لِلْحِظَةِ ارْتَبَكَ سَتِيفُ، وَارْتَجَفَتْ يَدُهُ وَشَعَرَ بَرَانُ بِقَطْرَةٍ مِنَ الدَّمِ تَسِيلُ عَلَى عُنُقِهِ حَيْثُ انْغَرَسَ الْخَنْجَرُ، وَمَلَأَتْ فَمَهُ رَائِحَةُ الرَّجُلِ الْكَرِيهَةِ، رَائِحَةُ الْخَوْفِ. ثُمَّ إِنَّهُ خَاطَبَ رُوبَ قَائِلًا: «أَنْتِ، مَا اسْمُكَ؟».

- «أَنَا رُوبُ سِتَارِكُ، وَرِيثُ وَيَنْتِرْفَل».

- «أَهَذَا أَخُوكَ؟».

- «نَعَمْ».

- «إِذَا كُنْتُ تَرِيدُهُ حَيًّا، فَافْعَلِي كَمَا أَقُولُ. انْزِلِي عَنِ الْحِصَانِ».

تَرَدَّدَ رُوبٌ لِبَرْهَةٍ، ثُمَّ تَرَجَّلَ بِبُطْءٍ شَدِيدٍ وَسَيْفُهُ فِي يَدِهِ.

- «وَالآنَ اقْتُلِي الذُّبَّانَيْنِ».

وَلَمْ يَتَحَرَّكَ رُوبٌ مِنْ مَكَانِهِ.

- «افعلها. إمّا هما أو هو».

صرخ بران: «لا!». إذا فعلها روب، فسيقتلها ستيف على كل حال بمجرد أن يموت الذئبان.

أطبق الرجل الأصلع على شعره يده الأخرى وجذبه بحركة عنيفة جعلت دموع بران تسيل المّا، وقال: «اخرس أيها الكسبح، هل تسمع؟»، وشدّ شعره بعنف أكبر مكرّراً: «هل تسمع؟».

وجاء الصّوت اللوثري الخفيض من الغابة من ورائهما، وأطلق ستيف شهقة مخنوقة وقد تفجّر رأس السّهم المريض من صدره فجأة وقد اصطبغ بالأحمر كأنه مطليّ بالدم.

وسقط الخنجر بعيداً عن رقبة بران، وترنّح الرجل ونهاوى على وجهه في النّهيّر وانكسر السّهم تحته، وراقبه بران والحياة تتسرّب منه.

حدّقت أوشا برُعبٍ في حُرّاس اللورد إدارد الذين ظهروا تحت الأشجار وسيوفهم في أيديهم، وألقت رُمحها أرضاً قائلة لروب: «الرّحمة».

تبدّت نظرة غريبة على وجوه الحُرّاس الممتعة وهم يتطلّعون إلى مشهد المذبحة ويَرْمُقون الذّئبين بنظراتٍ متوتّرة، ولَمّا عادَ سمر لاستكمال وجبته من جثّة هالي ألقي جوزث سكّينه وتراجع إلى الوراء لاهثاً متعثراً، وحتى المايستر لوين بدا مصدوماً وهو يَخْرُج من وراء شجرة، لكن للحظة فقط، ثم هزّ رأسه وخاصّ في مياه النّهيّر نحو بران قائلاً: «هل جُرّحت؟».

أجاب بران: «جرح ساقِي بخنجره، لكنني لم أشعر بشيء».

مال المايستر ليفحص الجرح وأشاح بران برأسه ليري ثيون جرايجوي مستنداً إلى شجرة حارس وقوسه في يده، ويتسم... دائماً يتسم. نصف دسّة من السّهام كان على الأرض عند قدميه، لكن كلّ ما احتاجه كان سهمًا واحدًا. قال بمرح: «العُدُو الميت من أجمل الأشياء في الدّنيا».

قال روب بصوت عالٍ: «لطالما قال چون إنك حمار يا جرايچوي، حريُّ بي أن أقيّدك في السّاحة وأجعل بران يتدرب على الرّماية عليك».

- «بل حريُّ بك أن تشكّرني على إنقاذ حياة أخيك».

- «ماذا لو أخطأت الرّمية؟ ماذا لو جرّحته فقط؟ ماذا لو جعلت يده تغرس الخنجر في عنق بران، أو حتى أصبت بران نفسه؟ لم تُفكّر أن الرّجل كان يرتدي واقياً للصّدر ربما، فكلُّ ما رأيته هو ظهر معطفه. ماذا كان ليحدث لأخي حينئذٍ؟ هل توقّفت لحظةً لتفكّر في هذا يا جرايچوي؟».

تلاشت ابتسامة ثيون، وهزّ كتفيه بلا معنى ثم انحنى ليجمع سهامه من على الأرض، بينما رمق روب الحُرّاس قائلاً بصراصة: «أين كنتم؟ كنتم أحسبكم وراءنا مباشرة».

تبادل الرّجال النظرات المضطّربة، ثم قال أصغرهم سيّناً كوينت ذو اللّحية البنيّة الرّغبة: «كنا نتبعكما يا سيّدي، لكننا انتظرنا المايستر لوين وحماره، لا تؤاخِذني، ثم... الذي حدث أن...»، ورمق ثيون ثم نظر بعيداً بارتباك.

قال ثيون وقد ضايقه السّؤال: «رأيتُ ديكاً بريّاً. أتّى لي أن أعرف أنك ستترك بران وحده؟».

دار روب برأسه لينظر إلى ثيون مجدّداً. لم يره بران بهذا الغضب من قبل قط، لكنه لم يقل شيئاً، ومال إلى جوار المايستر لوين قائلاً: «هل جرح أخني بالغ؟».

- «ليس أكثر من خدش»، أجاب المايستر وبلّل قطعة من القماش بماء النّهيير وأخذ ينظّف الجرح بها قائلاً: «اثنان منهم كانا يرتديان الأسود».

رمق روب جثةً ستيف الملقاة على وجهها في الماء ومعطفه الأسود الرّث يتحرّك مع حركة التّيّار، ثم قال عابساً: «متهرّبون من حرس اللّيل. لا بدّ أنهم كانوا حمقى ليقربوا من ويتربّل هكذا».

قال المايستر: «أحياناً ما يصعب التفریق بين الحمافة والياس». سأل كوينت: «هل ندفعهم يا سيدي؟».

أجاب روب: «لم يكونوا ليدفنونا لو قتلونا. اقطعوا رؤوسهم كي تُرسلها إلى "الجدار"، واتركوا البقية لأكلة الجيفة».

أشار كوينت بإبهامه إلى أوشا سائلاً: «وماذا عن هذه؟».

سار روب نحوها. كانت أطول منه برأس كامل، لكنها هَوَّت على رُكبتها بمجرد اقترابه وقالت: «امنحني حياتي وسأكون لك يا لورد ستارك».

- «لي؟ وماذا أفعل لحانثة بالقسم؟».

- «لكنني لم أحنث بأي قسم. والن وستيف جاءا من "الجدار" وليس أنا. لا مكان للنساء بين الغربان السوداء».

اقترب ثيون جراجيوي وقال لروب: «أطعمها للذئاب». رمقت المرأة ما تبقى من جثة هالي بنظرة خاطفة ثم أبعدت عينيها بالسرعة ذاتها مرتجفة، وحتى الحُرَّاس بدوا مصابين بالغثيان.

قال روب: «إنها امرأة».

قال له بران: «امرأة من الهمج. قالت لهم أن يحتفظوا بي حياً كي يأخذوني إلى مانس رايدر».

سألها روب: «ألدك اسم؟».

غمغت بيوس: «أوشا يا سيدي».

نهض المايستر لوين قائلاً: «لعل من الأفضل أن نستجوبها».

رأى بران ملامح أخيه تكتسي بالراحة، وقال روب: «كما تقول أيها المايستر. واين، قيد يديها. سوف تأتي إلى ويتترفل معنا... وما تُخبرنا به من حقائق هو ما سيُحدّد حياتها أو موتها».



تيريون

- «تريد أكل؟»، سأله مورد محملاً فيه وهو يحمل طبقاً من الفاصوليا المزيّنة بيده الشّخينة ذات الأصابع القصيرة.

كان تيريون لانستر يتصوّر جوّاً، لكنه رفض أن يسمح لهذا الجحش برويته يتدلّل، وقال من مكانه على كومة القشّ المتسخ في رُكن زنزاته: «سيكون من اللّطيف أن تأتي لي بساق ضأن، وربما طبق من البازلاء والبصل وبعض الخُبز الطّازج بالزّيد، وإيريق من النّبذ المتبلّ لئيساعدني على الازدراء، أو بيرة إذا كان هذا أسهل. أحاول ألا أكون متطلباً أكثر من اللازم». - «فاصوليا»، قال مورد مادّاً يده بالطّبق. «خذ».

زفر تيريون بحرارة. كان السجّان كتلةً مجسّدةً من الغباء والجلافة، ذا أسنانٍ بُنِيّة نخرةٍ وعينين سوداوين صغيرتين، يحمل جانب وجهه الأيسر ندبة كبيرة خلّفتها الفأس التي قطعت أذنه وجزءاً من وجته. بقدر ما هو قبيح الشّكل كانت حركاته متوقّعة، لكن تيريون كان جائعاً حقاً، فرفع يده ليلتقط الطّبق، فقط ليُبْعِده مورد عن متناوله يده قائلاً بابتسامة كالحة: «هنا». نهض القزم متصلّباً وكلّ مفصلٍ في ساقيه يوجعه، وقال مُحاولاً الإمساك بطبق الفاصوليا: «أينبغي أن نلعب تلك اللعبة الحمقاء عند كلّ وجبة؟».

تراجع مورد إلى الوراء مبتسماً ليكشف عن أسنانه النّخرة قائلاً: «هنا يا رجل قزم»، ومدّ الطّبق بطول ذراعه فوق الحافة التي تنتهي عندها الزّنزانة وتبدأ السّماء. «لا تريد أكل؟ تعال خذ».

كانت ذراعا تيريون أقصر من أن تَبْلُغَ الطَّبَق، كما أنه لم يكن يجرؤ على الدُّنو من الحافة لهذه الدَّرَجَة، فكلُّ ما يحتاجه الأمر هو دفعة سريعة من بطن مورد البيضاء الكبيرة لينتهي إلى بُقْعَة حمراء تُثير الغشيان على أحجار "سما" ككثير جدًّا من سُجْناء "العُش" على مَرِّ القرون. «الآن بعد تفكير، لا أعتقد أنني جائع»، قالها متراجعا إلى رُكن الزَّنازة. أطلقَ مورد صوتًا كُفْباق الخنازير وفردَ أصابعه الثُّخينة، وفي لحظة أخذت الرِّيح الطَّبَق وقلبه بمحتوياته وهو يَسْقُط، وتناثرت حفنة من الفاصوليا عليهما والطَّعام يغيب عن عيونهما، وقهقهة السَّجَّان باستمتاع لترتج بطنه كوعاءٍ من الهلام.

شعرَ تيريون بموجةٍ مفاجئةٍ من الغضب تجتاحه، وصاح: «يا ابن الحمير! أتمنى أن تموت بالإسهال!».

من أجل هذا ركله مورد قبل أن يُغادر، دافعًا طرف حذاءه الحديدي المدبَّب في أضلاع تيريون، الذي قال منقطع الأنفاس وهو يتلوَّى على كومة القش: «أسحب ما قلت! أقسم أنني سأقتلك بنفسى!»، وسمع الباب الثقيل المدعَّم بالحديد يُصَفَّق ثم خشخشة المفاتيح.

فكَّر وهو يزحف إلى رُكن ما يُسمِّيهِ آل آرَن ساخرين بالزَّنازة أنه ملعون بلسانٍ طويل حقًّا بالنسبة لرجل صغير الحجم مثله. تكوَّم تحت الدُّثار الخفيف الذي كان حشِيَّة الفراش الوحيدة التي تركوها له، ورمى السَّماء الزَّرْقَاء الخالية والجبال البعيدة التي بدت كأنها تمتدُّ إلى ما لا نهاية، وتمنى لو أنه كان لا يزال يحتفظ بالمعطف المصنوع من جلد هِرَّة شبحيَّة، الذي فازَ به من ماريليون في لعبة التُّرد، بعد أن سرَّقه المغني من على جثَّة كبير اللصوص. كانت رائحة الدَّم والعفن عالقةً بالمعطف وإن كان سميكا دافئا، لكن مورد أخذَه منه لحظة أن رآه.

شدَّت الرِّيح دثَّارَه بهباتٍ حادَّةٍ كالمخالب على الرغم من تكوُّمه في رُكن الزَّنازة البعيد، لكنها كانت صغيرة الحجم مع ذلك، بالنسبة لقزم، فعلى بُعد أقل من خمسة أقدام حيث من المفترض أن يكون الجدار،

وحيث هناك جدار في أي زلزلة تقليدية، انتهت الأرضية وبدأت السماء. كان يتعرض لكثير من الهواء النقي ونور الشمس، بالإضافة إلى منظر القمر والنجوم ليلاً، لكن تيريون كان ليقيض كل هذا في غمضة عين بأعمق وأقتم حفرة في دهاليز كاسترلي روك.

- «تطير»، قال له مورد إذ دفعه إلى داخل الزلزلة. «بعد عشرين يوم، أو خمسين، ثم تطير».

يحفظ آل آرн بالزنازين الوحيدة في البلاد التي يُقال فيها للسجناء أن يهربوا إذا شاءوا. في اليوم الأول، بعد استجماع شجاعته لساعات، تمدد تيريون على بطنه وزحف بتؤدة إلى الحافة ليطل برأسه وينظر إلى أسفل. كانت قلعة "سما" على بُعد ستمئة قدم تحته ولا شيء بينهما غير الهواء، وإذا مدّ رأسه إلى الخارج قدر ما يستطيع، كان يرى الزنازين الأخرى إلى يمينه ويساره وأعلاه. كان نحلة بتر أحدهم أجنتها حبيسة في قرص عسل من حجر.

كانت البرودة بالغة في الزلزلة، والرياح تعوي ليل نهار، أمّا الأسوأ على الإطلاق أن الأرضية كانت منحدرّة... نعم، منحدرّة على نحو بسيط جداً لكنه يكفي. كان خائفاً من إغلاق عينيه، من أن يتدحرج في نومه ويستيقظ بعد فوات الأوان وهو يسقط في الهواء بلا شيء يتمسك به. لا عجب أن زنازين السماء تلك تقود سُجنائها إلى الجنون.

"لْتَقِلْني الآلهة... الأزرق يُناديني"... كانت العبارة مكتوبة على الجدار بما بدا كدم أحد نزلاء الزلزلة السابقين، وتساءل تيريون عمّن كان وما حلّ به، ثم قرّر بعدها أنه لا يرغب في أن يعرف. لو كان قد أبقى فمه مغلقاً فقط...

لكن الصبي الأبله كان البادئ وهو يتطلع إليه من فوق العرش المصنوع من خشب الويروود المنقوش تحت رايات عائلة آرн ذات القمر والصقر. طوال حياته والناس ينظرون إلى تيريون لانستر من أعلى، لكن نادراً ما كان أحدهم صبيّاً دافع العينين في السادسة من عُمره يضع وسادة فوق

وسادة تحت مؤخرته لترفعه إلى قامة رجل. سأل الصبي الممسك بدميته: «أهذا هو الرجل الشرير؟».

- «إنه هو»، أجابت الليدي لايسا من على العرش الأصغر المجاور له. كانت ترتدي ثياباً زرقاء وقد وضعت المساحيق وتعطرت من أجل طالبي يدها الذين ملأوا البلاط. قال سيّد "العُش" ضاحكاً: «إنه صغير».

- «هذا هو تيريون العفريت ابن عائلة لانستر، الذي قتل أباك»، ورفعت صوتها لسمعه كل الحضور في القاعة العالية ويتدّد صدها بين الجدران البيضاء كالحليب والأعمدة الرقيقة: «قتل يد الملك!». قال تيريون كالأحمق: «أوه، هو أيضاً قتلته؟».

كان هذا أنسب وقت لأن يُقَي فمه مغلقاً ورأسه محنياً. إنه يرى هذا الآن، وبحقّ الجحائم السبع رآه وقتها كذلك. كانت قاعة آل آرِن العالية طويلة قائمة، جدرانها البيضاء المصنوعة من الرُخام ذي العروق الزرقاء محمّلة بالبرودة والوحشة، وإن كانت الوجوه المحيطة به أكثر برودة بكثير. قوّة كاسترلي روك على بُعد أميالٍ وأميال، وآل لانستر ليس لديهم أصدقاء في وادي آرِن، وعليه كان الإذعان والصمت أفضل دفاع له، لكن...

كان مزاج تيريون متعكراً لدرجة منعه عن التفكير السليم. مما أثار خجله أنه أوشك على الانهيار خلال المرحلة الأخيرة من رحلة صعود الجبل التي دامت يوماً كاملاً، وقد أضحت ساقاه عاجزين عن حمله أكثر من هذا، فحمله برون بقية الطريق، فصبت الإهانة المزيد من الوقود على نار غضبه. «كنتُ رجلاً صغيراً كثير الأشغال على ما يبدو»، قال بسخرية مريرة. «أنساءل متى وجدتُ الوقت لكلّ هذه المؤامرات والاعتيالات». كان حريّاً به أن يتذكّر مع من يتعامل، فلايسا آرِن وابنها السقيم معتل العقل لم يكونا معروفين في البلاط الملكي بحبهما للسخرية، لا سيّما تلك الموجهة إليهما. قالت لايسا ببرود: «صنّ لسانك أيها العفريت وأنت تُخاطب ابني، وإلا أعدك بأن أجبرك على أن تصونه. تذكر أين أنت. نحن في "العُش"،

والذين تراهـم حولك هؤلاء هـم فُرسـان "الوادي"، رجال مُخلِصون أحبُّوا
 چون آرَن من صميم قلوبهم، وكل واحد منهم مستعدُّ للموت من أجليّ".
 - «ليدي آرَن، يجب أن تعرفي أنه إذا حَلَّ بي أيُّ أذى، فسيُتأكَّد أخي
 چايـمي من أن يتمَّ هذا فعلاً». كان يعرف أنها حماقة كبيرة حتى وهو ينطق
 الكلمات المتغطّسة.

سألته لايسا: «هل تستطيع الطَّيران يا لورد لانستر؟ هل يملك الأقزام
 أجنحة؟ لا؟ إذن فمن الأحكم لك أن تبتلع تهديدك القادم قبل أن تُلقيه».
 قال تيريون: «هذا لم يكن تهديدًا، بل وعدًا».

هَبَّ اللورد الصَّغير روبرت واقفًا، وسقطت دُميته من يده وهو يصرُخ
 غاضبًا: «لا يُمكنك أن تمسِّنا بأذى! لا أحد يستطيع النِّيل منا هنا! قولي له
 يا أمي، قولي له إنه لا يستطيع».

بدأ الصَّبي يرتجف، فضمَّته لايسا آرَن إليها وطوّفته بذراعها الممتلئتين
 قائلةً بصوتٍ هادئ: «هذه القلعة منيعة تمامًا. العفريت يُحاول إخافتنا يا
 صغيري الجميل. جميع آل لانستر كذَّابون، لكن لا أحد سيـمـسُّ صغيري».
 المشكلة أنها كانت تقول الحقَّ ولا أحد يستطيع إنكار هذا. لقد اختبرَ
 بنفسه ما يتطلبه الصُّعود إلى هنا، وبإمكانه أن يتخيَّل بوضوح كيف سيكون
 الأمر بالنسبة لفارس يرتدي دروعه ويُحاول أن يَشُقَّ طريقه إلى هنا قتالًا،
 بينما تنهال عليه السَّهام والأحجار من أعلى ويواجهه خصومه في كلِّ
 خطوة من الطَّريق. وجدَّ أن "الكابوس" كلمة هيئَة لوصف المشهد، فلا
 غرو أن "العُش" لم تَسْقُط قطُّ.

ومع ذلك لم يقوَّ تيريون على الصَّمت، وقال ببرود: «ليست حصينةً،
 بل صعبة الاختراق لا أكثر».

أشارَ روبرت الصَّغير إليه بإصبعٍ مرتجفٍ قائلاً: «أنت كاذب! أمي،
 أريدُ أن أراه يطير».

أمسك حارسان يرتديان معطفين من الأزرق السَّماوي ذراعي تيريون
 ورفعاه عن الأرض، والآلهة وحدها تعلم ماذا كان ليحدث بعدها لو لا تدخل

كاتلين ستارك، التي صاحت من مكانها أسفل العرشين: «أختاه، أناشدك أن تتذكري أن هذا الرجل سجينى أنا، ولن أسمح بأن يقع له أي ضرر».

رمقت لايسا آرن أختها بنظرة باردة سريعة، ثم نهضت واندفعت نحو تيريون وذبل فستانها يطير من ورائها. لوهلة خشي أن تضربه، لكنها أمرت الحارسين بإطلاق سراحه، فدفعه الرجلان أرضاً وانثنت ساقاه تحته وتهاوى تيريون؛ ولا بُدَّ أن منظره بدى طريفاً للغاية لهم وهو يكافح للوقوف على رُكبتيه، فقط ليشعر بساقاة اليمنى تتشنج فيسقط من جديد، ويتفجر الضحك في جميع أنحاء قاعة عائلة آرن العالية.

قالت لايسا: «ضيف أختي الصغير أضعف من أن يقف. سير فارديس، خذه إلى زنزانته. سوف يجد الكثير من الراحة في واحدة من زنازين السماء». جذبته الحارسان بعنفٍ وتدلى تيريون لانستر في الهواء بينهما وساقاه تَرَكلان بضعفٍ وقد احتقن وجهه من فرط الخجل، وقال لهما وهما يحملانه: «سأتذكركم هذا».

وها هو يتذكره وما من طائل.

في البدء وأسى نفسه بأن سجنه لن يطول، فلايسا آرن ترغب في إذلاله وهذا كل شيء، وقریباً ستستدعيه من جديد، وإن لم يكن هي فلا بُدَّ أن كاتلين ستارك سترغب في استجوابه، وهذه المرة سيصون لسانه ويعمل حساباً لما يقوله. إنهم لن يجترؤا على قتله بهذه البساطة، فهو ما زال من آل لانستر أبناء كاسترلي روك، وإراقة دمه ستعني الحرب لا محالة... أو هكذا قال لنفسه.

لكنه لم يعد متأكداً لهذه الدرجة الآن.

لربما يتنوي أسروه أن يتركوه يتعفن ها هنا فحسب، لكنه يخشى أنه لا يقوى على البقاء والتعفن هنا لفترة طويلة. إن قواه تخور يوماً بعد يوم، وهي مسألة وقتٍ فقط حتى تُصيبه ضربات وركلات مورد بأذى حقيقي، هذا إن لم يتركه يموت جوعاً أولاً. بضع ليالٍ أخرى من البرد والجوع وسيبدأ الأزرق في مناداته بدوره.

تساءلَ عما يحدث وراء جدران زنزانه (إن كان يُمكن اعتبارها جدرانًا). لا بُدَّ أن اللورد تايوين قد أرسلَ خيَّالته بمجرَّد سماع الخبر، ولعلَّ چایمي يقود جيشًا عبر جبال القمر الآن... ما لم يكن قد قرَّر التوجُّه شمالًا ومهاجمة وينترفل نفسها بدلًا من هذا. هل يشكُّ أحد خارج "الوادي" في المكان الذي أخذته كاتلين ستارك إليه أصلًا؟ تساءلَ عما ستفعله سرسي حين يبلغها الخبر. قد يأمر المَلِك بتحريره، لكن هل سيسمع روبرت كلام مَلِكته أم يده؟ لم تكن لدى تيريون آية أو هام بخصوص حُب روبرت لأخته. لو كانت سرسي تملك أدنى قَدِر من الحصافة، لأصرت على أن يُصدر المَلِك حُكمه عليه بنفسه، وحتى ند ستارك نفسه لن يستطيع الاعتراض على ذلك وإلاَّ لكانت إهانةً لشرف المَلِك، وسيرضى تيريون للغاية بفرصته في المحاكمة. أيًا كانت الاتِّهامات التي يوجَّهها آل ستارك إليه، فهُم لا يملكون دليلًا على أيِّ شيءٍ حسبما يرى. فليطرحوا قضيتهم أمام العرش الحديدي وسادة البلاد إذن وستكون في هذا نهايتهم، فقط لو كانت سرسي بالذكاء الكافي لترى هذا.

تنهَّد تيريون لانستر. إن أخته تتمتع بنوع لا شكَّ فيه من المكر، لكن غرورها يُعميها وسيجعلها لا ترى في هذا الموقف غير الإهانة وليس الفرصة. وچایمي أسوأ منها باندفاعه وعناده وغضبه السريع، فأخوه لا يحل عقدة بيده بينما يستطيع قسمها إلى نصفين بسيفه.

تساءلَ مَنْ مِنَ الاثنين أرسلَ القاتل الأجير لإخراص ابن ستارك، وإن كانت لهما يد فعلًا في موت جون آرِن. إذا كان اليَدُ القديم قد قُتِلَ حقًّا، فقد تَمَّ هذا بجِدِّقٍ ودهاء، فالرَّجال في عُمره المتقدم يموتون بمرضٍ مفاجئٍ طوال الوقت، بينما كان إرسال أحرق ما بخنجرٍ مسروقٍ لاغتيال براندون ستارك حركةً في منتهى الغباء، وهذا غريب بالفعل إذا فُكرت في الأمر قليلًا. ارتجفَ تيريون وقد راوده خاطرٌ مثير للقلق. لعلَّ الأسد والذئب الرَّهيب ليسا الحيوانين الوحيديين في الغابة، وإذا كان هذا صحيحًا فهناك من يستغلُّه كأداةٍ لتحقيق أغراضه، وتيريون لانستر يمقت أن يستغلَّه أحد. يجب أن يخرج من هنا، وقريبًا. إن فرصته في التغلب على مورد

تَكَادُ تَكُونُ مَعْدُومَةً، وَلَا أَحَدَ هُنَا سَيُعْطِيهِ حَبْلًا طَوِيلَةً سَتَمْتَنِي قَدَمَ لَيْتَسَلِّفَهُ نَزُولًا، فَلَا سَبِيلَ لَخُلَاصِهِ إِذْنٌ غَيْرُ الْكَلَامِ. لَقَدْ أَوْقَعَهُ فَمُهُ فِي هَذِهِ الزُّنْزَانَةِ الْحَقِيرَةِ، لَكِنَّهُ يَسْتَطِيعُ إِخْرَاجَهُ مِنْهَا كَذَلِكَ. هَكَذَا نَهَضَ تِيرِيونَ بِأَذَلٍّ قَصَارَى جِهَدِهِ لِتَجَاهُلِ انْحِدَارِ الْأَرْضِيَّةِ مِنْ تَحْتِهِ نَحْوَ الْحَاقَةِ، وَدَقَّ عَلَى الْبَابِ بِقَبْضَتِهِ صَائِحًا: «مُورِدُ! أَيُّهَا السَّجَّانُ! مُورِدُ! أُرِيدُكَ!». اسْتَمَرَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ لِعَشْرِ دَقَائِقٍ كَامِلَةٍ حَتَّى سَمِعَ خُطَوَاتِ الْأَقْدَامِ، وَتَرَجَعَ إِلَى الْوَرَاءِ بِلَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ قَبْلَ أَنْ يُفْتَحَ الْبَابُ بِعُنْفٍ.

زَمَجَرَ مُورِدٌ وَعَيْنَاهُ تَشْعَانِ نَارًا: «ضُوضَاءُ»، وَمِنْ يَدِهِ اللَّحِيْمَةُ تَدْلَى سَوْطٌ جِلْدِي سَمِيكَ عَرِيضٌ.

لَا تَجْعَلُهُمْ يَرُونَ خَوْفَكَ أَبَدًا، قَالَ تِيرِيونَ لِنَفْسِهِ مَذْكُرًا، وَلِلْسَجَّانِ قَالَ: «هَلْ تَتَمَنَّى أَنْ تَكُونَ ثَرِيًّا؟».

وَضَرْبَهُ مُورِدٌ. كَانَتْ ضَرْبَةٌ خَفِيفَةً بِظَاهِرِ الْيَدِ، لَكِنْ السَّوْطُ أَصَابَ أَعْلَى ذِرَاعِ تِيرِيونَ وَجَعَلَهُ يَتَرَجَّعُ مَتَعَثِّرًا وَيَضْغُطُ عَلَى أَسْنَانِهِ مَتَأَلِّمًا، وَقَالَ مُورِدٌ: «لَا فَمَ يَارَجُلَ قَزَمَ».

- «ذَهَبَ»، قَالَ تِيرِيونَ مَتَظَاهِرًا بِالْإِبْتِسَامِ. «كَاسْتَرَلِي رُوكَ مَلَأَى بِالذَّهَبِ... آآآه!». هَذِهِ الْمَرَّةُ كَانَتْ الضَّرْبَةُ بِبَاطِنِ الْيَدِ وَقَدْ وَضَعَ مُورِدُ الْمَزِيدَ مِنْ قُوَّةِ ذِرَاعِهِ فِيهَا، لِتَهْوِي عَلَى ضُلُوعِ تِيرِيونَ فَيَسْقُطَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَيُطْلِقَ أُنَيْنًا مَتَوَجِّعًا، لَكِنَّهُ أَجْبَرَ نَفْسَهُ عَلَى أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ إِلَى السَّجَّانِ وَيَقُولَ لَاهْتًا: «ثَرِيٌّ كَلَانَسْتَرُ، هَذَا هُوَ مَا يَقُولُونَهُ يَا مُورِدَ عَنْ...».

أَصْدَرَ مُورِدُ ذَلِكَ الصَّوْتِ الشَّبِيهَ بِقُبَاعِ الْخَنَازِيرِ، وَشَقَّ السَّوْطَ الْهَوَاءَ مَصْفُرًا قَبْلَ أَنْ يَهْوِي عَلَى وَجْهِ تِيرِيونَ مَبَاشِرَةً، وَكَانَ الْأَلَمُ شَدِيدًا لِلْغَايَةِ هَذِهِ الْمَرَّةُ لَدَرَجَةٍ أَنَّهُ لَمْ يَتَذَكَّرْ أَنَّهُ سَقَطَ أَرْضًا، لَكِنَّهُ وَجَدَ نَفْسَهُ عَلَى أَرْضِيَّةِ الزُّنْزَانَةِ عِنْدَمَا فَتَحَ عَيْنَيْهِ مِنْ جَدِيدٍ. كَانَتْ أُذُنَاهُ تَرْتَانُ وَامْتَلَأَ فَمُهُ بِالذَّمَاءِ، وَمَدَّ يَدَهُ لِيُمْسِكَ بِأَيِّ شَيْءٍ يَتَكَيَّ عَلَيْهِ لِيَنْهَضَ... وَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا. سَحَبَ يَدَهُ بِسُرْعَةٍ كَأَن هُنَاكَ مِنْ لَسْعَاهَا بِالنَّارِ، وَحَاوَلَ بِكُلِّ قُوَّتِهِ أَنْ يَكْفُفَ عَنِ التَّنَفُّسِ. كَانَ قَدْ سَقَطَ عَلَى الْحَاقَةِ مَبَاشِرَةً، عَلَى بُعْدِ خُطَوَاتٍ مِنَ الْأَزْرِقِ.

- «مزيد ستقول؟»، قال مورد فاردًا السَّوْطَ بين قبضتيه، وشدَّه ليُصْدِرَ فرقةً جعلت تيريون يشب في مكانه، ما جعل السَّجَّانَ ينفجر ضاحكًا. إنه لن يدفعني، قال تيريون لنفسه بقنوطٍ وهو يزحف بعيدًا عن الحافة. كاتلين ستارك تُريدني حيًّا، ولن يجرؤ على قتلي. ومسح الدَّم عن شفتيه بظهر يده وعاودَ التَّظاهرَ بالابتسام وقال: «ضربة قويَّة حقًّا يا مورد»، وضيق السَّجَّانَ عينه مُحاولًا أن يفهم إن كان يسخر منه، بينما أردفَ تيريون: «يُمكِنني الاستفادة برجلٍ قويٍّ مثلك». شقَّ السَّوْطَ الهواءَ نحوه من جديد، لكن تيريون نجحَ في التَّمَلُّصِ منه هذه المرَّة، فلم يُصَبَّ إلَّا بضربة خفيفة على الكتف لا أكثر، وكرَّرَ زاحفًا إلى الوراء على أربع كسرطانٍ بحري: «ذهب، ذهب أكثر مما ستراه هنا في حياتك كلها، ذهب يكفي لأن تشتري أرضًا ونساءً وخيولًا. يُمكنك أن تغدو اللورد مورد»، وبصقَ بعض الدَّم والبلغم في السَّماء خارج الزَّنَازَةِ.

قال مورد: «لا ذهب».

فكَّرَ تيريون: إنه مُضَيِّع! ثم إنه اعتدلَ قائلاً: «لقد أخذوا مني كيس النقود عندما أسروني، لكن الذَّهَبَ لا يزال ملكي. قد تأسر كاتلين ستارك الرَّجل، لكنها لن تنحدر أبدًا إلى سرقة ماله، فلن يكون هذا تصرفًا شريفًا. ساعدني والذَّهَبَ لك». تحرَّك سوط مورد ثانية، لكن الضَّربة كانت بطيئةً فاترةً تعوزها الحماسة، وقبضَ تيريون على الجِلْد بيده وأمسكه بإحكام وقال: «ليست هناك مخاطرة في الأمر. كلُّ ما عليك فعله هو توصيل رسالة».

شدَّ السَّجَّانَ السَّوْطَ الجِلْدِي من قبضة تيريون مردِّدًا: «رسالة»، كأنها المرَّة الأولى التي يسمع فيها الكلمة وقد قطَّبَ جبينه عن آخره.

- «كما سمعت يا سيِّدي. فقط بلِّغ رسالتي لسيِّدتك، قُل لها... (ماذا؟ ما الذي من شأنه أن يجعل لايسا آرن تلين؟)... قُل لها إنني أرغبُ في الاعتراف بجرائمِي».

رفعَ مورد ذراعه وانتظرَ تيريون نزول الضَّربة الثَّالية عليه، لكن السَّجَّانَ تردَّدَ وقد تصارعَ الشُّكُّ والطَّمَعُ في عينيه. كان يريد الذَّهَبَ لكنه يخشى

وجود حيلة ما في الأمر، وهو يبدو كرجل يتعرّض للاحتيال كثيرًا على كلِّ حال، وغمغم: «يكذب، رجل فزم يكذب عليّ». قال تيريون: «سأقدم لك وعدي كتابةً».

بعض الأميين يحتقر الكلمة المكتوبة، بينما يُكنُّ البعض الآخر لها توفيرًا عظيمًا كأنها نوع من السحر، ولحسن الحظَّ كان مورد السجَّان من النوع الثاني، فخفض السَّوط قائلاً: «تكتب ذهب، ذهب كثير».

قال تيريون: «أوه، ذهب كثير جدًّا. كيس الثُّقود مجرد عينة يا صديقي. إن أخي يرتدي درعًا من الذهب الخالص». في الواقع كانت درع چايمي من الفولاذ المذهب، لكن جحشًا كهذا لن يعرف الفارق أبدًا.

داعب مورد السَّوط بأصابعه مفكرًا، لكنه أذعن في النهاية وذهب لإحضار الورق والجبر، وعندما دوَّن تيريون تعهده على الورقة أخيرًا أخذ السجَّان يرمِّقها بنظرات مرتابة، بينما قال تيريون: «والآن اذهب وبلِّغ رسالتي لسيدتك».

كان يرتجف برِّدًا في نومه عندما جاءوا إليه في ساعة متأخرة من الليل. فتح مورد الباب لكن ظلَّ صامتًا، أمَّا السير فارديس إيجن فقد لكزه بطرف حدائه قائلاً: «استيقظ أيها العفريت، سيِّدتي ترغب في رؤيتك».

فرك تيريون عينيه وارتسمت على وجهه تكشيرة شعر بها بالكاد وهو يقول: «مؤكَّد أنها ترغب في رؤيتي، لكن لماذا تحسب أنني أرغبُ في رؤيتها؟».

عقد السير فارديس حاجبيه. كان تيريون يتذكَّره من السَّنوات التي أمضاها في كينجز لاندنج قائلاً لحرس أهل بيت جون آرن، بوجهه المربَّع وشعره الفضِّي وجسده القوي وافتقاره التَّام لحسِّ الدُّعابة. «رغباتك ليست من شأني. انهض أو سأمرهم بحملك».

نهض تيريون بغير راحةٍ وقال بلهجة بسيطة: «اللَّيلة باردة، والقاعة العالية معرَّضة لتيَّارات الهواء، وأنا لا أرغبُ في الإصابة بالبرد. مورد، أحضِر معطفي إذا سمحت».

حَدَّق السَّجَّانُ فِيهِ بَعِينِينَ تَنْضَحَانِ غِبَاءً، فَكَّرَ تِيرِيونَ: «مَعْطَفِي،
المَعْطَفُ المَصْنُوعُ مِنْ جِلْدِ قِطِّ الظِّلِّ الَّذِي أَخَذْتَهُ لَتَحْتَفِظَ بِهِ لِي،
أَحْضِرْهُ».

قال السير فارديس بضيق: «أَحْضِرِ المَعْطَفَ اللَّعِينُ».

لم يجرؤ مورد على التذمُّر، وإن رمقَ تيريونَ بنظرةٍ كلها وعيد ثم ذهبَ
لإحضار المَعْطَفِ، وعندما وضعه حول كتفي سجينه ابتسمَ تيريونَ قائلاً:
«أشكرك، سأفكرُ فيكَ كلما ارتديته»، ثم ألقى ذيل المَعْطَفِ الطويل على
كتفه لِيَشْمُرَ بالذَّفءِ للمرة الأولى منذ أيام، وقال: «قَدْ الطَّرِيقُ يَا سِيرِ
فارديس».

كانت قاعة عائلة آرَنَ العالية مَتَّقَدَةً بضوء خمسين مشعلًا مَثْبَتَةً فِي
كُؤَاتٍ فِي الجدران، وارتدَّت الليدي لايسا الحرير الأسود الذي طُرِّزَ
القمر والصَّقَر على صدره باللآلئ، وبما أنها لم تبدُ من النَّوع الذي يلتحق
بحرس اللَّيْلِ، فقد خَمَّنَ تيريونَ أنها قرَّرت أن ملابس الجِداد هي الأنسب
للاعتراف، بينما انسدلَ شعرها الكستنائي الطويل في ضفيرة متقنة على
كتفها. كان العرش الكبير خاليًا إِلَّا جوارها، فلا شك أن سيِّدَ "العش"
الصَّغير كان يرتجف الآن في نومه، وهو ما شعرَ تيريونَ بالامتنان له على
الأقل.

انحنى قَدْرَ ما يستطيع واستغرق لحظةً ليتطلَّعَ إلى القاعة من حوله،
فراى أن الليدي آرَنَ استدعتُ فُرسانها وخدمها لسماع اعترافه، تمامًا كما
كان يأمل. رأى وجه السير برايندن تلي الصَّخري ووجه اللورد نستور
رويس العريض، وإلى جوار نستور وقفَ رجل أصغر سِنًا ذو شوارب
سوداء ضخمة لا يُمكن أن يكون غير وريثه السير أَلْبَار. علاوة على هؤلاء
كان هناك ممثلون لمعظم عائلات "الوادي" الكبيرة، ولاحظَ تيريونَ السير
لين كوربراي الرِّفيع كسيف، واللورد هتتر بقدميه المصابتين بالنَّقرس،
والليدي الأرملة واينوود المحاطة بأولادها؛ بينما وضعَ آخرون رموزًا لا
يعرفها تراوحت بين الرُّمَحِ المكسور والأفعى الخضراء والبُرَجِ المحترق

وكأس الزهرة المجنّح. وبين سادة "الوادي" كان كثيرون من رفقته على الطريق العالي، السير رودريك كاسل الذي ما زال تُعاني ملامحه الشحوب من جروحه التي لم تندمل بالكامل بعد، وإلى جواره السير ويليس وورد وماريليون المغني الذي يبدو أنه عثرَ على قيثارة خشبيّة جديدة. ابتسم تيريون، فمهما حدثَ هنا الليلة فهو لا يُريده أن يبقى سرّاً، ولا أحد كالمغنيين بإمكانه نشر القصة في كلِّ حذبٍ وصوب.

في مؤخرة القاعة استندَ برون بترأخٍ إلى أحد الأعمدة الرُخاميّة، وكانت عينا المُحارب غير النظامي السّوداوان مُبْتَتِنِ على تيريون، بينما استندت يده بخفّة إلى مقبض سيفه، ورمقه تيريون بنظرة طويلة متسائلة. كانت كاتلين ستارك أولى المتكلّمين، وقالت: «بلغنا أنك تُريد الاعتراف بجرائمك».

أجاب تيريون: «هذا صحيح يا سيّدتي».

ابتسمت لايسا آرن قائلة لأختها: «دائمًا ما تكسرهم زنازين السّماء. الآلهة تراهم هناك، حيث لا توجد ظلمة تخفيهم».

قالت الليدي كاتلين: «إنه لا يبدو مكسورًا لي».

لم تُعرها لايسا اهتمامًا، وقالت لتيريون امرأة: «قل ما لديك».

والآن تُلقني النّرد، فكّر رامقًا برون بنظرة أخرى سريعة. «من أين أبدأ؟ إنني رجل صغير أتم، أعترف بهذا، وجرائمي وخطاياي لا تُحصى أيها السّادة والسّيّدات. لقد ضاجعتُ العاهرات، ليس مرّة بل مئات المرّات، وتمنيتُ موت السيّد والدي، وأختي كذلك، ملكتنا العزيزة». أطلق أحدهم ضحكة من ورائه، بينما تابع هو: «لم أعامل خدمي بلطفٍ دائمًا، كما أنني قامرتُ ويُخجلني الإقرار بهذا، وقلتُ أشياء قاسيةً مهينةً كثيرةً عن سادة وسيّدات البلاط الكرام». أثارَ هذا المزيد من الضّحك، لكنه لم يتوقّف وواصل: «ثم إنني...».

- «صمّا!». كان وجه لايسا آرن محتقنًا تمامًا وهي تقول: «ماذا نظنُّ نفسك فاعلاً أيها القزم؟».

مالَ تيريون برأسه إلى الجانب مجيبًا: «أعترف بجرائمي يا سيّدي». تقدّمت كاتلين ستارك قائلة: «أنت متّهم بإرسال قاتل مأجور لقتل ابني في فراشه، وبالتّأمر على اغتيال اللورد جون آرِن يد المَلِك». هَزَّ تيريون كتفيه كمن لا حيلة له وقال: «أخشى أنني لا أستطيع الاعتراف بارتكاب هذين الجريمتين، فلستُ أعرفُ شيئًا عن قتلِ أو اغتيال».

نهَضَت لايسا آرِن من على عَرشها المصنوع من خشب شجر الويروود قائلة: «لن أسمح لك بالسُّخرية مني. ها قد نلت مزحتك الصّغيرة أيها العِفريت، وأتمنى أن تكون قد استمتعت بها. سير فارديس، أعده إلى الحبس، لكن جد له زنّانة أصغر هذه المرّة، وذات أرضيّة أكثر انحذارًا». - «أهكذا تُطبّق العدالة في "الوادي"؟»، صاحَ تيريون بصوتٍ مدوّ حتى أن السير فارديس تجمّد في مكانه للحظة. «هل تنتهي حدود الشّرف عند البوابة الدّامية؟ تتهمونني بعددٍ من الجرائم وأنكرها، فترجّون بي في زنّانة مفتوحة لأنجمّد وأنصوّر جوعًا؟»، ورفع رأسه ليروا جميعهم الكدمات التي تركها مورد على وجهه مواصلاً: «أين عدالة المَلِك؟ أليست "العُش" جزءًا من المَمالِك السّبع؟ إنا متّهم كما تقولون. ليكن إذن، إنني أطالبُ بمحاكمة! دعوني أتكلّم، دعوا صِحّة كلامي من عدمها تتقرّر على المَلأ وعلى مرأى من الآلهة والبشر».

ملأت همهمة خافطة القاعة العالية، وعرفَ تيريون أنه نالَ منها. إنه من النّبلاء، ابن أقوى لورد في البلاد كلها وأخو المَلِكة نفسها، وليس من الممكن حرمانه من المحاكمة. تحرّك الحرس ذوو المعاطف الزّرقاء السّماويّة نحو تيريون، لكن السير فارديس أشارَ لهم بالتوقّف ورفع عينيه إلى الليدي لايسا.

على شفّيتها ارتعشت ابتسامة شرسة وهي تقول: «إذا حوكت ووجدت مدانًا بالجرائم محلّ الاتّهام، فبقانون المَلِك نفسه ستدفع حياتك ثمناً. ليس لدينا جلاّدون في هذه القلعة أيها اللورد لانستر، لكن

ثُمَّ وسائل أخرى للإعدام. افتحوا باب القمر».

انزاح الحضور ليكشفوا عن باب ضيقٍ من خشب شجر الويروود يقف بين عمودين رفيعين من الرُخام، وقد حُفِرَ هلال في خشبه الأبيض، وتراجع الواقفون بالقرب منه أكثر وقد تقدّم حارسان، رفع أحدهما القضيب البرونزي الثقيل وجذب الآخر الباب إلى الداخل، وفي لحظات ارتفع معطفاهما الأزرقان يُرفرفان بعنفٍ من على أكتافهما من جرّاء هبة الرّيح المفاجئة التي جاءت عاويةً من الخارج، ووراء الباب لم يكن هناك غير سماء الليل الخاوية التي رصّعتها نجوم باردة لا تكثرث بما يجري على الأرض.

- «تطلّع إلى عدالة المَلِك»، قالت لايسا آرن ولهب المشاعل يخفق كالأعلام على الجدران وقد انطفأ بعضها بالفعل.

قالت كاتلين ستارك والرياح السوداء تدور في دوّاماتٍ في القاعة: «لايسا، لا اعتقدُ أن هذا تصرفٌ حكيم».

تجاهلنها أختها قائلة: «تريد محاكمةً يا لورد لانستر؟ ليكن، ستنال المحاكمة. سيُصغي ابني لكلّ ما لديك لتقوله وستسمع حُكمه عليك، ثم ستغادر... من باب أو آخر».

بدت مسرورةً للغاية بنفسها، الشّيء الذي لم يُثير عجب نيريون، فأثّى بمحاكمةٍ أن تُهدّدها وابنها الضّعيف السَّقِيم هو القاضي؟ رمق نيريون باب القمر وتردّدت في عقله كلمات الصّبي: أمي، أريده أن يطير! كم رجلاً أرسله الأبله الصّغير ذو الأنف المليء بالمخاط من هذا الباب بالفعل؟ قال نيريون بأدب: «أشكرك يا سيّدتي، لكنني لا أرى داعياً لإزعاج اللورد روبرت. الآلهة تعرف حقيقة برائتي، وسأقبل بحُكمها هي وليس حُكم البَشَر. إنني أطلبُ بمحاكمةٍ بالنّزال».

تفجّرت عاصفة قويّة من الضّحك لتُفجّم أرجاء القاعة العالية، وأطلق اللورد نستور رويس نخيراً ساخراً بينما قهقهة السير ويليس والسير لين كوربراي، وألقى الآخرون رؤوسهم إلى الوراء وأطلقوا ضحكاتٍ

كالنَّباحِ حتَّى دَمَعَتْ عَيُونُهُمْ. ضَرَبَ مَارِيلْيُونُ أوتارَ قِيثَارَتِهِ الجَدِيدَةِ بِنَغْمَةٍ مَرَحَةٍ بِأَصَابِعِ يَدِهِ المَكْسُورَةِ، وَحتَّى الرِّيحُ بَدَتْ كَأَنَّهَا تُصَفِّرُ مَتَهَكِّمَةً وَهِيَ تَتَدَفَّقُ مِنْ بَابِ القَمَرِ. أَمَّا لَيسَا أَرْنُ فَقَدْ بَدَتْ نَظْرَةُ غَيْرِ واثِقَةٍ فِي عَيْنَيْهَا الزَّرَقَاوِينَ الدَّامَعَتَيْنِ إِذْ بَاغَتْهَا قَوْلُهُ، وَرَدَّتْ: «لَكَ هَذَا الحَقُّ بِكُلِّ تَأْكِيدٍ».

تَقَدَّمَ الفَارِسُ الشَّابُّ ذُو الأَفْعَى الخَضِرَاءِ المَطْرُزَةِ عَلَى سُتْرَتِهِ، وَجَثَا عَلَى رُكْبَةٍ وَاحِدَةٍ قَائِلًا: «سَيِّدَتِي، أَلْتَمَسُ إِنْعَامَكَ عَلَيَّ بِأَنْ أَكُونَ نَصِيرَكَ». قَالَ اللُّورْدُ هَنَتَرُ: «يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَذَا الشَّرَفُ لِي. بِحَقِّ حُبِّي لَزَوْجِكَ الرَّاحِلِ، دَعِينِي أَنْتَقِمُ لِمَوْتِهِ».

وَقَالَ اللُّورْدُ أَلْبَارُ رُويسَ بِصَوْتٍ مَدُودٍ: «لَقَدْ خَدَمَ أَبِي اللُّورْدُ چُونُ بِإِخْلَاصٍ كَوَكِيلٍ "الْوَادِي" الأَعْلَى، فَاسْمَحِي لِي بِأَنْ أَخْدُمَ ابْنَهُ فِي هَذَا». تَكَلَّمَ اللُّورْدُ لِينُ كُورْبِرَايَ بِدَوْرِهِ قَائِلًا: «الْأَلَهَةُ تَنْصُرُ صَاحِبَ القَضِيَّةِ العَادِلَةِ، لَكِنْ كَثِيرًا مَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ هَذَا هُوَ صَاحِبُ السَّيْفِ الأَقْوَى، وَكَلْنَا نَعْرِفُ مَنْ يَكُونُ هَذَا»، وَابْتَسَمَ بِتَوَاضُعٍ.

فِي آنٍ وَاحِدٍ تَكَلَّمَ عَشْرَةٌ مِنَ الآخَرِينَ مُحَاوِلِينَ أَنْ تُسْمَعَ أَصْوَاتُهُمْ، وَوَجَدَ تِيرِيُونُ أَنَّ مِنَ المَنْفَرِّ حَقًّا أَنْ يَرَى كُلَّ هَؤُلَاءِ الأَغْرَابِ الَّذِينَ يَرِغْبُونَ فِي قَتْلِهِ بِكُلِّ هَذِهِ الحَرَارَةِ. لَعَلَّ خُطَّتَهُ لَمْ تَكُنْ بِهَذَا الذِّكَااءِ رَغْمَ كُلِّ شَيْءٍ. رَفَعَتْ اللَّيْذِي لَيسَا يَدَهَا لِتُسَكِّتَهُمْ، ثُمَّ قَالَتْ: «أَشْكُرُكُمْ أَيُّهَا السَّادَةُ، كَمَا أَعْرِفُ أَنَّ ابْنِي كَانَ لَيَشْكُرُكُمْ لَوْ كَانَ بَيْنَنَا الآنَ. لَيْسَ هُنَاكَ رِجَالٌ مُخْلِصُونَ شُجْعَانٌ فِي المَمَالِكِ السَّعِ كُلِّهَا كَفَرَسَانَ وَادِي أَرْنُ، وَأَتَمَنَّى لَوْ أَنَّ بَاسِطَاعَتِي مَنَحَكُمْ جَمِيعًا هَذَا الشَّرَفَ، لَكِنِّي أَسْتَطِيعُ اخْتِيَارَ وَاحِدٍ فَقَطْ مِنْكُمْ»، ثُمَّ أَشَارَتْ قَائِلَةً: «سِيرُ فَارْدِيسَ، لَطَالَمَا كُنْتُ ذِرَاعَ السَّيِّدِ زَوْجِي اليُمْنَى. سَتَكُونُ أَنْتِ نَصِيرَنَا».

كَانَ السَّيْرُ فَارْدِيسَ قَدْ بَقِيَ صَامِتًا طَوَالَ هَذِهِ الجَلْبَةِ، لَكِنَّهُ قَالَ بِتَجَهُّمٍ وَهُوَ يَرْكَعُ عَلَى رُكْبَتِهِ: «سَيِّدَتِي، أَرْجُو أَنْ تُكَلِّفَنِي غَيْرِي بِهَذَا العَبِّ»، فَلَيْسَتْ لَدَيْ رَغْبَةٍ فِيهِ. الرَّجُلُ لَيْسَ بِمُحَارِبٍ. انْظُرِي إِلَيْهِ، إِنَّهُ قَرَمَ فِي

نصف حجمي وذو ساقين عاجزتين. سيكون من العار أن أقتل رجلًا كهذا وأقول إنها عدالة».

فكر تيريون: أوه، رائع، وقال: «اتَّفَقْ معه».

رمقته لايسا بحدّة قاتلة: «لقد طالبت بمحاكمة بالنزال».

- «والآن أطلبُ بنصيرٍ مثلك بالضبط، وأعرفُ أن أخي چايمي سيقبل بالدور بكل سرور».

صاحت لايسا: «قاتِلِ المَلِك على بُعد مئة فرسخ من هنا».

- «أرسلني طائرًا إليه. سيسرُّني أن أنتظر وصوله».

- «ستواجه السير فارديس غدًا».

قال تيريون ملتفتًا إلى ماريليون: «أيها المغني، عندما تؤلِّف أغنيةً عن هذه، لا تنسَ أن تقول فيها إن الليدي آرن حرمت القزم من حقّ النصير، ووضعته في مواجهة أفضل فُرسانها عاجزًا مصابًا يتواثب على قدميه».

هتفت لايسا آرن بصوتٍ بلغ ذروة الشَّخَط: «لم أحرمك من شيء! اختر نصيرك أيها العفريت إذا كنت تحسب أنك ستجد من هو مستعدٌّ للموت من أجلك».

- «إذا لم يكن هناك فارِق لديك، فأفضِّل أن أجد واحدًا يقتل من أجلي»، وتطلع تيريون حوله في القاعة لكن أحدًا لم يتحرَّك، وللحظةٍ دامت دهرًا تساءل إن كان قد ارتكب خطأ فادحًا.

ثم تحرَّك أحدهم في مؤخرة القاعة، وسمع برون يصيح: «أنا... سأكون أنا نصير القزم».



إدارد

نائماً كان، يُراوده حُلُمٌ قديمٌ فيه ثلاثةُ فرسانٍ في معاطفٍ بيضاء، وبرجٍ منهاوٍ منذ دهر، وليانا في فراشها الدَّامي.

في حُلُمه كان أصدقاؤه القُدَّامى معه على متن جيادهم، تماماً كما كانوا في حياتهم... مارتن كاسل الجليل أبو چوري، ثيو وول المُخلص، إيثان جلوفر الذي كان تابع براندون، السير مارك ريزول ذو اللسان اللَّبِق والقلب الحاني، هولاند ريد رجل المستنقعات، اللورد داستن على فحلّه الأحمر الكبير. من قبل كان ند يعرف وجوههم عن ظَهر قلبٍ تماماً كما يعرف وجهه في المرأة، لكن السنين تلتهم ذكريات البشر التهاماً، حتى وإن أقسموا أنهم لن ينسوا أبداً. في حُلُمه كان أصدقاؤه ظلالاً، أطباقاً من دُخانٍ تمتطي خيولاً من ضباب.

كانوا سبعةً في مواجهة ثلاثة، في الحُلُم كما في الواقع، لكنهم لم يكونوا أيّ ثلاثة. كانوا واقفين أمام البرج المستدير، معاطفهم تخفق في الرِّيح ومن ورائهم تلوح جبال دورن الحمراء، ولم يكونوا ظلالاً كذلك، بل ظهرت ملامحهم له بمنتهى الوضوح. على شفطي السير آرثر دابن سيف الصَّبَّاح ارتسمت ابتسامة حزينة، ومن وراء كتفه اليُمْنى برزَ غمد سيفه العظيم المسمَّى "فَجْر"، بينما ركع السير أوزويل ونّت على رُكبةٍ واحدةٍ يشحذ سيفه على مِسَنٍّ وقد بسطَ وطواط عائلته الأسود جناحيه على خوذته المصقولة بالأبيض، وبينهما وقفَ السير

جيرولد هياتاور، الشَّيخ القوي الملقَّب بالثَّور الأبيض، حضرة قائد الحرس المَلَكِي.

قال ند لهم: «بحثتُ عنكم يوم الثَّالوث».

أجابَه السير جيرولد: «لم نكن هناك».

وقال السير أوزويل: «ويل للمُغتَصِب لو كنا هناك».

- «حين سقطتُ كينجز لاندنيج، ذبحَ زميلكم السير چايمي مَلِككم بسيفٍ ذهبي، وتساءلتُ أين كنتم».

قال السير جيرولد: «بعيداً، وإلاً لكان إيرس ما زال يجلس على العرش الحديدي، بينما يحترق أخونا الخائن في الجحائم السَّبع».

قال لهم ند: «لقد ذهبْتُ إلى ستورمز إند لأرفع عنها الحصار، وخفضَ اللوردان تايرل وردواين راياتهم، روكعَ جميع فرسانهم أماناً ليتعهَّدوا بولائهم. كنتُ متأكِّداً أنكم موجودون بينهم».

قال السير آرثر داين: «إننا لا ننحني بهذه البساطة».

- «السير ويلم داري لا ذبالفرار إلى دراجونستون مع مَلِككم والأمير فسيرس، وحسبُ أنكم ربما أبخرتم معهم».

قال السير أوزويل: «السير ويلم رجل صالح ومُخلص».

علَّق السير جيرولد: «وإن لم يكن من فرسان الحرس المَلَكِي، هؤلاء لا يفرون».

- «وقتها أو الآن»، قال السير آرثر وهو يضع خوذته على رأسه.

وقال السير جيرولد: «لقد أخذنا على أنفسنا عهداً».

تقدَّمت أطياف ند لتقف إلى جواره وسيوفها الأثيرة في أيديها، سبعة في مواجهة ثلاثة.

- «والآن يبدأ القتال»، قال سيف الصَّباح السير آرثر داين واستلَّ

"فجر" من غِمدِه وحمله بكلتا يديه، لِيَسْقُطَ عليه النُّور وتذبُّب فيه الألوان كأنه مصنوع من الرُّجاج الشَّفَاف.

غمغمَ ند بحُزن: «كلا، الآن ينتهي». وإذ التحموا في حومةٍ من الفولاذ والظلال سمعَ ليانا تصرُّخ: «إدارد! إدارد!»، وتفجَّرت عاصفة من بتلات الورود في السَّماء المصطبغة بلون الدَّم، زرقاء داكنة كعيني الموت ذاته. وناذت ليانا من جديد: «لورد إدارد».

- «أعدك»، همسَ. «أعدك يا ليا...».

- «لورد إدارد».

كان مصدر الصَّوت رجل في الظَّلام، وفتحَ إدارد ستارك عينيه متأوِّهاً ليجد نور القمر يسري من نوافذ بُرج اليَد الطويلة. ردَّد الظِّل الواقف عند الفراش: «لورد إدارد».

- «كم... كم مرَّ من الوقت؟». كانت الأغنية متشابكةً وساقه مجبرةً بالجِيس، وشعرَ بألم خفيفٍ يعتمل في جانبه.

- «ستَّة أيام وسبع ليالٍ»، أجابَ وكيله فايون پول ووضعَ كوباً عند شفتي ند قائلاً: «اشرب يا سيدي».

- «ما هذا؟».

- «ماء. المايترس پايسل قال إنك ظمآن لا بُدَّ».

شربَ ند وبلَّل شفتيه الجافَّتين المتشقَّقتين، وكان للماء مذاق الشَّهد في فمه.

قال فايون پول عندما فرغَ الكوب: «المَلِك تركَ أوامر، ويرغب في التحدُّث معك يا سيدي».

أجابَ ند: «غداً، عندما أكونُ أقوى». لم يكن يقوى على مواجهة روبرت الآن، فقد تركه الحُلم ضعيفاً كهرةً وليدة.

قال پول شاغلاً نفسه برفع شمعةٍ من جوار الفراش: «سيدي، لقد أمرنا بأن تُرسلك إليه بمجرد أن تفتح عينيك».

أطلقَ ند سُبَّة خافتة. لم يُعرف روبرت قطُّ بتحليِّه بفضيلة الصَّبْر. «قُلْ له إنني أشعرُ بضعفٍ شديد ولا أقوى على الدَّهاب إليه، وسيسرُّني أن

أستقبله هنا إذا كان يُريد الكلام معي. أتمنى أن توظفه من نوم عميق! واستدع... (كان على وشك أن يقول چوري عندما تذكر)... استدع قائد الحرس».

بعد دقائق قليلة من ذهاب الوكيل دلفَ آلين إلى غرفة النوم قائلاً: «سيدي».

قال ند: «هول يقول إن ستة أيام كاملة قد مرّت. أريد أن أعرف مجريات الأمور الآن».

أجابَه آلين: «قاتل الملك فرّ من المدينة، ويقولون إنه عادَ إلى كاسترلي روك لينضمّ إلى أبيه، وقصّة قبض الليدي كاتلين على العفريت على كل لسان الآن. لقد وضعتُ حُرّاساً إضافيين بعد إذنك».

قال ند: «لا بأس. وماذا عن ابنتي؟».

- «كانتا إلى جوارك كلّ يوم يا سيدي. سانزا تُصلي من أجلك، لكن آريا...»، وتردّد لحظة قبل أن يُتابع: «آريا لم تقل كلمة واحدة منذ عادوا بك. إنها فتاة صغيرة قويّة يا سيدي، ولم يسبق لي أن رأيت غضباً كهذا في فتاة».

- «أريد أن تبقى ابنتاي في أمانٍ مهما حدث، فأخشى أن هذه هي البداية فقط».

قال آلين: «لن يمسهما ضرّاً يا سيدي، أقسمُ بحياتي على هذا».

- «چوري والآخرين...».

- «سلّمتمهم إلى الأخوات الصّامتات كي يُعدينهم إلى ويتنرفل. چوري كان يرغب في أن يُدفن إلى جوار جدّه».

لا بديل عن رقوده إلى جوار جدّه في الشّمال حقّاً، فمارتن كاسل أبو چوري مدفون بعيداً في الجنّوب وقد هلكَ مع الآخرين. كان ند قد هدمَ البرج بعدها واستخدمَ حجّارته الدّائمة لبناء ثمانية قبورٍ على قمّة الأخدود. قيل إن ريجار تارجارين كان يُسمّيه بُرج البهجة، لكنه كان بالنّسبة لند

ذكرى مفعمة بالمرارة. كانوا سبعة في مواجهة ثلاثة، لكن اثنين منهم فقط بقيا على قيد الحياة، إدارد ستارك نفسه ورجل المستنقعات الصغير هولاند ريد. خطر له أنه ليس من المبشر أن يُراوده ذلك الحلم ثانية بعد كل تلك السنين.

كان ند يقول لألين إنه أبلى بلاءً حسنًا عندما عادَ فايون بول وانحنى قائلاً: «جلالته في الخارج يا سيدي، والمملكة معه».

دفع ند نفسه إلى أعلى ليجلس معتدلاً بعض الشيء وساقه ترتعش ألماً. لم يتوقع أن تأتي سرسي، ولم يرَ في هذا خيراً. «دعهما يدُخلان وانصرف. لا ينبغي أن يخرج ما نقوله عن هذه الجدران».

كان روبرت قد استغرق وقته في ارتداء ثيابه، وقد ارتدى صدره من المخمل الأسود طُرَّزَ على صدرها وعل باراثيون المتوجّ بخيوط من ذهب، ووشاحاً ذهبياً فوق معطفٍ منقوش بالمرَبَّعات السوداء والذهبية. في يده كان إبريق من النِّبذ وقد تورّد وجهه من الإفراط في الشراب بالفعل، ودلّفت سرسي لانستر وراءه وعلى شعرها تاج مرصّع بالجواهر.

قال ند: «جلالة الملك، اعذرني لكنني لا أستطيعُ النهوض».

قال الملك بلهجته الفظة: «لا يهم. أتريد بعض النِّبذ؟ إنه من الكرامة»، قطعة ممتازة ومعتق.

أجاب ند: «كوب صغير، فما زال رأسي ثقيلاً من حليب الخشخاش».

قالت الملكة: «على رجلٍ في مكانك أن يعدّ نفسه محظوظاً لأن رأسه لا يزال على كتفيه».

قال روبرت بحدّة: «صمتاً يا امرأة»، ثم ناولَ الكوب لند قائلاً: «أما زالت ساقك تؤلمك؟».

غمغم ند: «بعض الشيء». كان رأسه يدور، لكنه لن يسمح بإبداء ضَعفه أمام الملكة.

قال روبرت مقطّباً جبينه: «پايسل يُقسِم أنها ستُشفى تماماً. اعتقد أنك تعلم ما فعلته كاتلين، أليس كذلك؟».

أخذَ ند رشفةً من النَّيذ وأجاب: «بلى، لكن لا ملامة على زوجتي يا جلالة المَلِك، فهي لم تفعل شيئاً دون أوامر مني».

دمدمَ روبرت: «لستُ راضياً عن هذا يا ند».

وقالت سرسي: «بأيّ حقّ تجرؤ على المساس بدمي؟ من تحسب نفسك؟».

- «يَد المَلِك»، أجابها ند بتهذيب بارد. «مُكَلَّف من السيّد زوجك بالحفاظ على سلام المَلِك وتطبيق عدالته».

ردّت سرسي: «كنت اليَد، أمّا الآن فأنت...».

هدرَ المَلِك مقاطعاً إياها: «صمتاً! لقد أُلقيت السُّؤال وأجابك عليه».

تراجعت سرسي صامتةً بغضب بارد، بينما التفتَ زوجها إلى ند قائلاً: «تقول إنك تُحافظ على سلام المَلِك. أهكذا تُحافظ على سلامي يا ند؟ هناك سبعة رجال موتى».

صحّحت المَلِكة: «ثمانية. تريجار ماتَ هذا الصّباح من جرّاء الضّربة التي نالها من اللورد ستارك».

قال المَلِك: «اختطاف على طريق الملوك ومذبحة في شوارعِي. لن أسمح بهذا يا ند».

- «كاتلين لديها سبب وجيه لأخذ العِفريت و...».

- «قلتُ إنني لن أسمح بهذا! فلتذهب أسبابها إلى الجحيم! ستأمرها بإطلاق سراح القزم في الحال، وستتصالح مع چايمي».

- «ثلاثة من رجالي ذُبِحوا أمام عينيّ لأن چايمي لانستر رغبَ في توبيخي! هل تُريدني أن أنسى هذا؟».

قالت سرسي للمَلِك: «لم يكن أخي البادئ. اللورد ستارك كان ثملاً

في طريق العودة من ماخور عندما هاجم رجاله چايمي وخرسه، تمامًا كما هاجمت زوجته تيريون على طريق الملوك».

قال ند: «أنت تعرفني أفضل من هذا يا روبرت. سل اللورد بايلش إذا كنت ترتاب في كلامي، فقد كان حاضراً».

أجاب روبرت: «لقد تكلمت مع الإصبع الصغير، ويدعي أنه ذهب لإحضار المعاطف الذهبية قبل بدء القتال، لكنه أكد أنك كنت عائداً من بيت دعارية ما».

- «بيت دعارية ما؟ تباً لك يا روبرت، افتح عينيك! لقد ذهبتُ إلى هناك لألقي نظرة على ابنتك! سمّتها أمها بارا. إنها تُشبه أول فتاة أنجبتها، حين كنا صبيين معاً في "الوادي"». كان يُراقب الملكة وهو يتكلم، لكن وجهها اكتسى بقناع جامد لا يُفصح عن شيء.

احتقن وجه روبرت ودمدم: «بارا؟ أمن المفترض أن يسرني هذا؟ تباً لتلك الفتاة، كنتُ أحسبها أعقل من هذا!!».

قال ند بحق: «إنها في الخامسة عشر من العمر على الأكثر، وعاهرة، وأنت حسبت أنها تملك عقلاً؟». كانت ساقه قد بدأت تُؤلمه بشدة وبات من الصعب أن يُحافظ على أعصابه. «الفتاة الحمقاء واقعة في غرامك يا روبرت».

رمق الملك سرسي بنظرة جانبية قائلاً: «هذا الكلام لا يليق بمسامع الملكة».

قال ند: «لن يروق لجلالتها أي شيء أقوله. لقد أخبروني أن قاتل الملك قد هرب من المدينة، فاسمح لي أن أعيده ليمثل أمام العدالة».

دور الملك النبذ في كوبه مفكراً، ثم رشف منه وقال: «لا، لا أريد المزيد من هذا. چايمي قتل ثلاثة من رجالك وأنت قتلت خمسة من رجاله، وسيتهي كل هذا الآن».

صاح ند مغضبًا: «أهذه فكرتك عن العدالة؟ يُسعدني أنني لم أعد يذك إذن».

نظرت الملكة إلى زوجها قائلة: «لو تجرأ أحدهم على مخاطبة تارجارين كما خاطبك، لـ...».

قاطعها روبرت: «أتظنني الملك المجنون؟».

- «أراك ملكًا. چايمي وتيريون أخواك بحكم كل شرائع الزواج والروابط التي بيننا، وآل ستارك طردوا أحدهما واختطفوا الثاني. هذا الرجل يهين شرفك مع كل نفس يدخل صدره، لكن ها أنت ذا تقف خائفاً، تسأله إن كانت ساقه تؤلمه وإن كان يرغب في بعض النبيذ».

اربد وجه روبرت غضبًا وقال: «كم مرة ينبغي أن أقول لك أن تصوني لسانك يا امرأة؟».

كان وجه سرسي مثالا للاحتقار وهي تقول: «يا لها من مهزلة تلك التي أوقعتنا الآلهة فيها! المفترض أن ترتدي أنت التنورة وأنا الدرع!».

تفجرت ثورة الملك وهوى بضربة عنيفة بظاهر يده على جانب وجهها، فتعثرت في المائدة وسقطت، ومع ذلك لم تصرخ سرسي لانستر. تحسست أصابعها الرفيعة وجنتها حيث كانت البشرة الملساء الشاحبة قد بدأت تحمر بالفعل توطئة لأن تغطي الكدمة نصف وجهها بالكامل بحلول الغد، وقالت: «سأرتديها كشارة شرف».

قال روبرت متوعدًا: «ارتديها بصمت إذن ولا شرفتك ثانية»، ثم نادى طالبًا حارسًا فدخل السير مرين ترانت طويل القامة ذو الوجه المتجهم وقد ارتدى معطف الحرس الملكي الأبيض، وقال له الملك: «الملكة متعبة. اصحبها إلى غرفة نومها»، فمد الفارس يده إلى سرسي وساعدها على النهوض ثم قادهما إلى خارج الغرفة دون كلمة واحدة.

عاد روبرت ملء كوبة من إبريق النبيذ وقال: «أترى ما تفعله بي يا ند؟»، ثم جلس محيطًا الكوب بكلتا يديه مُردفًا: «زوجتي المحبة، أم أولادي». كانت غضبته قد خمدت، وفي عينيه رأى ند شيئًا حزينًا خائفًا.

«لم يكن يجدر بي أن أضعها. هذا لم يكن... لم يكن يليق بملك»، ورمق يديه كأنه لا يدري أين هما بالضبط وتابع: «لطالما كنت قويًا، لا أحد كان يستطيع الوقوف أمامي، لا أحد، فكيف تُقاتل أحدًا إذا كنت لا تستطيع أن تضربه؟»، وهزَّ الملك رأسه بحيرة مستطردًا: «ريجار... ريجار عليه اللعنة كان الرّابع. لقد قتله يا ند، غرستُ حربةً عبر تلك الدرع السوداء في قلبه الأسود وسقطَ صريعًا عند قدميَّ، لكنه بشكل ما هو الرّابع. هو لديه ليانا الآن، وأنا لديّ هذه»، وأفرغَ ما تبقى في كوبه دفعةً واحدةً. قال ند ستارك: «جلالة الملك، يجب أن نتكلم».

ضغطَ روبرت صدغيه بأصابعه قائلاً: «سئمتُ الكلام حتى الموت. غدًا سأذهبُ للصيد في غابة الملوك. أيّا كان ما لديك لتقوله يُمكنه الانتظار حتى أعود».

- «ياذن الآلهة لن أكون هنا عندما تعود. لقد أمرتني بالعودة إلى وينترفيل، أتذكر؟».

نهضَ روبرت مُمسِكًا بأحد أعمدة السرير وقال: «نادرًا ما تشاء الآلهة شيئًا يا ند. هاك، هذه لك»، وأخرجَ مشبك اليد الفضي الثقيل من جيب في طيّات معطفه وألقاه إليه قائلاً: «أنت يدي، راقِ لك هذا أم لا عليك اللعنة. إنني أمنعك من المغادرة».

التقطَ ند المشبك الفضي وقد بدا له أن لا خيار لديه، وآلمته ساقه بشدّة وشعرَ بأنه عاجز كطفل رضيع، لكنه قال: «ابنة تارجارين...». أطلقَ الملك آهة ساخطة وقال: «بحقّ الجحائم السبع، لا تبدأ في الكلام عنها من جديد. انتهى الأمر ولن أسمع المزيد».

- «لماذا تُريدني أن أكون يدك بينما تُرفضُ الإصغاء لنصيحتي؟». قال روبرت ضاحكًا: «لماذا؟ ولماذا لا؟ على أحد أن يحكم تلك المملكة الملعونة. ضَعِ الشّارة يا ند، إنها تُلائمك، وإذا ألقيتها في وجهي ثانية، أقسمُ لك أنني سأعطيها لجايمي لانستر».



كاتلين

اصطبغت سماء الشرق بالوردِيّ والذهبي والشمس تَبْرُغ فوق وادي آرن، وشاهدت كاتلين ستارك النور ينتشر وقد أراحت يديها على حاجز النافذة المزِين بالنقوش المنمّقة، وأدناها بدأ العالم يستحيل من الأسود إلى النيلي إلى الأخضر مع زَحْفِ الفجر على الحقول والغابات، بينما تصاعد ضباب أبيض شاحب من دموع أليسا، حيث تتدفق المياه الشّبحيّة من على منكب الجبل وتبدأ رحلتها الطويلة على وجه رُمح العملاق، وشعرت كاتلين بلمسة خفيفة من الرّذاذ على وجهها. شهدت أليسا آرن مصرع زوجها وإخوتها وجميع أبنائها، وإن لم تذرف دموعاً واحدة في حياتها، وعليه قضت الآلهة ألا تعرف طعاماً للراحة حتى ترتوي بدموعها أرض "الوادي" السوداء، حيث استقرّ الرّجال الذين أحبّتهم في مرقدهم الأخير. كانت أليسا ميتة منذ ستة آلاف عام كاملة، ومع ذلك لم تَبْلُغ قطرة وحيدة من الوايل المنهمر بلا انقطاع أرض الوادي البعيدة في الأسفل قَطُّ. لبرهة تساءلت كاتلين عن حجم الشلال الذي ستصنعه دموعها عندما تموت، ثم التفتت قائلة: «أخبرني بالبقية».

أجاب السير رودريك كاسل الواقف وراءها في الغرفة: «قاتل الملك يحشد جيشاً في كاسترلي روك، وأخوك بعث رسالة يقول فيها إنه أرسل خيالة إلى "الصخرة" مطالباً أن يُعلن اللورد تاويون عن نيّاته، وإن لم يتلق منه ردّاً. كذلك أمر إدميور اللوردين فانس وپاير بحراسة الممرّ الواقع

قبل قلعة النَّاب الذَّهبي ويتعهَّد بعدم التخلِّي عن شبرٍ واحدٍ من أرض تلي قبل أن يرويهما بدماء لانستر أولًا».

أدارت كاتلين ظهرها للشُّروق، فجماله لم يُفلح في تحسين مزاجها المتعكِّر كثيرًا، وبدا لها من غير العدل أن يبدأ اليوم بفجرٍ صافٍ كهذا وينتهي النِّهاية الكريهة التي تتوقَّعها. قالت: «إدميور أرسل خيالك وتقدِّم بتعهُّداته، لكن إدميور ليس سيِّد ريفرَن. ماذا عن أبي؟».

- «لم يرد ذِكر للورد هوستر في الرِّسالة يا سيِّدتي»، قال السير رودريك وهو يجذب شواربه التي نبتت من جديد ببياض الثلج وكثاثة شجيرة خشنة أثناء تعافيه من جروحه، وها هو قد عادَ يبدو أقرب إلى نفسه مرَّةً أخرى.

قالت بقلق: «لم يكن أبي ليُسَلِّم الدِّفاع عن ريفرَن إلى إدميور ما لم يكن مريضًا للغاية. كان ينبغي أن توقظوني بمجرد وصول الغُدا».

- «السَّيدة أختك قالت إن من الأفضل أن تُتركِ تنامين، كما أخبرني المايستر كولمون».

كرَّرت بإصرار: «كان ينبغي أن توقظوني».

- «المايستر يقول لي إن أختك تنوي الكلام معكِ بعد النَّزال».

قالت عابسة: «أما زالت تنوي المضيَّ في تلك التمثيلية الهزليَّة؟ لقد تلاعبَ القزم بها كالمزامير، وهي مُصمَّمةٌ على عدم الإصغاء للحن النَّشاز. كيفما ينتهي هذا اليوم، كان يجب أن نُغادر منذ فترةٍ يا سير رودريك. إن مكاني في وينترفِل مع أولادي. إذا كنت قويًّا كفايةً لاحتمال السَّفر، سأطلبُ من لايسا أن تُرسل معنا فرقة حراسةٍ حتى جولتاون، ويُمكننا أن تستقلَّ سفينةً من هناك».

- «سفينةٌ أخرى؟». بدا السير رودريك مصابًا بالغثيان بعض الشيء،

لكنه سيطرَ على نفسه ولم يرتجف. «كما تأمرين يا سيِّدتي».

انتظرَ الفارس المُسنُّ خارج بابها بينما استدعت كاتلين الخادِمات

اللاتي خَصَّصْتِهِنَّ أَخْتَهَا لَهَا، وَفَكَّرَتْ وَهِنَّ يَضَعْنَ ثِيَابَهَا عَلَيْهَا أَنِهَا إِذَا نَكَلَّمْتُ مَعَ لَايسَا قَبْلَ التَّزَالِ فَمَنْ الْجَائِزُ أَنْ تَنْجَحَ فِي تَغْيِيرِ رَأْيِهَا، فَسِيَاسَاتِ لَايسَا تَتَبَدَّلُ مَعَ مَزَاجِهَا، وَمَزَاجُهَا يَتَبَدَّلُ كُلُّ سَاعَةٍ. الْفَتَاةُ الْخَجُولُ الَّتِي عَرَفْتُهَا فِي رِيْفَرَرْنَ كَبُرَتْ وَغَدَتْ امْرَأَةً يَتَنَآوَبُ عَلَيْهَا الْغُرُورُ وَالْقَسْوَةُ وَالْخَوْفُ وَالشَّاعَرِيَّةُ وَالتَّهَوُّرُ وَالْجُبْنَ وَالْعِنَادُ وَالْغَطْرَسَةُ، وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ آخَرَ تَقْلُبُ الْمَزَاجَ.

عِنْدَمَا جَاءَ ذَلِكَ السَّجَّانُ الْأَبْلَهُ الْقَبِيحَ إِلَيْهِمَا زَاحِفًا لِيَقُولَ إِنَّ تِيرِيُونَ لَا نَسْتَرِ يَرْغَبُ فِي الْاعْتِرَافِ، نَاشَدَتْ كَاتَلِينَ أَخْتَهَا أَنْ يَأْتُوا بِالْقَزْمِ إِلَيْهِمَا عَلَى انْفِرَادٍ، لَكِنْ لَا، كَانَ لَا بُدَّ أَنْ تَجْعَلَ مِنْهُ مَسْرَحِيَّةً أَمَامَ نِصْفِ "الْوَادِي"؛ وَالْآنَ هَذَا...

- «لَا نَسْتَرِ سَجِينِي أَنَا»، قَالَتْ لِلْسِيرِ رُودْرِيكٍ وَهِيَ يَنْزِلَانِ دَرَجَاتِ الْبُرْجِ وَيَشْقُقَانِ طَرِيقَهُمَا عِبْرَ قَاعَاتِ "الْعُشِّ" الْبَيْضَاءِ الْبَارِدَةِ، وَقَدْ ارْتَدَّتْ كَاتَلِينَ ثِيَابًا بَسِيطَةً مِنَ الصُّوفِ الرَّمَادِيِّ وَحِزَامًا مَقْضَصًا. «مِنَ الضَّرُورِيِّ تَذْكِيرُ أَخْتِي بِهَذَا».

وَجَدَا عَمَّاهُ يَنْدَفِعُ سَاحِطًا مِنْ بَابِ مَسْكَنِ لَايسَا، وَلَمَّا رَأَاهَا قَالَ لَهَا مُحْتَدًّا: «هَلْ تَتَوَيْنِ الْإِشْتِرَاقَ فِي مَهْرَجَانِ الْحِمَاقَةِ هَذَا؟ كُنْتُ لَأَقُولَ لَكَ أَنْ تَصْفَعِي أَخْتِكَ قَلِيلًا كَيْ يَرْتَدَّ إِلَيْهَا عَقْلُهَا لَوْ حَسِبْتُ أَنَّ هُنَاكَ طَائِلًا مِنْ هَذَا، لَكِنَّا سَتُؤَلِّمِينَ يَدَكَ لَا أَكْثَرَ».

قَالَتْ كَاتَلِينَ: «لَقَدْ جَاءَ طَائِرٌ مِنْ رِيْفَرَرْنَ، رِسَالَةٌ مِنْ إِدْمِيور».

قَالَ: «أَعْرِفُ يَا بُنَيَّتِي». كَانَتْ السَّمَكَةُ السُّودَاءُ الَّتِي تَعْمَلُ بِمَثَابَةِ إِيْزِيمَ لِمُعَظَمِهِ هِيَ التَّنَازُلُ الْوَحِيدُ الَّذِي يُقَدِّمُهُ بَرَايَنْدَن تَلِيَّ عَلَى سَبِيلِ الزَّيْنَةِ. «عَرَفْتُ مَحْتَوَاهَا مِنَ الْمَايَسْتَرِ كُولْمُونِ، وَعِنْدَمَا طُلِبْتُ الْإِذْنُ مِنْ أَخْتِكَ بِأَنْ أَخَذَ أَلْفَ رَجُلٍ مَخْضَرَمٍ وَأَنْطَلِقَ إِلَى رِيْفَرَرْنَ بِأَقْصَى سُرْعَةٍ، أَتَدْرِينَ مَاذَا قَالَتْ؟ "وَادِي آرَنَ لَا يَسْتَطِيعُ الْإِسْتِغْنَاءَ عَنْ أَلْفِ مُحَارِبٍ يَا عَمَّاهُ، وَلَا حَتَّى وَاحِدٍ. أَنْتَ فَارِسُ الْبَوَابَةِ وَمَكَانُكَ هُنَا". هَكَذَا أَجَابَتْنِي!».

تردّدت ضحكة طفوليّة عالية من الباب المفتوح خلفه، فألقى عمّها نظرةً مكفهرّةً من فوق كتفه ثم تابع: «قلتُ لها أن تجد لنفسها فارساً آخر للبّوابة. سمكة سوداء أم لا، أنا ما زلتُ من عائلة تلي، وسأتوجّه إلى ريفرّرن هذا المساء».

لم تتظاهر كاتلين بالدهشة، وقالت: «وحدك؟ أنت تعرف مثلي تمامًا أن فرصة قطعك للطريق العالي بمفردك معدومة. السير رودريك وأنا سنعود إلى ويتترفل. تعال معنا يا عمّا وسأعطيك الألف رجل الذين تحتاجهم. ريفرّرن لن تُحارب وحدها».

فكّر برايندن للحظة ثم أوماً برأسه موافقاً بفتور، وقال: «كما تقولين. إنه الطريق الأطول إلى الدّيار، لكنني سأعودُ على كلّ حال. سأكونُ في انتظارك في الأسفل»، وغادَرَ ماشياً بخطواتٍ واسعةٍ ومعطفه يُرفرف وراءه. تبادلت كاتلين نظرةً مع السير رودريك، ثم دخلا من الباب حيث صوت الضّحكات الطفوليّة العالية.

كان مسكن لايسا يفتح على حديقة صغيرة، دائرة من الثرى والعُشب زُرعت فيها الأزهار الزرقاء وأحاطت بها الأبراج البيضاء الطويلة من كلّ جانب. أقامها البناؤون في البداية كأيكّة آلهة، لكن "العُش" كانت تستقرُّ على صخور الجبل القاسية، ومهما كان كَمُّ التربة الذي يجيئون به من الوادي في الأسفل، فإنهم لم يستطيعوا قطّ أن يجعلوا شجرة ويروود واحدة تغرس جذورها هناك، وهكذا زرع سادة "العُش" أعشاباً بدلاً من هذا، ونثروا تماثيل ومنحوتات بين الشجيرات المزهرة الواطئة. في هذا المكان سوف يلتقي النّصيران كي يضعوا حياتيهما -وحياة تيريون لانستر بالتّالي- بين أيدي الآلهة.

كانت لايسا، التي خرجت منذ قليل من حمّام منعشٍ وارتدت فستاناً من المخمل الأصفر الباهت وطوّقت عنقها الأبيض كالحليب بالياقوت الأزرق واللؤلؤ القمري، جالسةً في الشرفة المطلّة على مسرح النّزال وقد

أحاطَ بها فُرسانها وخدمها وكبار اللوردات وصغارهم. كان معظمهم لا يزال يأمل في الزواج منها ومُضاجعتها وحُكم وادي آرَن إلى جوارها، ومما رأته كاتلين خلال إقامتها في "العُش" كان رأيها أنه أمل كاذب. كانوا قد وضعوا منضّة خشبيّة لترفع مقعد روبرت الصّغير، وجلس سيّد "العُش" يُقَهِّقه ويُصَفِّقُ بينما جعل محرّك دُمَي أَحَدب الظَّهر، يرتدي ثياب مهرج باللّونين الأبيض والأزرق، فارسين خشبيين يُوجَّهان الضّربات والطّعنات أحدهما إلى الآخر. علاوةً على هذا، وُضِعَت أباريق من القشدة الثّخينة وسلال من الثّوت الأسود للحاضرين، الذين احتسوا النّبذ الحلو المعطر بالبرتقال من كؤوس فضيّة مزخرفة. مهرجان للحماقة حقًا كما قال السير برايندن.

تردّدت ضحكات لايسا المرححة في الشّرفة وقد ألقى عليها اللورد هنتر دعابةً ما، والتقطت حبةً من الثّوت من سِنّ خنجر السير لين كوربراي. كان هذان أكثر خاطبين تُفَضِّلُهُما لايسا عن غيرهما... اليوم على الأقل. كانت كاتلين لتجد صعوبةً بالغةً في تحديد أفلّهما ملائمةً لأختها، فاللورد إيون هنتر كان أكبر سنًّا من جون آرَن نفسه وقد جعله النّقرس شبه كسيع، بالإضافة إلى كونه ملعونًا بثلاثة أبناءٍ مُشاكسين كلّ منهم أكثر جشعًا من الآخر. السير لين كوربراي كان صنفًا مختلفًا من السّخافة، فمع أنه رشيّق ووسيم وورث لعائلةٍ قديمةٍ طالها الفقر، إلّا أنه مغرور متهور سريع الغضب كذلك... بالإضافة إلى الهمسات المتبادلة عن سُمعته السيّئة وعدم اكترائه بمفاتن النّساء أصلًا.

رَحَّبَت لايسا بكاتلين لما رأتها بعناقٍ أخويّ وطبعت قُبلةً رطبةً على وجنتها، وقالت: «أليس هذا صباحًا جميلًا؟ الآلهة تبتسم لنا. جرّبي كأسًا من النّبذ يا أختي العزيزة. لقد أرسله اللورد هنتر لنا بكلّ كرمٍ من قبوه».

- «شكرًا، لكن لا. يجب أن نتكلّم يا لايسا».

- «بعد النّزال»، قالت أختها وهي تلتفت بعيدًا عنها بالفعل.

- «الآن!»، ردَّت كاتلين بنبرة أعلى مما أرادت، والتفت بعضهم ينظر إليها. «لايسا، لا يُمكنك أن تمضي قُدماً في هذه الحماقة. ليست هناك قيمة للعِفريت إلَّا وهو حيٌّ، أما ميتٌ فهو مجرد طعام للغِربان، وإذا فاز نصيره هنا...».

- «فرصة حدوث ذلك ضئيلة للغاية يا سيِّدتي»، قال اللورد هنتر مُطمئناً وهو يُربّت على كتفها بيده المعروفة. «السير فارديس فارسٌ قويٌّ محنَّك، ولن يستغرق المُرتزق بين يديه الكثير».

قالت كاتلين ببرود: «فعلاً يا سيِّدي.؟ إنني أرتابُ». لقد رأت برون يُقاتل على الطَّريق العالي، وليست محض مصادفةً أنه نجا من الرِّحلة المحفوفة بالمخاطر بينما سقط الآخرون صرعى. إنه يتحرَّك برشاقة فهد، وذلك السِّيف القبيح الذي يحمله بمثابة جزءٍ من ذراعه نفسها.

كان خُطَّاب لايسا يحتشدون حولهما كالنَّحل حول زهرة، وقال السير مورتون واينود: «النِّساء لا يفهمن تلك الأشياء. السير فارديس فارس يا سيِّدتي العزيزة، أمَّا الآخر فجميع من على شاكلته جبناء. قد يكونون مفيدين في المعركة في وجود آلافٍ من رفاقهم حولهم، لكن دعيهم يُقاتلون وحدهم وستنزُّ الرُّجولة منهم».

أجابَت كاتلين بكياسةٍ أرغمت نفسها عليها حتَّى ألماها فمها: «لنفترض أن ما تقوله صحيح، ما الذي سنجنه من موت القزم؟ هل تتخيَّل أن چايمي سيُّالي مقدار خردلةٍ بأننا أعطينا أخاه محاكمةً قبل أن نُلقيه من فوق الجبل؟».

قال السير لين كوربراي: «لنضرب عُقه، وسيكون هذا تحذيراً لقاتل المَلِك عندما يستلم رأس العِفريت».

هزَّت لايسا رأسها بصبرٍ نافذٍ فاهتَزَّ معه شَعرها الكستنائي الذي يصل إلى خصرها، وقالت كأنها تحسم المسألة: «اللورد روبرت يُريد أن يراه يطير، وعلى العِفريت أن يلوم نفسه فقط، فهو الذي طلبَ محاكمةً بالنِّزال».

وقال اللورد هتتر بلهجة ثقيلة: «الليدي لايسا لم تجد وسيلة شريفة لترفض طلبه، حتى لو كانت تريد هذا».

تجاهلتهم كاتلين جميعاً وركّزت قواها كلها على أختها قائلة: «دعيني أذكرك أن تيريون لانستر سيجيني أنا».

بعصبية قالت لايسا: «ودعيني أذكرك أن القزم قتل زوجي! سمّم يد المَلِك وترك ابني بلا أب، والآن سأراه يدفع الثمن!»، ودارت على عقبيها ليدور ذيل فُستانها الطويل معها وقطعت الشُرْفَة مبتعدة، فاستأذَن السير لين والسير مورتون وبقية الخطّاب بالانصراف بهزّات باردة من رؤوسهم وتحركوا في أعقابها.

سألها السير رودريك بهدوء لمّا صارا وحدهما ثانية: «هل تعتقدين أنه فعلها حقاً؟ أنه قتل جون؟ العفريت ينفي التهمة بمتهى القوة».

أجابَت كاتلين: «ما أعتقد أن آل لانستر اغتالوا اللورد آرن، لكن سواء كان القاتل هو تيريون أو جاجمي أو المَلِكة أو ثلاثهم معاً، فلا أدري حقاً». لقد ذكّرت لايسا سرسي بالاسم في الرّسالة التي أرسلتها إلى ويترفل، لكنها تبدو واثقة إلى أقصى حدّ الآن من أن تيريون هو القاتل... ربما لأن القزم هنا بينما المَلِكة آمنة وراء أسوار القلعة الحمراء على بُعد مئات الفراسخ جنوباً. كادت كاتلين تتمنّى لو أنها أحرقت رسالة أختها قبل أن تقرأ سطورها.

شدّ السير رودريك شواربه قائلاً: «الشّم... قد يكون هذا عمل القزم فعلاً، أو سرسي. يقولون إن الشّم سلاح النساء، لا تؤاخذيني يا سيّدي. أمّا قاتل المَلِك... إنني لا أحبّ الرّجل البتّة، لكنه ليس من هذا النوع. إنه مغرم جدّاً بمنظر الدّماء على سيفه الذهبي. هل قُتل اللورد جون بالشّم بالفعل يا سيّدي؟».

عقدت كاتلين حاجبيها شاعرة بشيء من الارتباك، وقالت: «أنّى لهم أن يجعلوها تبدو كميّة طبيعيّة إذن؟». من ورائها صرخ اللورد روبرت

بفرحة وقد شقَّ واحدٌ من الفارسيين الخشبيين الآخر إلى نصفين مريقاً دمه المصنوع من نُشارة الخشب الحمراء على أرض الشُرفة. رَمَقَتْ ابن أختها بنظرة سريعة وزفرت، ثم قالت: «الصَّبِي بلا أيِّ نظام أو تربية سليمة على الإطلاق، ولن يصير قوياً كفايةً لِيَحْكُمَ ما لم يتعدَّ عن أمه لفترة».

قال صوت قادم من عند مِرْفَقها: «السَيِّد والدكِ كان يتفق معكِ»، فالتفتت لترى المايستر كولمون حاملاً كأساً في يده. «كان ينوي إرسال الصَّبِي إلى دراجونستون لينشأ هناك كما تعلمين... أوه، لكنني أتكلَّمُ من دون وجه حق»، وتحركت تُفَاحَة حَلْقِهِ بعصبية تحت السلسلة المحيطة بعُنُقِهِ. «أخشى أنني احتسيتُ قَدَرًا أكبر من اللازم من نبيذ اللورد هنتر الممتاز هذا، وفكرة إراقة الدِّماء جعلت أعصابي مشدودةً عن آخرها».

قالت كاتلين: «أنت مخطئ أيها المايستر. كانوا ينوون إرساله إلى كاسترلي روك وليس دراجونستون، وهذه الترتيبات تَمَّتْ بعد وفاة اليَدِ دون موافقة أختي».

تحرك رأس المايستر فوق عُنُقِهِ الطويل بحركة عنيفة حتى أنه بدا كدُمِيَّة عن نفسه، وقال: «أستمحك عُدْرًا يا سيِّدتي، لكن اللورد چون هو من...».

قاطعه صوت جرس يدقُّ بصوت عالٍ رَنًّا أسفلهم، وفي آنٍ واحدٍ انصرف اللوردات والخدم على حُدٍّ سواءٍ عما كانوا يفعلونه واتجهوا إلى حاجز الشُرفة، وفي الأسفل اقتادَ حارسان يرتديان الأزرق السماوي تيريون لانستر إلى ساحة النَّزال، ثم قاده سِبتون "العُش" البدين إلى التمثال المُقام في منتصف الحديقة، الذي يُمثِّل امرأةً باكيةً من الرُّخام الأبيض المعروف، لاريب أنها أليسا.

قال اللورد روبرت ضاحكًا: «الرَّجُل الصَّغير الشرير. أمي، هل يُمكنني أن أجعله يطير؟ أريدُ أن أراه يطير».

أجابَت لايسا: «فيما بعد يا صغيري الجميل».

وقال السير لين كوربراى متشدداً: «المحاكمة أولاً، ثم الإعدام».
 بعد لحظات قليلة ظهر النُصيران من جانبي الحديقة المتواجهين،
 الفارس معه مُرافقان صغيران والمُرتزق معه قِيم سلاح "العُش".
 كان السير فارديس إيجن مدرّعا من قمّة رأسه حتى أخمص قدميه،
 فولاذ فوق حلقات معدنيّة وصُدرة مبطّنة، مع واقيات دائريّة كبيرة ملوّنة
 بالأصفر الباهت والأزرق وعليها القمر والصّقر رمز عائلة آرَن تقي
 الوصلات الحسّاسة في صدره وذراعيه، بينما غطّته تنورة من المعدن
 الشّائك من خصره إلى منتصف فخذه، وأحاطَ وافي صُلب بعُنقه وبرزَ
 جناحا صقير من صُدغي خوذته، أمّا مقدّمة الخوذة فكانت عبارة عن منقارٍ
 مدبّب من الحديد به فتحة ضيّقة للرؤية.

من ناحيته كان برون يرتدي درّعا خفيفة للغاية حتى أنه كاد يبدو عاريا
 مقارنةً بالفارس، فلم يكن يرتدي غير قميصٍ من الحلقات المعدنيّة
 السّوداء فوق الجِلد المقوّى بالزّيْت المغلي، وخوذة قصيرة مستديرة من
 الفولاذ ذات وافي للأنف، وقلنسوة من الحلقات المعدنيّة. منحّ الحذاء
 الجِلدي طويل العُنق ذو وافي السّاقين بعض الحماية لساقيه، بالإضافة
 إلى أقراص الحديد الأسود المثبّته بأصابع قُفّازيه. ومع ذلك لاحظت
 كاتلين أن المُرتزق كان أطول قامّة من خصمه ويستطيع تسديد ضرباته
 على مدى أوسع، كما أنه كان يصغر الآخر بخمسة عشر عامّا كاملة إذا
 كان تقديرها سليما.

ركع الاثنان وسط العُشب أمام المرأة الباكية وبينهما تيريون لانستر،
 وأخرج السّبتون كرة بلّوريّة ذات نوءاتٍ مسطّحة من الجراب القُماشى
 المثبّت بجانب معطفه، ورفعها عاليّا فوق رأسه لينكسر عليها الضّوء إلى
 ألف شظية وتتراقص أقواس قزح بلا عددٍ على وجه القمر، وبصوتٍ رتيبٍ
 وقور سأل السّبتون الآلهة أن تُوجّه أنظارها إلى تيريون وتكون شاهدةً
 عليه، أن تجد الحقيقة في روح هذا الرّجل وتمنحه الحياة والحرّيّة إذا كان

بريتا والموت إذا كان مُذْنِبًا؛ وتردّد صدى صوته بين الأبراج المحيطة. عندما تلاشى الصدى تمامًا خفض السّبتون الكرة وابتعد مسرعًا، بينما مالّ تيريون على برون وهمس بشيء ما في أذنه قبل أن يقتاده الحارسان بعيدًا، ونهض المُرتزق ضاحكًا ونفض ورقة من العُشب علقت برُكبتيه. كان روبرت آرن، سيّد "العُش" وحافظ "الوادي"، يتململ بنفاد صبرٍ في مقعده المرفوع، وسأل باستياء: «متى سيتقاتلان؟».

ساعد السير فارديس على التّهُوض أحد مُرافِقَيْهِ، بينما جلب له الآخر تُرسًا مثلثًا يُناهز طوله أربعة أقدام، مصنوعًا من خشب البلوط الثّقيل ومزيّنًا بأزوارٍ حديدية، وقام المُرافقان معًا بتثبيتته إلى ساعده الأيسر. عندما عرض قيّم سلاح لايسا تُرسًا مشابهًا على برون، بصق المُرتزق على الأرض ولوّح بيده رافضًا. كانت لحية سوداء خشنة عُمرها ثلاثة أيام تُغطّي فكّه ووجنتيه، وإن كان لم يحلقها لافتقاره إلى موسى، فحدّد سيفه كان له سيماء الفولاذ الذي يُشحذ لساعاتٍ يوميًا حتى أضحي أحد من أن تلمسه.

مدّ السير فارديس يَدًا مكسوّة بقُفّازٍ واقٍ، فناوله مُرافقه سيفًا طويلًا مزدوج النّصل مهيب الشّكل. كان النّصل مزيّنًا بزخرفة أنيقة تُصوّر سماءً تعلو جبلًا، والقيعة على شكل رأس صقر، والواقى العرضي على شكل جناحين. «أمرتُ بصنع هذا السّيف لـجون في كينجز لاندنج»، قالت لايسا لضيفوها بفخرٍ وهم يُشاهدون السير فارديس يُلوّح بالسّيف على سبيل التّسخين. «كان يأخذه معه كلما جلس على العرش الحديدي في مكان المَلِك روبرت. أليس جميلًا؟ خطر لي أن من الملائم جدًّا أن يثار نصيرنا لموت جون بسيفه».

كان السّيف الفضّي المنقوش جميلًا بلا أدنى شك، وإن بدا لكاتلين أن السير فارديس كان ليرتاح أكثر لاستخدام سيفه الخاص، لكنها لم تقل شيئًا فقد كلّت تمامًا من الجدل العقيم مع أختها.

صاح روبرت: «اجعلوهم يتقاتلان!».
واجه فارديس روبرت ورفع سيفه تحيةً وهتف: «لأجل "العش"
و"الوادي"!».

كانوا قد أجلسوا تيريون لانستر في شُرْفَةٍ صغيرة على الجانب الآخر
من الحديقة وقد أحاطَ به حارساه من الجانبين، وله وجَّه برون تحيةً
سريعةً.

قالت الليدي لايسا لابنها: «إنهما ينتظران إشارتك».
- «تقاتلا!»، صرخ الصبي وذراعه ترتجفان وقد أطبقنا على ذراعي
مقعده.

دار السير فارديس على عقبيه رافعاً ثُرسه الثقيل واستدارَ برون
لمواجهته، والتقى السيفان مرةً، مرَّتين، ثلاثاً على سبيل اختبار كلٍّ
منهما للآخر، ثم تراجع المُرتزق خطوةً فتقدَّم منه الفارس رافعاً ثُرسه
أمامه وحاولَ تسديد ضربة، لكن برون وثبَ إلى الوراء بعيداً عن متناول
السيف الفضّي الذي شقَّ الهواء، ثم دارَ برون إلى جانبه والتفت السير
فارديس واضعاً الثُرس حائلاً بينهما وانقضَّ خاطباً كلَّ خطوةٍ بحذرٍ على
الأرض غير المستوية، إلا أن المُرتزق تفاداه وعلى شفّيته تتلاعب ابتسامة
ساخرة خفيفة. هاجم السير فارديس من جديد ملوّحاً بسيفه، ومن جديد
تفادى برون الهجمة واثباً بخفةٍ فوق حَجَرٍ واطيٍّ مغطّى بالطُّحلب، ثم
دار المُرتزق يساراً بعيداً عن الثُرس ونحو جانب الفارس غير المحمي،
وحاولَ السير فارديس تسديد ضربةٍ إلى ساقه لكن برون كان بعيداً عن
متناوله هذه المرة أيضاً، ثم اقتربَ برون من يساره أكثر واستدارَ الفارس
في مكانه.

قال اللورد هنتر: «إنه جبان»، ثم صاح: «قف وقاتل أيها الجبان!»،
وارتفعت أصوات أخرى تؤيِّده.

نظرت كاتلين إلى السير رودريك، فهزَّ قيم السلاح رأسه باقتضابٍ

وقال: «يُريد أن يجعل السير فارديس يُطارده. ثقل الدرع والتُّرس من شأنه أن يُرهق أقوى الرِّجال».

لقد رأت كاتلين رجالاً يتمرّنون على المبارزة في كلِّ يومٍ من حياتها تقريباً وشهدت نصفمئة دورة مباريات، لكن هذه المرّة كانت تختلف، فأقلَّ خطوة غير محسوبة تعني الموت المحقّق. وإذا شاهدت النّزال الدائر أمامها، وثبتت إلى ذاكرة كاتلين ستارك صورة نزالٍ من زمنٍ آخر، جليّة حيّة كأنه كان بالأمس فقط.

التقيا في فناء ريفرّرن الأدنى، وعندما رأى براندون أن بيتر يرتدي خوذةً وواقياً للصّدر وقميصاً معدنياً فقط خلع أكثر دروعه. كان بيتر قد توسّل إليها أن تمنحه عطيةً ليرتديها، لكنها رفضت. لقد وعد السيّد والدها براندون ستارك بيدها، وإليه كانت عطيتها التي كانت عبارةً عن منديل جيبٍ أزرق فاتح طرّزت عليه سمكة الترويت الواثبة رمز ريفرّرن، وإذا وضعته في يده قالت له مُناشدة: «إنه مجرّد ولد أحمق، لكنني أحبه كأخي، وسيؤلمني أن أراه يموت»، فرمّتها خطيئها بعيني آل ستارك الرّماديتين الباردتين ووعد بأن يُبقي على حياة الصّبي الذي يُحبّها.

وانتهى القتال بمجرّد أن بدأ تقريباً. كان براندون رجلاً بالغاً، وقد جعل الإصبع الصّغير يتقهقر عبر الفناء وعلى السّلالم المائيّة هاوياً عليه بسيفه الفولاذي مع كلِّ خطوة، إلى أن صار الصّبي يترنّح وينزف من دسّته من الجروح. «استسلم!»، صاح براندون أكثر من مرّة، لكن بيتر كان يردُّ بهزّ رأسه نافيّاً ويواصل القتال... وأخيراً، عندما كانت مياه النّهر تلعق أقدامهما، أنهى براندون القتال بضربة مزلزلة بظاهر يده شقّت المعدن والجلد إلى اللّحم تحت ضلوع بيتر على عمقٍ بالغ حتى أن كاتلين طنّتها أهلكته. رمّتها وهو يسقط مغمغماً: «كات»، والدّم القاني ينبثق من بين أصابعه. لقد حسبت أنها تسيّت هذا الجزء. كانت هذه هي آخر مرّة رأت وجهه فيها... حتى اليوم الذي قابلته فيه في كينجز لاندنج.

أسبوعان مرًا قبل أن يُصبح الإصبع الصَّغير قويًا بما فيه الكفاية لمغادرة ريشرن، لكن السيّد والدها منعها من زيارته في البرج الذي ظلَّ طريق الفِراش فيه، وإن كانت لا يسا قد ساعدت المايستر على العناية به (كانت أرقّ وأكثر خجلًا في تلك الأيام)، بينما زارَه إدميور كذلك لكن بيتر صرفه بفتور، فقد خدَم أخوها كمُرافقٍ لبراندون أثناء النِّزال ولم يغفر له الإصبع الصَّغير هذا. بمجرد أن صارَ قابلاً للحركة، أرسلَ اللورد هوستر تلي بيتر بابلش من ريشرن محمولًا على محفَّة مغلقة ليقضي فترة نقاهته في "الأصابع"، على الصَّخرة الجرداء التي تذرّوها الرِّيح حيث وُلِدَ.

أعادَ رنين الفولاذ على الفولاذ كاتلين إلى الحاضر. كان السير فارديس يُهاجم برون بضراوة الآن، بسيفه وثُرسه في آنٍ واحد، وتراجع المُرتزق متعثرًا وهو يصدُّ كلَّ ضربة ويتوائب بخفَّة على الصُّخور والجذور دون أن يغيب خصمه عن عينه لحظة. كان أسرع حركةٍ كما رأت كاتلين، وسيف الفارس لم يدنُ قطُّ من المساس به، بينما جرح سيفه القبيح وافي كنف السير فارديس. انتهى هياج القتال الموجز بالسَّعة نفسها الذي بدأ بها، لَمَّا قفزَ برون جانبًا وانسل وراء تمثال المرأة الباكبة، بينما هوى الفارس بضربة على المكان الذي كان فيه منذ لحظة، فقط ليطيح بشظية من الرُّخام من فخذ أليسا.

قال سيّد "العُش" متذمّرًا: «إنهما لا يتقاتلان جيّدًا يا أمي، أريدهما أن يتقاتلا جيّدًا!».

قالت أمه مهذَّنة إياه: «سيفعلا يا صغيري الجميل. المُرتزق لا يستطيع الجري طوال اليوم».

كان بعض اللوردات في شُرْفه لا يسا يتبادلون الدُّعابات وهم يعيدون ملء كؤوسهم بالنَّبيذ، لكن عبر الحديقة كانت عينا تيريون لانستر غير المتماثلتين تُراقبان النّصيرين يرقُصان كأن لا شيء آخر هنالك في العالم كله.

خرجَ برون من وراء التُّمثال متحرِّكًا بقوة وسرعةٍ إلى اليسار وموجَّهًا

ضربةً بكلتا يديه إلى جانب الفارس الأيمن غير المحمي، وصَدَّ السير فارديس الضربة لكن بلا إحكام، وأصاب سيف المُرتزق رأسه برنينٍ معدنيٍّ مدوّ وسقطَ أحد الجناحين من الخوذة، وتراجع السير فارديس نصف خطوة ليتماسك، وفي اللحظة التالية تطايرت رقايات البلوط في كلِّ مكانٍ مع الضربات المتواصلة التي هوى بها برون على الحائط الخشبي، ثم خطا المُرتزق يساراً ثانيةً بعيداً عن التُّرس وسدَّ ضربةً بعرض بطن السير فارديس ليترك نصل سيفه شديد الحدة شقاً عميقاً في درع الفارس. انقضَّ السير فارديس واضعاً ثقله على مشط قدمه وسيفه الفضي يهوي في قوسٍ عنيف، لكن برون أزاحه جانباً وابتعدَ بضع خطوات ليرتطم الفارس بالمرأة الباكية فيهتز التمثال على قاعدته، قبل أن يتراجع مترنحاً ورأسه يدور في هذا الاتجاه وذلك بحثاً عن خصمه وقد حدثت الفتحة الضيقة في خوذته من رؤيته.

- «وراءك!»، صاح اللورد هنتر لكن بعد فوات الأوان، وهوى برون بسيفه بكلتا يديه على مرفق الذراع التي يحمل بها السير فارديس سيفه، لينسحق المعدن الشائك الذي يحمي المفصل تحت وطء الضربة، وأطلق الفارس أنيناً وهو يدور رافعاً سلاحه، وهذه المرة ظلَّ برون ثابتاً في مكانه، وتلاقى السيفان مرةً ومرةً ومرةً لتملاً أنغام أغنيتيها الفولاذية الحديدية ويتدّد صداها على أبراج الرُخام الأبيض.

قال السير رودريك بصوتٍ متجهّم: «السير فارديس جريح». لم تكن كاتلين في حاجة إلى أن يُخبرها. إن لديها عينين ترى بهما خيط الدّم اللامع يجري على ساعد الفارس والبلبل داخل مفصل المرفق. كل حركة تفادٍ منه كانت أكثر انخفاصاً وبُطْناً الآن من ذي قبل، وأدار السير فارديس جانبه إلى خصمه مُحاولاً استخدام التُّرس لصَدَّ ضرباته بدلاً من تفاديهما، لكن برون دارَ حوله بسرعةٍ قط، وبدا أن المُرتزق قد صار أقوى الآن وكلُّ ضربةٍ يُسدِّدها تترك علامة... على درع الفارس كانت شقوق لامعة عميقة، على فخذة اليمنى ومقدمة الخوذة الشبيهة

بالمنقار وصدره، مع شِقْ طویل علی مقدّمة واقی العُنق، بالإضافة إلى الواقي الذي يحمل رمز القمر والصّقر علی ذراع السير فاردیس الیمنی الذي قُسِمَ إلى نصفین بالفعل وتدلّی من حزامه؛ وسمعَ الجمیع أنفاسه اللّاهثة تتردّد من وراء فتحات التّنفس فی خودته.

حتى مع العجرفة التي أعمّتهم كان بإمكان فرسان ولوردات "الوادي" أن يروا ما يجري، ومع ذلك ظلّت أختها لا ترى، وصاحت الليدي لايسا: «كفي يا سير فاردیس! أجهز عليه الآن، فصغيري بدأ يتعب!».

ولا مناص من الاعتراف بأن السير فاردیس إيجن أطاع أمر سيّدته بإخلاصٍ حتى الرّمق الأخير. في لحظةٍ كان يتراجع إلى الوراء شبه منحني وراء تُرسه المشوّء، وفي التّالية كان ينقضُّ لتفقد اندفاعته المباغتة برون توازنه، وارتطم الفارس به ضاربًا وجهه بحافّة التّرس... وكاذ -كاذ- برون يَسْقُط. تراجع مترنّحًا وتعثر في صخرة، ثم أمسك بالمرأة الباكية ليمنع نفسه من السّقوط، وألقى السير فاردیس التّرس ليهوي بسيفه عليه بيديه الاثنتين. كانت يده الیمنی داميةً من المِرْفَق إلى الأصابع الآن، لكن ضربته اليائسة الأخيرة كانت لتشقّ برون من الرّقبة إلى الشّرة... لولا أن المُرتزِق لم ينتظر أن تهوي عليه ووثبَ إلى الخلف، وومض سيف چون آرن المنقوش الجميل وهو يُصيب مِرْفَق المرأة الباكية فينكسر نحو ثلث نصله، ودفع برون ظَهر التّمثال بكتفه لتترنّح أليسا آرن الرّخامية وتهوي بصوتٍ مدوّ ويهوي السير فاردیس تحتها.

وفي غمضة عينٍ كان برون يَرُكُل بعيدًا ما تبقى من الواقي المحطّم ليكشف النّقطة الضّعيفة بين الذّراع وواقي الصّدر. كان السير فاردیس علی جانبه حييًّا تحت جذع المرأة الباكية، وسمعت كاتلين الفارس يتأوّه والمُرتزِق يرفع سيفه بكلتا يديه ثم يغرسه واضعًا ثقله كله في الطّعنة التي اخترقت الصّلوع، وارتجف السير فاردیس إيجن لحظةً قبل أن تخدم حركته تمامًا.

رَأَى الصَّمْتَ عَلَى "العُشِّ"، وَانْتَزَعَ بَرُونَ خُوذَتَهُ الْقَصِيرَةَ مِنْ عَلَى رَأْسِهِ وَأَلْفَاها عَلَى الْعُشْبِ. كَانَتْ شَفْتُهُ مَشْقُوقَةً دَامِيَةً حَيْثُ أَصَابَهَا التُّرْسُ، وَشَعْرُهُ الْأَسْوَدُ الْفَاحِمُ غَارِقًا فِي الْعَرَقِ، وَبَصَقَ مِنْ فَمِهِ سِنًا مَكْسُورَةً. سَأَلَ سَيِّدَ "العُشِّ": «هَلْ انْتَهَى الْقِتَالُ يَا أُمِّي؟».

أَرَادَتْ كَاتِلِينَ أَنْ تَقُولَ لَهُ: كَلَّا، إِنَّهَا الْبَدَايَةُ فَحَسَبَ.

بِكَأَيَّةٍ أَجَابَتْ لَايْسَا: «نَعَمْ» وَصَوْتُهَا بَارِدٌ مِيتٌ كَقَائِدٍ خَرَسَهَا.

- «هَلْ يُمَكِّنُنِي أَنْ أَجْعَلَ الرَّجُلَ الصَّغِيرَ يَطِيرُ الْآنَ؟».

عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرَ مِنَ الْحَدِيقَةِ نَهَضَ تِيرِيُونُ لَانْسْتَرُ قَائِلًا: «لَيْسَ هَذَا الرَّجُلُ الصَّغِيرَ، هَذَا الرَّجُلُ الصَّغِيرُ سَيَنْزِلُ فِي قَفْصِ الْخَضِرَوَاتِ، شُكْرًا جَزِيلًا».

قَالَتْ لَايْسَا: «هَلْ تَفْتَرِضُ أَنْ...».

قَاطَعَهَا الْعِفْرِيْتُ: «مَا أَفْتَرِضُهُ أَنْ عَائِلَةُ آرَنَ تَتَذَكَّرُ كَلِمَاتِهَا: سَامُونُ كَالشَّرَفِ».

- «لَقَدْ وَعَدْتُ بِأَنْ أَجْعَلَ الرَّجُلَ الصَّغِيرَ يَطِيرُ!»، صَرَخَ رُوبَرْتُ فِي أُمِّهِ وَبَدَأَ يَرْتَجِفُ.

كَانَ وَجْهُ اللَّيْذِيِّ لَايْسَا مُحْتَقِنًا عَنْ آخِرِهِ مِنْ فِرْطِ الْغَضَبِ وَهِيَ تُجِيبُ: «الْآلِهَةُ ارْتَأَتْ إِظْهَارَ بَرَاءَتِهِ يَا صَغِيرِي»، ثُمَّ رَفَعَتْ صَوْتَهَا قَائِلَةً: «أَيُّهَا الْحُرَّاسُ، اصْحَبُوا اللُّورْدَ لَانْسْتَرُ... وَمَخْلُوقُهُ بَعِيدًا عَنْ نَظَرِي، اصْحَبُوهُمَا إِلَى الْبَوَابَةِ الدَّامِيَةِ وَأَطْلِقُوا سَرَاحَهُمَا، وَتَأَكَّدُوا مِنْ أَنْ لَدِيَهُمَا خِيُولًا وَمِثُونَةٌ تَكْفِيهِمَا حَتَّى الثَّالُوثِ، وَمِنْ إِعَادَةِ جَمِيعِ مَقْتَنِيَاتِهِمَا وَأَسْلِحَتِهِمَا إِلَيْهِمَا، فَسَوْفَ يَحْتَاجَانِهَا عَلَى الطَّرِيقِ الْعَالِيِّ».

- «الطَّرِيقُ الْعَالِيُّ»، رَدَّدَ تِيرِيُونُ لَانْسْتَرُ، وَسَمَحَتْ لَايْسَا نَفْسَهَا بِأَنْ تَبْتَسِمَ ابْتِسَامَةً خَافِتَةً رَاضِيَةً، وَأَدْرَكَتْ كَاتِلِينَ أَنَّهُ حُكِمَ بِالْإِعْدَامِ مِنْ نَوْعٍ آخَرَ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ تِيرِيُونُ لَانْسْتَرُ يَعْنِي هَذَا بِدَوْرِهِ. عَلَى أَنَّ الْقَزْمَ حَيًّا اللَّيْذِيُّ آرَنَ بَانْحَاءٍ سَاحِرَةٍ قَائِلًا: «كَمَا تَأْمُرِينَ يَا سَيِّدَتِي. أَعْتَقِدُ أَنَّنا نَعْرِفُ الطَّرِيقَ».



چون

قال لهم السير أليسر ثورن عندما اجتمعوا أمامه في السَّاحة: «لم يسبق لي أن درَّبت مجموعةً من الفاشلين مثلكم. إن أيديكم هذه مخلوقة لحمل جواريف الرُّوث وليس السُّيوف، ولو كان الأمر بيدي لكتنم تسوقون قطعان الخنازير كلِّكم، لكن بلغني ليلة أمس أن جيورن قادم على طريق الملوك ومعه خمسة صبيةٍ جُدِّد، وقد يكون لواحدٍ أو اثنينٍ منهم حتى قيمة البول الذي يجدرُ بأمثالكم تنظيفه. لإفراح مكانٍ لهم قرَّرتُ تسليم ثمانيةٍ منكم لحضرة القائد ليفعل بهم كما يرتني»، ثم بدأ يُنادي على الأسماء -أو ألقابهم بالأحرى- واحدًا تلو الآخر: «الضَّفدع، ذو الرَّأس الحجري، الثَّور البرِّي، المُحب، ذو البثور، القرد، المجنون»، وأخيرًا نظرَ إلى چون قائلاً: «والنَّغل».

أطلقَ پِيبَ صيحةً سعيدةً وألقى سيفه في الهواء، فرمقه السير أليسر بنظرةٍ ناريةٍ وقال: «الآن سيُسْثُونُكم رجالًا في حرس اللَّيل، لكنكم ستكونون أكثر حماقةً من هذا القرد إذا صدَّقتم هذا. إنكم ما زلتم صبيةً كلٌّ منكم أخضرٌ من الآخر، رائحة الصَّيف تفوح منكم، وعندما يأتي الشَّاء ستساقطون موتى كالذُّباب».

لَمَّا انصرفَ السير أليسر ثورن احتشدَ بقيةُ الصَّبية حول الثمانية الذين تمَّ اختيارهم، يضحكون ويُسُّبون ويُقَدِّمون التَّهاني، وصفع هالدر تودر على مؤخَّرتِه بالجانب المسطَّح من سيفه هاتفاً: «ضفدع حرس اللَّيل!»،

بينما صاحَ پيپ أن أخوا أسودَ يحتاج حصانًا وقفزَ على كتفي جرن فسقطَ الاثنان معًا يتمرغان ويضربان ويضحكان، واندفعَ داريون إلى مستودع السلاح وعادَ حاملًا قربةً من النبيذ الحامض؛ وبينما يُمرّرون القربة فيما بينهم وهم يتسمون كالبُله، لاحظَ جون سامويل تارلي واقفًا بمفرده تحت شجرة عارية ميتة في ركن الساحة، فقدمَ له القربة قائلاً: «نبيذ؟». هزَّ سام رأسه نفيًا وقال: «لا، شكرًا يا جون».

- «هل أنت بخير؟».

قال الولد البدين كاذبًا: «بخير جدًا، حقًا. إنني سعيد من أجليكم»، وارتعش وجهه المستدير وهو يُرغم نفسه على الابتسام مضيئًا: «ستكون جوالًا أول ذات يوم، تمامًا كما كان عمُّك».

قال جون: «إنه لا يزال كذلك». لم يكن يتقبَّل فكرة موت بنجن ستارك، لكن قبل أن يقول المزيد صاحَ هالدِر: «هل تنوي أن تشربه كله وحدك؟»، واختطفَ پيپ القربة من يده وتراجعَ ضاحكًا، وبينما أطبقَ جرنَ على ذراعه اعتصرَ پيپ القربة ليتناثر منها خيط من الأحمر على وجه جون، وأطلقَ هالدِر صيحة اعتراضٍ على تبديد النبيذ الممتاز. دمدمَ جون وكافحَ لتحرير نفسه، بينما تسلقَ ماثار وجيرن جدار مستودع السلاح وبدأ يقذفونهم بكرات الثلج. أخيرًا، بعد أن خلَّص نفسه من رفاقه والثلج في شعره وبقع النبيذ على صدرته، نظرَ جون فلم يجد سام تارلي. في تلك الليلة طهى لهم هوب ذو الثلاثة أصابع وجبةً خاصَّةً للاحتفال بالمناسبة، وعندما دخلَ جون القاعة العامة اصطحبَه حضرة الوكيل بنفسه إلى الدُّكَّة المجاورة للمُستوقَد، بينما يُرَبَّت الرجال الأكبر عُمرًا على ذراعه وهو يمرُّ. تناولَ الثمانية الذين سيصيرون عمَّا قريبٍ إخوةً وليمةً من الصَّان المخبوز بقشرة من الثوم والأعشاب والمزَّين بأعواد النِّعناع، وقد أحاطَ به المُلَفَّت المهروس الذي يسبح في الزُّبد. «من مائدة حضرة القائد»، قال لهم باون مارش. قدَّموا لهم أيضًا سلطة من السَّبانخ

والحمص والأوراق الخضراء، وبعدها أطباقاً من الثوت الأزرق المثلج والقشدة المحلاة.

تساءل بيب وهم يلتهمون طعامهم بشهية: «هل تعتقدون أننا سنكون كلنا معاً؟».

رسم تودر تعبيراً سخيماً على وجهه وقال: «لا أتمنى، فلم أعد أطبق النظر لأذنيك هاتين».

ردّ بيب ساخراً: «أوه، اسمعوا الغراب يقول للغداف إنه أسود! نعم، لا ريب أنك ستصير جوّالاً أيها الضفدع. إنهم يريدونك على أبعد مسافة ممكنة من القلعة. إذا هاجمنا مانس رايدر ارفع خوذتك وأره وجهك، وسيهرب صارخاً!».

ضحك الجميع باستثناء جرن الذي قال: «أمل أن أكون أنا جوّالاً».

- «أنت والجميع»، قال ماثار. كل رجل يرتدي الأسود يحرس "الجدار"، وكل رجل فيهم مطلوبٌ منه أن يرفع سلاحه في الدفاع عنه، لكن الجوّالة هم قلب حرس الليل الحقيقي، فهم من يجروون على الخروج وراء "الجدار" وتمشيط الغابة المسكونة والمرتفعات الجبلية الجليدية الواقعة غرب بُرج الظلال، ويُقاتلون الهمج والعمالقة ودبية الجليد الوحشية.

قال هالدر: «ليس الجميع، أريد أن أكون من البنائين. ما فائدة البنائين إذا سقط "الجدار"».

تضم جماعة البنائين كلاً من الحجارين والنجارين لصيانة القلاع والأبراج، وجماعة المُعدّنين لحفر الأنفاق وسحق الحجارة للطرق والممرات، وجماعة الحطّابين لقطع الأشجار أينما عادت الغابة تقترب أكثر من اللازم من "الجدار"، يُقال إن البنائين في الماضي كانوا يقتلون قوالب عملاقة من الجليد من البحيرات المتجمدة في أعماق الغابة، ويجرونها على زلاجات حتى يُعلّوا بها "الجدار" أكثر، لكن هذه الأيام

وَلَّتْ مِنْذُ قُرُونٍ عَلَى كُلِّ حَالٍ، أَمَّا الْآنَ فَيَسْتَطِيعُونَ بِمَشَقَّةِ الْخُرُوجِ
لِفَحْصِ "الْجِدَارِ" مِنَ الْقَلْعَةِ الشَّرْقِيَّةِ عَلَى الْبَحْرِ وَحَتَّى بُرْجِ الظَّلَالِ، بَحْثًا
عَنِ الصُّدُوعِ وَعَلَامَاتِ الدُّوبَانِ وَالْقِيَامِ بِالْإِصْلَاحَاتِ الصَّرُورِيَّةِ.

قَالَ دَارِيون: «الدُّبُّ الْعَجُوزُ لَيْسَ أَحَقُّ. مُؤَكَّدٌ أَنَّهُ سَيَجْعَلُكَ بَنَاءً
وَجُونٌ جَوًّا أَلَا. إِنَّهُ أَفْضَلُ مُبَارِزٍ وَخَيَالٍ بَيْنَنَا، وَعَمُّهُ كَانَ جَوًّا أَوَّلَ قَبْلِ
أَنْ...»، وَبَتَرِ عِبَارَتِهِ بَارْتَبَاكُ لَمَّا أَدْرَكَ مَا أَوْشَكَ عَلَى أَنْ يَقُولَهُ.

قَالَ لَهُ جُونُ سَنُو وَهُوَ يَعْثُ بِمِلْعَقَتِهِ فِي طَبَقِ الثُّوتِ الْأَزْرَقِ: «بَنَجْنِ
سِتَارَكَ مَا زَالَ خَيًّا أَلَا أَوَّلَ». قَدْ يَكُونُ الْآخَرُونَ قَدْ فَقَدُوا الْأَمَلَ فِي عَوْدَةِ
عَمِّهِ سَلِيمًا، لَكِنْ لَيْسَ هُوَ. دَفَعَ طَبَقِ الثُّوتِ الَّذِي لَمْ يَمْسَسْهُ تَقْرِيًّا وَنَهَضَ
مِنْ عَلَى الدَّكَّةِ.

سَأَلَهُ تَوْدَرُ: «أَلَنْ تَأْكُلَ هَذَا؟».

كَانَ تَذَوَّقَ وَلِيْمَةً هَوْبَ بِالْكَادِ، لَكِنَّهُ قَالَ: «إِنِّهَا لَكَ، لَا أَقْدُرُ عَلَى
قَضْمَةِ أُخْرَى»، ثُمَّ تَنَاوَلَ مِعْطَفَهُ مِنْ عَلَى الْخُطَافِ وَتَحَرَّكَ مَغَادِرًا الْقَاعَةَ.
لَحَقَ بِهِ بِيَبَ قَائِلًا: «مَا الْأَمْرُ؟».

- «سَامُ لَمْ يَكُنْ مَعَنَا عَلَى الْمَائِدَةِ اللَّيْلَةَ».

قَالَ بِيَبَ مَفْكَرًا: «لَيْسَ مِنْ عَادَتِهِ أَنْ يُفَوِّتَ وَجِبَةً. هَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّهُ
مَرِيضٌ؟».

- «إِنَّهُ خَائِفٌ لِأَنَّا سَتَرُكِهِ». لَمْ يَنْسَ جُونُ يَوْمَ تَرَكَ وَيَنْتَرِفِلَ وَالْوَدَاعِ
الْحُلُوِّ الْمُرَّ... بَرَانُ الْمَكْسُورِ، رُوبُ وَالثَّلْجُ فِي شَعْرِهِ، آرِيَا تُمَطِّرُهُ
بِالْقُبَلَاتِ بَعْدَ أَنْ أَهْدَاهَا "الْإِبْرَةَ". «بِمَجَرَّدِ أَنْ نَحْلِفَ الْيَمِينَ سَتَكُونُ لَدَى
كُلِّ مَنْا وَاجِبَاتِهِ، وَقَدْ يَتِمُّ إِرسَالُ بَعْضِنَا إِلَى بُرْجِ الظَّلَالِ أَوْ قَلْعَةِ الْبَحْرِ،
وَسَيَقْبِي سَامُ تَحْتَ التَّدْرِيبِ مَعَ أَمْثَالِ رَاسْتِ وَكُوجَرِ، وَالْآلِهَةِ وَحْدَهَا
تَعْلَمُ كَيْفَ سَيَكُونُ أَوْلَثُكَ الْمُسْتَجِدُّونَ الْقَادِمُونَ عَلَى طَرِيقِ الْمُلُوكِ، لَكِنْ
لَكَ أَنْ تُرَاهِنَ عَلَى أَنْ السَّيْرَ الْبَاسِرَ سَيَضَعُهُمْ فِي مُوَاجَهَتِهِ فِي أَوَّلِ فُرْصَةٍ».
وَجَمَّ بِيَبَ وَقَالَ: «لَقَدْ فَعَلْنَا كُلَّ مَا فِي وَسْعِنَا».

- «كُلُّ ما في وسعنا لم يكف».

غمزه اضطراب عميق في الطريق إلى بُرج هاردين لإحضار جوست،
وبَعْدَها مشى الذئب الرّهيب معه إلى الاسطبلات، حيث توتّرت الخيول
الأقلّ شجاعة من غيرها لدى مرورهما وأرجعت آذانها إلى الوراء وبدأت
تُرْكَل في مرابطها بعصبية، ثم أسرج جون فرسه وامتطأها وخرج بها
من القلعة السوداء متوجّها جنوباً في اللَّيل المُضاء بنور القمر، وانطلق
جوست يسبقه بسرعة السّهم واختفى في غمضة عين، وتركه جون يمضي
عالمًا أن الذئب في حاجةٍ للصّيد. لم تكن في عقله وجهة بعينها، إذ كان
يرغب في الرُّكوب فحسب، وأتبع الجدول لبعض الوقت مصغيًا إلى
تقاطر المياه الباردة على الصّخر، ثم اخترق الحقول إلى طريق الملوك
الذي امتدّ أمامه حَجريًا ضيقًا تتناثر فيه الحشائش، طريق لا يَعدُ بشيءٍ
محدّد، لكنه ملأ قلب جون سنو بتوقٍ بالغ. على الطريق كانت ويترفل،
ومن ورائها ريفرَرَن وكينجز لاندنج ووادي آرَن وبلاد أخرى كثيرة،
كاسترلي روك وجزيرة الوجوه وجبال دورن الحمراء. وجزر برافوس
المئة في البحر وأطلال فاليريا القديمة المحروقة... جميع الأماكن التي
لن يراها جون أبدًا. العالم يبدأ على هذا الطريق... وهو هنا.

بمجرّد أن يحلف اليمين سيُصبح "الجدار" بيته حتى يبلُغ من العُمَر
عتيًا مثل المايستر إيمون. تمتَم: «لكنني لم أحلفه بعد». إنه ليس خارجًا
على القانون مُجبرًا على ارتداء الأسود وقضاء بقية حياته في حرس اللَّيل
تكفيرًا عن جرائمه، بل جاء إلى هنا بإرادته ويستطيع أن يُغادر في أيّ وقتٍ
بإرادته... إلى أن يحلف اليمين. كل ما عليه الآن أن يُواصل الانطلاق
ويترك كلّ هذا خلفه، ولمّا يصير القمر مكتملاً من جديد سيكون في
ويترفل بين إخوته.

إخوتك غير الأشقاء، قال له صوت من داخله، والليدي ستارك التي
لن تُرحّب بك قطعًا. لا مكان له في ويترفل، ولا مكان في كينجز لاندنج

كذلك، وحتى أمه نفسها لم يكن لديها مكان له. أثار التفكير فيها حُزنه كالمعتاد، وتساءل من هي وكيف كانت تبدو وعن سبب ترك أبيه لها. لأنها كانت عاهرة أوزانية أيها الأحمق، شيئاً آثماً شائناً، وإلا فلِمَ يخجل اللورد إدوارد من الكلام عنها؟

التفت جون سنو بعيداً عن طريق الملوك لينظر وراءه. كانت مشاغل القلعة السوداء متوارية وراء تل، لكن "الجدار" هناك، شاحب في نور القمر، بارد عملاق يمتد من الأفق إلى الأفق.

هكذا دار بالفرس وبدأ طريق الرجوع، وعاد جوست وخطمه مصطبغ بالأحمر وهو يصعد مرتفعاً ويرى الوهج البعيد القادم من مصباح في برج القائد. وجدّ جون نفسه يفكر في سامويل تارلي ثانية خلال طريقه إلى القلعة السوداء، ولدى عودته إلى الاسطبلات كان يعرف ما عليه أن يفعله بالضبط.

كان سكن المايستر إيمون يقع في الحصن الخشبي القوي المقام أسفل المغدفة، وليسّه المتقدمة وهشاشته تقاسم المكان مع اثنين من الوكلاء الصغار يقومان برعايته ويساعدانه في واجباته. كان الإخوة يقولون ساخرين إنه نال أقبح رجلين على الإطلاق في حرس الليل، وإن استغنى عن الاضطرار إلى النظر إليهما باعتباره كفيفاً. كان كلايداس قصيراً أصلع بلا ذقن وله عيانان صغيرتان ورديتان كالخلد، وتشت لديه كيس ذهني على عنقه بحجم بيضة الحمامة ويمتلئ وجهه بالدمامل والبثور الحمراء، وربما لهذا يبدو شديد الغضب دائماً.

كان تشت هو من أجاب طرفة جون الذي قال له: «أريد أن أتكلّم مع المايستر إيمون».

- «المايستر نائم كما يفترض أن تكون، غدداً»، وبدأ يعلّق الباب. حشرّ جون حشرّ قدمه بين الباب وإطاره قائلاً: «غداً سيكون الأوان قد فات. يجب أن أتكلّم معه الآن».

قال تِثت عابَسَا: «المَياستر ليس معتادًا على إيقاظه في مثل هذه السَّاعة من اللَّيل. هل تعرف كم عُمره؟».

- «أعتقدُ أنه كبير بما يكفي لأن يُعامل ضيوفه بأدب أكثر منك. بلِّغه اعتذارِي، لكني لم أكن لأُقلق راحته لو لم تكن المسألة مهمَّة».

- «وإذا رفضتُ؟».

تَبَّتْ چون قدمه في الباب بإحكامٍ وأجاب: «أستطيعُ البقاء هنا طوال اللَّيل إذا أردتُ».

أطلقَ الأخ الأسود صيحة تَبْرُم وفتحَ الباب قائلاً: «انتظر في المكتبة إذن. ثَمَّة حطب هناك. أشعل نَارًا، فلن أترك المَياستر يُصاب بالبرد بسببك».

كان الحطب يُطَقِّطُ بمرح في المُستوقَد عندما دلفَ المَياستر إيمون إلى المكتبة يقوده تِثت، وقد ارتدى ثياب النُّوم وأحاطت سلسلة جماعته بعُنقه، فالمَياستر لا ينبغي أن يخلعها أبدًا حتى أثناء النُّوم. قال الشَّيخ حين شعرَ بالدَّفء على وجهه: «المقعَد المجاور للنَّار من فضلك»، وعندما استقرَّ مستريحًا في مقعده غطَّى تِثت ساقيه بدثارٍ صوفيٍّ وذهبَ ليقف عند الباب.

قال چون سنو: «آسفٌ لأنِّي أيقظتك أيها المَياستر».

أجابَ المَياستر إيمون: «لم توقظني. كلما تقدَّم بي العُمر وجدتُ أنِّي أنا مُ لساعاتٍ أقل، ولقد تقدَّم بي العُمر كثيرًا، وغالبًا ما أقضي اللَّيل مع الأشباح أتذكَّر أحداثًا انقضى عليها خمسون عامًا كأنها كانت بالأمس فقط، وعليه فزيارة غامضة من أحدهم في جوف اللَّيل بمثابة إلهاءٍ أرْحَبُ به. قُل لي إذن يا چون سنو، لماذا جئت لزيارتي في هذه السَّاعة الغريبة؟».

- «كي أطلب أن ينتهي تدريب سامويل تارلي ويُقبل كأخٍ في حرس اللَّيل».

قال تِثت بفضاظة: «المَياستر لا شأن له بهذا».

أجاب المايستر إيمون بلطف: «حضرة القائد كلف السير أليس ثورن بتدريب المُستجِدِّين، وهو الوحيد القادر على أن يُقرَّر إن كان أحدهم جاهزًا لحلف اليمين كما تعلم، فلم تأتي إليّ أنا؟».

قال چون: «حضرة القائد يُصفي إليك، وجرحى ومرضى حرس الليل مسؤوليتك».

- «وهل صديقك سامويل جريح أو مريض؟».

- «سيكون كذلك ما لم تُساعدته»، وقصَّ عليهما كلَّ شيء، حتى الجزء الذي استخدم فيه جوست لتهديد راس، وأصغى المايستر إيمون بصمتٍ رامقًا النَّارَ بعينين لا تريان، بينما اربدَّ وجه تِثت مع كلِّ كلمة، إلى أن ختمَ چون كلامه قائلاً: «لن يملك سام أدنى فرصة من دون وجودنا لمُساعدته. إنه عاجز تمامًا عن القتال بالسَّيف، وأختي آريا نفسها تستطيع تمزيقه إربًا وهي لم تَبْلُغ العاشرة بعد. إذا جعله السير أليس يُقاتِل، فهي مسألة وقتٍ فقط حتى يَسْقُط جريحًا أو قتيلاً».

لم يستطع تِثت احتمال المزيد، واندفع يقول: «لقد رأيتُ الولد البدين في القاعة العامَّة. إنه خنزير فعلاً، وجبان لا رجاء منه كذلك إذا كان ما تقوله صحيحًا».

- «ربما»، غمغم المايستر إيمون. «قل لي يا تِثت، ماذا كنت لتفعل بهذا الصَّبي؟».

- «أتركه كما هو. "الجدار" ليس مكانًا للضعفاء. فليتدرب حتى يُصبح مستعدًا مهما استغرقَ هذا من سنين. السير أليس سيجعل منه رجلًا أو يقتله، كما تشاء الآلهة».

- «هذا هراء»، قال چون والتقطَ شهيقة عميقًا ليستجمع أفكاره. «أذكرُ أنني سألتُ المايستر لوين ذات مرَّة عن سبب ارتدائه سلسلة حول عنقه».

مسَّ المايستر إيمون لسلسلته وداعبت أصابعه العظمية المتغصَّنة حلقاتها الثَّقيلة قائلاً: «استمر».

قال چون: «أجأني يومها أن طوق المايستر مصنوع على شكل سلسلة لتذكيره بأنه أقسم على الخدمة. سأله عن سبب كون كل حلقة من معدن مختلف، فمن شأن سلسلة من الفضة بالكامل أن تبدو أفضل مع معطفه الرمادي، وضحك المايستر لوين وأجاب بأن المايستر يكون سلسلته من خلال الدراسة، وأن كل معدن يشير إلى فرع مختلف من المعرفة، فالذهب لدراسة المال والحسابات، والفضة للعلاج، والحديد للحرب، وهكذا. وقال إن السلسلة لها معانٍ أخرى كذلك، فمن المفترض أن تُذكر المايستر بالبلاد التي يخدمها، أليس كذلك؟ اللوردات هم الذهب والفرسان الفولاذ، لكنك لا تستطيع تكوين سلسلة من حلقتين فحسب، بل تحتاج الفضة والحديد والرصاص كذلك، والنحاس والصفائح والبرونز وبقية المعادن كلها، وهؤلاء هم المزارعون والحدادون والتجار وأمثالهم. إذن تحتاج البلاد كل أنواع الناس كما تحتاج السلسلة كل أنواع المعادن».

ابتسم المايستر إيمون وقال: «إذن؟».

- «كذلك يحتاج حرس الليل كل الأنواع بدوره، وإلا فلن نقسم إلى جِوَالَة وبنائين ووكلاء؟ اللورد راندل لم يستطيع أن يجعل من سام مُحاربًا، والسير أليس لن يستطيع. لا يمكنك طرق الصفائح مع الحديد مهما حاولت، لكن ذلك لا يعني أن الصفائح عديم القيمة. لم لا يصبح سام وكيلاً؟».

زمر تبت بغضب وقال: «أنا وكيل. أتحسبه عملاً بسيطاً يصلح للجنباء؟ جماعة الوكلاء هي ما يمد الحرس بالحياة. إننا نصطاد ونزرع ونعني بالخيول ونحلب الأبقار ونجمع الحطب من الغابة ونطهو الطعام. من تحسبه يصنع ملابسك؟ ومن يأتي بالمؤن من الجنوب؟ إنهم الوكلاء».

كان رد المايستر ألطف: «هل صديقك صياد؟».

أجاب چون مضطراً: «إنه يكره الصيد».

- «هل يُمكنه أن يحرث حقلاً؟ أو يقود عربّة أو يُبحر بسفينة؟ هل يُمكنه أن يذبح بقرة؟».

- «كلا».

أطلق تِثت ضحكة ساخرة قبيحة وقال: «لقد رأيتُ ما يحدث للوردات الصغار عندما يُكَلَّفون بعمل ما. اجعل واحداً منهم يَمُخَض الزُبْد وستجد يده تتقرّح وتنزف. أعطه فأساً للحطب وسيضرب بها قدمه».

- «أعرف شيئاً واحداً يفعله سام أفضل من الجميع».

سأله المايستر: «ماذا؟».

رمق چون تِثت الواقف عند الباب بثوره الحمراء الغاضبة بنظرة حذرة، ثم أجاب بسرعة: «يُمكنه أن يُساعدك. إنه يجيد المسائل الحسابية، والقراءة والكتابة كذلك. أعرف أن تِثت لا يستطيع القراءة، وكلايداس ضعيف البصر، أمّا سام فقرأ كل كتاب في مكتبة أبيه. سيُلي بلاء حسناً مع الغدّان كذلك، فالحيوانات تُحبّه، وجوست تعود عليه من أول لحظة. ثمة أشياء كثيرة يقدر على أن يفعلها بخلاف القتال، وحرس الليل يحتاجون كل رجل، فلماذا يُقتل بلا أيّ طائل بدلاً من الاستفادة به؟».

أغلق المايستر إيمون عينيه، وللحظات خشي چون أنه غاب في النوم، لكنه قال أخيراً: «لقد علّمك المايستر لوين جيّداً يا چون سنو، فعقلك رشيق كسيفك على ما يبدو».

- «أيعني هذا أن...».

- «يعني أنني سأفكر في الأمر»، قال المايستر بحزم. «والآن أعتقد أنني مستعدّ للخلود إلى النوم. تِثت، اصحب أخانا الصّغير إلى الباب».



تيريون

اتَّخَذَا ملجأً تحت أَيْكَةٍ من شجر الحور على جانب الطَّرِيقِ العَالِي،
وكان تيريون يجمع الحطب بينما يشرب حصاناهما من أحد الجداول
الجبليَّة، ثم توقَّف ليلتقط فرعاً مكسوراً وفحصه قائلاً: «هل سيصلح
هذا؟ لستُ خبيراً في إشعال النَّار. كانت هذه مهمَّة موريك».

بصقَ برون وقال: «نار؟ هل تتلَهَّف على الموت أيها القزم أم أنك
فقدت عقلك؟ إشعال النَّار سيجلب علينا رجال القبائل من كل مكان،
وأنا أنوي الخروج من هذه الرِّحلة حيّاً يا لانستر».

سأله تيريون: «وكيف تأمل أن تفعل ذلك بالضَّبْط؟»، ودسَّ الفرع
تحت إبطه وبدأ يبحث عن المزيد بين الشُّجيرات المتناثرة. كان ظهره
يؤلمه من مجهود الانحناء، كما أنهما يركبان منذ الفجر، عندما أشار لهما
السير لين كوربراي ذو الوجه الحجري بمغادرة البوابة الدَّامية وأمرهما
بعدم العودة أبداً.

أجاب برون: «ليست لدينا فرصة في شقِّ طريق العودة قتالاً،
لكن اثنين يستطيعان التحرك أسرع من عشرة، ويجذبان انتباهاً
أقلَّ كذلك. كلما قضينا فترةً أقلَّ في هذه الجبال ارتفعتُ فرصة
بلوغنا أراضي النهر. رأيي أن ننطلق بسرعة وقوَّة، نتحرك ليلاً ونجد
لنفسنا مأوىً نهاراً، نتفادى الطَّرِيق أينما استطعنا، ولا نُصدِر ضجَّةً
أو نُشعل ناراً».

تنهّد تيريون لانستر وقال: «خُطّة رائعة يا برون، جرّبها كما تشاء، لكن اسمح لي بعدم البقاء كي أدفن جثثك».

قال المُرتزق مبتسماً بسخرية: «هل تحسب أنك ستبقى حيّاً أكثر مني؟». بين أسنانه كانت فجوة سوداء حيث كسر تُرس السير فارديس إيجن واحدة منها إلى نصفين.

هزّ تيريون كتفيه وقال: «التحرّك بسرعة وقوّة ليلاً وسيلة مضمونة لأن تَسْقُط عن الجبل وتُهَشَّم جمجمتك، بينما أجبّد أن يكون عبوري بطيئاً سهلاً. أعرف أنك تُحبّ مذاق لحم الخيول يا برون، لكن إذا مات الحصانان تحتنا هذه المرّة، لن نجد شيئاً نضع عليه السّرجين غير قِطط الظلّ... والحقيقة أنني أعتقد أن رجال القبائل سيجدوننا مهما فعلنا، فعيونهم في كلّ مكانٍ حولنا»، ولوّح بيده مشيراً إلى الجروف العالية التي حفرتها الرّياح وأحاطت بهم.

قال برون بجهامة: «نحن في عداد الموتى إذن يا لانستر».

أجاب تيريون: «وهو ما يجعلني أفضل أن أموت مستريحاً. إننا نحتاج النّار، فالليل بارد هنا، والطعام السّاخن سيُدفئ معدّتنا ويشرح صدرينا. هل تعتقد أن هناك ما يُمكن صيده هنا؟ لقد أمدّتنا الليدي لايسا بوليمة حقيقيّة من اللّحم المملّح والجبن القاسي والخُبز البائت، لكنني أكره أن أكسر ضرراً على هذا المسافة البعيدة من أقرب ما يستر».

رمقه برون بنظرة شكّ من عينيه السّوداوين تحت شعره الفاحم، وقال: «يُمكنني العثور على لحم. في الواقع حرّيتي أن أتركك هنا مع نارك السّخيفة. إذا أخذتُ حصانك ستتضاعف فرصتي في النّجاة. ماذا ستفعل حينئذٍ أيها القزم؟».

قال تيريون وهو ينحني لالتقاط فرع آخر: «سأموث في الغالب».

- «ألا تحسب أنني سأفعلها؟».

- «بل ستفعلها في غمضة عينٍ لو كانت حياتك تعتمد على هذا. لقد

رَأَيْتُ كَيْفَ سَارَعَتْ بِإِخْرَاسٍ صَدِيقَكَ تَشِيجُنَ عِنْدَمَا أَصَابَهُ السَّهْمُ فِي بَطْنِهِ». كَانَ بَرُونُ قَدْ شَدَّ رَأْسَ الْمُرْتَزِقِ الْآخَرَ مِنْ شَعْرِهِ وَغَرَسَ خَنْجَرَهُ تَحْتَ أُذُنِهِ، وَقَالَ لِكَاتِلَيْنِ سِتَارِكَ بَعْدَهَا إِنَّهُ مَاتَ مَتَاتَرًا بِجَرَحِهِ.

قَالَ بَرُونُ: «كَانَ مَيِّتًا عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَيْنِهِ كَانَ يَلْفَتُ انْتِبَاهَهُمْ إِلَيْنَا. كَانَ تَشِيجُنَ لِيَفْعَلَ الشَّيْءَ نَفْسَهُ مَعِي، وَهُوَ لَمْ يَكُنْ صَدِيقِي، بَلْ مَجْرَدُ رَجُلٍ فِي رِفْقَتِنَا. لَا تُخْطِئِ الْحُكْمَ عَلَى الْأَشْيَاءِ أَيُّهَا الْقَزَمُ، فَقَدْ قَاتَلْتُ مِنْ أَجْلِكَ، لَكِنِّي لَا أَكِنُّ لَكَ أَيَّ حُبٍّ».

قَالَ تِيرِيُونُ مَلْقِيًا حَفَنَةَ الْحَطَبِ عَلَى الْأَرْضِ: «وَأَنَا كُنْتُ أَحْتَاجُ سَيْفَكَ وَلَيْسَ حُبِّكَ».

ابْتَسَمَ بَرُونُ قَائِلًا: «أَنْتَ جَرِيءٌ كَأَيِّ مُرْتَزِقٍ، أَعْتَرَفُ بِهَذَا. كَيْفَ عَرَفْتَ أَنَّي سَأُقَاتِلُ فِي مَكَانِكَ؟».

- «عَرَفْتُ؟»، قَالَ تِيرِيُونُ جَالِسًا الْقَرْفِصَاءَ لِيُشْعِلَ النَّارَ. «كَانَتْ مَقَامَرَةً. لَمَّا كُنَّا فِي الْخَانِ سَاعَدْتَ أَنْتَ وَتَشِيجُنَ عَلَى أَخْذِي أُسِيرًا، فَلَمَّاذَا؟ الْآخَرُونَ رَأَوْا هَذَا وَاجِبَهُمْ، مِنْ أَجْلِ شَرَفِ السَّادَةِ الَّذِينَ يَخْدُمُونَهُمْ، لَكِنْ لَيْسَ أَنْتُمَا، فَلَيْسَ لَدَيْكُمَا سَادَةٌ أَوْ عَلَيْكُمَا وَاجِبٌ، وَمَا تَتَمَتَّعَانِ بِهِ مِنْ شَرَفٍ قَلِيلٍ، فَلِمَ تُورِّطَانِ نَفْسَيْكُمَا؟»، وَأَخْرَجَ سَكِّينَهُ وَكَشَطَ بَضْعَ شَرَايِطِ رَقِيقَةٍ مِنَ اللَّحَاءِ لِيَسْتَخْدِمَهَا كَفَنِيلٍ لِإِشْعَالِ لَابِقَادِ النَّارِ مُوَاصِلًا: «لِمَ يَفْعَلُ الْمُرْتَزِقُ أَيَّ شَيْءٍ أَصْلًا؟ مِنْ أَجْلِ الذَّهَبِ طَبْعًا، وَقَدْ فَكَّرْتُمَا أَنْ اللَّيْدِي سِتَارِكَ سَتُكَافِئُكُمَا عَلَى مُسَاعَدَتِكُمَا، بَلْ وَقَدْ تَضَمُّكُمَا إِلَى خِدْمَتِهَا كَذَلِكَ. حَسَنٌ، أَمَلُ أَنْ يَكْفِيَ هَذَا. تُرَى هَلْ أَجِدُ مَعَكَ صَوَانَ؟».

دَسَّ بَرُونُ إِصْبَعَيْنِ فِي الْجِرَابِ الْمَثْبُتِ بِحِزَامِهِ وَأَخْرَجَ حَجَرَ صَوَانَ أَلْقَاهُ إِلَيْهِ، وَالتَقَطَهُ تِيرِيُونُ فِي الْهَوَاءِ قَائِلًا: «شُكْرًا. الْمَشْكَلَةُ أَنْكُمَا لَمْ تَعْرِفَا آلَ سِتَارِكَ. اللَّوْرْدُ إِدَارْدُ رَجُلٌ أَبِيٌّ صَادِقٌ شَرِيفٌ، وَالسَّيِّدَةُ زَوْجَتُهُ أَسْوَأُ مِنْهُ بِكَثِيرٍ. أَوْه، لَا شَكَّ أَنَّهَا كَانَتْ سَتَجِدُ عُمَلَةً أَوْ اثْنَتَيْنِ بَعْدَ نِهَايَةِ كُلِّ هَذَا وَتَضَعُهَا فِي يَدِكَ مَعَ كَلِمَةٍ مَهْذَبَةٍ وَنَظَرَةٍ احْتِقَارٍ، لَكِنْ هَذَا أَقْصَى مَا

كان يُمكنك أن تأمله. آل ستارك يتطلَّعون إلى الشَّرَف والوفاء والشَّجاعة في من يأخوذَنهم في خدمَتهم، والحقيقة أنك وتشيجن مجرَّد حثالة»، وضربَ حَجَر الصَّوَّان بخنجره محاولاً إطلاق شرارة لكن بلا نتيجة. أطلقَ برون شجرةً وقال: «لديك لسان وقح أيها الصَّغير، وسيأتي يوم يقطعه أحدهم لك ويجعلك تأكله».

قال تيريون: «الجميع يقولون هذا»، ثم رفعَ عينيه إلى المُرتزق قائلاً: «هل أهنئك؟ سامِحي... لكنك حثالة بالفعل يا برون ولا مجال للشكِّ في هذا. الواجب، الشَّرَف، الصَّدَاقَة، ما قيمة هذه الأشياء لديك؟ لا، لا تُعيب نفسك، فكلانا يعرف الإجابة. لكنك لست غيباً، فمجرَّد بلوغنا وادي آرَن لم تُعُدْ امرأة ستارك في حاجةٍ إليك، بينما احتجتك أنا، والشَّيء الوحيد الذي لا يفتقر آل لانستر إليه هو الدَّهَب. هكذا، عندما حانت لحظة إلقاء النِّرد، كنتُ أَعتمدُ على أن تكون ذكياً بما يكفي لأن تعرف أين تقع مصلحتك، ولحُسن حظِّي أن هذا ما حدث»، وضربَ الحَجَر بالمعدن مرَّةً أخرى بلا طائل.

قال برون وهو يجلس القرفصاء بدوره: «مهلاً، سأفعلها أنا»، وأخذَ الحَجَر والخنجر من يد تيريون فأطلقَ الاحتكاك شرارةً من المرَّة الأولى، وبدأ اللُّحاء يشتعل.

- «أحسنت»، قال تيريون. «حثالة قد تكون، لكنك مفيد حقاً ولا أحد يُنكر ذلك، وبسيفٍ في يدك تكاد تُقارب براعة أخي چايمي. ماذا تُريد إذن يا برون؟ الدَّهَب؟ الأرض؟ النِّساء؟ حافظ على حياتي وستنال ما تُريده». نفخَ برون بهدوءٍ في النَّار فبدأ اللَّهب يتأجَّج، وقال: «وإذا مُت؟». أجابَ تيريون مبتسماً: «إذن سينعاني واحد بخُزنٍ حقيقي، فالدَّهَب ينتهي مع نهايتي».

كانت النَّار مشتعلةً على أكمل وجهٍ الآن، فنهَضَ برون وأعاد الصَّوَّان إلى جرابه وألقى إلى تيريون خنجره قائلاً: «اتَّفَقنا إذن، سيفي لك، لكن

لا تتوقَّع مني أن أنحنِي لك كلما قضيت حاجتك. إنني لا أداهنُ أحدًا». - «ولا تُصادِقُ أحدًا كذلك. لا يُخالِجني أدنى شك أنك ستخونني بالسَّرعَة نفسها كما فعلت مع الليدي ستارك إذا رأيت في هذا منفعةً لك. أقولُ لك إذن أن تتذكَّر هذا يا برون إذا جاءَ اليوم وشعرت بالإغراء لأن تبيعني: الثَّمَن نفسه سأدفعه لك أيَّا كان. إنني أحبُّ الحياة. والآن هل يُمكنك أن تفعل شيئًا بخصوص العثور عليَّ عشاءٍ لنا؟».

- «اعتنِ بالحصانين»، قالها برون واستلَّ الخنجر الطَّويل الذي يُبجِّته إلى وَرْكه، وغابَ بين الأشجار.

بعد ساعةٍ كان الحصانان قد دُلَّكا وأكلا وعلى النار تدور فخذ جدي، وقال تيريون: «كلُّ ما نحتاجه الآن هو بعض النِّبذ».

قال برون: «نبيذ وامرأة ودسته من المُحاربين». كان جالسًا متقاطع السَّاقين بالقرب من النَّار يشحذ سيفه، وكان ثَمَّة شيء ما مُطمِّئِن في صوت الكشط الذي يُصدِّره احتكاك السَّيف بالمشحذ. «سأخذُ المناوَبَة الأولى وإن كانت بلا داع حقًّا. من الأرحم أن يقتلونا في منامنا».

قال تيريون ورائحة الشَّواء تُسَيِّلُ لعبه: «أعتقدُ أنهم سيأتون قبل أن ننام بوقتٍ طويل».

رمقه برون عبر النار وقال بلهجةٍ محايدة يصحبها كشط الفولاذ: «يبدو أن لديك خُطَّة».

- «إنه أمل بالأخرى، رمية نرِدٍ أخرى».

- «وحياتنا على المحك؟».

هَزَّ تيريون كتفيه وغمغم: «وهل لدينا الخيار؟»، ومالَ على النَّار واقتطعَ شريحةً صغيرةً من لحم الجدي، وأطلقَ تنهيدةً سعيدةً وهو يلوِّك، وقال والدهن بسيل على ذقنه: «أقسى قليلًا مما أحبُّ وتعوزه التَّوابل، لكنني لن أشكو. لو أنني في "العُش" الآن، لكنك أرقصُ على حافة الهاوية طمعًا في الفاصوليا المسلوقة».

- «ومع ذلك أعطيت السَّجَّانَ كَيْسًا من الذَّهَبِ».

- «اللانستر يُسَدِّدُ ديونه دائمًا».

حتى مورد لم يُصَدِّقْ نفسه عندما ألقى تيريون إليه بكيس النقود الجِلْدِي، واتَّسَعَتْ عينا السَّجَّانَ كَبِضَتَيْنِ مَسْلُوقَتَيْنِ وهو يفتح الرِّباط ويرى لمعة الذَّهَبِ، وقال له تيريون بابتسامة ساخرة: «احتفظتُ بالفضَّة، لكنني وعدتك بالذهب، وها هو ذا». كان المبلغ أكبر مما يأمل مورد في أن يجنيه ولو قضى حياته كلها في الإساءة إلى السُّجَّاناء. «وتذكَّر ما قلته لك، هذه مجرد عِيْنَة. إذا حدثتِ وشعرتِ بالسَّأم من خدمة الليدي آرِن، تعالِ إلى كاسترلي روك وسادفُكْ لك بقيَّة ما أدينُ لك به». هوى مورد على رُكْبتيه والتَّانينِ الذَّهَبِيَّةِ تفيض من كلتا يديه ووعَدَ بأن يفعل هذا بالضَّبط. أخرج برون خنجره ورفع اللَّحْمَ عن النَّارِ، ثم بدأ يُقَطِّعُ قطعًا سميكةً منه بينما بدأ تيريون في تفريغ رغيفين من الخُبْزِ البائتِ ليكونا بمثابة طبقين، وسأله المُرتزِق وهو يُقَطِّعُ: «إذا بلغنا النَّهرَ فعلاً، فماذا سنفعل عندها؟».

- «أوه، عاهرة وفِراش من الرِّيش وإبريق من النَّبيذ كبداية»، أجاب تيريون وهو يمدُّ يده بطبقه المرتجِّلَ ليملأه برون باللَّحْمِ. «وبَعْدَها إلى كاسترلي روك أو كينجز لاندنْج على ما أظنُّ. إن لديَّ بضعة أسئلةٍ بخصوص خنجرِ بعينه في حاجةٍ إلى إجابات».

لَاكَ المُرتزِقِ اللَّحْمَ وازدردَه قائلاً: «كنت تقول الحقيقة إذن؟ الخنجر لم يكن خنجرِك؟».

رسم تيريون ابتسامةً رفيعةً على شفثيه وقال: «أأبدو كاذبًا لك؟».

كانت النُّجُوم قد ظهَرت في السَّماء وارتفع الهلال فوق الجبال عندما امتلأت معدناهما أخيرًا، وفردَ تيريون المعطف المصنوع من جِلْدِ قِطِ الظِّلِّ على الأرض واتَّخذ من سَرَجِه وسادةً، وقال: «أصداقنا يستغرقون كلَّ ما لديهم من وقت».

قال برون: «كنت لأرتاب في وجود فَنَحْ ما لو كنت مكانهم، وإلا فلم نجلس علانية هكذا إن لم يكن لاستدراجهم؟».

ضحك تيريون وقال: «علينا أن نُغْنِي إذن فنجعلهم يُؤلُّون الأدبار»، وبدأ يُطلق صفارة منغومة.

- «أنت مجنون أيها القزم»، قال برون وهو يزيل الدهن من تحت أظفاره مستخدمًا طرف الخنجر.

- «أين حُبُّك للموسيقى؟».

- «إذا كنت تريد الموسيقى، كان حريًا بك أن تتخذ المغني نصيرًا لك».

ابتسم تيريون قائلاً: «لكان هذا طريقًا بالفعل. أستطيع أن أتخيله يُقاتل السير فارديس بقيثارته»، وعاد يُواصل الصَّفير للحظة قبل أن يسأل: «هل تعرف هذه الأغنية؟».

- «أسمعها هنا وهناك في الحانات وبيوت الدَّعارة».

- «أغنية مايريّة هي، اسمها "مواسم حبيبي"، جميلة لكن حزينة إذا كنت تفهم الكلمات. أول فتاة ضاجعتها كانت تُغْنِيها كثيرًا، ولم أستطع طردها من رأسي قطُّ»، ورفع تيريون عينيه إلى السَّماء. كانت ليلة باردة صافية، ونور النجوم يَسْقُط على أعالي الجبال متألِّقًا بلا رحمة كالْحَقِيقَة، وسمع تيريون نفسه يقول: «التقيتها في ليلة شبيهة بهذه. چايمي وأنا كنا في طريق العودة من لانسبورت عندما سمعنا صرخة، ثم خرجت تجري على الطَّرِيق وفي أعقابها رجلان يزعلان بالتهديدات. امتشق أخي سيفه وطاردهما، بينما ترجَّلتُ أنا لحماية الفتاة. لم تكن تكبرني بكثير، فاحمة الشَّعر نحيلة لها ملامح تذيب القلوب، ولقد أذابت قلبي بلا شك. كانت معدمة متسخة وتكاد تموت جوعًا... وإنما جميلة حقًا. كانا قد مرَّقا الأسماك التي ترتديها عن ظهرها، فألبستها معطفي بينما كان چايمي يُطاردهما في الغابة، ولدى عودته كنت قد عرفتُ منها اسمها وقصَّتها.

كانت ابنة مُزارع صغير، تَبَيَّنَتْ عندما ماتَ أبوها بِالْحُمَّى، وكانت في طريقها إلى... لَيْسَ إلى مكانٍ مَعِيْنٍ في الحقيقة. كان چايمي حانقًا ويرغب في العثور على الرَّجلين بأيِّ ثَمَنٍ، فنادراً ما كان يجرؤُ الخارجون على القانون على مهاجمة المسافرين على هذه المسافة القريبة من كاسترلي روك، واعتبرها إهانةً. غير أن الفتاة كانت مرعوبةً من المغادرة بمفردها، فعرضتُ أن أصحبها إلى أقرب خانٍ بينما يهرع أخي إلى "الصَّخرة" طالبًا المَدَد. كانت جائعةً أكثر مما تخيلتُ، وأنهينا دجاجتين كاملتين وجزءًا من ثالثةٍ وشربنا إبريقًا من النِّبَذ ونحن نتكلَّم. كنتُ في الثالثة عشر لا أكثر، وأخشى أن النِّبَذ صعدَ إلى رأسي مباشرةً، وإذا بي معها في الفراش. إذا كانت خجولاً فقد كنتُ أكثر خجلًا، ولا أدري من أين واتنني الشَّجاعة، ولقد بكتُ لَمَّا فَضَضْتُ بَكَارتها، لكنها قَبَّلَتني بَعْدَها وغَنَّت هذه الأغنية، ومع مجيء النَّهار كنتُ واقِعًا في الحُبِّ.

سأله برون بصوتٍ لَاحٍ فيه الاستمتاع: «أنت؟».

- «عبث، أليس كذلك؟»، وبدأ يُصَفِّرُ لحن الأغنية من جديد، قبل أن يقول: «ثم تزوّجتها».

- «لأنستر من كاسترلي روك يتزوّج ابنة مُزارع حقير؟ كيف حدث هذا؟».

- «سَيُدْهِشُكَ أن تعرف ما يستطيع صبيٌّ أن يفعله بوضع كذباتٍ وخمسين قطعةً من الفضة وسِتِّون سَكْبِر. لم أجرؤُ على أن آخذ عروسي معي إلى كاسترلي روك بالطَّبع، فوجدتُ لها كوخًا تقيم فيه بمفردها، وطوال أسبوعين كنا كزوج وزوجته حقًا، ثم أفاق السِّبْتون واعترف بكلِّ شيءٍ لأبي». شعرَ تيريون بالدهشة من الحُزن الغامر الذي أصابه وهو يحكي، حتّى بعد كلِّ تلك السِّنِّين، لكن لعلَّه مُتَعَبٌ لا أكثر. اعتدلَّ وحَدَّق في النار التي بدأت تخدم قائلًا: «وكانت هذه نهاية زواجي».

- «هل طردَ أبوك الفتاة؟».

أجاب تيريون: «بل فعل ما هو أفضل. أولاً جعل أخي يُخبرني بالحقيقة. اتضح أن الفتاة عاهرة، وأن چايمي دبر المسألة كلها، الطريق، الخارجين على القانون، كل شيء. خطر له أن الوقت قد حان لأن أنام مع امرأة، ودفع السعر مضاعفًا لأنه كان يعرف أنها ستكون مرّتي الأولى. ثم، بعد اعتراف چايمي بالحقيقة، وكى يتأكد من أنه لقّني الدرس كاملاً، أحضر اللون تاويين زوجتي وأعطاهها لحرسه، ودفعوا لها جيّدًا، قطعة فضيّة لكل رجل. كم عاهرة تعرفها تتلقّى أجرًا كهذا؟ أجلسني في ركن الثكنة وأمرني بأن أشاهد، وفي النهاية صارَ معها عدد أكبر من أن أحصيه من العملات الفضيّة حتى أنها سقطت من بين أصابعها وتدرجت على الأرض، وهي...». كان الدُخان يلسع عينيه، وتنحنج تيريون وأشاح بنظره عن النّار راميًا الظّلام، ثم قال بهدوء: «جعلني اللورد تاويين آخر من ضاجعوها، وأعطاني قطعة ذهبيّة لأدفعها لها، لأنّي ابن لانستر وأعلى شأنًا من الآخرين».

بعد فترة سمع الصّوت من جديد، احتكاك الفولاذ بالحجر وبرون يشحذ سيفه قائلاً: «في الثالثة عشر أو الثلاثين أو الثالثة، كنتُ لأقتل الرّجل الذي فعلَ بي هذا».

التفت تيريون إليه قائلاً: «قد تنال تلك الفرصة يومًا. تذكّر ما قلته لك: اللانستر يُسدّد ديونه دائماً»، ثم تشاءب وقال: «أعتقدُ أنني سأحاولُ النّوم. أيقظني إذا كنا على وشك الموت».

ودثر نفسه بالمعطف الذي تمدّد عليه وأغلق عينيه. كانت الأرض قاسية باردة، لكن تيريون لانستر غاب في النّوم بعد فترة، وحلمَ بزنازة السّماء، وهذه المرّة كان هو السّجّان وليس السّجين، كبير الحجم يحمل سوطاً في يده يضرب به أباه، يدفعه إلى الوراء صوب الهاوية...

- «تيريون»، قال صوت برون بالحاج خافت. واستيقظ تيريون على الفور. لم يبقَ من النّار غير بعض الجّمرات،

والظلال كانت تزحف في كل أنجاء حولهما، وبرون على رُكبة واحدة حاملاً سيفه في يد وخنجره في الأخرى. رفع تيريون يداً تأمره بالثبات، ثم وجّه كلامه للظلال وقال: «انضمُّوا إلينا حول النَّار، فالليل بارد. أخشى أن لا نبذل لدينا لنُقَدِّمه لكم، لكن يُمكنكم اقتسام جذينا معنا».

توقَّفت الحركة كلها في آنٍ واحد، ورأى تيريون لمعة نور القمر على المعدن. «هذا جبلنا»، قال صوت قاسٍ عميق بلا لمحة ودٌّ من بين الأشجار. «وجدينا».

قال تيريون: «جديكم، لا بأس. من أنتم؟».

أجابَه صوت آخر: «عندما تلتقي بآلهتك، قل لها إن جونثر بن جورن من قبيلة الغربان الحجريَّة هو من أرسلك إليها»، وانكسر فرع تحت قدميه وهو يخطو إلى الضَّوء. كان رجلاً نحيفاً مسلَّحاً بسكِّين طويلٍ ويرتدي خوذة ذات قرنين.

قال الصَّوت الأول العميق: «وشاجا بن دولف»، وتحرك جلمود إلى يسارهما ونهض واستحالَ إلى رجل. بدا عملاقاً بطيئاً قوياً وقد ارتدى الجلد وأمسك هراوةً بيمنه وبلطةً بيسراه، وضربهما معاً وهو يتقدَّم متثاقلاً.

ارتفعت أصوات أخرى تُنادي بأسماءٍ أخرى، كون وتوريك وچاجوت والمزيد مما نساء تيريون لحظة أن سمعه، عشرة على الأقل. بعضهم كان يحمل السُّيوف والسَّكاكين، والبعض الآخر لَوْح بالمداري والمناجل والحراب الخشبيَّة، وانتظرَ تيريون حتى فرغوا من ترديد أسمائهم ثم أجاب: «أنا تيريون بن تايوين من قبيلة لانستر، أسود الصَّخرة»، وسيسرُّنا أن ندفع ثمن الجدي الذي أكلناه».

سأله المدعو جونثر الذي يبدو أنه كبيرهم: «وماذا لديك لتُعطينا إياه يا تيريون بن تايوين؟».

قال لهم تيريون: «هناك فضَّة في كيس نقودي، وهذا القميص الوافي

الذي أرنديه كبير عليّ، لكنه سيُناسب كون، والبلطة الحربيّة التي أحملها
تُلائم يد شاجا القويّة أكثر من بلطة الخشب التي يحملها».

قال كون: «النّصف رجل يرغب في أن يدفع لنا من مالنا».

قال جونثور: «كون يقول الحق. الفضة لنا، والحصانان لنا، وقميصك
وبلطتك وهذا السكّين في حزامك لنا أيضًا. ليس هناك ما تمنحانا إياه غير
حياتكما. كيف تُريد أن تموت يا تيريون بن تايوين؟».

أجاب تيريون: «في فراشي، في سنّ الثمانين، بمعدّة مليئة بالنّبيذ وفم
فتاة يُحيط بقضيبي».

ضحك الضّخم المدعو شاجا بصوتٍ مُدوّ بينما لم يبدُ الآخرون
مسرورين، ثم قال جونثور: «كون، خُذ الحصانين. اقتلوا الآخر وخُذوا
النّصف رجل. يُمكنه أن يحلب الماعز ويرقص للأُمّهات».

وثبَ برون إلى قدميه قائلاً: «من سيموت أولاً؟».

- «لا!»، صاح تيريون بحدّة. «جونثور بن جورن، اسمعني أولاً. إن
عائلتي ثريّة. إذا اصطحبنا رجال الغُربان الحَجريّة عبر هذه الجبال بأمان،
سيُطرحكم أبي بالذّهب».

قال جونثور: «ذهب سادة الأراضي المنخفضة بلا قيمة هنا، تمامًا
كوعد النّصف رجل».

قال تيريون: «قد أكون نصف رجل، لكنني أملك شجاعة مواجهة
أعدائي. ماذا يفعل رجال الغُربان الحَجريّة غير الاختباء وراء الصّخور
والارتجاف أثناء مرور فرسان "الوادي"؟».

هدرَ شاجا غاضبًا وضربَ البلطة بالهراوة، بينما وكرَ حاجوت وجه
تيريون بطرف الحربة الخشبيّة الطويلة المقوّى بالنّار، وبذلَ تيريون
قصارى جهده كي لا يُجفل، وقال: «أهذه أفضل أسلحة استطعتم
سرقته؟ إنها تصلح لقتل الخراف ربما... إذا لم تُقاوم الخراف. إن
حدّادي أبي يتغوّطون فولاذًا أفضل».

زَمَجَرَ شَاجَا قَائِلًا: «دَعْنَا نَرَى إِنْ كُنْتَ سَتَسْخَرُ مِنْ بِلَطْتِي عِنْدَمَا أَقْطَعُ ذَكَرَكَ وَأُطْعِمَهُ لِلْمَاعِزِ».

لَكِنْ جُونْثُورُ رَفَعَ يَدَهُ وَقَالَ: «كَلَّا، أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَ مَا لَدَيْهِ. الْأَمَّهَاتُ جَائِعَاتٌ، وَالْحَدِيدُ يَمْلَأُ أَفْوَاهَهَا أَكْثَرَ مِنَ الذَّهَبِ. مَاذَا سَتُعْطِينَا مُقَابِلَ حَيَاتِيكُمَا يَا تِيرِيونَ بِنَ تَايُوينَ؟ سَيُوفَا؟ رِمَاحَا؟ دُرُوعَا؟».

أَجَابَ تِيرِيونَ لَانِسْتَرُ مَبْتَسِمًا: «سَأُعْطِيكُمْ كُلَّ هَذَا وَأَكْثَرَ يَا جُونْثُورُ بِنَ جُورِنَ، سَأُعْطِيكُمْ وَادِي آرَنَ».



إدارد

انصبَّ ضوء الغروب عبر نوافذ القلعة الحمراء العالية الضيقة على أرضية قاعة العرش الضخمة، صانعاً خطوطاً حمراء داكنة على الجدران حيث كانت جماجم التنانين معلقة من قبل، أمّا الآن فهي مغطاة بالسناثر المزدانة بمشاهد الصيد بألوان زاهية من الأخضر والبني والأزرق، وإن بدا لند ستارك أن اللون الأوحـد الذي بسط سلطانـه على القاعة هو الأحمر الدّموي لا غير.

جلس عاليًا على مقعد إجون الفاتح الهائل العتيق، ذلك الوحش الحديدي الذي قدّ بدنه من الخوازيق والنصال المحززة والمعادن التي تشابكت معاً بشكل مشوّه. كان كما حدّره روبرت تمامًا، كرسياً جحيميّاً لا يمنح أدنى قدرٍ من الراحة، لاسيّما الآن أكثر من أيّ وقت آخر مع ساقه المكسورة التي يتضاعف ألمها المُضني مع مضيّ كلّ دقيقة، بينما تزداد صلابـة المعدن من تحته كلما استمرّ في الجلوس عليه، وقد جعل الفولاذ المدبّب كالأنياب والمخالب من ورائه الاستناد مستحيلًا. لا ينبغي أن يجلس الملك مستريحاً أبداً، قال إجون الفاتح عندما أمر حدّاديه ببناء عرشٍ عظيم من سيوف أعدائه المستسلمين، وفكّر ند بكآبة: عليه اللعنة إجون وغطرسته، وعليه اللعنة روبرت وصيده.

- «متأكّد من أنهم كانوا أكثر من مجرد لصوص؟»، سأل فارس بنبرة ناعمة من مكانه على مائدة المجلس أسفل العرش، وتملّـل المايستر

پايسل في جلسته إلى جواره، بينما كان الإصبع الصَّغير يُداعِب قَلَمًا موضوعًا أمامه. كانوا الوحيدين الحاضرين من مستشاري المَلِك، بَعْد أن شوهِد أيل في غابة الملوك وغادرَ اللورد رنلي والسير باريستان للانضمام إلى المَلِك روبرت في صيده، ومعهما الأمير جوفري وساندور كليجانين وبالون سوان ونصف البلاط، فوقَّعَ الجلوس على العرش الحديدي في غيابه على عاتق ند.

لكنه كان جالسًا على الأقل، فبخلاف المجلس يجب أن يقف الجميع باحترام أو يركعوا، وقد احتشدَ المتطلِّمون عند الأبواب الطويلة، والفُرسان وكبار السَّادة والسَيِّدات تحت السَّتائر الزَّاهية، والعامَّة في الشُّرفة، بالإضافة إلى الحرس ذوي المعاطف الذَّهبيَّة أو الرَّماديَّة... كلهم كانوا واقفين بلا استثناء. في الآن نفسه كان القرويون راکعين، رجالهم ونساؤهم وأطفالهم على حدٍّ سواء جرحى ممزَّقو الثَّياب وقد تجلَّى الخوف على ملامحهم، بينما وقف وراءهم الفُرسان الثلاثة الذين جاءوا بهم إلى هنا ليُدلِّوا بشهادتهم.

- «لصوص يا لورد فارس؟»، قال السير رايمون داري بصوتٍ يَقطُرُ ازدراءً. «نعم، كانوا لصوصًا بلا أدنى شك، لصوص لانستر».

أحسَّ ند بالاضطراب السَّائد في القاعة وقد أُرهِفَ اللوردات والخدم في آنٍ واحدٍ أسماعهم ليُصغوا، ولم يكن بإمكانه أن يتظاهر بالدَّهشة، فغَرِبَ البلاد كله ملتهبٌ منذ قبَضَت كاتلين على تيريون لانستر، وكل من كاسترلي روك وريفرزَن استدَعَت راياتها بالفعل، والجيش تحتشد على الممرِّ الواقع عند قلعة النَّاب الذَّهبي. هي مسألة وقتٍ فقط حتى يبدأ الدَّم في التدفُّق، والسُّؤال الوحيد الذي تَبَقَّى هو كيف يوقَّف التَّريف بأفضل طريقةٍ ممكنة.

أشارَ السير كاريل فانس ذو العينين الحزيتين، الذي كان ليتحلَّى بالوسامة لولا الوحمة الخمرية التي تشوب وجهه، إلى القرويين الجائين

وقال: «هؤلاء هم كل ما تبقى من معقل شيرر أيها اللورد إدارد. الآخرون كلهم موتى، بالإضافة إلى أهل ويندش تاون ومخاضة الممثلين».

- «انهضوا»، قال ند للقرويين. كان لا يثق أبداً بما يقوله أي رجل وهو جاثٍ على ركبتيه. «كلكم، انهضوا».

نهضت البقية الباقية من أهل معقل شيرر فرادى وأزواجاً، واحتاج أحد الشيوخ مساعدةً للوقوف على قدميه، بينما ظلت فتاة شابة في فستان دام على ركبتيها تُحدِّق مشدوهةً في السير آريس أوكهارت، الذي وقف عند قاعدة العرش في درع الحرس الملكي البيضاء، مستعداً للدفاع عن الملك... أو - كما افترض ند - عن يد الملك.

- «جوس»، قال السير رايمون داري لرجل أصلع يرتدي مئزر صانعي البيرة. «احك لحضرة اليد ما حدث في شيرر».

هز جوس رأسه وقال: «إذا سمح جلالته...».

- «جلالته خرج للصيد على الضفة الأخرى من النهر الأسود»، قاطعه ند متسائلاً كيف يمكن لرجل أن يعيش طوال حياته على بُعد أيام قليلة من القلعة الحمراء ويزال لا يملك أدنى فكرة عن شكل ملكه. كان ند يرتدي سُترَةً من الكتان الأبيض على صدرها ذئب ستارك الرهيب، بينما ثبتت شارة منصبه الفضيّة على ياقة معطفه الصوفي الأسود. أسود وأبيض ورمادي... جميع درجات الحقيقة. «أنا اللورد إدارد ستارك، يدُ الملك. أخبرني من تكون وما تعرفه عن هؤلاء المُغيّرين».

- «لدي... كان... كان لديّ حانة يا سيّدي، في شيرر، عند الجسر الحجري، أفضل مِزْرٍ⁽¹⁾ على الإطلاق جنوب "العنق" يا سيّدي، الكل كانوا يقولون هذا إذا سمح لي سيّدي. لم يعد لها وجود الآن ككل شيء آخر يا سيّدي. جاءوا وشربوا حتى الثمالة ثم سكبوا البقية وأشعلوا النار في السقف، وكانوا ليريقوا دمي أيضاً لو أمسكوا بي يا سيّدي».

(1) الجزر نوع من البيرة يستغرق فترة أقصر حتى يختمر ومذاقه غير مُر.

قال مُزارع يقف إلى جواره: «أحرقوا كُلَّ شيء، جاءوا في الظَّلام من الجنُوب وأشعلوا النَّارَ في الحقول والبيوت، وقتلوا كُلَّ من حاول التصدِّي لهم. لكنهم لم يكونوا مُغيَرين يا سيِّدي، فلم يسرقوا شيئاً من ماشيتنا، بل ذَبَحوا بقرتي في مكانها وتركوها للذُّباب والغِربان».

- «وقتلوا مُساعِدي»، قال رجل قصير ممتلئ ذو عضلات حدَّادٍ وضَمَّادٍ حول رأسه. كان قد ارتدى أفضل ثيابه للمجيء إلى البلاط، لكن سرواله كان مرقَّعاً ومعطفه مبقَّعاً مغبراً. «طارَدوه هنا وهناك في الحقول على ظَهر الخيول، يكزونه برماحهم كأنها لُعبة ويضحكون، والولد يجري ويتعثَّر صارخاً، إلى أن طعنه الكبير برُمحه».

رفعت الفتاة الجاثية على رُكبتيها عينيها إلى ند الجالس عاليًا على العرش، وقالت: «وقتلوا أُمِّي أيضًا يا جلالة المَلِك، ثم... ثم...»، وبترت عبارتها كأنها نسيَت ما كانت ستقوله، وانفجرت باكيةً.

تكلم السير رايمون داري قائلاً: «في ويندش تاون لا ذَّ النَّاسُ بالمعقل هناك، لكن الأسوار كانت من الخشب، فكُوم المُغيَريون القَشَّ وأحرقوهم أحياء، وعندما فتحَ أهل البلدة البوابات ليهربوا من الحريق، أطلقوا عليهم السَّهام جميعاً بلا استثناء، حتى النساء والرُّضَّع».

غمغم فارس: «هذا شنيع. يا لوحشية البَشَر!».

قال چوس: «كانوا ليفعلوا العِثْل معنا لولا أن معقل شيرر مبني بالحجارة. أرادَ بعضهم إشعال النَّار لدفعنا للخروج كذلك، لكن الكبير قال إن هناك فواكه أنضج في اتِّجاه منبع النَّهر، واتَّجهوا إلى مخاضة الممثلين».

كان ند يَشْعُر بالفولاذ البارد تحت أصابعه، ومن بين كُلِّ إصبعين يَخْرُج نصل وقد برزت رؤوس السيُوف المشوَّهة كبرائن الطُّيور الجارحة على ذراعي العرش، وحتى بعد ثلاثة قرونٍ كاملةٍ كان بعضها لا يزال حاداً بما يكفي لأن يجرح. العرش الحديدي مليء بالشُّراك لغير

المُنْتَبِه، وتقول الأغاني إنه مصنوع من ألف سيفٍ سُخِّتْ حتى اتَّقَدَتْ في أتون أنفاس الرُّعب الأسود بالريون، بينما استغرق دَقُّها تسعةً وخمسين يوماً؛ فكانت النتيجة هذا الوحش الأسود المحدَّب المصنوع من النِّصال الشَّائكة، المقعد الذي يستطيع أن يَقْتُل رجلاً... ولقد حدثَ هذا بالفعل إذا صدَّقت الحكايات.

لم يستطع إدارد ستارك استيعاب ما يفعله بجلوسه هناك، لكن ها هو جالسٌ وهؤلاء النَّاس ينشدون منه العدالة. سألَ مُحاولاً السَّيطرة على غضبه: «أيُّ دليل لديكم أنهم كانوا من رجال لانستر؟ هل كانوا يرتدون المعاطف القرمزية أو يرفعون رايات الأسد؟».

- «حتى رجال لانستر ليسوا بهذا الغباء الأعمى»، قال السير مارك پاير محتدّاً. كان شابّاً مزهواً بنفسه كديك صغير، أصغر سنّاً وأحرّ دماءً مما يروق لند، وإن كان صديقاً وفيّاً لإدمور تلي أخيه كاتلين.

أجاب السير كاريل بهدوء: «كلهم كانوا يمتطون الخيول ويرتدون الدُّروع يابسدي، ومسلّحين برماح ذات رؤوس فولاذية وسيوف طويلة وفؤوس حربية جاهزة للذَّبْح»، وأشار إلى واحد من النَّاجين البائسين وقال: «أنت. نعم، أنت. لا تخف، لن يُؤذيك أحد. أخيرِ حضرة اليَد بما أخبرتني به».

حنى العجوز رأسه قائلاً: «الخيول التي امتطوها كانت خيولاً حربيةً. لقد عملتُ في اسطبلات السير ويلوم لسنواتٍ طويلةٍ وأعرفُ الفارق. ولا واحد منها كان يُستخدَم للجرِّ أو الحرث، ولتشهد الآلهة عليّ إذا كنتُ مخطئاً».

قال الإصبع الصَّغير: «لصوص يمتطون خيولاً حربيةً. من الوارد أنهم سرَّقوها من آخر مكانٍ أغاروا عليه».

سألَ ند: «كم كان عددهم؟».

- «مئة على الأقل»، أجاب چوس في اللَّحظة نفسها التي قال فيها

الحدّاد ذو الضمّادة: «خمسین»، وقالت الجدّة التي تقف وراءه: «مئات ومئات يا سيّدي، كانوا جيّشًا».

- «أنتِ مصيبةٌ أكثر مما تحسّبين أيتها المرأة الطيّبة»، قال اللورد إدارد لها. «تقولون إنهم لم يرفعوا أيّ رايات، فماذا عن الدُّروع التي ارتدّوها؟ هل لاحظ أحدكم أيّ زينةٍ أو زخارفٍ أو رموزٍ على صدورهم أو خوذاتهم؟».

هزّ جوس صانع البيرة رأسه وقال: «يؤسفني أن أجيب بالنفي يا سيّدي، لم تكن هناك علامات مميزة على دروعهم، لكن قائدهم... قائدهم كان يرتدي درعًا تقليديّةً مثلهم، لكن لا يُمكن الخلط بينه وبين غيره إطلاقًا. إنه حجمه سيّدي. من الواضح أن الذين يقولون إن العمّالة كلهم ماتوا لم يروه. أقسمُ أنه كان ضخّمًا كالثيران وصوته يفلق الحجر».

قال السير مارك باير بصوتٍ مرتفع: «الجبل! أهناك من يشكُّ في هذا؟ إنه عمل السير جريجور كليجاين».

سمع ند همهمةٌ من تحت النّوافذ وطرف القاعة الأقصى، وحتى في الشُّرفة تبادل الحاضرون الهمسات المتوتّرة. كان السّادة والعامة على حدٍّ سواء يعرفون ما يعنيه أن تُثبت صحّة قول السير مارك، فالسير جريجور من حمّلة راية اللورد تايبين لانستر. تطلّع إلى وجوه القرويين الخائفة ولم يرَ عجبًا في كونهم مرعوبين لهذه الدّرجة، إذ حسبوا أنهم جيء بهم إلى هنا لتسمية جزّار اللورد تايبين الذي تلوّث يدها بدمائهم أمام المَلِك الذي يُعدُّ ابنًا له بالزّواج من ابنته المَلِكة. تساءل إن كان الفرسان قد تركوا لهم الخيار.

نهض المايستر الأكبر بايسل متثاقلاً والسّلسلة المحيطة بعنقه ترنُّ بصوتٍ خافت، وقال: «السير مارك، مع احترامي، لكنك لا تستطيع الجزم بأن ذلك المجرّم هو السير جريجور، فهناك الكثير من الرّجال ضخام الجثة في البلاد».

قال السير كاريل: «ضخام كالجبل راكب الخيول؟ لم أرَ أحدًا كذلك قطُّ».

أضاف السير رايمون بحرارة: «ولا رأى أيُّ رجل هنا. أخوه نفسه يبدو كالجرو الصَّغير مقارنةً به. افتحوا أعينكم أيها السَّادة. أيجب أن تروا ختمه على الجثث؟ إنه جريجور».

سأله بايسل: «ولماذا يتَّجه السير جريجور إلى اللُّصوصية؟ إنه بفضل سيِّده ولي الأمر يملك قلعةً كبيرةً وأراضيه الخاصَّة، كما أنه فارس منصَّب».

صاحَّ السير مارك: «فارس زائف! إنه كلب اللورد تاويين المجنون!». خاطبَ بايسل ند بصوتٍ جافٍّ قائلاً: «حضرة اليِّد، أناشِدك أن تُذكِّر هذا الفارس بأن اللورد تاويين أبو ملكتنا الكريمة».

قال ند: «شكراً أيها المايستر الأكبر، أخشى أننا كنا سننسى هذا لو لم تُذكِّرنا».

من موقعه العالي على العرش رأى البعض ينسلُّون من الباب في طرف القاعة الأقصى، أرانب خائفة عائدة إلى جحورها تحت الأرض ربما، أو جرذان سرسي الطَّامعة في الفتات الذي تُلقيه إليها، ثم لمحَّ السَّيِّة موردن واقفةً في الشُّرفة وإلى جوارها ابنته سانزا. شعرَ ند بالغضب، فهذا ليس مكاناً لفتاة، مع أن السَّيِّة لم تكن لتعرف أن البلاط اليوم سيختلف عن الملل المعتاد بين المتطلِّمين والملتَمسين وفَضَّ النَّزاعات بين المعاقل المتنازعة وإعادة رسم الحدود بينها.

على مائدة المجلس أسفله فقدَ بيتر بايلش اهتمامه بريشة الكتابة، ومالَ إلى الأمام قائلاً: «السير مارك والسير كاريل والسير رايمون، هل تسمحون لي بسؤال؟ تلك المعاقل واقعة تحت حمايتكم، فأين كنتم وقت حدوث كلِّ هذا القتل والحرق؟».

أجاب السير كاريل فانس: «كنتُ في صُحبة السيِّد والدي على الممرِّ

عند النَّابِ الذَّهَبِي، وكذلك كان السير مارك. ثم عندما بلغت أخبار هذه المذابح السير إدميور تلي، أرسل إلينا وأمرنا بأن نأخذ قوَّةً صغيرةً من الرِّجال لنجد أيَّ ناجين ونأخذهم إلى المَلِكِ.

وقال السير رايمون داري: «كان السير إدميور قد استدعاني إلى ريفرَن ومعِي كُلُّ قوَّاتي، وكنتُ مخيِّمًا خارج أسواره في انتظار أوامره عندما أتاني الخبر، ولدى استطاعتي العودة إلى أرضي كان كليجايين وهوامه قد عادوا يعبُرُون فرع الثَّالوث الأحمر واتَّجهوا إلى تلال لانستر». ملَّس الإصبع الصَّغير على لحيته الصَّغيرة المدبَّية، وقال: «وماذا لو عادوا ثانية؟».

قال السير مارك باير منفعلًا: «لو عادوا سنروي الحقول التي أحرقوها بدمائهم».

وأضاف السير كاريل: «السير إدميور أرسل رجالًا إلى كُلِّ قريةٍ ومعقلٍ على بُعد يومٍ من الحدود. إذا أغاروا مرَّةً أخرى فلن تكون المسألة بالسَّهولة نفسها».

فكرَ ند: وقد يكون هذا ما يرغب فيه اللورد تايبين بالتَّحديد، أن يُشَتَّ قوَى ريفرَن ويُجبر الصَّبي إدميور على توزيع رجاله هنا وهناك. كان أخو زوجته صغيرًا، ينحلى بالشَّجاعة أكثر من الحكمة، ولا ريب أنه سيُحاول الحفاظ على كُلِّ شبرٍ من أرضه، والدِّفاع عن كُلِّ رجلٍ وامرأةٍ وطفلٍ يعتبره ولي أمره، وتايوبين لانستر داهية حقيقي ويُدرك هذا جيِّدًا. قال اللورد پيتر: «إذا كانت حقولكم ومعقلكم آمنة الآن من الأذى، فماذا تَطْلُبون من العرش؟».

أجاب السير رايمون داري: «لوردات الثَّالوث يُحافظون على سلام المَلِك، بينما عكَّره آل لانستر. إننا نَطْلُب الإذن بالرَّدِّ عليهم، العين بالعين والفولاذ بالفولاذ، نَطْلُب العدالة لأهالي ويندش تاون وشيرر ومخاضة الممثَّلين».

وقال السير مارك: «إدميور يتفق معنا، يجب أن يدفع جريجور كليجاين الثمن بعمَلته الدَّامية، لكن اللورد هوستر أمرنا بأن تأتي ونأخذ الإذن من المَلِك أولاً قبل أن نضرب ضربتنا».

الشُّكر للآلهة على اللورد هوستر إذن. تايوين لانستر ليس أسدًا فحسب، بل هو ثعلب كذلك. إذا كان قد أرسل السير جريجور ليحرق ويقتل بالفعل - ولم يكن لدى ند شك في صحَّة هذا - فقد عمَل على أن يفعلها مستترًا بظلام الليل دون رايات وفي هيئة لصّ تقليدي، فإذا ردَّت ريفررن الضربة، ستُصرُّ سرسي وأبوها على أن آل تلي هم من عكَّروا سلام المَلِك وليس آل لانستر، والآلهة وحدها تعلم من الذي سيُصدِّقه روبرت.

نهض المايستر الأكبر بايسل مجددًا وقال: «حاضرة اليد، إذا كان هؤلاء القوم الطيبون يحسبون أن السير جريجور هجرَ نذوره إلى النهب والاعتصاب، فليذهبوا إلى ولي أمره إذن ويُقدِّموا له شكواهم، فالعرش لا علاقة له بهذه الجرائم. فليسعدوا إلى العدالة لدى اللورد تايوين». قال ند: «كلها عدالة المَلِك. شمالًا وجنوبًا وشرقًا وغربًا، كل ما نفعله نفعله باسم روبرت».

قال بايسل: «عدالة المَلِك. لنُؤجِّل هذه المسألة إذن حتى...». قاطعه اللورد إدارد: «المَلِك في رحلة صيد على الجانب الآخر من النهر وقد لا يعود قبل أيام، وقد أمرني روبرت بأن أجلس هنا في مكانه، أسمع بأذنيه وأتكلم بصوته، وهذا ما أنوي أن أفعله بالضبط... وإن كنتُ أتفق معك على ضرورة إخباره»، ولمحَّ وجهها مألوفًا تحت واحدة من التوافذ، فقال: «سير روبار».

تقدَّم السير روبار رويس وانحنى قائلاً: «سيدي». - «أبوك مع المَلِك في صيده، أليس كذلك؟ هلَّا ذهبت إليهما بأخبار ما قيل وحدث هنا اليوم؟».

- «في الحال يا سيدي».

وجّه مارك باير سؤاله للعرش: «ألدنا الإذن بأن نُنزِل انتقامنا بالسير جريجور إذن؟».

قال ند: «انتقامكم؟ حسبتُ أننا نتكلّم عن العدالة، بينما لن يُرَدَّ إحراق أراضِي كليجاين وقتل قومه سلام المَلِك، بل كرامتكم الجريحة فقط»، وأشاح ببصره قبل أن يعلو صوت الفارس الشاب بالاحتجاج الغاضب، وقال: «يا أهل سيرر، لا أقدرُ على إعادة بيوتكم أو محاصيلكم، ولا أستطيعُ إعادة موتاكم إلى الحياة، لكن ربما يُمكنني أن أمنحكم قدرًا صغيرًا من العدالة باسم ملكنا روبرت».

ركّز كل من في القاعة أنظارهم عليه منتظرين، ويبطئ نهض ند دافعًا نفسه عن العرش معتمدًا على قوّة ذراعيه وساقه المهشّمة تصرّخ داخل الجبيرة. بذلَّ جهده كله كي يتجاهل الألم، فهذه ليست اللَّحظة الملائمة على الإطلاق لأن يروا ألمه، وبحزم قال: «كان البشر الأوائل يؤمنون بأن القاضي الذي يُصير الحُكْم عليه أن يُنزَل العقوبة بنفسه، وفي الشّمال ما زلنا نتمسّك بهذا. أكره حقًا أن أبعث آخرين ليقتلوا نيابةً عني... (وأشار إلى ساقه المكسورة)... لكن يبدو أنني لا أملك الخيار».

- «لورد إداردا!»، جاءت الصّيحة من طرف القاعة الغربي بينما تقدّم صبيٌّ مراهق بخطواتٍ واسعةٍ قويّة، وبدأ السير لوراس تايرل أصغر من سنين عُمره الستة عشر من دون درعه، وقد ارتدى قميصًا من الحرير الأزرق الفاتح وطوّق وسطه حزام من الورود الذهبية، رمز عائلته. «ألتمسُ منك شرف الإنابة عنك. كلّفني بهذه المهمة يا سيدي وأقسمُ أنني لن أخذلك».

قال الإصبع الصّغير ضاحكًا: «سير لوراس، إذا أرسلناك وحدك، سيُعِيد السير جريجور زأسك إلينا وقد حشا فمك الجميل هذا بحبّة برقوق. الجبل ليس من النّوع الذي يحني رأسه لعدالة أيّ أحد».

قال السير لوراس بغطرسة: «لستُ أخاف جريجور كليجاين».
 عادَ ند يجلس بهدوءٍ على عَرشِ إجون المشوّه، وبحثَ عيناه في
 الوجوه المحيطة، قبل أن يُنادي: «لورد بريك، ثوروس المايري، السير
 جلادن، لورد لوثار». تقدّم الأربعة الذين نادى على أسمائهم واحدًا
 تلو الآخر، فحاطَبَهم قائلاً: «ليجمع كلُّ منكم عشرين رجلاً للذهاب
 بأوامري إلى قلعة جريجور، وسيصحبكم عشرون من حُرسي الخاص.
 لورد بريك دونداريون، القيادة لك كما يليق برُبتك».
 انحنى اللورد الشاب ذو الشَّعر الأحمر الذهبي وقال: «أمرُك أيها
 اللورد إدارد».

رفعَ ند صوته كي يبلُغَ كلَّ من في القاعة: «باسم روبرت الأول سليل
 عائلة باراثيون، ملك الأنداليين والروينار والبشر الأوائل، سيّد الممالك
 السَّبع وحامي البلاد، بأمر إدارد ابن عائلة ستارك، يَدُ المَلِك، أكلّفكم
 بالتوجّه إلى الأراضي الغربيّة بكلِّ سرعة، وأنْ تعبُروا فرع الثالوث الأحمر
 تحت راية المَلِك، وتُزِلُّوا عدالة المَلِك بالفارس الزَّائف جريجور
 كليجاين وكلَّ من اشتَرَكوا معه في جرائمه. إنني أدِينه، وأندُدُّ به، وأجرّده
 من كُلِّ الرُّتب والألقاب، وجميع الأراضي والدُّخول والأملاك، وأحكمُ
 عليه بالموت. لتغفر الآلهة لروحه».

عندما تلاشى صدى آخِر كلماته قال فارس الزُّهور وقد بدا مرتبكًا:
 «لورد إدارد، وماذا عني؟».

تطلَّع إليه ند، ومن على هذا الارتفاع بدا لوراس تايرل صغيرًا كروب.
 «لا أحد يُشَكِّك في شجاعتك يا سير لوراس، لكننا نشد العدالة هنا، بينما
 ما تسعى إليه أنت هو الانتقام»، ثم نظرَ إلى اللورد بريك وقال: «تحرَّكوا
 في الصَّباح الباكر، فمن الأفضل إنجار هذه الأشياء بسرعة»، ورفعَ يده
 مضيفًا: «لن يسمع العرش المزيد من التظلمات اليوم».

صعدَ آكين وپورثر درجات العرش المنحدرة لمُساعدته على التَّزول،

وشعرَ ند بنظرات لوراس تايرل الراجمة، وإن أنسل الصَّبي مغادرًا لدى وصول ند إلى أرضيَّة القاعة. كان الإصبع الصَّغير والمَياستر بايسل قد غادرا بالفعل، بينما كان فارس يجمع أوراقه من على مائدة المجلس عند قاعدة العرش الحديدي، وقال الخَصِيُّ بنعومة: «أنت أجزأ مما حسبتُ يا سيِّدي».

سأله ند بفظاظة: «وكيف هذا؟». كانت ساقه تؤلمه بشدَّة ومزاجه لا يسمح بالألعاب اللَّفْظيَّة.

- «كنتُ لأرسل السير لوراس لو كنتُ مكانك. لقد أَرَادَ الذَّهاب بشدَّة... ومن مصلحة الرَّجل الذي يجعل من آل لانستر أعداءه أن يجعل من آل تايرل أصدقاءه».

قال ند: «السير لوراس ما زال صغيرًا، وأعتقدُ أنه سينسى خيبة أمله». ملَّس الخَصِيُّ على وجنته الممثلة المغطَّاة بالمساحيق، وقال: «وماذا عن السير إلين؟ إنه عدالة المَلِك، وإرسال غيره للقيام بمهامِّه... قد يُفسَّر البعض هذا بأنه إهانة».

- «لم أكن أقصد أيَّ إهانة». في الحقيقة لم يكن ند يثق بالفارس الأخرس، وإن كان السَّبب ربما أنه يكره الجَلَّادين عمومًا. «ودعني أذكرك بأن آل باين من حملة راية آل لانستر، وقد أثرتُ أن أختار رجالًا لا يدينون لتايوين لانستر بالولاء».

قال فارس: «تفكير حكيم لا شك، لكنني رأيتُ السير إلين في مؤخِّرة القاعة يُحدِّق فينا بعينه السَّاحبتين هاتين، وأجرؤُ على القول إنه لم يبدُ مسرورًا، وإن كان من الصَّعب تحديد هذا دائمًا مع فارسنا الصَّامت. أملُ أن ينسى خيبة أمله بدوره، فهو يُحبُّ عمله حقًّا».



سانزا

ليلتها روت سانزا الجين بول ما شهدته في قاعة العرش وهما تتناولان
عشاءً باردًا على ضوء المصباح: «رفض إرسال السير لوراس تمامًا. أظنُّ
أن ساقه هي السَّبب».

كان اللورد إدارد قد تناولَ عشاءه في عُرفة نومه مع آلين وهاروين
وفايون بول ليربح ساقه المكسورة، واشتكت السَّيِّئة موردن من ألم في
قدميها بعد الوقوف في الشُّرفة طوال اليوم، بينما كان من المفترض أن
تنضمَّ أريا إليهما، لكنها تأخرت في العودة من دروس الرِّقص.

- «ساقه؟»، سألت جين بحيرة. كانت فتاةً حسنة ذات شعرٍ أسود في
عُمر سانزا. «هل حدث شيء لساق السير لوراس؟».

- «ليست ساقه هو»، قالت سانزا وهي تقضم برقةً من ورك دجاجة.
«ساق أبي أيتها السَّخيفة. إنها تؤلمه كثيرًا وتجعل مزاجه متعكرًا، وإلاَّ
لكان أرسل السير لوراس، أنا متأكدة».

كان قرار أبيها لا يزال يُحيرها. عندما تكلم فارس الزُّهور في قاعة
العرش كانت واثقةً من أنها على وشك أن ترى واحدةً من قصص العجوز
نان القديمة تتحقّق على أرض الواقع: السير جريجور هو الوحش والسير
لوراس هو البطل الحقيقي الذي سيقضي عليه. بل إنه يبدو كالأبطال
كذلك، بنحافته ووسامته والورود الذهبية حول خصره وشعره البني
الكثيف السَّاقط على عينيه، ثم رفض أبوها إرساله! أثارَ هذا استياءها

إلى أقصى حد، وهو ما قالته للسبّنة موردن وهما تنزلان درجات الشُرفة، لكن السبّنة قالت لها إنه ليس من حقّها التّشكيك في سلامة قرارات السيّد والدها.

كان هذا عندما قال اللورد بايلش: «أوه، لا أدري أينها السبّنة، فبعض قرارات السيّد والدها يستأهل بعض التّشكيك فعلاً. سيّدتنا الصّغيرة حكيمة بقدر ما هي فاتنة»، وانحنى بشدّة أمام سانزا حتى أنها لم تدر إن كان يُجامِلها أم يتهمّها عليها.

شعرت السبّنة موردن بضيق بالغ لأنه سمعهما، وقالت: «الفتاة تتكلّم لا أكثر يا سيّدي، محض ثرثرة حمقاء، ولم تقصد شيئاً بتعليقها». ملّس اللورد بايلش على لحيته المدبّبة قائلاً: «حقّاً؟ أخبريني يا صغيرتي، لماذا كنتِ تريدان إرسال السير لوراس؟».

لم تجد سانزا خياراً غير أن تشرح رأيها عن الأبطال والوحوش، فابتسم مستشار الملك وقال: «لم أكن لأعطي هذه الأسباب عن نفسي، لكن...»، ومسّ وجهها ومرّر إبهامه بخفّة على عظم وجتها مكماً: «الحياة ليست أغنيّة يا صغيرتي، وقد تتعلّمين هذا الدّرس يوماً للأسف». على أن سانزا لم ترغب في إخبار جين بكلّ هذا، فمجرّد التّفكير فيه كان يُشعرها بعدم الرّاحة.

قالت جين: «السير إلين هو عدالة الملك وليس السير لوراس. كان يجدر باللورد إدارد أن يرسله هو إلى الجبل».

ارتجفت سانزا كما ترتجف كلما وقع نظرها على السير إلين باين. إنه يجعلها تشعّر كأن شيئاً ميتاً يسعى كالحية على جلدها العاري. «السير إلين نفسه بمثابة وحشٍ ثانٍ. أنا مسرورة لأن أبي لم يرسله».

- «اللورد بريك لا يقلّ بطولةً عن السير لوراس. إنه شديد الشّجاعة والنّبيل».

غمغمت سانزا بريبة: «أعتقدُ هذا». كانت ترى اللورد بريك دونداريون

وسيمًا بما فيه الكفاية، لكنه كبير للغاية، في الثانية والعشرين من عمره! كان فارس الزهور ليؤدّي المهمة أفضل كثيرًا، لكن طبعًا كانت حين واقعة في حُبّ اللورد بريك منذرته للمرة الأولى في دورة المباريات، ما اعتبرته سانزا سُخْفًا، فهي مجرد ابنة وكيل في النهاية، ومهما كانت درجة افتتانها به فاللورد بريك لن يُعير واحدةً أقلّ شأنًا منه مثلها اهتمامًا أبدًا، حتى لو لم تكن في نصف عمره. غير أنه لم يكن من اللطيف أن تقول شيئًا كهذا لجين، فاكفّت بأن أخذت رشفةً من الحليب وغيّرت الموضوع قائلة: «رأيتُ في الحلم أن جوفري هو من سيصيد الأيل الأبيض». كانت أمنيةً في الحقيقة، لكن بدا لها أن من الأفضل أن تدعوها حلمًا، فالجميع يعلمون أن الأحلام تحمل شيئًا من النبوءات، والأياثل البيضاء شيءٌ سحريٌّ نادر، وفي قلبها كانت تعرف أن أميرها الشجاع أجدر به من أبيه السكّير.

- «حلم؟ حقًا؟ هل ذهب الأمير جوفري إليه ومثّه بيديه العاريتين ولم يُصبه بأذى؟».

أجابَت سانزا: «كلا، أصابه سهم من ذهب وعادَ به إليّ». في الأغاني لا يُقتل الفرسان الكائنات السحرية أبدًا، بل يذهبون إليها ويمسّونها دون أن يُصيبوها بأيّ أذى، لكنها تعرف أن جوفري يُحبُّ الصيد، بالذات الجزء الخاص بالقتل... لكن هذا ينطبق على الحيوانات فقط. كانت سانزا متأكّدة من أن أميرها لم يلعب أيّ دور في قتل جوري والمسكينين الآخرين، فكلُّ هذا كان بيد خاله الشرير قاتل الملك، وهي تعرف أن أباه لا يزال غاضبًا من هذا، لكن ليس من العدل أن يلوم جوف، كأن يلومها هي على شيء فعلته آريا.

قالت جين كأنها قرأت أفكارها: «رأيتُ أختك اليوم بعد الظهر، كانت تمشي على يديها في الاسطبلات. لماذا تفعل شيئًا كهذا؟».

- «لا أدري لِمَ تفعل آريا أيّ شيء حقًا». كانت تكره الاسطبلات،

تلك الأماكن كريهة الرائحة المليئة بالزُّوْث والدُّباب، وحتى عندما تذهب لركوب الخيل كانت تجعل الصُّبي يضع السَّرج على الحصان ويأتي إليها به في السَّاحة في الخارج. «هل تريد أن تسمعي ما حدث في البلاط أم لا؟».

- «نعم، نعم».

- «كان هناك أخٌ أسودٌ يَطْلُبُ رجالًا من أجل "الجدار"، لكنه كان مُسِنًّا وكرهه الرائحة». لم يَرُقْ لها هذا على الإطلاق، فلطالما تصوَّرت أن جميع رجال حرس اللَّيل يدون مثل عمَّها بنجن، وفي الأغاني يُسمُّونهم فُرسان "الجدار" السُّود، لكن هذا الرَّجل كان أحذب الظَّهر قبيحًا، وبدا مصابًا بالقمل كذلك. إذا كان بقيَّة رجال حرس اللَّيل يدون كذلك، فإنها تَشْعُرُ بالأسف من أجل أخيها غير الشَّقِيْق جون. «سأل أبي إن كان هناك أيُّ فُرسان يرغبون في تشريف عائلاتهم بارتداء الأسود، لكن أحدًا لم يتقدَّم، فقال ليورن أن يختار من يشاء من زنازين المَلِك وصرْفَه. وبعد ذلك حضرَ هذان الأخوان أمامه، مُحارِبين غير نظاميَّين من تخوم دورن، وتعهَّدا بسيفيهما لخدمة المَلِك، وقبلَ أبي قسَمَهما و...».

قالت جين مثابَّة: «هل هناك كعكات ليمون؟».

لم تكن سانزا تُحِبُّ أن يُقاطع أحد كلامها، وإن اعترفت لنفسها بأن كعكات اللَّيمون أكثر إثارةً بالفعل مما دارَ في قاعة العرش، فقالت: «نَرَا». لم تجدا الكعكات المنشودة في المطبخ، وإن وجدتا نصف فطيرة فراولة باردة، وهو ما رَحَّبتا به بسرور، والتهمتاها على سلالم البُرْج وهما تتبادلان الضَّحك والنَّميمة والأسرار؛ وخلدَت سانزا إلى الفراش ليلتها شاعرةً بجموح يُقارب ما لدى آريا.

استيقظت في الصُّباح التَّالي مع أول خيوط الفَجَر، وزحفت دون أن يُفارق النُّعاس عينيها بعد إلى النَّافذة لتُشاهد اللورد بريك وهو يجمع رجاله.

تحرّكوا والشمس تُلقِي أول أشعتها على المدينة تتقدّمهم ثلاث رايات: رفرِفَ وَعَل المَلِك المتوّج على السّارية الأعلى، وذئب ستارك الرّهيب ولسان البرق شعار اللورد بريك على ساريتين أقصر. كان المشهد كله مشيراً للغاية... صليل السيوف، تذبذب أضواء المشاعل، رقص الرّايات في الرّيح، سهيل الخيول، وهج الشّروق الذهبي ينسكب عبر قضبان الشّبكة الحديدية وهي تُرفع؛ وحتى رجال ويترفل بدوا مميّزين على نحوٍ خاص في دروعهم الفضيّة ومعاطفهم الرّماديّة الطّويلة. كان آلين يحمل راية ستارك، وحين تقدّم بحصانه إلى جوار اللورد بريك ليتبادل معه كلمة شعرت سانزا بالفخر الشّديد. كان آلين أوسم من چوري، وذات يوم سيُصبح فارساً.

بدا بُرج اليد فارغاً للغاية بعد أن غادر رجال أبيها، حتى أن سانزا شعرت بالسّرور لرؤية آريا عندما نظلت لتتناول إفطارها. «أين الجميع؟»، سألتها أختها وهي تُقشّر ثمرة من البرتقال القاني بيديها. «هل أرسلهم أبي لمطاردة چايمي لانستر؟».

تنهّدت سانزا وأجابّت: «خرّجوا مع اللورد بريك دونداريون ليقطعوا رأس السير جريجور كليجاين»، ثم التفتت إلى السّبتة موردن التي كانت تأكل الثريد بملعقة خشبيّة، وسألتها: «هل سيعلّق اللورد بريك رأس السير جريجور على بوابته أم يأتي به إلى المَلِك؟». هي وچين بول كانتا تتجادلان حول هذه التّفصيلة ليلة أمس.

بدت السّبتة مصعوقة وهي تُجيب: «الليدي لا تُناقش تلك الأشياء أثناء الطّعام. أين تهذيبك يا سانزا؟ أقسم أنك بدأتِ تتصرّفين مثل أختك مؤخراً».

سألت آريا: «وأين ذهب جريجور؟».

- «أحرق معقلاً ما وقتل كثيرين، نساء وأطفالاً كذلك».

اكفهرت ملامح آريا وقالت: «چايمي لانستر قتل چوري وهيوارد وويل، وكلب الصّيد قتل مايكا. كان حريّاً بأحدهم أن يقطع رأسيهما».

قالت سانزا: «هذا أمر مختلف. كلب الصيد حارس جوفري الخاص، وصديقك صبيُّ الجزار اعتدى على الأمير».

- «كاذبة!»، صاحت آريا واعتصرت يدها البرتقالة القانية بعنف حتى سأل العصير الأحمر من بين أصابعها.

ردّت سانزا بلا مبالاة: «هَلُمِّي، سُبِّني كما شئت، فلن تجرني على ذلك عندما أتزوِّج من جوفري. ستنحبن أمامي وتُخاطِبيني بجلالة المَلَكَة»، وصرخت إذ قذفتها آريا بحبّة البرتقال عبر المائدة، وارتطمت بها في منتصف جبهتها تمامًا بصوت انسحاقٍ مكتوم، قبل أن تنزلق إلى حجرتها.

قالت آريا: «ثمّة عصير على وجهك يا جلالة المَلَكَة».

كان العصير يسيل على أنفها ويسلخ عينيها فمسحته بمنديلها، ولمّا رأت ما فعلته الثمرة في حجرتها بفُستانها الحريري ذي اللّون العاجي صرخت من جديد، وزعقت في أختها: «أنتِ شنيعة! كان يجب أن يقتلوك أنتِ بدلًا من ليدي!».

نهضت السّبتة موردين قائلةً بصرامة: «سيعرف أبوكما بما حدث هنا! عودا إلى عُرفتيكما حالًا، حالًا!».

اغرورقت عينا سانزا بالدموع وقالت: «ولمّ أنا كذلك؟ هذا ليس عدلًا».

- «ليس هذا مجالًا للنفّاش. اذهبي!».

سارت سانزا مبتعدةً بصوتٍ مسموع. إنها ستُصبح مَلَكَة ذات يوم والمَلَكات لا يَكِين، على الأقل على مرأى ومسمع من الجميع. أوصدت الباب عندما عادت إلى عُرفتها وخلعت الفُستان لترى أن البرتقالة تركت بُقعةً حمراء كبيرةً على نسيجه الحريري، فصرخت: «كم أكرهها!»، وكوّرت الفُستان في يدها وألقت به في المُستوقد البارد فوق الرّماد المتبقي من نار الأمس. ثم رأت أن البُقعة قد بلغت ثيابها الدّاخليّة

كذلك، فبدأت تبكي رغماً عن نفسها، ومزّقت بغيّة ملابسها عن جسدها بعنفٍ ورمّت نفسها في الفراش وأخذت تبكي بلا انقطاع حتى غابت في النوم.

كان النهار قد انتصفَ عندما دقّت السّيّنة موردين على بابها قائلةً: «سانزا، السيّد والدك سيراك الآن».

اعتدلت سانزا هامسةً: «ليدي». للحظةٍ أحسّت كأن الذّئبة الرّهيبة معها في الغُرفة، ترمّقها بهاتين العينين الدّهبيّتين المفعمتين بالمعرفة الحزينة، ثم أدركت أنها كانت تحلم. كانت ليدي معها، والاثنتان تجريان و... و... كانت مُحاولَة التذكّر كمُحاولَة الإمساك بالمطر بأصابعها. غاب الحلم تمامًا من الذاكرة وعادت ليدي ميتةً من جديد. تكرّرت الدقّة على الباب بحدّة، وناذت السّيّنة: «سانزا، هل تسمعينني؟».

صاحت: «نعم. لحظة واحدة حتى أرتدي ثيابي من فضلك». كانت عيناها محمرّتين من البكاء، لكنها فعلت أفضل ما لديها كي تبدو جميلةً. كان اللورد إدارد مائلاً على كتابٍ ضخّم ذي غلافٍ من الجلد عندما دخلت بها السّيّنة موردين عليه في غُرفته الشّمسيّة، وساقه المجرّبة بالجِيس متصلة تحت المنضدة. «تعالى يا سانزا»، قال بأسلوبٍ لطيفٍ عندما ذهبَت السّيّنة لإحضار أختها، وأغلق الكتاب مضيقاً: «اجلسي إلى جوارِي».

عادت السّيّنة موردين بآريا تملّص في قبضتها. كانت سانزا قد ارتدت فُستاتاً جميلاً الإستبرق الأخضر الفاتح ورسمت على وجهها سيماء الندم، بينما ظلّت أختها ترتدي القميص الجلدي الرّمادي الشّبيه بجلد الفئران والسُّروال الخشن اللذين ارتدتَهما على الإفطار، وقالت السّيّنة: «ها هي الأخرى».

قال أبوها: «أشكركِ أيتها السّيّنة. أريدُ أن أتكلّم مع ابنتي وحدنا إذا سمحت»، وانحنت السّيّنة موردين وغادرت.

- «آريا كانت البادئة»، قالت سانزا بسرعة وهي متلهفة على أن تكون لها الكلمة الأولى. «نعتني بالكاذبة، وقذفتني ببرتقالية وأفسدت فُستاني الحريري العاجي، الفُستان الذي أهدتني الملكة سرسي إياه لدى خطبتي للأمير جوفري. إنها تكره أنني سأتزوج من الأمير، تُحاول إفساد كل شيء، لا تطبق أن يظل شيء جميلاً أو مرتباً أو مُفرحاً».

قال اللورد إدارد بنبرة حادة نافذة الصبر: «كفى يا سانزا». رفعت آريا عينها قائلة: «أسفة يا أبي، لقد أخطأت وألتمس المغفرة من أختي الجميلة».

شعرت سانزا بالصدمة لقول آريا حتى أنها عجزت عن الكلام للحظات، ثم عثرت على صوتها أخيراً وقالت: «وماذا عن فُستاني؟». قالت آريا بارتباك: «ربما يُمكنني أن... أغسله».

- «لن يُجدي الغسيل نفعاً حتى لو ظللت تُفركينه طوال الليل والنهار، لقد تلف الحريري».

- «إذن... سأصنع لك واحداً جديداً».

تراجعت سانزا قائلة بازدراء: «أنت؟ إنك لا تستطيعين تفصيل فُستان يُصلح لتنظيف زرائب الخنازير حتى».

زفر أبوهما وقال: «لم أطلبكما هنا للكلام عن الفساتين. سوف أعيدكما إلي ويترفل».

للمرة الثانية وجدت سانزا نفسها عاجزة عن الكلام، وشعرت بالدموع تتجمع في عينها من جديد.

صاحت آريا: «لا يُمكنك أن تفعل هذا!».

وقالت سانزا أخيراً: «أرجوك يا أبي، أرجوك لا تفعل هذا».

رمى اللورد إدارد ابتتيه بابتسامة مُتعبة وقال: «أخيراً وجدنا شيئاً تتفقان عليه».

قالت سانزا متوسلة: «لم أرتكب أي خطأ، لا أريد أن أعود». كانت

تُحِبُّ كينجز لاندنج، بهاء البلاط واللوردات والليديهاات بشابهم المخمليّة والحريريّة ومجوهراتهم الثمينة والمدينة العظيمة بكلّ أهلها. دورة المباريات بالتّحديد كانت أكثر وقتٍ سحريّ قضته في حياتها كلها، وما زال هناك الكثير جدًّا مما لم تره بعد، مهرجانات الحصاد والحفلات التنكريّة وعروض الممثلين، ولا تحتل فكرة فقدان كلّ هذا على الإطلاق. «دع آريا تعود، هي كانت البادئة يا أبي، أقسمُ لك، سأحسّن التصرف، سترى، دعني أبقى فقط وأعدُّ بأنّي سأكون مهذّبةً نبيلةً لطيفةً مثل المَلَكَة».

ارتعش فم أبيها على نحوٍ غريب، وقال: «سانزا، إنني لا أريدُ أن أعيدكما إلى ويترفل لأنكما تشاجرتما، وإن كانت الآلهة تعلم أنني ستمتُ من شجاركما الدائم. أريدُ أن أعيدكما من أجل سلامتكما. لقد ذُبِحَ ثلاثة من رجالي كالكلاب على مسافةٍ أقلّ من فرسخٍ من هنا، وماذا يفعل روبرت؟ يذهب للصيد».

كانت آريا تمضغ شفها بطريقتها المقرّزة هذه، وقالت: «هل يُمكننا أن نأخذ سيريو معنا؟».

- «من يُبالي بمعلّم الرّقص الأحمق؟»، صرخت سانزا غاضبةً. «أبي، لقد تذكّرتُ الآن فقط. لا يُمكنني أن أغادر لأنني سأتزوّج من الأمير جوفري»، وحاولت أن ترسم على وجهها ابتسامةً شجاعةً وهي تضيف: «إنني أحبه يا أبي، حقًا، أحبه مثلما أحبّت المَلَكَة نيرس الأمير إيمون الفارس الثّنين، مثلما أحبّت چونكويل السير فلوريان. أريدُ أن أكون مَلِكته وأنجب أبناءه».

قال أبوها بلطف: «اسمعيني يا صغيرتي. عندما تكبرين سأزوّجكِ من لورد يليق بكِ ويستحقكِ، رجل شجاع ودمث وقوي. هذه الخطبة من جوفري كانت خطأً كبيرًا. الصّبي ليس الأمير إيمون، صدّقيني».

- «بل هو كذلك! لا أريدُ أحدًا شجاعًا ودمثًا، بل أريده هو! سنكون سعيدين للغاية معًا، تمامًا كما في الأغاني، سترى. سأُنجبُ له ابنًا ذهبيًّا

الشَّعر، وذات يوم سيكون مَلِك البلاد كلها، أعظم مَلِكٍ شَهِدَتْهُ الدُّنْيَا عَلَى الإِطْلَاق، شُجَاعًا كَالذُّئْبِ وَأَبِيًّا كَالْأَسَدِ».

قالت آريا ساخرة: «ليس إذا كان چو فري أباه. إنه كَذَّاب وجبان، ثم إنه وَعَلْ وليس أَسَدًا».

شعرت سانزا بالدُّموع تكاد تفيض من عينيها. «كلا، إنه لا يُشَبِّه ذلك المَلِك العجوز السَّكَّير مقدار ذَرَّة»، صرخت في وجه أختها وقد جعلتها اللُّوعة تنسى نفسها.

رَمَقَهَا أبوها بنظرة غريبة جدًا وغمغم: «يا للآلهة! من أفواه الأطفال...»، ثم نادى على السَّيِّئة موردين قبل أن يلتفت إلى الفتاتين قائلاً: «إنني أبحث عن سفينة تجارية سريعة تُقَلِّكُما إلى الدَّيَّار، فالبحر أأمن من طريق الملوك هذه الأيام. سُبُجْران فور عثوري على سفينة مناسبة ومعكما السَّيِّئة موردين وفرقة من الحرس... وسيريو فورل كذلك إذا قَبِلَ دخول خدمتي. لكن لا تَدْكُرَا شيئًا من هذا لأحد، فمن الأفضل ألا يعرف غيرنا بخُطْطنا. ستتكلَّم ثانية غداً».

بَكَت سانزا بحرارة والسَّيِّئة تنزل بهما السَّلام. سوف يسبلونها كُلَّ شيء، المباريات والبلاط وأميرها، كُلَّ شيء، ويُعيدونها إلى جدران وينترفل الرَّماديَّة الكثيبة فتظلُّ هناك إلى الأبد. لقد انتهت حياتها قبل أن تبدأ. قالت السَّيِّئة موردين بحسم: «كفى بكاء يا صغيرني، أبوك أكثر مَنْ يعرف ما في صالحك».

وقالت آريا: «لن يكون الأمر بهذا السُّوء يا سانزا. سُبُجْر على متن سفينة وستكون مغامرة، ثم سنرى بران وروب من جديد، والعجوز نان وهودور وبقيَّتهم»، وأمسكت ذراع أختها بحنان.

صرخت سانزا: «هودور؟! يَجْدُرُ بِكَ أَنْ تَتزوَّجِي من هودور! إنك مثله بالضَّبط، حمقاء ومُشْعِرة وقييحة!»، وانتزعت ذراعها من يد أختها واندفعت إلى غُرْفَتها صافقة الباب وراءها وأغلقت بالمزاليج.



إدارد

قال المايستر الأكبر بايسل: «الألم نعمة من الآلهة يا لورد إدارد. إنه يعني أن العظام تلتحم معًا واللحم يلتئم. كُن شاكراً».

- «سأكون شاكراً عندما يتلاشى الألم».

وضع بايسل قنينة ذات سدادة على الطاولة الصغيرة المجاورة للفرش قائلاً: «حليب الخشخاش، تناوله عندما يصير الألم شديداً».

- «لكني أنا مُ كثيراً بالفعل».

- «النوم معالج عظيم».

- «كنتُ أملُ أن المعالج العظيم هو أنت».

ابتسم بايسل بشحوب وقال: «من الجيد أنك محتفظ بحسّ دعابتك يا سيّدي»، ومال على ند وخفضّ صوته قائلاً: «جاء غُداً هذا الصّباح، رسالة إلى المَلِكة من أبيها. خطرَ لي أن من الأفضل أن تعرف».

غمغم ند مقطّباً جبينه: «أجنحة سوداء، أخبار سوداء. ماذا قالت الرّسالة؟».

أجاب المايستر: «اللورد تايوين غاضب للغاية بسبب الرّجال الذين أرسلتهم وراء السير جريجور كليجاين، وهو ما كنتُ أخشاه. لقد قلتُ لك هذا إذا كنت تذكّر».

قال ند: «فليغضب كما يشاء». مع كلّ نبضة ألم في ساقه كان يرى ابتسامة چايمي لانستر وچوري ميتّا بين ذراعيه. «وليكُتب كلُّ ما يُريد

من رسائل إلى المَلَكَة. اللورد بريك يتحرَّك تحت راية المَلَك، وإذا حاول اللورد تاكوين إعاقَة عدالة المَلَك، فعليه أن يشرح السَّبب لروبرت بنفسه. الشَّيء الوحيد الذي يستمتع به جلالتَه أكثر من الصَّيد هو قتال من يتحدُّونه».

تراجعَ هايسل لتُصدِر سلسلته رنينها المألوف، وغمغمَ: «كما تقول. سأزورك ثانيةً غداً»، ولملمَ أغراضه على عجل وسارعَ بالمُغادرة. لم يكن لدى ند أدنى شكٍّ في أنه سيتوجَّه إلى السَّكن المَلَكِي مباشرةً ليهمس في أذن المَلَكَة. خطرَ لي أن من الأفضل أن تعرف... حقًا، كأن سرسي لم تأمره بإبلاغه بتهديدات أيها. تمنَّى أن تجعلها إجابته تضغط على أسنانها البيضاء المثالية تلك حتى تتحطَّم، بينما في الحقيقة كان ند غير واثقٍ من روبرت لهذه الدَّرَجَة كما أبدى، وإن لم يكن هناك داعٍ لأن تعرف سرسي هذا.

طلبَ ند كأسًا من النِّبيذ المحلَّى بالعسل بعد مغادرة هايسل. النِّبيذ يُشوِّش العقل كذلك، لكنه ليس بسوء حليب الخشخاش، وهو يُريد أن يكون قادرًا على التَّفكير. لألف مرَّة سأل نفسه عمَّا كان جون آرن ليفعله لو عاشَ بما يكفي لأن يتَّخذ إجراءً ما حيال المعلومات التي توصَّل إليها، أو لعلَّه اتَّخذ إجراءً ما بالفعل ولهذا مات.

من الغريب حقًا كيف ترى عينا طفل بريثان أحيانًا ما تُغفله عيون الكبار تمامًا. ذات يوم، عندما تكبرُ سائرًا، سيجلس معها ويُخبرها كيف جعلت المسألة كلها واضحةً له. إنه لا يُشبه ذلك المَلَك العجوز السَّكَّير مقدار ذرَّة، قالت غاضبةً دون أن تعي أنها أصابت كبد الحقيقة، الحقيقة البسيطة التي تلَوَّت في أعماقه ببرودة الموت. هذا هو السَّيف الذي قتل جون آرن وسيقتل روبرت كذلك. ستكون ميتةً أبطل لكنها مؤكَّدة. السَّيقان المكسورة تُشفى مع الوقت، لكن بعض الخيانة يتقيح ويُسَمِّم النَّفس. جاء إليه الإصبع الصَّغير بعد ساعةٍ من ذهاب المايستر الأكبر، يرتدي

صُدْرَةٌ بلون الخوخ طُرَزَ على صدرها طائر المُحاكي بخيطٍ أسودٍ ومعطفًا مخططًا بالأبيض والأسود، وقال فور دخوله: «لا أستطيع البقاء طويلاً يا سيدي، فالليدي تاندا تنتظرنني لأتناول الغداء معها. لا شك أنها ستشوي لي عَجَلًا سمينًا. إذا كان سمينًا كابتنها فلا بُدَّ أنني سأنفجرُ وأموت. كيف حال ساقك؟».

- «ملتهبة وتؤلمني، بالإضافة إلى حَكَّةٍ تُثير جنوني».

رفع الإصبع الصَّغير حاجبًا وقال: «في المستقبل حاول ألاَّ تَسْفُط تحت أيِّ خيول. كنتُ لأناشدك بأن تُشفى بسرعةٍ لو كان هذا بمقدورك، فالبلاد في حالة اضطراب. فارس سمعَ همساتٍ غير مُطمَئِنَّةٍ من الغرب عن مُحارِبين غير نظاميين ومُرْتزِقَةٍ يذهبون إلى كاسترلي روك أفواجًا، وليس للاستمتاع بالحوار مع اللورد تاوين بالطبع».

- «هل هناك أخبار عن المَلِك؟ كم من الوقت بنوي روبرت الصَّيد بالتَّحديد؟».

أجاب اللورد بيتر بابتسامةٍ خفيفة: «لو أن الأمر بيده، أعتقد أنه كان ليبقى في الغابة إلى أن تموت أنت والمَلِكة وقد هرمتما، لكن بما أن هذا مستبعد فأتصوّر أنه سيعود بمجرّد أن يَقْتُل شيئًا. يبدو أنهم عثروا على الأيل الأبيض إياه... أو على ما تبقي منه بالأحرى. لقد عثر عليه بعض الذُّئاب أو لآ ولم يتركوا لجلالته أكثر من حافرٍ وقرن. هاجَ روبرت وماج، ثم سمعَ كلامًا عن خنزير بريٍّ ضخمٍ في أعماق الغابة، ولن يرضى بغيره. الأمير جوفري عادَ هذا الصَّبَاح مع رويس وابنه وبالون سوان وعشرين آخرين، والباقون ما زالوا مع المَلِك».

- «وكلب الصَّيد؟»، سألَ ند عاقداً حاجبيه. من بين كلِّ رجال لانستر كان ساندور كليجاين أكثر من يُثير قلقه الآن بعد فرار السير چايمي من المدينة وانضمامه إلى أبيه.

أجاب الإصبع الصَّغير بالابتسامة نفسها: «أوه، هو أيضًا عادَ مع

چو فري وذهب إلى المَلَكَة مباشرة. كنتُ لأدفع مئة أيلٍ فضِّي فقط لكي أكون صرصورًا مختبئًا في البساط وأراه عندما بلغه أن اللورد بريك في طريقه لإعدام أخيه.

- «حتى الأعمى يمكنه أن يرى أن كلب الصَّيد يمقت أخاه».

- «آه، لكن جريجور له هو ليمقته وليس لك لتقتله. بمجرد أن يطيح دونداريون بقمّة الجبل، ستنتقل كلُّ أراضيهِ ودُخوله إلى ساندور، لكن ليس لك أن تتوقّع شكرًا، ليس من هذا الرَّجل بالذَّات. والآن أستاذك بالانصراف، فالليدي تاندا تنتظرني مع عجلها السَّمين».

في طريقه إلى الباب لمحَ اللورد پيتر مجلّد المايستر الأكبر مالبون الضَّخم على المنضدة، وتوقّف ليفتح الغلاف بترّاخ. «أنساب وتواريخ كُبرى عائلات الممالك السَّبع، مع أوصافٍ لكثيرين من كبار السَّادة والسَيِّدات وأبنائهم»، قرأ العنوان ثم قال: «موضوعٌ مملٌ جدًّا للقراءة. أهذا بمثابة شرابٍ للنَّوم؟».

للحظةٍ عابرةٍ فكَّر ند في إخباره بكلِّ شيء، لكن دُعابات الإصبع الصَّغير كانت تثير ضيقه حقًا، والرَّجل ماکر إلى أقصى حد والابتسامة السَّاخرة لا تُبَارح شفتيه أبدًا. هكذا اكتفى بأن قال بنبرةٍ حذرةٍ ليري ردّة فعله: «چون آر ن كان يدرس هذا المجلّد قبل أن يسقط مريضًا».

وكانت ردّة الفعل المعتادة، السُّخرية. قال اللورد پيتر بايلش: «في هذه الحالة لا بُدَّ أن الموت كان بمثابة راحةٍ عظيمة»، وانحنى وغادَرَ.

سمح إدارد ستارك لنفسه بأن يُطلق سُبّةً غاضبةً. بخلاف خدمه لم يكن هناك تقريبًا رجل يستطيع أن يثق به في هذه المدينة. صحيحٌ أن الإصبع الصَّغير أخفى كاتلين عن الأعين وساعدَ ند في تحقيقه، إلا أن مسارَعته بإنقاذ جِلده عندما خرَّج چايمي ورجاله من الظلام تحت المطر كانت لا تزال تُصيبه بالغضب. والأسوأ منه هو فارس، فعلى الرغم من كلِّ تأكيداتِه على إخلاصه فالخَصِيُّ يعرف الكثير جدًّا ويفعل القليل جدًّا.

أَمَّا المَایستَر الأكبر پایسل فیتَّضح أكثر أنه دُمیة تُحرَّك المَلَكَة خیوطها مع کُلِّ یوم یمرُّ، بینما السیر باریستان سلمی مُسِنٌ وَصَلبٌ فی آرائه، وسیقول لند أن یقوم بواجبه فقط.

كان الوقت قصیرًا للغایة، فالمَلَك سيعود من صیده قریبًا، والشَّرَف یلزم ند بأن یذهب إلیه بما عرفه. كان فایون پوول قد رَتَّبَ لأن تستقلَّ سانزا وآریا "ساحرة الرِّیح" القادمة من برافوس بعد ثلاثة أيام، وهكذا ستعودا إلی ویترفل قبل الحصاد، ولن یعود بمقدور ند استخدام قلفه على سلامتهما كعُذرٍ للتأخیر.

لكنه حلمٌ بطفلی ریحار لیلَة أمس، وكیف مدَّد اللورد تایوین الجشَّین عند قاعدة العَرش الحیددی وقد لُفَّتَا بمعطفین قرمزیین من معاطف رجاله. كان تصرُّفًا ذکیًا منه، فهكذا لم تبدُ الدِّماء کثیرًا على القُماش الأحمر. كانت الأمیرة الصَّغیرة حافیة القدمین ولا تزال ترتدي ثياب النُّوم، والولد... الولد....

لن یسمح ند بحدوث ذلك مجدَّدًا، والبلاذ لن تحتمل مَلَكًا مجنونًا آخر ورقصةً أخرى من الدَّم والانتقام. یجب أن یجد طریقةً لإنقاذ الأطفال.

بإمكان روبرت أن یكون رَحیمًا، فلم یکن السیر باریستان الوحید الذی نالَ عفوه. المَایستَر الأكبر پایسل، فارس العنكبوت، بالون جرایچوی... کُلُّ هؤلاء كانوا یُعدُّون أعداء لروبرت ذات مرَّة، لكنه رَحَّبَ بهم أصدقاءً له وسمحَ لهم بالاحتفاظ بألقابهم ومناصبهم مقابل إعلان الولاء له. طالما أن الرَّجل شجاع وصادق، فإن روبرت یُعَامِلُه بکُلِّ التَّکریم والاحترام اللائقین بخصمٍ مقدام.

لكن شَتَان ما بین هذا وذاك... سُمُّ فی الظَّلَام، سَکِّین یطعن الرُّوح طعنةً نجلاء. روبرت لن یغفر هذا أبدًا، تمامًا كما لم یغفر لریجار. سیقتُلهم جمیعًا.

لكنه لا يستطيع البقاء صامتًا. إن لديه واجبًا نحو روبرت، نحو البلاد، نحو ذكرى چون آرَن... ونحو بران الذي لا بُدَّ أنه تعثر في جزء من الحقيقة، وإلا فلِمَ حاولوا قتله؟

في اليوم نفسه بعد الظُّهر استدعى تومارد، الحارس الممتلئ ذا الشَّوارب البنية الذي يدعوهُ أطفاله بتوم السَّمين. مع موت چوري ورحيل آلين كان تومارد يقود حرس أهل بيته الآن، وقد أشعرَ هذا الخاطر ند بنوع من عدم الرَّاحة. نعم، تومارد رجل صُلب، دمث ومُخلص ولا يعرف الكلل، لكنه يدنو من الخمسين من العُمَر، وحتى في شبابه لم يكن معروفًا بالحيويَّة الشَّديدة. ربما لم يكن يجدر بند أن يُرسل نصف حرسه مع اللورد بريك، ومن ضمنهم أفضل المُحاربين لديه.

- «أريدُ مُساعدتك»، قال ند لَمَّا ظهرَ تومارد وقد بدا عليه شيء من القلق كعادته كلما استدعاه. «خُذني إلى أَيْكة الآلهة».

- «أهذا تصرُّف حكيم أيها اللورد إدارد؟ أعني مع حالة ساقك».

- «ربما لا، لكنه ضروري».

استدعى تومارد فارلي، وواضعًا ذراعًا حول كتفي كُلِّ منهما استطاع ند أن ينزل سلالِم البُرج المرتفعة ويقطع الفناء عارِجًا. «أريدُ مُضاعفة الحراسة»، قال لتوم السَّمين. «لا أحد يدخل بُرج اليَدِ أو يخرج منه دون إذني».

قال توم بارتباك: «سَيِّدي، في غياب آلين والآخريْن يكفي عددنا بالكاد...».

- «لن يدوم هذا طويلًا. امدد فترات الحراسة».

- «كما تأمر يا سَيِّدي. هل لي أن أسأل لِمَ...».

قاطعه ند بجمود: «يَحْسُنُ ألا تفعل».

كانت أَيْكة الآلهة خالية كما كانت دائمًا ها هنا في قلعة الآلهة الجنوبيَّة هذه، وكانت ساق ند تصرُّخ ألَمًا وهما يُنزِلاه على العُشب إلى جوار

شجرة القلوب، وشكرهما ثم أخرج ورقة مطويةً من كُفِّه عليها الختم الذي يحمل شعار عائلته، وقال لتومارد: «أريدك أن تُوصِّل هذه على الفور».

رمقَ تومارد الاسم الذي كتبَه ند على الورقة، ولعقَ شفثيه بتوتُّرٍ وقال: «سيدي...».

- «نفَّذ ما أمرك به يا توم».

لا يدري كم ظلَّ منتظرًا في هدوء أليكة الآلهة. السَّكينة شديدة حقًّا ها هنا، فالجدران السَّميكة تحجب صخب القلعة، وكان بإمكانه أن يسمع غناء الطُّيور وصفير صراصير الحقل وحفيف أوراق الشَّجر في النَّسيم الخفيف. كانت شجرة القلوب هنا شجرة سنديان، بُنيَّة وليست بيضاء وبلا وجهٍ محفورٍ عليها، لكن ند شعرَ بحضور الآلهة على الرغم من ذلك، ولم تُعذِّ ساقه تُؤلمه لهذه الدَّرَجَة.

جاءته عند الغروب والسَّحاب يصطبغ بالأحمر فوق الأسوار والأبراج. جاءت وحدها كما طلبَ منها، ولمرَّة في حياته رآها ترتدي ثيابًا بسيطةً لا تزيد على حذاءٍ جلديٍّ طويل العُنق وفُستانٍ أخضر، وعندما أنزلتَ قلنسوة معطفها البُنِّي رأى الكدمة التي خلَّفتها صفة الملك على وجهها. كان اللَّون الأحمر الغاضب قد صارَ أصفرَ وكادَ الانتفاخ يزول تمامًا، لكن لم يكن هناك مجال للمخلط بين أثر الصَّفَّة وأيِّ شيءٍ آخر.

سألته سرسي لانستر وهي تقف أمامه: «لماذا هنا؟».

- «كي تشهد علينا الآلهة».

جلستَ إلى جواره على العُشب بمنتهى الرِّشاقة ككلِّ حركةٍ من حركاتها، واهتزَّ شعرها الذهبي المتموِّج مع حركة النَّسيم، وبدت عيناها خضراوين كأوراق الأشجار في أوج الصَّيف. وقت طويل مضى منذ رأى ند ستارك جمالها، لكنه رآه الآن، وقال لها: «أعرفُ الحقيقة التي ماتَ چون آرَن من أجلها».

قالت المَلَكَة وهي تُراقِب ملامحه بحذر قِطَّةً: «حقاً؟ ألهذا طلبت مني أن آتي إليك هنا يا لورد ستارك، لتُلقي عليّ الأحاجي؟ أم أنك تنوي القبض عليّ كما قبضت زوجتك على أخي؟».

- «ما كنتِ لتأتين أبداً لو كنتِ تعتقدين هذا»، ثم مَسَّ وجنتها برقّة وقال: «هل فعلَ هذا من قبل؟».

أشاحت بوجهها بعيداً عن يده معجبةً: «مرّةً أو مرّتين، لكن ليس على الوجه أبداً. كان چایمی ليقْتله حتى لو دفعَ حياته في المقابل»، ثم رمقته بتحدٍّ مضيئةً: «أخي يُساوي مئةً من صديقك».

- «أخوك أم عشيقك؟».

لم تُجفل سرسي لحظةً، وأجابَت ببات: «كلاهما، منذ كنا طفلين. ولمَ لا؟ آل تارجارين كانوا يُزوِّجون الأخ من أخته طوال ثلاثمئة عام للحفاظ على نقاء السُّلالة، وچایمی وأنا أكثر من أخ وأخت، إننا روح واحدة في جسدین، وتقاسمنا رَحِمًا واحدًا معًا. لقد جاءَ إلى هذا العالم مُمسِكًا بقدمي كما حكى لنا ماِسترنا. عندما يكون في داخلي أشعرُ... أشعرُ بالاكتمال»، وتلاعبَ شبح ابتسامةٍ على شفתיها.

- «ابني بران...».

أجابته سرسي مباشرةً: «رأنا معًا. إنك تُحبُّ أبناءك، أليس كذلك؟». كان روبرت قد ألقى عليه السُّؤال نفسه صبيحة الالتحام الجماعي، وأعطاهما الإجابة ذاتها: «من كلِّ قلبي».

- «ليس أكثر مما أحبُّ أبنائي».

لَو بَلَغَت الأمور ذلك الجد، لو كانت حياة طفلٍ لا أعرفه مقابل حياة روب وسانزا وآريا وبران وريكون، فماذا أفعلُ؟ وماذا كانت كاتلين لتفعل إذا كانت حياة جون مقابل حياة أحد من أنجبْتهم من جسدها؟ لم يعرف ند الإجابة، وتمنّى ألا يعرف أبداً.

- «وكلهم أبناء چایمی»، قال... ولم يكن سؤالاً.

- «نعم والشكر للآلهة».

البذرة قويّة، قالها جون آرّن على فراش الموت وكان مُحِقًّا. كُلُّ أبناء روبرت غير الشرعيّين ذوو شعير أسود كالليل. كان المايستر الأكبر ماليون قد سجّل التزاوج الأخير بين الوعل والأسد قبل تسعين عامًا، عندما تزوّجت تيا لانستر من جاون باراثيون ثالث أبناء اللورد الحاكم، وكانت مشكلتهما الوحيدة أن ولدهما الذي لم يُذكر اسمه ومات رضيعًا وُصِفَ في مجلّد ماليون بأنه "ولد قوي كبير الحجم ذو شعير أسود فاحم". وقبل ثلاثين عامًا من هذا تزوّج واحد من أبناء لانستر من واحدة من بنات باراثيون، وأنجبت له ثلاث بناتٍ وولداً، كلهم أسود الشعر كذلك. عادَ ند إلى الورا طويلاً في صفحات المجلّد الصّفراء الهشّة، وفي كُلِّ مرّة وجدَ الذهب يخضع للفحم.

قال ند: «اثنا عشرة سنة. كيف يُمكن أنكِ لم تحملي من المَلِك على الإطلاق؟».

رفعت رأسها بتحدٍّ وقالت بصوتٍ امتلأ بالاحتقار: «حملتُ من صديقك روبرت مرّة، لكن أخي وجدّ امرأة تُطهّرني ولم يعرف روبرت قطّ. الحقيقة أنني لا أطيعُ مجرد لمسته لي، ولم أجعله يدخلني منذ سنوات. أعرفُ وسائل أخرى لإمتاعه عندما يترك عاهراته ويدخل مخدعي مترنّحاً. أيّا كان ما نفعله، فدائمًا يكون المَلِك ثملاً لأقصى حدّ وينسى كُلَّ شيءٍ مع مجيء الصّباح».

كيف كانوا عمياناً جميعاً هكذا؟ الحقيقة كانت أمام أعينهم طوال الوقت، مكتوبةً على وجوه الأطفال الثلاثة. شعر ند بالغثيان، لكنه قال بهدوء: «أذكرُ روبرت كما كان يوم أخذَ العرش، كُلُّ شبرٍ فيه مَلِك. ألف امرأة غيركِ كانت ستُحبّه من صميم قلبها، فماذا فعلَ كي تكرهيه إلى هذا الحد؟».

اشتعلت عينها بنيرانٍ خضراء في نور الغسق كاللبؤة في رمز عائلتها،

وأجابَتْ: «ليلة زفافنا، ليلة تشاركنا فراشًا واحدًا للمرة الأولى، ناداني باسم أختك. كان فوقِي، في داخلي، فمه معبّق برائحة النّبيذ، وهمسٌ باسم ليانا».

فكّر ند ستارك في الورد الزّرقاء الشّاحبة، وللحظةٍ أرادَ أن يبكي. «لا أدري على من منكما أشفقُ أكثر».

بدّت المَلَكَة مستمتعةً بهذه الملاحظة، وقالت: «وفرّ شفقتك لنفسك يا لورد ستارك، فلستُ أحتاجها». - «تعرفين ما ينبغي أن أفعله».

ردّدت: «ينبغي؟»، ووضعت يدها على ساقه السّليمة فوق الرُّكبة مباشرةً وقالت: «الرّجل الحقيقي يفعل ما يشاء، لا ما ينبغي أن يفعله»، ومسّت أصابعها فخذَه بخفّةٍ شديدةٍ مقدّمةً له أنعم الوعود وأضافت: «البلاد في حاجةٍ إلى يدٍ قوي. خوف لن يبلُغ قبل سنوات، ولا أحد يُريد حربًا أخرى، خصوصًا أنا»، وصعدت يدها إلى وجهه وشعره وهي تُواصل: «إذا كان من الممكن أن يتحوّل الأصدقاء إلى أعداء فالعكس ممكن كذلك. زوجتك على بُعد ألف فرسخ من هنا، وأخي قرّ من المدينة. كُن عطوفًا معي يا ند، وأقسمُ أنك لن تُندم على هذا أبدًا».

- «هل قدّمتِ العرض نفسه لـجون آرَن؟».

وهوت صفعتها على وجهه.

بعد لحظاتٍ قال ند بجفاف: «سأرتديها كشارة شرف».

قالت ساخطةً: «شرف؟ كيف تجرؤ على لعب دور اللورد النّيبيل معي؟ ماذا تحسبني؟ أنت نفسك لديك ابن نغل، وقد رأيتُه بعيني. تُرى من كانت أمه؟ فلاحة دورنيّة اغتصبتها بينما تحترق قريتها؟ عاهرة؟ أم أنها كانت الأخت الحزينة، الليدي أشارا؟ قالوا لي إنها ألقت نفسها في البحر، فلم؟ بسبب الأخ الذي قتلته أم الطّفل الذي سرّقه؟ قُل لي أيها اللورد إدارد الشّريف، فيم تختلف عن روبرت بالضّبط، أو عني، أو عن چايمي؟».

بهدهوء أجابَ ند: «أنِّي لا أَقْتُلُ الأَطْفَالَ كَبداية. من مصلحتك أن نُصْغِي إِلَيَّ يا سَيِّدَتِي، لأنِّي سأَقُولُ هذا مرَّةً واحدةً. إنني أنوي أن أَخْبِرَ المَلِكَ بالحقيقة كاملةً عندما يعود من صيده، ويجب أن تكوني قد رحلت وقتها، أنتِ وأبناؤكِ الثلاثة، وليس إلى كاسترلي روك. لو كنتُ مكانك لأخذتُ سفينةً إلى المُدُن الحُرَّة أو ما بعدها حتى، إلى جُزُر الصَّيْف أو ميناء إيبين، أبعد مكانٍ تحمِلُكم إليه الرِّيح».

غمغَمَت: «المنفى... كأس مريرة هذه».

- «كأس أحلى من التي سقاها أبوك لابن ريجار وابنته، وأرحم مما تستحقِّين. ومن مصلحة أبوك وأخوك أن يذهبا معكم. سيشتري ذهب اللورد تاويين كلَّ سُبُل الرِّاحة لكم ويستأجر رجالاً يحمونكم، وأعدك أنكم ستحتاجونهم، فأينما ذهبتم سيتبعكم غضب روبرت ولو حتى إلى العالم الآخر».

نهَضَت المَلِكَةُ وقالت بنعومة وعيناها تفحصان ملامحه: «وماذا عن غضبي أنا يا لورد ستارك؟ كان حرياً بك أن تأخذ البلاد لنفسك وقد كانت في متناول يدك. لقد حكى لي جايمي كيف وجدته جالساً على العرش الحديدي يوم سقطت كينجز لاندنج وجعلته يُسَلِّمه. تلك كانت لحظتك. كان عليك فقط أن تصعد الدَّرَجَات وتجلس. خطأ مُحْزِن حقاً».

قال ند: «لقد ارتكبتُ أخطاءً أكثر مما يتصوَّر خيالك، لكن هذا لم يكن واحداً منها».

قالت سرسي: «آه، لكنه كان كذلك يا سيدي. عندما تلعب لعبة العروش، إمَّا أن تَربِح أو تموت. لا توجد منطقةٌ وُسطى»، ورفَعَت قلنسوتها لتُؤاري وجهها وتركته هناك في الظلام تحت شجرة السَّنديان وسط هدهوء أيكَة الآلهة وتحت السَّماء السَّوداء التي بدأت تزدان بالنُّجوم.



دنيرس

كان البخار يتصاعد من القلب ليتبدد في هواء المساء البارد عندما وضعه غال دروجو أمامها نيتاً دامياً بذراعين حمراوين حتى المرفق، ومن ورائه ركع خيالة دمه على الرمال إلى جوار جثة فحل برّي وفي أيديهم سكاكين حجريّة، وقد بدا دم الفحل أسود في الوهج البرتقالي الصّادر من المشاعل المعلقة على جدران الحفرة الطباشيريّة المرتفعة.

مست داني بطنها المتنفخة والعرق يتفصد من مسامها ويسيل على جبينها، وشعرت بنظرات العجائز المسلّطة عليها، حيزونات قايس دوثراك الهرمات التي حملقن فيها بأعين تلمع كالصّوان المصقول في وجوههنّ المتغضّنة. لا ينبغي أن تُجفل أو تبدو خائفة أبداً. أنا دم التّنين، قالت لنفسها وهي تلتقط قلب الفحل بيديها معاً، ورفعته إلى فيها وغرست أسنانها في اللحم اللّيفي القاسي.

ملأ الدّم الدّافئ فيها وسال على ذقنها، وأصابها المذاق بغثيانٍ شديد لكنها أجبرت نفسها على مضغه وابتلاعه. سيجعل قلب الفحل ابنها قوياً رشيقاً لا يعرف الخوف، أو أن هذا ما يؤمن به الدوثراكي، لكن فقط استطاعت الأم أن تلتهمه عن آخره، أمّا إذا غصّت بالدّم أو تقيأت اللحم فالنّذر لا تُبشّر بخير كثير في تلك الحالة، وقد يولد الطّفل جهيضاً أو ضعيفاً أو مشوّهاً، أو أنثى!

ساعدتها وصيفاتها على الاستعداد للمراسم، وعلى الرغم من معدة

الحامل المضطربة التي أَرَقَّتْهَا طوال القَمَرين المنصرمين، تناولت داني أوعية من الدَّمِ نِصف المتخثر كي تُعوِّد نفسها على الطَّعم، وجعلتها إيرى تلوك شرائح من لحم الخيول المجفَّف حتى أوجعها فكَّاها، كما أنها جَوَّعت نفسها ليوم و ليلة قبل المراسم على أمل أن يجعلها الجوع تحتفظ باللَّحم النيء في معدتها.

كان قلب الفحل البرِّي مليئًا بالعضلات، وعلى داني أن تنهشه بأسنانها وتمضغ كل قُصمة لوقتٍ طويل، ولأن حمل السِّلَاح غير مسموح به داخل حدود فايس دوثرارك المقدَّسة في ظلَّ الجبل الأم، فقد كان عليها أن تُمزِّقه بأسنانها وأظفارها فحسب. انقلبت معدتها وتهيجت، لكنها واصلت الالتهام وقد تلطَّخ وجهها بالدماء التي شعرت بها تتفجَّر أحيانًا بين شفتيها.

وقفَ غال دروجو أمامها وهي تأكل ووجهه كدِرَج من البرونز وجديلته السوداء الطويلة مدهونة بالزَّيت وتلمع. كان يضع خواتم ذهبية في شاربهِ الكبير، وأجراسًا ذهبيةً صغيرةً في جديلته، وطوقَ خصره حزام من الحلقات المصنوعة من الذهب الخالص، لكنه كان عاري الجذع. نظرت إليه كلما شعرت بقواها تخور، نظرت إليه ومضغت وابتلعت، مضغت وابتلعت، مضغت وابتلعت، ونحو النهاية خطرَ لداني أنها تلمح نظرة فخرٍ عظيم في عينيهِ اللُّوزيتين، وإن لم تستطع الجزم، فغالبًا لا تشي ملامح الكال بما يعتمل في نفسه من مشاعر.

وانتهت أخيرًا. كانت وجنتاها وأصابعها لزجةً وهي تُرغم نفسها على ابتلاع القُصمة الأخيرة، وعندها فقط أدرات عينيها إلى حيزونات الدوش غالين، وبأفضل ما تُجيده من لغة الدوثراركى أعلنت: «كالاكا دوثراري مرانها!»، العبارة التي تعني "الأمير يركب حصانه في داخلي"، وقد تدرَّبت عليها لأيام مع وصيفتها چيكوي.

رفعت أكبر الحيزونات، المرأة الدَّابلة محنية الظهر ذات العين

السَّوداء الواحدة، يديها عاليًا وهتفت: «گالاگا دوثرای!»، أي "الأمير يركب حصانه"، ورددت الأخریات العبارة، ثم هتفن جميعًا: «راخ! راخ! راخ! هاج!»، أي "صبي، صبي، صبي قوي".

دُفَّت الأجراس كقعقعة مباحثة من طيور برونزية، وتردد صوت نفير حربي عميق طويلًا، وبدأت العجائز في الإنشاد والتمايل إلى الأمام والخلف، ومن تحت ستراتهنَّ الجلديَّة الملونة اهتزت أنداوهنَّ الدَّاوية التي تلتع زينا وعرقًا. ألقى المخصَّصون الذين يخدموهنَّ حُرْمًا من الأعشاب المجفَّفة في مُستوقد ضخم من البرونز، فتصاعدت منه سُحب من الدُّخان العطر صوب القمر والنُّجوم. يؤمن الدوثرای بأن النُّجوم ما هي إلَّا خيول من نار، قطع عظيم يعدو في السَّماء ليلاً.

تصاعد الدُّخان وخفت صوت الإنشاد، وأغلقت الحيزبون الهَرمة عينها الوحيدة كي تستبصر المستقبل، وإن صمت مُطبق على المكان جعل داني تسمع صوت نداءات الطيور اللَّيلية البعيدة وهسيس طفطقة المشاعل وارتطام المياه الرقيق بالصُّخور في البحيرة؛ والدوثرای يُحدِّقون فيها بعيونٍ من ليل، ينتظرون.

وضع گال دروجو يده على ذراع داني، وشعرت بالتوتر في لمسة أصابعه، فحتى گال عظيم مثل دروجو من شأنه أن يشعُر بالخوف عندما تُحدِّق عجائز الدوش گالين في دُّخان المستقبل، ومن ورائها تلملمت وصيفاتها في أماكنهنَّ بترقب.

وأخيرًا فتحت الحيزبون عينها ورفعت ذراعيها وأعلنت بصوت متهدج: «لقد رأيتُ وجهه وسمعتُ رعد حوافره»، ورددت الأخریات: «رعد حوافره! رعد حوافره!».

- «بسرعة الرِّيح يركب، ومن ورائه يُغطِّي گالاساره الأرض من أقصاها إلى أقصاها، رجال بلا عددٍ تلمع الأراخات في أيديهم. قويًا كالعاصفة سيكون الأمير، وأمامه سير تجف أعداؤه وتذرف زوجاتهم دموعًا من دم

وَيُمَزَّقْنَ لَحْمَهُنَّ حَرَقَةً وَحَسْرَةً»، وارتجفت العجوز ورمقت داني بطريقة أقرب إلى الخوف وأضافت: «الأمير يركب حصانه، وسيكون الجواد الذي يمتطي العالم أجمع».

- «الجواد الذي يمتطي العالم!»، ردّد الحاضرون حتى التهبّ الليل بوقع أصواتهم.

نظرت العجوز العوراء إلى داني وقالت: «بِمَ سَيُسَمَّى الجواد الذي يمتطي العالم؟».

نهضت لتجيب مستخدمةً الكلمات التي علّمتها جيكوي إياها «سيكون اسمه ريجو»، ووضعت يديها على الانتفاخ أسفل نهديها كأنها تشد حمايته إذا ارتفع هدير الدوثرافي من حولها: «ريجو! ريجو! ريجو! ريجو!».

كان صدى الاسم لا يزال يتردّد في أذنها عندما قادها غال دروجو إلى خارج الحفرة وفي أعقابهما خيالة دمه، وتبعهم الموكب على طريق الآلهة المعشوشب الواسع الذي يشقّ قلب فايس دوثراك من بوابة الجياد إلى الجبل الأم. جاءت حيزونات الدوش غالين أولاً مع عبيدهنّ، واتّكأ بعضهنّ على عكاكيز طويلة منقوشة وهنّ يكافحنّ للمشبي على أقدامهنّ العجوز المتعبّة، بينما مشيت أخريات منهنّ معتدلات القامة شامخات كأبي من سادة الخيول. كلّ من العجائز كانت غاليسي ذات يوم، وعندما مات زوجها واتّخذ غال جديد مكانه في طليعة خيالاته وإلى جواره غاليسي جديدة، تمّ إرسالها إلى هنا لتحكّم شعب الدوثرافي الغفير، فحتى أقوى الكالات ينحني لحكمة وسلطة الدوش غالين. شعرت داني برجفة تسري في جسدها لما فكّرت أنهم قد يرسلونها ذات يوم لتعيش بينهنّ، شاءت أم أبت.

جاء الآخرون وراء الحكيمات، غال أوجو وابنه الغالاگا فوجو، غال چومو وزوجانه، قادة غالاسار دروجو، وصيفات داني، خدم وعبيد

الْكَالِ، وَالْمَزِيدَ وَالْمَزِيدَ. رَأَتْ الْأَقْرَاصَ وَدُقَّتِ الطُّبُولُ بِإِيقَاعِ ثَابِتٍ مَهِيْبٍ وَهُمْ يَتَحَرَّكُونَ عَلَى طَرِيقِ الْآلِهَةِ، وَطَلَّ عَلَيْهِمُ الْأَبْطَالُ الْمَسْرُوقُونَ وَآلِهَةُ الْأُمَمِ الْمَيِّتَةُ فِي الظَّلَامِ عَلَى نَاحِيَتِي الطَّرِيقِ، بَيْنَمَا كَانَ الْعَبِيدُ يَهْرَعُونَ بِخَفَّةٍ وَسَطِ الْعُشْبِ عَلَى جَانِبِي الْمَوَكَبِ وَفِي أَيْدِيهِمُ الْمَشَاعِلُ، فَجَعَلَ اللَّهَبُ الْمَتَذَذِبُ الْأَثَارَ الْعَظِيمَةَ تَبْدُو كَأَنَّ الْحَيَاةَ قَدْ دَبَّتْ فِيهَا.

- «ما معنى الاسم ريجو؟»، سألتها غال دروجو وهما ماشيان بلُغَةً الْمَمَالِكِ السَّعِ الْعَامِيَّةَ. كَانَتْ تُعَلِّمُهُ بَضْعَ كَلِمَاتٍ جَدِيدَةٍ مِنْهَا كَلِمَا اسْتَطَاعَتْ، وَكَانَ دُرُوجُو سَرِيعَ التَّعَلُّمِ عِنْدَمَا يَعْقِدُ الْعِزْمَ، وَإِنْ تَكَلَّمَ بِلُكْنَةٍ شَدِيدَةِ الثَّقَلِ جَعَلَتْ السِّيرَ جُورًا وَفُسِيرَ لَا يَفْهَمَانِ حَرْفًا مِنْهَا.

أَجَابَتْهُ: «أَخِي رِيْجَارُ كَانَ مُحَارِبًا صَنْدِيدًا يَا شَمْسِي وَنُجُومِي، لَكِنَّهُ مَاتَ قَبْلَ أَنْ أُولَدَ. السِّيرُ جُورًا يَقُولُ إِنَّهُ كَانَ آخِرَ الثَّنَائِينَ».

نَظَرَ إِلَيْهَا دُرُوجُو بِوَجْهِ كَقِنَاعٍ مِنَ الْبُرُونِزِ، وَخُيِّلَ إِلَيْهَا أَنَّهَا لَمَحَتْ تَحْتَ شَارِبِهِ الْأَسْوَدِ الطُّوِيلِ الْمُتَدَلِّيِ تَحْتَ ثِقَلِ الْخَوَاتِمِ الذَّهَبِيَّةِ ظِلٌّ ابْتِسَامَةً، وَقَالَ: «اسْمُ جَيِّدٍ يَا دَانَ إِيْرَسُ زَوْجَتِي، قَمَرُ حَيَاتِي».

اتَّجَهُوا إِلَى الْبَحِيرَةِ الْهَادِئَةِ الَّتِي يُطْلَقُ عَلَيْهَا الدُّوْثْرَاكِي اسْمُ "رَجَمِ الْعَالَمِ"، وَالْمَحَاطَةُ بِحَلْقَةٍ مِنَ الْبُوصِ. قَالَتْ لَهَا چِيْكَوِي إِنَّهُ مِنْذُ أَلْفِ أَلْفِ عَامٍ بَزَغَ الْبَشَرِيُّ الْأَوَّلُ مِنْ أَعْمَاقِهَا عَلَى مَتْنِ الْحِصَانِ الْأَوَّلِ.

اَنْتَظَرَ الْمَوَكَبُ عَلَى الشَّاطِئِ الْمَعْشُوشِ إِذْ تَجَرَّدَتْ دَانِي مِنْ ثِيَابِهَا الْمَتَسَخَةِ وَتَرَكَتْهَا تَسْقُطُ أَرْضًا، ثُمَّ خَاضَتْ عَارِيَةً فِي الْمِيَاهِ بِحَذَرٍ شَدِيدٍ. قَالَتْ إِيْرِي لَهَا إِنَّ الْبَحِيرَةَ بِلَا قَاعٍ، لَكِنَّهَا شَعَرَتْ بِالطَّمِي اللَّيْنِ بَيْنَ أَصَابِعِ قَدَمَيْهَا وَهِيَ تَشْقُ طَرِيقَهَا بَيْنَ أَعْوَادِ الْبُوصِ الطُّوِيلَةِ. طَفَا انْعِكَاسُ الْقَمَرِ عَلَى سَطْحِ الْمِيَاهِ السَّاكِنِ، وَتَكَسَّرَ إِلَى عَشْرَاتٍ مِنَ الْأَقْمَارِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي تَنَاثَرَتْ وَتَجَمَّعَتْ مِنْ جَدِيدٍ، وَشَعَرَتْ بِالْقَشْعِرِيرَةِ مَعَ الْبَرْدِ الَّذِي زَحَفَ عَلَى فَخْذَيْهَا وَقَبْلًا شَفْرِيهَا. كَانَ دَمُ الْفَحْلِ قَدْ جَفَّ عَلَى يَدَيْهَا وَحَوْلَ فَمِهَا، فَضَمَّتْ دَانِي أَصَابِعَهَا وَرَفَعَتْ الْمِيَاهَ الْمُقَدَّسَةَ فَوْقَ رَأْسِهَا لِتُطَهَّرَ

نفسها والطفل في أحشائها والغال والآخرين يتطلعون إليها. سمعت عجائز الدوش گالين يُغمِمنَ بأشياء ما لبعضهنَّ بعضًا، وتساءلتَ عما يتكلَّمنَ.

عندما خرجت من البحيرة مبتلةً تمامًا ترتجف، هُرِعتَ إليها وصيفتها دوريا بمعطفٍ من الحرير الرَّملي المنقوش، لكن غال دروجو أشارَ إليها بالانتظار. كان يتطلَّع إلى نهديها اللذين كبرَ حجمهما ومنحنى بطنها باستحسان، ولمحت داني انتصاب ذكورته من تحت سرواله المصنوع من جلد الحصان أسفل الحزام الذهبي الثقيل، فذهبت إليه وساعدته على حلِّ أربطة السروال، ثم أمسكها غالها الضخم من وركيها ورفعها في الهواء كأنها مجرد طفلة والأجراس في شعره ترن بهدوء. طوّقت داني كنفه بذراعيها وضغطت وجهها في عنقه وهو يولج نفسه في داخلها، ولم يلبث أن فرغَ بعد ثلاث دفعاتٍ سريعة، وبصوتٍ مبحوح همس: «الجواد الذي يمتطي العالم». كانت رائحة دم الفحل لا تزال عالقةً بيده، وفي لحظة لذته عَضَّ عنقها بقوة، وحين أنزلها كانت تُطفته تملأها وتسيل على فخذيها. عندها فقط سمحَ لدوريا بأن تُلْفَها بالمعطف الحريري المعطر، ولايري بأن تضع قدميها في خُفَّين ناعمين.

عادَ غال دروجو يربط سرواله وألقى أمرًا، فجيء بالخيول إلى شاطئ البحيرة. نال كهولوا شرف مُساعدة الكاليسي على امتطاء فرسها الفضية، ووكز دروجو فحلّه الضخم وانطلق به على طريق الآلهة تحت القمر والنجوم، وواكبَت داني سرعته على متن فرسها.

كان الغطاء الحريري الذي يعمل كسقفٍ لقصر دروجو مطويًا الليلة، فتبعهم القمر إلى الداخل، وارتفعت السنة اللهب عشرة أقدام في الهواء من ثلاث حُفر نارٍ عملاقة محاطة بالحجارة، وأفعمت الهواء روائح الشواء وحليب الفرس الخاثر المخمَّر. كان القصر مزدحمًا صاخبًا لدى دخولهم، واصطفَّ على الوسائد أولئك الذين لم تُخَوِّلهم منزلتهم أو

أسماءهم لحضور المراسم. كُلُّ العيون كانت على داني وهي تَدْخُلُ على متن فَرَسها من البَوَابَةِ المَقْنَطَرَةِ وتَقْطَعُ المَمْشَى الأوسط، وصَاحَ الدوثرَاكِي بتعليقاتٍ على انتفاخ بطنها ونهديها مُحْيِيْن الحياة التي تتكوَّن في داخلها. لم تفهم صياحهم كله، لكن عبارةً واحدةً سمعتها من ألف لسانٍ كانت واضحةً تمامًا: «الجواد الذي يمتطي العالم».

سَرَت أصوات الطُّبُل والأبواق في اللَّيْلِ، بينما رَقَصَت نساء أنصاف عارياتٍ على الموائد الواطئة بين قِطْع اللَّحْم والأطباق التي تكوَّم عليها البرقوق والبلح والرُّمَّان. كثيرون من الرُّجال كانوا ثملين تمامًا من فرط حليب الفرس المخمَّر الذي شربوه، وإن عرَفَت داني أنها لن ترى الأراخات تتقارَع اللَّيْلَةَ، ليس هنا في المدينة من المقدَّسة حيث من المحرَّم حمل السِّلَاح وإراقة الدِّماء.

ترَجَّلَ غال دروجو وأتخذ مكانه على المنصَّة العالية، وأُعْطِيَ غال جومو وغال أوجو -الَّذان كانا في فايس دوثرَاك مع غالاساريهما لدى وصولهم- مكان شَرَف رفيع على يمين دروجو ويساره، بينما جلسَ خيَّالة دم الغالات الثلاثة أسفلهم، وأسفلهم كانت زوجات غال جومو الأربع. ترَجَّلَت داني بدورها وأعطت عِنان فَرَسها الفضيَّة لأحد العبيد، وبحثت بعينها عن أخيها بينما كانت دوريا وإيري تُرْتَبَان الوسائد لها كي تجلس. حتى في القاعة الضَّخْمة المزدحمة كان فسيرس ليبدو واضحًا ببشرته الشَّاحبة وشعره الفُضِّي وأسمال الشَّحَّاذين التي يرتديها، لكنها لم تلمحه في أيِّ مكان.

جاسَّت بنظراتها بين الموائد المزدحمة قُرب الجدران، حيث جلسَ رجال بجداول في شعرهم أقصر من أعضائهم على بُسْطٍ باليةٍ ووسائد مسطَّحةٍ حولَ الموائد الواطئة، لكن كُلَّ الوجوه التي رأتها كانت ذات عيونٍ سوداء وبشرةٍ كالنَّحاس. أبصرت السير جورا مورمونت في منتصف القاعة على مقربةٍ من حُفْرة النَّار الوُسطى. كان مجلس احترامٍ

إن لم يكن شرفاً رفيعاً، فالدوثرافي كانوا يُقدِّرون قوَّة الفارس وبراعته في استخدام السِّيف حقاً. أرسلت داني وصيفتها جيَّكوي لدعوته إلى مائدتها، وجاء مورمونت في الحال وركع على رُكبته أمامها قائلاً: «تحت أمرك يا غاليسي».

رَبَّت على الوسادة المحشوة المصنوعة من جلد الحصان إلى جوارها، وقالت: «اجلس وتكلَّم معي».

قال الفارس: «هذا شرف لي»، وجلس متقاطع السَّاقين على الوسادة، فمال أحد العبيد أمامه بصحفة خشبيَّة ملأى بثمار الثَّين النَّاضجة، والتقط السير چورا واحدة وقضم منها.

سأله داني: «أين أخي؟ كان من المفترض أن يأتي لحضور المأدبة». أجابها: «رأيتُ جلالته هذا الصَّباح، قال لي إنه ذاهب إلى السُّوق الغربيَّة بحثاً عن الثَّبيذ».

قالت بشك: «الثَّبيذ؟». كانت تعرف أن فسيرس لا يطبق مذاق حليب الفرس المخمَّر الذي يشربه الدوثرافي، وهذه الأيام كان يقضي وقتاً طويلاً في السُّوق، يشرب مع الثَّجَّار القادمين بقوافلهم من الشَّرق والغرب. يبدو أنه وجد صُحبته أفضل من صُحبته.

كرَّر السير چورا: «الثَّبيذ. إنه يُفكَّر في تجنيد رجالٍ لجيشه من المُرتزقة الذين يحرسون القوافل». وضعت خادمة فطيرة دم أمامه، وانقضَّ عليها چورا بكلتا يديه ليأكل بشهيَّة.

- «أهذا تصرَّف صائب؟ إنه لا يملك ذهباً ليدفع لهم. ماذا لو خانوه؟». حرس القوافل لا يشغلون أنفسهم كثيراً بالشَّرف وما إلى ذلك، والمُغتصب في كينجز لاندنج سيدفع مكافأة مجزيَّة مقابل رأس أخيها. «كان يجدر بك الذَّهاب معه لحمايته، فقد أقسمت له بسيفك».

قال: «نحن في فايس دوثراك. لا أحد هنا مسموح له بحمل السَّلاح أو إراقة الدَّم».

- «ومع ذلك يموت البعض هنا. چو جو أخبرني أن بعض التجار معهم مخصيون ضخام الحجم يشقون اللصوص بلفائف الحرير. هكذا لا يراق أي دم ولا تغضب الآلهة».

- «لنأمل إذن أن يكون أخوك حكيمًا ولا يسرق شيئًا»، أجاب السير چورا ومسح الدهن عن فمه بظهر يده، ثم مال على المائدة وقال: «كان ينوي أن يأخذ بيضات التنين، إلى أن حذرتة قائلاً إنني سأقطع يده لو مس واحدة منها فقط».

لوهلة صدم القول داني حتى أنها عجزت عن الكلام، ثم غمغمت: «بيضاتي؟ لكنها ملكي أنا، الماچستر إليريو أهداني إياها يوم زفافي. إنها مجرد أحجار، فلم يرغب فيسرس في...».

- «يُمكنك أن تقولني الشيء نفسه عن الياقوت والماس والأوبال يا سُمُو الأميرة، وبيض التنين أندر من هذا كله. التجار الذين يقضي أخوك وقته معهم يُمكنهم أن يبيعوا أعضاءهم الذكريّة نفسها لقاء واحدة من تلك الأحجار التي تتكلمين عنها، وبالثلاثة معًا يستطيع فيسرس أن يشتري جيشًا كاملاً من المرتزقة».

لم تكن داني تعرف هذا ولم تُحَمِّنه حتى. «فليأخذها إذن، فلا حاجة به لسرقتها. كان عليه أن يطلبها مني لا أكثر. إنه أخي... وملكلي الحقيقي».

قال السير چورا: «إنه أخوك، نعم».

قالت: «أنت لا تفهم يا سيدي. لقد مانت أمي وهي تلدني، وقبلها مات أبي وأخي ريجار، ولم أكن لأعرف أسماءهم نفسها لو لم يكن فيسرس موجودًا ليُعلِّمني إياها. إنه الوحيد الذي تبقى من أهلي كلهم، الوحيد، وليس لي غيره».

- «كان هذا في الماضي وليس الآن يا غاليسي. إن مكانك مع الدوثرافي، وفي رَحِمِك الجواد الذي يمتطي العالم»، ورفع كوبه فملأته أمة بحليب الفرس المخمر لاذع الرائحة المليء بالخثارة.

صرفتها داني، فحتى الرائحة كانت تُصيبها بالغثيان، وهي لن تُخاطر بأن تتقياً قلب الفحل الذي أجبرت نفسها على التهامه، وسألت: «ما الذي يعنيه هذا؟ ماذا يكون هذا الجواد؟ الجميع يصيحون بالعبارة في وجهي، لكنني لا أفهم حقاً».

- «الجواد هو غال الغالات الذي وعدت به نبوءة قديمة يا بُنيّتي. سوف يُوحّد شعب الدوثرافي كله في غالاسارٍ واحد يقوده إلى أقصى الأرض، أو هكذا قالت النبوءة. شعوب العالم كلها ستكون قطيعه». تمت داني: «أوه»، وعدلت يدها المعطف فوق بطنها المتفخة. «سميته ريجو».

- «اسم سيجمد الدماء في عروق المُغتصب». فجأةً جذبتها وصيفتها دوريا من مرفقها قائلةً بالحاح: «سيدتي، إنه أخوك».

نظرت داني عبر القاعة الطويلة مرفوعة السقف ورأته يمشي بخطوات واسعة متمايلة جعلتها تُدرك في الحال أنه وجد النبيذ الذي كان يبحث عنه... وشيئاً من الشجاعة.

كان يرتدي ثيابه الحريريّة القرمزيّة المتسخة تحت المعطف المخملي الأسود الذي لوّحت الشمس لونه، وقد جفّ جلد حذائه تماماً وتشقّق وتشابكت خصلات شعره الفضيّ الأشقر، بينما تدلّى سيف طويل في غمد جلديّ من حزامه. حدّق الدوثرافي في السيف وهو يمرّ، وسمعت داني شتائمهم وتهديداتهم ودمدمتهم الغاضبة ترتفع من كلّ مكانٍ حولها كالمدّ، وبُثِرَ صوت الموسيقى وتوقّفت دقات الطبول.

أطبق الرُعب على قلبها بقبضة من حديد، وقالت للسير جورا بلهفة: «اذهب إليه، أوقفه، اجعله يأتي إليّ هنا. قلّ له إنه يستطيع أن يأخذ بيضات التنين إذا أراد».

نهض الفارس مسرعاً، بينما صاح قيسر بلسانٍ معوجٍّ من الشراب:

«أين أختي؟ ها قد جئتُ إلى مأدبتها، فكيف تجرؤ على الأكل من دوني؟ لا أحد يأكل قبل المَلِك. أين هي؟ العاهرة لا تستطيع الاختباء من التَّين». توقفَّ إلى جوار أكبر حُفر النَّار وعيناه تدوران في أوجِه الدوثرافي. كان هناك خمسة آلاف رجل في القاعة، وإن كانت حَفنة منهم فقط كانوا تعرف لُغة وستروس العامية، لكن حتى مع كلماته غير المفهومة لمعظمهم، كان عليهم التطلع إلى وجهه فقط ليعرفوا أنه ثمل. ذهب السير چورا إليه بسرعة وهمسَ شيئاً في أذنه وأمسك ذراعه، لكن فسيرس انتزعها منه زاعقاً: «أبعد يدك عني! لا أحد يلمس التَّين دون إذن!».

رفعت داني عينها بتوتُّر شديد إلى گال دروجو على منصَّته العالية، ورأته يقول شيئاً للغالين الآخرين إلى جواره، فابتسم گال چومو بسخرية بينما أطلق گال أوجو ضحكة مرتفعة.

جعل صوت الضَّحك فسيرس يلتفت إليه قائلاً بلهجة تكاد تكون مهذَّبة: «گال دروجو، جئتُ لحضور المأدبة»، وابتعد عن السير چورا متمائلاً لينضمَّ إلى الغالات الثلاثة على المنصة.

نهض گال دروجو وألقى ببضع كلماتٍ سريعة بالدوثرافي لم تستوعبها داني وأشار، فترجم السير چورا لأخيها: «گال دروجو يقول إن مكانك ليس على المنصة. گال دروجو يقول إن مكانك هناك».

نظر فسيرس إلى حيث أشار الغال، وفي أقصى القاعة، في رُكنٍ عند الحائط، بين الظلال كي لا يضطرُّ من هُم أسمى منهم إلى النظر إليهم، جلس أسفل السافلين: الصبية الذين لم يشهدوا أيَّ معارك، الشيوخ ذوو العيون الغائمة والمفاصل المتصلبة، ضعاف العقول، المشوَّهون مبتورو الأطراف. هناك جلسوا بعيداً عن اللحم وأبعد عن الشرف، وقال أخوها: «ليس هذا بمكانٍ لمَلِك».

- «هو مكانك، مكان المَلِك ذي القدمين المتقرَّحتين»، قال دروجو

باللغة العامية التي علّمته داني إياها، ثم صفّق صائحًا: «عربة! أحضروا عربةً لگال رهاجات!».

انفجَرَ خمسة آلاف من الدوثرافي في الضحك والصياح الهائز دُفعةً واحدةً. كان السير چورا واقفًا إلى جوار فسيرس يصرُخ في أذنه، لكن التهدير الذي ملأ المكان حالّ دون سماع داني لما يقوله، ثم ردّ أخوها بشيء واشتبك الاثنان بالأيدي إلى أن دفع مورمونت أخاها وأسقطه أرضًا. واستلّ فسيرس سيفه.

تألّق الفولاذ بلونٍ أحمرٍ مخيفٍ في وهج حفرة النَّار، وقال فسيرس بصوتٍ كالهسيس: «ابتعد عني». تراجع السير چورا خطوةً ونهض أخوها بلا ثبات ولوّح بالسيف فوق رأسه، السيف الذي أعاره الماچستر إلريو إياه ليبدو كملك، بينما كان الدوثرافي يصرُخون فيه من كلّ اتّجاهٍ ويرمونه بأقذع الشّنائم.

أطلّقت داني صيحة رُعبٍ بلا كلمات. كانت تعرف ما الذي يعنيه السيف المسلول في هذا المكان، حتى إذا كان أخوها يجهل هذا. جعلَ صوتها فسيرس يلتفت، وللمرة الأولى رآها فقال مبتسمًا: «ها هي ذي»، وتقدّم منها قاطعًا الهواء بسيفه كأنه يشقُّ سبيله عبر حاجزٍ من الخصوم غير المرئيين، وإن لم يُحاول أحد اعتراض طريقه.

قالت داني متوسّلةً: «السيف... فسيرس، أرجوك، هذا محرّم. ضَع السيف واجلس إلى جوارِي، هناك طعام وشراب. هل تُريد بيضات النّين؟ يُمكنك أن تأخذها، فقط ضَع السيف».

وصاح السير چورا: «افعل كما تقول أيها الأحق قبل أن تتسبّب في مقتلنا جميعًا».

ضحك فسيرس وقال: «لا يُمكنهم أن يقتلونا لأنهم لا يستطيعون إراقة الدّم هنا في المدينة المقدّسة... لكنني أستطيع»، ووضع طرف السيف بين نهدي دنيرس ونزل به على انحناء بطنها قائلاً لها: «أريدُ ما جئتُ من

أجله، أريدُ النَّاجِ الذي وعدني به. لقد اشتراكِ ولم يدفع ثمنك. قل لي له إنني أريدُ نصيبي من الصَّفقة وإلا سأستردُّكِ، أنتِ والبيضات. يُمكنه الاحتفاظ بمُهره اللّعين، سأُخرِجه من بطنكِ وأتركه له». انغرس رأس السَّيف في معطفها الحريري ووكزَ سُرَّتَها، ورأته يبكي، يبكي ويضحك في آنٍ واحد، الرَّجل الذي كان أخاها ذات مرّة.

من على مسافة بعيدة سمعت داني وصيفتها جيّكوي تنتحب خوفاً، تقول متوسّلةً إنها تجرؤ على التَّرجمة إن الغال سيُقبّدها إلى حصانه ويَجُرُّها حتى قَمّة الجبل الأمّ، فوضعت ذراعها حول الفتاة وقالت لها: «لا تخافِي، سأُخبره أنا».

لم تدركِ إن كانت تعرف كلماتٍ كافية للتَّرجمة، لكن عندما انتهت تكلمَ غال دروجو ببضع عباراتٍ فظّة بالدوثرّاكي فأدرّكت أنه فهمها، ثم نزلَ شمس حياتها من على منصّته العالية، وسألَ الرَّجل الذي كان أخاها مُجفلاً: «ماذا قال؟».

كان صمت تام قد خيّم على القاعة وجعلها تسمع رنين الأجراس الواطئ في شَعر زوجها وهو ينزل الدَّرجات، وتبعه خيالة دمه كظلالٍ من البرونز. شعرت دنيرس ببرودة غريبة تتملّكها وهي تقول: «قال إنك ستُحصل على تاجٍ ذهبيٍّ مهيبٍ يرتجف الرّجال لمرآه».

ابتسمَ فسيرس وخفضَ سيفه... وكان هذا أكثر شيء مؤلم في الأمر كله، الشَّيء الذي مزّق نياط قلبها فيما بعد، تلك الابتسامة التي ارتسمت على وجهه وهو يقول: «هذا كلُّ ما أردته، ما وعدني به».

عندما وصلَ شمس حياتها إليها وضعت يدها حول وسطه، وقال الغال كلمةً وانقضَّ خيالة دمه. أمسك كوثو الرَّجل الذي كان أخاها من ذراعيه، وهشَّم هاجو معصمه بليّة حادّة من يديه الضّخمتين، وسحبَ كهولو السَّيف من بين أصابعه المرتخية؛ وحتى وقتها لم يستوعب فسيرس وصرخ: «لا! لا يُمكنكم أن تلمسوني! أنا التَّنين! أنا التَّنين! سأُنالُ تاجي!».

خلع غال دروجو حزامه ذي الحلقات المنقوشة المصنوعة من الذهب الخالص، كل منها أكبر حجمًا من يد رجل، وصاح بأمر، فرفع العبيد قدر طهو حديدية ثقيلة من حفرة النار وأفرغوا محتوياتها على الأرض ثم أعادوا وضعها فوق النار، فألقى دروجو الحزام في داخلها وشاهد بلا تعبير على وجهه إذ استحال لون الحلقات الذهبية إلى الأحمر وبدأت تفقد شكلها، ورأت داني اللهب يرقص في سواد عينيه. ناو له أحد العبيد قفازين سميكين من جلد الحصان ثبتهما على يديه دون أن يرمق الرجل ولو بنظرة واحدة.

بدأ فسيرس يطلق الصرخات المدوية التي يطلقها كل جبان يواجه الموت، وركل وتلوى وأن كالكلاب ونشج كالأطفال، لكن الدوثرافي الثلاثة ثبتوه فيما بينهم بإحكام، بينما دنا السير جورا من داني ووضع يده على كتفها قائلاً: «لا تنظري يا سُمُو الأميرة، أتوسل إليك».

- «كلا»، قالت وطوت ذراعيها على بطنها.

في النهاية نظر فسيرس إليها وقال باكياً لاهثاً: «أختاه، أرجوك... داني، قل لي لهم... مريضهم... أختاه...».

عندما بدأ الذهب يذوب ويسيل مدد دروجو يده في اللهب ورفع القدر، وبصوت هادر قال: «تاج! هاك، تاج للملك الشحاذ!»، وقلب القدر على رأس الرجل الذي كان أخاها.

الصوت الذي أصدره فسيرس تارجارين حين غطت الخوذة الذهبية الشنيعة رأسه لم يكن بشرياً، وضربت قدماء الأرض الأرض الترابية كالمنطرة للحظات ثم تباطأت حركتهما ثم خمدت تماماً، وسالت قطرات سميكة من الذهب الذائب على صدره لتتقّب الحرير القرمزي... لكن قطرة واحدة من الدم لم تسيل.

وبهدوء عجيب قالت دنيرس لنفسها: لم يكن تنيًا... النار لا تقتل التنين.



إدارد

كان يمشي في السرايب أسفل ويتترفل كما مشى ألف مرة من قبل، وراقب ملوك الشتاء مروره بعيون من جليد، وأدارت الذئاب الرهيبة الجائمة عند أقدامهم رؤوسها الحجرية الكبيرة مزمجرة. أخيرًا بلغ القبر الذي يرقد أبوه فيه وإلى جواره براندون وليانا. «عذني يا ند»، همس تمثال ليانا. كانت ترتدي إكليلاً من الورود الزرقاء الشاحبة، وعيناها تدرفان دماً.

وانتفض إدارد ستارك جالساً وقلبه يدق في صدره بعنف باللغ والأغطية متشابكة من حوله. كانت الغرفة معتممة تماماً، وأحدهم يدق على الباب بالحاح على الباب وبصوت عالٍ يُنادي: «لورد إدارد». - «ال لحظة». مترنحاً عارياً قطع الغرفة المظلمة، وعندما فتح الباب وجد تومارد رافعاً قبضته وكاين يحمل شمعة في يده، وبينهما وكيل الملك نفسه.

كان وجه الرجل كأنه محفور من الحجر وقد خلت ملامحه من التعبير وهو يقول بصوت رتيب: «حضرة اليد، جلالة الملك يأمر بحضورك في الحال».

إذن فقد عاد روبرت من صيده الطويل أخيراً. قال ند: «سأحتاج بضع دقائق لأرتدي ثيابي»، وترك الرجل ينتظر في الخارج. ساعده كاين على ارتداء ثيابه، السترة الكتنائية البيضاء والمعطف الرمادي والسرّوال

المقصود لتدخل فيه ساقه المجبرة وشارة منصبه، وأخيراً حزام الحلقات الفضية الثقيلة الذي دسّ فيه الخنجر الفاليري.

كانت القلعة الحمراء مظلمة ساكنة بينما صحبه كايين وتومارد عبر الفناء الداخلي، والقمر واطى فوق الأسوار وقد كاد يبلغ الاكتمال، ولمح ند حارساً في معطف ذهبي يسير فوق الأسوار في ورديته.

كان السكن الملكي يقع في حصن ميجور، الحصن المربع الضخم الذي يستقر في قلب القلعة الحمراء وراء أسوار يبلغ سمكها اثنتي عشرة بوصة وخندق جاف اصطفّت فيه الخوازيق الحديدية، قلعة داخل قلعة. وقف السير بوروس بلاونت حارساً على الطرف الآخر من الجسر كشيخ يرتدي درعاً فولاذية بيضاء تحت نور القمر، وفي الداخل مرّ ند بفارسين آخرين من الحرس الملكي، السير پرستون جرينفيلد الواقف عند قاعدة السلالم، والسير بارستان سلمي الواقف عند باب غرفة نوم الملك. ثلاثة رجال في معاطف بيضاء، فكّر متذكراً وتملّكته قشعريرة غريبة. كان وجه السير بارستان شاحباً كدرعه، ومن نظرة واحدة إليه عرف ند أن شيئاً مروّعاً قد حدث. فتح وكيل الملك الباب قائلاً: «اللورد إدوارد ستارك، يدُ الملك». سمع صوت روبرت يُنادي وقد شابته بحّة عجيبة: «دعوه يدخل».

انقادت النار في المستوفدين التّأمين على جانبي الغرفة لتملأها بوهج أحمر كثيب وتجعل الحرارة في الداخل خانقة حقاً، وتمدّد روبرت على الفراش ذي الستائر، بينما حام المايستر الأكبر پايسل إلى جوار الفراش وأخذ اللورد رنلي باراثيون يذرع الغرفة جيئةً وذهاباً بخطوات متوتّرة. كان الخدم يتحرّكون هنا وهناك، يلقون الحطب في النار ويغلقون النّبيذ، وجلست سرسي لانستر على حافة الفراش إلى جوار زوجها. كان شعرها مبعثراً كأنها قامت لتوها من النوم، وإن كانت عيناها يقطبتين تماماً، وقد تبعنا ند إذ ساعده تومارد وكايين على عبور الغرفة، وأحسّ بأنه يتحرّك بمنتهى البطء كأنه لا يزال يحلم.

كان المَلِك يرتدي حذاءه، ورأى ند الوحل الجاف وأوراق العُشب العالقة بالجِلْد حيث برزت قدما روبرت من تحت الأغطية التي تدثر بها، ولمح صُدرة خضراء على الأرض، مشقوقة لوئت نسيجها بقع حمراء وبُنية. كانت الغرفة مشبعة برائحة الدُّخان والدَّم والموت، ووجه المَلِك أبيض كالجليب، وقد همسَ لَمَّا رآه: «ند... اقرب».

ساعده رجلاه على الاقتراب، ووضع ند يده على قائم السَّير ليثبت نفسه وقد حدّثه نظرته إلى روبرت بسوء الموقف البالغ. «ماذا...»، قال واختنق باقي السُّؤال في حلقه.

أجاب اللورد رنلي الذي كان لا يزال يرتدي ثياب الصَّيد الخضراء التي لوئتها الدَّماء: «خنزير برّي».

- «شيطان»، قال المَلِك بصوتٍ مبحوح. «كانت غلطتي، نبذ كثير، أخطأت التصويب عليّ اللعنة».

قال ند للورد رنلي: «وأيْن كُتْم؟ أين كان السير بارستان والحرس المَلِكِي؟».

ارتجفَ فم رنلي وهو يُجيب: «أخي أمرنا بأن نقف جانبًا ونتركه يُهاجم الخنزير بمفرده».

ورفع إدارد ستارك الأغطية. لقد بذلوا قصارى جهدهم لإغلاق الجرح، لكن هذا لم يكن كافيًا على الإطلاق. لا بد أن الخنزير كان وحشًا حقيقيًا، فقد مزق المَلِك من أصل الفخذ حتى الصَّدر بأنيابه، والضمَّادات المنقوعة في النِّبذ التي وضعها المايستر الأكبر بايسل عليه كانت قد اسودَّت من الدَّم بالفعل، بينما خرجت رائحة شنيعة من الجرح. انقلبت معدة ند وترك الأغطية تسقط.

- «رائحة نتنه»، قال روبرت. «رائحة الموت. لا تحسب أنني لا أشمُّها. الوغد نالَ مني حقًا، أليس كذلك؟ لكنني... لكنني ردَدْتُ له الصَّاع اثنين

يا ند». كانت ابتسامة المَلِك شنيعةً كجرحه وقد احمرَّت أسنانه. «غرسْتُ سكينِي في عينه مباشرةً. سلِّهم، سلِّهم».

غمغمَ رنلي: «هذا صحيح. لقد أتينا بالجئة معنا كما أمرَ أخي».

همسَ روبرت: «من أجل المأدبة. والآن اتركونا كلِّكم، أريدُ أن أتكلَّم مع ند».

قالت سرسي: «روبرت، سيدي ال...».

قاطعها روبرت وقد حملت نبرته لمحةً من قوَّته القديمة: «قلتُ اتركونا. ألا تفهمين يا امرأة؟».

جمعت سرسي أطراف فُستانها وكرامتها واتَّجهت إلى الباب وتبعها اللورد رنلي والآخرون، بينما بقيَ پايسل ومدَّ يده إلى المَلِك بكوبٍ من سائل أبيض ثخين قائلاً: «حليب الخشخاش يا جلالة المَلِك. اشربه من أجل الألم».

أطاحَ روبرت بالكوب بظَّهر يده قائلاً: «اخرج. سأناؤُ قريباً جدًّا أيها الأحمق العجوز. اخرج».

- «عليك اللعنة يا روبرت»، قال ند عندما صارا وحدهما. كانت ساقه تُؤلِّمه لدرجة تكاد تُعميه، أو لعلَّ الحُزن هو ما يغشي عينيه. جلسَ على الفراش إلى جوار صديقه القديم قائلاً: «لماذا ينبغي أن تكون بهذا العناد دائماً؟».

قال المَلِك بصوتٍ مبجوح: «أوه، اذهب إلى الجحيم يا ند. لقد قتلتُ الوغد، أليس كذلك؟». سقطتْ خُصلة من الشَّعر المبلَّل عرقاً على عينيه وهو يرمق ند قائلاً: «يجدُّ بي أن أفعل المِثل معك. ألم يُمكنك أن تتركني أصطادُ بسلام؟ السير روبار وجدني. رأس جريجور... فكرة حمقاء. لم أخبرَ كلب الصَّيد. دَع سرسي تُفاجئته». تحوَّلت ضحكته إلى أنينٍ وقد هاجمته نوبة من الألم، وتمتمَ مبتلعاً وجعه: «فلترحمني الآلهة. الفتاة، دنيرس، إنها مجرد طفلة. كنتَ على حق... لهذا السَّبب، الفتاة... الآلهة

أرسلت الخنزير... أرسلته لتعاقبني»، وسعل الملك دماً قبل أن يتابع: «خطأ، كان خطأ، أنا... مجرد فتاة... فارس، الإصبع الصغير، أخي... كلهم عديمو القيمة... لا أحد يقول لي لا غيرك يا ند، لا أحد»، ورفع يده بإشارة واهية قائلاً: «ورق وجبر، هناك على المائدة. اكتب ما أقوله لك». بسط ند الورقة على ركبته وأمسك بريشة الكتابة قائلاً: «بِمَ تأمر يا جلالة الملك؟».

- «هذه وصية وأمر روبرت الأول سليل عائلة باراثيون، ملك الأنداليين والبقية... اكتب الألقاب اللعينة، أنت تعرفها. بموجب هذه الوثيقة أمر اللورد إدارد ابن عائلة ستارك، سيد وينترفيل ويد الملك بأن يخدم وصياً على العرش وحامياً للبلاد لدى... لدى وفاتي... ليحكم في... في مكاني إلى أن يبلغ ابني جوفري».

- «روبرت...». أراد أن يقول: جوفري ليس ابنك، لكنه عجز عن النطق. كان العذاب مرسوماً بوضوح نائم على وجه روبرت، ولم يستطع إيلامه أكثر من ذلك. هكذا حتى ند رأسه وكتب، لكن حيث قال الملك "ابني جوفري" كتب ند "وريثي" بدلاً من هذا، وجعلته الخديعة يشعر بأنه ملوث. يا للأكاذيب التي نقولها في سبيل الحب. لتغفر لي الآلهة. «ماذا تريدني أن أقول أيضاً؟».

- «قل... ما ينبغي أن نقوله، الحماية والدفاع، الآلهة القديمة والجديدة، أنت تعرف الكلمات. اكتب وسأوقع. أعط الورقة للمجلس بعد موتي».

قال ند بصوت امتلاً حزناً: «روبرت، لا تفعل هذا، لا تمت. البلاد في حاجة إليك».

اعتصر روبرت يده بقوة قائلاً بالهمس: «أنت... لا تجيد الكذب يا ند ستارك. البلاد... البلاد تعرف أي ملك بائس كنت، في مثل سوء إیرس ولترحمني الآلهة».

قال ند لصديقه المحتضر: «كلا، ليس بسوء إيرس يا جلالة المَلِك، ليس بسوء إيرس على الإطلاق».

ابتسم روبرت ابتسامة حمراء ضعيفة، وقال: «على الأقل سيقولون... سيقولون إن هذا الشيء الأخير الذي فعلته كان صوابًا. أنت لن تخذلني. ستحکم الآن، وستكره الحُكم أكثر مني... لكنك ستبلي بلاءً حسنًا. هل فرغت من الكتابة؟».

- «نعم يا جلالة المَلِك». ناولَ ند الورقة لروبرت، فوقَّعها بعينين لا تريان تقريبًا تاركًا عليها لطخةً من الدَّم، وقال ند: «يجب أن يشهد أحدهم الختم».

تمتم روبرت: «قدّم الخنزير في مأدبة الجنازة، تُفَاحة في فمه ومشويًا تمامًا. كُل الوغد. لا أبالي إن اختنقت. عِدني يا ند».

- «أعدك»... وردَّد صوت ليانا: عِدني يا ند.

قال المَلِك: «الفتاة، دنيرس، دعها تعيش... إذا استطعت... إذا لم يَفُت الأوان... تكَلِّم معهم... فارس، الإصبع الصَّغير... لا تجعلهم يقتلونها... وساعد ابني يا ند، اجعله... اجعله أفضل مني»، وارتجف هامسًا: «لترحمني الآلهة».

قال ند: «سترحمك يا صديقي، سترحمك».

أغلق المَلِك عينيه وبدا أكثر استرخاءً الآن وهو يَتِمِّم: «قتلني خنزير. يجدر بي أن أضحك لولا الألم».

لم يضحك ند، وقال: «هل أناديهم؟».

أومأ روبرت برأسه بضعفٍ وقال: «كما تشاء. لِمَ الجَوُّ بارد هكذا هنا بحق الآلهة؟».

هُرِعَ الخدم عائدين إلى الغرفة ليضعوا المزيد من الحطب في النَّار، لكن المَلِكة كانت قد ذهبت، وفي هذا على الأقل وجدَ ند شيئًا من الرَّاحة. لو كانت سرسي تتمتع بأيِّ بصيرة، لأخذت أبناءها وغادرت

المدينة قبل مطلع الفجر، فقد ظلت هنا أطول من اللازم بالفعل. لم يبدُ أن الملك روبرت يفتقد وجودها، وأمر أخاه رنلي والمياستر الأكبر بايسل أن يقفا شاهدين وهو يضع ختمه في الشمع الأصفر الساخن الذي قطره ند على الورقة، ثم قال: «والآن أعطوني شيئاً للآلم واتركوني لأموت».

أسرع بايسل يخلط له شربة أخرى من حليب الخشخاش، وهذه المرة تجرعه الملك بشراهة، وعلى لحيته السوداء الكثة سقطت القطرات البيضاء اللثينة عندما ألقى الكوب الفارغ بعيداً، وسأل: «هل سأحلم؟». أجابه ند: «ستفعل يا سيدي».

قال روبرت مبتسماً: «عظيم. سأبلغ ليانا حبك يا ند. اعتنِ بأبنائي من أجلي».

تلوت الكلمات في معدة ند كخنجر ماضٍ، وللحظة شعر بارتباك شديد. لم يستطع إرغام نفسه على الكذب، ثم إنه تذكر أبناء روبرت غير الشرعيين: بارا الصغيرة التي ترضع من ثدي أمها، ميا في "الوادي"، جندري في ورشة الحدادة، والآخرين. هكذا قال بتؤدة: «سوف... أحمي أبناءك كأنهم أبنائي».

هز روبرت رأسه وأغلق عينيه، ورأى ند جسد صديقه القديم يرتخي بين الوسائد والأغطية وقد أزاح حليب الخشخاش عنه الألم، ثم يغيب في النوم.

رنت الحلقات في سلسلة المياستر الأكبر بايسل بصوت خافت وهو يدنو من ند قائلاً: «سأبذل كل ما في وسعي يا سيدي، لكن الجرح أصيب بالأكال. لقد استغرقوا يومين كاملين ليعيدوه من الغابة، ولدى معائتي له كان الأوان قد فات بالفعل. أستطيع تخفيف معاناة جلالته، لكن الآلهة وحدها قادرة على شفائه الآن».

- «كم تبقى له؟».

- «الحقُّ أنه من المفترض أن يكون ميتًا فعلاً الآن. لم أر رجلاً يتشبَّث بالحياة بهذه القوَّة من قبل».

قال اللورد رنلي: «لطالما كان أخي قويًّا، ليس حكيمًا ربما، لكن قويًّا بالتأكيد». كانت جبهته تتصبَّب عرقًا من فرط الحرارة في الغرفة وقد وقفَ هناك كشبح روبرت في صباه، شابًّا غامضًا وسيما. «لقد قتلَ الخنزير. كانت أحشاؤه تتدلَّى خارج بطنه لكنه قتلَ الخنزير». كان صوته مفعما بالذهشة.

ردَّ ند: «روبرت لم يكن أبدًا بالرجل الذي يترك ميدان المعركة وعدوُّه لا يزال صامدًا».

كان السير بارستان سلمى لا يزال في الخارج يحرس سلالم البرج، وقال له ند: «المايستر پايسل سقاء حليب الخشخاش. لا تسمح لأحد بإغلاق راحته دون إذنٍ مني».

- «كما تأمر يا لورد إدارد»، قال السير بارستان وقد بدا أن العمر تقدَّم به عشرة أعوام أخرى. «لقد أخفقتُ في أداء واجبي المقدَّس».

قال ند: «حتى أشجع الفرسان لا يستطيع حماية ملكه من نفسه. طوال حياته وروبرت يُحبُّ صيد الخنازير البرية، وقد رأيتُه يقتل ألفًا منها». كان روبرت يقف في مكانه ثابت الجنان راسخ السَّاقين وفي يده الحربة الضَّخمة، وفي أغلب الأحيان ينهال بالسَّباب على الخنزير إذ ينقضُّ عليه، ويبتظر حتى اللَّحظة الأخيرة قبل أن يكاد الخنزير يُسقطه، ويقتله بضربة عنيفة واثقة واحدة. «لا أحد كان ليعلم أن في هذه المرَّة موته».

- «لطف منك أن تقول هذا يا لورد إدارد».

- «الملك نفسه قال هذا، وألقى اللوم على النبيذ».

أوما الفارس الأشيب برأسه قائلًا: «كان الملك يترنَّح فوق سرجه عندما أجبرنا الحيوان على الخروج من عربنه، لكنه أمرنا جميعًا بأن نتنحَّى جانبًا».

سأل فارس بهدوءٍ شديد: «إنني أتساءلُ يا سير باريستان، من أعطى المَلِكَ هذا النِّبَذَ؟».

لم يكن ند قد سمعَ الخَصِيَّ يقترب، لكنه كان موجودًا عندما التفتَ إليه، يرتدي معطفًا مخمليًا أسودَ ذا ذيلٍ طويل، والمساحيق تُغطِّي وجهه كالاعتاد.

أجاب السير باريستان: «النِّبَذُ كان من قِربة المَلِك».

- «قِربة واحدة فقط؟ الصَّيْدُ يُصيب بالعطش كما تعلم».

- «لم أحصِ عددها في الواقع، لكنها كانت أكثر من واحدة بالتأكيد».

كان مُرافقه يأتي له بِقِربةٍ جديدةٍ كلما طلبَ واحدةً».

قال فارس: «صبيٌّ مطيعٌ حقًا، تأكَّد من أن ملكه لم يفتقر إلى شرابه المنعش».

أحسَّ ند بمذاقٍ مرٍّ في فمه، وخطرَ على باله الصَّبِيَّانَ الأشقران اللذان أرسلهما روبرت بحثًا عن مشدٍّ واقِي الصدر. كان المَلِكُ قد حكى القِصَّةَ للجميع ليلتها أثناء المأدبة وجسده يرتجُ ضحكًا. «أيُّ مُرافق؟».

أجاب السير باريستان: «أكبرهما، لانسِل».

قال فارس: «أعرفه جيّدًا. صبيٌّ قويٌّ هو، ولد السير كيثان لانستر، ابن أخي اللورد تايبين وابن عمِّ المَلِكَة. أملُ أن الصَّبِيَّ المسكين لا يلوم نفسه. دائمًا ما يكون الصَّغار شديدي الهشاشة من فرط برائتهم. أذكرُ هذا جيّدًا».

لا شكَّ أن فارس كان صغيرًا ذات يوم، وإن لم يعتقد ند أنه تحلَّى بالبراءة أبدًا. «على ذِكر الصَّغار، لقد غيَّر روبرت رأيه بخصوص دنيرس تارجارين. أريدُ إلغاء أيِّ تربيّاتٍ أجريتها فورًا».

قال فارس: «للأسف قد يكون الأوان فات. أخشى أن الطُّيور حلَّقت بالفعل، لكنني سأفعلُ ما أستطيعُ يا سيّدي. بعد إذنك»، وانحنى وغادرَ على السَّلام ونعلا خُفيَّه يُصدِران صوتًا ناعمًا وهو ينزل السَّلام.

كان كاين وتومارد يُساعِدان ند على عبور الجسر عندما خرج اللورد رنلي من حصن ميجور مُناديًا على ند: «لورد إدارد، لحظة إذا سمحت». توقّف ند قائلاً: «كما ترغب».

اتّجه رنلي إليه وقال: «اصرف رجلك». التقيا في منتصف الجسر والخندق الجاف من تحتهما وقد صبغ نور القمر رؤوس الخوازيق المصطفة في قاعه باللون الفضي.

أشار ند، فحنى تومارد وكاين رأسيهما وتراجعا باحترام، ورمق اللورد رنلي السير بوروس الواقف عند طرف الجسر والسير پرستون عند المدخل وراءهما بنظرة حذرة، ثم مال على ند قائلاً: «تلك الوثيقة، أهي الوصاية؟ هل عيّنت أخني حامياً للبلاد؟»، ولم ينتظر إجابة من ند وتابع بلا إبطاء: «لديّ ثلاثون حارساً في خدمتي يا سيّدي، بخلاف الأصدقاء الآخرين من الفرسان واللوردات. يُمكنني أن أضع مئة سيف في يدك خلال ساعة واحدة».

- «وماذا أفعل بمئة سيف؟».

- «تضرب ضربتك! الآن والقلعة نائمة!»، وعادَ يرمق السير بوروس ثم خفض صوته إلى همسٍ ملهوفٍ قائلاً: «يجب أن نفصل چوفري عن أمّه ونضعه تحت الحراسة. سواء كنت الحامي أم لا، الرّجل الذي يسيطر على المَلِك يسيطر على المَمْلَكَة، ويجب أن نقبض على مارسلا وتومن كذلك. سرسي لن تجرؤ على مُعارَستنا وأطفالها في أيدينا. سيُصدّق المجلس على تنصيبك حامياً للبلاد ويُسمّي چوفري تابعك الشّخصي».

نظرَ إليه ند بيروود وقال: «روبرت لم يمُت بعد وقد تُنَجّيهِ الآلهة، وإذا لم تفعل سأجمعُ المجلس ليسمع كلماته الأخيرة ويدرس مسألة خلافته، لكنني لن أهيّن ساعاته الأخيرة في الحياة بإراقة الدّماء في قلعته واختطاف الأطفال المذعورين من أسرّتهم».

تراجع رنلي خطوة إلى الوراء مشدودًا كوتر القوس، وقال: «كُلُّ لحظةٍ تتأخرها تمنح سرسي فرصة أكبر للاستعداد. لدى موت روبرت قد يكون الوقت قد تأخر تمامًا بالنسبة لنا معًا».

- «لنَدْعُ إذن ألا يموت روبرت».

- «احتمال ضعيف».

- «أحيانًا ما تكون الآلهة رحيمة».

قال اللورد رنلي: «لكن آل لانستر ليسوا كذلك»، ودارَ على عقبيه قاطعًا الخندق إلى البرج الذي يحتضر فيه أخوه.

كان ند مُرهَقًا مغتَمًا تمامًا عند عودته إلى عُرفته، وإن كان من المستحيل أن يعود إلى النَّوم الآن. عندما تلعب لعبة العروش، إمَّا أن تريح أو تموت، كما قالت له سرسي لانستر في أيكة الآلهة، ووجدَ نفسه يتساءل إن كان رفضه لعرض اللورد رنلي القرار الصَّائب. إنه لا يستطيع تلك الحيل والمكائد على الإطلاق، وليس هناك شرف في تهديد الأطفال، وإنما... إذا اختارت سرسي القتال بدلًا من الفرار، فسوف يحتاج سيوف رنلي المثة بكل تأكيد، وأكثر.

قال لكاين: «أريدُ الإصبع الصَّغير. إذا لم تجده في مسكنه، فخذُ العدد الذي تحتاجه من الرِّجال وابحث عنه في كُلِّ حانةٍ وماخوٍرٍ في كينجز لاندنج حتى تُعثر عليه. أريده هنا قبل الفجر». انحنى كاين وغادر، بينما التفتَ ند إلى تومارد قائلاً: «سُتُبحر "ساحرة الرِّيح" هذا المساء مع مجيء المد. هل اخترت من سيرافقون ابنتي؟».

أجاب تومارد: «عشرة رجال يقودهم بورثر».

- «عشرون، وستقودهم أنت». بورثر رجل شجاع لكن عنيد، وهو يرغب في أحد أكثر تمرُّسًا وحكمةً يعتني بالفتاتين.

- «كما تأمر يا سيدي. لا يُمكنني أن أقول إن الرِّحيل من هنا سيُحزِنني.

إنني أفقدُ زوجتي».

- «ستمرُّون بالقرب من دراجونستون عندما تنعطف السفينة شمالاً. أريدك أن تُوصِّل رسالة من أجلي».

بدا تومارد حذرًا وهو يسأل: «إلى دراجونستون يا سيدي؟». كانت جزيرة عائلة تارجارين القلعة ذات شُمية مشؤومة.

- «قل للربَّان كُوس أن يرفع رايتي بمجرد أن تلوح الجزيرة أمامكم، فقد يتعاملون بعداءٍ مع الزُّوَّار غير المتوقَّعين. اعرض عليه أيَّ ثمنٍ إذا تردَّد. سأعطيك رسالة تضعها في يد اللورد ستانيس باراثيون وليس أيَّ شخصٍ آخر، ليس وكيله أو قائد حرسه أو حتى زوجته، بل اللورد ستانيس نفسه».

- «كما تأمر يا سيدي».

عندما غادرَ تومارد، جلسَ اللورد إدارد ستارك يُحدِّق في لهب الشُّمة التي تحترق إلى جواره على المنضدة، وللمحظة استحوذَ عليه الأسى ولم يرغب في شيءٍ غير أن يذهب إلى أبكة الآلهة ويركع أمام شجرة القلوب ويصلي من أجل حياة روبرت باراثيون الذي كان أكثر من أخٍ له. سوف يقولون إن إدارد ستارك خانَ صداقة مَليكه وحرَمَ ابنه من إرثهما، وإنما ليس في إمكانه سوى أن يأمل أن الآلهة تعرف أفضل، وأن روبرت سيعرف الحقيقة كاملةً في الأرض الواقعة وراء القبر.

أخرجَ ند رسالة المَلِك الأخيرة، الرِّقَّ الأبيض المطويَّ المختوم بالشمع الذهبي، بضع كلماتٍ قليلةٍ ولطخة من الدَّم. زهيدٌ حقًّا الفارق بين الهزيمة والنَّصر، بين الموت والحياة.

ثم إنه أخرجَ ورقةً بيضاء وغمسَ ريشة الكتابة في قنينة الحبر، وبدأ يكتب: «إلى جلالته ستانيس ابن عائلة باراثيون، عندما تتسلَّم هذه الرسالة سيكون أخوك روبرت، مَلِكنا طوال الخمسة عشر عامًا الماضية، قد رحلَ عن عالمنا على إثر إصابةٍ عنيفةٍ من خنزيرٍ بريٍّ أثناء الصَّيد في غابة الملوك...».

بَدَتْ الحروف كأنها تلتوي وتتمعج على الورقة وهو يخطُ آخرها
ثم يتوقّف. اللورد تابوين والسير جايمي ليسا بالرجلين اللذين يتقبّلان
الإهانة بخنوع وسيؤثران القتال على الفرار، ولا ريب أن اللورد ستانيس
تصرّف بحذرٍ بعد اغتيال جون آرن، لكن من الضروري أن يُبحر إلى
كينجز لاندينج بكلّ قوّته قبل أن يبدأ آل لانستر الزحف.

انتقى ند كلّ كلمة بعناية، وعندما فرغَ وقّع الرسالة 'إدوارد ستارك، سيّد
ويتترفل ويّد المَلِك وحامي البلاد"، ثم طوى الورقة مرّتين وبدأ يُذيب
شمع الختم على لهب الشمعة.

فكّر والشمع يذوب أن وصايته ستكون قصيرة على كلّ حال، فلا بُدَّ
أن المَلِك الجديد سيختار يدًا جديدًا بالضرورة، وسيستطيع ند عندها
العودة إلى دياره. رسمَ خاطر ويتترفل ابتسامة باهتة على شفّته. إنه يُريد
أن يسمع ضحكات بران من جديد، أن يذهب للصّيد بالصُقور مع روب
ويرى ريكون يلعب، يُريد أن يغيب في نوم عميقٍ بلا أحلامٍ وذراعه
تطوّقان حبيبته كاتلين.

كان يضغط رمز الذئب الرّهيب في الشمع الأبيض الطّري عندما
عادَ كاين ومعه دزموند وبينهما الإصبع الصّغير، وشكّر ند الحارسين
وصرفهما.

ارتدى اللورد پيتر سِترة مخملية زرقاء ذات ذراعين متفخين ومعطفًا
فضّي اللون نُقِشت عليه طيور المُحاكي، وقال وهو يجلس: «أعتقدُ أن
التّهنئة واجبة».

قال ند مؤنّبًا: «المَلِك جريح في فراشه يُصارع الموت».

- «أعرفُ هذا، وأعرفُ أيضًا أن روبرت عينك حاميًا للبلاد».

ألقى ند نظرة سريعة على وثيقة المَلِك الموضوعة على المنضدة
وختمها السّليم، وقال: «ومن أين لك هذه المعرفة يا سيّدي؟».

- «فارس أشار إلى شيء بهذا المعنى، وها أنت ذا أكّدته الآن».

التوى فم ند غضبًا وهو يقول: «سُحَقًا لفارس وطيوره. كاتلين كانت تقول الحقيقة، الرَّجُلُ يُمارِس سِحْرًا أَسودَّ ما، وأنا لا أثقُ به».

- «رائع، إنك تتعلَّم»، ومال الإصبع الصَّغير إلى الأمام قائلاً: «لكنني أراهن أنك لم تأتِ بي إلى هنا في جوف اللَّيل لتتحدَّث عن الخَصِي».

- «هذا صحيح. إنني أعرفُ السَّرَّ الذي قُتِلَ جون آرن بسببه. روبرت لن يترك ابنًا شرعيًّا، فچوفري ونومن هما نغلا چايمي لانستر، مولودان عن علاقة سَفاح القُربى التي تجمع بينه وبين المَلَكَة».

رفع الإصبع الصَّغير حاجبًا وقال: «هذا صادم»، وإن قالها بلهجة تُوحي بأن لا صدمة هنالك على الإطلاق. «والفتاة كذلك؟ لا شك. إذن عندما يموت المَلِك...».

- «يتقل العرش شرعًا إلى اللورد ستانيس، أكبر أخوي روبرت». ملَّس اللورد پيتر على لحيته المديَّبة مفكَّرًا، ثم قال: «على ما يبدو، ما لم...».

- «على ما يبدو؟ الموضوع غير مطروح للنقاش. ستانيس هو الوريث ولا شيء يُمكنه تبديل هذا».

- «ستانيس لا يستطيع أن يأخذ العرش من دون مُساعدتك. إذا كنت حكيماً، ستعمل على أن يخلف چوفري أباه».

رمقه بنظرة متحجَّرة قائلاً: «ألا تملك ذرَّة من الشَّرَف؟».

- «أوه، إن لديَّ ذرَّة منه بالتأكيد»، قال الإصبع الصَّغير باستهانة. «اسمعني، ستانيس ليس صديقًا لك أو لي. إنه مخلوقٌ من حديد، شديد الصَّلابة وغير قابل للطَّرق، وسوف يُعيِّن يَدًا ومجلسًا جديدين بلا أدنى شك. بالطبع سيُشكرك على تسليمه العرش، لكنه لن يُحبِّبك لهذا، وخلافته ستعني الحرب. لن يستريح ستانيس على العرش حتى تموت سرسي وأبناؤها، فهل تعتقد أن اللورد ناويون لن يُحرِّك ساكنًا وهم يأخذون مِقام رأس ابنته من أجل الخازوق؟ سوف تنتفض كاسترلي

روك، وليس وحدها. روبرت وجدَ في نفسه القدرة على العفو عن من خدَموا المَلِكَ إيرس بشرط أن يُقسِموا له بالولاء، بينما لن يكون ستانيس بهذه السَّماحة، فلِك أن تثق بأنَّه لم ينسَ حصار ستورمز إند، واللوردان تايرل وردواين لن ينسيا كذلك. كلُّ رجلٍ حاربَ تحت راية التَّين أو انضمَّ إلى بالون جرايجوي في تمرُّده سيملكُ سببًا للخوف. دَع ستانيس على العرش الحديد وأعدك بأن البلاد ستترَف. والآن انظر إلى الوجه الآخر من العُملة. چوفري في الثانية عشرة لا أكثر، وروبرت أعطاك الوصاية يا سيِّدي. أنت يدُ المَلِك وحامي البلاد والسُّلطة ملك يمينك يا لورد ستارك، وكلُّ ما عليك هو أن تمدَّ يدك لتقتنصها. اعقد السَّلام مع آل لانستر، أطلق سراح العِفريت، زوِّج چوفري من ابنتك سانزا، وزوِّج ابنتك الصُّغرى من تومن ووريثك من مارسلا. ما زالت هناك سنوات أربع تفصل بين چوفري والبلوغ، ووقتها سيكون قد أصبحَ ينظرُ إليك باعتبارك أبًا ثانيًا، وإذا لم يكن... أربع سنوات فترة طويلة يا سيِّدي، تكفي للتخلُّص من اللورد ستانيس، وبعدها إذا اتَّضح أن چوفري كثير المتاعب، يُمكننا أن نفضح سرَّه الصَّغير ونُجلِس اللورد رنلي على العرش».

ردَّد ند: «يُمكننا؟».

هَزَّ الإصبع الصَّغير كتفيه قائلاً: «سوف نحتاج أحدًا يُشاركك العبء، وأؤكدُ لك أن سعري زهيد».

بصوتٍ باردٍ كالجليد قال ند: «سُعرُك؟ لورد بايلش، ما تقترحه خيانة».

- «فقط إذا خسَرنا».

- «يبدو أنك نسيت، نسيت چون آرن ونسيت چوري كاسل... ونسيت هذا»، وأخرجَ الخنجر ووضَّعه على المنضدة بينهما، السَّلاح المصنوع من عظام التَّين والفولاذ القاليري، بحدَّة الفارق بين الخطأ والصَّواب، بين الأصيل والزَّائف، بين الحياة والموت. «لقد أرسوا رجلًا لينحر ابني في غيبوبته يا لورد بايلش».

زفر الإصبع الصَّغير وقال: «أخشى أني نسيْتُ بالفعل يا سيدي، سامحني، فللحظة لم أتذكَّر أني أتكلَّم مع ستارك»، والتوى فمه وسأل: «أهو ستانيس إذن؟ والحرب؟».

- «لا يوجد خيار. ستانيس هو الوريث».

- «حاشا للآلهة إذن أن أجادل حضرة الحامي. ما الذي تُريده مني

إذن؟ ليس حكمتي كما هو واضح».

- «سأعملُ على أن أنسى... حكمتك»، قال ند باستياء. «لقد

استدعيتُك كي أطلب منك المُساعدة التي وعدت كاتلين بها. إننا في موقفٍ محفوفٍ بالخطر جميعًا. صحيحُ أن روبرت عيَّني حاميًا للبلاد، لكن في عيون النَّاس لا يزال جوفري ابنه ووريثه، والمَلِكة لديها دسِة من الفُرسان وعشرات من الرِّجال المسلَّحين الذين سيفعلون ما تأمرهم به، وهؤلاء يكفون للتغلُّب على البقية الباقية من حرس أهل بيتي. ومن يدري؟ قد يكون أخوها جايمي في الطَّريق إلى كينجز لاندنج في هذه اللَّحظة ومعه جيش من رجال لانستر».

- «وأنت بلا جيش»، قال الإصبع الصَّغير وهو يُداعِب الخنجر

الموضوع على المنضدة ويُدبره بإصبعه بيّطء. «ليس هناك وُدٌ مفقود بين اللورد رنلي وآل لانستر. كذلك يون البرونزي، السير بالون سوان، السير لوراس، الليدي تاندا، التَّوأمين... كل من هؤلاء لديه حاشية من الفُرسان والسلاحدارية هنا في البلاط».

- «رنلي لديه ثلاثون رجلًا في حرسه الشَّخصي، والباقون لديهم

عدد أقل من هذا. العدد الإجمالي لا يكفي، حتى لو كنتُ واثقًا من أنهم سيمنحونني ولاءهم جميعًا. يجب أن تكون المعاطف الذَّهبيَّة معي. حرس المدينة فيه ألفا رجلٍ أقسموا على الدِّفاع عن القلعة والمدينة وسلام المَلِك».

- «آه، لكن عندما تُعلن سرسي مَلِكًا وأنت مَلِكًا آخر، فعن سلام أيِّ

منهما سيّدافعون؟»، ونقرّ اللورد بيتر الخنجر بإصبعه ليجعله يدور ويدور مهتزّاً، وعندما كَفَّ عن الدّوران أخيراً كان رأسه يُشير إلى الإصبع الصّغير الذي قال مبتسماً: «ها هي الإجابة، إنهم يتبعون من يدفع لهم»، وتراجع إلى الوراء ناظراً إلى وجه ند مباشرةً وعيناه الخضراوان الرّماديتان تلتمعان سخرية. «إنك ترتدي شُرفك كدِرْع يا ستارك، تحسب أنه يحميك، وفي الحقيقة هو يُثقلك ويجعل حركتك عسيرة. انظر إلى نفسك الآن. أنت تعرف لماذا استدعيتني إلى هنا، تعرف ما تُريد أن تطلّب مني أن أفعله، وتعرف أنه محتمّ... لكنه ليس بالتصرّف الشّريف الذي يروق لك، ولهذا تلتصق الكلمات بحلقك».

كانت رقبة ند متصلّبة من فرط التوتّر، ولوهلة انتابه غضب شديد جعله لا يأمن نفسه على الكلام.

ضحك الإصبع الصّغير وقال: «يجدرّ بي أن أجعلك تقولها، لكنها ستكون قسوةً بالغة، فلا تقلق يا سيّدي الطيّب. من أجل الحُبّ الذي أُكِنّه لكاتلين سأذهبُ إلى چانوس سلينت على الفور وأضمنُ أن يكون حرس المدينة معك. ستّة آلاف قطعة ذهبية تكفي على ما أعتقد، الثلث للقائد والثلث للقيّمين والثلث للرّجال. قد يكفي نصف هذا المبلغ لشرائهم، لكنني لا أحبُّ أن أُجازِف»، ورفع الخنجر مبتسماً وقَدّمه إلى ند من جهة المقبض.



چون

كان چون يتناول إبطارًا من السجق وكمكات التفاح، عندما جلس سامويل تارلي على الذكّة مُحدثًا صوتًا مزعجًا وهمس بحماسة: «لقد استدعوني إلى السّبت. سيُنهون فترة تدريبي ويجعلونني أخًا مع بقيتكم. هل تُصدّق هذا؟».

- «لا. حقًا؟».

- «حقًا. سأُساعد المايستر إيمون في أعمال المكتبة والطّيور. إنه يحتاج أحدًا يستطيع قراءة وكتابة الرّسائل».

قال چون مبتسمًا: «ستبلي بلاء حسنًا في هذا».

تلقت سام حوله بقلق وقال: «هل نذهب الآن؟ لا أريد أن أتأخّر وإلاّ غيّرُوا رأيهم». كان يتوائب فعلاً وهما يقطعان السّاحة التي تانثرت فيها الحشائش في ضوء النّهار المشمس الدّافئ، الذي جعل الماء يسيل على جانبي "الجدار" ليتألّق جليده ويلتمع. في داخل السّبت امتصّت البلّورة الضّوء الذي يتسلّل من النّافذة المواجهة للجنوب ونشرته في قوس قزح على المذبح، وفغر ييب فاه عندما رأى سام بينما وكزّ تودر جرن في ضلوعه، لكن أحدًا منهم لم يلفظ كلمة. كان السّبتون سلا دار -الذي لم يكن ثملًا اليوم لحسن الحظ- يؤرّجج مبخرة ليملأ الهواء بالبخور طيّب الرّائحة الذي ذكّر چون بسبت الليدي ستارك في ويتترفل.

دخل كبار القيمين في مجموعة، المايستر إيمون متكئًا على كلايداس،

السير أليسر العابس ذو العينين الباردين، حضرة القائد مورمونت بهيّا مهيباً في سُترة من الصُوف الأسود ذات أباذيم فضيَّة على شكل مخلب دُب، ومن ورائهم قادة الجماعات الثَّلاث: حضرة الوكيل باون مارش ذو الوجه الأحمر، البناء الأول أوثل يارويك، والسير چارمي ريكز الذي يقود الجوّالة في غياب بنچن ستارك.

وقفَ مورمونت وراء المذبح وألوان قوس قزح تتلاعب على رأسه الأصلع العريض، وقال: «جئتم إلينا خارجين على القانون، متتهكين ومغتصبين ومدينين وقتلةً ولصوصاً، جئتم إلينا أطفالاً، جئتم إلينا وحيدين مكبلين بالأغلال، بلا أصدقاء أو شرف، جئتم إلينا أثرياء وفقراء، يحمل بعضكم لقب عائلة كبيرة والبعض الآخر لقب نغل أو لا لقب على الإطلاق. كل هذا لا يهمُّ، كل هذا في الماضي الآن. على "الجدار" كلنا عائلة واحدة. اليوم عند المغرب، عندما تغيب الشمس وتواجه الليل المحتشد، سوف تحلفون اليمين، وبدايةً من تلك اللحظة سيكون كل منكم أخاً تحت القسم في حرس الليل. ستظهرون من جرائمكم وتُنسى ديونكم، وعليكم بدوركم أن تظهروا من أيّ ولاء سابق لكم وتُتحوا ضغائنكم جانباً وتنسوا كل خطأ وحُب قديم على حدّ سواء. هنا يبدأ جميعكم من جديد. رجل حرس الليل يعيش حياته في سبيل البلاد، ليس من أجل ملكٍ أو لورد أو شرف هذه العائلة أو تلك، ولا من أجل الذهب أو المجد أو حُب امرأة، بل في سبيل البلاد ومواطنيها. رجل حرس الليل لا يتخذ لنفسه زوجةً أو يُنجب أبناء، فالواجب زوجتنا، والشرف عشيقتنا، وأنتم الأبناء الوحيدون الذين سنعرفهم في حياتنا. لقد تعلّمتم كلمات اليمين، ففكّروا جيّداً قبل ترديدها، فلا عودة بمجرد أن تتردوا الأسود، وعقوبة الفرار هي الموت»، وصمت الدُب العجوز لحظةً قبل أن يُردف: «هل هناك بينكم من يرغب في مُغادرتنا؟ إذا كان الأمر كذلك، فيمكنك الذهاب الآن ولن يقلّ تقديرنا لك شيئاً».

لم يتحرّك أحدهم، فقال مورمونت: «عظيم جدًا. يُمكنكم حلف اليمين اليوم عند المغرب هنا أمام السّيتون سلادار وقادة جماعاتكم. أمنكم من يعبُد الآلهة القديمة؟».

نهَضَ جون قائلاً: «أنا يا سيّدي».

- «أعتقدُ إذن أنك ترغب في ترديد كلماتك أمام واحدةٍ من أشجار القلوب كما فعلَ عمُّك».

- «نعم يا سيّدي». لم تكن له علاقة بآلهة السّيت الجديدة، فدماء البشر الأوائل يسري في عروق أبناء ستارك كلهم.

سمع جرن يهمس من خلفه: «ليست هناك أيكة آلهة هنا، أليس كذلك؟ لم أرَ واحدةً قطُّ».

همسَ بيب بدوره: «ولا يُمكنك أن ترى قطيعًا من الثيران حتى يدهسوك بين الثُلوج».

- «بل يُمكنني أن أراه طبعًا، ومن على مسافةٍ بعيدة».

أكّد مورمونت نفسه شكوك جرنٍ إذ قال: «القلعة السوداء لا تحتاج أيكةً للآلهة، لكن وراء "الجدار" تقف الغابة المسكونة كما فعلت منذ فجر العصور، وقبل أن يجلب الأنداليون "السبعة" معهم عبر البحر الضيق. سنجد أيكةً من أشجار الويروود على بُعد نصف فرسخٍ من هذه البقعة، ولربما تجد آلهتك كذلك».

- «حضرة القائد». جعل الصّوت جون يلتفت وراءه بدهشةٍ ليرى سامويل تارلي واقفاً يُجفّف كَفَّه المبلّتين بالعرق على صدرته. «هل... هل تسمح لي بالذهاب أيضًا لأحلف اليمين أمام شجرة القلوب؟».

سأله مورمونت: «هل تعبُد عائلة تارلي الآلهة القديمة؟».

- «لا يا سيّدي»، أجاب سام بصوتٍ خافتٍ متوتّر. كان جون يعرف أن كبار القيمين يُخيفونه، خصوصًا الدُّب العجوز. «لقد سُميتُ في نور

"السبعة" في السَّيْت في هورن هيل، مثل أبي وأبيه من قبله وجميع أبناء تايرل منذ ألف سنة».

سأله السير چارمي ريكز: «ولِمَ ترغب في هجران آلهة أبك وعائلتك؟».

أجاب سام: «حرس اللَّيْل عائلتي الآن. "السبعة" لم يُجيبوا دُعائي قَطُّ، لكن ربما تفعلها الآلهة القديمة».

قال مورمونت: «كما تشاء يا بُني»، وجلس سام وكذلك چون. «لقد عِينَا كُلًّا منكم في جماعةٍ كما تقتضي احتياجاتنا وبما يتناسب مع قدراتكم ومهاراتكم». تقدّم منه باون مارش وناوله ورقةً مطويةً، ففردّها حضرة القائد وبدأ يقرأ: «هالدر، إلى البنّائين»، فهزّ هالدر رأسه بحركة راضية. «جرن، إلى الجوّالة. ألبت، إلى البنّائين. پيپ، إلى الجوّالة»، فالتفت پيپ باسمًا إلى چون وهزّه أذنيه الكبيرتين. «سامويل، إلى الوُكلاء»، فتنفّس سام الصُّعداء وجفّف جبهته بقطعة من الحرير. «مانار، إلى الجوّالة. داريون، إلى الوُكلاء. تودر إلى الجوّالة. چون، إلى الوُكلاء».

الوُكلاء؟ للحظةٍ لم يصدّق چون ما سمعه. لا بُدَّ أن مورمونت أخطأ القراءة. بدأ ينهض، يفتح فمه، يقول لهم إن ثمة خطأ ما... ثم رأى السير ألبس ثورن ينظر إليه بعينين تلمعان سوادًا كالزجاج البركاني، وفهم. طوى مورمونت الورقة قائلاً: «سُملي عليكم قيمٌ كلّ جماعةٍ واجباتكم. فلتحفظكم الآلهة كلها أيها الإخوة»، وحيّاهم حضرة القائد بهزّة من رأسه وانصرفَ ومعه السير ألبس وعلى شفّته ابتسامة رفيعة، وخطرَ لچون أنه لم يرَ قيمَ السِّلَاح بهذه السّاعة من قبل.

صاحّ السير چارمي ريكز: «الجوّالة معي»، وحدّق پيپ في چون وهو ينهض بيّطاً وقد احمرّت أذناه، بينما ارتسمت على وجه جرن ابتسامة واسعة كأنه لا يُدرك أن شيئًا ما على غير ما يرام، وانضمَّ إليهما مات وتودر وتبعوا السير چارمي إلى خارج السَّيْت.

وقال أوثل يارويك ذو الوجه الطَّويل النَّحيل: «البَّناؤون معي»، فتبعه هالدر وألبت.

تطلَّع جون حوله مصدومًا شاعرًا بالغثيان. كانت عينا المايستر إيمون الضَّريَّتان مرفوعتين نحو الضَّوء الذي لا يراه، والسَّيِّتون يَرصُّ البَلُّورات على المذبح، بينما لم يتبقَّ غير سام وداريون على الدَّكَّة؛ ولد بدين ومغنٌ... وهو.

فركَ حضرة الوكيل باون مارش يديه الممثلتين معًا وقال: «سامويل، ستُساعد المايستر إيمون في المِغْدفة والمكتبة. سينتقل تِثت إلى الوجار ليُعنى بكلاب الصَّيد، وسنأخذ حُجبرته كي تكون قريبًا من المايستر في أيِّ وقتٍ ليلاً أو نهارًا. سأعتمدُ عليك في العناية به، فهو مُيسِّنٌ جدًّا وغالٍ علينا جدًّا. داريون، قالوا لي إنه سبقَ لك الغناء على موائد كبار اللوردات ومُشاركتهم طعامهم وشرابهم. سنُرسلُك إلى القلعة الشَّرقيَّة على البَحْر، فقد يكون غناؤك مفيدًا لكوتر پايك عندما تأتي السُّفن للتَّجارة. إننا ندفع أسعارًا باهظةً للحمِّ المملَّح والسَّمك المحفوظ، كما أن زيت الزَّيتون شائع حقًّا. قدِّم نفسك إلى بوركاس لدى وصولك، وسيُكلِّفُك بالعمل بين السُّفن»، ثم التفتَ مارش مبتسمًا إلى جون وقال: «حضرة القائد مورمونت طلبَ أن تكون وكيله الخاص يا جون. ستنام في حُجبرة تحت مسكنه في بُرج القائد».

سألَ جون بلهجةٍ حادَّة: «وماذا ستكون واجباتي؟ هل سأقدِّم لحضرة القائد وجباته وأُساعدُه على ارتداء ثيابه وأجهِّز الماء السَّاخن لحَمَّامه؟». أجابَ مارش عاقدًا حاجبيه إثر لهجة جون: «بالثَّأكيد. وستذهب وتأتي برسائله، وتُحافظ على النَّار متقدِّدة في مسكنه، وتُبَدِّل الأغذية وملاءات الفِراش يوميًّا، وتفعل كلَّ شيءٍ آخر يأمرُك حضرة القائد به».

- «هل تراني خادماً؟».

- «كلا»، أجابَ المايستر إيمون من مؤخِّرة السَّيِّت وكلايداس يُساعدُه

على الشَّوْض. «إننا نراك رجلاً في حرس اللَّيْلِ، لكن لعلنا أخطأنا». استعانَ چون بكلِّ ما لديه من قوَّة كي يمنع نفسه من الاندفاع مغادرًا. هل من المفترض أن يمحض الرُّبْد ويحبك الثَّياب كالفتيات لبقية حياته؟ سألَ بجمود: «هل يُمكنني الانصراف؟».

أجابَه باون مارش: «كما ترغب».

خرجَ داريون وسام معه، ونزلَ ثلاثهم إلى السَّاحة بصمت. في الخارج رفعَ چون عينيه إلى "الجدار" اللَّامع في نور الشَّمْس والجَلِيد الذَّائِب يسيل على جانبه كمثَّة إصْبَع رَفِيع، وفي داخله تعتمل ثورة قمينة بأن يجعله يهدمه في لحظة، وليذهب العالم إلى الجحيم.

قال سامويل تارلي بحماسة: «چون، انتظر، ألا ترى ما يفعلونه؟». التفتَ إليه قائلاً بحق: «أرى يد السير أليس، هذا هو كلُّ ما أراه. لقد أرادَ إذلالِي ونجحَ».

رمقه داريون بنظرة لائمة وقال: «جماعة الوُكلاء تُناسِب من هُم مثلي ومثلك يا سام، لكن ليس اللورد سنو».

صاحَ چون: «إنني أجيذُ المُبارزة والرُّكوب أكثر من أيِّ واحدٍ فيكم! هذا ليس عدلاً!».

قال داريون هازئاً: «ليس عدلاً؟ الفتاة كانت تنتظرنِي عاريةَ كيوم ولدتها أمُّها وجذبَنِي من النَّافذة، وتكلَّم أنت عن العدل؟»، وابتعدَ هازاً رأسه.

قال سام: «كونك وكيلاً ليس دُلاً».

- «هل تحسب أنني أرغبُ في قضاء بقية حياتي في غسيل الثَّياب الدَّاخِلِيَّة لرجل عجوز؟».

- «هذا الرَّجُل العجوز هو حضرة قائد حرس اللَّيْلِ، وستكون معه ليلاً نهائياً. نعم، عليك أن تُصَبَّ له النَّبِذ وتُغيَّرَ أغطية فراشه، لكنك كذلك ستوصِّل رسائله وتقف إلى جواره في الاجتماعات وتُرافقُه في المعركة».

ستكون قريباً منه كظله، ستعرف كل شيء وتكون جزءاً من كل شيء... كما أن حضرة الوكيل قال إن مورمونت طلبك بنفسه! في طفولتي كان أبي يُصرُّ على أن أكون معه في قاعة الاجتماعات دائماً، وعندما ذهب إلى هايجاردن ليُقسم بالولاء للورد تايرل جعلني أذهب معه. بعدها بدأ يأخذ ديكون معه ويتركني في البيت، ولم يُعذُّيالي إن كنتُ أحضرُ الاجتماعات أم لا. المهم أنه كان يرغب في وجود وريثه إلى جواره، هل تفهم؟ يُريده أن يُشاهد ويُصغي ويتعلَّم من كلِّ ما يفعله. أراهن أن حضرة القائد طلبك للسبب نفسه يا جون، وإلا فما السبب؟ إنه يرغب في تأهيلك للقيادة!». تراجع جون مندهشاً، وتذكَّر كيف كان اللورد إدوارد يجعل روب جزءاً من مجلسه في ويتترفل. هل من الممكن أن يكون سام مصيباً؟ حتى النخل يستطيع الارتقاء إلى مكانةٍ عاليةٍ في حرس الليل كما أخبروه، لكنه قال بعناد: «لم أطلب هذا قط».

قال سام: «لا أحد منا هنا لأنه طلب هذا».

وشعر جون سنو بالخجل يعتريه فجأة.

جبان أم لا، سامويل تارلي وجد الشجاعة ليتقبَّل مصيره كرجل. على "الجدار" لا يحصل الرجل إلا على ما يستحقُّه. أنت لست جواً إلا يا جون، بل مجرد صبيٍّ أخضر ما زالت رائحة الصيف عالقَةً به، قال له عمُّه بنجن ستارك في آخر ليلةٍ رآه فيها جون حيّاً. لقد سمع أن النُّغول يكبرون أسرع من بقية الأطفال، وعلى "الجدار" إمّا أن تكبر أو تموت. أطلق جون زفرة عميقة وقال: «أنت على حق، كنتُ أنصرفُ كالأطفال».

- «ستبقى إذن وتحلف اليمين معي؟».

جعل نفسه يتسم وقال: «الآلهة القديمة في انتظارنا».

خرجوا يومها في أواخر الأصيل. لم تكن هناك بوابات في "الجدار"، لا في القلعة السوداء ولا في أيِّ مكانٍ آخر على امتداد أمياله الثلاثمئة،

وقادوا خيولهم عبر النَّقْ الضيق المحفور في قلب الجَلِيد والجدران الباردة تنضغط عليهم مع كُلِّ منعطف. ثلاث مرَّات توقَّفوا عند قضبان حديدية تسدُّ الطَّرِيق، ليُخْرِجَ باون مارش مفاتيحه وَيَحِلَّ السَّلاسل الضَّخمة التي تُؤمِّنُها. شعرَ چون بالثَّقل العظيم الذي يضغط عليه وهو ينتظر وراءَ حضرة الوكيل، وبالهواء الأبرد وأكثر ثباتًا من هواء مقبرة، وشعرَ براحةً غريبةً حينَ خَرَجوا من في ضوء الأصيل على الجانب الشمالي من "الجدار".

طرفت عينا سام مع تعرُّضهما المباغت للضوء، وتطلَّع حوله بحذرٍ متوترٍ قائلاً: «الهمج... إنهم لا... إنهم لا يجرؤون على الدُّثُو من "الجدار" كثيرًا، أليس كذلك؟».

أجابَ چون وهو يمتطي حصانه: «لم يفعلوها من قبل قطُّ». عندما امتطى باون مارش ومجموعة الجوّالة المُصاحبة لهما خيولهم بدورهم، وضعَ چون إصبعين في فمه وأطلقَ صفيراً، فجاءَ جوست يعدو من داخل النَّقْ.

سهلَ حصان حضرة الوكيل وتراجعَ إثرَ مرأى الذُّئب الرَّهيب، وقال مارش: «هل تنوي أن تأخذه معك؟».

قال چون: «نعم يا سيدي»، ورفعَ جوست رأسه وبدأ أنه يتذوَّق الهواء، وفي غمضة عينٍ انطلقَ عبرَ الحقل الفسيح المغطَّى بالأعشاب واختفى بين الأشجار.

صاروا في عالمٍ آخرَ بمجردَ دخولهم الغابة. كان چون كثيرًا ما يَخْرُج للصَّيد مع أبيه وچوري وروب، ويعرف غابة الذُّئاب المحيطة بويتترفل جيِّدًا. الغابة المسكونة كانت تُشبهها كثيرًا، وإن كان إحساسها يختلف تمامًا. لعلَّ المعرفة هي السَّبب، فلقد تجاوزوا نهاية العالم، وبشكل ما غيَّرَ هذا كلَّ شيء. هنا كُلُّ ظِلٍّ أكثر قتامةً، كُلُّ صوتٍ مُنذِرٍ بالخطر أكثر، والأشجار تشابك بشدَّةٍ لتَحْجُبَ نور الشَّمس الغاربة. تشقَّقت قشرة

الثَّلَجِ الرَّقِيقَةِ تحت حوافر خيولهم بصوتٍ كتكسير العظام، وأثَارَ حَفِيفِ
 الأشجارِ فِي الرِّيحِ شعورًا فِي حُونَ كَأَنِ إصْبَعًا جَلِيدِيًّا يَمُرُّ عَلَى عَمُودِهِ
 الْفَقْرِيِّ. "الْجِدَارُ" يَقْبَعُ وَرَاءَهُمُ الْآنَ، وَوَحْدَهَا الْآلِهَةُ تَعْلَمُ مَا يَقْبَعُ أَمَامَهُمْ.
 كَانَتِ الشَّمْسُ تَغِيبُ وَرَاءَ الْأَشْجَارِ لَمَّا بَلَغُوا وَجْهَتَهُمْ، الْمَنْطَقَةُ الْخَالِيَةُ
 مِنَ الْأَشْجَارِ فِي أَعْمَاقِ الْغَابَةِ الَّتِي نَمَتْ فِيهَا تَسْعُ مِنَ أَشْجَارِ الْوِيرُودِ فِي
 دَائِرَةِ. التَّقَطَّ حُونَ نَفْسًا عَمِيقًا وَرَأَى سَامُ تَارْلِي يُحَدِّقُ بَدْهَشَةً. حَتَّى فِي
 غَابَةِ الذُّثَابِ لَمْ تَكُنْ لِتَجِدَ غَيْرَ شَجَرَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا عَلَى الْأَكْثَرِ مِنَ الْوِيرُودِ
 تَنْمُو مَعًا، بَيْنَمَا الْإِيكَةُ الْمَكُونَةُ مِنْ تَسْعِ دَفْعَةٍ وَاحِدَةٍ مَنَظَرٌ جَدِيدٌ تَمَامًا.
 كَانَتِ أَرْضُ الْغَابَةِ مَكْسُوءَةً بِالْأَوْرَاقِ السَّاقِطَةِ، حَمْرَاءُ كَالْدَّمِ مِنْ أَعْلَى
 سُودَاءُ مِنَ الْعَفْنِ مِنْ أَسْفَلٍ، بَيْنَمَا الْجَذُوعُ الْمَلْسَاءُ الضَّخْمَةُ بِيضَاءُ
 كَالْعِظَامِ وَمِنْهَا تُحَدِّقُ تَسْعَةُ وَجُوهٍ فِي بَعْضِهَا بَعْضًا، وَقَدْ جَعَلَ النُّسْغُ
 الْجَافَ الْعَيُونَ الَّتِي كَسَاهَا حَمْرَاءُ صُلْبَةً كَالْيَاقُوتِ. أَمَرَهُمْ بَاوَنُ مَارِشُ
 بَتْرُكْ خَيْوْلَهُمْ خَارِجَ الدَّائِرَةِ قَائِلًا: «هَذَا مَكَانٌ مَقْدَّسٌ وَلَنْ نُدْنُسَهُ».
 عِنْدَمَا خَطُّوا دَاخِلَ الدَّائِرَةِ تَلَفَّتْ سَامُ تَارْلِي بِتَأَنٍّ مُتَطَلِّعًا إِلَى الْوُجُوهِ
 الَّتِي لَا يُشَبِّهُ وَاحِدَ مِنْهَا الْآخَرَ، وَهَمَسَ: «الْآلِهَةُ الْقَدِيمَةُ، إِنَّهَا تُرَاقِبُنَا».
 غَمَغَمَ حُونَ: «أَجَلْ»، وَرَكَعَ وَإِلَى جَوَارِهِ رَكَعَ سَامُ.
 رَدَّدَا الْكَلِمَاتِ مَعًا وَمَلَأَ صَوْتَاهُمَا غَسَقَ الْإِيكَةِ وَآخِرَ خِيُوطِ الضُّوءِ
 يَغِيبُ فِي الْغَرْبِ وَالنَّهَارُ الرَّمَادِي يَسْتَحِيلُ إِلَى لَيْلٍ أَسْوَدَ: «اسْمَعُوا
 كَلِمَاتِي وَاشْهَدُوا عَلَى قَسَمِي. اللَّيْلُ يَزْدَادُ حُلُكَةً، وَالْآنَ تَبْدَأُ حِرَاسَتِي،
 وَلَنْ تَنْتَهِيَ حَتَّى مَمَاتِي. لَنْ أَتَّخِذَ لِنَفْسِي زَوْجَةً، أَوْ أَمْلِكُ أَرْضًا، أَوْ أَنْجِبَ
 أَبْنَاءً، وَلَنْ أُرْتَدِّي تَاجًا أَوْ أَظْفَرُ بِمَجْدٍ، وَسَأَعِيشُ فِي مَوْقِعِي وَأَمُوتُ فِيهِ.
 أَنَا السَّيْفُ فِي الظُّلُمَاتِ، أَنَا الْحَارِسُ عَلَى الْأَسْوَارِ، أَنَا النَّارُ الَّتِي تَحْتَرِقُ
 لِنَطْرُدَ الْبَرْدَ، الضُّوءُ الَّذِي يَأْتِي بِالْفَجْرِ، النَّفِيرُ الَّذِي يَوْقِظُ النَّيَامَ، الدَّرْعُ
 الَّتِي تَقِي بِلْدَانَ الْبَشَرِ. لِحَرَسِ اللَّيْلِ أَنْعَهْدُ بِحَيَاتِي وَشَرَفِي، بِدَايَةِ مِنَ اللَّيْلِ
 وَطَوَالِ جَمِيعِ اللَّيَالِي الْقَادِمَةِ».

خَيْمَ الصَّمْتِ عَلَى الْغَابَةِ، ثُمَّ قَالَ بَاوَن مَارِشُ بوقار: «لقد ركعتما صَبِيَّينَ، وَالْآنَ انْهَضَا كَرَجَلَيْنِ فِي حَرَسِ اللَّيْلِ».

مَدَّ چون يده إِلَى سَام لِيُسَاعِدْهُ عَلَى النَّهْوضِ، فِيمَا احْتَشَدَ الْجَوَالَةُ حَوْلَهُمَا لِقُدُومِهِمَا إِلَيْهِمَا التَّهَانِي الْبَاسِمَةَ، كُلُّهُمَا بِاسْتِثْنَاءِ رَجُلِ الْغَابَاتِ الْعَجُوزِ الْمُتَجَهِّمِ دَايَوِينِ الَّذِي قَالَ لِبَاوَن مَارِشَ: «مَنْ الْأَفْضَلُ أَنْ نَعُودَ الْآنَ يَا سَيِّدِي. الظَّلَامُ يَسُودُ بِسُرْعَةٍ، وَثَمَّةُ شَيْءٍ لَا يَرُوقُ لِي فِي رَائِحَةِ اللَّيْلِ».

وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ عَادَ جُوسْتُ وَوَقَفَ بَيْنَ شَجَرَتَيْ وَيروودَ، وَقَالَ چون لِنَفْسِهِ وَقَدْ اعْتَرَاهُ قَلَقٌ مَبَاغِتٍ: فَرَوْا أَيْضًا وَعَيْنَانِ حُمْرَاوَانِ، تَمَامًا كَالْأَشْجَارِ.

بَيْنَ فَكَّيِ الذُّئْبِ كَانَ ثَمَّةُ شَيْءٍ مَا، شَيْءٌ أَسْوَدَ، وَسَأَلَ بَاوَن مَارِشَ عَاقِدًا حَاجِبِيهِ: «مَا هَذَا؟».

رَكَعَ چون قَائِلًا: «إِلَيَّ يَا جُوسْتُ، تَعَالَ هُنَا».

تَقَدَّمَ الذُّئْبُ الرَّهِيْبُ مِنْهُ، وَسَمِعَ چون شَهْقَةً سَامَ تَارِلِي الْحَادَّةِ، وَتَمَتَّمَ دَايَوِينُ: «فَلْتَرَحِمْنَا الْآلِهَةُ، إِنَّهَا يَدُ!».



إدارد

استيقظ إدارد ستارك من غفوته القصيرة المُنهكة على وقع حوافر الخيول الهادر بينما يتسلل نور الفجر من نافذته، ورفع رأسه الذي أسنده إلى المنضدة وألقى نظرة على السّاحة في الأسفل، حيث ملأ الرّجال الذين يرتدون الحلقات المعدنية والجلد والمعاطف القرمزية الصّباح بصليل السيوف وانطلقوا يدهسون أعداء من القشّ بخيولهم، وشاهد ند ساندور كليجان يعدو بحصانه على الأرض الصّلبة ليغرس رُمحه ذا الرّأس الحديدي في رأس واحدة من دُمى التدريب، ليمزّق القماش ويتفجّر القشّ بينما يُطلق رجال لانستر الضّحك والسّباب.

أهذا الاستعراض الشّجاع من أجلي؟ إذا كان كذلك، فسرسي حمقاء أكثر مما تصوّرت. لماذا لم تهرب اللّعينة؟ لقد أعطيتها الفرصة وراء الفرصة...

كان نهارًا كثيبًا غائمًا، وجلس ند لتناول طعام الإفطار مع ابنتيه والسّبتة موردن. رمقت سانزا المغتمة طعامها بنظرة واجمة ورفضت أن تأكل، بينما التهمت آريا كلّ شيء وضعوه أمامها، وقالت: «سيريو يقول إن لدينا وقتًا لدرس أخير قبل أن نستقل السّفينة هذا المساء. هل تسمح يا أبي؟ كلّ أغراضنا محزومة للسّفر بالفعل».

- «ليكن درسًا قصيرًا، وتأكّدي من أن لديك الوقت للاستحمام وتبديل ثيابك. أريدك جاهزة بحلول الظّهر، مفهوم؟».

رَدَدَتْ آريَا: «بحلول الظُّهر».

رَفَعَتْ سَانزَا رَأْسَهَا قَائِلَةً: «إِذَا كَانَتْ تَسْتَطِيعُ حُضُورَ دَرَسِ الرَّقْصِ، فَلِمَ لَا تَسْمَحُ لِي بِتَوْدِيعِ الْأَمِيرِ جُوفَرِي؟».

قَالَتِ السَّيِّئَةُ مُورْدَن: «يُمْكِنُنِي أَنْ أَذْهَبَ مَعَهَا يَا لُورْد إِدَارْد، وَلَنْ أَسْمَحَ بِأَنْ تَفُوتَهَا السَّيِّئَةُ».

- «لَنْ يَكُونَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ تَذْهَبِي إِلَى جُوفَرِي الْآنَ. آسَفُ يَا سَانزَا».

قَالَتِ دَامِعَةُ: «لَكِنْ لِمَاذَا؟».

قَالَتِ السَّيِّئَةُ: «سَانزَا، السَّيِّدُ وَالدُّكِ يَعْرِفُ أَفْضَلَ مِنْكَ، وَلَيْسَ مِنْ حَقِّكَ التَّشْكِيكُ فِي قَرَارَاتِهِ».

صَرَخَتْ سَانزَا: «هَذَا لَيْسَ عَدْلًا!»، وَانْتَفَضَتْ نَاهِضَةً لَتُسْقِطَ مَقْعِدَهَا، وَهَرَعَتْ مِنَ الْغُرْفَةِ بَاكِئَةً.

نَهَضَتِ السَّيِّئَةُ لَتَلْحَقَ بِهَا، لَكِنْ نَدَّ أَشَارَ لَهَا بِالْجُلُوسِ وَقَالَ: «دَعِيهَا تَذْهَبُ. سَأُحَاوِلُ أَنْ أَجْعَلَهَا تَفْهَمُ عِنْدَمَا نَعُودُ جَمِيعًا بِأَمَانٍ إِلَى وَينْتْرِفل»، فَحَنَّتِ السَّيِّئَةُ رَأْسَهَا وَعَادَتْ تَجْلِسُ لَا سَتَكْمَالِ إِفْطَارِهَا.

بَعْدَ سَاعَةٍ جَاءَ الْمَایِستَرُ الْأَكْبَرُ بِایِسلَ إِلَى إِدَارْد سِتَارَكُ فِي غُرْفَتِهِ الشَّمْسِيَّةِ بِكَتْفَيْنِ مَتَهَدِّلَتَيْنِ كَأَن ثِقْلَ سِلْسِلَةِ الْمَایِستَرَاتِ الشَّدِيدِ حَوْلَ عُنُقِهِ صَارَ أَكْبَرَ مِنْ احْتِمَالِهِ، وَقَالَ: «سَيِّدِي، لَقَدْ رَحَلَ الْمَلِكُ رُوبَرْت. لَتَمْنَحَهُ الْآلِهَةُ الرَّاحَةَ».

قَالَ نَد: «لَا، رُوبَرْت كَانَ يَكْرَهُ الرَّاحَةَ. لَتَمْنَحَهُ الْآلِهَةُ الْحُبَّ وَالضَّحْكَ وَبِهَجَّةٍ مَعْرَكَةٍ حَامِيَةِ الْوُطَيْسِ». الْخَوَاءُ الَّذِي يَشْعُرُ بِهِ كَانَ غَرِيبًا، وَمَعَ أَنَّهُ تَوَقَّعَ هَذِهِ الزَّيَارَةَ، إِلَّا أَن شَيْئًا فِي دَاخِلِهِ مَاتَ مَعَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ. كَانَ مُسْتَعِدًّا لِلتَّخَلُّيْ عَنْ جَمِيعِ أَلْقَابِهِ مُقَابِلَ أَنْ يَمْلِكَ حُرِّيَّةَ الْبُكَاءِ الْآنَ، لَكِنَّهُ يَدُّ رُوبَرْت، وَالسَّاعَةُ الَّتِي كَانَ يَخْشَاهَا جَاءَتْ أَخِيرًا. قَالَ لِپَایِسلَ: «مِنْ فَضْلِكَ اسْتَدْعِ أَعْضَاءَ الْمَجْلِسِ لِلْاجْتِمَاعِ هُنَا». كَانَ هُوَ وَتُومَارْدُ قَدْ أَمَّنَا بُرْجَ الْيَدِ قَدْرَ الْمُسْتَطَاعِ، بَيْنَمَا لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَضْمَنَ أَمْنَ قَاعَةِ الْمَجْلِسِ.

قال پايسل بدهشة: «سيدي، مؤكّد أن شؤون المَمْلَكة يُمكنها الانتظار حتى الغد، عندما لا يكون حُزننا جديدًا هكذا».

رَدّ ند بهدوءٍ حازم: «أخشى أن علينا الانعقاد في الحال».

انحنى پايسل وقال: «كما يأمر اليك»، ونادى على خدّمه وأرسلهم لاستدعاء أعضاء المجلس، ثم قبلَ شاكراً المقعد الذي قدّمه ند له وكوبًا من البيرة المحلّلة.

كان السير باريستان سلّمي أول من لبّى الاستدعاء، وجاء وقد بدّت عليه المهابة في معطفه الأبيض والدّرع المطليّة بالميناء، وقال: «سيدي، إن مكاني إلى جوار المَلِك الصّغير. أرجو أن تأذن لي بالانصراف».

قال له ند: «مكانك هنا يا سير باريستان».

بعده وصلَ الإصبع الصّغير وهو لا يزال يرتدي المعطف الأزرق المنقوش بطيور المُحاكي الفضيّة الذي ارتداه اللَّيلة السّابقة وقد تغبّر حذاؤه من الرُّكوب، وحيّاهم بابتسامةٍ لا تعني شيئًا معيّنًا، قبل أن يلتفت إلى ند قائلاً: «المهمّة الصّغيرة التي كلّفنتني بها تمّت يا لورد إدارد».

ثم جاء فارس يمشي في خُفّين ناعمين لا يُصدّران صوتًا ورائحة اللاقندر تفوح منه ووجهه متورّد من حمّامه السّاخن وقد وضعَ المساحيق على وجهه كالمتعاد، وقال وهو يجلس: «الطُّيور الصّغيرة تُشدُّ أغنيّةً حزينةً اليوم والبلاد تبكي. هل نبدأ؟».

قال ند: «عندما يصل اللورد رنلي».

رمقه فارس بنظرةٍ حزينةٍ وقال: «أخشى أن اللورد رنلي غادرَ المدينة».

رَدّ ند الذي كان يعتمد على دعم رنلي: «غادرَ المدينة؟».

أجابَه فارس: «خرجَ من بَوَايةٍ خلفيّةٍ قبل ساعةٍ من الفجر، يصحبه السير لوراس تايرل وخمسون من الخدم. آخر من شاهدَهم قال إنهم كانوا يتجهون جنوبًا بأقصى سرعة، إلى ستورمز إند أو هايجاردن لا شك».

لا اعتماد إذن على رنلي وسيفه المثة. لم يَرُق هذا لند، لكن ما باليد حيلة. أخرج وثيقة روبرت وقال: «المَلِك طلبني ليلة أمس وأمرني بتسجيل كلماته الأخيرة. اللورد رنلي والمياستر الأكبر بايسل كانا شاهدين على ختم روبرت للوثيقة التي أمر أن يفتحها المجلس بعد وفاته. هل تسمح يا سير باريستان؟».

فحص قائد الحرس الملكي الورقة وقال: «ختم المَلِك روبرت سليم»، ثم فتحها وقرأ: «بموجب هذه الوثيقة يُعيّن اللورد إدارد ستارك وصيًا على العرش وحاميًا للبلاد إلى أن يبلغ وريثي».

والحقيقة أن الوريث بالغ بالفعل، فكّر ند وإن لم يُترجم أفكاره إلى كلمات مسموعة. إنه لا يثق ببايسل أو فارس، والسير باريستان مُلزم بشرفه بالدفاع عن الصبي الذي يحسبه المَلِك الجديد، ولن يتخلّى الفارس المُسن عن جوفري ببساطة. كانت الحاجة إلى الخداع تجعل مذاق فمه مريرًا حقًا، لكن ند كان يُدرك أنه ينبغي أن يتحرك بحذر الآن ويحتفظ بالمجلس ويلعب اللعبة إلى أن يستقرّ في مكانه كوصي على العرش بثبات. سيكون هناك وقت للتعامل مع مسألة الخلافة بمجرد أن تعود سانزا وآريا سالميتين إلى ويترفل ويأتي اللورد ستانيس إلى كينجز لاندنج ومعه قوّاته.

- «أطلب من المجلس أن يُصدّق على تنصيبني حاميًا للبلاد طبقًا لرغبة روبرت»، قال ند وهو يُراقب وجوههم متسائلًا عمّا يتوارى وراء عيني بايسل نصف المغلقين وابتسامة الإصبع الصغير الخفيفة المتراخية وحركة أصابع فارس المتوترة.

انتفح الباب، ودخل توم السمين قائلًا: «معذرة أيها السادة، لكن حضرة الوكيل يُصرّ على...».

دلف الوكيل الملكي إلى الغرفة وانحنى وقال: «أيها السادة الموقّرون، المَلِك يأمر بحضور مجلسه الصغير في قاعة العرش على الفور».

كان ند يتوقَّع أن تضرب سرسي ضربتها بسرعة فلم يأت الاستدعاء بمثابة مفاجأة له، وقال: «الملك مات، لكننا سنأتي معك على كلِّ حال. نوم، اجمع فرقة مُصاحبة إذا سمحت».

أعطى الإصبع الصَّغير ند ذراعه لِيُساعدَه على نزول السَّلام، وتبعهما فارس وپایسل والسير باريستان عن كُتب، وخارج البُرج كان ثمانية من الرِّجال المسلَّحين الذين يرتدون الحلقات المعدنيَّة والخوذات قد كوَّنوا صفَّين، ورفرفت المعاطف الرَّماديَّة في الرِّيح والحُرَّاس يقودونهم عبر السَّاحة. لم يُلخَّ لون لانستر القرمزي في أيِّ مكان، واطمأنَّ ند لمرأى عدد المعاطف الذَّهبيَّة الكبير في الشُّرفات وعند البوَّابات.

التقى بهم چانوس سلينت عند باب قاعة العرش وقد تدَّرَّع بالصَّفائح المعدنيَّة ذات اللُّونين الأسود والذَّهبي ووضع خوذة ذات ريشة طويلة تحت إبطه. انحنى قائد حرس المدينة بحركة جامدة، ودفع رجاله مصراعي الباب الثَّقيلين المصنوعين من السَّنديان والمدعَّمين بالبرونز واللذين يُلغَّان عشرين قدم طولاً، وقادهم الوكيل المَلِكِي إلى الدَّاخِل وصاح بصوت رنان: «فليُحيَّيَّ الجميع المَلِك چوفري الأول سليل عائِلتي باراثيون ولانستر، مَلِك الأنداليَّين والروينار والبشر الأوائل، سيِّد المَمالِك السَّبع وحامي البلاد».

كانت مسيرة طويلة إلى طرف القاعة القصيِّ حيث جلسَ چوفري متظرّاً على العرش الحديدي، ومشى ند مستنداً على الإصبع الصَّغير بتؤدَّة نحو الصَّبي الذي يدعو نفسه مَلِكاً والآخرين في أعقابهما. أول مرَّة دخلَ فيها هذه القاعة كان على متن حصان وسيفه في يده، وشاهدته تنانين تارجارين من على الجدران إذ أجبرَ چايمي لانستر على التَّزول من على العرش. تساءلَ إن كان چوفري سينزل بالسهولة نفسها بدوره.

اصطفَّ خمسة من فُرسان الحرس المَلِكِي -جميعهم باستثناء السير چايمي والسير باريستان- في هلالٍ عند قاعدة العرش، يرتدون

دروعهم الكاملة المصنوعة من الفولاذ المطلي بالمينا من قِمة الرأس حتى أخمص القدم، والمعاطف البيضاء الطويلة على أكتافهم، والثروس البيضاء اللامعة مثبتة إلى ذراع كل منهم اليسرى. وقفت سرسي لانستر وطفلاها الأصغر وراء السير بوروس والسير مرين، وارتدت الملكة فُستائًا من الحرير الأخضر البحري المزين بالدانتيل المايرية الشاحبة كزبد الأمواج، وعلى إصبعها خاتم ذهبي بقص من الزمرد كبير كبيضة حمامة، وعلى رأسها تاج باللون نفسه.

وفوقهم جلس الأمير جوفري بين الخوازيق والحواف المحرزة يرتدي صدرًا من قماش الذهب وحرملة⁽¹⁾ حريرية حمراء، بينما وقف ساندور كليجاين عند قاعدة سلالم العرش الضيقة المنحدرة وقد ارتدى الحلقات المعدنية تحت درع سوداء كالسناج وخوذته ذات شكل رأس الكلب المزمجر.

وراء العرش وقف عشرون من رجال لانستر والسيف الطويلة تتدلى من أحزمتهم، وقد انسدت المعاطف القرمزية على ظهورهم وزينت الأسود الفولاذية خوذاتهم. على أن الإصبع الصغير أوفى بوعده، فبطول الجدران، أمام ستائر روبرت المزيّنة بمشاهد المعارك والصيد، وقف رجال حرس المدينة ذوو المعاطف الذهبية متبهيّن، ويد كل رجل منهم على مقبض رُمح ذي رأس حديديّ أسود يبلغ ثمانية أقدام طولًا، وكانوا يفوقون رجال لانستر في العدد بنسبة خمسة إلى واحد.

كانت ساق ند تشتعل ألما عندما توقّف أخيرًا، وأبقى يده على كتف الإصبع الصغير ليستطيع الوقوف.

نهض جوفري لتلوح حرملته الحريرية الحمراء المنقوشة بالخيط الذهبي، على جانب خمسون أسدًا زائرًا وعلى الجانب الآخر خمسون أيلًا واثبًا، وقال الصبي: «أمر المجلس باتخاذ جميع الإجراءات اللازمة

(1) الحرملة رداء قصير واسع يحيط بالعنق ومفتوح من الأمام.

لتتويج الذي أرغبُ أن يتمَّ خلال أسبوعين. اليوم سأقبل تعهدات الإخلاص من مستشاري الأوفياء».

أخرج ند وثيقة روبرت قائلاً: «لورد فارس، أرجو أن تتلطَّف وتعرض هذه على الليدي لانستر».

أخذَ الخَصِيُّ الورقة إلى سرسي التي ألقت نظرةً عابرةً على الكلمات، وقالت: «حامي البلاد... هل من المفترض أن تكون هذه هي الدُّرع التي تستربها يا سيدي؟ قطعة ورق؟»، ثم مزَّقت الورقة إلى نصفين والنصفين إلى أرباع وطوّحت بالقطع على الأرض.

قال السير بارستان مصدوماً: «هذه كلمات المَلِك».

- «هناك مَلِك جديد الآن»، ردَّت سرسي لانستر. «لورد إدارد، عندما تكلمنا آخر مرّة وجَّهت لي نصيحة، فدعني أرددُ لك الجميل. اركع يا سيدي، اركع وأقسم بالولاء لابني، وسنسمح لك بالتنازل عن منصبك كيِّد للملك وقضاء بقية أيامك في الأرض اليباب التي تدعوها ديارك».

قال ند: «ليتنى أستطيع». إذا كانت بالحماقة التي تجعلها تُجبره على طرح هذه المسألة هنا والآن، فلا خيار لديه. «ابنك ليس لديه الحق في العرش الذي يجلس عليه. ستانيس باراثيون هو الوريث الشرعي».

صرخَ جوفري وقد احتقنَ وجهه: «كاذب!».

سألت الأميرة مارسلا أمها بخوف: «ماذا يعني يا أمي؟ أليس جوف المَلِك الآن؟».

قالت سرسي لانستر: «إنك تدين نفسك بكلماتك يا لورد ستارك. سير بارستان، اقبض على هذا الخائن».

تردَّد قائد الحرس المَلِكِي، وفي لحظة كان محاطاً برجال ستارك الذين جرّدوا سيوفهم.

قالت سرسي: «والآن تتحوَّل الخيانة من القول إلى الفعل. هل تعتقد أن السير بارستان يقف وحده يا سيدي؟». بصوت احتكاك المعدن

بالمعدن سحبَ كلب الصَّيد سيفه، وتقدَّم فُرسان الحَرس المَلَكِي ورجال لانستر العشرون لِيُسانِدوه.

صرخَ المَلِك الصَّبي من فوق العَرش الحديدي: «اقتلوه! اقتلوههم جميعاً! هذا أمر!».

- «لم تترك لي الخيار»، قال ند لسرسي، ثم التفتَ إلى چانوس سلينت قائلاً: «أيها القائد، اقبض على المَلِكة وأطفالها. لا تُنزلوا بهم أذى، وقودوهم إلى السَّكن المَلَكِي وأبقوهم هناك تحت الحراسة».

صاحَ چانوس سلينت وهو يضع خوذته: «يا رجال حَرس المدينة!»، فرفعَ مئة من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة رماحهم وتحركوا.

قال ند للمَلِكة: «لا أريدُ أن تُراق الدِّماء. قولي لرجالك أن يخفضوا أسلحتهم، ولا داعي لل...».

بضربةٍ واحدةٍ حادَّةٍ غرسَ أقرب رجال حَرس المدينة رُمحه في ظهر تومارد، وسقطَ سيف توم السَّمين من أصابعه المرتخية ورأس الرُّمح يخرق أضلاعه، وفارقتَ الحياة قبل أن يبلُغ السَّيف الأرض. تأخَّرت صيحة ند كثيراً جدًّا، ورأى چانوس سلينت يشقُّ حلق فارلي بنفسه، بينما دارَ كاين وسيفه يلمع في يده دافعاً أقرب حارس إليه إلى الوراء، وللحظةٍ بدا أنه يستطيع التحرُّر من الحصار، قبل أن ينقُص عليه كلب الصَّيد. بترت ضربة ساندور كليجاين الأولى يده حاملة السَّيف من المعصم، والثَّانية أسقطته على رُكبتيه وقد شقَّتْه من كتفه إلى صدره.

وبينما يموت رجاله حوله، اختطفَ الإصبع الصَّغير خنجر ند من غمده ووضَّعه تحت ذقنه قائلاً بابتسامة من يعتذر: «لقد حذَّرتك من الثَّقة بي، أليس كذلك؟».



آريا

صاح سيريو فورل وهو يهوي على رأسها بسيف التدريب: «إلى أعلى!»، وطقطق السيفان الخشبيان معاً مع صدّ آريا للضربة.
- «يساراً!»، صاح وسيفه يشقّ الهواء من جديد، فوثب سيفها ليقابله بحركة رشيقة، وجعل الارتطام أسنانه تصطدم ببعضها بعضاً.
- «يمينا»، قال، و«إلى أسفل»، و«يساراً»، و«يساراً» من جديد، أسرع وأسرع وهو يتقدّم منها، وتقهقرت آريا أمامه وإن صدّت كلّ ضربة.
- «إلى الأمام!»، صاح وسدّد طعنته، إلا أنها انحرفت جانباً مُبعدة سيفه عنها بسيفها قبل أن تهوي بضربتها على كتفه، وكادت - كادت - أن تمسّ الكتف فابتسمت. تدلّت خُصلة مبلّلة بالعرق على عينيها، فازاحتها بظهر يدها.

ردّد سيريو: «يساراً، إلى أسفل» وقد بدا سيفه ككائن حيّ مخلوق من ضباب من فرط سرعته، وتردّدت طقطقة السيفين - كلاك، كلاك، كلاك - في القاعة الصّغيرة. «يساراً، يساراً، إلى أعلى، يساراً، يمينا، يساراً، إلى أسفل، يساراً!».

أصابها السيف الخشبي أعلى صدرها بضربة مباغتة ألّمتها أكثر من المعتاد لأنها جاءت من الجانب الخطأ، وتأوّهت بصوت عالٍ. كدمة جديدة ستكون قد ظهرت هناك لديّ خلودها إلى النوم الليلة في مكان ما في عرض البحر. الكدمة درس، وكلّ درس يجعلنا أفضل.

تراجع سيريو قائلاً: «أنت ميتة الآن».

صاحت بحقن: «لأنك غششت! قلت يسارًا وتحركت يمينًا!».

- «بالضبط، والآن أنت فتاة ميتة».

- «لكنك كذبت!».

- «كلماتي كذبت، بينما هتفت عيناى وذراعاى بالحقيقة، لكنك لم

تري».

- «بل رأيت. كنت أراقبك كل لحظة».

- «المراقبة ليست كالرؤية أيتها الفتاة الميتة، وراقص المياه يرى.

ضعي السيف، الآن وقت الإصغاء».

تبعته إلى الجدار حيث جلس على دكة وقال: «سيريو فورل كان مُبارز

أمير بحر برافوس الأول، فهل تدرين كيف تأتى هذا؟».

- «لأنك كنت أفضل مُبارز في المدينة».

- «بالضبط، لكن لماذا؟ كان هناك رجال آخرون أقوى وأسرع وأصغر،

فلم كان سيريو فورل الأفضل؟ سأخبرك الآن»، ومسّ جفنه بخفة بطرف

إصبعه الصغير مُتابعًا: «الرؤية، الرؤية الحقة هي قلب المُبارز. اسمعيني

جيدًا، سُفن برافوس تُبحر إلى أبعد مكانٍ تهبُّ فيه الرِّيح، إلى بلادٍ

غريبة وملأى بالعجائب، وعندما تعود يكون ربابتها قد أحضروا معهم

حيواناتٍ عجيبة من أجل معرض وحوش أمير البحر، حيواناتٍ لم تري

لها مثيلًا من قبل: خيول مخططة، كائنات غريبة مرقطة ذات أعناقٍ طويلة

جدًا، فتران خنزيرية بحجم الأبقار، مانتيكورات، نمور تحمل صفارها

في جرابٍ في بطنها، سحالي سائرة رهيبة مخالباها كالمناجل. سيريو فورل

رأى تلك الأشياء. في اليوم الذي أتحدث عنه كان المُبارز الأول قد مات

لتوّه وأرسل أمير البحر في طلبى. كثيرون من مُبارزي البرافو كانوا قد

ذهبوا إليه وصرّفهم ذون أن يقول لهم السَّبب، وعندما مثلت أمامه كان

جالسًا وفي حجره قطة صفراء سمينة. قال لي إن أحد ربابنة السفن جاء

بها إليه من جزيرة تقع وراء مشرق الشمس، وسألني: "هل رأيت مثلها من قبل؟"، فأجبت: "في كل ليلة في أزقة برفوس أرى ألفاً مثله"، وضحك أمير البحر، ويومها نصّبي المِبارز الأول». قالت آريا: «لم أفهم».

طفطق سيريو بأسنانه وقال: «كان قطعاً عادياً لا أكثر. الآخرون توقعوا أن يروا حيواناً عجيباً، وهذا ما رأوه. كانوا يتعجبون من حجمه، لكنه لم يكن أكبر من بقية القطط حقيقةً، وإن صار سمياً من فرط الخمول فقط لأن أمير البحر كان يُطعمه من مائدته. قالوا إن أذنيه صغيرتان جداً، بينما من الواضح أنه فقدهما في شجارٍ للقطط وهو صغير، كما كان واضحاً أن ذكر بينما كان أمير البحر يقول لهم إنه أنثى، وهذا ما رآه الآخرون. هل تُصغين؟».

فكرت آريا قليلاً ثم قالت: «رأيت ما كان موجوداً حقاً».

- «بالضبط. كل ما تحتاجينه هو أن تفتحي عينيك. القلب يكذب والعقل يُمارس علينا الحيل، لكن العين تُبصر الحقيقة. انظري بعينيك، اسمعي بأذنيك، تذوقي بضمك، تشمّي بأنفك، وبعدها يأتي التفكير، ومن ثمّ تعرفين الحقيقة». قالت مبتسمة: «بالضبط».

سمح سيريو فورل لنفسه بالابتسام بدوره، وقال: «كنتُ أفكر أن الوقت قد يكون مناسباً لوضع إبرتك في يدك أخيراً عندما نصل إلى ويتترفل تلك».

بحماسة قالت آريا: «نعم، نعم! انتظر حتى يرى چون...».

قاطها انفتاح باب القاعة الصغيرة على مصراعيه الخشبيين بصوتٍ مدوّ عنيف، فالتفتت بسرعة لترى واحداً من فرسان الحرس الملكي يقف أسفل قنطرة الباب وقد اصطفّ وراءه خمسة من رجال لانستر. كان الفارس يرتدي درعاً كاملاً وإن رفع مقدّمة خوذته، وتذكّرت آريا

صاحب العينين الكثيبتين واللحية ذات لون الصُّدأ الذي جاء مع المَلِك إلى ويتترفل: السير مرين ترانت. كان ذوو المعاطف الحمراء يرتدون قمصان الحلقات المعدنية فوق الجلد المقوّى، مع قَبَعَاتٍ من الفولاذ تعلقو كُلُّ منها ريشة على شكل أسد. قال الفارس: «آريا ستارك، تعالي معنا يا صغيرتي».

مضغت آريا شفتها بريئة وقالت: «ماذا تريدون؟».

- «أبوك يُريد أن يرالك».

تقدّمت آريا خطوة إلى الأمام، لكن سيريو فورل أمسك ذراعها قائلاً: «ولماذا يُرسل اللورد إدوارد رجال لانستر بدلاً من رجاله؟ مجرد تساؤل».

قال السير مرين: «لا شأن لك بهذا يا معلّم الرّقص».

قالت آريا: «لن يُرسلكم أبي أبداً»، ورفعت سيفها الخشبي فضحك رجال لانستر ساخرين.

قال السير مرين: «ضعي هذه العصا يا فتاة. أنا أخٌ تحت القسم في الحرس المَلِكِي، السُّيوف البيضاء».

- «كذلك كان قاتل المَلِك عندما ذبح إيرس تارجارين. لست مُلزَمة بالمجيء معكم إذا لم أشأ».

بصبر نافذ قال السير مرين ترانت لرجالها وهو يخفض مقدّمة الخوذة: «خذوها».

تحرك ثلاثة منهم والحلقات المعدنية تُصدّر رنيناً خفيفاً مع كُلِّ خطوة، وانتاب آريا خوف مفاجئ، فردّدت لنفسها: ضربة الخوف أمضى من السِّيف، كي تُبطئ خفقات قلبها المتسارعة.

تقدّم سيريو فورل ليحول بينها وبينهم وهو يُنقِر بسيفه الخشبي على حذائه طويل العُنق، وقال: «توقّفوا الآن. هل أنتم رجال أم كلاب كي تُخيفوا طفلة صغيرة هكذا؟».

قال واحد من المعاطف الحمراء: «ابتعد عن الطّريق أيها العجوز».

شَقَّتْ عصا سيريو الهواء مُصَفَّرَةً وهَوَّتْ على خوذة الرَّجُل مُحَدِّثَةً رَيْنًا، وقال: «أنا سيريو فورل، وستكَلِّمُ معي باحترام».

- «وغد أصلح!»، قال الرَّجُل واستلَّ سيفه الطَّويل، فتحرَّكت العصا من جديد بسرعة لا تُرَى، وسمعت آريا رَيْنًا مرتفعًا إذ سقطَ السَّيف الفولاذي على الأرض، وصرخَ رجل لانستر وهو يحتوي أصابعه المكسورة بيده الأخرى: «يدي!».

قال السير مرين: «سريعٌ أنت بالنسبة لمعلِّم رقص».

ردَّ سيريو: «وأنت بطيء بالنسبة لفارس».

قال الفارس ذو الدَّرْع البيضاء: «اقتلوا البرافوسي وخذوا الفتاة».

سحبَ أربعة من رجال لانستر سيوفهم، بينما بصقَ الخامس ذو الأصابع المكسورة واستلَّ خنجرًا بيده اليسرى، فطلقَ سيريو فورل بأسنانه واتَّخذ وضع راقص المياه مواجهًا خصومه بجانبه فقط، وقال دون أن يَنْظُر إليها أو يُبعد عينيه عن رجال لانستر لحظةً: «آريا يا صغيرتي، انتهى درس الرِّقص اليوم. اذهبي الآن، اذهبي إلى أبيك».

لم ترعَب آريا في تركه، لكنه علَّمها أن تُطيع أوامره دائمًا، وهمست: «برشاقة الغزال».

قال سيريو فورل ورجال لانستر يُطبِّقون عليه: «بالضَّبْط».

تراجعت آريا وهي تشدُّ على سيفها الخشبي بيدها بقوة، وإذ رأت أنه الآن أدركت أن سيريو كان يلعب معها لا أكثر وهما يتبارزان. هاجمه ذوو المعاطف الحمراء من ثلاث جهاتٍ والفولاذ في أيديهم، وكانوا يرتدون الحلقات المعدنية فوق صدورهم وأذرُعهم وواقياتٍ من الحديد مثبتة بسراويلهم، بينما لم يحمِ سيقانهم غير الجلد. أيديهم كانت مكشوفة، والقبعات التي ارتدوها كان بها وِاقٍ للأنف، لكن بلا مقدِّمة تحمي العينين. لم ينتظر سيريو وصولهم إليه بل دارَ إلى اليسار، ولم ترَ آريا رجلًا يتحرَّك بهذه السرعة من قبل قط. صدَّ سيفًا بعصاه الخشبية وتفادى

الثاني، وارتطم الرجل الثاني بالأول وقد فقدَ توازنه، وركله سيريو في ظهره لِيَسْقُطَ الاثنان أرضاً معاً. جاء الثالث واثباً عليه مسدداً سيفه إلى رأسه، فانحنى سيريو أسفل النصل ورفع عصاه إلى أعلى بحركة حادة، لِيَسْقُطَ رجلٍ لانستر صارخاً والدِّماء تنبثق من الثقب الذي كانت عينه اليُسرى تحتله.

كان السَّاقِطان ينهضان، فركل سيريو أحدهما في وجهه وانتزعَ القُبعة الفولاذية من على رأس الآخر، وحاولَ حامل الخنجر أن يطعنه لكن سيريو تلقى الطعنة على القُبعة وهشَّم رُكبة الرجل بعصاه. أطلق آخر ذوي المعاطف الحمراء سباباً وانقضَّ حاملاً سيفه بكلتا يديه، لكن سيريو تفادى هذه الضربة أيضاً ليتلقاها ذو الرأس العاري بين الكتف والعنق وهو يُكافح للنهوض، واخترقَ السيف الطويل المعدن والجلد واللحم وأطلقَ الرجل أنيناً طويلاً وزميله قاتله يُحاول تحرير السيف الذي انغرسَ في لحمه، لكن سيريو لم يترك له الفرصة وهشَّم ثُفاحه عنقه لِيُطْلِقَ صرخةً مكتومةً وتراجعَ مترنحاً وقد أطبقَ بأصابعه على عنقه واسودَّ وجهه بسرعة رهيبة.

خمسة منهم كانوا على الأرض، موتى أو يموتون، عندما بلغت آريا الباب الخلفي الذي يُفْتَحُ على المطبخ، وسمعت السير مرين يصيح بسُخْطٍ وهو يسحب سيفه الطويل من غِمدته: «حمقى!». عادَ سيريو فوراً لِيَتَّخِذَ وَقْعَ راقص المياه وطقطقَ بأسنانه وصاحَ دون أن يَنْظُرَ إليها: «آريا يا صغيرتي، اذهبي الآن».

انظري بعينيك، ونظرت آريا ورأت: الفارس في درعه البيضاء التي تُعْطِيهِ بالكامل، والحلقات المعدنية تقي ساقيه وحلقه ويديه، وعيناه متواريتان وراء الخوذة العالية، وفي يده فولاذ لا يرحم؛ وضد هذا سيريو في صُدْرَةٍ من الجلد وفي يده سيف من خشب. صرخت: «سيريو، اهرب!».

- «مُبارِز برافوس الأول لا يهرب أبداً»، قال وسيف السير مرين يهوي عليه، وتراجع سيريو متفادياً الضربة وعصاه تكاد لا تُرى من السرعة التي تحرّكت بها. خلال نبضة قلب واحدة كان قد سدّد ضرباته إلى صدغ الفارس ومرفقه وحلقه والخشب يرنُّ على معدن الخوذة وواقى الذراع وواقى العنق. تجمّدت آريا في مكانها وتقدّم السير مرين وتراجع سيريو، وصدّ الضربة التالية وتفادى التي تلتها والتي تلتها. وقصّمت الرابعة عصاه إلى نصفين. ودارت آريا وركضت باكيةً.

اندفعت عبر المطبخ ومخزن الأطعمة وقد أعمّاها الهلع، تمايل بين الطهاة والخدم. خطّت مُساعدَة الخبّاز أمامها حاملةً صحيفة خشبيّة، ووثبت آريا من فوقها لتبعثر أرغفة الخُبز الطّازجة ذات الرائحة الطيبة على الأرض، وسمعت صياحاً من خلفها وهي تدور حول جزّار بدين وقف يُحدّق فيها وفي يده ساطور وقد احمرّت ذراعاها حتى المرفقين. كلُّ ما لقّنها سيريو فورل إياه وثبّ إلى رأسها في لحظة. برشاقة الغزال، بهدوء الظلال، ضربة الخوف أمضى من السيف. بسرعة الثعبان، بهدوء المياه الراكدة، ضربة الخوف أمضى من السيف. بقوة الدّب، بشراسة الـوولفرين، ضربة الخوف أمضى من السيف. من يخشى الهزيمة هُزِمَ بالفعل، ضربة الخوف أمضى من السيف، ضربة الخوف أمضى من السيف، ضربة الخوف أمضى من السيف. كان مقبض سيفها الخشبي قد صار زلقاً من فرط العرق، وقد تقطّعت أنفاسها تماماً لدى بلوغها سلام البرج. تجمّدت في مكانها لحظة. إلى أعلى أم أسفل؟ من أعلى يُمكنها أن تذهب إلى الجسر المغطّى الذي يقطع السّاحة الصّغيرة إلى بُرج اليد، لكن من المؤكّد أن هذا هو الطّريق الذي سيتوقّفوا أن تسلكه. إيالك أن تفعل ما يتوقّعونه أبداً. انطلقت آريا إلى أسفل، تدور وتدور مع دوران السّلام حول البرج واثبة درجتين أو ثلاثاً في المرّة، وخرجت في

قبو مقنطر ارتصّت فيه براميل المزر حتى ارتفاع عشرين قدماً، والضوء الوحيد يأتي من نافذة مائلة ضيقة أعلى الجدار.

القبو طريق مسدود، لا سبيل لمُغادرته غير الذي جاءت منه بالفعل، وهي لا تجرؤ على صعود السلالم من جديد، لكنها لا تستطيع البقاء هنا كذلك. يجب أن تُعثر على أبيها وتُخبره بما حدث. سوف يحميها أبوها. دسّت آريا سيفها الخشبي في حزامها وبدأت تتسلّق متقافزة من برميل إلى آخر حتى بلغت النافذة، ثم تعلّقت بالإفريز الحجري بكلتا يديها ودفعّت نفسها إلى أعلى. كان سُمك الجدار يبلّغ ثلاثة أقدام كاملة، والنافذة تميل إلى أعلى وإلى الخارج، وتلوّث آريا دافعةً نفسها بمشقة نحو نور النهار، ولَمّا وصل رأسها إلى الأرض ألقت نظرة عبر الفناء نحو بُرج اليد. كان الباب الخشبي المنين محطّماً كأن فؤوساً عديدة هوت عليه، وعلى السلالم رجل ميت ساقط على وجهه ومعطفه متشابك من تحته وظّهر قميصه غارق في الدماء. أبصرت برُعب مفاجئ أن المعطف الذي ترتديه الجثة رماديّ ذو بطانة بيضاء، وإن لم تُميّز الرجل.

همست مرتجفة: «لا». ماذا يحدث؟ أين أبوها؟ ولمّ جاء ذوو المعاطف الحمراء ليأخذوها؟ تذكّرت ما قاله ذو اللحية الصّفرَاء يوم وجذّت الوحوش: إذا ماتَ يدّ، فما المشكلة في موت آخر؟ عادت الدُموع تُفرق عينيها وكتمت أنفاسها كي تُصغي، فسمعت أصوات قتالٍ وصياح وصراخ وصليل سيوف تأتي من نوافذ بُرج اليد. لا يُمكنها العودة، لكن أبوها...

أغلقت آريا عينيها، ولوهلة لم تقوَ على الحركة من جرّاء الخوف. لقد قتلوا چوري وويل وهيوارد وهذا الحارس على السلالم أيّاً كان، وباستطاعتهم أن يقتلوا أبوها كذلك، ويقتلونها إذا أمسكوا بها. «ضربة الخوف أمضى من السيف»، قالت بصوت عالٍ وإن لم يكن من المفيد الآن أن تتظاهر بأنها راقصة مياه، فسيربو كان كذلك وفي الغالب قتله

الفارس الأبيض بالفعل، وما هي إلا فتاة صغيرة تحمل عصا خشبيّة، وحيدة خائفة.

دفعَت بقيّة جسدها من النَّافذة لتخرُج إلى الفناء وتطلّعت حولها بحذرٍ وهي تنهّض. بدّت لها القلعة مهجورة، بينما لا تكون القلعة الحمراء مهجورة أبداً، فلا بُدَّ أن الجميع متوارين بخوفٍ وراء أبوابهم المغلقة. رفعت عينيها بحنينٍ إلى نافذة غُرْفة نومها، ثم ابتعدت عن بُرج اليَد وقد ظلّت قريبةً من الأسوار وهي تتسلّل من ظلٍّ إلى ظلٍّ متظاهرةً بأنها تُطارِد القِطط... مع الفارق أنها هي القِطّة الطريدة الآن، وإذا أمسكوا بها فهي ميتة لا محالة.

تحركت بين المباني وفوق الأسوار وازدحمت أحجارها في ظهرها قدر المستطاع كي لا يُباغتها أحد حتى بلغت الاسطبلات. مرّت بها مجموعة من ذوي المعاطف الذهبية وهي تتسلّل عبر الفناء الداخلي، لكن دون معرفة الجانب الذي يُقاتلون في صفّه لم يكن أمامها خيار غير الانحناء والتّواري بين الظلال.

كان هالز، الذي عرفته قيّماً للخيل في ويترفل طوال حياتها، ملقى على الأرض إلى جوار باب الاسطبل وقد طُعن مرّاتٍ كثيرة للغاية حتى بدا كأن معطفه مزخرف بالزُّهور الحمراء القانية. كانت آريا متأكّدة من أنه ميت، لكنه فتح عينيه إذ دنت منه وهمس: «آريا المُداسة... يجب... أن تُحدّري... أباك»، وسأل اللُّعاب دامياً من فمه، وأغلق قيّم الخيل عينيه من جديد ولم يفتحهما ثانية أبداً.

في الدّاخل وجدت المزيد من الجثث، السّائس التي كانت تلعب معه وثلاثة من حرس أبيها، بينما وقفت عربة محمّلة بالأقفاص والصّناديق مهجورة بالقرب من باب الاسطبل. لا شك أن القتلى كانوا يُجهّزونها من أجل الرّحلة إلى العرفاء عندما هوجموا. اقتربت آريا أكثر لترى جثة دزموند الذي أراها سيفه الطويل ووعدها بحماية أبيها. كان ساقطاً على

ظَهَرَ يُحَدِّقُ فِي السَّقْفِ بَعِينِينَ لَا تَرِيَانِ يَزْحَفُ عَلَيْهِمَا الذُّبَابُ، وَبِالْقُرْبِ مِنْهُ جَثَّةٌ أُخْرَى فِي مِعْطَفٍ أَحْمَرَ وَخُوْذَةٍ لَانَسْتَرِ ذَاتِ رِيْشَةِ الْأَسَدِ، لَكِنِّهَا كَانَتْ جَثَّةً وَاحِدَةً فَقَطْ. مِنْ قَبْلِ قَالِ لَهَا دِزْمُونْدُ: كُلِّ سَمَالِيٍّ يُسَاوِي عِشْرَةً مِنْ مُقَاتِلِي الْجَنُوبِ هَؤُلَاءِ، وَالْآنَ أَخَذْتَ تَرَكُلَ جَثَّتِهِ بِغَضَبِيَّةٍ عَارِمَةٍ صَارِخَةً: «أَيُّهَا الْكَاذِبُ!».

كَانَتْ الْخَبُولُ مَهْتَاجَةً فِي مَرَابِطِهَا، تَصْهَلُ وَتَنْخُرُ مَعَ رَائِحَةِ الدَّمِ الَّتِي أَفْعَمَتِ الْهَوَاءَ. كَانَتْ خُطَّةُ آرِيَا الْوَحِيدَةُ أَنْ تَضَعَ سَرَجًا عَلَى حِصَانٍ وَتَفْرَّ مِنَ الْقَلْعَةِ وَالْمَدِينَةِ، وَكُلُّ مَا عَلَيْهَا هُوَ أَنْ تَبْقَى عَلَى طَرِيقِ الْمُلُوكِ الَّذِي سَيَأْخُذُهَا إِلَى وَيَنْتَرَفِلْ، وَبِالْفِعْلِ التَّقَطُّتْ عُدَّةُ حِصَانٍ مَعْلَقَةٌ عَلَى الْجِدَارِ، لَكِنْ وَهِيَ تَعْبُرُ مِنْ وَرَاءِ الْعَرَبَةِ اجْتَذَبَ صَنْدُوقُ سَاقِطٍ عَلَى الْأَرْضِ انْتِبَاهَهَا. لَا بُدَّ أَنْ أَحَدًا أَسْقَطَهُ خِلَالِ الْقِتَالِ أَوْ خِلَالِ تَحْمِيلِهِ عَلَى الْعَرَبَةِ، فَقَدْ انشَقَّ الْخَشَبُ وَانْفَتَحَ الْغَطَاءُ لِيَسْكُبَ مَحْتَوِيَاتُ الصُّنْدُوقِ عَلَى الْأَرْضِ، وَتَعَرَّفَتْ آرِيَا عَلَى ثِيَابٍ مَصْنُوعَةٍ مِنَ الْحَرِيرِ وَالْمَخْمَلِ وَالْقَطِيفَةِ تَمْلِكُهَا وَلَمْ يَسْبِقْ لَهَا ارْتِدَاؤُهَا مِنْ قَبْلِ، وَخَطَرَ لَهَا أَنَّهَا سَتَحْتَاجُ إِلَى مَلَابِسٍ ثَقِيلَةٍ عَلَى طَرِيقِ الْمُلُوكِ، كَمَا أَنَّ...

رَكَعَتْ آرِيَا فِي التُّرَابِ بَيْنَ الثِّيَابِ الْمَبْعَثَةِ، وَعَثَرَتْ عَلَى مِعْطَفٍ صَوْفِيٍّ ثَقِيلٍ وَتَنْوَرَةٍ مِنَ الْمَخْمَلِ وَشُتْرَةٍ مِنَ الْحَرِيرِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى بَعْضِ الْمَلَابِسِ الدَّاخِلِيَّةِ وَفُسْتَانٍ كَانَتْ أُمُّهَا قَدْ طَرَّزَتْ لَهَا وَسَوَارٍ فُضِّيٍّ يُمَكِّنُهَا أَنْ تَبِيعَهُ. أَزَاحَتْ الْغَطَاءَ بَعِيدًا وَمَدَّتْ يَدَهَا دَاخِلَ الصُّنْدُوقِ تُنْقَبُ عَنْ إِبْرَتِهَا. كَانَتْ قَدْ خَبَّأَتْهُ فِي الْقَاعِ تَحْتَ كُلِّ شَيْءٍ، لَكِنْ أَغْرَاضُهَا كُلُّهَا اخْتَلَطَتْ بِغَيْرِ نِظَامٍ مَعَ سَقُوطِ الصُّنْدُوقِ، وَلِلْمُحْظَةِ خَافَتْ آرِيَا مِنْ أَنْ أَحْدَهُمْ قَدْ عَثَرَ عَلَى سَيْفِهَا وَسَرَقَهُ، ثُمَّ أَحَسَّتْ أَصَابِعَهَا بِصَلَابَةِ الْمَعْدَنِ تَحْتَ فُسْتَانٍ حَرِيرِيٍّ.

ثُمَّ سَمِعَتْ الصَّوْتِ يَقُولُ بِهَمْسٍ كَالْفَحِيحِ: «هَآ هِيَ ذِي».

التَفَتَتْ آرِيَا مُجْفِلَةً لَتَرَى صَبِيَّ الْأَسْطَلِ وَاقِفًا وَرَاءَهَا يَحْمِلُ مِذْرَآةً

وعلى وجهه ابتسامة ظافرة وقد برزَ قميصه التّحتي الأبيض المتّسخ من تحت سُترته الجِلْدِيَّة الأكثر اتّساخًا بينما غطَّى الرُّوث حذاءه. سألتُه: «من أنت؟».

قال: «إنها لا تعرفني، لكنني أعرفها، نعم، الفتاة الذّئبيّة».

قالت مُناشِدَةً وهي تمُدُّ يدها إلى إبرتها داخل الصُّندوق: «ساعِدني على وضع سَرَج على حصان. أبي هو يد المَلِك وسيُكافئك».

قال الصّبيّ: «أبولُ مات»، ودنا منها حثيثًا وأضاف: «لكن المَلِكَة ستُكافئني بالتّأكيد. تعالي هنا يا فتاة».

أطبقت أصابعها على مقبض إبرتها وصاحت: «ابتعد عني!».

لكنه أمسك بذراعها بقوة وقال: «قلْتُ تعالي».

كلُّ شيء علّمها سيريو فورل إياه تلاشى في غمضة عين، وفي تلك اللّحظة التي غمرها فيها الرُّعب لم تستطع آريا أن تتذكّر غير الدّرس الذي تعلّمت من چون سنو، الدّرس الأول على الإطلاق، وطعنته بالطّرف المدبّب غارسة إياه بقوة ضارية وقودها الخوف، واخترق "الإبرة" السّترَة الجِلْدِيَّة ولحم بطنه الأبيض وخرج من بين لوحِي كتفه، فأسقط الصّبي المذراة وخرج منه صوت خفيض بين الشّهقة والزّفير، وأحاطت يده بالنّصل وأنّ وقد بدأ قميصه التّحتي يصطبغ بالأحمر: «أخْرِجيه».

وعندما سحبت آريا السّيف سقط الصّبي ميتًا.

كانت الخيول تصرّخ، ووقفت آريا فوق الجثّة ثابتة مذعورة في وجه الموت وقد تدفّقت الدّماء من فم الصّبي وهو يتهاوى وبدأت تسيل من جرح بطنه لتتجمّع في بركة تحت جثّته، وحيث أمسك بالنّصل كان هناك شِقان طويلان في راحتي يديه. تراجعت بيّطًا وإبرتها حمراء في يدها. يجب أن تُغادر هذا المكان، يجب أن تذهب إلى مكانٍ بعيد بمأمنٍ عن عيني صبيّ الاسطبل المتهمّتين.

التقطت عدّة الحصان من جديد وهُرعت إلى فرسها، لكنها أدركت

بخوفٍ أثارَ غثيانها وهي ترفع السَّرجَ على ظَهرها أن بوابات القلعة ستكون مغلقةً، وحتى الأبواب الخلفية ستكون تحت حراسةٍ مشددةٍ غالبًا. لكن ربما لن يتعرَّف عليها الحُرَّاس، وربما إذا حسبوا ولدًا فسوف ... كلا، لا بُدَّ أن لديهم أوامر بعدم السَّماح لأيِّ أحدٍ بالخروج، ولن يُشكِّل تعرُّفهم عليها من عدمه فارقًا.

لكن ثمة سبيل آخر للخروج من القلعة...

أفلتت آريا السَّرجَ وتركته يسقط أرضًا بصوتٍ مكتومٍ ليثير سحابةً خفيفةً من الغبار. هل يُمكنها العثور على القاعة التي تضمُّ الوحوش ثانية؟ لم تكن واثقةً، وإن أدركت أن عليها أن تُجرب.

وجدت الثَّياب التي جمعتها وتدنَّرت بالمعطف مواربةً إبرتها بين طيَّاته، ووطوت بقيةً أغراضها معًا، ثم تسلَّلت إلى طرف الاسطبل الآخر حاملةً الحزمة تحت إبطها. فتحت الباب الخلفي وألقت نظرةً حذرةً، ومن بعيدٍ كان لا يزال بإمكانها أن تسمع صليل السُّيوف وصراخ رجلٍ يتألَّم عبر الفناء. عليها أن تنزل الدَّرجات الملتفةً مرورًا بالمطبخ الصَّغير ووزنية الخنازير كما فعلت المرأة السابقة حينما كانت تُطارِد القطَّ الأسود الشَّرس... لكن هذا سيجعلها تمرُّ بثكنة المعاطف الذهبيَّة مباشرةً، وهي لا تستطيع الدَّهاب من هذا الطَّريق. حاولت التَّفكير في طريقٍ مختلف. إذا عبرت إلى الجانب الآخر من القلعة، فيمكنها التسلُّل بطول السُّور المطلِّ على النَّهر ومن خلال أيكة الآلهة الصَّغيرة... لكن عليها أن تعبُر السَّاحة أولاً على مرأى من الحرس على الأسوار.

لم تر هذا العدد من الرِّجال على الأسوار من قبل، أغلبهم من ذوي المعاطف الذهبيَّة المسلَّحين بالرِّماح، وبعضهم يُمكنه التعرُّف عليها بمجرد النَّظر. ماذا سيفعلون إذا رأوها تجري عبر السَّاحة؟ من موقعهم العالي ستبدو لهم صغيرةً للغاية، فهل سيعرفون من تكون؟ وهل سيُبالون؟

قالت لنفسها إن عليها التحرك من فورها، لكن عندما جاءت اللَّحظة وجدت نفسها لا تقوى على الحركة.

بهدهوء المياه الرَّاكدة، همسَ الصَّوت الواطئ في أذنها وانتفضت آريا مفزوعةً حتى كادت تُسقط حزمتهَا، وتلفتت حولها بهياجٍ لكنها لم تجد أحدًا في الاسطبل غيرها... والخيول... والموتى.

بهدهوء الظَّلال، قال الصَّوت ولم تدرِ إن كان صوت سيريو أم صوتها هي، لكنه بشكلٍ ما كبح جماح خوفها. وخرجت آريا من الاسطبل.

كان أكثر شيءٍ مخيفٍ فعلته في حياتها. أرادت أن تجري وتختبئ، لكنها أرغمت نفسها على المشي قاطعةً السَّاحة بتأنٍ، تضع قدمًا أمام الأخرى كأنها تملك الزَّمن كله وليس هناك ما يدعو للخوف من أحد، وإن أحسَّت بأن عيونهم مُركزةٌ عليها كأنها حشرات تزحف على بشرتها تحت ثيابها. لم ترفع آريا عينها إطلاقًا، لأنها تعرف أن شجاعتهَا ستخلى عنها إذا رأتهُم يُراقبونُها، وستُسقط حزمة الثَّياب وتجري صارخةً كطفلةٍ صغيرة، وعندها سينالون منها. سلَّطت نظراتها على الأرض، ولدى بلوغها الظِّل الذي يُلقيه مبنى السَّيِّد المَلِكِي على طرف السَّاحة القصي كانت تنصَّب عرقًا باردًا، لكن لا أحد من الحرس أطلق صيحةً أو نداءً.

كان السَّيِّد مفتوحًا وخاويًا، وفي الدَّاخل كان نصفمئة من شموع الصَّلَاة يحترق بصمتٍ مُصدِّرًا رائحةً عطرةً. قالت لنفسها إن الآلهة لن تفقد شمعتين، ودستهما في كُمَيْها وخرجت من النَّافذة الخلفيَّة. كان التسلُّل إلى الرَّفاق الذي حاصرت فيه القِطَّ ذا الأذن الواحدة سهلًا، لكنها ضلَّت الطريق بعد ذلك. تسلَّلت إلى داخل النَّوافذ وخارجها ووثبت فوق الأسوار وتحسَّست طريقها في أقبية معتمة بهدهوء الظَّلال، وفي بُقعةٍ ما سمعت امرأةً ما تبكي. استغرقت أكثر من ساعةٍ كاملةٍ حتى استطاعت العثور على النَّافذة الضيقة الواطئة التي تُفضي إلى الزَّنْزانة التي تقبع فيها الوحوش.

أَلَقَتْ حَزْمَتَهَا دَاخِلَ النَّافِذَةِ ثُمَّ عَادَتْ أَدْرَاجَهَا لِتُشْعِلَ شَمْعَتَهَا. كَانَتْ مُجَازِفَةً، فَالنَّارُ الَّتِي تَذَكَّرَتْ رُؤْيَيْهَا لَدَى اقْتِرَابِهَا مِنْ هُنَا كَانَتْ قَدْ خَدَمَتْ أَوْ كَادَتْ، وَسَمِعَتْ أَصْوَاتًا وَهِيَ تَنْفُخُ فِي الْفَحْمِ. ثُمَّ إِنَّهَا ضَمَّتْ أَصَابِعَهَا حَوْلَ لَهَبِ الشَّمْعَةِ الْمَتَذِذِبِ وَخَرَجَتْ مِنَ النَّافِذَةِ وَهُمْ يَدْخُلُونَ مِنَ الْأَبْوَابِ، وَإِنْ لَمْ يَلْمَحْهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ لِحُسْنِ الْحِظِّ..

لَمْ تَشْعُرْ بِالْخَوْفِ مِنَ الْوُحُوشِ هَذِهِ الْمَرَّةَ، بَلْ وَبَدَتْ لَهَا بِمَثَابَةِ أَصْدِقَاءٍ قُدَامَى. رَفَعَتْ آرِيَا الشَّمْعَةَ فَوْقَ رَأْسِهَا، وَمَعَ كُلِّ خَطْوَةٍ خَطَّتْهَا تَرَاقَصَتْ الظُّلَالُ عَلَى الْجِدْرَانِ كَأَنَّهُمَا تَلْتَفَتَا لِتُرَاقِبَ مَرُورَهَا. غَمِغَمَتْ: «إِنِّهَا تَنَانِينَ»، وَأَخْرَجَتْ إِبْرَتَهَا مِنْ طَيَّاتِ الْمِعْطَفِ، وَبَدَا السَّيْفُ الرَّفِيعُ صَغِيرًا لِلْغَايَةِ وَالتَّنَانِينَ كَبِيرَةً لِلْغَايَةِ، لَكِنْ وَجُودُ السِّلَاحِ فِي يَدِهَا شَجَّعَهَا أَكْثَرَ بِشَكْلِ مَا.

كَانَ الْبَهْوُ الطَّوِيلُ الْخَالِي مِنَ التَّوَافِدِ أَسْوَدَ مَظْلَمًا كَمَا تَذَكَّرَتْهُ، وَأَمْسَكَتْ إِبْرَتَهَا بِيَدِهَا الْيُسْرَى -يَدَ السَّيْفِ- وَالشَّمْعَةَ بِقَبْضَتِهَا الْيُمْنَى، وَسَأَلَ الشَّمْعَ السَّاخِنَ عَلَى مَفَاصِلِ أَصَابِعِهَا. تَذَكَّرَتْ أَنَّ مَدْخَلَ الْبِثْرِ يَقَعُ يَسَارًا فَاتَّجَهَتْ يَمِينًا وَجِزءٌ مِنْهَا يَرْغَبُ فِي أَنْ تَرْكُضَ، لَكِنِّهَا خَشِيتُ أَنْ تَنْطَفِئَ شَمْعَتَهَا. سَمِعَتْ صَرِيرَ الْجِرْدَانِ الْخَافِتِ وَلَمَحَتْ زَوْجًا مِنَ الْعَيُونِ اللَّامِعَةِ الصَّغِيرَةِ عَلَى حَافَةِ النُّصْو، لَكِنِ الْجِرْدَانِ لَمْ تَكُنْ تُخَفِّفُهَا... كَانَتْ تَخَافُ أَشْيَاءَ أُخْرَى. مِنَ السَّهْلِ جَدًّا أَنْ تَخْتَبِئَ هُنَا كَمَا اخْتَبَأَتْ مِنْ قَبْلِ مِنَ السَّاحِرِ وَالرَّجُلِ ذِي اللَّحْيَةِ الْمَشْعُوبَةِ، لَوْلَا أَنَّهَا تَكَادُ تَرَى صَبِيَّ الْأَسْطِطِلِ وَاقِفًا عِنْدَ الْحَائِطِ وَقَدْ اسْتَحَالَتْ يَدَاهُ إِلَى مَخَالِبِ وَالدَّمِ لَا يَزَالُ يَسِيلُ مِنَ الْجَرْحَيْنِ الطَّوْلَيْنِ حَيْثُ أَطْبَقَ عَلَى إِبْرَتِهَا الَّتِي انْغَرَسَتْ فِي جَسَدِهِ. قَدْ يَكُونُ فِي انْتِظَارِهَا لِيُمْسِكَ بِهَا وَهِيَ تَمُرُّ، وَقَدْ يَرَى ضَوْءَ شَمْعَتِهَا مِنْ بَعِيدٍ. لَعَلَّ مِنَ الْأَفْضَلِ أَنْ تَتَحَرَّكَ بِلا ضَوْءٍ.

ضَرْبَةُ الْخَوْفِ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ، هَمَسَ الصَّوْتُ الْهَادِئُ فِي دَاخِلِهَا، وَتَذَكَّرَتْ آرِيَا فَجَاءَ السَّرَادِيبُ نَحْتًا وَيَنْتَرِفِلُ وَقَالَتْ لِنَفْسِهَا إِنَّهَا مَخِيفَةٌ

أكثر من هذا المكان بمراحل. كانت طفلة صغيرة عندما رأتها للمرة الأولى لَمَّا اصطحبها أخوها روب إلى هناك ومعها سائزا وبران الصغير الذي لم يكن أكبر وقتها من يكون الآن. كانت معهم شمعة واحدة، واتسعت عينا بران عن آخرهما وهو يُحَمَلِق في وجوه ملوك الشتاء الحجريّة وذئابهم عند أقدامهم وسيوفهم الحديدية في حِجر كل منهم.

أخذهم روب إلى نهاية السرداب بعد جدّهم وبران دون وليانا ليريهم قبورهم. ظلت سائزا ترمق الشمعة القصيرة بقلق خشية أن تنطفئ، وكانت العجوز نان قد أخبرتها أن ثمة عناكب هنا، وجردان كبيرة كالكلاب، لكن روب ابتسم عندما قالت له هذا وقال: «هناك أشياء أسوأ من العناكب والجردان. هذا هو المكان الذي يمشي فيه الموتى»، وكان هذا عندما سمعوا الصّوت الواطئ الرَّاجف العميق، وتعلّق بران الصغير بيد آريا.

وعندما خرج الشّبح الأبيض الشّاحب من القبر المفتوح يشنّ طلباً للدم هُرِعت سائزا صارخة إلى السّلالم ولَفَّ بران نفسه حول ساق روب متجنباً، بينما ظلت آريا في مكانها وسدّت لكمة إلى الشّبح الذي لم يكن إلّا جون المغطّى بالدّقيق، وقالت له: «أخفت بران أيها الأحمق!»، لكن روب وجون ضحكا وضحكا، وسرعان ما اشترك بران وآريا معهما في الضّحك.

جعلت الذّكري آريا تبسم، وبعدها لم يَعدُ الظّلام يُخيفها. صبيّ الاسطبل ميت، هي قتلته، وإذا خرج عليها هنا ستقتله من جديد. إنها عائدة إلى الدّيار. كل شيء سيكون أفضل بمجرد أن تعود من جديد إلى أمان أسوار ويترفل الجرانيتيّة.

وردّدت خطوات قدمي آريا صدئ خفيصاً سبقها وهي تتوغّل أكثر في الظّلمات.



سانزا

جاءوا إليها في اليوم الثالث.

انتفت فُستانا بسيطاً من الصُوف الرمادي الداكن، تقليديّ القِصّة لكن مطرّراً بسخاءٍ حول الياقة والكُمّين، وشعرت بأن أصابعها ثقيلة بليدة وهي تُحاول إغلاق الأبازيم الفضّيّة دون وجود الخادِمات لمُساعدتها. كانت جين بول حبيسةً معها لكنها عديمة الجدوى تمامًا، وقد تورّم وجهها من فرط البكاء المتواصل على أبيها.

- «أنا واثقة من أن أبائك بخير»، قالت سانزا وقد نجحت في ضبط فُستانها أخيراً. «سأطلبُ من الملكة أن تسمح لكِ برؤيته». خطرَ لها أن تلك اللَّفّة اللّطيفة قد ترفع من روح جين المعنويّة، لكن الفتاة رمقتها بعينين محمّرتين متفتختين وانفجرت في بكاءٍ أعنف. يا لها من طفلة!

سانزا أيضًا بكت في اليوم الأول. حتى داخل جدران حصن ميجور القويّة وبابها مُغلَق وموصّد كان من الصّعب ألا تُصاب بالرّعب عندما بدأ القتل. لقد ترعرعت على أصوات الفولاذ في السّاحة، ولا يكاد يوم من حياتها يخلو من سماعها لتقارُع السُّيوف، لكن معرفتها بأن القتال حقيقيّ هذه المرّة قلبت الموازين كلها. يومها سمعت الأصوات كما لم تسمعها من قبل قطّ وقد امتزجت بها أهات الألم والسّباب الغاضب وصياح من يطلبون النّجدة وأنين الجرحى والمحتضرين. في الأغاني لا يصرخ الفرسان أو يتوسّلون الرّحمة أبدًا. وهكذا بكت واستجدّتهم من وراء

الباب أن يُخبرونها بما يجري، وعلى أبيها نادت، وعلى السبينة موردين، والمَلِك، وأميرها الشُّجاع، وما من عجيب. المرّة الوحيدة التي فُتِحَ فيها الباب كانت في ساعة متأخرة من اللَّيلة نفسها، عندما دفعوا جين ببول إلى داخل العُرفة باكيةً مرتجفةً مصابةً بالكدمات. صرخت فيها ابنة الوكيل: «إنهم يَقْتُلون الجميع!»، وبهلع حكّت لها كل ما شهدته، وكيف حطّم كلب الصَّيد بابها بمطرقة ضُخمة، والجثث الملقاة على سلاسل بُرج اليد الغارقة في الدَّماء. جففت سائرا دموعها وهي تُحاول تهدئة صديقتها، وخلدت الاثنتان إلى النّوم في فراشٍ واحدٍ متعانقتين كأختين.

اليوم الثّاني كان أسوأ، فالعُرفة التي حبسوا سائرا فيها كانت تقع في قَمّة أعلى أبراج حصن ميجور، ومن نافذتها رأت الشّبكة الحديدية الضّخمة مسدلةً على البوابة، والجسر المتحرّك مرفوعاً فوق الخندق الجاف الذي يفصل القلعة الدّاخليّة عن القلعة الأكبر المحيطة بها، بينما يطوف رجال لانستر على الأسوار وفي أيديهم الرّماح والأقواس ذات النّشاب. كان القتال قد انتهى وخيّم صمت القبور على القلعة الحمراء، والصّوت الوحيد الذي استمرّ كان نحيب جين اللانهاي.

لم يتركوهما بلا طعام (جُبْن وخُبز طازج وحليب على الإفطار، دجاجة مشوية وخضروات على الغداء، ويخنة اللحم والشّعير على العشاء)، لكن الخدم الذين أتوا بالوجبات لم يُجيبوا عن أيّ من أسئلة سائرا. ليلتها جاءت بعض النّساء بشبابها من بُرج اليد بالإضافة إلى بعض أغراض جين، لكنهنّ يدينّ مذعوراتٍ تماماً مثل صديقتها، وعندما حاولت أن تُكلّمهنّ هربنّ منها كأنها مصابة بالداء الأرمد⁽¹⁾، وواصل الحرس الواقفون خارج العُرفة رفضهم للسّماح لهما بالخروج. «أرجوكم، أريدُ أن أتكلّم مع المَلِكة ثانية»، قالت لهم كما قالت للجميع يومها. «لا بدّ أنها ستريد أن

(1) مرض من ابتكار المؤلّف يجعل اللحم يتبيّس ويموت والجلد يتشقق ويكتسب لوناً رمادياً ويصبح له ملمس صلب كالخجر.

تتكلم معي، أنا متأكدة. قولوا لها إنني أريد رؤيتها، أرجوكم. إن لم تكن الملكة فالأمير جوفري إذن، أرجوكم. سوف نتزوج عندما نكبر».

عندما غربت شمس اليوم الثاني بدأ الجرس يدق بصوت عميق رنان، وملأت دقاته الطويلة البطيئة قلب سانزا بالخوف، واستمرت واستمرت حتى سمعتا دقات أخرى تجيها من سبث بيلور الكبير على تل فيزينيا، ودوى الصوت في أرجاء المدينة كهزيم الرعد مُنذرًا بالعاصفة القادمة.

سألت جين وهي تُغطّي أذنيها: «ماذا هناك؟ لماذا يدقون الأجراس؟» - «لقد مات الملك». لم تدرِ سانزا كيف عرفت، لكنها أدركت صحة الإجابة وقد ملأت الدقات البطيئة المتصلة الغرفة كترنيمه جنازية. هل اقتحم عدو ما القلعة وقتل الملك روبرت؟ ألهذا كان القتال دائرًا؟ خلدت إلى النوم وكلها تساؤلات ومخاوف. هل أصبح أميرها الجميل جوفري الملك الآن؟ أم أنهم قتلوه بدوره؟ كانت خائفة عليه للغاية، وعلى أبيها. ليت أحدهم يقول لها ما يحدث بالضبط.

ليلتها حلمت سانزا بجوفري جالسًا على العرش وهي إلى جواره في فستان من الذهب المغزول وعلى رأسها تاج، وكل من عرفتهم في حياتها أتوا لينحنوا أمامها ويُقدّمون لها المجاملات.

وفي الصباح التالي، صباح اليوم الثالث، جاء إليها السير بوروس بلاونت فارس الحرس الملكي ليصحبها إلى الملكة.

كان السير بوروس رجلًا قبيحًا ذا صدرٍ عريضٍ وساقين قصيرتين مفوّستين، عريض الأنف ومن خديّه يتدلّى لُغدان ضخمان، وله شعر أشيب خفيف، وقد ارتدى اليوم المخمل الأبيض تحت معطفه ذي اللون الثلجي المثبت بدبوسٍ على شكل أسد يتألق لونه الذهبي وعيناه الدقيقتان المصنوعتان من الياقوت الأحمر. قالت له: «تبدو وسيما بهيّا هذا الصباح يا سير بوروس». الليدي الحقة تتذكر مجاملاتها، وهي عاقدة العزم على أن تكون كذلك مهما حدث.

أجاب السير بوروس بصوت محايد: «وأنتِ كذلك يا سيّدتِي. تفضّلي معي، جلالتها في انتظاركِ».

كان هناك حُرّاس خارج عُرفتها، رجال لانستر في معاطفهم القرمزيّة وخوذات الأسد، وجعلت سائزاً نفسها ترسم على شفيتها ابتسامة عذبة وتلقّي عليهم تحيّة الصّباح وهي تمرّ بهم. كانت المرّة الأولى التي تُغادر فيها العُرفة منذ قادها السير أريس أوكهارت إلى هناك قبل صباحين آخرين. «لنُحافظ على سلامتك يا عزيزتي»، قالت لها المَلِكة سرسي. «لن يُسامحني چوفري أبداً إذا حدث شيء لغاليتها».

توقّعت سائزاً أن يأخذها السير بوروس إلى المسكن المَلِكِي، لكنه قادها إلى خارج حصن ميجور بدلاً من هذا. كانوا قد أنزلوا الجسر المتحرّك من جديد، وبعض العمّال يُنزلون رجلاً بواسطة حبل في الخندق الجاف العميق، وعندما ألقت نظرة في الأسفل رأَت جثّة مخوّزة على الحراب الحديدية الضّخمة، فأشاحت بنظرها سريعاً خائفةً من أن تسأل أو تُطيل النّظر خشية أن تكون جثّة أحدٍ تعرفه.

كانت المَلِكة سرسي جالسةً في قاعة المجلس على رأس مائدةٍ مكنّظة بالأورق والشّموع وقوالب شمع الأختام. كانت قاعة مهيبّة فخمة لم ترَ سائزاً مثيلاً لها من قبل، وخلق لبّها مرأى الجداريّة الخشبيّة المنقوشة وتمثالي أبي الهول الواقفين عند الباب.

قادهما إلى الدّاخل واحد آخر من فُرسان الحرس المَلِكِي هو السير ماندون ذو الملامح الجامدة، وقال سير: «جثّت بالفتاة يا جلالة المَلِكة». كانت سائزاً تأمل أن تجد چوفري معها، لكن أميرها كان غائباً وبدلاً منه وجدت ثلاثة من مستشاري المَلِك: اللورد پيتر بايلش الجالس إلى يسار المَلِكة، والمَياستر الأكبر پايسل عند طرف المائدة، واللورد فارس يحوم حولهم وعبير الزّهور يفوح منه. لاحظت بتوجّس أن جميعهم يرتدي الأسود، ثياب الجِداد.

ارتدت المَلَكَةُ فُستَانًا حَرِيرِيًّا أَسْوَدَ عَالِي الْيَاقَةِ خُيِّطَتْ إِلَى صدره مِئَةُ قِطْعَةٍ دَقِيقَةٍ مِنَ الْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ الدَّاكِنِ غَطَّتِ الْمَلَكَةُ مِنَ الْعُنُقِ إِلَى النُّهْدَيْنِ، وَكَانَتْ مَقْطَعَةً عَلَى شَكْلِ قَطَرَاتِ دَمْعٍ كَأَنَّ الْمَلَكَةَ تَبْكِي دَمًا. ابْتَسَمَتْ سِرْسِي لَهَا، وَخَطَرَ لِسَانُهَا أَنَّهَا أَكْثَرُ بِسْمَةٍ عَذِيبَةٍ حَزِينَةٍ رَأَتْهَا فِي حَيَاتِهَا، وَقَالَتْ: «صَغِيرَتِي الْحُلُوةُ سَانِزَا، أَعْرِفُ أَنَّكَ كُنْتَ تَطْلُبِينَ رُؤْيِي. آسَفٌ لَأَنِّي لَمْ أَسْتَطِيعَ اسْتِدْعَاءَكَ قَبْلَ الْآنِ، فَالْأُمُورُ كَانَتْ مُضْطَرِبَةً تَمَامًا وَلَمْ أَجِدْ لِحِظَةً فَارِغَةً وَاحِدَةً. هَلْ اعْتَنَوْا بِكَ جَيِّدًا؟».

أَجَابَتْ سَانِزَا بِأَدَبٍ: «الْجَمِيعُ كَانُوا مَهْذَّبِينَ دُمَثِينَ يَا جَلَالَةَ الْمَلَكَةِ، شُكْرًا جَزِيلًا عَلَى السُّؤَالِ، لَكِنْ لَا أَحَدٌ يُرِيدُ أَنْ يُكَلِّمَنَا أَوْ يَقُولَ لَنَا مَاذَا حَدَثَ».

سَأَلَتْ سِرْسِي حَاطَرَةً: «لَنَا؟».

قَالَ السَّيْرُ بُوْرُوسَ: «لَقَدْ وَضَعْنَا ابْنَةَ الْوَكِيلِ مَعَهَا. لَمْ نَعْرِفْ مَاذَا نَفْعَلُ بِهَا غَيْرَ هَذَا».

قَطَّبَتِ الْمَلَكَةُ جَبِينَهَا وَقَالَتْ بِنَبَرَةٍ حَادَّةٍ: «الْمَرْءُ الْقَادِمَةُ سَلُونِي. الْآلِهَةُ وَحْدَهَا تَعْلَمُ أَيَّ حِكَايَاتٍ مَلَأَتْ بِهَا رَأْسَ سَانِزَا».

قَالَتْ سَانِزَا: «جِينُ خَائِفَةٌ وَتَبْكِي طَوَالَ الْوَقْتِ. لَقَدْ وَعَدْتَهَا بِأَنْ أَطْلُبَ مِنْكَ السَّمَاحَ لَهَا بِرُؤْيَةِ أَبِيهَا».

خَفَضَ الْهَيَايِسْتَرُ الْأَكْبَرُ بِإِسْلَ عَيْنَيْهِ، فَقَالَتْ سَانِزَا بِقَلْقٍ: «أَبُوهَا بِخَيْرٍ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟». كَانَتْ تَعْرِفُ أَنَّ قِتَالًا مَا قَدْ دَارَ، لَكِنْ مُؤَكَّدٌ أَنَّ لَا أَحَدَ سَيُؤْذِي فَايُونِ هُوُولَ، فَهُوَ مُجَرَّدٌ وَكِيلٌ وَلَا يَحْمِلُ سَيْفًا حَتَّى.

رَمَقَتْ الْمَلَكَةُ سِرْسِي كَلًّا مِنْ أَعْضَاءِ الْمَجْلِسِ عَلَى التَّوَالِي، وَقَالَتْ: «لَنْ أَسْمَحَ بِأَنْ تَقْلُقَ سَانِزَا بِلَا دَاخٍ. مَاذَا نَفْعَلُ بِصَدِيقَتِهَا تِلْكَ أَيُّهَا السَّادَةُ؟». مَالَ اللُّورْدُ پِيْتَرُ إِلَى الْأَمَامِ وَأَجَابَ: «يُمْكِنُنِي أَنْ أَجِدَ مَكَانًا لَهَا».

- لَيْسَ فِي الْمَدِينَةِ.

- هَلْ تَحْسِبُنِي أَحْمَقَ؟.

تجاهلت المَلَكَة التَّعليق، وقالت: «السير بوروس، اصحب الفتاة إلى مسكن اللورد پيتر ومُر رجاله بأن يحتفظوا بها هناك حتى يذهب إليها. قُل لها إن الإصبع الصَّغير سيأخذها إلى أبيها، سيهدئها هذا. لا أريدها أن تكون موجودةً في غُرْفَة سانزا عندما تعود».

قال السير بوروس: «أمر جلالتي»، وانحنى بشدَّة ثم دارَ على عقبه وانصرفَ ومعطفه الأبيض الطَّويل يُرْفَرِف في الهواء من ورائه.

كانت سانزا حائرةً تمامًا، واندفعت تقول: «لا أفهم. أين أبو جين؟ ولم لا يأخذها السير بوروس إليه مباشرةً بدلًا من أن تنتظر اللورد پيتر؟». كانت قد وعدت نفسها بأن تتصرَّف كليدي، رقيقةً كالملكة وقويَّةً كأُمِّها الليدي كاتلين، لكن الخوف اعترأها من جديد وشعرت بأنها على وشك البكاء. «إلى أين سترسلونها؟ جين لم تفعل شيئًا، إنها فتاة صالحة».

قالت المَلَكَة برقةً: «لقد أزعجتكِ ولا يُمكننا أن نسمح بهذا. لا أريدُ كلمةً أخرى. اللورد پيتر سيعتني بجين خير عناية، أعدكِ بهذا»، ثم ربَّت على المقعد المجاور لها وقالت: «اجلسي يا سانزا، أريدُ أن أتكلَّم معكِ». جلست سانزا إلى جوار المَلَكَة التي ابتسمت من جديد، وإن لم ينجح هذا في تخفيف توتُّرها الشَّدِيد. كان فارس يقرُّك يديه معًا، والمَياستر الأكبر پايسل يُحدِّق في الأوراق التي أمامه بعينه النَّاعستين، لكنها شعرت بنظرات اللورد پيتر المركَّزة عليها. شيءٌ ما في الطَّريقة التي ينظرُ بها هذا الرَّجل القصير إليها يجعل سانزا تشعُر كأنها لا ترتدي أيَّ ثيابٍ على الإطلاق، وأحسَّت بفشعريَّة تسري في جسدها.

قالت المَلَكَة سرسي وهي تضع يدها النَّاعمة على معصمها: «سانزا الحُلوة، طفلة جميلة أنت. أتمنَّى أنكِ تعرفين مبلغ حُبِّي وجوفري لك». مبهورةً قالت سانزا: «حقًا؟». لحظتها نسيت الإصبع الصَّغير تمامًا. أميرها يُحبُّها ولا شيء آخر في العالم مهمٌ.

حافظت المَلَكَة على ابتسامتها قائلةً: «إنني أعتبركِ مثل ابنتي تقريبًا،

وَأَتَى بِالْحُبِّ الَّذِي تُكِنِّيهِ لِحُوفَرِي»، ثُمَّ هَزَّتْ رَأْسَهَا بِحَرَكَةٍ مُتَعَبَةٍ وَقَالَتْ: «أَخْشَى أَنْ لَدِينَا خَبْرًا سَيِّئًا بِخُصُوصِ أَبِيكَ. يَجِبُ أَنْ تَتَحَلَّى بِالشَّجَاعَةِ يَا صَغِيرَتِي».

جَمَدَتْ كَلِمَاتُهَا الْهَادِثَةُ الدَّمَاءَ فِي عُرُوقِ سَانْزَا الَّتِي قَالَتْ: «مَاذَا؟».

قَالَ اللَّوردُ فَارَسَ: «أَبُوكِ خَائِنٌ يَا عَزِيزَتِي».

وَرَفَعَ الْبَاسْتَرُ الْأَكْبَرُ بِإِسْلِ رَأْسِهِ الْعَجُوزَ قَائِلًا: «بِأَذْنِيَّ هَاتَيْنِ سَمِعْتُ اللَّوردَ إِدَارِدَ يُقْسِمُ لِلْمَلِكِ رُوبِرْتِ الْحَبِيبِ أَنَّهُ سَيُحْمِي الْأَمْرَاءَ الصَّغَارَ كَأَنَّهُمْ أَبْنَاؤُهُ، لَكِنْ بِمَجَرَّدِ وَفَاةِ الْمَلِكِ جَمَعَ الْمَجْلِسَ الصَّغِيرَ كَيْ يَسْرِقَ عَرْشَ الْأَمِيرِ حُوفَرِي الشَّرْعِي مِنْهُ».

بَلَا تَفَكِيرٍ قَالَتْ سَانْزَا: «لَا! مُسْتَحِيلٌ أَنْ يَفْعَلَ هَذَا، مُسْتَحِيلٌ!».

التَّقَطَّتِ الْمَلِكَةُ رِسَالَةً مِنْ عَلَى الْمَائِدَةِ. كَانَتْ الْوَرَقَةُ مَمْرُقَةً وَمُلَطَّخَةً بِالْدَّمِ الْجَافِ، لَكِنْ الْخَتَمُ الْمَكْسُورُ كَانَ خَتَمَ أَبِيهَا وَالذُّبُّ الرَّهِيبُ غَائِصٌ فِي السَّمْعِ الشَّاحِبِ. «وَجَدْنَا هَذِهِ مَعَ قَائِدِ حَرَسِ أَبِيكَ يَا سَانْزَا، رِسَالَةٌ إِلَى أَخِي زَوْجِي الرَّاحِلِ سَتَانِيسَ تَدْعُوهُ لِلْإِسْتِيلَاءِ عَلَى النَّاجِ».

قَالَتْ سَانْزَا وَالذَّعْرُ الْمَفَاجِي يُشْعِرُهَا بِالذُّوَارِ وَالْإِعْيَاءِ: «جَلَالَةُ الْمَلِكَةِ، أَرْجُوكِ، لَا بُدَّ أَنْ هُنَاكَ خَطَأٌ مَا. أَرْجُوكِ، اسْتَدْعِي أَبِي وَسَيُخْبِرُكَ إِنْ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ يَكْتُبَ رِسَالَةً كَهَذِهِ. الْمَلِكُ كَانَ صَدِيقَهُ».

قَالَتْ الْمَلِكَةُ: «هَذَا مَا ظَنَنَ رُوبِرْت. كَانَتْ هَذِهِ الْخِيَانَةُ لَتَكْسِرَ قَلْبَهُ حَقًّا. إِنَّهَا رَحْمَةٌ مِنَ الْآلِهَةِ أَنَّهُ لَمْ يَعِشْ لِيَشْهَدَهَا»، وَتَنَهَّدَتْ وَأَضَافَتْ: «سَانْزَا يَا عَزِيزَتِي، يَجِبُ أَنْ تُدْرِكِي الْمَوْقِفَ الشَّنِيعَ الَّذِي يَضَعُنَا فِيهِ هَذَا. أَنْتِ بَرِثَةٌ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَكُلْنَا نَعْرِفُ هَذَا، لَكِنَّكِ ابْنَةُ خَائِنٍ، فَكَيْفَ أَسْمَحُ لَكَ بِالزَّوْاجِ مِنْ ابْنِي؟».

صَاحَتْ سَانْزَا مُصْدُومَةً مَرُوعَةً: «لَكِنِّي أَحْبَبْتُهُ!». مَاذَا سَيَفْعَلُونَ بِهَا الْآنَ؟ وَمَاذَا فَعَلُوا بِأَبِيهَا؟ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَفْتَرَضِ أَنْ يَحْدُثَ شَيْءٌ مِنْ هَذَا. يَجِبُ أَنْ تَتَزَوَّجَ مِنْ حُوفَرِي، إِنَّهُمَا مَخْطُوبَانِ وَهُوَ مُوعَدٌ لَهَا، بَلْ إِنَّهَا

حلّمت بزفافهما كذلك. ليس من العدل أن يسلبوه منها بسبب أيّ شيء قد يكون أبوها قد اقترّفه.

قالت سرسي بصوتٍ مليءٍ بالطيبة والعذوبة: «أدركُ هذا جيّدًا يا صغيرتي، ولأُفْلِمَ جئتُ إليّ وأفصحت لي عن خُطّة أبيك لإبعادكِ عنا إن لم يكن في سبيل الحبّ؟».

أجابَت سانزا بحرارة: «نعم، فعلتها في سبيل الحبّ، لأن أبي لم يسمح لي بتوديع جوفري». إنها الفتاة الصّالحة، الفتاة المطيعة، لكنها شعرت بأنها عقوق متمردة كآريا في ذلك الصّباح وهي تتسلّل من وراء السّنة موردن مخالفةً أوامر السيّد والدها. لم تكن قد ارتكبت شيئاً بذلك العناد من قبل في حياتها كلها، ولم تكن لترتكبه لولا أنها تُحبُّ جوفري هذا الحبّ الجَم. «كان سيُعيدني إلى ويترفل ويؤوِّجني من فارسٍ جائلٍ ما على الرغم من أنني أريدُ خوف وليس غيره. قلتُ له هذا لكنه لم يُصنح لي». كان المَلِك أَمَلها الأخير، فيُمكنه أن يأمر أباهَا بأن يجعلها تبقى في كينجز لاندينج وتزوِّج من الأمير جوفري. كانت تُدرك هذا مع أن المَلِك كان يُخيفها دائماً بصوته الجهوري الخشن وسُكره الدّائم، وكان ليُعيدّها غالباً إلى اللورد إدارد، هذا لو سمّحوا لها بمقابَلته أصلاً. وهكذا ذهبت إلى المَلِكة وأفصحت لها عن كلّ شيء، وأصغَت سرسي إليها وشكرتها بعذوبة... وحينها فقط اصطحبها السير آرس إلى الغُرفة العالية في حصن ميجور ووضع الحُرّاس أمام الباب، وبعد ساعاتٍ قليلةٍ بدأ القتال في الخارج. «أرجوك، يجب أن تسمح لي بالزّواج من جوفري، سأكونُ زوجةً صالحةً مطيعةً له، سترين، أعدكِ، سأكونُ مَلِكةً مثلكِ».

نظرت المَلِكة سرسي إلى الآخرين قائلةً: «ما رأيكم في التماسها أيها السّادة أعضاء المجلس؟».

غمغم فارس: «الطفلة المسكينة حُبّها صادق وبريء يا جلاله المَلِكة،

وحرمانها منه سيكون قسوةً بالغة... لكن ماذا في وسعنا نفعل؟ إن أباهما مُدان بالخيانة»، وفرك يديه معاً بحركة تنم عن الأسى.

وقال المايستر الأكبر بايسل: «الطفلة الآتية من نسل خائني ستجد أن الخيانة تأتي إليها بالسَّليقة. إنها بريئة الآن، لكن من بدري أي خيانة قد تتفتق عنها بعد عشرة أعوام؟».

صاحت سانزا مذعورة: «لا! إنني لست... مستحيل أن... مستحيل أن أخون جوفري! إنني أحبه، أقسم أنني أحبه!». قال فارس: «كم هذا مؤثراً، ومع ذلك يُقال إن صلة الدَّم أصدق من أي قَسَم».

وقال اللورد پيتر بهدوء: «إنها تُذكّرني بأمّها وليس بأبيها. انظروا إليها... الشَّعر، العينان، إنها نُسخة من كات عندما كانت في عُمرها».

رمقتها المَلِكة بنظرة حزينّة وقالت: «إذا استطعتُ أن أصدّق أنك لست كأبيك في شيء، فلن يُسعدني أكثر من أراك تُزفّين إلى جوفري. أعرف أنه يُحبّك من كلّ قلبه»، ثم تنهّدت وأضافت: «لكنني أخشى أن اللورد فارس والمايستر الأكبر على حق، فالدَّم هو ما سيحكم. إنني لم أنس كيف أطلّقت أختك ذُببتها على ابني».

«أنا لستُ مثل آريا، هي التي تملك دم الخونة وليس أنا! أنا مطيعة، سَلِي السَّيِّئة مורدين وستقول لك! لا أريدُ أن أكون غير زوجة جوفري المُحبّة الوفيّة!».

شعرت بثقل عيني سرسي وهي تُمعِن النَّظَرَ إلى وجهها وتقول: «أعتقدُ أنكِ تعنين ما تقولين يا صغيرتي»، والتفتت إلى الآخرين قائلة: «أيها السَّادة، يبدو لي أنه إذا ظلَّ بقيّة أهلها مُخْلِصين في هذه الأوقات العصيبة، فسيُعمل هذا على طمأننة مخاوفنا كثيراً».

ملّس المايستر الأكبر بايسل لحيته البيضاء الضَّخمة وعقدَ حاجبيه مفكراً، وقال: «اللورد إدارد لديه ثلاثة أولاد».

هَزَّ اللورد پيتر كتفيه قائلاً: «مَجْرَدُ صَبِيَّةٍ. مَا يُقْلِقُنِي أَكْثَرُ هُوَ اللَّيْدي كَاتِلِينَ وَآلُ تَلِي».

وَضَعَتِ الْمَلَكَةُ يَدَيَّ سَانْزَا فِي يَدَيْهَا وَقَالَتْ: «هَلْ تُجِيدِينَ الْكِتَابَةَ يَا صَغِيرَتِي؟».

أَوْمَأَتِ سَانْزَا بِرَأْسِهَا بِتَوَثُّرٍ. إِنَّهَا تُجِيدُ الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ أَكْثَرَ مِنْ إِخْوَتِهَا كُلِّهِمْ، وَإِنْ كَانَ لَا أَمَلٌ لَدَيْهَا فِي تَعَلُّمِ الْحِسَابِ.

- «يَسُرُّنِي هَذَا. لَعَلَّ هُنَاكَ أَمَلًا لَكَ وَجَوْفَرِي».

- «مَاذَا تُرِيدُنِي أَنْ أَفْعَلَ؟».

- «يَجِبُ أَنْ تَكْتُبِي لِلسَّيِّدَةِ أَمَلًا وَأَخِيكَ الْكَبِيرَ... مَا اسْمُهُ؟».

- «رُوب».

- «لَا رَيْبَ أَنْ خَبَرَ خِيَانَةَ أَبِيكَ سَيَلْغِيهِمَا قَرِيبًا، لَكِنْ مِنَ الْأَفْضَلِ أَنْ يَأْتِيَ مِنْكَ أَنْتِ. يَجِبُ أَنْ تُخْبِرِيهِمَا كَيْفَ خَانَ اللوردُ إِدَارْدَ مَلِيكِهِ».

كَانَتْ سَانْزَا تَرْغِبُ فِي جَوْفَرِي إِلَى أَقْصَى حَدٍّ، لَكِنِهَا لَمْ تَعْتَقِدْ أَنَّهَا تَمْلِكُ الشَّجَاعَةَ الْكَافِيَةَ لِتَفْعَلَ مَا تَطْلُبُهُ الْمَلَكَةُ مِنْهَا. «لَكِنَّهُ لَمْ... إِنَّنِي لَا... جَلَالَةُ الْمَلَكَةِ، لَنْ أَعْرِفَ مَاذَا أَقُولُ».

رَبَّتْ سِرْسِي عَلَى يَدِهَا وَقَالَتْ: «سُخِّرِيكِ بِمَا تَكْتُبِينَ يَا صَغِيرَتِي. الْمَهْمُ أَنْ تَسْتَحْثِي السَّيِّدَةَ وَالدَتَّ وَأَخَوَكِ عَلَى الْحِفَافِ عَلَى سَلَامِ الْمَلِكِ».

وَقَالَ بَايسِلُ: «سَتَكُونُ الْعَوَاقِبُ وَخِيَمَةٌ لِلْغَايَةِ إِذَا لَمْ يَفْعَلَا. اسْتَحْلِفِيكِ بِحُبِّكِ لِهَمَا أَنْ تُشَدِّدِي عَلَى ضَرُورَةِ أَنْ يَسْلُكََا طَرِيقَ الْحِكْمَةِ».

- «مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّ السَّيِّدَةَ وَالدَتَّ سَتَشْعُرُ بِخَوْفٍ بِالْغِ عَالِيكِ»، قَالَتِ الْمَلَكَةُ. «يَجِبُ أَنْ تَقُولِي لَهَا إِنَّكِ بِخَيْرٍ وَتَحْتَ رِعَايَتِنَا، وَإِنَّا نُعَامِلُكِ بِلُطْفٍ وَنُلَبِّيَ أَحْتِيَاجَاتِكَ كُلَّهَا. اطْلُبِي مِنْهُمَا أَنْ يَأْتِيَا إِلَى كِينْجَزْ لَانْدِنْجٍ وَيَتَعَهَّدَا بِالْوَفَاءِ لِحُفَافِي عِنْدَمَا يَجْلِسُ عَلَى عَرْشِهِ. إِذَا فَعَلَا هَذَا فَسَنَعْرِفُ عَلَى وَجْهِ التَّأَكُّدِ أَنْ دَمَكَ غَيْرُ مَلُوثٍ بِالْخِيَانَةِ، وَعِنْدَمَا تَتَفَتَّحُ

زهرة أنوثتك ستُزْفِن إلى المَلِك في سِبت بيلور الكبير على مرأى من الآلهة والبشر».

... تُزْفِن إلى المَلِك ... جعلت الكلمات أنفاسها تتلاحق، لكن سائرا ترددت رغم ذلك، وقالت: «ربما إذا سمحت لي بأن أرى أبي ... وأتكلم معه عن ...».

قاطعها فارس بنبرة موحية: «الخيانة؟».

وقالت المَلِكة بعينين صارتا قاسيتين كالحجر: «إنك تُخَيِّب أُملي يا سائرا. لقد أخبرناكِ بجرائم أبيكِ، فلماذا ترغبين في رؤيته لو كنت مُخلصة كما تقولين؟».

اغرورقت عيناها بالدموع وهي تقول: «قصدتُ فقط أن ... إنه لم ... لم ... أرجوك، هل حلَّ به أذى أو ... أو ...».

قالت المَلِكة: «اللورد إدارد سليم تماما».

- «لكن ماذا سيحدث له؟».

أجاب پايسل بلهجة ثقيلة: «هذا قرار المَلِك».

المَلِك! حبست سائرا دموعها في عينيها. چوفري هو المَلِك الآن، وأميرها الشَّهم الشُّجاع لن يُؤذي أباهَا أبدًا مهما كان ما اقترَفه. إنها واثقة من أنه سيُصغي إذا ذهبَت إليه وتوسَّلت منه الرَّحمة لأبيها، وسوف يُصغي لا ريب لأنه يُحبُّها، وحتى المَلِكة قالت هذا. سيضطرُّ چوف لأن يُعاقبه لأن اللوردات سيتوقَّعون منه هذا، لكن من الممكن أن يُعيده إلى ويتترفَّل أو ينفيه إلى واحدة من المُدن الحُرَّة عبر البَحْر الضيق، ولن يدوم هذا طويلاً على كلِّ حال، مجرَّد سنواتٍ قليلة، وبعدها ستكون قد تزوَّجت من چوفري، وبمجرَّد أن نصير المَلِكة ستُقنعه بأن يُعيد أباهَا ويمنحه عفواً.

لكن ... إذا ارتكبت أُمها أو روب أيَّ خيانة، إذا استدعيا الرَّايات أو رفضا التعهُّد بإخلاصهما لچوف أو فعلاً أيَّ شيء على هذه الشَّكلة،

سيفسد كل شيء. إنها تعرف في قلبها أن حببها چوفري طيب دم، لكن على الملك أن يكون صارماً مع المتمردين. يجب أن تجعلهما يفهمان، يجب! «... سأكتب لهما».

بسمه دافئه كشرق الشمس مالت سرسي لانستر عليها وطبعت قبله على خدّها، وقالت: «كنت أعرف أنك ستفعلين. سيشرّ چوفري بفخر شديد عندما أحكي عن التعقل والشجاعة اللذين أبديتهما هنا اليوم».

في النهاية كتبت أربع رسائل: إلى أمّها الليدي كاتلين ستارك، وأخيها روب في وينترفيل، وخالتها الليدي لايسا آرن في "العش"، وجدّها اللورد هوستر تلي في ريفرزّن؛ ولدى فروغها من الكتابة كانت أصابعها متصلبة ملوثة بالجبر. كان ختم أبيها مع فارس، فدقأت شمع النحل الأبيض فوق شمعة ثم صبته بحرص وراقبت الخصى وهو يختم كل رسالة بذنب ستارك الرهيب.

كانت چين بول وأغراضها كلها قد اختفت من غرفة سانزا عندما أعادها السير ماندون مور إلى البرج العالي في حصن ميجور، وفكرت مبتنة أنها لن تسمع المزيد من البكاء. على أن الغرفة بدت لها أكثر برودة مع رحيل چين، حتى بعد أن أشعلت ناراً. سحبت مقعداً ووضعته بالقرب من المستوقد، والتقطت واحداً من كتبها المفضلة، ونسيت نفسها في حكايات فلوريان وچونكويل، والليدي شيلا وفارس قوس قزح، والأمير الباسل إجون وحبه المنكوب لملكة أخيه.

وفي ساعة متأخرة من الليل، وهي تغيب في النوم، أدركت سانزا أنها نسيت أن تسأل عن أختها.



چون

قال السير چارمي ريكر: «إنه أوثر بلا شك، وهذا چافر فلاورز»، وقلب الجنة بقدمه ليُحدَّق الوجه الأبيض الميت في السماء الغائمة بعينين زراقهما عميق عميق. «كلاهما كان رجل بن ستارك».

تذكّر چون كيف نوَّسل أن يخرُج معهم إلى ما وراء "الجدار"، وكالمخدر قال لنفسه: رجلاً عُمي. كم كنتُ صبيّاً أحقق بحق الآلهة. لو كان قد وافق وأخذني، فلربما كانت جثتي الهامدة مع هاتين الآن.

كان معصم چافر الأيمن ينتهي بخرابٍ من اللحم الممزَّق والعظام المهشمة خلفه فكأ جوست، بينما تسبح يده اليمنى في برطمانٍ من الخل في بُرج المايستر إيمون، أمّا يسراه - التي لا تزال متصلةً بذراعه - فكانت سوداء كمعطفه.

- «لترحمنا الآلهة»، غمغم الدُّب العجوز وترجَّل عن فرسه وناول العنان لچون. كان نهاراً دافئاً على غير العادة، وبلَّلت قطرات العرق جبين حضرة القائد العريض كالندى على ثمرة بطيخ. كانت فرسه متوترة، تشيح بعينيهما وتراجع عن الرّجلين الميتين بقدر ما يسمح لها الجبل، فابتعد چون بها بعض الشيء وهو يكافح للسيطرة عليها كي لا تركض مبتعدة. لم تكن الخيول تُحبُّ إحساس هذا المكان، ولا چون كذلك في الحقيقة. والكلاب أقلُّ من يُحبُّ المكان. كان جوست هو من قاد المجموعة إلى هناك بعد أن اتضح أن فرقة كلاب الصيد لن تصلح. عندما حاول

باس قيّم الوجار أن تجعلها تلتقط الرائحة من اليد المبتورة، أصابها هياج شديد وأخذت تعوي وتنبح بضراوة وثُقَاتِل للابتعاد، وحتى الآن كانت تُزْمَجِر وتزوم بين لحظةٍ وأخرى محاولةً التحرُّر من مقاودها بينما يسُبُّها تَشِتٌ وينعتها بالجبن.

لم تكن هذه هي المرّة الأولى التي يرى فيها جون أمواتًا، وقال لنفسه: إنها مجرّد غابة، وهما مجرّد رجلين ميتين.

ليلة أمس رأى في منامه حلم ويترفل مجدّدًا. كان يجوب القلعة الخاوية، يبحث عن أبيه وينزل إلى السرايب، لكن هذه المرّة دخل الحلم مرحلةً جديدةً لم تسبق له رؤيتها من قبل. في الظلام سمع صوت حَجَرٍ يحكُّ بحجر، وعندما التفت رأى المقابر تُفَتِّح واحدًا تلو الآخر، وإذا خرج الملوك الموتى مترنّحين من قبورهم السوداء، استبقظ جون والعمّة تَغْمُرُ حُجِيرَتِهِ وقلبه يَدُقُّ بعُنفٍ شديد، وحتى عندما وثب جوست على فراشه ليُمرِّغ أنفه في وجهه لم يستطع التخلص من إحساس الرُعب الكاسح الذي اكتنفه، ولم يجرؤ على العودة إلى النوم. بدلًا من هذا صعد إلى قَمَّةِ "الجدار" وذرعها جيئةً وذهابًا بلا راحةٍ حتى رأى نور الفجر في الأفق. كان مجرّد حلم. أنا أخ في حرس الليل الآن ولستُ طفلًا مدعورًا. ربض سامويل تارلي تحت الأشجار وكاد يتوارى تمامًا وراء الخيول. كان وجه المستدير السمين ممتقعًا، وحتى الآن لم يكن قد ابتعد ليُفرِّغ معدته، لكنه لم يُحاول أن يُلقِي نظرةً واحدةً على الرجلين الميتين كذلك، وهمس ببؤس: «لا أقدرُ على النظر».

- «يجب أن تَنْظُرَ»، قال جون مُحَافِظًا على انخفاض صوته كي لا يسمع الآخرون. «المياستر إيمون أرسلك لتكون عينيه، أليس كذلك؟ ما فائدتهما إذن لو كانتا مُغلَقَتين؟».

- «نعم، لكن... لكني جبان يا جون».

وضع جون يده على كتف سام، وقال: «إن معنا دسّته من الجوّالة،

بخلاف الكلاب، وجوست. لا أحد سيؤذيك يا سام. اذهب وألق نظرة.
النَّظرة الأولى فقط هي الأصعب».

مرتجفًا هزَّ سام رأسه، وكان جليًا المجهود الذي يبذله لاستجماع ما
لديه من شجاعة، ثم إنه دارَّ برأسه بتؤدةٍ وأنسعت عيناه خوفًا، لكن چون
أمسك بذراعه بقوةٍ كي لا يشيح بنظره.

قال الذَّب العجوز بوجوم: «سير چارمي، بن ستارك كان معه ستَّة من
الرَّجال عندما تحرَّك من "الجدار"، فأين الآخرون؟».

هزَّ السير چارمي رأسه مجيبًا بقنوط: «ليتني أعرف».

كان من الواضح أن مورمونت لم يرَّض عن الإجابة، وقال بصرامة:
«اثنان من إخوتنا قُتِلَا على مرمى حَجَرٍ من "الجدار"، لكن الجَوَّالَة لم يروا
أو يسمعوا شيئًا. أهدأ ما انحدرَ إليه حرس اللَّيل؟ أما زلنا نُمَشِّط الغابة؟».

- «نعم يا سيِّدي، لكن...».

- «أما زلنا نَخْرُج في دوريات؟».

- «نعم، لكن...».

أشارَ مورمونت إلى أوثر قائلاً: «هذا الرَّجل معه نفير الصَّيد، فهل
افترَّض أنه ماتَ دون أن يَنفُخ فيه؟ أم أن جَوَّالتك أصيبوا بالصَّمم والعمى
في آنٍ واحد؟».

شدَّ السير چارمي قامته وقال بصوتٍ حانق: «لم يُطْلَق أيُّ نفير يا
سيِّدي، وإلَّا لكان جَوَّالتي قد سمعوه. إنني لا أملكُ العدد الكافي من
الرَّجال للخروج في دورياتٍ كما ينبغي، ومنذ غِياب بنچن وقد بقينا على
مقربةٍ من "الجدار" أكثر من المعتاد بناءً على أوامرك».

دمدَم الذَّب العجوز وقال: «نعم، حسن، ليكن»، ثم أشارَ إلى الميتين
بصبرٍ نافذٍ وقال: «كيف ماتا؟».

جنا السير چارمي إلى جوار جثَّة چافر فلاورز وأمسكَ رأسها من
الفروة، فخرَج الشَّعر في يده هُشًّا كالقش، وأطلقَ الفارس سُبَّةً ودفعَ

الوجه بكعب يده ليلوح شقّ ضخم مفتوح كالفم في جانب عُقّ الجثة وقد اكتسى بقشرة من الدّم الجاف، بينما لم يتبقّ غير أوتارٍ قليلةٍ تصل العُنق بالرّأس. قال السير چارمي: «إنها بلطة».

غمغم رجل الغابات العجوز داوين: «أجل، ربما البلطة التي كان أوثور يحملها يا سيّدي».

شعرّ چون بوجبة إفطاره تحرّك في معدته، لكنه ضغطَ شفّتيه معاً وجعل نفسه ينظر إلى الجثة الثّانية. كان أوثور رجلاً كبيراً قبيحاً مات ليصير جثةً كبيرةً قبيحةً، لكن لم تكن هناك بلطة في الجوار. تذكّر چون أن أوثور كان صاحب الأغنيّة البذيئة بينما خرج الجوّالة، لكن أيام غنائه ولّت الآن. كانت بشرته بيضاء تماماً كالحليب، كلها باستثناء يديه اللتين كانتا مسودّتين عن آخرهما مثل يدي چافر، وزيّنت زهور من الدّم المتجلّط جروح المميّة التي غطّته كالطّفح الجلدي من أصل الفخذ مروراً بالصّدر وحتى العُنق... لكن عيّنه كانتا مفتوحتين، ترُمقان السّماء كقطعتين من الياقوت الأزرق.

نهض چارمي قائلاً: «الهمج أيضاً لديهم بلطات».

التفت مورمونت إليه وقال: «هل تعتقد إذن أن هذا عمل مانس رايدر؟ على هذا القرب من "الجدار"؟».

- «ومن غيره يا سيّدي؟».

كان باستطاعة چون أن يُخبره. إنه يعلم الإجابة، كلهم يعلمونها، لكن لا أحد منهم لفظ الكلمة. «الآخرون» مجرد قصّة، حكاية لإخافة الأطفال لا أكثر. إذا كانوا أحياء ذات يوم أصلاً، فقد اختفوا منذ ثمانية آلاف عام كاملة. مجرد الفكرة جعلته يشعّر بالحماقة. إنه رجل بالغ الآن، أخ أسودّ في حرس اللّيل وليس الصّبي الذي كان يجلس عند قدمي العجوز نان لسمع حكاياتها مع بران وروب وآريا.

أطلق حُصرة القائد مورمونت نخيراً، وقال: «لو كان بنچن ستارك قد

نعرّض لهجومٍ من الهَمَج على بُعدِ نصفِ يومٍ من القلعة السوداء، لعادَ ليأخذ المزيد من الرّجال وطاردَ القتلة عبر الجحائم السَّبع كلها ثم جلبَ لي رؤوسهم».

قال السير چارمي بإصرار: «ما لم يكن قد قُتِلَ بدوره».

آلَمَت الكلمة چون، حتى بعد كل تلك الفترة الطويلة آلمته. كان من الحماقة أن يتمسّك بالأمل في أن يكون بنجن ستارك حيًّا حتى الآن، لكن من قال إن چون سنو ليس كتلةً من العناد تتحرّك على قدمين؟

واصل السير چارمي: «لقد مرَّ ما يقرب من نصف عام على غياب بنجن يا سيّدي. الغابة شاسعة، وقد يكون الهَمَج قد هاجموه في أيّ مكان على حين غرّة. أراهن أن هذين الاثنين كانا آخر من تبقى من مجموعته، وكانا في طريق العودة إلينا عندما لحقَ بهم العدوُّ قبل أن يلودوا بأمان "الجدار". الجثتان ما زالتا طازجتين، ما يعني أن هذين الرّجلين ماتا منذ يوم على الـ...».

صاح سامويل تارلي مقاطعًا إياه بحدّة: «كلا!».

أجفل چون. كان صوت سام الرّفع العالي آخر ما توقّع أن يسمعه الآن، فالولد البدين كان يخاف القيّمين، والسير چارمي لم يكن معروفًا بصبره.

قال ريكر بيرود: «لم أطلب رأيك يا فتى».

اندفع چون يقول: «دعه يتكلّم يا سيّدي».

جاست عينا مورمونت بين سام وچون، ثم قال: «إذا كان لديه ما يقوله، فأريد أن أسمعه. اقترب يا فتى، فلا يُمكننا رؤيتك وراء هذه الخيول».

تقدّم سام مرورًا بچون والخيول وهو يتصبّب عرقًا، وقال بارتباك: «سيّدي، لا... لا يُمكن أن يكونوا قد ماتوا منذ يومٍ أو... انظروا... انظروا إلى الدّم».

زمرّ مورمونت بنفاد صبرٍ وسأله: «نعم، الدّم، ماذا عنه؟».

- «منظره يجعله يُكَلِّل سرواله!»، قال تِثت وضحك الجوّالة.

مسح سام العرق عن جبينه وقال: «يُمكنك... يُمكنك أن ترى أن جوست... ذئب چون الرّهيب... يُمكنك أن ترى أنه اقتلع يد هذا الرّجل، لكن... مكان البتر لم ينزف... انظر»، ولوح بيده مُتابعًا: «أبي، الـ... اللورد تارلي... كان... كان يجعلني أشاهده وهو يسلخ جثث الحيوانات أحيانًا بعد...»، وهزّ سام رأسه وذقنه ترتجف وقد صار غير قادرٍ على إبعاد عينيه على الجثتين بعد أن رآهما. «بعد الصّيد. إذا كانت الجثة طازجةً فسيظلّ الدّم سائلًا لفترةٍ يا سيّدي... بعدها... بعدها يتجلط مثل... مثل الهلام، يكون ثخينًا و...». بدا كأنه على وشك أن يقيء أمامهم الآن، لكنه واصل: «هذا الرّجل... انظروا إلى المعصم... الدّم متجلط، جاف، مثل...».

رأى چون ما يعنيه سام في الحال، الأوردة الممزقة في معصم الرّجل الميت كثعابين من حديدٍ في اللّحم الشّاحب والدّم أسود كالثرى، ومع ذلك لم يبدُ جارمي ريكز مقتنعًا، وقال: «لو كانا قد ماتا منذ أكثر من يومٍ لكانت الجثتان متفختين الآن يا فتى. إنهما بلا رائحةٍ حتى».

تحرك داويين، رجل الغابات العابس الذي يتباهى دائماً بأنه يستطيع أن يشم رائحة الثلج قبل سقوطه، واقترب من الجثتين وتشمّمهما، ثم قال: «شذى الزهور لا يفوح منهما بالتأكيد، لكن سيّدي على حق، فلا توجد رائحة تعفن».

قال سام مشيرًا بإصبع مرتجف: «لأنهما... لأنهما لا يتعفنان. انظروا، ليست هناك برقات أو... أو... ديدان أو أي شيءٍ من هذا. إنهما ميتان هنا في الغابة، ومع ذلك... ومع ذلك لم تأكلهما الحيوانات أو تقضم منهما شيئًا... فقط جوست، وبخلاف ذلك لم... لم...».

- «لم يمسهما شيء»، قال چون بصوتٍ خفيض. «وجوست مختلف، بينما ترفض الكلاب والخيول الاقتراب منهما».

تبادل الجوّالة النظرات وقد رأى كلّ منهم أن ما يُقال سليم تمامًا،

وَقَطَّبَ مورمونت جبينه ناقلاً عينيه بين الجثتين والكلاب، ثم قال: «تشت، دَع الكلاب تقترب».

وحاولَ تشت، وسَبَّ وجذب المقاولد بعُنف، بل وركلَ أحدها كذلك، لكن معظم الكلاب زامَ وغرسَ قوائمها في الأرض. جرَّب أن يشدَّ واحدةً لكن الكلبة زمجرت وقاومته وحاولت التملص من طوقها، ثم إنها انقضت عليه فجأةً ليتراجع متعثراً ويُسقط المِقود، ووثبت الكلبة من فوقه وغابت بين الأشجار.

قال سام تارلي بلهجة جادة: «هذا... كلُّ هذا خطأ. الدَّم... هناك بُقع دم على ثيابهما و... ولحمهما، لكنه جاف ومتجمد، لكن ليس هناك أيُّ دَم على الأرض أو... أو في أيِّ مكان. مع هذه... هذه... هذه... أجبرَ سام نفسه على ابتلاع ريقه والتقطَ نفساً عميقاً، ثم قال: «مع هذه الجروح الشنيعة من المفترض أن تكون هناك دماء في كلِّ مكان، أليس كذلك؟». مصَّ دايوين أسنانه الخشبيَّة، وقال: «ربما لم يموتا هنا، ربما أتى بهما أحدهم وتركهما لنا على سبيل الإنذار»، ورمى رجل الغابات العجوز الجثتين بشكٍّ مضيئاً: «وقد أكونُ أحمق، لكنني لا أذكرُ أن أوثر كان يملك عينين زرقاوين من قبل».

أجفل السير چارمي والتفتَ رافعاً الجثتين قائلاً: «ولا فلاورز كذلك». خيم الصمت على الغابة، وللحظاتٍ لم يسمعوا غير أنفاس سام الثقيلة وصوت امتصاص دايوين لأسنانه، وجثمَ چون إلى جوار جوست. - «لنحرقهما»، همس أحدهم، واحد من الخيالة لم يُميِّزه چون، وردد صوت آخر بلهجة مُلحَّة: «نعم، لنحرقهما».

هزَّ الذبَّ العجوز رأسه بعنادٍ قائلاً: «ليس بعد. أريدُ أن يفحصهما المايستر إيمون أولاً. سنأخذهما معنا إلى "الجدار"».

بعض الأوامر إلقاؤه أسهل من طاعته. لفوا الرّجلين الميتين في معطفين، لكن عندما حاولَ هاك ودايوين أن يربطا إحدى الجثتين

على ظهر حصان أصيب الحيوان بالجنون، وأخذَ يصرُخ رافعاً قائمته الأماميتين وراكلاً الهواء بحافريه، حتى أنه حاول أن يعَضَّ كاتر عندما ذهبَ إلى زميله ليُساعدهما. لم يُصادف بقيةَ الجوّالة حظاً أفضلَ مع الخيول الأخرى، وحتى أهدأها رفضَ تماماً أن يحمل واحدةً من الجثتين على ظهره؛ وفي النهاية اضطروا لقطع بضعة فروع لبناء رافعتين بدائيتين ليعودوا حاملين الجثتين على الأقدام، وكان النّهار قد انتصفَ منذ فترة عندما بدأوا رحلة العودة أخيراً.

قال مورمونت أمراً للسَّير چارمي وهُم يتحرَّكون: «أريدُ أن تُمشط هذه الغابة، كلَّ شجرة، كلَّ صخرة، كلَّ دغل، وكلَّ قدم من الأرض الموحلة على مسافة عشرة فراسخ من هنا. استعن بكلِّ رجالك، وإذا أردت المزيد من الرِّجال فاستعِر بعض الصيَّادين والحطَّابين من جماعة الوُكلاء. إذا كان بن والآخرين في مكانٍ ما هنا، فأريدُ العثور عليهم أحياء أو موتى. إذا كان هناك أحد آخر في هذه الغابة، فأريدُ أن أعرف من. أريدك أن تتعقبهم أيَّا كانوا وتقبض عليهم، ويُفضَّل أن يكونوا أحياء، مفهوم؟».

قال السَّير چارمي: «مفهوم يا سيدي، سنفعل هذا».

بعد ذلك تحرَّك مورمونت على متن حصانه بصميت متجهُهم، وتبعه چون عن كثب بما أن هذا مكانه بصفته وكيل حضرة القائد الخاص. كان يوماً كثيباً رطباً غائماً، واحداً من تلك الأيام التي تجعلك تمنى أن تسقط الأمطار، ولم تتحرَّك الرِّيح في الغابة إطلاقاً حتى أن چون شعرَ بشيابه تلتصق بجِلده. كان الطَّقْس دافئاً، دافئاً أكثر من اللازم في الحقيقة، و"الجدار" يقطرُ بغزارة منذ أيام، وفي أحيانٍ اعتقدَ چون أنه يتقلَّص.

كان كبار السنُّ يُطلقون على هذا الطَّقْس اسم "الصَّيف الشَّبحي"، ويقولون إنه يعني أن الفصل قد بدأ يُحرَّر أشباحه أخيراً، وبعده يأتي البرد،

والصَّيْف الطَّوِيل يعني دائماً مجيء شتاء طويل. هذا الصَّيْف دام عشرة أعوام، وكان چون مجرد طفل عندما بدأ.

تحرك جوست إلى جوارهم لبعض الوقت ثم اختفى بين الأشجار، وشعر چون كأنه عار في غياب الذئب الرهيب، ووجد نفسه يتطلع إلى كل ظل حولهم بتوتر. بلا إرادة منه جنح عقله إلى القصص التي كانت العجوز نان تحكيها عليهم عندما كان صبيًا في ويتترفل، وتردَّدت كلماتها في رأسه حتى كاد يسمع صوتها الذي ينخفض وينخفض وصوت إبرتها -كليك-كليك-كليك- إذ تحكي: جاء "الآخرون" للمرة الأولى في الظلام. كانوا أشياء باردة، أشياء ميتة تمقت الحديد والنار ولمسة الشمس وكل مخلوق تجري الدماء الحارة في عروقه. اكتسحوا المعازل والمدن والممالك، وأسقطوا الأبطال والجيوش بالآلاف وهم يمتطون خيولهم الميتة الشاحبة ويقودون حشودًا من الموتى الذين أسقطوهم. لم تستطع كل سيوف البشر إيقاف تقدّمهم، ولم تُثر العذارى والرُضع حتى ذرة شفقة فيهم. طازدوا الفتيات في الغابات المتجمّدة، وأطعموا اللحم أطفال البشر لخدمهم الأموات...

تنفّس الصُّعداء عندما لمح "الجدار" يرتفع فوق قمم شجرة بلوط كثيرة العقْد، وأوقف مورمونت حصانه فجأة والتفت صائحًا: «تارلي، تعال هنا».

رأى چون ملامح سام تتقلّص خوفًا وهو يتقدّم بفرسه وقد حسب أنه في مشكلة بلا شك، لكن الذئب العجوز قال بجمود: «أنت بدین لكنك لست غيبًا يا فتى. لقد أبليت بلاء حسنًا هناك»، ونظر إلى چون مضيفًا: «وأنت كذلك يا سنو».

ابتسم چون، وتورّد وجه سام خجلًا وتعثّرت الكلمات في فمه وهو يحاول أن يعثر على ردّ مهذب.

عندما خرجوا من تحت الأشجار أخيرًا وكز مورمونت حصانه القوي

الصَّغِير لِيرْكُضْ، وخرجَ جوست من الغابة بدوره لينضمَّ إليهم لاعتقا فكيه وقد احمرَّ خطمه بدم فريسته. على قمّة "الجدار" رأى الرّجال مجموعتهم تقترب، وسمعَ چون صوت نفير الحرس المبجوح العميق يتردّد عبر الأميال بصيحة واحدة طويلة ارتجفت بين الأشجار ودوى صداها على الجليد.

~~~~~

خبا الصّوت ببطء قبل أن يتلاشى تمامًا. الصّيحة الواحدة تعني عودة الجوّالة إلى "الجدار"، وقال چون لنفسه: كنتُ جوًّا لأمدّة يومٍ واحدٍ على الأقل. مهما حدثَ بعد هذا فلا يُمكنهم أن يأخذوا مني هذا. وجدوا باون مارش في انتظارهم عند البوابة الأولى وهُم يقودون خيولهم عبر الثّق الجليدي، وكان حضرة الوكيل محمرّ الوجه مضطربًا، وقال لمورمونت وهو يفتح القضبان الحديدية: «سيّدي، جاءنا طائر اليوم. يجب أن تأتي في الحال».

قال مورمونت بخشونة: «ما الأمر يا رجل؟».

رمقَ مارش چون بنظرة غريبة قبل أن يُجيب: «الرّسالة مع المايستر إيمون. إنه ينتظرك في عُرفك».

- «ليكن. چون، اعتنِ بحصاني، وقُل للسّير چارمي أن يضع الجثتين في حُجرة تخزين ما حتى يفحصهما المايستر إيمون»، وتحركَ مورمونت مبتعدًا وهو يُهمهم.

لاحظَ چون بعدم راحة أن الجميع يُراقبونه بينما يقود مع الآخرين الخيول إلى الاسطبل. كان السّير أليسر ثورن يُدرّب الصّبية في السّاحة، لكنه أوقفَ التّدريب لينظرَ إلى چون وعلى شفّته ابتسامة خفيفة، بينما صاحَ دونالد نوي ذو الذّراع الواحدة الواقف على باب مستودع السّلاح: «الآلهة معك يا سنو».

شيء ما على غير ما يرام، شيء ما حدث.

حُمِلَت الجِثَّان إلى إحدى حُجرات التَّخزين المظلمة الباردة الموجودة عند قاعدة "الجدار" ومنحوتة في جليده، التي تُستَخدم لحفظ اللحوم والغلال والبيرة كذلك أحيانًا. عملَ جون على أن يشرب حصان مورمونت ويأكل قبل أن يعتني بفرسه، وبحثَ بعدها عن أصدقائه ليجد جرن وتودر في وردية حراسة، وإن وجدَ پيپ في القاعة العامة، فسأله: «ماذا حدث؟».

أجابَ پيپ بصوتٍ واطئ: «الملك مات».

بُهِتَ جون. لقد بدا روبرت باراثيون سمينًا متقدمًا في السنَّ عندما زارَ ويترفل، لكنه كان في صحَّة ممتازة، ولم يذكُر أحد شيئًا عن إصابته بأيِّ مرض. «كيف عرفت؟».

- «أحد الحُرَّاس سمعَ كلايداس يقرأ الرسالة على المايستر إيمون»، ومالَ مقتربًا منه وأضافَ: «آسفٌ حقًّا يا جون. لقد كان صديق أبيك، أليس كذلك؟».

- «كانا كأخوين ذات يوم». تساءلَ جون إن كان جوفري سيُبقَى على أبيه كيِّدَ للملك وإن بدا ذلك مستبعدًا. قد يعني هذا أن اللورد إدوارد سيعود إلى ويترفل، وأختاه كذلك، وعندها قد يستطيع الذهاب لزيارتهم بإذنٍ من اللورد مورمونت. سيكون من الجميل أن يرى ابتسامة آريا من جديد ويتكلَّم مع أبيه. سأسأله عن أمي. إنني رجل الآن ولا بُدَّ أن أعرف. حتى لو كانت عاهرة فلا أبالي، أريدُ أن أعرف فحسب.

قالَ پيپ: «سمعتُ هاك يقول إن الميتين كانا من رجال عمِّك».

أجابَ جون: «نعم، اثنان من الستَّة الذين أخذهم معه. إنهما ميتان منذ فترة طويلة، لكن الجثتين... غريتان».

سأله پيپ بفضولٍ شديد: «غريتان؟ كيف؟».

لم يكن جون يرغب في الكلام عن هذا، وقال: «سام سيحكى لك. سأذهبُ لأرى إن كان الدُّب المعجوز يحتاجني».

سَارَ إِلَى بُرْجِ الْقَائِدِ بِمَفْرَدِهِ، لَا يُصَاحِبُهُ غَيْرَ إِحْسَاسٍ غَرِيبٍ بِالتَّوَجُّسِ، وَرَمَقَهُ الْأَخْوَانُ اللَّذَانِ يَحْرُسَانِ مَدْخَلَ الْبُرْجِ بِنَظَرَاتٍ وَاجِمَةٍ وَقَالَ أَحَدُهُمَا: «الدُّبُّ الْعَجُوزُ فِي غُرْفَتِهِ. كَانَ يَسْأَلُ عَنْكَ».

هَزَّ چون رَأْسَهُ مَفْكُرًا أَنَّهُ كَانَ يَجْدُرُ بِهِ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَسْطِطِلِ مُبَاشَرَةً، وَارْتَقَى دَرَجَاتِ الْبُرْجِ بِسُرْعَةٍ قَائِلًا لِنَفْسِهِ: إِنَّهُ يُرِيدُ بَعْضَ النَّبِيذِ أَوْ نَارًا فِي الْمُسْتَوَقَدِ، هَذَا كُلُّ شَيْءٍ.

عِنْدَمَا بَلَغَ الْغُرْفَةَ صَرَخَ فِيهِ غُذَافُ مَورْمونت: «ذُرَّةُ! ذُرَّةُ! ذُرَّةُ!». قَالَ الدُّبُّ الْعَجُوزُ: «لَا تُصَدِّقْهُ، لَقَدْ أَطْعَمْتَهُ لَتَوِي». كَانَ جَالِسًا عِنْدَ النَّافِذَةِ يَقْرَأُ رِسَالَةً. «أَحْضِرْ لِي كُوبًا مِنَ النَّبِيذِ، وَصُبِّ وَاحِدًا لِنَفْسِكَ».

- «لِنَفْسِي يَا سَيِّدِي؟».

رَفَعَ مَورْمونت عَيْنَيْهِ مِنَ الرَّسَالَةِ لِيَرْمُقَهُ، وَفِي نَظَرَاتِهِ لَاحَتْ الشَّفَقَةُ بِوُضُوحٍ حَتَّى أَنْ چون شَعَرَ بِمَذَاقِهَا عَلَى لِسَانِهِ. «كَمَا سَمِعْتَنِي».

صَبَّ چون النَّبِيذَ بِعَنَاقِيَةٍ مُبَالِغٍ فِيهَا وَهُوَ يُدْرِكُ أَنَّهُ يُحَاوِلُ تَأْجِيلَ الْمَحْتَوَمِ، فَعِنْدَمَا يَمْتَلِئُ الْكُوبَانِ لَنْ يَكُونَ أَمَامَهُ خِيَارٌ سِوَى مُوَاجَهَةِ فَحْوَى الرَّسَالَةِ أَيًّا كَانَتْ، وَلَقَدْ امْتَلَأَ أَسْرَعَ مِمَّا يَرِغِبُ بِالْفِعْلِ، وَقَالَ مَورْمونت بِلَهْجَتِهِ الْأَمْرَةِ: «اجْلِسْ يَا بُنْيَ، وَاشْرَبْ».

ظَلَّ چون وَاقِفًا، وَقَالَ: «إِنَّهُ أَبِي، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟».

نَقَرَ الدُّبُّ الْعَجُوزُ عَلَى الرَّسَالَةِ بِإِصْبَعِهِ وَدَمَدَمَ: «أَبُوكَ وَالْمَلِكُ. لَنْ أَكْذِبَ عَلَيْكَ، فَهُوَ خَبَرٌ سَيِّئٌ حَقًّا. لَمْ أَحْسِبْ قَطُّ أَنِّي سَأَرَى مَلَكًا آخَرَ فِي سِنِّي هَذِهِ وَرُوبَرْتِ فِي نِصْفِ عُمْرِي وَقَوِيٌّ كَثُورٌ»، وَأَخَذَ جَرْعَةً مِنَ النَّبِيذِ وَاسْتَطَرَدَ: «يَقُولُونَ إِنَّ الْمَلِكَ كَانَ يُحِبُّ الصَّيْدَ، لَكِنِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي تُحِبُّهَا تُدْمِرُنَا فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَا بُنْيَ، فَتَذَكَّرْ هَذَا. ابْنِي كَانَ يُحِبُّ زَوْجَتَهُ الشَّابَّةَ، تِلْكَ الْمَرْأَةُ الثَّافِهَةُ اللَّعُوبِ، وَلَوْلَاهَا لَمَا فَكَّرَ أَبَدًا فِي بَيْعِ أَوْلَئِكَ اللَّصُوصِ».

لَمْ يَسْتَوْعِبِ چون مَا يَقُولُهُ حَضْرَةُ الْقَائِدِ، فَقَالَ: «لَا أَفْهَمُ يَا سَيِّدِي. مَاذَا حَدَّثَ لِأَبِي؟».

قال بحدة: «قلت لك اجلس»، وردّد الغداف: «اجلس!»، بينما واصل الرجل: «وتناول شرابك عليك اللعنة، هذا أمر يا سنو». جلس جون ورشف من النبيذ، فقال الدّب العجوز: «اللورد إدارد مسجون ومتهم بالخيانة. يقولون إنه تأمر مع أخوي روبرت من أجل الاستيلاء على العرش من الأمير جوفري».

- «لا، هذا مستحيل! أبي لا يمكنه أن يخون الملك أبدًا!».

- «سواء صحّ هذا أم لا فهو ليس قراري، ولا قرارك».

- «لكنها كذبة!». كيف يتصورون أن بوسع أبيه أن يكون خائنًا؟ هل فقدوا عقولهم جميعًا؟ مُحال أن يُلَوِّث اللورد إدارد ستارك شرفه، أليس كذلك؟

لكنه أنجب نغلًا، همس صوت في داخله، فأين الشرف في هذا؟ وماذا عن أمك؟ إنه يرفض مجرد ذكر اسمها.

- «ماذا سيحدث له يا سيدي؟ هل سيقتلونه؟».

- «لا أستطيع أن أفتيك في هذا يا بُني، لكنني أنوي أن أبعث رسالة. في شبابي كنتُ أعرفُ بعض مستشاري الملك، هايسل العجوز، اللورد ستانيس، السير بارستان... أيّا كان ما فعله أو لم يفعله أبوك، فهو من كبار اللوردات، ولا بُدّ أنهم سيسمحون له بارتداء الأسود والانضمام إلينا هنا. الآلهة تعلم أننا في حاجةٍ إلى رجالٍ بقدرات اللورد إدارد».

كان جون يعرف أن متهمين كثر بالخيانة سُمِحَ لهم باسترداد شرفهم على "الجدار" في الماضي، فلم لا يحدث الشيء ذاته مع اللورد إدارد؟ لكن... أبوه هنا؟ كانت الفكرة غريبة، وغير مريحة على نحوٍ غريب. إنه ظلم فادح أن يحرموه من ويترفل ويُجبروه على ارتداء الأسود، لكن طالما أن هذا يعني حياته...

وهل سيسمح جوفري بهذا؟ عادَ بذاكرته إلى الأمير في ويترفل والطريقة التي سخرَ بها من روب والسير رودريك في الساحة، بينما لم

يُلاحظ وجود چون نفسه تقريبًا، فالنُغول أدنى شأنًا من أن يحتقرهم حتى.  
«هل سيُصغي المَلِك إليك؟».

هَزَّ الدُّب العجوز كتفيه وقال: «مَلِك طفل... أعتقد أنه سيُصغي لأُمّه.  
من المؤسف أن القزم ليس هناك معهم. إنه عَمَّ الصَّبِي وقد رأى حاجتنا  
المأساة حين زارنا. كان من السيِّئ حقًا أن تأسره السيِّدة والدتك...»  
قاطعهُ چون بحدّة: «الليدي ستارك ليست أُمِّي». كان تيريون لانستر  
بمثابة صديق له، وإذا قُتِل اللورد إدارد فاللُوم يقع على الليدي كاتلين  
بقدر ما يقع على المَلِكة. «ماذا عن أُختي؟ آريا وسانزا كانتا مع أبي. هل  
تعرف...».

- «لم يذكُر پايسل شيئًا عنهما، لكن لا شكّ أنهما ستلقيان معاملةً  
حسنةً. سأسأل عنهما في رسالتي»، وهَزَّ مورمونت رأسه مُردِّفًا: «توقيت  
حدوث كلِّ هذا في غاية السُّوء بحق، والبلاد في أمْس الحاجة إلى مَلِك  
قوي... ثَمّة أيام سوداء وليالٍ باردة في انتظارنا، أشعرُ بهذا في عظامي»،  
ثم رمقَ چون بنظرةٍ متمعّنة وقال: «أملُ أنك لا تُفكّر في ارتكاب فعلٍ  
أحمق يا فتى».

أرادَ چون أن يقول: إنه أبي، إلّا أنه كان يعرف أن مورمونت لن يرغب في  
سماع شيء كهذا. شعرَ بالجفاف في حلقه، وأخذَ رشفةً أخرى من النِّبيذ.  
قال حضرة القائد: «إن واجبك هنا الآن، وحياتك القديمة انتهت  
عندما ارتديت الأسود»، وردّد طائرهُ بصوتٍ خشن: «الأسود!»، لكن  
مورمونت لم يُعِره اهتمامًا وتابع: «أيا كانوا ما يفعلونه في كينجز لاندينج  
فهو ليس من شأننا»، ولمّا لم يُجِبْهُ چون، أفرغَ العجوز ما تبقي من كوبه  
في فمه ثم قال: «يُمكنك الانصراف الآن. لن أحتاجك ثانية اليوم، وغداً  
ستُساعدني في كتابة الرّسالة».

لم يتذكّر چون أنه نهَض أو غادرَ الغرفة، وإذا به ينزل السَّلام مفكّرًا:  
هذا أبي، وهاتان أُختاي، فكيف لا يكون الأمر من شأنِي؟

في الخارج نظر إليه واحد من الحارسين وقال: «كُن قوياً يا فتى، فالآلهة قاسية».

إنهم يعرفون. «أبي ليس خائناً»، ردَّ بصوتٍ مبجوح كأن الكلمات ترغب في الالتصاق بحلقه لتخنقه. كانت سرعة الريح تتزايد، وشعر بأن الساحة أكثر برودة مما كانت قبل صعوده إلى البرج. الصيف الشبهي يدنو بعجلة من نهايته.

مرَّت بقية فترة بعد الظهر كأنه في حلم، ولم يدرِ جون حقاً أين ذهب أو ماذا فعل أو من من تكلم، وكل ما عرفه أن جوست كان معه وقد بثَّ فيه حضور الذئب الرهيب الصامت بعض الطمأنينة. الفتاتان لا تملكان الكثير. كان من الممكن أن تحميهما الذئبتان، لكن ليدي ماتت ونايميريا مفقودة. إنهما وحيدتان تماماً.

بدأت الريح الشمالية تهبُّ مع غروب الشمس، وسمعها جون تصدح بين الشرفات الجليدية على "الجدار" وهو في طريقه إلى القاعة العامة ليتناول وجبة المساء. كان هوب قد طهى حساء لحم الغزال بالشعير والبصل والجَزْر، وعندما غرفَ حصَّةً إضافيةً في طبقه وأعطاه قطعة أكبر من الخُبْز، أدركَ جون ما يعنيه هذا. إنه يعرف. تطلَّع حوله عبر القاعة ورأى الرؤوس تدور سريعاً والعيون تتجنبه. كلهم يعرفون.

احتشدَ أصدقاؤه حوله، وقال له ماثار: «طلبنا من السِّبتون أن يُشعلَ شمعةً من أجل أبيك»، وقال پيپ: «إنها كذبة، كلنا نعرف أنها كذبة، وحتى جرن يعرف أنها كذبة»، وهَزَّ جرن رأسه موافقاً، بينما ربَّت سام على يد جون قائلاً: «أنت أخي الآن، ومن ثمَّ هو أبي أيضاً. إذا أردت أن تذهب إلى أيكة الويرود وتُصَلِّي للآلهة القديمة، سأذهبُ معك».

كانت أيكة الويرود تقع وراء "الجدار"، لكنه عرفَ أن سام يعني ما قال. هؤلاء إخوتي الآن، تماماً مثل روب وبران وريكون.



ثم إنه سمع الضحكة القاسية اللاذعة كالسوط وصوت السير أليس ثورن يقول للرجال من حوله: «ليس نغلاً فحسب، بل نغل ابن خائن».

وقبل أن يرتد إليه طرفه وثبّ جون فوق المائدة وخنجره في يده. حاول بيپ الإمساك به، لكنه ملّص ساقه منه قبل أن يندفع ويركل الوعاء من يد السير أليس ليتطاير الحساء في كل مكان ويتناثر على الإخوة. تراجع ثورن فيما تعالى صياح من حوله، لكن جون لم يسمعهم وانقضّ على السير أليس مسدّداً الخنجر إلى عينيه السوداءين، وفي اللحظة التالية ألقي سام نفسه بينهما، وقبل أن يستطيع الالتفاف حوله قفز بيپ على ظهره وتعلّق به كالقرد، وأطبّق جرن على ذراعه بينما انتزع تودر الخنجر من بين أصابعه.

وبعدها، بعد أن مرّت ساعات على اقتيادهم له إلى حُجبرته، جاء مورمونت ليراه وغدافه على كتفه. «قلتُ لك ألا ترتكب فعلاً أحمق يا فتى»، قال الدّب العجوز، وردّد الطائر: «فتى!». ثم هزّ مورمونت رأسه باشمزازٍ مضيقاً: «كنتُ أحملُ آمالاً كبيرةً لك حقاً، يا للخسارة!».

أخذوا منه خنجره وسيفه، وأمرّوه بعدم مغادرة حُجبرته حتى يُقرّر القيمون ماذا يفعلون معه، ثم وضعوا حارساً على الباب كي يتأكّدوا من أنه سيُطيع الأمر، كما أنهم منَعوا أصدقاءه من زيارته، لكن الدّب العجوز لأنّ وسمح له بأن يظلّ جوست معه، فلم يكن وحيداً تماماً.

- «أبي ليس خائناً»، قال للدّب الرّهيب عندما غادروا وردّ عليه جوست بنظرة صامتة. ألصق جون ظهره بالحائط وقد أحاط رُكبتيه بيديه وحدّق في الشّمع الموضوعة على المنضدة المجاورة لفرشه الضيق. تذبذب اللهب وتمايل لتراقص الظلال من حوله، وأحسّ بالحُجيرة تزداد ظلمة وبرودة، وقال لنفسه: لن أنام الليلة.

على أن النعاس غلبه على الرغم من ذلك، فعندما أفاق شاعراً بتصلّب ساقه كانت الشّمع قد احترقت منذ فترة. رأى جوست واقفاً على قائمته

الخلفيتين يخبش الباب، وشعرَ چون بالذهشة للطول الذي صارَ عليه. نادى عليه بهدوء: «جوست، ماذا هناك؟»، وأدارَ الذئبَ الرهيبَ رأسه إليه كاشفًا عن أنيابه بزمجرة صامتة. هل جُرَّ؟ غمغم مُحاولًا ألاَّ يتبدَّى الخوف في صوته: «جوست، هذا أنا»، لكنه كان يرتجف بعُنفٍ بالفعل. متى صارَ الجَوُّ باردًا إلى هذا الحد؟

تراجعَ جوست مبتعدًا عن الباب لتظهر الخدوش العميقة التي تركتها مخالفه، وراقبه چون بتوترٍ متصاعدٍ وهمسٍ: «هناك أحد في الخارج، أليس كذلك؟». تراجعَ جوست إلى الوراء زاحفًا والفرو الأبيض ينتصب على مؤخرة عنقه. الحارس، لقد تركوا رجلًا ليحرس الباب. جوست يشمُّ رائحته لا أكثر.

نهضَ چون ببطءٍ مُدركًا أنه لا يستطيع السيطرة على رعدته وتمنَّى لو أن سيفه كان معه. ثلاث خطواتٍ سريعةٍ قاذته إلى الباب، وأمسك بالمقبض وسحبَه إلى الداخل ليجعله صرير المفصلات يكاد يشب في مكانه.

وكان حارسه ملقى على السَّلام الضيقة وعيناه ترمقان السماء... على الرغم من أنه كان ساقطًا على بطنه. هناك من لوى رأسه إلى الوراء بالكامل.

مستحيل... هذا بُرج حضرة القائد... إنه محروس ليلاً نهارًا... مستحيل أن يكون هذا حقيقيًا... هذا حلم... إنني أرى كابوسًا. مرَّ جوست به خارجًا من الباب وبدأ يصعد السَّلام، ثم توقف ونظرَ إلى چون... وكان هذا عندما سمعَ صوت الحذاء الصَّاعد على الدَّرجات الحجرية ثم صوت مزلاجٍ يُفتح. كان قادمًا من أعلى، من مسكن حضرة القائد.

قد يكون هذا كابوسًا، لكنه ليس حلمًا بالتأكيد.

كان سيف الحارس في غمده، فمالَ چون وسحبَه وجعله يُقل الفولاذ

ففي يده يتشجّع، وبدأ يصعد السَّلام وجوست يتقدّمه صامتًا. كانت الظُّلال كامنة في كلِّ رُكن، وصعدَ چون بحذرٍ شديدٍ جاسًا كلَّ قطعةٍ تُثير شكّه من الظُّلام بطرف السَّيف.

فجأةً سمع صياح غُداف مورمونت: «دُرة!»، واندفع جوست سابقًا إياه فاندفع چون بدوره ليلحق به والغُداف يصرخ: «دُرة، دُرة، دُرة، دُرة، دُرة! بلا توقّف. كان بابُ غُرْفَةِ مورمونت مفتوحًا فوثبَ الذُّئب الرَّهيب إلى الدَّاخِل، بينما وقفَ چون في المدخل وسيفه مشهور في يده ليمنح نفسه لحظةً حتى تعودَ عيناه على الظُّلام الأسود كالجبر بسبب السَّناثر الثَّقيلة المُسدّلة على النّوافذ، ثم نادى: «من هناك؟».

ثم إنه رآه، ظلًّا بين الظُّلال ينسلُّ إلى الباب الدَّاخِلِي الذي يقود إلى حُجيرة نوم مورمونت، رجلًا يرتدي معطفًا وقلنسوةً كلاهما أسودَ تمامًا... لكن تحت القلنسوة كانت العينان تشعان أزرقَّ جليديًا عميقًا...

ووثبَ جوست، وسقطَ الرَّجل والذُّئب معًا بلا صراخ أو زمجرةٍ ليتدحرجا ويرتطما بمقعديّ ويُسقطا منضدةً تكوّمت عليها الأوراق، وكلُّ هذا وغُداف مورمونت يضرب الهواء بجناحيه صارخًا: «دُرة، دُرة، دُرة، دُرة!». شعرَ چون كأنه أعمى كالمايستر إيمون في هذا الظُّلام الحالِك، فالصقَّ ظهره بالحائط وتحركَ صوب النّافذة ليشترع السَّناثر فيتدفّق نور القمر إلى داخل الغُرْفَةِ. أبصرَ يدين سوداوين مغروستين في الفرو الأبيض وأصابعٍ منتفخةٍ تُطَبِّقان على عُنق الذُّئب الرَّهيب. كان جوست يزوم ويتلوّى ويُلَوِّح بقوائمه في الهواء دون أن يستطيع التحرُّر.

لم يكن لدى چون وقت ليخاف، واندفعَ صارخًا ليهوي بالسَّيف الطَّويل واضعًا ثقله كله وراء الصُّربة، واخترقَ الفولاذ القُماش والجِلْد والعظام، لكن الصوت الذي أصدره كان غريبًا بشكلٍ ما، وفي اللّحظة التَّالية أفعمت أنفه رائحةً عجيبةً باردة جعلته يكاد يقيء ما في معدته. رأى ذراعًا ويدًا على الأرض وأصابع سوداء تتلوّى في بركةٍ من نور القمر، ثم

انتزع جوست نفسه من اليد الأخرى وتراجعَ ولسانه الأحمر يتدلَّى من فمه.

رفع ذو القلنسوة وجهه المستدير الشَّاحِب، وهوى جون عليه بالسَّيف من جديد بلا تفكير ليقطع نصفَ أنفه ويفتح شقًّا عميقًا من الوجنة إلى الوجنة تحت هاتين العينين... هاتين العينين... هاتين العينين الشَّبهيتين بنجمتين متقدتين بالأزرق. كان يعرف هذا الوجه. أو ثور... لكنه ميت... إنه ميت بحق الآلهة... لقد رأيته ميتًا.

شعرَ بشيءٍ يحثُّ بكاحله، وانغرست الأصابع السوداء في رُبلة ساقه. كانت الذراع تزحف على ساقه متمسكة بالصوف واللحم، وأطلق جون صيحة اشمزازٍ هلعٍ وهو ينتزع الأصابع عن ساقه بطرف سيفه ثم يلقيها بعيدًا لتستقرَّ على الأرض تتلوى وتنتفح وتنفلق.

وانقضت الجثة عليه دون أن تسيل منها قطرة دم وحيدة. كانت بذراع واحدة ووجهها يكاد يكون ممزقًا تمامًا، لكنها لا تشعرُ بشيءٍ، ورفع جون سيفه أمامه صائحًا بصوتٍ صاخب: «لا تقترب!»، والغداف يصرخ: «دُرة، دُرة، دُرة!». كانت الذراع المبتورة تملص من الكُم كنعبانٍ أبيض ذي خمسة رؤوسٍ سوداء، فانقضَّ عليها جوست وأطبق عليها بأسنانه ليَهشَّم العظام، وضربَ جون عُنق الجثة شاعرًا بالفولاذ يخترقها.

وارتطم به أو ثور الميت ليفقده توازنه.

أحسَّ جون بتفريغ الهواء من صدره إذ سقط على المنضدة المقلوبة بين لوحَي الكتف. السَّيف، أين السَّيف؟ لقد فقدَ السَّيف اللَّعين! وعندما فتح فمه ليصرخ، دفع الكائن أصابعه السوداء في داخله، وشعرَ جون بالاختناق وهو يُحاول إزاحتها، لكن الرَّجل الميت كان ثقيلًا جدًّا، وأفحمت يده الباردة كالثَّلج نفسها في حلقه لتحبس عنه الهواء أكثر وأكثر، بينما واجه وجهه وجه جون مباشرة ليملاً العالم، وغطى

الصَّقِيعَ العَيْنِينَ المتوهَّجتَيْنِ بالأزرق. مَزَّقَ چون اللَّحْمَ البَارِدَ بأظفاره وأخَذَ يَرُكِّلُ سَاقِي الشَّيْءِ، وحاوَلَ أَن يَقْضِمَ، حَاوَلَ أَن يَلْكُمَ، حَاوَلَ أَن يَتَنَفَّسَ ...

ثم ارتطمَ شَيْءٌ بِالْجَنَّةِ الحَيَّةِ لِيَتَنَزَّعَ الأصَابِعُ مِنْ خَلْقِهِ، وبصعوبةٍ شديدةٍ تَدْحَرَجُ چون جَانِبًا وَهُوَ يَتَهَوَّعُ وَيَرْتَجِفُ.

كَانَ جُوسْتُ مِنْ جَدِيدٍ، وَشَاهَدَ چون الذُّبِّ الرَّهيبِ يَغْرُزُ أُنْيَابَهُ فِي بَطْنِ الْكَائِنِ وَيُمَزِّقُ وَيَقْتُلِعُ أَحْشَاءَهُ، شَاهَدَ وَهُوَ يَصِفُ وَاعٍ لِلْحِظَةِ دَامَتْ طَوِيلًا قَبْلَ أَن يَتَذَكَّرَ أَن يَبْحَثَ عَنْ سَيْفِهِ ...

... وَرَأَى اللُّورْدَ مَورْمُونْتَ الْعَارِيَّ يَقِفُ مَتَمَايَلًا مِنَ النَّوْمِ وَفِي يَدِهِ يَحْمِلُ مِصْبَاحَ زَيْتٍ، وَبِلَا أَصَابِعٍ زَحَفَتْ الْيَدُ الْآخَرَى عَلَى الْأَرْضِ مَتَلَوِيَّةً نَحْوَهُ.

حَاوَلَ چون أَن يَصِيحَ لَكِنْ صَوْتًا لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ، وَبِصُعُوبَةٍ نَهَضَ يَتَرَنَّحُ وَرَكَلَ الْيَدَ بَعِيدًا، ثُمَّ اخْتَطَفَ الْمِصْبَاحَ مِنْ يَدِ الذُّبِّ الْعَجُوزِ فَتَذَذَبَ اللَّهَبُ وَكَادَ يَنْطَفِئُ، وَنَعَبَ الْغُدَافُ: «أَحْرَقْ، أَحْرَقْ، أَحْرَقْ!».

دَاثَرًا عَلَى عَقْبِهِ رَأَى چون السَّائِرَاتِ الَّتِي انْتَزَعَهَا عَنْ النَّافِذَةِ فَأَلْقَى الْمِصْبَاحَ عَلَى الْقُمَاشِ الْمَكْمُومِ بِكِلْتَا يَدَيْهِ، وَتَهَشَّمِ الْمَعْدَنُ وَالزُّجَاجُ وَتَنَاطَرَتِ الزَّيْتُ، وَفِي لَحِظَةٍ اضْطَرَمَّتِ السَّائِرَاتُ بِحَرَارَةِ شَعَرٍ بِهَا چون عَلَى وَجْهِهِ أَحْلَى مِنْ أَيِّ قُبْلَةٍ جَرَّبَهَا فِي حَيَاتِهِ، وَصَاحَ: «جُوسْتُ!»، فَتَمَلَّصَ الذُّبُّ الرَّهيبُ وَانْدَفَعَ نَحْوَهُ بَيْنَمَا كَافَحَ الْكَائِنَ لِيَنْهَضَ وَثُعَابَيْنِ سَوْدَاءَ تَتَدَلَّى مِنَ الشَّقِّ الْعَمِيقِ فِي بَطْنِهِ. غَمَسَ چون يَدَهُ فِي اللَّهَبِ وَالتَّقَطَّ حَفْنَةٌ مِنَ الْقُمَاشِ الْمَحْتَرِقِ أَلْقَى بِهَا عَلَى الرَّجْلِ الْمَيْتِ، وَبِإِسْرَافٍ رَدَّدَ لِنَفْسِهِ وَالنَّارُ تَشْتَعِلُ فِي الْجَنَّةِ: اجْعَلِيهِ يَحْتَرِقُ، أَرْجُوكِ يَا أَلْهَتِي اجْعَلِيهِ يَحْتَرِقُ، اجْعَلِيهِ يَحْتَرِقُ.



## بران

وصل آل كارستارك في صباح باردٍ عاصف، ومعهم ثلاثة من الخيالة ونحو ألفين من المشاة من قلعتهم في كارهولد ورؤوس رماحهم الفولاذية تومض في نور الشمس الشاحب مع اقتراب صفوفهم من ويتترفل، وقد تقدّمهم رجل يدقّ طبلة أكبر منح حجماً بإيقاعٍ عسكريٍّ بطيء عميق... بوم، بوم، بوم.

شاهد بران مجيئهم من بُرج حراسة أعلى السور الخارجي عبر مرصاد المايستر لوين البرونزي وهو قابع على كتفي هودور. كان اللورد ريكارد يقودهم بنفسه وإلى جواره أبناؤه هاريون وإدارد وتورين تحت راياتهم السوداء كالقار المزينة برمز عائلتهم المتمثل في شمسٍ بيضاء متفجرة. قالت العجوز نان إن دماء ستارك تجري في عروقهم منذ مئات السنين، وإن لم يبدوا لبران أنهم يُشبهون آل ستارك في الملامح. كانوا رجالاً كبار الحجم أقوىاء، تُغطّي وجوههم لحى كثة ويُطيلون شعرهم إلى ما تحت الكتفين، ويرتدون معاطف مصنوعة من جلود الدببة والفقمات والذئاب غير المدبوغة.

كان يعرف أنهم آخر الوافدين، فبقية اللوردات كانوا هنا بالفعل مع حشودهم، وشعر بران بالاشتياق للخروج بينهم ليرى البيوت الشتوية المكتظة حتى الانفجار وميدان السوق العامر بالناس في كل صباح والشوارع البالية من العربات والحوافر الرائحة والقادمة، لكن روب

منعَه من مُغَادَرَةِ القلعة قائلًا: «ليس لدينا رجال نستطيع الاستغناء عنهم ليَحْرُسُونكَ».

قال بران: «سأخذُ سَمر».

- «لا تتصرّف معي كالأطفال يا بران، فأنت تعرف أفضل من هذا. منذ ليلتين فقط طعنَ أحد رجال اللورد بولتون آخرَ من رجال اللورد سروين في "الجذع الدّاخِل". سوف تَسلُخني أمّا إذا تركتكَ تُعرّض نفسك للخطر». كان يتكلّم بصوت رُوب اللورد عندما قال هذا، فأدرك بران أن لا فُرصة لإثباته عن قراره.

عرفَ أن السَّبب هو ما حدثَ في غابة الذّئاب، والذي ما زالت ذكراه تُصيبه بأحلم سيّئة. كان عاجزًا يومها كطفلٍ رضيع، غير قادرٍ على الدّفاع عن نفسه أكثر من ريكون لو كان في الموقف نفسه، بل وأقلّ كذلك، فريكون كان سيركّلهم على الأقل. أصابه هذا بالخجل. إنه أصغر من رُوب بخمسة أعوام فقط، فإذا كان أخوه يكاد يصير رجلًا بالغًا فهذا ينطبق عليه أيضًا. كان ينبغي أن يتمكّن من حماية نفسه.

منذ عام واحد، قبل ما حدثَ، كان ليزور البلدة رغم كلِّ شيءٍ حتى لو تسلّق الأسوار. في تلك الأيام كان يستطيع أن ينزل السّلالم جريًا، ويمتطي حصانه القزم ويترجّل عنه بمفرده، ويحمل سيفًا خشبيًا يكفي لإسقاط الأمير تومن في التّراب، أمّا الآن فلا يستطيع غير المُشاهدة من خلال أنبوب عدسات المايستر لوين. كان المايستر قد علّمه الرُّموز على الرّايات: قبضة آل جلوفر المحاطة بالحلقات المعدنية الفضيّة على راية قرميّة، دُب الليدي مورمونت الأسود، الرّجل المسلوخ البشع الذي يسبق رووس بولتون سيّد معقل الخوف، موظ آل هورنود القوي، بلطة آل سروين الحربيّة، أشجار الحارس الثّلاث على راية آل تولهارت، ورمز آل أومبر المخيف الذي يُصوّر عملاقًا يزأر محطّمًا أغلاله.

سرعان ما حفظَ وجوههم كذلك، عندما جاء اللوردات مع أبنائهم

وفُرسانهم وخدمهم إلى ويترفل لحضور المآدب التي أقامها لهم روب. لم تكن القاعة الكبرى نفسها كبيرة بما يكفي لاحتوائهم جميعًا، فاستضاف روب كلًا من كبار حملة الرّاية على حدة، وفي كلّ مرّة أُعطي بران مكان الشّرف على مائدة أخيه وجلس إلى يمينه. حدّق فيه بعض اللوردات بنظرات غريبة قاسية وهو جالس هناك، كأنهم يتساءلون بأيّ حقّ يجلس ولد أخضر مثله في مكانٍ أعلى منهم، لاسيّما أنه كسيح كذلك.

سأل بران المايستر لوين واللورد كارستارك وأبناءؤه يدخلون من البوابة الخارجيّة: «كم العدد الآن؟».

- «اثنا عشر رجلًا أو ما يقرب من هذا، لا فارق».

- «وكم فارسًا بينهم؟».

- «عدد قليل»، أجاب المايستر بشيء من الضّجر. «كي تُصبح فارسًا، يجب أن تقف في السّبت وتُضَمَّخ بالزُّيوت السّبعة كي تأخذ قِسمك، لكن في الشّمال يُعبّد عدد قليل من العائلات الكبيرة "السّبعة"، بينما يُعبّد البقية الآلهة القديمة ولا يُنصّبون فرسانًا... لكن هؤلاء اللوردات وأبناءهم وسلاحداريّتهم لا يَقْلُون قوّة أو وفاء أو شرفًا، فقيمة الرّجل لا تُحدّدها كلمة "سير" التي تسبق اسمه كما قلتُ لك مئة مرّة من قبل».

- «نعم، لكن كم فارسًا هنالك؟».

زفر المايستر لوين وقال: «ثلاثمئة أو ربما أربعمئة... بين ثلاثة آلاف من حملة الرّماح المدرّعين الذين ليسوا فرسانًا».

قال بران مفكرًا: «اللورد كارستارك آخر القادمين، وروب سيستضيفه اللّيلة».

- «بالأكيد».

- «كم من الوقت قبل أن... قبل أن يرحلوا؟».

أجاب المايستر: «يجب أن يتحرّك أخوك قريبًا أو لا يتحرّك على الإطلاق. البلدة الشّتوية ممتلئة عن آخرها بالرّجال، وجيشه هذا سيأتي



على كل ما في الرّيف من طعام إذا بقي هنا لفترة أطول. هناك آخرون ينتظرون الانضمام إليه على طريق الملوك، فرسان من منطقة الرّواي ورجال من منطقة المستنقعات، بالإضافة إلى اللوردين ماندرلي وفلينت. لقد بدأ القتال في أراضي النّهر بالفعل، وأخوك أمامه فراسخ كثيرة يجب أن يقطعها».

قال بران شاعرًا بالبؤس الذي تبدّى في صوته: «أعرفُ هذا»، وناول الأنبوب البرونزي إلى المايستر. لاحظَ كم صارَ شعر لوين خفيفًا على رأسه حتى أنه رأى فروة رأسه الوردية بوضوح، وشعرَ بغربة رؤيته له من أعلى هكذا بعد أن قضى حياته كلها في النّظر إليه من أسفل، لكنك تنظرُ إلى الجميع من أعلى وأنت جالس على كتفي هودور. «لم أعد أرغب في المشاهدة. هودور، أعدني إلى القلعة».

— «هودور».

دسّ المايستر الأنبوب في كُفّه، وقال: «بران، السيّد أخوك لن يملك الوقت لرؤيتك، فعليه أن يُحيي اللورد كارستارك وأبنائه ويستقبلهم بنفسه».

رَبّت بران على كتف هودور قائلاً: «لن أزعج روب. أريدُ أن أزور أيكّة الآلهة. هيا بنا يا هودور».

تكوّن السّلالم من سلسلة من الدّعامات الخشبيّة المقطّعة بالإزميل والمثبتة في جدار البرج الدّاخلي الجرانيتي، ودندن هودور بلحنٍ عشوائيٍّ وهو ينزل وبران يتميّل على ظهره في سلّة الأماليد المجدولة التي صنعها له المايستر لوين، والذي استوحى الفكرة من السّلال التي تضعها النّساء على ظهورهنّ ويحملن فيها الحطب، وبعدها كان من السّهل أن يقطع فتحتين يدسّ بران فيهما قدميه ويثبت عددًا من الأحزمة الجديدة لتوزيع وزنه بالتساوي. لم يكن هذا ممتعًا كركوبه لدانسر، لكن ثمة أماكن لا تستطيع المهرة دخولها، ولم يُصب هذا بران بالخجل كما كان يحدث

عندما يحمله هودور بين ذراعيه كالرضيع. بدا أن هودور يستمتع بحمله كذلك، وإن كان من الصعب أن تُحدّد حقيقة مشاعره، والجزء الوحيد الذي كان يتطلب الحذر هو عبور الأبواب، فأحيانًا كان هودور ينسى أنه يحمل بران على ظهره، وهو الشيء الذي من شأنه أن يكون مؤلمًا حقًا وأنت تدخل من الباب!

لما يقرب من أسبوعين وأعداد القادمين والذاهبين كبيرة للغاية، حتى أن روب أمر بأن تظلّ الشبكتان الحديديتان مرفوعتين والجسر المتحرك بينهما مُترلاً طوال الوقت، حتى في جوف الليل. كان طابور طويل من حاملي الرماح المدرّعين من رجال كارستارك الذين يتبعون قادتهم يقطع الخندق بين السورين الخارجي والداخلي عندما خرج بران من البرج، وقد ارتدى كل منهم خوذة سوداء قصيرة من الحديد ومعطفًا صوفيًا أسود نُفِشت عليه الشمس البيضاء المتفجرة، وهروّل هودور إلى جوارهم مبتسمًا لنفسه وحذاؤه يضرب خشب الجسر المتحرك بصوت مكتوم. رمقهما الراكبون بنظراتٍ متعجّبة وهما يمرّان، بل وسمع بران أحدهم يُطلق ضحكة ساخرة، لكنه رفض السماح لهذا بأن يُزعجه. «سيُحدّقون فيك»، قال له المايستر لوين في أول مرّة ثبتّوا فيها السلة على ظهر هودور. «سيُحدّقون فيك ويتكلّمون عنك، وبعضهم سيسخر منك»، وفكّر بران: فليسخروا. لم يكن أحديسخر منه في غرفة نومه، لكنه لن يقضي بقية حياته في الفراش.

أثناء مرورهما تحت شبكة البوابة الداخلية الحديدية، وضع بران إصبعين في فمه وأطلق صفيّرًا، وجاء سمر يتوائب عبر الساحة، وفجأة كان حاملو رماح كارستارك يُكافحون للسيطرة على خيولهم التي تراجعت صاهلة برعب، ورفع أحدها قائمته الأماميتين صارخًا بينما يسبّ راكبه ويحاول التمسك به. دائمًا ما تُصيب رائحة الذئاب الرهيبة الخيول بنوبة من الهياج إذا كانت غير معتادة عليها، لكنها سرعان ما تهدأ بمجرد اختفاء سمر. قال بران مُذكّرًا هودور: «أيكة الآلهة».

حتى ويتترفل نفسها كانت مزدحمة تماماً، وفي السّاحة تردّت أصوات السيّوف والفؤوس والعربات ونباح الكلاب. كان باب مستودع السّلاح مفتوحاً، ولمح بران ميكن في ورشته يدقّ بمطرقة والعرق يسيل على صدره العاري. لم ير بران كل هذا العدد من الغرباء في حياته كلها، حتى عندما جاء المَلِك روبرت لزيارة أبيه. حاول ألا يُجفل عندما انحنى هودور عبّراً الباب الواطئ قبل أن يسير به في رواق مظلم وسمر يتحرّك إلى جواره. كان الذّئب يرفع رأسه بين الحين والآخر لينظر إليه بعينين كالذهب المصهور، وأراد بران أن يلاعبه لكنه كان أعلى من أن تصل إليه يده.

كانت أَيْكة الآلهة جزيرةً من السّلام في بحر الضّجيج الذي صارتَه ويتترفل، وشقّ هودور طريقه بين صفوف أشجار السّنديان والصّلب والحارس الكثيفة إلى البركة الرّائدة عند شجرة القلوب، وتوقّف تحت غصون الويروود وهو لا يزال يُدندن، فرفع بران يديه فوق رأسه وسحب نفسه من جلسته ساحباً وزن ساقيه الميت من فتحتي السّلة، وتعلّق للحظة والأوراق الحمراء تمسّ وجهه حتى رفعه هودور وأنزله على الحجر الأملس المجاور للبركة، ثم قال بران: «أريد أن أكون وحدي قليلاً. اذهب للسّباحة في البرك الساخنة».

- «هودور»، قال هودور وابتعد ليختفي بين الأشجار. عبر أَيْكة الآلهة، تحت نوافذ المضيقة، يقع ينبوع ساخن تحت الأرض يُغذي ثلاث برك صغيرة، فكان البخار يتصاعد من المياه طوال اللّيل والنّهار، ينمي اكتسى الجدار العالي الذي يُطلّ على البرك بطبقة سميكة من الطّحلب. كان هودور يكره المياه الباردة، ويُقاوم كقطّ بريّ مُحاصر فوق شجرة عندما يهدّدونه بتحميمه بالصّابون، لكنه يغمر نفسه بمنتهى السّعادة في أكثر البرك سخونة ويجلس هناك لساعات ويتجشّأ بصوت عالٍ ليحاكي ينبوع كلما خرجت فقاعة من الأعماق الخضراء المظلمة لتنفجر على السّطح.

شربَ سَمَر من الماء ثم استقرَّ إلى جوار بران الذي داعبَ الذئبَ تحت فُكَّه، ولفترة وجيزة شعرَ الصَّبي والحيوان بالسَّلام. لطالما أحبَّ بران أَيْكة الآلهة، حتى قبل سقوطه، وإن وجدَ نفسه منجذبًا إليها أكثر وأكثَر في الفترة الأخيرة، وحتى شجرة القلوب لم تُعذُّ تُخيفه كما كانت تفعل من قبل. كانت العينان الحمرانِ العميقتان المحفورتان في الجذع ما زالتا تُراقبانه، لكنه أصبحَ يستمدُّ الرَّاحة بشكلٍ ما من هذا الآن. الآلهة تتطلَّعُ إليه، آلهة آل ستارك والبشر الأوائِل وأطفال الغابة، آلهة أبيه، وهو يَشعُر بالأمان تحت أنظارها ويستطيع التَّفكير وسط صمت الأشجار العميق. منذ سقطته وبران يُفكِّر كثيرًا، ويَحُلُم، ويُخاطِب الآلهة.

بصوتٍ خافتٍ صلَّى وهو يُحرِّك يده في المياه الباردة لِيتموِّج سطحها: «أرجوكِ لا تجعلِي روب ير حل، أرجوكِ اجعليه يقي. أو، إذا كان لا بُدَّ أن يذهب، فأعيديه آمنًا مع أبي وأمي والفتانين، واجعلي... اجعلي ريكون يفهم».

كان أخوه الأصغر يتصرَّف بضراوة كعاصفةٍ شتويَّة منذ عرفَ أن روب ذاهب إلى الحرب، يتبدَّل مزاجه بين الحُزن والغضب طوال الوقت، ورفضَ أن يأكل وظلَّ يبكي ويصرُخ طوال ليلةٍ كاملة، بل ولكمَّ المعجوز نان عندما حاولت أن تُغَنِّي له أغنيةً حتى ينام، وفي اليوم التالي اختفى تمامًا. أرسلَ روب نصف القلعة بحثًا عنه، وحين عثروا عليه أخيرًا في السَّرايب تحت القلعة هاجمهم ريكون بسيفٍ حديديٍّ صدئٍ أخذَه من على حجر أحد الملوك الموتى، وخرجَ شاجيدوج مُزْمِجًا سائل اللُّعاب من الظَّلام كشيطانٍ أخضرَ العينين. كان الذئب يوشك على أن يكون ضارياً كريكون، وقد عَضَّ جايغ في ذراعه ومزَّق قطعةً من اللحم من فخذ ميكن، وتطلَّبتِ الأمرُ روب نفسه ومعه جراي ويند للسيطرة عليه. كان فارلن يُقيِّد الذئب الأسود بالسَّلاسل في وجار الكلاب الآن، ما جعلَ ريكون يبكي أكثر لغياب صديقه عنه.

نصح المايستر لوين روب بأن يبقى في ويتترفل، وكذلك توسّل إليه بران من أجله ومن أجل بران، لكن أخاه هزّ رأسه رافضاً وقال بعناد: «إنني لا أرغب في الذهاب، لكنني مضطرّ».

ما قاله روب كان نصف حقيقي، فعلى أحدهم أن يذهب للدفاع عن "العنق" ويساعد آل تلي في قتالهم ضد جيش لانستر وبران يتفهم هذا، لكن ليس من الضروري أن يكون هذا الأحدث روب نفسه. كان من الممكن أن يُعطي أخوه القيادة لهال مولين أو ثيون جرايچوي أو أحد اللوردات حملة الرّاية، وألحّ عليه المايستر لوين أن يفعل ذلك، لكن رفض أخيه كان قاطعاً، وقال بصوت روب اللورد: «لم يكن أبي ليرسل رجاله إلى حتفهم أبداً بينما يتواري كالجناء وراء أسوار ويتترفل».

كان روب أشبه بالغريب في نظر بران الآن، تحوّل، صار لوردًا بمعنى الكلمة على الرغم من أنه لم يشهد يوم ميلاده السادس عشر بعد، وكان من الجليّ أن حملة راية أبيه أنفسهم قد أحسّوا بهذا. كثيرون منهم حاولوا اختباره، كلّ منهم بطريقته الخاصّة، فطلب كلّ من رويس بولتون وروبت جلوفر أن يكون له شرف قيادة المعارك، الأول بلهجة فظة والثاني بابتسامة هازئة، أمّا ميج مورمونت الممتلئة ذات الشعر الأشيب التي ترتدي الحلقات المعدنية كالرجال فقد قالت لروب بلهجة جافّة إنه صغير بما يكفي لأن يكون حفيدها وليس من حقّه أن يُملّي عليها الأوامر... لكن يتصادف أن لديها حفيدة على استعداد أن تُزوّجها منه. كان اللورد سروين ذو النبرة الناعمة قد أحضر ابنته معه في الحقيقة، وكانت فتاةً بدينةً تقليديّة الملامح في الثلاثين من العمر جلست إلى يسار أبيها ولم ترفع عينيها عن طبقها مرّة. اللورد هورنود المرح كان بلا بنات، وإن أتى ومعه هدايا، في يوم حصان وفي اليوم التّالي فخذ غزالٍ للشّواء وبوق صيد مغلف بالفصّة في اليوم الذي بعده، ولم يطلب شيئاً في المقابل... أيّ شيء باستثناء معقلٍ معيّن أخذ

من جدّه، وحقوق الصّيد شمال أخذودٍ معيّن، والإذن ببناء سدٍّ على نهر السّكّين الأبيض... إذا سمح اللورد روب بالطّيع.

أجاب روب كلّاً منهم بكياسة باردة، تمامًا كما كان أبوه ليفعل، وبشكل ما أخضعهم لإرادته.

وعندما هدّد اللورد أومبر، الذي كان يُلقَّب بـجون الكبير من رجاله ويُنَاهِز هودور طولاً ويفوقه عرضاً، بأن يأخذ قوّاته ويعود من حيث جاء إذا وضعه روب وراء رجال هورنوود أو سروين في ترتيب القتال، قال له روب إنه يستطيع أن يفعل هذا بالتأكيد، وأضاف وهو يُداعِب جِراي ويند وراء أذنه: «وعندما ننتهي من قتالنا مع آل لانستر، سنعود إلى الشّمال وننتزعك من قلعتك ونشُفِّق كحانثٍ بالقسم». مُطلقاً شتيمَةً غاضبةً طوّح جون الكبير بإبريق من المِزر في النّار وجارَ بأن روب محض فتى أخضر حتى أنه من المؤكّد أن العُشب يَخْرُج مع بوله، وعندما تحرّك هالس مولين لتكبيله أسقطه أرضاً وقلبَ مائدةً واستلَّ أكبر وأقبح سيفٍ عظيم رآه بران على الإطلاق، وبطول الدّكك وثبَّ جميع أبنائه وإخوته وسلاحداريّته واقفين ومدّوا أيديهم إلى سيوفهم. غير أن روب اكتفى بأن قال كلمةً واحدةً هادئةً، وفي غمضة عينٍ كان اللورد أومبر على ظهره وسيفه يدور على الأرض على بُعد ثلاثة أقدام منه والدّم يسيل من يده حيث قضمَ جِراي ويند اثنين من أصابعه، وقال روب: «السّيّد والذي علّمني أن رفع السّلاح في وجه سيّدك الذي تدين له بالولاء عقوبته الموت، لكن لا شكّ أنك كنت تنوي تقطيع لحمي لي لا أكثر». شعرَ بران بمعدته تنقلب واللورد أومبر يُكافِح للنّهوض وهو يَمُصُّ الدّم من مكان إصبعيه المبتورين... ثم -وعلى نحوٍ أثارَ ذهوله- انفجر الرّجل الضّخم ضاحكاً وقال بصوته الهادر: «لحمك قاسٍ حقاً!».

وبشكلٍ ما غدا جون الكبير بعد هذا ذراع روب اليمنى وأوفى مُناصريه، يصيح في كلّ من هبَّ ودبَّ أن الصّبي من دم ستارك بحق،

وخير لهم أن يخضعوا لهم ما لم يكونوا يرغبوا في أن يتذوق الذئب  
الرَّهيبَ لهمهم.

لكن في تلك اللَّيلة جاء روب إلى غُرفة نوم بران ممتنع الوجه مهزوزًا  
بعد أن كادت النَّارُ تخدم في القاعة الكُبرى، وقال معترفًا: «حسبتُ أنه  
سيقتلني. هل رأيت كيف طرَحَ هال أرضًا كأنه ليس أكبر حجمًا من  
ريكون؟ كنتُ خائفًا للغاية حقًا. كما أن جون الكبير ليس أسوأهم، بل  
أعلاهم صوتًا فحسب. اللورد رووس لا يقول شيئًا أبدًا، بل ينظر إليَّ  
فقط فلا أقوى على التَّفكير في شيءٍ غير تلك الغُرفة التي لديهم في معقل  
الخوف، حيث يُعلّقون جلود أعدائهم المسلوخة».

قال بران وقد تسَلَّلت نبرة شكٍّ إلى صوته: «لكنها مجرد واحدة من  
حكايات العجوز نان، أليس كذلك؟».

هَزَّ روب رأسه يارهاقي وأجاب: «لا أدري. اللورد سروين ينوي أن  
يأخذ ابنته جنوبًا معنا لتطهو له كما يقول. ثيون متأكّد من أنني سأجدُ الفتاة  
في فراشي ذات ليلة. ليت... ليت أبي كان هنا».

كان هذا الشَّيء الوحيد الذي يتَّفَق عليه ثلاثتهم، بران وريكون  
وروب، فكلهم يتمنّى لو أن أباهم كان هناك بينهم. لكن اللورد إدارد كان  
على بُعد ألف فرسخ، سجينًا في زنزانية ما أو هاربًا طريدًا يُناضل للحفاظ  
على حياته أو ميتًا حتى. لا أحد كان يعرف على وجه التَّأكيد، وكلُّ مُسافرٍ  
كان يحكي قصَّةً مختلفةً أكثر إثارةً للخوف من سابقتها: رؤوس رجال  
اللورد إدارد تتعفن على الخوازيق على أسوار القلعة الحمراء، اللورد  
إدارد قتلَ المَلِك روبرت بيديه، آل باراثيون فرَّضوا الحصار على كينجز  
لاندنچ، اللورد إدارد فرَّ جنوبًا مع أخيه المَلِك المُخادع رنلي، كلب  
الصَّيد قتلَ أربا وسانزا، الليدي كاتلين قتلت العفريت وعلقت جثته على  
أسوار ريفرذَن، اللورد تايوين لانستر يزحف على "العُش" مُحَرِّقًا وقائلاً  
كلَّ شيءٍ في طريقه؛ ناهيك عن القصَّاص السَّكَّير الذي ادَّعى أن ريجار

تار جارين قد بُعِثَ من قبره ليحشد جيشاً عرمرماً من الأبطال القدامى في دراجونستون ليسترَدَّ عَرشَ أبيه.

لم تَبْدُ الحقيقة القاسية أقلَّ إثارةً للدهشة عندما الغُدا ف حاملاً الرِّسالة مختومةً بختم أبيه ومكتوبةً بخط يد سانزا، ولم ينسَ بران التَّعبير على وجه أخيه حين قرأ كلمات أختهما: «تقول إن أبي تأمرَ مع أخوي المَلِك وارْتَكَبَ خيانةً عَظْمى. المَلِك روبرت مات، وأنا وأمِّي نَمَّ استدعاؤنا إلى القلعة الحمراء لِنُقَسِمَ بالولاء لجوفري. تقول إننا يجب أن نكون مُخلصين، وعندما تزوِّج من جوفري ستلمس منه أن يعفو عن حياة أبي»، وَضَمَّ قبضته ليسحق رسالة سانزا في داخلها مضيئاً: «ولا تَذْكُر شيئاً عن آريا، لا شيء، ولا كلمة واحدة. تَبَّأ لها! ماذا خطب هذه الفتاة؟». شعرَ بران بالبرد يتغلَّفه من الدَّاخل، وبتخاذُلٍ قال: «لقد فقدت ذِبتَها»، متذكِّراً اليوم الذي عادَ فيه أربعة من رجال أبيه من الجَنُوب حامِلين رفات ليدي، وكبف بدأ سمر وجراي ويند وشاجيدوج يعوون بأصوات حزينه قبل أن يَعْبُرَ الرِّجال الجسر المتحرِّك حتى. في ظلال القلعة الأولى تقيع باحة عتيقة ملائى بنباتات الأشنة الشَّاحبة، فيها شواهد القبور التي دفنَ فيها ملوك السَّناء القُدماء خدَمهم المخلصين، وهناك دَفَنوا ليدي بينما تحرَّك إخوتها الثلاثة بين القبور كظلالٍ قلقة. لقد ذهبَت جَنُوباً ولم يرجع منها غير رفاتِها.

جَدُّهم اللورد ريكارد ذهبَ جَنُوباً كذلك ومعه ابنه براندون أخو أبيهم ومثان من أفضل رجاله ولم يرجع أحد منهم، وأبوهم ذهبَ جَنُوباً بدوره ومعه آريا وسانزا وجوري وهالن وتوم السَّمين والآخرين، وبعده ذهبَت أمُّه والسير رودريك، وكلهم لم يرجعوا؛ والآن يزمع روب الدُّهاب أيضاً، ليس إلى كينجز لاندنج لِنُقَسِمَ بالولاء للمَلِك الجديد، بل إلى ريفرزن وسيفه في يده. وإذا كان السَّيِّد والدهم سجيناً بالفعل، فهذا يعني موته لا محالة، وأثَّارَ هذا رُعب بران أكثر مما يستطيع التَّعبير.



- «احفظي روب إذا كان لا بُدَّ أن يذهب»، قال بران متضرِّعًا للآلهة وهي تُراقبه بعيني شجرة القلوب الحمراءوين. «واحفظي رجاله، هال وكوينت وبقيتهم، واللورد أومبر والليدي مورمونت وبقية اللوردات... وثيون أيضًا على ما أعتقد. احفظيهم واجعليهم في أمان إذا سمحت أيتها الآلهة. ساعديهم على هزيمة آل لانستر وإنقاذ أبي وإعادته سالمًا».

تنهَّدت ريح خفيفة عبر أيكة الآلهة وتحركت الأوراق الحمراء وهمست، وكثر سمر عن أنيابه عندما سمعا صوتًا يقول: «هل تسمعها يا فتى؟».

رفع بران رأسه ليرى أوشا واقفةً على الجانب الآخر من البركة تحت شجرة سنديان قديمة والأوراق تُظلل وجهها. حتى وهي مكبلة بالحديد كانت الهمجية تتحرك بهدوء ورشاقة قطعة. دار سمر حول البركة وتشممها وأجفلت المرأة الطويلة، فنادى بران عليه، ليتشممها الذئب مرةً أخيرة قبل أن يدور ويعود إلى صاحبه. «ماذا تفعلين هنا؟». لم يكن قد رأى أوشا منذ أسروها في غابة الذئاب، وإن علم أنهم أرسلوها للعمل في المطابخ.

قالت أوشا: «إنها آلهتي أيضًا، الآلهة الوحيدة وراء "الجدار"». كان شعرها البني الأشعث قد بدأ يطول ليجعلها تبدو كامرأة أكثر، هذا والفستان البني البسيط المصنوع من القماش الخشن الذي أعطوها إياه عندما أخذوا منها الحلقات المعدنية والجلد الذي كانت ترتديه. «جايج يسمح لي بالصلاة بين الحين والآخر عندما أشعر بالحاجة، وأتركه أنا يفعل ما يشاء تحت ثيابي عندما يشعر بالحاجة. لا أهتم كثيرًا. الحقيقة أنني أحب رائحة الدقيق على يديه، كما أنه ألطف من ستيف»، ثم انحنّت قائلة: «سأتركك الآن. هناك قدور يجب أن أنظفها».

قال بران: «لا، ابقِي. أخبريني ماذا قصدت بسماع الآلهة».

رمقته أوشا بامعان وقالت: «لقد دعوتها وها هي تُجيب. افتح أذنيك وأصغ وستسمع».

أصغى بران قليلاً ثم قال بشك: «إنها الرِّيح لا أكثر، حفيف الأشجار».  
 - «ومن تحسبه يُرسل الرِّيح إن لم يكن الآلهة؟»، وجلست عبر البركة  
 في مُواجهته وقبورها ترن بصوتٍ خفيض مع حركتها. كان يمكن قد بُتت  
 أغلالاً حديديةً بكاحليها تربطها سلسلة ثقيلة، فكانت تستطيع المشي  
 بشرط أن تمشي بخطواتٍ ضيقة، وإن كان من المستحيل أن تجري أو  
 تتسلق أو تركب حصاناً. «إنها تراك يا فتى وتسمعك تتكلم، وهذا الحفيف  
 هو صوت ردّها عليك».  
 - «وماذا تقول؟».

- «إنها حزينة. لن يجد أخوك عوناً منها حيث سيذهب، فالآلهة  
 القديمة لا تملك أيّ قوّة في الجنّوب. أشجار اليرودد هناك قُطعت كلها  
 منذ آلاف السنين، فكيف تُراقب أخاك بلا أعين؟».

لم يكن بران قد فكّر في هذا وشعر بالخوف. إذا كانت الآلهة نفسها  
 لا تستطيع مُساعدة أخيه، فأبى أمل هنالك؟ لعلّ أوشا لا تسمعها على  
 نحو سليم. رفع رأسه وحاول الإصغاء من جديد، وخطر له أنه يسمع نبرة  
 الحُزن في حفيف الأشجار الآن، لكن لا شيء أكثر من هذا.

تعالى الحفيف، وسمع بران خطوات أقدام مكتومة ودندنة خفيفة،  
 قبل أن يخرج هودور متخبّطاً من بين الأشجار، عارياً يتسم. «هودور!».  
 - «لا بدّ أنه سمع أصواتنا»، قال بران. «هودور، لقد نسيت ثيابك».

- «هودور». كان مبتلاً تماماً من العُنق إلى القدمين والبُخار يتصاعد  
 من جسده في الهواء البارد، وقد غطّى الشعر البني الكثيف جسده كله  
 كالقروّة، بينما تدلّى قضيبه بين ساقيه طويلاً ثقيلاً، ورمقته أوشا وقالت  
 باسمه: «رجل كبير حقاً. دماء العمالقة تسري في عروقه وإلا فأنا المَلَكَة».

- «المَايستر لوين يقول إنه لم يَعدْ هناك عمالقة، يقولون إنهم ماتوا  
 جميعاً مثل أطفال الغابة، وكلّ ما تبقي منهم هو عظامهم المدفونة في  
 الأرض التي يكتشفها الرّجال بالمحاريث من حينٍ إلى آخر».

قالت أوشا: «فليذهب المايستر لوين وراء "الجدار" وسيجد العمالقة أو يجده. أخي قتل واحدة منهم. كانت تبلغ عشرة أقدام طولاً، وهذا أقصر من المعتاد بالمناسبة، فمعروف عنهم أن طولهم يصل إلى اثني عشر وثلاثة عشر قدماً. إنهم بالغو القوة، الشعر يكسوهم وأسنانهم شديدة الحدة، وللزوجات لحى كأزواجهنّ فلا تستطيع التفريق ذكورهم وإناثهم. تتخذ نساؤهم من رجال البشر عُشاقاً لهم، ومنهنّ يأتي المهجنون، لكن الأمر أصعب بالنسبة للنساء البشريّات اللاتي يُوقعون بهنّ، فقضبان رجالهم ضخمة لدرجة أنها تقسم المرأة إلى نصفين قبل أن يزرع رجل منهم بذرتة فيها»، وابتسمت مضيفة: «لكنك لا تدري عمّا أتكلّم، أليس كذلك؟».

ردّ بران بإصرار: «نعم، أدري». كان يفهم معنى الجماع، وكثيراً ما رأى الكلاب في السّاحة، وفي مرّة رأى فحلاً يعتلي فرساً، لكن الكلام عن هذا كان يُصيبه بعدم الرّاحة. نظر إلى هودور وقال: «اذهب وأحضر ثيابك يا هودور، هيا».

- «هودور»، وعادَ من حيث أتى منحنيّاً تحت فرع شجرة واطى.  
فكّر بران أن صبيّ الاسطبل ضخم الحجم حقّاً، وسأل أوشا بلهجة مرتابة وهو يُراقبه يذهب: «هل هناك عمالقة وراء "الجدار" حقّاً؟».

- «عمالقة وما هو أسوأ منهم أيها اللورد الصّغير. لقد حاولتُ أن أقول لأخيك عندما ألقى عليّ أسئلته، هو والمايستر وذلك الصّبيّ المبتسم دائماً جرايچوي. الرّيح الباردة تهبُّ والرّجال الذين يُغادرون مكانهم عند النّار لا يرجعون أبداً... وإذا رجعوا فإنهم لا يعودون رجالاً، بل جثثاً حيّةً بأعينٍ زرقاء وأيدي سوداء باردة. لماذا تحسّبني فررتُ جنوباً مع ستيف وهالي وبقية هؤلاء البلّه؟ مانس يعتقد أنه سيُحارب، ذلك الرّجل الشّجاع العنيد الأحمق، كأن المُشاة السّاحبين مجرد جوّالة، لكن ماذا يعرف حقّاً؟ يُمكنه أن يدعو نفسه ملك ما وراء الجدار كما يشاء، لكنه ما

زال مجرّد غُرَابٍ أَسْوَدَ عَجُوزَ قَرٍّ مِنْ بُرْجِ الظَّلَالِ مِنْذُ سِنَوَاتٍ وَلَمْ يَتَذَوَّقْ طَعْمَ الشَّتَاءِ الْحَقِيقِيِّ قَطُّ. أَنَا وُلِدْتُ هُنَاكَ أَيُّهَا الصَّغِيرُ، مِثْلَ أُمِّي مِنْ قِبَلِي وَأُمِّي مِنْ قِبَلِهَا وَأُمِّي مِنْ قِبَلِهَا، وُلِدْتُ بَيْنَ شَعْبِ الْأَحْرَارِ؛ وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ، وَنَهَضْتُ أَوْشًا يَصْحَبُهَا رَنِينَ الْقَبُودِ وَأَضَافْتُ: «بِالْأَمْسِ فَقَطْ حَاوَلْتُ أَنْ أَقُولَ لِأَخِيكَ اللُّوردِ الصَّغِيرِ عِنْدَمَا رَأَيْتَهُ فِي السَّاحَةِ، نَادَيْتُ عَلَيْهِ بِاحْتِرَامٍ كَمَا يَرُوقُ لَكُمْ، لَكِنَّهُ نَظَرَ عِبْرِي كَأَنِّي لَوْحٌ مِنَ الزُّجَاجِ، وَذَلِكَ الْأَحْمَقُ جُونُ أَوْمِرِ الْكَبِيرِ دَفَعَنِي عَنِ الطَّرِيقِ. لَيْكِنْ إِذْنِ، سَارْتَدِي قِيُودِي وَأَلْزَمُ الصَّمْتَ. الرَّجُلُ الَّذِي يَرْفُضُ الْإِصْغَاءَ لَنْ يَسْمَعَ شَيْئًا».

- «أخبريني أنا. روب سيُصْغِي لِي».

- «حقًا؟ سَنَرَى. أَخْبِرْهُ بِهَذَا أَيُّهَا اللُّوردِ الصَّغِيرُ، أَخْبِرْهُ أَنَّهُ مَصْمُومٌ عَلَى التَّحَرُّكِ فِي الْأَتَّجَاهِ الْخَاطِئِ. يَجْدُرُ بِهِ أَنْ يَزْحَفَ بِجَيْشِهِ شِمَالًا، شِمَالًا وَلَيْسَ جَنُوبًا، هَلْ تَسْمَعُنِي؟».

أومًا بران برأسه وقال: «سأخبره».

لكن روب لم يكن معهم أثناء المأدبة في القاعة الكبرى ليلتها، وبدلًا من هذا تناولَ طعامه فِي غُرْفَتِهِ مَعَ اللُّوردِ رِيكَاردَ وَجُونِ الْكَبِيرِ وَبَقِيَّةَ اللُّوردَاتِ حَمَلَةَ الرَّأْيَةِ لِتَجْهِيْزِ الْخَطَطِ الْآخِرَةِ لِلزَّحْفِ الطَّوِيلِ الْقَادِمِ، وَوَقَعَ عَلَى عَاتِقِ بَرَانٍ أَنْ يَحْتَلَّ مَكَانَهُ عَلَى الْمَائِدَةِ وَيَلْعَبَ دُورَ الْمُضِيفِ مَعَ أَبْنَاءِ اللُّوردِ كَارِسْتَارِكِ وَأَصْدِقَائِهِ. كَانُوا قَدْ اتَّخَذُوا أَمَاكِنَهُمْ بِالْفِعْلِ عِنْدَمَا حَمَلَ هُودُورُ بَرَانٍ إِلَى الْقَاعَةِ عَلَى ظَهْرِهِ وَانْحَنَى إِلَى جِوَارِ الْمَقْعَدِ الْعَالِي، وَرَفَعَهُ اثْنَانِ مِنَ الْخُدَمِ مِنَ السَّلَّةِ وَهُوَ يَشْعُرُ بِكُلِّ عَيْنٍ فِي الْقَاعَةِ مُسَلِّطَةً عَلَيْهِ وَقَدْ سَادَ الصَّمْتُ التَّامُّ. قَالَ هَالِسُ مَوْلِينَ: «أَيُّهَا السَّادَةُ، بَرَانْدُونُ سْتَارِكُ ابْنُ وَيْتَرْفَلِ»، فَرَدَّدَ بَرَانُ بِجُمُودٍ: «أَرْحَبُ بِكُمْ عِنْدَ نِيرَانِنَا وَأَقْدُمُ لَكُمْ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ تَكْرِيمًا لِمُصَادَقَتِنَا».

انْحَنَى هَارِيُونُ كَارِسْتَارِكِ أَكْبَرَ أَبْنَاءِ اللُّوردِ رِيكَاردَ وَحَذَى أَخُوهُ حَذُوهُ، لَكِنَّهُ سَمِعَ وَهُمْ يَسْتَقْرِئُونَ فِي أَمَاكِنِهِمُ الْآخَرِينَ الْأَصْغَرَ يَتَهَا مَسَانِ.

«... أن أموت على أن أحيا هكذا»، تمتَمَ سَمِيُّ أبيه إدارد، ورَدَّ أخوه تورين بأن الصَّبي مكسور من الدَّاخل كما هو من الخارج تمامًا بالتَّأكيد، وأجبن من أن يَقْتُل نفسه.

مكسور، فكَّر بران بمرارة وهو يقبض على سَكِّينه. أهذا ما صارَه الآن؟ بران المكسور؟ همَسَ للمَياستر لوين الجالس إلى يمينه: «لا أريدُ أن أكون مكسورًا، أريدُ أن أكون فارسًا».

أجابَ المَياستر: «هناك من يُلقَّبون جماعتي بفُرسان العقل. إنك شديد الذِّكاء عندما تعمل على هذا يا بران، فهل فكَّرت في إمكانيَّة ارتداء سلسلة المَياستر؟ ليست هناك حدود لما يُمكن أن تتعلَّمه».

قال بران: «أريدُ أن أتعلَّم السَّحر. الغراب قال إنني سأطير».

تنهَّد المَياستر وقال: «يُمكنني أن أعلِّمك التَّاريخ والعلاج والأعشاب، ويُمكنني أن أعلِّمك لغة الغدَّفان وكيف تبني قلعة وكيف يوجَّه البحَّارة السُّفن اهتداءً بالنُّجوم، ويُمكنني أن أعلِّمك كيف تقيس طول الأيام وتغيِّر الفصول، وفي "القلعة" في البلدة القديمة يستطيعون تعليمك ألف شيءٍ آخر، لكن لا أحد يستطيع تعليمك السَّحر يا بران».

قال بران: «الأطفال يستطيعون، أطفال الغابة». ذكَّره هذا بالوعد الذي قطعَه لأوشا في أيكة الآلهة، فأخبرَ المَياستر بما قالته.

أصغى لوين بصمت، ثم قال عندما فرغَ بران من الكلام: «تلك الهمجيَّة تستطيع أن تُلقِّن العجوز نان دروسًا في حكي الحكايات. سأتكلَّمُ معها ثانية إذا أردت، لكن من الأفضل ألا تُزعج أخاك بتلك التَّفاهات. إن لديه أشياء أهمَّ من الكلام عن العمالقَة والجثث الحيَّة في الغابة. أبوك أسير لدى آل لانستر يا بران، وليس أطفال الغابة»، وربَّت على ذراع بران بحنانٍ وأضافَ: «فكَّر في كلامي يا بُني».

وبعد يومين، والفَجَر الأحمر يطلع في السَّماء المحمَّلة بالرَّيح، وجدَّ بران نفسه مربوطًا إلى مُهرته دانسر تحت البوابة يودِّع أخاه.

قال روب: «أنت سيّد ويتترفل الآن». كان يمتطي فحلًا رماديًا كثيف الشعر علّق على جانبه ثُرسه الخشبي المدعّم بالحديد المطليّ بالأبيض والرّمادي وعليه وجه الذئب الرّهيب المزمجر، ويرتدي الحلقات المعدنية فوق الجلد المقوّى تحت معطف مبطن بالفرو، ومن حزامه يتدلّى سيفه وخنجره. «يجب أن تأخذ مكاني كما أخذت مكان أبي إلى أن نعود».

أجاب بران بتعاسة: «أعرفُ هذا». لم يشعرُ بأنه صغير وحيد خائف هكذا من قبل، ولا يدري كيف يكون سيّدًا حتى.

- «استمع إلى نصائح المايستر لوين واعتني بربكون. قل له إنني سأعودُ بمجرد انتهاء القتال».

كان ريبكون قد رفض التّزول واعتصم في غُرفته محمّر العينين، وصرخ في وجه بران عندما سأله إن كان يرغب في وداع روب: «لا! لا وداع!». قال بران: «قلتُ له هذا، فقال إن لا أحد يعود أبدًا».

زفر روب وقال: «لن يظلّ طفلًا إلى الأبد، إنه ستارك ويكاد يبلغ الرابعة من العمر. ستعود أمنا قريبًا، وسأعيدُ أبانا، أعدك».

ودارَ بالجواد الحربي وانطلق مُغادرًا وجراي ويند يتواثب إلى جواره بسرعة ورشاقة، وسبقهما هال مولين عبر البوّابة حاملًا راية عائلة ستارك البيضاء على سارية عالية من خشب الدردار، بينما تحرّك ثيون جرابجوي وچون الكبير على جانبي روب واصطفّ الفرسان في طابورين من رانهم ورؤوس رماحهم الفولاذيّة تلمع في الشّمس.

بانزعاج تذكّر كلمات أوشا: إنه مصمّم على التحرك في الاتجاه الخاطئ، وللمحظة أرادَ أن يندفع وراء أخاه ويَحذّره، لكن عندما غاب روب خلف الشّبكة الحديدية انتهت اللّحظة.

تصاعدت أصوات مدوّة وراء أسوار القلعة والجنود المُشاة وأهل البلدة يُحيّون روب، يُحيّون اللورد ستارك سيّد ويتترفل وهو يمرُّ بهم على

متن فحلّه ومعطفه يُرَفِّف في الرِّيح وِذْبُه جرای ويند ينطلق إلى جواره.  
عرفَ بران هذا وخطرَ له بالَم فاتِرٍ أنه لن يتلقَى تحيَّةً مُماثِلَةً منهم أبداً. قد  
يكون سيّد وينترفِل في غيَاب أبيه وأخيه، لكنه ما زال بران المكسور الذي  
لا يستطيع التزوّل عن مُهرته إلّا سقوطاً.

عندما خبا الصُّباح البعيد وسادَ الصَّمْت على السَّاحة الخالية بدَت  
وينترفِل مهجورةً ميتةً، وتطلَّع بران إلى وجوه الذين تبَقَّوا من نساءٍ وأطفالٍ  
ومُسنِّين... وهودور. على وجه صبيّ الاسطبل الضَّخَم كانت نظرة حائرة  
خائفة، وبُحْزَنٍ قال: «هودور؟».

- «هودور»، أجابَ بران متسائلاً عمّا يقصده.



## دنيرس

نهَضَ غال دروجو من فراشهما بعد أن أفرغَ لذته ليرتفع فوقها كالعملاق. كان جلده يلمع بلون برونزي داكن في الضوء الأحمر المنبعث من المُستوقَد وآثار الندوب المتخلّفة عن جروح قديمة يادية على صدره العريض، وقد انسَابَ شعره الأسود الفاحم بلا أربطة أو أجراسٍ من كتفيه إلى ظهره حتى تجاوزَ خصره، وعلى ذكره لآحَ بريق نُطفته. التوى فم الغال بعبوسٍ تحت شاربه الكث الطويل وقال بلهجة حادة: «الجواد الذي يمتطي العالم ليس في حاجةٍ إلى ذلك الكرسي الحديدي».

استندت داني إلى مرفقها ورفعت عينيها إليه قائلةً لنفسها إنه طويل مهيب حقًا. كانت بشكلٍ خاص تُحبُّ شعره الذي لم يُقصَ من قبل، ما يعني أن صاحبه لم يعرف الهزيمة قط. «النبوءة قالت إن الجواد سيذهب إلى أقصى الأرض».

أجاب دروجو على الفور: «الأرض تنتهي عند البحر الأسود المالح»، وبلل قطعةً من القماش في طستٍ من الماء الدافئ ليُمسح العرق والزيت عن نفسه مضيفًا: «الخيول لا تستطيع عبور المياه المسمومة».

قالت له داني كما قالت مئة مرّة من قبل: «هناك سُفن بالآلاف في المُدن الحرّة، خيول خشبيّة بمئة ساق، تطير عبر البحر بأجنحةٍ تُحرّكها الرّيح».

لم يكن غال دروجو يرغب في سماع شيءٍ من هذا، فقال: «لن نتكلّم



ثانيةً عن الخيول الخشبيّة والكراسي الحديدية»، وألقى قطعة القماش وبدأ يرتدي ثيابه متقيّاً صدره ملوّنةً وحزاماً عريضاً من الحليّ الثقيلة المصنوعة من الذهب والفضّة والبرونز، وأضاف: «اليوم سأذهب إلى العُشب للصيد يا زوجة».

قالت داني: «كما تقول يا شمسي ونجمي». سيأخذ دروجو خيالة دمه ليذهبوا بحثاً عن الهراكار، أسد السهول الأبيض العملاق، وإذا عادوا ظافرين ستكون سعادة زوجها بالغة وقد يكون مستعداً لسماعها عندئذ. إنه لا يخشى الوحوش الضارية ولا أيّ رجل على قيد الحياة، لكن البحر مسألة أخرى تماماً، فبالنسبة للدوثراكي تُعدّ أيّ مياهٍ لا تستطيع الخيول أن تشرب منها شيئاً ملوّثاً، وأمواج المحيط المتقلّبة تُفعمهم بتقرّزٍ شديد. دروجو أشجع من بقية سادة الخيول في نواح عديدة، وقد رأت هذا بنفسها، إلّا فيما يتعلّق بالبحر. إذا استطاعت فقط أن تجعله يركب سفينة...

استدعت داني وصيفاتها بعد أن غادر الكال وخيالة دمه حاملين أقواسهم. كانت حركة جسدها ثقيلة خرقاء الآن، ما جعلها تُرحّب بالمساعدة من أذرعهنّ القويّة وأيديهنّ الرشيقة، بينما كانت تشعر بعدم الراحة من قبل من حركتهنّ المستمرة حولها. حمّمنها ونظّفنها وألبسناها فُستاناً فضفاضاً من الحرير الرّملي، وبينما كانت دورياً تُمشط شعرها أرسلت جيكيوي في طلب السير چورا مورمونت.

جاء الفارس من فوره وقد ارتدى قماطاً من شعر الحصان وصدره ملوّنة كخيالة الدوثراكي، وغطّى الشعر الأسود الخشن صدره العريض وذراعيه القويّتين. «كيف أخدمك يا سُمُو الأميرة؟».

قالت داني: «يجب أن تتكلّم مع السيّد زوجي. دروجو يقول إن الجواد الذي يمتطي العالم سيسط سطرانه على بلاد العالم كلها، وليست هناك حاجة لعبور المياه المسمومة. إنه يتكلّم عن قيادة غالاساره شرقاً بعد مولد ريجو لغزو الأراضي المحيطة ببحر اليشب».

أطرق الفارس مفكرًا للحظات، ثم قال: «الغال لم ير الممالك السبع قط ولا تمثل شيئًا له، وإذا كان يفكر فيها أصلًا فلا شك أنه يتخيل عددًا من الجزر أو المدن الصغيرة التي تربطها الصخور على شاكلة لوراث أو ليس ويحيط بها البحر. لا بُدَّ إذن أن ثروات الشرق تحمل له إغراء أكبر بكثير».

قالت بيأس: «لكنه يجب أن يتجه غربًا. ساعدني أرجوك على جعله يفهم». مثل دروجو، لم تكن قد رأت الممالك السبع من قبل على الإطلاق، وإن كانت تشعر في أعماقها بأنها تعرفها جيدًا من كثرة الحكايات التي حكاها لها أخوها عنها. لقد وعدّها فسيرس ألف مرّة بأنه سيُعِيدُها إلى الديار ذات يوم، لكن فسيرس مات ومعه مات وعده.

ردّ مورمونت: «الدوثرافي يفعلون كل شيء حسب وقتهم الخاص ولأسبابهم الخاصة. يجب أن تتحلّى بالصبر يا سُمُو الأميرة ولا ترتكبي خطأ أخيك. سنعود إلى الديار، أعدكِ بهذا».

الديار؟ كانت الكلمة تُشعرها بالحُزن. السير چورا لديه دياره في جزيرة الدّبية، فأين ديارها هي؟ بضع حكايات وأسماء تُردّد بوقار كأنها كلمات صلاة، وذكرى بعيدة عن باب أحمر. هل ستكون فائس دوثراك دارها إلى الأبد؟ هل تتطلّع إلى مستقبلها عندما تتطلّع إلى حيزونات الدوش غالين؟

لا بُدَّ أن السير چورا لمح الحُزن في ملامحها، فقال: «غاليسي، ثمة قافلة ضخمة وصلت ليلاً، أربعمئة حصانٍ من پنتوس مروّرا بنور فوس وكوهور تحت قيادة الرُّبان بيان فوتيريس. ربما أرسل إليّ رسالة معه، فهل ترغبين في زيارة السُّوق الغريبة؟».

قالت داني: «نعم، أودُّ هذا». كانت الحياة تُدبُّ في السُّوق عندما تصل قافلة ما، ولا يُمكنك أن تعرف أبدًا أيّ كنوز جاء بها التُّجار معهم هذه المرّة، وسيكون من الجميل أن تسمع من يتكلّمون بالقاليريّة من جديد كما يفعلون في المَدين الحُرّة. «إيري، اجعليهم يُجهّزون محفّة».

قال مورمونت وهو يتراجع مُغادرًا: «سأبلغُ رجالَ الكاس».

لو كان غال دروجو معها لامتطت داني فرسها الفضيّة، فبين الدوثر اكي تظلُّ الأمّهات على ظَهر الحصان حتى لحظة الولادة تقريبًا، وهي لا ترغب في أن تبدو ضعيفةً في عيني زوجها. لكن في غياب الغال كان من السَّار أن تتمدّد على الوسائد اللَّيئة وتُحمَل عبر فائس دوثر اكي والسَّتائر الحريريّة الحمراء تقيها من الشَّمس. ركبَ السير چورا حصانه إلى جوارها ومعه رجالُ غاسها الأربعة ووصيفاتها.

كان نهارًا دافئًا اصبغت فيه السَّماء بلونٍ أزرقٍ عميق وغابت منها السُّحب، وشمَّت داني روائح العُشب والتُّربة الغنيّة مع هبوب الرِّيح الخفيفة. غابت عنها الشَّمس وحلَّ الظِّلُّ محلّها قبل أن تعود من جديد مع مرور المحفّة أسفل الآثار المسروقة، وأمعنت داني وهي تمايل النَّظر إلى وجوه الأبطال الموتى والملوك المنسيين، وتساءلت إن كانت آلهة تلك المُدن المهجورة لا تزال تُجيب الدُّعاء.

بحُزنٍ قالت نفسها: لو لم أكن دم التَّنين لكان هذا موطني. إنها الغاليسي، وتحت إمرتها رجال أشداء وفُرس سريعة، ولديها وصيفات يخدمنها ومُحاربون يُحافظون على سلامتها، ويتنظرها مكان شرف في الدوش غالين عندما تتقدّم بها السَّن، وفي رَجَمها ينمو ابن سيسود العالم ذات يوم. من المفترض أن يكون هذا كافيًا لأيِّ امرأة... لكن ليس للتَّنين، ومع رحيل فسيرس داني تكون هي الأخيرة، الأخيرة على الإطلاق. إنها من نسل الملوك والغزاة، وكذلك الطُّفل في بطنها، ولا ينبغي أن تنسى أبدًا.

كانت السُّوق الغربيّة عبارةً عن ميدانٍ فسيحٍ من التُّربة المدكوكة محاط بأبنية من الطُّوب اللَّبن وحظائر الحيوانات ومحال الشُّراب المطليّة بالجير الأبيض، وارتفعت من الأرض روابٍ كظهور وحوشٍ تنشق من أسفل لتكسر سطح التُّربة وتفرغ أفواهها السُّوداء التي تقود إلى المخازن

الباردة الواقعة في الأسفل. كانت السُّوق من الدَّاخل متاهةً من الأكشاك  
والممرَّات المنحنية تُغَطِّيها مظَلَّات من العُشب المجدول.

مئات من التُّجَّار كانوا يُفَرِّغُونَ بضائعهم ويُرْصُونها في الأكشاك لدى  
وصولهم، ومع ذلك بدَّت السُّوق الضَّخمة مهجورةً صامتةً بالمقارنة  
بتلك التي رآتها داني في پنتوس والمُدن الحُرَّة الأخرى. شرَح لها السير  
جورا أن القوافل لا تأتي من الشَّرق والغرب إلى فابيس دوثراك لبيع  
البضائع للدوثرافي بقدر ما تبادُلها بين بعضها بعضًا، ويسمح سادة  
الخيول للتُّجَّار بالذهاب والمجيء بلا إزعاج بشرط أن يُحافظوا على  
سلام المدينة المقدَّسة ولا يُدَنِّسوا الجبل الأمَّ أو رَحِم العالم، بالإضافة  
إلى تكريمهم لحيزبونات الدوش گالين بالهدايا التَّقليديَّة من الملح  
والفضَّة والحبوب. لا يستوعب الدوثرافي أمور البيع والشَّراء حقًّا كما  
يحدِّث في الغرب.

أحبَّت داني السُّوق الشَّرقيَّة كذلك بكلِّ ما فيها من غريب المنظر  
والصَّوت والرَّائحة، وكثيرًا ما كانت تقضي الصَّبَّاح هناك، تأكل البيض  
الشَّجري وفطائر الجراد والمعكرونة الخضراء، وتُصغي إلى أصوات  
مُرَنِّمي التَّعاويز المزغردة، وتُحدِّق في المانتيكورات في أفصافها الفضيَّة  
والأفيال الضَّخمة وخيول شعب الجوجوس نهاي المخطَّطة بالأبيض  
والأسود. كانت تستمتع كذلك بمُشاهدة النَّاس: الأشايثيين السُّمر  
الغامضين والكارثين الشَّاحبين طوال القامة، رجال بي تي ذوي العيون  
اللامعة والقُبَّعات التي تندلَّى منها ذبول القردة، النِّساء المُحاربات من  
باياساباد وشامبريانا وكاياكايانايا اللاتي يُعلِّقْنَ الخواتم الحديديَّة في  
حلماهنَّ ويُبَشِّقْنَ حُلِيًّا من الباقوت الأحمر في وجناتهنَّ، وحتى رجال  
الظُّلال القساء المخيفين الذين يُغَطُّون صدورهم وسيقانهم وأذرعهم  
بالأوشام وتوارى وجوههم وراء الأقنعة. كانت السُّوق الشَّرقيَّة مكانًا  
للسَّحر والعجائب بالنِّسبة لداني.

لكن السُّوق الغربيَّة كانت تحمل رائحة الدِّيار.

تسَمَّت الهواء وإيري وچيكوي تُساعدانها على التَّرجُل، وتعرَّفت على روائح الثَّوم والفلفل اللَّاذعة، الرَّوائح التي ذكَّرتها بالأيام الخوالي في أزقة مير وتايروش ورسمت ابتسامة حنينٍ على شفيتها، وتناهت إلى أنفها روائح عطور ليس الرُّكيَّة المُسكرَة، ورأت عبيدًا يحملون لفائف من الحرير المايري والصُّوف النَّاعم بدستة من الألوان الزَّاهية. جاب حُرَّاس القوافل ممرَّات السُّوق في خوذاتهم النُّحاسيَّة وسُتراتهم الصَّفراء المبطَّنة الطَّويلة التي تَبْلُغ الرُّكبة وأغمادهم الخالية تتدلَّى من أحزمتهم الجِلديَّة المجدولة، ووراء أحد الأكشاك وقف صانع سلاح يعرض دروعًا فولاذيَّة للصُّدر مزينة بزخارف منمَّقة من الذهب والفضَّة، وخوذاتٍ مطروقة بأشكال حيواناتٍ خُرافيَّة متعدِّدة، وإلى جواره امرأة شابةٌ حسناء تبيع الذهب المشغول في لانسبورت من خواتم ودبابيس زينة وأساور وحُلِيّ منقوشة في غاية الجمال للتَّعليق في الأحزمة. كان خَصِيٌّ أخرس أصلع صخم الجُثة يحرس الكشك، يرتدي ثيابًا ملوَّنة بالعرق من القטיפَة وينهر أيَّ أحدٍ يقترب، وعلى الجانب الآخر من الممرِّ كان تاجر قُمَاشٍ بدين من يي تي يتفاوَض مع رجلٍ ينتوشي على سِعر صبغةٍ خضراء وذيل القرد يتأرجح من قَبْعته وهو يهزُّ رأسه.

قالت داني للسَّير جورا وهما يتجوَّلان في الممرِّ الظِّلِيل بين الأكشاك: «كنتُ أُحبُّ اللَّعب في السُّوق في طفولتي. كان المكان مفعَّمًا بالحياة، كلُّ النَّاس يصيحون ويضحكون، وهناك أشياء رائعة كثيرة موجودة يُمكنك أن تتفرَّج عليها، على الرَّغم من أننا نادرًا ما كنا نملك مالًا كافيًا لشراء أيِّ شيءٍ باستثناء قطعةٍ من السَّحق بين الحين والآخر، أو أصابع العسل. هل هناك أصابع عسل في الممالك السَّبع من النَّوع الذي يخبزونه في تايروش؟».

أجاب الفارس: «أهي نوع من الكعك يا سُمُو الأميرة؟ لا أدري»، ثم

انحنى وقال: «أرجو أن تعذريني، سأذهب للبحث عن الرُّبَّان وأرى إن كانت معه رسائل لنا».

- «ليكن، سأساعدك في البحث عنه».

تطلَّع السير چورا حوله بصير نافذ وقال: «لا داعي لإزعاج نفسك. استمتعي أنتِ بالسُّوق وسأعودُ إليك عندما أجده».

شعرت داني بالدهشة وهي تُراقبه يتعد بخطواتٍ سريعة بين الحشود. لم ترَ شيئاً وجيهاً يمنعها من الانضمام إليه، وخطر لها أن السير چورا يرغب ربما في أن يجد لنفسه امرأةً بعد أن يلتقي بالرُّبَّان، فغالباً ما تُسافر العاهرات مع القوافل، وهناك رجال يشعرون بالخجل الشديد فيما يتعلق بهذا النوع من العلاقات. هزَّت كتفيها وقالت للآخرين: «هيا بنا».

تبعَتْها وصيفاتها وهي تُواصل جولتها بين الأكشاك، وبعد قليل صاحَتْ مُخاطبةً دوريا: «انظري، هذا هو نوع السجق الذي كنت أعنيه»، وأشارت إلى كشكٍ تقوم فيه امرأةٌ قصيرة ذابلة بشواء اللحم والبصل على الجرائيت الساخن. «إنهم يطهونه مع الكثير من الثوم والفلفل الحار». مسرورةً باكتشافها، أصرت داني على أن تدعو الآخرين إلى وجبةٍ من السجق، والتهمة وصيفاتها ضاحكات، بينما تشمُّ رجال الغاز اللحم المشوي بريبة، وقالت داني بعد قضمتين: «مذاقه مختلف عما أذكر».

قالت البائعة العجوز: «في بنتوس أصنعه من لحم الخنزير، لكن خنازيري كلها ماتت في بحر الدوثر اكي. هذا مصنوع من لحم الحصان يا غاليسي، لكن التوابل واحدة».

همهمت داني بإحباط، لكن اللحم راقٍ لكوارو كثيراً فطلبَ قطعةً أخرى، ومن ثمَّ قرَّر راكارو التفوق عليه وأكل ثلاث قطعٍ أخرى جعلته يتجشأ بصوت عالٍ، ما جعل داني تضحك.

قالت إيرى: «لم تضحكي منذ تَوَجَّح دروجو أخاك الكال رهاجات. من الجميل رؤيتكِ تضحكين يا غاليسي».

ابْتَسَمَت دَانِي بِخَجَلٍ. كَانَ الضُّحْكُ مِنْ جَدِيدٍ جَمِيلًا حَقًّا، وَجَعَلَهَا تَشْعُرُ كَأَنَّهَا عَادَتْ إِلَى طِفْلُوتِهَا ثَانِيَةً.

قَضَوْا نِصْفَ الصَّبَاحِ فِي التَّجَوُّالِ. رَأَتْ مَعْطَفًا فَارَهَا مَكْسُورًا بِالرِّيشِ مِنْ جُزُرِ الصَّيْفِ وَقَبْلَتَهُ كَهْدِيَّةً وَأَعْطَتْ التَّاجِرَ حَلِيَّةً فُضِيَّةً مِنْ حِزَامِهَا فِي الْمَقَابِلِ، فَهَكَذَا تَمَّتِ التَّجَارَةُ بَيْنَ الدُّوْثَرَاكِيِّ، وَعَلِمَ تاجر طيورٍ بِيغَاءٍ أَحْمَرَ وَأَخْضَرَ أَنْ يَقُولَ اسْمَهَا وَضَحَكَتْ دَانِي مَرَّةً أُخْرَى لَكِنَهَا رَفَضَتْهُ، فَمَاذَا تَفْعَلُ بِيغَاءٍ فِي الْكَالَاسَارِ؟ لَكِنَهَا قَبَلَتْ نَحْوَ دَسْتَةٍ مِنْ قَوَارِيرِ الزُّبُوتِ الْعَطْرِيَّةِ، عَطُورِ طِفْلُوتِهَا، وَمَا كَانَ عَلَيْهَا غَيْرُ أَنْ تُغْلِقَ عَيْنَيْهَا وَتَتَشَمَّمَهَا لِتَرَى الْبَيْتَ الْكَبِيرَ ذَا الْبَابِ الْأَحْمَرَ مِنْ جَدِيدٍ. عِنْدَمَا تَطَلَّعَتْ دُورِيَا بِلَهْفَةٍ إِلَى تَعْوِذَةٍ خُصُوصِيَّةٍ فِي كَشْكِ أَحَدِ السَّحَرَةِ، أَخَذَتْهَا دَانِي أَيْضًا وَأَعْطَتْهَا لَوْصِيفَتِهَا مَفْكُرَةً أَنْ عَلَيْهَا أَنْ تَجِدَ شَيْئًا لِإِيرِي وَجِيكُوي كَذَلِكَ.

دَارُوا حَوْلَ مَنْعُطَفٍ لِيَرَوْا تاجرَ خُمُورٍ يُقَدِّمُ عَيْنَاتٍ مِنْ سِلْعِهِ لِلْمَارَّةِ فِي كُشْتَبَانَاتٍ صَغِيرَةٍ، وَيُنَادِي عَلَيْهَا بِلُغَةٍ الدُّوْثَرَاكِيِّ الَّتِي يَبْدُو أَنَّهَا يُجِيدُهَا إِجَادَةً تَامَةً: «نَبِيذٌ أَحْمَرٌ حُلُوٌّ، لَدَيَّ نَبِيذٌ أَحْمَرٌ حُلُوٌّ مِنْ لَيْسٍ وَفُولَانْتِيسِ وَ"الْكِرْمَةِ"، نَبِيذٌ أَيْضًا مِنْ لَيْسٍ، بَرَانْدِي كُثْمَرِي تَايِرُوشِي، نَبِيذٌ نَارِي، نَبِيذٌ حَرِييفٍ، رَحِيقٌ مِيرُ الْأَخْضَرِ، نَبِيذُ الثُّوتِ الدُّخَانِيِّ الْبُنِّيِّ وَالنَّبِيذُ الْأَنْدَالِي الْمُرِّ، لَدَيَّ كُلُّ شَيْءٍ». كَانَ رَجُلًا نَحِيلًا وَسِيمًا قَصِيرَ الْقَامَةِ، شَعْرُهُ الشَّيْبِيُّ بِالْكَثَّانِ مَجْعَدٌ وَمَعْطَرٌ كَعَادَةِ أَهْلِ لَيْسٍ، وَعِنْدَمَا تَوَقَّفَتْ دَانِي أَمَامَ كَشْكِهِ انْحَنَى قَائِلًا: «هَلْ تَرْغَبُ الْكَالِيسِي فِي مِذَاقٍ؟ لَدَيَّ نَبِيذٌ أَحْمَرٌ حُلُوٌّ مِنْ دُورِنٍ يَا سَيِّدَتِي يُغْنِي فِيهِ الْبَرْقُوقُ وَالْكَرْزُ وَالْقُرُوقُ الْغَنِي. بَرْمِيلٌ؟ كُوبٌ؟ جَرَعَةٌ؟ تَذَوِّقِيهِ مَرَّةً وَسَتُطْلِقِينَ اسْمِي عَلَى ابْنِكَ».

ابْتَسَمَت دَانِي وَقَالَتْ: «ابْنِي لَدَيْهِ اسْمٌ بِالْفِعْلِ، لَكِنِّي سَأَجَرِّبُ نَبِيذَكَ الصَّيْفِيَّ». خَاطَبَتْهُ بِالْقَالِيرِيَّةِ كَمَا يَتَكَلَّمُونَ فِي الْمُدُنِ الْحُرَّةِ، وَكَانَ لِلْكَلِمَاتِ مِذَاقٌ غَرِيبٌ عَلَى لِسَانِهَا بَعْدَ تِلْكَ الْفَتْرَةِ الطَّوِيلَةِ. «جَرَعَةٌ صَغِيرَةٌ إِذَا سَمَحْتَ».

لا بُدَّ أن التَّاجر حسبها من الدوثر اكي لَمَّا رأى ثيابها وشعرها المدهون بالزَّيت وبشرتها التي اسمرَّت من الشَّمس، لكنه حدَّق فيها بدهشةٍ عندما تكلمت وقال: «سَيِّدَتِي، هل أنتِ من تايروش؟ أهذا ممكن؟».

- «قد يكون كلامي تايروشي وثيابي دوثر اكي، لكنني من وستروس، من ممالك غروب الشَّمس».

تقدَّمت دوريا إلى جوارها وقالت: «لك شرف مُخاطبة دنيرس ابنة عائلة تارجارين، دنيرس وليدة العاصفة، غاليسي الخيَّالة وأميرة الممالك السَّبع». هوى تاجر الخمر على رُكبته وحنى رأسه قائلاً باحترام: «سُموُ الأميرة».

قالت داني: «انهض. ما زلتُ أرغبُ في تذوُّق هذا النيِّد الصَّيفي الذي ذكَّرتُه».

نهَض الرَّجل قائلاً: «هذا؟ إنها مجرد نفاية دورنيَّة لا تليق بأميرة. لديَّ نيِّد أحمر من "الكرمة"، منعش وشديد اللَّذَّة. دعيني أهديك برميلاً أرجوك». كانت زيارات غال دروجو إلى المُدن الحرَّة قد جعلته يُقدِّر النيِّد الجيِّد، ونوع ممتاز كهذا سيُثير سروره. غمغمت بعذوبة: «هذا كرم منك يا سيِّدي».

قال التَّاجر: «بل أنتِ من تُشرِّفيني»، ونقَّب في مؤخِّرة كشكه حتى وجدَ برميلاً صغيراً من خشب البلوط الذي حُفِرَ فيه بالحرق شكل عنقودٍ من العنب أشارَ إليه قائلاً: «رمز عائلة ردواين سادة "الكرمة". ليس هناك شراب أجود من هذا».

- «غال دروجو وأنا سنشرب منه معاً. آجو، خذ البرميل إلى المحفَّة إذا سمحت».

تهلَّلت أسارير تاجر الخمر إذ رفعَ الدوثر اكي البرميل الصَّغير، فيما لم تُدرِك داني أن السيز چورا قد عادَ حتى سمعته يقول بنبرة حادَّة: «كلا. آجو، صَّع البرميل».



نظرَ آجو إلى داني التي أومأت برأسها بتردُّدٍ وسألت الفارس: «ماذا هناك يا سير چورا؟».

- «أشعرُ بالظَّمَا لا أكثر. افتح البرميل يا بائع النَّبِيذ».

قال التَّاجر عابسًا: «النَّبِيذ للكَاليسي وليس لأمثالكَ يا هذا».

اقترَبَ السير چورا من الكشك قائلاً: «إذا لم تفتح بيديكَ، سأفتحهُ أنا بجمجمتك». لم يكن يحمل سلاحًا هنا في المدينة المقدَّسة باستثناء يديه، لكن هاتين اليدين الكبيرتين القويَّتين ذات مفاصل الأصابع المغطَّاة بالشَّعر الكثيف كانتا كافيتين. تردَّد بائع الخمر لحظةً، ثم أمسك مطرقةً وخلعَ بها سدادة البرميل، فقال الفارس أمرًا: «صُب»، واصطفَّ مُحارِبو كاس داني الشَّباب الأربعة وراءه وقد قطَّبوا الجبين وحدَّقوا بعيونهم السَّوداء الشَّبيهة بحبَّات اللُّوز.

قال بائع الخمر دون أن يضع مطرقة: «إنها جريمة أن تشرب هذا النَّبِيذ الفاخر دون أن يتعرَّض للهواء قليلًا».

مدَّ جوجو يده إلى السَّوط المعلق في حزامه، لكن داني أوقفته بلمسةٍ خفيفةٍ على ذراعه وقالت وقد بدأ النَّاس يتجمَّعون حولهم: «افعل كما يقول السير چورا».

رمقها الرَّجل بنظرةٍ واجمةٍ سريعة، ثم قال: «كما تأمر الأميرة»، ووضع المطرقة جانبًا كي يرفع البرميل، ثم صَبَّ النَّبِيذ ببراعةٍ في كويين صغيرين دون أن يَسْكُب قطرةً منه، ورفع السير چورا أحدهما وتشمَّمه وقد عقدَ حاجبيه، فقال بائع الخمر مبتسمًا: «حُلُو الرائحة، أليس كذلك؟ هل تَشُمُّ الفاكهة فيه يا سيِّدي؟ إنه عطر "الكرمة". تذوِّقه يا سيِّدي وقل لي إنه ليس أفضل نبيذٍ تذوِّقه لسانك على الإطلاق».

مدَّ الفارس يده إليه بالكوب قائلاً: «تذوِّقه أنت أولاً».

قال الرَّجل ضاحكًا: «أنا؟ إنني لستُ جديرًا بهذا النَّبِيذ يا سيِّدي، كما

أن تاجر الخمر الذي يشرب بضاعته أحق حقاً». كانت ابتسامته ملأى بالود، لكنها رأت العرق يلتصق على جبهته.

قالت داني ببرود: «ستشرب. أفرغ الكوب وإلا أمرتهم بتقييدك بينما يَصُبُّ السير چورا البرميل كله في جوفك».

هَزَّ بائع الخمر كتفيه ومدَّ يده إلى الكوب... وأمسك بالبرميل نفسه بدلاً منه وقذفها به بكلتا يديه، فاندفع السير چورا في اللحظة نفسها نحوها مزيجاً إياها عن الطريق، وارتطم البرميل بكتفه وارتدَّ عنها لِيَسْقُطَ أرضاً ويتهشم. تعثرت داني وفقدت توازنها، وصرخت: «لا!» وهي تمدُّ يدها إلى الأمام لتلقياً السَّقطة، وأمسكتها دوريا من ذراعها لتسحبها إلى وراء فسقطت على ساقها وليس بطنها.

وثبَّ التاجر فوق البرميل المكسور مندفعاً بين آجو وراكارو، ومدَّ كوارو يده إلى الأراخ الذي لم يكن هناك بينما دفعه الرَّجل الأشقر جانباً وراح يركض في الممر، ثم سمعت داني فرقة سوط چوجو، ورأته ينطلق في الهواء ليلتف حول ساق بائع الخمر ويسقطه على وجهه في التراب. كان عشرة من حُرَّاس القافلة قد أتوا مهرولين ومعهم سيدهم بنفسه، الرُّبَّان النورقوشي صغير الحجم بيان فوتيريس ذو البشرة الشَّبيهة بالجلد القديم والشَّارب الأزرق المنفوش الذي يرتفع طرفاه إلى أذنيه. بدا أنه أدرك ما حدث دون أن تُقال له كلمة، وقال مشيراً إلى الرَّجل السَّاقط أرضاً: «خذوه ليلتقى ما ينتظره من مرح مع الغال». سحب اثنان من الحُرَّاس الرَّجل، بينما واصل الرُّبَّان: «بضاعته هدية لك أيتها الأميرة كتعبير صغير عن الأسف لأن يفعل أحد رجالي شيئاً كهذا».

ساعدت دوريا وچيكوي داني على النهوض والنبذ المسموم يسيل من البرميل المكسور على التراب، وسألت السير چورا مرتجفةً: «كيف عرفت؟ كيف؟».

- «لم أعرف يا غاليسي، ليس حتى رفض أن يشرب، لكنني شعرت بالخوف بمجرد أن قرأت رسالة الماچستر إليريو»، وتطلَّع إلى وجوه

الغرباء في السُّوق ثم قال: «تعالِي، من الأفضل ألا نتكلَّم عن هذا هنا». كانت داني تُغالب دموعها وهُم يحملونها عائدين، وفي فمها شعرت بمذاق تعرفه جيِّداً، مذاق الخوف. لسنوات عاشت في خوف من تفسير ومن إيقاظ التَّنين، أمَّا هذا فكان أسوأ، فخوفها ليس على نفسها فحسب الآن، بل على جينها كذلك. لا بُدَّ أنه أحسَّ بما تُشعر به لأنه أخذَ يتحرَّك في داخلها، فربَّت داني على بطنها المتفخخة برقَّة وهي تمنى لو تستطيع أن تمُدَّ يدها إليه وتلمسه وتطمِّئنه. همست والمحفَّة تتأرجح والسَّاتر مسدلة: «أنت من دم التَّنين أيُّها الصَّغير، أنت من دم التَّنين، والتَّنين لا يخاف».

تحت الرُّبوة المجوَّفة التي كانت بيتها في فايس دو ثراك أمرتهم داني بتركها وحدها، كلهم باستثناء السير چورا الذي قالت له وهي تستريح على وسائدها: «أخبرني، أكان المُغتَصِب وراء هذا؟».

أخرج الفارس ورقة مطويَّة وأجاب: «نعم. إنها رسالة لتفسير من الماچستر البريو يقول فيها إن روبرت باراثيون يعرض اللوردية والأرض على من يقتل أخاك».

قالت بنشيج هو نصف ضحكة: «أخي؟ إنه لم يعرف بعد، أليس كذلك؟ المُغتَصِب مدين لدروجو بلوردية إذن». هذه المرأة كانت ضحكتها نصف نشيج، وعانقت نفسها مضيئة: «وأنا تقول؟ أنا فقط؟». أجاب الفارس عابساً: «أنتِ وطفلك».

- «لا، لن يمسَّ ابني بسوء». قرَّرت أنها لن تبكي ولن ترتجف خوفاً. المُغتَصِب هو من أيقظ التَّنين الآن، قالت لنفسها وانتقلت عيناها لإرادياً إلى بيضات التَّنين المستقرَّة في عُشِّها المخملي وقد حدَّد ضوء المصباح الزيتي المتذبذب قشورها الحجرية لتسبح ذرَّات لامعة من الأخضر المزرق والأحمر القرمزي والدَّهبي في الهواء حولها كحاشية حول ملك.

أهي لوثة جنون ولدها الألم تلك التي تملكها لحظتها؟ أم حكمة

غريبة مدفونة في أعماق دمه؟ لم تعرف داني الإجابة، وسمعت نفسها تقول: «سير جورا، أوقد المُستوقد».

رمقها الفارس متعجبًا وقال: «غاليسي، الجوّ حارٌّ للغاية. هل أنت واثقة؟».

لم تكن واثقة من شيء في حياتها كالآن، وأجابت: «نعم، إنني... إنني أشعرُ بالبرد. أوقد المُستوقد».

حنى رأسه وقال: «كما تأمرين».

صرفته داني عندما اشتعلت النار في الفحم. ينبغي أن تكون وحدها عندما تفعل ما ستفعله. هذا جنون، قالت لنفسها وهي ترفع البيضة ذات اللونين الأسود والقرمزي من على الدثار المخملي، سوف تشقق وتحترق لا أكثر، ثم إنها جميلة للغاية، والسير جورا سيقول إنني حمقاء إذا شوّهتها... ومع ذلك... ومع ذلك...

ضمت البيضة بكلتا يديها وحملتها إلى النار ودسّتها وسط الفحم المتقد، وتوهّجت الحرائف السوداء وهي تتشرب الحرارة واللهب يلعب الحجر بالسنّة حمراء صغيرة. وضعت داني البيضتين الأخريين إلى جوار السوداء، وارتجفت أنفاسها في حلقها وهي تتراجع عن المُستوقد.

راقبت الجمار حتى استحالت إلى رماد، وتراقصت شرارات هنا وهناك والحرارة تتموّج حول البيضات الثلاث، لكن هذا كان كلّ ما حدث.

أخوك ريجار كان التّنين الأخير، قال لها السير جورا من قبل. حدّقت داني في بيضاتها بحُزن. ماذا كانت تتوقّع؟ منذ ألف ألف عام كانت حيّة، لكنها الآن ليست أكثر من صخور جميلة الشّكل مُحال أن يخرج منها تّنين. التّنين نار وهواء، لحم حيّ وليس حَجَرًا ميتًا.

كان المُستوقد قد بردَ تمامًا عندما عادَ غال دروجو ووراءه كهولو يقود حصان نقل على ظهره جثة أسد أبيض ضخم. كانت النّجوم قد بدأت تُرْصع ثوب السّماء الأسود حين ترجّل دروجو عن فحله ضاحكًا وأراها

النَّدوب على ساقه حيث اخترقَ الهراكار قماطه بمخالبه، وقال: «سأصنعُ  
لكِ معطفاً من جلده يا قمر حياتي».

عندما أخبرته داني بما حدث في السوق توقَّف الضَّحك تماماً ولاذ  
گال دروجو بصمتٍ عميق.

قال له السير چورا مورمونت: «كان هذا أوَّل من يُحاول تسميمها،  
لكنه لن يكون الأخير. هناك من سيُخاطرون بالكثير من أجل اللوردية».  
ظَلَّ دروجو صامتاً لفترة، ثم تكلم أخيراً وقال: «بائع السَّم جرى من قمر  
حياتي، وكان أفضل له أن يجري وراءها، وسيُفعل. چوجو وچورا الأندالي،  
لكلِّ منكما أقولُ أن تختاراً أيَّ حصانٍ يروق لكما من قطيعي وهو لكما، أيَّ  
حصانٍ باستثناء فَحلي الأحمر والفرس الفضِّيَّة التي أهديتها لقمر حياتي.  
إنها هديَّة مني إليكما لما فعلتماه... ولريجو ابن دروجو، الجواد الذي  
يمتطي العالم، إليه أيضاً أنعهَّدُ بهديَّة. إليه سأعطي الكرسي الحديدي الذي  
جلسَ عليه أبو أمه، سأعطيهِ الممالك السَّبع. أنا، دروجو، الكال، سأفعل  
هذا»، وتعالى صوته ورفعَ قبضته إلى السَّماء مُتابعاً: «سأخذُ گالاساري  
غرباً حيث ينتهي العالم، وأركبُ الخيول الخشبيَّة عبر البحر الأسود المالح  
كما لم يفعل گال من قبل. سأقتلُ الرُّجال ذوي الحُلل الحديديَّة وأهدمُ  
بيوتهم الحجريَّة، سأغتصبُ نساءهم وأتخذُ أطفالهم عبيداً وأحملُ آلهتهم  
المحطمة إلى فايس دوثراك لتُنحني أمامَ الجبل الأم. أقسمُ على هذا، أنا،  
دروجو بن بهاريو، أقسمُ به أمامَ الجبل الأم والنجوم شاهدةً عليّ».

غادرَ گالاساره فايس دوثراك بعد يومين متوجَّهاً جنوباً ثم غرباً عبر  
السَّهول، وقادهم گال دروجو على متن فَحله الأحمر الضَّخم وإلى جواره  
دنيرس علي فرسها الفضِّيَّة، وهُرَّعَ بائع الخمر وراءهم عارياً تماماً على  
قدميه وقد قيَّدت رقبته ومعصماه إلى لجام فرس داني. وهكذا ظَلَّ يجري  
وراءها وهي راكبة، حافي القدمين متعثراً، ولن يمسه أحد بأذى طالما  
استطاع أن يواصل الجري.



## كاتلين

كانت الرايات أبعد من أن تُميّزها بوضوح، لكن حتى بين حُجُب الضباب استطاعت أن ترى أنها بيضاء ذات لطفة داكنة في المتصف لا يمكن أن تكون غير ذئب ستارك الرمادي الرهيب في حقله الجليدي، وعندما لاحَت لها الرَّاحة بوضوح أوقفت كاتلين حصانها وخفضت رأسها شكرًا للآلهة على أنها لم تتأخر أكثر من اللازم.

قال السير وإيليس ماندرلي: «إنهم ينتظرون وصولنا يا سيديتي، تمامًا كما أقسم السيد والدي أنهم سيفعلون».

وكز السير برايندن تلي حصانه وانطلق به كالسهم نحو الرايات قائلاً: «دعنا لا نتركهم ينتظرون أكثر إذن»، وانطلقت كاتلين بحصانها إلى جواره.

تبعهما السير وإيليس وأخوه السير وندل على رأس جنودهما: ألف وخمسمئة رجل تقريبًا، عشرون ونيّف من الفرسان ومثلهم من مُرافقي الفرسان، مثنان من حاملي الرماح والمبارزين والمُحاربين غير النظاميين على خيولهم، والبقية على الأقدام مسلّحة بالحراب والسكاكين الطويلة والرماح الثلاثية. كان اللورد وإيمان أبوهما قد تخلف للعناية بالدفاعات في الميناء الأبيض، وهو رجل في الستين من العمر صار أبدن من أن يستطيع الجلوس على ظهر حصانه. «لو حسبْتُ أنني سأشهدُ حربًا أخرى قبل أن أموت، لاقتصدتُ في أكل السمك»، قال لكاتلين عندما التقى

بسفيتها وهو يُرَبَّت على كرشه العظيم بأصابه العشر الشَّخِنة كقطع السجق. «سَيُوصِّلُكَ ابْنَايَ إِلَى ابْنِكَ بِأَمَانٍ، فَلَا تَحْمِلِي هِمًّا».

ولدها هذان كانا أكبرَ سِنًا من كاتلين التي نَمَتَ لو أنهما لم يُشِبهَا أباهما لهذه الدَّرَجَة. السير وإيليس كانت تَنْقُصُه بضع سَمَكَاتٍ معدودة حتى لَا يَسْتَطِيع الجلوس على حصانه بدوره، وقد شَعَرَت كاتلين بشفقة شديدة على الحيوان المسكين، والسير وندل -الأخ الأصغر- كان من الممكن أن يكون أبداً رجلٍ رَأَتْهُ فِي حَيَاتِهَا عَلَى الْإِطْلَاق لَوْلَا أَنَّهُا رَأَتْ أَبَاهُ وَأَخَاهُ أَوَّلًا. الأول هادئ رسمي، والثاني صاخب لدرجة الجعجعة، وكلاهما على وجهه شارب فاخر يُذَكِّرُك بِحَيَوان الْفَظِ الْبَحْرِي ورأسه أَمْلَسَ كَمْوْخَرَة رَضِيعٍ، وعلى مَا يَبْدُو لَا يَمْلِك أَحَدُهُمَا ثَوْبًا وَاحِدًا غَيْرَ مَلَوْتٍ بِبُقْعِ الطَّعَامِ. رَأَى لَهَا الْأَخْوَانُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ، فَقَدْ قَادَاهَا إِلَى رُوب كَمَا تَعَهَّد أَبُوهُمَا، وَلَا شَيْءَ آخَرَ يَهُمُّ.

سَرَّهَا أَنْ ابْنَهَا أَرْسَلَ كَشَافَةً هُنَا وَهَنَّاكَ، حَتَّى إِلَى الشَّرْقِ. سَيَأْتِي آلَ لَانَسْتَرِ مِنَ الْجَنُوبِ عِنْدَمَا يَأْتُونَ، لَكِنْ مِنَ الْجَيِّدِ أَنْ رُوب يَتَوَخَّى الْحَذَرِ. ابْنِي يَقُودُ جَيْشًا إِلَى الْحَرْبِ، قَالَتْ لِنَفْسِهَا وَهِيَ تَكَادُ لَا تُصَدِّقُ مَا زَالَتْ، شَاعِرَةً بِالْخَوْفِ عَلَيْهِ وَعَلَى وَيَتَرَفَّلُ، وَإِنْ لَا تُنْكِرُ أَنَّ الْخَوْفَ امْتَزَجَ بِإِحْسَاسٍ لَا شَكَّ فِيهِ مِنَ الْفَخْرِ. مِنْذُ عَامٍ وَاحِدٍ كَانَ صَبِيًّا، فَمَاذَا بَاتَ الْآنَ؟ لَمَحَ خُرَّاسُ الْمَعْسَكَرِ رَايَةً عَائِلَةً مَآندِرْلِي -عَرِيسَ بَحْرِ أَبْيَضٍ يَحْمِلُ رُمَحًا ثَلَاثِيًّا يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ أَمْوَاجِ زُرْقَاءٍ مَائِلَةٍ إِلَى الْخَضِرَةِ- وَحَيُّوهُمْ بِتَرْحَابٍ، وَقَادُوهُمْ إِلَى بُقْعَةٍ عَالِيَةٍ مِنَ الْأَرْضِ جَافَّةٍ بِمَا يَكْفِي لِإِقَامَةِ الْمَعْسَكَرِ عَلَيْهَا. أَمَرَ السَّيْرَ وَإِيلِيسَ بِالتَّوَقُّفِ هُنَاكَ وَبَقِيَ مَعَ رَجَالِهِ لِيُشْرِفَ عَلَى إِشْعَالِ النَّارِ وَالْعَنَاءِ بِالْخَيُْولِ، بَيْنَمَا تَقْدَّمُ أَخُوهُ وَندلُ مَعَ كَاتِلِينَ وَعَمَّهَا لِيَقْدَّمَ تَحِيَّةً أَبِيَهُمَا لِلرُّودِ وَلِي أَمْرِهِمْ.

كَانَتِ التُّرْبَةُ لَيِّنَةً مُبْتَلَّةً تَحْتَ حَوَافِرِ خَيُْولِهِمْ، وَتَنَاثَرَتْ مِنْ أَسْفَلِهِمْ وَهُمْ يَمْزُورُونَ بِحُفْرِ النَّارِ وَصُفُوفِ الْخَيُْولِ وَالْعَرَبَاتِ الْمُحْمَلَةِ بِأَكْوَامٍ مِنْ

الخُبْز واللَّحْم المملَّح، وفوق بروزٍ أرضيٍّ يرتفع على الرِّيف المحيط  
مَرَّوا بِسُرَادقٍ لأحد اللوردات صُنِعَتْ جدرانُه من قماش الأشرطة النَّفِيل،  
وتعرَّفت كاتلين على راية عائلة هورنوود التي تُصوِّر حيوان موط بُنيًّا على  
خلفيَّة برتقاليَّة داكنة.

وراء السُّرادق، بين حُجُب الضُّباب، أبصرت أسوار وأبراج خندق  
كايلن... أو ما تبقى منها بالأحرى. كانت قوالب البازلت الأسود  
الضُّخمة التي يُناهِز الواحد منها حجم الكوخ ساقطةً متناثرةً كالمكعبات  
الخشبيَّة التي يلعب بها الأطفال وتكاد تغوص في التُّربة الموحلة، ومن  
السُّور الذي كان يبلِّغ ارتفاع سور ويتربَّل نفسه فيما مضى لم يتبقَّ شيء  
آخر، بينما اختفت القلعة بالكامل وقد تعفَّنت الأخشاب التي شيدت  
بها منذ ألف عام دون أن تبقى منها قطعة واحدة تُشير إلى المكان الذي  
كانت ترتفع فيه قديمًا. كلُّ ما ظلَّ من معقل البَشَر الأوائل القديم هو ثلاثة  
أبراج... ثلاثة من عشرين إذا صدَّقت حكايات الرُّواة.

كان بُرج البوابة سليماً بما فيه الكفاية وعلى جانبيه ترتفع بضعة  
أقدام من السُّور لم تنهَوا بعد، بينما مألُّ بُرج درانكارد الواقف بعيداً في  
المستنقع، حيث كان السُّور الجنوبي يلتقي بالغربي من قبل، كرجل على  
وشك إفراغ ما في معدته من نبيذ في بالوعة، أمَّا بُرج الأطفال الطَّويل  
الرَّفيع، الذي تقول الأساطير إن أطفال الغابة قد وقفوا عليه ذات يوم  
ليطلبوا من آلهتهم أن تُرسل مطرقة المياه، فقد تهدَّم نصف قمَّته كأن وحشاً  
عملاقاً قضمَ شُرْفته العلويَّة وبصقَ الدِّبش في المستنقع. الأبراج الثلاثة  
كلها كانت مغطَّاة بالطُّحلب الأخضر، بينما نمت شجرة بين الأحجار  
على الجانب الشمالي من بُرج البوابة وقد كلَّلت فروعها الطويلة طبقة  
بيضاء لزجة من الطُّحلب الشَّبحي.

صاح السير برايندن لمَّا رأى ما يقبع أمامهم: «لترحمنا الآلهة. أهذا هو  
خندق كايلن؟ إنه ليس أكثر من...».



- «... مصيدة مميتة. أعرفُ كيف يبدو يا عمّاه، والشَّيء نفسه خطرٌ لي عندما رأيتُ المكانَ أولَ مرّةٍ، لكن نَدَّ أَكْثَرُ لي أن هذه الأطلال أقوى كثيرًا مما تبدو. الأبراج الثلاثة الباقية تُطِلُّ على الممرِّ المرتفع ولا مناص من مرور أيِّ عَدُوٍّ من بينها، والمستنقعات هنا غير قابلة للعبور لأنها ملأى بالرَّمال المتحرّكة والدَّوَامات وتُعْجُّ بالثعابين. كي يُهاجِم جيش ما أيًّا من الأبراج، عليه أن يخوض في الوحل الأسود الذي يرتفع حتى الخصر، ثم يعبُر الخندق المليء بالأسود الزّواحف، ويتسلَّق الجدران الزَّلَفَة من فرط الطّحالب، كل هذا والمُهاجِمون مكشوفون للأسهم التي يُمطرهم بها الرُّماة من البُرجين الآخرين»، وابتسمت لعمّها بتجهم مضيفة: «ويقولون إن هناك أشباحًا هنا تَخْرُج ليلاً، أرواح الشماليين الباردة المتقمّة المتعطّشة لدماء الجنوبيين».

قال السير برايندن ضاحكًا: «ذكّرني ألا أبقى هنا طويلًا إذن، فحسب معلوماتي أنني جنوبيٌّ عن نفسي».

كانت الرّايات مرفوعةً على الأبراج الثلاثة، راية كارستارك ذات الشَّمس المتفجّرة على بُرج درانكارد تحت راية الذّئب الرّهيب، وراية أومبر ذات العملاق المتحرّر من أغلاله على بُرج الأطفال تعلوها راية الذّئب الرّهيب أيضًا، بينما خفقت راية ستارك وحدها على بُرج البوّابة الذي اتّخذهُ روب مقرًّا له، وإلى هناك اتّجهت كاتلين ووراءها السير برايندن والسير وندل وخيولهم تخطو ببطءٍ على الممر المصنوع من الألواح الخشبيّة الذي تَمَّ مَدُّهُ عبر الأرض الموحلة ذات اللّونين الأخضر والأسود. وجدت ابنتها محاطًا باللوردات حملة راية أبيه في قاعة مفتوحة لتيارات الهواء اتّقدت فيها النّار في مُستوقدٍ أسود كبير. كان روب جالسًا إلى مائدة حجريّة ضخمة تكوّمت عليها الخرائط والأوراق أمامه وهو يتكلّم باهتمام مع روروس بولتون وجون الكبير، وفي البداية لم يُلاحظ مجيئها، لكنّ ذئبه المتمدّد إلى جوار المُستوقد

فعل، ورفع رأسها إليها عندما دخلت كاتلين القاعة لتلتقي عيناه الذهبيان بعينها. لاذ اللوردات بالصمت واحداً تلو الآخر، ودأب روب برأسه على إثر الهدوء المفاجئ الذي ساد القاعة، وبدهشة شديدة وصوتٍ مفعم بالمشاعر قال: «أمي؟».

أرادت كاتلين بشدة أن تهرع إليه وتقبل جبهته وتحتويه بذراعيها فلا يمسّه الضرُّ أبداً، لكنها لم تجرؤ على أن تفعل هذا هنا في حضور اللوردات. إنه يلعب دور رجل الآن وهي لا تستطيع أن تُفسيّد هذه الصورة، وهكذا كبحت رغبتها ووقفت ثابتة عند الطرف الآخر من لوح البازلت الذي يستخدمونه كمائدة، بينما نهض جراي ويند -الذي صار أضخم حجماً بكثير من آخر مرّة رآته فيها- وقطع القاعة نحوها لينشّم يدها، وقالت لروب: «أرى أنك أطلقت لحيتك».

تحسّس ابنها لحيته القصيرة ذات الشعر الأكثر احمراراً من ذلك الذي على رأسه، وغمغم: «نعم».

قالت وهي تتحسّس رأس الذئب بلطف: «إنها تروق لي، تجعلك شبيهاً بأخي إدمبور». عضّ جراي ويند أصابعها مُداعباً ثم عادَ إلى مكانه عند المُستوفد.

كان سير هلمان تولهارت أول من تبع الذئب عبر القاعة ليقدّم لها التحية، وركع أمامها ضاغطاً جبهته بيدها وقال: «ليدي كاتلين، تبدين جميلة كالمتعاد، تَسْرِين الأنظار في هذه الأوقات العصيبة»، وتبعه الأخوان جالبارت وروبت جلوفر، ثم جون أومبر الكبير والبقية واحداً واحداً، وركع ثيون جرايچوي أمامها بعد الجميع قائلاً: «لم أتوقع أن أراك هنا إطلاقاً يا سيّدتني».

قالت كاتلين: «ولا أنا توقّعتُ أن آتي إلى هنا كذلك حتى نزلتُ في الميناء الأبيض وأخبرني اللورد وايمان بأن روب قد استدعى الرّايات. لا بُدَّ أنكم تعرفون ابنه السير وندل». تقدّم وندل ماندرلي وانحنى بقدر

ما يسمح جسده الضخم، وواصلت كاتلين: «وعُمِّي السير برايندن تلي الذي ترك خدمة أختي وانضمَّ لخدمتي».

- «السَّمكة السوداء»، قال روب. «أشكرك على انضمامك إلينا يا سيّدي، فنحن في حاجةٍ إلى رجالٍ في شجاعتك. وأنت يا سير وندل، يُسعدني وجودك هنا كذلك. هل السير رودريك معك أيضًا يا أمّاه؟ لقد افتقدته كثيرًا».

- «السير رودريك في طريقه شمالًا من الميناء الأبيض. لقد عيّنته أمينًا للقلعة وأمرته بقيادة وينترفل حتى نعود. المايستر لوين مستشار حكيم، لكنه لا يملك خبرةً في فنون الحرب».

قال لها جون الكبير بصوته الجهير: «لا تقلقي على وينترفل يا سيّدي، إنها آمنة. قريبًا جدًا سندُسُّ سيوفنا في دُبر تايوين لانستر - سامحيني على التعبير - وبعدها سنتجّه إلى القلعة الحمراء مباشرة لنُحرّر ند».

- «لديّ سؤال بعد إذنك يا سيّدي». كان رويس بولتون سيّد القلعة المعروفة باسم "معقل الخوف" يتكلّم بصوتٍ خفيضٍ دائمًا، لكن حتى الأكبر منه حجمًا كانوا يلودون بالصّمت ليُصغوا إليه كلما قال شيئًا. كانت عيناه شاحبتين تمامًا وأقرب إلى أن تكونا بلالونٍ على الإطلاق، ونظراتهما تُثير التوتّر. «يقولون إنك أسرت ابن اللورد تايوين القزم، فهل جئت به معك؟ أو كُذِّلكِ أننا نستطيع استغلال رهيبةٍ مثله أفضل استغلال».

- «تيريون لانستر كان أسيري بالفعل، لكنه لم يُعذّ كذلك»، قالت كاتلين مُجبرةً على الاعتراف لتتعالى جوقة من الدّهشة والغضب من الموجودين لدى سماع الخبر. «إنني لستُ مسرورةً بهذا مثلكم تمامًا أيها السّادة، لكن الآلهة ارتأت أن يتحرّر بمساعدة من أختي الحمقاء». كانت تعرف وهي تتكلّم أن من الواجب ألا تُبدي غضبها هكذا، لكن رحيلها من "العُش" لم يكن سارًا على الإطلاق بعد أن تجرّأت على أن تعرض على أختها أن تأخذ اللورد روبرت الصّغير معها ليتربّى في وينترفل لبضع

سنوات، فوجود أولادٍ آخرين في صُحبته سيكون مفيدًا له. كانت غضبة لايسا مخيفةً حقًا، وردَّت على كاتلين قائلةً: «سواء كنتِ أختي أم لا، إذا حاولتِ أن تسرقني ابني مني، ستُغادرين من باب القمر»، ولم يعدْ هناك ما يُقال بعدها.

كان اللوردات متلهِّفين على إلقاء المزيد من الأسئلة عليها، لكن كاتلين رفعت يدها قائلةً: «لا شكَّ أن لدينا الوقت لكلِّ هذا لاحقًا، لكن رحلتي أعينني حقًا وأريدُ أن أتكلَّم مع ابني وحدثنا. أعرفُ أنكم ستغفرون لي أيها السَّادة». لم تُتركْ لهم كلماتها الخيار، وانحنى حملة الرّاية وغادروا تباعًا يتقدَّمهم اللورد هورنوود المطيع دائمًا. أضافت عندما رأت جرايچوي ثابتًا في مكانه إلى جوار روب: «أنت أيضًا يا ثيون»، فابتسم الصَّبي الأسمر وتركَّهما وحدهما.

على المائدة كان هناك جُبن ومِزر، فالتقطت كاتلين قرن شراب وجلست راشقةً منه وهي ترمُق ابنها بامعان. بدا لها أطول قامَةً مما كان عندما رحلت، وجعلته لحيته الثَّابتة يبدو أكبر من عُمره الحقيقي. «إدميور كان في السَّادسة عشر عندما أطلق شاربه للمرَّة الأولى».

قال روب: «سأبلغُ السَّادسة عشر قريبًا».

- «والآن أنت في الخامسة عشر، في الخامسة عشر وتقود جيشًا إلى

الحرب. هل تفهِّم سبب خوفاي إذن يا روب؟».

أجاب بعناد: «لم يكن هناك أحد آخر».

- «لا أحد على الإطلاق؟ قل لي إذن، من يكون هؤلاء الرُّجال الذين

رايتهم هنا منذ لحظات؟ رووس بولتون، ريكارد كارستارك، روبت وجالبارت جلوفر، جون الكبير، هلمان تولهارت... كان بإمكانك أن تُعطي القيادة لأيٍّ منهم. بحقِّ الآلهة كان بإمكانك أن تُعطيها لثيون حتى، رغم أنني لم أكن لأختاره».

قال روب: «إنهم ليسوا من آل ستارك».

- «إنهم رجال بالغون يا روب، رجال عركتهم الحروب، بينما كنت أنت تُقاتِل بسيفٍ خشبيٍّ منذ أقلَّ من عامٍ واحد».

لمحت الغضب في عينيه عندما قالت هذا، لكنه سرعان ما تلاشى كما ظهر، وفجأة عاد روب صبيًّا صغيرًا يقول بارتباك: «أعرفُ هذا. هل... هل ستُعيدني إلى ويترفل؟».

تنهَّدت كاتلين وقالت: «حريٌّ بي أن أفعل هذا، فما كان يجدر بك أن تُغادر أصلًا، لكنني لا أجزوُّ على هذا، ليس الآن. لقد قطعت شوطًا طويلًا بالفعل، وسيأتي يوم يتطلَّع فيه بعض هؤلاء اللوردات إليك بصفتك ولي أمرهم، فإذا أعدتكَ إلى ويترفل الآن كطفل تُرسله أمُّه إلى فراشه بلا عشاء، سيتذكَّرون هذا ويتضاخَّون عليه وهم يشربون نبيذهم. سيأتي يوم تكون فيه في حاجةٍ إلى احترامهم، بل وخشيتهم لك بعض الشيء كذلك، والضَّحك سُمُّ الخوف. لا، لن أفعل هذا بك على الرغم من رغبتِي المحمومة في الحفاظ على سلامتك».

- «لَكَ شُكري يا أمَّاه»، قال وقد لآخ الارتياح في نبرته الرّسميّة رغماً عنه.

مدَّت يدها عبر المائدة وتحسَّست شعره قائلة: «أنت ابني البكر يا روب، وليس عليَّ إلَّا أن أنطلَّع إليك لأنذكُر يوم جئت إلى العالم أحمرَّ الوجه صارخًا».

نهَض وقد أشعرته لمستها بالارتباك وسارَ إلى المُستوقَد حيث حَكَّ جراي ويند رأسه بساقه وهو يقول: «هل تعرفين ما... ما حدث لأبي؟».

- «نعم». كان خبر وفاة روبرت المفاجئة وسقوط ند قد أرعبها أكثر مما تستطيع التعبير، لكنها لم ترغب في أن يشعُر ابنها بخوفها، وقالت: «اللورد ماندرلي أخبرني عندما نزلتُ في الميناء الأبيض. هل هناك أيُّ أخبار عن أختيك؟».

أجاب روب وهو يفرُّك جراي ويند تحت الفك: «جاءتني رسالة،

وأخرى لك كذلك، لكنها ذهبت إلى وينترفيل مع رسالتي»، وذهب إلى المائدة ليُنْقَب بين أكوام الأوراق والخرائط، ثم عادَ بالرق المجعَّد قائلاً: «هذه رسالتها لي، لكنني لم أفكر في إحضار رسالتك معي».

شيء ما في نبرة روب أزعجها، وفردت الورقة وبدأت تقرأ ليُفَسِّح الانزعاج على ملامحها الطريق للذهول ثم الغضب وأخيراً الخوف. قالت عندما فرغت من القراءة: «هذه كلمات سرسي وليس أختك. الرسالة الحقيقية تكمن في ما لم تقله سانزا، وكل هذا الكلام عن معاملة آل لانستر الكريمة لها... إنني أعرفُ وقع التهديد ولو قبلَ همساً. سانزا رهينة لديهم وينوون الاحتفاظ بها».

قال روب ببؤس: «ليس هناك ذكر لآريا».

- «كلا». لم تكن ترغب في التفكير فيما قد يعنيه هذا، ليس الآن، ليس هنا.

- «كنتُ أملُ أن... لو كنتِ احتفظتِ بالعفريت، كنتُ أملُ في إجراء تبادلٍ للرَّهائن»، وأخذَ رسالة سانزا وكوَّرها في قبضته بطريقةٍ أوحَت لها أن هذه ليست المرَّة الأولى التي يفعل فيها هذا. «هل هناك أخبار من "العُش"؟ لقد كتبتُ إلى الخالة لايسا طالباً مُساعدتها. هل استدعت رايات اللورد آرن؟ هل سينضمُّ فرسان "الوادي" إلينا في القتال؟».

- «واحد منهم فقط، أفضلهم على الإطلاق، عمِّي... لكن برايندن السَّمكة السوداء من أبناء تلي أولاً وأخيراً، أمَّا أخني فلا تنوي التحرك بعد البوابة الدَّامية».

كان وقع الخبر عليه مزعجاً، وقال: «ماذا سنفعل يا أمِّي؟ لقد حشدتُ هذا الجيش، ثمانية عشر ألف رجل، لكنني... لستُ واثقاً من...». بترَ عبارته ونظرَ إليها بعينين تلمعان وقد غابَ اللورد الصَّغير المعتدُّ بنفسه في لحظةٍ وعادَ من جديدٍ طفلاً، صبيّاً في الخامسة عشر من عُمره يتطلَّع إلى أمِّه منتظراً منها الجواب.

ولن يَصْلُحَ هذا على الإطلاق.

بحنانٍ سألته: «مِمَّ تخاف يا روب؟».

- «إنني...»، وأشاحَ برأسه بعيدًا ليُخفي الدَّمْعَة التي سألت مع عينه عنها. «إذا زَحَفْنَا... وحتى إذا قُزْنَا، فما زال آل لانستر يحتجزون سائزًا وأبي. سيقتلونهما، أليس كذلك؟».

- «إنهم يُريدوننا أن نعتقد هذا».

- «تقصدين أنهم يكذبون؟».

- «لا أدري يا روب. ما أعرفه أنك لا تملك الخيار. إذا ذهبت إلى

كينجز لاندينج وأقسمت بالولاء فلن يسمحوا لك بالعودة من هناك أبدًا، وإذا وليت الأديار وانسحبت إلى ويتترفل سيفقد لورداتك كلَّ احترام لك، بل وقد ينضمُّ بعضهم إلى آل لانستر كذلك، وحينها ستستطيع المَلَكَة أن تفعل ما تشاء برهيتيها وقد تضاعل ما يدعوها للقلق كثيرًا. أملنا الأفضل، بل أملنا الحقيقي الوحيد، هو أن تهزم العَدُوَّ في ميدان المعركة، وإذا استطعت أن تأسر اللورد تاويين أو قاتِل المَلِك، ستكون مبادلة الرِّهائن ممكنة جدًا عندئذٍ، لكن هذا ليس قلب المسألة. طالما أثبتَّ أنك تتمتع بقوة كافية لإثارة خوفهم منك، سيظل ند وأختك في أمان، وسرسي تملك ما يكفي من الحكمة لتعرف أنها قد تحتاجهما لتقيم السَّلام إذا انقلبت المعركة عليها».

- «وماذا لو لم تنقلب المعركة عليها؟ ماذا لو انقلبت علينا نحن؟».

أمسكت كاتلين يده وقالت: «روب، لن ألطف وقع الحقيقة عليك. إذا خسرت، فلا أمل لأيٍّ منا. يقولون إنه ليس هناك غير الحَجَر في قلب كاسترلي روك، وتذكَّر مصير طفلي ريجار».

لحظتها رأت الخوف في عينه اللتين لم تريا كثيرًا من الدُّنيا، وإن رأت فيهما قوَّة كذلك، وقال روب بحزم: «لن أخسر إذن».

كانت ترغب في معرفة إن كان مستعدًّا حقًّا، فقالت: «حدَّثني عن القتال الدَّائر في أراضي النُّهر».

قال روب: «منذ أقل من أسبوعين دارت معركة في التلال الواقعة قبل النَّاب الذَّهبي. كان الخال إدميور قد أرسل اللورد فانس واللورد باير للدِّفاع عن الممر، لكن قاتِل المَلِك باعْتهما بالهجوم وأجبرهما على التَّراجع. سقطَ اللورد فانس صريعاً، وآخر ما سمعناه عن اللورد باير أنه انسحبَ لينضمَّ إلى أخيك وبقيَّة حملة الرّاية في ريفرَرَن وچايمي لانستر في أعقابهِ. لكن هذا ليس أسوأ ما حدث، فأنشاء القتال الدَّائر على الممر كان اللورد تاويين يقود جيشاً ثانياً من الجَنوب، ويقولون إنه أكبر من جيش چايمي. لا بُدَّ أن أبي كان يعرف هذا، لأنه أرسلَ بعض الرّجال لمُواجهتهم تحت راية المَلِك نفسه. أعطى القيادة للورد جَنوبيّ ما، اسمه إريك أو دريك أو ما شابه، لكن السير رايمون داري كان معهم، وقالت الرّسالة إن هناك فُرساناً آخرين كذلك، بالإضافة إلى قوَّة من حرس أبي... المشكلة أنه كان فحّاً، فلم يكد اللورد دريك يَعْبُرُ فرع الثَّالوث الأحمر حتى انقَضَّ عليه جنود لانستر ولتذهب راية المَلِك إلى الجحيم، وهاجمهم جريحور كليجاين من المؤخِّرة وهم يُحاولون الانسحاب عبر مخاضة الممثّلين. قد يكون هذا اللورد دريك وحفنة من الآخرين قد فُروا لكن لا أحد متأكِّدًا، لكن السير رايمون قُتِلَ مع معظم رجالنا من ويترفل. يقولون كذلك أن اللورد تاويين قد أغلَقَ طريق الملوك، والآن يزحف شَمالاً صوب هارنِهال حارقاً كلَّ شيء في طريقه».

من نَبَأٍ سَمِعَ إلى نَبَأٍ أسوأ، قالت كاتلين لنفسها وقد صدمتها الأحداث التي لم تتوقَّعها، ثم سألت: «هل تنوي مُواجهته هنا؟».

قال روب: «إذا جاءَ إلى هنا، نعم، لكن لا أحد يعتقد أنه سيفعل. لقد أرسلتُ تعليماتي إلى هولاند ريد، صديق أبي القديم في قلعة المياه الرَّماديَّة. إذا حاولَ جيش لانستر عبور "العُنق"، سيجعلهم رجال المستنقعات ينزفون مع كلِّ خطوة يقطعونها، لكن جالبارت جلوفر يقول إن اللورد تاويين أذكى من أن يُحاول هذا، ورووس بولتون يتَّفَقُ معه.



لا بُدَّ أنه سيظلُّ بالقرب من الثَّالوثِ لِيستولي على قلاع لوردات أراضي النُّهر واحدةً تلو الأخرى حتى تَبْقَى ريفرزن وحدها. يجب أن نرحف جَنوبًا لنواجهه هناك».

أثارت الفكرة خوف كانلين حتى النُّخاع. ما فُرصة صبيٍّ في الخامسة عشر من العُمَر أمام قائدين حربيَّين مُحَنِّكَيْنِ مثل جايبي وتايوين لانستر؟ «أهذا تصرّف حكيم؟ أنت متمركز في مكانٍ قويٍّ هنا، حتى أنهم يقولون إن ملوك السَّمال القدامى كانوا يثبتون في خندق كايلن ويصدُّون جيوشًا أكبر عددًا من جيوشهم عشر مرَّات».

- «نعم، لكن ما لدينا من طعام وموْن يتناقص باضطراد، كما أننا لسنا في أرضٍ يُمكننا أن نقات منها بسهولة. كنا ننتظر وصول اللورد ماندريلي، وينبغي أن نتحرَّك الآن وقد انضمَّ ابناءُ إلينا».

أدرَكَت لحظتها أنها تسمع اللوردات حملة الرِّاية يتكلَّمون بصوت ابنها، فقد استضافت كثيرين منهم على مَرَّ السَّنين في وينترفِل، كما حلَّت مع ند ضيفين عليهم في مناسباتٍ عديدة حتى صارت تعرف جيّدًا أيَّ نوع من الرِّجال هُم بلا استثناء، وتساءلت الآن إن كان روب يعرف بدوره.

على أن كلامهم لم يخلُ من التعقُّل والحكمة، فالجيش الذي حشدَه ابنها لم يكن جيشًا نظاميًا بالمعنى المعروف في المُدن الحرَّة مثلًا، ولا قوَّة من الحرس المأجورين، والسَّواد الأعظم منه يتكوَّن من العامَّة الذين يتنَوَّعون بين المُزارعين وعمَّال الحقول والصيَّادين ورعاة الماشية وأبناء أصحاب الحانات والتُّجَّار ودابغي الجلود، بالإضافة إلى قَلَّةٍ قليلةٍ من المُرتزقة والمُحاربين غير النُّظاميَّين الجائعين لنهب الغنائم. عندما يُناديهم سادتهم يُلبُّون النِّداء... لكن ليس إلى الأبد. قالت كانلين لابنها: «لا بأس بالتحرُّك، لكن إلى أين بالضبط ولأيِّ غرض؟ ماذا تنوي أن تفعل؟».

تردَّد روب قليلًا قبل أن يُجيب: «چون الكبير يقول إن علينا أن نأخذ المعركة إلى اللورد تايوين ونُباغته، لكن آل جلوفر وآل كارستارك يرون

أن من الأحكم أن ندور حول جيشه لننضمَّ إلى الخال إدميور في قتاله ضد قاتل المَلِك»، ومرَّر أصابعه في شعره الكستنائي الأشعث وقد بدت عليه التَّعاسة، وأضاف: «على الرغم من أننا سنصل إلى ريفررَن بعد أن... لستُ واثقًا...».

- «كُن واثقًا إذن»، قالت كاتلين لابنها بحزم. «أو عُد إلى ويترفل وقاتِل بالسَّيف الخشبي من جديد. لا يُمكنك أن تبدو متردِّدًا أمام رجالٍ مثل رووس بولتون وريكارد كارستارك. يجب أن تفهم هذا ياروب: هؤلاء حملة رايك وليسوا أصدقاءك. لقد نصَّبت نفسك قاتلًا عليهم، فقد».

رمقها ابنها بنظرة حائرة كأنه لم يستوعب ما يسمعه، وقال: «كما تقولين يا أمِّي».

- «سأسألك ثانية، ماذا تنوي أن تفعل؟».

بسط روب خريطةً على المائدة، قطعةً مهترئةً من الجلد القديم مغطاةً بخطوطٍ من الطِّلاء الباهت تجعَّد أحد أطرافها من لفتها، فثبته روب بخنجره قائلاً: «كلتا الخُطَّتين لها مزاياها، لكن... انظري، إذا حاولنا الدَّوران حول جيش اللورد تايوين فإننا نُجاذِف بالوقوع بينه وبين جيش قاتِل المَلِك، وإذا هاجمناه... التَّقارير كلها تقول إن لديه رجالًا أكثر مما لديّ، بالإضافة إلى خيولٍ مدرَّعة أكثر كذلك، لكن چون الكبير يقول إن هذا لن يُشكِّل فارقًا إذا هاجمناه على حين غرَّة، بينما رأيي أن مُباغتة رجلٍ خاصَّ عددًا كبيرًا من المعارك مثل اللورد تايوين لن تكون بتلك البساطة».

- «عظيم»، قالت وهي تسمع صدى صوت ند في كلماته وهي تجلس هناك متطلِّعةً إلى الخريطة. «ماذا هناك أيضًا؟».

- «سأترك قوَّةً صغيرةً هنا للدِّفاع عن خندق كايلن، رماة غالبًا، وأتحرك على الممرِّ المرتفع، لكن بمجرد أن نعبُر "العنق" سأقسِّم قوَّاتنا إلى نصفين، فيتابع المُشاة الرِّحف على طريق الملوك، بينما يعبر الخيالة

الفرع الأخضر عند "التوأمتين"، وأشار إلى الخريطة مُواصلاً: «وعندما يبلُغ اللورد تايوين خبر زحفنا جنوباً سيتحرّك بدوره شمالاً للقاء جيشنا الأساسي، ما يُعطي خيَّالتنا الحرّية لِيسارِعوا بالتحرك على الضفّة الغربيّة إلى ريفرَرَن». ختم روب كلامه وتراجع في مقعده لا يجرؤ على الابتسام لكن مسروراً بنفسه ومنطلقاً إلى استحسانها.

قطّبت كاتلين جبينها وأشارت إلى الخريطة قائلة: «لكنك تَضَع النهر بين نصفَي جيشك بهذه الطّريقة».

قال بحماسة وقد ارتسمت الابتسامة على وجهه أخيراً: «وبين چايمي واللورد تايوين. ليست هناك وسيلة لعبور الفرع الأخضر فوق مخاضة الياقوت التي فازَ فيها روبرت بالتّاج حتى "التوأمتين"، واللورد فراي يتحكّم في هذا الجسر. إنه من حملة راية أبيك، أليس كذلك؟».

اللورد فراي المتلكّئ. «بلى، لكن أبي لم يثق به قطّ، ولا ينبغي أن تثق به كذلك».

قال روب: «لن أفعل. لكن ما رأيك؟».

رغمًا عن نفسها وجذّت أنها تشعُر بالإعجاب بالفعل. يحمل ملامح آل تلي، لكنه ابن أبيه بكلّ تأكيد، وند أحسنَ تعليمه حقًا. «أيّ القوتين ستقود؟».

- «الخيّالة»، أجاب من فوره ليبدو مثل أبيه أكثر وأكثر، فدائمًا ما يسلكُ ند الطّريق الأخطر بنفسه.

- «والقوّة الأخرى؟».

- «چون الكبير مُصِرٌّ على أننا ينبغي أن نسحق جيش اللورد تايوين، فخطرُ لي أن أمنحه هذا الشّرف».

كانت هذه أول زلّة له، لكن كيف تجعله يرى هذا دون أن تجرح ثقته الغرّة؟ «قال لي أبوك ذات مرّة إن چون الكبير من أكثر الرّجال الذين لا يعرفون الخوف الذين عرفهم في حياته كلها».

ابْتَسَمَ رُوبٌ قَائِلًا: «جراي ويند التهم اثنين من أصابعه وكانت ردّة فعله هي الضّحك! هل تتفقين معي إذن؟».

قالت كاتلين: «أبوك يُصاب بالخوف، لكنه شجاع، وهذه مسألة مختلفة تمامًا».

فكّر ابنها قليلًا ثم قال باهتمام: «الجيش الشرقي سيكون الشيء الوحيد الذي يقف بين اللورد تاويين وويترفل، بالإضافة إلى الرّماة الذين سأتاركهم هنا في "الخندق"، لذا فإنني لستُ في حاجةٍ إلى أحدٍ بلا خوف، أليس كذلك؟».

- «نعم، فأنت في حاجةٍ إلى المكر المحض أكثر من الشّجاعة في رأيي».

غمغمَ روب: «رووس بولتون. هذا الرّجل يُخيفني».

- «لنأمل إذن أن يُخيف تاويين لانستر كذلك».

أومأ روب برأسه وطوى الخريطة قائلاً: «سأعطي الأوامر إذن، وسأجمعُ قوّةً تصحبك إلى ویترفل».

كانت كاتلين تُكافح طوال الوقت لكي تبقى قويّةً في سبيل ند وفي سبيل ابنهما الشجاع العنيد هذا، ونحّت الخوف واليأس جانبًا كأنهما ثوبان اختارت ألا ترتديهما... لكنها رأت الآن أنها ارتدتّهما بالفعل. سمعت نفسها تقول: «لن أذهب إلى ویترفل»، وغمرتها الدّهشة من الدّموع التي أغرقت عينيها فجأةً وشوّشت رؤيتها. «أبي يحتضر وراء أسوار ريشترن، وأخي مُحاصر بالأعداء، ويجب أن أذهب إليهما».



## تيريون

كانت تشلا بنت تشيك كبير قبيلة الآذان السوداء قد سبقتهم للاستطلاع، وهي من عادت بخبر الجيش الموجود على مفترق الطرق، وقالت: «أحصيت ما يقرب من عشرين ألفاً من الجنود بناءً على النار التي أشعلوها. راياتهم حمراء وعليها أسد ذهبي».

سأله برون: «أبوك؟».

قال تيريون: «أو أخي چايمي. سنعرف قريباً». نطّل إلى ثلثه المهلهلة من اللصوص وقاطعي الطرق، نحو ثلاثمئة رجل من قبائل الغربان الحجرية وإخوة القمر والآذان السوداء والرّجال المحروقين، وهؤلاء مجرّد بذرة للجيش الذي يأمل في حشده، فجونثر بن جورن كان يجمع بقية القبائل الآن بالفعل. تساءل تيريون عن رأي أبيه فيهم عندما يراهم يرتدون جلود الحيوانات ويحملون الأسلحة المسروقة من هنا وهناك، والحقيقة أنه هو نفسه لم يستطع حتى الآن أن يُكوّن رأياً فيهم. أهو قائدهم أم أسيرهم؟ كان يشعر بأنه هذا وذاك في آنٍ واحدٍ أغلب الوقت.

قال لهم: «من الأفضل أن أذهب إليهم وحدي».

- «أفضل لتيريون بن تاوين»، قال أولف الذي يتحدث نيابةً عن إخوة القمر.

قطّب شاجا جينه بشدة ليصبح منظره مخيفاً أكثر مما هو بالفعل،

وقال: «شاجا بن دولف لا يروق له هذا. شاجا سيذهب مع الرَّجل الصَّبي، وإذا كذب الرَّجل الصَّبي سيقطع شاجا ذكره...».

- «... وَيُطْعِمُهُ لِلْمَاعِزِ، نَعَمْ»، قال تيريون بسأم. «شاجا، إنني أعطيك كلمتي باعتباري من آل لانستر أنني سأعود».

كانت تشلا امرأةً قصيرةً لكن قويَّةً، نهذاها صغيران للغاية حتى بدت كأنها تملك صدر رجل، وليست بالحمقاء. «ولمْ نثق بكلمتك؟ كثيرًا ما كذبَ سادة الأراضي المنخفضة على القبائل من قبل».

قال تيريون: «إنكِ تجرحيني يا تشلا وقد حسبتُ أننا صرنا صديقين مقربين، لكن كما تشائين. ستذهبن معي، وشاجا بن كون نيابةً عن الغُربان الحَجَريَّة، وأولف عن إخوة القَمَر، وتيميت بن تيميت عن الرِّجال المحروقين». تبادلَ رجال القبائل نظرات حذرة وهو ينطق أسماءهم، بينما تابعَ هو: «سيبقى الآخرون هنا حتى أُرسلَ إليهم. حاولوا ألا تَقْتُلُوا وتُشَوِّهوا بعضكم بعضًا في غيابي»، ووكَّزَ حصانه وانطلقَ به تاركًا لهم الاختيار بين أن يتبعوه أو يبقوا في مكانهم، ولم يكن يُمانع أن يختاروا هذا أو ذاك حقًا، بشرط ألا يجلسوا ويستغرقوا يومًا وليلةً في الكلام. كانت هذه هي مشكلة قبائل الجبال، فكرتهم السَّخيفة عن ضرورة سماع رأي كلِّ رجلٍ في مجلسهم، وهكذا يتكلَّمون ويتكلَّمون بلا نهاية، وحتى نساؤهم مسموح لهم بالكلام، فلا عجب إذن في أن مئات السنين قد مرَّت منذ شكَّلوا تهديدًا حقيقيًّا لوادي آرن باستثناء غارةٍ صغيرة هنا أو هناك بين الحين والآخر؛ وكان تيريون ينوي تغيير هذا.

انطلقَ برون معه ومن ورائه -بعد ثرثرةٍ سريعة- رجال القبائل الخمسة على خيولهم الهزيلة المُتعبَة التي تبدو كالمهور الصَّغيرة وتتدافع صاعدةً الحواجز الصَّخريَّة كالماعز.

تحركَ رجلا الغُربان الحَجَريَّة معًا، وظلَّت تشلا على مقربةٍ من أولف كذلك بحُكم الأواصر القويَّة التي تربط بين إخوة القَمَر والأذان السَّوداء،

بينما تحرَّك تيميت بن تيميت وحده. كانت كلُّ قبيلة في جبال القَمَر تخاف الرُّجال المحروقين الذين يُميتون جلدَهم بتعريضه للنَّار لإثبات شجاعتهم ويشوون الرُّضَع في ولائهم (كما قال الآخرون)، وحتى الرُّجال المحروقون أنفسهم كانوا يخافون تيميت الذي خزق عينه اليسرى بنفسه بسكينٍ شديد السُّخونة عندما وصل إلى سنِّ البلوغ. استنَّج تيريون أنه من المتعارف عليه أن يحرق الصَّبي البالغ حلمة أو إصبعًا أو أُذُنًا حتى (إذا كان شجاعًا حقًّا أو مجنونًا حقًّا). أصيب الرُّجال المحروقون بالرُّعب من اختيار تيميت لعينه، حتى أنهم أطلقوا عليه لقب "اليد الحمراء"، وهو لقب ما يُطلق على القادة الحربيين لديهم على ما يبدو.

قال تيريون لبرون عندما سمعَ هذه الحكاية: «تُرى ماذا أحرَقَ ملكهم؟»، فابتسم المُرتزق ووضعَ يده على قضيه... لكن حتى برون كان يتكلَّم باحترام في حضور تيميت، فإذا كان الرُّجل مجنونًا بما يكفي لأن يخزق عينه بنفسه، فمن المستبعد أنه سيُعامل أعداءه بأيِّ نوع من الرُّقة.

لاحَ الحُرَّاس البعيدون في أبراج من الحجارة غير المملَّطة بينما تقدَّمت مجموعته بين التلال، ولمحَ تيريون غُدافًا يُحلَّق من هناك، وأخيرًا بلغوا النقطة القويَّة الأولى حيث يلتوي الطُّريق العالي بين بروزين صخريَّين. كان سائر ترابي واطى يسدُّ الطُّريق بينما تُحصَّن دسنة من حاملي القوس والنُّشاب المرتفعات المحيطة، فأوقفَ تيريون مجموعته خارج مدى السُّهام وتقدَّم وحده صائحًا: «من القائد هنا؟».

ظهرَ القائد بسرعة، وبسرعة أكبر مدَّهم بفرقة من الحرس عندما تعرَّف على ابن سيِّده، وتحرَّكوا بخيولهم مارِّين بحقولٍ مسوَّدة ومعازلٍ محترقةٍ مهتدِّمة في طريقهم إلى أراضي النَّهر وفرع النَّالوث الأخضر. لم يرَ تيريون جيشًا، لكن الهواء كان يَعْجُّ بالغداف والغربان آكلة الجيفة، فأدرك أن قتالًا قد دارَ هنا مؤخرًا.

على بُعد نصف فرسخٍ من مفترق الطُّرق أقيمَ متراس من الحراب

المشحوذة تقف خلفه مجموعة من حاملِي الرِّماح والرُّماة، ومن ورائه امتدَّ المعسكر على مدى البصر. خيوط رفيعة من الدُّخان كانت تتصاعد من مِثاتٍ من حُفر النَّار، بينما جلسَ الرُّجال في قمصان الحلقات المعدنية يشحذون سيوفهم تحت الأشجار، وخفقت الرِّايات المألوفة على سَوارٍ مغروسةٍ في الأرض الموحلة. تقدَّمت فرقة من الخيالة للتحقق من أمرهم عندما اقتربوا من المتراس، وعلى رأسها فارس يرتدي درعاً من الفضة المرصعة بأحجار الجَمَشْت ومعطفاً مخطّطاً بالأرجواني والفضي، يحملُ ثُرْساً عليه رمز اليونيكورن ويضع على رأسه خوذةً على شكل رأس حصان يبرز منها قرن لولبي يرتفع قدمين كاملين. جذبَ تيريون عِنان حصانه ليُحيِّيَه قائلاً: «سير فليمنت».

رفعَ السير فليمنت براكس مقدّمة خوذته وقال بدهشة: «تيريون؟ سيّدي، لقد خشينا كلنا أنك مُتَّ أو...»، ورمقَ رجال القبائل بريّة قائلاً: «رفاقت هؤلاء...».

قال تيريون: «أصدقاء حميمون ورفاق مُخلصون. أين أجدُ السيّد والدي؟».

- «لقد اتَّخذ الخان الواقع على مفترق الطُّرق مقرّاً له».

ضحكَ تيريون. الخان الواقع على مفترق الطُّريق! لعلَّ الآلهة عادلة رغم كلِّ شيء. «سأذهبُ إليه في الحال».

- «كما تأمر يا سيّدي»، ودارَ السير فليمنت بحصانه وصاحَ في رجاله آمراً، فرُفعت ثلاثة صفوف من الحراب من الأرض لإفساح الطُّريق لتيريون ومن معه، وقادَهم القزم إلى الدّاخل.

امتدَّ معسكر اللورد تاوين على مسافةٍ شاسعة، وخطرَ لتيريون أن تقدير تشلا لعددهم بعشرين ألفاً لم يكن مخطئاً. خيّم العامّة في العراء، بينما نصَّبَ الفُرسان الخيام، وبعض كبار اللوردات أقام سُرادقاتٍ ضخمة كأنها منازل. رأى تيريون بين الرِّايات المختلفة ثور آل پرستر الأحمر



وخنزير اللورد كراكهول البري الرمادي المخطّط وشجرة آل ماربراند المحترقة وغُرير آل ليدن، وحيّاه الفُرسان وهو يُمُرُّ بهم على ظَهر حصانه، وحدّق الرّجال المسلّحون في رجال القبائل بدّهشة جليّة.

وكان شاجا يُحدّق فيما حوله بدوره، فلا مجال للشكّ في أنها المرّة الأولى التي يرى فيها كلّ هذا العدد من الجنود والخيول والأسلحة في حياته كلها، بينما حافظ بقيةً لصوص الجبال على ثبات ملامحهم، وإن كان تيريون واثقاً من شعورهم بالرّهبة مما يرون، وهذا أفضل كثيراً، فكلما أثارت قوّة آل لانستر انبهارهم أكثر كانت قيادتهم أسهل عليه.

كان الخان واسطبلاته كما يذكّره تقريباً، على الرغم من أن شيئاً لم يتبقّ من القرية المحيطة به غير أحجارٍ متداعيةٍ وأساساتٍ محترقة. رأى مشنقةً منصوبةً في الفناء وجثةً معلقةً منها تزدحم حولها الغدغان التي حلّقت في الهواء عند اقترابه ناعبةً خافقةً بأجنحتها السوداء. ترجّل وألقى نظرةً على ما تبقى من الجثة. كانت الطيور قد التهمت الشفتين والعينين ومعظم الوجنتين لتكشف عن أسنانها الحمراء في ابتسامةٍ بشعة، وتنهّد تيريون وقال لماشا هديل موبّخاً: «غُرفة ووجبة وإبريق من النّبيذ، هذا هو كل ما طلبته».

خرج بعض الصّبية بتردّدٍ من الاسطبلات ليعتوا بخيولهم، وعندما رفض شاجا التخلّي عن حصانه قال له تيريون: «إنهم لن يسرقوا حصانك، سيُطعمونه ويسقونه ويُمسّطون شعره لا أكثر». كان معطف شاجا في حاجةٍ إلى تمشيطٍ جيّدٍ بدوره، لكن لم يكن من اللّباقة أن يذكّر تيريون هذا. «لك كلمتي، لن يمسّ الحصان أيّ أذى».

دمدّم شاجا بشيءٍ ما ثم تخلّى عن عِنان الحصان، ولصبيّ الاسطبل قال بصوتٍ هادر: «هذا حصان شاجا بن دولف».

قال تيريون: «إذا لم يُعده يُمكنك أن تقطع ذكّره وتُطعمه للماعز... إذا وجدت أيّ ماعزٍ هنا».

وقفَ زوج من الحرس يرتدي كلُّ منهما معطفًا قرمزيًا وخوذةً ريشتها على شكل أسد تحت لافتة الخان على جانبي الباب، وتعرّف تيريون على قائدهما فسأله: «أين أبي؟».

- «في القاعة العامة يا سيدي».

- «رجالي يُريدون طعامًا وشرابًا، فتأكد من تقديمه لهم»، قال تيريون ثم دخل الخان... وهناك كان أبوه.

كان اللورد تاوين لانستر سيّد كاسترلي روك وحاكم الغرب في منتصف الخمسينات من العمر، لكن قويًا كشاب في العشرين. حتى وهو جالس كان مديد القامة، له ساقان طويلتان وكتفان عريضتان وبطن مسطّحة، وذراعا النحيلتان تنبأ منهما العضلات. عندما بدأ شعره الذهبي الكثيف ينحسر على رأسه، أمرَ حلاقه الخاص بأن يحلق رأسه كله، فاللورد تاوين لا يؤمن بأنصاف الحلول، كما أنه حلق الشعر الذي يُغطّي شفتيه وذقنه كذلك، وإن احتفظ بما تبقى من لحيته على جانبي وجهه ليُكوّن دغلين كثيفين من الشعر الذهبي الخشن الذي يُغطّي وجنتيه من الأذن إلى الفك. أمّا عيناه فكان لونهما أخضر باهتا مرقطًا بالذهبي، يُذكر مرأهما تيريون بالأحمق الأكثر حماقة من المعتاد الذي قال مازحًا ذات مرّة إن حتى براز اللورد تاوين مرقط بالذهب. يقول البعض إنه لا يزال حيًّا في مكان ما في أعماق كاسترلي روك.

عندما دلف تيريون إلى القاعة العامة رأى السير كيثان لانستر، أخا أبيه الوحيد الذي ظلّ على قيد الحياة، يتشارك إبريقًا من الجوز مع اللورد تاوين. كان عمّه رجلًا بدينًا يزحف الصّلع على رأسه وله لحية صفراء مشدّبة بعناية ومرسومة على خطّ فكّه الكبير، وقد لمحه أولاً فقال مندهشًا: «تيريون!».

- «عمّاه»، قال تيريون وهو ينحني. «والسيّد والدي. من الجميل أن أجدكما هنا».

لم يتحرك اللورد تاويين من مكانه، وإن رمق ابنه القزم بنظرة ممعنة طويلة وقال: «يبدو أن شائعات موتك لم يكن لها أساس من الصحة».

قال تيريون: «آسفٌ لأنني خيبتُ أملك يا أبي. لا داعي لأن تشب من مقعدك لتُعانيّني، فلا أريدك أن تُزعج نفسك»، وقطع القاعة نحو مائدتهما شاعراً بشدة بالطريقة التي تجعله ساقاه القصيرتان يتمايل بها مع كل خطوة، فكلما وقعَ بصر أبيه عليه كان إدراكه لعاهاته الجسدية ونقائصه يزداد أكثر فأكثر. «لطف منك أن تذهب إلى الحرب من أجلي»، قال وهو يتسلق أحد المقاعد ويصُبُّ لنفسه كوباً من شراب أبيه.

ردّ اللورد تاويين: «أنت من بدأ كل هذا في رأيي. لم يكن أخوك چايمي ليستسلم للأسر على يد امرأة بهذا الخنوع».

- «هذا واحد من الاختلافات بيني وبين چايمي، ثم إنه أطول مني كذلك كما لا بدّ أنك لاحظت».

تجاهل أبوه المزحة وقال: «شرف عائلتنا كان على المحك ولم يكن أمامي خيار سوى الخروج للحرب. لا أحد يُريق دم لانستر ويمرّ هذا مرور الكرام أبداً».

- «اسمعوا زميري»، ردّد تيريون كلمات آل لانستر مبتسماً. «الحق يُقال إن لا أحد أراق قطرة من دمي فعلياً، وإن أوشك هذا على الحدوث مرّة أو مرّتين. موريك وچيك قُتلا كذلك».

- «أعتقد أنك ستحتاج رجالاً جُددًا إذن».

- «لا تُقلق نفسك يا أبي، فقد وجدتُ عددًا منهم بنفسِي». جرّب جرعة من المِزر البُنّي فوجده ثخيناً مُزبداً لدرجة أنه يستطيع مضغه تقريباً. نوع ممتاز في الحقيقة، ومن المؤسف أن أباه شقّ صاحبة الخان. «ما أخبار حربك؟».

أجاب عمّه: «تدور على نحوٍ جيّد حتى الآن. السير إدميور نشرَ فرقاً صغيرة من الرّجال على حدوده ليصدّوا غاراتنا، والسيد والدك وأنا استطعنا تدمير أغلبهم بالتدريج قبل أن ينتظموا ثانية».

- «أخوك چايمي يكسو نفسه بالمجد منذ بدأت المعارك»، قال أبوه. «لقد سحقَ اللوردين فانس وپاير عند النَّاب الذهبي، ثم واجهَ قوَّةَ آل تلي المحتشدة تحت أسوار ريفرَن نفسها وأنزلَ بلوردات الثالث هزيمةً منكرة. سقطَ السير إدميور تلي أسيرًا مع كثيرين من فرسانه وحملته رايته، وقادَ اللورد بلاكوود عددًا من النَّاجين إلى ريفرَن التي فرضَ عليها چايمي الحصار، والبقيةُ فرُّوا إلى معاقلهم».

أضافَ السير كيفان: «زحفنا أنا وأبوك عليهم واحدًا تلو الآخر، وفي غياب اللورد بلاكوود سقطت رافتري في الحال، وسلَّمت الليدي ونت هارنهال لعدم وجود رجال كافين للدِّفاع عنها، بينما قضى السير جريجور على آل پاير وآل براكن تمامًا».

سألَ تيريون: «وبهذا لم يَعدْ هناك من يُعارضكما؟».

أجابَ عمُّه: «ليس تمامًا. ما زال آل مالمستر يسيطرون على سيجارد، كما أن والدر فراي يحشد جنوده عند "التَّوأمتين"».

قال اللورد تايوين: «لا يهمُّ. فراي لا ينزل إلى ميدان المعركة إلَّا عندما تلوح رائحة النَّصر في الهواء، وكلُّ ما يشتمُّه الآن هو الخراب، وچيسون مالمستر تعوزه القوَّة للقتال بمفرده. بمجرد أن يَدْخُل چايمي ريفرَن سيركع كلاهما بمنتهى السَّريعة. ما لم يتحرَّك آل ستارك وآل آرَن لمُواجَّهتنا، ففوزنا بهذه الحرب مضمون تمامًا».

قال تيريون: «لن يُشير آل آرَن قلقي كثيرًا لو كنتُ مكانك، أمَّا آل ستارك فمَسْأَلَةٌ أُخْرَى. اللورد إدارد...».

- «... رهينة لدينا»، قال أبوه. «ولن يفقد أيُّ جيوشٍ بينما يتعفَّن في زنزانية تحت القلعة الحمراء».

علَّقَ سير كيفان: «هذا صحيح، لكن ابنه استدعى راياته ويجلس الآن في خندق كايلن وحوله جيش قوي».

قال اللورد تايوين: «لا يكون السَّيف قويًا أبدًا حتى يُغمَر في الماء

ليصير صلدًا، لكن صبيّ ستارك مجرّد طفل. مؤكّد أن صوت الأبواق الحربيّة يروق له، وكذا منظر راياته وهي تُرفرف في الرّيح، لكن ما نفعه في النّهاية هو عمل جزّارين، وأشكّ في أنه يستطيع أن يهضم شيئًا كهذا». قال تيريون لنفسه أن الأوضاع صارت مثيرة حقًّا في غيابه، وسأل: «وماذا يفعل ملكنا الصّنديد بينما يتمّ عمل الجزّارين هذا كله؟ وكيف نجحت أختي الجميلة المُقنّعة في جعل روبرت يُوافق على سجن صديقه العزيز ند؟».

أجاب أبوه: «روبرت باراثيون مات. ابن أختك يَجُكّم في كينجز لاندينج الآن».

أشعر الخير تيريون بدهشة حقيقيّة، وبعد لحظات غمغم: «تقصد أن أختي تحكّم»، ثم أخذ جرعة أخرى من المِزر مفكرًا أن البلاد ستكون مكانًا مختلفًا للغاية وسرسي تحكّم بدلًا من زوجها.

- «إذا كنت تُريد أن تجعل نفسك مفيدًا، فسأعطيك قيادة»، قال أبوه. «مارك بايبر وكاريل فانس وبقية رجالهما ما زالوا طليقيّن عند مؤخرتنا ويُغيرون على أراضينا عبر الفرع الأحمر».

أصدر تيريون صوتًا مستنكرًا بلسانه وقال ساخرًا: «ويُقاومان كذلك؟ يا للصّفاقة! عادة كنتُ لأسعد بفرصة عقابهم على هذه الوقاحة يا أبي، لكن الحقيقة أن لديّ أمورًا مُلحّة في مكانٍ آخر».

قال اللورد تايبين دون أن يبدو عليه أدنى قدرٍ من الدهشة: «حقًا؟ لدينا أيضًا اثنان من رجال ند ستارك عديمي القيمة يُسيّبان لنا إزعاجًا مستمرًا بإغارتهم على خطوط المؤن، لورد صغير يُعاني من ضلالات البطولة اسمه بريك دونداريون، ومعه ذلك الرّاهب المغفل الذي يُحارب بسيف ناري. ها تعتقد أن بإمكانك التّعامل معهما وأنت راحل دون أن تتسبّب في مصيبة؟».

مسح تيريون فمه بظهر يده وابتسم قائلاً: «إنك تُثلج صدري يا أبي

باتسماني على... كم؟ عشرين رجلاً؟ خمسين؟ متأكد من أنك تستطيع الاستغناء عن هذا العدد الكبير؟ لا يهم، إذا صادفتُ ثوروس واللورد بريك سأصفعهما على مؤخريهما»، ونزل من على مقعده واتجه متميلاً إلى الخوان الذي وُضِعَ عليه قالب من الجُبْن الأبيض المعرَّق محاطاً بالفاكهة، وقال وهو يقطع لنفسه شريحة منه: «لكن لديّ أولاً بضعة عود يجب أن أفي بها. أريدُ ثلاثة آلاف خودة ومثلها من قمصان الحلقات المعدنية، بالإضافة إلى سيوفٍ وحرايٍ ورماح ذات رؤوسٍ فولاذية وقضبانٍ شائكة وفؤوس، وأريدُ كذلك أقياتٍ للُعُنَى والصُّدر والسِّينان، وعرباتٍ تحمل كل هذا إلى...».

قاطعهُ انفتاح الباب من ورائه فجأةً بصوتٍ مُدَوٍّ أجفلَ تيريون حتى كادَ يُسْقِطَ شريحة الجُبْن التي في يده، وهَبَّ السير كيثان واقفاً وهو يُطْلِقُ سُبَّةً عندما رأى قائد الحرس يطير عبر القاعة ليرتطم بالمُستوقَد، وإذا سقطَ الرَّجل وسط الرَّماد البارد وقد انبجعت خودته ذات ريشة الأسد، كسر شاجا سيفه إلى نصفين على رُكبته السَّميكة كجذع شجرة، ثم ألقي القطعتين أرضاً وتقدَّم بثناقلٍ عبر القاعة العائمة تسبقه رائحته الكريهة التي تضخمت أكثر في هذا المكان المغلق، وقال مزمجرًا: «عندما ترفع سلاحك في وجه شاجا بن دولف المرّة القادمة، سأقطعُ ذكرك وأشويه على النَّار».

قال تيريون وهو يقضم من شريحة الجُبْن: «لا ماعز هذه المرّة؟». تبعَ بقية رجال القبائل شاجا إلى الدَّاخِل ومعهما برون الذي هَزَّ كتفيه لتيريون بقلّة حيلة، بينما سأل اللورد تاويين بصوتٍ ثلجي: «من تكونون؟».

أجابهُ تيريون: «لقد تبعوني إلى البيت يا أبي. هل يُمكنني أن أحتفظ بهم؟ إنهم لا يأكلون كثيرًا».

لم يتسم أحد، وصاح السير كيثان غاضبًا: «بأيِّ حقٍّ تفتحمون مجلسنا أيها الهمجيون؟».

قال كون الذي كان من الممكن أن يكون وسيماً إذا استحتم: «همجيون يا ابن الأراضي المنخفضة؟ إننا رجال أحرار، والرجال الأحرار لديهم كل الحق في الجلوس في مجالس الحرب». سألت تشلا: «أيكما اللورد الأسد؟».

قال تيميت بن تيميت الذي لم يبلغ العشرين من العمر بعد: «كلاهما رجل مُسِن».

وثبت يد السير كيفان إلى مقبض سيفه، لكن أخاه وضع إصبعين على معصمه وثبت يده في مكانها، وبدا اللورد تايوين رابط الجأش تماماً وهو يقول: «هل نسيت أصول اللياقة يا تيريون؟ أرجو أن تُقدّم لنا... ضيوفنا الكرام».

لعق تيريون أصابعه قائلاً: «بكل سرور. الفتاة الحناء هي تشلا بنت تشيك من قبيلة الآذان السوداء».

قالت تشلا معترضة: «لست فتاة. لقد قطع أبنائي خمسين أذناً حتى الآن».

- «وعسى أن يقطعوا خمسيناً أخرى»، قال تيريون وهو يتحرك مبتعداً عنها. «هذا كون بن كورات، وشاجا بن دولف هو من يبدو مثل كاسترلي روك وقد نبت لها شعر، الاثنان من قبيلة الغربان الحجريّة. هذا أولف بن أومار من قبيلة إخوة القمر، وهذا تيميت بن تيميت، يد حمراء من قبيلة الرجال المحروقين. أمّا هذا فهو برون، مُرتزق بلا ولاءٍ لأحدٍ بعينه، وقد انحازَ إلى طرفين مختلفين بالفعل خلال الفترة القصيرة التي عرفته فيها. يجدرُ بكما أن تكونا صديقين حميمين يا أبي»، ثم التفت إلى برون ورجال القبائل قائلاً: «اسمّحو لي بأن أقدم السيد والدي، تايوين بن تايئوس سلسل عائلة لانستر، سيد كاسترلي روك وحاكم الغرب وحمي لانسهورت، ويدُ المَلِك في الماضي والمستقبل كذلك».

نهض اللورد تايوين ووقف مفرد القامة مهيباً وقال: «حتى في الغرب نسمع عن شجاعة قبائل جبال القمر المحاربة. ما الذي أنزلكم من معاقلكم أيها السادة؟».

قال شاجا: «الخيول».

وقال تيميت: «وعد بالحرير والفلاذ».

كان تيريون على وشك أن يُخبر أباه باقتراحه عن تحويل وادي آرن كله إلى أرضٍ يباب لكنه لم ينل الفرصة، فقد انفتح الباب بصوت مزعج ثانية، ورمقَ الرسائل الذي دلفَ إلى القاعة رجال القبائل بنظراتٍ مستريية وهو يركع على رُكبةٍ واحدةٍ أمام اللورد تايوين ويقول: «سيدى، السير أدام أمَرني بإبلاغك بأن جيش ستارك بدأ يتحرك على الممر المرتفع».

لم يتسم اللورد تايوين لانستر. اللورد تايوين لا يتسم أبداً، لكن تيريون تعلم أن يقرأ سرور أبيه في ملامحه، والآن كان سروره جلياً له تماماً، وقال بصوتٍ راضٍ هادئ: «إذن فقد قرّر الذئب الصغير أن يغادر عرينه ويلعب بين الأسود. رائع! عد إلى السير أدام وقل له أن ينسحب ولا يشتبك مع الشماليين حتى نصل إليه، لكنني أريده أن يُغير على أطرافهم ويستدرجهم جنوباً أكثر».

قال الرسائل وهو يغادر مسرعاً: «كما تأمر».

قال السير كيفان: «إننا متركزون جيداً هنا، قرييون من مخاضة النهر ومحاطون بالحفر والحراب. إذا كانوا في طريقهم إلى الجنوب، فليأتوا إذن. سيحطّمون أنفسهم على دفاعاتنا».

أجاب اللورد تايوين: «قد يبقى الصبي في مكانه أو ينسحب عندما يرى أعدادنا، لكن كلما سارعنا بتحطيم آل ستارك ساجد الوقت والفرصة للتعامل مع ستانيس باراثيون. قل للطبائين أن يدقوا نغمة الاحتشاد، وأرسل خبراً إلى جاييمي بأنني سأتحركُ ضد روب ستارك».

قال أخوه: «كما تشاء».



راقبَ تيريون بافتتاني عابسي إذ التفتَ أبوه إلى رجال القبائل أشباه المجانين وقال: «يُقال إن رجال قبائل الجبال لا يعرفون الخوف».

قال كون رجل الغربان الحجريّة: «ما يُقال صحيح».

وأضافت تشلا: «والنساء كذلك».

قال لهم اللورد تايوين: «اخرجوا معي لقتال أعدائي وستحصلون على كلّ ما وعدكم به ابني وأكثر».

قال أولف بن أومار: «هل تريد أن تدفع لنا من مالنا؟ ما حاجتنا لوعد الأب ولدينا وعد الابن بالفعل؟».

أجاب اللورد تايوين: «لم أذكر شيئاً عن الحاجة، وكلماتي كانت مجرد مجاملة لا أكثر. لستم في حاجة إلى الانضمام إلينا، فرجال أراضي الشتاء مخلوقون من الحديد والجليد، وحتى أشجع فرساني يخشون مواجّهتهم».

قال تيريون لنفسه وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة خبيثة: «أوه، يا للبراعة!»

- «الرجال المحروقون لا يخافون شيئاً. سيُحارب تيميت بن تيميت مع الأسود».

وأضاف كون بحماسة: «أينما ذهب الرجال المحروقون فقد سبقهم الغربان الحجريّة إلى هناك. نحن كذلك سنُحارب معكم».

- «سيقطع شاجا بن دولف ذكورهم ويُطعمها للغربان».

وأخيراً قالت تشلا بنت تشيك: «سنُحارب معك أيها اللورد الأسود، بشرط أن يكون ابنك النصف رجل معنا. لقد اشترى حياته بوعوده، وإلى أن نحصل على الأسلحة التي تعهّد بها، فحياته ملكٌ لنا».

التفتَ اللورد تايوين إلى ابنه ورمقه بعينيه المرقطتين بالذهبي، وبابتسامة مستسلمة قال تيريون: «يا للسعادة!».



## سانزا

صارت جدران قاعة العرش عارية تماماً بعد أن أنزلت الستائر المزدانة  
بصور الصيّد والمعارك التي أحبها الملك روبرت وألقيت في كومة غير  
منتظمة في الركن.

تقدّم السير ماندون مور ليأخذ مكانه عند قاعدة العرش إلى جوار اثنين  
من رفاقه في الحرس الملكي، بينما حامت سانزا عند الباب بلا حراسة  
للمرة الأولى، وكانت الملكة قد أعطتها حرية الحركة في القلعة كمكافأة  
على طاعتها، لكن الحراسة صاحبها في كل مكان تذهب إليه. «حرس  
شرف لابتني القادمة»، قالت الملكة وإن لم تشعر سانزا بأي شرف في  
الأمر. "حرية الحركة في القلعة" كانت تعني أنها تستطيع الذهاب إلى أي  
مكان داخل القلعة الحمراء بشرط أن تعد بالآلا تخرج من الأسوار أبداً،  
وهو الوعد الذي كانت سانزا مستعدة تماماً لأن تقطعه على نفسها، وهي  
لا تستطيع الخروج من الأسوار في جميع الأحوال، فطوال الليل والنهار  
تخضع البوابات لحراسة رجال چانوس سلينت ذوي المعاطف الذهبية،  
بالإضافة إلى وجود رجال لانستر في كل مكان كذلك. ثم يفرض أنها  
تقدر على الخروج من القلعة، فإلى أين تذهب أصلاً؟ كان يكفيها أنها  
تستطيع التمشية في الساحة وتقطف الزهور من حديقة الأميرة مارسلا  
وتزور السبّيت لتُصلي لأبيها، وأحياناً كانت تُصلي في أيكة الآلهة كذلك،  
بما أن آل ستارك يعبدون الآلهة القديمة.

كان هذا أول انعقادٍ للبلاط في حُكم جوفري، ما جعلَ سانزا تتطَلَّع حولها بتوتُّر. وقفَ صَفٌّ من رجال لانستر تحت النَّوافذ الغربيَّة، وآخر من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة تحت النَّوافذ الشرقيَّة، ولم ترَ سانزا أثرًا للعامة اليوم، لكن تحت الشُّرفة وقفَ حشد من كبار اللوردات وصغارهم متململين في أماكنهم. لم يكونوا أكثر من عشرين، بينما كان المعتاد أن يقف مئة على الأقل منهم في انتظار المَلِك روبرت.

انسلَّت سانزا من بينهم مغممةً بالنحيَّة لتقف في الصَّفِّ الأول، وتعرَّفت على الأمير المنفي چالابار شو ذي البشرة السوداء والسير أرون سانتاجار العابس والتَّوأمين هورور وسلوبر ردواين... وإن لم يبدُ أن أحدًا منهم قد تعرَّف عليها، وإذا فعلوا فقد أشاحوا بوجوههم عنها كأنها مصابة بالداء الأرمد. غطَّى اللورد جايلز السَّقِيم وجهه عندما لمحَّها وتظاهر بأنه مصاب بنويَّة من السُّعال، وعندما حاول السير دونتوس السَّكَّير الطَّرِيف تحيَّتها همَّس السير بالون سوان في أذنه بشيء ما جعله يُشبح بنظره عنها بدوره.

وآخرون كثيرون لم يكونوا موجودين. أين ذهبَ بقيَّتهم؟ عبثًا أخذت تبحث عن وجهٍ صديق، لكن جميعهم تجنَّبوا التَّقاء عيونهم بعينيها كأنها ماتت قبل الأوان وصارت شبحًا.

كان المايستر الأكبر پايسل جالسًا بمفرده إلى مائدة المجلس وقد بدا نائمًا وقد شبَّك يديه معًا فوق لحيته، ورأت اللورد فارس يدخل القاعة مُسرِّعًا دون أن يُصدر خُفاه صوتًا على الأرض، وبعد لحظةٍ دخلَ اللورد بايلش من الباب الطَّويل في المؤخِّرة وعلى شفَّته الابتسامة المعتادة، وتبادلَ بضع كلماتٍ ودود مع السير بالون والسير دونتوس وهو يقطع طريقه إلى المقدِّمة. كان توتُّر سانزا شديدًا حتى أنها شعرت بمعدتها تنقلب، فقالت لنفسها: لا يجدر بي أن أخاف وليس هناك ما أخافُ منه. كلُّ شيء سيكون على ما يرام. جوفري يُحِبُّني وكذلك المَلِكة، هي قالت هذا بنفسها.

صَاحَ حَاجِبُ الْمَلِكِ: «فَلْيُحَيِّ الْجَمِيعَ جَلَالَتُهُ، جُوفَرِي الْأَوَّلَ سَلِيلَ عَائِلَتِي بَارَاثِيُونَ وَلَانَسْتَر، مَلِكُ الْأَنْدَالِيَّينَ وَالرُّوِينَارِ وَالْبَشَرِ الْأَوَائِلِ وَسَيِّدُ الْمَمَالِكِ السَّعْبِ. فَلْيُحَيِّ الْجَمِيعَ السَّيِّدَةَ وَالِدَتَهُ، سَرَسِي سَلِيلَةَ عَائِلَةِ لَانَسْتَر، الْمَلِكَةَ الْوَصِيَّةَ عَلَى الْعَرْشِ، نُورَ الْغَرْبِ وَحَامِيَةَ الْبِلَادِ».

تَقَدَّمَهُمَا السَّيْرُ بَارِيَسْتَانِ سَلَمِي مَرْتَدِيًا دِرْعَهُ الْبِيضَاءَ الْبَرَّاقَةَ، بَيْنَمَا رَافَقَ السَّيْرَ آرِيَسُ أَوْكَهَارَتِ الْمَلِكَةِ وَسَارَ السَّيْرُ بُوْرُوسَ بِلَاوْنَتَ إِلَى جَوَارِ جُوفَرِي، لِيَصِيرَ سَتَّةً مِنْ فُرْسَانِ الْحَرَسِ الْمَلِكِيِّ فِي الْقَاعَةِ، جَمِيعِ السُّيُوفِ الْبِيضَاءِ بَاسْتِنَاءٍ جَايَمِي لَانَسْتَر. صَعَدَ أَمِيرُهَا -لَا، بَلْ مَلِكُهَا الْآنَ!- دَرَجَاتِ الْعَرْشِ الْحَدِيدِيِّ اثْنَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ، بَيْنَمَا جَلَسَتْ أُمُّهُ إِلَى مَائِدَةِ الْمَجْلِسِ. كَانَ جُوفُ يَرْتَدِي سُرَّةً مِنَ الْمَخْمَلِ الْأَسْوَدِ الْمَخْطُطِ بِالْقَرْمَزِيِّ تَحْتَ حَرْمَلَةٍ لَامِعَةٍ مِنْ قِمَاشِ الذَّهَبِ ذَاتِ يَاقَةِ عَالِيَةٍ وَعَلَى رَأْسِهِ وَضَعَ تَاجًا ذَهَبِيًّا مَرَصَّعًا بِالْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ وَالْمَاسِ الْأَسْوَدِ. انْتَفَتَحَ عَيْنَاهُ بِعَيْنَيْهَا عِنْدَمَا انْتَفَتَحَ لِيَتَطَلَّعَ إِلَى الْقَاعَةِ، فَابْتَسَمَ لَهَا ثُمَّ جَلَسَ وَقَالَ: «مِنْ وَاجِبَاتِ الْمَلِكِ أَنْ يُعَاقِبَ الْخُونَةَ وَيُكَافِيَ الْمُخْلِصِينَ. أَيُّهَا الْمَایَسْتَر الْأَكْبَرُ پَايسِل، أَمْرُكَ بِأَنْ تَقْرَأَ مَرَايِمِي عَلَى الْحُضُورِ».

نَهَضَ پَايسِلُ مُتَأَقِّلًا. كَانَ يَرْتَدِي مَعْطَفًا رَاضِعَ الْجَمَالِ مِنَ الْمَخْمَلِ الْأَحْمَرِ السَّمِيكِ ذَا يَاقَةٍ مِنْ فُرُوحِ حَيَوَانِ الْقَاقِمِ وَأَبَازِيمٍ ذَهَبِيَّةٍ لَامِعَةٍ، وَمِنْ كُمِّهِ الْوَاسِعِ الْمُنْقَلِ بِالزُّخْرَفَةِ الذَّهَبِيَّةِ الْمَلُولَةِ أَخْرَجَ رَقًّا مَطْوِيًّا بِسَطِّهِ وَبَدَأَ يَتْلُو قَائِمَةً طَوِيلَةً مِنَ الْأَسْمَاءِ أَمْرًا كُلًّا مِنْهُمْ بِاسْمِ الْمَلِكِ وَمَجْلِسِهِ أَنْ يُقَدِّمَ نَفْسَهُ وَيُقَسِّمَ بِالْوَلَاءِ لَجُوفَرِي، وَإِذَا تَخَاذَلَ عَنْ هَذَا فَسَوْفَ يَتِمُّ اعْتِبَارُهُ خَائِنًا وَيَسْتُولِي الْعَرْشَ عَلَى أَرْضِيهِ وَأَلْقَابِهِ.

الْأَسْمَاءُ الَّتِي قَرَأَهَا جَعَلَتْ سَانَزَا تَحْبِسُ أَنْفَاسَهَا: اللُّوردُ سَتَانِيَسُ بَارَاثِيُونَ وَالسَّيِّدَةُ زَوْجَتُهُ وَابْنَتُهُ، اللُّوردُ رَنْلِي بَارَاثِيُونَ، اللُّوردَانِ رُويَسُ وَأَبْنَاؤُهُمَا، السَّيْرُ لُورَاسُ تَايِرِلْ، اللُّوردُ مَایَسُ تَايِرِلْ وَإِخْوَتُهُ وَأَعْمَامُهُ وَأَبْنَاؤُهُ، الرَّاهِبُ الْأَحْمَرُ ثُورُوسُ الْمَايِرِي، اللُّوردُ بَرِيكُ دُونْدَارِيُونَ،

الليدي لايسا آرن وابنها اللورد روبرت الصَّغير، اللورد هوستر تلي وأخوه السير برايندن وابنه إدميور، اللورد چيسون ماليستر، اللورد برايس كارون سيّد تخوم دورن، اللورد تايئوس بلاكوود، اللورد والدر فراي ووريثه اللورد ستقرون، اللورد كاريل فانس، اللورد چونوس براكن، الليدي شيللا وِنت، دوران مارتل أمير دورن وجميع أبنائه. أخذَ پايسل يقرأ ويقرأ، وقالت سانزا لنفسها: عدد كبير جدًّا. سيَتطلَّب توصيل هذه الأوامر سرِّبًا كاملًا من الغِدفان.

وفي النِّهاية، قُرِبَ آخر القائمة، جاءت الأسماء التي كانت سانزا تتوجَّس منها خيفةً: الليدي كاتلين ستارك، روب ستارك، براندون ستارك، سيكون ستارك، آريا ستارك. كتمت سانزا شهقتها لدى سماع الاسم الأخير... آريا! إنهم يُريدون أن تُقدِّم آريا نفسها وتُقسِم بالولاء، وهذا يعني أن أختها قد فَرَّت على السَّفينة بالفعل، ولا بُدَّ أنها آمنة في ويترفل الآن.

طوى پايسل القائمة ودسَّها في كُمِّه الأيسر وأخرج رَقًّا آخر من الأيمن وتمنَّحَ قبل أن يُواصِل: «رغبة جلالته أن يحلَّ اللورد تايوين لانستر سيّد كاسترلي روك وحاكِم الغرب محلَّ الخائن إدارد ستارك في منصب يَد المَلِك، ليتكلَّم بصوته ويقود جيوشه ضد أعدائه ويُنفِّذ أوامره المَلِكِيَّة. هكذا أمرَ المَلِك وصدَّق المجلس. رغبة جلالته أن تحلَّ المَلِكَة الوصيَّة على العرش سوسي لانستر التي طالما كانت أوفى مُناصريه محلَّ الخائن ستانيس باراثيون في المجلس الصَّغير، كي تُعاونه على الحُكْم بالعدل والحكمة. هكذا أمرَ المَلِك وصدَّق المجلس».

سمعت سانزا همهمة خافتة من اللوردات المحيطين بها، لكنها سرعان ما خفَّت وأكملَ پايسل: «جلالته يرغب أيضًا في أن يُرفَّع خادمه المُخلص چانوس سلينت، قائد حرس مدينة كينجز لاندنچ، إلى رُتبة لورد ويُمنَح قلعة هارنهال العتيقة بكلِّ ما يتبعها من أراضٍ ودخول، وأن يتوارثها أبناؤه وأحفاده من بعده حتى نهاية الزَّمن. يأمر جلالته أيضًا بأن

ينضمّ اللورد سلينت في الحال إلى المجلس الصّغير ليعاونه على حُكم البلاد. هكذا أمر المَلِك وصدّق المجلس».

لمحت سائرا حركة بُرُكن عينها لدى دخول جانوس سلينت، وهذه المرأة كانت الهمهمة أعلى صوتًا وأكثر حنقا. أفسح اللوردات الكبار الذين يعود تاريخ عائلاتهم إلى آلاف السنين الطريق على مضضٍ للرجل العامي الأصيل ذي وجه الضفدع ليمرّ من بينهم، وتحت معطفه المنقوش بمرَبَّعاتٍ من الذهب والاسود رُتت الصّفائح الذهبية المخيطة بصدّرته المخملية السوداء بصوتٍ خافتٍ مع حركته، بينما تقدّمه صبيانٌ فيحان - لا بدّ أنهما ولداه - يحملان بصعوبةٍ ثَرسًا معدنيًا ثقيلًا يُناهزهما طولًا، وقد رُسم عليه الرّمز الذي اختاره سلينت لنفسه، رُمح ذهبيّ دام على خلفيّة سوداء حالكة، وهو المنظر الذي جعلَ القشعريرة تسري في جسد سائرا.

أكملَ پايسل واللورد سلينت يتّخذ مكانه: «أخيرًا، في هذا الوقت المليء بالخيانة والاضطرابات، ومع وفاة ملكنا المحبوب روبرت مؤخرًا، فقد ارتأى المجلس أن حياة وسلامة المَلِك جوفري هما الأقصى أهمية». قالها ونظرَ إلى المَلِكة.

نهضت سرسي قائلة: «سير بارستان سلمي، تقدّم».

كان السير بارستان واقفًا عند قاعدة العرش الحديدي بثبات التمثال، فركعَ على رُكبةٍ واحدةٍ وحنى رأسه قائلاً: «تحت أمرِك يا جلالة المَلِكة».

قالت سرسي لانستر: «انهض يا سير بارستان، واخلع خوذتك».

بدهشةٍ قال الفارس المُسنّ مندهشًا: «سيّدتي؟»، لكنه خلعَ خوذته البيضاء الطويلة وإن بدّت عليه الحيرة.

- «لقد خدّمت البلاد طويلاً بكلّ إخلاصٍ يا سيّدي الكريم، وكلُّ رجلٍ وامرأةٍ في الممالك السبع يُدينون لك بالشكر، لكنني أخشى أن خدمتك قد بلغتَ منتهائها الآن. إنها رغبة المَلِك والمجلس أن تُريح عينك الثّقل عن عاتقك».

- «عاتقي؟ أخشى أني لا...».

رفع اللورد الجديد چانوس سلينت قائلاً بجلافة: «جلالتهما تُحاول أن تقول لك إنك مُعفى من منصبك كقائد للحرس الملكي».

بدا الفارس الأشيب الطويل كأنه يتضاءل إذ وقف هناك يكاد لا يستطيع التقاط أنفاسه، وقال أخيراً: «جلالة الملكة، الحرس الملكي أخوة تحت القسم واليمين الذي حلفناه يدوم مدى الحياة. الموت فقط يستطيع إعفاء قائد الحرس الملكي من واجبه المقدس».

بصوتٍ ناعمٍ كالحرير سمعه كل من في القاعة قالت الملكة: «موت من يا سير بارستان؟ موتك أم موت ملكك؟».

وقال چوفري من فوق العرش الحديدي بصوتٍ مليءٍ بالأنهام: «لقد تركت أبي يموت. أنت عجوز جداً ولا تستطيع حماية أحد».

راقبت سائزا والفارس يرفع عينيه إلى ملكه الجديد. لم تكن قد رآته وقد بدت سنين عمره الحقيقية على ملامحه من قبل، لكن الهرم تجلّى عليه الآن وهو يقول: «جلالة الملك، لقد اخترت للانضمام إلى السيوف البيضاء وأنا في الثالثة والعشرين من عمري، وكان هذا كل ما حلمت به منذ أمسكت سيفاً بيدي للمرة الأولى، ولقد تخليت عن كل حق في ميراث أسلافي، والفتاة التي كنت سأتزوج منها تزوجت ابن عمي بدلاً مني، فلم تكن لدي حاجة إلى الأراضي والذرية وقد نذرت حياتي للبلاد. لقد جلفت يميني أمام السير چيرولد هايتاور نفسه، أن أحمي الملك بكل ما لدي من قوة، أن أبذل دمي دفاعاً عنه. لقد قاتلت إلى جوار الثور الأبيض وليوين أمير دورن، إلى جوار السير آرثر داين سيف الصباح، وقبل أن أخدم أباك خدمت الملك إيرس وأباه چهيرس من قبله... ثلاثة ملوك».

قال الإصبع الصغير: «وكلهم أموات».

قالت سرسي لانستر بحسم: «وقتك انتهى. چوفري يحتاج رجالاً

شبابًا أقوياء من حوله. لقد قرَّر المجلس أن يأخذ السير چايمي لانستر مكانك كقائد لأخوة السيف البيضاء.

- «قاتل المَلِك»، قال السير باريستان بصوتٍ مفعم بالازدراء. «الفارس الزائف الذي دَنَس سيفه بدم المَلِك الذي أقسمَ عليَّ حمايته». قالت المَلِكة محذرة: «انتبه لكلماتك يا سيدي، إنك تتكلم عن أخينا الحبيب، خال مَلِكك».

تكلم اللورد فارس قائلاً بلهجة ألطف من الآخرين: «نحن لسنا غافلين عن إخلاصك في خدمتك يا سيدي الكريم. اللورد تايوين لانستر وافقَ بكلِّ سخاءٍ على أن يمنحك قطعة أرضٍ ضخمة شمال لانسپورت، على البحر، بالإضافة إلى ما يكفي من الذهب والرُّجال لبناء قلعةٍ منيفة لك، وخدم يُلَبُّون كلَّ احتياجاتك».

رفع السير باريستان رأسه بحركة حادة وقال: «خُفرة أموت فيها ورجال يدفونني. أشكركم أيها السادة... لكنني أبصقُ على شفقتكم»، ومدَّ يده ليحلَّ المشبكين اللذين يُبْنِيان معطفه، فانزلقَ المعطف الأبيض من على كتفيه ليسقط مكوِّماً على الأرض، ثم سقطتْ خوذته برنينٍ مُدَوٍّ. «إنني فارس»، وفتحَ أبازيم واقى الصدر الفضِّيَّ ليسقط هذا بدوره. «وسأموثُ فارساً». قال الإصبع الصَّغير ساخرًا: «فارساً عاريًا على ما يبدو».

وانفجروا جميعاً ضاحكين لحظتها، جوفري على عرشه، اللوردات الحاضرون، جانوس سلينت والمَلِكة سرسي وساندور كليجاين... وحتى رجال الحرس المَلِكِيِّ الآخرون، الخمسة الذين كانوا إخوته قبل لحظةٍ واحدة، ما جعلَ سانزا تقول لنفسها: لا بُدَّ أن هذا أكثر ما ألمه. شعرت بقلبها ينفطر من أجل الفارسِ المُسنِّ الشُّجاع الذي وقفَ مُهانًا محتقن الوجه، أكثر غضبًا من أن يتكلَّم. ثم استل السير باريستان سيفه.

سمعت سانزا أخذهم يشهق، وتقدَّم السير بوروس والسير مرين لمواجهته، لكن السير باريستان جمَّدهما في مكانهما بنظرة تقطُر احتقارًا



وقال: «لا تخافوا أيها السادة، ملككم في أمان، ودون فضل منكم. حتى الآن أستطيع أن أنفذ عبر خمستكم كما ينفذ السكّين في قطعة من العجين. إذا كنتم تقبلون الخدمة تحت قيادة قاتل الملك، فلا أحد منكم جدير بارتداء الأبيض»، ثم ألقى سيفه عند قاعدة العرش الحديدي وقال: «هاك يا ولد. أذبه وأضفه للسيوف الأخرى إذا أردت، فهو أفيد لك من تلك التي في أيدي هؤلاء الخمسة، ولربما يجلس اللورد ستانيس عليه عندما يستولي على عرشك».

خرج من القاعة قاطعاً الطريق الطويل وخطواته ترنّ بصوت عالٍ على الأرض ويتردّد صداها على الجدران الحجرية العارية، وانزاح اللوردات والليديها ليمرّ من بينهم، ولم تسمع سائرا الأصوات من جديد حتى أغلق الخدم الباب البلوطي الضخم المدعّم بالبرونز، الهمسات الخفيفة والتحرّكات المتوتّرة وحفيف الأوراق على مائدة المجلس. ثم قال جوفري بترّم وقد بدا أصغر من عمره: «لقد نعتني بالولد، وتكلّم عن عمّي ستانيس كذلك».

قال فارس الخصي: «ترهات بلا معنى».

- «من الممكن أنه يتأمر مع عمّي. أريد القبض عليه واستجوابه. ولمّا لم يتحرّك أحد رفع جوفري صوته مكرّراً: «أريد القبض عليه!».

نهض چانوس سلينت قائلاً: «سينولّي رجالي الأمر يا جلالة الملك».

قال جوفري: «عظيم»، وخرج اللورد چانوس من القاعة بخطوات واسعة خطا ابناه ضعفاه ليلحقا به وهما يجرّان الترس المعدني الضخم ذارمز عائلة سلينت.

قال الإصبع الصّغير: «جلالة الملك، إذا سمحت بأن نستأنف، السبعة صاروا ستة الآن، ويبدو أننا في حاجة إلى سيف جديد لحرسك».

مبتسماً ردّ جوفري: «أخبريهم يا أمّي».

- «الملك ومجلسه قرّرا أن لا رجل في الممالك السّبع كلها أجدّر بحماية جلالة من حارسه الشّخصي ساندور كليجاين».

سأله المَلِكُ جوفري: «ما رأيك أيها الكلب؟».

كان من الصَّعب قراءة ما يعتمل في نفس كلب الصَّيد على ملامحه المشوَّهة، واستغرق مدَّةً طويلةً ليُفَكَّر قبل أن يقول: «ولِمَ لا؟ إنني لا أملكُ أراضٍ أو زوجةً أهجرها، ومن يُبالي إذا فعلتُ على كلِّ حال؟»، والتوى الجانب المحترق من فمه وهو يضيف: «لكنني أحذرك، فلن آخذَ على نفسي عهداً الفُرسان».

قال السير بوروس بحزم: «دائمًا ما كان إخوة الحرس المَلِكِي فُرسانًا».  
- «حتى الآن»، قال كلب الصَّيد بصوته الأَجشَّ العميق، ولأذ السير بوروس بالصَّمت.

أدركتُ سانزا أن اللَّحظة حانت عندما تقدَّم وكيل المَلِك، فسوّت قُمَاش فستانها بتوتُّر. كانت ترتدي ثياب الحداد كعلامةٍ على الاحترام للمَلِك الرَّاحِل، لكنها بذلت مجهودًا خاصًّا لتبدو جميلةً. كان فُستانها هو الفُستان الحريري ذو اللَّون العاجي الذي كانت المَلِكة قد أهدتها إياه وأنلفته آريا، لكنها جعلتهم يصبُّونه بالأسود فلم تَعُدْ البُقعة ظاهرةً على الإطلاق، أما المجوهرات فقد احتارت بينها لساعاتٍ قبل أن تستقرَّ أخيرًا على البساطة الأنيقة التي تتمتع بها واحدة من سلاسلها الفُضِيَّة.

دَوَّى صوت الحاجب: «إذا كان هناك أيُّ أحدٍ في هذه القاعة لديه شأن يرغب في طرحه أمام جلالته، فليقدِّم الآن أو يحتفظ بصمته».

هوى قلب سانزا بين قدميها، وقالت لنفسها: الآن، يجب أن أفعلها الآن. فلتمنحني الآلهة الشَّجاعة، وتقدِّمت خطوةً، ثم أخرى، وأفسح لها اللوردات والفُرسان الطَّريق بصمتٍ بينما شعرت بثقل نظراتهم المصوَّبة إليها. يجب أن أكون قويَّة كالسَيِّدة والدتي. بصوتٍ ناعمٍ مرتجفٍ قالت: «جلالة المَلِك».

كان ارتفاع العرش الحديدي يجعل القاعة كلها مكشوفةً لجوفري أكثر من أيِّ أحدٍ آخر فيها، فكان أول من رأى سانزا وقال مبتسمًا: «تقدَّمي يا سيِّدتي».

شَجَّعَتْهَا ابْتِسَامَتُهُ وَجَعَلَتْهَا تَشْعُرُ بِالْجَمَالِ وَالْقُوَّةِ. إِنَّهُ يُحِبُّنِي حَقًّا، هَذَا وَاضِحٌ. رَفَعَتْ سَازَنَّا رَأْسَهَا وَتَقَدَّمَتْ مِنْهُ بِخَطَوَاتٍ لَيْسَتْ بِالْبَطِيئَةِ أَوْ السَّرِيعَةِ. لَا يَجِبُ أَنْ تَسْمَحَ لَهُمْ بِرُؤْيَا تَوَثُّرِهَا.

تَوَقَّفَتْ تَحْتَ الْعَرْشِ فِي الْبُقْعَةِ الَّتِي تَكُونُ فِيهَا مَعْظَفُ السَّيْرِ بَارِيسْتَانِ الْأَبْيَضِ إِلَى جِوَارِ الْخُوذَةِ وَوَاقِي الصَّدْرِ، وَسَأَلَتْهَا سَرَسِي مِنْ مَكَانِهَا عَلَى مَائِدَةِ الْمَجْلِسِ: «أَلَدَيْكَ شَأْنٌ مَعَ الْمَلِكِ وَالْمَجْلِسِ يَا سَازَنَّا؟».

- «أَجَلٌ»، وَرَكَعَتْ عَلَى الْمَعْظَفِ كَيْ لَا تُوسِّخَ فُسْتَانُهَا وَرَفَعَتْ عَيْنَيْهَا إِلَى أَمِيرِهَا عَلَى عَرْشِهِ الْأَسْوَدِ الْمَخِيفِ قَائِلَةً الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَمَرَّنَتْ عَلَيْهَا مِثْلَ مَرَّةٍ: «بَعْدَ إِذْنِ جَلَالَتِكَ، أَطْلُبُ الرَّحْمَةَ لِأَبِي اللَّورْدِ إِدَارْدِ سِتَارِكِ الَّذِي كَانَ يَدُ الْمَلِكِ».

زَفَرَتْ الْمَلِكَةُ وَقَالَتْ: «إِنَّكَ تُخَيِّبُنِ أَمْلِي يَا سَازَنَّا. مَاذَا قُلْتَ لَكَ عَنْ دَمِ الْخُونَةِ؟».

بِلَهْجَةٍ رَنْبِيَّةٍ قَالَ الْمَایَسْتَرُ الْأَكْبَرُ پَايسِلُ: «لَقَدْ ارْتَكَبَ أَبُوكَ جَرَائِمَ شَنْعَاءَ يَا سَيِّدَتِي».

وَتَنَهَّدَ فَارَسٌ وَقَالَ: «آه، يَا لِلْمَسْكِينَةِ! إِنَّهَا مَجْرَّدُ طِفْلَةٍ أَيُّهَا السَّادَةُ وَلَا تَعِي مَا تَقُولُهُ».

ظَلَّتْ عَيْنَا سَازَنَّا مُثَبَّتَتَيْنِ عَلَى چَوْفَرِي لَا غَيْرِهِ. يَجِبُ أَنْ يَسْمَعَنِي، يَجِبُ. اعْتَدَلَ الْمَلِكُ فِي جِلْسَتِهِ وَقَالَ أَمْرًا: «دَعُوهَا تَتَكَلَّمُ».

- «شُكْرًا لَكَ يَا جَلَالَةَ الْمَلِكِ»، وَابْتَسَمَتْ سَازَنَّا ابْتِسَامَةً خَجُولًا لَهُ وَحْدَهُ. إِنَّهُ يُصْنَعِي إِلَيْهَا كَمَا كَانَتْ وَائِقَةً مِنْ أَنَّهُ سَيَفْعَلُ.

قَالَ پَايسِلُ بِصِرَامَةٍ: «الْخِيَانَةُ عُشْبَةٌ ضَارَّةٌ، يَجِبُ انْتِزَاعُهَا مِنَ الْأَرْضِ جَذْرًا وَسَاقًا وَبِذْرَةً وَإِلَّا نَبَتَ مِنْهَا خُونَةٌ آخَرُونَ عَلَى كُلِّ طَرِيقٍ».

سَأَلَهَا اللَّورْدُ بَايلِشُ: «هَلْ تُتَكَرِّرِينَ جَرَائِمَ أَبِيكَ؟».

كَانَتْ سَازَنَّا أَذْكَى عَلَى الْأَقْلُ مِنْ أَنْ تَجِيبَ بِالْإِيجَابِ، وَقَالَتْ: «كَلَّا أَيُّهَا السَّادَةُ، أَعَرَفُ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُعَاقَبَ، لَكِنْ كُلُّ مَا أَطْلُبُهُ هُوَ الرَّحْمَةُ».

وأعرفُ أن السيّد والدي نادِم بالتأكيد على ما فعله، فقد كان صديق المَلِك روبرت وأحبه كأخيه، كلكم تعرفون أنه كان يُحبه، ولم يرغب قط في أن يكون اليَد حتى طلب منه المَلِك هذا. لا بُدَّ أن أحدهم كذب عليه، اللورد رنلي أو اللورد ستانيس أو... أي أحد، لا بُدَّ أنه كذب عليه، وإلا...».

مال المَلِك جوفري إلى الأمام قابضاً على ذراعي العرش لتبرّز رؤوس السُيوف المكسورة من بين أصابعه، وقال: «لقد قال إنني لستُ المَلِك، فلماذا قال هذا؟».

أجابَت بانفعال: «كانت ساقه مكسورة وتؤلّمه كثيراً، والمَيايستر بايسل كان يسقيه حليب الخشخاش، ويقولون إن حليب الخشخاش يملأ الدِّماغ بالغَمَام، وإلا ما كان ليقول هذا أبداً».

قال فارس: «يا لإيمان الأطفال وتلك البراءة العذبة! ومع ذلك يقولون إن الحكمة كثيراً ما تأتي من أفواه الأطفال».

ردّ بايسل في الحال: «الخيانة هي الخيانة».

تحرك جوفري بعصبية على عرشه، وقال: «أمّا؟».

رمقت سرسي لانستر سائزاً الفترة طويلة، قبل أن تقول أخيراً: «إذا اعترف اللورد إدوارد بجريمته، فسنعرف ساعتها أنه ندَم بالفعل على حماقته».

نهض جوفري فقالت سائزاً لنفسها بحرارة: أرجوك، أرجوك كُن المَلِك الذي أعرفه، طيّب القلب رحيماً نبيلًا، أرجوك. سألهَا: «هل ترغبين في قول شيء آخر؟».

- «فقط... بحقِّ حُبِّك لي أن تُقدِّم لي هذا الجميل».

تطلّع المَلِك جوفري إليها من أعلى إلى أسفل، ثم أوما برأسه بنبل كأنه يقول لها إن كل شيء سيكون على ما يرام. «كلماتكِ العذبة أثّرت فيّ. سأفعل ما تطلّبين... لكن على أيبك أن يعترف أولاً، عليه أن يعترف ويُقرُّ بأنني المَلِك، وإلا فلا رحمة له».

قالت سائزاً وقلبها يُحلّق في الهواء: «سيفعل، أعرف أنه سيفعل».



## إدارد

فاحت رائحة البول الفظيعة من القش على الأرض. لم تكن هناك نوافذ، لم يكن هناك فراش، ولا حتى دلو لقضاء الحاجة. تذكر رؤية جدران من الحجر الأحمر الباهت انتشرت فيها تكوينات قشرية من النطرون، وباباً رمادياً من الخشب المتشقق يبلغ أربع بوصات سمكاً ومدعماً بالحديد. رأى الجدران والباب للحظة خاطفة قبل أن يدفعه إلى الدّاخل بفضاظة، ثم لم ير شيئاً آخر بعد أن أغلقوا الباب وأصدوه، وساد الظلام الدّامس جاعلاً إياه كالأعمى...

... أو كالميت وقد دُفن مع ملكه الراحل. «آه يا روبرت»، تمتم ويده تتلمس طريقها إلى الجدار البارد وساقه تنبض ألماً مع كل حركة بسيطة. تذكر الدُّعابة التي ألقاها عليه الملك وهما في السّراديب تحت وينترفل وملوك الشتاء يرمقونهم بعيون باردة من حجر: الملك يأكل واليد يمسح الخراء. فهقه روبرت يومها مستمتعاً بالدُّعابة. لكنه أخطأ. الملك يموت واليد يدفن.

كانت الزّنزانة واقعة أسفل القلعة الحمراء على عمق لم يتخيله، وتذكر القصص القديمة عن ميجور المتوحش الذي فتك بجميع البنّائين الذين عملوا على تشييد قلعته كي لا يفصحوا عن أسرارها أبداً.

صَبَّ لعناته عليهم جميعاً: الإصبع الصّغير وچانوس سلينت ورجاله ذوي المعاطف الذهبية والمملكة وقاتل الملك وپايسل وفارس وسير

باريستان، وحتى اللورد رنلي لحم ودم روبرت الذي هربَ والحاجة إليه مأسّة، على أنه لعنَ نفسه في النّهاية، وفي الظّلام صاحَ ساخطاً: «أحمق! أحمق ملعون ثلاثاً!».

طفًا وجه سرسي لانستر أمامه في الظّلام وقد أضاءَ شعرها كنور الشّمس وحملت شفتاها ابتسامةً ساخرةً وهي تهمس: «عندما تلعب لعبة العروش، إمّا أن تربح أو تموت»، وند لعبَ وخسرَ، ودفعَ رجاله ثمن حماقته بدمائهم.

كان لبيكي بكلّ سرورٍ كلما فكّر في ابتتيه، لكنه حتى هنا والآن ما زال من آل ستارك أبناء ويتترفل، ويتجمّد حُزنه وغضبه في أعماقه كقالبٍ من الجليد.

لم تكن ساقه تؤلمه كثيرًا عندما يظلّ ساكنًا تمامًا، فحاولَ ألا يتحرّك قدر المستطاع، وإن كان لا يدري حقًا كم مرّ عليه من الوقت ها هنا. ليست هناك شمس أو قمر، وهو لا يستطيع أن يرى كي يحفر علاماتٍ لمرور الأيام على الجدران. يفتح ند عينيه ويُغلقهما ولا فارِق، ينام ويصحو وينام من جديد ولا فارِق، ولا يدري أيهما أكثر إيلامًا، النّوم أم الصّحو. عندما ينام يرى أحلامًا كريهةً سوداء ملأى بالدماء والوعود المكسورة، وعندما يصحو لا يجد ما يفعله غير التّفكير، وأفكار الصّحو ألعن من الكوايبس. تفكيره في كات كان يُوجعه كأنه ممدّد على سريرٍ من الأشواك، وتساءلَ أين هي الآن وماذا تفعل، وتساءلَ إن كان سيرها ثانية. استحوّلت السّاعات إلى أيام، أو هكذا بدا له. كان يشعُر بألم خافٍ في ساقه وحكّة تحت الجبس، ولمّا يلمس فخذه يجد لحمها ساخنًا تحت أصابعه. الصّوت الأوحّد الذي يسمعه كان أنفاسه، وبعد فترةٍ بدأ يُكلّم نفسه فقط كي يسمع صوتًا، أيّ صوت. أخذ يضع خُططًا كي لا يفقد عقله، ويبني قلاعًا من الأمل في الهواء المظلم، يقول لنفسه إن أخوي روبرت ما زالَا طليقين ويحشدان الجيوش في ستورمز إند ودراجونستون، وآلين

وهاروين سيعودان إلى كيمجز لاندنج مع بقية حرسه بمجرد أن يتعاملوا مع السير جريجور، ولا بُدَّ أن كاتلين ستحشد قوات الشمال عندما يبلغها الخبر وينضمُّ إليها لوردات النهر والجبال ووادي آر.

أكثر فأكثر وجدَّ نفسه يُفَكِّرُ في روبرت، ورأى المَلِك طويلاً وسيماً كما كان في ريعان شبابه، مطرقة الحربية في يده وخوذته العظيمة على رأسه، يجلس على صهوة حصانه كإله ذي قرنين. سمع ضحكاته في الظلام ورأى عينيه الزرقاوين صافيتين كبهيرة جبلية وهو يقول له: «انظر إلينا يا ند. كيف وصلنا إلى هذا بحق الآلهة؟ أنا قتلني خنزير وأنت هنا. لقد ربحتنا حرباً معاً».

لقد خذلتك، قال ند لنفسه دون أن يقوى على ترديد الكلمات بصوت عالٍ، كذبت عليك وأخفيت الحقيقة، وسمحتُ لهم بقتلك.

سمعَه المَلِك ودمدم: «يا لك من أحمق عنيد أكثر كبرياء من أن تُصغي! هل يُمكنك أن تأكل الكبرياء يا ستارك؟ هل سيحمي الشرف أبناءك؟»، وانتشرت الشقوق في وجهه وفتحت الصدوع في لحمه ومدَّ يده ليتزع القناع ليرى ند أنه ليس روبرت على الإطلاق، بل الإصبع الصغير يتسم في وجهه ساخرًا، وعندما فتح فمه ليتكلَّم تحوَّلت أكاذيبه إلى عُث رماديٍّ شاحب حلَّق في الهواء.

كان ند نصف نائم عندما سمع خطوات الأقدام في الرواق، وفي البدء حسب أنه يحلم بها، فقد مضت مدة طويلة منذ سمع شيئاً آخر غير صوته هو. كان محموماً الآن، الألم في ساقه عذاب مقيم وشفنات جافتان تماماً مشققتان من شدة الظمأ، وعندما انفتح الباب الخشبي الثقيل مُطلقاً صريره المزعج أغشى الضوء المفاجئ عينيه وآلمهما. ألقى إليه السجَّان بدورق باردٍ رطب، وأطبَّق ند عليه بكلتا يديه وتجرَّع منه بشراهة ليسيل الماء من فمه ويقطُر على لحيته، وظلَّ يشرب حتى شعرَ بالغثيان. «كم مرَّ...»، سأل عندما لم يستطع أن يشرب أكثر من هذا. كان السجَّان نحيلًا

كالفزاعة وله وجه يُذكرك بالجرذان ولحية مشعثة، يرتدي قميصاً من الحلقات المعدنية ومعطفاً جلدياً قصيراً، وقال وهو يختطف الدورق من يدي نذ: «لا كلام».

- «أرجوك، ابتأي...». انغلَق الباب بعُنفٍ وطرفَ ند بعينيه مع اختفاء الضوء وخفضَ رأسه وتمدّد على الفش الذي لم يَعُد يحمل رائحة البول والخراء، لم يَعُد يحمل أيّ روائح على الإطلاق.

وبين النوم والصحو لم يَعُد هناك فارق يُدرِكه كذلك، وزحفت الذكري على عقله في الظلمة بتجلي الأحلام. كان هذا عام الربيع الزائف، وكان في الثامنة عشر من عمره وقد نزلَ من "العش" لحضور دورة المباريات في هارنغال، يرى الأخضر العميق في العُشب ويشمُ رائحة اللقاح في الهواء، تنتظره نهاراتٍ دافئة وليالٍ معتدلة ومذاق النبيذ الحلو. تذكر ضحكات براندون وشجاعة روبرت الجنونية في الالتحام الجماعي وكيف قهقه وهو يُسقط الرجال عن خيولهم ذات اليمين وذات الشمال. تذكر چايمي لانستر الشاب الذهبي في درعه البيضاء راکعاً وسط العُشب أمام السُرادق الملكي ليحلف يميناً بالدفاع عن الملك إيرس وحمايته، وبعدها ساعد السير أوزويل ونت چايمي على النهوض، ثم قام الثور الأبيض بنفسه، السير چيرولد هايتاور قائد الحرس الملكي، بثبت المعطف الأبيض الثلجي على كتفيه. السيوف البيضاء الستة كانوا هناك جميعاً ليُرحبوا بأخيهم الجديد.

لكن اليوم كان يوم الأمير ريجار تارجارين بمجرد أن بدأ التزال. ارتدى وليّ عهد إيرس درعاً سوداء لامعة على صدرها التين ثلاثي الرؤوس المشغول بالياقوت الأحمر (الدرع نفسها التي سيموت وهو يرتديها)، ومن فوق كتفيه رفرف معطف من الحرير القرمزي وهو ينطلق بحصانه، وبدا كأن لا رُمح يستطيع أن يمسّه. سقط براندون أمامه، ورون رويس البرونزي، وحتى السير آرثر داين سيف الصّباح.



كان روبرت يتبادل الدُّعابات مع جون واللورد هتير والأمير يدور حول المضممار بعد أن أسقط السير باريستان في التُّزال الأخير ليفوز بتاج البطولة، وتذكَّر ند اللَّحظة التي مَاتَتْ فيها الابتسامات كلها على الوجوه، عندما وكَّز الأمير ريجار تارجارين حصانه ليمُرَّ بزوجته الأميرة إلبا الدورنيَّة ويضع إكليل ملكة الجمال في حجر ليانا. كان لا يزال يرى التَّاج المصنوع من الورود الشُّتويَّة الزُّرقاء كالصَّقيع.

مَدَّ ند ستارك يده ليمسك بتاج الورود، لكن الأشواك كانت متوارية تحت ألبتلات الزُّرقاء، وشعرَ بها تخدش جلده بقسوة ورأى قطرات الدَّم تسيل على أصابعه، واستيقظَ مرتجفًا في الظَّلام.

كم أَحَبَّتْ أخته رائحة الزُّهور الشُّتويَّة. عِندني، همست وهي ممدِّدة على فراشها الدَّامي.

منتحبًا قال ند: «لَتُنْقِذَنِي الآلهة، إنني أفقدُ عقلي».

ولم تنفُضْ الآلهة عليه بإجابة.

كلما جاءَ إليه السَّجَّان بالماء قال لنفسه إن يومًا آخر قد مرَّ. في البدايات توسَّل للرجل أن يُخبره بأيِّ شيء عن ابنته والعالم الواقع وراء جدران الزُّنزانة، وما من مجيب غير النَّخير والرَّكلات، وبعدها - عندما بدأ المغص الحاد - صارَ يتوسَّل طالبًا الطَّعام، ولم يُجدِ هذا أيضًا نفعًا، ولم يُطعموه. لعلَّ أبناء لانستر ينوون أن يَقْتُلوه جوعًا... لكن لا، لو أرادت سرسي موته لكان قد قُتِلَ في قاعة العرش مع رجاله. إنها تريده حيًّا... ضعيفًا يائسًا لكن حيًّا، فأخوها لدى كاتلين، وهي لا تجرؤ على أن تَقْتُلَه وإلا دَفَعَ العِفريت حياته ثمناً لموته.

سمع صلصلة السَّلاسل الحديدية من خارج الزُّنزانة، ومع انفتاح الباب استندَ ند بيده على الجدار الرُّطب ودفعَ نفسه نحو الصَّوء مغمضًا عينيه على إثر وهج المشعل، وقال بصوتٍ مبحوح: «طعام».

- «نبيد»، أجاب الصَّوت. لم يكن الرَّجل ذا وجه الجرذ، فالسَّجَّان

أكثر امتلاءً وأقصر قامَةً من هذا، وإن كان يرتدي المعطف الجِلدي القصير والخوذة الفولاذيّة نفسيهما. قال الزّائر ملقياً إليه قربة نبيذ: «اشرب يا لورد إدارد».

كان الصوت مألوفاً على نحوٍ غريب، وإن استغرقَ ند ستارك بعض الوقت كي يتذكّره، ولمّا تذكّره أخيراً قال مهتّزاً: «فارس؟»، ومدّ يده ليلمس وجه الرّجل. «إنني لا... إنني لا أحلمُ بهذا. أنت هنا حقّاً». كانت وجنتا الخَصِيّ مغطّاتين بلحية قصيرة، وتحسّس ند الشّعْر الخشن بأصابعه ليجد أن فارس قد حوّل نفسه إلى سجّانٍ أشيب تفوح منه رائحة العرق والنّبيذ. «كيف... أيُّ ساحرٍ أنت؟».

قال فارس: «ساحر ظمآن. اشرب يا سيّدي». تحسّست يدا ند القربة وقال: «أهذا هو السّم نفسه الذي دشّوه لروبرت؟».

أجاب فارس بحُزن: «إنك تظلمني. لا أحد يُحبُّ المخصّيين حقّاً. ناولني القربة»، وشربَ منها ليسيل خيط من الأحمر على جانب فمه الممتلئ. «ليس كالنّوع الممتاز الذي قدّمته لي ليلة دورة المباريات، وإن كان لا يحوي سُمّاً كأغلب الأنواع»، وأضاف معيذاً القربة إليه: «هاك». أخذَ ند رشفةً من النّبيذ ثم غمغمَ شاعراً كأنه سيقِيء ما شربه: «ثقل». - «يجب أن يتلع الرّجل الحلو مع المر، اللوردات والمخصّيون على حدّ سواء. لقد حانت ساعتك يا سيّدي». - «ابتنائي...».

قال له فارس: «الصّغيرة فرّت من السير مرين ولم أتمكّن من العثور عليها، ولا رجال لانستر كذلك. لا بُدَّ أن في هذا عزاء ما، فملكنّا الجديد لا يُحبّها على الإطلاق. أمّا الأخرى فلا تزال مخطوبةً لجوفري، وسرسي تُبقيها على مقريةٍ منها. لقد جاءت إلى البلاط منذ بضعة أيام وتوسّلت لك الرّحمة. من المؤسف أنك لم تكن هناك، كنت لتأثّر كثيراً»، ثم مالَ

إلى الأمام قائلاً: «أعتقد أنك تعلم أنك رجل مَيِّت أيها اللورد إدارد، أليس كذلك؟».

قال ند: «المَلَكَة لن تَقْتُلني». كان رأسه يدور، فالنَّيِّذ قويٌّ وهو لم يأكل منذ فترةٍ طويلةٍ للغاية. «كأت... كأت لديها أخوها».

تنهَّد فارس قائلاً: «الأخ الخطأ، ولم يَعدْ لديها على كُلِّ حال. لقد تركت العِفريت يتزلق من بين أصابعها، وأعتقد أنه ميت الآن في مكانٍ ما في جبال القمر».

- «لو أن هذا صحيح، فاقتلني الآن وانتِه من الأمر». كان قانطاً مُنْهَكًا والنَّيِّذ أصابه بالدُّوار.

- «دمك هو آخر شيءٍ أرغبُ فيه».

عقدَ ند حاجبيه وقال: «لقد وقفت إلى جوار المَلَكَة عندما ذَبَحوا رجالي وتفرَّجت دون أن تنبس ببنت شفة».

- «وسأفعلها ثانية لو تكرر الأمر. لقد كنتُ بلا سلاح أو درع ومحاطاً برجال لانستر على ما أتذكُّر»، ثم حنى الخَصِيَّ رأسه جانباً ورمقَ ند بنظرةٍ غريبةٍ وقال: «عندما كنتُ ولدًا صغيراً، قبل أن يقطعوا خصيتي، اعتدتُ أن أسافر مع مجموعةٍ من الممثِّلين في أنحاء المُدن الحُرَّة، وقد علِّموني أن لكلِّ رجلٍ دورًا يلعبه في الحياة كما في التَّمثيلات. هذه هي الحال في البلاط. يجب أن يكون عدالة المَلِك مخيفاً، وأمين النَّقد مقتصدًا، وحضرة قائد الحرس المَلِكِي بأسلاً... ووليُّ الهامسين كتومًا متذللاً ولا يعرف التردُّد، فالمُخبر الشُّجاع لا فائدة منه، تمامًا كالفارَس الجبان».

أخذَ القِرْبَة وشربَ منها جَرعةً أخرى، بينما تفحَّص ند وجهه باحثًا عن الحقيقة تحت لحيةٍ وندوب الممثِّلين الزَّائفة. ثم إنه جرَّب المزيد من النَّيِّذ فترلَّ إلى معدته بسهولةٍ أكثر هذه المرَّة، وقال: «هل يُمكنك تحريري من هذه الحُفرة؟».

- «يُمكنني... لكن هل سأفعل؟ كلا. سوف تُلقى الأسئلة وتقوم بإجاباتها إليّ».

لم يتوقع ند غير هذا، فقال: «أنت فج».

- «الخصيُّ بلا شرف، والعنكبوت لا يتمتع بترف الحيرة يا سيدي».

- «هل تُوافق على أن تنقل رسالة من أجلي على الأقل؟».

- «سيعتمد هذا على الرسالة نفسها. سأزودك بالورق والجبر بكلّ

سرور إذا أردت، وعندما تكتب ما ترغب فيه، سأخذُ الرسالة وأقرأها، ثم أوصلها أو لا أوصلها، حسب خدمتها لأهدافي».

- «وماذا تكون أهدافك يا لورد فارس؟».

- «السّلام»، أجاب فارس بلا تردّد. «لو كان هناك واحد فقط في كينجز

لاندنج يرغب بكلّ جوارحه في الحفاظ على حياة روبرت باراثيون، فهو أنا»، وزفر مضيقاً: «طوال خمسة عشر عاماً حميته من أعدائه، لكنني لم أستطيع حمايته من أصدقائه. أيُّ نوبة من الجنون قادتك لإخبار المَلِكة بمعرفتك حقيقة مولد جوفري؟».

أجاب ند: «جنون الرّحمة».

- «آه، بالتأكيد. أنت رجل صادق شريف أيها اللورد إدارد. كثيراً ما

أنسى هذا، فلم أقابل إلا القليل من أمثالك في حياتي»، وتطلّع إلى جدران الزّنازة مواصلاً: «والسّبب يتّضح لي أكثر عندما أرى ما أفضى بك إليه الصّدق والشرف».

أراح ند ستارك رأسه على الجدار الحجري الرّطب وأغلق عينيه شاعراً

بساقة تنبض من جديد، وقال: «نبذ المَلِك... هل استجوبت لانسل؟».

قال الخصيُّ: «بكلّ تأكيد. سرسي أعطته القرب وقالت له إنها تحوي

النّوع المفضّل لدى المَلِك»، وهزّ كتفيه وأضاف: «الصيّاد يعيش حياة

محفوفة بالمخاطر، ولو لم يقتل الخنزير البرّي روبرت، لقتلته سقطه عن

حصانه أو لدغة من أفعى أو سهم ضال. الغابة مجزر الآلهة كما تعلم. لم

يكن النّبذ ما قتل المَلِك، بل رحمتك».

كان هذا ما يخشاه ند، وتمتم: «لتغفر لي الآلهة».  
قال فارس: «لو كان للآلهة وجود فأعتقد أنها ستفعل. لم تكن الملكة ستنتظر طويلاً على كلِّ حال، فجموح وعناد روبرت كانا يتضاعفان مع مرور كلِّ يوم، وهي كانت في حاجةٍ للتخلُّص منه كي تنصرف إلى التَّعامل مع أخويه. زوج عجيب حقاً ستانيس ورنلي، قفَّاز من حديد وآخر من حرير»، ومسحَ فمه بظَّهر يده وتابع: «لقد تصرَّفت بحماقةٍ يا سيِّدي، وكان يجدرُ بك الإصغاء للإصبع الصَّغير عندما ناشدك أن تُؤبِّد خلافة جوفري».

- «كيف... كيف عرفت ذلك؟».  
ابتسمَ فارس مجيئاً: «كلُّ ما بهمُّك أن تعرفه أنني أعرف. وأعرفُ أيضاً أن الملكة ستزورك غداً».  
رفعَ ند عينيه سائلاً بيّطاً: «لماذا؟».

- «سرسي مرعوبة منك يا سيِّدي، لكن لديها أعداء آخرين يُخيفونها أكثر. حبيبتها جايمي يُحارب لوردات النُّهر الآن، ولايسا آرَن تجلس في "العُش" محاطةً بالصَّخر والفولاذ وليس هناك محبَّة بينها وبين الملكة، وفي دورن ما زال آل مارتل لم ينسوا مقتل الأميرة إليا وطفليها، والآن يعبرُ ابنك "العُنق" ومعه جيش من الشَّمالين».  
قال ند مشدوهاً: «روبو مجرَّد صبي».

- «صبيٌّ معه جيش، لكن مجرَّد صبيٍّ كما تقول. أخوا المَلِك هما من يَقضَّان مضجع سرسي حقاً، ستانيس بالذَّات، فهو الأحقُّ بالعرش والأشهر بشجاعته كقائدٍ حربي، وهو بلا رحمةٍ على الإطلاق، وليس هناك مخلوق مخيف في العالم كرجلٍ يُطبِّق العدل بحذافيره. لا أحد يعرف ما الذي يفعله ستانيس في دراجونستون بالتَّحديد، لكنني أراهنُ أنه جمعَ سيوفاً أكثر من الأصداف. هذا هو كابوس سرسي الحقيقي إذن: بينما يستنزف أبوها وأخوها قواهما في مُحاربة آل ستارك وآل تلي،

سيهبط اللورد ستانيس على شواطئ كينجز لاندننج ويعلن نفسه ملكًا ويقطع رأس ابنها بشعره الأشقر ورأسها كذلك، وإن كنت أعتقد حقًا أنها تخاف على ابنها أكثر من نفسها».

قال ند: «ستانيس باراثيون وريث روبرت الشرعي والعرش حقه، وعن نفسي أرغبُ به ملكًا».

طُفِقَ فارس بلسانه وقال: «سوسي لن ترغب في سماع هذا، أو كُدْ لك. قد يفوز ستانيس بالعرش، لكن شيئًا لن يتبقى منك غير رأسك المتعفن على خازوق ليُرْحَبُ به ما لم تصن لسانك هذا. لقد توصلت سانزا بمتهى العذوبة حتى أنه من المخزي أن تتجاهل هذا. سوف تُمنَح حياتك من جديد إذا كنت ترغب فيها. سوسي ليست بالحمقاء، وتعرف أن الذئب المروّض أنفع لها من الميت».

مذهولًا قال ند: «هل تُريدني أن أخدم المرأة التي قتلت ملكي وذبحت رجالي وشلت ابني؟».

- «أريدك أن تخدم البلاد. قل للملكة إنك ستعترف بخيانتك، مُر ابنك بإلقاء سلاحه واعترف بأن جوفري هو الملك الشرعي، واعرض أن تدين ستانيس ورنلي كمغتصبين خائنين. لبؤتنا خضراء العينين تعرف أنك رجل شريف، فإذا منحتها السلام الذي تحتاجه والوقت للتعامل مع ستانيس ووعدت بأن تأخذ سرّها معك إلى القبر، فأنا واثق من أنها ستسمح لك بارتداء الأسود وقضاء بقية حياتك على "الجدار" مع أخيك وابنك غير الشرعي».

ملأ ذكر چون ند بإحساس من الخجل والأسى أعمق من أن يُعبّر عنه كلمات. لينه يستطيع أن يراه ثانية ويجلس ليتكلّم معه. شعر بالألم يشتعل في ساقه المكسورة من جديد تحت الجبيرة القذرة، ولاخ على ملامحه وهو يفتح أصابعها ويغلقها عاجزًا، وقال لفارس لاهثًا: «أهذا من تدبيرك أم أنك متحالف مع الإصبع الصغير؟».

بدا الخَصِيُّ مستمتعًا بالسؤال وهو يجيب: «أفْضَلُ أن أتزوَّج من كبش  
كوهور الأسود على أن أتخالف معه. الإصبع الصَّغِير هو ثاني رجلٍ ملنٍ  
في المَمَالِك السَّبع. لكن صحيحٌ أني أُطْعِمُه بضع معلوماتٍ مختارةٍ بين  
الحين والآخر تكفي لأن يحسب أنه يملكني، تمامًا كما أجعل سرسي  
تحسبني ملكها».

- «تمامًا كما تجعلني أحسبُ أنك ملكي. أخبرني أيها اللورد فارس،  
من تخدم حقًا؟».

ارتسمت ابتسامة رفيعة على شفتي فارس وهو يُجيب: «البلاد بالطَّبع  
يا سيدي. كيف ترتاب في هذا؟ أقسمُ على هذا بقضبي المبتور. إنني  
أخدمُ البلاد، والبلاد تحتاج إلى السَّلام»، وجرعُ ثَمالة التَّيِّذ ثم ألقى  
القِرْبَة جانبًا وقال: «ما إجابتك إذن أيها اللورد إدارد؟ عِدني بأنك ستُخبر  
المَلِكة بما ترغب في سماعه عندما تأتي لزيارتك».

- «إذا فعلتُ سيكون وعدي أجوف كدِرْع خالية، فحياتي ليست ثَمينةً  
عندي لهذه الدَّرَجَة».

نهَضَ الخَصِيُّ قائلاً: «يا للخسارة! وماذا عن حياة ابتك يا سيدي؟  
أهي ثَمينة عندك؟».

شعرَ ند بسهم باردٍ يَنْقُب قلبه. «ابنتي...».

- «لا شكَّ أنك لم تحسب أني نسيْتُ أمر ابتك البريئة الجميلة، فمن  
المؤكَّد أن المَلِكة لم تفعل».

بصوتٍ لاهٍ قال ند متوسِّلاً: «لا... فارس، بحقِّ الآلهة افعل كما  
تشاء بي لكن دع ابنتي وشأنها. إنها مجرد طفلة».

- «ورينس ابنة الأمير ريجار كانت طفلةً كذلك، أصغر من ابنتك.  
هل كنت تعرف أنها كانت تملك هِرًّا أسودَّ صغيرًا اسمه بالريون؟ لطالما  
تساءلتُ عمَّا حدثَ له. كانت رينس تُحبُّ أن تتظاهر بأنه بالريون  
الحقيقي، الرُّعب الأسود القديم، لكنني أعتقدُ أن آل لانستر علِّموها

الفارق الحقيقي بين الهرّ والتّين يوم حطّموها باب غُرفتها»، ورمقه فارس  
بنظرة طويلة تحمل من الإعياء ما يوحى بأنه رجل يحمل كلّ ما في العالم  
من حُزنٍ في جوالٍ على كتفه وقال: «السّبتون الأعلى قال لي ذات مرّة  
إننا نعاني إذ نرتكب الخطيئة، لكن إذا كان هذا صحيحًا أيها اللورد  
إدارد، فقل لي لماذا يُعاني الأبرياء دائمًا أكثر من غيرهم بينما تلعبون أنتم  
لُعبة العروش فيما بينكم يا كبار اللوردات؟ تدبّر هذا بينما تنتظر مجيء  
المَلِكة، وفكّر في هذا أيضًا: الزّائر التّالي قد يأتي لك بالخُبز والجُبِن  
وحليب الخشخاش من أجل ألم ساقك... أو قد يأتي لك برأس سانزا.  
الاختيار يا حضرة اليَد العزيز لك بالكامل».





## كاتلين

تعاطمت مخاوف كاتلين مع كل فرسخ يقطعونه والجيش يعبر الممر المرتفع فوق مستنقعات "العنق" السوداء ويتدفق إلى أراضي النهر، وإن وازتها تحت قناع من الحزم والثبات. أيامها صارت حافلة بالقلق ولياليها بالاضطراب، وكل غُداً يُخلَق فوقهم كان يجعلها تضغط على أسنانها. كانت تخاف على أبيها وتتساءل عن سبب صمته المنذر بالشؤم، وعلى أخيها إدميور وتدعو أن تحفظه الآلهة من سوء إذا وقعت المواجهة بينه وبين قاتل الملك في المعركة، وعلى ند وابنتيها والولدين الصغيرين اللذين تركتهما في ويترفل، لكنها لم تكن تملك شيئاً تستطيع أن تفعله من أجل أيّ منهم، ولهذا أجبرت نفسها على تنحية أفكارها عنهم جانباً، ولنفسها قالت: يجب أن تدخري قوتك لروب، فهو الوحيد الذي بإمكانك مساعدته الآن. يجب أن تكوني قاسية شديدة كالشمال يا كاتلين تلي، أن تكوني من آل ستارك حقاً مثل ابنك.

تقدّمهم روب على ظهر حصانه تحت راية ويترفل الخفاقة. في كل يوم كان يطلب من أحد اللوردات الانضمام إليه ليتشاور معه أثناء زحف الجيش، وبهذا يُبدي احترامه لكلّ منهم على التوالي دون تمييز بينهم، ويصغي إليهم كما كان أبوه ليفعل بالضبط ويزن كلماتهم جيداً ويقارنها ببعضها بعضاً. فكّرت كاتلين وهي تتطلّع إليه: لقد تعلّم الكثير من ند حقاً، لكن ترى هل تعلّم بما فيه الكفاية؟

كان السَّمكة السوداء قد انتفى مئة من أفضل الرُّجال ومئة من الخيول السَّريعة وقادهم سابقًا الجيش بمسافةٍ لا بأس بها ليستطلع الطَّرِيق، لكن التَّقارير التي عادَ بها خيالة السير برايندن لم تنجح في طمأنتها كثيرًا. كان جيش اللورد تايوين لا يزال على مسافة أيام عدَّة جنوبًا، لكن والدر فراي سيّد "المعبر" حشدًا ما يَقْرُب من أربعة آلاف رجلٍ عند قلعتيه التَّوأميتين على فرع الثَّالوث الأخضر.

- «متأخِّرًا ثانية»، غمغمت كاتلين عندما سمعت. كأنها معركة الثَّالوث من جديد، عليه اللَّعنة. لقد استدعى أخوها إدميور راياته، ومن المفترض أن يكون اللورد فراي قد ذهبَ للانضمام إلى جيش آل تلي عند ريفرزن، لكن ها هو لا يزال جالسًا في مكانه.

- «أربعة آلاف رجل؟»، ردَّد روب مندهشًا أكثر منه غاضبًا. «لا يُمكن أن اللورد فراي يأمل مُحاربة جيش لانستر وحده بهذا العدد، ولا بدُّ أنه ينوي صَمَّ قوَّاته إلى قوَّاتنا».

سألته كاتلين: «أتعتقد هذا؟». كانت قد تقدَّمت للانضمام إلى روب ورفيقه لهذا اليوم روبيت جلوفر، وقد انتشرت طليعة الجيش من ورائهم كغاية من الرِّماح والحراب والرَّايات تتحرك بتودة. «لست واثقة. لا تتوقَّع شيئًا من والدر فراي ولن تندesh أبدًا».

- «لكنه من حملة راية أبيك».

- «بعض الرُّجال يأخذ اليمين الذي حلفه بجديَّة أكثر من غيره يا روب، ولطالما تعاملَ اللورد والدر بوُد مع كاسترلي روك أكثر مما يروق لأبي، ثم إن أحد أبنائه متزوِّج من أخت تايوين لانستر. صحيح أن هذا يعني القليل، فاللورد والدر أنجبَ عددًا ضخمًا من الأبناء على مرَّ السنين ويجب أن يتزوَّجوا من واحدةٍ أو أخرى، وإنما...».

سألها روبيت جلوفر عابسًا: «هل تعتقدين أنه ينوي خيانتنا لحساب آل لانستر يا سيِّدتي؟».

تَنَهَّدَتْ كَاتِلِينَ مَجِيئَةً: «الْحَقُّ يُقَالُ إِنَّنِي أَشْكُ فِي أَنَّ اللُّورْدَ فَرَايَ نَفْسَهُ يَعْرِفُ مَا يَنْوِي أَنْ يَفْعَلَهُ. إِنَّهُ يَمْلِكُ حَذَرَ الْمَسْنِينِ وَطُمُوحَ الشَّبَابِ، وَلَا يَفْتَقِرُ لِلْمَكْرِ إِطْلَاقًا».

قَالَ رُوبُ مُنْفَعِلًا: «لَا مَنَاصَ مِنْ أَنْ تَكُونَ "التَّوَأْمَتَانِ" لَنَا يَا أُمِّي، فَلَا سَبِيلَ آخَرَ لَعُبُورِ النَّهْرِ وَأَنْتِ تَعْرِفِينَ هَذَا».

- «نَعَمْ، وَوَالِدَرُ فَرَايَ يَعْرِفُ هَذَا أَيْضًا».

خَيَّمُوا لَيْلَتَهَا عَلَى حَافَةِ الْمُسْتَنْقَعِ الْجَنُوبِيِّ فِي مُتَصَفِّ الطَّرِيقِ بَيْنَ طَرِيقِ الْمُلُوكِ وَالنَّهْرِ، وَهَنَكَ جَاءَهُمْ ثِيُونُ جَرَايُجُويَ بِالْمَزِيدِ مِنَ الْأَخْبَارِ مِنْ عَمَّهَا، وَخَاطَبَ رُوبُ قَائِلًا: «السَّيْرُ بَرَايَنْدَنْ طَلَبَ إِبْلَاغَكَ بِأَنْ قَتَلَا وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رِجَالِ لَانَسْتَرِ. ثَمَّةُ دَسْتَةٍ مِنَ الْكَشَافَةِ الَّذِينَ لَنْ يَعُودُوا إِلَى اللُّورْدِ تَايُوبِينَ بِأَيِّ تَقَارِيرٍ قَرِيبًا، أَوْ أَبَدًا»، وَابْتَسَمَ مُضِيفًا: «السَّيْرُ أَدَامَ مَارْبِرَانْدَ يَقُودُ كَشَافَتَهُمْ، وَالْآنَ يَنْسَحِبُ جَنُوبًا مُحَرِّقًا كُلَّ شَيْءٍ فِي طَرِيقِهِ. إِنَّهُ يَعْرِفُ أَيْنَ نَكُونُ إِلَى حَدِّ مَا، لَكِنَّ السَّيْرَ بَرَايَنْدَنْ يُقَسِّمُ إِنَّهُ لَنْ يَعْرِفَ مَتَى يَنْقَسِمُ الْجَيْشُ أَبَدًا».

- «مَا لَمْ يُخْبِرْهُ وَالِدَرُ فَرَايَ»، قَالَتْ كَاتِلِينَ بِحَدَّةٍ. «ثِيُونُ، عِنْدَمَا تَعُودُ إِلَى عَمِّي قُلْ لَهُ أَنْ يَضَعُ أَفْضَلَ رُمَاتِهِ حَوْلَ "التَّوَأْمَتَيْنِ" طَوَالَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِإِسْقَاطِ أَيِّ غُدَافٍ يَرُونَهُ يُحَلِّقُ مِنْ هَنَكَ. لَا أُرِيدُ أَنْ تَنْقُلَ الطُّيُورَ تَحَرُّكَاتِ ابْنِي إِلَى اللُّورْدِ تَايُوبِينَ».

رَدَّ ثِيُونُ بِابْتِسَامَةٍ مَزْهُوَّةٍ: «هَذَا مَا فَعَلَهُ السَّيْرُ بَرَايَنْدَنْ بِالْفِعْلِ يَا سَيِّدَتِي. بَضْعَةُ طَيُورٍ سَوْدَاءٍ أُخْرَى وَسَيَكُونُ لَدَيْنَا مَا يَكْفِي لِعَمَلِ فَطِيرَةٍ. سَأَحْفَظُ لَكَ بَرِيَشَهَا لِنَصْنَعِي مِنْهُ قُبْعَةً».

كَانَ يَجْدُرُ بِهَا أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ بَرَايَنْدَانَ السَّمَكَةَ السَّوْدَاءَ يَسْبِقُهَا بِكَثِيرٍ فَعَلًا: «وَمَاذَا كَانَ آلُ فَرَايَ يَفْعَلُونَ بَيْنَمَا يَحْرِقُ رِجَالُ لَانَسْتَرِ حَقُولَهُمْ وَيَنْهَبُونَ مَعَاقِلَهُمْ؟».

أَجَابَ ثِيُونُ: «ثَمَّةُ مَنَاوَشَاتٍ دَارَتْ بَيْنَ رِجَالِ السَّيْرِ أَدَامَ وَرِجَالِ اللُّورْدِ

والدر، وعلى أقل من يوم من هنا وجدنا اثنين من كشافة لانستر يُطعمون  
الغريبان حيث شفقهما رجال فراي، وإن ظلت معظم قوات اللورد والدر  
محتشدة عند قلعتيه التوأمتين».

فكرت كاتلين حانقة أن الأمر له طابع والدر فراي بما لا يدع مجالاً  
للشك: اقبع في مكانك وانتظر وراقب ولا تُجازف بشيء ما لم تجد  
نفسك مجبراً.

قال روب: «لعله ينوي الوفاء بيمينه طالما أن هناك قتالاً بين رجاله  
ورجال لانستر بالفعل».

لم تشعر كاتلين بالتشجيع مثله، وقالت: «الدفاع عن أرضه شيء  
والمعركة المفتوحة ضد اللورد تايوين شيء آخر بالكامل».

التفت روب إلى ثيون جرابجوي وسأله: «هل وجد السمكة السوداء  
أي سبيل آخر لعبور الفرع الأخضر؟».

هز ثيون رأسه نفياً وأجاب: «منسوب المياه في النهر مرتفع وجريانها  
سريع. السير برايندن يقول إن خوضها غير ممكن على الإطلاق على هذه  
المسافة شمالاً».

- «يجب أن نعبّر النهر»، صاح روب ساخطاً. «قد تمكّن خيولنا من  
العبور سباحة، لكن ليس وعلى ظهورها رجال مدرّعون. سنحتاج إلى  
بناء أطوافٍ تحمل عتادنا من خوذةٍ ودروعٍ وأسلحة، وليس لدينا العدد  
الكافي من الأشجار، واللورد تايوين يزحف شمالاً...». كور قبضته  
دون أن يكمل.

قال ثيون بثقته المألوفة: «سيكون اللورد فراي أحق إذا حاول  
منعنا من العبور. إن لدينا خمسة أضعاف ما لديه من الرجال، ويمكنك  
الاستيلاء على "التوأمتين" إذا اضطرت يا روب».

قالت كاتلين: «ليس بسهولة، وليس في الوقت المناسب. سيأتي  
تايوين لانستر ويهاجمك من الخلف بينما تقيم حصارك».

نقلَ روب عينية بينها وبين جرائنچوي بحثًا عن حلٍّ ولم يجد، وللحظةٍ بدا أصغر حتى من سنواته الخمسة عشر على الرغم من سيفه ودرعه واللحية النابتة على وجهه، ثم سألها: «ماذا كان أبي ليفعل؟».

- «كان ليجد وسيلةً للعبور مهما كان الثمن».

في الصَّباح التالي عادَ إليهما السير برايندن تلي بنفسه. كان قد تخلَّى عن الدُّرع والخوذة الثقيلتين اللتين ارتداهما كفارسٍ للبَّوابة الدَّامية وانتقى بدلًا منهما ثيابًا أخفَّ من الحلقات المعدنية والجِلد، وإن احتفظَ بالدُّبوس ذي شكل السَّمكة السوداء لِيُثبتَ به معطفه. كانت ملامح عُمَّا متجهمةً وهو يترجَّل عن حصانه ويقول: «لقد دارت معركة تحت أسوار ريفرزن. عرفنا هذا من أحد كَشَّافة لانستر الذين أسرناهم. قاتل المَلِك دمرَّ جيش إدميور ودفعَ لوردات الثالوث إلى الفرار».

أطبقت يد باردة على قلب كاتلين وهي تسأله: «وماذا عن أخي؟».

- «جريح وأسير. اللورد بلاكوود وبقية الناجين تحت الحصار داخل أسوار ريفرزن، يُحيط بهم جيش جايمي».

بدا روب مضطربًا وقال: «ينبغي أن نعبُر هذا النهر اللعين إذا كنا نأمل في رفع الحصار عنهم في الوقت المناسب».

قال عُمَّا: «لن يكون هذا سهلًا. اللورد فراي سحبَ قوَّاته كلها إلى داخل قلعتيه وبواباته مُغلقة وموصدة».

صاحَ روب غاضبًا: «تبًّا! إذا لم يُذعن الأحمق العجوز ويسمح لي بالمرور، فلن يترك لي خيارًا غير اقتحام أسواره. سأهدم القلعين فوق رأسه إذا اضطررتُ، وسرى إن راقَ له هذا!».

قالت كاتلين بحزم: «لا تتكلَّم كصبيٍّ مشاكس يا روب. الطَّفل يرى العقبة وأول ما يخطرُ على باله هو أن يهدمها، بينما على اللورد أن يتعلَّم أن الكلمات يُمكنها أحيانًا تحقيق ما تعجز عنه السُّيوف».

احمرَّ وجه روبرت إثر توبيخها، وسألها بخنوع: «أخبريني بما تقصدين».

- «آل فراي يسيطرون على "المعبر" منذ ستمئة عام، وطوال ستمئة عام لم يفشلوا في تحصيل ضريبة العبور مرّةً». - «أيّ ضريبة؟ ما الذي يُريده بالضبط؟». - «بسمت مجيئة: «هذا ما يجب أن نكتشفه».

- «وماذا لورفضنا دفع ضريبته؟».

- «إذن من الأفضل أن تنسحب إلى "الخندق"، أو تنسُر جنودك للقاء اللورد تايبين في المعركة، أو ينمو لك جناحان... لا أرى خياراتٍ أخرى»، قالتها كاتلين ووكزت حصانها وانطلقت به تاركةً ابنها يُفكّر في كلماتها، فلن يُفيدة أن تُشعره بأن أمّه تغتصب منه القيادة. هل علّمته الحكمة كما علّمته الشجاعة يا ند؟ هل علّمته كيف يركع؟ إن مقابر الممالك السبع كلها ملأى بمن لم يتعلّموا هذا الدّرس.

كان النّهار قد انتصفَ عندما لاحَت "التّوأمان" أمام طليعة الجيش، القلعتان اللتان يحكُمُ منهما سادة "المعبر" أرضهم.

كان مجرى فرع الثّالوث الأخضر سريعًا عميقًا في هذه المنطقة، لكن آل فراي مدّوا جسرًا عبره منذ عدّة قرونٍ وأثروا من الأموال التي ينبغي على من يرغب في العبور أن يدفعها. كان الجسر عبارةً عن قنطرةٍ عملاقةٍ من الصّخر الرّمادي الأملس، يتّسع بما يكفي لأنّ تعبُر عليه عربتان متجاورتان، ومن منتصفه يرتفع بُرج المياه الذي يسيطر على الطّريق والنّهر في آنٍ واحدٍ عن طريق ما فيه من فتحات الرّماية والمكامن والشّبكة الحديدية. استغرق آل فراي ثلاثة أجيالٍ كاملةٍ لإكمال جسرهم، وعندما فرغوا من البناء أقاموا قلعتين خشبيّتين كبيرتين على الضفتين كي لا يستطيع أحد العبور دون إذنٍ منهم. كانت الأخشاب قد أفسحت الطّريق للحجارة منذ زمنٍ بعيد، ولقرونٍ حمّت "التّوأمان" - القلعتان

الصَّخْمَتَانِ الْقَبِيحَتَانِ اللَّتَانِ يُنْذِرُ مَنَظَرُهُمَا بِالْوَيْلِ، وَالْمَتَمَاثِلَتَانِ فِي كُلِّ تَفْصِيلَةٍ وَالْجَسْرَ بَيْنَهُمَا - "المعبر". ضَفَّتَا النَّهْرَ تَحْمِيهِمَا الْجُدْرَانِ الْعَالِيَةِ وَالْخَنَادِقِ الْعَمِيقَةِ وَالْبَوَابَاتِ الثَّقِيلَةَ الْمَصْنُوعَةَ مِنَ الْبَلُوطِ وَالْحَدِيدِ، بَيْنَمَا تَرْتَفِعُ أَسَاسَاتُ الْجَسْرِ مِنْ دَاخِلِ حَصْنَيْنِ دَاخِلِيَّيْنِ وَاسْعَيْنِ، وَيُدَافِعُ بُرْجُ الْمِيَاهِ عَنِ الْجَسْرِ نَفْسِهِ.

نَظَرَةُ وَاحِدَةٍ مِنْ كَاتِلِينَ كَانَتْ كَافِيَةً لِأَنْ تَعْرِفَ أَنَّ الْاِسْتِيلَاءَ عَلَى قَلْعَةِ هَذِهِ الضَّفَّةِ بِالْاِفْتِحَامِ غَيْرِ وَارِدٍ، فَمِنْ الشُّرَفَاتِ لَاحَتَ الرِّمَاحُ وَالسُّيُوفُ وَالْعِرَادَاتُ<sup>(١)</sup>، وَوَقَفَ رَامٌ وَرَاءَ كُلِّ فَتْحَةٍ لِلسَّهَامِ، وَكَانَ الْجَسْرُ الْمَتَحَرِّكُ مَرْفُوعًا وَالشَّبَكَةُ الْحَدِيدِيَّةُ مَسْدَلَةً وَالْبَوَابَاتُ مَغْلَقَةً وَمَوْصَدَةً. بَدَأَ جُونُ الْكَبِيرِ يَرْغِي وَيَزِيدُ بِمَجَرَّدِ أَنْ رَأَى مَا يَنْتَظِرُهُمْ، وَدَمَدَمَ اللَّورْدُ رِيكَاردُ كَارِسْتَارِكُ بِصَمْتٍ، بَيْنَمَا قَالَ رُووسُ بُولْتُونُ: «الْهَجُومُ عَلَى هَذَا غَيْرُ مُمْكِنٍ أَيُّهَا السَّادَةُ».

قَالَ هَلْمَانُ تُولِهَارْتُ عَابَسًا: «وَلَا يُمَكِّنُنَا الْاِسْتِيلَاءُ عَلَى هَذِهِ الْقَلْعَةِ بِالْحَصَارِ مِنْ دُونِ جَيْشٍ عَلَى الضَّفَّةِ الْآخَرَى تُحَاصِرُ الْقَلْعَةَ الثَّانِيَةَ». كَانَتْ الْقَلْعَةُ الْغَرْبِيَّةُ تَقِفُ عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرَ مِنَ الْمِيَاهِ الْخَضِرَاءِ الْعَمِيقَةِ كَانْعَكَاسٍ لِاِخْتِهَا الشَّرْقِيَّةِ. «حَتَّى لَوْ كُنَّا نَمْلِكُ الْوَقْتَ، وَنَحْنُ لَا نَمْلِكُهُ بِكُلِّ تَأَكِيدٍ».

بَيْنَمَا وَقَفَ اللَّورْدَاتُ الشَّمَالِيُّونَ يَفْحَصُونَ الْقَلْعَةَ بِأَعْيُنِهِمْ، انْفَتَحَ مَدْخَلُ جَانِبِيٍّ صَغِيرٍ وَأُنْزِلَ جِسْرٌ خَشَبِيٌّ ثَقِيلٌ فَوْقَ الْخَنْدَقِ، وَخَرَجَتْ لِاسْتِقْبَالِهِمْ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْفُرْسَانِ يَقُودُهَا أَرْبَعَةٌ مِنْ أَبْنَاءِ اللَّورْدِ وَالذَّرُ الْكَثْرُ تَحْتَ رَايَةِ نُصُورٍ بُرْجَيْنِ تَوَامِينَ أَزْرَقَيْنِ عَلَى خَلْفِيَّةٍ مِنَ الْفُضِّيِّ الْبَاهِتِ. كَانَ جَمِيعُ أَبْنَاءِ فَرَايِ يَبْدُونَ كَحَيَوَانَاتِ ابْنِ عَرَسٍ، بِالذَّاتِ السَّيْرِ سَتَقْرُونَ فَرَايِ وَرِيثَ اللَّورْدِ وَالذَّرُ - وَهُوَ رَجُلٌ تَجَاوَزَ السِّتِينَ مِنَ الْعُمَرِ وَلَدِيهِ أَحْفَادٌ بِدَوْرِهِ - الَّذِي بَدَأَ كَابِنُ عَرَسٍ عَجُوزٌ مَتَعَبٌ، وَإِنْ خَاطَبَهُمْ

(١) الْعِرَادَةُ ضَرْبٌ مِنَ الْمَجَانِيْقِ تُقَذَّفُ بِهِ الْأَحْجَارُ وَالسَّهَامُ الْكَبِيرَةُ.

بلهجة مهذبة قائلاً: «أرسلني السيد والدي لتحيتكم والسؤال عمّن يقود هذا الجيش الكبير».

أجاب روب متقدماً بحصانه: «أنا». كان يرتدي درعه الكاملة وثرس ويترفل الذي يحمل رمز الذئب الرهيب مثبت بسرجه وجراي ويند إلى جواره.

رمى الفارس العجوز ابنها بنظرة من عينيه الرماديتين الدامعتين حملت لمحة من السخرية، وإن سهل حصانه خائفاً وابتعد بحركة جانبية عن الذئب الرهيب. «يُشرف السيد والدي أن تتقاسم معه الطعام والشراب في القلعة وتشرح له سبب وجودك هنا».

هوت كلماته بين اللوردات كصخرة ضخمة ألقي بها منجنيق ولم يرض أيهم بالدعوة، بل أخذوا يسبون ويتجادلون ويصبحون في بعضهم بعضاً.

قال جالبارت جلوفر لروب: «لا ينبغي أن تفعل هذا أبداً يا سيدي. اللورد والدريس أهلاً للثقة».

أوما رويس بولتون برأسه موافقاً وقال: «ادخل هذه القلعة وحدك وستكون له. يُمكنه أن يبيعك لآل لانستر أو يُلقي بك في زنازة أو يذبحك، كما يشاء».

وقال السير وندل ماندرلي: «إذا كان يُريد أن يتكلم معنا، فليفتح بواباته وستقاسم جميعاً معه الطعام والشراب».

أضاف أخوه السير وايليس: «أو ليُخرج ويتكلم مع روب هنا على مرأى من رجاله ورجالنا».

كانت كاتلين ستارك تُدرك شكوكه كلها وتشعر بها هي الأخرى، وإن كان عليها أن تُلقي نظرة واحدة على السير ستفرون لترى أنه غير مسرور بما يسمعه. بضع كلمات أخرى وستضيع الفرصة تماماً، ويجب أن تتصرف في الحال. هكذا رفعت صوتها قائلة: «سأذهب أنا».



قال جون الكبير عاقداً حاجبيه: «أنتِ يا سيّدتني؟». وسألها روب: «أمّي، هل أنتِ متأكّدة؟». كان من الواضح أنه ليس كذلك.

كاذبة أجابت كاتلين بعفوية: «متأكّدة أكثر من أيّ شيءٍ آخر. اللورد والدر حامل راية أبي وقد عرفته منذ كنتُ فتاةً صغيرةً، ولن يمّسني بأذى أبداً». ما لم يرَ منفعةً في هذا، أضافت بصمت، لكن بعض الحقائق لا يحتمل القول، وبعض الأكاذيب ضروري.

قال السير ستشرون: «أنا واثقٌ من أن السيّد والدي سيُسّرُ بالتحدّث إلى الليدي كاتلين، وكما تُبرهن على حُسن نوايانا سيبقى أخي السير پروين هنا إلى أن تعود إليكم آمنة».

قال روب: «سيكون ضيفنا المكرّم»، وترجّل السير پروين أصغر الإخوة فراي الأربعة وناولَ عِنان حصانه إلى أخيه، بينما تابع روب: «سأنتظر عودة السيّدة والدتي مع حلول المساء يا سير ستشرون، فلستُ أنوي المكوث هنا طويلاً».

هزّ السير ستشرون رأسه بتهذيب وقال: «كما تقول يا سيّدي»، ووكّزت كاتلين حصانها وانطلقت به دون أن تنظر وراءها، وتحرك أبناء اللورد والدر ومبعوثوه محيطين بها.

ذات مرّة قال أبوها عن والدر فراي أنه اللورد الوحيد في الممالك السبع كلها الذي يستطيع أن يُنزل جيشاً إلى الميدان من سرواله، وأدرّكت كاتلين ما كان يقصده عندما رَحّب بها سيّد "المعبر" في القاعة الكبيرة في القلعة الشّرقيّة محاطاً بأبنائه العشرين (بخلاف السير پروين الذي كان ليُعَد الحادي والعشرين) وأحفاده الستّة وثلاثين وأبناء أحفاده التسعة عشر، بالإضافة إلى عددٍ لا يُحصى من البنات والحفيدات والنُّغول وأبناء النُّغول.

كان اللورد والدر نفسه في التّسعين من العُمُر، ابن عرس ذاوٍ ذا رأسٍ

أصلح مرقط ولا يستطيع الوقوف بلا مُسَاعِدَةٍ بسبب النَّفَرَس، وإلى جوار محفّته سارت زوجته الجديدة الشّاحبة الهشّة ذات السنّة عشر عامًا وهم يحملونه إلى القاعة. كانت الليدي فراي رقم ثمانية.

قالت كاتلين: «من الجميل أن أراك ثانيةً بعد كلّ هذه الأعوام يا سيّدي».

ضيقَ الرّجل الهَرَم عينيهِ ورمقَها بارتياحٍ قائلاً: «حقّاً؟ أشكّ في هذا. وفُري عليّ كلماتكِ المعسولة أيتها الليدي كاتلين، فأنا عجوز للغاية كما ترين. لماذا أنتِ هنا؟ هل ابنك أكثر غروراً من أن يأتي إليّ بنفسه؟ ماذا أفعلُ معكِ أنتِ؟».

كانت كاتلين فتاةً صغيرةً عندما زارت "التّوأمتين" آخر مرّة، لكن حتى حينها كان اللورد والدر سريع الغضب حادّ اللّهجة فظّ الأسلوب، ويبدو أن السّنين جعلته أسوأ وأسوأ. عليها أن تتقي كلماتها بحرصٍ وتبذل قصارى جهدها كي لا تشعُر بالإهانة.

قال السير ستفرون بتأنيب: «أبي، لقد نسيت نفسك. الليدي كاتلين هنا بناءً على دعوتك».

- «هل طلبتُ رأيك؟ أنت لست اللورد فراي بعد، ليس قبل أن أموت. هل أبدو ميّالاً لك؟ لن أسمع منك توجيهات».

قال أحد أبنائه الأصغر: «ليس هذا بالأسلوب اللاّئق للكلام أمام ضيفتنا الكريمة يا أبي».

ردّ اللورد والدر ساخطاً: «والآن يتجرّأ نغولي على تعليمي اللّيافة. سأتكلمُ كما يروق لي عليك اللّعنة! لقد استصَفْتُ ثلاثة ملوكٍ هنا، وملكاتهم كذلك، فهل ترى أنني أحتاجُ دروساً من أمثالك يا رايجر؟ لقد كانت أمُّك تحلب الماعز عندما أفرغتُ نُطفتي فيها أول مرّة»، ولوّح بأصابعه ليصرف الشّاب محمراً الوجه، ثم أشار إلى اثنين آخرين من أبنائه قائلاً: «دانويل، والن، ساعداني على الجلوس على مقعدي».

رفع الاثنان اللورد والدر من فوق المحفة وحمله إلى مقعد آل فراي العالي، وهو مقعد طويل من البلوط الأسود نُحِتَ ظهره على شكل بُرجين يربط بينهما جسر. ذهبت زوجته الصغيرة إليه وغطت ساقيه بدثار، وعندما استقرَّ العجوز في مكانه أشار إلى كاتلين لثقة وطبع قُبلة جافة على يدها، وقال: «هاكِ. والآن وقد تحلّيت باللياقة با سيديتي، فلربما يُسدي لي أبنائي صنيعًا ويخرسون. لماذا أنتِ هنا؟».

أجابَت كاتلين بأسلوبٍ مهذب: «لأطلب منك أن تفتح بواباتك يا سيدي. ابني واللوردات حملة رايته متلهفون على عبور النهر والذهاب إلى وجهتهم».

أطلق ضحكة نصف مكتومة وقال: «إلى ريفررن؟ أوه، لا حاجة لأن تُخبريني، لا حاجة. إنني لم أصر ضريراً بعد وما زلتُ أستطيع قراءة الخرائط».

قالت كاتلين دون أن ترى داعياً للإنكار: «إلى ريفررن، حيث توقعتُ أن أجدك يا سيدي، فأنت لا تزال حامل راية أبي، أليس كذلك؟».

- «هه!»، أصدرَ والدر فراي الصّوت الذي يتوسّط المسافة بين الضحك والتّخير. «لقد جمعتُ رجالي، نعم، ها هم أولاء، لقد رأيتموهم على الأسوار. كنتُ أنوي التحرك بمجرد حشد قوّتي كلها. أقصدُ أن أرسل أبنائي، فلم أعد أقوى على التحرك في عمري هذا أينها الليدي كاتلين»، وتطلّع حوله باحثاً عن تأكيد من المحيطين، وأشار إلى رجل طويل محني الظهر في الخمسين وقال: «قُل لها يا چارد، قُل لها إن هذه كانت نيّتي».

قال السير چارد فراي، أحد أبنائه من زوجته الثانية: «هذا صحيح يا سيديتي، أقسمُ بشرفي».

- «أهي غلطني أن أخاك الأحمق خسرَ معركته قبل أن نستطيع التحرك؟»، وأسندَ ظهره إلى الوسائد وتطلّع إليها كأنه يتحدّثها أن تُشكّك في نُسخته من الأحداث. «قيل لي إن قاتل المَلِك اخترق صفوفه كما

تخترق البلطة الجُبْن القديم، فلم يهرع أبنائي إلى الجنوب ليموتوا؟ كل من ذهبوا جنوبًا عادوا فارّين إلى الشّمال من جديد».

كانت كاتلين لتسعد بأن تضع العجوز المتدّمّر على سيخ وتشويه على النّار في هذه اللّحظة، لكنها كانت تملك وقتًا حتى حلول المساء فقط لفتح البوّابات، وبهدوء أجبرت نفسها عليه قالت: «وهذا سبب أدعى لأنّ نبّلع ريشرزن وبسرعة. أين يُمكننا أن نتكلّم يا سيّدي؟».

دمدم اللورد فراي: «إنّا نتكلّم الآن، أليس كذلك؟»، ثم دار برأسه الأصلع المرقط وزعق في أهله: «إلام تنظّرون؟ هيا، اخرجوا من هنا، الليدي ستارك تُريد أن تتكلّم معي على انفراد. لعلّها ترغب في اختبار إخلاصي لزوجتي، هه! اذهبوا جميعًا، هيا، جدوا شيئًا مفيدًا تفعلونه. وأنّ أيضًا يا امرأة. اخرجوا، اخرجوا، اخرجوا! سارع أبناءه وبناته ونفوله وأحفاده وحفيداته وأبناء وبنات إخوته بالخروج من القاعة، بينما مال هو عليها قائلاً: «إنهم ينتظرون موتي. ستفرون ينتظره منذ أربعين عامًا، لكنني ما زلتُ أخيّب أمله حتى الآن، هه! لماذا أموت لمجرّد أن يصير هو لوردًا؟ قل لي أنت. لكنني لن أفعلها».

- «أمل من قلبي أن تعيش لتبّلع المئة».

- «سيجعلهم هذا يموتون كمدا بكلّ تأكيد، أوه، نعم، بكلّ تأكيد».

والآن ماذا أردت أن تقولي؟».

- «تُريد أن نعبّر».

- «أوه، حقًا؟ ولماذا أسمعُ لكم؟».

للحظة اشتعل غضبها وهي تقول: «لو كنت قويًا بما يكفي لأن تصعد إلى شرفاتك يا لورد فراي، لرأيت أن ابني لديه عشرون ألف رجل خارج أسوارك».

- «وسيكونون عشرين ألف جثة طازجة عندما يصل اللورد تايوين. لا

تُحاولي تهديدي يا سيّدي، فزوجك ملقى في زنزانية تحت القلعة الحمراء

مَتَّهَمًا بِالْخِيَانَةِ، وَأَبُوكَ مَرِيضٌ وَلَعَلَّهُ يَحْتَضِرُ كَذَلِكَ، وَأَخُوكَ أَسِيرٌ لَدَى  
جَايِمِي لَانْسْتِر، فَمَاذَا تَمْلِكِينَ لِأَخَافَ مِنْهُ؟ ابْنُكَ هَذَا؟ سَابَّارِيكَ ابْنًا بَابِنِ  
وَسَيِظَلُّ لَدَيَّ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ مِنْهُمْ عِنْدَمَا يَمُوتُ أَبْنَاؤُكَ جَمِيعًا».

قَالَتْ كَاتَلِينُ: «لَقَدْ أَقْسَمْتُ بِالْوَلَاءِ لِأَبِي».

أَوْمَأَ بِرَأْسِهِ مِنْ جَانِبٍ إِلَى جَانِبٍ وَقَالَ: «نَعَمْ، لَقَدْ رَدَّدْتُ بَضْعَ  
كَلِمَاتٍ، لَكِنِّي أَقْسَمْتُ بِالْوَلَاءِ لِلْعَرْشِ كَذَلِكَ عَلَى مَا أَذْكُرُ. چوفرِي  
هُوَ الْمَلِكُ الْآنَ، مَا يَجْعَلُكَ أَنْتِ وَابْنُكَ وَكُلُّ هَؤُلَاءِ الْحَقِيقِيِّ فِي الْخَارِجِ  
مَجْرَّدَ مَتَمَرِّدِينَ. لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ تَعْقُلُ سَمَكَةً لِسَاعَدَتُ آلَ لَانْسْتِر عَلَى  
الْقَضَاءِ عَلَيْكُمْ جَمِيعًا».

قَالَتْ بِتَحَدٍّ: «وَلِمَ لَا تَفْعَلُ؟».

شَخَّرَ اللُّوردُ وَالِدَرُ وَقَالَ بَازِدْرَاءُ: «اللُّوردُ تَاوِينُ الْأَبْيُ الْفُخُورُ، حَاكِمُ  
الْغَرْبِ وَيَدُ الْمَلِكِ، أَوْه، يَا لَهُ مِنْ رَجُلٍ عَظِيمٍ حَقًّا، ذَهَبَ هُنَا وَذَهَبَ  
هُنَاكَ، هَذَا الْأَسَدُ وَذَاكَ الْأَسَدُ. أَؤَكِّدُ لَكَ أَنَّهُ يُخْرِجُ رَيْحًا عِنْدَمَا يَأْكُلُ  
أَكْثَرَ مِنَ اللَّازِمِ مِثْلِي تَمَامًا، لَكِنِّكَ لَنْ تَسْمِعِيهِ يَعْتَرِفُ بِهَذَا أَبَدًا، لَا. لِمَاذَا  
كُلُّ هَذَا التَّبَاهِيِ وَالْخِيَلَاءِ عَلَى كُلِّ حَالٍ؟ لَيْسَ لَدَيْهِ غَيْرُ ابْنَيْنِ وَأَحَدُهُمَا  
وَحْشٌ مَشُوهٌ صَغِيرٌ: سَابَّارِيهِ ابْنًا بَابِنِ وَسَيِظَلُّ لَدَيَّ تِسْعَةَ عَشَرَ وَنِصْفَ  
مِنْهُمْ عِنْدَمَا يَمُوتُ مِنْ لَدِيهِ!»، وَضَحَكَ مُضِيْفًا: «إِذَا كَانَ اللُّوردُ تَاوِينُ  
يُرِيدُ مُسَاعَدَتِي، فَعَلِيهِ أَنْ يَطْلُبَهَا مِنِّي بِنَفْسِهِ».

كَانَ هَذَا كُلُّ مَا أَرَادَتْ أَنْ تَسْمَعَهُ، وَقَالَتْ بِتَوَاضُعٍ: «أَنَا أَطْلُبُ  
مُسَاعَدَتَكَ يَا سَيِّدِي، وَأَبِي وَأَخِي وَزَوْجِي أَبْنَائِي يَطْلُبُونَهَا بِصَوْتِي».

لَوَّحَ اللُّوردُ وَالِدَرُ بِإَصْبَعِهِ الْعَظْمِيِّ فِي وَجْههَا قَائِلًا: «وَفَرِي كَلِمَاتِكَ  
الْمَعْسُولَةِ يَا سَيِّدَتِي، الْكَلِمَاتُ الْمَعْسُولَةُ أَتَلَقَّاهَا مِنْ زَوْجَتِي. هَلْ  
رَأَيْتِهَا؟ إِنَّهَا فِي السَّادِسَةِ عَشَرَ، زَهْرَةٌ صَغِيرَةٌ وَعَسَلَهَا لِي وَحْدِي. أَرَاهَنُ  
أَنَّهَا سَتُنْجِبُ لِي ابْنًا مَعَ حُلُولِ هَذَا الْوَقْتِ الْعَامِ الْقَادِمِ، وَقَدْ أَجْعَلُهُ هُوَ  
الْوَرِيثَ. أَلَنْ يُمِيتَهُمْ هَذَا كَمَدًّا؟».

- «أنا واثقةٌ من أنها ستُنَجِّبُ لك أبناءَ كثر».

هَزَّ رأسه وقال: «لم يأتِ أبوكِ إلى الرَّفَاف. إنها إهانةٌ في رأيي، حتى إذا كان يحتضر. ولم يأتِ إلى الرَّفَاف السَّابِق كذلك. يُسمِّيُني اللورد فراي المثلَكُ. هل يحسبني ميتٌ؟ لم أمت، وأعدكِ أنني سأعيشُ بعده كما عشتُ بعد أبيه. لطالما احتقرتني عائلتكِ، لا تُحاولي الإنكار، لا تكذبي، فهذه هي الحقيقة. منذ سنواتٍ ذهبتُ إلى أبيكِ وعرضتُ أن يتزوَّج ابنة من ابنتي. ولمَ لا؟ كانت هناك ابنةٌ معيَّنةٌ في بالي، ابنةٌ جميلة، لا تكبرُ إدميور إلا بسنواتٍ قليلة، لكن إذا لم تُرقِ لأخيك فكانت لَدَيَّ أخريات، أصغر، أكبر، عذراوات، أرامل، أيَّا كان ما يُريد. لكن لا، رفضَ اللورد هوستر بكلماتٍ معسولة، أعذار، بينما ما أردته هو التخلصُ من ابنة. وأختكِ كذلك، إنها لا تقُلُ عنه سوءًا. كان هذا منذ عامٍ لا أكثر، عندما كان جون آرن لا يزال يَدُ المَلِك، وذهبتُ إلى العاصمةِ لأُشاهد أبنائي في دورة الألعاب. ستفرون وچارد كبيران على التَّزال الآن، لكن دانويل وهوستين اشتراكًا فيه، وپروين كذلك، واثنين من نغولي قاتلا في الالتحام الجماعي. لو عرفتُ كيف سيُكلَّلونني بالعار لم أكن لأزعج نفسي بقطع الرِّحلة من البداية. لماذا أقطعُ كلَّ هذه المسافة لأتفرَّج على هوستين يَسْقُط عن حصانه أمام صبيٍّ تايرل؟ إنه في نصفِ عمره. يُسمُّونه الفارس الزَّهرة أو شيئًا من هذا القبيل. ودانويل سقطَ أمام فارسٍ متجولٍ! تأتي عليَّ أيامُ أساءلُ فيها إن كان هذان الاثنان ابنيَّ حقًا. زوجتي الثالثة كانت من آل كراكهول، وجميع نساء كراكهول ساقطات. حسن، لا عليكِ بهذا، فقد ماتت قبل أن تولدي أصلاً، فلمَ عساكِ تُبالين؟ كنتُ أنكلمُ عن أختكِ. عرضتُ أن يرعى اللورد والليدي آرن اثنين من أحفادي في البلاط، وعرضتُ أن آخذ ابنتهما لينشأ هنا في "التَّوأمَتين". ألا يستحقُّ أحفادي أن يظهروا في البلاط المَلِكِي؟ إنهما ولدان صالحان، هادئان ومهذَّبان. والدر هو ابن مريت، سَمَّاه على اسمي، والآخر... هه! لا أذكُر!

لعلّه كان والدر آخر، فكلهم يُسمّون أبناءهم والدر حاسبين أنهم سينالون رضاي هكذا، لكن أباه... من كان أبوه؟ أيّا كان، فقد رفضه اللورد آرّن هو والآخر، وعلى هذا ألومُ أختكِ. تجمّدت ملامحها لحظتها كأني عرضتُ أن أبيع ابنها لفرقة ممثّلين أو أخصيه، وعندما قال اللورد آرّن إن الصّبي ذاهب إلى دراجونستون لينشأ هناك عند ستانيس باراثيون، اندفعت مغادرة بلا كلمة اعتذار واحدة، وكلّ ما نلتّه من اليد هو الاعتذارات. ما جدوى الاعتذارات؟ قولني لي».

قطّبت كاتلين جيبتها وقالت حائرة: «حسبْتُ أن النّيّة أن ينشأ ابن لايسا لدى اللورد تاويين في كاسترلي روك».

قال اللورد والدر متفعلاً: «كلا، لدى اللورد ستانيس. أتُحسّين أنني لا أعرفُ الفارق بين ستانيس باراثيون وتاويين لانستر؟ كلاهما برميل متنفخ غروراً يحسب نفسه أنبل من أن يتبرّز، لكن لا عليك، إنني أعرفُ الفارق. أم أنك تحسّينني عجوزاً الدرجة أنني لا أتذكّر؟ إنني في التّسعين وأتذكّر جيّداً. أتذكّر ماذا أفعلُ مع النّساء كذلك. أراهنُ ستُنجب لي ابناً قبل هذا الوقت العام القادم، أو ابنة، فمن يستطيع الاختيار؟ ولذا كان أو بنتاً، سيكون أحمرّ مجعّداً يصُرخ، وفي الغالب ستختار والدر أو والدا اسماً».

لم تكن كاتلين مهتمةً بالاسم الذي قد تختاره الليدي فراي لطفلها القادم، وسألت: «چون آرّن كان سيتركُ ابنه ينشأ عند ستانيس باراثيون؟ هل أنت واثق؟».

قال الرّجل الهَرَم: «نعم، نعم، نعم. لكنه مات، فما الفارق؟ تقولين إنكم تُريدون عبور النّهر؟».

- «أجل».

- «لا يُمكنكم!»، قال اللورد والدر بصرامة. «ليس من دون إذني، ولم ينبغي أن أعطيكم الإذن؟ آل تلي وآل ستارك لم يكونوا أصدقاءً لي قطّ»، وتراجع في مقعده وعقد ذراعيه على صدره مبتسماً في انتظار إجابة.

والبقية كانت مسألة مساومة لا أكثر.

كانت الشمس الحمراء قد بدأت رحلة المغيب وراء التلال الغربية عندما فُتِحَت بوابات القلعة ونزلَ الجسر المتحرك وارتفعت الشبكة الحديدية، وخرجت الليدي كاتلين لتُعاود الانضمام إلى ابنها واللوردات حملة رايته، ومن ورائها جاء السير چارد فراي والسير دانويل فراي والسير هوستين فراي، بالإضافة إلى ابن اللورد والدر غير الشرعي رونل ريفرز، يقودون طابورًا طويلًا من حاملي الرماح الذين يرتدون الحلقات المعدنية الزرقاء والمعاطف الرمادية.

انطلق روب بحصانه ليقابلها وجراي ويند يعدو إلى جواره، وقالت له: «تم الأمر، سيسمح لك اللورد والدر بالعبور. ورجاله لك كذلك، باستثناء أربعمئة منهم سيقون هنا لحماية القلعتين. أقترح أن تترك أربعمئة من رجالك بدورك، خليطًا من الرماة والمبارزين. إنه لن يعترض على تقوية حاميته... لكن تأكد من إعطاء القيادة لرجل تثق به، فقد يحتاج اللورد والدر إلى مساعدة للحفاظ على ولائه».

قال روب رامقًا صفوف حاملي الرماح: «كما تقولين يا أمي. السير هلمان تولهارت ربما، ما رأيك؟».

- «اختيار سيّد».

- «ماذا... ماذا يُريد منا إذن؟».

قالت له: «إذا كنت تستطيع الاستغناء عن عدد قليل من رجالك، فأريدهم أن يصبحوا اثنين من أحفاد اللورد والدر شمالًا إلى وينترفل. لقد وافقتُ على أن آخذهما كتابعين شخصيين. إنهما ولدان صغيران، في السابعة والثامنة من العمر، وكلاهما اسمه والدر على ما يبدو. أعتقد أن أخاك بران سيُرحّب بصُحبة ولدين في مثل عُمره تقريبًا».



- «أهذا كل شيء؟ ولدان صغيران؟ هذا ثمن زهيد مقابل...».

- «سيأتي أوليفار ابن اللورد والدرك معنا كذلك. سيخدم كمُرافقك الشخصي، وأبوه يرغب في تنصيبه فارسًا خلال فترة مُناسبة».

هَزَّ كتفيه قائلاً: «مُرافق شخصي، لا بأس، إذا كان...».

- «أيضًا، إذا عادت أختك أربا آمنة لنا، فالاتفاق أن تتزوج من ابن إلمار ابن اللورد والدرك الأصغر عندما يبلغ كلاهما».

بدا روب مستاءً وقال: «لن يروق لها هذا على الإطلاق».

- «وستتزوج أنت من إحدى بناته بمجرد انتهاء القتال. لقد وافق اللورد والدرك بكل كرم على السماح لك بخيار من تروق لك منهن، ولديه عدد يراه مناسبًا لك».

لم يبدُ التأثير على روب وهو يقول: «مفهوم».

- «هل تقبل؟».

- «هل يُمكنني أن أرفض؟».

- «ليس إذا كنت تُريد العبور».

قال روب بوقار: «أقبل إذن». لم يبدُ رجلًا في عينيها كما بدا في تلك اللحظة. قد يلعب الضيعة بالسيف، لكن الأمر يتطلب لوردًا حقيقيًا لإبرام تعهد الزواج وهو يعرف معناه.

عبروا ليلاً والهلال ينعكس على صفحة النهر، وشقَّ الطابور المزدوج طريقه من خلال بوابة القلعة التوأم الشرقية كثنبانٍ فولاذيٍّ ضخيم يسعى عبر الفناء إلى داخل الحصن الداخلي ومنه إلى الجسر ليخرج من القلعة الأخرى على الضفة الغربية. كانت كاتلين على رأس الأفعى مع ابنها وعمها السير برايندن والسير ستفرون فراي، ومن ورائهم جاءت تسعة أعشار الخيالة والفُرسان وحاملي الرماح والمُحاربين غير النظاميين والرُماة ذوو الخيول. استغرق عبورهم عدَّة ساعات، ولاحقًا تذكَّرت كاتلين وقع الحوافر اللانهائي على الجسر المتحرِّك ومنظر اللورد والدرك

فراي يُشاهد عبورهم من فوق محفّته ولمعة العيون التي تَرْمُقهم من  
مكامن السَّقْف وهم يَمُرُّون عبر بُرج المياه.  
ظَلَّ الجزء الأكبر من جيش السَّمال - من رُماة وحاملي رماح وأعداد  
ضخمة من المشاة المسلّحين - على ضفّة النهر الشرقيّة تحت قيادة  
رووس بولتون، الذي أمره روب بمواصلة الطريق جنوبيًا لمُواجهة جيش  
لانستر الضخم الزّاحف شمالًا تحت قيادة اللورد تايرين.  
أيا كان ما سيحدث، خيرًا أو شرًا، فقد بدأ ابنها الآن المواجهة الحقيقيّة.



## چون

سأله اللورد مورمونت مقطباً جبينه: «هل أنت بخير يا سنو؟»، ونعق غدافه: «بخير، بخير!».

- «نعم يا سيدي»، أجابه چون كاذباً بصوتٍ أعلى من اللازم كأن هذا سيجعل قوله حقيقياً. «وماذا عنك؟».

عابساً قال مورمونت وهو يحكُّ أسفل ذقنه: «رجل ميت حاول أن يقتلني، فما رأيك أنت؟». كانت لحيته الشبياء الكثّة قد سُفِعت أثناء الحريق فاضطرَّ لأن يحلقها بالكامل، وجعلته الشّعيرات الجديدة النابتة يبدو عجوزاً مزرباً كثير الشكوى. «لكنك لا تبدو بخير حقاً. كيف يدك؟». ثنى چون أصابع يده المضمّدة بالحرير حتى اليرفق تقريباً قائلاً: «تتعافى». كان حرق يمينه أسوأ مما حسبَ وهو يلقي السّتائر المشتعلة على الجثة الحيّة. وقتها لم يشعر بأيّ شيء، لكن الألم المُمضّ جاء لاحقاً، عندما بدأت السّوائل تنزُّ من الجلد الأحمر المتشقّق وانتفخت القروح الدّموية مخيفة الشكل بين أصابعه كبيرة كالصّراصير. «قال المايستر إن الجروح ستترك ندوباً لن تزول، لكن اليد ستعود كما كانت مع الوقت».

- «الندوب لا تهم، فعلى "الجدار" تغطّي القفّازات الأيدي أغلب الوقت».

- «كما تقول يا سيدي». لم تكن فكرة الندوب هي ما يُقلق چون حقاً

بل البقيّة، فقد سقاه المايستر إيمون حليب الخشخاش لكن الألم ظلّ يفوق الوصف على الرغم من هذا. في البداية أحسّ كأن يده لا تزال مشتعلة، تحترق طوال الليل والنهار، ولم يكن يُشعره بشيء من الراحة غير غمسها في حوضٍ من الثلج وبرادة الجليد، وشكرَ چون الآلهة لأن أحداً غير جوست لم يره يتلوّى في فراشه ويتحب من شدّة الألم. كان يحلم عندما يغيب في النوم أخيراً، وهذا أسوأ، ففي الحلم كانت للجنة التي يُقاتلها عيان زرقاوان ويدان سوداوان ووجه أبيه، لكنه لم يجرؤ على إخبار مورمونت بذلك.

قال الدّب العجوز: «دايوين وهاك عاداً ليلة أمس، لكنهما كالآخرين لم يجدا أثراً للعمك».

- «أعرفُ هذا». كان چون قد جرّ نفسه إلى القاعة العامّة ليتناول العشاء مع أصدقائه، وعودة الجوّالة من بحثهم بلا نتيجة هي كلّ ما يتكلّم عنه الرّجال.

دمدم مورمونت: «تعرف؟ كيف يعرف الجميع كلّ شيء هنا؟». لم يبدو أنه ينتظر إجابةً، وأكمل: «من الواضح أنه كان هناك اثنان فقط من تلك الـ... المخلوقات أيّا كانت، فلن أقول إنهم بشر. والشكر للآلهة على هذا، فلو كان هناك المزيد منهم... إنني لا أقوى حتى على التّفكير فيما كان ليحدث. لكن مزيداً منهم سيأتي. أشعرُ بهذا في نخاع عظامي العجوز، والمايستر إيمون يتفق معي. الرّياح الباردة تهبّ والصيف في نهايته، والشتاء قادم كما لم يرَ هذا العالم مثيلاً له من قبل».

الشتاء قادم. لم يحدث من قبل أن كان لكلمات آل ستارك هذا الوقع الكئيب المنذر بالويل على أذني چون كالآن. قال بتردد: «سيدي، قالوا إن طائرًا جاء ليلة أمس».

- «نعم، ماذا عنه؟».

- «كنتُ أملُ أن هناك أنباء عن أبي».

- «أبي، أبي!»، قال الغداف العجوز كأنه يستهزئ به ورأسه يتمائل وهو يتحرك بين كتفي مورمونت.

مدَّ حضرة القائد يده ليُغلق منقاره بأصابعه، لكن الغداف وثب فوق رأسه وخفق بجناحيه ثم حلق في هواء القاعة ليقيم فوق إحدى النوافذ، فقال مورمونت حانقاً: «الهمُّ والإزعاج، هذا هو كل ما تصلح له الغدافان. لا أدري لماذا أحتمل هذا الطائر الملعون»، ثم خاطب جون قائلاً: «ألا تحسب أنني كنتُ لأستدعيك إذا جاءت أنباء عن اللورد إدارد؟ نغل أم لا، فأنت ما زلت من دمه. الرسالة كانت بخصوص السير بارستان سلمي. يبدو أنهم أعفوه من موقعه في الحرس الملكي وأعطوا مكانه للكلب الأسود كليجاين، والآن سلمي مطلوب بتهمة الخيانة. أرسل الحمقي بعض الحرس للقبض عليه، لكنه صرَّ اثنين منهم وهرب»، وأطلق مورمونت نحيباً لا يترك مجالاً للشك في رأيه فيمن يُرسلون ذوي المعاطف الذهبية ضد فارس مغوارٍ مثل بارستان الباسل، ثم قال باشمئزاز: «لدينا ظلال بيضاء تجوب الغابة، وجثث حيَّة تتحرك في عُقر دارنا، وعلى العرش الحديدي يجلس صبي».

بصخب صاح الغداف: «صبي، صبي، صبي، صبي!».

كان جون يُدرك أن السير بارستان كان أمل الدُّب العجوز الأخير، والآن وقد سقط فما أمل مورمونت في أن يُعير أيهم رسالته انتباهاً؟ كور قبضته ليستعل الألم في أصابعه المحترقة، وسأل: «وماذا عن أختي؟».

- «الرسالة لم تذكر شيئاً عن اللورد إدارد أو الفتاتين»، وهزَّ كتفيه بضيق مضيفاً: «لعل رسالتي لم تصلهم أصلاً. إيمون أرسل نسختين منها مع اثنين من أفضل طيوره، لكن من يدري؟ في الغالب لم يُكلّف بايسل نفسه عناء الرد. لن تكون هذه المرّة الأولى أو الأخيرة. أخشى أن لا قيمة لنا عندهم على الإطلاق في كينجز لاندنج. إنهم يُخبروننا بما يرغبون أن نعرفه فقط، وهو قليل بما فيه الكفاية».

فَكَرَّ جُونُ بِاسْتِيَاءٍ: وَأَنْتَ تُخْبِرُنِي بِمَا تَرْغِبُ فِي أَنْ أَعْرِفَهُ فَقَطْ، وَهَذَا أَقْلٌ. لَقَدْ اسْتَدْعَى أَخُوهُ رُوبَ رَايَاتِهِ وَذَهَبَ جَنُوبًا إِلَى الْحَرْبِ، لَكِنْ لَا أَحَدٌ ذَكَرَ لَهُ كَلِمَةً وَاحِدَةً عَنْ هَذَا... بِاسْتِثْنَاءِ سَامُوِيلَ تَارْلِي الَّذِي كَانَ قَدْ قَرَأَ الرِّسَالَةَ لِلْمَايسْتَرِ إِيْمُونِ وَهَمَسَ بَعْدَهَا بِفَحْوَاهَا فِي أُذُنِ جُونِ لَيْلَتِهَا سِرًّا، مُرَدِّدًا طَوَالَ الْوَقْتِ أَنَّهُ لَا يَجْدُرُ بِهِ أَنْ يَفْعَلَ هَذَا. لَا شَكَّ أَنَّهُمْ قَالُوا إِنْ حَرَبَ أَخِيهِ لَيْسَتْ مِنْ شَأْنِهِ، لَكِنَّهَا كَانَتْ تَشْغُلُ بَالَهُ فِي الْحَقِيقَةِ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ. أَخُوهُ فِي الطَّرِيقِ إِلَى الْحَرْبِ وَهُوَ لَا، وَمَهْمَا رَدَّدَ جُونُ لِنَفْسِهِ أَنَّ مَكَانَهُ هُنَا الْآنَ مَعَ إِخْوَتِهِ الْجُدُدِ عَلَى "الْجِدَارِ"، فَقَدْ ظَلَّ يَشْعُرُ بِأَنَّهُ جَبَانٌ.

صَاحَ الْغُدَافُ: «دُرَّة، دُرَّة، دُرَّة!».

- «صَمْتًا!»، قَالَ لَهُ الدُّبُّ الْعَجُوزُ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى جُونِ سَائِلًا: «سَنُو، مَتَى قَالَ الْمَايسْتَرُ إِيْمُونُ إِنَّكَ سَتَسْتَطِيعُ اسْتِخْدَامَ يَدِكَ هَذِهِ مِنْ جَدِيدٍ؟».

أَجَابَ جُونُ: «قَرِيبًا».

- «عَظِيمٌ»، وَعَلَى الْمَائِدَةِ بَيْنَهُمَا وَضَعَ اللُّوردُ مَورْمُونْتُ سَيْفًا كَبِيرًا فِي غِمْدٍ مَعْدَنِيٍّ أَسْوَدَ مَطْعَمٍ بِالْفُضَّةِ، وَقَالَ: «هَآكِ، سَتَكُونُ مُسْتَعِدًّا لِاسْتِخْدَامِ هَذَا إِذْنًا».

حَلَقَ الْغُدَافُ مِنْ فَوْقِ النَّافِذَةِ وَحَطَّ عَلَى الْمَائِدَةِ وَتَحَرَّكَ نَحْوَ السَّيْفِ بِفَضُولٍ، بَيْنَمَا لَمْ يَفْهَمْ جُونُ مَا يَقْصِدُهُ حَضْرَةُ الْقَائِدِ، وَقَالَ بِتَرَدُّدٍ: «سَيِّدِي؟».

- «لَقَدْ أَذَابَ الْحَرِيقُ الْفُضَّةَ عَنِ الْقَبِيْعَةِ وَأَحْرَقَ الْوَاقِي الْعَرَضِيَّ وَالْمَقْبُضَ. مَاذَا تَتَوَقَّعُ مِنَ الْجِلْدِ الْجَافِ وَالْخَشَبِ الْقَدِيمِ؟ لَكِنْ النَّصْلُ... سَتَحْتَاجُ نَارًا أَجِيحُهَا أَشَدُّ مِنْ مَرَّةٍ كَيْ يَنْلِفَ النَّصْلُ»، وَدَفَعَ السَّيْفَ فِي غِمْدِهِ إِلَى جُونِ قَائِلًا: «جَعَلْتَهُمْ يَصْنَعُونَ الْأَجْزَاءَ التَّالِفَةَ مِنْ جَدِيدٍ. هَلُمَّ، خُذْهُ».

رَدَّدَ الْغُدَافُ وَهُوَ يُسَوِّي رِيْشَهُ بِمَنْقَارِهِ: «خُذْهُ، خُذْهُ، خُذْهُ!».

بَارْتَبَاكُ أَمْسَكَ جُونُ السَّيْفَ يُسْرَاهُ، فِيمَنَاهُ الْمَضْمَدَةُ كَانَتْ لَا تَزَالُ

خرقاء الحركة وتؤلم بشدة كلما أمسك بها شيئاً، وبحرصٍ سحب السيف من الغمد ورفعَه إلى مستوى عينيه.

كانت القبيعة كتلةً من الحجر باهت اللون مثقلةً بالرصاص للحفاظ على توازن النصل الطويل وقد نُحِتَت على شكل رأس ذئب يُزْمَجِر له عينان من العقيق الأحمر، والمقبض الأسود اللين من الجلد الجديد الذي لم يتلوث بعد بالعرق أو الدَّم، أما النصل نفسه فكان أطول بنصف قدم كامل على الشيوف التي اعتادَ عليها جون، مستنداً بحيث يصلح للطعن كما للقطع. بينما كان "جلید" سيف أبيه سيفاً عظيماً يُحمل باليدين بمعنى الكلمة، فقد كان هذا سيفاً طويلاً من النوع الذي يُطلق عليه "يد ونصف"، وفي بعض الأحيان "سيف نغل"، وإن كان أخفَّ كثيراً من الشيوف التي حملها من قبل. عندما أدارَه جون إلى الجانب استطاع أن يرى التمجّجات العميقة في داخل الفولاذ القاتم حيث طوَيَ على نفسه مرّات ومرّات، وقال بدهشة: «هذا فولاذ فاليري يا سيّدي». كثيراً ما تركّه أبوه يحمل "جلید"، وكان يعرف شكل الفولاذ الفاليري وإحساسه.

قال الدّب العجوز: «هو كذلك. كان ملكاً لأبي ولأبيه من قبله، وتوارثه آل مورمونت لخمسَ قرون. كنتُ أحمله في شبابي، وتركته لابني عندما ارتديتُ الأسود».

إنه يُعطيني سيف ابنه. لم يُصدّق جون نفسه. كان النصل متوازناً لدرجة رائعة، وتوهّجت حافته بخفوت والضوء يسقط عليها. «ابنك؟» - «لقد جلبَ ابني العار لعائلة مورمونت، لكنه على الأقل تحلّى بما يكفي من كياسة لأن يترك السيف قبل فراره. أعادته أختي إليّ، لكن مجرد مرّاه يُذكّرني بعار جورا، وهكذا وضعت جانباً ولم أفكر فيه حتى وجدناه بين الرّماد في غُرفة نومي. القبيعة الأصلية كانت على شكل رأس دُب من الفضة، لكن بالية تماماً ولم تُعدّ معالمها مميزة، وخطر لي أن رأس ذئب أبيض سيلائمك أكثر. أحد بنائنا نحّات بارع».

كان چون وهو في عُمر بران يحلُم بالقيام بمآثر عظيمة كما يفعل كلُّ الصَّبية في سنِّه، وتغيَّرت تفاصيل أعماله البطوليَّة مع كلِّ حُلُم، لكنه غالبًا ما تخيَّل نفسه يُنقذ حياة أبيه، وبعدها يُعلن اللورد إدارد أن چون قد أثبت نفسه كستارك حقيقي ويضع "جلید" في يده، لكن حتى وقتها كان يُدرك أنها حماقة أطفال، فلا نغل في العالم يُمكنه أن يأمل أن يحمل سيف أبيه ذات يوم. حتى الذِّكْرى كانت تُصيبه بالخجل، فأَيُّ رجل هذا الذي يسرق ما هو لأخيه بحقِّ الميلاد؟ ليس لديَّ حقُّ في هذا السَّيف، تمامًا كما ليس لديَّ حقُّ في "جلید". حرَّك أصابعه المحروقة شاعرًا بنبض الألم تحت جلده، وقال: «سَيدي، هذا شرف لي، لكن...».

قاطعه اللورد مورمونت: «لا مجال لـ "لكن"، فلم أكن لأجلس هنا الآن لولاك أنت وذنبك هذا. لقد قاتلت بشجاعة، والأهم أنك كنت سريع البديهة. النَّار! نعم بحقِّ الآلهة، كان يجدر بنا أن نُفكِّر في هذا، كان يجدر بنا أن نتذكَّر. لقد حلَّ اللَّيل الطَّويل من قبل. نعم، ثمانية آلاف عام فترة طويلة للغاية بكلِّ تأكيد، لكن إذا لم يتذكَّر حرس اللَّيل، فمن سيفعل؟». ردَّد الغداف الثُّرثار: «من سيفعل؟ من سيفعل؟».

لا شكَّ أن الآلهة أجابت دعاء چون في تلك اللَّيلة الرَّهيبة، واشتعلت النَّار في ثياب الرَّجل الميت والتهمت كَان لحمه شمع وعظامه خشب جاف قديم، وليس على چون إلَّا أن يُغلِق عينيه ليرى الرَّجل الذي كان أوثر يترنَّح في أنحاء الغُرَّة ويرتطم بالأثاث واللَّهب يتمسَّك به أكثر وأكثر. كان وجهه هو أكثر شيء يُطارِد ذاكرة چون وقد أحاطت به النَّيران واشتعلَّ شعره كالقشِّ وذاب لحمه الميت عن جمجمته ليكشف عن عظامها. أيَّا كانت القوى الشَّيطانيَّة التي حرَّكت أوثر فقد طردتها النَّار، فالشيء المشوَّه الذي وجدوه بين الرَّماد لم يكن أكثر من لحم مطبوخ وعظام متفحَّمة... لكنه ظلَّ يُواجهه في كوابيسه ثانية وثالثة وقد ارتدتَّ الجثة المحترقة ملامح اللورد إدارد، وكان جلد أبيه هو الذي ينفجر



ويسودُّ، وعينا أبيه هما ما تسيلان من محجريهما على وجتية كدموع من الهُلام. لم يستوعب چون سبب هذا أو ما قد يكون معناه، لكنه أثارَ فيه الرُّعب أكثر مما يستطيع التعبير.

قال مورمونت خاتماً كلامه: «السَّيف ثَمَنٌ زهيد للحياة. خُذْهُ، ولا أريدُ أن أسمع المزيد عن هذا الأمر، مفهوم؟».

- «نعم يا سيدي». شعرَ چون بأن المقبض الجِلدي قد أصبحَ أكثر مرونةً بين أصابعه، كأن السَّيف يُهَيِّئُ نفسه كي يُمَسِّكَ به دائماً بالفعل. كان يعرف أنه ينبغي أن يَشْعُرَ بمدى التَّكريم، وكان يَشْعُرُ به بالفعل، ومع ذلك... وثبَّ الخاطر إلى ذهنه رغماً عنه: إنه ليس أبي. اللورد إدوارد هو أبي، ولن أنساه مهما أعطوني من سيف. بالطبع لم يكن يستطيع أن يقول لمورمونت إن ما يحلُمُ به هو سيف آخر من رجل آخر.

قال مورمونت: «لا أريدُ أيَّ مجاملاتٍ كذلك، فلا تشْكُرني. أريدُ إجلالك للفولاذ بالأفعال لا الأقوال».

أوما چون برأسه وقال: «أله اسم يا سيدي؟».

- «كان له اسم من قبل، "المخلب الطَّويل"».

ردَّد الغداف: «مخلب، مخلب!».

- «"المخلب الطَّويل" اسم ملائم». جرَّب چون التَّلويح بالسَّيف، وعلى الرغم من أنه كان غير مستريح لحمله بيده اليسرى، إلا أن النَّصل بدا كأنه ينساب في الهواء كأن له إرادةً خاصَّةً به. «الدُّنَاب لديها مخالب كالذَّيْبَة».

بدا الدُّب العجوز مسروراً بهذا، وقال: «يبدو هذا. أعتقد أنك سترغب في ارتدائه وراء كتفك لأنه أطول من أن يُعلَّقَ في حزامك، على الأقل حتى يزداد طولك بعض الشيء. كما أنك ستحتاج إلى التَّدريب على المُبارزة بيدك معاً كذلك. سيُريك السير إنדרو بعض الحركات عندما تُشفي يدك بما فيه الكفاية».

لم يكن چون يعرف الاسم، وسأل بحيرة: «السير إندرو؟».

- «السير إندرو تارث، رجل صالح. إنه في طريقه من بُرج الظلال ليتولّى واجبات قيمّ السّلاح، فقد غادرَ السير أليسر صباح الأمس إلى القلعة الشرقيّة على البَحْر».

خفّض چون السّيف سائلاً بحماقة: «لماذا؟».

أطلقَ مورمونت نحيباً وقال: «لماذا في رأيك؟ لأنّي أرسلته، وأخذَ معه اليد التي مرّقها ذنبك جوست من جثة جافر فلاورز. لقد أمرته بأن يستقلّ سفينةً إلى كينجز لاندنج ويضعها أمام الملك الصّبي. لا بدّ أن هذا سيجذب انتباه جوفري، أو أن هذا ما أتمناه. السير أليسر فارس عالي المقام وله أصدقاء في البلاط، ومن الصّعب تجاهله كغراب عادي».

ردّد الغداف: «غراب!»، وخطرَ لچون أن الكلمة حملتَ لمحةً من السُّخط.

واصلَ اللورد مورمونت متجاهلاً اعتراض الطائر: «كما أن هذا يضع ألف فرسخ بينك وبينه دون أن يبدو الأمر بمثابة عقابٍ له»، ورفعَ أصبعه في وجه چون مضيفاً: «لكن لا تحسب أنّي أوافقُ على الهراء الذي ارتكبته معه. الشّجاعة تُعوّض عن جزءٍ لا بأس به من الحماقة، لكنك لم تُعدّ صبيّاً بغضّ النّظر عن عُمرِكَ. ما تحمله الآن سيف رجل، ويتطلّب أن يحمله رجل، ومن الآن فصاعداً سأتوقّع منك أن تتصرّف كرجل».

- «نعم يا سيّدي». دَسَ چون السّيف في غِمدِه المطعّم بالفضّة مفكراً أنه إذا لم يكن السّيف الذي يتمناه فهو هديّة نبيلة على الرغم من كلّ شيء، وتخليصه من أحقاد السير أليسر ولو لفترةٍ هديّة أنبل.

فركَ الدّب العجوز ذقنه وقال: «كنتُ قد نسيْتُ كيف تُصيب اللّحية الجديدة بالحكّة، لكن ماذا أفعلُ؟ هل تعاقت يدك بما يكفي لاستئناف واجباتك؟».

- «نعم يا سيّدي».

- «عظيم. ستكون الليلة باردة، وأريدُ نِيْذًا مَبْلًا باردًا. جد لي إبريقًا من الأحمر، ليس مُرًا جدًّا، ولا تُقْتَر في إضافة التوابل. وقُلْ لهوب إنه إذا أُرْسِلَ لي ضائنا مسلوفاً مرَّةً أخرى، فسأسلقه بنفسِي! القطعة الأخيرة كانت رماديَّة، وحتى الغُذاف رفض أن يمسَّها»، وملَّس على رأس الطائر بإبهامه فأطلق صياحاً ينمُّ عن الرضا. «اذهب الآن، فلديَّ عمل».

ابتسم له حارسا البُرج من موقعيهما وهو ينزل الدَّرَجَات حاملاً السَّيف بيده السَّليمة، وقال أحدهما: «سيف رائع»، وقال الآخر: «لقد استحقَّته يا سنو»، وابتسم چون لهما بدوره، لكن قلبه لم يكن يبتسم. كان يعرف أن من الحريِّ به أن يكون مسروراً، لكنه لم يشعُر بأيِّ سرور. كانت يده تُؤلمه، ومذاق الغضب على لسانه، وإن لم يعرف لِمَ هو غاضب أو ممن. نصف دسَّة من أصدقائه كانوا في انتظاره عندما غادر بُرج المَلِك الذي انتقلَ حضرة القائد إليه بعد الحريق، وقد علَّقوا هدفاً للتصويب على باب صومعة الغلال لبيدوا كأنهم يتمرَّنون على الرَّماية، لكن چون أدرك أنهم ينتظرونه هو، ولم يكذب يخرُج حتى نادى پيپ عليه قائلاً: «حسن، دعنا نُلقي نظرة».

- «على ماذا؟».

اقترب تودر وقال: «على فلقتي مؤخرتك الحمراء. ماذا تعتقد؟».

وقال جرين: «السَّيف، تُريد أن نرى السَّيف».

رمقهم بنظرة لوم قائلاً: «كنتم تعرفون؟».

ابتسم پيپ وقال: «لسنا جميعاً حمقى مثل جرين».

قال جرين معترضاً: «أنت أحمق مني!».

هزَّ هالدر البناء كتفيه وقال معتذراً: «لقد ساعدتُ بات على نحت

حَجَر القبيعة، وصديقك سام ابتاعَ قطعتي العقيق من بلدة المَناجذ».

وأضاف جرين: «لكننا كنا نعرف قبل هذا. رادج يُساعد دونال نوي في

الورشة، وكان هناك عندما أحضرَ له الذَّب العجوز السَّيف المحروق».

- «السَّيْفُ!»، قال مات فردَّد الآخرون وراءه: «السَّيْفُ! السَّيْفُ! السَّيْفُ!».

استلَّ جون "المخلب الطَّويل" وأراه لهم مديراً إياه في هذه النَّاحية وتلك كي يروه جيِّداً، وتألَّق السَّيْف النفل في نور الشَّمس الخافت بلمعةٍ داكنةٍ مميّنة. «فولاذ فاليري»، قال محاولاً أن يبدو مسروراً فخوراً كما يُفترَض به أن يشعُر.

قال تودر: «سمعتُ عن رجلٍ صنعَ موسىَ من الفولاذ الفاليري، فقطعَ رأسه وهو يُحاول الحلاقة».

ابتسمَ پيپ وقال: «حرس اللَّيل عُمره آلاف الأعوام، لكنني أراهنُ أن اللورد سنو هو أول من يحمل شرف إحراق بُرج حضرة القائد».

ضحك الآخرون، وحتى جون نفسه ابتسمَ. لم يكن الحريق الذي أشعلَه قد أحرقَ البُرج الحَجري الكبير، وإن أتى على محتويات الطَّابقيين العلويَّين حيث مسكن الدُّب العجوز، لكن لم يبدُ أن أحداً يُمانع طالما أنه دَمَّر جثَّة أو ثور القاتلة كذلك.

الجثَّة الحيَّة الأخرى، الشَّيء ذو اليد الواحدة الذي كان جواً لاسمه جافر فلاورز من قبل، دُمِّرَت كذلك، مُزَّقَت إرباً بعشراتٍ من سيوفهم... لكن ليس قبل أن تُقتل السير چارمي ريكرو وأربعة رجالٍ آخرين. كان السير چارمي قد بترَ عُنقها، لكنه سقطَ قتيلاً رغم ذلك عندما سحبت الجثَّة مقطوعة الرَّأس خنجره من غِمدِه وغرسته في أحشائه. لا تُجدي القوَّة والشَّجاعة كثيراً ضدَّ عدُوٍّ لا يَسْقُطُ لأنه ميت بالفعل، وحتى الأسلحة والدُّروع لا تُصلحُ للحماية في حالة كهذه.

عكَّر الخاطر الكئيب مزاج جون المتعكِّر أصلاً، وقال بفظاظٍ وهو يعيد السَّيْف إلى غِمدِه: «يجب أن أذهب إلى هوب بشأن عشاء الدُّب العجوز». كان يعرف أن أصدقاءه يقصدون خيراً، لكنهم لا يفهمون، ولم يكن هذا خطأهم حقاً، لكن أحداً منهم لم يُواجه أو ثور أو يرى الوهج

الشَّاحِب في هاتين العينين الزَّرَقاوين الميتين أو يَشْعُر ببرودة تلك الأصابع السُّوداء، كما أن لا أحد منهم يدري بالقتال الدَّائر في أراضي النَّهر، فكيف يستوعبون؟ التفتَ بعيدًا عنهم وغادرَ متجهًمَا، ونادى عليه بـ «بيپ» لكنه لم يُجِبْهُ.

كانوا قد أعادوه إلى حُجيرته القديمة في بُرج هاردين المتداعي بَعْد الحريق، وإلى هناك اتَّجه ليجد جوست نائمًا إلى جوار الباب، وإن رفعَ رأسه عندما سمعَ خطوات أقدام جون. كانت عينا الذُّئب الرَّهيب أكثر حُمْرَةً من العقيق وأحكم من البَشَر، وركعَ جون إلى جواره وحَكَّ أذنه وأراه قبعة سيفه الجديد قائلاً: «انظر، إنه أنت». تشمَّم جوست شكله المحفور في الحَجَر وجَرَّب أن يلعقه، فابتسمَ جون وقال: «أنت من يستحقُّ التَّكريم». وفجأة وجدَ نفسه يتذكَّر كيف وجدَه في ذلك اليوم وسط ثلوج أواخر الصَّيف. كانوا قد بدأوا يتحرَّكون ومعهم الجراء الأخرى، لكن جون سمعَ صوته وعادَ إلى جَنَّة أمِّه ليجده هناك، يكاد يتوارى وسط الثلوج بفروه الأبيض. كان وحيدًا تمامًا، بعيدًا عن إخوته. كان مختلفًا عنهم فأبعده.

- «جون». رفعَ رأسه ليجد سامويل تارلي واقفًا بهتَرُ بعصيةٍ على كعبيه وقد احمرَّ وجهه ودثَّر نفسه بمعطفٍ ثقيلٍ من الفرو جعله يبدو جاهزًا للبيات السُّتوي.

نهَضَ قائلاً: «سام، ماذا هناك؟ هل تُريد أن ترى السَّيف؟». إذا كان الآخرون يعرفون، فلا بُدَّ أن سام يعرف أيضًا.

هَزَّ الصَّبي البدين رأسه نفيًا وقال بأسى: «كنتُ وريثًا لسيف أبي من قبل، "آفة القلوب". سمحَ لي اللورد راندل بحمله بضع مرَّات، لكنه كان يُخيفني دائمًا. كان من الفولاذ القالييري، جميلًا لكن شديد الحِدَّة وكنتُ أخافُ أن أجرح واحدةً من أخواتي. سوف يرثه ديكون الآن»، وجفَّف عرق يديه على معطفه قائلاً: «أنا، آه... المايستر إيمون يرغب في رؤيتك».

لم يكن وقت تغيير ضمّادته قد حانَ بعد، فعقدَ چون حاجبيه وقال: «لماذا؟». كانت ملامح سام بائسةً تمامًا، وأعطاه هذا الإجابة، فقال غاضبًا: «لقد أخبرته، أليس كذلك؟ أخبرته بأنك قلت لي ما جاء في الرسالة».

- «أنا... إنه... لم أكن أريدُ أن أقول له يا چون، صدّقني... لقد سألتني... وأعتقدُ أنه كان يعرف بالفعل... إنه يرى ما لا يراه الآخرون».

- «إنه أعمى!»، قال چون بحدّة. «سأذهبُ وحدي»، وترك سام هناك مغفور الفيه يرتجف.

وجدَ المايستر في المغدفة يطعم الطيور ومعه كلايداس يحمل دلوًا من قطع اللحم يتفّلقان به بين الأقفاص. «سام يقول إنك تُريدني».

أوما المايستر برأسه وقال: «بالتأكيد؛ كلايداس، أعطِ الدلوَ لچون. لا بدّ أنه دمث بما يكفي لأن يُساعدني». ناولَ الأخ الأحذب ذو الملتحمة الملتهبة الدلوَ لچون وغادر، وقال له إيمون: «ألقي اللحم في الأقفاص وستقوم الطيور بالباقي».

نقلَ چون الدلوَ إلى يده اليمنى وغمسَ اليسرى في القطع الدّامية، فبدأت الغدقان تصرّخ بضوئٍ مزعجٍ وتتراخم عند القضبان ضاربةً المعدن بأجنحةٍ سوداء كالليل. كان اللحم مقطّعًا إلى قطع صغيرة لا يزيد حجمها على مفاصل الأصابع، وملاً چون قبضته به وألقاه داخل القفص، فتعالى صخب الغدقان أكثر، وتطاير الريش إذ التحمَ اثنان من الأكبر حجمًا في قتالٍ حول قطعة كبيرة نوعًا، وبسرعةٍ التقطَ چون حفنةً أخرى وألقاها داخل القفص قائلاً: «غداف اللورد مورمونت يُحبُّ الفاكهة والذرة».

قال المايستر: «إنه طائر نادر. معظم الغدقان يأكل الحبوب لكنها تُفضّل اللحم، فهو يمدّها بالقوّة، وإن كنتُ أخشى أنها تستمتع بمذاق الدّم. في هذا تشابه مع البشر، وكالبشر تختلف الغدقان عن بعضها بعضًا».

لم يكن چون يملك ردًا على هذا، وواصل إلقاء اللحم داخل الأقفاص متسائلًا عن سبب استدعائه. لا شك أن العجوز سيُخبره في الوقت المناسب، فالمايستر إيمون ليس بالرجل الذي تتعجّله.

تابع المايستر: «من الممكن تدريب الحمام واليمام أيضًا على حمل الرسائل، لكن الغداف أقوى وأسرع، كما أنه أكبر حجمًا وأشجع وأذكى كثيرًا، ويستطيع الدفاع عن نفسه ضد الصُقور. على أن الغدافان سوداء اللون وتأكل الجيفة، ولهذا يتطير منها بعض المنديين. هل تعلم أن بيلور المبارك حاول استبدال جميع الغدافان باليمام؟»، والتفت بعينه البيضاء إلى چون وقال مبتسمًا: «لكن حرس الليل يُفضّلون الغدافان».

قال چون ويده مغموسة في الدلو وملوثة بالدم حتى المعصم: «دايوين يقول إن الهمج ينعتوننا بالغربان».

- «الغراب ابن عم الغداف المسكين، كلاهما شحاذ يرتدي الأسود، مكروه ومُساء فهمه».

تمنى چون أن يفهم عمًا يتكلّمان بالضبط ولماذا. لماذا يُيالي بالغدافان واليمام؟ إذا كان العجوز لديه شيء يقوله، فلماذا المؤاربة؟ سأله المايستر إيمون: «قل لي يا چون، هل تساءلت من قبل لم لا يتزوَّج رجال حرس الليل أو يُنجبوا؟».

هزّ كتفيه وألقى المزيد من اللحم في القفص قائلاً: «كلا». كانت يده اليسرى مغطاة بالدماء اللزجة واليمنى تؤلمه من ثقل الدلو. أجاب العجوز: «كي لا يقعوا في الحب، فالحُب لعنة الشرف وموت الواجب».

لم يبدُ هذا معقولًا لچون، لكنه لم يُعلّق. المايستر في المئة من عمره ومن كبار قِيَمي حرس الليل، ولا يليق أن يُعارضه. غير أن من الواضح أن العجوز قد أحسّ بشكوكه، فقال: «قل لي

جون، إذا جاء يوم يتحتَّم فيه على السيّد والدك أن يختار بين الواجب من جهة ومن يُحبُّ من جهةٍ أخرى، فماذا سيفعل حينها؟»  
 تردّد جون. أرادَ أن يقول إن اللورد إدارد لا يُمكنه أن يُلَوِّثَ شرفه أبداً، ولا حتى في سبيل الحُب، لكن الصّوت الصّغير في داخله قال: لقد أنجبَ نغلاً، فأين الشّرف في هذا؟ وماذا عن أمك وواجبه نحوها؟ إنه يرفض مجرّد ذكر اسمها. قال بلهجة قويّة تُعوّض تردّده: «سيفعل الشّيء الصّحيح مهما كان الثّمَن».

- «إذن فاللورد إدارد رجل تجده بين كلّ عشرة آلاف. معظمنا ليسوا بهذه القوّة، فما الشّرف مُقارَنَةٌ بحُبِّ امرأة؟ ما الواجب مُقارَنَةٌ بشعورك بابنك الوليد بين يديك، أو ذكرى ابتسامة أخيك؟ كلمات من هواء، كلمات من هواء. إننا بشر، والآلهة فطرتنا الى الحُب. هذا هو مجدنا الأكبر، ومأساتنا الأكبر. الرّجال الذين كوّنوا حرس اللّيل في البداية كانوا يعرفون أن شجاعتهم فقط هي التي تحمي البلاد من الظلمة الواقعة شمالاً، ويعرفون أنه لا يجدرُ بهم أن ينقسم ولاؤهم فيُضعِف عزمهم، ولهذا أقسموا ألا يتزوّجوا أو يُنجبوا... وإن كان لهم إخوة وأخوات، وأمّهات أنجبهنهم وآباء أعطوهم أسماءهم. لقد أتوا من مئة مملكة متصارعة، وأدركوا أن الزّمن قد يتغيّر أما هم فلا، ولهذا تعهّدوا كذلك ألا يلعب حرس اللّيل دوراً في صراعات البلاد التي يحمونها، وعلى العهد حافظوا. عندما قتل إجون هارن الأسود واستولى على مملكته، كان أخو هارن هو قائد حرس اللّيل على "الجدار" وتحت يده عشرة آلاف مُحارب، لكنه لم يتدخّل مع ذلك. عندما كانت الممالك السّبع سبع ممالك فعلاً، لم يكن جيل يُمُرُّ من دون أن تكون ثلاث أو أربع منها في حالة حرب، ومع ذلك لم يتدخّل الحرس. وعندما عبر الأنداليون البحر الضيّق واكتسحوا ممالك البشر الأوائل، حافظ أبناء الملوك السّاقطين على العهد وظلّوا في مواقعهم. هكذا كان الأمر طوال سنين بلا عدد،



وهذا هو ثَمَن الشَّرَف. من الممكن أن يكون الجبان شجاعاً كأيّ أحدٍ عندما لا يجد ما يخشاه، وكلنا نقوم بواجبنا عندما لا يُكَلِّفنا شيئاً. كم يبدو من السَّهْل عندها أن نَسْلُك طريق الشَّرَف، لكن عاجلاً أم آجلاً في حياة كلِّ منا يأتي يوم لا يكون الطَّرِيق سهلاً، يوم يتحتم علينا فيه الاختيار. كان بعض الغِدفان لا يزال يأكل وقد تَدَلَّت قِطع اللَّحْم من مناقيره، بينما بدا البعض الآخر كأنه يُراقبه، وشعرَ چون بثقل عيونها الخرزِيَّة السوداء عليه. «وهذا يومي... أهذا ما تقصده؟».

التفتَ المايستر إيمون ونظرَ إليه بهاتين العينين البيضاوين الميتين كأنه يرى ما في قلبه بمنتهى الدَّقَّة، ما جعلَ چون يشعُر كأنه عارٍ مكشوف تماماً. حملَ الدَّلُو بكلتا يديه وألقى ما تبَقَّى من لحم من بين القضبان لتطير قِطع اللَّحْم وقطرات الدَّم في كلِّ مكان لتُفَرِّقَ الغِدفان وتجعلها تطير في الهواء صائحةً باهتياج، والتقطَ أسرعها اللَّحْم في الهواء والتهمة بجشع، بينما تركَ چون الدَّلُو الفارغ يسقط أرضاً.

وضعَ الرَّجل الهَرِم يده المعروقة المرقَّطة على كتفه وقال بهدوء: «إنه مؤلم يا بُني، نعم، الاختيار مؤلم... لطالما كان وسيظلُّ مؤلماً، أعرفُ هذا».

قال چون بمرارة: «أنت لا تعرف، لا أحد يعرف. حتى إذا كنتُ ابنه غير الشرعي، فهو لا يزال أبي».

تنهَّد المايستر إيمون وقال: «ألم تسمع شيئاً مما قلته لك يا چون؟ هل تحسب أنك الأول؟»، وهزَّ رأسه العجوز بإعْياء تعجز عن وصفه الكلمات وتابع: «مرَّات ثلاث ارتأت فيها الآلهة اختبار يميني، مرَّة في صباي، ومرَّة في ريعان شبابي، والثالثة عندما صرْتُ شيخاً مُسنّاً. وقتها كانت قوَّتِي قد ذَوَتْ وراحَ بصري، لكن الاختيار الأخير لم يختلف في قسوته عن الأول. كانت الغِدفان تأتي بالأخبار من الجَنُوب، كلمات أسودَ من أجنحتها، دمار عائلتي وموت أهلي، الخزي والخراب. وماذا

كُنْتُ لِأَفْعَلُ وَأَنَا عَجُوزٌ. ضَرِيرٌ هَشٌّ؟ كُنْتُ عَاجِزًا كَطِفْلٍ رَضِيعٍ، لَكِنِّي  
الْتَمَعْتُ لَجُلُوسِي مَنْسِيًّا وَهُمْ يَقْتُلُونَ ابْنَ أَخِي الْمُسْكِينِ، وَابْنَهُ، وَحَتَّى  
الطُّفْلَيْنِ الصَّغِيرَيْنِ».

صُدِمَ چون لرؤية الدَّمُوعِ تَلْتَمِعُ فِي عَيْنِي الْعَجُوزِ، وَبِنَبْرَةٍ بَطِيئَةٍ تَكَادُ  
تَكُونُ خَائِفَةً سَأَلَهُ: «مَنْ أَنْتَ؟».

ارْتَجَفَتْ ابْتِسَامَةٌ بِلاَ أَسْنَانٍ عَلَى الشَّفَتَيْنِ الْقَدِيمَتَيْنِ وَصَاحِبِهَا يَجِيبُ:  
«مَجْرَّدُ مَايَسْتَرٍ مِنْ "الْقَلْعَةِ" نَعْهَدُ بِالْخِدْمَةِ لِقَلْعَةِ حَرَسِ اللَّيْلِ السَّودَاءِ. فِي  
جَمَاعَتِي نَتَخَلَّى عَنْ أَسْمَاءِ عَائِلَاتِنَا وَنَحْلِفُ الْيَمِينَ وَنَرْتَدِي سِلَاسِلَنَا»،  
وَمَسَّ السَّلْسَلَةَ الْمُحِيطَةَ بِرَقَبَتِهِ الْمَهْزُولَةِ وَقَالَ: «أَبِي كَانَ مَايَكَارَ الْأَوَّلِ،  
وَأَخِي إِجُونُ حَكَمَ بَعْدَهُ بَدَلًا مِنِّي. سَمَّانِي جَدِّي عَلَى اسْمِ الْأَمِيرِ إِيْمُونِ  
الْفَارِسِ التَّيْنِ الَّذِي كَانَ عَمُّهُ، أَوْ أَبَاهُ، حَسَبَ الْحِكَايَةِ الَّتِي تَخْتَارُ أَنْ  
تُصَدِّقَهَا... سَمَّانِي إِيْمُونِ».

بِذَهُولٍ قَالَ چون: «إِيْمُون... تَارِجَارَيْنِ؟».

قَالَ الْعَجُوزُ: «كُنْتُ... كُنْتُ. كَمَا تَرَى إِذْنُ يَا چون، إِنَّنِي أَعْرِفُ،  
وَلَأَنِّي أَعْرِفُ فَلْنِ أَقُولْ لَكَ أَنْ نَبْقَى أَوْ تَذْهَبْ. عَلَيْكَ أَنْ تَخْتَارَ وَتَعِيشَ  
مَعَ اخْتِيَارِكَ مَا نَبْقَى مِنْ حَيَاتِكَ كَمَا فَعَلْتُ»، وَرَدَّدَ هَامِسًا: «كَمَا فَعَلْتُ».



## دنيرس

بعد انتهاء المعركة قادت داني فرسها الفضية عبر حقول الموتى، وفي أعقابها وصيفاتها ورجال غاسها يتسمون ويتبادلون الدُعابات.

كانت حوافر خيول الدوثرافي قد دكت التربة ووطأت القمح والعدس، بينما بذرت الأراخات والسَّهام محصولاً مريعاً جديداً وروته بالدماء، ورفعت الخيول المحتضرة رؤوسها وصرخت فيها وهي تمُرُّ بها. تعالى أنين الجرحى وصلواتهم الملهوفة وبينهم يتحرك الجاكا رهان، رجال القتل الرحيم ذوو الفؤوس الثقيلة الذين يحصدون رؤوس من ماتوا ومن يموتون على حدٍّ سواء، تمهيداً لأن تأتي بعدهم مجموعة من الفتيات الصغيرات ليتزعن السَّهام من الجثث ويملأن بها سلالهن، وأخيراً يأتي قطيع الكلاب الجائعة الذي تجده دائماً على مسافة قريبة من مؤخرة الغالاسار ليتناول وجبته الشهية من لحوم الموتى.

بدا أن الأغنام التي سقطت بالآلاف قد سبقت رُعاتها إلى الموت وقد غطتها أسراب من الذباب الأسود وبرزت من جثثها أعمدة السَّهام، وعرفت داني أن خيالة غال أوجوهم من فعلوا هذا، فلا أحد في غالاسار دروجو بالحماقة التي تجعله يُبدد سهامه على الأغنام بينما هناك رعاة عليه أن يقتلهم.

كانت البلدة تحترق، تتصاعد من بناياتها أعمدة الدخان الأسود لتتلوى تحت السماء الزرقاء القاسية، ونحت أسوار الطمي المجفف المتهدمة

انطلق الخيالة هنا وهناك يُلَوِّحون بسياطهم الطويلة وهم يقودون الناجين بعيداً عن الأنقاض المحترقة، وتحركت نساء وأطفال غالاسار أوجو بكبرياء واجمة على الرغم من الهزيمة والأسر، ومع أنهم صاروا عبيداً الآن إلا أنهم لم يُبدوا خوفاً. على أن الأمر كان مختلفاً بالنسبة لأهل البلدة الذين شعرت داني بالشفقة عليهم وقد تذكرت معنى الخوف من جديد، ورأت الأمهات يتحركن بملامح خاوية وقد تعلق أطفالهن بالباكون بأيديهن. لم يكن بينهن غير عددٍ محدودٍ من الرجال، أغلبهم من الكسحيين أو كبار السن أو العجباء.

قال السير چورا إن أهل هذا البلد يُسمُّون أنفسهم اللازارين، بينما يُطلق عليهم الدوثرافي اسم "هايس راگي"، أي "قوم الحملان". في الماضي كانت داني لتعتقد أنهم من الدوثرافي بدورهم، فهم يملكون البشرة النحاسية والعيون اللوزية نفسها، لكنهم بدوا أغراباً لها الآن بقاماتهم الصغيرة ووجوههم المسطحة وشعرهم القصير جداً. إنهم رعاة أغنام يقتاتون على الخضروات فقط ولا يأكلون اللحم، وقال غال دروجو إن مكانهم هو جنوب منحني النهر، أمّا عُشب بحر الدوثرافي فليس طعماً للغنم.

رأت داني ولذا يندفع جرياً صوب النهر، لكن أحد الخيالة قطع عليه الطريق وجعله يركض في الجهة المعاكسة، ليُحاصره الآخرون ويلوحوا بسياطهم في وجهه فيدور مرتبكاً في هذا الاتجاه وذاك، ثم دار أحدهم من ورائه وهوى بسوطه على مؤخرته حتى سأل منها الدم، وضربه آخر على كاحله ليسقطه على وجهه وسط الغبار. وأخيراً، عندما صار الولد يستطيع الزحف بالكاد، شعروا بالملل من اللهب و غرسوا سهمًا في ظهره.

قابلها السير چورا خارج البوابة المحطمة وقد ارتدى سترَةً من الأخضر الداكن فوق قميص الحلقات المعدنية، مع قفازين وواقياً للساقين وخوذة كبيرة من الفولاذ الرمادي. كان الدوثرافي قد سحروا

منه وأتهموه بالجبن عندما ارتدى درعه، لكنه ردَّ الإهانة بالإهانة وثارَت الأعصاب والتحمَّ السَّيف الطَّويل بالأراخ، وأخيرًا تُركَ الخيَّالة الذين وجَّهوا له أفدع الإهانات يتزفون حتى الموت.

رفع السير چورا مقدِّمة خوذته وهو يتحرَّك إلى جوارها على حصانه، وقال: «السَّيد زوجك في انتظارك داخل البلدة».

- «هل تأذَى دروجو؟».

أجاب چورا: «بضعة جروح فحسب، لا شيء يُثير القلق. لقد قتلَ غالين اليوم، غال أوجو أولًا، ثم ابنه فوجو الذي أصبحَ غالا بعد سقوط أبيه. خيَّالة دمه قطعوا الأجراس من شعريهما بالفعل، والآن يُصدر غال دروجو رنينًا أعلى مع كلِّ خطوة بخطوها».

كان أوجو وابنه قد تقاسموا المنصَّة العالية مع زوجها يوم المأدبة عندما تُوجَّ فسيرس، لكن ذلك كان في قايس دوثرانك تحت الجبل الأم، حيث تُنحَى الخلافات كلها جانبًا ويكون جميع الخيَّالة إخوة، لكن المسألة تختلف هنا على العُشب خارج المدينة. كان غالاسار أوجو يَشُنُّ هجومه على البلدة بالفعل عندما وصلَ غال دروجو وخيَّالته، وتساءلت داني عمَّا حسبه قوم الجملان حين رأوا عاصفة الغبار التي أثارَتها خيولهم من فوق الأسوار الطَّيْنِيَّة المتصدَّعة. لعلَّ قلة منهم، الصُّغار والحمقى الذين لا يزالون يؤمنون بأن الآلهة تُجيب دعاءهم، ظنُّوا للحظاتٍ أن الخلاص قد جاءهم.

على الجانب الآخر من الطَّرِيق كانت فتاة لا تكبرُ داني بكثيرٍ تنتحب بصوتٍ عالٍ رفيع وأحد الخيَّالة يدفعها على وجهها بين كومةٍ من الجثث ثم يُقحم نفسه في داخلها، وترجُل خيَّالة آخرون ليأخذوا دورهم من بعده. هذا هو الخلاص الذي أتى به الدوثرانكي لقوم الجملان.

أنا دم التَّيْنِيز، قالت دنيرس تارجارين لنفسها إذ أشاحت بوجهها بعيدًا عن المنظر، وضغطت شفثيها معًا وأجبرت قلبها على الثبات وهي تُواصل طريقها نحو البوابة.

كان السير چورا يقول: «معظم خيالة أوجو قرّوا، لكن عدد الأسرى قد يبلّغ عشرة آلاف».

عبيد. لا ريب أن غال دروجو سيقودهم في اتّجاه مصبّ النّهر إلى أحد البلدات الواقعة على خليج النّحاسين. أرادت أن تبكي، لكنها قالت لنفسها إنني يجب أن تتحلّى بالقوّة. هذه هي الحرب وهكذا تبدو. هذا هو ثمن العرش الحديدي.

قال السير چورا: «قلتُ للغال إن عليه أن يتّجه إلى ميرين، فهناك سيدفعون له سعرًا أعلى من أيّ قافلة عبيد مارة. إليريو قال في رسالة له إن الطّاعون تفشّى في المدينة العام الماضي، ولهذا تدفع المواخير الضّعف مقابل الفتيات الصّحبات وثلاثة أضعاف مقابل الغلمان تحت العاشرة. إذا احتملّ عدد كافٍ من الأطفال تلك الرّحلة، سيكفي الذهب لشراء كلّ السفن التي نحتاجها واستئجار من يقودونها».

من ورائهما أصدرت الفتاة المغتصبة صوتًا يمزّق نياط القلوب، عويلاً طويلاً استمرّ واستمرّ واستمرّ، ووجدت داني نفسها تُطبق بقوة على العنان وتُدِير رأس فرسها وتقول أمرّة للسير چورا: «اجعلهم يتوقّفون».

قال الفارس بحيرة: «غاليسي؟».

قالت: «كما سمعتني، اجعلهم يتوقّفون»، ثم خاطبت رجال الكاس بلُغة الدوثراكي الخشنة قائلة: «چوجو، كوارو، ساعدوا السير چورا. لا أريدُ أن يكون هناك اغتصاب».

تبادل مُحاربًا الكاس النظرات الحائرة، بينما دنا السير چورا بحصانه وقال: «يا سُمُو الأميرة، إن لديك قلبًا رحيماً لكنك لا تفهمين. هكذا طبيعة الأمور دائماً هنا. هؤلاء الرّجال نزفوا دماءهم من أجل الغال، والآن يتلقّون مكافأتهم».

كانت الفتاة لا تزال تبكي على الجانب الآخر من الطريق وتصحّح

بكلماتٍ رتيبةٍ بدا وقعها غريبًا على أذني داني، وقد فرغَ الرَّجل الأول منها وأخذَ ثاني مكانه.

قال كوارو بالدوثراكي: «إنها مجرد فتاة جملان يا گاليسي، لا تُمثل شيئًا. ما يفعله الخيالة بها شرف لها. قوم الجملان يُصاَجعون الغنم، هذا معلوم».

رددت وصيفتها إيرى: «هذا معلوم».

- «هذا معلوم»، ردّد چوجو بدوره من على متن الفحل الرماذي الطويل الذي أهده دروجو إياه. «إذا كان صراخها يُزعجك يا گاليسي، يُعِدني أن أعود إليك بلسانها»، وسحبَ أراحه.

قالت داني بحزم: «لا تمسّوها بسوء. سأأخذها خادمةً لي. افعلوا كما أمرتكم وإلا سيعرف غال دروجو أنكم خالفتُموني».

قال چوجو وَاكْزَا حصانه: «أمرِك يا گاليسي»، وتبعه كوارو والآخَران والأجراس ترن في جدائل شعرهم، فالتفت داني إلى السير چورا وقالت: «اذهب معهم».

قال الفارس: «كما تأمرين»، ثم رمقها بفضولٍ مغممًا: «أنتِ أخت أخيك بالفعل».

سألته حائرة: «فيسرس؟».

- «لا، ريجار»، وابتعدَ بحصانه.

سمعت داني صياح چوجو وضحك المُغتَصِبين السّاخر منه ثم صياح أحدهم فيه، وفي اللحظة التالية لمحت أراخ چوجو يومض في الشمس ورأس الرَّجل يتدحرج من فوق كتفيه إلى الأرض. استحال الضحك إلى شتائم ومدّ الخيالة أيديهم إلى أسلحتهم، لكن كوارو وآجو وراگارو كانوا قد وصلوا في أعقابهم، ورأت آجو بُشير عبر الطريق إلى حيث جلست على متن فرسها الفضّيّة، فرمقها الخيالة بنظراتٍ باردةٍ يعيونهم السّوداء ويصقّ أحدهم على الأرض، قبل أن يتفرّقوا وهم يُهمِّمون غاضبين. كل هذا

والرَّجل الذي يعتلي فتاة الحِملان يُغمد نفسه في داخلها وقد غابَ في لذَّته حتى أنه بدا غير مُدركٍ لما دارَ حوله، فترجَّل السير چورا وانتزَعَه من فوقها، وسقطَ الدوثر اكي متمرَّعًا في الوحل للحظاتٍ قبل أن يثب واقفًا وسكَّينه في يده، وماتَ بسهم آجو الذي اخترقَ حَلَقه. ساعدَ مورمونت الفتاة على النهوض من وسط كومة الجثث ولَفَّها بمعطفها الملطَّخ بالدماء، ثم قادَها إلى داني على جانب الطريق الآخر وسألها: «ماذا ترغبين في أن نفعل بها؟». كانت الفتاة ترتجف وفي عينيها المتسعَتين نظرة خاوية وقد لَوَّث الدَّم شَعرها تمامًا. قالت داني: «دوريا، ضمَّدي جروحها. إنك لا تُشِهيَن الخيَّالة، فربما لن تخافكِ إذن. ليأتِ بَقِيَّتكم معي»، وقادَت فرسها عبر البوَّابة الخشبيَّة المحطَّمة.

البلدة من الدَّاخل كانت أسوأ بكثير، ألسنة اللِّهب لا تزال تلتهم عددًا كبيرًا من المنازل، ورجال الجاكَّا رهان يقومون بعملهم الرَّهيب لتمتلي الأزقة الضيِّقة الملتفَّة بالجثث مبتورة الرُّؤوس. مرُّوا بنساءٍ أخريات يتعرَّضنَ للاغتصاب، وفي كُلِّ مرَّة توقَّفت داني وأمرت رجال الكَّاس ليضعوا حدًّا لما يحدث وأخذت الضحيَّة خادمة لها. واحدةً منهن، امرأة ممثلة الجسم مسطَّحة الأنف في الأربعين من العُمُر، باركت داني بنبوة متردِّدة بلُغة وستروس العاميَّة، بينما اكتفَت الأخريات بأن رَمَقنَّها بنظراتٍ متجهِّمة، وأدركت بحُزنٍ أَنهنَّ يَشْعُرْنَ بالشكِّ فيها والخوف من أَنها أنقَذَتَنَّ من أجل مصير أسوأ مما عانينَ.

- «لا يُمكنكِ أخذهنَّ جميعًا يا بُنَيَّتي»، قال السير چورا عندما توقَّفوا للمرَّة الرَّابِعة ومُحاربو الكَّاس يسوقون إماءها الجديدات وراءها. قالت داني: «أنا الكَّاليسي، وريثة المَمالك السَّبْع، دم التَّنين، وليس من حقِّك أن تقول لي ما ينبغي أن أفعله».

عبر البلدة تهاوى مبنى مثيرًا عاصفًا من النَّار والدُّخان، وسمعت صرخاتٍ بعيدة وعويل الأطفال المرعوبين.



وَجَدُوا گَال دروجو جالسًا وسط خيَّالة دمه أمام معبدٍ مربَّعٍ بلا نوافذ  
 ذي جدرانٍ سميكةٍ من الطَّمي وتعلوه قبةٌ كبيرةٌ متنفخةٌ كحبةٍ من البصل  
 البُنِّي، وإلى جواره كومةٌ من الرؤوس تفوقه طولًا. كان أحدُ سهام قوم  
 الحِملان القصيرة مغروسًا في لحم ذراعه من أعلى والدَّم يُعْطِي الجانب  
 الأيسر من صدره العاري كلطخةٍ من الطَّلَاء الأحمر.

ساعدتْ چيكوي داني على التَّرجُّل وقد صارت حركتها ثقيلةً خرقاء  
 مع انتفاخ بطنها أكثر، وركعتْ أمام الغال قائلةً: «شمسي ونجومي  
 جريح». كانت ضربة الأراخ عنيفةً لكن سطحيةً، أطارت حلمته اليسرى  
 وتركتْ قطعةً من اللَّحْم والجِلْد الدَّامي تتدلَّى من صدره كخرقةٍ مبتلةٍ.  
 قال دروجو باللُّغة العامية: «مجرَّد خدشٍ يا قمر حياتي من أراخ أحد  
 خيَّالة دم گَال أوجو»، وهزَّ رأسه لترنَّ الأجراس في جدائل شعره بصوتٍ  
 نعامٍ وأضاف: «ما تسمعيه هو أوجو، والگالاگا فوجو الذي كان الغال  
 عندما قتلته».

قالت داني: «لا رجل يستطيع الوقوف أمام شمس حياتي، أبي الجواد  
 الذي يمتطي العالم».

تقدَّم مُحاربٌ على حصانه ووثبَ أمامهم مُخاطبًا هاجو بكلماتٍ  
 غاضبةٍ بالدوثرaki أسرع من أن تُدركها داني، فرمقها خيال الدَّم الضَّخَم  
 بنظرةٍ ثقيلةٍ قبل أن يلتفت إلى الغال قائلاً: «هذا ماجو الذي يركب في  
 گاس گو جهاکو. يقول إن الغاليسي استولتْ على غنيمته، واحدة من  
 فتيات الحِملان كانت له ليمتطيها».

ظَلَّت ملامح گَال دروجو صلبةً ثابتةً، وإن لآخ الفضول في عينيه  
 السُّوداوين وهو يُديرهما إلى داني ويقول بالدوثرaki: «ما حقيقة هذا يا  
 قمر حياتي؟». أخبرته داني بما فعلته بلُغته كي يفهمها أكثر، وانتفتتْ أكثر  
 الكلمات بساطةً ومباشرةً، وعندما انتهت قطب دروجو جبينه وقال: «هذه  
 هي طبيعة الحرب. تلك النِّساء إماؤنا الآن، نفعل بهنَّ ما نشاء».

قالت داني وهي تتساءل في قرارة نفسها إن كانت قد تجاوزت خطأ أحمر: «ومشيّتي ألا يُصِبهنَّ أذى. إذا كان مُحاربُوك يرغبون في مُضاجعة أولئك النساء، فليأتوهنَّ برفقٍ إذن ويتخذوهنَّ زوجاتٍ لهن. يُمكنك أن تُعطينَ مكانًا في الكالاسار ليحملنَ لك أبناءً».

لطالما كان كوثو أكثر خيالة الدّم الثلاثة توحشًا، وقد ضحك لحظتها وقال: «وهل تتزوّج الخيول مع الخراف؟».

شيءٌ ما في نبرته ذكّرُها بفسيرس، فالتفتت إليه وقالت غاضبةً: «التين يلتهم الخيول والخراف على حدّ سواء».

ابنسمَ غال دروجو وقال: «هل ترون كم صارت ضارية؟ إنه ابني في داخلها، الجواد الذي يمتطي العالم، يملأها بناره... اهدأ يا كوثو، إذا لم تُحرّقك الأمُّ في مكانك لمرّغك الابن في الوحل. وأنت يا ماجو، صُن لسانك واعثر لنفسك على نعيّةٍ أخرى تمتطيها، فهؤلاء ملك للجاليسي»، وحاول أن يمدّ يده إلى ديسرس، لكن الألم لآح على ملامحه إذ رفع ذراعه، وأشاح بوجهه بعيدًا عنها.

كانت داني تكاد تُشعرُ بألمه، فالجروح كانت أسوأ مما اعتقدت بناءً على كلام السير جورا. قالت: «أين المُداوون؟». في الكالاسار نوعان من هؤلاء: النساء العقيّمت والعبيد المخصّيون. تتعامل المُداويات بالأعشاب مع المشروبات العلاجيّة والتّمائم، بينما يتولّى المخصّيون السّكاكين والإبر والكيّ بالنّار. «لماذا لم يعتنوا بجروح الكال؟».

- «الكال صرف الرّجال الحليقيّين يا جاليسي»، قال كوهولو ورأت داني أن خيال الدّم المعجوز قد أصيب هو الآخر بجرح عميق في كتفه اليسرى.

قال دروجو بعناد: «كثيرون من خياليّتي جُرحوا. دعيهم يتلقّون العلاج أولاً. هذا السّهم ليس أكثر من لدغة ذبابة، وهذا الجرح الصّغير مجرّد نَدبٍ سأتباهى به أمام ابني».

كانت داني ترى عضلات صدره حيث قُطِعَ الجِلْدُ تمامًا، بينما سأل خيط من الدَّم من تحت السَّهْم الذي اخترق ذراعه. «لا ينبغي أن ينتظر غال دروجو. چوجو، ابحث عن هؤلاء المخصَّيَّين وعُدْ بهم في الحال». سمعت صوت امرأة يقول من ورائها: «سَيِّدَتِي الْفَضِيَّةُ، يُمكنني العناية بجروح الخيال العظيم».

أدارت داني رأسها لتجد أن المتكلِّمة واحدة من الإماء اللاتي أخذتهنَّ لنفسها، المرأة الممتلئة ذات الأنف المسطَّح التي باركتها. قال كوئو بخشونة: «الغال لا يحتاج مساعدة من امرأة تُضاجع الغنم. آجو، اقطع لسانها».

جذبها آجو من شعرها من فوره ووضع سكينه على حلقها، لكن داني رفعت يدها وقالت: «كلا، إنها لي. دعوها تتكلَّم».

نقل آجو بصره بينها وبين كوئو ثم خفض يده، فقالت المرأة متحدثة بالدوثرافي بطلاقة: «لم أقصد إساءةً أيها الخيال الشَّجاعان». كان المعطف الذي ترتديه من أنعم وأخف أنواع الصُّوف ومطرزاً على نحو شديد الأناقة، لكنه تَلَطَّح بالوحل والدَّم واهترأ في غير موضع الآن، وقد ضُمَّت صدرها الممزَّق إلى ثدييها الثقيلين وهي تقول: «إنني بارعة بعض الشيء في فنون العلاج».

سألها داني: «من أنت؟».

- «اسمي ميري ماز دور، كاهنة هذا المعبد».

- «مايجي!»، دمدَمَ هاجو متحمِّساً أراخه وقد اريدَّ وجهه، وتذكَّرت داني الكلمة من قصَّةٍ مُرْعِيةٍ حكَّتها لها چيكيوي ذات ليلةٍ وهما جالستان إلى جوار حفرة نار. المايجي امرأة تُضاجع الشَّياطين وتُمارس أسود أنواع السَّعوذة، مخلوقة آتمة رذيلة، شريرة بلا روح، تأتي إلى الرِّجال في جوف اللَّيل لتمتصَّ الحياة والقوَّة من أجسادهم.

قالت ميري ماز دور: «أنا مُداوية».

- «مُداوية للغنم»، قال كوثو بازدرء. «يا دم دمي، أقول أن نَقُتْل هذه المايجي ومنتظر الرجال الحليقين».

تجاهلت داني كلمات خيال الدَّم الغاضبة، فلم تبد لها هذه المرأة العجوز الممتلئة بسيطة المنظر كمايجي على الإطلاق، وسألتها: «أين تعلّمت فنون العلاج يا ميري ماز دور؟».

- «أمّي كانت كاهنة قبلي، وقد علّمتني جميع الترانيم والتّمائم التي يرضى عنها الرّاعي الأعظم، وكيف أصنع الأدخنة والمراهم المقدّسة من الأوراق والجذور والبذور. عندما كنتُ أصغر سنّاً وأكثر حُسناً ذهبتُ في قافلة إلى آشاي الواقعة عند الظّل لأنتعلم من السّحرة هناك. سُفن كثيرة تأتي إلى آشاي من مختلف البلاد، فمكثتُ هناك فترة أطول لأنتعلم فنون العلاج التي تُمارسها الشّعوب البعيدة. ثمة واحدة من شاديّات القمر من شعب الجوجوس نهاي أهدتني ترانيم الولادة التي تحفظها، وهناك امرأة من شعب سادة الخيول علّمتني سحر العُشب والذّرة والجياد، بالإضافة إلى المايستر القادم من بلاد غروب الشّمس الذي فتح جنةً أمامي وأراني كلّ الأسرار المتوارية تحت جلد الإنسان».

قال السير چورا مورمونت: «مايستر؟».

أجابت الكاهنة باللّغة العاميّة: «قال إن اسمه ماروين، من البحر، أو من وراء البحر، من البلاد السّبعة، بلاد غروب الشّمس، حيث الرّجال من حديد والثّنانين تحكّم. لقد علّمني لغته».

قال السير چورا متأمّلاً: «مايستر في آشاي... قل لي أينها الكاهنة، ماذا كان ماروين هذا يرتدي حول عنقه؟».

- «كان يرتدي سلسلةً ضيّقةً للغاية حتى أنها كادت تخنقه أيها اللورد الحديدي، بها حلقات من معادنٍ مختلفة».

التفت مورمونت إلى داني قائلاً: «فقط من يتلقون علومهم في "القلعة"

في البلدة القديمة يرتدون هذه السلاسل، وهؤلاء يعرفون الكثير فعلاً عن العلاج وأنواعه».

سألته داني: «لماذا ترغبين في مُساعدة كالي؟»  
أجابته ميري ماز دور: «كل البشر قطع واحد، أو هكذا تعلّمنا. الرّاعي الأعظم أرسلني إلى الأرض لعلاج الحملان أينما كانوا».  
هوى كوثو على وجهها بصفعة عنيفة قائلاً: «نحن لسنا أغناماً أيها المايجي».

صاحت داني فيه غاضبةً: «كفى! إنها لي، ولن أسمح بإيذائها».  
متألّماً قال كالي دروجو: «لا بُدَّ أن يخرج السّهم يا كوثو».  
تحسّست ميري ماز دور الكدمة التي خلفتها الصّفعة، وقالت: «نعم أيها الخيال العظيم. أدواتي موجودة داخل معبد الإله حيث تكون قوى الشّفاء أقوى».

قال هاجو: «سأحملك إلى الدّاخل يا دم دمي».  
لوح دروجو بيده وقال بصوت ثابت مليء بالكبرياء: «لا أحتاج عون أيّ رجل»، ونهض بلا مُساعدة من أيّهم ليرتقي فوقهم جميعاً، وسالت دفقة جديدة من الدّم من على صدره حيث قطع أراخ أوجو حلمته اليسرى، فهرعت داني إليه وهمست في أذنه: «أنا لستُ رجلاً، فيمكنك أن تستند عليّ إذن». هكذا وضع دروجو يده الضّخمة على كتفها وحملت داني جزءاً من ثقله وهما يسيران صوب المعبد الكبير المبني بالطّمي الجاف، وتبعهما خيالة الدّم الثلاثة. أمرت داني السير چورا ورجال الكاس بأن يحرسوا مدخل المعبد ويتأكّدوا من أن أحداً لن يُضرم فيه النّار وهم في الدّاخل.

مروا بمجموعة من حُجرات الانتظار في طريقهم إلى القاعة الواقعة في مركز المعبد تحت القبة البصلية، حيث تسلّل ضوء خافت من النّوافذ الخفية في الأعلى، بينما تراقصت نار المشاعل المعلقة على الجدران،

وتناثرت جلود الغنم على الأرض الطينية. «هناك»، قالت ميري ماز دور مشيرة إلى المذبح الحجري الضخم الذي انتشرت فيه العروق الزرقاء ونُقِشت عليه صور الرعاة وقُطعاعهم. استندَ غال دروجو إلى المذبح، فيما ألقت العجوز حفنة من الأوراق المجففة في مُستوقد لتمتلئ القاعة بدُخانٍ عَطرِ الرائحة، ثم قالت لبقيتهم: «من الأفضل أن تنتظروا في الخارج».

قال كهولو: «نحن دم دمه، وهنا سنتنظر».

ودنا كوثو منها قائلاً: «اعلمي هذا يا خادمة إله الحملان، إذا مسست الكال بأذى فالويل لك»، وسحب سكينه ورفعَه أمام وجهها. قالت داني: «لن نُؤذيه». كانت تُشعرُ أنها تستطيع الثقة بهذه العجوز ذات الملامح التقليدية والأنف المسطح، فقد أنقذتها من أيدي المُغتصبين رغم كل شيء.

قالت ميري لخيالة الدَّم: «ساعِدوني إذن طالما ترغبون في البقاء. الخيال العظيم قويٌّ جدًّا ويجب أن تُثبتوه بينما أسحب السهم من لحمه»، ثم تركت أسماها تسقط إلى خصرها وهي تفتح صندوقاً منقوشاً وشغلت نفسها بالقوارير والعُلب والسكاكين والإبر، وعندما صارت جاهزة للقيام بعملها كسرت رأس السهم الشائك وسحبت العمود وهي تُردّد ترنيمة رتيبة بلسان اللازارين. ثم إنها سخنت إبريقاً من النبيذ حتى الغليان على المُستوقد وصبته على الجروح. من شدة الألم صَبَّ غال دروجو عليها لعناته وشنائه، لكنها لم تتزعزع من مكانها، وضمدت جرح السهم بلصوقٍ من الأوراق المبتلة ثم التفتت إلى جرح صدره ودهنته بمعجونٍ أخضر باهت قبل أن تعيد قطعة اللحم المتهدلة إلى مكانها. ضغطَ الكال أسنانه معاً بكل ما لديه من قوّة وابتلع صرخة ألم، بينما أخرجت الكاهنة إبرةً وبكرةً من الخيط الحريري وبدأت تُغلق الجرح. بعد ذلك دهنت الجلد بمرهمٍ أحمرٍ وغطته بالمزيد من الأوراق المبتلة وغطت صدره

بقطعة مهترئة من جلد الحملان، وأخيرًا قالت: «يجب أن تُردّد الصَّلوات التي سألقنك إياها وتترك جلد الحمل على الجرح لعشرة أيام وعشر ليالٍ. سوف تُعاني من الحمى والحكة، وسيكون هناك ندبٌ كبيرٌ عندما يلتئم الجرح».

اعتدلَ غال دروجو جالسًا والأجراس في شعره ترنُّ بخفوت، وثنى ذراعه وفردّها قائلاً بعبوس: «إنني أغني عن نُدوبي يا امرأة الغنم». قالت محدّرة: «لا تشرب النّبيذ أو حليب الخشخاش. ستُعاني من الألم، لكن يجب أن يبقى جسدك قويًا كي تُقاوم الأرواح السّامة». - «أنا غال، أبصقُ على الألم وأشربُ ما يروق لي. كهولوا، أحضر لي صُدرتي».

هُرِعَ خيالُ الدّم العجوز لتلبية الأمر، بينما قالت داني للمرأة اللازارين القبيحة: «سمعتكِ تتكلمين عن ترانيم الولادة من قبل». أجابت ميري ماز دور: «إنني أعرفُ كلَّ أسرار المهد الدّامي يا سيّديتي الفضّيّة، ولم أفقد طفلًا من قبل قطُّ». - «سأضعُ طفلي قريبًا، وأرغبُ في أن تكوني معي عندما يحين الوقت إذا أردتِ».

ضحكَ غال دروجو وقال: «يا قمر حياتي، لا تطلّبي شيئًا من الأمّة، بل مُريها وستُلبّي الأمر»، ووثبَ على قدميه من المذبح مضيقًا: «هلمّوا يا دم دمي، فالخيول تُنادي وهذا المكان ليس إلّا خرابًا الآن. حانَ الوقت لنركب من جديد».

نَبَعَ هاجو الغال إلى خارج المعبّد، إلّا أن كوثو مكثَ للحظاتٍ ليَرْمُقَ ميري ماز دور بنظرة ناريّة ويقول: «تذكّري أيتها المايجي، ما يحدثُ للغال يحدثُ لك».

- «كما تقول أيها الخيال»، قالت المرأة وهي تجمع القوارير والعُلب. «الرّاعي الأعظم يحرس القطيع»؛



## تيريون

على تَلَّ يُطِلُّ على طريق الملوك نُصِبَت مائدة طويلة من خشب الصَّنوبر المتين تحت شجرة دردار، وبُسطَ عليها مفرش من القماش الذهبي، وهناك، إلى جوار سُرادقه، تناوَل اللورد تايوين عشاءه مع اللوردات حملة رايته وكبار فُرسانه، بينما تُرفرف الراية الكبيرة ذات اللونين القرمزي والذهبي على سارية طويلة فوق الجميع.

كان الغسق قد حَلَّ وامتأَلُ الهواء بحشرات البراعة المُزعجة عندما وصلَ تيريون متأخراً متعكِّز المزاج، يُؤلمه جسده كله بعد الركوب الطويل وهو مُدرك تماماً أن شكله يبدو طريفاً للغاية وهو يصعد المنحدر إلى أبيه متمائلاً على ساقيه ناقصتي النُمو. كان زحف الجيش في هذا النهار طويلاً مُرهقاً، وخطر له أن يتناول شرباً سريعاً الليلة.

كان الطُهاة يُقدِّمون طبق اللحم: خمسة خنازير صغيرة جلدها مسفوح حتى طقق، وفي فم كلٍّ منها حبة فاكهة مختلفة. جعلت الرائحة لُعابه يسيل، وقال وهو يتخذ مكانه على الدُّكَّة إلى جوار عمِّه: «تقبَّلوا اعتذاري».

قال اللورد تايوين: «لعلَّ من الأفضل أن أكلِّفك بدفن موتانا. إذا كنت ستذهب إلى المعركة متأخراً كما أتيت متأخراً إلى المائدة، سيكون القتال انتهى عندما تصل أخيراً».

ردَّ تيريون: «أوه، من المؤكَّد أنك تستطيع أن تترك لي فلاخاً أو اثنين يا



أبي، لكن ليس أكثر من هذا، فلا أريدُ أن أكون طمَّاعاً»، وملاً كأس النِّبذ وراقبَ أحدَ الخدم وهو يُقَطِّعُ واحداً من الخنازير، ليتشققَ الجِلدُ النَّاضِجُ تحتَ سَكِّينِهِ وتسيلَ العُصارةُ السَّاخنةُ مِنَ اللَّحْمِ. كانَ هذا أجملَ منظرٍ رآه تيريون منذ دهرٍ.

قال أبوه والخدام يملأ طبقه بِقِطْعِ اللَّحْمِ: «كشَّافة السَّيرِ أدام أبلَغونا أن جيشَ ستارك قد تحرَّكَ جنوباً من "التَّوأمَينِ" بعد انضمام جنود اللورد فراي إليه. إنهم لا يبعُدون أكثر من يومٍ واحدٍ شمالاً».

قال تيريون: «أرجوك يا أبي، إنني على وشك أن أكلَ!».

- «هل تُخيفُكَ فكرة قتال ابن ستارك يا تيريون؟ لا بُدَّ أن أخاكُ چايمي متلهِّفٌ على الاشتباك معه وجهًا لوجه».

- «أفضِّلُ أن أشتبك مع هذا الخنزير، فروب ستارك ليس طريَّ اللَّحْمِ مثله، ورائحته ليست بهذه الحلاوة».

مالَ اللورد ليفورد، الغراب العابس المسؤول عن المؤن والإمدادات، إلى الأمام وقال: «أملُ أن رجالك الهمجيُّون لا يُشاركوكَ نفورك من المعركة، وإلَّا فقد بدَّدنا فولاذنا الممتاز عليهم عبثاً».

ردَّ تيريون: «رجالي الهمجيُّون سيستخدمون فولاذك أفضل استخدام يا سيِّدي». كانت ردَّة فعل ليفورد، عندما أخبره تيريون بأنه يحتاج أسلحةً ودروعاً للثلاثمئة رجل الذين جاء أولف بهم من التَّلال، لتجعلك تتصوَّر أنه طلبَ منه أن يُسلِّمَهُم بناته العذراوات ليأخذوا لذَّتهم منهنَّ.

عقدَ اللورد ليفورد حاجبيه وقال: «اليوم رأيتَ هذا الضَّخْمَ الأشعر. لقد أصرَّ على أن يحملَ بلطتين حريَّتين، واختارَ الاثنتين الفولاذيَّتين السُّوداوين ذواتي النِّصلِ الهلالي المزدوج».

قال تيريون وأحد الخدم يضع أمامه طبقاً مليئاً بِقِطْعِ اللَّحْمِ السَّاخنة: «شاجا يُحبُّ القتل بكلتا يديه».

- «إنه لا يزال يُعلِّقُ بلطة الحطَّابين هذه على ظهره».

- «شاجا رأيته أن ثلاث بلطات أفضل من اثنتين»، قال تيريون ومدَّ سبَّابته وإبهامه إلى المَّلَاحَة ورَشَّ حَفْنَةً لا بأس بها من الملح على اللَّحْم. مالَ السير كيثان إلى الأمام بدوره قائلاً: «كنا نُفَكِّرُ في وضعك أنت ورجالك الهمجيين في الطَّلِيعَة عندما تبدأ المعركة».

من المعروف لتيريون أن عمَّه السير كيثان لم "يُفَكِّر" قَطُّ في شيءٍ لم يُفَكِّر فيه أبوه اللورد تايوين أولاً. كان قد غرَسَ رأسَ خنجره في قطعةٍ من اللَّحْم ورفعها إلى فمه، لكنه خَفَضَها الآن وردَّدَ بارتباك: «الطَّلِيعَة؟». إمَّا أن أباه وجدَّ في نفسه احتراماً لقدرات تيريون، أو أنه قرَّر أن يُخَلِّصَ نفسه من الحرج الذي يتسبَّب ابنه له فيه إلى الأبد. راودَ تيريون إحساس كئيب بأنه يعرف الإجابة.

قال عمُّه: «إنهم يبدون أشدَّاء بما فيه الكفاية».

- «أشدَّاء؟». أدركَ تيريون أنه يُردِّد كلمات عمِّه كبيغاءٍ مدرَّب، وفي الآن نفسه كان أبوه يُراقبه، يَحْكُمُ عليه، يزن كلَّ كلمةٍ يقولها. «دعني أقولُ لك كم همُّ أشدَّاء. ليلة أمس طعنَ واحدٌ من إخوة القَمَرِ آخرَ من الغُربانِ الحَجَرِيَّةِ بسببِ قطعةٍ من السجق، واليوم ونحن ننصب المخيمَّ أمسكَ ثلاثة من الغُربانِ الحَجَرِيَّةِ بالرَّجلِ وذبحوه. لربما كانوا يرغبون في استعادة قطعة السجق، لا أدري بالضبط. استطاعَ برون منع شاجا من قَطْعِ قضيب الرَّجلِ الميت لحُسْنِ الحَظِّ، لكن أولف ما زال يُطالبُ بديَّةِ القتيل، وبالطَّبع يَرُفُضُ كونَ شاجا الدَّفْعِ».

قال أبوه: «عندما يفتقر الجنود إلى الانضباط، فاللَّومُ يقع على قائدهم».

لطالما نجحَ أخوه جاييمي في جعل الرُّجال يتبعونه بمتنهى الحماسة ويموتون في سبيله إذا اقتضى الأمر، بينما تعوز تيريون هذه الموهبة، فيشتري الولاء بالذهب ويُجبرُ أتباعه على الطَّاعة باسم عائلته وحده. «باستطاعة رجل أكبر حجماً أن يَبُتَّ فيهم الخوف. أهذا ما تقصده يا سيدي؟».

التفت اللورد تاويين لانستر إلى أخيه وقال: «طالما أن رجال ابني لن يُطيعوا أوامره، فلعلَّ الطَّلِيعَة ليست المكان المُناسِب له. لا شك أنه سيكون مستريحًا أكثر في المؤخِّرة، يحرس خطوط الإمداد».

قال تيريون مغضبًا: «بَعْدَ إِذْنِكَ يا أبي، إذا لم تكن لديك تكاليفات أخرى لي، فسأقودُ الطَّلِيعَة».

رمى اللورد تاويين ابنه بنظرة باردة قائلاً: «لم أقل شيئًا عن القيادة. ستكون تحت إمرة السير جريجور».

أخذَ تيريون قِصْمَةً واحدةً من اللَّحْمِ ولاكها لثوانٍ قبل أن يَبْصُقَهَا حائِقًا ويقول ناهضًا من على الدَّكَّة: «يبدو أنني لستُ جائعًا كما تصوَّرتُ. أستمحکم عذراً أيها السَّادة».

حتى اللورد زأسه وأشارَ له بالانصراف، فدارَ تيريون على عقبه وابتعدَ واعيًا لعيونهم المسلَّطة عليه وهو ينزل التلَّ المنحدر متميلاً، وسمعَ ضحكةً مدويَّةً تنفجر بينهم من ورائه لكنه لم يُعِرْها اهتمامًا أو يلتفت إليهم، وتمنَّى أن يموتوا جميعًا مختلفين باللَّحم.

كان العَسَق قد استوطنَ السَّماء مُحيلاً ألوان الرِّايَات كلها إلى الأسود وقد امتدَّ معسكر جيش لانستر لأميالٍ وأميالٍ بين النُّهر وطريق الملوك. من السَّهل أن تضيع وسط كلِّ هؤلاء الرِّجال والخيول والأشجار، وهذا ما فعله تيريون بالضبط. مرَّ بدستِهِ من السُّرادات الكبيرة وعشراتٍ من حُفر النَّار بينما تُحَلِّقُ حشرات اليراعة بين الخيام كنجوم هائمة، وتناهَتْ إلى أنفه رائحة سحج متبلِّبٍ بالثَّوم والبهارات أسالتَ لعابه من جديد وجعلت معدته تشتكي من الجوع. على مسافة بعيدة سمعَ أصوات رجالٍ يصدحون بأغنيةٍ بذينة، وجرت أمامه امرأة ضاحكة عارية تمامًا تحت معطفها الدَّاكن ووراءها مُطارِدها الثَّمَل يتعثَّر في جذور الأشجار، وعلى مسافةٍ أبعد كان اثنان من حاملي الرِّماح يُواجهان أحدهما الآخر عبر فرعٍ رفيعٍ كالخيوط من جدولٍ مائيٍّ،

يتدرَّبَانِ عَلَى الْكَرِّ وَالْفَرِّ فِي الصَّوَاءِ الْخَافَتِ وَقَدْ سَالَ الْعَرَقُ غَزِيرًا عَلَى صَدْرِيهِمَا الْعَارِيَيْنِ.

لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهِ أَحَدٌ، لَمْ يُكَلِّمَهُ أَحَدٌ، وَلَمْ يُعْرِهْ أَحَدُهُمْ أَدْنَى اهْتِمَامٍ. كَانَ مُحَاطًا بِرَجَالٍ أَقْسَمُوا بِالْوَلَاءِ لِعَائِلَةٍ لَانْسْتَر، جَيْشٍ مِنْ عَشْرِينَ أَلْفَ مُحَارِبٍ، لَكِنَّهُ كَانَ وَحِيدًا تَمَامًا.

عِنْدَمَا سَمِعَ ضَحِكَاتٍ شَاجَا الْهَادِرَةِ قَادِمَةً مِنْ مَكَانٍ مَا فِي الظَّلَامِ، اتَّبَعَ الصَّوْتَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى رَجَالِ الْغُرْبَانِ الْحَجَرِيَّةِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا لَأَنْفُسِهِمْ رُكْنًا صَغِيرًا مِنَ اللَّيْلِ اسْتَقَرُّوا فِيهِ، وَرَفَعَ كُونُ بْنُ كُورَاتٍ إِبْرِيْقًا مِنَ الْيَزْرِ لَمَّا رَأَاهُ وَصَاحَ: «تِيرِيُونُ النَّصْفِ رَجُلٌ! تَعَالَى وَاجْلِسْ مَعَنَا عِنْدَ نَارِنَا وَتَقَاسَمْ لَحْمَنَا مَعَنَا. لَدَيْنَا ثُورٌ اللَّيْلَةَ».

- «أَرَى هَذَا يَا كُونُ بْنُ كُورَاتٍ». كَانَتِ الْجَفَّةُ الْحُمْرَاءُ الضَّخْمَةُ مَعْلَقَةً فَوْقَ نَارٍ مُتَاجِجَةٍ وَقَدْ اخْتَرَقَهَا سَيْخٌ بِحَجْمِ شَجَرَةٍ صَغِيرَةٍ، وَقَالَ تِيرِيُونُ لِنَفْسِهِ وَهُوَ يُرَاقِبُ الدَّمَ وَالذَّهْنَ يَقْطُرَانِ فِي اللَّهَبِ وَرَجَالِ الْغُرْبَانِ الْحَجَرِيَّةِ يُدِيرُونَ الثُّورَ فَوْقَهُ، إِنَّهَا شَجَرَةٌ صَغِيرَةٌ بِالْفِعْلِ. «أَشْكُرُكَ. أَرْسِلُوا لِي عِنْدَمَا يَنْضُجَ الثُّورُ»، وَابْتَعَدَ أَمَلًا أَنْ يَنْضُجَ الثُّورُ قَبْلَ بَدْءِ الْمَعْرَكَةِ.

كُلُّ قَبِيلَةٍ كَانَتْ لَهَا حُفْرَةٌ النَّارِ الْخَاصَّةُ بِهَا، فَالْأَذَانُ السُّودَاءُ لَا يَأْكُلُونَ مَعَ الْغُرْبَانِ الْحَجَرِيَّةِ، وَالْغُرْبَانِ الْحَجَرِيَّةِ لَا يَأْكُلُونَ مَعَ إِخْوَةِ الْقَمَرِ، وَلَا أَحَدٌ يَأْكُلُ مَعَ الرِّجَالِ الْمُحْرَقِينَ. كَانَتِ الْخِيْمَةُ الْمُتَوَاضِعَةُ الَّتِي حَصَلَ عَلَيْهَا بِالتَّمَلُّقِ مِنَ اللَّوْرْدِ لِيْفُورْدِ مَنْصُوبَةً فِي الْمَرْكَزِ بَيْنَ الْحُفْرِ الْأَرْبَعِ، وَوَجَدَ تِيرِيُونُ بَرُونَ يَتَقَاسَمُ قِرْبَةً مِنَ النَّبِيذِ مَعَ الْخَدَمِ الْجُدُدِ، فَالِّلُورْدِ تَابُوبِينَ كَانَ قَدْ أَرْسَلَ لَهُ سَائِسًا لِحِصَانِهِ وَخَادِمًا خَاصًّا لِيُلَبِّيَ حَاجَاتِهِ، بَلْ وَأَصَرَ كَذَلِكَ عَلَى أَنْ يَكُونَ لَهُ مُرَافِقٌ شَخْصِيٌّ. كَانُوا جَالِسِينَ حَوْلَ حِمَارِ حُفْرَةِ نَارٍ صَغِيرَةٍ، وَمَعَهُمْ فَتَاةٌ سُدَّاءُ الشَّعْرِ نَحِيلَةٌ يَشِي مَنَظَرُهَا بِأَنْ عُمَرُهَا لَا يَزِيدُ عَلَى الثَّامِنَةِ عَشَرَ. تَمَعَّنَ تِيرِيُونُ فِي مَلَامَحِهَا لِلْحَفَظَاتِ، ثُمَّ لَمَحَ عِظَامَ أَسْمَالِكُ بَيْنَ الرَّمَادِ، فَقَالَ: «مَاذَا أَكَلْتُمْ؟».

أجاب السَّائِس: «سَمَك الترويت يا سيّدي. برون صادّه من النّهر». قال لنفسه: أسماك وخنازير مشويّة. فلتحلّ اللّعة بأبي! وحدّق بأسيّ في العظام ومعدته تجأّر بالشّكوى.

مرافقه الشّخصي كان صبيّاً في الرّابعة عشر يحمل الاسم السّخيف بودريك باين، وقد ابتلع ما كان على وشك أن يقوله أيّا كان ولاذ بالصّمت. قريب من بعيد للسّير إلين باين جلاّد المَلِك هو، ويكاد يكون صموتاً تماماً مثله، وإن لم يكن السّبب أنه بلا لسان، خصوصاً أن تيريون جعله يُخرِجه ذات مرّة ليتأكّد، ثم قال: «إنه لسان بالتأكيد. يجب أن تتعلّم كيف تستخدمه ذات يوم».

لم يكن يتمنّع حالياً بالصّبر الذي يُتيح له أن يُلطف الصّبي ليستخرج منه بضع كلمات، بالإضافة إلى أنه يشكُّ أصلاً في أن أباه أرسله إليه على سبيل السّخرية القاسية منه. هكذا صَبَّ اهتمامه على الفتاة وسأل برون: «أهذه هي؟».

نهضت برشاقة وتطلّعت إليه من أعلى على ارتفاع خمسة أقدام أو أكثر، وقالت باسمه: «إنها هي يا سيّدي، وهي تستطيع التحدّث نيابةً عن نفسها إذا كان هذا يُرضيك».

حنى رأسه إلى الجانب وقال لها: «أنا تيريون سليل عائلة لانستر... وهناك رجال يدعونني بالعِفريت».

- «أمّي سَمَنِي شاي... وهناك رجال يدعونني إلى صُحبتهم كثيراً». ضحك برون وابتسم تيريون رغماً عن نفسه وقال: «لندخل إلى الخيمة يا شاي إذا قبلت وتلطّفت»، ورفع سديلة الخيمة وتركها مفتوحة لها، ولمّا دخلَا ركَع على الأرض ليُشعل شمعةً.

حياة الجنود ليست خالية من نوع معيّن من التّعويضات، فأينما أقمت معسكراً كُن على ثقة تامّة بأنه سيكوّن هناك أتباع، وبعد انتهاء الرّحف يومها أرسل تيريون برون ليعثر له على عاهرة مُناسبة. «أفضّل أن تكون

صغيرةً لكن في سنٍّ معقولة، ذات أجمل وجهٍ تستطيع أن تجده»، قال له. «سأسعدُ حقاً إذا كانت قد استحمت مرةً هذا العام، وإذا لم تكن نظيفةً حمّمها. تأكّد من إخبارها بمن أكون، والأهم أن تُحذّرها مما أكون». لم يكن جيك يبدّل هذا الجهد الإضافي، ومن ثمّ كان تيريون أحياناً يرى تلك النظرة في عيون الفتيات اللاتي استوَجِرْنَ لإمتاع اللورد الصغير عندما يرينه للمرة الأولى... النظرة التي لا يرغب تيريون لانستر في رؤيتها ثانية أبداً.

رفع الشمعة وتطلّع إليها فاحصاً. لقد أبلى برون بلاءً حسناً بالفعل، فالفتاة نحيلة لديها عينا ظبيّة أسرتان، ونهدان صغيران ممتلئان، وابتسامة تبدّل بين الخجل والتّعالي والمكر، وهو ما راق له بشدّة. سألته: «هل أخلعُ ثوبي يا سيّدي؟».

- «في الوقت المُناسب. هل أنتِ عذراء يا شاي؟».

قالت برزانة: «إذا كان هذا يُرضي سيّدي».

- «ما يُرضيني هو أن تُخبريني بالحقيقة يا فتاة».

- «نعم، لكن هذا سيُكلّفك الضعف».

قرّر تيريون أنهما سينسجمان معاً تماماً. «أنا من عائلة لانستر، أي أني أملكُ ذهباً بلا حساب، وستجدين أنني سخيٌّ كذلك. لكنني أريدُ منك ما هو أكثر مما بين ساقيك، وإن كنتُ أريدُ هذا أيضاً بالتأكيد. ستُقيمين في خيمتي، وتُصُبّين لي نبيذي، وتضحكين على دعاباتي، وتُدلّكين ساقَيَّ بعد الرُكوب كلّ يوم. وسواء احتفظتُ بك ليومٍ واحدٍ أو عامٍ كامل، طالما أننا معاً فلن يدخُل رجل آخر إلى فراشك».

قالت: «اتّفاق عادل»، ومدّت يدها إلى حافة فُستانها الخفيف الخشن وخلعته بحركةٍ واحدةٍ رشيقّة ثم ألقته جانباً. تحت الفُستان لم يكن هناك شيءٌ غيره. «سيُحرقُ سيّدي أصابعه إذا لم يضع هذه الشمعة».

وضع تيريون الشمعة وأخذ يدها في يده وجذبها إليه برفق، ثم إنها

مَالَتْ لَتُقْبَلَهُ. كَانَ لَفَمْهَا مِذَاقُ الْعَسَلِ وَالْقَرْنَفَلِ، وَبِرَاعَةٍ وَخَبْرَةٍ وَجَدَتْ أَصَابِعَهَا أَزْرَارَ وَأَبَازِيمَ ثِيَابِهِ لَتَحْلَاهَا. عِنْدَمَا دَخَلَهَا رَحَّبَتْ بِهِ بِكَلِمَاتٍ غَزَلٍ هَامِسَةٍ وَأَهَاتٍ لَذَّةٍ رَاجِفَةٍ، وَشَكَّ تِيرِيونَ أَنَّهَا تَتَصَنَّعُ النُّشُوءَ، لَكِنْ أَدَاءُهَا كَانَ فِي الْحَقِيقَةِ رَائِعًا لِدَرَجَةٍ أَنَّهُ لَمْ يُيَالِ، فَلَمْ يَكُنْ يَرِغِبُ فِي هَذَا الْقَدْرِ مِنَ الْحَقِيقَةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

أَدْرَكَ تِيرِيونَ بَعْدَهَا وَهِيَ مُضْطَجِعَةٌ بِسُكُونٍ بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَحْتَاجُهَا حَقًّا، هِيَ أَوْ وَاحِدَةً مِثْلَهَا. لَقَدْ مَرَّ مَا يَقْرُبُ مِنْ عَامٍ كَامِلٍ مُنْذُ نَامَ مَعَ امْرَأَةٍ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَحَرَّكَ إِلَى وَيَسْتَرْفِلَ فِي صُحْبَةِ أَخِيهِ وَالْمَلِكِ روبرت. مِنَ الْوَارِدِ جَدًّا أَنَّهُ سَيَمُوتُ غَدًا أَوْ بَعْدَ غَدٍ، وَإِذَا حَدَثَ هَذَا فَإِنَّهُ يُؤَثِّرُ جَدًّا أَنْ يَذْهَبَ إِلَى قَبْرِهِ مَفْكَرًا فِي شَيْءٍ، لَا فِي أَبِيهِ أَوْ لَإِسَا آرنَ أَوْ اللَّيْدِي كَاتَلِينَ سِتَارِكِ.

كَانَ يَشْعُرُ بِطَرَاوَةِ ثَدْيَيْهَا الْبَضِيِّينَ الْمَضْغُوطِينَ فِي ذِرَاعِهِ وَهِيَ مَتَمَدِّدَةٌ إِلَى جَوَارِهِ، وَكَانَ شَعُورًا مُحَبِّبًا، وَتَسَلَّلَتْ أَغْنِيَّةٌ إِلَى عَقْلِهِ وَسَيَظَرَّتْ عَلَيْهِ، فَبَدَأَ يُصَفِّرُ بِصَوْتٍ خَافَتْ.

غَمِغَمَتْ فِي أُذُنِهِ: «مَاذَا تُغْنِي يَا سَيِّدِي؟».

- «لَا شَيْءَ»، مَجْرَدَ أَغْنِيَّةٍ سَمِعْتَهَا فِي صَبَإٍ لَا أَكْثَرَ. نَامِي يَا عَزِيزَتِي». عِنْدَمَا أَغْلَقَتْ عَيْنَيْهَا وَانْتَظَمَتْ أَنْفَاسُهَا، سَحَبَ تِيرِيونَ نَفْسَهُ مِنْ تَحْتِهَا بِهَدْوٍ كَي لَا يُوقِظَهَا مِنْ نَوْمِهَا، وَخَرَجَ عَارِيًّا لِيَخْطُو فَوْقَ مُرَافِقِهِ يُوْدْرِيكَ وَيَدُورُ حَوْلَ الْخِيْمَةِ لِيُفْرِغَ مِثَانَتَهُ.

وَجَدَ بَرُونُ يَجْلِسُ مَرْبُوعًا سَاقِيَهُ تَحْتَ شَجَرَةٍ كَسْتَنَاءَ بِالْقُرْبِ مِنَ الْبُقْعَةِ الَّتِي رَبَطُوا فِيهَا الْخِيُولَ. كَانَ مُسْتَقِظًا تَمَامًا وَيَشْحَذُ نَصْلَ سَيْفِهِ، وَخَطَرَ لِتِيرِيونَ أَنَّ هَذَا الْمُرْتَزِقَ لَا يَنَامُ أَبَدًا كَبَقِيَّةِ النَّاسِ. سَأَلَهُ تِيرِيونَ وَهُوَ يَبُولُ: «أَيْنَ وَجَدْتَهَا؟».

- «أَخَذْتُهَا مِنْ أَحَدِ الْفُرْسَانِ. كَانَ رَافِضًا التَّخَلِّيَ عَنْهَا، لَكِنْ اسْمُكَ سَاعَدَ عَلَى إِقْنَاعِهِ بِشَكْلِ مَا... هَذَا، وَخَنَجَرِي عَلَى عُنُقِهِ».

- «رائع»، قال تيريون بلهجة جافّة وهو ينفض آخر قطرات البول.  
«لقد قلتُ لك أن تُعثر لي على عاهرة لا أن تصنع لي عدوّاً على ما أذكر».  
قال برون: «الجماليات كلهنَّ كنَّ مأخوذات بالفعل. يُسعدني أن أعيدها إذا كنت تُفضّل واحدةً قبيحةً بلا أسنان».

اقترَبَ تيريون من حيث يجلس وقال: «سيعتبر أبي هذا إهانةً ويُرسلك إلى المناجم عقاباً على وقاحتك».

ردَّ برون: «من حُسن حظّي إذن أنك لست أباك. رأيتُ واحدةً تُعطّي البثور أنفها. هل ترغب فيها؟».

- «وأكسرُ قلبك؟ كلا، سأحتفظُ بشاي. هل يتصادف أنك تعرف اسم الفارس الذي أخذتها منه؟ لأنني لا أحبُّ أن أجده إلى جوارِي أثناء المعركة».

نهضَ برون بسرعة ورشاقة القِطط مديراً سيفه في يده، وقال: «ستجديني أنا إلى جوارك في المعركة أيها القزم».

أوماً تيريون برأسه وهو يشعُر بدفء هواء اللَّيل على بشرته العارية، وقال: «اعمل على أن أخرج من المعركة حيّاً ويُمكنك أن تطلُب المكافأة التي ترغب فيها بعدها».

ألقي برون السيف الطويل من يده اليمنى إلى اليسرى ثم شقَّ به الهواء قائلاً: «من سيرغب في قتل أحدٍ مثلك؟».

- «السيد والدي على سبيل المثال. لقد وضعني في الطليعة».

- «كنتُ لأفعلُ المثل. رجل صغير متوارٍ وراء تُرسٍ كبير. سوف يتميّز رُماتهم من الغيظ».

- «من الغريب أنني أجدُ كلماتك مشجّعة. لا بدُّ أنني مجنون».

دَسَّ برون سيفه في غمده وقال: «بلا أدنى شك».

عندما عادَ تيريون إلى خيمته دارت شاي واستندت على مرفقها قائلةً بصوتٍ ناعس: «استيقظتُ ولم أجد سيدي».



انسَلَّ إلى جوارها تحت الأغطية وقال: «ها قد عاد سيِّدك». تسَلَّلت يدها إلى ما بين ساقيه القصيرتين فوجدته منتصبًا، وهمست وهي تُمسِّده: «لقد عادَ بالفعل».

سألها عن الرَّجل الذي أخذها برون منه، فذكرت له اسم الفارس وضيع الشَّان الذي يخدم لوردًا صغيرًا وضيع الشَّان بدوره، ثم قالت وأصابها مشغولة بالتَّدليك: «لا ينبغي أن تخشى أحدًا مثله يا سيِّدي. إنه رجل صغير».

- «وماذا أكونُ أنا إذن؟ عملاقًا؟».

قالت بصوت كقرقرة الهرر: «أوه، بكلِّ تأكيد. عملاقي ابن لانستر»، ثم إنها اعتلته... ولفترة من الوقت جعلته يُصدِّق ما قالته فعلًا، وغاب تيريون في النَّوم مبتسمًا...

... واستيقظَ في الظَّلام على دويِّ الأبواق ليجد شاي تهزُّ كتفه وتهمس: «سيِّدي، استيقظ يا سيِّدي، إنني خائفة».

اعتدلَّ جالسًا والنَّعاس يكتنف دماغه وأزاح الأغطية. كانت الأبواق تهدر في قلب الظَّلام بالحاح شديد وتهتف فيهم: أسرِعوا، أسرِعوا، أسرِعوا! سمعَ صياح الرُّجال وجلبة الرِّماح وصهيل الخيول، وإن كان كلُّ ما سمعه لا يوحي بأن القتال قد بدأ. قال لها: «إنها أبواق السيِّد والذي تُنادي بالاحتشاد للمعركة. حسبْتُ أن جيش ستارك يبعُد عنا يومًا آخر». هزَّت شاي رأسها بارتباكٍ شديد وقد اتَّسعت عيناها فلاحَ بياض فَرْحَتَيْهِمَا الشَّدِيد.

حانقًا نزلَ تيريون وخرجَ من الخيمة مترنِّحًا ونادى مُرافقه. كان هواء اللَّيل الهادئ يجرف خيوط الضُّباب الباهت كأصابع بيضاء طويلة فوق صفحة النَّهر، والرُّجال والخيول على حَدٍّ سواء يتحرَّكون متخبِّطين في برد ما قبل الفجر، بينما تُشدُّ السُّروج وتُحمَّل العربات وتُخمَد النَّار في الحُفر، والأبواق تُدَوِّي من جديد: أسرِعوا، أسرِعوا، أسرِعوا! ووثبَ

الفرسان على صهوة خيولهم الصَّاهلة وثبَّت الجنود سيوفهم بالأحزمة  
وهم يهرعون هنا وهناك. عندما عثر تيريون على بودريك وجده يَغُطُّ في  
نوم عميق، فوكَّزه بحدَّةٍ بقدمه في ضلوعه قائلاً: «أريدُ درعي، وبسرعة».  
جاءَ برون مُسرِّعاً من بين حُجُبِ الضُّباب وقد ارتدى درعه ووضعَ خوذته  
القصيرة المنبجعة على رأسه وامتنطى حصانه بالفعل، فسأله تيريون: «هل  
تعرف ماذا حدث؟».

أجابَه برون: «صبيُّ ستارك باعَتنا وسلكَ طريق الملوك خلال اللَّيل،  
والآن جيشه على بُعد أقلَّ من ميل من هنا ويتأهَّب للمعركة».

أسرِعُوا، نادى الأبواق، أسرِعُوا، أسرِعُوا، أسرِعُوا!

- «تأكَّد من أن رجال القبائل جاهزون للتحرك»، قال تيريون ودخلَ  
خيمته وصاحَ في شاي: «أين ثيابي؟ ها هي. كلا، أريدُ الشَّترَ الجِلْدِيَّ  
اللَّعِينة. نعم. جدي حذائي أيضًا».

بينما ارتدى ثيابه كان مُرافقَه قد جهَّزَ درعه. كان تيريون يملك بذلةً  
أنيقةً من الصَّفائح المعدنيَّة الثَّقيلة مصنوعةً بِجَرَفِيَّةٍ لَتُنَاسِبَ جسده غير  
المتناسق، لكنها للأسف كانت آمنةً في كاسترلي روك بينما هو هنا يُحيط  
به الخطر، ومن ثَمَّ اضطرَّ لأن يُدبِّرَ أمره بالبواقي التي جمَعها من مخازن  
اللورد ليفورد: قميص وقلنسوة من الحلقات المعدنيَّة، وإِقٍ للعنق كان  
ملكًا لفارسٍ ميت، وإِقٍ للسَّاقين وقُفَّازين واقين وحذاء فولاذي مدبَّب.  
بعض القِطع كان مزخرفاً والبعض الآخر تقليدياً، ولا قطعة واحدة منها  
كانت متناسقةً مع الأخرى أو تُناسِبَ جسده كما ينبغي، فواقي الصِّدر  
كان مصنوعاً لرجل أكبر حجماً، وبالنسبة لرأسه الأكبر من المعتاد وجدوا  
خوذةً ضخمةً على شكل دلوٍ يبرز منها قضيب معدني مثلث يبلُغ طوله  
قدماً كاملاً.

بينما كانت شاي تُساعدُ بود على تثبيت الأ بازيم والمشابك، قال لها  
تيريون: «ابكي عليَّ إذا مِتُّ».

قالت العاهرة: «وكيف ستعرف أنني فعلتُ وأنت ميت؟».

- «سأعرف».

قالت وهي تُثَبِّت الخوذة الضَّخمة على رأسه: «هذا ما أعتقده». ربطَ بودريك الخوذة بواقِي العُنُق، بينما ثَبَّتَ تيريون حزامه المثقل بالسَّيف القصير والخنجر المعلقين منه. عندما انتهى من ارتداء درعه كان السَّائِس قد أحضر حصانه البُنِّي المهيِّب المكسو بدِرْع ثَقِيلَةٍ بدوره، وبالطَّبع احتاجَ تيريون إلى مُسَاعَدَةٍ كي يمتطيه شاعراً أَنَّهُ يزن ألفَ طُن. ثم ناوله بود التُّرس الضَّخم المصنوع من الخشب الصُّلب والمقوَّى بالفولاذ، وأخيراً ناوله بلطته الحربيَّة، فتراجعتْ شاي إلى الخلف وتطلَّعت إليه قائلةً: «سَيِّدِي يبدو مُخيفاً».

رَدَّ تيريون عابساً: «سَيِّدُكِ يبدو قزماً يرتدي درعاً لا تتناسبُ قطعة منها» مع الأخرى، لكنني أشكركِ على لُطفكِ على كُلِّ حال. بودريك، إذا دارَتِ المعركة علينا، فاعمل على أَن تعود السيِّدة بأمانٍ إلى ديارها»، ثم رفعَ بلطته لِيُحيِّيها ودارَ بحصانه وانطلقَ به. كانت معدته مشدودةً عن آخرها حتى أَنها آلَمَتَه، ومن ورائه هُرْعَ خدمه لتفكيك خيمته، بينما انتشرتْ خيوط قرمزيَّة رفيعة من النُّور نحو الشُّرق والشمس تبدأ رحلة الشُّروق في الأفق البعيد. أمَّا سماء الغُرب فقد اصطبغت بلونٍ أرجوانيٍّ عميق مرقط بالنُّجوم. تساءلَ تيريون إن كان هذا آخر شروقٍ سيُشهده... وتساءلَ إن كان تساؤله هذا دلالةً على الجُبْن. تُرى هل تُراوِد أفكار الموت أخاه جاييمي قبل المعركة؟

دَوَّى التَّفْيِير من بعيدٍ بصوتٍ عميقٍ كثيفٍ يُجَمِّد الرُّوح ذاتها، وامتنطى رجال القبائل خيولهم الجبليَّة الهزيلة صائحين بالسَّنائِم والنُّكات البذيئة وقد بدا كثيرون منهم ثملين. كانت الشمسُ المُشرِقة تَطْرُدُ خيوط الضُّباب لتحلَّ أشعتها محلَّه وتيريون يتحرَّك متقدِّماً فِرقة رجال القبائل. العُشب الذي تَبَقَّى دون أَن تلتهمه الخيول كان مبلَّلاً بقطرات النَّدَى، كأن إلهاً

عابراً قد نثر حفنةً من الماس على الأرض. تحرّك رجال القبائل وراءه وكل قبيلة منهم منتظمة خلف قائدها.

في نور الفجر انتشر جيش اللورد تايوين لانستر كوردةً من حديد تنفتح لتلمع أشواكها.

سيقود عمه القلب، وكان السير كيفان قد رفع راياته على طريق الملوك، ونظّم الرماة المشاة أنفسهم وكنانات السهام تتدلى من أحزمتهم في ثلاثة صفوف طويلة على شرق الطريق وغربه ووقفوا ثابتين وقد شدوا أوتار أقواسهم، وبينهم انتظم حاملو الرماح في تشكيلاتٍ مربّعة، ومن ورائهم كانت صفوف و صفوف من الجنود المسلّحين بالحراّب والسيوف والفؤوس، بينما أحاط ثلاثمئة من الخيالة المدرّعين بالسير كيفان واللوردات حملة رايته، ليفورد وليدن وسيريت ومعهم جميع سلاحداريّتهم.

تكوّنت الميمنة كلها من سلاح الفرسان الثقليين بدروعهم، والذين يبلغ عددهم ما يقرب من أربعة آلاف. أكثر من ثلاثة أرباع الفرسان كانوا هناك وقد احتشدوا معاً كقبضة فولاذية عملاقة، يقودهم السير أدام ماربراند. رأى تيريون رايته تنبسط في الهواء وحاملها يرفعها ليتجلّى رمز الشجرة المحترقة بالبرتقالي على خلفيّة بلون الدخان، ومن ورائه رفرقت راية السير فليمنت ذات اليونيكورن الأرجواني، وراية اللورد كراكهول ذات الخنزير البرّي المخطّط بالرّمادي، وراية سويفت ذات الدبّك الصّغير، وغيرها وغيرها.

اتّخذ أبوه مكانه على التلّ حيث قضى ليلته وقد احتشدت حوله قوّةات الاحتياط الغفيرة، نصفها من المشاة والنّصف الآخر من الخيالة، يدنو إجمالي عددهم من خمسة آلاف. غالباً ما يختار اللورد تايوين قيادة قوّةات الاحتياط، ويتّخذ موقعه العالي ليُشاهد المعركة تحتدم تحته ويوزّع قوّاته أينما ومتى تكون الحاجة إليها شديدة.

حتى من بعيد بدا أبوه متألقاً لأقصى حد. مقارنةً بدرع تابوين لانستر، كانت درع ابنه جايمي المذهبة تبدو كالأسمال، فمعطفه الكبير فوق العادة كان مخيطةً من عددٍ غير محدودٍ من طبقات قُماش الذهب، ثقيلاً للغاية لدرجة أنه يكاد لا يتحرك عندما ينطلق بحصانه، طويلاً للغاية لدرجة أن ذيله يسدل على قائمتي الحصان الخلفيتين عندما يمتطيه. بالطبع لا يصلح أيُّ مشبكٍ عاديٍّ لتثبيت هذا الثقل، لذا بُنيت المعطف بزوج من المشابك المصنوعة على شكل لبوتين صغيرتين جاثمتين على كتفيه كأنهما تستعدّان للوثوب، بينما استقرَّ زوجهما -الأسد الذكر ذو اللبدة الهائلة- فوق خوذة اللورد تابوين الضخمة رافعاً واحدةً من قائمتيه الأماميتين في الهواء ويزأر. الأسود الثلاثة كانت مشغولةً من الذهب وعيونها من الياقوت الأحمر، بينما الدرع نفسها من الصفائح الفولاذية الثقيلة المطيئة بلونٍ قرمزيٍّ داكن، وواقبات العنق والساقين مرصعة بزخارفٍ ذهبيةٍ منمقة، والأقراص الفولاذية المثبتة بقفازيه نُقِشت عليها أشكال شمسٍ ذهبيةٍ متفجرة، وجميع الأباريم مذهبة، بينما صُقل الفولاذ الأحمر بمتتهى العناية حتى أنه توهج كالنار في نور الشمس المشرقة.

كان باستطاعة تيريون أن يسمع هدير طبول العدو الآن، وتذكر روبرت ستارك كما رآه آخر مرةً جالساً على مقعد أبيه العالي في قاعة ويتترفل الكبرى وقد جرد سيفه اللامع. تذكر كيف خرجت الذئاب الرهيبة عليه من بين الظلال، وفجأةً رآها أمامه بعين الخيال، تُزجج وتزوم كاشفةً عن أنيابها في وجهه. هل سيُحضِر الصبي ذئابه معه إلى المعركة؟ أشعره الخاطر بعدم الارتياح.

لا بُدَّ أن الشماليين مُنْهَكُون تماماً بعد زحفهم الطويل بلا نوم أو راحة. تساءل تيريون عما كان ابن ستارك يُفكر فيه بالضبط. هل تصوّر أنه يستطيع أن يُغافلهم وهم نيام؟ فرصة هذا ضئيلة للغاية. قل ما تشاء عن تابوين لانستر، لكنه بكل تأكيد ليس بالأحمق.

كانت طليعة الجيش تحتشد على اليسار، ولمح تيريون الرّاية التي تُصوّر ثلاثة كلابٍ سوداء على خلفيّة صفراء أولاً، ثم السير جريجور جالساً تحتها على أضخم حصانٍ رآه في حياته على الإطلاق. ألقي برون عليه نظرة واحدة وابتسم قائلاً: «في المعركة عليك أن تتبع الرّجل الضّخم دائماً». رمقه تيريون بنظرة قاسية وقال: «لماذا؟».

– «لأن ضخام الحجم أهداف ممتازة. هذا بالذات سيجذب انتباه كلّ رام في الميدان».

صاحكاً تطلّع تيريون إلى الجبل بنظرة جديدة وقال: «أعترف بأنني لم أفكر في الأمر من هذه الزّاوية».

لم يكن كليجان مُحاطاً بأيّ نوع من الفخامة، فدرعه ذات اللّون الرّمادي الباهت كانت من الصّفائح الفولاذيّة التي شاعت فيها الخدوش من فرط الاستخدام، وليست عليها أيّ نقوشٍ أو رموز. كان يُوجّه رجاله إلى مواقعهم مشيراً بسيفه العظيم الذي يُحمّل باليدين، وإن كان السير جريجور يُلَوّح به بيد واحدة بالبساطة نفسها التي يُمكن أن يحمل بها رجل أقل حجماً خنجره. «إذا هربَ أيّ رجل منكم سأشقه إلى نصفين بنفسِي»، كان يقول عندما لمح تيريون. «أيها العفريت! اتّجه يساراً ودافع عن النّهر... إذا استطعت».

إلى يسار اليسار إذن. كي يُديروا جناحهم الأيسر، على جيش ستارك أن يجد خيولاً تستطيع المشي على الماء. هكذا قاد تيريون رجاله إلى ضفة النّهر، وصاح مُشيراً بيلطته: «انظروا، ها هو النّهر». كانت طبقة رقيقة من الضّباب السّاحب لا تزال عالقة فوق صفحة المياه والنّيّار الأخضر المظلم يتدفّق من تحتها، بينما كان الجزء الضّحل من المياه يعلّج بالوحد وأعواد البوص. «النّهر لنا، فابقوا على مقربة من الماء مهما حدث ولا تجعلوه يبتعد عن أنظاركم أبداً. لا تسمّحوا لأيّ عدوّ بأن يحول بيننا وبين النّهر. إذا لوثوا مياهنا فاقطعوا قضبانهم وأطعموها للأسماك!».

كان شاجا يحمل بلطة في كل يد، فقرعهما معاً لتصدرا رنيناً قوياً، وصاح: «النصف رجل!»، والتقط بقيّة الغريبان الحجريّة منه الصّيحة وردّدها، وانضمّ إليهم الأذان السوداء وإخوة القمر. لم يصح الرجال المحروقون، لكنهم لوّحوا بسيفوهم ورماحهم بينما يصبح الآخرون بحماسة: «النصف رجل! النّصف رجل! النّصف رجل!»

التفّ تيريون بحصانه في دائرة ليُلقي نظرة على الميدان. كانت الأرض غير مستوية هنا، ناعمة موحلة قرب النّهر وترتفع تدريجياً في اتّجاه طريق الملوك حيث تغدو حجريّة متصدّعة، بينما تتناثر بضع أشجار على جوانب التّلال، وإن كان معظم الأرض قد أُخْلِيت منها وزُرِعَ بالعُشب. دقّ قلبه في صدره مع دقات الطُّبول، وتحت طبقات الجلد والفولاذ سأل عرقه بارداً غزيراً. راقب السير جريجور، الجبل راكب الخيول، وهو يتحرّك ذات اليمين وذات الشّمال صائحاً في رجاله ومشيراً إليهم بالأوامر. هذا الجناح كله أيضاً كان مكوّناً من سلاح الفرسان، لكن بينما كانت الميمنة عبارة عن قبضة فولاذيّة من الفرسان وحاملي الرّماح المدرّعين، كانت الطّليعة مُشكّلة من كُناسة الغرب: رُماة على متن خيول لا يسترهم غير السُّترات الجِلديّة، كتلة غفيرة من المُرتزقة الطّامعين في الذّهب، إضافةً إلى المُحاربين غير النّظاميّين، وعُثمّال الحقول الذين يمتطون أحصنة الجرّ والحرث وقد تسلّحوا بالمناجل وسيوف آبائهم الصّدنة، والصّبيان نصف المُدرّبين القادّمين من مطابخ لانسهورت... وتيريون لانستر ورجال قبائل الجبال.

- «طعام للغريبان»، قال برون لافظاً بصوت عالٍ ما لم يقله تيريون، الذي اكتفى بأن أوما برأسه موافقاً. هل فقد أبوه عقله أم ماذا؟ لا حراب، وعدد قليل جدّاً من الرّماة، وحفنة قليلة من الفرسان، كلهم سيؤوّن التّسليح وغير مدرّعين وتحت قيادة بهيمة لا تُفكّر أبداً وكلّ ما تعرفه هو الوحشية. كيف يتوقّع أبوه أن تنجح هذه المهزلة في الحفاظ على الميسرة؟

[illegible]



دَوَّتْ أَبَواقُ جِيْشِ لَانَسْتَرٍ مِنْ جَدِيدٍ: دا-دا-دا-دا-دا-دا-دا-دا-  
دا-دا-دا-دا-دا-دا-دا-دا-دا-دا-دا-دا-دا-دا-دا-دا-دا-دا-دا-دا-دا-دا-  
صَوْتُ بَصِيحَةٍ وَاحِدَةٍ. هُنَا وَكَزَّ تِيرْيُونُ حِصَانَهُ بِكَعْبِيهِ مُضَيِّفًا صَوْتًا آخَرَ  
إِلَى فَوْضَى النُّغْمَاتِ الْمُتَنافِرَةِ الَّتِي أَفْعَمَتِ الْجَوَّ، وَانْدَفَعَ رَجَالُ الْقَبَائِلِ  
إِلَى الْأَمَامِ. «إِلَى النَّهْرِ!»، صَاحَ فِيهِمْ وَهُمْ يَتَقَدَّمُونَ. «تَذَكَّرُوا أَنْ تَلْتَزِمُوا  
بِالنَّهْرِ!». كَانَ لَا يُزَالُ فِي مَقْدَمَتِهِمْ وَخَيْولُهُمْ تَخُبُّ، إِلَى أَنْ أُطْلِقَتْ تَشَلَّا  
صَرْخَةً تُجَمَّدُ الدَّمَاءَ فِي الْعُرُقِ، وَانْطَلَقَتْ مُتَجَاوِزَةً إِيَّاهُ وَأَطْلَقَ شَاجَا  
عَوَاءً وَتَبِعَهَا مَعَ بَقِيَّةِ رَجَالِ الْقَبَائِلِ تَارِكِينَ تِيرْيُونُ وَسَطَ عَاصِفَةٍ مِنَ الْغُبَارِ.  
كَانَ حَامِلُو رِمَاحِ الْعُدُوِّ قَدْ شَكَّلُوا نِصْفَ دَائِرَةٍ أَمَامَهُمْ، مُكَوِّنِينَ  
سِيَاجًا مَزْدُوجًا مِنَ الْفُولَادِ الْمُنْتَضِبِ، وَمُنْتَظِرِينَ وِرَاءَ ثُرُوسِهِمُ الطَّوِيلَةِ  
الْمُصْنُوعَةِ مِنْ خَشَبِ السَّنْدِيَانِ وَتَحْمِلُ شَمْسَ كَارِسْتَارِكِ الْمُتَفَجِّرَةِ. أَوَّلُ  
مَنْ بَلَغَهُمْ هُوَ جَرِيْجُورُ كُلِيْجَايِنِ عَلَى رَأْسِ الْحَرْبَةِ الَّتِي شَكَّلَهَا فُرْسَانُهُ  
الْمُخْضَرُمُونَ، لَكِنْ الْجُبْنَ انْتَابَ نِصْفَ خَيْولِهِمْ فِي اللَّحْظَةِ الْآخِرَةِ  
لِتَرَاجُعٍ قَبْلَ الْوُصُولِ إِلَى صَفِّ الرِّمَاحِ، بَيْنَمَا سَقَطَ النِّصْفُ الْآخَرُ مِنْهَا  
صَرِيْعًا وَقَدْ ائْتَرَسَتِ الرَّؤُوسُ الْفُولَادِيَّةُ الْحَادَّةُ فِي صُدُورِهَا. رَأَى تِيرْيُونُ  
عَشْرَاتِ الرِّجَالِ يَسْقُطُونَ، وَحِصَانُ الْجَبَلِ الضَّخْمِ يَتَهَقَّرُ رَافِعًا قَائِمَتِيهِ  
الْأَمَامِيِّينَ وَيَرْكُلُ الْهُوَءَ بِحَافِرِيهِ الْمَكْسُوِّينَ بِحُدُوتَيْنِ مِنَ الْحَدِيدِ وَقَدْ  
اخْتَرَقَ رَأْسُ رُمْحٍ شَائِكٍ عُقْفَهُ. أَصِيبَ الْحِصَانُ بِالْجُنُونِ وَانْدَفَعَ مُخْتَرِقًا  
الصُّفُوفَ لِتَنْغَرَسَ الرِّمَاحُ فِيهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَإِنْ انْكَسَرَ السِّيَاجُ تَحْتَ  
ثِقَلِهِ الْهَائِلِ، وَتَرَاجَعَ الشَّمَالِيُّونَ هَارِبِينَ مِنْ سُكْرَاتِ مَوْتِهِ الْمَمِيَّتَةِ، وَإِذَا  
سَقَطَ الْحِصَانُ أَخِيرًا وَالِدَّمَاءُ تَدَفَّقَ مِنْ أَنْفِهِ وَفِيهِ مَعَ آخِرِ أَنْفَاسِهِ، نَهَضَ  
الْجَبَلُ دُونَ أَنْ يَمْسَهُ أَدْنَى أَذَى مُلَوِّحًا بِسَيْفِهِ الْعَظِيمِ.

اندفعَ شاجا مخترقاً ثغرة الرِّمَّاح قبل أن تنغلق من جديد ووراء رجال  
الغِربان الحَجْرِيَّة، وهتَفَ تيرون: «الرَّجال المحروقون، إخوة القَمَر،  
اتبعوني!»، لكن معظمهم كان متقدِّماً عليه بالفعل، ولمَحَ نيميت بن

تيميت يشب من فوق حصانه وهو يموت تحته بينما يندفع بكل سرعة، ورأى واحدًا من إخوة القمر يُخَوِّقُ بِرُمَحٍ أحد جنود كارستارك، وشاهدَ حصان كون يُهَشِّمُ ضلوع رجلٍ بركلةٍ عنيفة. سربٌ آخر من السَّهام سقطَ عليهم، من أين جاءت لا يدري، لكنها سقطت على رجال ستارك ولانستر بلا تمييز، ترتدُّ عن الدُّروع وتنغرس في اللَّحم، ورفعَ تيريون تُرسه واستترَ به.

كان سياج الرِّماح يتداعى والسَّامِيُّونَ يتراجعون تحت هجوم خيالة لانستر الضَّاغط، ورأى تيريون شاجا يضرب واحدًا من حاملي الرِّماح في صدره مباشرةً إذ جاءَ الأحمق راکضًا نحوه، ورأى بِلطته تنفذ في المعدن والجِلْد واللَّحم والعضلات، وتهاوى الرَّجل قتيلاً على قدميه ورأس البِلطة مغروس في صدره، إلَّا أن شاجا واصلَ التَّقدُّم قاسمًا تُرسًا إلى نصفين بالبِلطة الأخرى التي يحملها بيده اليسرى بينما تتوانب الجَنَّة المرتخية على يمينه، قبل أن يتزعج شاجا البِلطة من صدره أخيرًا ويهدر قارعًا البِلطتين معًا.

الآن كان وجهها لوجه مع العَدُوِّ، وتقلَّصت معركة تيريون إلى المساحة الضَّئيلة من الأرض المحيطة بحصانه. حاولَ أحد الجنود أن يقطعنه بِرُمحه، لكنه رفعَ بِلطته لِيَصُدَّ الضَّربة ويُزيح الرُّمح جانبًا، فوثبَ الرَّجل إلى الوراء استعدادًا لضربة أخرى، إلَّا أن تيريون لم يُعطِه الفرصة ووكَّزَ حصانه ليدفعه إلى الأمام ويدهسه بحوافره. كان برون مُحاطًا بثلاثة من الأعداء، لكنه بترَ رأس أول رُمح ألقي نحوه، ومع حركة سيفه الارتجاعية شقَّ وجه رجلٍ ثانٍ محيلًا إياه إلى خراب.

هوى رُمح مقدوف على تيريون من اليسار وانغرسَ في تُرسه بصوتٍ خشبيٍّ مكتوم، فدارَ بحصانه مندفعًا نحو من قذفَ الرُّمح، لكن الرَّجل رفعَ تُرسه فوق رأسه. دارَ تيريون حوله مُمطِّرًا التُّرس بضربات بِلطته لتتطاير رُفاقات الخشب في كُلِّ اتِّجاه، إلى أن فقدَ السَّامِيُّ توازنه وتعثَّرَ

ساقطاً على ظهره والتَّرس فوقه بعيداً عن متناول ذراع تيريون الذي خطر له أن الأمر لا يستحق أن يترجَّل، فترك الرَّجل في مكانه واندفع وراء آخر وضربه من الخلف لترتج ذراعه من الصَّدمة. منحه هذا لحظة من الرَّاحة، وتطلَّع حوله باحثاً عن النَّهر ليجده هناك على يمينه. بشكلٍ ما دارَ تيريون في الاتجاه الآخر أثناء القتال دون أن يدري.

مرَّ به واحد من الرُّجال المحروقين متهاوياً فوق حصانه وقد اخترق رُمح بطنه وخرج من ظهره. لم يكن هناك أيُّ مجالٍ لمُساعدته، لكن عندما رأى تيريون أحد الشماليين يتقدَّم نحوه ماداً يده إلى عِنان الحصان، انقضَّ بدوره.

التقاء خصمه وسيفه في يده. كان طويل القامة نحيلًا، يرتدي قميصًا طويلًا من الحلقات المعدنية وقُفَّازين من الفولاذ، وإن كان قد فقدَ خوذته وسالَ الدَّم على عينيه من جرح عميق في جبهته. سدَّد تيريون ضربةً عرضيةً إلى وجهه، لكن الرَّجل الطَّويل تفادهاها وصرخ: «مُت أيها القزم!»، ودارَ حول نفسه بينما دارَ تيريون حوله مُسدِّدًا ضرباته إلى رأسه وكتفيه ليرنَّ الفولاذ على الفولاذ، وسرعان ما أدركَ تيريون أن الشمالي أقوى منه وأسرع. أين برون بحقِّ الجحائم السَّبع؟ «مُت!»، هذرَ الرَّجل وهو يهوي عليه بسيفه بضربة ضارية، وبالكاد رفعَ تيريون ثُرسه في الوقت المناسب ليتفجَّر الخشب إلى الدَّاخِل من شدَّة الضَّربة وتسقط القطع المهشَّمة. «مُت!»، خارَ الرَّجل من جديد وهوى بالسَّيف على صدغ تيريون بمنتهى العنف حتى أن مخَّه ارتجَّ داخل رأسه، وأصدرَ السَّيف صوتًا شنيعًا وهو يسحبه على الخوذة الفولاذية. ابتسمَ الشمالي الطَّويل واستعدَّ للضَّربة القاضية... واندفعَ حصان تيريون بسرعة الثَّعبان يقضم وجه الرَّجل حتى ظهرت عظامه، وصرخَ الرَّجل وصرخَ إلى أن غرسَ تيريون بِلطته في رأسه قائلاً: «مُت أنت»... وقد كان.

بينما يتنزَّع البُلطة من رأس الرَّجل سمعَ صيحةً رنانة: «إداردا! لأجل

إدارد وويترفل!»، وجاء الفارس ملوِّحًا بكرة شائكة فوق رأسه، وارتطم الحصانان قبل حتى أن يستطيع تيريون أن يفتح فمه ليُنَادِي على برون. تفجَّر الألم في مِرْفَقه الأيمن والكرة الشائكة تصطدم بالمعدن الرقيق المحيط بالمفصل، وقبل أن يرتدَّ إليه لم تُعْدْ بلطته معه. مَدَّ يده إلى سيفه القصير، لكن الكرة كانت تدور من جديد قادمة نحو وجهه، وفي لحظة انسحقت خوذته تحت وطأة الضربة ووجد نفسه يسقط. لا يذكُر ارتطامه بالأرض، لكنه عندما رفع رأسه لم يكن هناك غير السماء فوقه، فتدحرج على جانبه وحاول النهوض، لكن الألم سرى في جسده كله وثبته في مكانه، واقترب الفارس الذي أسقطه وتطلَّع إليه قائلاً بصوت جهوري: «تيريون العفريت. أنت لي، فهل تستسلم يا لانستر؟».

نعم، فكَّر تيريون وإن احتبست الكلمة في حلقه. أصدرَ أنينًا وكافح حتى اعتدلَّ جالسًا على رُكْبتيه ويده تبحث بلهفة عن سلاح، عن سيفه، عن خنجره، أيَّ شيء.

- «هل تستسلم؟»، ردَّد الفارس وهو يرتفع فوقه على ظهر حصانه المدرَّع وقد بدا الاثنان ضخمين لأقصى حد والكرة الشائكة تدور فوقهما. كان تيريون يشعر بالخدر في يديه وقد تشوَّشت رؤيته وخوى غمده من أيَّ سلاح، وزادت سرعة دوران الكرة أكثر وأكثر والفارس يقول: «استسلم أو مُت»... ووثب تيريون ناهضًا فجأة ودفع رأسه في بطن الحصان، الذي صرخَ وتراجع رافعًا قائمته الأماميتين، وتلوَّى محاولًا التخلص من ألمه بينما انهمرَ وابل من الدماء والأحشاء على وجه تيريون، قبل أن يسقط الحصان كالجلمود. في اللحظة التالية وجد تيريون مقدمة خوذته مغطاةً بالوحل بينما يدوس شيء على قدمه، فحرَّرها بصعوبة وحلقه مسدود تمامًا حتى غدا عاجزًا عن الكلام. «... أستسلم...»، قال أخيرًا بصوت أجش كنعيب الغراب.

- «نعم»، قال الصوت المفعم بالألم.

مَسَحَ تِيرِيون الوحل عن مقدّمة خوذته كي يرى، ورأى أن الحصان قد وقع بعيداً عنه فوق راحبه. كانت ساق الفارس عالقة تحت الجثة، والذراع التي استخدمها ليُخَفَّف وقع السَّقطة مكسورة وملوثة في زاوية شنيعة. «استسلم»، ردّد الفارس وهو يمدُّ يده السليمة إلى حزامه ويسحب سيفاً لَوْح به نحو قدمي تيريون، وأخيراً قال بضَعْف: «أستسلم يا سيّدي».

دائخاً انحنى القزم والتقط السيف، ليضرب الألم مرفقه كالمنطقة عندما حرّك ذراعه. بدا أن المعركة قد ابتعدت عنه، فلم يَتَبَقْ في هذا الجزء من الميدان غير عشراتٍ من الجثث، وكانت الغريبان تدور فوقها بالفعل وتَحُطُّ لتأكل وجبتها من لحوم الموتى. رأى أن السير كيفان قد جلب قلب الجيش ليدعم الطليعة وقد دفعت أعداده الضخمة من حاملي الرِّماح الجنود الشماليين صوب التلال. كانوا يُقاتِلون الآن فوق المنحدرات ويقذفون رماحهم على ساترٍ آخر من التُّروس البيضاء المقوّاة بالحديد. امتلأ الهواء بالسَّهام من جديد، وتهاوى الرِّجال المسترون وراء الحائط الخشبي، فالتفت تيريون إلى الفارس العالق تحت الحصان: «أعتقد أنكم خسرتم أيها الفارس»... ولم يفتح الرّجل فمه برّد.

جعلهُ صوت الحوافر القادم من ورائه يدور على عقبه بسرعة، وإن كان بالكاد يستطيع أن يرفع سيفه من فرط الألم في مرفقه، وعندما توقّف برون بحصانه إلى جواره قال له: «لم أرَ لك فائدة كبيرة اليوم». ردّ برون: «يبدو أنك أبليت بلاءً حسناً بمفردك، وإن كنت قد فقدت قضيب خوذتك».

تحسّس تيريون رأس الخوذة ليجد أن القضيب قد انكسر بالكامل، وقال: «لم أفقده، وأعرفُ أين هو بالضبط. هل ترى حصاني؟».

عندما عثرا على الحصان كانت الأبواق قد دَوّت مرّةً أخرى وجاءت قوَّات احتياط اللورد تايوين تكنس ضفّة النهر، وشاهد تيريون أباه ينطلق وراية لانستر ذات اللّونين القرمزي والذهبي تخفق فوق رأسه وهو

يقطع الميدان محاطاً بخمسمئة فارسٍ يتوهَّج نور الشمس على رؤوس رماحهم، ولم يمض وقت طویل حتى تحطَّمت البقية الباقية من صفوف جيش ستارك كالزُّجاج تحت الهجوم الشرس.

لم يُحاول تيريون العودة إلى القتال مع تورم مرفقه داخل درعه والألم الشديد الذي سرى في ذراعه، وبدلاً من هذا ذهبَ مع برون بحثاً عن رجاله. كثيرون منهم وجدَّهم بين الموتى، منهم أولف بن أومار الذي سقطَ في بركةٍ من الدَّم المتخثِّر وقد بُيِّرَت ذراعه عند اليرفق وحوله دسنة من جثث إخوة القمر، بينما تهاوى شاجا تحت شجرة وقد انغرسَت السَّهام في جسده في غير موضعٍ ورأس كون في حجره. حسبَ تيريون الاثنين ميتين، لكن إذ ترجَّل عن حصانه فتحَ شاجا عينيه وقال: «قتلوا كون بن كورات». لم تكن هناك علامات إصابة على كون الوسيم باستثناء البُقعة الحمراء على صدره الذي اخترقَه رُمح مميت، وعندما جذبَ برون شاجا لينهض بدا كأنه يُلاحِظ السَّهام للمرَّة الأولى. اقتلعها واحداً تلو الآخر لاعتنا الثُّقوب التي خلَّفتها في طبقات الجلد والمعدن التي يرتديها وصارخاً كالأطفال مع اقتلاعه للقلَّة التي اخترقت لحمه. تقدَّمت تشلا بنت تشيك منهم خلال هذا وأزتهم أربع أذانٍ قطعتها من رؤوس قتلاها، أمَّا تيميت بن تيميت فقد وجدوه يسطو على جثث الموتى مع بقية رجاله المحروقين. من الثلاثمئة رجل الذين اشتروا في المعركة وراء تيريون لانستر لم يتبقَّ غير النُصف تقريباً.

ترك الأحياء يُعنون بالأموات وأرسلَ برون ليتولَّى أمر الفارس الأسير، ثم ذهبَ بحثاً عن أبيه. كان اللورد تايوين جالساً عند النَّهر يرشف النِّبذ من كأسٍ مرصَّعةٍ بالجواهر بينما يحلُّ مُرافقه أبازيم واقفي الصدر عنه، وقال السير كيفان لمَّا رآه: «نصرٌ مبين. رجالك الهمجيُّون أحسنوا القتال كذلك». كانت عينا أبيه الخضراوان المرَقَّطان بالذهبي مثبتتين عليه، ترمقانه بنظرةٍ شديدة البرودة أثارت في جسده القشعريرة، لكنه قال له: «هل

أدهشك هذا يا أبي؟ هل أخلّ بخططك؟ كان من المفترض أن نذبح جميعاً، أليس كذلك؟».

أفرغ اللورد تايوين كأسه في جوفه وأجاب دون أن تحمل ملامحه أيّ تعبير: «لقد وضعتُ أقلّ الرجال انضباطاً في الميسرة، هذا صحيح، لأنني توقّعتُ أن تتشّت صفوفهم. روب ستارك صبيّ أخضر، شجاع أكثر منه حكيم، وأملتُ أنه إذا رأى ميسرتنا تنهار سيندفع إلى الثغرة متلهّفاً على هزيمتنا من هذا الموضع، وبمجرّد أن يفقد قوّاته كلها إلى هناك كان السير كيثان ليدور بقوّاته ويدفعه إلى النهر بينما أتقدّم أنا بقوّات الاحتياط».

- «وفكّرتُ أن من الأفضل أن تضعني في قلب هذه المذبحة وإن أبقيتني غافلاً عن خطّتك».

قال أبوه: «الهزيمة المصطنعة أقلّ إقناعاً، ثم إنني لا أجنحُ إلى مشاركة خططي من رجل يُرافق المرترقة والهمجيين».

قال تيريون: «من المؤسف أن هؤلاء الهمجيين أفسدوا عليك الرّقصة»، وخلع قفّازيه الفولاذيين تاركاً إياهما يسقطان أرضاً والتوت ملامحه مع الألم الذي يمزّق ذراعه.

- «لقد أثبت ابن ستارك أنه أكثر حذراً مما توقّعتُ من صبيّ في سنّه، لكن النّصر نصر. يبدو أنك جريح».

كانت ذراع تيريون اليمنى غارقة في الدّماء، وأجاب ضاغطاً على أسنانه ألماً: «شكراً لأنك لاحظت يا أبي. هل يُمكنني أن أزعجك وأطلب منك أن تُرسل في طلب المايسترات؟ طبعاً ما لم تكن فكرة أن يكون لك ابن ذو ذراع واحدة تروق لك».

قبل أن يردّ أبوه، سمّعوا من يصيح بلهفة: «لورد تايوين!»، ونهض تايوين لانستر إذ رأى السير آدم ماربراند يقترب بسرعة ويشب من فوق حصانه. كان الحصان مصاباً والرّغوة والدّماء تسيلان من فمه، وإن بدا السير آدم -الرجل ممشوق القوام ذو الشعر النحاسي الذي يبلغ كفيه،

والمدرَّع بالفولاذ المصقول الذي يجمل الشَّجرة المحترقة رمز عائلته على واقِي الصَّدر- سليماً، وركعَ على رُكبةٍ واحدةٍ قائلاً: «سيّدي، لقد أسرنا بعضاً من قادتهم. اللورد سروين والسير وايليس ماندري وهاريون كارستارك وأربعة من أبناء فراي. اللورد هورنوود مات، وأخشى أن رووس بولتون قد فرّ منا». - «والصَّبي؟».

تردّد السير أدام قبل أن يُجيب: «ابن ستارك لم يكن معهم يا سيّدي. يقولون إنه عبر "التوأمتين" مع الجزء الأعظم من جيشه متّجهاً إلى ريفرَرَن بأقصى سرعة».

ساخراً قال تيريون لنفسه: صبيّ أنخضر، سُجاع أكثر منه حكيم. كان ليضحك لحظتها لولا أنه يشعُر بكلّ هذا الألم.





## كاتلين

امتلات الغابة بالهمسات.

ومض نور القمر على مياه الجدول في الأسفل وهي تندفق في مجراها الصخريّ الملتفّ بطول قاع الوادي، وأطلقت الجياد الحربيّة صهيلها الخافت نابشة الأرض المورقة الرطبة، بينما تبادل الرّجال الدّعابات المتوتّرة بأصوات هامسة. بين الحين والآخر كانت تسمع صليل الرّماح والصّوت المعدنيّ الخافت للقمصان الواقية، لكن حتى هذه الأصوات كانت مكتومة.

قال هالس مولين: «لم يتبقّ الكثير يا سيّدي». كان قد طلب شرف حمايتها خلال المعركة القادمة، فهذا حقّه بصفته قائد حرس ويتنرفل، ولم يرفض روب طلبه. أحاط بها ثلاثون رجلاً مكلفون بالحفاظ على سلامتها وإعادتها آمنة إلى الدّيار إذا دارت المعركة على جيش ابنها، وكان روب قد أراد أن يترك خمسين رجلاً معها، بينما أصرّت كاتلين على أن عشرة منهم كفاية، وأنه سيحتاج كلّ مُقاتِلٍ مُتاح في المعركة، وفي النّهاية وافق الاثنان على مضمضي أن يكون العدد ثلاثين.

قالت له كاتلين: «ستأتي النّهاية عندما تأتي»... وعندما تأتي النّهاية فلن تعني شيئاً غير الموت، موت هال ربما، أو موتها هي، أو موت روب. لا أحد آمنًا، لا يقين في الحياة. فنعت كاتلين بالانتظار والإصغاء للهمسات في الغابة وموسيقى مياه الجدول والإحساس بالهواء الدّافئ بين خصلات

شعرها. والانتظار ليس بالشئ الجديد عليها على كل حال، فلطالما جعلها رجالها تنتظر. دائماً ما كان أبوها يقول لها قبل رحيله إلى البلاط أو المهرجان أو المعركة: «ترقبى عودتي يا قِطْطِي الصَّغيرة»، فتقف بصبرٍ منتظرةً إياه فوق أسوار ريفرَرَن التي تلتقي تحتها مياه فرع الثالوث الأحمر بمياه نهر الجلمود. لم يكن يعود في كل مرة في الوقت الذي قال إنه سيعود فيه، وأحياناً كانت أيام كاملة تُمرُّ وكاتلين واقفة في انتظاره، تُحدِّق من وراء فتحات الرِّماية وكُوَّات المُرَاقَبة، إلى أن تلمح اللورد هوستر على متن حصانه البُنِّي العجوز قادمًا على ضفَّة النهر نحو المرسى، وعندما ينحني ليعانقها كان يسألها: «هل ترقبتِ عودتي يا قِطْطِي الصَّغيرة؟».

براندون ستارك أيضاً طلب منها أن تنتظره، وتعهّد لها قائلاً: «لن أغيب طويلاً يا سيّدي، وسيُعقد قراننا لدى عودتي»، وعندما جاء يوم الزَّفاف أخيراً كان أخوه إدارد هو من وقفَ إلى جوارها في السَّبت.

أمّا ند فقد مكث لأقل من أسبوعين مع عروسه الجديدة قبل أن يُغادر بدوره إلى الحرب والوعود على شفّيته. على الأقل تركها بما هو أكثر من مجرد كلمات، فقد أعطاها ابناً. تسعة أقمارٍ سطعت وأفلت حتى وُلِدَ روب في ريفرَرَن بينما لا يزال أبوه يُحارب في الجنوب. جاءت به إلى العالم بمزيج من الدَّم والألم وهي لا تدري إن كان ابنها سيرى أباه أبداً. ابنها... كم كان ضئيلاً بين يديها.

والآن كانت في انتظار روب... روب وچايمي لانستر، الفارس الذهبي الذي يقول الرُّجال عنه أنه لم يتعلَّم فضيلة الانتظار قط. «قاتل المَلِك رجل سريع الملل وسريع الغضب»، قال عمُّها برايندن لروب، وراهن بحياتهم وبأفضل أمل لديهم في النَّصر على حقيقة ما قاله.

إذا كان روب خائفاً، فهو لم يُبدِ أيّ دلالة على هذا. راقبتِ كاتلين ابنها وهو يتحرَّك بين الرُّجال، يُربّت على كتف أحدهم ويتبادل دُعاءً مع ثانٍ ويُساعد ثالثاً على تهدئة حصانٍ متوتّر. أصدرتِ دِرعه رنيناً خافتاً

وهو يتحرك وقد كشف رأسه فقط، ورأت كاتلين النسيم يُحرّك شعره الكستنائي الذي يشبه شعرها كثيرًا وتساءلت متى أصبح ابنها كبيرًا هكذا، في الخامسة عشر من العمر ويكاد يُناهزها طولًا.

تضرّعت إلى الآلهة في قرارة نفسها قائلة: أرجوك يا إلهي، دعي قامة تطول أكثر، دعيه يشهد السادسة عشر، والعشرين، والخمسين. دعيه يُناهز أباه طولًا ويحمل ابنه بين يديه. أرجوك، أرجوك، أرجوك. ظلت تُراقب هذا الشاب الطويل ذا اللحية الحديثة والذئب الرهيب يتحرك في أعقابها، وكلّ ما استطاعت أن تراه هو الرضيع الذي وضعوه في أحضانها لتلقّمه نديها للمرة الأولى في ريفرن منذ زمن بعيد.

كانت ليلة دافئة، لكن مجرد التفكير في ريفرن بعث في أوصالها الرجفة. أين هم؟ هل من الوارد أن عمّها مخطئ؟ كثير جدًا كان يعتمد على صحّة ما أخبرهم به. كان روب قد أعطى السمكة السوداء ثلاثمئة من حاملبي الرّماح وأمرهم بأن يسبقوهم ليمسّطوا الطريق الذي يزحف عليه جيشه، وقال السير برايندن عندما عاد: «چايمي لا يعرف. أراهنُ بحياتي على هذا. لقد تأكّد رُماتي من أن لا طائر بلغه، كما أننا رأينا بعض كشافته، لكن من رأونا منهم لم يعيشوا ليُخبروه بشيء. كان يجدرّ به أن يرسل المزيد منهم، لكنني أوكدُ أنه لا يعرف».

سأله ابنها: «ما حجم جيشه؟».

أجاب عمّها بالابتسامة الخشنة التي تعرفها جيّدًا: «اثنا عشر ألفًا من المُشاة الموزّعين حول القلعة في ثلاثة معسكرات منفصلة، والنّهر بينهم. ليس هناك سبيل آخر لحصار ريفرن، لكن هلاكهم يكمن في هذا. هناك أيضًا ألفان أو ثلاثة آلاف من الخيالة».

قال جالبارت جلوفر: «قاتل المَلِك يتفوّق علينا بثلاثة إلى واحد».

ردّ السير برايندن: «هذا صحيح، لكن ثمة شيئًا واحدًا يفتقر إليه السير

چايمي».

سأله روب: «ماذا؟».

- «الصَّبر».

الجيش الآن أكبر مما كان عندما غادروا "التَّوأمين"، مع انضمام اللورد جيسون مالمستر إليهم بقوَّاته التي جاء بها من سيجارد وهم يدورون حول منابع فرع الثالوث الأزرق وينطلقون جنوبًا، بالإضافة إلى الآخرين الذين انضمُّوا إلى الجيش كذلك، من الفرسان الجائلين وصغار اللوردات والجنود عديمي القادة الذين فرُّوا سَمَلاً عندما تحطَّم جيش أخيها إدميور تحت أسوار ريفرزن. تحرَّكوا مُجبرين خيولهم على الرِّكض بأقصى سرعة لبلوغ هذا المكان قبل أن يبلُغ جايمي لانستر أيَّ خبرٍ عن مجيئهم، والآن حانت ساعة الحسم.

راقت كاتلين ابنها إذ امتطى حصانه بمُساعدة أوليفار فراي ابن اللورد والدر، الذي يكبرُ روب بعامين من العُمر ويصغُرُ بعشرة أعوام من التَّدريب. ثبَّت أوليفار ثُرس روب في مكانه ورفعَ إليه خوذته، وعندما خفضَها روب على الوجه الذي تعشقه رأت فارساً شاباً طويلاً يجلس على الفحل الرَّمادي القويِّ بدلاً من ابنها. كانت الظُّلمة سائدة بين الأشجار حيث لا يصل نور القمر، وعندما أدارَ ابنها رأسه لينظرَ إليها لم ترَ غير السَّواد داخل مقدِّمة خوذته. قال لها: «يجب أن أذهب إلى مقدِّمة الصُّفوف الآن يا أمي، فدانمًا ما قال أبي إن القائد ينبغي أن يجعل رجاله يرونه قبل المعركة».

قالت له: «أذهب إذن. دعهم يرونك».

- «سيبُت هذا فيهم السَّجاعة».

ومن سيَّبُتها في أنا؟ احتفظت بالتَّساؤل لنفسها وأرغمت نفسها على الابتسام له، ثم دارَ روب بفحله الرَّمادي الضَّخم وبدأ يتعدَّ ببطءٍ وجراي ويند يتبعه كظِّلِه، ومن ورائه اتَّخذ حرسه الشَّخصيُّون تشكيل المعركة. عندما أجبرَ كاتلين على قبول فرقة حماية لها، أصرَّت هي بالتَّالي على

أن تُحيط به فرقة من الحرس كذلك وأتفق معها اللوردات حملة الرّاية،  
واندفع كثيرون من أبنائهم مُطالبين بشرف الرُّكوب إلى المعركة في  
صُحبة الذئب الصّغير كما أطلقوا عليه. تورين كارستارك وأخوه إدارد  
كانا من ضمن ثلاثينه، بالإضافة إلى باتريك مالمستر وچون أومبر الصّغير  
ودارن هورنوود وثيون جرايجوي، ولا أقل من خمسة من ذُرّيّة والدر  
فراي الرّجبة، مع عددٍ من الرّجال الأكبر سنّاً مثل السير وندل ماندرلي  
وروبن فلينت. بل وكانت هناك امرأة بينهم كذلك: داسي مورمونت،  
ابنة الليدي مِج مورمونت الكُبرى ووريثة جزيرة الدّبية، المرأة النّحيلة  
التي يبلُغ طولها ستّة أقدام وتلعب بالكرات الشّائكة منذ كانت في العُمُر  
الذي تلعب فيه معظم الفتيات بالذّمي. أطلقَ بعض اللوردات الآخرين  
اعتراضاتٍ خافتة على هذا، لكن كاتلين رفضت الإصغاء لشكاواهم  
وقالت لهم: «ليس لهذا علاقة بشرف عائلاتكم، بل بالحفاظ على حياة  
ابني وسلامته».

وإذا وصل الأمر إلى هذا الحد، فهل سيكفي ثلاثون لحمايته؟ أو حتى  
ستّة آلاف؟

صاح طائر من بعيد بصوتٍ حادٍّ راجفٍ أشعرَ كاتلين بقبضةٍ من جليدٍ  
تطوّق عنقها، وأجاب طائر ثانٍ الصّيحة، وثالث، ورابع. كانت تعرف  
هذه الطّيور جيّدًا من سنواتها في وينترفيل. إنها عصافير الجليد التي تراها  
أحيانًا في قلب الشّتاء عندما تكون أبكة الآلهة بيضاء تمامًا ساكنة تمامًا.  
طيورٌ شماليّة هي.  
إنهم قادمون.

- «إنهم قادمون يا سيّدي»، همسَ هال مولين الذي من عادته أن يُفسّر  
الماء بالماء. «لنكن الآلهة في عوننا».

أومأت برأسها وقد خيم الصّمت على الغاية من حولهم، ولمّا ساد  
الهدوء استطاعت أن تسمعهم، ما زالوا بعيدين لكن يقتربون بسرعة، وقع

حوافر خيول كثيرة، رنين السيوف والرماح والدروع، غمغمة أصوات بشرية، ضحكة هنا وشتيمة هناك.

أحسّت كأن دهورًا كاملة قد مرّت، وتعلّلت الأصوات أكثر، وسمعت المزيد من الضحك، وأحدًا يصيح بأمر ما، والماء يتناثر وهم يعبرون الجدول الصغير ويُعيدون عبوره. نخر حصان، وأطلق رجل سبّة، وأخيرًا رأيته... للحظة واحدة عابرة رأيته من بين فروع الأشجار وهي تتطلّع إلى قاع الوادي من مكانها العالي، لكنها كانت وانقة من أنه هو. حتى من على هذه المسافة لم يكن هناك مجال للخلط بين السير جايبي لانستر ورجل آخر، وقد صبغ نور القمر درعه وشعره الذهبي المكشوف بالفضي وأحال معطفه القرمزي إلى الأسود.

لهنيهة كان هناك ثم اختفى من مجال بصرها وقد أخفته الأشجار بديره البادية كالفضّة من جديد. جاء آخرون وراءه، صفوف طويلة منهم، فرسان وسلاحداريّة ومُحاربون غير نظاميين، ثلاثة أرباع خيالة جيش لانستر.

كان السير برايندن قد وعدّهم قائلًا: «إنه ليس بالرجل الذي يقع في خيمته بينما يبني نجّاروه أبراج الحصار. لقد خرج للقتال مع فرسانه ثلاث مرّات بالفعل لمُطاردة المُغيرين أو اقتحام معقل يرفض الاستسلام».

مومنا برأسه أمعن رُوب النّظر إلى الخريطة التي رسمها عمّها له، إذ كان قد علّمه قراءة الخرائط، وقال مُشيرًا: «سُغير عليه هنا، بضع مئات من الرّجال لا أكثر يحملون رايات تلي. وعندما يأتي في أعقابكم ستكون في انتظاره (وتحرّك إصبعه بوصة إلى اليسار) هنا».

هنا هذا كان المعنى المجسّد لهجوع اللّيل، نور القمر والظلال، طبقة سميكة من ورق الشّجر الميت تحت الأقدام، أخاديد مكتظة بالأشجار تنحدر بنعومة نحو مجرى الجدول حيث تتضاءل الشّجيرات بالتدرّج وتقلّ كثافتها.

هنا كان ابنها على صهوة حصانه يُلقِي عليها نظرة أخيرة ويرفع سيفه تحية لها.

هنا كان نداء نغير مِج مورمونت الذي تردّد خفيضاً طويلاً من الشّرق حتى بلغ الوادي، ليعلمهم أن آخر خيالة چايمي لانستر قد دخل الشّرك. ورفع جراي ويند رأسه إلى السّماء وعوى.

هالاروووووووووووووووووووووووووووووو! أتت الإجابة من الأخدود البعيد حيث أطلق جون الكبير نغيره، وإلى الشّرق والغرب دوّت أبواق آل مالمستر وآل فراي بلحن الانتقام، ومن الشّمال، حيث يضيق الوادي وينحني كالمرق المثنى، أضافت أبواق اللورد كارستارك أصواتها العميقة الحزينة إلى الجوقة المتجهّمة، ووسط مياه الجدول في الأسفل كان الرّجال يصيحون والخيول تتراجع، لا فارق بين الخوف الذي انتاب هؤلاء وتلك. أطلقت الغابة الهامسة أنفاسها في آنٍ واحد إذ أطلق الرّماة الذين أخفاهم روب بين فروع الأشجار سهامهم ليتفجّر اللّيل بصراخ الرّجال والخيول، وفي كلّ مكانٍ حولها رفع الخيالة رماحهم لتتراجح الأتربة وأوراق الشّجر التي خبّأت الرؤوس الصّلبة وينكشف الفولاذ اللّامع، وتطايرت السّهام من جديد وروب يهتف: «ويتترفل!»، ثم ينطلق بحصانه متقدّماً جنوده إلى أسفل التّل.

جلست كاتلين فوق حصانها بلا حراكٍ وإلى جوارها هال مولين ومن حولها حُرّاسها، وانتظرت كما تعلّمت انتظار براندون وند وأبيها من قبل. كانت في موقع عالٍ فوق التّل وقد أخفت الأشجار معظم ما يدور في الأسفل. غمضة عين، اثنتان، أربع، وفجأة كأنها قد صارت ومُرافقوها الوحيدين في الغابة كلها، بينما ذاب الآخرون وسط الأخضر، لكنها عندما نظرت عبر الوادي إلى الأخدود البعيد رأت خيالة جون الكبير يبرزون من قلب الظّلام تحت الأشجار. كانوا صفّاً واحداً، صفّاً بلا نهاية، ومع اندفاعهم من الغابة كانت لحظة مرّت أسرع من نبضة قلبٍ رأت فيها كاتلين نور القمر يتوهّج على رؤوس رماحهم، كأن ألف أفعوانٍ ناريٍّ يزحف بسرعة البرق وقد تأجّج لهبه الفضي.

ثم إنها طرقت بعينها وعادوا رجالاً يندفعون ليقْتُلوا أو يُقْتَلوا.  
 فيما بعد لم تكن لتستطيع أن تدَّعي أنها شاهدت المعركة، لكنها  
 بالتأكيد سمعتها وقد ترددت أصداؤها في أنحاء الوادي كله، طقطقة الرِّماح  
 المكسورة، صليل السيوف، هتافات «لانسرا» و«ويترفل!» و«تلي!»  
 ريفررن وتلي!». لَمَّا أدركت أنه ليس هناك المزيد لتراه، أغلقت عينها  
 واكتفت بالإصغاء لتدبُّ الحياة في المعركة من حولها. سمعت حوافر  
 الخيول والأحذية الحديدية تُشرّ تخوض في مياه ضحلة، وصوت السيوف  
 على التروس القويّة، والفولاذ يكشط الفولاذ، وهسيس السهام، وهدير  
 الطبول، وصراخ ألف حصانٍ خائف، ورجالاً تعالت أصواتهم مُطلقين  
 السَّباب أو منوَّسلين الرَّحمة فنالوها (أو لا) وعاشوا (أو ماتوا). في لحظةٍ  
 سمعت صوت روب واضحاً تماماً كأنه يقف إلى جوارها ويصيح: «إلي!»  
 «إلي!»، وسمعت ذنبه الرَّهيب يَزْمَجِر ويَزوم، سمعت صوت أسنانه الطويلة  
 وتمزيق اللَّحم وصرخات الخوف والألم من كلِّ من الرِّجال وخيولهم.  
 تساءلت بلا يقين إن كان هناك ذئب واحد فقط في المعركة.  
 شيئاً فشيئاً خفَّت الأصوات وخبَّت حتى لم يَعدْ هناك غير صوت  
 الذئب فقط في النهاية، ومع طلوع الفجر الأحمر من الشرق بدأ جراي  
 ويند يعوي من جديد.

عاد إليها روب على متن حصانٍ آخر أرقط بدلاً من الفحل الرَّمادي  
 الذي نزل به إلى الوادي، وقد استحال رأس الذئب على ثُرسه إلى شظايا  
 تُبرز شقوقاً عميقة من الخشب الخام، وإن بدا روب نفسه سليماً تماماً،  
 وإن رأت كاتلين حين دنا منها أن قُفَّازه وكُم قمصيه المعدنيَّين كانا  
 مسودَّين بالدماء، فقالت له: «أنت جريح».

رفع روب يده وأغلق أصابعه وفتحها قائلاً: «كلا، هذا دم تورين على  
 ما أعتقد، أو...»، وهزَّ رأسه وغمغم «لا أدري».  
 تبعه حشد من الرِّجال إلى أعلى التلِّ وقد اتَّسخت ثيابهم وانبجعت



دروعهم وارتسمت الابتسامات على وجوههم، وعلى رأسهم ثيون  
وچون الكبير يَجْرَانِ چايي لانستر بينهما. ألقياه أمام حصانها ليقول هال  
بلا ضرورة: «قَاتِلِ الْمَلِكَ».

رفع لانستر الرَّاعِ على رُكْبَتَيْهِ عَيْنِيهِ قَائِلًا: «ليدي ستارك». كان خيظ  
من الدَّم يسيل على وجنته من جرح بعرض فروة رأسه، وإن أعادَ نور  
الفَجَر الشَّاحِب اللَّوْن الذَّهَبِي إِلَى شَعْرِهِ. «كُنْتُ لَأَقْدُمُ لِكَ سِيفِي، لكن  
يبدو أنني فقدته».

قالت له: «ليس سيفك الذي أريدُ أيها الفارس. أعطني أبي وأخي  
إدميور، أعطني ابنتي، أعطني زوجي».  
- «أخشى أنني فقدتُ هؤلاء أيضًا».  
قالت كاتلين بيرود: «هذا مُؤسف».

- «اقتله يا روب»، قال ثيون جراجوي. «اقطع رأسه».  
- «كلا»، أجاب ابنها وهو يخلع قُفَّازَهُ الدَّامِي. «إنه مفيد لنا حيًّا أكثر منه  
ميتًا، كما أن السيّد والدي لا يتقاضى أبدًا عن قتل الأسرى بعد المعركة».  
قال چايي لانستر: «رجل حكيم وشريف».  
قالت كاتلين: «خذوه وكمّلوه بالأغلال».

- «افعلوا كما تقول السيّد والدتي»، قال روب. «وتأكّدوا من وجود  
حراسة قويّة حوله، فاللورد كارستارك سيرغب بالتأكيد في وضع رأسه  
على خازوق».

قال چون الكبير مشيرًا إلى رجاله: «هذا صحيح»، فاقْتَادُوا لانستر  
بعيدًا لتضميد جرحه ووضعوه في الأغلال.

سألت كاتلين: «لماذا سيُرِيده اللورد كارستارك ميتًا؟».  
تطلّع روب إلى الغابة وعلى وجهه النُّظْرَةُ المتجهّمة ذاتها التي اعتادَتْهَا  
من ند، وقال: «لقد... لقد قتلتهما».  
فسرّ جالبارت جلوفر قائلًا: «قتل ولدي اللورد كارستارك».

قال روب: «كلاهما، تورين وإدارد، ودارن هورنود كذلك».

- «لا أحد يُمكنه أن يلوم لانستر على شجاعته»، قال جلوفر. «عندما وجد أنه مهزوم لا محالة، حشد من تبقى من رجاله وشقَّ طريقه إلى أعلى الوادي قتالاً على أمل أن يبلِّغ اللورد روب ويقتله، وكاد ينجح بالفعل».

قال روب: «لقد فقد سيفه في عُقْ إدارد كارستارك بعد أن قطع رأس تورين وهشَّم جمجمة دارن هورنود، كل هذا وهو يصيح مُنادياً عليّ، ولولا أنهم حاولوا إيقافه...».

- «لكنْتُ أنا مَنْ ثكَلْتُ ولدي وليس اللورد كارستارك»، قالت كاتلين.

«لقد فعلَ رجالك ما أقسموا على فعله يا روب، ماتوا وهُم يحمون قائدهم. يُمكنك أن تحزن عليهم وتُكرِّمهم على بسالتهم لكن ليس الآن، فليس لديك الوقت لتحزن. صحيح أنك قطعْتَ رأس الأفعى، لكن ثلاثة أرباع الجسم لا تزال تُحاصر قلعة أبي. لقد ربحنا معركة لا الحرب».

قال ثيون جرايچوي بحرارة: «ولكن يا لها من معركة! سيّدتي، البلاد لم تشهد نصراً كهذا منذ حقل النيران. أقسمُ لك إن آل لانستر فقدوا عشرة رجالٍ مقابل كلِّ واحدٍ سقطَ من رجالنا، وأسَرنا ما يقربُ من مئة فارسٍ ودسته من حملة رايتهم، اللورد وسترلينج واللورد بانفورت والسير جارت جرينفيلد واللورد إسترن واللورد تايوس براكس ومالور الدورني... بالإضافة إلى ثلاثة من أبناء لانستر غير چايمي، اثنين من أبناء أخت اللورد تايوين وواحدٍ من أبناء أخيه الميت، بخلاف...».

قاطعته كاتلين: «واللورد تايوين؟ هل أسَرتُم اللورد تايوين كذلك يا ثيون؟».

أجاب جرايچوي مرتبكاً: «كلا».

- «وإلى أن تفعلوا، فنهاية هذه الحرب لا تزال بعيدة تماماً».

رفع روب رأسه مُزيحاً الشعر السَّاقط على عينيه، وقال: «أُمِّي مُحِقَّة، فما زالت أماننا استرداد ريشِرَن».



## دنيرس

يُبطئ أخذ الذباب يدور حول رأس غال دروجو ليرتد طنين أجنحته  
الواطي عند حافة السَّمع ويملاً داني خوفاً على خوف.  
كانت الشمس عالية في منتصف السماء، تبعث أشعتها التي لا ترحم  
موجاتٍ من الحرارة انعكست على بروزات التلال المنخفضة، وسال  
خيوط طويل من العرق بين نهدي داني المتفخين. لم يكن هناك صوت  
غير وقع حوافر خيولهم المنتظم، والرَّنين الإيقاعي الصادر من الأجراس  
في شعر دروجو، والأصوات البعيدة من ورائهما.  
وراقبت داني الذباب.

كان ذباباً كبير الحجم كالنحل، قبيح الشكل ذا لونٍ ضاربٍ إلى  
الأرجواني اللامع، يُطلق عليه الدوثرافي اسم الذباب الدَّموي، ويعيش  
في المستنقعات والبرك الرَّاكدة ويمتصُّ الدَّم من البشر والحيوانات بلا  
تفرقة، ويضع بيضه في أجساد من ماتوا ومن يموتون. كان دروجو يمقته،  
وكلما دنت واحدة منه كانت يده تندفع بسرعة الثعبان وتنغلق عليها، فلم  
تره داني يُخفي في اصطيادها ولو مرة. ثم إنه كان يحبس الذبابة داخل  
قبضته الضخمة حتى يتأكد من سماع طنينها المهتاج، قبل أن يُحكِم  
إغلاق أصابعه عليها، وعندما يفتحها من جديد لا تعود الذبابة غير لُطخة  
حمراء على راحة يده.

والآن زحفت واحدة على ردف فحله الذي لوح بذيله غاضباً ليطردها،

بينما حلقت البقية حول دروجو مقتربة أكثر دون أن يُصدر الكال أدنى ردّة فعل. عيناه كانتا مثبتتين على التلال البنية البعيدة والعنان مرتخ في يديه، وتحت صدرته الملونة غطى لصوق من أوراق التين والطمي الأزرق جرح صدره. كانت المُداويات بالأعشاب قد صنعته له، فالكمادة التي أعدتها ميري ماز دور أحرقت جلده وأصابته بالحكة، وقد مرّتها قبل ستة أيام لاعناً المرأة ومنهما إياها بأنها مايجي، بينما أراحه لصوق الطمي أكثر. كذلك صنعت له المُداويات بالأعشاب نبيذ الخشخاش كذلك، ومنذ ثلاثة أيام وهو يشربه بغزارة، وإن لم يكن نبيذ الخشخاش فهو حليب الفرس المخمر أو البيرة المفلفة.

لكنه كان يمسّ طعامه بالكاد، وطوال الليل يظلّ يتقلّب ويئنّ، ورأت داني كم صارَ وجهه مهزولاً. ريجو أيضاً كان مضطرباً في بطنها، يرّكل كجوادٍ قويٍّ أغلب الوقت، لكن حتى هذا لم يُثر اهتمام دروجو كما في السابق، وفي كلّ صباح كانت عينها تُبصران خطوطاً جديدةً من الألم على وجهه بعد ليلةٍ من النوم المتقطع. والآن هذا الصمت الذي بثّ فيها الخوف، فمنذ امتطوا خيولهم وتحركوا عند الفجر لم يلفظ دروجو كلمة واحدة، وعندما تُكلّمه كانت الإجابة تأتيها في صورة همهمةٍ غير مفهومة، وحتى هذا القدر الضئيل لم تنله منه منذ انتصف اليوم.

حطّت واحدة من الذبابات الدامية على جلد كتف الكال العاري، ودارت أخرى وحطّت على عنقه وزحفت نحو فمه، وظلّ كال دروجو يتمايل فوق سرجه والأجراس ترنّ في شعره والفحل يتقدّم به بشات.

وكرّت داني فرسها الفضية وتقدّمت منه، وقالت بصوتٍ خفيض: «سيدي... دروجو... شمسي ونجمي»، لكن بدا أنه لم يسمعها، وزحفت الذبابة الدامية تحت شاربته الكبير واستقرّت على وجنته في الثنية المجاورة لأنفه شهقت داني مرددة اسمه ومدّت يدها لتمسّ ذراعه، فترنّ كال دروجو فوق ظهر الحصان ومال جسده بيّطاً قبل أن يسقط

بحركة عنيفة، وتفرّق الذباب للحظات ثم عاودَ الدوران حوله والهبوط على جسده حيث سقط. «لا»، قالت داني وهي تجذب عِنانَ القُرس، وللمرة الأولى تقريباً منذ حبلت لم تُلَقِ انتباهاً لبطنها المتفخخة ووثبت من فوق فُرسها وهُرِعت إليه.

كان العُشب من تحته بُنيّاً جافّاً، وأطلقَ دروجو صيحة ألم وداني تجثو إلى جواره لتسمع أنفاسه تُخَشِشُ بخشونة في حلقه، ورمقها هو بنظرة خاوية كأنه لا يتعرّفها. بوهن قال: «حصاني»، وطرَدَت داني الذبابات من على صدره ساحقةً واحدةً منها بيدها كما كان يفعل، فشعرت بجِلده يحترق تحت أصابعها.

كان خيالة دم الكال الثلاثة وراءهما بمسافة قصيرة، وسمعت هاجو يصيح وهُم يقتربون بسرعة، ثم وثبَ كهولو من فوق حصانه ونزلَ على رُكبته قائلاً: «دم دمي»، بينما ظلّ الآخران على حصانیهما.

- «لا»، قال كال دروجو متأوّهاً وهو يُقاوم ذراعي داني. «يجب أن أركب، أركب، لا».

- «لقد سقطَ من فوق حصانه»، قال هاجو رامقاً الكال من أعلى بتعبير جامدٍ على وجهه، وإن كانت نبرة صوته بالغة القسوة.

قالت له داني: «إياك أن تقول هذا. لقد ركبنا بما يكفي اليوم. سنُخَيِّم هنا».

تطلّع هاجو حوله إلى الأرض الدّابّلة، وقال: «هنا؟ هذه ليست منطقة تخييم».

وقال كوثو: «ليس من حقّ امرأةٍ أن تأمرنا بالتوقّف، ولا حتى الكاليسي».

كرّرت داني: «سنُخَيِّم هنا. هاجو، قلّ لهم إن كال دروجو أمر بالتوقّف، وإذا سألك أحد عن السّبب قلّ إن وقت وضعي قد اقترب ولم أستطع المُواصلة. كهولو، مُر العبيد بنصب خانة الكال على الفور. وأنت يا كوثو...».

قاطعتها: «أنا لا أتلقى الأوامر منك يا غاليسي».

تجاهلته وأكملت: «اعثر على ميري ماز دور وعُد بها ومعها صندوقها».  
لا بُدَّ أن الكاهنة ستكون بين بقية قوم الجملان في طابور العبيد الطويل.  
رمقها كوثر من أعلى بنظرة قاسية وقال باحتقار: «المايجي؟ كلا، هذا  
لن أفعله».

- «ستفعل، وإلا فعليك أن تشرح لدروجو لماذا تحدّثتني عندما  
يُفَيّق».

غاضبًا دارَ كوثر بحصانه وابتعدَ يرغي وبزبد، وإن عرفت داني أنه  
سيعود بميري ماز دور مهما بغض أن يفعل هذا. نصبَ العبيد خيمةً غال  
دروجو أسفل بروزٍ صخريٍّ أسودٍ ليعتقه الظلُّ من حرارة شمس منتصفِ  
النَّهار، ومع ذلك كان الجوُّ خانقًا تحت الخيمة المصنوعة من الحرير  
الرَّملي وإيري ودوريا تُساعِدان داني على إدخال دروجو. في الداخل فردَ  
العبيد بُسْطًا سميكًا منقوشةً على الأرض وورَّعوا الوسائد على الأركان،  
وسارعت إيرو - فتاة الجملان الخجول التي أنقذتها داني خارج أسوار  
البلدة المحترقة - بإشعال المُستوقد، ومددَ دروجو على حصيرةٍ  
منسوجةٍ وهو يُتمِّم: «لا، لا، لا» باللغة العامية بلا توقُّف. كان هذا كلُّ  
ما قاله وما بدا أنه قادر على أن يقوله.

حلَّت دوريا حزامه الثقيل وخلعت صدرته وقماط الساقين، بينما ركعت  
چيكوي عند قدميه لتحلَّ أربطة حذاء الرُّكوب. أرادت إيري أن تترك باب  
الخيمة مرفوعًا ليسمح للنسيم بالدُّخول لكن داني منعتها، فلم تكن ترغب  
في أن يرى أحد آخر دروجو ضعيفًا يُعاني هذيان الحمى هكذا، وعندما جاء  
رجال الغاز أمرتهم بالوقوف حراسةً خارج الخيمة، وقالت لچوجو: «لا  
تسمح لأيٍّ أحدٍ بالدُّخول بلا إذنٍ مني، لا أحد على الإطلاق».

حدّقت إيرو بخوفٍ في دروجو حيث تمدَّد وهمست: «إنه يموت».  
صفعتها داني وقالت بحدة: «الغال لا يُمكنه أن يموت. إنه أبو الجواد

الذي يمتطي العالم. لم يُقَطَّعَ شَعْرُهُ قَطُّ وما زال يرتدي الأجراس التي أعطاه أبوه إياها».

قالت چيكوي بترُدُد: «لقد سقطَ من فوق حصانه يا گاليسي». مرتجفةً أشاحت داني بوجهها عنهنَّ والدُموع تترقرق في عينيها. لقد سقطَ من فوق حصانه! هي رأت هذا، وكذلك خيالة الدَّم، ووصيفاتها بلا شكَّ ورجال الكاس، فكم من الآخرين رآه أيضًا؟ لم يكونوا يستطيعون الاحتفاظ بما حدثَ سرًّا، وداني تعي ما يعنيه هذا. الكال الذي لا يستطيع أن يركب لا يستطيع أن يحكُم، ودروجو سقطَ من فوق حصانه.

لا يجب أن تسمح لنفسها بالاستسلام لليأس. هكذا قالت بعناد: «يجب أن نُحَمِّمَهُ. إيرِي، اجعليهم يأتون بالحوض في الحال. دوريا، إيرو، اعثرا على مياه، مياه باردة، فهو ساخن للغاية». لم يكن دروجو ساخنًا فحسب، بل نازًا متأججةً تحت جلد إنسان.

وضع العبيد الحوض النحاسي الثقيل في رُكن الخيمة، وعندما جلبت دوريا قدر الماء الأولى بللت داني قطعةً من الحرير ووضعتها على جبهة دروجو المتقددة. نظرت عيناه إليها بلا رؤية، وعندما انفتحت شفتاه لم تخرج منها كلمات، فقط الأنين. «أين ميري ماز دور؟»، قالت بعصبية وقد أتى الخوف على صبرها.

قالت إيرِي: «سيعثرُ كوثرُ عليها».

ملأت وصيفاتها الحوض بمياه فاترة تفوح منها رائحة الكبريت الكريهة، وطبَّخنها بدوارقٍ من الزيت المرِّ وحفناطٍ من أوراق النعناع المسحوقة، وبينما كُنَّ يُجهِّزن الحَمَّام ركعت داني بصعوبة من جرَّاء انتفاخ بطنها بالطَّفل إلى جوار زوجها وبدأت تحلُّ ضفائره بأصابع متوترة كما فعلت ليلة أخذها للمرَّة الأولى تحت النجوم، ووضعت أجراسه بحرصٍ جنبًا إلى جنبٍ قائلةً لنفسها إنه سيرتديها ثانيةً عندما يتعافى.

تسلَّل تيار من الهواء إلى داخل الخيمة عندما أطلَّ أجو برأسه من الباب قائلاً: «غاليسي، الأندالي هنا ويطلب الإذن بالدخول». "الأندالي" هو القلب الذي يُطلقه الدوثرافي على السير چورا. قالت داني ناهضة: «نعم، دعوه يدخل». كانت تثق به، وإذا كان هناك من يعرف ماذا يفعل، فهو الفارس المنفي.

دخل السير چورا مورمونت من باب الخيمة وانتظر للحظة حتى تتكيف عيناه على الظلام في الداخل. في طقس الجنوب شديد الحرارة هذا كان يرتدي سروالاً فضفاضاً من الحرير الرملي المزركش وحذاء ركوب مفتوحاً من الأمام تصل أربطته إلى الركبتين، ومن حزامه المصنوع من شعر الخيل تدلى سيفه في غمده، بينما ارتدى صدره مبيضة فوق صدره العاري الذي لوحت الشمس لونه. قال لها: «كلهم يتكلمون في جميع أنحاء الكالاسار، يقولون إن غال دروجو سقط من فوق حصانه». قالت متوسلة: «ساعده، بحق الحب الذي تقول إنك تُكِنُّه لي ساعده الآن».

ركع الفارس إلى جوارها ورمق دروجو بنظرة طويلة ممعنة، ثم نظر إلى داني وقال: «اصرفني وصيفاتك». بلا كلمات وقد خنقها الخوف أشارت داني، فقادت إيربي بقية الفتيات إلى خارج الخيمة، وعندما صار الاثنان وحدهما مع دروجو أخرج السير چورا خنجره، وبرشاقة ونعومة من المدهش أن تصدراً من رجل كبير مثله بدأ يكشط الأوراق السوداء والطمي الأزرق عن صدر دروجو. كان اللصوق قد جمد كأسوار قوم الجملان، ومثلها تشقق بسهولة. كسر السير چورا الوحل الجاف بخنجره وحرر منه اللحم وقشر أوراق التين واحدة واحدة، لتصاعد رائحة كريهة حلوة في آن واحد من الجرح بكثافة كادت تخنقها. كانت الأوراق قد اكتست بقشرة من الدماء والقيح وصدر دروجو أسود لامعاً بالعفن.



- «لا»، همست داني والدُموع تسيل على وجهها. «لا، أرجوكِ أيتها الآلهة، لا».

تلوى غال دروجو في مكانه مُقاوَمًا خصمًا غير مرئي، وسأل الدَّم الأسود الثَّخين ببطءٍ من الجرح المفتوح.  
- «الغال في عداد الموتى أيتها الأميرة».

- «لا، لا يُمكنه أن يموت، لا ينبغي أن يموت، إنه مجرد جرح»، قالت داني ملهوفةً والتقطت يده الكبيرة بيديها الصَّغيرتين وأطبقت عليها. «لن أتركه يموت».

أطلق السير چورا ضحكةً مريرةً وقال: «غاليسي أو ملكة، فليس لك سلطان على الحياة والموت. وفري دموعك يا بُنتي، ابكي عليه غداً أو بعد عام، فليس لدينا وقت للحزن الآن. يجب أن نُغادر وبسرعة قبل أن يموت».

حائرةً قالت داني: «نُغادر؟ نُغادر إلى أين؟».

- «إلى آشاي في رأيي. إنها تقع في أقصى الجنوب عند حدود العالم المعروف، لكنهم يقولون إنها ميناء عظيم. سنجد سفينةً هناك نُعيدنا إلى پنتوس. يجب أن تعرفي أنها ستكون رحلةً شاقَّةً. هل تثقين برجال غاسك؟ هل سيأتون معنا؟».

أجابَت بتردُّد: «لقد أمرهم غال دروجو بالحفاظ على سلامتي، لكن إذا مات...»، ومست بطنها المتنفخة وقالت: «لا أفهم. لماذا ينبغي أن أهرب؟ إنني الغاليسي وأحملُ وريث دروجو الذي سيصير الغال من بعده».

قطب السير چورا جبينه وقال: «اسمعيني أيتها الأميرة، الدوثرافي لن يتبعوا طفلاً رضيعاً، فقوة دروجو لا سواها هي ما أخضعهم، وعندما يموت سيتقاتل جهاكو وپونو وبقية الكوّهات على مكانه، وسيلتهم هذا الكالاسار نفسه. الرَّابح لن يرغب في وجود المزيد من المُنافسين، وسينتزع الرضيع من بين يديك لحظة أن يولّد ويُلقَى به للكلاب».

احتضنت داني نفسها وقالت مذهولة: «لكن لماذا؟ لماذا يقتلون طفلاً؟».

- «إنه ابن دروجو، والحيزونات قلن في نبوءتهن إنه الجواد الذي يمتطي العالم. خيرٌ لهم أن يقتلوه طفلاً على أن يُخاطروا بمواجهة غضبه عندما يكبر».

ركل طفلها في داخلها كأنه سمع، وتذكرت داني القصة التي حكاها لها فسيرس عمًا فعله كلاب المُغتصب بطفلي ريجار. كان ابنه رضيعًا كذلك، لكنهم انتزعوه من بين يدي أمه وهشموا رأسه على جدار. هذا هو ديدن الرجال. صاحت: «لن يمسوا ابني! سأمرُّ غاسي بحراسته، وخيالة دم دروجو سوف...».

وضع السير چورا يديه على كتفيها قائلاً: «خيال الدَّم يموت مع كاله وأنت تعرفين هذا يا بُنيتي. سيأخذونك إلى فايس دوثراك، إلى الحيزونات، وهذا هو آخر واجب يُدينون له به في الحياة، وعندما يقومون به سينضمُّون إلى دروجو في أراضي الليل».

لم تكن داني تُريد أن تعود إلى فايس دوثراك وتقضي ما تبقى من حياتها بين أولئك العجائز الشَّمطاوات، وإن عرفت أن الفارس يقول الحقيقة. كان دروجو أكثر من شمسها ونجومها، كان الدرع التي تقيها وتُحافظ على سلامتها. «لن أتركه»، قالت بعنادٍ بائس وهي تُمسك يده من جديد. «لن أتركه».

جعلت الحركة عند باب الخيمة داني تُدير رأسها، ودخلت ميري ماز دور منحنية وقد أصابتها أيام المشي وراء الغالاسار بالهزال وجعلتها تُعرج على قدمين متقرحتين دامتيتين، ومن ورائها دخل كوثو وهاجو حاملين صندوقها بينهما، وعندما أبصر خيالاً الدَّم جرح دروجو انزلق الصندوق من أصابع هاجو وسقط على الأرض وأطلق كوثو سبة شديدة البذاءة.

تطلّعت ميري ماز دور إلى دروجو بملاح جامدة، وقالت: «لقد تعفّن الجرح».

قال كوثو: «هذا من صنْعِك أيتها المايجي»، وهوى هاجو على جانب وجهها بلكمة أودعها كلّ قوّته لئسّقطها أرضاً، ثم جعل يركّلها. صرّخت داني: «كفى!».

سحب كوثو هاجو بعيداً عنها قائلاً: «الرّكلات رحمة للمايجي. خذها إلى الخارج. ستقيّدها إلى الأرض لتكون مطيّة لكلّ رجل يمرّ، وعندما يفرغون منها سيأتي دور الكلاب. ستمزّق بنات عرس أمعاءها وتلتهم الغربان عينيها ويضع ذباب النّهر بيضه في رَحِمها ويشرب القيح من بقايا نديها»، وغرس أصابعه الحديدية في اللّحم الطّري تحت إبط الكاهنة وسحبها إلى قدميها.

قالت داني: «لا، لن أسمح بإيذائها».

افترقت شفتا كوثو لتكشفاً عن أسنانه البنية المعوّجة في ابتسامة ساخرة مخيفة، وقال: «لا؟ تقولين لي لا؟ خير لك أن تُصلّي ألا تُقيّدك إلى الأرض إلى جوارها، فأنت مسؤولة عن هذا مثلها تماماً».

تقدّم السير جورا ليقف بينهما صاحباً سيفه الطّويل من غمده بعض الشّيء، وقال: «احفظ لسانك يا خيال الدّم، فالأميرة لا تزال الغاليسي».

- «فقط ودم دمي لا يزال على قيد الحياة، أمّا بعد هذا فهي لا شيء».

شعرت داني بأحشائها تتقلّص، وقالت: «قبل أن أكون الغاليسي كنتُ سليلة التّنين. سير جورا، استدع رجال الغاس».

- «كلا»، قال كوثو. «سوف نذهب، الآن على الأقل يا... يا غاليسي»، وخرج وتبعه هاجو إلى خارج الخيمة مُحمّلاً فيها.

قال مورمونت: «إنه لا يُضمر لك أيّ خير أيتها الأميرة. الدوثرافي يقولون إن الرّجل وخيال دمه يتقاسمان حياة واحدة، وكوثو يرى هذه الحياة تنتهي. الرّجل الميت لا يخاف شيئاً».

- «لم يُمِتْ أَحَدٌ بَعْدَ»، قالت داني. «قد أحتاجُ سيفك يا سير چورا. من الأفضل أن تذهب وترتدي دِرْعك». كانت خائفةً أكثر مما تجرؤ على الاعتراف، حتى لنفسها.

انحنى الفارس قائلاً: «كما تأمرين»، وغادرَ الخيمة بخطواتٍ واسعة. التفتت داني إلى ميري ماز دور لتجدها ترمقها بنظراتٍ حذرةٍ وتقول: «إذن فقد أنقذتيني مرّتين».

- «والآن يجب أن تُنفِذه، أرجوك!».

ردّت ميري بحدة: «لا تَطْلُبِي شيئاً من الأمّة، بل مُريها وستُلَبِّي الأمر»، واتّجهت نحو دروجو المحترق على الحصيرة وتطلّعت إلى الجرح طويلاً، ثم قالت: «سألتِ أو أمرتِ، لا فارق. لقد تجاوزَ الأمر مهارات المُداوين». كانت عينا الكال مغلقتين، ففتحت واحدةً بأصابعها وغمغمّت: «هل كان يُخَفِّف الألم بحليب الخشخاش؟».

- «نعم».

- «لقد صنعتُ له كمادةً من الفلفل الحَرِيف والعُشب السَّائِك ورطبها بجِلْد الحِمْلان».

- «قال إنها تُحرِّقُه ومزَّقها. المُداويات صنعنَ له واحدةً أخرى رطبةً ومريحةً».

- «إنها تُحْرِق، نعم، فشَمّة سحر شافٍ عظيم في النَّار، وحتى رجالكم المخصَّيون يعرفون هذا».

قالت داني متوسّلةً: «اصنعي له واحدةً أخرى، وهذه المرّة سأؤكد من أنه سيحتفظ بها».

قالت ميري: «أوان هذا فات يا سيّدتي. كلُّ ما بوسعي الآن هو أن أسهّل الطَّريقَ المَظْلَم الذي يُقْبَلُ عليه كي يركب إلى أراضِي اللَّيْلِ بلا ألم. سيكون قد رحَلَ مع مجيء صباح الغد».

كلماتها كانت سَكِيناً في صدر داني. ما الذي فعلته في حياتها لتجعل

الآلهة تغضب عليها لهذه الدرجة؟ لقد وجدت مكانًا آمنًا أخيرًا، وأخيرًا تدوّقت الحب والأمل، وفي طريقها للعودة إلى الديار... والآن ستفقد كلّ هذا. «لا»، قالت بضراعة. «أنقذيه وساعتقك، أقسم لك. لا بدّ أن لديك وسيلة، سحرًا ما أو...».

جلست ميري ماز دور على كعبيها وتطلّعت إلى دنيرس بعينين بسواد الليل، وأخيرًا قالت بنبرة هامسة: «ثمّة تعويذة، لكنها صعبة يا سيّدتي ومظلمة، وستجدّين من يقول إن الموت أنظف. لقد تعلّمتها في آشاي ودفعت الثمن باهظًا. كان معلّمي ساحر دم من بلاد الظلّ». شعرت داني بالبرودة تكتنف جسدها كله، وقالت: «إذن فأنت مايجي حقًا».

ابتسمت ميري ماز دور قائلة: «أنا كذلك؟ حسنٌ، لكن لا أحد غير المايجي يستطيع إنقاذ خيالك الآن يا سيّدتي الفضّيّة». - «ألا يوجد سبيل آخر؟». - «لا سبيل آخر».

أطلق غال دروجو شهقة ألم في هذه اللحظة وانتفض جسده، فاندفعت داني تقول: «افعلها، أنقذيه». لا يجب أن تستسلم للخوف الآن. إنها من دم الثنّين.

قالت الكاهنة محدّرة: «هناك ثمن». - «ستألين كلّ ما ترغبين فيه من الذهب والخيول». - «إنها ليست مسألة ذهب أو خيول. هذا سحر دموي، أي أن ثمن الحياة هو الموت وحده».

- «الموت؟». ضمت داني نفسها بذراعيها وتأرجحت إلى الأمام والوراء على كعبيها. «موتي؟». قالت لنفسها إنها ستموت من أجله إذا اقتضى الأمر. إنها من دم الثنّين ولن تخاف، وقد مات أخوها ريجار من أجل المرأة التي أحبّها.

أجابَت ميري ماز دور: «لا، ليس موتكِ يا گاليسي».   
ارتجفت داني راحةً وقالت: «افعلِها إذن».   
أومأت المايجي برأسها برصانةٍ وردَّت: «سأفعلُ ما تأمرين. استدعي   
خدمك».

تلوَّى گال دروجو بضَعْفٍ بين أيدي راگارو وكوارو وهما يضعانه   
في مياه الحَمَّام وتمتَم: «لا، لا، يجب أن أركب»، لكن بدا أن قواه كلها   
خارت تمامًا بمجرد أن أصبحَ في الماء.

- «أحضروا حصانه»، قالت ميري ماز دور ففعلوا. قادَ جوجو الفحل   
الأحمر الضَّخْم إلى داخل الخيمة، وعندما شَمَّ الحيوان رائحة الموت   
صرخَ وتراجعَ، وتطلَّب الأمر ثلاثة رجالٍ لإخضاعه.   
سألتهَا داني: «ماذا ستفعلين؟».

أجابتهَا ميري: «نحتاج الدَّم. تلك هي الوسيلة».   
تراجعَ جوجو بضع خطواتٍ إلى الوراء وبده على أراخه. كان شابًا   
في السَّادسة عشر، نحيلًا للغاية شديد الشَّجاعة سريع الضَّحك، وفوق   
شفته العليا ظهرَ الظِّل الخفيف لشاربه الذي ينمو للمرَّة الأولى. هوى   
على رُكبتيه أمامها وقال متوسِّلًا: «گاليسي، لا تفعلِي هذا أرجوك، دعيني   
أقتل المايجي».

- «اقتلها وستقتلُ گالك».

- «هذا سحر دموي، إنه محرَّم».

- «أنا الگاليسي وأقولُ إنه غير محرَّم. في فايس دوثراك قتلَ گال   
دروجو فحلًا وأكلتُ قلبه لأمْنَح ابنا القوَّة والشَّجاعة. هذا مِثْل ذاك   
بالضَّبْط».

ركَّلَ الفحل الأحمر الهواء وحاولَ التَّراجع بينما سحبَه راگارو   
وكوارو وآجو بالقرب من حوض الاستحمام حيث طفا الگال كمن   
مات بالفعل، والقيح والدَّم يَنزَآن من جرحه ليلبَّوْثا المياه. رثمت ميري

ماز دور كلمات ما بلغه تجهلها داني وظهر في يدها سكين يتخذ شكل ورقة شجرة لا تدري داني من أين أتت به، وقد بدا قديماً مصنوعاً من البرونز الأحمر المدقوق وثُقِّست على نصله حروف بأبجدية عتيقة. سحبته المايجي عبر حلق الفحل تحت الرأس النبيل، وصرخ الحيوان وارتعش بعنف والدِّماء تتدفق منه في شلالٍ أحمر، وكان ليتهاوى أرضاً لولا أن رجال الكاس ثبتوه في مكانه. «يا قوة المطية، انتقلي إلى الخيال»، أنشدت ميري ودم الحصان يمتزج بالمياه حول دروجو. «يا قوة الحيوان، انتقلي إلى الإنسان».

بدا جوجو مرعوباً وهو يكافح لاحتمال ثقل الحصان، خائفاً من أن يمس اللحم الميت وخائفاً من التخلي عنه كذلك. قالت داني لنفسها: مجرد حصان. إذا كان ثمن حياة دروجو موت حصان، فيسعدنا أن تدفعه ألف مرة.

عندما تركوا الحصان يسقط أخيراً كانت المياه قد اصطبغت بلونٍ أحمر قاتم ولم يعد ظاهراً من دروجو غير وجهه، أمّا جثة الحصان فلم تكن ميري ماز دور في حاجة إليها، فقالت لهم داني: «أحرقوها». كانت تعرف أن هذا ما يفعله الدوثرافي، فعندما يموت الرجل يقتل حصانه ويوضع أسفله في محرقة الجنازة كي يحمله إلى أراضي الليل، وهكذا جرّ رجال الكاس الجثة إلى خارج الخيمة. رأت الدّم وقد تناثر في كل مكان، وحتى الحوائط المصنوعة من الحرير الرّملي تلطّخت بالأحمر، بينما اسودّت البُسُط تحت الأقدام وابتلت.

ألقت ميري ماز دور مسحوقاً أحمر في المُستوقد المشتعل ليتصاعد منه دُخان ذو رائحة عطرة لاذعة، لكنها جعلت إيرو تفرّ من الخيمة باكية. عادت داني تمتلئ خوفاً، لكنها كانت قد تماردت بما لا يسمح بالعودة الآن، وعندما صرقت وصيفاتها قالت لها ميري: «اذهبي معهن يا سيّدتني الفضية».

قالت داني بعناد: «سأبقى. هذا الرَّجل أخذني تحت النُّجوم ومنَحَ الحياةَ للطفَّل الذي ينمو في داخلي، ولن أتركه».

- «لا بُدَّ أن تذهبي. بمجرد أن أشرع في الإنشاد لا ينبغي أن يدُخِلَ أيُّ أحدٍ إلى الخيمة، فأنشودتي ستوقظ قوى قديمةً مظلمةً. سيرْقُص الموتى هنا اللَّيلة، ولا ينبغي أن يقع بصر حيٍّ عليهم».

خفِضَت داني رأسها بِقِلَّةِ حيلةٍ وقالت: «لن يدُخِلَ أحدٌ»، ومالَت فوق الحوض وفوق دروجو في حَمَامَةِ الدَّموي ولثَمَتِه على جبهته، ثم همست لميري ماز دور قبل أن تُغادر مسرعةً: «أعيديه لي».

في الخارج كانت الشَّمس قد انخفِضَت في الأفق واتَّسحت السَّماء بلون الكدمات الأحمر، ورأت داني أن الكالاسار قد نصب مخيمه فتوزَّعت الخيام وحصائر النَّوم في كُلِّ مكانٍ على مدى البصر، بينما بدأت رياح ساخنة في الهبوب. كان چوجو وآجو يحفُران حُفرة نارٍ لِيُحْرِقَا جِثَّةَ الفحل، بينما تجمَّع عدد كبير من الآخرين لِيُحَدِّثُوا في داني بعيونٍ سوداء قاسيةٍ في وجوه كَأَقْنَعَةٍ من النُّحاس المطروق، ولمَحَت السير چورا مورمونت وقد ارتدى المعدن والجِلْد وسالَّ العرق على رأسه الكبير الذي بدأ الصَّلَع يزحف عليه. شَقَّ الفارس طريقه بين الدوثرافي المحتشدين ليقف إلى جوارها، ولمَّا رأى آثار الأقدام القرمزية التي تركها حذاؤها على الأرض امتنعَ وجهه وقال بصوتٍ مبجوح: «ماذا فعلتِ أيتها الحمقاء؟».

- «كان يجب أن أنقذه».

- «كان يُمكننا أن نفرَّ. كنْتُ لأصحبكِ بأمانٍ إلى آشاي أيتها الأميرة،

ولم تكن هناك حاجة إلى...».

قاطعتَه: «هل أنا أميرتك حقًّا؟».

- «تعرفين أنكِ كذلك، ولتكن الآلهة في عوننا معًا».

- «ساعدني الآن إذن».



- «ليتني أعرفُ كيف».

تحوّل صوت ميري ماز دور إلى عواءٍ عالٍ أشبه بالولولة جمّد الدماء في عروق داني فبدأ بعض الدوثرافي يتعدون مُهمّهمين، بينما توهّجت الخيمة بضوء المُستوقّد القادم من داخلها، ومن خلال الحرير الملطّخ بالدماء أبصرت داني ظلالاً تتحرّك.

كانت ميري ماز دور تُرقّص، ولم تكن وحدها.

رأت داني الخوف الخالص على وجوه الدوثرافي، وهدرَ كُوثو: «هذا لا يُمكن أن يكون».

لم تكن قد رأت خيَال الدّم يعود ومعه هاجو وكهولو وقد جاءوا بالرّجال الحليقيين، المخصّصين الذين يُعالجون بالسكّين والإبرة والنّار. ردّت داني: «بل سيكون».

زمجرَ هاجو: «مايجي!»، أمّا كهولو العجوز -كهولو الذي ربطَ حياته بحياة دروجو يوم ميلاده، كهولو الذي تعاملَ دائماً معها بمتهى اللّطف- فقد بصقَ في وجهها، وقال كُوثو: «ستموتين أيتها المايجي، لكن الأخرى ستموت أولاً»، وسحبَ أراخه واتّجه إلى الخيمة.

صاحت: «لا، لا تقترب منها!»، ووضعت يدها على كتفه، إلّا أنه دفعها جانباً لتسقط داني على رُكبتها عاقدة ذراعيها حول بطنها لتحمي طفلها، وصاحت في رجال الكّاس: «أوقفوه، اقتلوه!».

كان راگارو وكوارو واقفين على باب الخيمة، وتقدّم كوارو وهو يمدُّ يده إلى مقبض سوطه، لكن كُوثو دار برشاقة راقصٍ رافعاً الأراخ وهوى به ليصيب كوارو تحت ذراعه وينغرس الفولاذ في الجلد والعضلات والضّلوع ويتناثر الدّم بينما سقط الخيَال الشاب شاهقاً من الألم.

حرّر كُوثو الأراخ وعادَ يرفعه، فصاح السير چورا مورمونت مُنادياً عليه وقد استلّ سيفه الطويل: «جربني أنا يا خيَال الدّم».

دارَ كُوارو مُطْلَقًا سُبَّةً ومعه دارَ الأراخ بمنتهى السَّرعَة لِتَطاير دم كُوارو منه كَرذاذ المَطر الخَفيف في الرِّيح السَّاخنة، قَبل أن يَصُدَّهُ السَّيف الطَّويل على مِسا فة قَدم من وَجِه السَّير چورا وَيُثَبِّتَه في مَكانه مَر تَعَدَّا بَينما أَطْلَق كُوثو عَواءَ سَاخِطًا. كان الفارس يَرتدي دِرعه كامِلَةً، لَكن لَم يُفَكِّر في وَضَع خوذَتَه على رَأْسِه.

وَنَبَّ كُوثو إلى الِوراء والأراخ يَدور حَول رَأْسِه كَسَحابَةٍ من الضُّباب اللَّامع ويومض كالبرق بَينما انقَضَّ الفارس. اسْتَغَلَ السَّير چورا مَهارَتَه لِتَفادى الضُّرَبات، لَكنها هَوَّتَ عَلَيه بِسَرعَةٍ جَعَلَت كُوثو يَبدو لَداني كَأَنه يَحْمِل أربَعة أراخات بأربَعةٍ من الأذْراع، وَسَمِعَت ارتِطام السَّيف بالمَعدن ورَأَت السَّراوات تَطاير والنَّصل المَقوَّس الطَّويل يَضرب قُفَّاز الفارس الواقِي. وفَجأةً كان مورمونت هو من يَتراجع مَتَعَثِّراً وَكُوثو يَثب في هَجمَةٍ جَديدة، وسالَ الدَّم على جَانب وَجِه الفارس الأيسر بَينما لَاحَ شِقُّ في وَرَكِه من تَحَت الحَلقات المَعدنيَّة جَعَله يَعرُج. انهالَ كُوثو عَلَيه بالسَّباب ناعِثاً إِياهُ بأنَّه جَبان رَعيد، خَصى في بَذلَةٍ من الحَديد، «والآن سَتموت»، قال بِظَفر والأراخ يَلَمع في نور العَسق. شَعَرَت داني بِالطَّفل يَركُل في داخِلها بِضراوة، وَتَفادى النَّصل المَقوَّس الآخِر المَستقيم لِينغرس بِعُمقٍ في وَرَكِ الفارس حَيت انشَقَّ الواقِي المَعدني. تَأَوَّه مورمونت وَتَعَثَّر، وشَعَرَت داني بِالْم حادٍّ في بَطنها وَيلل على فَخذيها، وَأَطْلَق كُوثو صَرَخَةً انْتِصاراً، لَكنه أدركَ مَتاخَراً جَداً أن أراخَه قَد انغرسَ لَجزءٍ من الثَّانية في العَظام...

... وَكان هَذا كافِياً. هوى السَّير چورا بِسيفه الطَّويل بِكُلِّ ما تَبَقَّى لَدِيه من قُوَّةٍ باتِّرا اللَّحْم والمُضلات والعَظام، وَتَدَلَّى ساعِد كُوثو مَعلَقاً بِخِيطٍ رَفيعٍ من الجِلد والأوتار، قَبل أن تَهوي ضَربة الفارس الثَّالِية على أذنِ الفارس بِمَنتهى العُنف حَتى أن وَجِه خِيالَ الدَّم بدا كَأَنه انفَجَرَ.

كان الدُّوثر اكي يَضحون، وَفي داخِل الخِيمة ميري ما ز دور تُولُول بِصوتٍ لا يَمُتُ بِصِلَةٍ لِلبَشَر، وَكُوارو يَتوسَّل طالِباً المَاء وَهو يَحْتَضِر.

رفعت داني صوتها طالبة النجدة لكن أحدا لم يجبها. كان راگارو يُقاتل هاجو والأراخ يرقص مع الأراخ حتى طقطق سوط چوجو بصوت كالرعد والتف حول عنق هاجو، فجذبه چوجو بقوة ليتعثر الدّم الثاني فاقدا توازنه وسلاحه. لم يُمهله راگارو، واندفع صارخا وهوى بالأراخ بكلتا يديه على رأس هاجو لينغرس رأسه بين عينيه. ألقي أحدهم حجرا، وعندما نظرت داني وجدت كتفها جريحة دامية، وقالت متحبة: «لا، أرجوكم، توقّفوا، الثمن باهظ للغاية، باهظ للغاية»، لكن المزيد من الأحجار حلق في الهواء وسقط حولها. حاولت أن تزحف صوب الخيمة، لكن كهولو أمسكها ودفن أصابعه في شعرها وجذب رأسها إلى الوراء وشعرت بلمسة سكينه الباردة على خلعها. صرخت: «طفلي!»، ولعل الآلهة سمعتها هذه المرّة، ففي غمضة عين سقط خيال الدّم الثالث ميتا وقد اخترق سهم أجو ذراعه من أسفل لينفذ في رتيه وقلبه.

عندما وجدت دنيرس القوّة لترفع رأسها أخيرا وجدت الجموع تتفرّق والدوثرافي يتراجعون بصمت إلى الخيام وحصائر النوم، وبعضهم يمتطي الخيول ويتعد. كانت الشمس قد غربت واشتعلت النار في الحُفر في أنحاء الكالاسار. حاولت أن تنهض لكن الألم استولى عليها واعتصرها بقبضة عملاقة، وشعرت بأنفاسها تنكتم حتى أنها بذلت كلّ ما لديها من قوّة لمجرد اللّهاث. كان صوت ميري ماز دور كترنيمه جنازتيّة، وفي داخل الخيمة دارت الظلال كدّوامة.

شعرت بذراع توضع تحت خصرها ثم رأت السير چورا يرفعها وقد أغرقت الدّماء اللزجة وجهه وطار نصف أذنه. نشج جسدها بين ذراعيه والألم يستولي عليها ثانية، وسمعت الفارس يُنادي على وصفاتها ليُساعده. أكلهم خائفون لهذه الدّرجة؟ كانت تعرف الإجابة، وعضت شفيتها كاتمة صرخة وموجة جديدة من الألم تعجتها كأن ابنها يحمل سكينًا في كلّ يد ويهوي بالاثنين على بطنها من الداخل ليُشق طريقه إلى

الخارج. صاح السير چورا بصوتٍ هادر: «دوريا، تعالي هنا عليكِ اللعنة، أحضري القابلات».

- «يرفضنّ المجيء، يقلنّ إنها ملعونة».

- «سيجننّ وألاً قطعنّ رؤوسهنّ».

ردّت دوريا باكيةً: «لقد فررنّ يا سيّدي».

- «المايجي»، قال أحدهم... أهو آجو؟ «خُذها إلى المايجي».

أرادت داني المتصبّبة عرقاً أن تقول لا، أرادت أن تُناشده ألا يأخذها إليها، لكن كلّ ما أفلتت من فمها عندما فتحته كان صرخة ألم طويلة. ماذا بهم؟ ألا يرون؟ في داخل الخيمة كانت الأشباح ترقص وتدور حول المُستوفد والحمّام الدّامي، كلها يبدو أسودّ من وراء الحرير وبعضها لا يبدو بشريّاً. لمحت ظلّ ذئبٍ عظيم وآخر كرجلٍ يتلوّى وقد اشتعل فيه اللّهب.

قالت إيربي: «امرأة الحملان قالت إنها تعرف أسرار الولادة. سمعتها تقول هذا».

وقالت دوريا: «نعم، أنا أيضًا سمعتها».

لا، صرخت داني، أو لعلّها فكّرت في الكلمة فقط لأن صوتاً لم يُغادر شفّتها. فتحت عينيها لترى السّماء الميتة فوقها، سوداء كثيفة بلا نجوم. أرجوكم، لا. ارفع صوت ميربي ماز دور أكثر وأكثر حتى ملأ العالم من حولها، وفي أعماقها صرخت: الأشباح! الظلال الرّاقصة! ودخل السير چورا بها إلى الخيمة.



## آريا

رائحة الخُبز الساخن القادمة من المحال الممتدة بطول شارع الدقيق كانت أزكى من أيّ عطرٍ استنشَقته آريا في حياتها علي الإطلاق. التقطت نفساً عميقاً واقتربت أكثر من الحمامة السمينة المرقطة بالبُني المشغلة بالقضم من كسرة خُبز سقطت بين اثنين من حجارة الرصف، لكنها حلقت في الهواء بمجرد أن مسّها ظلُّ آريا... وصفر سيف التدريب الخشبي وهو يَشُقُّ الهواء ليضرب الحمامة على ارتفاع قدمين من الأرض، فسقطت وسط فوضى من الريش البُني، وبسرعة البرق اندفعت آريا نحوها مُمسِكةً بأحد الجناحين والحمامة تضرب بجناحها الآخر وتُنقِرُ يدها، قبل أن تُطبق آريا على عُنقها وتلويه حتى شعرت بالعظام تنكسر بين أصابعها. مُقارَنةً بالإمساك بالقِطط، كان صيد الحمام سهلاً للغاية.

نظرَ لها سبتون مارٌّ باستنكار، فقالت له وهي تنفض الريش عن نفسها وتلتقط سيفها الخشبي: «هنا أفضل مكان للعثور على الحمام، دائماً ما يأتي من أجل الفُتات»، وهُرِعَ الرَّجل مبتعداً.

ربطت الحمامة في حزامها وبدأت تقطع الشارع، حيث كان رجل يدفع عربة يد ذات عجلتين عليها حمولة من الكعكات الصغيرة تغني الروائح المنبعثة منها بالتوت الأزرق والليمون والمشمش، ما جعل بطنها يصدر صوتاً نَمَّ عن جوعها الشديد، وسمعت نفسها تقول: «هل يُمكن أن آخذ واحدة؟ بالليمون... أو أيّ نوع آخر».

رمقها الرجل من أعلى إلى أسفل، وقال ومن الواضح أن ما رآه لم يرق له: «ثلاث قطع نحاسية».

نقرت آريا بالسيف الخشبي على جانب حذائها، وقالت: «سأبادلك إياها بهذه الحمامة السمينة».

- «فليأخذ "الآخرون" حمامتك!».

كانت الكعكات لا تزال دافئة وقد خرجت لتوها من الفرن، والروائح تسيل لعابها حقاً، لكن آريا لم تكن تملك ثلاث قطع نحاسية، ولا قطعة واحدة حتى. تطلعت إلى الرجل متذكّرة ما علّمها سيريو إياه عن الرؤية، فوجدته قصير القامة ذا بطن صغير مستدير، ويبدو عندما يتحرك أنه يتكئ على ساقه اليسرى أكثر. كانت تفكر أنها إذا اختطفّت كعكة من على العربة وولّت الأدبار فلن يستطيع اللّحاق بها أبداً، عندما قال لها بخشونة: «إياك أن تمدّي يديك القذرتين. ذوو المعاطف الذهبية يعرفون كيف يتعاملون مع جرذان المجاري اللصوص، هذا عملهم».

ألقت آريا نظرة حذرة وراءها لترى اثنين من رجال حرس المدينة يقفان عند مدخل زقاق. كان كلُّ منهما يرتدي قميصاً من الحلقات المعدنية وحذاءً وقفازين من اللون الأسود تحت معطفٍ يكاد يkens الأرض من فرط طوله، منسوج من الصوف الثقيل المصبوغ بلونٍ ذهبيٍّ غني، وأحدهما يعلّق سيفاً طويلاً في حزامه والآخر يحمل هراوة من الحديد. بنظرة حزينة أخيرة إلى الكعكات تراجع آريا بعيداً عن العربة وأسرعت مبتعدة. لم يكن ذوو المعاطف الذهبية يُعيرونها انتباهاً خاصاً، لكن مجرد منظرهم كان يُشعرها بالغثيان، وقد واطبت آريا على أن تكون على أبعد مسافة ممكنة من القلعة، لكن حتى من هنا كان باستطاعتها أن ترى الرؤوس تتعفن على الأسوار الحمراء العالية، بينما تتعارك أسراب غفيرة من الغربان حول كلِّ رأس. كان الكلام الدائر في منطقة جُحر البراغيث يقول إن ذوي المعاطف الذهبية تحالفوا مع آل لانستر، ورفّع

قائدهم إلى مرتبة لورد ومُنِحَ أراضي على نهر الثالث ومقعدًا في مجلس الملك.

وسمعت آريا أشياء أخرى، أشياء مخيفة، أشياء وجدتْها غير منطقية على الإطلاق. قال بعضهم إن أباه قتلَ الملك روبرت فقتله اللورد رنلي بالتالي، بينما أصرَّ البعض على أن رنلي هو من قتلَ الملك في شجار بين الأخوين الثملين، ولأ فلماذا هربَ من المدينة في جوف الليل كاللصوص؟ جاء في رواية أن الملك مات وهو يصطاد خنزيرًا برًّا في الغابة، وفي أخرى أنه اصطادَ الخنزير بالفعل ومات وهو يلتهمه وقد أتخَمَ نفسه بالأكل حتى انفتقَ بطنه وهو جالس إلى المائدة. لا، لقد ماتَ الملك على المائدة بالفعل، لكن لأن فارس العنكبوت دَسَّ له السُّمَّ في طعامه. لا، الملكة هي التي سَمَّمته. لا، الملك ماتَ بداء الزُّهري. لا، لقد احتبست عظمة سمكة في حلقه فاختنقَ.

الشيء الوحيد الذي اتَّفَقَ عليه الجميع هو موت الملك روبرت، وليوم وليلة دَقَّتَ الأجراس في أبراج سِبت بيلور الكبير السبعة ليتدفَّقَ صوتها الحزين الهادر في أرجاء المدينة كموجة من البرونز، وعرفت آريا من صبيِّ دَبَاغ أن الأجراس لا تَدُقُّ هكذا إلا في حالة موت الملك.

كُلُّ ما أرادتْهُ هو العودة إلى الدِّيار، لكن مُغَادَرة كينجز لاندينج لم تكن بالبساطة التي تمتَّتها، فالكلام عن الحرب على كُلِّ لسان، وذوو المعاطف الذَّهبيَّة منتشرون على أسوار المدينة بكثافة كالبراغيث في... في ثيابها هي على سبيل المثال. كانت طوال هذه الفترة تنام في جُحر البراغيث، على أسطح المنازل وفي الاسطبلات وأيِّ مكانٍ آخر يَصْلُح لأن تغفو فيه، ولم تستغرق وقتًا طويلًا حتى أدركت أن المنطقة اسمٌ على مسمًى فعلاً.

منذ فرارها من القلعة الحمراء وآريا تتفَقَّد واحدةً من بوابات المدينة السَّبع كُلِّ يوم. بوابة التَّيْن وبوابة الأسد والبوابة القديمة كانت كلها مُغلَّقة

وموصدة، بينما كانت بؤابة الطّمي وبؤابة الآلهة مفتوحتين، وإنما لمن يرغبون في دخول المدينة فقط، فالحرّاس لا يسمحون لأحد بالخروج إطلاقاً. المسموح لهم بالخروج يُغادرون من بؤابة المَلِك أو البؤابة الحديدية، لكن رجال لانستر كانوا يحرسون هاتين البؤابتين وقد ارتدوا معاطفهم القرمزية وخوذاتهم ذات ريشة الأسد، وعندما راقبتهم آريا من فوق سطح خانٍ عند بؤابة المَلِك، رأتهم يُفتشون العربات والمركبات ويُجبرون الرّاكبين على فتح حقائبهم ويستجوبون كلّ من يُحاول الخروج سيراً على الأقدام.

خطر لها أحياناً أن تُجرب المغادرة سباحةً، لكن النّهر الأسود كان واسعاً عميقاً، والكلُّ يتفقون على أن مجراه غادر وخطير، وبالنسبة لاستتجار معدية تأخذها إلى واحدة من الشّفن، فهي لم تكن تملك أيّ مالٍ تدفعه.

علّمها اللورد إدارد ألا تسرق أبداً، لكنها مع الوقت وجدت صعوبة أكثر وأكثر في تذكر السّبب. إذا لم تستطع الخروج من المدينة قريباً، فعليها أن تُغامر بالانسلال من بين أيدي ذوي المعاطف الذهبية دون أن يلاحظوها. لم تكن تُعاني من الجوع كثيراً منذ تعلّمت صيد الحمام بسيفها الخشبي، لكنها سئمت من أنها لا تأكل غيرها حتى بدأت تُصيبها بالغثيان، خصوصاً أنها التهمت بعضها نيئاً في البداية قبل أن تصل إلى جُحر البراغيث.

في المنطقة ثمة محال أكل في كلّ زقاقٍ فيها قدور ضخمة من البيخنة التي تغلي على نارٍ هادئة منذ سنوات، وهناك يُمكنك أن تُبادل نصف الطائر الذي اصطدته برغيفٍ من الخُبز البائت و"وعاءٍ من البُنّي" - كما يُطلقون على البيخنة - بالإضافة إلى أنهم يضعون نصف الطائر الآخر على النّار ويشوونه لك طالما نظّفته من الرّيش بنفسك. كانت آريا لتدفع أيّ ثمنٍ مقابل كوبٍ من الحليب وكعكة ليمون، لكن البيخنة البُنّية لم تكن



بهذا السوء، فعادةً ما تحتوي على الشَّعير مع قِطْع من الجزر والبصل واللَّفت، وأحياناً التُّفَّاح، بينما تطفو طبقة من الدُّهْن على الوجه. كلما تناولتها آريا كانت تُحاول ألا تُفَكِّر في نوع اللَّحْم المُستخدَم، بالذَّات بعد المرَّة التي وجدت فيها قطعةً من السَّمَك تسبح في اليخنة.

المشكلة أن محال الأكل لا تخلو من المُرتادين أبداً، وحتى وهي تلتهم طعامها بمنتهى السَّريعة كالمسعودين كانت تُشعرُ بنظراتهم المُسلَّطة عليها. يُحدِّق بعضهم في حداثها أو معطفها فتعرف آريا في ما يُفَكِّرون، ويَرمُقها البعض الآخر بنظراتٍ مستريية تجعلها تحسُّ كأنهم يُجرِّدونَها من ثيابها ولا تعرف في ما يُفَكِّرون، وكان هذا يُخيفها أكثر؛ وحدث بضِع مرَّاتٍ أن تبعها أحدهم إلى الأزقة وطاردها، لكن حتى الآن لم يتمكَّن أحد من الإمساك بها.

السَّوار الفُضِّي الذي كانت تأمل في بيعه سُرقَ منها في أول ليلةٍ لها خارج القلعة، بالإضافة إلى حزمة ملابسها الثمينة. لا بُدَّ أن السَّارق سلَّبها إياهما وهي نائمة في بيتٍ محترقٍ يقع بالقرب من زقاق الخنازير. كلُّ ما تركه لها هو المعطف الذي تدرَّثت به وسُترتها الجِلْدِيَّة وسيف التدريب الخشبي... وإبرتها التي لولا أنها كانت نائمةً فوقها لكانوا قد أخذوها أيضاً. إن قيمة هذا السَّيف لديها أكبر من كلِّ أغراضها الأخرى مجتمعةً. منذ ذلك الحين تَعوَّدت آريا على المشي ومعطفها معلقٌ على ذراعها اليميني لِتُخفي به السَّيف المثبَّت بوركها، أمَّا السَّيف الخشبي فكانت تحمله بيدها اليسرى ليراه الجميع على أمل أن يُخيف اللُّصوص، لكن ثَمَّة رجال في محال الأكل لم يكونوا ليخافوا من محاولة الاعتداء عليها حتى لو كانت تحمل بِلْطَةً حربيَّةً، وكان هذا كافياً لأن يجعلها تفقد كلَّ رغبةٍ في أكل الحمام والخُبز البائت، ولهذا في أغلب الأحيان كانت تُفَضِّل أن تَخْلُد إلى النُّوم جائعةً على أن تُواجه نظراتهم.

بمجرَّد أن تَخْرُج من المدينة يُمكنها أن تجد توتاً تقطفه أو بستاناً

تسطو على بعضي مما فيه من ثُفَّاح وكرز، وهي تتذكَّر رؤية بعض البساتين بالفعل على طريق الملوك خلال الرحلة إلى الجنوب. ويُمكنها كذلك أن تُنْقَب عن الجذور الصالحة للأكل أو تصيد الأرناب، وهذا أفضل بالتأكيد مما يُمكن صيده في المدينة من جردان وقطط وكلاب هزيلة. كانت قد سمعت أن محال الأكل تُعطيك حفنة من القِطع النحاسية مقابل مجموعة من الجراء، لكنها منعت نفسها من التفكير في هذا.

أسفل شارع الدقيق كانت متاهة حقيقية من الأزقة المتداخلة والشوارع المتقاطعة، وتحركت آريا في الزحام مُحاولَةً أن تضع مسافة بينها وبين رجلي حرس المدينة. تعلّمت أن تمشي في منتصف الشارع، مع أنها تضطرُّ أحيانًا لتفادي العربات والخيول، وإن كنت تراها وهي قادمة على الأقل، بينما إذا مشيت بالقرب من المباني فثمة احتمال كبير أن يختطفك أحد، لكن على الرغم من هذا هناك أزقة لا يُمكنك أن تمشي فيها إلا وأنت تحتكُّ بالجدران بالفعل، فالمباني هناك تميل لتقترب من بعضها بعضًا بشدة حتى تكاد تتلامس.

مرّت بها شردمة من الأطفال الصّاحبين وقد أخذوا يصيحون وهم يُطارِدون طوقًا يتدحرج، ورمقتهم آريا بحسدٍ متذكِّرة المرات التي لعبت فيها بالأطواق مع بران وجون وريكون الصّغير، وهو ما جعلها تتساءل عن شكل ريكون الآن وقد كبرَ بعض الشيء، وإن كان بران حزينًا. كانت لتتخلّى عن أيّ شيء في هذه اللحظة مقابل أن تجد جون هنا ليُنَادِيها "أختي الصّغيرة" وينفخ شعرها كعادته... ليس لأن شعرها في حاجةٍ إلى من ينفشه، فقد رأت انعكاسها في البرك الموحلة على الأرض وخطر لها أنه يبدو في حالةٍ مزريةٍ بالفعل.

كانت قد حاولت أن تتكلّم مع الأطفال الذين تراهم في الشارع آملَةً أن تجد بينهم صديقًا يُمنحها مكانًا تنام فيه، لكن يبدو أنها تكلمت بطريقة خاطئة أو ما شابه، فالصّغار منهم رمقوها بنظراتٍ حذرةٍ ولاذوا بالفرار

إذا اقتربت منهم، أمّا إخوانهم وأخواتهم الكبار فقد ألقوا عليها أسئلة لم تجد لها إجابات وشتموها وحاولوا أن يسرقوا منها. بالأمس فقط دفعتها فتاة نحيلة حافية القدمين في ضعف عمرها وأسقطتها أرضاً وحاولت أن تخلع حذاءها قسراً، إلا أن آريا لطمتها على أذنها بسيفها الخشبي ففرت الفتاة وهي تبكي وتنزف.

حلّق نورس في الهواء فوقها وهي تشق طريقها إلى جُحر البراغيث في أسفل التلّ، ورمقته آريا مفكرة لكنها وجدت أنه أبعد من متناول سيفها. جعلها النورس تُفكر في البحر. لعلّ هذا هو سبيل الخروج من المدينة. كانت العجوز نان تحكي قصصاً عن الصبية الذين يتسلّلون إلى السفن التجارية فيبحرون إلى عالم واسع من المغامرات، فمن المحتمل إذن أن آريا تستطيع أن تفعل هذا بدورها. هكذا قرّرت أن تزور المرسى، فهو يقع في الطريق إلى بوابة الطمي على كلّ حال، وهي لم تكن قد تفقدتها اليوم بعد.

كاد قلبها يتوقّف في صدرها عندما رأت الحُرّاس على الرّصيف الثالث يرتدون المعاطف الصّوفيّة الرّماديّة المبطنّة بالحرير الأبيض، واغرورقت عيناها بالدموع إثر رؤية ألوان ويترفل من جديد. من ورائهم تمايلت في مرساها سفينة أنيقة ذات ثلاثة صفوف من المجاديف، لكن آريا لم تستطع قراءة الاسم المطلي على بدنّها لأن الكلمات كانت بلغة أجنبيّة، المايريّة ربما أو البرافوسي أو حتى الغاليريّة الفصحى. جذبت ملاحاً عابراً من كُمتّه وسألته: «من فضلك، ما اسم هذه السفينة؟».

أجابها الرّجل: «هذه "ساحرة الرّيح"، قادمة من مير».

اندفعت تقول: «إنها ما زالت هنا!»، فرمقها الرّجل بتعجب ثم هزّ كتفيه وانصرف، بينما هُرعت آريا إلى الرّصيف. "ساحرة الرّيح" هي السفينة التي استأجرها أبوها لتعيدها إلى الدّيار، ولا تزال موجودة هنا! كانت تصوّر أنها أبحرت منذ فترة طويلة.

اثنان من الحُرَّاس كانا يلعبان التردَّ بينما يتجولُّ الثالث على مقربةٍ منهما ويده على مقبض سيفه. شعرت آريا بالخجل من أن يرونها تبكي، فتوقفت لتمسح عينيها أولاً، و... عيناها، عيناها، عيناها... لماذا... سمعت سيريو يهمس: انظري بعينيك.

ونظرت آريا. كانت تعرف جميع رجال أبيها، وهؤلاء الثلاثة أغراب. «أنت»، صاح ثالثهم المتجولُّ مُنادياً عليها. «ماذا تفعل هنا يا ولد؟»، ورفع الاثنان الآخران عيونهما نحوها.

بكلِّ ما لديها من إرادةٍ منعت آريا نفسها من الفرار، لأنها تعرف أنهم سيهرعون في أعقابها على الفور إذا فعلت، وبدلاً من هذا جعلت نفسها تدنو منهم أكثر. إنهم يبحثون عن بنت، لكنهم يحسبونها ولداً... فلتكن ولداً إذن. رفعت الطائر الميت وقالت: «هل تريدون شراء حمامة؟». قال أحدهم: «اذهب من هنا».

وفعلت آريا كما قال لها دون أن تكون في حاجةٍ إلى التظاهر بالخوف، ومن ورائها عاد الحُرَّاس الثلاثة إلى شأنهم.

لا تدري كم استغرقت من الوقت حتى عادت إلى جُحر البراغيث، لكنها كانت تلهث عندما وصلت إلى الشوارع الضيقة المعوجة غير المرصوفة عند سفح التل، حيث تفوح من المكان كله رائحة كريهة آتية من زرائب الخنازير واسطبلات الخيول ومحال الدبَّاغين، تمتزج بالرائحة القذرة المنبعثة من الحانات الرخيصة والمواخير الأرخص. شقت آريا طريقها في المتاهة بخطواتٍ فاترة، وحتى اشتئت رائحة اليخنة البنية القادمة عبر باب أحد محال الأكل لم تكن قد أدركت أن الحمامة لم تعد معها. لا بُدَّ أنها انزلت من حزامها وهي تجري، أو أن أحداً سرقها دون أن تلاحظ. للحظةٍ أرادت أن تبكي من جديد وهي تُفكر أن عليها الآن أن تقطع كلَّ هذه المسافة إلى شارع الدقيق وتجِد حمامةً سميئةً أخرى. ومن بعيد، على الجانب الآخر من المدينة، بدأت الأجراس تدق.

رفعت آريا عينيهما وأصغت متسائلة عما تعنيه الدقات هذه المرة.  
صاح رجل بدين من داخل محل الأكل: «ماذا الآن؟»، وقالت امرأة  
عجوز مولولة: «الأجراس من جديد، لترحمنا الآلهة!»، وفتحت عاهرة  
ذات شعر أحمر نافذة في الطابق الثاني من أحد المباني وأطلت منها  
مرتدية غلالة رقيقة من الحرير الملون، ومالت على إفريز النافذة صائحة:  
«هل مات الملك الصغير هذه المرة؟ آه، هكذا الصبية، لا يدومون طويلاً  
أبدًا»، وبينما أطلقت ضحكة مُجَلِّجَلَةً طَوَّقَهَا رجل عارٍ بذراعيه من وراء  
وأخذ يعض عنقها ويفرك ثدييها العامرين اللذين انسدا لحُرين من تحت  
غلاتها.

خاطبها الرجل البدين قائلاً: «عاهرة حمقاء! الملك لم يمت. إنها  
أجراس الاستدعاء، تَدُقُّ في بُرج واحد. عندما يموت الملك يَدُقُّون كلَّ  
جرس في المدينة».

- «كفاك عَضًا وإلا دَقْتُ أنا أجراسك»، قالت العاهرة للرجل الذي  
يَطَوَّقُها من الخلف وهي تدفعه بمرفقها. «من مات إذن إن لم يكن  
الملك؟».

كرّر البدين: «قلت إنه استدعاء».

مرّ صبيان في نحو عمر آريا جرياً ليخطوا في بركة ويثرأ الوحل في  
كلّ مكان، فانهالت العجوز عليهما بالشتم لكنهما اصلا الجري دون  
أن يعيروها اهتماماً. آخرون كانوا قد بدأوا يتحرّكون كذلك في طريقهم  
إلى أعلى التلّ ليروا لماذا تَدُقُّ الأجراس الآن، واندفعت آريا وراء الصبي  
الأبطأ وصاحت عندما أصبحت وراءه مباشرة: «إلى أين أنت ذاهب؟ ماذا  
يحدث؟».

نظر إليها من فوق كتفه دون أن يُبطئ حركته، وأجاب: «ذوو المعاطف  
الذهبية يحملونه إلى السبّت».

صاحت وهي تجري بأقصى سرعتها: «مَن؟».

- «يَدُ الْمَلِكِ! بُوُو يقول إنهم سيقطعون رأسه».

كانت عربة عابرة قد تركت حُفرة عميقة في وسط الشارع، وثب الصبي من فوقها لكن آريا لم ترها، وتعثرت ساقطة على وجهها لتنجرح رُكبتها على حجر وتنثني أصابعها تحتها إذ ارتطمت بالأرض الصلبة وتحبس إبرتها بين ساقها. انتحبت وهي تعتلد جالسة على رُكبتها بصعوبة، ورأت إبهامها الأيسر مغطى بدماء غزيرة، وعندما مصّته وجدت أن نصف الظفر قد انكسر مع سقطتها، وشعرت بألم شديد في يديها ورُكبتها النَّازفة.

هتف أحدهم من الشارع المتقاطع: «أفسحوا الطريق! أفسحوا الطريق للوردين ردواين!»، وفي اللحظة الأخيرة ابتعدت آريا عن الطريق قبل أن يدهسها أربعة من الحرس على متن خيول ضخمة تنطلق بأقصى سرعة. كانوا يرتدون معاطف عليها مربعات باللونين الأزرق والخمري، ومن ورائهم جاء لوردان شابان يمتطيان فرسين توأمين بلون الكستناء. كانت آريا قد رأتهم في فناء القلعة مئات المرات. إنهما التوأمين ردواين، السير هوراس والسير هوبر، الشَّابان القبيحان بشعرهما البرتقالي ووجهيهما المريعين المليئين بالنَّمش. اعتادت سائرا وحين هوول أن تُسمِّيَاهما السير هورور والسير سلوبر وتُقهقهان كلما رأتاهما... لكن منظرهما لم يكن طريفاً الآن.

الجميع كانوا يتحركون في الاتجاه نفسه، كلهم متعجلون لرؤية السَّبب وراء دقّ الأجراس التي صارَ صوتها أعلى الآن، وانضمت آريا إليهم شاعرةً بالألم بالغ في إبهامها حيث انكسر الظفر وجاهدت كي لا تنفجر في البكاء، وعضّت شفتيها حابسةً الألم وهي تتقدّم معهم مصغيةً إلى الأصوات المنحُمسة المحيطة بها.

كانت امرأة تقول: «... يَدُ الْمَلِكِ، اللورد إدارد. إنهم يحملونه إلى سِيت بيلور الآن».

- «سمعتُ أنه مات».

- «قريبًا، قريبًا. هاك، أراهنُ بأيل فضِّي أنهم سيقطعون رأسه».

باصقارَدَ الرَّجُلُ: «أخيرًا! ذلك الخائن!».

كافحت آريا للعثور على صوتها، وبدأت تقول: «إنه لم...»، لكنها كانت مجرد طفلةٍ والاثنان كانا يتكلمان فوقها ولا يشعران بوجودها أصلاً.

- «يا لك من أحمق! إنهم لن يعدموه. منذ متى وهم يقطعون رؤوس الخونة على درجات السَّيِّئ الكبير؟».

- «لن يُنصِّبوه فارسًا بالتأكيد. سمعتُ أن ستارك هو من قتلَ الملك روبرت العجوز، شقَّ عنقه في الغابة، وعندما وجدوه كان واقفًا في مكانه بمنتهى الهدوء وقال إن خنزيرًا بريًّا قتلَ جلالته».

- «آه، هذا ليس صحيحًا. أخوه هو من قتله، رنلي هذا ذو القرون الذهبية».

- «اخترسي يا امرأة. إنكِ لا تعرفين ماذا تقولين. اللورد رنلي رجل صالح».

عندما بلغوا شارع الأخوات كان الزَّحام قد اشتدَّ عن آخره، وتركت آريا التيارَ البشري يحملها معه إلى قِمة تَلٍّ فيزينا، حيث استحالت السَّاحة الرُّخامية البيضاء إلى كتلة جامدة من النَّاس، كلهم يُثرثر بحماسةٍ ويكافح للاقتراب أكثر من سيِّئ بيلور الكبير، بينما ظلَّت الأجراس تُدقُّ بصوتٍ صاخبٍ جدًا.

اعتصرت آريا جسدها الصَّغير بين المحتشدين وشقَّت طريقها بصعوبةٍ وسطهم، وأخذت تنحني وتملَّص بين أرجل الخيول وهي تضغط بقوةٍ على مقبض سيفها الخشبي. في قلب هذه الجموع الغفيرة لم تستطع أن ترى شيئًا غير الأذرع والأقدام والبطون وأبراج السيِّئ السبعة تلوح مرتفعةً فوق رؤوس الجميع. لمحت عربةً خشبيةً، وخطر لها أن

تسلَّقها كي تتمكَّن من الرُّؤية، لكن آخرين كانوا قد فكَّروا في الشَّيء نفسه وسبقوها إليها، وإن كان سائق العربَة قد شقَّ الهواء بسوطه في وجوههم مُهذِّدًا وهو يُمطرهم بالسَّباب.

أصاب آريا هياج حقيقي، وإذا قاتلت لتفتح لنفسها طريقًا إلى الصُّفوف الأمامية، شعرت بمن يدفعها لتصطدم بقاعدة تمثال حجري، فرفعت رأسها إلى أعلى لترى تمثال بيلور المبارك -الملك السِّتون- يرتفع فوقها، ثم إنها ثبتت سيفها في حزامها، وبدأت تسلَّق. خلَّف ظُفر إبهامها المكسور بقعًا من الدَّم على الرُّخام المنقوش، لكنها وصلت إلى أعلى في النهاية، ودست نفسها بين ساقِي الملك.

وكان هذا عندما رأت أباهَا.

كان اللورد إدارد واقفًا على منبر السِّتون الأعلى خارج أبواب السِّت يستند إلى اثنين من ذوي المعاطف الذهبيَّة، وقد ارتدى سُترَةً من المخمل الرمادي بُنيت على صدرها خُرَزات تُمثِّل ذنبًا أبيض تحت معطف رمادي مُبطَّن بالفرو، لكنه كان يبدو أنحل مما رآته آريا في حياتها على الإطلاق وتجلَّى الألم على وجهه الطويل. لم يكن واقفًا بقدر ما كان مسنودًا، واكتست الجبيرة المحيطة بساقه المكسورة بلون العفن.

وقف السِّتون الأعلى بنفسه وراءه، وكان رجلًا قصير القامة أشيب الشَّعر كبير الكرش، يرتدي معطفًا أبيض طويلاً ويضع تاجًا ضخماً من الذهب المنقوش والبلُّور يغمُر رأسه بألوان قوس قزح كلما تحرك.

احتشدت مجموعة من الفُرسان وكبار اللوردات حول أبواب السِّت أمام المنبر الرُّخامي المرتفع، وتجلَّى جوفري بينهم بملابسه الحريريَّة ذات اللون القرمزي المنقوش بأشكال الوعول الواثبة والأسود الزائرة وقد اعتمر تاجًا ذهبيًا. كانت أمُّه المَلِكة واقفةً إلى جواره في ثياب الحداد السوداء المزينة بالقرمزي بينما يتدلَّى حجاب مشغول من الماسات السوداء من على رأسها. تعرَّفت آريا على كلب الصَّيد وهو يرتدي



معطفًا أبيض كالثلج فوق درعه ذات اللون الرمادي الداكن وقد أحاط به أربعة من الحرس الملكي، ورأت أيضًا فارس الخصي يتحرك بخفة بين اللوردات وقد ارتدى خفا ناعمًا ومعطفًا من الإستبرق الأحمر، وخمّنت أن قصير القامة صاحب المعطف الفضي واللحية المذبذبة قد يكون الرجل الذي خاصّ نزالًا من أجل أمّها منذ سنوات طويلة.

وبينهم كانت سانزا ترتدي فستانًا من الحرير الأزرق، شعرها الكستنائي الطويل مغسول ومجدول، وأساور من الفضة تحيط بمعصمها. قطبت آريا جبينها متسائلة عما تفعله اختها هنا ولم تبدو سعيدة هكذا.

كان صفّ طويل من حاملي الرّماح ذوي المعاطف الذهبية يدفع الحشود إلى الورا، يقودهم رجل بدين يرتدي درعًا فاخرة مصقولة ومزينة باللونين الأسود والذهبي، وبدا من الجلي أن معطفه اللامع مصنوع من قماش الذهب.

توقفت الأجراس عن الدقّ، وبدأ الصمت بسود الساحة الواسعة شيئًا فشيئًا، ورفع أبوها رأسه وبدأ يتكلّم بصوت رفيع ضعيف جعلها لا تُميز من كلماته شيئًا. سمعت الناس حولها يهتفون: «ماذا يقول؟» و«ارفع صوتك!»، فتقدّم صاحب الدرع ذات اللونين الأسود والذهبي ولكرّ أباه في ظهره بقسوة. أرادت آريا أن تصرّخ في الرجل أن يدع أباه وشأنه، لكنها كانت تعرف أن لا أحد سيسمعها، فاكثفت بأن عضت شفتها.

تكلّم أبوها من جديد بصوت أعلى تردّد في أرجاء الساحة: «أنا إدارد ستارك، سيّد ويترفل ويدّ الملك، وقد جنّث أمامكم لأعترف بخيانتني على مرأى من الآلهة والبشر».

همست آريا بألم: «لا!»، بينما انفجر المحتشدون أسفلها في الصياح والصراخ، وامتلا الهواء بهتافاتهم الساخرة وشتائمهم، بينما غطت سانزا وجهها بيديها.

رفع أبوها صوته أكثر باذلاً كلّ ما لديه من قوّة كي يُسمع: «لقد خنّ

ثقة مَلِكِي وصديقي روبرت. أقسمتُ أن أحمي أبناءه وأدافع عنهم، لكن قبل أن يبرد دمه تأمرتُ على عزل وقتل ابنه والاستيلاء على العرش لنفسِي. فليشهد السُّبُتون الأعلى وبيلاور المحبوب والآلهة السبعة على أن ما أقوله هو الحق: جوفري باراثيون هو الوريث الشرعي الوحيد للعرش الحديدي، وببركة كل الآلهة هو سيّد الممالك السَّبع وحامي البلاد».

بمجرّد أن انتهى اللورد إدارد من كلامه، طارَ حَجَر من بين الحشود ليضربه في رأسه، وصرخت آريا مع المشهد، بينما حال ذوو المعاطف الذَّهبيّة دون سقوطه. سألت الدماء على وجهه من الجرح العميق في جبهته، وتطاير المزيد من الحجارة نحوه، أصابَ أحدها الحارس الواقف إلى يساره، بينما ارتدَّ آخر عن صدر صاحب الدَّرع ذات اللّونين الأسود والذهبي، وتقدّم اثنان من الحرس المَلِكِي ليقفا أمام جوفري والمَلَكَة لحمايتهما بترسيهما.

دست آريا يدها تحت معطفها ووجدت إبرتها في غمدها، فأطبقت على مقبضها بأصابعها واعتصرتها كما لم تعتصر شيئاً من قبل قطّ، وفي قرارة نفسها قالت متوسّلة: أرجوكِ أيتها الآلهة احفظيه، لا تجعلهم يؤذون أبي.

انحنى السُّبُتون الأعلى أمام جوفري وأمه، وقال بصوت عميق أعلى كثيراً من صوت أبيها: «كما نأثم، فإننا نعاني. لقد اعترفَ هذا الرجل بجرائمه أمام الآلهة والبشر هنا في هذا المكان المقدّس»، وترافقت ألوان قوس قزح حول رأسه وهو يرفع يديه قائلاً بخشوع: «الآلهة عادلة، لكن بيلاور المُبارك علّمنا أنها رحيمة كذلك. ماذا نفعل بهذا الخائن يا جلالة المَلَك؟»

كان ألف صوت يصرخ حول آريا لكنها لم تسمع منها شيئاً. ثم إن الأمير جوفري... لا، المَلَك جوفري... المَلَك جوفري تقدّم من وراء ثروس حرسه المَلِكِي، وقال: «أمي تُناشدني أن أدع اللورد إدارد يرتدي

الأسود، والليدي سانزا التمسّت الرّحمة لأبيها»، ونظرَ إلى سانزا مباشرةً وابتسم، وللحظةٍ حسبت آريا أن الآلهة قد سمعت دعاءها... إلى أن التفتَ چوفري إلى الجماهير مرّةً أخرى وأضاف: «لكن كليهما تملك قلب النّساء الضعيف، وطالما أنني مَلِككم فلن تَمُرّ الخيانة دون عقابٍ أبداً. سير إلين، أحضِر لي رأسه!».

ضنّجت السّاحة بهدير الحشود، وشعرت آريا بتمثال يبلور يهتزُّ من فرط تدافعهم. قبض السّينون الأعلى على معطف المَلِك، وتحرك فارس بسرعةٍ نحوه وهو يُلَوّح بذراعيه، وحتى المَلِكة كانت تقول شيئاً ما له، لكن چوفري هزّ رأسه نفياً بإصرار. ثم جاء هو ليتفرّق اللوردات والفرسان ويُفسيحوا له الطّريق وهو يَمُرُّ من بينهم طويلاً نحيفاً كهيكَلٍ عظميٍّ يرتدي درعاً من الحديد... كان عدالة المَلِك، السير إلين. سمعت آريا صراخ أختها خافتاً كأنه يأتي من بعيد جداً، ورأت سانزا تهوي على قدميها وهي تتحب بهياج بالغ، بينما ارتقى السير إلين باين درجات المنبر..

تملّصت آريا من بين ساقِي التمثال وألقت نفسها بين الحشود وهي تسحب الإبرة من غمدها، لتهبّط فوق رجل يرتدي منزر الجزّارين وتطرّحه أرضاً، وفي اللّحظة نفسها شعرت بمن يرتطم بظهرها حتى كادت تسقط أرضاً هي الأخرى. حاصرتها الأجساد المتزاحمة المتدافعة لتطأ الجزّار المسكين، فلم تملك آريا غير أن تضرب الأرجل بإبرتها لتستطيع التحرّر. أعطى السير إلين باين إشارةً من مكانه أعلى المنبر، فألقى صاحب الدّرع ذات اللّونين الأسود والذهبي أمراً دفعَ على إثره ذوو المعاطف الذهبيّة اللورد إدارد أرضاً على رُكبتيه على المنبر الرخامي وقد تجاوزَ رأسه صدره الحافّة.

صاح صوت غاضب في آريا: «أنت!»، لكنها واصلت التحرك بأقصى سرعةٍ ممكنة، تدفع النّاس جانباً وتعتصر جسدها بينهم وترتطم بكلّ من

يعترض طريقها. حاولت يد الإمساك بساقها لكنها هوت عليها بالإبرة وركلت قصبة ساق صاحبها، ثم تعثرت امرأة وسقطت فجرت آريا فوق ظهرها ضاربةً بالإبرة يميناً وشمالاً، لكن لا فائدة، لا فائدة، فالأعداد هائلة بالفعل، وكلما فتحت لنفسها طريقاً بين الجموع انغلق من جديد في الحال. ارتطم أحدهم بجانبها، وكان لا يزال بإمكانها أن تسمع صراخ سائرا.

ثم سحب السير إلين سيفاً عظيماً من الغمد المثبت على ظهره، وإذا رفعه فوق رأسه تراقص نور الشمس وترقرق على نصله الدأكن الأمضى من أي موسى. "جليد"، سيف أبي معه! سالت الدموع على وجهها بغزارة أعمتها، ثم إن يداً انبثقت من قلب المتدافعين لتقبض على ذراعها بقوة شديدة جعلت الإبرة تسقط من يدها، وللحظة بدا كأنها ستسقط أرضاً بدورها لولا اليد القوية التي ثبتتها بسهولة كأنها مجرد دمية. رأت وجهها يدنو من وجهها وشعرًا أسود طويلاً ولحية مشعّة وأسناناً نخرة قال صاحبها بخشونة أمرة: «لا تنظرا!».

- «أنا... أنا... أنا...». باكية حاولت آريا أن تقول شيئاً، لكن الرجل هزّها بعنف جعل أسنانها تصطك وصاح: «أطبق فمك وأغلق عينيك يا ولدا!».

ثم سمعت الصوت... خافتا كان كأنه على بُعد أميال، كأنه صوت مليون شخص تنهّدوا في آن واحد، وانغرست أصابع الرجل في ذراعها أكثر كأنها مصنوعة من الحديد وهو يقول: «انظر إليّ. نعم، هكذا، إليّ أنا. هل تذكرني يا ولدا؟».

كانت رائحة النّبيذ في أنفاسه هي ما جعلها تتذكر. رأت آريا الشعر الذهني الأشعث، والمعطف الأسود المرقّع المغبرّ على الكتفين المنحنيين، والعينين السوداوين القاسيتين اللتين ترّمقانهما، وتذكرت الأخ الأسود الذي جاء لزيارة أبيها هنا من قبل.

بصق الرجل وقال: «هل تذكرني الآن؟ أنت ولد ذكي. لقد انتهى كل شيء. سوف تأتي معي، ولن تنطق حرفاً واحداً». حاولت آريا أن تتكلم، لكنه رجَّها بعنفٍ صائحاً: «لا أريد أن أسمع حرفاً واحداً!».

كانت السَّاحة قد بدأت تخلو، وتفرَّق الناس من حولهما ليعودوا لممارسة حياتهم ولا أحد منهم يُدرك أن حياة آريا قد انتهت. تحرَّكت كالمخدَّرة إلى جوار... يورن. نعم، كان اسمه يورن. لم تره وهو يلتقط إبرتها من على الأرض، لكنه ناوَلها إياها قائلاً: «أمل أنك تستطيع استخدام هذا يا ولد».

- «أنا لستُ...».

دفعها قبل أن تُكْمِلَ عبارتها ليضرب ظهرها باباً مغلقاً، ولَفَّ خصلاتٍ من شعرها حول أصابعه جاذباً رأسها إلى الخلف بقسوة وهو يقول: «لستَ ولداً ذكياً. أهذا ما تحاول أن تقول؟».

وفي يده الأخرى كان يحمل سكيناً.

ألَقَتْ آريا نفسها إلى الوراء والنَّصل يلمع في وجهها، وأخذت تَرَكُّل وتُقاوم بضراوةٍ مُحاولَةً تحرير شعرها من القبضة القويَّة، لكن كلَّ محاولاتها كانت بلا طائل، وشعرت بفروة رأسها تكاد تتمزَّق، وعلى شفيتها تذوّقت طعم الدَّموع المالح.



## بران

أكبرهم كانوا رجالاً بالغين، في السابعة والثامنة عشر من العمر، وواحد منهم تجاوزَ العشرين، لكن غالبيتهم كانت أصغر، في السادسة عشر أو أقلّ كذلك.

راح بران يُراقبهم من شُرْفَةِ بُرج المايستر لوين، ويُصغي إليهم وهم يخورون ويتذمرون ويُطلقون السَّباب بينما يُلَوِّحون بهزّاءاتهم وسيوفهم الخشبيّة. ساد الصَّخب السَّاحة مع ارتطام الخشب بالخشب، وعلى فتراتٍ متقاربةٍ كان أحدهم يُطلق صيحة ألم عندما تهوي ضربة ما على الجِلْد أو اللّحم، وتحرك السير رودريك بينهم بخطواتٍ واسعةٍ ووجهه يحتقن تحت شواربه البيضاء الكبيرة وهو يُهمهم بكلماتٍ غاضبةٍ موجّهة لهم جميعاً. لم يرَ بران الفارس المُسنَّ ساخطاً هكذا من قبل، طوال الوقت يُردّد: «لا، لا، لا».

- «إنهم لا يُجيدون القتال»، قال بران بنبرةٍ متردّدةٍ وهو يُداعِب سَمر وراء أذنيه بشروءٍ بينما يلتهم الذُّبب الرَّهيب قطعةً من اللّحم ويطحن ما فيها من عظمٍ بأسنانه.

أطلق المايستر لوين زفرةً عميقةً وقال: «لا شك في هذا إطلاقاً». كان المايستر ينظر عبر أنبوب العدسات المايري الكبير، يقيس الظلال ويُدوّن موقع المذنب المنخفض الذي يشقُّ سماء الصُّباح. «لكن مع الوقت... السير رودريك كان مُحِقّاً، فنحن نحتاج رجالاً لحراسة الأسوار بالفعل.

السيد والدك أخذ خيرة الحرس معه إلى كينجز لاندنج، وأخوك أخذ البقية ومعهم كل من يصلحون للتدريب على مدى فراسخ من هنا. كثيرون منهم لن يعودوا إلينا، وينبغي أن نجد من يجلون محلهم».

رمق بران الصبية المبللين بالعرق في الأسفل بامتعاض، وقال: «كنت لأهزمهم جميعاً لو كنت ما زلت أملك ساقى». تذكر آخر مرة حمل فيها سيفاً بيده، عندما جاء الملك إلى ويترفل. كان مجرد سيف خشبي، لكنه نجح في هزيمة الأمير تومن نصفمئة مرة. «من المفترض أن أعلمني السير رودريك كيف أستخدم البلطة الحربية. إذا كانت معي بلطة حربية ذات مقبض كبير طويل، فمن الممكن أن يقوم هودور بدور ساقى. معاً يمكننا أن نكون فارساً واحداً».

قال المايستر لوين: «أعتقد أن هذا... غير جائر. بران، عندما يُقاتل الرجل، فلا بُدَّ أن تصير ذراعه وساقاه وأفكاره واحداً لا يتجزأ».

في الساحة في الأسفل كان السير رودريك يصيح في أحدهم: «أنت تُقاتل كالإوزة، ينفرك فتنفقه بعنف أكثر. تفادى الضربة! صُدّها! عراك الإوز لن يصلح. لو كانت هذه سيوفاً حقيقية لبرت أول ضربة ذراعك!». ضحك أحد الصبية ساخراً، فالتفت إليه السير رودريك قائلاً: «تضحك؟ أنت؟ يا للصفافة! إنك تُقاتل كالقنفذ!».

- «كان هناك فارس لا يرى»، قال بران بعناد والسير رودريك يُواصل توبيخه للصبية في الأسفل. «العجوز نان حكّت لي عنه. كان يحمل عصا طويلة ذات طرفين مدببين، وكان يُديرها بيديه فيسقط رجلين في آن واحد».

- «سيميون ذو العينين النجمتين»، قال المايستر لوين وهو يُدون أرقاماً في دفتره. «عندما فقدَ عينيه وضع قطعيتين من الياقوت الأزرق على شكل نجمتين في المحجرين الخاليين، أو هكذا يقول المغنون على الأقل. بران، إنها مجرد قصة، مثل حكايات فلوريان المهرج، خرافة من

عصر الأبطال لا أكثر»، ثم طققَ بلسانه وأضافَ: «يجب أن تُنحِّي هذه الأحلام جانبًا وإلا كسرتَ قلبك».

هنا تذكرُ بران عندما جاءَ المايستر على ذكر الأحلام، وقال: «حلمتُ بالغرَاب ثانيةً ليلة أمس، الغراب ذي العيون الثلاث. طارَ إلى عُرفةِ نومي وقال لي أن أذهب معه، فذهبتُ. نزلنا إلى السَّراديب وكان أبي هناك. تكلمنا، لكنه كان حزينًا».

قال لوين وهو ينظرُ عبر الأنوب: «ولِمَ؟».

كان الحلم مزعجًا مخيفًا لأقصى درجة، أكثر من كلِّ الأحلام الأخرى التي رأى فيها الغراب. «شيء ما بخصوص جون على ما أعتقد. هودور يرفضُ النزول إلى السَّراديب».

أدركُ بران أن المايستر لا يُصغي له جيدًا، ثم إنه رفعَ عينيه وقال وهو يفتحهما ويغمضهما: «هودور يرفضُ...».

- «يرفضُ النزول إلى السَّراديب. قلتُ له عندما استيقظتُ أن يأخذني إلى هناك لأرى إن كان أبي هناك حقًا. في البداية لم يفهم ما أقوله، لكنني جعلته يصل حتى السَّلالِم قائلًا له أن يذهب إلى هنا وهناك، لكنه توقَّف ورفضُ النزول تمامًا، ووقفَ على الدَّرَجَة العُلَيَا وقال: "هودور" كأنه خائف من الظَّلام، لكنني كنتُ أحملُ مشعلًا. لقد أثارَ غضبي لدرجة أنني كدتُ أطمه على رأسه كما تفعل العجوز نان»، ولمَّا رأى التَّعبير العابس على وجه المايستر سارعَ يُضيف: «لكنني لم أفعل!».

- «أحسنت. هودور رجل وليس بغلام ليضرب».

- «في الحلم طرْتُ إلى أسفل مع الغراب، لكنني لا أستطيعُ أن أفعل هذا وأنا مستيقظ».

- «لماذا ترغب في النزول إلى السَّراديب؟».

- «كما قلتُ لك، لأبحث عن أبي».

شدَّ المايستر السَّلسلة المحيطة بعُنقه كعادته عندما يشعُر بعدم الرَّاحة،



وقال: «بران يا صغيري العزيز، سيأتي يوم يجلس فيه اللورد إدارد على شكل تمثال حجريّ إلى جوار أبيه وأبي أبيه وكلّ آل ستارك منذ كانوا ملوكاً في الشمال، لكن هذا لن يحدث قبل سنوات طويلة بمشيئة الآلهة. أبوك سجين لدى الملكة في كينجز لاندنج، ولن تجده في السرايب». - «لكنه كان هنا ليلة أمس، وتكلّمتُ معه».

تنهّد المايستر ونحّى دفتره جانباً وقال: «يا لك من صبيّ عنيدي! هل تريد أن تذهب وترى؟».

- «لا أستطيع. هودور يرفض النزول، ودانسر لا تستطيع نزول السلالم الضيقة الملتوية».

- «أعتقد أن لديّ حلاً لهذه المشكلة».

بدلاً من هودور استدعى المايستر المرأة الهمجية أوشا، فهي طويلة القامة وقوية ولا تشتكي أبداً، وتذهب إلى حيث يأمرونها بلا اعتراض. قالت: «لقد عشتُ حياتي وراء "الجدار"، فلن تُخيفني حفرة في الأرض يا سيدي».

- «سمر، هلمّ»، نادى بران وهي ترفعه بذراعيها النحيلتين القويتين، فترك الذئب الرهيب العظمة التي يعضّها وتبعهم بينما حملت أوشا بران عبر الساحة ثم على السلالم الملتفة النازلة إلى السرداب البارد تحت الأرض، وتقدّم المايستر لوين الطريق حاملاً مشعلاً. لم يكن بران يُمانع (كثيراً) أن تحمله بين ذراعيها بدلاً من على ظهرها كما يفعل هودور. كان السير رودريك قد أمر بكسر السلسلة التي تربط الأغلال بين قدميها، بما أنها خدمت بإخلاص ونشاط منذ جاءت إلى وينترفيل، وإن ظلت الأغلال الحديدية الثقيلة تُحيط بقدميها كدلالة على أنها لا تحوز ثقتهم الكاملة بعد، لكن هذا لم يُعقِ خطواتها الواثقة وهي تنزل السلالم.

لم يتذكّر بران آخر مرة نزل فيها إلى السرايب. لا بُدّ أن هذا كان قبل ما حدث. في صغره اعتاد أن يلعب هنا مع روب وچون وأخته.

تمنى لو كانوا هنا الآن، فعندها لم يكن السرداب ليبدو مُظلمًا مخيفًا هكذا. تحرّك سمر بصمتٍ في العتمة ذات الصدى، ثم إنه توقّف ورفع رأسه وتشمّم الهواء البارد الميت، قبل أن يكشف عن أسنانه ويتراجع يبطئ إلى الخلف وعيناه تتوهجان ذهبا في ضوء مشعل المايستر. حتى أوشا القاسية كالحديد بدت متوتّرة، وقالت وهي تُحدّق في الصّفّ الجرائتي الطويل من أموات عائلة ستارك على عروشهم الحجريّة: «قومُ أشدّاء كما يبدو من منظرهم».

- «كانوا ملوك الشّناء»، قال بران هامسا وقد شعرَ بشكلٍ ما أن من العيب أن يتكلّم بصوتٍ عالٍ في هذا المكان.  
ابتسمت أوشا وقالت: «الشّناء ليس له ملك. لو كنت قد رأيته لعرفت هذا يا ابن الصّيف».

- «كانوا الملوك في الشّمال لآلاف السّنين»، قال المايستر لوين وهو يرفع مشعله عاليًا ليسقط الضّوء على الوجوه الحجريّة. منهم من كانوا كثيفي الشّعر ملتحين، رجالًا خشنين فيهم ضراوة الذّئاب القابعة عند أقدامهم، ومنهم من كانوا حليقين ذوي ملامح كثيبة حادّة كالشيوف الطّويلة الموضوعة على سيقانهم. «رجال قساة في زمن قاسٍ. تعالوا». برشاقة بدأ يمشي إلى أعماق السّرداب مرورًا بصفّ الأعمدة الحجريّة والتّمائيل التي لا تُحصى، بينما يرتفع لسان من اللّهب من مشعله المرفوع. كان السّرداب غائرا جدّا، أطول من ويتترفل نفسها، وكان چون قد قال له ذات مرّة إن هناك مستوياتٍ أخرى في الأسفل، سراديب أعمق وأحلك يَرُقد فيها الملوك القدامى. لن تأتي فائدة من فقدان الضّوء، خصوصًا أن سمر رفضَ التحرك بعد السّلام حتى عندما تبعّت أوشا المشعل وبران بين ذراعيها.

قال المايستر وهو يمشي: «هل تذكّر دروس التّاريخ يا بران؟ قل لأوشا من هؤلاء وماذا فعلوا إذا استطعت».

تطلّع إلى الوجوه العابرة واستماعة الحكايات في ذاكرته. كان المايستر قد روى عليه القصص، لكن العجوز نان جعلت الحياة تدبّ فيها. «هذا جون ستارك، الذي قاوم القراصنة عندما نزلوا في الشرق وطردهم ثم شيّد القلعة في الميناء الأبيض. ابنه كان ريكارد ستارك، ليس أبا أبي ولكن ريكارد آخر، وهو الذي استولى على "العنق" من ملك المستنقعات وتزوّج ابنته. ثيون ستارك هو الرّجل شديد النحول ذو الشعر الطويل واللّحية القصيرة، ولقبوه بـ "الذئب الجائع" لأنه كان في حالة حربٍ دائمة. وهذا واحد ممن اسمهم براندون، الطويل ذو الوجه الحالم، ولقبوه بـ "براندون السّفان" لأنه كان شغوفًا بالبحر. مقبرته خالية لأنه حاول الإبحار غربًا في بحر الغروب ولم يره أحد بعدها قطّ، وابنه هو براندون الحارق، لأنه أحرّق جميع سفن أبيه من فرط حُزنه عليه. هذا هناك هو رودريك ستارك، الذي فازَ بجزيرة الدّيبية في مباراة مُصارعة وأعطاهها لعائلة مورمونت. وهذا هو تورين ستارك، المَلِك الذي ركع. كان آخر ملكٍ في الشّمال وأول حاكمٍ لويتترفل بعد أن استسلمَ لإيجون الفاتح. أوه، وهذا هناك هو كريجان ستارك، الذي قاتل الأمير إيمون مرّة، وقال الفارس التّين عنه إنه أفضل مُبارِزٍ واجهه على الإطلاق». كانوا على وشك بلوغ نهاية السّرّداب الآن، وشعرَ بران بالحُزن يجتاحه وهو يُواصل: «وهذا جدّي اللورد ريكارد الذي قطعَ المَلِك المجنون إيرس رأسه. ابنته ليانا وابنه براندون راقدان في القبرين المجاورين له. ليس أنا، براندون آخر، أخو أبي. ليس من المُفترَض أن يكون هناك تمثال لكلّ منهما، فالتمائيل للوردات والملوك فقط، لكن حُبّ أبي لهما كان عظيمًا فأمرَ بنحت تمثالين لهما».

قالت أوشا: «الفتاة جميلة حقًا».

- «كان روبرت قد خطبها، لكن الأمير ريجار اختطفها واغتصبها، فنسّ روبرت حربًا لاستعادتها، وقتلَ ريجار في معركة الثالوث ببلطته الحربيّة، لكن ليانا ماتت ولم يستردّها قطّ».

- «حكاية حزينة»، قالت أوشا. «لكن هذه الحُفَرِ الخاوية أكثر إثارة للحُزن».

قال المايستر لوين: «إنه قبر اللورد إدارد الذي سِرَقُده فيه عندما يحين أجله. هل رأيت أباك هنا في حُلْمِكَ يا بران؟».

- «نعم». أثارَت ذكري الحُلْمِ فيه الرَّجفة، وتطلَّع حوله متوتراً وقد انتصبت الشُعيرات على مؤخرة عُنقه. هل سمع صوتاً؟ هل هناك أحد آخر هنا؟

تقدَّم المايستر لوين من القبر المفتوح حاملاً المشعل، وقال: «إنه ليس هنا كما ترى، ولن يكون هنا قبل سنواتٍ طويلة. الأحلام مجرد أحلام يا صغيري»، ومدَّ يده في السَّوادِ في داخل المقبرة كأنه يضعها في فم وحشٍ ضخْمٍ وأضاف: «هل ترى؟ إنها خالية تماماً...».

ويترَ عبارته عندما انقَضَ الظَّلام عليه مُزْمِجاً.

رأى بران عيين كالنيران الخضراء ولمحة من الأسنان الحادة وفرواً أسود كالسُّرداب المحيط بهم. صرَّخ المايستر لوين ورفع يديه ليطيّر المشعل من بين أصابعه ويرتدُّ عن وجه براندون ستارك الحجري قبل أن يسقط عند قدميه لتلغى السنة اللهب ساقيه، وفي الضَّوء المتذبذب رأى المايستر يُصارع الذئب الرَّهيب ضارباً خطمه بيد واحدة بينما انغلق الفُكَّان على الأخرى.

صرَّخ بران: «سَمِراً».

وجاء سَمَر منطلقاً من قلب الظُّلْمَةِ من ورائهم كظُلٍّ وثَّاب وارتطم بشاجيدوج لُيسِقْطه، وتدحرج الذئبان الرَّهيبان معاً في كتلة متشابكة من الفرو الأسود والرَّمادي، ينهشان ويعقران أحدهما الآخر، بينما نهَض المايستر لوين بصعوبة وذراعه جريحة دامية. أسندت أوشا بران إلى ذئب اللورد ريكارد الحجري وهُرَعَت لمُساعدَةِ المايستر، وفي ضوء المشعل اشتبك ذئبان من ظِلِّ يَبُلْغان عشرين قدماً طويلاً في قتالٍ عنيف على الحائط والسَّقْفِ.

- «شاجي»، نادى صوتٌ صغير، وعندما رفعَ برانَ عينيه وجدَ أخاه الصَّغيرَ واقفاً في مدخل قبر أبيه. نهشَ شاجيدوج وجهَ سمرَ مرةً أخيرةً قبل أن يبتعدَ ويتَّجهَ إلى ريكون الذي قال للوين: «دع أبي وشأنه، دعه وشأنه».

قال بران بهدوء: «ريكون، أبونا ليس هنا».  
ردَّ ريكون والدُّموع تلتصع على وجهه: «إنه هنا. لقد رأيته، رأيته ليلة أمس».

- «في الحُلُم؟».

أوما ريكون برأسه وقال: «دعوه وشأنه. إنه عائد إلى الدِّيار الآن كما وعدَ، إنه في طريق العودة».

لم يسبقَ لبران أن رأى المايستر لوين ذاهلاً هكذا من قبل. كان الدَّم يسيل على ذراعه حيث مَزَّقَ شاجيدوج كُمَّهُ الصُّوفي واللَّحم من تحته، وقال وهو يَعْصُ شفتيه أَلَمًا: «أوشا، المشعل»، فهُرَعَتِ الهَمْجِيَّةُ لَتختطفه قبل أن يخدمَ لهبه من على قدمي تمثال براندون ستارك الذي اتَّسخت ساقاه بالسَّناج، وواصلَ لوين: «هذا... هذا الوحش من المُفترَض أن يكون مقيِّدًا في الوجار».

رَبَّتَ ريكون على خَطم شاجيدوج المبلَّل بالدَّم قائلاً: «لقد حرَّرتَه. إنه لا يُحِبُّ الأغلال»، ثم لَعَقَ أصابعه.

قال بران: «ريكون، هلا أتيتَ معي؟».

- «لا، إنني أحبُّ المكان هنا».

- «إنه بارد ومظلم».

- «لستُ خائفًا، ويجب أن أنتظرَ أبي».

قال بران: «يُمكنك أن تنتظرَ معي. سننتظرُه معًا، أنا وأنتِ وذِئبانَا».

كان كلا الدَّئيين يلحق جراحه الآن ويَرْمُقُ الآخرَ بنظراتٍ حذرة.

قال المايستر بحزم: «بران، أعرفُ أنك تقصد خيرًا، لكن شاجيدوج

أُضْرِي مَنْ أَنْ يَظُلَّ طَلِيقًا. إِنِّي ثَالِثُ رَجُلٍ يَعْتَدِي عَلَيْهِ. دَعَهُ يَتَجَوَّلُ بِحُرِيَّةٍ فِي الْقَلْعَةِ وَسَتَكُونُ مَسْأَلَةٌ وَقْتٍ فَقَطْ حَتَّى يَقْتُلَ أَحَدًا. الْحَقِيقَةُ صَعْبَةٌ، لَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُقَيَّدَ هَذَا الذُّئْبُ أَوْ...».

... أَوْ يُقْتَلْ، فَكَّرَ بَرَانُ، لَكِنْ مَا قَالَهُ هُوَ: «إِنَّهُ لَيْسَ مَخْلُوقًا لِلْأَغْلَالِ. سَوْفَ نَنْتَظِرُ فِي بُرْجِكَ، كُلَّنَا».

قَالَ الْمَيَاسْتَرُ لُوَيْنُ: «مَسْتَحِيلٌ تَمَامًا».

ابْتَسَمَتْ أَوْشَا وَقَالَتْ: «الصَّبِيُّ هُوَ اللَّوْرْدُ الصَّغِيرُ هُنَا عَلَى حَدِّ مَعْلُومَاتِي»، وَنَاولَتْ لُوَيْنَ الْمَشْعَلَ وَعَادَتْ تَحْمِلُ بَرَانَ مُرْدِفَةً: «إِلَى بُرْجِ الْمَيَاسْتَرِ إِذَنْ».

- «هَلْ سَتَأْتِي يَارِيكُونُ؟».

أَوَّمَا أَخُوهُ بِرَأْسِهِ إِيْجَابًا وَقَالَ: «إِذَا أَتَى شَاجِدُوجُ أَيْضًا»، وَإِذَا أَسْرَعَ وَرَاءَ أَوْشَا وَبَرَانُ، لَمْ يَجِدِ الْمَيَاسْتَرَ خِيَارًا غَيْرَ أَنْ يَتَّبِعَهُمْ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى الذُّئْبَيْنِ بِحَذَرٍ.

كَانَتْ الْفَوْضَى ضَارِبَةً أَطْنَابَهَا فِي بُرْجِ الْمَيَاسْتَرِ لُوَيْنَ لِدَرْجَةٍ جَعَلَتْ بَرَانَ يَرَى أَنْ عَثُورَهُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ هُنَا بِمِثَابَةِ أَعْجُوبَةٍ حَقِيقَةٍ. أَكْوَامٌ مِثْلُهَا مِنَ الْكُتُبِ غَطَّتِ الْمَوَائِدَ وَالْمَقَاعِدَ، وَصَفُوفٌ مِنَ الْبِرْطَمَانَاتِ الْمَغْلَقَةِ اِزْدَحَمَتْ عَلَى الْأَرْفَافِ، بَيْنَمَا لَطَّخَتْ بِقَايَا الشُّمُوعِ وَقَطَعَ الشَّمْعُ الْجَافِ الْأَثَاثَ، وَوَقَفَ أَنْبُوبُ الْعِدَسَاتِ الْمَايِرِي الْبِرُونَزِيِّ عَلَى حَامِلٍ ثَلَاثِيٍّ عِنْدَ بَابِ الشُّرْفَةِ، وَعَلَى الْجِدْرَانِ عُلِّقَتْ خَرَائِطُ النُّجُومِ وَبَيْنَ البُسْطِ عَلَى الْأَرْضِ بُعِثِرَتِ الْخَرَائِطُ الْمَجْسَّمَةُ، وَتَنَاثَرَتِ الْأَوْرَاقُ وَرِيْشَاتُ الْكِتَابَةِ وَقَتَانُ الْجِبْرِ فِي كُلِّ مَكَانٍ؛ وَكُلُّ هَذَا مَتَسَخٍّ بِفَضْلَاتِ الْغِدْفَانِ السَّائِكَةِ فِي عَوَارِضِ السَّقْفِ الْخَشِيبَةِ، وَقَدْ جَاءَ نَعِيْبُهَا مِنْ أَعْلَى بَيْنَمَا كَانَتْ أَوْشَا تَغْسِلُ وَتُنَظِّفُ وَتُصَمِّدُ جُرُوحَ الْمَيَاسْتَرِ مُتَّبِعَةً تَعْلِيمَاتِهِ الصَّارِمَةَ. «هَذِهِ حِمَاةٌ»، قَالَ الرَّجُلُ الْأَشِيبُ الضَّنِيلُ وَهِيَ تَدَهْنُ مَكَانَ عَضَّاتِ الذُّئْبِ بِمَرْهِمْ لَاسِعٍ. «أَتَّفَقُ مَعَكُمْ عَلَى أَنْ مِنَ الْغَرِيبِ أَنْكُمْ رَأَيْتُمَا الْحُلْمَ نَفْسَهُ،

لكن عندما تتمهلان وتُفكّران في الأمر ستجدانه طبيعيًا للغاية، لأنكما تفتقدان أباكما، وأنتما تعرفان أنه سجين. الخوف قادر على إصابة عقولنا بالأفكار المحمومة الغريبة، وريكون صغير جدًا على استيعاب...».

- «أنا في الرَّابِعة الآن»، قال ريكون مُقاطِعًا إياه وهو يَنْظُرُ عبر الأنبوب البرونزي إلى كراجل القلعة الأولى. كان الذئبان الرّهيبان جالسين على جانبيين متواجهين من الغرفة المستديرة، يلعبان جروحهما ويمضغان العظام.

- «... صغير جدًا و... آه! هذا مؤلم بحقّ الجحائم السَّبع! لا، لا تتوقَّفي، ضعي المزيد... إنه صغير جدًا كما كنتُ أقول، لكن أنت يا بران كبير بما يكفي لأن تُدرك أن الأحلام مجرد أحلام».

- «بعضها كذلك وبعضها لا»، قالت أوشا وهي تُصَبُّ الحليب النَّاري ذا اللون الأحمر الباهت في جرح مفتوح مباشرةً ليشبهق لوين من الألم. «أطفال الغابة يُمكنهم أن يحكوا لك شيئًا أو اثنين عن الأحلام».

كانت الدَّموع تسيل على وجه المايستر، لكنه هَزَّ رأسه بإصرارٍ وقال: «الأطفال يعيشون في الأحلام فقط، لقد ماتوا واندثروا منذ زمنٍ طويل... كفى، كفى. والآن ضعي الضَّمادات، البطانة أولاً ثم اللُّفافات، واجعليها مُحكمةً لأن الجروح ستزف».

قال بران: «العجوز نان تقول إن الأطفال كانوا يعرفون أغاني الأشجار، وإنهم كانوا يُخلِّقون في الهواء كالطيور ويسبحون كالأسماك ويتكلَّمون مع الحيوانات. تقول إن موسيقاهم كانت في غاية العذوبة لدرجة أنك تبكي كطفل صغير لمجرّد سماعها».

رَدَّ المايستر لوين بشرود: «وكُلُّ هذا فعلوه بالسَّحر. ليتهم كانوا هنا الآن ليُعالجوا ذراعي بتعويذة أقلَّ إيلاّمًا ويتكلَّموا مع شاجيدوج ويقولوا له أن يَكفَّ عن العض»، ورمقَ الذئب الأسود بنظرة غاضبةٍ من رُكن عينه، ثم قال: «ليكن في هذا درس لك يا بران. من يثق بالتعاويد كمن يُقاتل

بسيّف من زجاج، تمامًا كما فعل أطفال الغابة. دعني أريك شيئًا»، ونهَضَ بنشاطٍ مفاجئٍ وعبرَ الغرفةَ ثم عادَ بيرطمانٍ أخضرَ في يده السّليمة. «ألقِ نظرةً على هذه»، قال وهو يفتح الغطاء ويُفرغ حفنةً من رؤوس السّهام السوداء اللّامعة.

التقطَ بران واحدًا وقال: «إنه مصنوع من الزجاج»، بينما اقتربَ ليكون بفضولٍ ليلقي نظرةً.

- «زجاج التّين»، قالت أوشا وهي جالسة إلى جوار المايستر تُصمّد يده.

- «اسمه الزجاج البركاني»، قال المايستر وقد بسطَ ذراعه الجريحه. «مصنوع في نيران الآلهة في أعماق الأرض. كان أطفال الغابة يستخدمونه في الصّيد منذ آلاف السّنين، لأنهم لم يشتغلوا في طرق المعادن، وبدلًا من قمصان الحلقات المعدنية كانوا يرتدون قمصانًا طويلةً من أوراق الشّجر المجذولة ويربطون سيقانهم بلحاء الأشجار، لدرجة أنهم بدوا كأنهم يذوبون في أعماق الغابات، وبدلًا من السيوف كانوا يحملون أسلحةً مصنوعةً من الزجاج البركاني».

- «وما زالوا»، قالت أوشا وهي تضع البطانة النّاعمة على جروح المايستر قبل أن تَلْفَها بإحكام بشرائط طويلة من الكتّان. «قرب بران رأس السّهم منه ليجدّه أملسَ لامعًا ويُفكّر أنه جميل حقًا، وقال: «هل يُمكنني الاحتفاظ بواحد؟». - «كما تشاء».

سارعَ ليكون يقول: «وأنا أيضًا. أريدُ أربعةً لأنني في الرّابعة!». تركّه المايستر يُحصي أربعة رؤوس، وقال محدّرًا: «احترس لأنها ما زالت حادّةً، لا تجرح نفسك».

كان من المهم لبران أن يعرف، فقال للمايستر: «حدّثني عن الأطفال». - «ماذا تريد أن تعرف؟».



- «كُلَّ شَيْءٍ».

شدَّ المايستر لوين السُّلسلة المحيطة بعُنقه حيث أصابته بالحكَّة، ثم بدأ يروي: «كانوا قومًا عاشوا في فَجَرِ العصور وأولها على الإطلاق، قبل أن يكون هناك ملوك أو ممالك. في تلك الأيام لم يكن هناك شيء اسمه القلاع أو الحصون، لا شيء كالمُدُن، ولا حتى بلدة صغيرة على طول المسافة بين هنا وبِحَرِ دورن. وقتها لم يكن هناك بَشَرٌ إطلاقًا، لا أحد غير أطفال الغابة الذين عاشوا في البلاد التي نعرفها الآن باسم الممالك السَّيِّع. كانوا قومًا سُمر الوجوه بهيِّ الطَّلعة، وقصيري القامة بحيث لا يزيد طولهم على طول طفل حتى عندما يكْبُرُون ويَبْلُغُون، وقد اتَّخذوا من أغوار الغابات مأوىً وقَطَنُوا في الكهوف والمستنقعات والبلدات السريَّة المقامة بين الأشجار. وعلى الرغم من حجمهم الصَّغير، فقد تمتَّعوا بالرَّشاقة وسرعة الحركة، وهكذا كان ذكورهم وإناثهم يَخْرُجُون للصيد معًا مستخدمين أقواسًا من خشب الويروود والشَّراك الطَّائرة. ألَّهتهم كانت آلهة الغابات والنُّهيرات والحجارة، الآلهة القديمة التي بقيت أسماؤها سرًّا مكتومًا، وسُمِّيَ حُكماؤهم "الأنبياء الخُضر"، وهُم من حَفَرُوا تلك الوجوه الغريبة في أشجار الويروود كي تَحْرُسَ الغابات من الأذى. لا أحد يدري كم من الوقت سادَ الأطفال هذه الأرض ولا من أين أتوا، لكن منذ نحو اثني عشر ألف عام جاءَ البَشَرُ الأوائل من الشَّرق عابرين ذراع دورن المكسورة قبل أن تُكسَّر، جاءوا حاملين سيوفًا من البرونز ومرتدين دروعًا جِلْدِيَّةً منبِعةً وممتطين خيولًا قويَّةً، ولم تكن الخيول قد شوهدت على هذا الجانب من البَحَر الضيِّق قبلها قط. لا شكَّ أن الأطفال كانوا خائفين من منظر الخيول تمامًا كما خافَ البَشَرُ الأوائل من منظر الوجوه المحفورة في الأشجار. وبينما بدأ البَشَرُ الأوائل يُقيمون المعاقل والمزارع، فقد قَطَعُوا تلك الأشجار كذلك وألقوا بها في النَّار، ما كان بمثابة هولٍ حقيقيٍّ لأطفال الغابة فقرَّروا إعلان الحرب.

تقول الأغاني القديمة إن الأنبياء الخُضر استَخدموا سِحْرًا أَسودَ لترتفع مياه البحار وتكتسح اليابسة وتُحطَّم ذراع دورن، لكن أوان إغلاق هذا الباب كان قد فَاتَ بالفعل. استمرَّت الحروب حتى ارتوت الأرض بدماء البشر والأطفال على حَدِّ سواء، لكن دماء الأطفال كانت أغزر من دماء البشر الأقوى والأكبر منهم حجمًا، علاوةً على أن الخشب والحجارة والزُّجاج البركاني لا يَصْلَحون للقتال في مُواجهَةِ البرونز. أخيرًا كانت الغلبة لحُكماء الجنسين، والتقى كبار وأبطال البشر الأوائل بالأنبياء الخُضر وراقصي الغابات وسط بساتين الويروود الواقعة على جزيرة صغيرة في البحيرة العظيمة التي نعرفها باسم بحيرة عين الآلهة، وهناك اتَّفَق الطرفان على "الميثاق"، بحيث ينال البشر الأوائل الأراضي السَّاحليَّة والسُّهول العالية والمروج النَّضرة والجبال والمستنقعات، بينما تظلُّ الغابات العميقة ملكًا لأطفال الغابة إلى الأبد، ولا يُقَطَّع المزيد من أشجار الويروود في أيِّ مكانٍ آخر في البلاد منذ ذلك الحين فصاعدًا. هكذا، وكى تشهد الآلهة على توقيع الميثاق، حَفَرَ وجهه على كُلِّ شجرة في الجزيرة، وبعدها تكوَّنت طائفة الرُّجال الخُضر المقدَّسة لثُحَافِظ على جزيرة الوجوه. بدأ "الميثاق" أربعة آلاف عام من الصَّدَاقَة بين البشر والأطفال، ومع مرور الوقت تخلَّى البشر الأوائل عن الآلهة التي جاءوا بها عبر البحر واعتنقوا عبادة آلهة الغابات السَّرِّيَّة، وهكذا أنهى توقيع "الميثاق" فَجْرَ العصور وبدأ عصر الأبطال.

كوَّز بران قبضته حول رأس السَّهم الأسود اللَّامع، وقال: «لكنك قلت إن أطفال الغابة ماتوا واندثروا جميعًا».

- «هنا نعم»، قالت أوشا وهي تقطع طرف آخر ضَمَّادَةٍ بأسنانها. «لكن الوضع مختلف شَمال "الجدار"، فإلى هناك ذهبَ الأطفال والعمالقة والأجناس القديمة الأخرى».

زفَرَ المايستر وقال: «اسمعي يا امرأة، إذا أردتِ الحَقَّ، فيَجْدُرُ بك أن

تكوني ميتة أو مكبلّة بالأغلال الآن، لكن آل ستارك عاملوك بلطف أكثر مما تستحقين، ومن الدّناءة أن تُرَدِّي لهم الجميل بملء عقل الصّبيّن بهذا الهراء».

قال بران: «أخبرني أين ذهبوا، أريد أن أعرف».  
وقال ريكون: «وأنا أيضًا».

- «أوه، ليكن»، تمتّم المايستر. «طيلة فترة سيطرة ممالك البشر الأوائل ظلّ "الميثاق" قائمًا، واستمرّ طوال عصر الأبطال واللّيل الطّويل وحتى ميلاد الممالك السّبع، لكن أخيرًا جاء وقت بعد عدّة قرونٍ عبر فيه آخرون البحر الضيّق. الأنداليّون كانوا أولهم، وقد كانوا شعبًا من المُحاربين طوال القامة ذوي شعر ناعم منسدل، وجاءوا ومعهم الفولاذ والنّار وعلى صدورهم رُسمت نجمة الآلهة الجديدة السّباعيّة. استمرّت الحروب مئات الأعوام، لكن في النّهاية سقطت الممالك الجَنوبيّة الست أمامهم، وهنا فقط قهر المَلِك في الشّمال كلّ جيشٍ حاول عبور "العنق" ليستمّر حُكم البشر الأوائل. أحرق الأنداليّون بساتين الويرود وشوّهوا الوجوه وذبحوا أطفال الغابة أينما وجدوهم، وأعلنوا في كلّ مكان انتصار "السّبعة" على الآلهة القديمة، وهكذا فرّ الأطفال إلى الشّمال حيث...».

قاطعه عواء سمر الذي تردّد فجأة فبتّر المايستر لوين كلامه مُجفلاً، وعندما نهض شاجيدوج مضيقاً صوته إلى صوت أخيه، أطبق الرّعب على قلب بران، وبيقين اليائسين همس: «إنه قادم». أدرك لحظتها أنه يعرف هذا بالفعل منذ ليلة أمس، منذ قاذة الغراب إلى السّرايب ليقول وداعًا. كان يعرف لكنه رفض أن يُصدّق، وأراد بشدّة أن يكون المايستر لوين على حق. الغراب... الغراب ذو الأعين الثّلاث.

توقّف العواء فجأة كما بدأ، وقطع سمر غُرْفَة البرج دانيًا من شاجيدوج وبدأ يلحق خصلة من الفرو الدّامي على مؤخرة عنق أخيه، ومن النّافذة جاء صوت أجنحة تخفق.

ثم حَطَّ غُذاف على عتبة النَّافذة الحَجَرِيَّة وفتح منقاره وأطلق صبيحةً  
حزينةً شديدة الخشونة.

بدأ ريكون يبيكي، وسقطت رؤوس السَّهام من يده واحدًا تلو الآخر  
لتدحرج على الأرض، فجذبته بران وضمَّه إليه.

حدَّق المايستر لوين في الطَّائر الأسود كأنه عقرب ذات ريش، ثم  
نهَضَ ببطءٍ كالسَّائرين نيامًا واتَّجه إلى النَّافذة، وعندما أطلق صفيًّا وثبَّ  
الغُذاف ليحطَّ على ذراعه المضمَّدة، ليرى المايستر أن جناحيه ملوَّثان  
بالدِّماء، فغمغم: «صقر، أو ربما بومة. مخلوق مسكين، من العجيب أنه  
أكمل رحلته»، ثم التقطَ الرِّسالة المربوطة بساق الطَّائر.

وجدَ بران نفسه يرتجف والمايستر يبسط الورقة، وقال وهو يَضُمُّ أخاه  
إليه أكثر وأكثر: «ماذا تقول؟».

- «أنت تعرف ماذا تقول يا فتى»، قالت أوشا بلهجةٍ لا يعوزها الحنان،  
ووضعت يدها على رأسه.

رفع المايستر لوين عينيه إليهما كالمخدَّر، رجل ضئيل الحجم تلوَّث  
كُم معطفه الصُّوفي الرَّمادي بالدِّماء واغرورت عيناه بالدموع، وللابنين  
قال بصوتٍ مبحوح مهزور: «أيها السيِّدان الصَّغيران، يجب... يجب أن  
نَعثرُ على نَحَاتٍ يَعْرِف ملامحه جيِّدًا».



## سانزا

في عُرفة البُرج الواقعة في قلب حصن ميجور سلّمت سانزا نفسها للظلمات.

كانت قد أسدلت الستائر المحيطة بفراشها واستسلمت للنوم واستيقظت تبكي ثم عادت تنام، وعندما لم تستطع النوم تمددت تحت الأغشية ترتجف حرقاً. جاءت الخادومات وذهبن حاملات وجباتها، لكنها لم تحتمل مجرد النظر إلى الطعام، فتكوّمت الأطباق على المائدة المجاورة للتأفذة دون أن تمسّها حتى تلف ما فيها، وجاءت الخادومات لياخذنها مرةً أخرى.

أحياناً كان نومها ثقيلاً بلا أحلام، فتستيقظ منه مُتعبَةً أكثر مما كانت عندما أغلقت عينيها، وعلى الرغم من ذلك فضّلت على النوم المصحوب بالأحلام، فعندما تحلم كانت تحلم بأبيها. في اليقظة والنام كانت تراه، ترى ذوي المعاطف الذهبية يطرحونه أرضاً، ترى السير إلين يتقدّم مستلاً "جليد" من الغمد على ظهره، ترى اللّحظة... اللّحظة التي... لقد أرادت أن تُبعد عينيها، أرادت ذلك حقاً، وتهاوت ساقاها من تحتها وسقطت على رُكبتها، لكنها لسبب ما لم تقوَ على أن تُدير رأسها بعيداً، والكل كان يصرُخ ويهتف، وأميرها ابتسم لها، ابتسم لها وشعرت بالأمان مدّة نبضة قلب واحدة قبل أن ينطق تلك الكلمات، وساقا أبيها... هذا ما كانت تتذكره، ساقاه، وكيف اختلجتا والسير إلين... والسيف...

لَمَّا قَالَتْ لِنَفْسِهَا إِنَّهَا سَتَمُوتُ أَيْضًا فِي الْغَالِبِ، لَمْ يَبْدُ الْخَاطِرَ شَنِيعًا لَهَا لِهَذِهِ الدَّرَجَةِ. إِذَا أَلْقَتْ نَفْسَهَا مِنَ النَّافِذَةِ سَتَضَعُ نَهَايَةَ لِمَعَانَاتِهَا، وَطَوَالَ السَّنِينَ الْقَادِمَةِ سَيَكْتُبُ الْمَغْنُونُ أَغَانِي عَنْ حُزْنِهَا. سِيرَتُمِي جُثْمَانَهَا عَلَى حَجَارَةِ السَّاحَةِ فِي الْأَسْفَلِ بَرِيثًا مَكْسُورًا، يُكَلِّلُ كُلَّ مَنْ خَانُوهَا بِالْعَارِ. قَطَعَتْ سَانِزَا غُرْفَةَ النَّوْمِ وَفَتَحَتْ السِّتَائِرَ بِالْفِعْلِ، لَكِنْ سَجَاعَتِهَا تَخَلَّتْ عَنْهَا وَعَادَتْ جَارِيَةً بَاكِئَةً إِلَى الْفِرَاشِ.

حَاوَلَتْ الْخَادِمَاتُ أَنْ يُكَلِّمْنَهَا عِنْدَمَا جَثْنَ بِطَعَامِهَا وَلَمْ تُجِبْهُنَّ، وَفِي مَرَّةٍ أَتَى الْمَایِستِرُ الْأَكْبَرُ پَايسِلَ حَامِلًا صَنْدُوقًا مِنَ الْقَنَائِنِ لِيرَى إِنْ كَانَتْ مَرِيضَةً، وَجَسَّ جَبْهَتَهَا وَجَعَلَهَا تَخْلَعُ ثِيَابَهَا وَتَحْسَسُ جَسَدَهَا كُلَّهُ بَيْنَمَا ثَبَّتَتْهَا خَادِمَتِهَا فِي مَكَانِهَا، وَقَبْلَ أَنْ يُغَادِرَ أُعْطَاهَا شَرِبَةً مِنَ الْمَاءِ بِالْعَسَلِ وَالْأَعْشَابِ وَقَالَ لَهَا أَنْ تَتَنَاوَلَ جُرْعَةً وَاحِدَةً كُلَّ لَيْلَةٍ، فَشَرِبَتْهَا كُلِّهَا فِي اللَّحْظَةِ نَفْسَهَا وَعَادَتْ إِلَى النَّوْمِ.

حَلَمَتْ بِخَطَوَاتِ أَقْدَامِ عَلَى دَرَجَاتِ الْبُرْجِ، بِالصَّوْتِ الْمَشِيرِ لِلتَّوَجُّسِ الصَّادِرِ عَنْ احْتِكَاكِ الْجِلْدِ بِالْحَجَرِ وَرَجْلُ مَا يَصْعَدُ دَرَجَةً دَرَجَةً بِتَوْدَةٍ نَحْوَ غُرْفَتِهَا، وَلَيْسَ بِمَقْدُورِهَا غَيْرَ أَنْ تَرِيضَ وَرَاءَ الْبَابِ وَتُصْغِيَ مَرْتَجِفَةً وَهُوَ يَقْتَرِبُ وَيَقْتَرِبُ. كَانَتْ تَعْرِفُ أَنَّهُ السَّيْرُ إِلَى بَابِ الْقَادِمِ إِلَيْهَا حَامِلًا "جَلِيدًا" فِي يَدِهِ، قَادِمٌ لِيَقْطَعَ رَأْسَهَا، وَلَا مَكَانَ تَهْرُبَ إِلَيْهِ، لَا مَكَانَ تَخْتِئُ فِيهِ، لَا وَسِيلَةَ لِإِيصَادِ الْبَابِ. أَخِيرًا تَوَقَّفَتِ الْخَطَوَاتُ وَعَرَفَتْ أَنَّهُ يَقِفُ الْآنَ وَرَاءَ الْبَابِ صَامِتًا بَعِينَهُ الْمَيْتِينَ وَوَجْهَهُ الطَّوِيلَ الْمَلِيءَ بِالْبُشُورِ، وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ أَدْرَكَتْ أَنَّهَا عَارِيَةٌ تَمَامًا فَجَلَسَتْ الْقَرْفِصَاءَ مُحَاوِلَةً أَنْ تَغْطِيَ نَفْسَهَا بِيَدَيْهَا وَقَدْ بَدَأَ الْبَابُ يَنْفَتِحُ بِبُطءٍ مُصْدِرًا صَرِيرًا مَوْلَمًا وَرَأْسَ السَّيْفِ الْعَظِيمِ يُطِلُّ مِنْهُ... وَاسْتَيْقَظَتْ مُتَمَتِّعَةً: «أَرْجُوكَ، أَرْجُوكَ، سَأَكُونُ مَطْبِيعَةً، سَأَكُونُ مَطْبِيعَةً، أَرْجُوكَ لَا تَقْتُلْنِي»، لَكِنْ أَحَدًا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ.

لَمْ تَسْمَعْ سَانِزَا خَطَوَاتِ أَقْدَامِهِمْ عِنْدَمَا جَاءَ وَهَا أَخِيرًا فِي عَالَمِ الْوَاقِعِ. كَانَ چوفرِي هُوَ مَنْ فَتَحَ بَابَهَا، لَيْسَ السَّيْرُ إِلَى بَابِ الصَّبِيِّ الَّذِي

كان أميرها، وكانت متكورة على نفسها في فراشها الذي أسدلت الستائر حوله، دون أن تدري حتى إن كان الوقت ظهرًا أم منتصف الليل. أول شيء سمعته هو الباب بفتح بصوتٍ صاخب، ثم شدَّ أحدهم الستائر فرفعت يدها لتقي عينيها من الضوء المباغت، ورأتهم واقفين أمامها. «ستحضرين انعقاد البلاط اليوم»، قال جوفري. «عليك أن تستحمي وترتدي ثوبًا يليق بخطيئتي». كان ساندور كليجاين يقف وراءه مباشرة وقد ارتدى صدره بُنيَّةً بلا نقوشٍ ومعطفًا أخضر، وبدا وجهه المحروق بشعًا في نور الصباح، ومن ورائهما وقف اثنان من فرسان الحرس الملكي في معطفين من الحرير الأبيض.

سحبَت سانزا الأغطية إلى ذقنها لتُغطِّي نفسها، وقالت متحبةً: «لا... أرجوك، دعني وشأني».

- «إذا لم تنهضي وترتدي ثيابك، سيُجبرك كلبِي على أن تفعلِي».

- «أتوسَّل إليك يا أميري...».

- «أنا مَلِكُ الآن. أخرجها من الفراش أيها الكلب».

أحاطَ ساندور كليجاين بخصرها ورفعها ببساطةٍ من فوق الحشِيَّة المبطَّنة بالريش وهي تُقاوم بوهن، وسقطَ الغطاء على الأرض ليكشف عن غلالة النوم الرقيقة التي تَسْتُرُ عُرْيَها بالكاد، ثم قال كليجاين: «افعلي كما قِيلَ لك يا فتاة، ارتدي ثيابك»، ودفعها نحو خزانة ملابسها بحركة أقرب إلى الرُّقَّة.

تراجعت سانزا بعيدًا عنهم وقالت: «لقد فعلتُ ما طلبته المَلِكَة مني وكتبْتُ الرِّسائل، كتبْتُ ما قالته لي. لقد وعدتني بأنك ستكون رحيماً. أرجوك، دعني أعودُ إلى الدِّيار. لن أقترف أيَّ خيانة، سأكون مطيعةً، أقسمُ لك، ليس هناك دم خونة في عروقي، سأكون مطيعةً، ولا أريدُ إلَّا العودة إلى الدِّيار»، ثم تذكَّرت واجبات المُجاملَة، فحنت رأسها وأردفت بضَعْف: «إذا كان هذا يُرضيك».

« هذا لا يُرضيني »، قال چوفري. « أمي قالت إنني ما زلتُ سأترَوِّجُ منك، لذا ستبقين هنا وتُطيعين الأوامر ».

صاحت نائحة: « لكنني لا أريدُ أن أترَوِّجُ منك! لقد قطعت رأس أبي! ».  
- « أبوك كان خائناً، وأنا لم أعد قَطُ بالعفو عنه، بل بأن أكون رحيماً فقط، ولقد كنتُ كذلك. لو لم يكن أباك لأمرتهم بتمزيق جسده أو سلخ جلده، لكنني أعطيته ميتةً نظيفةً ».

حدقت سائزا فيه وهي تراه للمرة الأولى. كان يرتدي سُترَةً قرمزيةً مبطنةً زُيِّتَ بأشكال الأسود، وحرملةً من قماش الذهب ذات ياقةٍ طويلةٍ صنعت إظاراً حول وجهه من الجانبين. تساءلت كيف تصوَّرت من قبل أنه وسيم، وقد بدت شفاته لئيتين حمراوين كالديدان التي تجدها في التربة بعد سقوط المطر، وعيناه مغممتين بالغطرسة والقسوة. همست: « إنني أكرهك ».

تصلبت ملامح الملك چوفري، وقال: « أمي تقول لي إنه لا يليق بملك أن يضرب زوجته. سير مرين ».

انقضَّ فارس الحرس الملكي عليها قبل أن تستطيع التفكير حتى، وأطاح بيدها بعيداً عندما رفعتها لتحمي وجهها، وهوى بقبضته على أذنها بلكمةٍ عنيفة. لا تذكرُ سائزا أنها سقطت، لكنها وجدت نفسها على رُكبةٍ واحدةٍ بين البُسُط وفي أذنها يدوي رنين صاخب، بينما وقف السير مرين فوقها والدم يُغرق مفاصل قفازه الحريري الأبيض.

- « هل ستُطيعين الآن، أم أجعله يُؤدِّبك ثانية؟ ».

شعرت سائزا بالخدر يسري في أذنها، وعندما مستها بلل الدم أطراف أصابعها. « إنني... كما... كما تأمر يا سيدي ».

- « يا جلالة الملك »، قال چوفري. « سأنتظرك في البلاط »، ثم استدار وانصرف.

تبعه السير مرين والسير آرس إلى الخارج، بينما ظلَّ ساندور كليجايين يُساعدُها على النهوض بحركةٍ خشنةٍ ويقول: « وفري على نفسك الألم يا فتاة وأعطه ما يُريد ».



- «وماذا... ماذا يُريد؟ قل لي أرجوك».

أجاب كلب الصَّيد بصوته الأجنس: «يُريدك مبتسمةً عطرة الرائحة، أن تكوني محبوبته، يُريدك أن تُرددي كل العبارات المهذَّبة التي علَّمتكِ إياها سيِّتِك، يُريدك أن تُحبِّيه... وتخافي منه».

بعد ذهابه عادت سائزاً تجلس على الأرض وتُحَمِّق في الجدار حتى انسَلَّت اثنتان من خادماتها إلى الغرفة، فقالت لهما: «أريدُ مياهاً ساخنةً للحمَّام من فضلكما، وعطراً، وبعض المسحوق كي أخفي هذه الكدمة». كان جانب وجهها الأيمن قد تورَّم وبدأ يؤلِّمها، لكنها تعرف أن جوفري يرغب في أن تبدو جميلةً على الرغم من ذلك.

جعلتها المياه الساخنة تُفَكِّر في وينتفل فاستمدَّت بعض القوة من هذا. لم تكن قد استحمَّت منذ مات أبوها، وأدهشها كم اتَّسخت المياه بينما غسَلَت الخادمتان وجهها من الدَّماء ونظفنا ظهرها من الأوساخ وغسلتا شعرها ومُشْطَها حتى استعادت خصلاته الكستنائية بريقها. لم تُوجِّه سائزاً إليهما كلاماً باستثناء الأوامر، فهما من خادمات لانستر وليستا من خادماتها هي، وبطبيعة الحال لم تثق بهما. عندما حان وقت ارتداء الثَّياب، انتَقَت الفُستان الحريري الأخضر الذي ارتدته يوم الدَّورة، وتذكَّرت كم كان جوفري رقيقاً شهماً معها ليلتها أثناء المأدبة. قد يجعله الفُستان يتذكَّر ويُحَيِّن معاملته لها.

شربَت كوباً من اللَّبن الرَّائب وأكلت بضع قِطْع من البسكويت المحلو وهي تجلس منتظرةً كي تهدأ معدتها الجائعة، وفي منتصف النَّهار عاد السير إلين إليها في درعه البيضاء. كان يرتدي قميصاً من الصَّفائح المعدنية مطليةً بالميْنا ومطعمةً بالذهب، وخوذةً طويلةً ذات ريشة على شكل شمسٍ متفجرة، بالإضافة إلى واقيات الصَّدر والعنق والسَّاقين المعدنية البيضاء اللَّامعة، تحت معطفٍ من الصُّوف الثَّقيل مثبتٌ بدبُوسٍ على شكل أسدٍ ذهبي. كان قد رفع مقدِّمة خوذته، فلاحَ وجهه الكالِح ذو الانتفاخات تحت

العينين وفمه الرفيع القاسي وشعره ذو اللون الصّدي الذي شاع فيه الشّيب. «سيدتي»، قال حائياً رأسه كأنه لم يضربها حتى سألت دماؤها منذ ساعات ثلاث لا أكثر. «جلالته أمرني بأن أصحبك إلى قاعة العرش».

- «هل أمرك بأن تضربني إذا رفضت الذهاب؟».

- «وهل ترفضين الذهاب يا سيدتي؟». النظرة التي رمقها بها كانت خاوية من أيّ تعبير، ولم يلتفتي نظرة واحدة حتى على الكدمة التي خلّفتها ضربته على وجهها.

أدرّكت سانزا لحظتها أنه لا يُكِنُّ لها أيّ كراهية أو أيّ حُب، بل لا يحمل نحوها أيّ مشاعر على الإطلاق. بالنسبة إليه هي... مجرد شيء. قالت وهي تنهض: «كلا»، بينما في قرارة نفسها اشتعلت رغبة في أن تتنفّض وتثور وتؤذيه كما آذاها، أن تُنذره بأن المنفى سيكون مصيره إذا تجرّأ على ضربها ثانية عندما تصير المَلَكَة... لكنها تذكرت ما قاله لها كلب الصّيد، فكان كلّ ما قالته هو: «سأطيعُ كلّ ما يأمر به جلالته».

ردّ: «كما أفعلُ أنا».

- «أجل... لكنك لست فارساً حقّاً يا سير مرين».

كانت سانزا تعرف أن ساندور كليجاين كان ليضحك ساخرًا من قولها هذا، وكان غيره ليشتمها، أو يأمرها بأن تحفظ لسانها، أو حتى يتوسّل منها المغفرة، لكن السير مرين ترانت لم يفعل شيئًا من هذا. السير مرين ترانت -ببساطة- لا يُبالي حقّاً.

وجدت الشّرفة خاوية تمامًا من سواها، ووقفت هناك مُطرقةً وهي تُكافح لكبت عبراتها، بينما جلسَ جوفري في الأسفل على عرشه الحديدي مقيمًا من العدالة ما يروق له. تسع مسائل من أصل عشر أصابته بالصّبح فترك مجلسه يتولّأها وهو يتململ في جلّسته بينما يحلّ اللورد بايلش أو المايستر الأكبر بايسل أو المَلَكَة سرسي المسألة، لكن عند اختياره إصدار الحُكم بنفسه لم تستطع أمّه المَلَكَة نفسها ردعه.

جيءَ بِلِصٍّ للَمْثُولِ أَمَامَهُ، فَأَمَرَ السَّيْرَ إِلَيْنِ بِقَطْعِ يَدِهِ فِي الْحَالِ أَمَامَ جَمِيعٍ مِنْ فِي الْقَاعَةِ، ثُمَّ جَاءَ إِلَيْهِ فَارْسَانٌ بِنَزَاعٍ مَا عَلَى قِطْعَةِ أَرْضٍ، فَأَمَرَ بِأَنْ يَتَبَارَزَا عَلَيْهَا غَدًا وَيَنَالَهَا الْفَائِزُ، وَأَضَافَ: «مَبَارَزَةٌ حَتَّى الْمَوْتِ». بَعْدَهَا جَثَّتْ امْرَأَةٌ عَلَى رُكْبَتَيْهَا أَمَامَهُ مَتَوَسِّلَةً أَنْ تَسْتَعِيدَ رَأْسَ رَجُلٍ أُعِيدَ بِتَهْمَةِ الْخِيَانَةِ، وَقَالَتْ إِنَّهُ كَانَ حَبِيبُهَا وَإِنَهَا تَرْغِبُ فِي أَنْ يُدْفَنَ دَفْنَةً لَائِقَةً، فَقَالَ جَوْفَرِي: «إِذَا كُنْتَ تُحِبِّينَ خَائِنًا، فَلَا بُدَّ أَنْكِ خَائِنَةٌ أَيْضًا»، وَجَرَّهَا اثْنَانِ مِنْ ذَوِي الْمَعَاطِفِ الذَّهَبِيَّةِ إِلَى الزَّنَازِينِ.

جَلَسَ اللَّوْرْدُ سَلِينَتِ ذُو وَجْهِ الضَّفْدَعِ عَلَى مَقْعِدٍ عِنْدَ أَقْصَى مَائِدَةِ الْمَجْلِسِ، وَقَدْ ارْتَدَى سُتْرَةٌ مَخْمَلِيَّةٌ سَوْدَاءُ وَحَرْمَلَةٌ لَامِعَةٌ مِنْ قُمَاشِ الذَّهَبِ، يُومِئُ بِرَأْسِهِ مُوَافِقًا كُلَّمَا أَصْدَرَ الْمَلِكُ حُكْمًا. حَدَقَتْ سَانِزَا بِأَمْعَانٍ فِي وَجْهِهِ الْقَبِيحِ مَتَذَكَّرَةً كَيْفَ أَلْقَى أَبَاهَا عَلَى الْأَرْضِ كَيْ يَضْرِبَ السَّيْرَ إِلَيْنِ رَأْسَهُ، وَتَمَنَّتْ أَنْ تُؤْلِمَهُ، تَمَنَّتْ أَنْ يُلْقِي بِهِ بَطْلًا مَا عَلَى الْأَرْضِ وَيَضْرِبَ رَأْسَهُ، لَكِنْ صَوْتًا فِي دَاخِلِهَا هَمَسَ لَهَا: لَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ اسْمُهُ الْأَبْطَالُ، وَتَذَكَّرَتْ مَا قَالَهُ اللَّوْرْدُ پَيْتَرُ لَهَا هُنَا فِي هَذِهِ الْقَاعَةِ: «الْحَيَاةُ لَيْسَتْ أَغْنِيَّةٌ يَا صَغِيرَتِي، وَقَدْ تَعَلَّمْنِ هَذَا الدَّرْسَ يَوْمًا لِلْأَسَفِ». قَالَتْ لِنَفْسِهَا: فِي عَالَمِ الْوَاقِعِ الْوَحُوشُ هِيَ مِنْ تَرْبِيعٍ، ثُمَّ اسْتَحَالَ الصَّوْتُ فِي رَأْسِهَا إِلَى بَحَّةِ كَلْبِ الصَّيْدِ الْبَارِدَةِ كَاثَتِكَ الْمَعْدَنِ بِالْحَجَرِ: «وَفَرِي عَلَى نَفْسِكَ الْأَلَمِ يَا فَتَاةَ وَأَعْطِيهِ مَا يُرِيدُ».

آخِرُ مَسْأَلَةٍ كَانَتْ لِمَغْنِيٍّ حَانَاتٍ بَدِينِ مَتَّهَمٍ بِتَرْدِيدِ أَغْنِيَّةٍ تَسْخَرُ مِنَ الْمَلِكِ الرَّاحِلِ رُوبَرْتِ، فَأَمَرَهُمْ جَوْفَرِي بِإِحْضَارِ قِيثَارَتِهِ الْخَشَبِيَّةِ وَقَالَ لَهُ أَنْ يُغْنِيَ الْأَغْنِيَّةَ هُنَا، فَبَكَى الْمَغْنِيُّ وَأَقْسَمَ أَنَّهُ لَنْ يُرَدِّدَ تِلْكَ الْأَغْنِيَّةَ ثَانِيَةً أَبَدًا، لَكِنَّ الْمَلِكَ أَصْرَّ. كَانَتْ أَغْنِيَّةٌ طَرِيفَةٌ نَوْعًا، تَحْكِي عَنْ قِتَالٍ بَيْنَ رُوبَرْتِ وَخَنْزِيرٍ، وَعَرَفَتْ سَانِزَا أَنَّ الْمَقْصُودَ بِالْخَنْزِيرِ هُوَ الْخَنْزِيرُ الْبَرِّي الَّذِي قَتَلَهُ، وَإِنْ بَدَأَ فِي بَعْضِ الْأَبْيَاتِ أَنَّهُ يَكَادُ يَقْصِدُ الْمَلِكَةَ نَفْسَهَا. عِنْدَمَا انْتَهَتْ الْأَغْنِيَّةُ قَالَ جَوْفَرِي إِنَّهُ قَرَّرَ أَنْ يَكُونَ رَحِيمًا، وَحَكَمَ عَلَى الْمَغْنِيِّ

بأنه يستطيع الاحتفاظ إمّا بأصابعه أو لسانه، ومنحه يوماً واحداً ليقرر؛  
وأوماً جانوس سليت مؤيداً.

كان الأصيل في أواخره لمّا تنفّست سائرا الصُّعداء وقد انتهت مسائل  
البلاط لهذا اليوم... لكن مُعاناتها لم تكن قد انتهت بعد. عندما أعلن  
الحاجب انفضاض البلاط هُرِعت مُغادرة الشُّرفة، فقط لتجد جوفري  
ينتظرها عند قاعدة السّلالم الملتوية ومعه كلب الصّيد والسير مرين  
ترانت. رمقها المَلِك الصّبي بنظرة فاحصة من أعلى إلى أسفل، ثم قال:  
«منظرك أفضل كثيراً الآن».

- «شُكراً لك يا جلالة المَلِك»، قالت. كلمات فارغة، لكنها جعلته  
يوميح برأسه ويتسم.

مدّ جوفري ذراعه لها قائلاً: «امشي معي»، ولم يكن لديها خيار غير  
أن تتأبطها. كانت لمسة يده لتثير ألذّ المشاعر فيها من قبل، لكنها ذكّرتها  
الآن بالثّعابين. «سيحلّ يوم ميلادي قريباً»، قال جوفري وهم يخرجون  
من مؤخرة قاعة العرش. «ستقام مأدبة عظيمة، وستكون هناك هدايا. ماذا  
ستعطيني؟».

- «لم... لم أفكر في هذا يا سيّدي».

- «يا جلالة المَلِك!»، قال بحدّة. «أنت فتاة غبيّة حقّاً، أليس كذلك؟  
يبدو أن أمّي على حقّ فيما قالته».

- «هي قالت هذا؟». بعد كلّ ما حدث كان من المفترض أن تفقد  
كلماته القدرة على جرحها، لكنها شعرت بالألم على الرغم من ذلك،  
فلطالما كانت المَلِكة رقيقة كيّسة معها.

- «أوه، بالطبع. إنها قلقة على أطفالنا وإن كانوا سيُصبحون أغبياء  
مثلك، لكنني قلتُ لها ألا تشغل بالها»، وأشار المَلِك فأسرع السير مرين  
يفتح الباب المغلق أمامهم.

غمغمت: «شُكراً لك يا جلالة المَلِك». كلب الصّيد كان مُحقّقاً، إنني

مَجْرَد طائر صغير جميل متكلم، يُرَدِّد كُلَّ الكلمات الصَّغيرة الجميلة التي دَرَّبوه عليها. كانت الشَّمْس قد تَوَارَتْ وراء السُّور الغربي وتوهَّجت حجارة القلعة الحمراء بلونٍ داكنٍ دام.

- «سأضعُ طفلاً في بطنكِ بمنجَرَد أن تكوني قادرةً على الحمل»، قال جوفري وهو يقودها عبر ساحة التَّدريب. «إذا وجدتُ أولَ طفل غيبياً، سأقطعُ رأسكِ وأجدُ لنفسِي زوجةً أذكى. منى ستكونين قادرةً على الإنجاب؟».

لم تستطع سائزَا النَّظر إليه وقد أصابَتْها كلماته المهينة بالخجل الشَّدِيد، وردَّت: «السَّيِّئةُ مورَدَن تقول إن معظم... معظم البنات كريمات الأصل يُزهِرنَ في الثَّانية أو الثَّالثة عشر».

أوماً جوفري برأسه وأشار قائلاً: «من هنا»، وقادها إلى داخل مبنى البوابة حيث قاعدة السَّلالِم التي تقود إلى شُرَفات الأسوار في الأعلى. تراجعت سائزَا منتزعةً ذراعها من ذراعه وهي ترتجف بقوةٍ وقد أدركت فجأةً المكان الذي يقودها إليه، وبصوتٍ خرج في شكل شهقةٍ ملتاغيةٍ صاحَتْ: «لا! أرجوك لا، لا تجعلني أرى، أتوسَّل إليك!».

زَمَّ جوفري فاه وقال: «أريدُ أن أريك ما يَحْدُثُ للخونة».

هَزَّت رأسها بعُنفٍ وردَّدت: «لن أنظر، لن أنظر».

قال جوفري: «يُمْكِنُني أن أجعل السيرَ مرينَ يَجُرُّكِ إلى أعلى، ولن يروق لكِ هذا. خيرٌ لكِ أن تفعلِي كما قلتُ»، ومدَّ يده لها لكنها تراجعت منكمشةً على نفسها حتى اصطدمَ ظَهرُها بكلب الصَّيد.

- «أطيعي الأمر يا فتاة»، قال ساندور كليجاين وهو يدفعها نحو المَلِك مجدداً وفمه يرتجف عند الجانب المحروق من وجهه، وكادَتْ سائزَا تسمع ما يرغَب في أن يقولَه لها: سوف يُجبرُكِ على الصُّعود بأيِّ شكل، فأعطيه ما يُريد.

أجبرت نفسها على الإمساك بيد جوفري، ثم بدأت صعود السَّلالِم

الذي كان أشبه بالكابوس، فكل خطوة إلى أعلى كانت معاناة حقيقية، كأنها تسحب قدميها من بركة وحل عميقة، والدراجات كانت أكثر مما تصوّرت بكثير، ألف ألف درجة، وبعدها يقبع الرُعب منتظرًا على الأسوار.

امتدّ العالم كله أمامهم وهم يقفون في شُرْفَة مبنى البوابة الشاهقة، ورأت سانزا سبت يبلور الكبير مرتفعًا فوق تلّ فيزينا حيث مات أبوها، وعلى الطرف الآخر من شارع الأخوات وقفت أطلال جُـب التّانين بجدرانها التي سوّدتّها النيران، وإلى الغرب كانت الشّمس الحمراء نصف متوارية وراء بوابة الآلهة. من ورائها كان البحر المالح، وإلى الجنوب سوق السمك والمراسي ومياه النّهر الأسود المتدفّقة، وإلى الشّمال... التفتت في هذه الجهة ولم تر غير المدينة، الشّوارع والأزقة والتلال والجحور والمزيد من الشّوارع والمزيد من الأزقة وحجارة الأسوار البعيدة، وإن كانت تعرف أن وراء الأسوار يقع الرّيف المفتوح، المزارع والحقول والغابات، وبعد كلّ هذا، شمالًا شمالًا تنفّ وتترفل شامخة.

- «إلام تنظرين؟»، قال جوفري. «هذا ما أريدك أن تريه، هنا».

كان متراس حجريّ سميك يحمي الحافة الخارجيّة للشّرفة ويصل حتى ذقن سانزا، وقد حُفرت فيه فتحات للرّماة كلّ خمسة أقدام، والرؤوس كانت معلقة بين الفتحات على خوازيق حديدية على قمّة السّور وتواجه المدينة. لاحظتها سانزا بمجرد أن خطّت على الممشى، لكن منظر النّهر والشّوارع العامرة بالحياة والشّمس الغاربة كان أحلى بكثير بطبيعة الحال، وقالت لنفسها: يُمكنه أن يُجبرني على النّظر إلى الرّؤوس، لكنه لا يستطيع إجباري على رؤيتها.

قال: «هذا رأس أبيك، هذا هناك. أدرك أيها الكلب كي تراه».

أمسك ساندور كليجاين الرّأس من شعره وأدّاه. كان الرّأس المقطوع قد غُمس في القطران كي يبقى سليمًا لفترة أطول، ونظرت سانزا إليه بمنتهى الهدوء وهي لا تراه على الإطلاق. ثم إنه لم يبدُ شبيهًا باللورد

إدارد حقًا، بل لم يبدُ حقيقياً حتى. «كم من الوقت يجب أن أنظر؟»  
بدا جوفري مُحَبَطًا، وقال مشيرًا إلى صَفِّ الرُّؤوس الطُّويل: «هل  
تُريدن رؤية بقيّتها؟».

- «إذا كان هذا يُرضي جلالتك».

ساقها جوفري على الممشى مرورًا بدستة من الرُّؤوس وخازوقين  
خالين أشارَ لهما قائلًا: «أحتفظُ بهذين لعمِّي ستانيس وعمِّي رنلي».  
الرُّؤوس الأخرى كانت مقطوعةً ومخوزقةً قبل أبيها بفترة طويلة، وعلى  
الرغم من القطران الذي غُمِسَتْ فيه فإن التعرُّف على ملامح أصحابها  
صارَ مستحيلًا تمامًا. أشارَ المَلِك إلى أحدها وقال: «هذا رأسُ سِبتك»،  
لكن الرأس لم يبدُ لسانزا أنه رأس امرأةٍ أصلًا من فرط تشوُّهه، فالفَكُّ  
كان قد تعفَّن تمامًا والتهمَّت الطُّيور أذنًا وجزءًا كبيرًا من إحدى الوجنتين.  
كانت سانزا قد تساءلت عمَّا حدثَ للسَّيِّئة موردن، وإن خطرَ لها أنها  
تعرف الإجابة من البداية. سألته: «لماذا قتلتها؟ لقد كانت من خدام الآلهة».

- «لقد كانت خائنة»، قال جوفري متجهِّمًا وقد بدا أنها أثارَت استياءه  
بشكلٍ ما. «لم تقولي ما الهدية التي ستُعطيني إياها يوم ميلادي. ربما  
يَجْدُرُ بي أن أهديك أنا شيئًا، ما رأيك؟».

- «إذا كان هذا يُرضيك يا سيدي».

أدركت أنه يسخر منها عندما ابتسم، وقال: «تعرفين أن أخاكِ خائن أيضًا»،  
وأدارَ رأس السَّيِّئة موردن نحوهما مضيفًا: «إنني أذكرُ رؤيته في وينترفِل. قال  
كلبي عنه إنه سيَدُ السُّيوف الخشبيَّة، أليس كذلك أيها الكلب؟».

أجابَ كلب الصَّيد: «لا أذكرُ».

هَزَّ جوفري كتفيه بلا مبالاة وقال: «أخوكِ هَزَمَ خالي جايمي، وأمِّي  
تقول إنه فعلها بالخيانة والخداع. لقد بكت عندما عرفت ما حدث. كل  
النساء ضعيفات حقًا، حتى هي، وإن كانت تتظاهر بالقوَّة. تقول إن علينا  
البقاء في كينجز لاندنج في حالة قرَّر عمَّاي الهجوم، لكنني لا أبالي».

بَعْدَ الاحتفال بيوم ميلادي سأحشدُ جيشًا وأقتلُ أخاكِ بنفسِي؛ وهذا ما سأهديكِ إياه أيتها الليدي سانزا، رأس أخيكِ».

لحظتها استولى عليها نوع من الجنون، وسمعتَ نفسها تقول: «أو قد يُهديني أخي رأسك أنت».

حدّقَ چوفري فيها وقد اكفهرتَ ملامحه، وقال: «لا ينبغي أن تسخري مني هكذا أبدًا. الزوجة الصالحة لا تسخر من سيدها. سير مرين، علّمها». هذه المرأة أمسكها الفارس من تحت فكّها وثبّتَ رأسها وهو يضربها. ضربها مرّتين، من اليسار إلى اليمين، ثم ضربةً عكسيّةً أقوى شقّت شفتها وجعلتَ الدّماء تسيل على ذقنها لمتزج بملح دموعها.

قال چوفري: «ولا ينبغي أن تبكي طوال الوقت هكذا. أنتِ أجمل عندما تبسمين وتضحكين».

أرغمتَ سانزا نفسها على الابتسام وقد خافتَ أن يجعل السير مرين يضربها ثانية إذا لم تفعل، لكن الابتسامة كانت بلا طائل، وهزّ الملك رأسه باستياءٍ قائلاً: «امسحي الدّم. إنكِ تبدين مزريّة».

كان المتراس الخارجي يصل إلى ذقنها، لكن بطول حافة المشي الداخليّة لم يكن هناك شيء، لا شيء سوى السقطة الطويلة إلى الفناء على بُعد سبعين أو ثمانين قدمًا في الأسفل. قالت لنفسها إن كلّ ما يتطلبه الأمر هو دفعة واحدة. إنه يقف هناك، هناك على الحافة، يتسم لها بهاتين الشفتين الدوديتيّين. يُمكنكِ أن تفعلِها، يُمكنكِ أن تفعلِها. افعلِها الآن، الآن. ولا يهمّ حتى إذا سقطتَ معه، لا يهمّ على الإطلاق.

- «هاكِ يا فتاة»، قال ساندور كليجاين وهو يركع أمامها واضعًا نفسه بينها وبين چوفري، وبرقّة أدهشها أنها تصدر من رجلٍ مثله جفّف الدّم المنبثق من شفتها المشقوقة.

أدركتَ أن اللحظة راحت، وخفضتَ عينيها وشكرته عندما انتهى. إنها فتاة مهذّبة تتذكّر آداب المُجاملة دائمًا.





## دنيرس

اكتنفت الأجنحة حُلُمها المحموم وأحاطته بالظلال القائمة.

- «أنتِ لا ترغبين في إيقاظ التنين، أليس كذلك؟».

كانت تمشي في رواق طويل تحت قناطر حَجَرِيَّة عالية، لا تستطيع أن تنظر وراءها، بل لا بُدَّ أَلَّا تنظر وراءها، وأمامها لَح الباب من بعيد، يبدو ضئيلاً للغاية والمسافة الطويلة تفصل بينها وبينه، لكن حتى من على هذا البُعد رأت أنه مطليٌّ بالأحمر. سارت بسرعة أكبر، فتركت قدماها آثاراً داميةً على حجارة الأرض.

- «أنتِ لا ترغبين في إيقاظ التنين، أليس كذلك؟».

رأت السَّهل الحيَّ المسمَّى ببحر الدوثر اكي تحت نور الشَّمس مفعماً بروائح التُّربة والموت. حرَّكت الرِّياح أعواد العُشب فتموجت كمياه المحيط، وحملها دروجو بذراعيه القويَّتين، ومسدت يده فرجها وفتحها وأيقظت فيها ذلك البلبل اللذيذ الذي كان له وحده، وابتمت لهما نجوم السَّماء من أعلى، نجوم في عِزِّ الظَّهر. «الوطن»، همست وهو يدخلها ويملاها بنُطفته، لكن النجوم اختفت فجأة، وعبر السَّماء الزَّرقاء حلَّق الجناحان الضَّخمان واشتعلَّ العالم لهماً.

- «... لا ترغبين في إيقاظ التنين، أليس كذلك؟».

كان وجه السير چورا مكفهراً حزيناً إذ قال لها: «ريجار كان التنين الأخير»، وأخذ يُدفع يدين شبه شفاقتين فوق المُستوقد المتقد الذي

توهجت فيه البيضات الحجرية كالجمار. في لحظة كان موجوداً وفي التالية يتلاشى. وقد صار لحمه بلا لون، يتلاشى حتى بات أقل تماسكاً من الرّيح. «التنين الأخير»، همس وقد بدا كرقاقة رفيعة ثم اختفى تماماً، وشعرت بالظلام من ورائها، وبدا الباب الأحمر أبعد مما كان.

- «... لا ترغبين في إيقاظ التنين، أليس كذلك؟».

وقفت فسيرس أمامها بصرخ: «التنين لا يتوسّل أيتها العاهرة. ليس من حقك أن تأمري التنين. أنا التنين، وسأنال تاجي!». تقطر الذهب المصهور على وجهه كالشمع حارقاً أخاديد عميقة في لحمه. «أنا التنين، وسأنال تاجي!»، صرخ بأعلى صوته، ووثبت أصابعه كالثعابين وقبضت على حلمتها وأخذت تلويهما وتقرصهما بقسوة بينما تفجرت عيناه وسانتا كالهلام على الوجتين المسفوعتين المسودتين.

- «... لا ترغبين في إيقاظ التنين...».

الباب الأحمر بعيد عنها للغاية، والآن كانت تشمُ بالأنفاس الباردة كالثّالج من ورائها، تنطلق نحوها بأقصى سرعة لتجتاحتها. إذا لحقت بها فستمنى بميتة أشنع من الموت ذاته، وحدها في الظلام يتردد بكاؤها كالعويل إلى أبد الأبد... وبدأت تجري.

- «... لا ترغبين في إيقاظ التنين...».

كانت تشمُ بالحرارة في داخلها، الحريق الرّهب في رَحِمها. رأت ابنها طويلاً نبيل القسمات، لديه بشرة دروجو النحاسية وشعرها الذهبي الفضي، وعيناها البنفسجيتان المُشكّلتان كحيتي لوز كعينييه. وابتسم ابنها لها وبدأ يرفع يده نحوها، لكن النيران تدفقت من فيه عندما فتحه، ورأت قلبه يحترق في صدره، وفي غمضة عين اختفى وقد التهمه اللهب كما تلتهم الشمعة عثة، واستحال إلى رماد. وبكت على ابنها، على أمنية أن يرضع بفيه الرقيق الصغير من ثديها، وتحولت دموعها إلى بخارٍ بمجرد أن مسّت جلدها.

- «... ترغبين في إيقاظ التَّين...».

اصطَفَت الأشباح في الرُّواق وقد ارتدَّت ثياب الملوك الباهتة وفي أيديها سيوف من نارٍ شاحبة. منهم من كان شعره فضيًّا، ومنهم من كان شعره ذهبيًّا، ومنهم من كان شعره أبيض كالعاج، وعيونهم كانت من الأوبال والجَمَشَت والتورمالين واليَّشب. «أسرعي!»، صاحوا فيها. «أسرعي، أسرعي!»، وانطلقت تعدو بكلِّ ما لديها من سرعةٍ وقداها تذييان الحجارة أينما مسَّتْها. «أسرعي!»، صاحَت الأشباح بصوتٍ واحد، وصرخت هي وألقت نفسها إلى الأمام، وشعرت بالألم يَشُقُّ ظَهرها كسكينٍ ويلحمها يتمزِّق، وشمَّت رائحة الدَّم المحروق، وراَت ظِلَّ جناحين... وطارَت دَيرس تارجارين.

- «... إيقاظ التَّين...».

لاحَ الباب من أمامها، الباب الأحمر، قريبًا للغاية، قريبًا للغاية، والرُّواق كالضُّباب من حولها، والبرد يتراجع. ثم لم تَعُدْ هناك حجارة وحلَّقت فوق بحر الدوثرأكي، إلى أعلى وأعلى حلَّقت والعُشب يتموِّج في الأسفل، وفَرَّ كل شيء حيٍّ يتنفَّس وقد تملَّكه الرُّعب من ظِلِّ جناحيها. كانت تشمُّ رائحة الوطن، تراه، هناك وراء الباب مباشرةً، الحقول الخضراء والبيوت الحجريَّة الضَّخمة والأذرع التي ستُدْفَنها، هناك... ودفعَت الباب وفتحتَه.

- «... التَّين...».

ورأت أخاها ريجار يمتطي جوادًا ضخمًا أسودَ كِدرعه وقد انْقَدَت النَّار من وراء فتحة خوذته الضَّيِّقة. «التَّين الأخير»، همس صوت السير جورا بخفوتٍ شديد. «الأخير على الإطلاق». ورفعت داني مقدِّمة خوذة أخيها السَّوداء لتجد أنها تنظُر إلى وجهها هي.

بعدها، ولفترةٍ طويلة، لم يكن هناك غير الألم والنَّار المستعرة في داخلها وما تهمس لها به النُّجوم.

واستيقظت ومذاق الرَّماد على لسانها.  
كانت تَبْنُ وتقول بوهن: «لا، لا أرجوك».

كغزالٍ خائفٍ قالت چيكوي الواقعة فوقها: «غاليسي؟».  
غرقت الخيمة في الظلال وحفها السكون التام، ومن المُستوفد  
تصاعدت ذرات الرَّماد إلى أعلى، ولاحتها داني بعينها حتى فتحة  
التَّهوية في سقف الخيمة. كنتُ أطير، كان لديّ جناحان وطيَّرتُ بهما.  
لكنه كان مجرد حُلُم. «ساعديني»، همست وهي تُكافح لكي تنهض.  
«أحضري لي...». صوتها نفسه كان موجعًا كجرح مفتوح، ولم تستطع  
أن تتذكر ما تُريده. لماذا تتألَّم لهذه الدَّرَجَة؟ كأن جسدها قد مُزَّقَ إربًا  
وأعيد تشكيله من جديد. «أريد...».

- «أمرِكِ يا غاليسي». وبسرعة اندفعت چيكوي تُغادر الخيمة صائحةً.  
كانت داني في حاجةٍ إلى شيءٍ ما... شخصٍ ما... ماذا؟ كلُّ ما تعرفه  
أنه شيءٌ مهم، الشيء الوحيد المهم في الدنيا الآن. انقلبت على جانبها  
ووضعت مرفقها تحتها مُحاولَةً إزاحة الغطاء الذي التفت حول ساقها،  
لكنها وجَدَت الحركة عسيرةً للغاية، ودارت الموجودات من حولها.  
يجب أن...

وجَدوها على البساط تزحف نحو بيضات التَّين، فرفعها السير چورا  
بين ذراعيه وحملها إلى فراشها من جديد وهي تُقاومه بضعف، ومن فوق  
كنفه رأت وصيفاتها الثلاث وچوجو بشاربه النَّابت ووجهه ميري ماز دور  
المسطح العريض، وحاولت أن تتكلَّم، حاولت أن تقول لهم: «يجب  
أن... عليَّ أن...».

قال السير چورا: «يجب أن تنامي أينها الأميرة».

- «لا، أرجوك، أرجوك».

- «نعم»، قال وهو يضع الغطاء الحريري فوقها على الرغم من أن  
جلدها كان يحترق سخونة. «نامي واستردي قواكِ يا غاليسي، عودي

إلينا». ثم وجدت ميري ماز دور، المايجي، أمامها تضع كوباً على شفيتها، وأحسّت بمذاق الحليب الحامض وشيء آخر تخين مِرُّ الطَّعم، وجرى السائل الدافئ على ذقنها، لكنها بطريقة ما ابتلعت الشراب، وأظلمت الخيمة أكثر واحتواها النّوم من جديد. لم تحلم هذه المرّة، بل طفت بهدوء وسكينة تامّين على صفحة بحرٍ أسود لا يعرف شيطاناً.

بعد فترة -ليلة، يوم، سنة، لا تدري حقاً- استيقظت ثانية. كانت الخيمة مظلمة وحوائطها الحريرية تخفق كالأجنحة مع هبوب الرّيح في الخارج، وهذه المرّة لم تُحاول داني التّهوض، ونادت: «إيري، چيكوي، دوريا»، ولمّا أتین إليها في الحال قالت: «أشعرُ بجفافٍ في حلقي، جفاف شديد»، فجئْنَ لها بالماء. كان دافئاً أسناً لكنها شربت بنهم وأرسلت چيكوي لتُحضّر المزيد، بينما بلّلت إيري قطعة من القُماش ومسحت بها جبهتها. قالت داني: «كنتُ مريضةً»، فأومأت الفتاة الدوثرaki برأسها إيجاباً، وسألته داني: «لكم من الوقت؟». أشعرتها قطعة القُماش المبلّلة بشيء من الانتعاش، لكن إيري بدت حزينة لدرجة أخافتها وهي تُجيب: «لمدّة طويلة». عندما عادت چيكوي بالمزيد من الماء كانت ميري ماز دور معها وعيناها ما زالتا تحملان آثار النّوم، وقالت لها وهي تضع الكوب على شفيتها من جديد: «اشربي»، لكن الشراب كان مجرد نبذ هذه المرّة، نبذ شديد الحلاوة. شربت داني وتراجعت مُسندة ظَهرها إلى الوسائد وأصغت إلى صوت أنفاسها الخافت، وشيئاً فشيئاً شعرت بالثقل في أطرافها والنّوم يزحف عليها مجدداً، ونمت بصوتٍ ناعم: «أحضرن لي... أحضرن... أريد أن أمسك...».

سألته المايجي: «ماذا؟ فيم ترغين يا گاليسي؟».

- «أحضري لي... بيضة... بيضة تين... رجاء»، وأحسّت بأن جفניה

ثقيلان كالرّصاص، وكانت أكثر إعياء من أن تُبقي عليهما مفتوحين.

عندما استيقظت للمرّة الثالثة، كان شعاع من نور الشّمس الذهبي

يسري من فتحة التهوية في سقف الخيمة، وذراعاها تحتضنان واحدة من بيضات التنين، البيضة الشاحبة المعرّقة حراشفها ذات لون القشدة بدوامات من الذهبي والبرونزي، وكانت داني تشعر بحرارتها. تحت الغطاء كانت طبقة رقيقة لامعة من العرق تُغطي جلدّها العاري، فقالت لنفسها: إنه ندى الثنّانين، ومرّرت أصابعها بخفة على سطح القشرة الصّلبة متبّعة خطوط الذهب، وفي أعماق الحجر الجامد شعرت بشيء يتحرّك ويتمدّد استجابةً للمستها. لم يُخفها هذا، فقد تلاشى الخوف واحترق عن آخره.

تحسّست داني جبهتها، وتحت طبقة العرق وجدت بشرتها باردة وقد راحت الحمى. اعتدلت جالسة لتشعر بالدُّوار والألم الشديد بين فخذيهما للحظة، وإن أحسّت بأنها قويّة الآن، وجاءت وصيفاتها مُسرّعات على وقع صوتها، فقالت لهنّ: «أريد ماء، دورقاً من الماء البارد إذا كان متاحاً، وفاكهة، بعض البلح ربما».

- «أمرك يا غاليسي».

قالت وهي تنهض: «أريد السير جوراً». وأحضرت چيكوي معطفاً من الحرير الرّملي وضعتّه على كتفها وهي تُتابع: «وحمّاماً ساخناً، وميري ماز دور، و...». وعادت الذاكرة إليها دفعةً واحدة حتى أنها ترنّحت لحظة، ثم أجبرت نفسها على السّؤال وهي ترمق ملامحهنّ بخوف: «قال دروجو، أهو...».

- «الغال حيّ»، قالت إيري بهدوء... لكن داني لمحت ظلمة في عينيها وهي تُجيب، ولم تكذب قولها حتى هُرعت مُغادرةً لتُحضر الماء.

التفت داني إلى دوريا قائلة: «أخبريني».

- «س... سأحضر السير جوراً»، قالت الفتاة اللّائسيّة حانية رأسها قبل أن تلوذ بالفرار من الخيمة بدورها.

كانت چيكوي في طريقها للفرار هي الأخرى، لولا أن داني أطبقت

على معصمها بقوة وقالت: «ماذا هناك؟ دروجو... وطفلي». لماذا لم تذكر الطفل حتى الآن؟ «ريجو، ابني، أين هو؟ أريد أن أراه».

خففت الوصيفة عينها وأجابت بهمس خائفة: «الولد... الولد لم يعيش يا غاليسي».

أطلقت داني سراحها، وقالت لنفسها بينما خرجت چيكوي من الخيمة: ابني مات. بشكل ما كانت تعرف، كانت تعرف منذ استيقظت للمرة الأولى على دموع وصيفتها. لا، بل كانت تعرف قبل أن تستيقظ حتى. عاد الحلم إلى ذاكرتها بوضوح مفاجئ، وتذكرت الرجل الطويل ذا البشرة النحاسية والجديلة الطويلة الجامعة في لونها بين الذهب والفضة، تذكرته وهو يشتعل لهيباً أجاباً. من المفترض أن تبكي، تعرف هذا، لكن عينها كانتا جافتين كالرماد. لقد بكّت في حلمها واستحالت دموعها بخاراً على وجنتيها. قالت لنفسها: كل الحسرة في داخلي احترقت. كانت تشعر بحزن لا شك فيه... لكنها أحست بريجو ينسحب من داخلها كأنه لم يوجد قط.

جاء السير چورا وميري ماز دور بعد دقائق قليلة، ليجدا داني واقفة عند بيضتي التين الآخرين الموضوعتين في الصندوق، وقد أصرّ إحساسها على أن ملمسهما ساخن تماماً كالبيضة الأخرى التي نامت محتضنة إياها، ما وجدته غريباً للغاية. قالت: «سير چورا، تعال هنا»، وأخذت يده ووضعتها على البيضة السوداء ذات العروق القرمزية. «ما هذا الملمس؟».

أجاب الفارس بحذر: «قشرة صلبة كالحجر، حراشف».

- «وحراة؟».

قال رافعاً يده: «كلا، مجرد حجر بارد. هل أنت بخير أيتها الأميرة؟ هل ينبغي أن تنهضي وتحركي وأنت ضعيفة هكذا؟».

- «ضعيفة؟ إنني قوية يا چورا»، لكن لكي ترضيه استراحت على كومة من الوسائد وقالت: «أخبرني كيف مات طفلي».

- «إنه لم يعيش أصلاً أبنتها الأميرة. النساء يَقْلن...»، وتلعثم ولاذ بالصمت، ورأت داني كم صار مهزولاً وكيف يَمْرُج وهو يمشي.

- «أخبرني، أخبرني ما تَقُلُّنه النساء».

أشاح بوجهه بعيداً وقد لاحت في عينيه نظرة كلها وجل، وقال: «يَقْلن إن الطُّفل كان...».

انتظرت داني، لكن السير جورا لم يَقوَ على إكمال عبارته، وارتدَّ وجهه خجلاً حتى بدا هو نفسه أقرب إلى الجثَّة.

- «مسخاً»، قالت ميري ماز دور خاتمة العبارة. الفارس رجل قويٌّ، لكن داني استوعبت في هذه اللَّحظة أن المايجي أقوى منه وأقسى، وأخطر بمراحِل. «مشوِّها». لقد أخرجه من بطنك بنفسِي، وكان أعمى ذا حراشف كالسَّحالي وذيل قصير وجناحين جلدَيْن قصيرين كالخفافيش. عندما لمستَه تفسَّخ اللَّحْم عن العظم، ووجدتُ أحشاءه مليئةً بديدان القبور ورائحة العفن. كان ميتاً منذ أعوام».

الظُّلام... الظُّلام الرَّهيب يندفع من ورائها ليلتهمها. إذا نظرتُ إلى الورا ستضيع. «ابني كان حياً وقوياً عندما حملني السير جورا إلى داخل هذه الخيمة. لقد شعرتُ به يَرُكِّل، يُقاوِل كي يولَد».

ردَّت ميري ماز دور: «قد يكون هذا صحيحاً، لكن المخلوق الذي خرج منك كان كما وصفته. الموت كان في الخيمة يا غاليسي».

- «الظُّلال فقط»، قال السير جورا بصوتٍ مبحوح، وإن سمعتُ داني نغمة الشكِّ في صوته. «لقد رأيتُك أبنتها المايجي، رأيتُك وحدك ترقُصين مع الظُّلال».

- «القبر يُلقِي ظلالاً طويلةً يا سيدي الحديدي، ظلالاً طويلةً وسوداء، وفي النهاية لا يستطيع أيُّ ضوءٍ صدها».

لقد قتل السير جورا ابنها، فعل ما فعله بدافع الحبِّ والإخلاص، لكنه حملها إلى مكانٍ لا يجدرُ بإنسانٍ حيٍّ أن يدخُلَه وأطعمَ ابنها للظُّلام. إنها



تعرف هذا، وهو أيضًا يعرفه كما تقول ملامحه المتجهمة ونظراته الخاوية والعرج في ساقه بوضوح. قالت له: «الظلال مسّتك أنت أيضًا يا سير چورا». لم يُجبها الفارس، فالتفتت إلى الكاهنة قائلة: «لقد قلت لي إن ثمن الحياة هو الموت وحده، وحسبتُ أنك تقصدين الحصان».

- «كلا»، قالت ميري ماز دور. «تلك كانت كذبة قليتِها لنفسك، لكنك كنتِ تعرفين الثمن».

هل كانت تعرف الثمن؟ هل كانت تعرفه حقًا؟ إذا نظرتُ إلى الورا سَأُصِغُ. «لقد دُفِعَ الثمن»، قالت داني. «الحصان، طفلي، كوارو وكوثو، هاجو وكهولو. لقد دُفِعَ الثمن مرّةً ومرّةً ومرّةً»، ثم نهضت مُضيفَةً: «أين غال دروجو؟ أريني أيتها الكاهنة، أو المايجي، أو ساحرة الدّم، أيّا كنتِ، أريني غال دروجو، أريني ما اشتريته بحياة ابني».

قالت العجوز: «كما تأمرين يا غاليسي. تعالي، سأخذك إليه».

كانت داني أضعف مما حسبت، وطوّقها السير چورا بذراعه وساعدها على الوقوف قائلاً بهدوء: «هناك وقت كافٍ لهذا لاحقًا يا سُمُو الأميرة».

- «أريدُ أن أراه الآن يا سير چورا».

بعد عتمة الخيمة كان الضوء في الخارج يُعَمِّي وقد اتّقدت الشّمس كالذهب المصهور فوق الأرض الذّابلة الخاوية، ووجدت داني وصيفاتها في انتظارها يحملن الفاكهة والماء والنّبيذ، ودنا چوجو لِيُساعد السير چورا على مُساندتها، بينما وقف آجو وراگارو وراءه. جعلَ وهج الشّمس المنعكس على الرّمال رؤية ما هو أكثر من هذا أصعب إلى أن رفعت داني يدها لتُظِلَّ عينيها، فرأت الرّماد المتخلّف عن حُفر النّار، وعدداً من الخيول التي ترعى بلا انتظام بحثاً عن قضميّة من العُشب، ويضع خيام تناثرت هنا وهناك. احتشدت مجموعة صغيرة من الأطفال لِيُشاهدونها، ومن ورائهم لمحت نساءً يتحرّكن من بُقعةٍ إلى أخرى ورجالاً هَرَمين ذابِلين يتطلّعون إلى السّماء الزّرقاء بعيونٍ تَعَبِيَّةٍ وهُم يضربون الذّباب

الدموي بأيدي واهنة. إذا أحصتْهم فلن يزيد العدد على مئة على الأكثر،  
وحيث أقام الأربعون ألفاً الآخرون مخيّمهم لم يتبقَّ غير الرّيح والغبار.  
قالت: «لقد رحلَ غالاسار دروجو».

ردّ چوجو: «الغال الذي لا يستطيع أن يركب ليس بغال».  
وقال السير چورا: «الدوثرافي لا يتبعون إلّا القوي. آسفٌ أيتها  
الأميرة، لكن لم يكن هناك سبيل لمنعهم من الرّحيل. غادرَ گو پونو أولاً  
وقد نصّب نفسه غال پونو وتبعه كثيرون، ولم يتأخّر چهاكو عنه بكثير،  
وغادرَ بقيّتهم ليلاً في جماعاتٍ صغيرة وكبيرة. الآن هناك دسته من  
الغالاسارات في بحر الدوثرافي بدلاً من غالاسار دروجو وحده».  
قال آجو: «لم يبقَ غير كبار السنّ، والخائفين والضعفاء والمرضى،  
ونحن من أقسمنا على حمايتك بقينا كذلك».

- «لقد أخذوا قطعانَ غال دروجو يا غاليسي»، قال راگارو. «لم  
نستطع منعهم بعددنا القليل، لكن حقّ الأقوياء أن يأخذوا من الضّعفاء.  
وأخذوا الكثير من العبيد كذلك، عبيد الغال وعبيدك، وإن تركوا عدداً  
قليلاً منهم».

- «وأيرو؟»، سألت داني متذكّرة الطّفلة المرعوبة التي أنقذتها خارج  
أسوار مدينة قوم الجملان.

أجاب چوجو: «ماجو -الذي أصبح خيال دم لچهاكو الآن- استولى  
عليها، وامتطاها بكلّ شكل ثم أعطاها لگاله، وأعطّاها چهاكو لخيّالة دمه  
الستّة الآخرين، وعندما فرغوا منها ذبحوها».  
قال آجو: «إنه مصيرها يا غاليسي».

إذا نظرتُ إلى الوراء سأضيّع. قالت داني: «مصير قاسي هو، لكن أقلّ  
قسوةً من مصير ماجو. أقسمُ لكم على هذا، بالآلهة القديمة والجديدة، بإله  
الجملان وإله الخيول وكلّ إله موجود، أقسمُ بالجبل الأمّ ورّجيم العالم،  
قبل أن أفرغ منهما سيتوسّل ماجو وگو چهاكو الرّحمة التي عاملا بها إيرو».

تبادلَ الدوثر اكي نظراتٍ مستريّة، ثم قالت إيري كأنها تشرح لطفلة:  
«غاليسي، جهانكو گال الآن، يقود عشرين ألفاً من الخيالة».

رفعت رأسها قائلة: «وأنا ديرس وليدة العاصفة، ديرس سليفة آل  
تارجارين ودم إجون الفاتح وميجور المتوحش وفاليريا القديمة من  
قبلهما. أنا ابنة الثنين وأقسم لكم أن هؤلاء الرجال سيموتون صارخين.  
والآن خذوني إلى گال دروجو».

كان ممتدداً على الأرض الجرداء يتطلع إلى الشمس.  
على جسده استقرَّ الذباب الدّموي وإن بدا أنه لا يشعر به، فنفضته داني  
وركعت إلى جوار زوجها. كانت عيناه متسعنتين لكن لا تريان وأدركت  
في الحال أنه أعمى، وعندما همست باسمه لم يسمعها، بينما التأم جرح  
صدره لأقصى درجة ممكنة وبدا الندب الذي يغطيه بشعاً وقد انتشر فيه  
الأحمر والرّمادي.

سألتهم: «لماذا يجلس وحده هنا تحت الشمس؟»  
أجابها السير چورا: «يبدو أنه يحبّ الدّفء أيتها الأميرة. عيناه تتبعان  
حركة الشمس وإن كان لا يراها حقاً، ويُمكنه أن يمشي بشكل ما ويذهب  
إلى حيث تقودينه، لكن ليس لأبعد من هذا، كما يأكل إذا وضعت الطعام  
في فمه، ويشرب إذا قطرت الماء على شفّتيه».

قبّلت داني شمسها ونجومها برقّة على جبهته، ثم نهضت لتواجه  
ميري ماز دور قائلة: «تعاويذك باهظة الثمن أيتها المايجي».

قالت المرأة: «إنه حي. لقد طلبت الحياة ودفعت ثمن الحياة».  
- «ليست هذه حياة لمن كان مثل دروجو. حياته كانت ضحكاً ولحماً  
يشوى فوق حفرة نارٍ وحصاناً بين ساقيه، حياته كانت أراخاً في يده  
وأجراًسا ترن في شعره وهو ينطلق لقتال أعدائه، حياته كانت خيالة دمه  
وأنا والابن الذي كنتُ سأمنحه إياه». ولمّا لم تُجيبها المرأة قالت امرأة:  
«متى سيعود كما كان؟».

قالت ميري ماز دور: «عندما تُشرق الشمس من الغرب وتغرب في الشرق، عندما تحفُّ البحور وتعصف الرِّيح بالجبال كأنها أوراق الشجر، عندما تتنفخ بطنك من جديد وتحملين طفلاً حياً في رَحِمِك... عندها فقط سيعود وليس قبل ذلك».

أشارت داني إلى السير جورا والآخرين قائلة: «اتركونا. أريدُ أن أتكلَّم مع المايجي وحدنا»، ولمَّا انسحبَ مورمونت والدوثرافي قالت لها: «كنتِ تعرفين». كان جسدها يُؤلمها من الدَّاخل والخارج، لكنها استمدَّت القوَّة من غضبها. «كنتِ تعرفين ما سأشتريه، وتعرفين الثَّمَن، ومع ذلك تركتيني أدفعه».

- «كان خطأ أن يُحرِّقوا معبدي»، قالت المرأة البدينة ذات الأنف المسطَّح بهدوء. «وقد أغضبَ هذا الرَّاعي الأعظم».

- «لم يكن هذا من صُنع أيِّ إله»، ردَّت داني بنبرة باردة. «إذا نظرتُ إلى الوراء سأضيق». «لقد غششتيني، وقتلتِ ابني في داخلي».

- «الجواد الذي يمتطي العالم لن يُحرِّق أيَّ مُدنٍ الآن، ولن يظأَّ كالاساره أيَّ شعوبٍ في التراب».

قالت موجوعة: «لقد تكلَّمْتُ نيابةً عنكِ، أنقذتك».

- «أنقذتيني؟»، قالت المرأة اللازارين بازدراء. «ثلاثة من الخيالة كانوا قد أخذوني بالفعل، ليس كما يأخذ الرِّجل المرأة، بل من الوراء كالكلاب، ورابعهم كان في داخلي عندما مررتِ أنتِ أخيراً. كيف أنقذتيني بالضبط إذن؟ لقد رأيتُ بيت إلهي يحترق، المكان الذي عالجتُ فيه رجالاً صالحين بلا عدد، وبيتني أحرَّقه كذلك، وفي الشوارع رأيتُ أكواماً من الرؤوس، منها رأس الخبَّاز الذي كان يصنع الخُبْز الذي آكله، ورأس صبيٍّ أنقذته منذ حُمِّي العين الميتة قبل ثلاثة أقمار فقط. سمعتُ الأطفال يصرُّخون والخيالة يسوقونهم بسياطهم. أخبريني ثانية ماذا أنقذت».

- «حياتك».

أطلقت ميرى ماز دور ضحكة قاسية، وقالت: «انظري إلى گالك لتري قيمة الحياة بعدما يزول كل شيء آخر».

نادت داني على رجال الكاس وأمرتهم بأخذ ميرى ماز دور وتقييد يديها وقدميها، لكن المايجي ابتسمت لها وهم يحملونها بعيداً كأن الاثنين تشاركان سراً. كلمة واحدة منها يطير رأس المرأة من على كتفيها... لكن ماذا ستجد معها بعدها؟ رأساً؟ إذا كانت الحياة بلا قيمة، فما الموت؟

قادوا الكال إلى خيمتها حيث أمرتهم داني بملء الحوض، وهذه المرأة لم تكن هناك دماء مختلطة بالمياه. حممتها بنفسها ومسحت التراب عن صدره وذراعيه ونظفت وجهه بقطعة ناعمة من القماش وغسلت شعره الأسود الطويل بالصابون ومشطته بعناية حتى عاد يلمع كما تذكّرت. كان الظلام قد حلّ منذ فترة طويلة عندما انتهت أخيراً شاعرة بالإرهاك، وتوقفت لمدة قصيرة لتأكل وتشرب، لكنها بصعوبة استطاعت أن تلتهم حبة تين واحدة وتشرب مقداراً ضئيلاً من الماء. في النوم راحة لها بالتأكيد، لكنها نامت بما فيه الكفاية... بل أكثر مما يكفي في الحقيقة. إنها تدين بهذه الليلة لدروجو، من أجل كل الليالي التي كانت وكل الليالي التي قد تكون.

ذكرى ركوبهما الأول كانت معها وهي تقوده إلى الظلام في الخارج، فالدوثرافي يؤمنون بأن كل حدث جلل في حياة الرجل يجب أن يقع تحت السماء المفتوحة، وقالت لنفسها إن ثمة قوى أقوى من الكراهية وتعاويد أقدم وأصدق من أي شيء تعلمته المايجي في آشاي. كانت السماء بلا قمر، لكن ملايين النجوم كانت تتألق من فوقهما، ما اعتبرته نذيراً.

هنا لم يكن هناك بساط ناعم من العشب يُرْحَب بهما، فقط الأرض

الجرداء الصُّلبة التي تَنَاثَرَتْ فيها الحجارة، ولا أشجار تتحرَّك  
أغصانها في الرِّيح أو جدول يُهْدَى مخاوفها عازفًا موسيقى المياه  
الرَّقيقة، لكن داني قالت لنفسها إن النُّجوم تكفي. «تذكَّر يا دروجو»،  
همست. «تذكَّر ركوبنا الأول معًا يوم زفافنا، تذكَّر اللَّيلة التي زرَعنا  
فيها بذرة رييجو والگالا سار يُحيط بنا وعيناك على وجهي، تذكَّر كم  
كانت المياه نظيفة مُنِيشة في رَجَمِ العالم، تذكَّر يا شَمسي ونجومِي،  
تذكَّر وعُد إليَّ».

كانت الولادة تُؤلمها لدرجة لا تُتيح لها أن تأخذ في داخلها كما  
أرادت، لكن دوريا علَّمتها طُرقًا أخرى، واستخدمت داني يديها وفمها  
ونهديتها، خمست بأظفارها وغمرته بالقُبلات، همست وتضرَّعت وحكَّت  
له قصصًا، وفي النهاية كانت قد أمطرته بدموعها، لكن دروجو لم يشعُر،  
أو يتكلَّم، أو ينهض. وعندما طلع الفجر فوق الأفق الخالي أدركت داني  
أنه ضاع منها حقًا. «عندما تُشرق الشَّمس من الغرب وتغرب في الشرق»،  
قالت بأسَى. «عندما تَجِفُّ البحور وتعصف الرِّيح بالجبال كأنها أوراق  
الشَّجر، عندما تنتفخ بطني من جديد وأحمل طفلًا حيًّا في رَجَمِي...  
عندها فقط سنعود يا شَمسي ونجومِي وليس قبل ذلك».

مُحال، صرخ فيها الظَّلام، مُحال، مُحال، مُحال.

في داخل الخيمة وجدت داني وسادة من الحرير النَّاعم المحشو  
بالرِّيش، وضمتها إلى صدرها وهي تمشي عائدة إلى دروجو في الخارج،  
إلى شمسها ونجومها. إذا نظرتُ إلى الوراء سأضيُّع. كان مجرد المشي  
مؤلِّمًا، وأرادت بشدة أن تنام، تنام ولا تحلُم.

وانحنت، وقبَّلت دروجو على شفتيه، وضغطت الوسادة على وجهه.



## تيريون

قال تايوين لانستر: «ابني أسيرٌ لديهم».  
- «هذا صحيح يا سيدي». كان صوت الرسول واهناً من فرط الإعياء،  
وعلى صدر سترته الممزقة كان خنزير كراكهول البري المخطّط بالرّمادي  
شبه متوارٍ تحت طبقةٍ من الدّماء الجافّة.  
واحد من ابنك، قال تيريون في قرارة نفسه وأخذَ رشفةً من النبيذ  
دون أن ينبس ببنت شفةٍ وأفكاره تدور حول چايمي. عندما رفع ذراعه  
سرى الألم في مرفقه كالسهم مُدكّراً إياه بالنّبذة القصيرة التي تذوّقها من  
المعركة. إنه يُحبُّ أخاه، لكنه لم يكن ليرغب على الإطلاق في أن يكون  
معه في الغابة الهامسة ولو أعطوه كلّ ذهب كاسترلي روك.  
لأذ قادة وحملة راية أبيه الذين اجتمعوا معاً بالصّمت التّام والرسول  
يروى قصّته، والصّوت الوحيد المسموع في المكان كان طقطقة وهسيس  
الحطب الذي يحترق في المُستوفد الموضوع في نهاية القاعة العامّة  
الطويلة الباردة. بعد مشقة الرّحلة الطويلة القاسية جنوباً، كان مجرد فكرة  
قضاء ولو ليلة واحدة في الخان يُبهجه إلى أقصى حد... وإن تمنّى لو لم  
يكن هذا الخان بالتّحديد، هذا الخان ثانيةً بكلّ ما يحمله من ذكريات.  
لقد ساق أبوه جيشه جنوباً بسرعةٍ جنونيّة، ولم يكن هذا بلائمن، فجرّحى  
المعركة حاولوا مُواكبة حركة الجيش بقدر ما تبقى لهم من قوّة، لكن  
منهم من كان أضعف من اللّحاق بالبقية وتُرك ليُعتنى بنفسه، وفي كلّ

صباح كانوا يتركون مزيدًا من الرجال على جانب الطريق، رجالًا خلدوا إلى النوم ولن يستيقظوا ثانية أبدًا، ومع حلول الظهر كان البعض يتهاوى مُنهارًا، وعندما يأتي المساء كان البعض الآخر ينسلُّ هاربًا تحت جُحجُح الظلام؛ وتبريون نفسه كانت تُراوده الرّغبة في الفرار مع هؤلاء.

كان في الطّابق العلوي، يسترخي مستمتعًا بحشّية الفراش المبطّنة بالرّيش ودِفء جسد شاي المُلاصق له، عندما أيقظه مُرافقه قائلاً إن رسولاً جاءً بأبناء سيّئة من ريفررن. كل هذا كان بلا طائل إذن، الانطلاق إلى الجنّوب بأقصى سرعة، الزّحف الإجماعي الذي لا ينتهي، الجُثث المُلقاة على جانبي الطريق... كل هذا كان عبثًا. لقد بلغ رُوب ستارك ريفررن منذ أيام بالفعل.

- «كيف يُمكن أن يحدث هذا؟»، قال السير هاريس سويفت كأنه يُؤلّل. «كيف؟ حتى بعد الغابة الهامسة، كنت ما زلت تفرض حصارًا من حديد على ريفررن وتُحيطها بجيش عظيم. أيُّ لُؤة دفعت السير چایمی لتقسيم جيشه إلى ثلاثة معسكرات؟ ألم يكن يعلم أن هذا يُضعفه كثيرًا؟». قال تيريون لنفسه: يعلم أكثر منك أيها الجبان البدين. صحيح أن چایمی فقدَ ريفررن، لكن أغضبه أن يَدِم أخاه أمثال سويفت، ذلك المتزلف السّفية الذي كان أعظم إنجازاته أنه زوّج ابنته البدينة مثله من السير كیفان، ومن ثم ربط نفسه بعائلة لانستر.

- «كنتُ لأفعل المثل»، ردَّ عمّه بلهجة أهدأ بكثير من التي كان تيريون سيستَخدمها لو ردَّ هو. «أنت لم ترَ ريفررن قطُّ يا سير هاريس، وإلا لأدركت أن چایمی لم يكن يملك خيارات كثيرة. القلعة قائمة في أقصى بُقعة الأرض التي يلتقي فيها الجُلُود بفرع الثالوث الأحمر، فيكون النّهران معًا ضلعيّ مثلث، وفي حالة الخطر يفتح آل تلي بوابات السّد عند منبع النّهر لتكوين خندقٍ واسع عند الضلع الثالث، فتحوّل ريفررن إلى جزيرة، كما أن الأسوار ترتفع بشكلٍ عموديٍّ تمامًا من قلب المياه،



ومن الأبراج يستطيع المدافعون الهيمنة على الشواطئ المُواجهة لمسافة فراسخ عديدة من كل الجهات. إذن لقطع الطرق كلها، على المُحاصر أن يُقيم معسكرًا شمال الجلمود وآخر جنوب الفرع الأحمر والثالث بين النهرين غرب الخندق. ليس هناك سبيل آخر على الإطلاق».

قال الرسول: «السير كيفان يقول الحق أيها السادة. لقد أقمنا حواجز من الأوتاد الخشبية الحادة حول المعسكرات، وإن لم تكف مع مجيء الهجوم من دون سابق إنذار ومع انقطاع المعسكرات عن بعضها بعضًا. جاء هجومهم على المعسكر الشمالي أولاً دون أن نتوقعه. كان مارك باير يُغير على خطوط الإمداد، لكن لم يكن معه أكثر من خمسين رجلاً، وقد خرج السير جايمي ليتعامل معهم في الليلة السابقة... أو ليتعامل مع من حسبه هم بالأحرى. لقد قيل لنا إن جيش ستارك موجود شرق الفرع الأخضر ويتحرك جنوبًا».

- «وماذا عن كشافتك؟»، سأل السير جريجور كليجاين وقد بدت ملامحه كأنها قُدت من صخر وصبغت نار المُستوقد وجهه بلون برتقالي كئيب وأحاطت محجري عينيه بظلال داكنة. «ألم يروا شيئاً أو يُنذروكم بأي شكل؟».

هز الرسول الملوّث بالدماء رأسه نفيًا، وأجاب: «عدد كبير من كشافتنا كان يختفي مع مرور الوقت، وحسبنا أن هذا من صنع مارك باير، أمّا من عادوا فلم يروا شيئاً».

قال الجبل: «الرّجل الذي لا يرى شيئاً ليس في حاجة إلى عينيه. افقأ عيونهم وأعطها للكشاف التالي، وقُل له إنك تأمل أن يرى أفضل بأربع عيون من اثنتين، وإذا لم يأت هذا بنتيجة سيخرج الكشاف التالي ومعه ست عيون».

دار اللورد تاوين لانستر برأسه ليرمق السير جريجور بنظرة فاحصة، ولمح تيريون وميضاً ذهبياً في بؤبؤي عيني أبيه مع انعكاس الضوء

عليهما، لكنه لم يتبين إن كانت النظرة نظرة استحسان أم اشمئزاز. غالباً ما يؤثر اللورد تاويون البقاء صامتاً أثناء انعقاد مجلسه، يُصغي قبل أن يتكلم، وهي العادة التي يُحاول تيريون الاقتداء بها، لكن الصمت هذه المرة كان غير معهود من أبيه البتة، كما ظلّ نبذه كما هو دون أن يرشف منه مرةً.

قال السير كيفان للرّسول: «تقول إنهم جاءوا ليلاً».

بإرهاق واضح هزّ الرّجل رأسه إيجاباً، وتابع: «كان السّمكة السوداء يقود الطليعة، وأسقط الحُرّاس والحواجز استعداداً للهجوم الرّئيس، ولمّا أدرك رجالنا ما يحدث كان الخيالة يتدفّقون عبر ضفاف الخندق بالفعل ويخترقون المعسكر حاملين السيوف والمشاعل. كنتُ نائماً في المعسكر الغربي بين النّهرين، وعندما سمعنا أصوات القتال ورأينا النّار تشتعل في الخيام، قاذنا اللورد براكس إلى القوارب وحاولنا عبور النّهر، لكن التيّار دفعنا في اتجاه المصبّ وبدأ جنود تلي يقذفوننا بالصّخور من المجانيق على أسوارهم. رأيتُ قارباً يتهشّم تماماً وثلاثة قوارب أخرى تنقلب بمن فيها، واكتسح النّهر الرّجال فغرقوا... ومن نجّحوا في العبور وجدوا جنود ستارك في انتظارهم على ضفاف النّهر».

كان السير فليمنت براكس يرتدي معطفاً فضفاضاً من اللّونين الفضي والأرجواني، وعلى وجهه نظرة من لا يستوعب ما سمعه للتوّ وهو يقول بارتباك: «السيد والدي...».

قال الرّسول: «آسف يا سيّدي، لكن اللورد براكس كان يرتدي درعه الكاملة عندما انقلب القارب. كان رجلاً شجاعاً للغاية».

كان رجلاً أحمق، قال تيريون لنفسه وهو يدور كأسه ويحدّق في الأعماق الخمرية. يعبر النّهر ليلاً في قاربٍ بدائيّ وهو يرتدي درعه الكاملة والعدوّ ينتظر على الشّاطئ الآخر، لو كانت هذه هي الشّجاعة فإنه سيختار الجبن في كلّ مرة. تساءل إن كان اللورد براكس قد شعرَ بأنه شجاع حقاً وثقل درعه الفولاذية يسحبه إلى الأعماق المظلمة.

واصل الرسول: «المعسكر الواقع بين النهرين اجتبح كذلك، وبينما كنا نحاول العبور انقضَّ المزيد من جنود ستارك من الغرب، فرقتان من الجنود على خيولٍ مدرَّعة. رأيتُ العملاق ذا الأغلال رمز اللورد أومبر ونسر اللورد مالستر، لكن الصَّبي نفسه كان يقودهم وإلى جانبه ذئب وحشي. لم أكن هناك لأرى هذا، لكن الجميع يقولون إن الذئب قتل أربعة رجالٍ ومزَّق دسنةً من الخيول. كوَّن رجالنا حاملو الرِّماح حاجزًا واقياً وصدُّوا الهجوم الأول، لكن عندما رأهم جنود تلي يشتبكون، فتحو أبواب ريفرزن وقاد تايِتوس بلاكوود غارةً عبر الجسر المتحرِّك وانقضَّ عليهم من الخلف».

غمغمَ اللورد ليفورد: «لترحمنا الآلهة».

- «أضرَمَ جون أومبر الكبير النَّارَ في أبراج الحصار التي كنا نبنيها، وعثرَ اللورد بلاكوود على إدميور تلي مقيِّداً بالأغلال مع بقية الأسرى وحرَّره جميعاً. أمَّا معسكرنا الجنوبي فكان تحت قيادة السير فورلي پرستر، وقد تراجعَ بنظام عندما رأى أن المعسكرين الآخرين قد ضاعا، ومعه ألفان من حاملي الرِّماح ومثلهم من الرُّماة، لكن المُرْتزِق التايروشي الذي قاد المُحاربين غير النِّظاميين ألقى رايته وانضمَّ إلى العدُوِّ».

قال عمُّه السير كيفان ساخطاً وقد حملت لهجته من الغضب ما هو أكثر من الدهشة: «عليه اللعنة! لقد حذرتُ چايمي من الثقة بهذا الرَّجل. من يُحارب من أجل المال لا يملك إخلاصاً إلا لكيس نقوده».

شبكَ اللورد أصابعه معاً تحت ذقنه، ولم يتحرَّك غير عينيه وهو يُصغي للحوار، وقد صنعت اللُّحية الذهبية القصيرة الخشنة على جانبي وجهه إطاراً جعله يبدو كالقناع الجامد، لكن تيريون استطاع أن يرى قطرات العرق متناهية الصَّغر التي بدأت تتكوَّن على رأس أبيه الحليق.

- «كيف يُمكن أن يحدث هذا؟»، قال السير هاريس سويفت مؤولٍلاً من جديد. «السير چايمي أسير، والحصار انقضَّ... إنها كارثة!».

قال السير أدام ماربراند: «أنا واثقٌ من أن جميع الحاضرين هنا ممتنونٌ لتفسيرك للماء بالماء يا سير هاريس، لكن السؤال الآن هو ماذا سنفعل؟».

- «وماذا يمكننا أن نفعل؟ جنود چایمی إمّا قتلى أو أسرى أو هاربون، وجنود ستارك وتلي يُحاصرون خطوط إمدادنا من كلّ الجهات، ونحن معزولون عن الغرب! إذا أرادوا الزحف على كاسترلي روك الآن، فمن سيوقفهم؟ لقد هُزمتنا أيها السادة، وينبغي أن نسعى إلى السلام».

- «السلام؟»، قال تيريون وهو يُدور النيذ في كأسه، ثم أخذ منه جرعة كبيرة وألقى الكأس على الأرض لتتهشم إلى ألف قطعة. «ها هو سلامك يا سير هاريس. لقد حطّمه ابن أختي العزيز بلا رجعة عندما قرّر تزيين أسوار القلعة الحمراء برأس اللورد إدارد. أسهل عليك أن تشرب من هذه الكأس من أن تُضيق روبرت ستارك بعقد مُعاهدة سلام الآن. إنه الرّابح... أم أنك لم تُلاحظ؟».

قال السير أدام بإصرار: «معركتان فقط لا تعنيان حرباً، ونحن ما زلنا بعيدون كلّ البعد عن الخسارة، وعن نفسي أرحّبُ بفرصة مُنازلة صبيّ ستارك وجهاً لوجه».

علّق اللورد ليفورد: «من المحتمل أن يُوافقوا على إقامة هُدنة والسّماح لنا بمُبادلة أسرانا بأسراهم».

قال تيريون بلهجةٍ لاذعة: «ما لم يُبادلوا ثلاثة بواحد، فنحن ما زلنا الخاسرين في اتّفاق كهذا. ثم ما الذي سنعرض مبادلته بأخي؟ رأس اللورد إدارد المتعفن؟».

أجاب اللورد ليفورد بنبرة من لا يزال لديه أمل: «سمعتُ أن ابنتي اليّد في حوزة المَلِكة سَرسي. إذا أعدنا للصّبي أخته...».

أطلق السير أدام صوتاً ينمُّ عن الازدراء وقال: «سيكون حملاً كبيراً حقاً إذا وافقَ على مُبادلة حياة چایمی لانستر بفتاتين».

قال اللورد ليفورد: «علينا إذن أن ندفع فديةً مقابل استعادة چايمي، أيّا كان الثمن».

زفرَ تيريون وقال: «إذا كان آل ستارك في حاجةٍ إلى الذهب، فيُمكنهم أن يُذيبوا درع چايمي».

وقال السير أدام: «وإذا طلبنا إقامة هُدنة، سيحسبوننا ضِعفاء. يجب أن نزحف لمُلاقاتهم في المعركة من فورنا».

قال السير هاريس: «مؤكَّد أننا نستطيع إقناع أصدقائنا في البلاط بتزويدنا بالمزيد من الجنود، ومن الممكن أن يعود أحدٌ إلى كاسترلي روك لحشد جيشٍ جديد».

نهضَ اللورد تايرين فجأةً، وبصوتٍ اخترقَ ثرثرتهم كما يقطع السكّين الزُبْد قال: «ابني أسيرٌ لديهم!»، ثم أضاف: «اتركوني جميعًا».

مُطِيعًا كعادته نهضَ تيريون ليُخرجَ مع البقية، لكن أباه نظرَ إليه قائلاً: «ليس أنت يا تيريون، ابْن. وأنت أيضًا يا كيْشان، وليُخرجَ بقيتكم».

عادَ تيريون يجلسُ بِطءٍ على الدُّكَّة وقد وجدَ نفسه عاجزًا عن الكلام، بينما عبرَ السير كيْشان القاعة إلى حيث براميل النِّبيذ، فقال له تيريون: «إذا سمحت يا عمِّي...».

- «هاك»، قال أبوه ماذا له يده بكأسه التي لم يشرب منها.

الآن كان تيريون مأخوذًا تمامًا، فشرَبَ بصمت.

جلسَ اللورد تايرين وقال: «أنت على حق فيما قلته عن ستارك. لو كان اللورد إدارد حيًّا لكنا استعنا به لعقد مُعاهدة سلام مع وِيتِرْفِل وريفررن، ما كان ليُكفّل لنا الوقت الكافي لتعاملٍ مع أخوي روبرت، لكن مع موته...»، وكوّر قبضته مُردِّفًا. «جنون، جنون مُطِيق».

قال تيريون: «خوف مجرَّد صبي، وأنا نفسي ارتكبتُ بضع حماقاتٍ عندما كنتُ في عُمره».

رمقه أبوه بنظرة حادة وقال: «أعتقد إذن أن علينا أن نشعر بالامتنان لأنه لم يتزوج من عاهرة».

رشف تيريون من نبيذه متسائلاً كيف سيبدو اللورد تايوين لو ألقى الكأس في وجهه.

تابع أبوه: «موقفنا أسوأ مما تحسب، إذ يبدو أن لدينا ملكاً جديداً». بدا السير كيثان كالمصعوق وهو يقول: «ملك؟! من؟! ماذا فعلوا بجوفري؟!».

أبصر تيريون تعبيراً يكاد لا يرى من الثفور على شفتي اللورد تايوين الرفيعتين وهو يُجيب: «لا شيء... بعد. حفيدي ما زال يجلس على العرش الحديدي، لكن الخصى سمع همسات من الجنوب، تقول إن رنلي باراثيون قد تزوج من مارجري تايرل في هايجاردن منذ نحو أسبوعين، والآن يُطالب بالعرش. أبو العروس وإخوتها ركعوا أمامه وأقسموا له بسيوفهم».

- «أنباء مُزعجة للغاية»، قال السير كيثان وقد عقد حاجبيه بشدة كوّنت أخاديد عميقة في جبهته.

- «ابنتي تأمرنا بالتوجه إلى كينجز لاندنج في الحال، للدفاع عن القلعة الحمراء ضد الملك رنلي وفارس الزهور»، وزم شفثيه مضيقاً: «تأمرنا! باسم الملك ومجلسه».

سأل تيريون بنوع أسود من الاستمتاع: «وكيف تلقى الملك جوفري الخبر؟».

أجاب اللورد تايوين: «سرتي ترى أنه من غير المناسب أن تُخبره الآن، لأنها تخشى أن يُصر على قتال رنلي بنفسه».

قال تيريون: «بأي جيش بالضبط؟ أمل أنك لا تنوي إعطائه هذا الجيش!».

- «يتكلم عن قيادة حرس المدينة».

قال السير كيفان: «إذا أخذَ الحرس، سبترك المدينة بلا أيّ حماية، ومع وجود اللورد ستانيس في دراجونستون...».

- «نعم»، قال اللورد تاويين ناظرًا إلى ابنه من أعلى. «كنتُ أحسبُ أن كلَّ ما تَصْلُحُ له هو أن تكون مهرجًا في البلاط الملكي يا تيريون، لكن يبدو أنني كنتُ مخطئًا».

- «كأنني بك تمدحني يا أبي!»، قال تيريون ومالَ إلى الأمام سائلًا باهتمام: «وماذا عن ستانيس؟ إنه الأخ الأكبر وليس رنلي، فما رأيه في مُطالَبة أخيه بالعرش؟».

قال أبوه عابسًا: «لقد شعرتُ من البداية أن ستانيس وحده يُشكِّل خطرًا أكبر من الآخرين كلهم مجتمعين، ومع ذلك أراه لا يفعل شيئًا. نعم، فارس يسمع الهمسات هنا وهناك: ستانيس يني سُفْنًا، ستانيس يستأجر مُرْتزَقَةً، ستانيس أحضرَ مشعوذةً من آشاي، فما الذي يعنيه كل هذا إذا كان صحيحًا أصلًا؟»، ثم هَزَّ كتفيه بضيق وقال لأخيه: «كيفان، هات الخريطة».

جاء السير كيفان بالخريطة الجلدية وبسطها اللورد تاويين قائلاً: «چايمي تركنا في مأزقٍ حقيقي. روروس بولتون وفلول جيشه يقبعون شمالنا، وأعداؤنا يُسَيِّطرون على "التوأمتين" وخندق كايلن، وروب ستارك وجيشه يقبعون غربًا، لذلك لا نستطيع الانسحاب إلى لانسهورت أو "الصخرة" ما لم نختر خوض المعركة. چايمي أسير وجيشه لم يَعُدْ له وجود، وثوروس المايري وبريك دونداريون ما زالوا يُغيرون على خطوط الإمداد. إلى الشرق هناك آل آرن، وستانيس باراثيون يجلس في دراجونستون، وإلى الجنوب هايجاردن وستورمز إند تستدعيان الرّايات».

ابتسم تيريون ساخرًا وقال: «تشجّع يا أبي، فعلى الأقل ما زال ريجار تارجارين ميتًا».

رَدَّ اللورد تايوين لانستر بصرامة: «أمل أن لديك ما تُقدِّمه لنا غير الدُّعابات يا تيريون».

تطلَّع السير كيفان إلى الخريطة مُقَطَّبًا جبينه، وقال: «إدميور تلي ولوردات الثالوث سينضمُّون إلى روب ستارك الآن، وقد تتعدَّى قوَّتُهم المجتمعمة قوَّتنا. ومع وجود رووس بولتون خلفنا... تايوين، أخشى أننا سنكون مُحاصرين بين ثلاثة جيوش إذا ظللنا هنا».

- «ليست لديَّ نيَّةٌ للبقاء هنا. يجب أن نفرِّغ من اللورد ستارك الصَّغير قبل أن يبدأ رنلي باراثيون الزَّحف من هايجاردن. لا أشعرُ بالقلق من ناحية بولتون، فهو رجل حَذِر، وقد جعلناه أكثر حذرًا عند الفرع الأخضر، فلن يُسارع بِمُطارَدتنا. إذن، في الغد ستتَّجه إلى هارنغال. كيفان، أريدُ أن يسبقنا كَشَافَة السير أدام لتغطية حركتنا. أعطه العدد الذي يَطْلُبُه من الرِّجال، واجعلهم يَخْرُجون في مجموعاتٍ من أربعة. لا أريدُ أن يختفي المزيد من الكَشَافَة».

- «كما تقول يا سيِّدي، لكن... لماذا هارنغال؟ إنها مكان كئيب منحوس، والبعض يقول إنه ملعون».

- «دَعهم يقولون ما يقولون. أطلق السير جريجور واجعله يسبقنا مع مُغيريه، وكذلك فارجو هوت مع مُحاربيه غير النِّظاميين، والسير آموري لورك. أعطِ كلاً منهم ثلاثمئة من الخيالة، وقُلْ لهم إنني أريدُ أن أرى أراضِي النَّهر مشتعلَةً من عين الآلهة وحتى الفرع الأحمر».

قال السير كيفان ناهضًا: «سوف تشتعل يا سيِّدي. سأعطي الأوامر الآن»، وانحنى وانصرف.

عندما صارا وحدهما رمقَ اللورد تايوين تيريون قائلاً: «سيروق لرجالك الهمجيين أن يستمتعوا ببعض السِّلْب والنَّهب. قُلْ لهم إنهم يستطيعون الخروج مع فارجو هوت ليأخذوا كلَّ ما يروق لهم من غنائم؛ بضائع وماشية ونساء... يُمكنهم أن يأخذوا ما يُريدون ويحرقوا الباقي».



- «أن تقول لأمثال شاجا وتيميت كيف يسلبون وينهبون يُشبه أن تقول لديك كيف بصيبح، لكنني أحيّد أن يبقوا معي». على الرغم من غلظتهم وجموحهم، فالهمجيّون رجاله هو، وهو يثق بهم أكثر من أيّ من رجال أبيه، ومن المستحيل أن يتخلّى عنهم.

- «إذن من الأفضل أن تُحكّم سيطرتك عليهم، فلست أريد أن تُنهب المدينة».

حائراً قال تيريون: «المدينة؟ أيّ مدينة؟».

- «كينجز لاندنج. سأرسلك إلى البلاط».

كان هذا آخر شيء توقّعه تيريون لانستر على الإطلاق. مدّ يده إلى كأس النّبيذ وأطرق مُفكّراً للحظة وهو يرشف، ثم قال: «وماذا سأفعل هناك؟».

أجاب أبوه بحسم: «تُحكّم».

أطلق تيريون ضحكة مدوية وقال: «أخشى أن أختي العزيزة سيكون لها رأي آخر».

- «دعها تقول ما تقول. من الضروري أن يُكبّح جماح ابنها قبل أن يُدَمّرنا جميعاً. إنني ألوم هؤلاء القروء في المجلس... صديقنا بتر والمايستر الأكبر الموقّر والأعجوبة عديم القضيب فارس. أيّ نصائح يُقدّمونها لجوفري بالضبط وهو يشب من حماقة إلى أخرى؟ فكرة من كانت أن يُرفع چانوس سلينت إلى مرتبة لورد؟ أبوه كان جزاراً ويمنحونه هارنهال، هارنهال التي كانت مجلس الملوك! طبعاً هو لن يطأها بقدمه أبداً طالما أنا موجود. يقولون لي إنه اتّخذ من الرّمح الدّامي رمزاً له، وإن كنت لأختار ساطوراً دامياً عن نفسي». لم يرفع أبوه صوته وهو يتكلّم، إلّا أن تيريون كان يلمح الغضب في ذهاب عينيه بوضوح. «وصرف سلمي من الخدمة، ما الحكمة في ذلك؟ نعم، الرّجل مُسنّ لكن اسم باريستان الباسل لا يزال يحمل كلّ الاحترام في البلاد، وكل من خدمهم اكتسبوا

منه الشرف. هل يستطيع أيُّ أحد أن يقول المثل عن كلب الصيد؟ يمكنك أن تُطعم كلبك العظام تحت المائدة، لكن لا تُجلِّسه إلى جوارك على المنصة العالية!»، وأشار بإصبعه إلى تيريون واستطرد: «إذا كانت سرسي لا تستطيع السيطرة على الصبي، فلا بُدَّ أن تفعل أنت. وإذا كان هؤلاء المستشارون يتحايلون علينا...».

كان تيريون يعرف ما سيقوله أبوه، فردَّده متنهِّدًا: «الخوازيق، الرؤوس، الأسوار!».

- «أرى أنك تعلَّمت بضعة دروسٍ مني».

قال تيريون بهدوء: «أكثر مما تحسب يا أبي»، وأفرغ ما تبقى من كأسه في فمه ثم نَحَّاهَا جانِبًا وأطرقَ يُفَكِّرُ ثانيةً. جزء منه كان مسرورًا بالفعل حتَّى إذا كان يَرُفُضُ الاعتراف بهذا، وجزء آخر كان يتذكَّرُ المعركة عند النهر ويتساءل إن كان أبوه يُرْسِلُه للدِّفاع عن الميسرة من جديد. «لماذا أنا؟»، سأل مائلًا برأسه إلى الجانب. «لماذا ليس عمِّي؟ لماذا ليس السير أدام أو السير فليمنت أو اللورد سيريت؟ لماذا ليس... رجلًا أكبر؟».

نهَضَ اللورد تايوين فجأةً قائلاً: «أنت ابني».

كان هذا عندما عرفَ تيريون الإجابة. إنك تتصوَّر أنه ضاعَ تمامًا. أيها الوغد الحقيِر، إنك تعتقد أن جاييمي في عداد الموتى وأنا كُلُّ ما تبقى لك. أرادَ تيريون أن يصفعه، أن يَبْصُقَ في وجهه، أن يسحب خنجره وَيَشُقَّ صدره ليُخْرِجَ قلبه ويرى إن كان مصنوعًا من الذهب الخالص بالفعل كما يقول العامة، لكنه جلسَ في مكانه صامتًا ثابتًا، بينما سحقَ أبوه شظايا الكأس المكسورة بقدميه وهو يقطع القاعة، ثم توقَّف عند الباب وقال: «شيء أخير: لن تأخذ العاهرة معك إلى البلاط».

جلسَ تيريون بمفرده في القاعة العامة لفترةٍ طويلةٍ بعدما ذهبَ أبوه، وأخيرًا نهَضَ وصعدَ السَّلالِم إلى عُرفته المريحة تحت بُرج الجرس. كان

سقفها واطثًا، لكن بالنسبة لقزم لم تكن هذه مشكلةً، ومن النافذة كان يرى المشنقة التي نصبها أبوه في الساحة، حيث دارت جثة صاحبة الخان ببطءٍ على حبلها كلما هبَّت الرِّيح، وقد صار لحمها هزيلًا ضامرًا كآمال آل لانستر.

همهمت شاي بصوتٍ وشنان وانقلبت على جانبها نحوه عندما جلس على حافة الحشية المبطنة بالرِّيش، فدسَّ يده تحت الغطاء وكورها حول نهدها اللدن، ففتحت عينيها وابتسمت قائلةً بابتسامةٍ ناعمة: «سيدي». قبلها عندما شعر بحلمتها تتصلَّب تحت يده، وهمس لها: «أفكرُ في أن آخذكِ معي إلى كينجز لاندنج يا حلوتي».



## چون

أطلقت الفرس صهيلًا خفيضًا وچون سنو يوثق حزام السرج، فربّت عليها بلمسة حانية قائلاً: «اهدئي يا جميلتي». كانت الرّيح تموج في جنبات الاسطبل مُصدّرةً أصواتًا كالهمس، وشعرَ بها كأنفاسٍ ياردةٍ قاسيةٍ على وجهه لكنه لم يُبالِ، وربطَ حزمته بالسّرج شاعرًا بالتصلّب والألم في أصابعه المشوّهة، ثم بهدوءٍ نادى: «جوست، إليّ»، وجاء الذّئب إليه وعيناه تتقدّان كالجمر.

- «چون، أرجوك، لا ينبغي أن تفعل هذا».

امتطى الفرس والعنان في يده ودارَ بها مُواجهًا اللّيل، بينما وقفَ سامويل تارلي عند باب الاسطبل والقمر المكتمل يلوح من فوق كتفيه، فألقى ظلًا أسودّ طويلًا أمامه كأنه عملاق. «ابتعد عن طريقي يا سام».

- «چون، لا يمكنك أن تفعل هذا، لن أسمح لك».

- «لا أريدُ أن أؤذيكَ يا سام، لكنني سأدوسك إذا لم تبتعد عن طريقي».

- «لا، لن تفعل. يجب أن تسمعني، أرجوك لا...».

وكرّ چون الفرس قبل أن يستطيع سام أن يقول المزيد فاندفعت نحو الباب، وللحظةٍ ثبتَ سام في مكانه ووجهه شاحب مستدير كالقمر من ورائه وقد فغرَ فاه عن آخره ذهولًا، وفي اللّحظة الأخيرة، عندما صارَ الاثنان على بُعد خطوأتٍ معدودةٍ منه، قفزَ سام جانبًا كما كان چون يعرف أنه سيفعل، وتعثّر وسقط، ووثبت الفرس من فوقه إلى براح اللّيل.

رفعَ چون قلنسوة معطفه الثقيل على رأسه جاعلاً الفرس تعدو بأقصى سرعتها. كانت القلعة السوداء صامتة ساكنة وهو يندفع مُغادرًا وجوست ينطلق إلى جواره، وكان يعرف أن الرجال يقفون حراسةً متبهين على "الجدار" من ورائه، وإن كانت عيونهم تُراقب الشَّمال لا الجَنوب، فلا أحد سيراه يُغادر إذن، لا أحد باستثناء سام تارلي الذي ينهض بصعوبة من وسط تُراب الاسطبلات القديمة. تمنى أن سام لم يتأذ من سقطته، فالولد شديد البدانة والخرق بالفعل، ولن يُدهشه لو أن كسرَ معصمه أو لوى كاحله وهو يقفز بعيدًا عن طريقه. قال چون بصوت عالٍ: «لقد حذرتُه، ثم إن الأمر لا علاقة له به على كلِّ حال». ثنى يده المحروقة وفتح أصابعه المشوَّهة وأغلقها، وكانت لا تزال تُؤلمه، لكنه شعرَ بالارتياح لأنه فكَّ الضمادات أخيرًا.

صبغَ نور القمر التلال باللون الفضي وهو ينطلق على طريق الملوك الأشبه بالشَّريط المتعرَّج في هذه الأنحاء. ينبغي أن يتعد لأقصى مسافة ممكنة عن "الجدار" قبل أن يتبيَّنوا غيابه، وفي الغد سيترك الطريق ويسقُ الأراضِي المجاورة عبر الحقول والأدغال والجداول ليُضللَ مُطارديه، لكن في الوقت الحالي السَّرعة أهمُّ من التَّضليل، فهو يعرف أن تخمين وجهته لن يكون صعبًا عليهم.

الدُّب العجوز معتاد على الاستيقاظ مع انتشار خيوط الضَّوء الأولى في السَّماء، ما يعني أن چون لديه من الوقت حتى الفجر فقط ليضع أكبر عددٍ ممكن من الفراسخ بينه وبين "الجدار" ... هذا إن لم يخنه سام تارلي، فالولد البدين مطيع ويخاف بسهولة بالغة، لكنه يُحبُّ چون كأخ له، وإذا سأله فلا شكَّ أن سام سيُخبرهم بالحقيقة، وإن لم يستطع چون أن يتخيَّله يتحدَّى الحارسين الواقفين أمام بُرج المَلِك كي يُوقظ مورمونت من نومه.

عندما لا يظهر چون ليجلب إفطار الدُّب العجوز من المطبخ،

سيبحثون عنه في حُجيرته أولاً ويجدون "المخلب الطويل" على سريره. كان التخلي عن هذا السيف صعباً عليه، لكن چون لم يكن عديم الشرف لدرجة أن يأخذه معه، فحتى چورا مورمونت نفسه لم يفعل ذلك عندما قرَّ مكللاً بالعار، ولا ريب أن اللورد مورمونت سيجد من يستحقُّه أكثر منه. شعرَ بالحُزن عندما فكَّر في العجوز، ففراره هذا سيكون بمثابة وُضع الملح على جرح عار ابنه الذي لم يندمل بعد، وچون يعرف أنه لا يَجْدُر به أن يَرُدَّ ثقة الرَّجل به بهذه الطريقة الدنيئة، لكن لا مناص. مهما فعل، كان لا يزال يشعُر بأنه يخون أحداً أو آخر.

حتى الآن كان لا يزال لا يدري إن كان تصرفه شريفاً. الأمر أهون كثيراً لدى الجنوبيين، فلديهم سبتوناتهم الذين يتحدثون إليهم فيُجيبونهم بمشيئة الآلهة ويساعدونهم على التفرقة بين الحق والباطل، بينما يعبد آل ستارك الآلهة القديمة، الآلهة التي بلا أسماء، وإذا كانت أشجار القلوب تسمع فهي لا تُجيب أبداً.

أبطأ چون سرعة فرسه عندما غابت أضواء القلعة السوداء من ورائه، فأمامه رحلة طويلة وحصان واحد يركبه. ثمة معاقل وقرى للمزارعين على الطريق جنوباً حيث قد يتمكن من مُبادلة الفرس بحصانٍ جديد عندما يحتاج واحداً، لكن هذا لن يحدث إذا كانت الفرس جريحة أو مصابة بالإعياء الشديد.

سيحتاج إلى العثور على ثياب جديدة عمّا قريب، وغالباً سيضطر لأن يسرقها. كان متشعّحاً بالأسود من قَمّة رأسه حتى أخمص قدميه، يرتدي حذاء ركوبٍ جلدنياً طويل العُنق، وسروالاً وسترة من الصوف الخشن، وصُدرةً جلديةً طويلةً بلا كُمّين، بالإضافة إلى معطفه الصوفي الثقيل، بينما دَسَّ سيفه الطويل وخنجره في غمدين من جلد الخلد الأسود، ووضع في جراب السرج قميصاً بقلنسوة من الحلقات المعدنية السوداء. أيُّ قطعة من هذا قد تعني الموت إذا أمسك به أحدهم، فالغريب الذي

يرتدي الأسود دائماً ما يُواجه بالنظرات المستريبة في أي قرية أو معقل شمال "العنق"، وقرية ما سيكون كل من في طريقه متأهبين له. يعرف چون أنه لن يجد ملاذاً آمناً بمجرد أن تُحلق غُدفان المايستر إيمون، ولا حتى في ويتترفل نفسها. قد يرغب بران في السماح له بالدخول، إلا أن المايستر إيمون يملك حصافة أكثر من هذا، وسيوصد البوابات في وجهه ويصرفه (كما ينبغي أن يفعل)، فمن الأفضل إذن ألا يذهب إلى هناك على الإطلاق.

غير أنه رأى القلعة بمنتهى الوضوح بعين الخيال كأنه تركها بالأمس فقط، الأسوار الجرانيتية الشاهقة، القاعة الكبرى بما فيها من روائح الدخان والكلاب واللحوم المشوية، غرفة أبيه، غرفة البرج التي كان ينام فيها. جزء منه كان لا يرغب في شيء أكثر من سماع بران يضحك ثانية، أن يتناول فطائر اللحم البقري واللحم المقدد التي يخبزها جايج الطاهي، أن يسمع المعجوز نان تروي حكاياتها عن أطفال الغابة وفلوريان المهرج. لكنه لم يترك "الجدار" لهذا السبب، بل تركه لأنه -في النهاية- ورغم كل شيء - ابن أبيه وأخو روب، السيف الهدية - حتى إذا كان سيفاً رائعاً مثل "المخلب الطويل" - لا يجعله واحداً من آل مورمونت، ولا يجعله إيمون تارجارين كذلك. ثلاث مرّات دُفِعَ المعجوز إلى الاختيار، وفي المرّات الثلاث اختار الشرف، لكن هذا شأنه هو. حتى الآن لا يستطيع چون أن يُحدّد إن كان المعجوز قد بقي لأنه ضعيف وجبان أم لأنه قويّ مُخلص، وإن أدرك ما قصده المايستر عن ألم الاختيار، أدركه جيّداً جداً ولأقصى مدى.

لقد ادّعى تيريون لانستر أن معظم الناس يؤثرون إنكار الحقيقة القاسية على مُواجهتها، لكن الآن لم يعد هناك مجال للإنكار لدى چون. إنه يعرف من يكون: چون سنو، النغل ناقض العهد، عديم الأم، عديم الأصدقاء، الملعون، وطوال ما تبقى من حياته -أيّا كانت المدة التي

سيستغرقها هذا- سيظلُّ محكومًا عليه بأن يكون دخليلاً غريبًا، الرَّجل الصَّامت المتواري بين الظُّلال ولا يعجرو على أن ينطق اسمه الحقيقي. أينما ذهبَ إلى أيِّ مكانٍ في أرجاء الممالك السَّبع كلها، سيبقى عائشًا أكذوبةً رغم أنفه خشية أن يجد نفسه مُحاطًا بالرَّاغبين في أدبته. لكن هذا لا يهمُّ حقًا طالما عاش بما يكفي أن يتخذ مكانه إلى جوار أخيه ويتقم لأبيه.

تذكَّر روب كما رآه آخر مرَّة، يقف في السَّاحة والثَّلج يذوب بين خُصلات شعره الكستنائي. سيضطرُّ چون للذهاب إليه متخفيًا. حاول أن يتخيَّل النُّظرة على وجه أخيه عندما يُفصح له عن هويته. سوف يهزُّ روب رأسه ويتسم ويقول... يقول...

لم يستطع أن يتخيَّل الابتسامة مهما حاول، ووجد نفسه يُفكِّر في المتهرَّب الذي أعدمه أبوه يوم عثروا على الذُّئاب الرَّهيبة. «لقد ردَّدت الكلمات»، قال اللورد إدارد للرَّجل يومها. «حلفت اليمين أمام إخوتك وأمام الآلهة القديمة والجديدة»، ثم جرَّ دزموئد وتوم السَّمين الرَّجل إلى جذع شجرة الصُّلب. كانت عينا بران متسعيتين عن آخرهما، وذكره چون بأن يُبقي حصانه القزم تحت السَّيطرة. تذكَّر النُّظرة على وجه أبيه عندما ناوَّله ثيون جرايجوي سيفه "جليد" وتناثر الدَّم على الثَّلج، وكيف ركَّل ثيون الرَّأس المقطوع عندما تدرجَّ عند قدميه.

تساءلَ عمَّا كان اللورد إدارد ليفعله لو كان المتهرَّب هو أخاه بنجن وليس ذلك الغريب الأشعث. هل كان الأمر ليختلف بأيِّ شكل؟ لا بُدَّ أنه كان سيختلف، بالتأكيد، بالتأكيد... وقطعًا سيُرْحَب روب به، يجب أن يُرْحَب به، وإلا... لم يحتمل التَّفكير فيما قد يحدث، وشعرَ بألم عميق في أصابعه وهو يقبض على عِنان الفرس. وكزَّها لتنتطلق مُسرَّعة من جديد على طريق الملوك، كأنه يسعى لأن يسبق الشُّكوك التي أفعمت نفسه. إنه ليس خائفًا من الموت، لكنه لا يُريد أن يموت هكذا، مقيدًا مقطوع الرَّأس



كمجرّد لص. إذا كان موته محتوماً، فليُمتّ وسيفه في يده وهو يُقاتِل قَتْلَةً أبيه. إنه ليس من آل ستارك حقاً ولم يكن كذلك يوماً... لكن يُمكنه أن يموت كواحد منهم، وليقولوا بعدها إن إدارد ستارك أنجب أربعة أولاد وليس ثلاثة فقط.

جارى جوست انطلاقة صاحبه لمسافة نصف ميل تقريباً ولسانه الأحمر يتدلّى من فمه، وخفّض الرّجل والفرس رأسيهما على حدّ سواء وهو يطلب منها أن تتطلق بسرعة أكبر، بينما أبطأ الذّئب الرّهيب سرعته ثم توقّف يتطلّع حوله بعينين تتوهّجان بالأحمر في نور القمر، قبل أن يختفي عن الأنظار، لكن چون كان يعرف أنه سيتبعه بالسرعة التي تُناسبه. ومضت أضواء متناثرة هنا وهناك من بين الأشجار أمامه على جانبي الطّريق، فأدرك أنها بلدة المَناجد. نبّح كلب أثناء مروره، وسمع نهيقاً مبوحاً لبغلٍ قادمًا من الاسطبل، لكن فيما عدا هذا كانت القرية ساكنة تماماً. هنا وهناك كان وهج نارٍ مشتعلة في مُستوقدٍ ما يسطع من وراء النّوافذ التي أسدلت عليها السّتائر ويتسرّب من بين ألواح الخشب، لكن العدد كان قليلاً.

كانت بلدة المَناجد أكبر مما تبدو، وإن كان ثلاثة أرباعها يقع تحت الأرض في أقبية عميقة دافئة تُربطها متاهة من الأنفاق. حتى بيت الدّعارة كان يقع تحت الأرض، ولا شيء منه على السّطح غير كشكٍ خشبيّ لا يزيد حجمه على حجم دورة المياه، وقد علّق فانوس أحمر على بابه. على "الجدار" كان يسمع الرّجال يقولون إن العاهرات هناك "كنوز دفيئة"، وتساءل إن كان أحد إخوته في الأسود موجوداً هنا الليلة. هذا أيضاً حنث باليمين، لكن أحداً لا يُبالي على ما يبدو.

انتظر چون حتى تجاوز القرية بمسافة لا بأس بها ليُبطئ حركة الفرس مجدّداً، وحينها كان الاثنان يتصبّيان عرقاً بالفعل. ترجّل مرتجفاً ويده المحروقة تُؤلمه، واتّجه إلى كومةٍ من الثّلوج الذّائبة تحت الأشجار

جعلها نور القمر تلتمع والماء يتقاطر منها ليُكوّن برّكا صغيرة ضحلة. جلسّ جون القرفصاء وضمّ يديه معاً ليسقط الماء شديد البرودة فيهما، وشرب ورشّ وجهه إلى أن شعر بالوخز في وجنتيه. كانت أصابعه تنبض ألما أكثر مما فعلت منذ أيام، وشعر برأسه يدقّ أيضا. إنني أفعل الشيء الصحيح، فلم ي...؟؟؟ صاحِبني هذا الشعور السيّء؟

كانت الفرس لا تزال تنصبّ عرقا، فأمسك جون عنانها وسار بها لفترة. الطريق هنا يكاد لا يتّسع لراكبين أن يَمُرّا جنباً إلى جنب، وقد شقّت سطحه جداول صغيرة للغاية وتناثرت فيه الحجارة، ما يجعل الانطلاق هنا غباءً مُطَبّقاً ودعوة لأن يكسر عنقه؛ وتساءل جون عما حلّ به... أهو متعجّل على الموت لهذه الدرجة؟

من مكانٍ بعيد بين الأشجار جعلته صرخة خائفة من حيوانٍ ما يرفع رأسه، وأطلقت فرسه صهيقاً متوتراً. هل وجد ذئبه فريسة؟ ضمّ يديه حول فمه ونادى: «جوست! جوست، إليّ!»، لكن الإجابة الوحيدة التي جاءت كانت خفقان جناحي بومةٍ حلّقت من ورائه.

عابسا واصل جون طريقه وقاد الفرس مشياً لنصف ساعة حتى جفّت ولم يظهر جوست بعد. أراد أن يمتطي الفرس وينطلق بها ثانية، لكنه كان قلقاً على ذئبه الغائب، ومرةً أخرى رفع صوته بالنداء: «جوست! أين أنت؟ جوست، إليّ!». لا شيء في هذه الغابة يُمكنه أن يُخيف ذئبا رهيباً حتى ولو كان نموّه لم يكتمل بعد، ما لم... كلا، جوست أذكى من أن يُهاجم ذئبا، وإذا كان هناك قطيع ذئاب في أيّ بقعةٍ قريبةٍ من هنا لكان جون قد سمع العواء بكل تأكيد.

قرّر أنه يجب أن يأكل، بما أن الطعام قد يُهدّئ معدته ويُعطي جوست وقتاً ليرجع. ليس هناك خطر عليه بعد، فالقلعة السوداء لا تزال نائمة. في جراب السرج وجد قطعةً من البسكويت وقطعةً من الجبن ونُفّاحة صغيرة بُنِيّةٌ شبه ذابلة، وكان قد أحضر بعض اللحم المملّح معه أيضا وشريحة

من اللحم المقدّد سرقها من المطبخ، لكنه سيّدخر اللحم حتى الغد، وبعد أن ينتهي اللحم سيفضطرّ لصيد طعامه، ما سيُطهى سرعته.

هكذا جلسَ چون تحت الأشجار يأكل البسكويت والجُبِن بينما رَعَت فرسه على جانب طريق الملوك، وأبقى التُّفّاحة حتى النّهاية. كانت قد ذبلت نوعاً لكن اللَّب كان لا يزال لاذعاً كثير العُصارة. كان قد بلغَ البذور عندما سمعَ الأصوات: خيولاً، وقادمةً من الشّمال. سارعَ ينهض واتّجه نحو فرسه. هل من الممكن أن يسبقهم؟ كلا، إنهم قريبون للغاية وسيسمعونه بلا شك، وإذا كانوا قادمين من القلعة السوداء...

قادَ الفرس بعيداً عن الطّريق وراء مجموعةٍ كثيفةٍ من أشجار الحارس ذات اللّونين الأخضر والرّمادي، وقال للفرس بصوت هامس وهو ينخفض بجسده لينظر من بين الفروع: «صمتاً». إذا كانت الآلهة سميحةً، سيُمرُّ الرّاكبون به لا أكثر، وغالباً سيكونون مجرد أفرادٍ من بلدة المَناجذ، مُزارعين في طريقهم إلى حقولهم، وإن كان من غير الوارد أن يخرج هؤلاء في جوف اللَّيل إلى...

أصغى إلى صوت الحوافر الذي يتصاعد بثباتٍ والرّاكبون ينطلقون بسرعةٍ على طريق الملوك، ومن الصّوت أدرك أن هناك خمسةً أو ستّة منهم على الأقل، وتناهت أصواتهم إلى مسامعه من بين الأشجار. «... واثقون من أنه قطعَ هذا الطّريق؟».

- «لا يُمكننا أن نتق بهذا».

- «على حدّ علمنا ربما يكون قد اتّجه شرقاً، أو تركَ الطّريق ليعبر الغابة. هذا ما كنتُ لأفعله عن نفسي».

- «في الظّلام؟ هذا غباء! إذا لم تَسْقُط من على حصانك وتكسر عُقْكَ، ستضلُّ الطّريق وتجد نفسك عند "الجدار" مرّةً أخرى مع شروق الشّمس».

رَدَّ جَرْنِ مَغْتَاطًا: «لَنْ يَحْدُثَ هَذَا. سَوْفَ أَتَجَّهُ جَنُوبًا فَقَطْ، وَبُيْمَكُنِي تَمَيِّزَ الْجَنُوبِ عَنْ طَرِيقِ النُّجُومِ».

سَأَلَهُ پِپ: «وَمَاذَا لَوْ كَانَتْ السَّمَاءُ مَلْبَدَّةً بِالْغُيُومِ؟».

- «لَنْ أَذْهَبَ إِذَنْ».

تَدَخَّلَ صَوْتُ آخَرٍ فِي الْحَوَارِ قَائِلًا: «هَلْ تَعْرِفُونَ إِلَى أَيْنَ كُنْتُ لِأَذْهَبَ لَوْ كُنْتُ مَكَانَهُ؟ إِلَى بَلَدَةِ الْمَنَاجِذِ بَحْثًا عَنِ الْكُنُوزِ الدَّفِينَةِ»، وَتَرَدَّدَتْ ضَحْكَةٌ تَوَدِّرُ الْمَدْوِيَّةَ بَيْنَ الْأَشْجَارِ، وَأَطْلَقَتْ فَرَسٌ جُونِ صَهِيلًا.

- «اصْمُتُوا جَمِيعًا»، قَالَ هَالْدِر. «أَظُنُّ أَنِّي سَمِعْتُ شَيْئًا».

تَوَقَّفَتِ الْخِيُولُ وَقَالَ جَرْنُ: «أَيْنَ؟ لَمْ أَسْمَعْ شَيْئًا».

- «أَنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَسْمَعَ صَوْتَ ضَرَاطِكَ نَفْسَهُ!».

- «بَلْ أَسْتَطِيعُ!».

- «صَمْتُ!».

لَاذًا جَمِيعًا بِالصَّمْتِ وَأَصْغَوْا، وَوَجَدَ جُونُ نَفْسَهُ يَكْتُمُ أَنْفَاسَهُ قَائِلًا لِنَفْسِهِ: سَامُ! لَمْ يَذْهَبِ الْوَلَدُ الْبَدِينُ إِلَى الدُّبِّ الْعَجُوزِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَذْهَبِ إِلَى فِرَاشِهِ كَذَلِكَ، بَلْ أَيْقَظَ بَقِيَّةَ الصَّبِيَّةِ. إِذَا أَتَى الْفَجْرَ وَلَمْ يَكُنْ كُلُّ مَنْهُمْ فِي سَرِيرِهِ، سَيَعْتَبِرُونَهُمْ مَتَهَرِّبِينَ بِدَوْرِهِمْ. مَاذَا يَحْسِبُونَ أَنْفُسَهُمْ فَاعِلِينَ؟ امْتَدَّ الصَّمْتُ الثَّامَ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ، وَمِنْ حَيْثُ جَثَمَ جُونُ كَانَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرَى قَوَائِمَ الْخِيُولِ مِنْ بَيْنِ الْغُصُونِ، وَأَخِيرًا تَكَلَّمَ پِپُ قَائِلًا: «مَاذَا سَمِعْتَ؟».

قَالَ هَالْدِرُ: «لَا أَدْرِي. سَمِعْتُ صَوْتًا وَخَطَرَ لِي أَنَّهُ صَهِيلُ حِصَانٍ،

لَكِنْ...».

- «لَا يَوْجَدُ شَيْءٌ هُنَا».

مِنْ رُكْنٍ عَيْنَهُ لَمَحَ جُونُ شَبَحًا أَيْضًا يَتَحَرَّكُ بَيْنَ الْأَشْجَارِ، وَحَفَّتِ الْأَوْرَاقُ وَوُثِبَ جُوسْتُ مَنِبْثًا مِنْ بَيْنِ الظَّلَالِ بِشَكْلِ مَبَاغِتٍ حَتَّى أَنْ الْفَرَسَ أَطْلَقَتْ صَهِيلًا مَرْتَفَعًا، وَصَاحَ هَالْدِرُ: «هَنَّا!».

- «أنا أيضًا سمعته!».

- «خائن»، قال جون للذئب الرّهيب وهو يشب إلى متن الفرس، ثم أدار وجهها لينسلّ من بين الأشجار، لكنه وجدهم وراءه مباشرة قبل أن يقطع عشرة أقدام حتى.

صاح ييب باسمه، بينما قال جرن: «توقّف، لا يُمكنك أن تسبقنا كلنا». دار جون ليواجههم مستلًا سيفه، وقال: «عودوا. لا أرغب في أن أؤذيكم، لكنني سأفعل إذا أجبرتوني».

- «واحد ضد سبعة؟»، وأشار هالدر بيده فانتشر الصّبية ليُحيطوا به.

- «ماذا تريدون مني؟».

قال ييب: «نريد أن نُعيدك إلى حيث تنتمي».

- «مكانني مع أخي».

قال جرن: «نحن إخوتك الآن».

- «أنت تعرف أنهم سيقطعون رأسك إذا أمسكوا بك»، قال تودر بضحكة عصبية. «هذه حماقة جدية بأن يتركبها الثور».

- «مستحيل أن أفعل هذا»، قال جرن معترضًا. «أنا لست حائشًا باليمين. لقد ردّدتُ الكلمات وكنتُ أعنيها».

قال جون: «وأنا كذلك. ألا تفهمون؟ لقد قتلوا أبي! الحرب مشتعلة، وأخي روب يُقاتل في أراضِي النّهر».

ردّ ييب بلهجة جادة: «نعرف هذا، سام أخبرنا بكلّ شيء».

وقال جرن: «نحن آسفون لما حدث لأبيك، لكن هذا لا يُغيّر شيئًا. بمجرد أن تُردّد الكلمات لا يُمكنك أن تُغادر مهما حدث».

بحرارة قال جون: «لا بدّ أن أذهب».

- «لقد ردّدتُ الكلمات»، قال ييب. «الآن تبدأ حراستي، ولن تنتهي

حتى مماتي».

- «سأعيش في موقعي وأموتُ فيه»، أضاف جرن مومئًا برأسه.

قال غاضباً: «ليس من الضروري أن تُذكّروني. بالكلمات، إنني أحفظها مثلكم تماماً». لماذا لا يتركونه يرحل في سلام؟ إنهم يُصعّبون الأمر كثيراً.

- «أنا السيف في الظلمات»، ردّد هالدور.

- «أنا الحارس على الأسوار»، أكمل پيپ.

شتمهم چون في وجوههم، لكنهم لم يُلاحِظوا، ودنا پيپ بحصانه منه مُردّداً: «أنا النار التي تحترق لتطرّد البرد، الضوء الذي يأتي بالفجر، النّفير الذي يوقظ النّيام، الدّرع التي تقي بلدان البشر».

قال چون مُلوّحاً بسيفه: «لا تقترب يا پيپ، إنني أعني ما أقول». لم يكونوا يرتدون دروعهم حقاً، ويُمكنه أن يُمزّقهم إرباً إذا اضطرّ.

كان ماثار قد دارَ حوله ليقف وراءه، وانضمّ إلى إخوته وردّد: «الحرس اللّيل أتعهّد بحياتي وسرفي».

وكزّ چون الفرس دائراً بها في دائرة ليجدهم يُحيطون به من كلّ الجهات ويُطبّقون عليه.

- «بدايةً من اللّيلة»، قال هالدور وهو يدنو من اليسار.

- «... وطوال جميع اللّيلالي القادمة»، أنهى پيپ مادّاً يده إلى عنان چون. «لديك خياران إذن: إمّا أن تقتلني أو تعود معي».

رفع چون سيفه... ثم خفضه عاجزاً وقال: «سُحقاً لكم، سُحقاً لكم جميعاً».

سأله هالدور: «هل علينا أن نُقيّد يديك أم ستُعطينا كلمتك بأنك ستعود معنا بسلام؟».

- «لن أهرب منكم إن كان هذا ما تعنيه». تحرّك جوست من تحت الأشجار فرمقه چون قائلاً: «شُكراً على مُساعدتك!»، فرمقته العينان الحمران بنظرة العليم.

قال بيب: «من الأفضل أن تُسرّع. إذا لم تُعُدْ قبل الفجر، سيقطع الدُّب العجوز رؤوسنا جميعًا».

لم يتذكَّر چون الكثير من رحلة العودة التي بدت أقصر بشكلٍ ما من الرِّحلة جَنُوبًا، ربما لأن عقله كان شاردًا. حدَّد بيب سرعة حركتهم، من الانطلاق إلى المشي إلى الخَبَب ثم الانطلاق من جديد. جاءت بلدة المَناجذ وذهبت وقد انطفأ الفانوس الأحمر على باب الماخور منذ فترة طويلة. لم يستغرقوا وقتًا طويلًا في العودة، وكانت ساعة كاملة تفصل بينهم وبين الفجر عندما لمحَ چون أبراج القلعة السوداء أمامهم وقد اكتشفها الظلام و"الجدار" الشاحب يرتفع شاهقًا من ورائها. لم يَشْعُر هذه المرّة بأنه عائد إلى داره.

قال چون لنفسه إنهم يستطيعون إعادته، لكنهم لا يقدرّون على إجباره على البقاء. الحرب لن تنتهي غدًا أو بعد غد، ورفاقه لا يستطيعون مُراقبته طوال الليل والنَّهار. سوف ينتظر ويتحَيَّن الفرصة، يجعلهم يَظُنُّون أنه قنَعَ بالبقاء هنا... ثم، عندما يسترخون ويُهملونه، سيُغادر ثانية، وهذه المرّة سيتلافى طريق الملوك. قد يتبع "الجدار" شَرَفًا، وربما إلى آخره حتى البَحْر، وهو الطَّرِيق الأطول لكنه في الوقت ذاته الأكثر أمانًا. أو قد يتَّجه غَرَبًا إلى الجبال ثم جَنُوبًا سالكا الدُّروب المرتفعة كما يفعل الهمج، وهو الطَّرِيق الأصعب والأكثر امتلاءً بالمخاطر، لكن على الأقل لن يُطارده أحد هناك. سيعمل على أن تفصل مئة فرسخٍ على الأقل بينه وبين ويتربّل وطريق الملوك.

كان سام تارلي في انتظارهم في الاسطبلات القديمة، متمدّدًا على الأرض وقد أسندَ ظَهره إلى كومةٍ من القشّ وقد حال توتُّره دونه والنَّوم. نهَضَ مُنْقَضًا ثيابه وقال: «چون، أنا... أنا مسرور لأنهم عثروا عليك».

رَدَّ چون وهو يترجَّل: «وأنا لستُ مسرورًا».

وثبَ بيب من فوق حصانه، ورمقَ السَّمَاءَ بنظرةٍ مشمُزَّةٍ قائلاً:

«سَاعِدْنَا عَلَى الْعَنَايَةِ بِالْخِيُولِ يَا سَامَ. أَمَامَنَا يَوْمَ طَوِيلٍ، وَنَحْنُ لَمْ نَنْمِ بِفَضْلِ اللَّوْرَدِ سَنُو».

عندما طَلَعَ الْفَجْرُ، ذَهَبَ چُونُ إِلَى الْمَطْبَخِ كَمَا يَفْعَلُ كُلُّ يَوْمٍ، وَلَمْ يُوَجِّهْ لَهُ هَوْبَ ذُو الثَّلَاثَةِ أَصَابِعٍ لَهُ أَيَّ كَلَامٍ وَهُوَ يُنَاوِلُهُ إِفْطَارَ الدُّبِّ الْعَجُوزِ. الْيَوْمَ تَكُونُ الْإِفْطَارُ مِنْ ثَلَاثَ بِيضَاتٍ حَمْرَاءَ مَسْلُوقَةٍ، مَعَ الْخُبْزِ الْمَحْمَرِّ وَشَرِيحَةٍ مِنَ اللَّحْمِ الْمَمْلُوحِ وَوَعَاءٍ مِنَ الْبَرْقُوقِ الْمَتَغَضَّنِ. حَمَلَ چُونُ الطَّعَامَ إِلَى بُرْجِ الْمَلِكِ، حَيْثُ وَجَدَ مَورْمُونْتَ جَالِسًا عَلَى الْمَقْعَدِ الْمَجَاوِرِ لِلنَّافِذَةِ يَكْتُبُ، بَيْنَمَا يَسِيرُ غُدَافُهُ ذَهَابًا وَإِيَابًا عَلَى كَتِفَيْهِ، وَصَاحَ عِنْدَمَا دَلَفَ چُونُ إِلَى الْغُرْفَةِ: «دُرَّةُ، دُرَّةُ، دُرَّةُ!»، وَرَفَعَ الدُّبَّ الْعَجُوزَ عَيْنَيْهِ قَائِلًا: «ضَعِ الطَّعَامَ عَلَى الْمَائِدَةِ، وَأَرِيدُ بَعْضَ الْبِيرَةِ». فَتَحَ چُونُ نَافِذَةَ ذَاتِ سِتَارَةٍ مُسَدَّلَةٍ وَالتَقَطَ إِبْرِيْقَ الْبِيرَةِ الْمَوْضُوعَ عَلَى الْإِفْرِيزِ الْخَارِجِيِّ وَمَلَأَ قَرْنًا. كَانَ هَوْبٌ قَدْ أُعْطَاهُ حَبَّةٌ مِنَ اللَّيْمُونِ لَا تَزَالُ بَارِدَةً وَقَدْ أَتَتْ لَتَوَّهَا مِنْ حُجَرَاتِ التَّخْزِينِ الْمَحْفُورَةِ فِي جِسمِ "الْجِدَارِ"، فَسَحَقَهَا چُونُ بِقَبْضَتِهِ لِيَسِيلَ عَصِيرُهَا مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ إِلَى قَرْنِ الْبِيرَةِ. مِنْ عَادَةِ مَورْمُونْتَ أَنْ يَشْرَبَ الْبِيرَةَ بِاللَّيْمُونِ كُلَّ يَوْمٍ، وَيَدَّعِي أَنَّهُ لِهَذَا السَّبَبِ لَا يَزَالُ يَحْتَفِظُ بِأَسْنَانِهِ كَامِلَةً.

- «لَا سَكَّ أَنْكَ أَحَبَبْتُ أَبَاكَ»، قَالَ مَورْمُونْتُ وَچُونُ يُنَاوِلُهُ قَرْنَ الْبِيرَةِ. «الْأَشْيَاءُ الَّتِي نُحِبُّهَا تُدْمِرُنَا فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَا فَتَى. هَلْ تَذْكُرُ عِنْدَمَا قُلْتُ لَكَ هَذَا؟».

أَجَابَ بِجُمُودٍ: «أَذْكُرُ». لَمْ تَكُنْ لَدَيْهِ رَغْبَةٌ فِي الْكَلَامِ عَنْ مَوْتِ أَبِيهِ، وَلَا حَتَّى مَعَ مَورْمُونْتَ.

- «اعْمَلْ عَلَى الْأَلَّا تَنْسَى هَذَا أَبَدًا، فَالْحَقَائِقُ الْقَاسِيَةُ هِيَ مَا يَنْبَغِي أَنْ نَتَمَسَّكَ بِهِ. هَاتِ طَبْقِي. لَحْمٌ مَمْلُوحٌ ثَانِيَةٌ؟ لَيْكُنْ. تَبْدُو مُتَعَبًا... هَلْ كَانَتْ رَحْلَتُكَ تَحْتَ ضَوْءِ الْقَمَرِ مُرْهِقَةً لِهَذَا الْحَدِّ؟».

قَالَ چُونُ وَقَدْ جَفَّ حَلْقُهُ تَمَامًا: «هَلْ تَعْرِفُ؟».



رَدَّدَ الغُذاف من فوق كتف مورمونت: «تعرف، تعرف!»،  
أطلق الذَّب العجوز شجرة وقال: «هل تحسب أنهم اختاروني قائدًا  
لحرس اللَّيل لغبائي يا سنو؟ إيمون قال لي إنك ستذهب، وقلتُ له إنك  
ستعود. إنني أعرفُ رجالي... وصيبي كذلك. الشَّرَف أخرجك إلى  
طريق الملوك، والشَّرَف أعادك». -  
«أصدقائي هم من أعادوني».

قال مورمونت ناظرًا إلى طبقه: «هل قلتُ إنه شَرَفك أنت؟». -  
«لقد قتلوا أبي، فهل توقَّعت ألا أفعل شيئًا؟». -  
«الحقُّ يقال إننا توقَّعنا أن تفعل ما فعلته بالضَّبَط»، والتهم مورمونت  
حبة برقوق وبصق النَّواة. «لقد أمرتُ بفرض مراقبةٍ عليك، ولقد شاهدوك  
وأنت تُغادر، وإذا لم يُعِدك إخوتك كان سيُقبَض عليك على الطريق على  
كُلِّ حال، وليس على يد أصدقائك لك في تلك الحالة، ما لم يكن لديك  
حصان ذو جناحين كالغُذاف، أليدك حصان كهذا؟». -  
أجاب جون شاعرًا كالأحمق: «كلا». -  
«خسارة. يُمكننا أن نستفيد بحصانٍ مثله».

شدَّ جون قامته، وقال لنفسه إنه سيموت كرجل. يُمكنه أن يفعل  
هذا على الأقل. «إنني أعرفُ عقوبة التهَرَّب يا سيدي، ولستُ خائفًا من  
الموت».

رَدَّدَ الغُذاف: «الموت!».

- «ولا من الحياة على ما آملُ»، قال مورمونت وهو يُقَطِّع اللحم  
بخنجرٍ ويُطعم قطعةً للطائر. «أنت لم تهَرَّب... بعد، فهذا أنت ذا واقفُ  
أمامي هنا. إذا قطعنا رأس كلِّ صبيٍّ يذهب إلى بلدة الصَّناجد، لن يتبقَّى  
غير الأشباح لحراسة "الجدار". لكن من المحتمل أنك تنوي الفرار غدًا،  
أو بعد أسبوعين، أليس كذلك؟ أليس هذا ما تأمله يا فتى؟». -  
ظَلَّ جون صامتًا.

قال مورمونت وهو يُقَشِّرُ بيضةً: «كما حسبْتُ. لقد مات أبوك يا فتى، فهل تعتقد أنك تستطيع إعادته إلى الحياة؟». أجابَ بتجهمٍ: «كلا».

- «عظيم»، قال مورمونت. «أنا وأنت رأينا الموتى يعودون، وليس هذا بالشَّيء الذي أرغبُ في رؤيته ثانية»، والتهمَ البيضة على قضمتين ونقرَ قطعةً من القشرة من بين أسنانه. «أخوك في الميدان ووراءه قوَّة الشمال بأكملها، وأيُّ من اللوردات حملة رايته يقود عددًا من الرِّجال أكبر مما ستجده لدى حرس اللَّيل كله، فلمَ تتصوَّر أنهم يحتاجون إلى مُساعدتك؟ هل أنت مُحارب مغوار؟ هل تحمل جِرامِك في جيبك يمنح سيفك سحرًا ما؟».

لم يُجرِ جون جوابًا. كان الغُدا ف ينقرُ بيضةً مُكسَّرًا قشرتها، ثم غرسَ منقاره في الثقب الذي صنَّعه وخرجَ بقطعةٍ من الصَّفار والبياض. تنهَّد الدُّب العجوز وقال: «أنت لست الوحيد الذي له عزيز في هذه الحرب يا فتى. في الغالب ستجد أختي ترحف مع جيش أخيك، هي وبناتها وقد ارتدينَ جميعًا دروع الرِّجال. مِج شمطاء عجوز تُدكِّرني بالسناركات، كما أنها قصيرة الفتيل وعنيدة وصلبة الرَّأس للغاية. الحقيقة أنني أكادُ لا أطيعُ أن أكون في حضرة تلك الملعونة، لكن ذلك لا يعني إطلاقًا أن حُبِّي لها لا يُضاهي حُبَّك لأختيك غير الشَّقِيقَتين»، وقطَّب مورمونت جبينه والتقطَّ البيضة الأخيرة مهشَّمًا قشرتها في قبضته، ثم أضاف: «أو قد يكون هذا ما يعنيه. أيَّا كان، سوف أحزنُ عليها مع ذلك إذا قُتِلت في المعركة، لكنك لا تراني أفرُّ إليها. لقد ردَّدْتُ الكلمات، تمامًا كما ردَّدتها أنت، ومكاني هنا... فأين مكانك يا فتى؟».

أرادَ جون أن يقول: أنا بلا مكان، إنني نغزلُ وليس لديَّ حقوق أو اسم أو أم، والآن ليس لديَّ أب حتى، لكن الكلمات رفضت مُغادرة شفثيه، واكتفى بأن قال: «لا أدري».

- «أنا أعرفُ»، قال حضرة القائد مورمونت. «الرياح الباردة تشتدُّ يا سنو، والظلال تمتدُّ طويلةً وراء "الجدار". كوترپايك كتبَ قائلاً إن قطعاناً هائلةً من الطُّبَاءِ تندفُقُ جنوباً وشرقاً نحو البحر، والماموثات كذلك. يقول إن واحداً من رجاله اكتشفَ آثارَ أقدام ضخمةٍ مشوِّهةٍ على مسافةٍ أقلَّ من ثلاثة فراسخ من قلعة البحر، وجوالة بُرج الظلال وجدوا قرىً بأكملها مهجورةً، والسير دينس يقول إنهم يرون نيراناً في الجبال، نيراناً ضخمةً تتأجج من الغسق إلى الفجر. كما أن كورين ذو النصف يد أسرَ همجياً في منطقة "الغور"، والرَّجل يُقسِم أن مانس رايدر يجمع شعبه كله في معقل سِرِّيٍّ جديد اكتشفه، والآلهة وحدها تعلم لأيِّ غرض. هل تعتقد أن عمك بنجن هو الجوّال الوحيد الذي فقَدناه خلال العام الماضي؟».

- «بن جن!»، نعى الغُداث ورأسه يتمايل إلى أعلى وأسفل وقطع من البيض تندلَّى من منقاره. «بن جن! بن جن!».

أجاب چون: «كلا». هناك جوالة آخرون فقَدوا بالفعل، عدد كبير جداً في الواقع.

سأله العجوز بلهجة حادة: «هل تعتقد أن حرب أخيك أهمُّ من حربنا؟».

مضغَّ چون شفته وخفق الغُداث بجناحيه في وجهه مُردِّداً: «حرب، حرب، حرب، حرب، حرب!».

قال له مورمونت: «قطعاً هي ليست أهمُّ. لترحمنا الآلهة يا فتى، أنت لست أعمى أو أحمق. عندما يأتي الموتى ليصيدوننا في قلب الليل، فهل يهمُّ من يجلس على العرش الحديدي؟».

- «كلا». لم يكن چون قد فكَّر في المسألة بهذه الطريقة.

- «السيد والدك أرسلك إلينا يا چون، لكن من يدري لماذا؟».

ردَّد الغُداث: «لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟».

- «كلُّ ما أعرفه أن دماء البشر الأواثل تسري في عروق آل ستارك،

والبشر الأوائل هم من شيدوا "الجدار"، ويُقال إنهم يتذكرون أشياء نسيها كل من عداهم. ثم إن ذئبك هذا قادنا إلى الجشئين الحيثيين، وحذرك من الرجل الميت على السّلام. كان السير چارمي ليقول إنها مصادفة، لكن السير چارمي ميت وأنا لا، وغرس اللورد مورمونت طرف خنجره في قطعة من اللحم وأردف: «أعتقد أن قدرك أن تكون هنا، وأريدك أنت وذئبك هذا معنا عندما نخرج وراء "الجدار"».

شعر چون بحماسة بالغّة تملّكه مع كلمات مورمونت الأخيرة، وردّد: «وراء "الجدار"؟».

- «كما سمعتني. إنني أنوي العثور على بن ستارك حيًا أو ميتًا»، ومضغّ وازدرد ثم واصل: «لن أجلس خانعًا هنا وأنتظر الثلوج والرياح الجليدية. ينبغي أن نعرف ما يحدث، وهذه المرأة سيخرج حرس الليل بكلّ قوتهم ضد ملك ما وراء الجدار، ضد "الآخرين"، وضد أيّ شيء آخر يواجها. سأقودهم بنفسي»، وأشار بخنجره إلى صدر چون قائلاً: «جرت العادة على أن يكون وكيل حضرة القائد مرافقه كذلك... لكنني لا أرغب في الاستيقاظ كلّ فجرٍ متسائلًا إن كنت قد هربت ثانية، لذا أريدُ إجابةً منك أيها اللورد سنو، وأريدها الآن: هل أنت أخٌ في حرس الليل أم مجرد صبيّ نغلٍ يرغب أن يلعب في الحرب؟».

شدّ چون سنو قامته والتقطَ نفسًا عميقًا قائلاً لنفسه: سامحني يا أبي. روب، آريا، بران... سامحوني، فلا أستطيعُ مساعدتكم. إنه يقول الحق. هذا مكاني. «أنا... أنا لك يا سيدي، أنا رجلك. أقسمُ على هذا، ولن أهرب ثانية».

قال الذئب العجوز بصرامة: «عظيم. والآن اذهب واستعد سيفك».



## كاتلين

كان ألف عام قد مضت منذ حملت كاتلين ستارك ابنها الرضيع خارجةً به من ريفرزَن، لتُعبّر نهر الجُلمود على متن قاربٍ صغير وتبدأ رحلتها سَمالاً إلى ويترفل، وعبر الجُلمود كانا في طريق العودة الآن، وإن كان ابنها يرتدي درع الحرب هذه المرة بدلاً من قماط الرُّضْع.

جلسَ روب عند مقدّمة القارب مع جراي ويند وقد أراحَ يده على رأسِ ذئبه الرّهيب ومعهما ثيون جرابجوي، بينما أخذَ البحّارة يضربون الماء بالمجاديف، وفي القارب الثاني القادم وراءهم كان عمّها برايندن ومعه جون الكبير واللورد كارستارك. اتّخذت كاتلين مكاناً بالقرب من المؤخّرة والقارب يَمُخُرُ بهم عباب الجُلمود تاركاً التيّار القويّ يدفعهم مروراً ببرج السّاقية العالي، الذي جاءت من داخله ضجّة السّاقية الضّخمة لتُذكّر كاتلين بأيام طفولتها وترسم ابتسامة شجنٍ على شفّتها. من فوق أسوار القلعة المشيّدة من الحَجَر الرّملي هتف الجنود والخدم باسمها واسم روب واسم ويترفل، ومن كلّ شُرْفَةٍ رفرفت راية آل تلي ذات رمز سمكة الترويت الفضيّة الواثبة على خلفيّة متموّجة من الأزرق والأحمر. كان المنظر مؤثراً وإن لم ينجح في بثّ الرّاحة في قلبها المُتعب، وتساءلت إن كانت الرّاحة شيئاً سيُعرفه قلبها ثانية. آه يا ندي...

داروا دورةً واسعةً أسفل بُرج السّاقية وشقّوا المياه المائجة والبحّارة يُجدّفون بكلّ ما لديهم من قوّة ونشاط، ثم لاحت قنطرة بوابة الماء الكبيرة

أمامهم، وسمعت كاتلين صرير السلاسل الثقيلة والشبكة الحديدية الضخمة تُسحب إلى أعلى ثم ترتفع بتؤدة مع اقترابهم لترى كاتلين نصفها السفلي مكسواً بالصدأ الأحمر، ومع مرورهم أسفلها تقاطر منها طمي النهر البني عليهم والقضبان الشائكة ترتفع بضع بوصات معدودة عن رؤوسهم. رفعت كاتلين عينيها إلى القضبان وتساءلت عن العمق الذي بلغه الصدأ وعن قدرة الشبكة الحديدية على احتمال ضربات المِذَكِّ وإن كان من الضروري استبدالها. نادراً ما كانت الأفكار على هذه الشاكلة بعيدة عن خاطرها هذه الأيام.

مروا تحت القنطرة والأسوار لينتقلوا من نور الشمس إلى الظل ثم إلى نور الشمس من جديد، وقد رست قوارب صغيرة وكبيرة في كل مكان حولهم ورُبطت بحلقات حديدية مثبتة في الحجر، وانتظر حرس أبيها على سلاالم الماء مع أخيها. كان السير إدميور تلي شاباً قصير القامة ذا جسم قويٍّ ممتلئٍ وشعرٍ كستنائيٍّ خشنٍ ولحية حمراء، يرتدي واقي صدرٍ مخدوشاً ومنبعجاً من المعركة، وقد تلطّخ معطفه ذو اللونين الأزرق والأحمر بالدم والسّناج. إلى جواره وقف اللورد تايوس بلاكوود، الرّجل القويّ الطويل ذو الأنف المعقوف واللّحية المشدّبة التي وخطّها الشّيب، درعه الصّفراء اللّامعة مرصّعة بالكهرمان الأسود بأشكال فروع وأوراق العنب، ومعطفه المخيَّط من ريش الغدافان ينسدل على كتفيه النّحيلتين. كان اللورد تايوس هو من قاد الغارة التي حرّرت أخاها من معسكر لانستر.

قال السير إدميور: «اجذبوا القارب»، فأسرّع ثلاثة من رجاله ينزلون السّلاالم وقد غاصوا في المياه حتى الرّكبة وجذبوا القارب بواسطة خطاطيف طويلة، وعندما خرج جراي ويند القارب أسقط أحدهم خطافه وتراجع متعثراً ليسقط جالساً على السّلاالم، فضحك الآخرون وارتسمت نظرة مرتبكة على وجه الرّجل، ثم وثب ثيون جرابجوي من على جانب

القارب ورفع كاتلين من خصرها وأنزلها على درجة جافة فوقه والمياه تُحيط بحذاءيه.

نزل إدميور السلالم ليعانقها مُغمِغًا بصوتٍ مبحوح: «أختي العزيزة». كان يملك عينين لونهما أزرق عميق وفمًا مخلوقًا للابتسام، لكنه لم يكن يتسم الآن، وبدا مُرهقًا تمامًا وقد أضتته المعركة والأسر، وعلى عنقه كانت ضمادة تُغطي جرحًا أصيب به. احتضنته كاتلين بقوة بالغة، وعندما أفلتته قال لها: «أشاركك الحزن يا كات. عندما جاءنا خبر اللورد إدوارد... سيدفع آل لانستر الثمن، أقسم لك إنك ستالين انتقامك».

قالت بحدّة: «وهل سيُعيد هذا ند إليّ؟». كان الجرح لا يزال جديدًا لا يحتمل كلماتٍ أخفّ، وهي لا تستطيع التفكير في ند الآن ولن تسمح لنفسها بالتفكير فيه، فلا فائدة من هذا، وعليها أن تبقى قويّة. «كل هذا يُمكنه الانتظار الآن. يجب أن أرى أبي».

- «إنه ينتظرك في غرفته».

- «اللورد هوستر طريح الفراش يا سيّدي»، قال وكيل أبيها. متى صار هذا الرّجل الطيّب عجوزًا أشيب هكذا؟ «لقد أمرني بأن أصبحك إليه في الحال».

قال إدميور: «سأصحبها أنا»، وقادها صاعدًا سلالم الماء وعبر الفناء السفلي حيث تقاطع سيفا بيتر بايلش وبراندون ستارك من أجلها ذات يوم. ارتفعت أسوار الحصن العملاقة المشيّدة من الحجر الرّملي فوقهما، وبينما يدخُلان من باب يقف عليه رجلان يضع كلُّ منهما خوذة ذات ريشة على شكل سمكة، سأله متوجّسًا من الإجابة: «كيف حاله؟». بنظرة مكفهرّة أجابها: «المايسترات يقولون إنه لن يظلّ معنا طويلًا. الألم... مستمرّ وقوي».

أفعمّها غضب أعمى في هذه اللّحظة، غضب من العالم كله، من أخيها إدميور وأختها لايسا، من آل لانستر، من المايسترات، من ند وأبيها

والآلهة المتوحّشة التي قرّرت أن تسلب الاثنين منها. «كان يجدر بك أن تُخبرني، كان يجدر بك أن تُرسل لي بمجرد أن عرفت».

- «لقد منعني، لم يشأ أن يعرف أعداؤه أنه يحتضر، ومع كلّ هذه القلاقل في البلاد كان يخشى أنه إذا عرف آل لانستر بهشاشته...».

أكملت كاتلين العبارة بلهجة قاسية: «... سيهاجمون؟»، وفي داخلها همس صوت: كان هذا من صنعك، من صنعك أنت. لو لم تُصيري على القبض على القمر...

وصعد الاثنين الدرجات اللولبية بصمت.

كان الحصن ثلاثي الجوانب مثل ريفررَن نفسها، وكذلك كانت غرفة اللورد هوستر التي تبرز منها شُرْفَة حجريّة إلى الشرق كأنها مقدّمة سفينة ضخمة من الحجر الرّملي، ومن هناك يستطيع سيّد القلعة التطلّع إلى أسواره وشُرفاته وما ورائهما حيث يلتقي النهران. كانوا قد نقلوا فراش أبيها إلى الشُرْفَة لأنه يُحبّ الجلوس في الشّمس ومُشاهدة النّهرين كما فسّر لها إدميور، قبل أن يقول لأبيه «أبي، انظر من معي. كات جاءت لتراك».

لطالما كان اللورد هوستر رجلاً كبير الحجم، طويلاً عريض الصدر في شبابه وأكثر امتلاءً مع تقدّمه في العمر، والآن بدا كأنه تقلّص وذاب لحمه وعضلاته عن عظامه، وحتى وجهه صار ضاوياً. عندما رأت كاتلين آخر مرّة كان شعره ولحيته بُنيّين وقد وخطهما الشّيب، أمّا الآن فكانا أبيضين كالثلج.

فتح أبوها عينيه مع صوت إدميور، وبصوت خافتٍ مفعم بالآلم تمتم: «قطّتي الصّغيرة»، وارتسمت ابتسامة راجفة على وجهه ويده تتحنّس طريقها إلى يدها مضيقاً: «لقد ترقّبتُ مجيئك».

- «سأترككما وحدكما»، قال أخوها وطبع قُبلةً على جيبي أبيهما قبل أن يُغادر.



ركعت كاتلين إلى جوار الفراش وأخذت يد أبيها في يدها، اليد الكبيرة التي غدت خاوية من اللحم ولم يعد فيها غير الجلد على العظم وقد راحت القوة كلها منها. «كان عليك أن تخبرني، تبعث رسولاً أو غداً».

- «الرسول يُمكن في الأسر ويُستجوب، والغداً يُمكن أن يُسقطه أحد و...». تملكته نوبة مفاجئة من الألم وأطبقت يده على يدها وهو يقول: «المرض في بطني... ينهش، ينهش بلا توقف، ليل نهار، مخالفه قاسية جداً. المايستر فايما ييسقيني نبيذ النوم وحليب الخشخاش وأنا مُ كثيرًا... لكنني أردتُ أن أكون مستيقظاً لأراك حين تصلين. كنتُ خائفاً... عندما أسر آل لانستر أخاك والمعسكرات تُحيط بنا... كنتُ خائفاً من أن أرحل قبل أن أراك ثانية... كنتُ خائفاً...».

- «أنا هنا يا أبي، ومعني روب ابني. هو أيضاً سيُريد أن يراك».

همس: «ابنك... إنني أذكره، كان يملك عيني».

- «كان ولا يزال. ولقد جئنا لك بجايمي لانستر مكبلاً بالأغلال.

ريفررن صارت حرة من جديد يا أبي».

ابتسم اللورد هوستر وقال: «رأيتُ بنفسي. ليلة أمس، عندما بدأت المعركة، قلتُ لهم إنني يجب أن أراها... وحملوني إلى مبنى البوابة وشاهدتُ من الشرفة. آه، كان المنظر جميلاً... جاءت المشاعل في موجة، وسمعتُ صراخهم يأتيني عبر النهر... صراخهم الجميل... عندما اشتعل بُرج الحصار... بحق الآلهة... كان ليُسعدني أن أموت لحظتها لو استطعتُ فقط أن أرى أبنائي أولاً. أهو ابنك من فعلها؟ أهو روب؟».

أجابت كاتلين شاعرة بفخر غير مسبوق: «نعم، كان روب... وبرايندن. أخوك هنا كذلك يا سيدي».

- «هو»، قال اللورد هوستر بهمسية شديدة الخفوت. «السمة السوداء

عاذ؟ عاذ من "الوادي"؟».

- «نعم».

حَرَّكَتْ هَبَّةً مِنَ الرِّيحِ الباردة ما تَبَقَّى مِنْ شَعْرِهِ الأَبْيَضِ الخفيف وهو يسأل: «ولايسا؟ بِحَقِّ الآلهة، هل عَادَتْ أختكِ أَيْضًا؟».

كان صوته مفعماً بالأمل والحنين للغاية حتى أن إخباره بالحقيقة كان صعباً عليها إذ أجابته: «لا، أنا آسفة».

لَاخَ الإحباط على وجهه وانطفأ نور ما في عينيه، وقال: «أوه، كُنْتُ أَمَلُّ أَنْ أراها قبل أن...».

- «إنها مع ابنها في "العُش"».

هَزَّ اللورد هوستر رأسه بإرهاقٍ قائلاً: «اللورد روبرت الآن بعد رحيل آرِن المسكين... أتذكرُ... لماذا لم تأتِ معكِ؟».

- «إنها خائفة يا سيدي، ووجودها في "العُش" يُشعرها بالأمان»، وقبَّلته على جبينه المتغصن وقالت: «لا بُدَّ أَنْ رُوبَ ينتظر رؤيتكِ. هل ستراه؟ ويرايَندن كذلك؟».

همسَ: «ابنكِ، نعم، طفل كات... كان يملك عينيَّ، أذكرُ هذا... عندما وُلِدَ... نعم، دعيه يأتي».

- «وأخوك؟».

رفعَ أبوها عينيه إلى النهرين وقال: «السَّمكة السَّوداء. هل تزوَّج؟ هل اتَّخذ... فتاةً ما لنفسه زوجة؟».

قالت لنفسها بحُزن: حتى على فراش الموت. «لا، لم يتزوَّج. أنت تعرف هذا يا أبي. ولن يتزوَّج أبداً».

- «لقد قلتُ له... أمرته... تزوَّج! كُنْتُ سيِّده وحقِّي أن أجِدَ له زوجةً، هو يعرف هذا... زوجةً مناسبةً... من عائلة ردواين، عائلة قديمة... فتاة رائعة، جميلة، ذات نمش... بثاني، نعم. مسكينة، ما زالت تنتظر، نعم، ما زالت تنتظر».

قالت كاتلين: «بثاني ردواين تزوَّجت من اللورد روان منذ سنوات وأنجبت ثلاثة أبناءٍ منه».

غمغم اللورد هوستر: «ولو، ولو... بصق على الفتاة، على عائلة ردواين، بصق عليّ وأنا سيّده وأخوه... ذلك السمكة السوداء. كانت لديّ عروض أخرى، ابنة اللورد براكن، ابنة والدر فراي... أيّ واحدة من الثلاث، لكنه قال... هل تزوّج؟ هل تزوّج من أيّ واحدة؟».

- «لم يتزوّج، لا، لكنه قطع مسافة طويلة ليراك، وقاتل حتى يعود إلى ريفرزن، وما كنت لأقدر على العودة أنا كذلك لولا مُساعدة السير برايندن لنا».

قال أبوها بصوتٍ مبحوح: «لطالما كان مُحاربًا، هذا صحيح. فارس البوابة، نعم»، وأغلق عينيه وأرجع رأسه إلى الوراء مُرهقًا بما لا يُقاس وتمتم: «أرسله إليّ... لاحقًا. سأنام الآن. لم أعد أقوى على الشجار. أرسله لاحقًا، السمكة السوداء...».

قبّلته كاتلين برقّة وملّست على شعره، ثم تركته هناك في ظلّ حصنه ونهرا يتدفقان في الأسفل، وقبل أن تُغادر الغرفة كان قد غاب في النّوم. عندما عادت إلى الفناء السّفلي، وجذت السير برايندن تلي واقفًا على سلال الماء بحذاء مبتلّ يتكلّم مع قائد حرس ريفرزن، ولَمّا رآها اتّجه نحوها من فوره قائلاً: «أهو...».

- «يُحتضر، كما كنا نخشى».

لاحّ الألم بوضوح شديد على ملامح عمّها القاسية، ومرّر أصابعه في شعره الأشيب الكثيف وقال: «هل سيراني؟».

أومأت برأسها علامة الإيجاب قائلة: «يقول إنه لم يَعد يقوى على الشجار».

ضحك برايندن السمكة السوداء وقال: «لا أصدّق هذا لحظة. سيظلّ هوستر يُوبّخني بشأن ابنة ردواين حتى ونحن نُشعل محرقة جنازته، عليه اللّعة».

ابتسمت كاتلين وهي تُدرك أن ما يقوله صحيح، وسألته: «أين روب؟».

- «دخَلَ مع جرابجوي إلى القاعة على ما أعتقد».

كان ثيون جرابجوي جالسًا على دَكَّةٍ في قاعة ريفرَرَن الكُبْرَى، يستمتع بالشَّرَاب من قرنٍ من العِزْر ويُمَتِّع حامية أبيها بروايته عن المذبحة في الغابة الهامسة: «حاولَ بعضهم الفرار، لكننا كنا قد سدَدنا الوادي تمامًا من الجانبين وخرَجنا عليهم من قلب الظَّلام وفي أيدينا السُّيوف والرُّماح. لا بُدَّ أن جنود لانستر حسبوا أن "الآخرين" أنفسهم يُهاجِمونهم حين انطلق ذئب روب بينهم. لقد رأيته يُعزِّق ذراع رجل من كتفه، وأصيبتْ خيولهم بالجنون لَمَّا شَمَّت رائحته. لا أستطيعُ أن أقول لكم كم رجلاً سقطَ...». قاطعته: «ثيون، أين أجِدُ ابني؟».

- «اللورد روب ذهبَ لزيارة أيكَة الآلهة يا سيِّدتي».

تمامًا كما كان ند ليفعل لو كان مكانه. إنه ابن أبيه بقدر ما هو ابني، يجب أن أتذكَّر هذا. آم يا ند...

وجدتْ روب تحت مظلة الأوراق الخضراء محاطًا بأشجار الخشب الأحمر الطويلة وأشجار الدردار القديمة الضخمة، راکمًا أمام شجرة القلوب الرِّفِعة ذات الوجه الذي بدا حزينًا أكثر منه متجهِّمًا. كان سيفع الطويل أمامه وقد غرسَ رأسه في التُّربة وضمَّ يديه المغلقتين بقُفَّازين حول المقبض، ومن حوله ركعَ آخرون: چون أومبر الكبير، ريكارد كارستارك، مِج مورمونت، جالبارت جلوفر، وغيرهم، وحتى تايوس بلاكوود الذي فردَ معطفه الكبير المصنوع من ريش الغِدفان وراء ظهره. أدركتْ أن هؤلاء هم من يعبدون الآلهة القديمة، وسألت نفسها عن الآلهة التي تَعْبُدُها هي هذه الأيام دون أن تجدَ إجابةً شافيةً.

لم ترغب في مُقاطعتهم أثناء صلاتهم، فلا بُدَّ من أن تُوفِّي الآلهة حقها... حتى الآلهة القاسية التي سلبتها ند وفي طريقها إلى أن تسلب أباهَا بدوره... وهكذا انتظرتْ كاتلين. تحرَّكتْ رياح النُّهر بين الغصون العالية، ورأت بُرج السَّاقية إلى يمينها وفروع اللَّباب تزحف على جانبه،

وإذ وقفت هناك تدفقت الذكريات على وجدانها. بين هذه الأشجار علّمها أبوها ركوب الخيل، وهذه هي شجرة الدردار التي سقط إدميور من فوقها عندما كسر ذراعه، وهناك أسفل تلك التّعرشة تبادلّت هي ولايسا القُبلات مع بيتر. لم تكن قد فكّرت في هذا منذ سنواتٍ طويلة. كم كانوا صغارًا جميعًا حينها، هي في مثل عُمر سانزا ولايسا أصغر من آريا وبيتر أصغر من الاثنين لكن تواقًا إلى التّجربة. تبادلته الفئتان فيما بينهما كما تبدّلت مشاعرهما بين الجدّيّة والهزل. عادت الذّكري إليها بوضوح تامّ حتى أنها كادت تشعرُ بلمس يديه المبلّتين بالعرق على كتفها وتتذوّق النّعناع في أنفاسه. لطالما كان النّعناع ينمو في أيكّة الآلهة، ودائمًا ما أحبّ بيتر أن يمضغه، تمامًا كما كان يُوقع نفسه في المتاعب دائمًا منذ نعومة أظفاره. «لقد حاول أن يضع لسانه في فمي»، قالت كاتلين لأختها معترفةً بعدها عندما صارتا وحيدتين، فقالت لايسا بخجلٍ لاهت: «فعل هذا معي أيضًا، وراق لي».

نهض روب بتؤدّة ودسّ سيفه في غِمدّه، ووجدت كاتلين نفسها تتساءل إن كان ابنها قد سبق له أن قبل فتاة ما في أيكّة الآلهة. لا بدّ أنه فعل، وهي رأت جين پول ترمقه ولهي، وكذلك بعض الفتيات الخادِمات اللّاثني منهنّ من بلغت من العُمر ثمانية عشر عامًا... ثم إن ابنها ذهب إلى الحرب وقتل رجالًا بسيفه، فلا شكّ أنه يعرف طعم القُبلات. شعرت بالدموع تترقّق في عينيها، فجفّفتها غاضبةً.

قال لها روب عندما رآها واقفةً هناك: «أمّي، يجب أن نعقد اجتماعًا الآن، فثمّة أشياء ينبغي تقريرها».

- «جدّك يرغب في رؤيتك يا روب. إنه مريض للغاية».

- «السير إدميور أخبرني. أنا آسف يا أمّي، من أجل اللورد هويستر ومن أجلك، لكن يجب أن نجتمع أولًا. لقد جاءتنا أنباء من الجنوب. رنلي باراثيون يُطالب بعرش أخيه».

قالت مصدومة: «رنلي؟ حسبْتُ أنه سيكون اللورد ستانيس بالتأكيد».  
قال جالبارت جلوفر: «كلنا حسبنا هذا يا سيّدي».

اجتمعَ مجلس الحرب في القاعة الكبرى حول أربع موائد طويلة مرتفعة رُصّت في مربع غير منتظم. كان اللورد هوستر أضعف من أن يحضر وقد غابَ في النَّوم في شُرفته ليحلُم بالشَّمس السَّاطعة على نهري شبابه، وفي مكانه جلسَ إدميور على مقعد آل تلي العالي وإلى جواره برايندن السَّمكة السوداء، بينما ارتصَّ حملة راية أبيه إلى اليمين واليسار وعلى الموائد الجانبية. كانت أخبار الانتصار في ريفرن قد بلغت لوردات الثالوث الهاريين لتعيدهم، فجاء كاريل فانس الذي صارَ لوردًا الآن بعد موت أبيه عند النَّاب الذهبي، ومعه السير مارك بايبر وابن السير رايمون داري الذي لا يزيد عُمره على عُمر بران، كما وصلَ اللورد چونوس براكن من أطلال قلعة السَّياج الحَجري وقد بدا عليه الغضب الشَّديد، واتَّخذَ أبعد مقعدٍ ممكن تسمَح به الموائد عن تايئوس بلاكوود. جلسَ لوردات الشَّمال متقابلين، وكاتلين وروب يُواجهان إدميور عبر الموائد، وكان عددهم أقل. جلسَ جون الكبير إلى يسار روب وإلى جواره ثيون جرايچوي، بينما جلسَ جالبارت جلوفر ومج مورمونت إلى يمين كاتلين، بينما اتَّخذَ اللورد ريكارد كارستارك مقعده وقد بدا بنظرات عينيه الخاوية وملامحه المُجهدة ولحيته المشعثة كرجلٍ في كابوس. لقد فقدَ الرَّجل اثنين من أبنائه في معركة الغابة الهامسة، بينما لم تكن هناك أيُّ أخبارٍ عن الابن الثالث -الابن الأكبر- الذي قادَ جنود كارستارك حاملِي الرِّماح ضد تايوين لانستر في معركة الفرع الأخضر.

اشتعلَ الجدل حتى ساعة متأخرة من اللَّيل، فكلٌّ من اللوردات كان له الحقُّ في الكلام.... ولقد تكلموا، وصاحوا، وشتموا، وادَّعوا، وتملَّقوا، وداعبوا، وساوموا، وهووا بالأباريق على الموائد، وهذَّدوا، وخرَّجوا، وعادوا عابسين أو مبتسمين... وجلستَ كاتلين وأصغَت لكلِّ شيء.

كان رووس بولتون قد أعادَ تنظيمَ فلول جيشهم الآخر عند بداية الممرِّ المرتفع، ولا يزال السير هلمان تولهارت ووالدر فراي يُسيطران على "التوأمتين"، فيما عبرَ جيش اللورد تايوين الثالث في طريقه إلى هارنغال، والآن ثمة ملكان في البلاد، ملكان ولا أنفاق.

عدد كبير من اللوردات حملة الرّاية أرادَ الزّحف على هارنغال في الحال، لقتال اللورد تايوين والقضاء على قوّة لانستر إلى الأبد، وألحَ مارك باير الشاب حادّ الطّباع عليهم بأن يُوجّهوا ضربتهم غربًا إلى كاسترلي روك بدلًا من هذا، بينما نصّح آخرون بالصّبر، وقال جيسون ماليستر إن ريفررن تقطع على جيش لانستر خطوط إمداده بالفعل، ومن الأفضل أن يتحيّنوا فُرصتهم في الوقت الذي يحرمون فيه اللورد تايوين من المزيد من الجند والمؤن بينما يُقوُّون دفاعاتهم ويستريح جنودهم المُتعبون، وهو ما رفضه اللورد بلاكوود تمامًا وقال إن عليهم إنهاء ما بدأوه في الغابة الهامسة والزّحف على هارنغال بينما يتحرّك رووس بولتون بجيشه كذلك. كالعادة عارضَ براكن ما عرضه بلاكوود، ونهضَ اللورد چونوس براكن قائلًا بإصرارٍ إن عليهم الإقرار بالولاء للملك رنلي والزّحف جنوبًا ليضمُّوا قوَّاتهم إلى قوَّاته.

- «رنلي ليس الملك»، قال روب. كانت أول مرّة يتكلّم فيها ابنها منذ بدأ الاجتماع، فهو مثل أبيه يعرف كيف يُصغي.

قال جالبارت جلوفر: «لا يُعقل أنك تنوي أن تُقسِم بالولاء لچوفري يا سيّدي. لقد قتل أباك».

- «هذا يجعله شريرًا، لكنه لا يجعل من رنلي ملكًا. چوفري ما زال أكبر أبناء روبرت الشرعيّين، ومن ثمّ فالعرش له حسب كلّ قوانين البلاد، وعندما يموت -وأنا أنوي أن يحدث هذا- فلديه أخ أصغر، أي أن تومن يأتي في التّرتيب بعد چوفري».

قال السير مارك باير بحدّة: «تومن من أبناء لانستر مثله مثل أخيه».

رَدَّ روب منزعجًا: «كما تقول، لكن إن لم يكن أيهما مَلَكًا، فكيف يكون رنلي المَلِك على الرغم من ذلك؟ إنه أخو روبرت الأصغر. بران لا يُمكنه أن يكون سيّد ويتترفّل قبلي، ورنلي لا يُمكنه أن يكون المَلِك قبل اللورد ستانيس».

قالت مِج مورمونت: «دعوى اللورد ستانيس هي الأقوى».

- «رنلي تُوجّ بالفعل»، قال مارك بايبر. «هايجاردن وستورمز إند تدعمان دعواه، ولن يمضي وقت طويل قبل أن ينضمَّ إليهما الدورثيون كذلك. إذا أضفّت ويتترفّل وريفررن قوّتهما إلى قوّته ستكون خمس من العائلات السّبع الكُبرى وراءه، ست إذا تحرّك آل آرِن من مكانهم! ست عائلات ضد "الصّخرة"! أيها السّادة، خلال عام سنكون قد وضعنا رؤوسهم جميعًا على الخوازيق، المَلِكة والمَلِك الصّبي واللورد تاويين والعفريت وقاتِل المَلِك والسير كيفان، جميعهم! هذا ما سنبهه إذا انضمّمنا إلى المَلِك رنلي. ما الذي يملكه اللورد ستانيس ضد كلّ هذا كي نتخلّى عنه؟».

- «الحق»، قال روب بعنادٍ جعلَ كاتلين تُفكّر أن له نبرة أبيه نفسها.

سأله إدميور: «هل تنوي الإقرار بالولاء لستانيس إذن؟».

أجاب روب: «لا أدري. لقد دعوتُ أن أعرف ماذا أفعل، لكن الآلهة لم تُجِبني. آل لانستر قتلوا أبي باعتباره خائنًا، ونحن نعلم أن هذا كذب، لكن إذا كان چوفري هو المَلِك الشرعي وفاتلناه سنكون نحن الخونة».

- «كان السيّد والذي لينصحك بالحدَر»، قال اللورد ستفرون العجوز بابتسامة أبناء فاري التي تُذكّرُك بابن عرس. «انتظر ودّع هذين المَلِكين يلعبان لعبة العروش فيما بينهما، وعندما يفرُغان من القتال يُمكننا أن نركع للظّافر أو نُعارِضه، كما نشاء. مع استعداد رنلي للحرب، فلا شكّ أن اللورد تاويين سيُرحّب بعقد هُدنة... واستعادة ابنه سالمًا. أيها السّادة النبلاء، اسمحوا لي بالذهاب إليه في هارنهال وترتيب الشُّروط والأفدية».



أغرق الهدير الغاضب صوته، وصاح جون الكبير: «جبان!»، بينما قالت ميج مورمونت: «توسّل الهدنة منه سيظهرنا بمظهر الضّعفاء»، وهتف ريكارد كارستارك: «فلتذهب الأفدية إلى الجحيم، لا يجب أن نتخلّى عن قاتل المَلِك!».

سألت كاتلين: «ولمّ ليس السّلام؟».

نظر اللوردات إليها، لكن نظرة روب هي ما أحسّت بها، نظرته هو وحده وهو يقول لها عابسًا: «سيّدتي، لقد قتلوا أبي، زوجكِ»، واستلّ سيفه الطويل ووضعه على المائدة أمامه ليلمع الفولاذ على الخشب القوي. «هذا هو السّلام الوحيد الذي لديّ لآل لانستر».

هتف جون الكبير بموافقته، وانضمّ إليه آخرون وهم يهتفون ويسحبون سيوفهم ويدقّون المائدة بقبضاتهم، وانتظرت كاتلين حتى هدأوا قبل أن تقول: «أيها السّادة، اللورد إدارد كان وليّ أمركم، لكنني شاركته فراشه وحملتُ أبناءه. هل تحسبون أن حُبّي أقلّ من حُبكم له؟». كان صوتها ينكسر من فرط من قلبها من حُزن في هذه اللحظة، لكنها التقطت نفسًا عميقًا وثبّتت نفسها مضيفة: «روب، لو كان باستطاعة هذا السّيف إعادته، فلم أكن لأسمع لك بأن تضعه في غمده ثانية قبل أن يقف ند إلى جوارِي من جديد... لكنه رحل، ومئة معركة كالغابة الهامسة لن تُغيّر هذه الحقيقة. ند رحل، ودارن هورنود، وإينا اللورد كارستارك الباسلان، وغيرهم كثير من الرّجال الصّالحين، ولا أحد منهم سيعود إلينا. أبنغي إذن أن يكون هناك المزيد من الموت؟».

قال جون الكبير بصوتٍ هادئ عميق: «أنت امرأة يا سيّدتي، والنّساء لا يفهمنّ تلك الأشياء».

وقال اللورد كارستارك وخطوط الحُزن لاثحة على وجهه: «أنتم الجنس اللطيف، أمّا الرّجال فلا بُدّ لهم من أن يحظوا بالانتقام».

- «ضَع سرسي لانستر بين يديّ أيها اللورد كارستارك وسترى مدى

لُطْفِي. لعلِّي لا أفهمُ التَّخْطِيطَ وفنون الحرب، لكنني أفهمُ العبث. لقد دخلنا الحرب ضد آل لانستر عندما كانت جيوشهم تنتهك أراضي النهر وند سجيناً متهمًا ظلماً بالخيانة، وحاربنا للفوز بحريتنا واستعادة زوجي. حسنٌ، أحد الأمرين فرغنا منه والآخر لم يُعَدَّ في متناول أيدينا إلى الأبد. سأظل حزينة على ند حتى نهاية أيامي، لكنني يجب أن أفكر في الأحياء. أريدُ استعادة ابنتي، والمملكة لا تزال تحتجزهما. إذا كان ينبغي أن يُبدل أبناء لانستر الأربعة الذين لدينا بابنتي ستارك اللتين لديهم، سأعدها صفقة رابحة وأشكرُ الآلهة. أريدك أن تكون آمناً يا روب، تحكّم في وينترفل من على مقعد أبيك، أريدك أن تعيش حياتك وتُقبَل فتاةً وتتزوج من امرأة وتُحب ابناً. أريدُ أن أكتب نهاية لكل هذا، أريدُ أن أعود إلى الديار أيها السادة وأبكي على زوجي».

عندما فرغت كاتلين من الكلام كان صمت ثقيل قد خيم على القاعة. - «السّلام»، قال عمُّها برايندن. «السّلام حلّو يا سيّدتني... لكن بأيّ شروط؟ لا فائدة من تحويل سيفكِ إلى محراثٍ اليوم إذا كنتِ ستحتاجينه للقتال ثانيةً غداً».

وقال ريكارد كارستارك: «ولأيّ هدفٍ إذن ماتَ ابناي تورين وإدارد إذا عدتُ إلى كارهولد ولا شيءٍ معي غير رفاتهما؟».

- «نعم»، قال اللورد براكن: «جريجور كليجايين دمر حقولي وذبح رعاياي وترك السّباح الحجري خراباً، فهل أركعُ أمام من سلّطوه على هذا؟ ما الذي حاربنا من أجله لو عادَ كل شيءٍ إلى ما كان عليه؟».

لدهشة كاتلين وأسفها اتفق معه اللورد بلاكوود قائلاً: «وإذا أقمنا السّلام مع المَلِك جوفري، أفلا نكون خائنين للمَلِك رنلي؟ ماذا لو انتصر الوعل على الأسد؟ كيف سيكون موقفنا؟».

قال مارك بايبر: «أيّا كان قراركم، فلن أعدّ أحد أبناء لانستر ملكاً لي أبداً».

- «ولا أنا!»، صاح صبيُّ داري. «أبدًا!».

مرّةً أخرى ارتفع الصّباح وجلستِ كاتلين صامتةً يائسةً. كانت قد اقتربت للغاية وأوشكوا على الإصغاء لها، أوشكوا... لكن اللحظة ضاعت. لن يكون هناك سلام، لا فرصة لاندمال الجروح، لا أمان. رَمَقَتْ ابنها وراقبته وهو يُصغي لجدل رجاله، فرأته حائرًا عابسًا لَنَ متروِّجًا من حربه. لقد تعهّد بالزّواج من ابنة والدر فراي، لكنها رأت عروسه الحقيقيّة رأي العين الآن: السّيف الذي وضعه أمامه على المائدة.

كانت كاتلين تُفكّر في ابتيها وتساءل إن كانت ستراهمها ثانيةً، عندما انتفضّ چون الكبير ناهضًا وبصوتٍ جهوريٍّ صاح فيهم: «أيها السّادة! إليكم برأيي في هذين المَلَكين»، وبصقَ على الأرض. «رنلي باراثيون لا يعني لي شيئًا، ولا ستانيس كذلك. لماذا يحكمُ أحدهما إياي وأهلي من مقعدٍ وثيرٍ ما في هايجاردن أو دورن؟ ماذا يعرف أمثالهما عن "الجدار" أو غابة الذّئاب أو روايي البشر الأوائل؟ حتى ألتهتهم باطلة! وليأخذ "الآخرون" آل لانستر كذلك، فقد اكتفيتُ منهم.»، ومدّ يده وراء ظهره وسحبَ سيفه العظيم. «لِمَ لا نَحْكُمُ أنفسنا من جديد؟ لقد تزوّجنا من التّنانين، والتّنانين كلها ماتت!»، وأشار بسيفه إلى روب مضيقًا بصوتٍ كالرّعد: «ها هو المَلِك الوحيد الذي أقبلَ بأن أركع أمامه أيها السّادة، المَلِك في الشّمال».

وركع واضعًا سيفه عند قدمي ابنها.

قال اللورد كارستارك: «سأقبلُ السّلام بهذه الشّروط. يُمكنهم الاحتفاظ بقلعتهم الحمراء ومقعدهم الحديدي»، وسحبَ سيفه وركع إلى جوار چون الكبير هاتفاً: «المَلِك في الشّمال!».

نهضتِ مِج مورمونت ووضعتِ قضيبها الشّائك إلى جوار السّيفين هاتفةً بدورها: «المَلِك في الشّمال». وخلال لحظَاتٍ كان لوردات النّهر ينهضون أيضًا، براكن وبلاكوود ومالستر، العائلات التي لم تُحكّم من

وينترفل من قبل قَطُّ، لكن كاتلين شاهدتهم ينهضون ويسحبون سيوفهم  
ويركعون هاتفين بالكلمات التي لم تُسمع في البلاد منذ أكثر من ثلاثمئة  
عام، منذ جاء إجون التين لجعل من الممالك السبع مملكة واحدة...  
لكن ها هي تتردد من جديد بأعلى صوت بين أخشاب قاعة أبيها:

- «الملك في الشمال».

- «الملك في الشمال».

- «الملك في الشمال».



## دنيرس

كانت الأرض حمراء جدباء ظمآنة ومن الصَّعب العثور فيها على خشبٍ مُناسِب، فعادَ رجالها الذين أرسلتهم للبحث حاملين قطعًا من خشب الحور القُطني المليء بالعُقد وأعوادًا من الخشب الأرجواني وحِزَمًا من العُشب البُنِّي، وأخذوا أكثر شجرتين مستقيمتين عثروا عليهما، وقطَّعوا فروعهما وغصونهما وقشروا اللحاءَ هما وفلقوا كلا منهما إلى نصفين ليضعوا الأنصاف الأربعة في مربَّع على الأرض، وملأوا المربَّع بالقشِّ والأعواد ونُشارة اللِّحاء وحِزَم العُشب الجاف. انتقى راكازو فحلًّا من القطيع الصَّغير الذي تبقَّى لديهم، ولم يكن يُضاهي فحلِّ غال دروجو الأحمر بالطَّبع، لكنَّ خيولاً قليلةً كانت كذلك على كلِّ حال، وفي منتصف المربَّع أطعمه أجو نُفَاحَةً ذابلةً، ثم أسقطه في لحظةٍ بضربةٍ من فأسه بين العينين.

مُقيِّدة اليدين والقدمين راقتهم ميري ماز دور من مكانها وسط التراب والتوتر جليًّا في عينيها السُّوداوين، وقالت لداني: «لا يكفي أن تقتلي الحصان فحسب. الدَّم وحده لا يُساوي شيئًا، وأنتِ لا تعرفين كلمات التَّعويدة، ولا تملكين الحكمة للعثور عليها. هل تحسبين السَّحر الدَّموي لُعبةً للأطفال؟ إنكِ تعطيني بالمايجي كأنها شتيمة، لكن كلَّ ما تعنيه الكلمة هو "حكيمة". أنتِ مجرد طفلةٍ تنصرِّف بجهل الأطفال، وأيًا كان ما تنوين عمله فلن يصلح. حرِّريني من هذه القيود وسأساعدكِ».

قالت داني لجوجو: «لقد سئمتُ نهيق المايجي»، فهوى الشاب على جسدها ببيض ضرباتٍ من سوطه، وبعدها لم تنبس الكاهنة بكلمة واحدة. فوق جثة الحصان أقاموا منصّةً من الأخشاب، صنعوها من جذوع الأشجار الصّغيرة وغصون الكبيرة وأكثر الفروع التي استطاعوا العثور عليها سُمكًا واستقامةً، ورصّوا الخشب من الشرق إلى الغرب، من المشرق إلى المغرب. على المنصّة نفسها كوّموا مقتنيات غال دروجو الثمينة: خيمته الكبيرة، وصُدْره الملوّنة، وسروجه وعدّة حصانه، والسّوط الذي أعطاه أبوه إياه عندما بلغ مبلغ الرّجال، والأراخ الذي قتل به غال أوجو وابنه، والقوس الرّائع المصنوع من عظام الثّنين. كان آجوفي طريقه لإضافة الأسلحة التي أهداها خيالة دم دروجو لداني يوم زفافها، لكنها منعتة قائلة: «هذه أسلحتي أنا وأنوي الاحتفاظ بها». كوّموا طبقةً أخرى من أعواد الخشب فوق مقتنيات دروجو ونثروا فوقها المزيد من حِزَم العُشب الجاف.

انتحى بها السير چورا مورمونت جانبًا والشمس تزحف في السّماء صوب ذروتها، وبدأ يقول: «أيتها الأميرة...».

لكنها قاطعتَه قائلةً بتحدٍّ: «لماذا تُخاطبني بهذا اللّقب؟ لقد كان أخي فسيرس المَلِك، أليس كذلك؟».

- «بلى يا سيّدي».

- «وقد ماتَ فسيرس، أي أنني وريثه، آخر أبناء عائلة تارجارين، وكلّ ما كان يملكه أصبح لي الآن».

- «جلالة المَلِكة»، قال چورا جانبًا على رُكبته. «سيفي الذي كان له لك الآن يا دنيرس، وقلبي الذي لم يكن لأخيك قطّ. إنني مجرد فارس، وليس لديّ ما أقدمه لك غير المنفى، لكنني أتوسّل إليك أن تسمعي. دعي غال دروجو يرّحل ولن تكوني وحدك أبدًا. أقسمُ لك أن لا أحد سيأخذك إلى قايس دوثراك ما لم تكوني راغبةً في الذّهاب، ولن تنضمّي

إلى الدوش گالین. تعالیٰ معی شرقاً، إلى یی تی أو کارث أو بحر الیشب  
أو آشای عند الظلّ. سوف نرى كلّ العجائب التي لم نكن نحلم بها  
ونشرب ما تختار أن تُقدّمه الآلهة لنا من خمور. أرجوكِ يا گالیسی، إنني  
أعرف ماذا تتویننه، فلا تمضي قُدماً فيه، لا تفعلیه.»

- «هو شيء ينبغي أن أفعله»، قالت داني ومست وجهه بحنانٍ حزين.  
«أنت لا تفهم».

قال السير چورا بصوتٍ أفعمه الیاس: «أفهم أنكِ أحببتيه كما أحببتُ  
زوجتي من قبل، لكنني لم أمت معها. أنتِ ملكتي وسيفي لكِ، لكن لا  
تطلبني مني ألا أحرّك ساكنًا بينما تصعدین إلى محرقة دروجو، فلن أفرّج  
عليكِ وأنتِ تحترقین».

- «أهذا ما تخشاه؟»، قالت داني وطبعت قُبلةً خفيفةً على جبهته  
العريضة. «إنني لستُ طفلةً غريبةً يا فارسي العزيز».

- «ألا تتوین الموت معه إذن؟ هل تُقسمین على هذا يا جلالة  
المَلِكة؟».

- «أقسمُ لك»، أجابت باللغة العامية المُستخدمة في الممالك السبع  
التي من المُفترض أن تكون لها شرعاً.

تكوّن المستوى الثالث من المنصة من الفروع المجدولة التي لا  
تتعدّى سُمك إصبع اليد، التي غطوها بالأوراق الجافة والغصينات  
ورصوها من الشمال إلى الجنوب، من الجليد إلى النار، وكمّوا عليها  
وسائد النوم اللينة والأغطية الحريرية. كانت الشمس قد بدأت تنخفض  
نحو الغرب لَمّا فرغوا، واستدعت داني الدوثرافي ليحتشدوا حولها وقد  
بقيَ منهم أقلُّ من مئة. تساءلت عن العدد الذي بدأ به إجون الفاتح، ثم  
قرّرت أن الإجابة لا تهمّ.

قالت لهم: «سوف نكونون گالاساري. إنني أرى وجوه عبيد، لكنني  
أحرّرکم. اخلعوا أطواقکم وغادروا إذا شئتم ولن يمسّکم أحد بضرر،

لكن إذا بقيتم، فابقوا كإخوة وأخوات، كأزواج وزوجات». راقبها العيون السوداء بنظراتٍ حذرةٍ دون أن تصدرَ منهم ردةً فعلٍ وهي تُتابع: «أرى الأطفال والنساء ووجوه الهرمين المملأ بالتجاعيد. بالأمس كنتُ طفلةً، واليوم أنا امرأة، وغداً سأصير عجوزاً. لكل منكم أقول إنه سيكون هناك مكان دائم لكم إذا أعطيتُموني أيديكم وقلوبكم»، ثم التفتت إلى مُحاربي كاسها الشَّبَاب الثلاثة وقالت: «جوجو، لك أعطي السَّوط ذا المقبض الفضي الذي كان هديةً زفافي، وأنصّبك گو، وأطلبُ منك أن تُقسم لي أن تعيش وتموت كدمي وتركب إلى جانبي لتحميني من الأذى».

التقطَ جوجو السَّوط من يدها، وإن كلل الارتباك ملامحه وهو يقول بتردد: «گاليسي، ما تطلبينه غير مسبوق. سيُكللني العار إذا صرتُ خيال دم لامرأة».

- «آجو»، قالت داني متجاهلةً كلمات جوجو. إذا نظرتُ إلى الورا سَأصيعُ. «لك أعطي القوس المصنوع من عظام الثنّين الذي كان هديةً زفافي». كان قوساً رائعاً بالفعل، أسودّ لامعاً ذا منحنيّين وأطول منها. «أنصّبك گو، وأطلبُ منك أن تُقسم لي أن تعيش وتموت كدمي وتركب إلى جانبي لتحميني من الأذى».

أخذَ آجو القوس منها وقد خفّض عينيه قائلاً: «لا أستطيعُ ترديد تلك الكلمات. الرّجال وحدهم يُمكنهم قيادة الكالاسار وتنصيب الكو».

- «راگارو»، قالت مشيحةً ببصرها عن رفض الرّجل الثاني. «لك أعطي الأراخ العظيم ذا المقبض والنّصل الذّهبيّين الذي كان هديةً زفافي. أنت أيضاً أنصّبك گو، وأطلبُ منك أن تُقسم لي أن تعيش وتموت كدمي وتركب إلى جانبي لتحميني من الأذى».

قال راگارو ملتقطاً الأراخ منها: «أنتِ الغاليسي، وسأركبُ إلى جانبك حتى فايس دوثرارك تحتَ الجبل الأم وأحميك من الأذى حتى تتخذين مكانك بين حيزونات الدوش گالين، لكنني لا أعدُّ بأكثر من ذلك».



هَزَّت رَأْسَهَا بَهْدَوٍ كَأَنَّهَا لَمْ تَسْمَعْ رَدَّهُ وَالتَفَتَتْ إِلَى آخِرِ مُنَاصِرِيهَا قَائِلَةً: «سِيرْ جُورًا مَورَمُونَ، أَوَّلُ وَأَعْظَمُ فُرْسَانِي، لَيْسَتْ لَدَيَّ هَدِيَّةٌ أُعْطِيهَا لَكَ، لَكِنِّي أَقْسِمُ أَنَّ يَوْمًا سَيَأْتِي تَتَنَاوَلُ فِيهِ مِنْ يَدَيَّ سَيْفًا طَوِيلًا لَمْ يَرِ الْعَالَمُ لَهُ مِثِيلًا مِنْ قَبْلِ، مَطْرُوقًا فِي نِيرَانِ التَّنِينَ مِنَ الْفُولاذِ الْفَالِيرِيِّ، وَأَطْلُبُ مِنْكَ قَسْمَكَ كَذَلِكَ».

- «لَكَ قَسْمِي يَا جَلَالَةُ الْمَلَكَةِ»، قَالَ رَاكِعًا عَلَى رُكْبَتَيْهِ لِيَضَعَ سَيْفَهُ عِنْدَ قَدَمَيْهَا. «أَقْسِمُ أَنَّ أَخْدَمَكَ، وَأَنْ أَحْمِيكَ، وَأَنْ أَمُوتَ مِنْ أَجْلِكَ إِذَا دَعَتِ الْحَاجَةَ».

- «مَهْمَا حَدَثَ؟».

- «مَهْمَا حَدَثَ».

- «سَأَلَزِمَكَ بِهَذَا الْقَسْمِ، فَأَمْلُ أَلَّا تَنْدَمَ عَلَيْهِ»، قَالَتْ دَانِي وَمَدَّتْ يَدَهَا لَهُ لِيُمَسِّكَهَا وَيَنْهَضَ، ثُمَّ شَبَّتْ عَلَى أَصَابِعِ قَدَمَيْهَا لِتَصِلَ إِلَى شَفَتَيْهِ، وَقَبْلَتَهُ بَرْقَةً قَائِلَةً: «أَنْتِ أَوَّلُ فُرْسَانِ حَرَسِي الْمَلِكِي».

شَعَرَتْ بِأَعْيُنِ الْكَالِاسَارِ الْمَسْلُطَةِ عَلَيْهَا إِذْ دَخَلَتْ خِيَمَتَهَا وَالدُّوْثْرَاكِ يُهَمِّهِمُونَ وَيَرْمُقُونَهَا بِنَظَرَاتٍ جَانِبِيَّةٍ غَرِيبَةٍ مِنْ رُكْنِ الْعَيْنِ. كَانَتْ تَعْرِفُ أَنَّهُمْ يَحْسُبُونَهَا مَجْنُونَةً، وَلَعَلَّهَا كَذَلِكَ بِالْفِعْلِ. سَوْفَ تَعْرِفُ عَمَّا قَرِيبٍ. إِذَا نَظَرْتُ إِلَى الْوَرَاءِ سَأُضِيعُ.

كَانَتْ الْمِيَاهُ شَدِيدَةُ السُّخُونَةِ عِنْدَمَا سَاعَدَتْهَا إِيْرِي عَلَى النُّزُولِ إِلَى حَوْضِ الْاسْتِحْمَامِ، لَكِنِ دَانِي لَمْ تُجْفِلْ أَوْ تَصْخِرْ، فَالْحَقِيقَةُ أَنَّهَا تُحِبُّ الْحَرَارَةَ لِأَنَّهَا تُشْعِرُهَا بِأَنَّهَا نَظِيفَةٌ. عَطَّرَتْ جِيَكُويَ الْمِيَاهِ بِالزُّبُوتِ الَّتِي وَجَدَتْهَا فِي السُّوقِ فِي فَايسِ دُوْثْرَاكِ، فَتَصَاعَدَ الْبُخَارُ رَطْبًا عَطْرًا، وَغَسَلَتْ دُورِيَا شَعْرَهَا وَمَشْطَتَهُ وَفَكَّتْ مَا فِيهِ مِنْ جَدَائِلَ وَعُقَدٍ، بَيْنَمَا فَرَكَّتْ إِيْرِي ظَهْرَهَا مِنَ الْأَوْسَاحِ. أَغْلَقَتْ دَانِي عَيْنَيْهَا وَتَرَكَتِ الرَّائِحَةَ وَالذَّفَاءَ يَكْتَفِنَانَهَا، وَشَعَرَتْ بِالْحَرَارَةِ تَتَخَلَّلُ الْأَلَمَ بَيْنَ فَخْذَيْهَا، وَارْتَجَفَتْ عِنْدَمَا أَحَسَّتْ بِهَا فِي دَاخِلِهَا وَالْوَجْعَ وَالتَّيْسُ يَذُوبَانِ وَيَنْحَسِرَانِ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى شَعَرَتْ كَأَنَّهَا تَطْفُو.

عندما صارت نظيفة تمامًا ساعدتها وصفاتها على الخروج من الماء، ولوحت إيري وچيكوي بعروحتين حولها حتى جفت، بينما مشطت دوريا شعرها حتى انساب كنهر من الفضة السائلة على ظهرها، ثم عطرنها بعطر زهرة العرار والقرفة، لمسة على كل معصم، ووراء الأذنين، وعلى طرفي نهديها الثقيلين باللبن، واللمسة الأخيرة كانت لفرجها؛ وأحسّت بإصبع إيري خفيفًا لطيفًا كقبلة الحبيب وهو ينزلق بنعومة بين الشفرين.

بعد ذلك صرفتهنّ داني كي تُجهّز غال دروجو لرحلته الأخيرة إلى أراضى الليل. غسلت جثمانه ومشطت شعره ودهنته بالزيت مُمرّرةً أصابعها بين خصلاته للمرأة الأخيرة وشاعرةً بثقله ومتذكرةً المرأة الأولى التي لمسته فيها ليلة زفافهما. لم يقطع شعره من قبل قط، فكم رجلاً يمكنه أن يموت وشعره سليم تمامًا؟ دفنت وجهها فيه وتنشّقت عطر الزبوت، فوجدت رائحته كالعُشب والتربة الدافئة، كالذُخان والمَنيّ والخيول، رائحة دروجو. سامحني يا شمس حياتي، سامحني على كلّ ما فعلته وما ينبغي أن أفعله. لقد دفعتُ الثمن يا نجمي، لكنه كان باهظًا للغاية، باهظًا للغاية.

ضفّرت داني شعره وثبّتت الخواتم الفضيّة في شاربهِ وعلّقت الأجراس واحدًا تلو الآخر. أجراسًا كثيرةً كانت، من الذهب والفضة والبرونز، أجراسًا علّقها كي يسمعها أعداؤه وهو قادم فيضعفهم الخوف. ألبسته قماطًا للسّاقين من شعر الخيل وحذاءً عالي الرّقبة، وأحاطت خصره بحزام ثقيل من الحليّ الذهبيّة والفضيّة، وكست صدره المشوّه بصدرة ملوّنة، صدرة دروجو المفضّلة، ولنفسها اختارت سروالاً فضفاضاً من الحرير الرّملي، وحذاءً خفيفاً تصل أربطته إلى منتصف ساقها، وصدرةً شبيهةً بصدرة دروجو.

كانت الشمس تغرب بالفعل عندما استدعتهم ليحملوا الجثمان إلى المحرقة، وراقب الدوثرابي بصمتٍ بينما خرج به چوجو وآجو من

الخيمة وداني خلفهما، ثم مددوه على وسائده الوثيرة وأغطيته الحريرية ورأسه في جهة الجبل الأم البعيد في الشمال الشرقي.

أمرتهم بالمجيء بالزيت، فأحضروا الدُّوارق وصبُّوه على المحرقة ليغرق الحرير والأعواد والوسائد وحزَم العُشب الجاف ويسيل تحت القوائم الخشبية ويُفعم الهواء برائحة عطرة، ثم قالت لوصيفاتها امرأة: «أحضرن بيضات التين»، فأسرعن إلى الخيمة وقد أجبرهن شيء ما في نبرة صوتها على الهروع.

أمسك السير جورا ذراعها قائلاً: «جلالة الملكة، دروجو ليس في حاجة إلى بيضات التين في أراضي الليل. من الأفضل أن تبيعها في آشاي. بيعي واحدة ويُمكننا بثمنها شراء سفينة تُعيدنا إلى المُدن الحرة، وإذا بعث الثلاث ستعيشين امرأة ثرية ما تبقى من حياتك». قالت له: «إنها لم تُهد لي لأبيها».

تسلَّقت المحرقة بنفسها لتضع البيضات حول شمسها ونجومها، فوضعت السوداء تحت ذراعه إلى جوار قلبه، والخضراء إلى جوار رأسه ولقَّت جدبلة شعره حولها، والثالثة ذات اللونين الأبيض الشاحب والذهبي بين ساقيه. عندما قبَّلته داني للمرة الأخيرة تذوّقت طعم الزيت العطير على شفتيه.

لاحظت عيني ميري ماز دور اللتين ترمُقانهما بساتٍ وهي تنزل من فوق المحرقة، وقالت الكاهنة بصوتٍ مبحوح: «أنتِ مختلفة».

- «وهل الفارق شاسع بين الجنون والحكمة؟»، قالت داني. «سير جورا، خذ هذه المايجي وقبِّدها إلى المحرقة».

- «إلى الـ... جلالة الملكة، لا، اسمعيني...».

- «افعل كما قلتُ لك»، لكن الفارس تردّد على الرغم من ذلك حتى قالت له غاضبة: «لقد أقسمت على طاعتي مهما حدث. راكارو، ساعده». لم تصرُخ الكاهنة وهما يجرّانها إلى محرقة گال دروجو وثبّتاها

بالأوتاد بين مقتنياته، وصَبَّتْ داني الزَّيْت على رأس المرأة بنفسها قائلةً:  
 «أشكركُ يا ميري ماز دور على الدُّروس التي لَقَّيْتَنِي إياها».  
 - «لن تسمعيني أصرخ»، ردَّتْ ميري والزَّيْت يَقَطُرُ من شَعْرها وَيُغْرِقُ ثيابها.

- «بل سأفعل، لكن ليس صراخك هو ما أرغبُ فيه، فقط حياتك». إنني أذكرُ ما قَلَّته لي عن أن ثَمَن الحياة هو الموت وحده». فَتَحَتْ ميري ماز دور فمها لكنها لم تنفِهُه بشيء، وبينما تبتعد رأت داني أن الازدراء قد اختفى من عيني المايجي وحلَّ محلُّه تعبير آخر قد يكون الخوف. بعد ذلك لم يتبقَّ شيء غير مُراقَبة الشَّمْس تَغْرُب وانتظار النُّجْم الأول. عندما يموت واحد من سادة الخيول يَقْتُلُون حصانه كي يركبه متباهيًا إلى أراضي اللَّيْلِ، وتحترق الجِثَّان تحت السَّمَاء المفتوحة، ثم ينهض الكال على متن جواده النَّارِي كي يَتَّخِذ مكانه بين النُّجُوم؛ وكلما تَأَجَّجَت نار الرَّجل أكثر وأكثر في الحياة صار نجمه أكثر لمعانًا في الظَّلام. كان چوجو أول من لمحَّه، وبصوتٍ مكتوم قال: «هناك»، فرفَعَتْ داني عينيها إلى السَّمَاء حيث أشارَ ورأته واطنًا في الشَّرْق. أول النُّجُوم كان مَذْنَبًا مُتَقَدِّمًا بالأحمر، أحمرَ كالدم، كالنِّيران... ذيل التَّنين. لم تكن لِتَطْلُب من الآلهة آيةً أقوى.

أخذتْ داني المشعل من يد آجو وألقته بين الأخشاب، والتقطتْ الزَّيْت النَّار في الحال وبعده بلحظة أعواد الخشب والعُشب الجاف، وأسْرَعَتْ شرارات صغيرة من اللَّهب تجري على الخشب كأنها فئران حمراء صغيرة تنزلق على الزَّيْت وتنب من الفروع إلى اللَّحاء إلى الأوراق، وأحسَّتْ داني بحرارة متصاعدة تلفح وجهها بنعومة ومُبَاغَته أنفاس الحبيب، لكنها صارت أقوى من احتمالها خلال ثوانٍ معدودة، فتراجعتْ داني إلى الوراء والخشب يُطَقِّطُ بِصوتٍ أعلى وأعلى. بدأتْ ميري ماز دور تُغْنِي بِصوتٍ عالٍ حاد، ودارتْ ألسنة اللَّهب وتلَوَّتْ مُسَابِقَةً بعضها بعضًا

إلى قَمَّةِ المحرقة، وتوهَّج العَسق من حولهم وقد بدا الهواء نفسه كأنه يسيل من فرط الحرارة. سمعت داني صوت اضطرام النَّار في الأخشاب وتصدُّعها قبل أن تكتسح ميري ماز دور ليرتفع صوت أغنيَّتها ويحتدُّ أكثر... ثم إنها شهقت وشهقت واستحال الغناء إلى عويلٍ مفعمٍ بالعذاب يُجمِّد الدَّماء في العروق.

ثم بلغ اللَّهبُ دروجو وأحاطَ به واشتعلَّت النَّارُ في ثيابه، وللحظةٍ عابرةٍ اتَّشحَ الكال بلفافاتٍ من الحرير البرتقالي وخبوطٍ من الدُّخان الرمادي الممَّوج. افرقت شفتا داني إذ وجدت نفسها تكتُم أنفاسها شاعرةً بجزءٍ منها يرغب في الدُّهاب إليه كما كان السير چورا يخشى، في الاندفاع وسط اللَّهبِ وتوسُّل المغفرة منه وأخذه في داخلها مرَّةً أخيرةً لتذيب النِّيران لحمهما عن عظامهما معًا حتى يصيرا واحدًا إلى الأبد.

سمَّت رائحة اللَّحم المحترق التي لا تختلف كثيرًا عن رائحة لحم الخيل المشوي فوق حُفرة نار، وتأجَّجت المحرقة كوحشٍ عظيم والعَسق يزداد حلكتةً لتغرق صوت صراخ ميري ماز دور وتدفع لسانًا طويلًا من اللَّهبِ إلى أعلى ليلعق بطن الليل. تراجع الدوثراكي ساعلين مع تزايد الدُّخان، وانسبطت رايات برتقاليَّة ضخمة من النَّار في تلك الرِّياح الجحيميَّة والأخشاب تهسُّ وتتصدَّع، ومع الدُّخان ارتفع الرماد المتوهَّج ليتناثر هنا وهناك في الظَّلام كآلاف الخنافس المضبئة الوليدة. ضربت الحرارة الهواء كأجنحةٍ حمراء عملاقة دافعةً الدوثراكي إلى الورا، وحتى السير چورا مورمونت نفسه وجدَّ نفسه مُرغمًا على التراجع، لكن داني ظلَّت ثابتةً في مكانها. إنها من دم التَّين وفي داخلها تتقدُّ النَّار.

دنت خطوةً من الحريق مفكِّرةً أنها أحسَّت بالحقيقة منذ فترةٍ طويلة، إلَّا أن نار المُستوقد لم تكن كافيةً، وتلوَّى اللَّهبُ من أمامها كالنِّساء اللاتي رقصنَ في زفافها، يلتفُّ ويغني ويدور بأحجبه البرتقاليَّة والصِّفراء والقرمزيَّة، مخيفًا للنَّاظرين لكن جميلًا، جميلًا لأقصى حدٍّ وحيًا بالحرارة.

فَنَحَتْ دَانِي ذِرَاعِيهَا لِلْهَبِّ وَقَدْ تَوَرَّدَ جِلْدُهَا. هَذَا أَيْضًا زَفَافٌ. كَانَتْ مِيرِي مَاز دُور قَدْ صَمَتَتْ تَمَامًا الْآنَ. لَقَدْ حَسَبَتْهَا الْكَاهِنَةُ طِفْلَةً، لَكِنْ الْأَطْفَالُ يَنْضُجُونَ، وَالْأَطْفَالُ يَتَعَلَّمُونَ.

خُطْوَةٌ أُخْرَى وَأَحْسَتْ دَانِي بِحَرَارَةِ الرَّمَالِ عَلَى بَاطِنِي قَدَمَيْهَا عَلَى الرَّغْمِ مِنَ الْحِذَاءِ الَّذِي تَرْتَدِيهِ، وَسَأَلَ الْعَرَقُ عَلَى فَخْذَيْهَا وَبَيْنَ نَهْدَيْهَا، وَجَرَى كَالْغَدِيرِ عَلَى وَجْتِهَا حَيْثُ جَرَتْ الدَّمُوعُ مِنْ قَبْلِ. كَانَ السَّيْرُ جُورًا يَصِيحُ مِنْ وَرَائِهَا، لَكِنَّهُ لَمْ يَعُدْ مَهْمًا، لَمْ يَعُدْ مَهْمًا غَيْرُ النَّارِ. مَنْظَرُ اللَّهَبِ كَانَ جَمِيلًا حَقًّا، أَجْمَلُ شَيْءٍ رَأَتْهُ فِي حَيَاتِهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ، كُلُّ لِسَانٍ مِنْهُ سَاحِرٌ يَرْتَدِي مَعْطَفًا مِنَ الْأَصْفَرِ وَالْبَرْتَقَالِيِّ وَالْقَرْمِزِيِّ وَيَدُورُ بَيْنَ سُحْبِ الدُّخَانِ. رَأَتْ أَسْوَدًا نَارِيَّةً قَرْمِزِيَّةً وَأَفَاعَ صَفْرَاءَ ضَخْمَةً وَيُونِيكُورِنَاتٍ مَخْلُوقَةً مِنَ اللَّهَبِ الْأَزْرَقِ الشَّاحِبِ، رَأَتْ أَسْمَاكًَا وَثَعَالِبَ وَوَحُوشًا، ذِنَابًا وَطَبِيرًا لَامِعَةً وَأَشْجَارًا مُزْهِرَةً كُلُّ مِنْهَا أَجْمَلُ مِنْ سَابِقِهِ... وَرَأَتْ حَصَانًا، فَحَلًّا رَمَادِيًّا ضَخْمًا مَرْسُومًا بِالدُّخَانِ عُرْفَهُ هَالَةً نُورَانِيَّةً مِنَ اللَّهَبِ الْأَزْرَقِ. نَعَمْ يَا حَبِيبِي، يَا شَمْسِي وَنَجُومِي، نَعَمْ، امْتَظِرْ حَصَانَكَ وَانْطَلِقْ بِهِ.

بَدَأَ الدُّخَانُ يَتَصَاعَدُ مِنْ صُدْرَتِهَا، فَخَلَعَتْهَا دَانِي وَتَرَكْتَهَا تَسْقُطُ عَلَى الْأَرْضِ، وَتَفَجَّرَ لَهَبٌ مَبَاغَتْ فِي الْجِلْدِ الْمَلُونِ وَهِيَ تَدْنُو أَكْثَرَ مِنَ الْحَرِيقِ الَّذِي كَشَفَتْ لَهُ نَهْدَيْهَا وَخِيطَانِ مِنَ اللَّبَنِ يَسِيلَانِ مِنْ حَلْمَتَيْهَا الْمَحْمَرَّتَيْنِ الْمَتَفَخْتَيْنِ. الْآنَ، قَالَتْ لِنَفْسِهَا، الْآنَ، وَلَوْ هَلَا أَبْصَرَتْ گَالِ دُرُوجَ أَمَامِهَا عَلَى صَهْوَةِ جَوَادِ الدُّخَانِيِّ وَفِي يَدِهِ كِرْبَاجٍ مِنْ نَارٍ، وَابْتَسَمَ لَهَا قَبْلَ أَنْ يَسْقُطَ الْكِرْبَاجُ وَسَطَ النَّارِ مُصْدِرًا هَسِيًّا.

سَمِعَتْ قَرَقَعَةً عَالِيَةً كَصَوْتِ تَحْطُّمِ الْحَجَرِ، وَبَدَأَتْ مَنْصَّةُ الْخَشَبِ وَالْعُشْبِ تَتَمَايَلُ وَتَنْهَاوِي عَلَى نَفْسِهَا، وَانْزَلَقَتْ قِطْعٌ مِنَ الْخَشَبِ الْمَحْتَرَقِ نَحْوَهَا وَانْهَمَرَ مَطَرٌ مِنَ الرَّمَادِ عَلَى دَانِي غَامِرًا إِيَّاهَا، ثُمَّ جَاءَ شَيْءٌ آخَرٌ يَتَدَحَّرُ لِيَسْقُطَ عِنْدَ قَدَمَيْهَا، قِطْعَةٌ مِنَ الصَّخَرِ الْمَنْقُوشِ بِيضَاءَ

ذات عروقي من الذهب تشققت وخرج منها الدُّخان. ملأ هدير الحريق العالم، لكن داني سمعت صرخات النساء وصيحات الأطفال تأتيها خافتة.

الموت وحده تمن الحياة.

ثم سمعت قرقعة أخرى عالية حادة كهزيم الرعد، ودار الدُّخان حولها وتلوى وتمايلت المنصة أكثر إذ تفجرت الأخشاب مع بلوغ النار قلوبها، وتناهى إلى مسامعها صراخ الخيول الخائفة وأصوات الدوثرaki التي ارتفعت بالصياح الهلج وصوت السير چورا يهتف باسمها ويسب ساحتها. أرادت أن تقول له: لا، لا يا فارسي الشجاع، لا تخف علي، فالتار لي. إنني دنيرس وليدة العاصفة، ابنة التانين، عروس التانين، أم التانين. ألا ترى؟ ألا ترى؟ بدفقة من اللهب والدُّخان ارتفعت ثلاثين قدما في الهواء تهاوت المحرقة وانهارت حولها، وبلا خوف خطت داني إلى داخل عاصفة النار مُنادية على أطفالها.

وكانت القرقعة الثالثة بحدة وعُلُو انشطار العالم.

عندما خمدت النار أخيرا وصارت الأرض باردة بما يكفي للمشى عليها، وجدها السير چورا مورمونت وسط الرماد محاطة بالأخشاب المحترقة والجمرات التي لا تزال متوهجة وعظام الرجل والمرأة والحصان المنفحمة. كانت عارية مغطاة بالسناج وقد احترقت ثيابها عن آخرها ومعها شعرها الجميل... لكن أدى غير ذلك لم يمسيها.

كان التين الأبيض والذهبي يرضع من ثديها الأيسر والأخضر والبرونزي من الأيمن وقد ضمت ذراعيها حول الاثنين، بينما استقرّ التين الأسود والقرمزي فوق كتفيها وقد دس عنقه المنحني الطويل تحت ذقنها، وعندما رأى چورا رفع عينيه ورمقه بعينين حمرابين كالجمر.

عاجزا عن الكلام هوى الفارس على ركبتيه، ومن ورائه جاء رجال الغاس. كان چوجو أول من وضع أراخه عند قدميها مُتميما «دم دمي»

وهو يُمرِّغ وجهه في الأرض الدَّاخنة، ومن بعده رَدَّد آجوز: «دم دمي»،  
وصاح راگارو: «دم دمي».

بعدهم جاءت وصيفاتها، ثم الآخرون، كُلُّ الدوثرافي من رجالِ  
ونساء وأطفال، وما كان على داني إلَّا أن تَنظُر في عيونهم لتعرف أنهم لها  
الآن، اليوم وغداً وإلى الأبد، لها كما لم يكونوا الدروجو قَطُّ.

وإذ نهضت دنيرس تارجارين، أطلقَ تَئِنها الأسود هسيسًا ليُخرُج  
الدُّخان من فمه ومنخريه، وسحبَ الآخَران فميهما من على ثدييهما  
وأضافا صوتيهما إلى النداء وأجنحة الثلاثة شَبِه الشَّفَافَة تنبسط وتخفق  
في الهواء، وللمرَّة الأولى منذ ثلاثمة عامٍ صدحت موسيقى التَّانين في  
قلب الليل.

## نهاية الجزء الأول





# مُلحق





## عائلة باراثيون

أصغر العائلات الكبرى عُمرًا، نشأت خلال حروب الغزو، ويُقال إن مؤسسها أوريس باراثيون كان أخًا غير شرعي لإجون التَّين. ترقَّى أوريس في المناصب حتى أصبح أقوى قادة إجون، وعندما هزمَ وقتلَ المَلِك أرجيلاك المتكبِّر -آخر ملوك أراضي العواصف- كافأه إجون بقلعة أرجيلاك وأراضيه وابته، فتزوَّج أوريس من الفتاة واتَّخذ ألقاب وراية وكلمات عائلتها لنفسه.

راية آل باراثيون عبارة عن وعِلٍ متوجٍّ أسودَ على خلفيَّة ذهبيَّة، وكلماتهم «الثَّورة ثورتنا».

### المَلِك روبرت باراثيون الأول،

- زوجته، المَلِكة سرسي، سليلَة عائلة لانستر،

- أبناؤهما:

- الأمير جوفري، وريث العرش الحديدي، في الثَّانية عشرة

من العُمُر،

- الأميرة مارسلا، فتاة في الثَّامنة من العُمُر،

- الأمير تومن، صبي في السَّابعة من العُمُر،

- أخواه:

- ستانيس باراثيون، سيِّد دراجونستون،

- زوجته، الليدي سيليس، سليلة عائلة فلورنت،
- ابنتهما، شيرين، فتاة في التاسعة من العمر،
- رنلي باراثيون، سيّد ستورمز إند،
- مجلسه الصّغير:
- المايستر الأكبر بايسل،
- اللورد پيتر بايلش، لقبه الإصبع الصّغير، أمين النّقد،
- اللورد ستانيس باراثيون، قيّم السّفن،
- اللورد رنلي باراثيون، قيّم القوانين،
- السير باريستان سلمي، قائد الحرس المَلكي،
- فارس، خصيّ لقبه العنكبوت، وليّ الهامسين،
- بلاطه وأتباعه:
- السير إلين پاين، عدالة المَلِك، جَلّاد،
- ساندور كليجايين، لقبه كلب الصّيد، حارس الأمير چوفري الشّخصي،
- چانوس سلبنت، من العامّة، قائد حرس المدينة في كينجز لاندينج،
- چالابار شو، أمير منفي من جُزر الصّيف،
- فتى القمر، مهرّج البلاط،
- لانسِل وتايرك لانستر، مُرافقان للمَلِك وابنا عمّ المَلِكة،
- السير أرون سانتاجار، قيّم السّلاح،
- حرسه المَلكي:
- السير باريستان سلمي، قائد الحرس،
- السير چايمي لانستر، لقبه قاتِل المَلِك،
- السير بوروس بلاونت،
- السير مرين ترانت،

- السیر آریس اوکهارت،
- السیر پرستون جرینفیلد،
- السیر ماندون مور،

أبرز العائلات المُقسِمة بالولاء لستورمز إند هي: سلمی، وایلد، ترانت، پنروز، إرول، إستر مونت، تارث، سوان، دونداریون، کارون.

أبرز العائلات المُقسِمة بالولاء لدراجونستون هي: سلتیجار، فیلاریون، سیوورث، بار إمون، صنجلاس.



## عائلة ستارك

يعود نسب آل ستارك إلى براندون البَّناء وملك الشَّتاء القُدَّامي،  
ولآلاف السنين حَكَمُوا من مقرِّهم في ويترفل كملوك في الشَّمال، إلى  
أن اختارَ تورين ستارك -الملك الذي ركعَ- أن يُقسِمَ بالولاء لِإِجون  
التَّنين بدلاً من مُواجهته في المعركة.

راية آل ستارك عبارة عن ذئب رهيب رمادي على خلفيّة بيضاء ثلجيّة،  
وكلماتهم «الشَّتاء قادم».

إدارد ستارك، سيّد ويترفل، حاكم الشَّمال،  
- زوجته، الليدي كاتلين، سليله عائلة تلي،  
- أبناؤهما:

- روب، وريث ويترفل، في الرَّابعة عشر من العُمُر،
- سائز، الابنة الكُبرى، في الحادية عشر من العُمُر،
- آريا، الابنة الصُّغرى، في التَّاسعة من العُمُر،
- براندون، يُسمَّى بران، في السَّابعة من العُمُر،
- ريكون، صبي في الثَّالثة من العُمُر،
- ابنه غير الشرعي، چون سنو، صبي في الرَّابعة عشر من العُمُر،
- تابعه الشَّخصي، ثيون جرايچوي، وريث جُزر الحديد،

- إخوته:

- (براندون)، أخوه الأكبر، قُتِلَ بأمرٍ من المَلِكِ إيرس تارجارين الثاني،

- (ليانا)، أخته الصُغرى، ماتت في جبال دورن،

- بنجن، أخوه الأصغر، من رجال حرس الليل،

- أهل بيته:

- المايستر لوين، مستشار، مُعالِج، معلّم،

- فايون هوول، وكيل ويترفل،

- چين، ابنته، أقرب أصدقاء سانزا،

- چوري كاسل، قائد الحرس،

- هالس مولين، دزموند، چاكس، پورثر، كوينت، آلين،

تومارد، فارلي، هيوارد، كاين، ويل، حرس،

- السير رودريك كاسل، قِيَمَ السّلاح، عم چوري،

- بث، ابنته،

- السّنة موردن، معلّمة ابنتي اللورد إدارد،

- السّبتون كايل، حافِظُ سِبتِ القلعة ومكتبها،

- هالن، قِيَمَ الخيول،

- ابنه، هاروين، حارس،

- چوزث، سائس ومدرب الخيول،

- فارلن، قِيَمَ وِجار الكلاب،

- المعجوز نان، حكَاءة ومُرضِعة فيما سبق،

- هودور، أصغر أبناء أحفادها، صبي اسطبل محدود العقل،

- جايچ، الطّاهي،

- ميكن، خدّاد وصانع سلاح،



- أهم لورداته وحملة رايته:
- السير هلمان تولهارت،
- ريكارد كارستارك، سيّد كار هولّد،
- رويس بولتون، سيّد معقل الخوف،
- چون أومبر، لقبه چون الكبير،
- جالبارت وروبت جلوفر،
- وايمان ماندرلي، سيّد الميناء الأبيض،
- ميج مورمونت، سيّدة جزيرة الدّبة،

أبرز العائلات المُقسّمة بالولاء لويترفل هي: كارستارك، أومبر، فلينت، مورمونت، هورنوود، سروين، ريد، ماندرلي، جلوفر، تولهارت، بولتون.



## عائلة لانستر

ينحدر آل لانستر، المشهورون بالوسامة والطُّول والشَّعر الذَّهبي، من المُغامرين الأنداليين الذين أقاموا مملكةً عظيمةً في التَّلال والوديان الغربيَّة، ويأتي نسبهم من جهة الإناث من لان الأريب، المُحتال الذي عاش في عصر الأبطال؛ وقد جعلهم ذهب كاسترلي روك والتَّاب الذَّهبي أثرى العائلات الكُبرى.

راية آل لانستر عبارة عن أسد ذهبي على خلفيَّة قرمزيَّة، وكلماتهم: «اسمعوا زئيري».

تايوين لانستر، سيِّد كاسترلي روك، حاكم الغرب، حامي لانسپورت، - زوجته، (الليدي جوانا)، ابنة عمِّه، ماتت أثناء الوضع، - أبناؤهما:

- السير چايمي، لقبه قاتل المَلِك، وريث كاسترلي روك، توأم سرسي،

- المَلِكة سرسي، زوجة المَلِك روبرت الأول، توأم چايمي، - تيرون، لقبه العفريت، قزم،

- إخوته:

- السير كيثان، أخوه الأكبر،

- زوجته، دورنا، سليله عائلة سويقت،

- ابنتهما الأكبر، لانسل، مُرافق المَلِك،

- ابناهما التَّوأمين، ويلم وهاروين،

- ابنتهما الصَّغيرة، چاني،
- چنا، أخته، متزوَّجة من السير إامون فراي،
- ابنتهما، السير كليوس فراي،
- ابنتهما، تيون فراي، مُرافق فارس،
- (السير تايجت)، أخوه الثَّاني، ماتَ بداء الزُّهري،
- أرملة، دارليسا، سليله عائلة ماربراند،
- ابنتهما، تايرك، مُرافق المَلِك،
- (جريون)، أخوه الأصغر، فُقِدَ في البَحْر،
- ابنته غير الشَّرعيَّة، چوي، فتاة في العاشرة من العُمُر،
- ابن عَمُّهم، السير ستافورد لانستر، أخو الليدي الرَّاحلة چوانا،
- ابنتاه، سيرينا وماريل،
- ابنه، السير دافن لانستر،
- مستشاره: الجايستر كرايلن،
- أهمُّ فُرسانه ولورداته حمَلة رايته:
- اللورد ليو ليفورد،
- السير أدام ماربراند،
- السير جريجور كليجاين، لقبه الجبل راكب الخيول،
- السير هاريس سويفت، أب بحُكم الزَّواج للسير كيفان،
- اللورد أندرون براكس،
- السير فورلي پرستر،
- السير آموري لورك،
- فارجو هوت، من مدينة كُوهور الحُرَّة، مُرتزق،
- أبرز العائلات المُقسِمة بالولاء لكاسترلي روك هي: پاين، سويفت،
- ماربراند، ليدن، بانفورت، ليفورد، كراكهول، سيريت، بروم، كليجاين،
- پرستر، وسترلينج.



## عائلة آرن

تنحدر عائلة آرن من ملوك الجبال والوادي، وهي واحدة من أقدم وأنقى سُلالات النُبلاء الأنداليين.

راية آل آرن عبارة عن قمرٍ وصقرٍ أبيضين على خلفيّة ذات لونٍ أزرقٍ سماوي، وكلماتهم: «سامون كالشرف».

(چون آرن)، سيّد العُش، حافِظ الوادي، حاكم الشرق، يدُ المَلِك، تُوفّي مؤخراً،

- زوجته الأولى، (الليدي چين، سليله عائلة رويس)، ماتت أثناء الوضع، وُلِدَت طفلتها ميتةً،

- زوجته الثانية، (الليدي رويينا، سليله عائلة آرن)، ابنة عمّه، ماتت بنوبة برد، بلا أطفال،

- زوجته الثالثة وأرملته، الليدي لايسا، سليله عائلة تلي، -  
ابنهما:

- روبرت، صبي سقيم في السادسة من العُمر، الآن سيّد العُش وحافِظ الوادي،

- أتباعهما وأهل بيتهما:

- المايستر كولمون، مستشار، مُعالِج، معلّم،

- السير فارديس إيجن، قائد الحرس،

- السير برايندن ثلي، لقبه السمكة السوداء، فارس البوابة وعمُّ الليدي لايسا،
- اللورد نستور رويس، وكيل الوادي الأعلى،
- السير ألبار رويس، ابنه،
- ميا ستون، فتاة نغلة في خدمته،
- اللورد إيون هنتر، تقدّم بالزواج لليدي لايسا،
- اللورد لين كوربراي، تقدّم بالزواج لليدي لايسا،
- مايكل ردفورد، مُرافقه،
- الليدي أنيا واينوود، أرملة،
- السير مورتون واينوود، ابنها، تقدّم بالزواج لليدي لايسا،
- السير دونل واينوود، ابنها،
- مورد، سجان شرس،

أبرز العائلات المُقسّمة بالولاء للعُش هي: رويس، بايلش، إيجن، واينوود، هنتر، ردفورد، كوربراي، بلمور، مالكوم، هرسي.



## عائلة تلي

لم يَحْكَمْ آل تلي كملوكٍ على الإطلاق، وإن كانوا يسيطون سُلطتهم على أراضي خصبةٍ وقلعة ريفرَرَن العظيمة منذ ألف عامٍ كاملة. كانت أراضي النَّهر تنتمي لهارن الأسود مَلِك جُزر الحديد خلال حروب الغزو، وكان المَلِك هاروين هاردهاند -جَدُّ هارن- قد استولى على نهر الثالوث وأراضيه من آرك مَلِك أراضي العواصف، الذي كان أسلافه قد غزوا تلك الأنحاء كلها حتى منطقة العُنق في الشَّمال قبل ثلاثمئة عام وقضوا على آخر ملوك النَّهر القُدَّامى. كان هارن الأسود طاغيةً دمويًا مغرورًا لا يُحِبُّه من يَحْكُمهم، وقد تخلى كثيرون من لوردات أراضي النَّهر عنه وانضمُّوا إلى جيش إجون التَّنين، وكان أولهم إدمين تلي ابن ريفرَرَن. ثم، عندما قُضي على هارن ودُرِّبَتِه في حريق هارنهال، كافأ إجون عائلة تلي بتنصيب اللورد إدمين حاكمًا على أراضي النَّهر، وأمر بقية اللوردات بأن يُقسِّموا له بالولاء. راية آل تلي عبارة عن سمكة ترويت فضيةً واثبة على خلفيةٍ متموجة من الأزرق والأحمر، وكلماتهم: «العائلة، الواجب، الشرف».

هوستر تلي، سيِّد ريفرَرَن،

- زوجته، (الليدي مينيسا، سليلة عائلة وِنت)، ماتت أثناء الوضع،

- أبناؤهما:

- كاتلين، الابنة الكبُرى، تزوّجت من اللورد إدارد ستارك،

- لايسا: الابنة الصُغرى، تزوّجت من اللورد چون آرَن،
- السير إدميور، وريث ريفرزن،
- أخوه: السير برايندن تلي، لقبه السّمكة السوداء،
- أهل بيته:
- المايستر فايَمان، مستشار، مُعالِج، معلّم،
- السير دزموند جرل، قيّم السّلاح،
- السير روبن رايجر، قائد الحرس،
- أوثرابِدس واين، وكيل ريفرزن،
- فُرسانه واللوردات حملة رايته:
- جيسون مالبستر، سيّد سيجارد،
- باتريك مالبستر، ابنه ووريثه،
- والدِر فراي، سيّد المعبر،
- أبناؤه وأحفاده الشرعيّون وغير الشرعيّين،
- چونوس براكن، سيّد السّياح الحجري،
- نايتوس بلاكوود، سيّد رافترى،
- السير رايمون داري،
- السير كاريل فانس،
- السير مارك پاير،
- الليدي شيلا وِنت، سيّدة هارنهال،
- السير ويليس وود، فارس في خدمتها،

تتضمّن العائلات الأدنى شأنًا المُقسّمة بالولاء لريفِرزن كلّاً من:  
 داري، فراي، مالبستر، براكن، بلاكوود، وِنت، رايجر، پاير، فانس.



## عائلة تايرل

صعد آل تايرل إلى السُلطة كوكلاء لملوك المرعى، الذين ضمت أملاكهم الشُّهول الخصبة في الجَنُوب الغربي من تخوم دورن والنَّهر الأسود وحتى سواحل بحر الغروب. يأتي نسب آل تايرل من جهة الإناث من جارت جرينهاند، ملك البَشَر الأوائل البُستاني الذي ارتدى تاجًا من أوراق الشَّجر والزُّهور واستغلَّ خصوبة الأرض وزرعها حتى ازدهرت؛ وعندما مات المَلِك مِرَن -آخر ملوك العائلة القديمة- في معركة حقل النُّيران، سلَّم وكيله هارلن تايرل قلعة هايجاردن إلى إجون الفاتح وأقسم له بالولاء، فمنحه إجون القلعة وحُكم المرعى.

راية آل تايرل عبارة عن وردة ذهبية على خلفية بلون أخضر كالْعُشب، وكلماتهم: «ننمو بقوة».

مايس تايرل، سيّد هايجاردن، حاكم الجَنُوب، حافظ التُّخوم، عاهل المرعى الأعلى،

- زوجته، الليدي أليري، سليلة عائلة هايتاور من البلدة القديمة،

- أبناؤهما:

- ويلاس، الابن الأكبر، وريث هايجاردن،

- السير جارلان، لقبه الشَّهم، الابن الثاني،

- السير نوراس، فارس الزُّهور، الابن الأصغر،

- مارچري، ابنتهما، فتاة في الرَّابعة عشر من العُمر،



- أمّه الأرملة، الليدي أولينا، سليلة عائلة ردواين، لقبها ملكة  
الأشواك،

- أختاه:

- مينا، تزوّجت من اللورد باكستر ردواين،

- چانا، تزوّجت من السير چون فوسواي،

- أعمامه:

- جارت، لقبه الفّج، وكيل هايجاردن،

- ابنه غير الشرعيّ، جارس وجارت فلاورز،

- السير مورين، قائد حرس البلدة القديمة،

- المايستر جورمون، دارس في القلعة في البلدة القديمة،

- أهل بيته:

- المايستر لوميس، مستشار، مُعالِج، معلّم،

- إيجون فيرويل، قائد الحرس،

- السير فورتيمر كران، قيّم السّلاح،

- فرسانه واللوردات حملة رايته:

- باكستر ردواين، سيّد الكرم،

- زوجته، الليدي مينا، سليلة عائلة تايرل،

- أبناؤهما:

- السير هوراس، لقبه السّاخر هورور، توأم هوبر،

- السير هوبر، لقبه السّاخر سلوبر، توأم هوراس،

- دسميرا، فتاة في الخامسة عشر من العمر،

- راندل تارلي، سيّد هورن هيل،

- سامويل، ابنه الأكبر، من رجال حرس اللّيل،

- ديكون، ابنه الأصغر، وريث هورن هيل،

- أروين أوكهارت، سيّدة السّنديانة القديمة،

- مائيس روان، سيّد البُستان الذهبي،
- ليتون هايتاور، من ألقابه صوت البلدة القديمة وسيّد المرفأ،
- السير چون فوسواي،

أبرز العائلات المُقسِمة بالولاء لهايجاردن هي: فيرويل، فلورنت،  
أوكهارت، هايتاور، كران، تارلي، ردواين، فوسواي، روان، مالنندور.



## عائلة جرایچوي

ينحدر آل جرایچوي من المَلِك الأشيب الذي عاش في عصر الأبطال، الذي تقول عنه الأساطير إنه لم يَحْكَمْ الجُزر الغربيّة فحسب، بل البحر نفسه كذلك وتزوَّج من عروس بحر. لآلاف السنين شكّل مُغيرو جُزر الحديد -الذين أطلقَ عليهم ضحاياهم لقب "الرّجال الحديديين"- رُعبًا مقيمًا عبر البحار، فقد أبَحَروا لمسافاتٍ بعيدةٍ حتى ميناء إيين وجُزر الصَّيف، وتباهوا بشراستهم في المعارك وخُرّياتهم المقدّسة. كان لكلّ واحدةٍ من جُزر الحديد "مَلِك ملحي" و"مَلِك صخري"، وكان هؤلاء ينتخبون مَلِك الجُزر الأعلى من بينهم، إلى أن جعلَ المَلِك أوروون انتقال العرش بالوراثة عندما اغتالَ بقيّة الملوك أثناء اجتماعهم للانتخاب، ثم قُضِيَ على سلالة أوروون كلها بعد ألف عام عندما اكتسَحَ الأنداليون جُزر الحديد، وصاهرَ آل جرایچوي الغزاة كما فعلَ عدد من سادة الجُزر الآخرين.

بسَطَ الملوك الحديديون سيطرتهم لمسافاتٍ تجاوزت جُزر الحديد نفسها بكثير، وأقاموا ممالكَ كاملةً على اليابسة بالسَّيف والنَّار، حتى أن المَلِك كوريد كان يتفاخَر بأن أوامره تسري "حيثما يشمُّ النَّاس المِياه المالحة أو يسمعون تلاطم الأمواج". في القرون التَّالية فقدَ أبناء كوريد الكرمة والبلدة القديمة وجزيرة الدُّببة ومساحةً كبيرةً من السَّاحل الغربي، ومع ذلك ظلَّ المَلِك هارن الأسود مسيطرًا على الأراضي الواقعة بين

الجبّال من العُنُق وحتّى النّهر الأسود خلال حروب الغزو، لكن بعد مصرعه مع أبنائه في سقوط هارنغال، منح إجون تارجارين أراضي النّهر لعائلة تلي، وسمح للوردات جُزر الحديد النّاجين بإحياء تقليدهم القديم واختيار من يَحْكُمهم، فاختاروا اللورد فيكون جرايچوي ابن جزيرة پايك.

راية آل جرايچوي عبارة عن كراكن ذهبي على خلفيّة سوداء، وكلماتهم: «نحن لا نزرع».

بالون جرايچوي، سيّد جُزر الحديد، ملك الملح والصّخر، ابن رياح البحر، سيّد حصاد پايك،

- زوجته، اللبدي ألانيس، سليله عائلة هارلو،

- أبناؤهما:

- (رودريك)، ابنهما الأكبر، قُتِلَ في سيجارد خلال تمرد جرايچوي،

- (مارون)، ابنهما الثّاني، قُتِلَ على أسوار پايك خلال تمرد جرايچوي،

- آشا، ابنتهما، ربّان سفينة الرّيح السّوداء،

- ثيون، ابنهما الوحيد الحي، وريث پايك، تابع شخصي للورد إدارد ستارك،

- إخوته:

- يورون، لقبه عين الغراب، ربّان سفينة الصّمت، خارج على القانون، قرصان، مغير،

- فيكتاريون، قائد الأسطول الحديدي،

- آرون، لقبه ذو الشّعر الرّطب، من رهبان الإله الغارق،

تتضمّن العائلات الأدنى شأنًا المُقسّمة بالولاء لپايك كلًّا من: هالرو، ستونهاوس، مرلين، ساندري، بوتلي، تاوئي، ونش، جودبراذر.



## عائلة مارتل

رست ملكة الروين المحاربة نايميريا بعشرة آلاف سفينة على سواحل دورن الواقعة في أقصى جنوب الممالك السبع وتزوجت من اللورد مورس مارتل، وبمساعدها استطاع القضاء على منافسيه لينفرد بحكم دورن كلها. لا يزال تأثير الروينار قويًا هناك، ولهذا يُلقب الحُكَّام الدورنيون أنفسهم بالأمرء وليس الملوك، وتنص القوانين الدورنية على أن تنتقل أملاكهم وألقابهم إلى أكبر الأبناء سواء كان ولدًا أم بنتًا. تبقى دورن وحدها بين الممالك السبع كلها التي لم تتعرض لغزو إجون التنين، ولم تنضم إلى البلاد الواقعة تحت سيطرة عائلته إلا بعد مرور مئتي عام، وكان ذلك بالمُصاهرة والمُعاهدات وليس القتال، إذ نجح الملك السلمي دايرون الثاني فيما أخفق فيه المُحاربون، عندما تزوج من الأميرة الدورنية ميريا وزوج أخته من أمير دورن الحاكم في ذلك الحين. راية آل مارتل عبارة عن شمسٍ حمراء يخرقها رُمح ذهبي، وكلماتهم: «لا ننحني، لا نخضع، لا ننكسر».

دوران نايميروس مارتل، سيّد صنسبير، أمير دورن،

- زوجته، ميلاريو، من مدينة نورفوس الحرة،

- أبناؤهما:

- الأميرة آريان، ابنتهما الكبرى، وريثة صنسبير،

- الأمير كوينتن، ابنهما الأكبر،

- الأمير تريستان، ابنهما الأصغر،
- إخوته:
- أخته، (الأميرة إليا)، تزوجت من الأمير ريجار تارجارين،
- قُتِلَت خلال نهب كينجز لاندنج،
- طفلاهما:
- (الأميرة رينيس)، فتاة صغيرة، قُتِلَت خلال نهب كينجز
- لاندنج،
- (الأمير إجون)، رضيع، قُتِلَ خلال نهب كينجز لاندنج،
- أخوه، الأمير أوبرين، لقبه الأفعوان الأحمر،
- أهل بيته:
- آريو هوتا، مُرتزق نورفوشي، قائد الحرس،
- المايستر كاليوت، مستشار، مُعالج، معلّم،
- فُرسانه والوردات حملة رايته:
- إدريك داين، سيّد ستارفول،
- أبرز العائلات المُقيّمة بالولاء لصنسيير هي: چورداين، سانتاجار،
- أليريون، تولاند، يرونوود، ويل، فاوُلر، داين.



## السَّلاَةُ الْقَدِيمَةُ

### عائلة تارجارين

تسري دماء التَّينِ في عروق آل تارجارين الذين ينحدرون من كبار لوردات معقل فاليريا الحُر القديم، ويتبدَّى ميراثهم في جمالهم الأخاذ (الذي يقول البعض إنه غير بشري)، والعيون ذات اللون الأرجواني أو النُّيلي أو البنفسجي، والشَّعر الذَّهبي الفُضِّي أو الأبيض كالبلاتين. فَرَّ أسلاف إجون التَّين من هلاك فاليريا والفوضى والمذابح التي تبعته واستقرُّوا في دراجونستون، الجزيرة الصَّخريَّة الواقعة في البحر الضيق، ومن هناك أبحر إجون مع أخته لغزو الممالك السَّبع. للحفاظ على الدَّم المَلَكِي وصيانة نقائه، غالبًا ما اتَّبع آل تارجارين التَّقْلِيد الفاليري القديم وزوَّجوا الأخ من أخته، وقد تزوَّج إجون نفسه من أخته وأنجب أبناءً من كليهما. راية آل تارجارين عبارة عن تين أحمر ذي ثلاثة رؤوس - يرمز لإجون وأخته - على خلفيَّة سوداء، وكلماتهم: «النَّار والدَّم».

### خلافة عائلة تارجارين

مؤرَّخة بالأعوام بعد دخول إجون الممالك السَّبع

37 - 1

إجون الأول

إجون الفاتح، إجون التَّين

37 - 42

إينس الأول

ابن إجون ورينس

42 - 48

ميجور الأول

ميجور المتوحَّش، ابن إجون وفيزينيا

48 - 103

جهيرس الأول

المَلِك العجوز، المُصلِح، ابن إينس

103 - 129

فسيرس الأول

حفيد جهيرس

129 - 131

إجون الثَّاني

أكبر أبناء فسيرس

(نازعته أخته رينيرا - الأكبر منه بعام - على خلافة الحُكم،

وقُتِلَ كلاهما في الحرب التي نشبت بينهما، التي يُطلق عليها

المغنون اسم "رقصة التَّانين").

131 - 157

إجون الثَّالث

مُهلِك التَّانين، ابن رينيرا

(مات آخر تنانين آل تارجارين خلال حُكم إجون الثَّالث).

157 - 161

دايرون الأول



التَّيْنِ الصَّغِيرِ، الْمَلِكِ الصَّبِيِّ، أَكْبَرِ أَبْنَاءِ إِجُونِ الثَّالِثِ  
(حَاوَلْ دَايِرُونَ غَزَوْ دُورَن وَإِنْ لَمْ يَنْجَحْ فِي السَّيْطَرَةِ عَلَيْهَا،  
وَمَاتَ صَغِيرًا).

161 - 171

بِيلُورُ الْأَوَّلُ

الْمَحْبُوبُ، الْمُبَارَكُ، سِبْتُونُ وَمَلِكُ، ثَانِيِ أَبْنَاءِ إِجُونِ الثَّالِثِ

171 - 172

فُسَيْرِسُ الثَّانِي

رَابِعِ أَبْنَاءِ إِجُونِ الثَّالِثِ

172 - 184

إِجُونُ الرَّابِعِ

الْغَيْرِ جَدِيرٍ، أَكْبَرِ أَبْنَاءِ فُسَيْرِسِ

(كَانَ أَخُوهُ الْأَصْغَرُ، الْأَمِيرُ إِيمُونُ الْفَارَسِ التَّيْنِ، نَصِيرًا لِلْمَلِكَةِ

نِيرِسَ، وَقَالَ الْبَعْضُ إِنَّهُ كَانَ عَشِيقَهَا).

184 - 209

دَايِرُونَ الثَّانِي

ابْنُ الْمَلِكَةِ نِيرِسَ مِنْ إِجُونِ أَوْ إِيمُونِ

(صَمَّ دَايِرُونَ دُورَن إِلَى الْبِلَادِ بِزَوَاجِهِ مِنَ الْأَمِيرَةِ الدُّورْنِيَّةِ مِيرِيَا).

209 - 221

إِيرِسُ الْأَوَّلُ

الْأَبْنُ الثَّانِي لِدَايِرُونَ الثَّانِي، لَمْ يَتْرُكْ وَرِثًا

221 - 233

مَائِكَارُ الْأَوَّلُ

الْأَبْنُ الرَّابِعُ لِدَايِرُونَ الثَّانِي

إجون الخامس

المُستبعد، ابن مايكار الرَّابِع

جهيرس الثاني

ابن إجون المُستبعد الثاني

إيرس الثاني

المَلِك المعنون، ابن جهيرس الوحيد

هنا تنتهي سُلالة ملوك التَّنانين بخلع إيرس الثاني عن العَرش وقتله هو ووريثه الأمير ريجار وليّ العهد، الذي صرَّعه روبرت باراثيون في معركة الثَّالوث.

### آخِر أبناء عائلة تارجارين

(المَلِك إيرس تارجارين الثاني)، قُتِل بيد چايمي لانستر خلال نهب كينجز لاندنج،

- أخته وزوجته (المَلِكة ريبلا)، سُليلة عائلة تارجارين، ماتت

على فراش الوضع في دراجونستون،

- أبناؤهما:

- (الأمير ريجار)، وريث العَرش الحديدي، قتله روبرت

باراثيون في معركة الثَّالوث،

- زوجته، (الأميرة إلبا)، سُليلة عائلة مارتل، قُتِلت خلال نهب

كينجز لاندنج،

- طفلاهما:

- (الأميرة رييس)، فتاة صغيرة، قُتِلَت خلال نهب كينجز

لاندنج،

- (الأمير إجون)، رضيع، قُتِلَ خلال نهب كينجز لاندنج،

- الأمير فسيرس، لُقِّب نفسه بفسيرس الثالث، سيّد الممالك

السَّبع، ولُقِّبَ بالملك الشَّحَّاذ،

- الأميرة دنيرس، لقبها دنيرس وليدة العاصفة، فتاة في الثالثة

عشر من العمر.

## شُكر وتقدير

الشَّيْطَان في التَّفَاصِيل كما يقولون، وكتاب بهذا الحجم فيه الكثير من الشَّيَاطِين التي تترَبَّص بك وأنت غير متبَّيه لها، لكنني أعرفُ الكثير من الملائكة لحُسن الحظ.

شُكري وتقديري إذن لكلِّ القوم الطَّيِّبين الذين أعاروني أسماعهم وخبراتهم (وكتبهم في بعض الحالات) كي أقدمُ كلَّ تلك التَّفَاصِيل الصَّغيرة بشكل سليم. إلى ساج ووكر، مارتن رايت، ميلندا سنودجراس، كارل كايم، بروس بو، تيم أوبرايان، روجر زيلازني، چاين ليندزكولد، ولورا ج. ميكسكون، وبالطبع باريس.

وشُكر خاص لچنيفر هرشي على جهودها التي لا تُقَدَّر بَشَمَن...



## المؤلف جورج رايموند ريتشارد مارتن

جورج رايموند ريتشارد مارتن، وُلد في ولاية نيو جيرسي الأمريكية في سبتمبر 1948، ودرس في جامعة نورثوسترن وحصلَ على شهادتي البكالوريوس والليسانس في الصحافة، ثم درّس في الجامعة لمدة عامين قبل انتقاله للعمل ككاتب ومنتج تلفزيوني في هوليوود، واشترك في كتابة عدد من المسلسلات، منها *The Twilight Zone*. بدأ مارتن الكتابة منذ طفولته، وله العديد من القصص القصيرة والمقالات التي نشرتها المجلات والصحف، وأصدرَ روايته الأولى «موت الضياء» في عام 1976، ومنذ ذلك الحين صدرت له أكثر من عشرين رواية ومجموعة قصصية بخلاف أهم وأشهر أعماله، «أغنية الجليد والنار» والكُتب المصاحبة لها. يُقيم مارتن حالياً في نيو مكسيكو ويعمل كمنتج تنفيذي في المسلسل المأخوذ عن سلسلته *Game of Thrones* بينما يعمل على كتابة الجزأين الأخيرين منها.



## المُترجم هشام فهمي

هشام فهمي، درسَ الأدب الإنجليزي والترجمة في جامعة الإسكندرية، وعملَ مترجمًا وكاتبًا صحفيًا في عدد من الصحف والمجَلَّات، وترجمَ عددًا من الأعمال لكتاب عالميين، منها «الهوبيت» لتولكين، «فرانكشتاين» لماري شلي، «الناجي الأخير» و«أغنية المهد» لتشاك بولانك، «المحيط في نهاية الدرب» لنيل جايمان.

## شُكر من المترجم

لكلّ الأصدقاء الذين عاونوني بشكلٍ أو بآخر على إخراج هذه الترجمة:

أحمد يحيى، تامر فتحي، رشا حسن عودة، رضوى أشرف، شيرين ثابت، شيماء إسماعيل، صالح محمد، محمد ربيع، محمود سلام أبو مالك، محمود عبد الرازق، يارا المصري، يوسف محيي الدين.



سلسلة جورج ر. ر. مارتن الملحمة  
(أغنية الجليد والنار)

تبدأ في  
لعبة العروش

وتُستكمل في  
صدام الملوك  
عاصفة السيوف  
وليمة للغربان  
رقصة مع التنانين  
رياح الشتاء  
حُلم بالربيع





# الرواية التي تحولت إلى ظاهرة

«مارتن راوي قصص بالفطرة يتمتع بخيال واحد في المليون، والمسلسل التلفزيوني المأخوذ عن روايته رائع، لكن الكتب أفضل بكثير».

(ستيفن كينج)

«نجحت سلسلة مارتن الخيالية في إشعال خيال الملايين للسبب نفسه الذي جعل أعمال هومير وسوفوكليس وشكسبير تدوم لعصور».

(الغاردان)

«مارتن هو الأفضل على الإطلاق بين من يكتبون في مجال الفانتازيا الملحمية في العصر الحالي، ولا مبالغة في وصفه بأنه تولكين الأمريكي».

(تايم)

«موهبة مارتن في الحكى تكاد تكون خارقة للطبيعة».

(نيويورك تايمز)

في «لعبة العروش» صنع جورج ر. ر. مارتن تحفة أصيلة تحوي أفضل ما في الأدب الخيالي، من إثارة وغموض ومغامرة، على مستوى أكبر من الواقع، ما جعل الملايين من عشاق الفانتازيا حول العالم يقعون في غرامها ويتابعون ملحمة «أغنية الجليد والنار» بالشغف نفسه.

في عالم يدوم فيه الصيف سنيناً والشتاء عمراً بأكمله، تبدأ قوة الملك الحاكم في الجنوب تنهوى بعد وفاة مساعده في ظروف غامضة، فلا يجد غير آخر وأخلص أصدقائه لطلب منه أن يعاونه على حكم البلاد. ومن الشمال تعود الرياح الباردة لتهب منذرة بعودة خطر قديم يهدد بهلاك العالم كله. وفي قلعة الحكم تدور عجلة المؤامرات والمكائد بين الحلفاء والأعداء، ويحتدم الصراع على العرش الحديدي، لكن في لعبة العروش لا توجد منطقة وسطى، فلما أن تريح أو تموت.

ISBN 978-977-6483-57-6



9 789776 483576

الشور  
للطباعة والنشر والتوزيع

تونس - القاهرة - بيروت